نظرات وتأملات في منهج الإمام المجدد

أسامة بن لادن
رحمه الله





1447 هـ 2025 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

نظرات وتأملات

في منهج الإمام المجدد

أسامة بن لادن -رحمه الله-

سامي بن محمود العريدي

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات وتأملات في منهج
الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-

إنَّ الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله؛ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

تأتي هذه الدراسة والكتابة بعد انقطاع عن الكتابة بسبب ما مرت بي من ظروف وأحوال أشغلتني عن الكتابة وعن كثير من الأمور.. فأكرمني الله هذه الأيام بفسحة من الوقت استخرت الله أن استثمرها في كتابة هذه الصفحات أذكر فيها بعض

المعالم والســمات في منهج الإمام المجدد أســامة بن لادن –رحمه الله وجمعنا به في الفردوس الأعلى– في الدعوة والجهاد وفاءً له وقياماً ببعض حقه على الأمة.. وتذكيراً للساعين إلى المجد ومراغمة أعداء الله بمنهجه الذي استمده –رحمه الله– من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة وسيرة رسولنا الكريم ﷺ ومنهج خير القرون ومن سار على دربهم..

فقد جعل الله تبارك وتعالى لعبده أســامة بن لادن –رحمه الله– محبة كبيرة في قلوب عباده الصالحين ومهابة عظيمة في قلوب أعداء الدين من مختلف الملل والمذاهب..

فكان –نحسبه والله حسيبه– من أئمة الهدى ومجددي دعوة الحق في هذا الزمان فجدد وأنعش الله به وبإخوانه من العلماء والدعاة والمجاهدين النهج القويم والجهاد لإعلاء كلمة الله بعد سنوات من التيه مرت بها أمة الإسلام فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا». رواه أبو داود وصححه الألباني.

وقال ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ». رواه ابن ماجة وحسنه الألباني.

وأنعش وجدد الله بهم معالم الطائفة المنصورة بين أبناء الأمة فقاموا بالحق ورفعوا رايته وجاهدوا أعداءه كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ

صَـــلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَـــكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّـةَ». رواه مسلم.

وقال ابن القيم -رحمه الله-في "مدارج الســالكين": (ولولا ضـــمان الله بحفظ دينه وتكفله بأن يقيم له من يجدد أعلامه ويحيي منه ما أماته المبطلون وينعش ما أخمله الجاهلون لهدمت أركانه وتداعى بنيانه، ولكن الله ذو فضل على العالمين.)

وقال الخطيب البغدادي -رحمه الله- في وصـف أصـحاب الحديث في زمانه وكلامه يصـــدق في زماننا على أئمة الجهاد وأعلامه: (فَقَدْ جَعَلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُـورَةَ حُرَّاسَ الدِّينِ، وَصَـرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَ الْمُعَانِدِينَ؛ لِتَمَسُّـكِهِمْ بِالشَّـرْعِ الْمَتِينِ، وَاقْتِفَائِهِمْ آثَارَ الصَّـــحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. فَشَـــأْنُهُمْ حِفْظُ الْآثَارِ وَقَطْعُ الْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ، وَرُكُوبُ الْبَرَارِيِّ وَالبِحَارِ فِي اقْتِبَاسِ مَا شَـرَعَ الرَّسُـولُ الْمُصْـطَفَى، لَا يُعَرِّجُونَ عَنْهُ إِلَى رَأْيٍ وَلَا هَوًى. قَبِلُوا شَرِيعَتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَحَرَسُوا سُنَّتَهُ حِفْظًا وَنَقْلًا حَتَّى ثَبَّتُوا بِذَلِكَ أَصْـــلَهَا، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا. وَكَمْ مِنْ مُلْحِدٍ يَرُومُ أَنْ يَخْلِطَ بِالشَّـــرِيعَةِ مَا لَيْسَ مِنْهَا. وَاللَّهُ تَعَالَى يَذُبُّ بِأَصْـــحَابِ الْحَدِيثِ عَنْهَا. فَهُمُ الْحُفَّاظُ لِأَرْكَانِهَا وَالْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهَا وَشَـأْنِهَا. إِذَا صَـدَفَ عَنِ الدِّفَاعِ عَنْهَا فَهُمْ دُونَهَا يُنَاضِـلُونَ، ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: ٢٢].)

فكان الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- من أعلام ومنارات وأئمة هذا الزمان فقد سـطر بجهاده ودعوته ودمه تاريخًا ناصـعًا لأهل الإيمان في هذا الزمن الذي ادلهمّت فيه الظلمات وانتشـر فيه الجور والفســاد والكفر في مشــارق الأرض ومغاربها حيث قال الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله-: (ونحن اليوم بفضـله سـبحانه وتعالى

نكتب تاريخًا ناصعًا لأهل الإيمان في هذا الزمن الذي ادلهمّت فيه الظلم وانتشر فيه الجور والفساد والكفر في مشارق الأرض ومغاربها، فالسعيد من يثبته الله سبحانه وتعالى بجوار راية التوحيد.)

وقد سقى -رحمه الله- كلماته ودعوته بدمائه وقضى نحبه بجوار راية التوحيد فانتفضت حية وعاشت بين الأحياء وكانت قناديل من نور يهتدى بها المجاهدون والساعون لإقامة دين الله في هذا الزمان قال الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله- "في خضم المعركة ": (ولقد صدق سيد قطب عندما قال: "إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء".)

وأصبح حب الإمام المجدد أسامة لادن -رحمه الله- فيما نحسب ولا نزكيه على الله من علامات أهل السنة في هذا الزمان كما كان حب الإمام أحمد وأمثاله من الأئمة في زمانهم من علامات أهل السنة لما قدموا من أعمال ومواقف عظيمة حفظ الله بها الإسلام قال الإمام ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد": (قال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة، فلا تشك في أنه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي، فلا تشك في أنه ناصبي، وإذا رأيت البصري يطعن على أيوب السختياني وابن عون، فلا تشك في أنه قدري، وإذا رأيت الخراساني يطعن على عبد الله بن المبارك، فلا تشك أنه مرجئ. واعلم أن هذه الطوائف كلها مجمعة على بغض أحمد بن حنبل، لأنه ما منهم أحد إلا وفي قلبه منه سهم لا برء له......

وقال مُحَمَّد بْن علي المقرئ بالدالية، قَالَ: أنشدنا أَبُو جعفر مُحَمَّد بْن بدينا الموصلي، قَالَ: أنشدني بْن أعين فِي أَحْمَد بْن حَنْبَل:

أضحى ابْن حَنْبَل محنة مأمون　　وبحب أَحْمَد يعرف المتنسك

وإذا رأيت لأَحْمَد متنقصا　　فأعلم بأن ستوره ستهتك.)

فهذه المنزلة العظيمة لهذا الإمام المجدد توجب على الدعاة والمجاهدين وخاصة أحبابه ومن له فضل عليهم أن ينشروا سيرته ومنهجه وفي ذلك يقول الدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- في "أيام مع الإمام": (إني في الحقيقة أحس بالتقصير في التعريف بفضل الإمام المجدد المجاهد الشيخ أسامة بن لادن ولعلي يكون لي بعض العذر ولعل الإخوة يلتمسون لي بعض العذر لقلة الاستقرار والانشغال بتكاليف المعركة المتأججة والوضع الأمني الذي يفرض نفسه علينا وعلى المجاهدين..

ولكني في الحقيقة عاتبٌ عتبًا شديدًا على الكتاب والمفكرين المخلصين من أمة الإسلام وعلى أهل الرأي والفكر الذين يحبون الشيخ أسامة بن لادن ويقدرونه ويعرفون قدره وعلى أحباب الشيخ وزملائه ورفقائه في درب الجهاد والهجرة أنهم لا يتكلمون عن الشيخ أسامة بن لادن هذا العملاق الشامخ في تاريخ الإسلام الإمام المجدد الذي لا أبالغ إن قلت أنه صلاح الدين الأيوبي في هذا العصر، الرجل الذي ترك ماله ودراسته وأهله ووطنه حتى وأوراق جنسيته وأوراق هويته وكل شيء ترك كل شيء في سبيل الله سبحانه وتعالى وشرّفه الله سبحانه وتعالى أنه منذ شبابه وقد انخرط في الجهاد ضد أعداء الإسلام وشرّفه الله سبحانه وتعالى بأنه شارك في هزيمة الإمبراطورية الروسية الشيوعية وشارك في هزيمة الإمبراطورية الغربية الصليبية الأمريكية

في هذا الوقت الضـــيق من الزمان الذي لا يتعدى عقدين من الزمان وكان في كلا الحالين معطاءً إمامًا مقدامًا ســـخيًا مبرّزًا وبطلاً من أبطال هذه الأمة التي يجب أن تعرف أبطالها وتشيد بذكرهم وتنقل أخبارهم إلى أجيالها القادمة..

فأين هؤلاء الإخوة أين هؤلاء العارفون بقدر الشـيخ، أين هؤلاء الذين يقدرون قدر الشيخ وهم كثير كثير في هذه الأمة أنا واثق من ذلك ولكن لماذا يسكتون؟ يعني أنا كنت أتمنى أن يحملوا عني هذا العبء رغم أنه واجبٌ علي.

ولكن للأســف إذا مات لاعب كرة أو مغني أو سـياسـي منحرف تخرج عشـرات الكتب والبرامج والأفلام، والشـيخ أسـامة بن لادن الإمام المجدد المجاهد الذي فجّر الجهاد ضــد هبل العصــر أمريكا والذي كانت أمريكا تعتبره العدو الأول لها أين مشـاركتكم يا إخوان في الإشـادة بفضـل الشـيخ؟ في الحقيقة أنا عاتب على هؤلاء الإخوة جميعًا وأدعو كل عارفٍ بقدر الشــيخ وأدعو أحباب الشــيخ وأدعو زملاء الشـيخ ورفقاء الشـيخ وأصـدقاء الشـيخ والذين شـاركوه في درب الهجرة والجهاد أن يظهروا مآثر الشــيخ وأن يحدثوا بها وأن يكتبوها، ومن كان لا يســتطيع الكتابة ولا يحســن الحديث فليســتعن بأهل الخير الذين يســاعدوه في هذا الأمر ويجمعوا هذه الذكريات الطيبة وهذا التاريخ العطر الذي قد شـــهدت جزءًا منه وهم قد شـــهدوا أجزاء كثيرة، وفي الحقيقة أنا أدعوهم وأحملهم هذه الأمانة أنهم عليهم أن لا يكتموا تاريخ الشيخ العطر وأن يشيدوا به وأن يظهروه لأن هذا جزءٌ من الجهاد ضد أمريكا التي تحاول إما أن تشوه صـورة الشـيخ وإما أن تتكتم على مسـيرة الشـيخ، هذا أمرٌ أردت أن أنوه له..

ويلحق به أيضًا أمرٌ آخر أنّ البعض من الإخوة حينما يتكلمون عن الشيخ أسامة بن لادن يتكلمون عن الجانب الخلقي وعن الجانب السلوكي وعن دماثة الأخلاق والسماحة والكرم وهذه لا شك فضائل شهد بها العدو الصديق للشيخ ويجب أن نذكرها ونشيد بها، ولكن هل صار الشيخ أسامة بن لادن إمامًا لأنه كان حسن الأخلاق أو طيب المعشر أو دمث الأخلاق؟

الشيخ أسامة بن لادن هو الإمام المجدد الذي فجّر الجهاد ضد أمريكا والذي شارك في الجهاد ضد الروس والذي فضح الحكام الفاسدين المفسدين وأظهر فسادهم هذا هو الجانب الأهم والأبرز والأخطر في حياة الشيخ فلماذا أيها الإخوة إذا تكلمتم عن الشيخ لا تذكرون هذا الجانب الخطير الذي من أجله صار الشيخ أسامة بن لادن إماما؟

أيضًا بعض الإخوة حينما يتكلمون عن الشيخ يذكرون فقط جهاده ضد الروس الشيوعيين ثم يسكتون ويتكتمون على أمرين في غاية الخطورة في تاريخ الشيخ، الأمر الأول جهاد الشيخ ضد أمريكا، الشيخ أسامة بن لادن استطاع أن يجمع الأمة المسلمة وأن يحشد الأمة المسلمة ضد عدوٍ مشترك في جهادٍ مشترك ضد أمريكا، واجتهاده في هذا كان اجتهادًا موفقًا بفضل الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني الخطير هو موقف الشيخ أسامة بن لادن من الحكام الفاسدين المفسدين، الشيخ أسامة بن لادن صحيح كان يقول لنجتمع جميعًا ضد العدو الأكبر ضد رأس الأفعى كما كان يقول ضد هبل العصر فإذا سقط هذا الصنم الضخم سيسقط أتباعه ويتفرقون، ولكنه كان في نفس الوقت يفضح ويكشف

ويتحدى وينتقد ويبين فساد هؤلاء الحكام الفاسدين المفسدين ويحرض الأمة عليهم، فأين هذين الجانبين أيها الإخوة أين هذان الجانبان من حديثكم عن الشيخ؟ لماذا لا تظهرون هذين الجانبين الخطيرين في حياة الشيخ؟) أهـ.

وتأتي هذه الدراسة والنظرات والتأملات في منهج الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله وقدس روحه- في خضم هذه الأحداث والتغيرات والتقلبات الفكرية والمنهجية والسلوكية التي نراها ونسمعها اليوم.. فنحن نعيش زماناً يصدق عليه قول الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: (إنَّ الفتنة تعرض على القلوب، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، فإن أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، فمن أحبَّ منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا؟ فلينظر فإن كان يرى حراماً ما كان يراه حلالاً، أو يرى حلالاً ما كان يراه حراماً؛ فقد أصابته الفتنة.) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه واللفظ له والحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

فأصبح الثبات على الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير من الفتن عزيزاً، وأصبح البعض يبدل ويغير أفكاره وثوابته كما يبدل ويغير ثيابه.. فما كان بالأمس عندهم من المحرمات والموبقات وربما من نواقض الإسلام أصبح بين عشية وضحاها من الأمور المحكمات والسياسة الشرعية والحكمة المرضية، وما كان من الوجبات المتحتمات والثوابت الراسخات أصبح من الموبقات المهلكات.. فانتشرت الفتن وانكسرت البوصلة وسار أقوام في سبيل كانوا من أشد الناس تحذيرا منه.. وصدق في هذا الحال والزمان ما أخبرنا به النبي الكريم ﷺ بقوله:

«لتتبعن سنن الذين من قبلكم. شبرا بشبر، وذراعا بذراع. حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم.» قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن».
متفق عليه.. -نسأل الله العافية والعصمة والثبات-..

فقد رأينا في هذا الزمان تغير الثوابت والمبادئ والأفكار في مسائل الحاكمية والولاء والبراء ومسائل العلمانية والديمقراطية والوحدة الوطنية ومسائل الأسماء والأحكام ومسائل السياسة الشرعية وغير ذلك من الثوابت والأحكام..

فيستطيع الباحث عن الحق من خلال هذه الدراسة أن يرى ويقف على مدى الانحراف الذي وصل إليه أقوام وأفراد انتسبوا يوماً إلى هذه الدعوة المباركة.. ثم حادوا عن السبيل القويم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ بفهم سلف الأمة..

فقد اجتهدت أن أذكر في المباحث شيئاً من التأصيل لها إن احتاجت لذلك.. وأكثرت في بعض المباحث والمسائل من النقولات التي توضحها وتبينها فلكل مقام مقال..

فجاءت هذه الدراسة التي بين أيديكم بياناً للحق الذي ندين الله به ونصرة ودعوة إلى الحق.. ووفاءً لدماء وعهد الشهداء الذين قدموا أنفسهم لإعلاء كلمة الله وإقامة دينه وجعلوا ذلك أمانة في أعناق من بعدهم..

وليعلم القارئ لهذه الدراسة أنني في هذا البحث لن استوفي الكلام حول معالم وسمات منهج الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-.. وإنما هي نظرات وتأملات

وذِكرٌ لأهم ما رأيت من معالم وسمات في منهجه.. فإن ما بين أيدينا من تراث هذا الأمام المجدد –رحمه الله– جملة من تراثه وآثاره الطيبة المباركة.

فهذه الصفحات والكلمات هي إضاءات وقناديل من نور نقتبسها من نهج هذا الإمام المجدد أسامة بن لادن –تقبله الله وجمعنا به في دار الشهداء في جنة الفردوس–.

التعريف بالإمام المجدد
أسامة بن لادن -رحمه الله-

إن الله أكرم عبده الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في هذا الزمان فجعله أشهر من نار على علم وبدر في الظلم فانتشر وارتفع ذكره في الآفاق.

فتلك آثاره في كل مكرمة   أبدى وأوضح من نار على علم

فلا حاجة في هذا البحث للإطالة في التعريف به.. فنقتصر على ما ذكره لنا الإمام المجدد الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- عن نسبه ونشأته.. حيث قال -رحمه الله- جوابا على سؤال جمال إسماعيل "نسأل من هو أسامة بن لادن وماذا يريد؟": (الحمد لله، أسامة بن محمد بن عوض بن لادن، من الله علي أن ولدت من أبوين مسلمين، في جزيرة العرب في الرياض في حي الملز عام ١٣٧٧ هجرية، ثم من الله علينا أن ذهبنا إلى المدينة بعد الولادة بستة أشهر، ومكثت بقية عمري بعد ذلك في الحجاز بين مكة والمدينة وجدة. أبي الشيخ محمد بن عوض بن لادن من مواليد حضرموت، ذهب للعمل في الحجاز منذ أكثر من سبعين سنة، ثم فتح الله عليه بأن شرف بما لم يشرف به أحد من البنائين وهو بناء المسجد الحرام الذي فيه الكعبة المشرفة، ثم قام ببناء المسجد النبوي في المدينة المنورة، ثم لما علم أن الحكومة الأردنية قد أنزلت مناقصة لترميم قبة الصخرة، جمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة بدون أرباح. فقالوا له نحن نضمن الربح مع سعر التكلفة، فقام رحمه الله بتخفيض سعر التكلفة حتى يضمن رسو المناقصة عليه، فكان أن رسا عليه العطاء،

وكان من فضل الله عليه أنه كان يصلي أحياناً في المساجد الثلاثة في يوم واحد. ولا يخفى أنه كان أحد المؤسسين للبنية التحتية في المملكة العربية السعودية، وبعد ذلك درست في الحجاز ودرست الاقتصاد في جامعة جدة أو ما يسمى بجامعة الملك عبد العزيز، وعملت مبكراً في الطرق في شركة الوالد عليه رحمة الله، رغم أن الوالد توفي وكان عمري عشر سنوات. هذا باختصار عن أسامة بن لادن.

أما ماذا يريد؟ الذي نريده ونطالب به هو حق لأي كائن حي، نحن نطالب بأن تحرر أرضنا من الأعداء وأن تحرر أرضنا من الأمريكان، فهذه الكائنات الحية قد زودها الله سبحانه وتعالى بغيرة فطرية، ترفض أن يدخل عليها داخل. فهذه أعزكم الله الدواجن، لو أن الدجاج دخل عليها مسلح عسكري يريد أن يعتدي على بيتها فهي تقاتله وهي دجاجة، فنحن نطالب بحق لجميع الكائنات الحية، فضلا عن الكائنات الإنسانية البشرية، فضلا عن المسلمين. الذي حصل على بلاد المسلمين من اعتداء خاصة على المقدسات المسجد الأقصى حيث قبلة النبي ﷺ الأولى، ثم استمر العدوان من التحالف اليهودي الصليبي الذي تتزعمه أمريكا وإسرائيل، حتى أخذوا بلاد الحرمين ولا حول ولا قوة إلا بالله. فنحن نسعى لتحريض الأمة كي تقوم بتحرير أرضها، والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى لتحكم الشرع وتكون كلمة الله هي العليا.)[1]

١ . ينظر لمزيد تفصيل في التعريف به كتاب "أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان" للشيخ فارس آل شويل الزهراني –تقبله الله–. وتفريغ سلسلة "أيام مع الإمام" للدكتور أيمن الظواهري –رحمه الله حيا وميتا–

ثناء العلماء والدعاة والمجاهدين وعموم المسلمين عليه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

وروى الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

وروى الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ».

إن من عظيم فضـــل الله وكرمه على عبده أســـامة بن لادن –رحمه الله– أن جعل له لسـان صـدق وذكراً طيبا جميلاً بين الناس[٢] وعلى ألسـنة رموز وأعيان أهل السـنة في هذا الزمان فيكفي للدلالة على ذلك تلك المظاهرات التي خرجت مؤيدة ومناصـــرة له في حياته وبعد مماته، وتلك الاســـتجابة المباركة من أبناء الإســـلام لتحريضـــه ودعوته، وذلك الثناء العطر عليه من العلماء والدعاة والمجاهدين..

فقد كتب الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله– في وصـيته: (وأدعو كثيراً لمن تكفل هذا المكتب بماله الخاص، وهو الأخ أبو عبد الله أسـامة بن محمد بن لادن، أدعو الله أن يبارك له في أهله وفي ماله ونرجو الله أن يكثر من أمثاله، ولله أشـــهد أني لم أجد له نظيراً في العالم الإسلامي فنرجو الله أن يحفظ له دينه وماله وأن يبارك له في حياته.)

وقال الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله– في "ظلال سـورة التوبة": (وفي هذه المناسـبة نرجو الله عز وجـل أن يحفظ أخـانا أبا عبـد الله أســـامـة بن لادن فهـذا الرجـل ما تفتحت عيناي على رجل مثله في الأرض أبدا يعيش في بيته عيش الفقراء كنت أنزل في جدة في بيته عندما أذهب للحج أو للعمرة ليس في بيته كرســـي ولا طاولة أبدا كل بيت متزوج من أربعة وليس في أي بيت من البيوت كرســـي ولا طاولة أي عامل من الأردن أو مصـر بيته أحسـن من بيت أسـامة فيه أثاث أو مثله ومع ذلك في لحظات تطلب منه مليون ريال يكتب لك شيكا بمليون ريال للمجاهدين. ذهب إلى إحدى أخواته فعرض عليها فتوى ابن تيمية في الجهاد بالمال فأخرجت شـــيكا

---

٢ . قال الدكتور أيمن الظواهري –رحمه الله حيا وميتا– في "وترجل الفارس النبيل": (ذهب إلى ربّه مضرّجًا بدماء شـــهادته؛ الزاهد القانع، الذي ألقى الدّنيا بكلّ زخارفها وراء ظهره، وقد جاءته طائعة منقادة، واختار حياة الجهاد والهجرة والتقشّف في سبيل الله، فأبدله الله بها حُبًّا ملأ قلوب عشرات الملايين.)

وكتبت ثمانية ملايين ريال، يعني أربعين مليون روبية، جاء الذين يفهمون ليقنعوها أمجنونة أنت؟! ثمانية ملايين دفعة واحدة والله من المسلمين، المسلمات يقنعنها والمسلمون يقنعون زوجها وما زالوا يفتلون لها بين الحبل والغارب... قالوا لها: أنت تسكنين بشقة في الأجرة على الأقل مليونا لبناء بيت لك، فاقتنعت بمليون تسترده جاءت لأسامة قالت له: يا أسامة يا أخي مليونا أبني به بيتا ، قال لها: والله ولا ريال، لأنك تعيشين في شقة مستريحة والناس يموتون لا يجدون خيمة، وعندما يجلس معك تظنه خادما من الخدم، مع الأدب والرجولة، والله أنا أمسكه هكذا، وقلت للشيخ سياف اصدر قرارا ممنوع أن يتحرك من هنا، وهو يريد دائما أن يكون في المواجهة، وضغطه ينخفض، وجيبه مليئة بالملح، ويحمل مطرة ماء لا يقدر أن يمشي، يبلع ملحا ويشرب ماء حتى يرفع الضغط، وعندما يدخل بيتي... صدقوا عندما يرن التلفون يذهب هو ويأتي بالتليفون حتى لا أقوم من مكاني، أدب، حياء، رجولة، نرجو الله أن يحفظه إن شاء الله.

والمبادئ تحتاج إلى أناس، أم تريد أن تدخل الجنة بقرش؟ بريال؟ لا تدخل الجنة بريال، تحتاج إلى تضحية.

أول مرة دعاني كنا في رمضان، فذهبت، فجاء عند الأذان بصحن مرقة وفيه بعض العظمات عليها قليل من اللحم وحبتان أو ثلاثة من الكباب...)

وقال الدكتور أيمن الظواهري –رحمه الله حيا وميتا– في "أيام مع الإمام": (لقد طلب مني الإخوة –جزاهم الله خيراً– أن أتحدث عن بعض ذكرياتي مع الشيخ الإمام المجدِّد المجاهد محيي الجهاد في هذا العصر أسد الإسلام الشيخ أسامة بن لادن

-رحمه الله-، وأن أوضح الجانب الإنساني من حياته، الذي ربما لم يطَّلِع عليه عامة المسلمين، هذا الجانب الراقي النبيل الرفيع الذي تشرَّف به كل من عاشر هذا الإنسان ذو الأخلاق الراقية والحس النبيل، والكرم، والجود، والسماحة.

وفي الحقيقة أني -الحمد لله- قد شرَّفني الله سبحانه وتعالى بأن عاشرت هذا الرجل فترات طويلة في سفرٍ وفي حلٍ وترحالٍ وإقامةٍ وأحوالٍ مختلفة، فالحمد لله رأيت جوانب من حياته عظيمةً ونبيلةً وشريفة أود أن أعرض بعضها على إخواني المسلمين بناءً على طلب الإخوة.)

وقال الدكتور أيمن في "وترجل الفارس النبيل": (أزفُّ إلى الأمّة المسلمة، أمّة العقيدة والتوحيد، أمّة الجهاد والاستشهاد، أمّة البذل والعطاء، أمّة الهجرة والرباط؛ نبأ استشهاد الإمام المجاهد المجدّد، المهاجر المرابط، الأمير النبيل، والقائد المحنّك، العابد الزاهد، المتقشّف المترفّع عن دنايا الدنيا وسفاسفها، البطل المقاتل في الصفّ الأول، رائد جهاد الشيوعيين ثم الصليبيين، إمام العصر في جهاد أمريكا، محرّض الأمّة ورمز عزّتها وكرامتها، ورفضها للذلّ والتبعيّة؛ أبي عبد الله أسامة بن محمد بن لادن رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنّاته مع النّبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

فتىً ماجدٌ والمجدُ للمجدِ إنّه ... من المجدِ أمسى بينَ عَينٍ ومارِنِ
إليه انتهى إرثُ المفاخرِ عاصبًا ... تفرّدَ لم يُقسَم لبادٍ وقاطنِ
وما عجبٌ أن يجمعَ الناسُ في فتىً ... طوى فخرَ شيبانَ إلى عزِّ مازنِ

أُسَــامَةُ لا تحفل بتشــغيبِ خائرٍ ... لكـلّ منـادٍ بالجهـادِ مشــاحنِ
ومـا ذنبـه أن خفّ للأمرِ طـائعًـا ... إذ اثَّاقَلُوا للأرضِ خوفَ المطَـاعِنِ
وهَـل عِبـتَ منـه غير نفسٍ أبيّـةٍ ... أَبَت بعدَ عيشِ العِزّ عُشَّ الدّواجِنِ
ولو شَاء لاستخذَى وأغضَى كغيره ... وللســهلِ قبل الوَعرِ أُنس المســاكنِ
إذًا لثَوَى في خَفضِ عيشٍ ومنصـبٍ ... وجـاهٍ عَريضٍ ســيّدًا ذا بطَـائنِ
ولكنّـه لَيـثٌ هِزَبرٌ أُسَــامَـةٌ ... إذا هَـادَنَ النّـاسُ العِـدَى لم يُهَـادِنِ
رَأى غُـلّ أمريكـا بأعنـاقِ قَومِـهِ ... غَرَامًا, فَعَافَت نَفسُــه وردَ آسِــنِ
فلا تسـألِ الأقصَـى ومَا أَحدَثُوا بِه ... وبغـدَادَ مَن يَقتَصّ دَينًـا لِـدَائِنِ
صَــلِيبيّـة أَحيَوا وَفَوقَ صَــلِيبِهِم ... صَــلَبنَا صَــلاحَ الدّينِ يومَ التّواهُنِ
فـأرهِـب عـدوّ الله بالخيـلِ والقَنَـا ... ودَمّر نيويوركًـا وواشــنطنَ ادفِنِ
وبنـتَ لئـامٍ بنتجون فســوّهـا ... وكونجرسًــا فاجعله في كَفّ عَاجِنِ
وأســقِط عليهِم شُــرّعًا طَائراتهم ... فحيّر بهـا منهم دُهَـاةَ الـدّهَـاقِنِ
بِحَولِ الـذِي لا نَصــر إلّا بِحَولِـه ... وَقَد ضَمِنَ الحُسنَى فأَكرِم بِضَامِنِ[٣]

ذهب إلى ربّه مضـرّجًا بدماء شـهادته؛ الرجل الذي قال لأمريكا: لا، الرجل الذي أقسـم فأبرّ الله قسـمه، وسيُبِرّه -إن شـاء الله- حين قال: "أقسـم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعًا في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد ﷺ ".

٣ . عبد العزيز بن مشرف البكري (عبد العزيز الطويلعي رحمه الله).

يَا أيّـهَـا الصّـــقرُ المِقَـاتِـل لَمْ   يَشــمَـت بِـه دُونَ المـدَى خَوَرُ
يَا مَن بِـه آمَـالُنـا انتعَشَــــت   لَمّـا سَــرَى بِرحَـابِهَـا الضّـــرَرُ
يَـدُكَ الكَرِيمَـةُ كَيفَ نُنكِرُهَـا   لَا سَـــامَحَ الرّحمَنُ مَن نَكَرُوا
مَن ذَاكَ؟ عَينُ الكَونِ شَـاخِصَـةٌ   تَـرنُـو لِهَـيـبَـتِـهِ وَتَـنـبَـهِـرُ
ذَاكَ ابـنُ لادِن أَيُّ صَـــاعِـقَـةٍ   دَوّت بِـدُنيَـا الصّـــمتِ تَنفَجِرُ
إِمّـا دَعَـا الـدّاعِي لِبَـذلِ نَـدَى   لـبَّى فَـلَا ضَــيقٌ وَلَا ضَـــجَرُ
لَم يُـبـدِ عُـذرًا لِـلأُلَى سَــألُـوا   لَـكِـن يَجُـودُ لَهُـم وَيَـعـتَـذِرُ
وَسِــيُولُ مَن وَفَـدُوا لِسَـــاحَتِـهِ   زُمَــرٌ عَــلَــى آثَارِهَــا زُمَــرُ
وَإِذَا السّــيوفُ لَهَثنَ مِن ظَمَـأ   أَدنىَ لَهُـنّ نُحُـورَ مَـن كَـفَـرُوا
مَـا نَالَ مِـن إِصـــرَارِه تَـرَفٌ   وَبِـعـزمِـهِ لَم يَشـــمـت البَـطَـرُ
يَـرقَـى ذُرَى الأَمجَـادِ بَاذِخَـة   وَكَـأَنّهَـا لِخُـطَـاهُ مُـنـحَـدَرُ
عَشِـــقَ الجِهَـادَ إِذَا الخَوَالِف مِن   ذِكرِ الجِهَـاد وَأهلِـه سَـــخِرُوا
ذُو هِمّـةٍ قَـعســـاء لـيـسَ لَهَـا   إِلّا لِسَـــاحَـاتِ الفِـدَا سَـــفَرُ
مِن أَرضَ كشـــمِير التّي اغتصَـــبُوا   لجِـبَـال كَـابُـول الـتّي أَسَــــرُوا
لِـمَـعَـاقِـل الأبـطَـالِ فِي يَمَـنٍ   لِلحربِ فِي الســـودَانِ تَنتَشِــــرُ
لِلقُدسِ يَرنُو صَـــوبَ سَـــاحَتِهَا   وَأَمَـامَ ذَاكَ المســـلـكُ الـوَعِـرُ
وَيقُولُ للأَقصَـــى المسِـــيرُ بَـدَا   رغـمَ الّـذِيـن بِـبـيـعِهِ تَجِــرُوا[٤]

٤ . قصيدة الصقر المقاتل؛ أسامة بن لادن – يوسف محيي الدين أبو هلالة.

ذهب إلى ربّه مضرّجًا بدماء شهادته، الرجل الذي كان كثيرًا ما يتمثّل بقول سيّدنا عاصم بن ثابت –رضي الله عنه– يوم الرجيع:

ما علّتي وأنا جلدٌ نابلُ والقوسُ فيها وترٌ عنابلُ
الموت حقٌّ والحياة باطلُ إن لم أقاتلكم فأمّي هابلُ

والذي كان كثيرًا ما يتمثّل بقول سيّدنا عبد الله بن الزبير –رضي الله عنهما– يوم مقتله:

ولَسنَا عَلى الأعقَابِ تدمَى كُلُومُنَا وَلكِن عَلَى أقدَامِنَا تَقطُرُ الدِّمَا

ذهب الفارس النبيل الذي أحبّ فلسطين حُبًّا ملك عليه قلبه، فقال لأهلها: (إلى إخواننا في فلسطين، نقول لهم: إنّ دماء أبنائكم هي دماء أبنائنا، وإنّ دماءكم دماؤنا، فالدم الدم، والهدم الهدم، ونشهد الله العظيم أنّنا لن نخذلكم حتّى يتمّ النصر أو نذوق ما ذاق حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.)

ذهب السمح المعطاء البشوش، الحييّ الخلوق، الذي أجمع كلّ من عرفه ولاقاه على رقيّ أخلاقه، وعفّة لسانه، ورفيع أدبه، وحيائه ونزاهته.

سَهلُ الخليقةِ لاَ تُخشَى بوادِرَهُ   يزينُه اثنَانِ حُسنُ الخلقِ والشّيمُ
حَمّالُ أثقالِ أقوَامٍ إذَا افتُدِحُوا   حُلوَ الشّمائِلِ تَحلُو عِندَه نَعَمُ[٥]

ذهب إلى ربّه مضرّجًا بدماء شهادته؛ الزاهد القانع، الذي ألقى الدّنيا بكلّ زخارفها وراء ظهره، وقد جاءته طائعة منقادة، واختار حياة الجهاد والهجرة والتقشّـــف في سبيل الله، فأبدله الله بها حُبًّا ملأ قلوب عشرات الملايين.)[٦]

---

٥ . الفرزدق.

٦ . وهذه الكلمة للدكتور أيمن الظواهري –رحمه الله حيا وميتا– من روائع الكلمات في وصف الإمام المجدد فقد قال فيها: (ذهب إلى ربّه الرجل الذي كان يؤكّد على أنّ انتصـارنا الأكبر على أمريكا هو في كشـف انحطاطها وهزيمتها في ميدان الأخلاق والمبادئ، وشاء الله سبحانه وتعالى أن تكشف أمريكا في قتلها لأسامة بن لادن عن كذبها وخسّتها وانحطاطها؛ زعمت أمريكا أنّها بعد أن قتلت أسـامة بن لادن –رحمه الله– ألقت بجثته في البحر طبقًا للطقوس الإسلاميّة! أيّ إسلامٍ هذا؟! إسلام أمريكا، أم إسلام أوباما الذي باع دين أبيه وتنصّر، ثم صلى صــلاة اليهود ليرضــى عنه أكابر المجرمين؟! هذا هو الإســلام الذي تبشّــرنا به أمريكا؛ إســلام مخترق، ملفّق، مكذوب، يخنع لســطوة المســتكبرين، ولا يعرف الولاء ولا البراء، ولا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، ولا الجهاد.

ألقت أمريكا في بحر العرب بحرًا من المجد، شــــهد به العرب والعجم. ضـــنّت أمريكا على البطل المجاهد بقبر، فصارت قلوب عشرات الملايين قبورًا له. أظهرت أمريكا بخسّتها أنّها لا تعرف شرف الخصومة، وأنّى لها أن تعرفه وهي تفتقد الشـرف أصـلاً؟! أمريكا التي وقّعت على معاهدات جنيف لحماية المدنيين والأسـرى، ثم كانت أوّل من ينتهكها في فيتنام، والعراق، وأفغانستان، وباكستان، وغوانتانامو، وسجونها السريّة في أرجاء الأرض.

وبينما كانت أمريكا تتنكّر لما وقّعت عليه من معاهدات، وتلزم غيرها بقرارات المحكمة الجنائيّة الدوليّة بينما تتكبّر في صـلف عن أن تلتزم بها ولا تعرف شـرف الخصـومة مع ابن لادن، بينما كانت أمريكا تقوم بكلّ ذلك مرارًا وتكرارًا، كان أسامة بن لادن –رحمه الله– حريصًا كلّ الحرص على الالتزام بما يتّفق عليه؛ ففي تورا بورا بعد الاتفـاق على وقف إطلاق النـار؛ كـان حوالي مـائة من المنافقين قد وقعوا في كمين للمجاهدين، ولم يكن بين قتلهم إلا أن يُؤمَر المجاهدون بإطلاق النار, ولكن الشيخ أسامة بن لادن أمر إخوانه بتركهم يخرجون من الكمين وأن لا يطلقوا عليهم طلقـة واحـدة. وبعـد الاتفـاق على وقف إطلاق النـار هجم بعض المجاهـدين على موقع للمنافقين وغنموا منه فأمرهم الشيخ بردّ ما غنموا، هذا هو الفرق بين الثرى والثريّا.

وقال عنه الملا عمر -رحمه الله-: (هو مسلم صادق الإيمان ولا نزكيه وقف معنا وقفة المسلم لأخيه.)[٧]

وقال عنه الشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله- في "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية": (وكم كنت أتمنى أن يطلع على هذا الكتاب قبل نشره. أخي وصديقي؛ رمز جهادنا الشيخ المجاهد، شمس الأمة أسامة بن لادن حفظه الله، ومتع الأمة بسلامته. ولا شفى منه صدر عدو. وكذلك أخي وصديقي، وشيخي، المجاهد القدوة، درة أرض الكنانة مصر، الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله ورعاه. ومتع الأمة ببقائه. وكذلك أخي وصديقي، المجاهد القدوة، بقية الصالحين من ليبيا كما أحسبه ولا أزكيه على الله، الشيخ أبو الليث الليبي حفظه الله ونكأ به أعداءه. وكذلك أخي وصديقي، ورفيق دربي ومساري، الصابر المصابر، المجاهد الشيخ أبو

ذهب إلى ربّه شهيدًا الرجل الذي أرهب أمريكا حيًّا ويرعبها ميتًا، حتى أنّهم يرتجفون من أن يكون له قبر؛ لما يعرفون من حبّ عشرات الملايين له، ويرعبها ميتًا حتى أنّهم يعجزون عن أن ينشروا صورة لجثته لعلمهم بمدى الغضب الشعبيّ الإسلاميّ ضدّهم وضدّ جرائمهم.

وسيبقى الشيخ أسامة بن لادن -بإذن الله- رعبًا وخوفًا وفزعًا يطارد أمريكا وإسرائيل وحلفاءهم الصليبيين ووكلاءهم الفاسدين، سيظلّ قسمه الشهير -بإذن الله- يؤرّق منامهم؛ لن تحلموا بالأمن حتى نعيشه واقعًا، وحتى تخرجوا من ديار المسلمين .لقد حلّ حبُّ الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- في قلوب الجماهير المسلمة التي خرجت بعد مقتله تُظهِر محبّتها له وبغضها لأمريكا، من مانيلا إلى القاهرة مرورًا بغزّة وباكستان ولبنان والصومال واليمن والسودان. وإنّي هنا أودّ أن أعبّر عن شكري وشكر إخواني لكلّ من شاركهم في هذه الملحمة، وللآلاف الذين صلّوا صلاة الغائب على شهيد الإسلام في أنحاء العالم الإسلاميّ، ولمن أثنوا على الشيخ -رحمه الله- وعلى جهاده، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ حافظ سلامة، ومفتي كفاية الله، والشيخ حسن أويس، والأستاذ إسماعيل هنيّة، والكثيرين غيرهم جزاهم الله خيرًا.)

٧ . أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان

خالد السـوري حفظه الله وأمتعنا والأمة به وبأمثاله. وما عدت أعرف لأمثال هؤلاء إلا القليل.)

وقال الشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله- في "بيان صادر عن مكتب الشيخ (أبو مصعب السوري) ردا على إعلان (وزارة الخارجية الأمريكية)": (وأما ما اختلفوا فيه الآن من كوني من القاعدة أم لست من القاعدة، فلقد صارت القاعدة أمةً لما غدت الأمة قاعدة.. قاعدة عن جهاد أعدائها. وهذا ما ساعدت عليه أمريكا التي تعتبر كل من يجاهدها من القاعدة.. فليكن!

ولقد التقيت الشيخ أسامة -حفظه الله- لآخر مرة في نوفمبر ٢٠٠١ أثناء معارك الدفاع عن الإمارة. وتذاكرنا ببيعة أمير المؤمنين، وعاهدته على الجهاد وحرب كل أعدائنا. وهو ما أفعله بيدي وقلمي ما وسعني إن شاء الله. والشيخ أسامة اليوم رمز جهادنا ورمز للأمة كلها.)

وقال عنه الشيخ أبو محمد المقدسي -حفظه الله- في مقابلة مع مجلة العصر: (الشيخ أسامة بن لادن إمام المجاهدين في هذا العصر ولا يجادل في ذلك إلا كافر غاظه ما قدمه هذا الرجل من نصرة لدين الله أو منافق متلون له مصالح ومكاسب عند طواغيت الحكام أو جبان جاهل لا يفقه دينه وحقيقة الجهاد فيه أو حاقد حسود يحسد الرجل على ما آتاه الله من رفعه وعزة لرفعه راية الدين.. وأنا للأسف لم أتشرف بمقابلته في يوم من الأيام رغم أني كنت قد شاركت في التدريس في معسكرات القاعدة داخل أفغانستان كما درست في معهدها الشرعي في بيشاور في أوائل تأسيسها..)

وقال الشيخ أبو قتادة الفلسطيني -حفظه الله- "حوار الشيخ أبي قتادة الفلسطيني مع جريدة الحياة": (إن اللقاء مع بن لادن شرف لا ينبغي لأحد أن يتبرأ منه - إن كان مسلماً صادقاً - لكن هذا لم يحصل، فهل أكذب على نفسي والناس وأقول إنني قابلته؟!

لم أقابله، لقد دخلت إلى بيشاور بعد رحيل بن لادن إلى السودان، السنة التي وصلت فيها إلى بيشاور كان بن لادن قد انتقل فيها إلى السودان، لم أقابله.

ولكن هل هناك علاقة بيني وبين بن لادن؟ لقد أجبت عن هذا السؤال عندما قلت إن لا علاقة تنظيمية أو عضوية لي مع تنظيم بن لادن ولا مع غيره، إن قُصد وجود لحمة الإيمان والجهاد والحق؟ فهذه موجودة مع بن لادن ومع غيره.)

وقال أيضاً في كلمته بعد سنة من حصاره في الغرب في شعبان من عام ١٤٢٣هـ: (... تحية من القلب لهذا الرجل العظيم لأبي عبد الله أسامة بن لادن هذا الرجل الذي رفع رأس الأمة -شهد الله- رفع رأس الأمة عالياً فبه نفتخر وبأمثاله إذا ذُكر من الرجال في أمتكم؟ دفعنا لهم هذا الشخص هذه السُمرة هذا الصوت الذي ما زال يُبكي كل من سمعه وقد امتلأت عباراته بمزيج الإيمان واليقين والزهد هذا الرجل إذا طلبوا لنا من يُمثّل الإسلام اليوم؟

دفعنا لهم أمثال أبي عبد الله. تحية حب لهذا الرجل الذي أثبت أنه يقول قليلاً ويعمل عظيماً تحية حب له....)[٨]

---

٨ . نقلا عن كتاب أسامة بن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان.

وقال الشـــيخ أبو قتادة الفلســـطيني -حفظه الله- في "الرؤية الشـــرعية لأحداث أمريكا": (والآن بقي أن نصـل الى الحديث عن أسـامة بن لادن، هذا الرجل الذي فرض نفســه بقوة على الأحداث، وصــار اسمه على لســان كل متحدث، وصــار حديثه أكثر ايقاعاً من هدير الطائرات.

أول تصريح له كان بعد بداية القصف الأمريكي على أفغانستان، حيث خرج على الناس بشريط أعد سابقاً وتكلم فيه إلى الأمة الاسلامية، وذلك بعد أن تكلم الناطق الرسمي سليمان أبو غيث الذي سحبت منه الجنسية الكويتية بعد يومين من خروجه بجانب أسامة بن لادن، ثم تحدث الدكتور أيمن الظواهري وكان حديثهما يدور حول طبيعة المعركة وأنها معركة ضد الإسلام، فالإسلام وحده هو المقصود لا غير، وتحدث فيه الثلاثة عن أمريكا التي ما فتئت تعادي قضـايا الأمة الإسـلامية وتحارب أسـباب نهضتها وتدعم رأس الحربة للتغريب في هذه الأمة ألا وهي دولة يهود.

وتتالت تصـريحاته التي لقيت قبولاً قوياً في الأمة الاسـلامية، حتى إن طلاب الجامعة الاســلامية في غزة في فلســطين خرجوا يحملون اسمه وصــورته، وكانت ضـريبة هذا العمل قتل شـرطة السـلطة الفلسـطينية ثلاثة شـبان مسـلمين، لتكون دماؤهم عربون ارضاء الراعي الأمريكي والحليف اليهودي.)

وقـال الشـــيخ ناصـــر الفهـد -فرج الله عنـه- في "التراجع عن التراجع المزعوم": (أنني أؤيد الشـــيخ البطل أســـامة بن لادن حفظه الله ونصــــره، وأرغم به أنوف الطواغيت، اعتبره من أبطال الإســـلام، وأمّا الذين يتكلمون فيه ويقولون ماذا جرّ

على الأمّة؟ فهذا هوا طريق الجهاد مملوء بالجثث والدماء والآلام والعرق والدموع، لذلك كان فضله عظيماً، وكانت عاقبته حميدة.

وما يقال في الشـــيخ ابن لادن الآن قد قيل مثله في الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

فإن الشيخ محمداً لما استخدم الجهاد لنشر التوحيد وتسلّطت الدول الخارجية آنذاك وأســـقطوا دولته تكلم فيه كثير من العلماء بأنه ســـبب هذا، فهذا التاريخ يعيد نفسه...)

أكتفي بهذه الأقوال في الثناء على الإمام المجدد أســـامة بن –رحمه الله– ومن أحب الاستزادة من ذلك فليراجع كتاب "أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان".

كلمات حسنة ودرر كريمة وحكم نفيسة
من توجيهات الإمام المجدد أسامة بن لادن
-رحمه الله وقدس روحه-

وقبل الشروع بذكر مباحث هذه الدراسة أضع بين أيديكم جملة من النفائس والحكم والدرر الكريمة مقتبسة من تراث وكلمات الإمام المجدد أسامة بن لان -رحمه الله- تعطينا فكرة حسنة ولمحة عطرة طيبة عن نهج هذا الإمام المجدد -رحمه الله وقدس روحه- وترغب القارئ بقراءة هذا النهج الكريم وقراءة هذه الدراسة وغيرها من الدراسات حول هذا الإمام المجدد -رحمه الله- ودعوته المباركة المستمدة من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ..

فإليكم هذه الجملة من النفائس والكلمات الطيبة الكريمة من تراث الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-:

- (فعندما تكون الأولوية الأولى بتحكيم لا إله إلا الله فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية، وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.) "توجيهات منهجية"

- (في كل مكان مصيبة، أما اكتفينا وإلى اليوم نقول فرض كفاية؟! ومن قال بفرض العين خذِّل بطرق شتى! فمن كان في قلبه إيمان قوي يتَّبع محمَّد ﷺ والصحابة الكرام.) "توجيهات منهجية"

- (فينبغي على دعاة الإصلاح أن يعلموا أنَّ الطريق لإصلاح الأمَّة وتوحيدها تحت كلمة التوحيد؛ ليس بالمحاضرات النظرية وتأليف الكتب فقط، ولكن لا بدَّ أيضًا من مشروع عملي تنخرط فيه الأمَّة كلها كلٌّ بحسبه، ابتداءً بالدعاء والابتهال إلى الله، وانتهاءً بالقتال في سبيل الله.) "رسالة إلى الأمة الإسلامية"

- (فالصبر خير سلاح، والتقوى خير زاد، فإن أدركتنا الشهادة فذلك ما كنا نبغي، ولكن راية الجهاد لن تقع إلى أن تقوم الساعة كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ.) "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة"

- (فيا أمة الإسلام ثوري على الظلم والطغيان، على الجور والعدوان، على الذُلِ والامتهان، فليس الخبز بأعزّ عندنا من ديننا، ولا الأموال بأغلى علينا من أعراضنا، ولا الموت بأصعب في حِسِّنا من حياة الذل والهوان، فالوسيلة ممكنةٌ ومتاحةٌ لكل فردٍ من أفرادِ أمتنا.) "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى"

- (فيجب أن تسري فينا روح النصيحة لتصحيح المسار، وأن الحق أكبر من الجميع، وسلامة الحق مقدمة على سلامة الأوطان والرجال والأحزاب والجماعات، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول ﷺ، والذي قال: "الدين النصيحة".) "خطوات عملية لتحرير فلسطين"

- (فخلافنا مع الحكام ليس خلافاً فرعياً يمكن حله، وإنما نتحدث عن رأس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار وبتشريعهم للقوانين الوضعية، وإقرارهم

واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة، فولايتهم قد سقطت شرعاً منذ زمن بعيد، فلا سبيل للبقاء تحتها.) "النفير"

- (وإني أوصي نفسي وإخواني بالتقوى والصبر؛ فهما زاد وسلاح من رجا النصر.) "إلى أهلنا بالعراق"

- (فنصرة دين الله بما شرع لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع.) "رسالة إلى الأمة الإسلامية"

- (وإنَّ إرهابنا لكم وأنتم تحملون السلاح على أرضنا هو أمرٌ واجبٌ شرعًا ومطلوبٌ عقلاً، وهو حقٌّ مشروعٌ في أعراف جميع البشر، بل والكائنات الحية.. ومَثَلُكم ومَثَلُنا كمَثَل أفعى دخلت دار رجلٍ فقتلها، وإنَّ الجبان من يترككم تمشون على أرضه بسلاحكم آمنين مطمئنين.) "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"

- (ولا يفل الحديد إلا الحديد ومن يأمل أن يقنع هؤلاء المرتدين بغير سلاح بالكف عن قتال أهل الإسلام في بغداد وما حولها فهو كأحمق يحاول إقناع الذئاب بالكف عن افتراس الغنم وهذا لا يكون.) "إلى الأمة الإسلامية عامة وإلى أهل العراق والصومال خاصة"

- (والذين يقفون بجوار هذه الراية راية الجهاد، بجوار راية التوحيد يوم يقل الواقفون، لا شك ولا ريب أن أجرَهم أكبرُ من الذين يأتون بعد أن يكثر الواقفون بجوار راية التوحيد.) "الأنصار العرب في أفغانستان"

- (توحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد، هو أمر ليس من النوافل، بل إنَّه من أوجب الواجبات.) "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة"

- (فَالتّـأَخُّرُ يُعَـرِّضُ الفُرصَـة لِلضّـيَاعِ، وَالتَّقَـدُّمُ قَبـلَ أَوَانِـهِ يَزِيـدُ مِـن عَـدَدِ الضّحَايَا.) "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة"

- (فأخوة الإيمان هي الرابطة بين المسلمين، وليس الانتساب إلى القبيلة أو الوطن أو التنظيم فمصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد، ومصلحة الدولة المسلمة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة.. فيجب أن تكون هذه المعاني واقعاً عملياً في حياتنا.) "إلى أهلنا بالعراق"

- (فلا ينبغي أن نتعصب للرجال أو الأحزاب أو الجماعات ولكن نتعصب للحق فمن تمسك به أعناه وإن أمرنا أطعناه ومن حاد عن الجادة قومناه، وأمرناه أن يكون للحق تَبَع فالحق أحق أن يُتبع ومن كان مقتدياً فليقتد بمن قد مات من القدوات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.) "السبيل لإحباط المؤامرات"

- (تَمَسّكُوا بِزِمَامِ المبَادَرَةِ، وَاحذَرُوا المحَاوَرَةَ؛ فَلَا التِقَاءَ في مُنتَصَفِ السّبِيلِ بَينَ أَهلِ الحَقِّ وَأَهلِ التّضلِيل، حَاشَا، وَكَلّا.) "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة"

- (والأولوية في هذا القتال وفي هذه المرحلة، يجب أن يكون لأئمة الكفر من الأمريكان واليهود الذين لن ينتهوا عن عدوانهم ولن يكفوا عن تسلطهم علينا إلا بالجهاد قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ**﴾..
وإياكم أن تنجروا إلى تشـــتيت جهودكم، وتبديد طاقاتكم في معارك جانبية مع الأذناب والأطراف، بـل ركزوا الضــــرب على رأس الكفر حتى ينهـار، وعندما ينهار ســوف تتداعى له بقية الأطراف بالانهيار والاندثار والاندحار ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْـــرِ اللَّهِ يَنصُـــرُ مَن يَشَـــاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾.) "رسالة إلى الأمة الإسلامية – بعد عام؛ الفشل الأمريكي في أفغانستان"

- (فلا تشاور أحداً في قتل الأمريكان، امض على بركة الله وتذكر موعودك عند الله سبحانه وتعالى بصحبة خير الأنبياء عليه الصلاة والسلام.) "مقابلة تيسير علوني"

- (يجب التفريق بين العثرة التي ينبغي إقالتها لـذوي الهيئات وبين ارتكـاب الحدود التي يجب أن تقام ولا يُستثنى منها أحد.) "السبيل لإحباط المؤامرات"

- (إن علة المسلمين اليوم ليست في الضعف العسكري، ولا في الفقر المادي، وإنما ينقصـــها علماء من أمثال ابن تيمية وحكام من جنس صـــلاح الدين –رحمهم الله– حتى يجتمع صـلاح السـلطان وصـدق الإيمان وهدي القرآن، وعندئذٍ لن تغلب منهم اثنا عشـــر ألف من قلة، ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْـــرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.) "الرسالة الثانية للشيخ عبد العزيز بن باز"

- (والشباب يعلمون أنَّ هذه المهانة التي لحقت بالمسلمين باحتلال مقدَّساتهم لا تزول ولا تُدكُّ بغير الجهاد والمتفجرات، وهم يردِّدون قول الشاعر:

جُدُرُ المذلة لا تُدَكُّ بغير زخَّات الرصاصِ
والحرُّ لا يُلْقِى القِيادَ لكل كَفَّارٍ وعاصي
وبغير نَضْحِ الدم لا يُمْحَى الهوانُ من النواصي)

"أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"

- (إن فساد الدين أساسه فساد فئتين من الناس هم العلماء والحكام كما قال ابن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

وفساد الحكام سببه فساد العلماء، وفساد العلماء سببه الإخلاد إلى الأرض وحب المال والجاه.) "العلماء ورثة الأنبياء"

- قال -رحمه الله- عن التطبيع مع الكيان الصهيوني: (أمتنا المسلمة: إن هذه المبادرات في لغة الإعلام الفرعوني ما هي إلا مؤامرةٌ وقحة، وخططٌ مفضوحةٌ تعريفها في قاموس السياسة: "الكراسي مقابل الخيانة"..

أما تعريفها في قاموس الشرع فهي: "الرِّدة"؛ حيث المناصرة والمظاهرة للكفار على المسلمين والمعدودة في ديننا من نواقض الإسلام العشرة المخرجة من الملة، والتي لا يَسعُ المسلم -كائنًا من كان ومهما كان حاله وظرفه- إلا أن يتبرأ منها ومن فاعلها، حيث أنها من أفعال الطواغيت، ولا يقوم إيمانُ المرء

حتى يكفر بالطاغوت؛ ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.) "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى"

- (وأول هذه القيود والسدود في عصرنا الحاضر؛ هم الحكام وشهداء الزور من علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة ومن شابههم.) "النفير"

- (فالمجاهدون هم من أبناء الأمة كالحجاج والمصلين، حالهم كحالهم يصيبون ويخطئون ومن اتهم بالوقوع في حد من حدود الله أحيل للقضاء ولا مجال للصراع بين المسلمين المستسلمين حقاً لأمر الله تعالى ولأمر رسول الله ﷺ.) "إلى أهلنا بالعراق"

- (فاستعينوا بالله وتوكلوا عليه واحرصوا على أن تكونوا من طلائع الشهداء الأُول الذين يبذلون المهج في سبيل المنهج، فقد صحّ عن رسولنا عليه الصلاة والسلام: "أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول لا يلتفتون حتى يُقتلوا أولئك، يتلبَّطون في الغُرف العُلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك لعبدٍ في الدنيا فلا حساب عليه".) "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة"

- (جراحُ المسلمين غائرة، غائرة جدًّا في كل مكان ولكن جراحنا اليوم في أعظم مقدساتنا، في البيت العتيق، في الكعبة المشرفة في مسجد نبينا عليه الصلاة والسلام، بعدما خَذَلْنا مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام في القدس..

ها هم الصليبيون واليهود قد تحالفوا وغزوا دار الإسلام في عقر دارنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلئن كانت تلك مصائب عظيمة وغائرة

إلا أن مصـــيبتنا في البيت العتيق هي أشـــدها وأعظمها وأوجعها وآلمها..) "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠ هـ"

- (إن الذي يريد أن يقاوم الباطل وهو تحت الباطل هذا مخالف لسُـــنن الله ســـبحانه وتعالى، إن المهاجر في كل لحظة كل خلية من خلاياه تصـــيح في أعماق قلبه أنك خرجت لتحرير البيت العتيق، كل لحظة من لحظاته تصـــيح خلاياه في قلبه وفي أذنيه إياك أن تنســـى البيت العتيق، فيبقى مهاجرًا حتى يرفرف علم التوحيد بحق فوق بلاد الحرمين.) "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠هـ"

- قال –رحمه الله– في حق علماء الســـوء (فهؤلاء موظفو دولة لا يمكن لعاقل أن يرجع إليهم في أمور دينه، فأقل ما يقال فيهم؛ كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله للذين يدافعون عن الحكام الطواغيت، قال: (أقل أحوالهم أنهم فسّاق)..

  فهؤلاء أقل أحوالهم أنهم فسّاق. فينبغي للناس أن يقاطعوهم، وأن يهجروهم.) "توجيهات منهجية"

- (ولو قعد الإنسان عن الجهاد واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان وكان الجهاد متعيناً، فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة أو بهذه الطاعة جزاه الله خيراً بل هو في ديننا فاسق من الفاسقين فارٌ فر عن نصـرة لا إله إلا الله ونصـرة دين محمد ﷺ فينبغي الانتباه الشـديد إلى هذه الأولوية، وهو كما لا يخفى، وللأسـف الشـديد غائبة غياباً عظيماً جداً من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء.) "توجيهات منهجية"

- (علموهم أن لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة.) "رسالة إلى مؤتمر علماء الديوبند في بيشاور"

- (كل من جاء بالحق يُعادى، فالذي لا يُعادى ممن ثبت أنهم يوالون الكفارَ ويحكمون بغير شريعة الله، فليعلم أنه ليس على الجادةِ وليس على المنهج، "ما جاء رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي".) "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠هـ"

- (فالواجب أن نبعد المنافقين والمخذلين عن ميادين القيادة والتوجيه، كما فعل الصحابة -رضي الله عنهم- بعد غزوة أحد، فلما قام ابن سلول ليخطب بالمسلمين كما كان يفعل من قبل، وكان سيداً في قومه يريد بذلك أن يحافظ على مكانته في توجيه الجماعة الأولى، أخذ الصحابة بثيابه من نواحيه وقالوا: "اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت".) "خطوات عملية لتحرير فلسطين"

- (إن الذي يبيع شبرًا يبيع دولة، والذي يرخص قطرة دم لا يبالي بأنهارٍ منها، ومن يَئدُ شعبًا يئدُ أمة، والذي يَصُمُّ أُذنيه اليوم يُغمض عينيه غدًا.) "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى"

- (فإلى متى يبقى الخوف والقتل والدمار والتشريد واليتم والترميل حكراً علينا ويبقى الأمن والاستقرار والسرور حكراً عليكم؟ هذه قسمة ضيزى.

لقد آن الأوان لنستوي في البضاعة، فكما تقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وأبشروا بما يسوؤوكم.

فها هي الأمة الإسلامية قد بدأت بفضل الله ترميكم بفلذات أكبادها الذين عاهدوا الله على أن يواصلوا الجهاد بالبيان والسنان، لإحقاق الحق وإبطال الباطل ما دام فيهم عين تطرف أو عرق ينبض.) "رسالة إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية"

- (وإنَّ كل أجهزة الأمن والاستخبارات في العالم لا يمكنها أن تُرغم مواطنًا على شراء بضائع أعدائه، فالمقاطعة الاقتصادية لبضائع العدو الأمريكي هي سلاح فعَّال للغاية لإضعاف العدو والإضرار به، ومع ذلك فهو سلاح لا يقع تحت طائلة أجهزة القمع.) "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"

- (إن الحرب إما لنا وإما لكم، فإن كانت الأولى فهي حسرتكم وخزيكم أبد الدهر وفي هذا الاتجاه بفضل الله تجري الريح، وإن كانت الأخرى فأقرأوا التاريخ فإننا قوم لا ننام على الضيم، ونطلب الثأر مدى العمر ولن تذهب الأيام والليالي حتى نثأر كيوم الحادي عشر من سبتمبر بإذن الله.) "السبيل لإنهاء الحرب"

- (إذا كانت حرية أقوالكم لا ضابط لها فلتتسع صدوركم لحرية أفعالنا.... ولتثكلنا أمهاتنا إن لم ننصر رسول الله ﷺ.) "فلتثكلنا أمهاتنا إن لم ننصر رسول الله ﷺ"

- (اتبعوا أمر الله تعالى وأمر رسولنا ﷺ بقتل هؤلاء واقتدوا بمحمد بن مسلمة وأصحابه –رضي الله عنهم– فبطن الأرض خير والله من ظهرها والزنادقة بيننا يستهزئون بديننا ونبينا ﷺ، فاتقوا الله في أنفسكم وأرضوا ربكم، ولا تشاوروا

أحداً في قتل هؤلاء الزنادقة، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.)
"قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون"

- (فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..

فتية عندهم عقيدة الولاء والبراء مقدمة على الملوك والأمراء..

فتية لا يتنظرون الكبار إن قعدوا ولا يستفتون السادة إن فسدوا..

فتية مصدرهم في التلقي ليس قوانين الأمم المتحدة وما يسمى بالشرعية الدولية أو طواغيت الغرب أو الشرق أو علماء وقادة جماعاتٍ يستظلون بظلهم.) "رسالة إلى الأمة الإسلامية"

- (فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.) "رسالة إلى الأمة الإسلامية"

- (فكيف تنتصر أمة قائد جيوشها عدوها؟) "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة"

- (ولن يرجع الأمر إلى نصابه بالانتخابات والمظاهرات والصياح، فاحذروا الانتخابات الشركية والعبث فلن يفل الحديد إلا الحديد.) "حي على الجهاد -كلمة إلى أهل باكستان-"

- (فالذين يريدون أن يقيموا للإسلام شأناً بدون تضحيات الهجرة، وبدون تضحيات الجهاد في سبيل الله، فهؤلاء لم يفقهوا منهج محمدٍ ﷺ وإن فقهوه ولم يعملوا به واشتغلوا بغيره من الطاعات فهؤلاء يتهربون من تبعات هذه العبادات الثقيلة، فإن الجهاد كُرهٌ كما نص على ذلك الله سبحانه وتعالى في كتابه.) "توجيهات منهجية"

- (هذا التدريب هو الجهاد من أجل لا إله إلا الله فإن إخوانكم في فلسطين ينتظرونكم على أحر من الجمر، وينتظرونكم في أن تثخنوا في أميركا وإسرائيل فأرض الله واسعة ومصالحهم منتشرة، فابذلوا أقصى ما تستطيعون لضربهم لتكون كلمة الله هي العليا.) "الذكرى السنوية الأولى لغزوة منهاتن"

- (ومعلوم أنه لا يجوز القتال لنصرة الرايات الجاهلية وكذلك يجب على المسلم أن تكون عقيدته ورايته واضحة في القتال في سبيل الله كما قال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».) "رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق"

- (وكذلك كان الحال يوم بيعة العقبة؛ فنصرة الدين ليست دروساً تعطى فقط، والدين لا يقوم على فتات أوقاتنا وأموالنا، وإنما سلعة الله غالية، فشتان شتان بين الجلوس وتقديم الدروس وبين تقديم النفوس والرؤوس لنصرة الله.) "النفير"

- (ومن توكّل على الله كفاه، والكيّس من لم تغرّه دنياه، ولا معنى للحياة إن لم تكن في طاعة الله، نسأل الله الثبات وحسن الختام.) "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله"

- (ولقد هاجر الأهل وتفرق الشمل وازداد الكفر ظهورا والنفاق غرورا، فاستأسدت الثعالب، واسترعيت الذئاب، ومن استرعى الذئب ظلم، ولم يبق للأحرار إلا السيف البتار، فإن انتصروا فسعداء، وإن قتلوا فشهداء.)

"إلى أهلنا بالعراق"

- (أمتي المسلمة، أما آن لكِ أن تخرجي من هذا التيه؟

لقد أثخنتك الجراح وأرهقتك الخطوب وأنتِ تتبعين كل جبار عنيد، أما آن لكِ أن تكفري بطواغيت العرب والعجم من إندونيسيا إلى موريتانيا؟ فإن سبيل العزة والكرامة والسؤدد والسعادة واسترجاع فلسطين واضح بيّن في دين الله تعالى، ولقد التزم ذلك السبيل الزعيم البطل صلاح الدين الأيوبي.)

"رسالة إلى الأمة الإسلامية"

بعد هذه المقدمة والتمهيد والتوطئة لهذا البحث والدراسة انتقل بكم إلى مباحث هذا الكتاب والدراسة والتي هي:

المرجعية للكتاب والسنة

إن أول معلم أسلط الضوء عليه من معالم وركائز وأصول دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- هو "الاعتصام" فالمرجعية عنده للكتاب والسنة.. وهذا الأصل من الأصول المتفق عليها بين علماء ومذاهب وجماعات المسلمين على مر العصور.. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [المائدة: ٩٢].

وقد كان هذا الأصل المتفق عليه من الأصول التي استمد وبنى عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- دعوته وجهاده فقد جاء في مقابلة تيسير علوني -رحمه الله-: (تيسير علوني: الآن شيخ أسامة، أجهزة الإعلام في كل مكان، وأجهزة الاستخبارات أيضا تتحدث عن أنكم تديرون شبكة واسعة جدا، واسعة النطاق تنتشر في أربعين أو خمسين دولة حسب بعض الأقوال، وأن إمكانات تنظيم القاعدة المالية إمكانات ضخمة جدا، وأنتم تستخدمون هذه الإمكانات في الكثير من ما نفذ من عمليات، وتدعمون حركات إسلامية، أو حركات تسمى في أماكن أخرى إرهابية. السؤال الموجه لكم، ما هو مدى ارتباط تنظيم القاعدة، وجود تنظيم القاعدة بشخص أسامة بن لادن؟

الشيخ أسامة بن لادن: الحمد لله، أقول بالنسبة لما ذكرتم، وأكرر ما ذكرته من قبل، أن الأمر لا يخص العبد الفقير ولا يخص تنظيم القاعدة، نحن أبناء أمة إسـلامية قائدها محمد ﷺ، ربنا واحد سبحانه وتعالى ونبينا واحد عليه الصلاة والسلام وقبلتنا واحدة ونحن أمة واحدة، ولنا كتاب واحد، هذا الكتاب الكريم والسنة المطهرة عن نبينا عليه الصلاة والسلام ألزمتنا شرعا بأخوة الإيمان، فكل المؤمنين إخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فليس المسألة كما يصورها الغرب أن هناك تنظيم خاص باسم كذا، هذا الاسم قديم جدا ونشأ بدون قصد منا، كان الأخ أبو عبيدة عليه رحمة الله البنشيري كوّن معسكر لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي، الغاشم، الملحد الإرهابي حقيقة للآمنين، فهذا المكان كنا نسميه القاعدة كقاعدة تدريب ثم نما هذا الاسم، أما نحن غير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة ونحن جزء لا يتجزأ منها، وما هذه المظاهرات العارمة من أقصى المشرق من الفلبين إلى ماليزيا إلى إندونيسيا إلى الهند وباكستان وموريتانيا، إلى أنه نحن نتحدث عن ضمير الأمة، هؤلاء الشباب الذين ضحوا بأنفسهم نرجو الله أن يتقبلهم في نيويورك وواشنطن، هؤلاء هم المتحدثون على الحقيقة لضمير الأمة، وهم ضميرها النابض الذي يرى أنه لابد من الانتقام من الظالم، من الباغي، من المجرم، من الإرهابي على الحقيقة الذي يرهب الآمنين، فليس كل إرهاب مذموم، فهناك إرهاب مذموم، وهناك إرهاب محمود. فإلى لو نأخذ بقولهم، فالمجرم اللص يشعر بالإرهاب من الشرطي (من البوليس)، فهل نقول لشرطي أنت إرهابي أرهبت اللص؟ لا، فهذا

إرهـاب البوليس للمجرمين إرهـاب محمود، وإرهـاب المجرم للآمنين إرهـاب مـذموم. فأمريكا تمارس الإرهاب المذموم، هي و"إســـرائيل"، ونحن نمارس الإرهاب المحمود الذي هو يردع هؤلاء عن قتل أطفالنا في فلسطين وغيرها.)

وقـال -رحمـه الله- في "لقـاء مع جمـال إسمـاعيـل لقنـاة الجزيرة": (وفي الختـام أوجـه نصـيحة إلى جميع المسـلمين بأن يتدبروا كتاب الله -سـبحانه وتعالى- فهو المخرج، وهو الذي انتشـلنا من الجاهلية المنتنة في تلك العصـور المظلمة، فدواؤنا في الكتاب والسنة، عندما يقرأ الإنسان القرآن يتعجّب لقعود كثيرٍ من الناس، هل هم لا يقرأون القرآن أم أنهم يقرأون ولا يتدبّرون! يقول الله -ســـبحانه وتعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾؛ منهم: أي منهم في الكفر فيصـــبح كافرًا، ثم في الآية التي تليها يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠هـ": (فالســـبيل هو الجهادُ والهجرةُ في ســـبيل الله، فلا يســـتقيم أمر الدين إلا بالكتاب والســـنة، وقد بلَّغ ﷺ وجاهد في الله حق الجهاد وأدى الرسالة وبلَّغ الأمانة عليه الصلاة والسلام فجزاه الله خير ما جزى نبيًّا عن أمته.

واليوم لا بد من ورثة النبوةِ أن يحملوا هذا الحق، يقتدوا بهديه عليه الصلاة والسلام، ولا يستقيم أمر الدين وعلماء الأمة تحت قبضة الملحدين والفاجرين والظالمين والزنادقة والملحدين، لا يستطيعون أن يقولوا كلمة الحق.

هذا محمدٌ ﷺ مكث ثلاثة عشر سنة وهو المؤيد بالوحي، وخير من نطق بالضاد، يُحرِّض الناس فآمن معه بضع مئات، فلما هاجر في الله ومن أجل الله دخل الناس في دين الله أفواجًا، وقامت دولةُ الإسلام.

واليوم نحن نؤرخ بهجرته لِمَا كان لها من الأثر العظيم على انتشار هذا الدين، فاليوم نحن في أول أيام العيد من العام ألف وأربعمائة وعشرين للهجرة وقد مرَّ على غزو الصليبيين عشر سنواتٍ كاملة -ولا حول ولا قوة إلا بالله- لبلاد الحرمين.

إذًا بعد أن علمنا الداء، هذا هو الدواء والشفاء في كتاب الله: الهجرةُ والجهاد. أعظم الصفات في كتاب الله: إيمانٌ وهجرةٌ وجهاد. الله سبحانه وتعالى عندما يمدح خير الناس الصحابة -رضي الله عنهم- يمدحهم بهذه الصفات الثلاث. تدبروا كتاب الله، تدبروا كتاب الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه في آخر سورة الأنفال مادحًا خير البريةِ الصحابة الكرام بعد نبينا عليه الصلاة والسلام بهذه الصفات ويشهد لهم بصفةٍ عزيزةٍ نادرة، حتى في كتاب الله وحتى على الصحابةِ الكرامِ، قال سبحانه: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾**.

يشهدُ لهم بالإيمان الحق، هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، فلا يستقيم أمر الدين إذا لم يهاجر ورثةُ محمد ﷺ، يصــــدعون بالحقِ كما خرجَ الصــــحابةُ الكرام وخرجَ رسولنا عليه الصلاة والسلام، وهذه سُنَّة الله في دينه.)

وقال -رحمه الله- في "رســـالة إلى أهلنا في العراق": (فكل أمر وكل نزاع يرد إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾.

فرد التنازع إلى الله وإلى الرســـول ﷺ هو علامة الإيمان، ورفض ذلك علامة الكفر، فيجب التحاكم إلى شرع الله، وعندها يتم تمحيص الدعاوى وتقديم البينة.

وقد قال الرسـول ﷺ: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر»، وقال أيضــا: «إذا تقاضــى إليك رجلان فلا تقضـــي للأول حتى تســـمع كلام الآخر، فســـوف تدري كيف تقضي».)

الاقتداء بسيرة نبي الله محمد
-صلى الله عليه وسلم-

إن سبيل الاعتصام يكون بالاقتداء بسيرة النبي ﷺ واتباع هديه في هذه الحياة ولا سبيل غيره.. فهو من أهم ركائز الأمة والمسلمة والجماعة المسلمة والشخصية المسلمة في الأمور كلها.. فقد أرسله الله رحمة للعالمين ختم به الرسالات وأنزل عليه الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان..

وأحرى الناس بالاقتداء بهديه هم العلماء والدعاة والمجاهدون فإنهم من أعلم الناس بسيرته وسنته ﷺ، وهم الذين يقومون بتبليغ دعوته ونصرة دينه وشريعته فحري بهم التمسك بهديه ولزوم سنته.. فهذا سبيل النصر والفلاح في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: ٥٤].

وقال رسول الله ﷺ: «فمَن رغب عن سنَّتي فليس منِّي». متفق عليه.

وقال رسول الله ﷺ: «قال قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك». رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

وقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به». رواه ابن أبي عاصم في "السنة" وقال الإمام النووي -رحمه الله-: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب "الحجة" بإسناد صحيح.

وقد أجمع علماء الأمة على وجوب اتباع رسول الله ﷺ، قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في "مجموع الفتاوى": (وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاما يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته؛ دقيق ولا جليل؛ فإنهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه. وجميع الأعذار ثلاثة أصناف: أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله. والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول. والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.)

فاتباع ما جاء به الرسول الله ﷺ هو أصل الدين ولبه فمن لم يتمسك به فقد خالف الله في أمره وحكم على نفسه بالضلال والشقاء قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولما كان الاقتداء بهدي الحبيب المصطفى ﷺ بهذه المكانة رأيناه معلماً بارزا وركناً متيناً في دعوة الإمام المجدد -رحمه الله- حاله بذلك حال الربانيين من العلماء والدعاء والمصلحين والمجاهدين.. فقد قال الشيخ عطية الله الليبي في وصف الإمام

المجدد أسـامة بن لادن -رحمهما الله- كما في "مجموع الأعمال الكاملة": (إنه قدوةٌ من القدوات لما اقتدى بالنبي ﷺ وأصـحابه -رضـي الله عنهم-؛ فقد كان شـديد التعظيم للسنة والمحافظة عليها، ولسِيَرِ الصحابة، شديد العناية بالتنقيب عنها والتأمل فيها والتمثّل بها، وله ولوعٌ بسيرة سيدنا عمر بن الخطابِ -رضي الله عنه-.)

وقال الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- في "توجيهات منهجية" مبيناً حجته ودليله في بعض ما ذهب إليه: (فعند الحديث عن الأحوال التي تمر بها الأمة في هذه الأيام وما أصـابها من احتلال وظلم وعدوان من القوى الإسـرائيلية والقوى الأمريكية وانحسـار ظل الإسـلام عن هذه الأرض ينبغي تلمس هدي محمد ﷺ في إقامة هذا الدين يوم أن بدا غريباً في أول الإسلام.

فإن الناظر في ذلك يرى أن الرسول ﷺ حرص منذ البداية عندما صدع بالدعوة أن يعرض دعوته على القبائل، وإذا نظرنا في أهم العناصـر التي كان يدعو القبائل إليها نجدها واضـحة جداً، أنه كان يدعوهم إلى شـهادة التوحيد إلى شـهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

والبند الآخر كان يدعوهم إلى الإيواء والنصـرة كما ظهر ذلك جلياً في دعوته لبني عامر بن صـعصـعة لما قالوا له إلى أي شـيء تدعوا يا أخا العرب قال أدعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تأووني وتنصروني.

فهنا يظهر لنا معلماً واضحاً أن هذه الدعوة وهذه الكلمة العظيمة لابد لها من أرض -هذه الشجرة الكريمة- لا بد لها من أرض تنبت فيها وهي التي تقوم بنصرتها وإيوائها.

فمن هنا استمر عليه الصلاة والسلام يبحث عن هذه الأرض وأثناء ذلك يقوم بالدعوة في مكة فمكث ثلاثة عشر سنة، وكل ما عندنا من علم هو جزء يسير من علمه عليه الصلاة والسلام، وهو أفصح العرب الذي أوتي جوامع الكلم وهو المؤيد بالوحي من فوق سبع سماوات ومع ذلك كله لم يؤمن له سوى بضعة عشرات من الصحابة الكرام رضي الله عنهم... فهنا يظهر بوضوح أيضاً أن هذه الكلمة رغم قوتها لابد لها من عناصر أخرى لكي تظلل الأرض فمكث الحال على ذلك إلى أن يسر الله سبحانه وتعالى أرض المدينة المنورة ويسر الأنصار الأوس والخزرج فلما احتضنوا الدعوة انتشر الإسلام وفي خلال بضع سنوات إذا بمئات الألوف قد دخلوا في الإسلام في جزيرة العرب ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

فهنا معلم كما ذكرت أن الدعوة من غير قوة تبقى منحسرة، ولا بد لها من البحث عن القوة والأرض والنصرة.

وهذا المعنى يظهر في هذه الأيام بوضوح منذ أن انحسرت الدول الإسلامية، وانحسرت دولة الخلافة وقامت أنظمة تحكم بغير ما أنزل الله وهي في الحقيقة تحارب شرع الله رغم كثرة الجامعات وكثرة المدارس وكثرة الكتب والخطباء والأئمة والمساجد وحفظة القرآن ولكن الإسلام في انحسار وللأسف الشديد. لأن الناس لم يسيروا حسب منهج محمد ﷺ.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وإني عندما أصف الجماعات الإسلامية بواقعها الحقيقي فإن ذلك من باب التناصح والنصح للأمة، وحرصاً منّي على تحذيرها من انحراف مسارها، فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول

والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.)

وقال -رحمه الله- في "محاضرة جماعة المسلمين": (فحديثنا عن فرض الساعة وعن واجب العصر، حديثنا عن إقامة الدين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فالله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ ليدعوا الناس إلى هذه الكلمة العظيمة إلى كلمة التوحيد، إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، هذه الكلمة هي الركن العظيم الركن الأول في هذا الدين، بها بعث محمد ﷺ، وبها بعث جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، هذه الكلمة إذا غابت عن الأرض ساد الكفر والظلام على أرجاء هذه الأرض، بعث محمد ﷺ بهذه الكلمة فكان يقول لأهله وعشيرته ولقريش قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، بهذا الركن مكث دهراً عليه الصلاة والسلام يدعوا قريش إلى هذا الركن، ولكن هذا الركن الركين لا يقوم بحال إلا على قواعد عظام، الذين يغارون على دين الله ويريدون أن يهيمن الدين على الناس ويحكم في دمائنا وأعراضنا وأموالنا وفي جميع مناحي حياتنا، لا سبيل إلى ذلك إلا بالنهج الذي نهجه محمد ﷺ...)

اتباع هدي السلف الصالح
-رضوان الله عليهم-

ويتفرع عن أصل الاعتصام ووجوب الاقتداء بهدي النبي ﷺ أصل آخر متصل به هو اتباع هدي السلف في الاستنباط والنهج فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في شرح هذا الحديث "في منهاج السنة" : (فإذا كان وصف الفرقة الناجية اتباع الصحابة على عهد رسول الله ﷺ وذلك شعار السنة والجماعة - كانت الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة، فالسنة ما كان ﷺ هو وأصحابه عليه في عهده، مما أمرهم به أو أقرهم عليه أو فعله هو والجماعة هم المجتمعون الذين ما فرقوا دينهم وكانوا شيعا، فالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا خارجون عن الجماعة قد برأ الله نبيه منهم، فعلم بذلك أن هذا وصف أهل السنة والجماعة، لا وصف الرافضة، وأن هذا الحديث وصف الفرقة الناجية باتباع سنته التي كان عليها هو وأصحابه وبلزوم جماعة المسلمين.

فإن قيل: فقد قال في الحديث: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، فمن خرج عن تلك الطريقة بعده لم يكن على طريقة الفرقة الناجية، وقد ارتد ناس بعده فليسوا من الفرقة الناجية.

قلنا: نعم، وأشهر الناس بالردة خصوم أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأتباعه؛ كمسيلمة الكذاب وأتباعه وغيرهم. وهؤلاء تتولاهم الرافضة كما ذكر ذلك غير واحد من شيوخهم.)

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في "إغاثة اللهفان": (وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب الحوادث والبدع: "حيث جاء به الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا" لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.)

وقد تمسك الإمام المجدد أسامة بن لادن بهذا الأصل العظيم في دعوته وتوجيهاته واعتمد عليه في بيان ما يذهب إليه ويتبناه من مسائل وأحكام في أبواب الشريعة وفيما يأتي بعض الأمثلة دالة على ذلك:

قال الإمام المجدد -رحمه الله- في "حال الجهاد": (فهذه هي الخلافة الراشدة التي ينبغي أن نتبعها لأمر رسول الله ﷺ.

اثنا عشر سنة، لم يكن لعمر هم أكبر من أن يخرج خارج المدينة يتلقى الركبان يسألهم عن أخبار الجهاد وعن أخبار الجيوش الإسلامية في بلاد الشام وفارس.

هذا سلفنا الصالح إن كنتم صادقين في الاتباع والاقتداء، من أول يوم أنزل فيه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ**﴾، إلى أن التحق جميع الخلفاء الراشدين بالله سبحانه وتعالى والأمة في جهاد متواصل.

فعوا جيداً كيف كانت سيرة السلف الصالح رضي الله عنهم.

وبعد ذلك في خلافة أبي بكر وفي خلافة عمر أرسل إلى الناس أبو بكر -رضي الله عنه- إلى أهل اليمن يستنصرهم للجهاد، ومما جاء في خطابه بعد أن حرضهم على الجهاد: "واعلموا أن الله لم يرض لكم القول بغير عمل".

وأما عمر لما بلغه -رضي الله عنه- أن الفرس قد اجتمعوا على يزدجرد واتحدت كلمتهم، قال: "والله لأضربن ملوك الفرس بملوك العرب -فانتبهوا إلى فعله- فأرسل إلى جميع عماله في الجزيرة، خاطبهم ألا تدعوا أحداً في ربيعة ومضر، ولا من حلفائهم ممن كان ذا رأي أو فارساً أو شاعراً أو خطيباً أو ذا نجدة أو ذا شرف وبسطة إلا أرسلتموه طوعاً أو كرهاً".

فقتال الروم والفرس ليس بالهزل، هكذا تعلمنا من خلفائنا الراشدين -رضي الله عنهم- وإنما أريد أن أُؤكد لكم أن هذه الأمة أمة جهاد، وأن الجهاد جزء أصيل من هذا الدين ملازم لحياة هذه الأمة في جميع أطوار حياتها، ولا أدل مما ذكرت لكم، وهو غيض من فيض وقليل من كثير فارجعوا عباد الله إلى دين الله واتبعوا سنة رسول الله ﷺ.)

وقال -رحمه الله- في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين - أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (في ظلال هذا الواقع الذي نعيشه، وفي ظل الصحوة المباركة العظيمة التي شملت بقاع العالم، والعالم الإسلامي خاصَّة، ألتقي اليوم معكم بعد طول غياب فرضته الحملة الصليبية الظالمة التي تتزعَّمها أمريكا على علماء الإسلام ودعاته خشية أن يحرِّضوا الأمَّة الإسلامية ضد أعدائها تأسِّيًا بعلماء السلف -رحمهم الله- كابن تيمية والعز بن عبد السلام، وهكذا قام هذا التحالف الصليبي اليهودي بقتل واعتقال رموز العلماء الصادقين والدعاة العاملين -ولا نزكِّي على الله أحدًا-.)

وقال -رحمه الله- في "شرح حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه-": (هذا هو منهج الصحابة الكرام، منهج سلفنا رضي الله عنهم قال: "فيا ليتني فعلت"، فالفرصة عندك الآن قبل أن يأتي يوم تقول: يا ليتني فعلت.

يُروى أنَّ بعض العلماء الصالحين حضرته الوفاة وهو على فراش الموت، ذرفت عيناه وهو من أفاضل الناس تقًى وتعليمًا، فقيل له: ما يبكيك؟ وهو ينظر إلى قدميه، قال: أبكي لأنِّي لم أغبِّر قدميَّ في سبيل الله.

وتعلمون الحديث الصحيح عن نبيِّنا عليه الصلاة والسلام: "ما اغبرت قَدَمَا عبد في سبيل الله فتمسَّهما النار" الله أكبر! عبادةٌ مجرد غبارها يقيك من النار، فكيف بمن خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء؟ هو أفضل الأعمال، هذا العمل كما في صحيح البخاري عند السؤال عن تفاضل الأعمال وأفضلها فقال عليه الصلاة والسلام: "ورجل خرج يخاطر بنفسه وماله في سبيل الله"، وكثير من إخواننا يخوِّفوننا

الخطر! الخطر الحقيقي في القبر، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله روضة من رياض الجنة، الخطر الحقيقي يوم الحساب، يوم القيامة، يوم التغابن، تأتي وقد غُبِنت، ذهب عمرك في (خذ وهات) وفي (قال وقيل)، في أمور، وأنت قاعدٌ عن نصرة لا إله إلا الله، قال تعالى محذِّرًا للمؤمنين من أن يقتربوا من صفات المنافقين -لأنَّ من أبرز صفات المنافقين القعود عن نصرة الله-: ﴿**وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ**﴾، عافنا الله وإيَّاكم من أن نقعد عن نصرة الله ونصرة رسوله ﷺ.

انظروا إلى أولئك السلف، بيَّن في حديثه رضي الله عنه قال: (فلمَّا تفارط الغزو كنت أخرج في المدينة وكان ممَّا أحزنني أنَّني لا أرى في طرقات المدينة إلا رجلاً مغموصًا عليه بالنفاق أو رجلاً من أهل الأعذار، هؤلاء هم سلفنا رضي الله عنهم.)

عندما جاء الخبر أنَّ الروم "يفكِّرون" في أن ينالوا من أهل الإسلام، لم يدخلوا أرض الإسلام، مجرَّد جاء الخبر أنَّهم يفكِّرون أن يحتشدوا، خرج قائدنا وأسوتنا محمَّد ﷺ ودعا في الناس: يا خيل الله اركبي، فما قعد إلا منافق أو رجل من أهل الأعذار.

فانظر يا عبد الله إذا أردت النجاة فاقتدِ بأولئك الكرام رضي الله عنهم، بمحمَّد عليه الصلاة والسلام والذين معه ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾، فالاتباع اتباع كامل في ما أحببت وفي ما كرهت، كما في حديث عبادة رضي الله عنه: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره"، الناس تكره القتال لا بدَّ عليك من أن تؤدِّي الأمانة التي اؤتمنت عليها.

فهذا هو الحال أنَّه كان لا يرى رجلاً إلا من أهل النفاق أو رجلاً من أهل الأعذار.)

وقال رحمه الله في "شــرح حديث كعب بن مالك -رضــي الله عنه-": (وبرغم هذه المصائب العظام والفواجع الجسام ما زال الناس في تيهٍ عظيم لم يحرِّكوا ساكنًا لنصرة لا إله إلا الله، فإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وكثر المتأوِّلون الذين ســوَّغوا القعود بحجج كثيرة، إلا أنَّ المؤدَّى أنَّ أهل الإســلام يهانون، وأنَّ شرع الرحمن قد أُبعِد عن أن يحكم العباد كشرع ربِّنا سبحانه وتعالى.

أُبعِد عن الناس، والناس -كما قلت- تائهون بعيدون عن منهج محمد ﷺ في الحل لرفع الذلِّ والهوان، ومن الســبل العظيمة لتبيُّن الصــواب أن نتذاكر كيف كان عهد أولئك السلف رضي الله عنهم، كيف كانت حياة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، يتَّضــح لنا بجلاء الحقُّ من الباطل، يتَّضــح الحقُّ بصــورة واضــحة بإذن الله سـبحانه وتعالى.

وتدبَّرتُ في ســيرتهم رضــي الله عنهم فمن أوضــح ما رأيت في هذا الميدان حديث كعب بن مالك رضي الله عنه كما في الصحيحين وغيرهما.)

ويلخص لنا ما سبق الشيخ خبيب السوداني -حفظه الله- في "شـذرات من تاريخ القاعدة" بقوله: (كان بعض الإخوة قد اقترحوا على الشيخ أسامة بأن يكون هناك منهج واضح بين مكتوب تسير على نهجه الجماعة ويميزها عن باقي الجماعات.

وكان الشـــيخ أســـامة رحمه الله يرد على هؤلاء الإخوة بكل بســـاطة قائلا لهم:

(إن منهجنا هو ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعده ومن تبعهم بإحسان من سلف الإمة.) اهـ

نصرة دين الله بما شرع
لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع

هنا اتحدث عن ركيزة وصورة تنبثق عن المباحث السابقة وتلخصها لنا وهذه الصورة والركيزة هي حسن الاتباع للهدى الرباني والبعد عن المحدثات والبدع.. وفي تقرير هذه المسألة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله في "مجموع الفتاوى": (وَذَلِكَ أَنَّ الدِّينَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ: أَنْ لَا يُعْبَدَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا يُعْبَدَ إلَّا بِمَا شَرَعَ لَا نَعْبُدُهُ بِالْبِدَعِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾. وَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِك خَالِصًا وَلَا تَجْعَلْ فِيهِ لِأَحَدِ شَيْئًا.) وَقَالَ الْفُضَيْل بْنُ عِيَاضٍ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾، قَالَ: (أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ. قِيلَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إنَّ الْعَمَلَ إذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا. وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾. وَالْمَقْصُودُ بِجَمِيعِ الْعِبَادَاتِ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.)

وقد ساهم الإمام المجدد -رحمه الله- في تقرير هذا الأصل والركيزة في دعوته وتوجيهاته فقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وإني عندما أصف الجماعات الإسلامية بواقعها الحقيقي فإن ذلك من باب التناصح والنصح للأمة،

وحرصاً مني على تحذيرها من انحراف مسارها، فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.

وإن المداهنة في الباطل فضلاً عن كونها معصية فهي تعين الآخرين على السير في طريق الضلال، ولا توصلهم لنصرة الدين كما يدعون ويتوهمون؛ فنصرة دين الله بما شرع لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع، فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..

فتية عندهم عقيدة الولاء والبراء مقدمة على الملوك والأمراء..

فتية لا يتنظرون الكبار إن قعدوا ولا يستفتون السادة إن فسدوا..

فتية مصدرهم في التلقي ليس قوانين الأمم المتحدة وما يسمى بالشرعية الدولية أو طواغيت الغرب أو الشرق أو علماء وقادة جماعاتٍ يستظلون بظلهم.

وليس مصدرهم في التلقي تحاليل سياسية من إعلام مغرض لا يلتزم بشرع الله، يستهزئ بشعائر الدين تحت اسم الفكاهة، وينشر الزندقة تحت مسمى حرية التعبير، ويسعى لتشويه المجاهدين وتخذيلهم.

وإنما مصدر هؤلاء الفتية في التلقي كتاب الله تعالى وسنة نبينا ﷺ، فإذا ناداهم الشجر أو الحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، انطلقوا

كالشهاب يضربون الرقاب، ولئن يخروا من السماء على الأرض أهون عليهم من أن يشـــترطوا إذناً من طاغوتٍ أو ممن يعترف به لكي يقوموا بتنفيذ أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.)

مسألة الحاكمية والموقف من طواغيت العرب والعجم المبدلين لشرع الله

إن مسألة الحاكمية والدينونة لله وحده والتحاكم لشرعه والكفر بكل قانون لا يكون مصدره الوحيد شريعة رب العالمين من أصول عقائد أهل السنة والجماعة..

فإن هذا الأصل من الركائز الأساسية التي قام عليها الدين من أول أيامه فإن "المعركة الأولى التي خاضها الإسلام ليقرر ويمكن وجوده هي معركة "الحاكمية" وتقرير لمن تكون.. لذلك خاضها وهو في مكة. خاضها وهو ينشئ العقيدة، ولا يتعرض للنظام والشريعة. خاضها ليثبت ويرسخ في الضمير أن الحاكمية لله وحده لا يدعيها لنفسه مسلم ولا يقر مدعيها على دعواه مسلم.. فلما أن رسخت هذه العقيدة في نفوس العصبة المسلمة في مكة، يسر الله لهم مزاولتها الواقعية في المدينة.. فوجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله. فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين.. وإن مشكلة هذا الدين في الأرض اليوم، لهي قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله، وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد."[٩]

قال الشيخ محمد قطب -رحمه الله- في "مفاهيم ينبغي أن تصحح": (من الخطأ البالغ أن نظن أن قضية الحاكمية، أي تقرير كون الحاكمية لله وحده، وأن حق التشريع من تحليل وتحريم وإباحة ومنع هو حق خالص لله لا يشاركه فيه البشر، وأن

٩ . في ظلال القرآن بتصرف يسير ١٢١٧/٣

التشريع بغير ما أنزل الله -معه أو من دونه- شرك، وأن إطاعة الذين يشرعون بغير ما أنزل الله شرك..

من الخطأ الظن بأن هذه القضية -بتفصيلاتها تلك- قد تقررت في المدينة حين بدأت التشريعات تتنزل ليقيم المسلمون حياتهم عليها. بل لقد تقررت تقريرا واضحا حاسما في مكة، في أكثر من سورة مكية، كأصل من أصول الاعتقاد بلا إله إلا الله، لا بوصفها التزاما سلوكيا فحسب.)

وهذا ما بينه رائد دعوة الحاكمية في هذا الزمان الأستاذ الكبير سيد قطب -رحمه الله- في "في ظلال القرآن" فقال: (إن هذا الدين شريعته كعقيدته في تقرير صفة الشرك أو صفة الإسلام. بل إن شريعته من عقيدته في هذه الدلالة.. بل إن شريعته هي عقيدته.. إذ هي الترجمة الواقعية لها.. كما تتجلى هذه الحقيقة الأساسية من خلال النصوص القرآنية، وعرضها في المنهج القرآني..

وهذه هي الحقيقة التي زُحزح مفهوم "الدين" في نفوس أهل هذا الدين عنها زحزحة مطردة خلال قرون طويلة، بشتى الأساليب الجهنمية الخبيثة.. حتى انتهى الأمر بأكثر المتحمسين لهذا الدين -ودعك من أعدائه والمستهترين الذين لا يحفلونه- أن تصبح قضية الحاكمية في نفوسهم قضية منفصلة عن قضية العقيدة! لا تجيش لها نفوسهم كما تجيش للعقيدة! ولا يعدون المروق منها مروقاً من الدين، كالذي يمرق من عقيدة أو عبادة! وهذا الدين لا يعرف الفصل بين العقيدة والعبادة والشريعة. إنما هي الزحزحة التي زاولتها أجهزة مدربة، قروناً طويلة، حتى انتهت مسألة الحاكمية إلى هذه الصورة الباهتة حتى في حس أشد المتحمسين لهذا الدين! وهي هي القضية

التي تحتشد لها سورة مكية -موضوعها ليس هو النظام وليس هو الشريعة، إنما موضوعها هو العقيدة- وتحشد لها كل هذه المؤثرات، وكل هذه التقريرات بينما هي تتصدى لجزئية تطبيقية من تقاليد الحياة الاجتماعية. ذلك أنها تتعلق بالأصل الكبير.. أصل الحاكمية.. وذلك أن هذا الأصل الكبير يتعلق بقاعدة هذا الدين وبوجوده الحقيقي..

إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك، ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك. ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك.. إن هؤلاء لا يقرأون القرآن. ولا يعرفون طبيعة هذا الدين.. فليقرأوا القرآن كما أنزله الله وليأخذوا قول الله بجد: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾..

وإن بعض هؤلاء المتحمسين لهذا الدين ليشغلون بالهم وبال الناس ببيان إن كان هذا القانون، أو هذا الإجراء، أو هذا القول، منطبقاً على شريعة الله أو غير منطبق.. وتأخذهم الغيرة على بعض المخالفات هنا وهناك.. كأن الإسلام كله قائم، فلا ينقص وجوده وقيامه وكماله إلا أن تمتنع هذه المخالفات! هؤلاء المتحمسون الغيورون على هذا الدين، يؤذون هذا الدين من حيث لا يشعرون. بل يطعنونه الطعنة النجلاء بمثل هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة.. إنهم يفرغون الطاقة العقيدية الباقية في نفوس الناس في هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة.. إنهم يؤدون شهادة ضمنية لهذه الأوضاع الجاهلية. شهادة بأن هذا الدين قائم فيها، لا ينقصه ليكمل إلا أن تصحح هذه المخالفات. بينما الدين كله متوقف عن "الوجود" أصلا، ما دام لا يتمثل في نظام وأوضاع، الحاكمية فيها لله وحده من دون العباد.

إن وجود هذا الدين هو وجود حاكمية الله. فإذا انتفى هذا الأصل انتفى وجود هذا الدين.. وإن مشـــكلة هذا الدين في الأرض اليوم، لهي قيام الطواغيت التي تعتدي على ألوهية الله، وتغتصب سلطانه، وتجعل لأنفسها حق التشريع بالإباحة والمنع في الأنفس والأموال والأولاد.. وهي هي المشـكلة التي كان يواجهها القرآن الكريم بهذا الحشد من المؤثرات والمقررات والبيانات، ويربطها بقضية الألوهية والعبودية، ويجعلها مناط الإيمان أو الكفر، وميزان الجاهلية أو الإسلام.

إن المعركة الحقيقية التي خاضـــها الإســـلام ليقرر "وجوده" لم تكن هي المعركة مع الإلحاد، حتى يكون مجرد "التدين" هو ما يســـعى إليه المتحمســـون لهذا الدين! ولم تكن هي المعركة مع الفساد الاجتماعي أو الفساد الأخلاقي، فهذه معارك تالية لمعركة "وجود" هذا الدين! لقد كانت المعركة الأولى التي خاضـــها الإســـلام ليقرر "وجوده" هي معركة "الحاكمية" وتقرير لمن تكون.. لذلك خاضـــها وهو في مكة. خاضها وهو ينشئ العقيدة، ولا يتعرض للنظام والشريعة. خاضها ليثبت في الضمير أن الحاكمية لله وحده لا يدعيها لنفسه مسلم ولا يقر مدعيها على دعواه مسلم.. فلما أن رســـخت هذه العقيدة في نفوس العصبة المسـلمة في مكة، يســـر الله لهم مزاولتها الواقعية في المدينة.. فلينظر المتحمســـون لهذا الدين ما هم فيه وما يجب أن يكون. بعد أن يدركوا المفهوم الحقيقي لهذا الدين! وحســـبنا هذا القدر لنواجه النصوص بالتفصيل.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهذا لِشُرَكائِنا فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَما كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾

وقد كانت قضية الحاكمية والدينونة لله وحده والكفر بكل قانون لا تكون شريعة رب العالمين المصدر الوحيد والكفر بالحكام المبدلين لشرع الله المحكمين للقانون الوضعي الوضيع اللعين[١٠] من أهم الركائز والأصول التي بنى عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن عليها دعوته وجهاده فهي ركن ركين لا يتصور قيام دعوة راشدة على نهج السلف بدونه..

وقد أعطى الإمام المجدد هذا الأصل حظاً كبيراً من كلماته وتوجيهاته نذكر منها على سبيل التمثيل:

قال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "النفير": (فأما الحكام فقد اتفق الناس على عجزهم وخيانتهم.

وأما الذين يطالبون الناس بأن يضعوا أيديهم بأيدي هؤلاء الحكام برغم كل ذلك، نقول لهم؛ متى نزعت الشعوب أيديها من أيدي الحكام حتى يُنصحوا بأن يعيدوا

---

١٠ . كما قال الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- في "رسالة تحكيم القوانين": (إن من الكفر الأكبر المستبين، تنْزيل القانون اللعين منْزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الحكم بين العالمين؛ والرد إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل: **﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** [سورة النساء آية: ٥٩].)

أيديهم مرة أخرى؟! فهذا لم يحدث، والنتيجة كما ترون، هيمنة الكفار علينا، وقد قيل:

ومن خانه التدبير والأمر طائع فلن يحسن التدبير والأمر جامح

فخلافنا مع الحكام ليس خلافاً فرعياً يمكن حله، وإنما نتحدث عن رأس الإســـلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار وبتشـــريعهم للقوانين الوضـــعية، وإقرارهم واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة، فولايتهم قد سقطت شرعاً منذ زمن بعيد، فلا سبيل للبقاء تحتها، والمقام لا يتسع لوصف هذا الأمر هنا، ولكن قد ذكرنا أقوالاً لأهل العلم رحمهم الله في البيان السابع عشر الصادر عن هيئة النصيحة والإصلاح.

وبعد ذلك نقول؛ هل يمكن لمســـلم أن يقول للمســـلمين؛ ضـــعوا أيديكم في يد "كرزاي" للتعاون لإقامة الإســـلام ورفع الظلم وعدم تمكين أميركا من مخططاتها؟! فهذا لا يمكن ولا يعقل، لأن كرزاي عميل جاءت به أمريكا، ومناصـــرته على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام العشرة، مخرج من الملة.

وهنا لنا أن نتســـاءل؛ ما الفرق بين كرزاي العجم وكرزاي العرب؟ من الذي ثبت ونصـــب حكام دول الخليج؟ إنهم الصـــليبيون، فالذين نصـــبوا كرزاي كابول وثبّتوا كرزاي باكســـتان، هم الذين نصـــبوا كرزاي الكويت وكرزاي والبحرين وكرزاي قطر وغيرها.

ومن الذين نصبوا كرزاي الرياض وجاءوا به بعد أن كان لاجئاً في الكويت قبل قرن من الزمان ليقاتل معهم ضد الدولة العثمانية وواليها ابن الرشيد؟ أنهم الصليبيون ومازالوا يرعون هذه الأسر إلى اليوم، فلا فرق بين كرزاي الرياض وكرزاي كابول، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾، قال تعالى: ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾.

إن الحكام الذين يريدون حل قضايانا ومن أهمها القضية الفلسطينية عبر الأمم المتحدة أو عبر أوامر الولايات المتحدة، كما حصل بمبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز في بيروت ووافق عليها جميع العرب، والتي باع فيها دماء الشهداء وباع فيها أرض فلسطين، إرضاء ومناصرة لليهود وأميركا على المسلمين، هؤلاء الحكام قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة.

كما أقول أيضاً: إن الذين يريدون أن يحلوا قضايانا عبر هؤلاء الحكام العجزة الخونة قد خدعتهم أنفسهم وخادعوا أمتهم، وركنوا إلى الذين ظلموا وضلوا ضلالاً مبيناً، وأحسن أحوالهم أنهم عاجزون فاسقون، فينبغي على المسلمين أن ينصحوهم، فإن لم ينتصحوا فليحذروهم وليحذروا منهم.

ويجب على المسلمين كذلك أن يتبرؤوا من هؤلاء الحكام الطواغيت، ولا يخفى أن التبرؤ من الطاغوت ليس من نوافل الأعمال، وإنما هو أحد ركني التوحيد فلا يقوم الإيمان بغيرهما، قال تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.)

وقال –رحمه الله– في "رسالة مفتوحة إلى الملك فهد بمناسبة التعديل الوزاري الأخير":

(إلى ملك نجد والحجاز فهد بن عبد العزيز:

السلام على من اتبَّع الهدى، وبعد...

فهذه رسالة مفتوحة نبعث بها إليك بعيداً عن ألقاب المجاملات الملكية وألقاب التفخيم، وهي مصارحة لك ببعض ما يمكن التصريح به مما ارتكبته أنت ومن حولك من أمور عظام في حق الله ودينه، وحق عباده وبلاده، وحق حرمه وأُمَّته، فإن وضوح ما سنكتبه لك من حق، وجلاء ما في هذه الرسالة من الصواب، يدفعنا إلى الأمل بأن تخترق ما أحطت به نفسك من حجب عن سماع الحق، وجدر دون وصوله إليك.

أيُّها الملك:

مناسبة هذه الرسالة هي ما تقوم به أنت والأمراء المتنفذون من خداع للناس ومحاولة لِلّعب على عقولهم وامتصاص لغضبهم عليكم ونقمتهم على حكمكم بما تقومون به من "إصلاحات" هامشية خادعة تدخل في باب المسكِّنات والمهدئات الآنية لنقمتهم، ومن ذلك ما قمتم به من تأسيس مجلس الشورى الذي انتظرته الأُمَّة طويلاً، وخيّب آمالها بعد أن وُلد ميتاً، وما قمتم به أخيراً من تعديلٍ وزاريٍّ هامشي لم يمس رأس الداء وأساس البلاء الذي هو أنت ووزير دفاعك ووزير داخليتك وأمير الرياض ومن على شاكلتكم!!

ومناسبة هذه الرسالة المهمّة لن تدفعنا إلى تخطى جوهر الخلاف معك، وأساس الصراع مع حكمك، وهذا الجوهر والأساس ليس هو ما يتبادر إلى ذهنك مما عملت

على إشـــاعته في عهدك، ومكّنت له من بعدك من ظلم للعباد وهضـــم لحقوقهم، وخاصـــة العلماء منهم والدعاة والمصـــلحين والتجار وشـــيوخ القبائل. ولا هو ما عرّضـت له الأُمَّة عامةً من إهانةٍ لكرامتها وتدنيسٍ لمقدسـاتها وسـلبٍ لخيراتها ونهبٍ لثرواتها، ولا هو أيضـاً ما شـاع في عهدك من الرشـاوي والعمولات وانتشـر من المحســوبية والفســاد الإداري والأخلاقي!! ولا هو كذلك ما قدمت إليه البلاد من انهيارٍ اقتصادي مذهل وصل بها إلى درجة الإفلاس.

فهذه الأمور المهمّة سنعرض لبعضها لاحقاً بعد أن نعرض أولاً لجوهر الخلاف معك وأسـاسـه الذي هو خروج نظام حكمك عن مقتضـيات لا إله إلا الله ولوازمها التي هي أســاس التوحيد الفارق بين الكفر والإيمان لأن كل تلك الأمور ناجمة عن خروجك ونظام حكمك عن مقتضيات التوحيد، ولوازمه.

وبما أننا سـنصـدر -إن شـاء الله- قريباً بحثاً يتناول أوجه هذا الخروج بشـكلٍ أكثر تفصـيلاً فإننا سـنقتصـر في هذه الرسـالة الموجزة على بيان وجهين من وجوه هذا الخروج وهما:

أولاً: حكمك بغير ما أنزل الله وتشريعك له.

لقـد تـواترت نصـوص القـرآن والسُـنّة وأقـوال علمـاء الأُمَّـة علـى أنّ كـل مـن سـوَّغ لنفسـه أو لغـيره اتبّـاع تشـريعٍ وضـعي أو قـانونٍ بشـري مخـالفٍ لحكـم الله، فهو كافرٌ خارجٌ عن المِلة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه وجعل لله شريكاً في الطاعة وخالف ما جاء به رسول الله ﷺ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيَ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾. فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حَكَمَ بين الناس بغير ما أنزل الله أو طلب ذلك إتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الاسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله: ﴿**يَزْعُمُونَ**﴾ من نفي إيمانهم فإن ﴿**يَزْعُمُونَ**﴾ إنما يُقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما يُنافيها، يحقق هذا قوله: ﴿**وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ**﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، كما في آية البقرة، فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً، والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه، كما أن ذلك بيّن في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمانٌ به.) [من كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٣٩٢-٣٩٣].

ويقول الشـــيخ محمد بن إبراهيم آل الشـــيخ -رحمه الله- في تفســـير هذه الآية: (وقد نفى الله الإيمان عمن أراد التحكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ من المنافقين كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾، فإن قوله -عز وجل-: ﴿**يَزْعُمُونَ**﴾ تكذيبٌ لهم فيما ادّعوه من الإيمان فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصـلاً بل أحدهما يُنافي الآخر، والطاغوت مشـتقٌ من الطغيان وهو مجاوز الحد فكل من حكم بغير ما جاء به الرســـول ﷺ أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسـول ﷺ فقد حكم الى الطاغوت وحاكم إليه.) [من رسـالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ].

ويقول الله -عز وجل-: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: (ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصـطلاحات التي وضـعها الرجال بلا مسـتند من شـريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضـلالات والجهالات مما يضـعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السـياسـات الملكية المأخوذة من ملكهم جنكيز خان الذي وضـع لهم الياسـق وهو عبارةٌ عن أحكامٍ اقتبسـها من اليهودية والنصـرانية والملة الإسلامية، وغيرها. وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد هواه. فسارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك

فهو كافرٌ يجب قتله حتى يرجع إلى حكم الله ورسـوله ﷺ فلا يحكم سـواه في قليل ولا كثير.)

وهل الياسـق هذا إلا مثالٌ متقدمٌ للقوانين التي تحكمها أنت ونظام حكمك ومن على شـاكلته من الأنظمة اليوم؟ إن تحكيم القوانين الوضـعية والتحاكم إليها هو بلا شك عبادة ممن يفعل ذلك لواضع هذه القوانين، واستعبادٌ من مُشَرِّعها لمن يتبعونه ويطيعونه في تشريعاته تلك من دون الله.

وهذا المعنى بَيَّنَهُ رسـول الله ﷺ لعُديّ بن حاتم في الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيّره وحسنه أن عُديّ ابن حاتم رضي الله عنه –وكان نصرانياً– سمع النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِـيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ فقال: يا رسول الله إنّا لسنا نعبدهم! فقال رسول الله ﷺ: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حَرَّم الله فتحلونه؟!» قال: بلى، قال: «فتلك عبادتهم».

إن عُديّ بن حاتم –رضـي الله عنه– كان يظن أن العبادة مقتصـرةٌ على تقديم الشـعائر التعبدية كالصـلاة ونحوها ولما كان النصـارى لا يصـلون لأحبارهم ورهبانهم ظنَّ أنهم لا يتخذوهم أرباباً، لكن رسـول الله ﷺ أزال عنه هذا اللبس وبين له أنهم بطاعتهم إياهم في التحليل والتحريم على وجه مخالف للشرع، فقد اتخذوهم أرباباً من دون الله. وهذا المعنى للعبادة الذي بينه الرسـول ﷺ لعُديّ بن حاتم –رضـي الله عنه– هو الذي أجمعت عليه الأُمَّة وتواتر عن العلماء الأئمة الذين سـنذكر بعض أقوالهم فيما يلي باختصـار: يقول ابن حزم عن قوله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ**

وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: (لما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلّوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها، وسمّى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أربابٍ من دون الله عبادة وهذا هو الشرك من دون الله بلا خلاف.) [الفصل ٦٦/٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن أورد حديث عُديّ بن حاتم السابق: (... وكذلك قال أبو البختري أما أنهم لم يصلوا لهم ولو أن يعبدوهم من دون الله ما أمروهم، ولكن أطاعوهم فجعلوا الحلال حراماً والحرام حلالاً فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية... فقد بَيَّن النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال لا أنهم صلّوا لهم وصاموا ودعوهم من دون الله، فهذه عبادة الرجال، وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله: ﴿**لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾.) [الفتاوى ٦٧/٧].

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- مبوباً حديث عُديّ السابق: (من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حَرَّم الله فقد اتخذهم أرباباً.) [عن حاشية كتاب التوحيد ص١٤٦].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وباتفاق جميع المسلمين أن من سوّغ اتباع غير دين الإسلام واتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر.) ويقول رحمه الله: (فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن

عبادته والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته دونه.)

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -مفتي المملكة سابقاً- رحمه الله: (إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين.)

ويقول في رسالةٍ وجهها إلى أمير الرياض -في وقته- بشأن القوانين الوضعية التي يتحاكم إليها في الغرفة التجارية بالرياض وبيان أنها كفر ناقل عن الملة: (واعتبار شيءٍ من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شكَّ أنه عدم رضا بحكم الله ورسوله ونسبة حكم الله ورسوله إلى النقص وعدم القيام بالكفاية في حل النزاع وإيصال الحقوق إلى أربابها وحكم القوانين إلى الكمال وكفاية الناس في حل مشاكلهم، واعتقاد هذا كفرٌ ناقلٌ عن المِلة والأمر كبير مهم وليس من الأمور الاجتهادية... وتحكيم شرع الله وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحدة دون ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن الله هو المعبود وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن الله هو المعبود وحده لا شريك له وأن يكون رسوله هو المتبع المحكِّم ما جاء به فقط، ولا جردّت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك والقيام به فعلاً وتركاً وتحكيماً عند النزاع.)

ويقول العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في "أضواء البيان": (تحكيم النظام المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم

وأنسابهم كفر بخالق السماوات الأرض وتمرد على نظام السماء الذي وضعه مع خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها –سبحانه وتعالى– أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً، قل آالله أذن لكم أم على الله تفترون.)

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي –رحمه الله– في تعليقاته على كتاب التوحيد، في شأن مُحكِّمِ القوانين الوضعية: (فهو بلا شك كافرٌ مرتدّ إذا أصرّ عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمّى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها.)

ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر –رحمه الله– في تحكيم القوانين الوضعية: (فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام الكفار على حكم الله سبحانه، وهذا كفرٌ لا يشك أحدٌ من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه.)

هذه أدلةٌ من الوحي صحيحة، ونقولٌ عن العلماء صريحة في محل النزاع، تَقطعُ الخلاف وتُسكتُ الجدَل وتُخرِسُ المكابرة، ولولا مخافة التطويل لاسترسلنا في هذه الأدلة والنقول، فهذا الموضوع يُشَكِّلُ الموضوع الرئيسي في القرآن الكريم كله، ولكن نظن أن فيما ذكرنا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

بقي أن نذكرك بما تمارســـه أنت ونظام حكمك من تحكيم لهذه القوانين الكفرية وتعطيل لأحكام الله الشرعية. إن الإنسـان العادي -فضـلاً عن الباحث المدقق- لا يجد عناءً في إثبات أنك ونظام حكمك مشـــرعون ومحكِّمون للقوانين الوضـــعية وملزمون الناس بالتحاكم إليها، فنظرة خاطفة على لوائح المحاكم التجارية والقوانين التي تشّـرع وتبيح المعاملات الربوبية في البنوك وغيرها، وقانون العمل والعمال وقانون الجيش العربي الســـعودي، وغير ذلك من القوانين الكفرية التي تؤكد المدى الذي وصل إليه تحكيم هذه القوانين الكفرية من التوسع والنفوذ داخل البلاد.

وقد ذكرت "مذكرة النصيحة" وجود عشـرات الهيئات القانونية التي تحكم بين الناس بالقوانين الوضـعية التي تســوســون بها البلاد والعبد في الداخل، ناهيك عما يحكم البلاد في علاقتها الخارجية من تلك القوانين التي نأخذ مثالاً لها التزامكم بالتحاكم إلى هيئة تسوية المنازعات بين دول مجلس التعاون الخليجي، فهذه الهيئة التي تتحاكم إليها الدول المتنازعة الأعضـاء في المجلس وفي مقدمتها دولة المقر -السـعودية- هيئة قانونية كفرية وضـعية مما لا يدع مجالاً للشـك، فقد نصـحت مبينة مصـادر أحكامها وقوانينها في المادة التاسعة من نظامها الأساسي قائلة:

"تصدر الهيئة توصياتها وفتاويها وفقاً لـ:

١. أحكام النظام الأساسي لمجلس التعاون.
٢. والقانون الدولي.
٣. والعرف الدولي.

٤. ومبادئ الشريعة الإسلامية، على أن ترفع تقاريرها بشأن الحالة المطروحة عليها إلى المجلس الأعلى لاتخاذ ما يراه مناسباً."

أيُّ استهزاءٍ هذا بدين الله وأيُّ احتقارٍ لشريعته؟

أما اكتفيتم من الكفر والضلال بأن جعلتم شريعة الله السماوية وأحكامه القرآنية في آخر قائمة مصادر أحكامكم وقوانينكم مقدماً عليها حثالة أفكار البشر الوضعية وعادات وأعراف الأمم الجاهلية وأحكام النظم القانونية الكفرية حتى جعلتموها تحت رحمة مجلسكم الأعلى ليتخذ منها ما يراه مناسباً لهواه؟

ماذا يقول حماة الدين وحراس العقيدة ودعاة التوحيد في التحاكم إلى مثل هذه الهيئات والمحاكم يا "خادم الحرمين"؟ إن الإجابة واضحةٌ وضوح الشمس في رابعة النهار لا تقبل التلكؤ، ولا التلعثم ولا المراوغة ولا المداهنة، كما بيّنّا فيما سبق، إنه كفرٌ بواح مُخرجٌ من المِلة بدليل الكتاب والسُنّة وإجماع الأُمَّة. وهذه بعض فتاوى العلماء الأعلام، تُبَيِّن وجود هذه القوانين من جهة وحكمها الشرعي من جهةٍ أخرى:

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- عن قوانين المحاكم التجارية في رسالةٍ وجّهها إلى أمير الرياض في وقته: (وقد انتهى إلينا نسخة عنوانها نظام المحكمة التجارية بالمملكة العربية السعودية ودرسنا قريباً نصفها فوجدنا ما فيها نظماً وضعية قانونية لا شرعية... واعتبار شيء من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شك أنه عدم رضا بحكم الله ورسوله... واعتقاد هذا كفرٌ ناقلٌ عن المِلة.) [من فتاوى الشيخ ١٢/٢٥١].

ويقول –رحمه الله– في رسالةٍ وجهها إلى رئيس المحكمة العليا بالرياض في شأن قانون نظام العمل والعمال الذي يحكمه مكتب العمل والعمال وما يجب على المحاكم الشرعية تجاهه: (من مُحَمَّد بن إبراهيم إلى حضرة فضيلة رئيس المحكمة العليا بالرياض، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد... فقد اطلعنا على خطابكم حول المعاملات التي ترد من مكتب العمل والعمال. والذي يتعّين اتباعه في مثل هذا إنما أحيل للمحكمة للبت فيه وإنهائه فعلى المحكمة النظر فيه لأنه من صميم عملها أمّا أذا أحيلت المعاملة لإنفاذ توجيه من مكتب العمل ثم تعاد إليه لينهيها بموجب تعليمات ونظم ما أنزل الله بها من سلطان فلا يسوغ للمحكمة الالتفات لمثل هذا التوجيه لأن ذلك يعد من المحكمة موافقة بل مساعدة على التحاكم بغير ما أنزل الله.) رئيس القضاء ١٣٧٩/١٠/٢٣ هـ. [من فتاوى الشيخ ٢٥١/١٢].

وفي نفس الموضوع –نظام العمل والعمال– كتب الشيخ العلامة عبد الله بن حميد رئيس القضاء –رحمه الله– رسالته المعروفة في بيان أن التحاكم إلى قوانين هذا النظام كفرٌ مُخرجٌ عن المِلة. هذه بعض الفتاوى التي تثبت وجود هذه القوانين من جهة وتُبَيِّن الحكم الشرعي لها من جهة أخرى ولا داعي للاستطراد فالأمر واضح جلي.

ومما هو معروف أن هنالك فَرْقاً جلياً بين من يرتكب كبائر من قبيل أكل الربا مع اعتقاده بحرمتها، وبين من يشرّع قوانين تبيح تعاطي هذه الكبائر، فالذي يتعاطى الربا مثلاً وهو مقر بحرمته مرتكبٌ لكبيرة من أكبر الكبائر والعياذ بالله لكن الذي يشرّع ويقنن القوانين التي تبيح الربا فهو كافرٌ مرتد!! ولسنا بحاجة إلى تنبيه الناس إلى أبراج البنوك الربوبية التي تزاحم مآذن الحرمين الشرفين وتعمل بقوانينكم الوضعية.

إن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾؛ حكم منه تعالى بنفي الإيمان عمّن لم يحكّم شرعه مستسلماً منقاداً، وقد أكد سبحانه هذا الحكم بأدوات التأكيد المختلفة وفي مقدمتها قسم بنفسه سبحانه وتعالى، وهذه الآية مع ما سبق من بيان النبي ﷺ لعُديّ بن حاتم في آية: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾، تدحض أية شبهةٍ وتقطع أيِّ متعلق يمكن أن يتشبَّث به المخالف.)[١١]

---

١١ . هذه الأقوال وغيرها كثير من أقوال الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– في مسألة الحاكمية تشهد لصحة كلام الدكتور الظواهري –رحمه الله حيا وميتا– عن دعوة الإمام المجدد في "أيام مع الإمام": (ويلحق به أيضًا أمرٌ آخر أنّ البعض من الإخوة حينما يتكلمون عن الشيخ أسامة بن لادن يتكلمون عن الجانب الخلقي وعن الجانب السلوكي وعن دماثة الأخلاق والسماحة والكرم وهذه لا شك فضائل شهد بها العدو الصديق للشيخ ويجب أن نذكرها ونشيد بها، ولكن هل صار الشيخ أسامة بن لادن إمامًا لأنه كان حسن الأخلاق أو طيب المعشر أو دمث الأخلاق؟

الشيخ أسامة بن لادن هو الإمام المجدد الذي فجّر الجهاد ضد أمريكا والذي شارك في الجهاد ضد الروس والذي فضح الحكام الفاسدين المفسدين وأظهر فسادهم هذا هو الجانب الأهم والأبرز والأخطر في حياة الشيخ فلماذا أيها الإخوة إذا تكلمتم عن الشيخ لا تذكرون هذا الجانب الخطير الذي من أجله صار الشيخ أسامة بن لادن إماما؟

أيضًا بعض الإخوة حينما يتكلمون عن الشيخ يذكرون فقط جهاده ضد الروس الشيوعيين ثم يسكتون ويتكتمون على أمرين في غاية الخطورة في تاريخ الشيخ، الأمر الأول جهاد الشيخ ضد أمريكا، الشيخ أسامة بن لادن استطاع أن يجمع الأمة المسلمة وأن يحشد الأمة المسلمة ضد عدوٍ مشترك في جهادٍ مشترك ضد أمريكا، واجتهاده في هذا كان اجتهادًا موفقًا بفضل الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني الخطير هو موقف الشيخ أسامة بن لادن من الحكام الفاسدين المفسدين، الشيخ أسامة بن لادن صحيح كان يقول لنجتمع جميعًا ضد العدو الأكبر ضد رأس الأفعى كما كان يقول ضد هبل العصر فإذا سقط هذا الصنم الضخم سيسقط أتباعه ويتفرقون، ولكنه كان في نفس الوقت يفضح ويكشف ويتحدى وينتقد

موقف الإمام المجدد من عبارة الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريعات

ويأخذنا الحديث هنا إلى الحديث عن مسألة مهمة في باب الحاكمية خصها الأمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- بالذكر والبيان لشدة الحاجة إليها.. وهي عبارة يستخدمها البعض في التدليس والتلبيس على المسلمين في تسويق المشاريع المحاربة لحاكمية الشريعة كالعلمانية وغيرها..

وهذه المسألة هي ما جاء في بعض دساتير الدول العربية: إن الشريعة الإسلامية أو الفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع أو نحو ذلك العبارات..

فقد قال الإمام المجدد -رحمه الله- في بيان حكم هذه الدساتير المشتملة على هذه المادة في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وإن الذين كانوا يتعذرون بزعاماتهم الدينية المنخرطة في مجلس الحكم الانتقالي؛ لم يعد لهم أدنى عذر بعد أن أقر هذا المجلس دستور بريمر الكافر، حيث لا يخفى أن إشراك أي مصدر آخر للتشريع مع الإسلام شرك أكبر مخرج من الملة، أي أن أعضاء مجلس الحكم الانتقالي بإقرارهم للدستور قد ازدادوا كفرا على كفرهم، وإلا فما الفرق بين الزعامات السياسية فهد وحسني وجابر وصدام وبقية الحكام وبين الزعامات الدينية في مجلس الشرك الانتقالي، فالعلة الكبرى في تكفيرنا للحكام أنهم لا يحكمون شرع الله تعالى

ويبين فساد هؤلاء الحكام الفاسدين المفسدين ويحرض الأمة عليهم، فأين هذين الجانبين أيها الإخوة أين هذان الجانبان من حديثكم عن الشيخ؟ لماذا لا تظهرون هذين الجانبين الخطيرين في حياة الشيخ؟) أهـ.

في جميع شؤوننا مع موالاتهم لأمريكا، وهم يتعذرون بضغوطها عليهم، وهذه نفس العلة التي وقع فيها أعضاء مجلس الشرك الانتقالي، وبالتالي ينطبق عليهم نفس الحكم، وما قلناه في البيان السابع عشر من الأدلة عن الحكام في ارتدادهم عن الملة وعدم التزامهم بمقتضيات "لا إله إلا الله" ينطبق كذلك على الزعامات الدينية في مجلس الحكم الانتقالي، وعلى أي زعامة أخرى في أي مجلس مشابه في العالم الإسلامي تقترف ما اقترفوه، حيث إن من أهم ما تعنيه كلمة "لا إله إلا الله" أي لا حاكم ولا مشرع إلا الله، فالتشريع من أخص خصائص الألوهية، فمن رضي بهذا المجلس ودستوره عن علم؛ فقد كفر بالله تعالى.

فالمؤمن مأمور بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾**، فمن أطاع الرسول فهو المؤمن، ومن أطاع الحاكم أو العالم أيا كان جنسه في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد أشرك، قال الله تعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾**.

إذن لابد للصادقين من أن يتجاوزوا هذه الزعامات المرتدة.

وحيث إن الإصلاح والتحرير لا بد له من قيادة رشيدة ومنهج قويم، وبما أن المنهج معصوم بفضل الله و القيادات كما ذكرنا، فإذن فالواجب ينتقل بالتالي على من يليهم من الناس –الأمثل فالأمثل– فإن ارتد بعض الكبار أو قعدوا فليقم بالواجب من يليهم، وإن كانوا شبابا، فالحق أكبر من الجميع، وفي هذه الحالة يجب على الصادقين في الأمة عامة وفي العراق خاصة التبرؤ من الزعامات المرتدة السياسية

والدينية على حد سواء، وهجر وإقصاء الزعامات المتثاقلة عن الجهاد أو الراكنة إلى الذين ظلموا، والأخذ بزمام المبادرة والصدع بالحق ورفع راية الجهاد ضد الصليبيين والمرتدين.

ويترتب على ما تقدم أن كل من أعان الكفار على المسلمين، كإعانته القوات المحتلة وما انبثق عنها -كالحكومة المؤقتة أو الدائمة- يكون قد ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام يبيح ماله ودمه وتطلق منه زوجته.

كما أنه يتأكد تعين الجهاد على أهل العراق، ليس ضد الصليبيين فحسب، بل ضد الحكومة المرتدة ومن أعانها أيضا، وكذلك يتعين على كل مسلم في العالم الإسلامي وخارجه يستطيع أن يدعم هذا الجهاد بالنفس والمال، إلى أن تتم الكفاية، مستدلا بالأدلاء الثقاة العارفين بالبلاد والعباد.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وهنا أذكِّر ببعض الأحكام، ومن أهمِّها وأخطرها: ....

حكم المشاركة في الانتخابات المزمع إجراؤها، سواء في العراق أو في فلسطين أو ما جرى في أفغانستان وما شابهها.

ابتداءً؛ لا يخفى أنَّ اختيار الأمراء أو الرؤساء، هو حقٌّ للأمَّة، ولكن هذا الحقُّ مقيَّد بشروط، إذا انتفت حرمت المشاركة في اختيار الأمير، وإنَّما يجب السعي لتنصيب أمير مسلم يحكمنا بشرع الله، وأهم هذه الشروط: أن يكون الأمير مسلمًا، وأن

يكون الدين الذي سـيطبَّق على الناس هو الإسـلام، وهذا يعني أن تكون جميع الأحكام والقوانين مصدرها الوحيد هو الإسلام.

ومن المعلوم أنَّ الدسـتور الذي فرضـه المحتل الأمريكي بريمر، هو دسـتور وضـعي جاهلي، حيث أصرَّ أن لا يكون الإسـلام هو المصـدر الوحيد لجميع التشـريعات، وبالتالي لو فرضنا جدلاً أنَّ تسعين في المئة (٪٩٠) من القوانين والأحكام مصـدرها الشريعة الإسـلامية، وعشرة في المئة (٪١٠) مصـدرها التشريعات الوضعية، فإنَّ هذا الدستور يعتبر في ميزان الإسلام دستورًا كُفريًّا.

فالإسلام منهج أنزله الله تعالى، ليلتزم الناس به كله في جميع شؤون حياتهم، فالإسلام كُلٌّ لا يتجزَّأ، قال الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِله فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾.

فمن آمن ببعضـه وكفر ببعضـه فقد كفر ولا تغني عنه صـلاته ولا صـيامه شـيئًا، قال الله تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَـدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.

فلو التزم الناس بجميع أحكام الإسـلام، إلا الالتزام بتحريم الربا مثلاً، وأباحوا البنوك الربوية؛ فإنَّ دسـتور هذه الدولة، يعتبر دسـتورًا كُفريًّا، لأنَّ هذا التصـرُّف يتضـمن اعتقادهم عدم كمال الشـريعة، وكمال منزِّلها سبحانه وتعالى. ولا يخفى أنَّ هذا كفر

أكبر مخرج من المِلَّة، فضــــلاً عن أنَّ هذه الانتخابات تجري بأمر أمريكا، تحت ظلِّ طائراتها وقذائف دباباتها.

وبناءً عليه؛ إنَّ كل من يشارك في هذه الانتخابات والتي سبق وصف حالها عن علم ورضا، يكون قد كفر بالله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وينبغي الحذر من الدجَّالين، الذين يتكلَّمون باسم الأحزاب والجماعات الإسلامية، ويحثُّون الناس على المشاركة، في هذه الردَّة الجموح، ولو كانوا صادقين لكان همُّهم في الليل والنهار إخلاص الدين لله تعالى والتبرُّؤ من الحكومة المرتدة، وتحريض الناس على جهاد الأمريكيين وحلفائهم، فإن عجزوا فلينكروا بقلوبهم وليجتنبوا المشــاركة في برامج المرتدين أو القعود في مجالس الردة.

وكل ما ذكرناه عن العراق، ينطبق تمامًا على الوضــــع في فلســــطين، فالبلاد تحت الاحتلال، ودستور الدولة وضعي جاهلي، الإسلام منه بريء، والمرشح محمود عباس بهائي عميل كافر، وإنَّما جاءوا به بعد أن أضـــاع مع رفقائه من عمر المســـلمين في فلسطين عشر سنين عبر مؤامرة اتفاقية أوسلوا فضلاً عن غيرها من المؤامرات. جاءوا به ليدخل الناس في تيهٍ جديد، وليقدِّم في هذه الجولة تنازلات جديدة، وليروض الانتفاضة، ويقمع الجهاد والمقاومة.

فليتَّق الله المســـلمون في أنفســـهم وفي دينهم، وليحذروا من المشـــاركة في هذه الانتخابات المزمعة، فإنَّ هذا أمر خطير، وليعلموا أنَّه لا فرق بين أن يعتقدوا صــحة انتخاب أبي جهل الأول عمرو بن هشام وبين أن ينتخبوا أبا جهل إياد علاوي، أو

أبا جهل محمود عباس، أو أبا جهل حامد كرزاي، أو أبا جهل حسني مبارك، أو أبا جهل فهد بن عبد العزيز، أو غيرهم من الحكام المرتدين، فإن يكن الأخير قد قام ببناء وتوســـعة المســـجد الحرام فإن أبا جهل الأول قد قام مع قريش بتجديد بناء الكعبة المشرفة، وكانوا يطوفون بالبيت العتيق ويحجُّون ويسقون الحجيج، ولكنهم في ميزان الإسلام مشركون؛ لأنَّهم لم يستسلموا استسلامًا مطلقًا لله تعالى، بل كان من كفرهم أن اســتســلموا لمجلس دار الندوة التشــريعي الوضــعي، وهو شــبيه بالمجالس التشــريعية اليوم أو ما يُســمَّى بمجلس النوَّاب أو مجلس الأمَّة التشــريعي، قال الله تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِــقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْــجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (فخَيَّرَ الله الإيمان والجهاد مع النبي ﷺ على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به.)

وخلاصــة القول في هذه المســألة: أنَّه يجب على المســلمين أن يحذروا من مثل هذه الانتخابات وإنَّما عليهم أن يلتفُّوا حول المجاهدين ويقاوموا المحتلِّين.)

حكم الشعوب المسلمة

وهنا يجب علينا أن نبين بوضوح أن الكلام السابق في مسألة الحاكمية يتنزل على المبدلين لشرع الله أما عن حكم الشعوب المسلمة فيقول الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– في مقابلته مع تيسير علوني حين سأله عن اتهام وزير داخلية آل سعود نايف –قاتله الله– بأن الإمام أسامة يكفر المسلمين قال: (استمعت إلى طرف من كلام وزير الداخلية، واتهمنا بالاسم بشكل مباشر وقال إن هؤلاء يكفرون المسلمين، معاذ الله، فإننا نعتقد أن المسلمين مسلمون ولا نكفر أحداً إلا إذا ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، إن كان عالماً بأن هذا ناقض للإسلام، أو من معلوم من نواقض الدين بالضرورة إن كان عالما بأن هذا ناقض للإسلام، أو من معلوم من نواقض الدين بالضرورة.

لكن نقول عموما، همنا أن تجتمع هذه الأمة على كلمة سواء تحت كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وأن تتحرك هذه الأمة لقيام الخلافة الراشدة مع الأمة الإسلامية عموما التي بشرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أن الخلافة الراشدة ستعود بإذن الله سبحانه وتعالى، والمطلوب من الأمة أن توحد جهودها في هذه الحملة الصليبية، فهذه أشد وأعنف وأشرس حملة صليبية تقوم على العالم الإسلامي منذ فجر التاريخ العالم الإسلامي، فقد مرت حروب صليبية سابقة ولكن لم يسبق لمثل هذه الحملة مثيل. وقد صرح بوش بلسانه "Crusade" أي الحرب الصليبية، فالغريب أننا نقوّل ما لم نقل، ويصدق بعض

الناس، يقال إننا كما ذكر وزير الداخلية، نكفر المسلمين، معاذ الله من ذلك، وبوش عندما يقول، يلتمسون له الأعذار....)

وقال -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (وقبل الختام: أردُّ على بعض اتهامات النظام التي أزعج بها الناس بتكرارها في الصباح والمساء خلال السنتين الماضيتين، فقد اتَّهم المجاهدين بمذهب الخوارج، وهم يعلمون أنَّنا بريؤون من هذا المذهب، وهذه خطاباتنا وهذا واقعنا يشهد بذلك.

وهل اقتحم علينا دارنا بالسلاح في السودان ليقتلونا إلا الخوارج!

ونحن نعتقد أنَّ المعاصي التي هي دون الكفر لا يخرج بها المؤمن من الإيمان ولو كانت كبيرة كالقتل وشرب الخمر، فإن مات صاحبها ولم يتب منها فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذَّبه ثم مصيره إلى الجنة.

ونحن لا نكفِّر الناس بالعموم، ولا نستبيح دماء المسلمين، فإن قُتِل بعض المسلمين أثناء عمليات المجاهدين فنرجو الله أن يرحمهم، وإنَّما هو كما في مسألة التترس والقتل الخطأ، ونستغفر الله منه ونتحمَّل المسؤولية عنه.

ولكن أقول لحاكم الرياض: إنْ شئتَ حدَّثتك عن قاتل المسلمين، ومن قاتلهم من قبل ومن فرَّق جماعتهم، وأحدِّثك عمَّن يكفِّر بالعموم ويستبيح دماء المسلمين؛ فأبوكم عبد العزيز هو الذي خرجَ وناصرَ الإنجليز ضد الدولة العثمانية وواليها ابن الرشيد في حائل، وأنتم أنفسكم قد خرجتم بقوة السلاح على أخيكم الملك سعود،

وكادت تحصـــل بينكم مجزرة لولا الله تعالى ثم تدخُّل من تطاردون اليوم ابنه، ولم يقل علماؤكم عن أبيكم وعنكم أنَّكم خوارج.)

كشف حقيقة حكام البلاد الإسلامية
ودورهم الخبيث في محاربة الإسلام

إن كشف حقيقة الحكام الذين استولوا على مقاليد الحكم في بلاد المسلمين وكانوا وكلاء الصهيوصليبية المعاصرة في بلاد المسلمين فسلموا العباد والبلاد للمشاريع الصهيوصليبية المعاصرة وحكموا المسلمين بالقوانين الوضعية الوضيعة بالحديد والنار والقهر وواجهوا كل مشروع إسلامي إصلاحي قياماً بالأدوار المسندة إليهم في حرب الإسلام وأهله..

فحالهم حال من يقول الإمام ابن حزم -رحمه الله- في "رسائل ابن حزم": (والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحشرهم معهم آمنين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه.)

وهذا الدور الخبيث الذي يقوم به هؤلاء الحكام الوكلاء للصهيوصليبية المعاصرة يوجب على العلماء والدعاة المجاهدين الوقوف في وجه هذا الخطر ومواجهته كما أمرهم الشرع الكريم، ففي الصحيحين عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ. فقال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا:

أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان..

فكان القيام بهذا الواجب من أهم الركائز والأسس التي أقام عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وإخوانه من العلماء والدعاة والمجاهدين الربانيين دعوتهم وجهادهم وبذلوا فيها أرواحهم وجهدهم ووقتهم.. وفي ذلك يقول الإمام المجدد -رحمه الله- في "النفير": (وأول هذه القيود والسدود في عصرنا الحاضر؛ هم الحكام وشهداء الزور من علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة ومن شابههم.

فأما الحكام فقد اتفق الناس على عجزهم وخيانتهم.

وأما الذين يطالبون الناس بأن يضعوا أيديهم بأيدي هؤلاء الحكام برغم كل ذلك، نقول لهم؛ متى نزعت الشعوب أيديها من أيدي الحكام حتى يُنصحوا بأن يعيدوا أيديهم مرة أخرى؟! فهذا لم يحدث، والنتيجة كما ترون، هيمنة الكفار علينا، وقد قيل:

ومن خانه التدبير والأمر طائع   فلن يحسن التدبير والأمر جامح

فخلافنا مع الحكام ليس خلافاً فرعياً يمكن حله، وإنما نتحدث عن رأس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار وبتشريعهم للقوانين الوضعية، وإقرارهم واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة، فولايتهم قد سقطت شرعاً منذ زمن بعيد، فلا سبيل للبقاء تحتها،

والمقام لا يتسع لوصف هذا الأمر هنا، ولكن قد ذكرنا أقوالاً لأهل العلم رحمهم الله في البيان السابع عشر الصادر عن هيئة النصيحة والإصلاح.

وبعد ذلك نقول؛ هل يمكن لمسلم أن يقول للمسلمين؛ ضعوا أيديكم في يد "كرزاي" للتعاون لإقامة الإسلام ورفع الظلم وعدم تمكين أميركا من مخططاتها؟! فهذا لا يمكن ولا يعقل، لأن كرزاي عميل جاءت به أمريكا، ومناصرته على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام العشرة، مخرج من الملة.

وهنا لنا أن نتساءل؛ ما الفرق بين كرزاي العجم وكرزاي العرب؟ من الذي ثبت ونصب حكام دول الخليج؟ إنهم الصليبيون، فالذين نصبوا كرزاي كابول وثبّتوا كرزاي باكستان، هم الذين نصبوا كرزاي الكويت وكرزاي والبحرين وكرزاي قطر وغيرها.

ومن الذين نصبوا كرزاي الرياض وجاءوا به بعد أن كان لاجئاً في الكويت قبل قرن من الزمان ليقاتل معهم ضد الدولة العثمانية وواليها ابن الرشيد؟ أنهم الصليبيون ومازالوا يرعون هذه الأسر إلى اليوم، فلا فرق بين كرزاي الرياض وكرزاي كابول، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾، قال تعالى: ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾.

إن الحكام الذين يريدون حل قضايانا ومن أهمها القضية الفلسطينية عبر الأمم المتحدة أو عبر أوامر الولايات المتحدة، كما حصل بمبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز في بيروت ووافق عليها جميع العرب، والتي باع فيها دماء الشهداء وباع فيها

أرض فلسطين، إرضاء ومناصرة لليهود وأميركا على المسلمين، هؤلاء الحكام قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة.

كما أقول أيضاً: إن الذين يريدون أن يحلوا قضايانا عبر هؤلاء الحكام العجزة الخونة قد خدعتهم أنفسهم وخادعوا أمتهم، وركنوا إلى الذين ظلموا وضلوا ضلالاً مبنياً، وأحسن أحوالهم أنهم عاجزون فاسقون، فينبغي على المسلمين أن ينصحوهم، فإن لم ينتصحوا فليحذروهم وليحذروا منهم.

ويجب على المسلمين كذلك أن يتبرؤوا من هؤلاء الحكام الطواغيت، ولا يخفى أن التبرؤ من الطاغوت ليس من نوافل الأعمال، وإنما هو أحد ركني التوحيد فلا يقوم الإيمان بغيرهما، قال تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (من النصوص الأخرى التي ينبغي الاقتداء بها في مثل هذه الظروف:

هو حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ حيث يصور وضعاً شبيهاً لوضعنا الحالي، فيقول رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر -مخافة أن يدركني- فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن،» قلت: وما دخنه؟ قال:

«قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شـر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» متفق عليه.

فهذا الوضع كما تلاحظون أن العالم الإسلامي انتشر فيه هذا الشر العظيم، وهو أن الأئمـة الـذين يـدعون النـاس إلى جهنم هم أظهر مـا يكونون في حكـام المنطقـة -حكام العالم العربي والإسلامي- فهم في إعلامهم وأجهزتهم وإفسادهم للبلاد، فهم يدعون الناس عبر تبنيهم للأفكار الهدّامة وعبر تبنيهم للقوانين الوضـــعية والقوانين الكفرية، فهم يدعون الناس في الصـباح والمسـاء إلى أبواب جهنم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فالكفر بالله ورسوله ﷺ على مرأى ومسمع في الصحف وأجهزة التلفاز، وفي الراديو والندوات، ولا ينكر عليهم منكر، فهؤلاء هم الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم.

ما هو الحل إذا حصل مثل هذا؟

فهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه سأل حتى وصل إلى مثل هذه الحالة فقال: هل بعد ذلك الخير من شر؟ فقال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، وقال رضي الله عنه: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟..

هذا كلام واضـح بيّن صـريح يسـأل عن المخرج في مثل هذه الحالة التي نحن نعيش فيهـا اليوم، فيقول: مـا تأمرني إن أدركني ذلـك؟، فـأمره بأمر واحـد -رغم كثرة الواجبات وأهميتها- ولكن في مثل هذا الوضـــع هناك أمرٌ واحد يتقدم على جميع

الواجبات الأخرى بعد الإيمان، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

فهذا الواجب العظيم الذي هو فرض الساعة لا مكان له بين العلماء اليوم ولا يتحدثون عنه، بل شُغلوا كل واحد منهم -إلا من رحم الله- بالتهليل والمدح للأئمة الطواغيت الذين كفروا بالله ورسوله، فبرقيات تذهب من هؤلاء لمدح هؤلاء الحكام الذين كفروا بالله ورسوله، ويُكفر بالله ورسوله في صحفهم وفي إعلامهم، وبرقيات أخرى من هؤلاء الحكام الذين كفروا إلى هؤلاء العلماء تمدحهم، ودلسوا في ذلك على الأمة!

فالأمة لم تصب من قبل بمثل هذه الكارثة التي أصيبت بها اليوم، كان يحصل خلل ولكنه جزئي، أما الخلل اليوم فهو قد عمّ الناس مع هذه الثورة الإعلامية، وأصبح الإعلام يدخل على كل بيت، فهذه الفتنة ما سلم منها بيت حضر ولا بيت وبر، ما سلم منها أحد، في السابق كان يزِل العالم وتبقى زلته محدودة في مكان معين، ويَفجُر الأمير والحاكم ويبقى فجُوره محدوداً داخل القصر، أما أن يصبح جُل الناس أسرى وظائفهم التي هي لهذا الطاغية، فهذا ما حصل في تاريخ الإسلام قط.

وكلما حصل انحدار وكلما حصل بُعد عن دين الله فهناك تلقائيةً في هذا الدين وفي منهجه القويم المتكامل، يبدأ هناك آخرون في تصحيح المسار ويضحون بأنفسهم، لكن لم يحصل قط أن سواد الأمة وأن الفقهاء والعلماء أسرى وظائف عند الطواغيت!

حدثني بعضــهم قال: نحن لا نســتطيع أن نقول الحق، لأننا إذا أردنا أن نقول الحق نفكر في هؤلاء الأطفال الذين في البيت وهؤلاء النســاء، أين يذهبون؟ وأين نذهب نحن؟

فينبغي على الشــباب أن يفهم طبيعة العلاقة اليوم بين موظفي الدولة والحاكم، وكل من هو موظف دولة؛ هو موظف دولة، ولا ينبغي للشــباب أن يغضــب إذا قلنا؛ إن الشيخ الفلاني هو موظف دولة.)

وشرح -رحمه الله- شرحا مفصلاً عن شيء من دور هذه الأنظمة فقال في "رسالة إلى الأمة الإســلامية": (ولكن الســؤال الذي يطرح نفســه وبقوة هو؛ هل هذه الحكومات في العالم الإسلامي مهيَّأةٌ لأن تقوم بهذا الواجب للدفاع عن الملَّة والأمَّة؟ وأن تتبرأَ من ولائها لأمريكا؟

فتعالوا لننظر نظرة موضــوعية لتاريخها في قضــايا الأمَّة المصــيرية، ليتبيَّن لنا ملامح ومعالم ســياســتها، حتى لا يســير بنا هؤلاء إلى طريق مســدود، ولِأَن يجرِّبوا أمرًا قد جُرِّبَ لعقودٍ طويلة.

أولاً: موقفها من العدوِّ الصــليبي في الحرب العالمية الأولى عندما هجم على العالم الإسلامي وأراد إسقاط الدولة العثمانية، فإنَّ هؤلاء الحكام خرجوا على هذه الدولة، وفرَّقوا جماعة المسلمين وساهموا مساهمة فعالةً في القتال ضدَّها، مما أدَّى إلى سقوطها تحت الاحتلال الصليبي، وتقسيمها إلى بضعٍ وخمسين دولة، وكان الدور البارز في تلك الخيانات للملك عبد العزيز آل سعود والشريف حسين وأبنائه.

ثانيًا: قضـية فلسـطين؛ إنَّ مواقف هؤلاء الحكام في هذه القضـية المحورية منذ تسـعة عقود هو تعهُّدهم للإنجليز بالسـماح لليهود بتكوين دولةٍ لهم على أرض فلسـطين، ثم الخذلان لأهل فلسطين، بل والمخادعة لهم مراتٍ عديدة لكي يلقوا السلاح، كان من أبرزها محاولة تمَّت للملك عبد العزيز آل سـعود، ثم لما صـدر قرار المنظمة الصهيونية، أو ما يُعرف بـ"الأمم المتحدة"، لتقسيم فلسطين ولإقامة دولة يهودية فيها؛ فلم يحرِّك حكام العرب ساكنًا، بل بقوا أعضـاء في هذه المنظمة، وما زالوا إلى اليوم، ولم يفعلوا شيئًا يُذكر للحيلولة دون ذلك إلا بما يندى له الجبين.

فلمَّا قامت دولة اليهود، بعد قرار التقسيم بعام؛ نشبت حرب مصطنعة، ثم ما لبث حكام الدول العربية أن وافقوا على توقيع هدنةٍ مؤقتة اسـتجابةً لأمر أمريكا التي طلبت منهم في العام الذي يليه هدنةً دائمة، وهكذا كادوا يَئِدون فلسـطين وأهلها وهم أحياء، ولكنَّ الله سلَّم.

ثم اسـتمرت المؤامرات مرورًا بمؤتمر مدريد وما تبعه، وتواصـلَ السـعيُ لإجهاض الانتفاضـة الأولى، ثم ما جرى في مؤتمر "شـرم الشـيخ" عام ١٤١٦ للهجرة –الموافق ٩٦ للميلاد– بدعمهم لليهود والنصـارى ضـدَّ المستضـعفين من أهلنا في فلسـطين، ثم مبادرة بيروت التي تضـمَّنت الاعتراف باليهود، وجزءًا كبيرًا مما احتلُّوه من أرض فلسطين، وأخيرًا مؤامرة "خارطة الطريق".

وخلال هذه المؤامرات ينثرون بعض الأموال على أهل فلسـطين من باب ذرِّ الرماد في العيون، وإلا فالتاريخ والواقع يشـهد عليهم خلال العقود التسـعة الماضـية أنَّهم لم يُرجعوا شيئًا من فلسطين.

إلا أنَّ ممَّا يثير الدهشـــة والذهول ويبعث على الاشمئزاز؛ موقفُ هؤلاء الحكام من أُسَــرِ المجاهدين الذين يقومون بالعمليات الاسـتشـهادية، فقد كانوا ينتظرون خيرهم فجاؤوهم بشـرِّهِم، فلم يكتفوا بشـجبها وإنَّما قاموا بما هو أشـدُّ وأنكى، فانظروا إلى حال تلك الأسـر، وتأمَّلوا حال كل أختٍ من أخواتنا الأرامل هناك ممن قُتِلَ زوجها على يد اليهود، وقَدَّمَ ابنها نفســه رخيصـــةً في ســبيل الدين والذودِ عن حياض المســلمين، فجاء جنودُ اليهودِ بعد أن تركهم أصـحاب العروش والجيوش ليعيثوا في أرض القدس فسادًا ويُهلِكوا الحرث والنسل، فأخرجوها بالقوة من بيتها إلى الطريق، ثم نســفوه بما فيه ولم يمكِّنوها من أخذ متاعها الزهيد، فســارت هائمةً في الطرقات على وجهها، والدموع قد أخذت مجراها، وهي تجرُّ صغارها وصغارَ الشهيد –نحسبه والله حسيبه– لا تدري إلى أين تتَّجه، ولا إلى أين تسير من تكاثرِ المصائب عليها، ولكن بفضـــل الله كان بعض أصـــحاب القلوب الرحيمةِ من بلادِ الحرمين وغيرها يرسـلون بعض زكواتهم لهذه الأُسَـر من الأرامل والأيتام، يخفِّفون بها بعض مصـابهم، فـإذا بـذلـك الأمير الفظِّ الغليظ الجوَّاظ المتكبر؛ عبـد الله بن عبـد العزيز يأمر بمنع المحسنين من إرسال أموالهم، حتى تتوقَّف العمليات!

فأيُّ قلبٍ هذا الذي يأمر بهذه الأفعال؟!

أهو قلب بشر؟! أم أنَّه قَدْ قُدَّ من حجر؟!

وأي نذالةٍ هذه؟! وأي خِسَّةٍ هذهِ؟!

أن تَتَتَبَّعَ دُرَيهماتٍ تصـــلُ إلى الأرملةِ واليتيمِ والمســـكين، وكيف يُرتجى الخير لنا أو الدفاع عن البلاد والعباد من أمثال هؤلاء؛ أصحاب القلوب القاسية.

وبعد هذا كله يزعم المنافقون عباد الدرهم والدينار؛ أنَّ هؤلاء ولاة أمر لنا، وسيقومون بالدفاع عنَّا!

وإن تعجب فعجبٌ قولُ بعض دعاة الإصـــلاح؛ بأنَّ طريق الصـــلاح والدفاع عن البلاد والعباد يمرُّ بأبواب هؤلاء الحُكَّام المرتدين!

فأقول لهؤلاء: إن كان لكم عذرٌ في القعود عن الجهاد، فهذا لا يُبيحُ لكم أن تركنوا إلى الذين ظلموا فتحملوا أوزاركم وأوزارَ من تُضِـلُّون، فاتقوا الله في أنفســكم، واتقوا الله في أمَّتكم، وإنَّ الله تعالى غنيٌّ عن مداهنتكم للطغاةِ من أجلِ دينه، فقد قال ســبحانه: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾، ولِأَنْ يَقعُدَ المرءُ في أدنى طريقِ الحقِّ خيرٌ له من أن يقفَ في أعلى طريق الباطل.

ثالثًا: إنَّ دول الخليج قد شــــهدت بعجزها -بلســـان الحال والمقال- عن مقاومة القوات العراقية، واســتنجدوا بالصــليبيين -وعلى رأســهم أمريكا- كما هو معلوم، فكيف ستقف هذه الدول أمام أمريكا والقوات العراقية التي تُجَنَّدُ اليوم تحت إمرتها؟!

إنَّ القرار الذي اتَّخذه "جابر الصـــباح" ومن معه يوم غزو العراق للكويت، عندما أطلقوا ســيقانهم للريح، هو القرار الراجح الذي ســيتَّخذه جميع حكام الخليج، ما لم يتمَّ التفاهم بينهم وبين أمريكا على أن يتخلُّوا عن عروشــهم الحالية، ويُعْطَوا وظائفَ

دون ذلك لمخادعة العوام وحمايةِ مصـــالح أمريكا، وأن يتعهَّدوا بأن لا يســـألوا عن النفط ودخله، كحال عملائهم في مجلس الحكم الانتقالي في العراق.

ثم إنَّ ممَّا يؤكد على نفســـياتهم الانهزامية ورضـــوخهم للمحتل وكيفية التعامل معه؛ هو استقبالهم لأعضاء ذلك المجلس الانتقالي والتعاون معهم.

وخلاصة القول:

إنَّ هذه الحكومات أيَّدت أمريكا وسـاندتها في الهجوم على دولة عربية، بينهم وبينها عهودٌ للدفاع المشـــترك، زادت من توثيقها له قبل الهجوم الأمريكي بأيامٍ معدودة في "جامعة الدول العربية"، ثم نقضـتها عن بكرة أبيها، فهذا يُظهِرُ موقفها في القضـايا الأساسيةِ للأمَّة.

رابعًا: إنَّ هذه الأنظمة تذبذبت كثيرًا بخصـوص اتِّخاذ موقف بشـأن اسـتخدام القوة والهجوم على العراق، فمرةً ترفض المشـــاركة مطلقًا، ومرة أخرى تقيِّدُ ذلك بموافقة "الأمم المتحدة"، ثم تعود لرأيها الأول، وفي الحقيقة أنَّ عدم المشـاركة يأتي تمشِّـيًا مع الرغبات الداخلية لهذه الدول، إلا أنَّهم أخيرًا استسلموا ورضخوا للضغوط الأمريكية، وفتحوا قواعـدهم البرية والجوية والبحرية مســـاهمةً في الحملة، برغم الآثار الكبيرة والخطيرة التي ســـتترتب على ذلك، وأهمُّها؛ أنَّ ذلك ارتكابٌ لناقضٍ من نواقض الإســلام، وخيانةٌ عظمى للأمَّة، وما يتبع ذلك من غضــبٍ شـعبي، وتهيئةِ الأجواءِ للخروج على هذه الأنظمةِ العاجزةِ الخائنةِ المرتدة.

وأهمُّ وأخطرُ من ذلك في نظرهم؛ ألاَّ يُفتح باب إسـقاط الأنظمة الدكتاتورية بالقوة المسلحة من الخارج، وخاصةً بعدما رأوا أَسْرَ رفيقِ دربهم السابق في الخيانةِ والعمالةِ لأمريكا، عندما أمرته بإشـعال حرب الخليج الأولى ضـدَّ إيران لما خرجت عن طاعتها، فأكلت الحربُ الأخضـرَ واليابس وأدخلت المنطقة في تيهٍ لم تخرج منه إلى اليوم، وما الحروبُ اللاحقةُ إلا من تداعياتها.

فهم يعلمون أنَّ الدور قادمٌ عليهم، وهم لا يملكون الإرادة لاتخاذ القرار الصـعب لصـدِّ العدوان، فضـلاً عن أن يملكوا القوة المادية لذلك -من وجهة نظرهم- وقد حيلَ بينهم وبين إنشـاءِ قوةٍ عسكريةٍ كبيرة لِمَا أُخِذَ عليهم من عهودٍ ومواثيقَ سِـرِّيَّةٍ منذُ زمنٍ بعيد.

خامسًا: وممَّا يوضِّح موقفهم من قضايا الأمَّة؛ ما قاموا به من مناصرةٍ لأمريكا بفتحِ قواعدهم مساهمةً منهم معها في حملتها الصليبية على أفغانستان، ولا يخفى أنَّ هذه مناصرةٌ ومظاهرةٌ صريحةٌ للكفَّارِ على دولةٍ إسلامية، وذلك كفرٌ أكبرٌ مخرجٌ من الملَّة.

سادسًا: ولعل من المواقف الظاهرة الجليَّة التي تنبئ بموقف حُكَّام الخليج؛ إذا تعرَّضَ أحدهم لضغوطٍ أمريكيةٍ حتى يسلِّم المناطق النفطية لها؛ هو دعمهم الجماعي لما سُمِّيَ بـ "مبادرة زايد"، حيث طالبوا (صدَّام) بأن يُسَلِّمَ العراقَ وشعبَهُ ونِفْطَهُ على طبقٍ كغنيمةٍ باردة، وأن يتنحَّى عن السلطة ويوفِّروا له لجوءً سياسيًّا بحجة ألا تُسفك الدماء في العراق، وقد أكَّد "سعود الفيصل" على هذا المبدأ مِرارًا وبلا حياء، وظاهر هذا المبدأ -مع ما سبق- يُظهرُ أنَّ حُكَّامَ الخليج إذا تعرَّضـوا لضـغوطٍ أمريكيةٍ لاحتلال مناطق النفط فسوف يكرِّرون نفس الموقف بما فيهم حاكم الرياض.

ســـابعًا: ومن أظهر الدلائل التي تنبئ بموقف الحُكَّام تجاه صـــدِّ العدوان؛ موقفُ كبيرهم، عندما أطَّتْ جزيرةُ العرب تحت جنازير الدبابات الأمريكية، وضـــجَّت بحارها من حاملات الطائرات الصليبية بأحدث العتاد والأسلحة لاحتلال المنطقة، فإذا بكبيرهم الذي علَّمهم الخنوع يخرج على الملأ ليبُثَّ في الأمَّة الاستسلام والمذلَّة والخضوع، ويقول: (إنَّ هذه الحشود ليست للحرب)، يا للعار والشنار!

إذا كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ   وإن كنتَ تدري فالمصيبةُ أعظمُ

وخلاصةُ القول:

إنَّ الحاكم الذي يؤمن ببعض الأفعال التي سبق ذكرها، لا يستطيعُ أن يدافع عن البلاد، فكيف إذا كان يؤمن بها كلِّها ومارسها مراتٍ ومرات؟!

إنَّ الذين يؤمنون بمبدأ مناصـــرةِ الكافرين على المســـلمين، ويُهدرونَ دماءَ إخوانهم وأعراضـــهم وأموالهم حتى يَسْـــلَمُوا، مدَّعين أنَّهم يحبُّون إخوانهم ولكنهم مكرهون -ولا يخفى أنَّ هذا الإكراه لا يُعتبر شرعًا- إنَّ هؤلاء مؤهَّلون للسير على نفس المبدأ ضدَّ بعضهم البعض في دول الخليج، بل إنَّ هذا المبدأ قابل للتوسُّع في داخل الدولة الواحدة ذاتها، فمثلا إنَّ حاكم الرياض مؤهَّل بأن يفرِّط بالمنطقة الشرقية والوسطى وغيرها للأمريكيين، والشمالية وجزءًا من الغربية لليهود، مقابل أن تسلم له "جيزان" و"صـــامطة" و"أبو عريش" -مثلاً- ومن قرأ وتدبَّر تاريخ الملوك قديمًا وحديثًا يعلم أنَّهم مؤهَّلون للقيام بأكثر من هذه التنازلات -إلا من رحم الله منهم-.

بل إنَّ الحاكم قد بدأ عمليًّا بالتفريط في أبناء البلاد، بمطاردتهم وسجنهم واتِّهامهم بمذهب الخوارج في تكفير المسلمين زورًا وبهتانًا، والمبالغة في قتلهم -نحسبهم شهداء والله حسيبهم- وكلُّ ذلك كانَ قبلَ "انفجارات الرياض" في ربيعٍ الأول من هذا العام التي يتحجَّج بها النظام، وإنَّما جاءت هذه الحملة في سياق تنفيذ تعليمات أمريكا لعلهم ينالون رضاها، رغم أنَّ النظام هو الذي استفزَّ الشباب بإباحة البلاد للصليبيين، مخالفًا للدين، مستهزئًا بمشاعر المسلمين، متحدِّيًا لرجولة الرجال من أبناء الحرمين، وبالتالي هو الذي أخلَّ بالأمن على الحقيقة، ولضيق المقام هنا أفردتُ هذه المسألة في رسالةٍ خاصَّة ببلاد الحرمين أرجو أن تصلكم قريبًا بإذن الله.

وإنَّ ممَّا يلخِّص حال الأمَّة وتكالب الأعداء عليها مع عمالة الحُكَّام للكافرين، وخيانتهم للدين، وإظهار بطشهم بالشعوب، وتخاذل الجماعات الإسلامية عن الجهاد؛ هذه الأبيات والتي في معظمها للدكتور يوسف أبو هلالة، يقول:

والأمَّةُ الكبرى غدت ألعوبةً ... يلهو بها القسيسُ والحاخامُ
هي مثلُ قومٍ في الأمور مكانةً ... سيَّانَ إن قعدوا وإن هم قاموا
عظماؤها والحادثاتُ تُبيدها ... فوق العروشِ هياكلٌ وعِظامُ
والقدس؛ ويحَ القدسِ دِيْسَ عفافُها ... والمسلمونَ عَنِ الجهادِ صيامُ
بغدادُ يا دارَ الخلافةِ ويحكِ ... ما بالُ طهركِ دنَّسته طُغَامُ
ما بالُ من بالأمسِ خانوا دينهم ... عمَّن أغارَ على حِمَاكِ تَعَامُوا
أعلى الشعوبِ قساورٌ صيَّالةٌ ... وعلى اليهودِ أرانبٌ ونَعَامُ

لم يبقَ لي دارٌ أفيءُ لظِلِّها وطني استُبيحَ وشَبَّ فيهِ ضِرَامُ

يا أمَّتي؛ أنا طائرٌ قد لاحَ لي أَيْكٌ، فهلْ أَشدو ولستُ أُلامُ؟!

أأُعابُ إن صارحتُكم بحقيقةٍ هي أنَّ شرَّ عُداتِنا الحُكَّامُ؟!

مِنْ كُلِّ زنديقٍ ويُدْعَى أنَّهُ للمسلمينَ خُويدِمٌ وإِمَامُ

يتظاهرونَ بأنَّهم عونٌ لنا في حينِ هُمْ دَاءٌ لنا وحِمَامُ

جيشُ النصارى مَدُّهُ اجتاحَ الدُّنا أينَ التَّقِيُّ الشهمُ والمقدامُ

وبناءً على ما تقدَّم؛ فقد ظَهَرَ مدى الخطر الحقيقي الذي تتعرَّض له المنطقةُ عمومًا، وجزيرَةُ العربِ خصوصًا، وأصبح واضحًا بأنَّ الحُكَّام غير مؤهَّلين لإقامة الدين والدفاع عن المسلمين، بل قدَّموا الأدلة على أنَّهم ينفِّذون مخطَّطات أعداء الأمَّة والملَّة، ومؤهَّلون للتفريط بالبلاد والعباد.

والآن بعد أن عرفنا حال الحُكَّام؛ ينبغي أن ننظر في المنهج الذي كانوا يسيرون عليه:

إنَّ المتأمِّل في منهج هؤلاء الحُكَّام يتَّضح له بغير عناء أنَّهم يسيرون وفق أهوائهم وشهواتهم، ووفق ما تقتضيه مصالحهم الشخصية وولاءاتهم الصليبية، فالتزام الإسلام ليس من الثوابت في منهجهم ودينهم، وإنَّما هم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ممَّا يتوافق مع أهوائهم ويحافظ على ملكهم، وذلك كفرٌ أكبر كما بيَّنه تعالى بقوله: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ**

مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فالثابتُ الأساسُ عندهم؛ هو الثباتُ في الملك فقط لا غير.

فالخلل ليس في قضية فرعيةٍ كفساد شخصي محصورٍ داخل قصر الحكم، إنَّما الخللُ في المنهجِ من أساسه، وذلك عندما انتشر ذلك الاعتقادُ الخبيثُ والمبدأُ الهدَّام في معظم نواحي الحياة؛ بأنَّ السيادة والطاعةَ المطلقتين للحاكم، وليستا لدين الله تعالى، أي أنَّ العبوديةَ للحاكم وليست لله تعالى، وتلك هي الحقيقةُ المهمَّة التي يُخادِعُ فيها الحُكَّام، وإن تستَّروا في بعض البلدان تحت عباءة الإسلام، وخاصةً بعد أن سَخَّروا جيشًا من العلماءِ والخطباءِ والكُتَّابِ وجميعِ أجهزةِ الإعلامِ للمبالغةِ في تضخيمِ معنى "الطاعةِ لوليّ الأمر" منذ قرنٍ من الزمان، بعيدًا عن القيود التي قيَّدها بها دين الله تعالى، حتى أصبحَ الحاكمُ وثنًا يُعبدُ من دون الله –كما هو الحالُ في بلاد الحرمين–، ومن أبَى من العلماءِ مداهنتهم؛ فله السجن حتى يُدَاهِنَ مُكرَهًا، وكما أنَّهم تستَّروا في بلدانٍ أخرى تحت عباءة البرلمان والديمقراطية.

لذا فحال جميع الدول العربية في انحطاطٍ سحيق في جميع مناحي الحياة، في أمور الدين والدنيا، ويكفي أن تَعْلَمَ أنَّ اقتصاد جميع الدول العربية أقلُّ شأنًا من اقتصاد دولة واحدة كانت يومًا من الأيام جزءًا من عالَمِنا –يومَ أن كنَّا متمسِّكون بالإسلام حقًّا– ألا وهي الأندلس المفقود، فإسبانيا دولة كافرة، ومع ذلك اقتصادهم أقوى من اقتصادنا، لأنَّ هناك حسابًا وعقابًا للحاكم، وأمَّا في بلادنا فلا حسابَ ولا عقاب، وإنَّما السمعُ والطاعةُ والدعاءُ له بطولِ العمر.

وما وصـــلنا إلى هذه الحالة المزرية إلا لأنَّه قد غاب عن الكثير منَّا الفهمُ الصـــحيحُ والشـــاملُ لدينِ الإســـلام، واقتصـــر فهمهم على أنَّه أداءٌ لبعض الشـــعائر التعبُّديةِ -كالصـلاةِ والصـيام- وهي على أهمِّيتها العظمى إلا أنَّ دينَ الإسـلام يشـملُ جميعَ شؤونِ الحياة؛ الدينية والدنيويةِ أيضًا -كالاقتصادية والعسكرية والسياسية- بما فيها الميزان الذي نزن به أفعال الرجال من الحُكَّام والعلماء وغيرهم، وكيفية التعامل مع الحاكم وفق الحدود التي وضـعها الله تعالى له فلا يتجاوزها، كالتشـريع من دون الله، وموالاة الكفار ومناصرتهم على المسلمين، أو العبث والاختلاس الهائل من مال الأمَّة العام.

وكثيرٌ من الناس يظنون أنَّ هذا من صـــــلاحيات ولي الأمر، ولا يعلمون أنَّ هذه الأفعال مِنَ الحاكم؛ هي من الكبائرِ العظامِ في شـــــريعتنا، ولا تجبُ لهُ فيها الطاعة، بل إنَّ تشـريعه من دون الله وموالاته للكفار كفرٌ أكبر مخرجٌ من الملَّة، يوجبُ الخروجَ عليه بَعدَ إعدادِ ما يلزم.

ولو أنَّهم قرأوا القرآن والسنة -وهذا ما ينبغي علينا- وتدبَّروا فيهما لاتَّضح لهم ذلك جليًّا في نصـوصٍ كثيرة، ومن ذلك حديثُ عديٍّ بن حاتمٍ رضـي الله عنه، وكان قد تنصَّرَ في الجاهلية، وكان يظنُّ كما يظنُّ كثيرٌ من الناس أنَّ اتِّباعَ السادةِ والكبراء من الأمراء والعلماء في تحليل ما حرَّم الله أو تحريم ما أحلَّ الله ليس عبادةً لهم وليس كفرًا بالله تعالى، لأنَّه لم يصلِّ لهم ولم يصـم، ولكنه عندما دخل على رسـول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾، قال: فقلت:

إنَّهم لم يعبدوهم! فقال: «بلى، إنَّهم حرَّموا عليهم الحلال، وأحلُّوا لهم الحرام فاتَّبعوهم فتلك عبادتهم».

فانتبِهوا إلى هذه الآية، فهذه الآية الكريمة وهذا الحديث الشريف يبيِّنان بوضوح وجلاء؛ أنَّ طاعة الحاكم أو العالِم أو غيرهما واتِّباعهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله؛ عبادةٌ لهم من دون الله، وهذا شركٌ أكبر مخرجٌ من الملَّة، عافانا الله وإيَّاكم من ذلك.

وذلك ما عقَّبَ به سبحانه وتعالى في آخر الآية الكريمة ونزَّهَ نفسه الشريفة عنه، حيث قال: ﴿**سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾، وذلك بعدما قال تعالى في نفس الآية: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾، وفي ذلك بيانٌ على أنَّ التشريع في التحليل والتحريم عبادة، وهو من أخصِّ خصائصِ الألوهية، ومن أهمِّ مقتضياتِ شهادةِ "أن لا إله إلا الله"، الركن الأول من أركان الإسلام، وهي رأس الإسلام، وفي هذا تنبيه عظيم جدًّا للذين يظنُّون أنَّ الإسلام هو مجرد التلفُّظ بشهادة "أن لا إله إلا الله"، ولا يعلمون أنَّ لها مقتضيات إن لم يلتزموا بها فهم لم يلتزموا بشهادة "أن لا إله إلا الله".

وخلاصة القول:

إنَّ غياب الفهم الشاملِ لدينِ اللهِ كمنهجٍ لجميع شؤون الحياة، بما في ذلك منهج الإسلامِ في محاسبة الحُكَّام، لأنَّه باستقامتهم على المنهج -على دين الله تعالى- تستقيم أمور البلاد والعباد، فغياب هذا الفهم من أكبر مواطن الخلل في حياة الأمَّة اليوم، فيجب أن نَعِي هذه المسألة وعيًا تامًّا ونفقهها ونحن نبدأ مسيرة الإصلاح

اليوم لنسير على الصراط المستقيم بإذن الله تعالى، ولا نذهب في التيه لقرنٍ آخر من الزمان، ومن الكتب المفيدة في ذلك والتي شـــرحت الآية الكريمة الســـابقة؛ كتابُ "الإيمان" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وكتابُ "فتح المجيد" للشيخ عبد الرحمن بن حســن آل الشيخ رحمهم الله تعالى، وكتاب "مفاهيم ينبغي أن تصــحح" للشيخ محمد قطب.

وهكذا؛ ظهر أنَّ الحكَّام عاجزين وخائنين، وأنَّهم لم يســيروا على منهج الإســلام القويم، بل ساروا وفق أهوائهم وشهواتهم، وهذا هو سبب الانتكاسات في مسيرة الأمَّة خلال العقود الماضــية، وبالتالي يتَّضــحُ لنا جليًّا أنَّ الحلَّ يكمنُ في التمسُّــكِ بدين الله تعالى الذي أعزَّنا الله به خلال القرون الماضــية، وتنصــيبِ قيادةٍ قويةٍ أمينة تقيم القرآن فينا وترفعُ رايةَ الجهاد حقًّا.)

وفي بيان هذا المعلم الهام في حياة ودعوة الإمام المجدد أسـامة بن لادن يقول الدكتور أيمن الظواهري –رحمه الله حيا وميتا– في "أيام مع الإمام": (الشيخ أسامة بن لادن هو الإمام المجدد الذي فجّر الجهاد ضد أمريكا والذي شارك في الجهاد ضد الروس والذي فضح الحكام الفاسدين المفسدين وأظهر فسادهم هذا هو الجانب الأهم والأبرز والأخطر في حياة الشـــيخ فلماذا أيها الإخوة إذا تكلمتم عن الشـــيخ لا تذكرون هذا الجانب الخطير الذي من أجله صار الشيخ أسامة بن لادن إماما؟

أيضًــا بعض الإخوة حينما يتكلمون عن الشـيخ يذكرون فقط جهاده ضــد الروس الشيوعيين ثم يسكتون ويتكتمون على أمرين في غاية الخطورة في تاريخ الشيخ، الأمر الأول جهاد الشيخ ضد أمريكا، الشيخ أسامة بن لادن استطاع أن يجمع الأمة

المسلمة وأن يحشد الأمة المسلمة ضد عدوٍ مشترك في جهادٍ مشترك ضد أمريكا، واجتهاده في هذا كان اجتهادًا موفقًا بفضل الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني الخطير هو موقف الشيخ أسامة بن لادن من الحكام الفاسدين المفسدين، الشيخ أسامة بن لادن صحيح كان يقول لنجتمع جميعًا ضد العدو الأكبر ضد رأس الأفعى كما كان يقول ضد هبل العصر فإذا سقط هذا الصنم الضخم سيسقط أتباعه ويتفرقون، ولكنه كان في نفس الوقت يفضح ويكشف ويتحدى وينتقد ويبين فساد هؤلاء الحكام الفاسدين المفسدين ويحرض الأمة عليهم، فأين هذين الجانبين أيها الإخوة أين هذان الجانبان من حديثكم عن الشيخ؟ لماذا لا تظهرون هذين الجانبين الخطيرين في حياة الشيخ؟....)

الموقف من حكومة طالبان

ويحســـن بنا هنا بعد الحديث عن جهود الإمام المجدد -رحمه الله- في بيان حكم وحال أنظمة الحكم في العالم الإســـلامي أن نبيين موقفه من الإمارة الإســـلامية في أفغانستان (حكومة الطالبان) -نصرها الله ومكن لها-..

فإن الإمام المجدد -رحمه الله- ومن وافقه من العلماء والدعاة المجاهدين في حكمهم على الأنظمة الحاكمة لبلاد المســـلمين بالردة والعمالة يســـتثنون من هذا الحكم الإمارة الإســـلامية في أفغانســـتان (حكومة الطالبان) -نصـــرها الله ومكن لها- ويوجبون على الأمة نصـــرها ودعمها وموالاتها فقد قال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (ونحن في وضـع لم يعد لدينا دولة لنهاجر إليها؛ وقد كانت هذه الفرصـة متاحة، وكانت فرصة نادرة، فمنذ أن سقطت الخلافة حرص الصليبيون على أن لا يمكن أهل الإســـلام الصـــادقون لإقامة دولة، وقدر الله ســـبحانه وتعالى أن جاءت الأحداث في أفغانستان وهزم الاتحاد السوفيتي، وتنازل الصليبيون عن ذلك الحرص والاهتمام في ظل خوفهم ورعبهم من الاتحاد الســـوفيتي، فلم يكن هناك بد من دفع الاتحاد السوفيتي إلا بكل شيء، ولو كان بالمجاهدين، ولو كان بالأصوليين، ولو كان بشباب الإسلام المجاهد، ففتح ذلك الباب، ومضى بضع عشرة سنة.

ولكن للأســف الشــديد لم تنهض الأمة بواجبها المطلوب، وخاصــة العلماء والدعاة والخطباء والجماعات الإسلامية، وإنما الذين جاءوا إلى أرض الجهاد لنصرة المجاهدين

هم نفر بسيط من عامة الشباب من شباب الأمة، مع ما قدمه بعض التجار بعضاً من أموالهم، ولكن لم تكن كافية لإقامة دولة قوية.

وكانت الفرصة جيدة جداً لإقامة دولة قوية بعيداً عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضعٍ وفي انشراحٍ وتعاون غير عادي، كان الوضع يسمح بقوة أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية، لا باعتبارات قطرية وقومية، فللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين؛ أن اغتنموا هذه الفرصة! ولكن لا حياة لمن تنادي، شُغل الناس وسُحبوا باعتبارات أرضية، وباعتبارات قطرية، وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة ولم يتحرك الناس للاستفادة منها، وأذكر ذلك لأقول إن الأمر ليس سهلاً، الآن أصبحت الظروف أصعب.

ثم يسر الله سبحانه بين ذلك وهذا أن قامت دولة الطلبة وإقامة طالبان، وهذا الصراع الذي حصل بين الأفغان، ومكثوا ست سنوات تقريباً أو أكثر، وأيضاً بقي الناس أسرى لأهوائهم وأسرى للإعلام العالمي الذي شن حملة لا هوادة فيها ضد الطالبان وشوهوا سمعتهم، والإعلام العالمي قد يلام في تأثيره أو قد يُحمَّل بعض التأثير على العوام، أما من غير المقبول أن يكون الدعاة والذين تصدروا لنصرة الدين

أمام الناس من غير المقبول أن يقولوا تأثرنا بالإعلام العالمي، أفغانســـتان على بعد بضع ساعات من جزيرة العرب مثلاً، أو من أي مكان من أقطار العالم الإسلامي.

فهذا التأخر عن نصـــرة هذه الدولة رغم أن اسمها دولة الطالبان؛ دولة طلبة العلم، هو مؤشر على وجود خلل غير عادي إما في فقههم أو في صدقهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فيما يظهر لنا والله أعلم، فذهبت هذه الدولة وهم لم يحركوا ساكناً.)

وقال في "محاضرة جماعة المسلمين" : (وبعد أن أكدنا هذا الأمر، الذي نعتقده اليوم أن الجماعة التي تنصـرف إليها النصـوص في الكتاب والسـنة هي دولة الإسـلام في أفغانسـتان هي دولة الطالبان، فينبغي على المسـلم أن يعتقد في قلبه أن أمير المؤمنين هو أميره الشـرعي إتباعاً لأمر رسولنا عليه الصلاة والسلام كما جاء في الصحيحين في البخاري ومسـلم عليهم رحمة الله في الحديث الذي يرويه حذيفة بن اليمان رضـي الله عنه قال: كان الناس يسـألون رسـول الله ﷺ عن الخير وكنت أسـأله عن الشـر مخافة أن يدركني فقلت: يا رســول الله إنا كنا في جاهلية وشـــر فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شـــر؟ قال: «نعم»، قلت: فهل بعد ذلك الشـــر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شـــر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». نســـأل الله العافية تدبروا في هذا الحديث، فكأنما يصــف حال المســلمين اليوم، الأنظمة والحكام بإعلامهم وبأجهزتهم الأمنية وبكثير من مؤسـساتهم يدعون إلى أبواب جهنم كم من فئات من المسـلمين يُدعون في الليل والنهار على مدار الساعة إلى الفجور وإلى الكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله،

نشأت ناشئة في بلاد المسلمين اليوم ما كان يظن أحد أن مثل هذه الناشئة تنشأ، ولكن نتيجة هؤلاء الدعاة إلى أبواب جهنم ...

قال: فهل بعد ذلك الخير من شر، قال: «نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».. قلت: صفهم لنا يا رسول الله، قال: «هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك -الأمر هنا للوجوب-، رضي الله عن حذيفة إذ بين لنا الطريق واختصر لنا الأمر، وسأل عن هذه المعامع العظام، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك، فرائض الإسلام كثيرة وشعب الإيمان كثيرة ففي الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وستون وفي رواية بضع وسبعون شعبة أرفعها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان»، فلا يصح بحال عند غياب الشعبة العظمى الأس الأعظم شهادة أن لا إله إلا الله يشتغل الناس بإماطة الأذى عن الطريق .. وبغيرها من الشعب، فهذا تهرب عن الواجب الشرعي الذي أمر الله به، فأول ما ندعو الناس إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا غابت عن الوجود، وحكم الطواغيت القوانين الوضعية الإنكليزية والفرنسية والأمريكية وغيرها من زبالة عقول البشر، بل الواجب الأعظم كما قال رسولنا عليه الصلاة والسلام لمعاذ حينما أرسله إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، لا يصح البناء إذا لم يكن هناك هذا الركن العظيم، فهنا عليه الصلاة والسلام لما سأله حذيفة قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك -الشعب كثيرة- أمره بشعبة واحدة، أمره بفرض واحد هو فرض الساعة وهو فرض العصر أمره بهذا الفرض لأنه الآكد ولأنه الأهم وعليه

يقوم الدين بإذن الله سبحانه وتعالى، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، هذا هو الفرض الغائب المغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف نصل إلى السبيل وكيف نصل إلى نصرة الدين والمسلمون في جماعة غير المسلمين، وإمام المسلمين ممن ارتكبوا نواقض الإسلام في وضح النهار، إمام المسلمين هم الذين يوالون اليهود والنصارى، وهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فكيف نريد النجاة ونحن نتبع هؤلاء الضّلال الذين أضلوا الناس على علم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

البيعة لأمير المؤمنين محمد عمر وحكومة الطالبان

يتبين لنا من كلام الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في المبحث السابق أنه يرى أن بيعته لأمير ألمؤمنين الملا محمد عمر بيعة عظمى وقد بين ذلك في جوابه على سؤال وجه إليه في محاضرة "بشريات".. فقال السائل: ("ذكرتم أنكم قد بايعتم أمير المؤمنين الملا محمد عمر؛ فهل هذه المبايعة هي البيعة العظمى أم أنها بيعة انتقالية تمهيدًا للبيعة العظمى؟ وما هي الشروط الواجب توافرها لخليفة المسلمين؟ وجزاكم الله خيراً.

فأجاب الشيخ أسامة بن لادن: (بيعتنا لأمير المؤمنين هي بيعة عظمى، هي التي تنصرف إليها النصوص القرآنية والأحاديث النبوية عن نبينا -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث حذيفة في البخاري ومسلم قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، وكما في صحيح مسلم: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية»، وكان يكفي الصحابة رضي الله عنهم -ليس كحالنا اليوم- كان يكفيهم أن يُهدَّدوا ويُتوعدوا بميتة الجاهلية؛ لأنهم عاشوا الجاهلية تلك الحياة المنكرة البعيدة عن منهج الله سبحانه وتعالى فكان الواحد منهم يفر فرار الرجل من الأسد إذا سمع باسم الجاهلية "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية"..

فينبغي على كل مسلم أن يعقد في قلبه أنه قد بايع أمير المؤمنين الملا محمد عمر، وهذه هي البيعة العظمى، وبعض الإخوة يلتبس عليهم الأمر في مسألة شروط

الإمام، يقول الشـيخ محمد بن عبد الوهاب -عليه رحمة الله-: (قد أجمع السـلف على أن الرجل إذا تغلّب على بلد من البلدان ما عاد يُتحدث في الشـروط الأخرى طالما أنه رجل مسـلم تغلب، ما يُتحدث أقرّ أو أجمع أهل العلم على قبول بيعته وعلى مبايعته، فأمير المؤمنين هذا الأمر قد تجاوزه لأن الناس قد تغلبوا على قُطاع الطرق وحكموا هذه البلاد وبايعه أكثر من ألف وخمسمائة من العلماء وطلبة العلم، فهو قد تجاوز هذا الأمر فبيعته لازمة، بعض الناس يشكل عليهم أنه غير قرشي هذه المسـائل في حالة الاختيار وفي حالة الوفرة أما في حالة الضـرورة أو التغلب أو الضعف أو في حالة التغلب فهذه لا يُلتفت إليها، ولا تنزع البيعة لأنه غير قرشي أو لأنه غير... تكمل هذه بالعلماء المجتهدين، يكملون عنده هذا النقص، والله أعلم.)

التحذير من دور حكام الخليج والسعودية خصوصا في إفساد ساحات الجهاد والجماعات الجهادية

يأخذنا الحديث عن حقيقة الحكام ودورهم الوظيفي الخبيث في حرب الإسلام وأهله إلى الحديث بشكل خاص عن دور حكام السعودية ودول الخليج في إفساد الساحات والجماعات الجهادية وحركة الربيع العربي وثورات الشعوب المسلمة..

فإن الباحث والناظر في تراث الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- يجد أن النصيب الأكبر من كلامه عن دور حكام المسلمين في نصرة الحملة الصهيوصليبية ودورهم الوظيفي في حرب الإسلام وأهله كان في الكشف عن دور حكام آل سعود ودول الخليج لما لهم من أثر وإمكانيات معنوية ومادية للقيام بهذا الدور الخبيث فقال -رحمه الله- في "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى": (أمتنا المسلمة: لا يزال أبو رِغال يتكرّر في الأمة منذ قرنٍ من الزمن بشخصه وشخصيته الغادرة، يسعى لكسر الشوكة، وتنكيس الراية، ووأد الجهاد، وإنفاذ الكفر وتثبيت أركانه؛ وما مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز (صهيوأمريكية بثياب الحكومة السعودية) إلا حيلةً من حيل أبي رغال، ومؤامرةً وصورةً من صور الخيانة المتكررة في تاريخ حكام المنطقة تجاه قضايانا بشكل عام، وقضية الأقصى بشكلٍ خاص.

فهو إن أعلن ذلك فإنما يسير علي نهج والده الذي أجهض انتفاضة عام ١٩٣٦م - ١٣٥٤هـ، بوعدٍ كاذب منه ومن الحكومة الإنجليزية، فخدع الفلسطينيين وأوقفوا

الانتفاضة واستمر الاحتلال الإنجليزي حتى عام ١٩٤٨م - ١٣٦٦ﻫ حين سُلِّمت فلسطين لليهود، وهو بذلك أيضًا يسير على نهج أمثاله من الحكام الخونة الذين سيّروا الجيوش السبعة بقيادة الإنجليز تحت قيادة (كلوب باشا) رجل الحكومة الإنجليزية، فقضوا بذلك على التحرك الشعبي الجاد لتحرير فلسطين، فأكملوا المؤامرة ووقعوا هدنةً بوقف القتال وذلك في عام ١٣٦٧ﻫ - ١٩٤٩م. أما خيانتهم العظمى فكانت في أوسلو عام ١٤١٢ﻫ - ١٩٩٢م للقضاء على انتفاضة الأقصى الأولى.

وإن كان اليوم قد تقدّم بخيانةِ أولى القبلتين وثالث المسجدين وعمد إلى وأد قضية أمةٍ بأكملها بدافع شهوةِ الملك فلا غَرر في ذلك ولا عَجَب؛ فقد خان من قبل الحرمين الشريفين حين أباح أرض الحرمين للأمريكان بكذبةٍ كذبها هو وإخوانه على الأمة، وهي ضرورة الاستعانة بهم ولمدة ثلاثة أشهر، وإذا بها تمتدُ إلى أيامنا هذه والتي ندخُلُ فيها مطلع السنة الثالثة عشر من إباحة أرض الحرمين للكفار!

ولا شك من أنّ هذه المبادرة إنما هي إنفاذٌ واضحٌ لدولة اليهود الغاصبة، وتمكينٌ صريحٌ لها في الوقت الذي تتخذ فيه القوات الأمريكية قواعد عسكرية على أرض الحرمين لتهديد المنطقة وضرب الشعب العراقي المسلم. أما التصريحات بأن النظام السعودي لن يسمح باستخدام أراضيه لضرب العراق، فهي تصريحاتٌ جوفاء، ولو كان له من الأمر شيءٌ لقام بإخراج القوات الأمريكية المحتلة من بلاد الحرمين.

أمتنا المسلمة:

إن مصـير الطغاة والخونة أوضـح من أن يوضَّـح، وأجلى من أن يُبيَّن، والمصـير الذي صـــاروا إليه دليلُ إيمانٍ وغيرةٍ عند أبناء الأمة، فها هو الملك عبد الله بن الشـــريف حســين قُتل على يد بطلٍ من إبطال فلســطين، وها هو أنور الســادات الذي رموه بالخيانة ثم ســـاروا على دربه قُتل على يدِ بطلٍ من أبطال مصـــر المســـلمة خالد الإســلامبولي، وهاهم الخونة والعملاء الصـغار والكبار يلاقون نفس المصـير والذي يجب أن يلقاه كل خائن.

أمتنا المســـلمة: إن هذه المبادرات في لغة الإعلام الفرعوني ما هي إلا مؤامرةٌ وقحة، وخططٌ مفضوحةٌ تعريفها في قاموس السياسة: "الكراسي مقابل الخيانة"، أما تعريفها في قاموس الشــرع فهي: "الرِّدة"؛ حيث المناصــرة والمظاهرة للكفار على المســلمين والمعدودة في ديننا من نواقض الإسلام العشرة المخرجة من الملة، والتي لا يَسعُ المسلم -كائنًا من كان ومهما كان حاله وظرفه- إلا أن يتبرأ منها ومن فاعلها، حيث أنها من أفعـال الطواغيـت، ولا يقوم إيمـانُ المرء حتى يكفر بالطـاغوت؛ ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾.

أمتنا المسلمة:

إن الذي يبيع شـبرًا يبيع دولة، والذي يرخص قطرة دم لا يبالي بأنهارٍ منها، ومن يَئدُ شعبًا يئدُ أمة، والذي يَصُمُّ أُذنيه اليوم يُغمض عينيه غدًا. فيا أمة الإسلام ثوري على الظلم والطغيان، على الجور والعدوان، على الذُلِ والامتهان، فليس الخبز بأعزّ عندنا من ديننا، ولا الأموال بأغلى علينا من أعراضـنا، ولا الموت بأصـعب في حِسِّـنا من حياة الذل والهوان، فالوسيلة ممكنةٌ ومتاحةٌ لكل فردٍ من أفرادِ أمتنا، وهي كالتالي:

- رفض المبادرة الاستسلامية، والسعي لحشد الأمة للخروج بمظاهرات شعبيةٍ وعصيانٍ مدني حتى سقوط الحكومات الخائنة.
- السعي للخروج على أئمة الكفر والنفاق الذين ارتدوا عن دينهم وخانوا أمتهم وقتلهم.
- ضرب المصالح الأمريكية المنتشرة في العالم بشكل عام، وعلى أرضِ أمتنا العربية والإسلامية بشكلٍ خاص.
- مقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية.
- قتل الأمريكان واليهود بطلقةٍ من رصاص، أو طعنةٍ بسكين، أو رميةٍ بحجر ... إلخ.
- دعم المجاهدين والوقوف وراءهم والشد من أزرهم والدعاءِ لهم.)

وقال -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (وباسم الوطن و الوطنية يتم التمكين للصليبيين اليوم في أرض الرافدين أيضاً، بتنصيب حكومةٍ عميلةٍ لأمريكا تُوقِّع سلفاً على الرضا بوجود القواعد الأمريكية الكبرى فوق أرض العراق، و تعطي الأمريكان ما شاؤوا من نفط العراق تحت قانون النفط للاستمرار في إخضاعه وللهيمنة المطلقة على بقية دول المنطقة، ولكن مما يؤسف له أن يشارك في هذه الخيانة العظمى أحزابٌ وجماعاتٌ تنتسب للعلم و الدعوة و الجهاد، و هذا من تلبيس الحق بالباطل، وقد شاهد الناس بعض هذه الزعامات وهي تتعاون بشكل مباشر مع الأمريكيين كما فعل زعيم الحزب الذي يسمى بالإسلامي، ودعا صراحةً لإبرام اتفاقيات أمنيةٍ طويلةِ المدى مع أمريكا، و رأى الناس أيضاً زعاماتٍ أخرى

تتعاون بشكل غير مباشر وذلك عن طريق وكلاء أمريكا في المنطقة وخاصةً حاكم بلاد الحرمين، فلا يمكن للرياض أن تستقبل وتدعم هذه الزعامات إلا على شرط الرضا بحكومة وحدة وطنية، وللعقلاء أن يعتبروا بما آلت إليه قيادة حماس، حيث أضاعت دينها ولم تَسْلَم لها دنياها، عندما أطاعت حاكم الرياض وغيره بالدخول في دولة الوحدة الوطنية واحترام المواثيق الدولية الظالمة، فهلّا قام الصادقون في حماس ليصححوا مسارها.

وكما أغوى حُكَّام الرياض قادةَ حماس فكذلك يسعون لإغواء الجماعات المجاهدة في العراق، فيغضوا طرفهم عن أعضاء بعض الجماعات لتتحرك في دول الخليج باطمئنان لتأخذ الدعم ولكن ليس بشكل رسمي فهذا ما ترفضه الجماعات، وإنما يتم تمرير الدعم باسم جمع التبرعات من بعض العلماء والدعاة غير الرسميين، وكثير منهم في حقيقتهم رجال موالون للدولة يسعون في تنفيذ سياستها في العراق، بسحب البساط من تحت أقدام المجاهدين الصادقين، فمهمةُ هؤلاء العلماء والدعاة إقناع قادة هذه الجماعات بنفس الشرط السابق وهو الرضا بحكومة وحدة وطنية، فضلاً عن حثهم لبث الدعايات المغرضة ضد دولة العراق الإسلامية وقتالها إن أمكن وهذا من أسرار الحملة الشرسة عليها عسكرياً وإعلامياً، وإن المرء ليعجب أشد العجب كيف ضيعت هذه الزعامات الأمانة التي في أعناقها وذهبت تضع يدها في يد أحد أَلَدِّ أعدائها حاكمِ الرياض، وهو الذي ثبتت نصرته وتواطؤه مع أمريكا لغزو العراق، وهل يخفى اليوم على فتيان المسلمين فضلاً عن علمائهم وشيوخهم وقادة المجاهدين أن هذا الحاكم هو كبير وكلاء أمريكا في المنطقة وقد أخذ على عاتقه مراودة

وترويض كل حُرٍّ عفيف أمين شـــريف لجره إلى ســـبيل الغي والغواية، ذلك الطريق الذي ارتضـــاه لنفســـه وهو في العقد التاســـع من عمره، طريق الخيانة للملة والأمة والخضوع لإرادة التحالف الصليبي الصهيوني، فبئس السبيل سبيلهم، ولكن هلّا رجع العلماء والأمناء المرشدون إلى طريق الرشد؟ فهذا ما نتمناه.)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (وهنا لنا أن نتســـاءل؛ ما الفرق بين كرزاي العجم وكرزاي العرب؟ من الذي ثبت ونصب حكام دول الخليج؟ إنهم الصليبيون، فالذين نصبوا كرزاي كابول وثبّتوا كرزاي باكستان، هم الذين نصبوا كرزاي الكويت وكرزاي والبحرين وكرزاي قطر وغيرها.

ومن الذين نصـــبوا كرزاي الرياض وجاءوا به بعد أن كان لاجئاً في الكويت قبل قرن من الزمان ليقاتل معهم ضـــد الدولة العثمانية وواليها ابن الرشـــيد؟ أنهم الصـــليبيون ومازالوا يرعون هذه الأســـر إلى اليوم، فلا فرق بين كرزاي الرياض وكرزاي كابول، **﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَـــارِ﴾**، قال تعالى: **﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾**.

إن الحكام الذين يريدون حل قضـــايانا ومن أهمها القضـــية الفلســـطينية عبر الأمم المتحدة أو عبر أوامر الولايات المتحدة، كما حصـــل بمبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز في بيروت ووافق عليها جميع العرب، والتي باع فيها دماء الشـــهداء وباع فيها أرض فلســطين، إرضـاء ومناصـرة لليهود وأميركا على المســلمين، هؤلاء الحكام قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة.)

وقال –رحمه الله– في "السـبيل لإحباط المؤامرات": (فيجب على أعضـاء الحزب الإسلامي وتلك الفصائل المقاتلة، أن يتبرؤوا من قادتهم ويصححوا مسار أحزابهم وجماعاتهم، فإن تعذر ذلك فليعتزلوا هذه القيادات المنافقة، وليلتحقوا بالمجاهدين الصـادقين في أرض الرافدين، ولقد بذلت أمريكا جهوداً كبيرة من قبل لإقناع قادة الأفغان بواسطة حكومتي الرياض وإسلام آباد للدخول في حكومة وحدة وطنية، أي مع الشيوعين والعلمانيين الذين جاؤوا من الغرب، واستعانت الرياض ببعض رجالها من العلماء غير الرسميين، حتى يتيسـر لهم اختراق صفوف المجاهدين ، وهؤلاء كانوا من الخطباء المؤثرين المحرضـين للناس على الجهاد، ويحضـرون الأموال الطائلة لقادة المجاهدين، وفي الوقت المحدد طلبوا من قادة الأفغان أن يتحدوا مع الشـيوعيين والعلمانيين، تحت مسـمى دولة الوحدة الوطنية وعندها ظهروا على حقيقتهم بأنهم علماء سـوء ورجال الطاغوت، فقاموا بتعطيل مشـروع الوحدة بين قادة المجاهدين وذلك عندما أغروا أحدهم بأموالٍ طائلة، ووعدوه أن يدعموه ليكون رئيسـاً لأفغانسـتان ثم لم يفوا له بما وعدوه، ولكنه من أجل هذا الوعد بكرسـي الرئاسـة ماطلنا في أمر الوحدة كثيراً كما اتضـح لنا في نهاية المطاف أنه كان قد رهن قراره عند رئيس استخبارات الرياض الذي جاء بنفسه إلى بيشاور لمتابعة الأمر بالتعاون مع الاسـتخبارات الباكسـتانية، وكان رسـوله إلى هذا القائد عالمِيَن معروفين من العلماء غير الرسميين مع العلم أن معظم القادة قد وافق على ذلك نتيجة لضـغوط الرياض وإسـلام آباد، وعندها بُذلت جهود لإفسـاد هذا الأمر والمقام لا يتسـع للتفصيل .

وما أشـبه الليلة بالبارحة، فإن حكومة الرياض ما زالت إلى اليوم تقوم بنفس أدوارها الخبيثة مع كثير من زعماء العمل الإسـلامي وقادة المجاهدين في أمتنا، فحسـبنا الله عليهم، ولقد كان من أسـباب فشـل محاولات جمع كلمة قادة الأفغان، أن قرار الوحدة كان بأيديهم ويصعب على كثير من الناس أن يُقَدِّروا مصلحة الجهاد والأمة إذا كانوا هم طرفاً في تلك المعادلة، فتتلبس على القائد أو الأمير الأمور العامة بالخاصة، ويعتقد أنه هو وحزبه أفضل من يقود عموم المجاهدين لنصرة الدين، ومن هنا يزداد تمسكه بالإمارة وتتضخم عنده أخطاء غيره من القادة والأحزاب، ولا يرى أخطاء نفسه وحزبه، ففي مثل هذه الحالة يكون هو المدعَى عليه، وفي نفس الوقت هو القاضي فلا يستطيع أن يحكم على نفسه بوجوب اعتزال الإمارة والتنازل لصالح أمير آخر قد يجتمع عليه معظم المسـلمين، وحالهم في هذه المصـيبة كحال الملوك والرؤساء في بلادنا.)

وقال –رحمه الله– في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (ولكن السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة هو؛ هل هذه الحكومات في العالم الإسـلامي مهيَّأةٌ لأن تقوم بهذا الواجب للدفاع عن الملَّة والأمَّة؟ وأن تتبرَّأَ من ولائها لأمريكا؟

فتعالوا لننظر نظرة موضـوعية لتاريخها في قضـايا الأمَّة المصـيرية، ليتبيَّن لنا ملامح ومعالم سـياسـتها، حتى لا يسـير بنا هؤلاء إلى طريق مسـدود، ولِأَن يجرِّبوا أمرًا قد جُرِّبَ لعقودٍ طويلة.

أولاً: موقفها من العدوِّ الصـليبي في الحرب العالمية الأولى عندما هجم على العالم الإسلامي وأراد إسقاط الدولة العثمانية، فإنَّ هؤلاء الحكام خرجوا على هذه الدولة،

وفرَّقوا جماعة المسلمين وساهموا مساهمة فعالةً في القتال ضدَّها، مما أدَّى إلى سقوطها تحت الاحتلال الصليبي، وتقسيمها إلى بضعٍ وخمسين دولة، وكان الدور البارز في تلك الخيانات للملك عبد العزيز آل سعود والشريف حسين وأبنائه.

ثانيًا: قضية فلسطين؛ إنَّ مواقف هؤلاء الحكام في هذه القضية المحورية منذ تسعة عقود هو تعهُّدهم للإنجليز بالسماح لليهود بتكوين دولةٍ لهم على أرض فلسطين، ثم الخذلان لأهل فلسطين، بل والمخادعة لهم مراتٍ عديدة لكي يلقوا السلاح، كان من أبرزها محاولة تمَّت للملك عبد العزيز آل سعود، ثم لما صدر قرار المنظمة الصهيونية، أو ما يُعرف بـ "الأمم المتحدة"، لتقسيم فلسطين ولإقامة دولة يهودية فيها؛ فلم يحرِّك حكام العرب ساكنًا، بل بقوا أعضاء في هذه المنظمة، وما زالوا إلى اليوم، ولم يفعلوا شيئًا يُذكر للحيلولة دون ذلك إلا بما يندى له الجبين.

فلمَّا قامت دولة اليهود، بعد قرار التقسيم بعام؛ نشبت حرب مصطنعة، ثم ما لبث حكام الدول العربية أن وافقوا على توقيع هدنةٍ مؤقتة استجابةً لأمر أمريكا التي طلبت منهم في العام الذي يليه هدنةً دائمة، وهكذا كادوا يَئِدون فلسطين وأهلها وهم أحياء، ولكنَّ الله سلَّم.

ثم استمرت المؤامرات مرورًا بمؤتمر مدريد وما تبعه، وتواصلَ السعيُ لإجهاض الانتفاضة الأولى، ثم ما جرى في مؤتمر "شرم الشيخ" عام ١٤١٦ للهجرة -الموافق ٩٦ للميلاد- بدعمهم لليهود والنصارى ضدَّ المستضعفين من أهلنا في فلسطين، ثم مبادرة بيروت التي تضمَّنت الاعتراف باليهود، وجزءًا كبيرًا مما احتلُّوه من أرض فلسطين، وأخيرًا مؤامرة "خارطة الطريق".

وخلال هذه المؤامرات ينثرون بعض الأموال على أهل فلسطين من باب ذرِّ الرماد في العيون، وإلا فالتاريخ والواقع يشهد عليهم خلال العقود التسعة الماضية أنَّهم لم يُرجعوا شيئًا من فلسطين.

إلا أنَّ ممَّا يثير الدهشة والذهول ويبعث على الاشمئزاز؛ موقفُ هؤلاء الحكام من أُسَرِ المجاهدين الذين يقومون بالعمليات الاستشهادية، فقد كانوا ينتظرون خيرهم فجاؤوهم بشرِّهِم، فلم يكتفوا بشجبها وإنَّما قاموا بما هو أشدُّ وأنكى، فانظروا إلى حال تلك الأسر، وتأمَّلوا حال كل أختٍ من أخواتنا الأرامل هناك ممن قُتِلَ زوجها على يد اليهود، وقَدَّمَ ابنها نفسه رخيصةً في سبيل الدين والذودِ عن حياض المسلمين، فجاء جنودُ اليهودِ بعد أن تركهم أصحاب العروش والجيوش ليعيثوا في أرض القدس فسادًا ويُهلِكوا الحرث والنسل، فأخرجوها بالقوة من بيتها إلى الطريق، ثم نسفوه بما فيه ولم يمكِّنوها من أخذ متاعها الزهيد، فسارت هائمةً في الطرقات على وجهها، والدموع قد أخذت مجراها، وهي تجرُّ صغارها وصغارَ الشهيد –نحسبه والله حسيبه– لا تدري إلى أين تتَّجه، ولا إلى أين تسير من تكاثرِ المصائب عليها، ولكن بفضل الله كان بعض أصحاب القلوب الرحيمةِ من بلادِ الحرمين وغيرها يرسلون بعض زكواتهم لهذه الأُسَر من الأرامل والأيتام، يخفِّفون بها بعض مصابهم، فإذا بذلك الأمير الفظِّ الغليظ الجوَّاظ المتكبر؛ عبد الله بن عبد العزيز يأمر بمنع المحسنين من إرسال أموالهم، حتى تتوقَّف العمليات!

فأيُّ قلبٍ هذا الذي يأمر بهذه الأفعال؟!

أهو قلب بشر؟! أم أنَّه قَدْ قُدَّ من حجر؟!

وأي نذالةٍ هذه؟! وأي خِسَّةٍ هذهِ؟!

أن تَتَتَبَّعَ دُرَيهماتٍ تصـــلُ إلى الأرملةِ واليتيمِ والمســـكين، وكيف يُرتجى الخير لنا أو الدفاع عن البلاد والعباد من أمثال هؤلاء؛ أصحاب القلوب القاسية.

وبعد هذا كله يزعم المنافقون عباد الدرهم والدينار؛ أنَّ هؤلاء ولاة أمر لنا، وسيقومون بالدفاع عنَّا!

وإن تعجب فعجبٌ قولُ بعض دعاة الإصـــلاح؛ بأنَّ طريق الصـــلاح والدفاع عن البلاد والعباد يمرُّ بأبواب هؤلاء الحُكَّام المرتدين!

فأقول لهؤلاء: إن كان لكم عذرٌ في القعود عن الجهاد، فهذا لا يُبيحُ لكم أن تركنوا إلى الذين ظلموا فتحملوا أوزاركم وأوزارَ من تُضِـلُّون، فاتقوا الله في أنفســكم، واتقوا الله في أمَّتكم، وإنَّ الله تعالى غنيٌّ عن مداهنتكم للطغاةِ من أجلِ دينه، فقد قال ســبحانه: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾، ولِأَنْ يَقعُدَ المرءُ في أدنى طريقِ الحقّ خيرٌ له من أن يقفَ في أعلى طريق الباطل.

ثالثًا: إنَّ دول الخليج قد شـــهدت بعجزها -بلســـان الحال والمقال- عن مقاومة القوات العراقية، واســتنجدوا بالصــليبيين -وعلى رأســهم أمريكا- كما هو معلوم، فكيف ستقف هذه الدول أمام أمريكا والقوات العراقية التي تُجَنَّدُ اليوم تحت إمرتها؟!

إنَّ القرار الذي اتَّخذه "جابر الصـــباح" ومن معه يوم غزو العراق للكويت، عندما أطلقوا ســيقانهم للريح، هو القرار الراجح الذي ســيَّتخذه جميع حكام الخليج، ما لم

يتمَّ التفاهم بينهم وبين أمريكا على أن يتخلُّوا عن عروشــهم الحالية، ويُعْطَوا وظائفَ دون ذلك لمخادعة العوام وحمايةِ مصـــالح أمريكا، وأن يتعهَّدوا بأن لا يســـألوا عن النفط ودخله، كحال عملائهم في مجلس الحكم الانتقالي في العراق.

ثم إنَّ ممَّا يؤكد على نفســـياتهم الانهزامية ورضـــوخهم للمحتل وكيفية التعامل معه؛ هو استقبالهم لأعضاء ذلك المجلس الانتقالي والتعاون معهم.

وخلاصة القول:

إنَّ هذه الحكومات أيَّدت أمريكا وساندتها في الهجوم على دولة عربية، بينهم وبينها عهودٌ للدفاع المشـــترك، زادت من توثيقها له قبل الهجوم الأمريكي بأيامٍ معدودة في "جامعة الدول العربية"، ثم نقضـتها عن بكرة أبيها، فهذا يُظهِرُ موقفها في القضـايا الأساسيةِ للأمَّة.

رابعًا: إنَّ هذه الأنظمة تذبذبت كثيرًا بخصوص اتِّخاذ موقف بشأن استخدام القوة والهجوم على العراق، فمرةً ترفض المشـــاركة مطلقًا، ومرة أخرى تقيِّدُ ذلك بموافقة "الأمم المتحدة"، ثم تعود لرأيها الأول، وفي الحقيقة أنَّ عدم المشـاركة يأتي تمشِّـيًا مع الرغبات الداخلية لهذه الدول، إلا أنَّهم أخيرًا استسلموا ورضخوا للضغوط الأمريكية، وفتحوا قواعدهم البرية والجوية والبحرية مســـاهمةً في الحملة، برغم الآثار الكبيرة والخطيرة التي ســـتترتب على ذلك، وأهمُّها؛ أنَّ ذلك ارتكابٌ لناقضٍ من نواقض الإســلام، وخيانةٌ عظمى للأمَّة، وما يتبع ذلك من غضــبٍ شـعبي، وتهيئةِ الأجواءِ للخروج على هذه الأنظمةِ العاجزةِ الخائنةِ المرتدة.

وأهمُّ وأخطرُ من ذلك في نظرهم؛ ألاَّ يُفتح باب إسقاط الأنظمة الدكتاتورية بالقوة المسلحة من الخارج، وخاصةً بعدما رأوا أَسْرَ رفيقِ دربهم السابق في الخيانةِ والعمالةِ لأمريكا، عندما أمرته بإشعال حرب الخليج الأولى ضدَّ إيران لما خرجت عن طاعتها، فأكلت الحربُ الأخضرَ واليابس وأدخلت المنطقة في تيهٍ لم تخرج منه إلى اليوم، وما الحروبُ اللاحقةُ إلا من تداعياتها.

فهم يعلمون أنَّ الدور قادمٌ عليهم، وهم لا يملكون الإرادة لاتخاذ القرار الصعب لصدِّ العدوان، فضلاً عن أن يملكوا القوة المادية لذلك -من وجهة نظرهم- وقد حيلَ بينهم وبين إنشاءِ قوةٍ عسكريةٍ كبيرة لِمَا أُخِذَ عليهم من عهودٍ ومواثيقَ سِرِّيَّةٍ منذُ زمنٍ بعيد.

خامسًا: وممَّا يوضِّح موقفهم من قضايا الأمَّة؛ ما قاموا به من مناصرةٍ لأمريكا بفتحِ قواعدهم مساهمةً منهم معها في حملتها الصليبية على أفغانستان، ولا يخفى أنَّ هذه مناصرةٌ ومظاهرةٌ صريحةٌ للكفَّارِ على دولةٍ إسلامية، وذلك كفرٌ أكبرٌ مخرجٌ من الملَّة.

سادسًا: ولعل من المواقف الظاهرة الجليَّة التي تنبئ بموقف حُكَّام الخليج؛ إذا تعرَّضَ أحدهم لضغوطٍ أمريكيةٍ حتى يسلِّم المناطق النفطية لها؛ هو دعمهم الجماعي لما سُمِّيَ بـ "مبادرة زايد"، حيث طالبوا (صدَّام) بأن يُسَلِّمَ العراقَ وشعبَهُ ونِفْطَهُ على طبقٍ كغنيمةٍ باردة، وأن يتنحَّى عن السلطة ويوفِّروا له لجوءً سياسيًّا بحجة ألا تُسفك الدماء في العراق، وقد أكَّد "سعود الفيصل" على هذا المبدأ مِرارًا وبلا حياء، وظاهر هذا المبدأ -مع ما سبق- يُظهرُ أنَّ حُكَّامَ الخليج إذا تعرَّضوا لضغوطٍ أمريكيةٍ لاحتلال مناطق النفط فسوف يكرِّرون نفس الموقف بما فيهم حاكم الرياض.

ســـــابعًا: ومن أظهر الدلائل التي تنبئ بموقف الحُكَّام تجاه صـــدِّ العدوان؛ موقفُ كبيرهم، عندما أطَّتْ جزيرةُ العرب تحت جنازير الدبابات الأمريكية، وضـــجَّت بحارها من حاملات الطائرات الصليبية بأحدث العتاد والأسلحة لاحتلال المنطقة، فإذا بكبيرهم الذي علَّمهم الخنوع يخرج على الملأ ليبُثَّ في الأمَّة الاستسلام والمذلَّة والخضوع، ويقول: (إنَّ هذه الحشود ليست للحرب)، يا للعار والشنار!

إذا كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ   وإن كنتَ تدري فالمصيبةُ أعظمُ

وخلاصةُ القول:

إنَّ الحاكم الذي يؤمن ببعض الأفعال التي سبق ذكرها، لا يستطيعُ أن يدافع عن البلاد، فكيف إذا كان يؤمن بها كلِّها ومارسها مراتٍ ومرات؟!)

وقال -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (فهذه الأُسَـــر الحاكمة العميلة الظالمة في المنطقة اليوم والتي تقمع كل حركة إصلاحية وتفرض على الشعوب سياسات ضد دينها ودنياها إنَّما هي نفس الأُسَر التي ناصرت الصليبيين ضد المسلمين قبل قرن من الزمان، وهي إنَّما تقوم بذلك بالوكالة عن أمريكا وحلفائها وهذا يشكِّل امتدادًا للحروب الصليبية السابقة على العالم الإسلامي.

وبنظرة على السياسات الداخلية لبلادنا، يتَّضح لنا مدى السيطرة الصليبية الصهيونية عليها، فالتدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية حَدِّثْ عنه ولا حرج، فلا

يمكن تعيين ملك أو نائب له إلا بموافقة أمريكا، وهذا بناءً على اتفاقيات بين الملوك السابقين والحكومة الأمريكية.

كما أنَّ مهزلة الحكم القائم اليوم في بلاد الحرمين هي بموافقة أمريكا، لتحول دون انفلات الوضع كتصاعد خلافات الأمراء إلى الأسوء وخاصة في هذه السنوات الأخيرة الحرجة.

فحالة الحكم هذه في بلاد الحرمين حالةٌ لا يعرف لها التاريخ شبيهًا، فقد يُحكم الشعب بعد موت الحاكم لساعات أو لأيام باسمه كما في حادثة شجرة الدر، أمَّا أن تُحكم البلاد بطولها وبعرضها باسم ملك لم يعد يعلم من بعد عِلمٍ شيئًا لعقد من الزمان فهذا من العجائب!!

فهو لم تسقط ولايته شرعًا فقط لارتكابه نواقض في الإسلام، بل سقطت ولايته أيضًا لعجزه وفقده القدرة العقلية اللازمة لإدارة أدنى الأمور فضلاً عن إدارة البلاد والعباد، فينبغي على أشقائه أن لا يحمِّلوه ما لا يطيق، وهم إنَّما يُصِرُّون على بقائه لرفضهم أن يصبح أخوهم من أبيهم عبد الله ملكًا على البلاد فتتقلَّص صلاحياتهم ويستأثر بالأمر من دونهم. وهو لا يستطيع أن يتجاوزهم لسيطرتهم على زمام الأمور وخاصَّة وزارتي الدفاع والداخلية، وكذلك الاستخبارات، وأهم من ذلك سيطرتهم على الديوان الملكي، ممَّا يمكِّنهم من إصدار مرسوم ملكي من ولي الأمر المزعوم لعزله وتنصيب بديل عنه.

وهذا الاختلاف الحادُّ داخل الأسرة، فضلاً عن ظلمهم للشعب مَكَّن أمريكا من أن تبالغ في ابتزاز الأمراء المتنافسين وخاصَّة الأمير عبد الله لمطالبها، فهو يعلم علمًا مؤكدًا أنَّه لو لم يستجب لأوامرها فمصيره في أحسن الأحوال العزل على أيدي إخوانه كما عزلوا أخاهم الملك سعود من قبل، فهو على علم بأنَّ منافسيه أصحاب تجارب سابقة، وأنَّهم مستعدون للقيام بما هو أكبر من العزل إن لزم الأمر.

ومن أراد مثالاً حيًّا قريبًا على دور أمريكا في قرار العزل فلينظر إلى الأمير الحسن بن طلال في الأردن فبعد أن بقي لبضعة عقود نائبًا للملك رجع أخوه الحسين من أمريكا قبل وفاته بأيام ومعه قرار العزل لأخيه وعَزَلَه، فاستكان للأمر وأصبح صفرًا سياسيًّا، وهذا ما يخيف الأمير عبد الله إن عصى وَلِيَّةَ أمره أمريكا، وبالتالي لا يخفى أنَّ أصحاب القرار في الأمور العظام هم في أمريكا.

وممَّا يدل على عمق السيطرة الصليبية على بلادنا، تنفيذ هؤلاء الوكلاء للتغييرات التي يفرضها الموكِّل حتى في مناهجنا التعليمية بغرض مسخ شخصية الأمَّة، وتغريب أبنائها، وهو مشروع قديم قد بدأ منذ عقود في مناهج الأزهر بمصر، ثم طالبت أمريكا بقيَّة الدول العميلة بتغيير مناهجها لتجفيف ما تسمِّيه منابع الصحوة. فقد طالبت اليمن بإغلاق المعاهد العلمية قبل أكثر من عقدين من الزمان. كما طالبت أمريكا حكامَ الرياض بتغيير المناهج الدينية فتمَّ ذلك نزولاً عند رغبتها؛ هذا كله قبل غزوتي نيويورك وواشنطن بأكثر من عقد ونصف. فضلاً عن التغيُّرات الإضافية الجديدة التي اعتمدها النظام أيضًا إضافةً إلى عزل الأئمة والخطباء.

وهذا التدخل الصـــليبي في تغيير المناهج هو من أخطر التدخلات في شـــؤوننا على الإطلاق لأنَّه باختصار تغيير للدين، والدين كُلٌّ لا يتجزَّأ، فمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض فهو كافرٌ حقًّا، والمشـــركون هم المشـــركون تشـــابهت قلوبهم، وقد قالوا لرسـول الله ﷺ من قبل مثل هذا وأخبر الله عنهم بقوله: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِـــي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَـيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾.

ولكن حكام الرياض خافوا أمريكا وبدَّلوا المنهج، فلا يخفى أنَّ محصـلة تغيير المناهج الدينية هو خســـارة الدين والدنيا؛ أمَّا الدين فقد عرفتم أنَّها رِدَّة جامحة، وأمَّا الدنيا فإنَّ المناهج سـوف تُخْرِج للبلاد عبيدًا متعلِّمين يوالون أمريكا ويبيعون مصـالح البلاد ويُحْسِـنون التبسُّـم في وجه الأمريكي وهو يحتلُّ الأرض ويفسـد العِرض بذريعة الحرية والمســاواة وقوانين الأمم المتحدة، فهذا نموذج من التدخل الأمريكي في الســياســية الداخلية.

وأمَّا تدخلهم في السياسة الخارجية؛ فإنَّ الأُسَر الحاكمة قد استجابت لأمريكا وهي تؤدي دورها بخياناتها، فهذا الملك حسـين قد واصـل مسـيرة الخيانة التي بدأها جدُّه عبد الله بن الشريف حسين، وأبوه أيضًا ضد فلسطين. فهذا ابنه عبد الله الثاني من بعده في نفس المسيرة، وهذا محمد السادس في المغرب يسير على خط الخيانة نفسها التي سـار عليها أبوه وجدُّه من قبل، وما زال تنفيذهم للمؤامرات الصـليبية مسـتمرة. ففي هذه العجالة لا يتَّسع المجال لاستقصائها، وإنَّما نذكِّر ببعضها لأهميتها.

فهذه حكومة الرياض دخلت في حلف عالمي مع الكفر الصليبي بقيادة بوش ضد الإسلام وأهله. وكما وقع في أفغانستان، وكذلك هذه مؤامرات في العراق قد بدأت ولم تنتهِ بعد، فقد فتحوا قواعدهم للقوات الأمريكية لكي تغزو العراق ممَّا ساعدهم وسَهَّل عليهم احتلالها، وخرج يومها وزير الدفاع السعودي مستخِفًّا بدين المسلمين ودمائهم وعقولهم معترفًا بأنَّ حكومته فتحت مطاراتها للأمريكيين للأغراض الإنسانية كما زعم.)

التأصيل للخروج على الحاكم المرتد والكافر

وقد كانت مسألة التأصيل للخروج على الحاكم المرتد والكافر من المسائل الشرعية التي عني ببيانها وتوضيحها ونشرها علماء الحركة الجهادية في هذا الزمان الذي سيطر وحكم فيه الحكام المرتدون (الطواغيت) بلاد المسلمين..

فقال الشيخ أبو يحيى الليبي -رحمه الله- في "حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان": (وأما أقوال الأئمة في وجوب خلع الحاكم الكافر فكثيرة منها: قول الإمام النووي -رحمه الله-: (قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْإِمَامَة لَا تَنْعَقِد لِكَافِرٍ، وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْر اِنْعَزَلَ، قَالَ: وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَة الصَّلَوَات وَالدُّعَاء إِلَيْهَا... قَالَ الْقَاضِي: فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْر وَتَغْيِير لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَة خَرَجَ عَنْ حُكْم الْوِلَايَة، وَسَقَطَتْ طَاعَته، وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَام عَلَيْهِ، وَخَلْعه وَنَصْب إِمَام عَادِل إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ، فَإِنْ لَمْ يَقَع ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمْ الْقِيَام بِخَلْعِ الْكَافِر، وَلَا يَجِب فِي الْمُبْتَدِع إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَة عَلَيْهِ، فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْز لَمْ يَجِب الْقِيَام، وَلْيُهَاجِرْ الْمُسْلِم عَنْ أَرْضه إِلَى غَيْرهَا، وَيَفِرّ بِدِينِهِ.) [شرح النووي على مسلم: ٦/ ٣١٤].

وقال العلامة الملا علي القاري -رحمه الله-: (وأجمعوا على أن الإمامة لا تنعقد لكافر ولو طرأ عليه الكفر انعزل وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها وكذا البدعة..) [مرقاة المفاتيح: ١١/ ٣٠٣]، ثم نقل كلام القاضي المذكور آنفاً.

وكلام هؤلاء الأئمة يتضمن أمرين:

الأول: أن انعزال الحاكم عن ولايته يحصل بمجرد طروء الكفر عليه، بمعنى أن صفة الولاية الشرعية تنتزع منه مباشرة عند اتصافه به وتلبسه بالكفر البواح الصراح، فلا يبقى في أعناق الناس شيءٌ من حقوق الولاة عليهم، فلا بيعة، ولا سمع ولا طاعة، ولا يمضي له عقد، ولا يُلزم الناسَ بعهد، فوجود الشوكة والقوة والتمكين وتسيير الأمور وإدارة البلاد من قِبل الحاكم الكافر لا يجعله بذلك والياً شرعياً، لأن ثوب الولاية المعتبرة قد نُزِع منه بوقوعه في الكفر البين، وهذا ما يدل عليه تعبير الأئمة السابق بقولهم "انعزل" وبقولهم "خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته"، فالإمامة الشرعية والكفر لا يجتمعان في شخص، وكما قال إمام الحرمين -رحمه الله-: (الإسلام هو الأصل والعصام فلو فرض انسلال الإمام عن الدين لم يخفَ انخلاعه وارتفاع منصبه وانقطاعه.) [غياث الأمم: ١/ ٧٥].

وهذا يبين لك ما يزل فيه كثيرٌ من الناس المفتونين بثقافة الغرب والمتضلعين من أفكاره والمفتتنين بمصطلحاته من وصفهم لِمن خلع ربقة الإسلام من عنقه من الحكام الكفرة بأنهم الرؤساء الشرعيون، أو أنهم وصلوا إلى الحكم بطريقة شرعية، أو هم ولاة الأمر المعتبرون، وغير ذلك من الأوصاف التي تدل على إثبات صفة الشرعية لهم وهي التي نزعت منهم ورفعت عنهم من حين وقوعهم في الكفر الأكبر المستبين.

ففرقٌ بين العزل والانعزال، فالأول يقتضي تكلفاً وعملاً واجتهاداً من قبل المسلمين لإزاحة الحاكم الكافر من منصبه وإقصائه عن ولايته فلا تبقى له يدٌ في إدارتها

وتسييرها، وأما الانعزال فمن معانيه عدم بقاء الصفة الشرعية للولاية في حق الكافر المتغلب، بمعنى أنه لم يعد والياً -ولو مع وجوده وقوته وتمكنه- يستحق شيئاً من حقوق الولاية، لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً.

الثاني: وهو ما يترتب على هذا "الانعدام الشرعي" أو الانعزال الذي حصل للمتولي الكافر، وذلك وجوب القيام عليه وخلعه وتنصيب إمامٍ للمسلمين يقوم مقامه وهو ما عبر عنه الأئمة بقولهم فيما نقلناه آنفاً: (وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَام عَلَيْهِ، وَخَلْعه وَنَصْب إِمَام عَادِل)، فهذا الحكم الشرعي مبنيٌ ومعلَّلٌ بالأمر الأول وهو وقوع الحاكم في الكفر.

ومعلومٌ أن الأئمة متفقون على وجوب تنصيب إمام للمسلمين يأمن سبلهم ويحفظ بيضتهم ويقيم فيهم أحكام الملة، كما قال الإمام القرطبي -رحمه الله- عند قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة/٣٠]، قال: (هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم، وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه.) [تفسير القرطبي: ١/ ٢٦٤].

وهذا الحكم يتأكد إن كان منصب الإمامة قد تغلب عليه حاكمٌ كافرٌ وذلك لعظم المفسدة التي تترتب على بقائه وتحكمه، ففرقٌ بين شغور منصب الإمامة شغوراً حقيقياً لعدم مَن يقوم عليه وبين أن يسدَّه رجلٌ كافرٌ محادٌّ لله ولرسوله، فإن ضرر الثاني على المسلمين أشد وفساده أكبر لدعوته الناس إلى الكفر ترغيباً وترهيباً،

وحسده للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله كما قال تعالى: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [البقرة/١٠٥]، وقال عز وجل: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**﴾ [البقرة/١٠٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**﴾ [النساء/٨٩]، وقال عز من قائل: ﴿**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾ [الممتحنة/٢].

ومبنى إجماع وجوب خلع الحاكم الكافر هو حديث النبي ﷺ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.) رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: (وملخصه أنه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض.) [فتح الباري: ١٣/ ١٢٣] ......)

وقد شارك الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- العلماء وطلبة العلم في بيان هذه المسألة وبيان ضوابطها التي يجب مراعاتها فقال -رحمه الله- "الخلاف والنزاع

بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (وبعدما اتَّضح هذا فإنَّ الحل لإصلاح الأوضاع هو كما وضَّحه الشرع، وذلك بخلع الحاكم من الإمارة، فإن أبى وامتنع وجب القيام عليه بالسلاح وخلعه، وهذا هو حكم الشرع الذي يحفظ للناس دينهم ودنياهم. والنظام من جانبه قد عَرَضَ حلاًّ مشابهًا لحفظ تشريعاتِهِ ودنياه! فعرض على المصلحين أن يخضعوا لتشريعات الملك ومراسيمه -أي دين الملك- بدون قيد أو شرط، وإمَّا أن يكون الحوار بالسيف والبندقية كما قال وزير الداخلية.

ومعلومٌ أنَّ كلَّ صاحبِ دينٍ -حقًّا كان أو باطلاً- لا بدَّ له من سلاح ليقيم دينه، فكيف يجوز لعاقل وهو يرى الحاكم المرتد وجنوده مدجَّجين بالسلاح ثم يزعم أنَّه يريد الإصلاح بالحلِّ السلمي، فهذا من أعظم الباطل، وهذا تخذيل عن إقامة الحقِّ، فنحن هنا لا نتحدَّث عن حاكم فيه بعض الفسق أو الفجور، وإنَّما نتحدَّث عن ردة وعمالة للكفار.

فكما أنَّه لا فرق بين بريمر -الحاكم الأمريكي السابق في بغداد- وعلاوي -الحاكم الحالي- في تنفيذ سياسات أمريكا في العراق فإنَّه لا فرق بين بريمر وباقي حكام المنطقة لتنفيذ سياسة أمريكا.

وقد أجمع علماء الإسلام على أنَّ الولاية لا تنعقد لكافر فإذا طرأ عليه الكفر سقطت ولايته ووجب القيام عليه بالسلاح؛ قال القاضي عياض -رحمه الله-: (أجمع العلماء على أنَّ الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنَّه لو طرأ عليه الكفر انعزل)، وقال أيضًا: (فلو طرأ عليه كفرٌ وتغيير للشرع أو بدعة؛ خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن

أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنُّوا القدرة عليه، فإن تحقَّق العجز لم يجب القيام.)

إذن فالقول بالخروج على الإمام الكافر ليس قولنا وإنَّما هو قول إجماع الأئمة، وهذا هو حكم الشرع في مثل حالنا، لذا يجب على المسلمين جميعًا أن يتحرَّكوا للإصلاح آخذين بالاعتبار حجم الخلاف وأبعاده، وأنَّ هذه الأنظمة ما هي إلا جزء من منظومة الكفر العالمي، ويكون الإصلاح وفق شرع الله، وإلا فهو الإعراض عن شرع الله والاستنزاف للأوقات والجهود والتيه والضياع هذا إذا كان الجهل وحَسُنَت النوايا، أو الدجل والخداع إذا كانت الأخرى.

فالذين يرفضون الحوار المسلح من أبناء البلاد مع الحكومات لاسترجاع الحقوق؛ هؤلاء يغالطون مغالطة كبرى، فلا يمكن استرجاع الحقوق من النظام عندما يرتد الحاكم ويرفض التنحِّي باللين إلا بقوة السلاح.

وهم ومن على شاكلتهم من أصحاب هذا المذهب في ضلال مبين، سواء الذين قد دعوا صراحة إلى ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام وذلك بمساعدة الكفار على احتلال بلاد الإسلام -كما صرَّح بعضهم بذلك تحت غطاء وخدعة المساعدة في استخلاص حقوقنا من الحكام-، أو القسم الآخر الذين يخلطون الحقَّ بالباطل ويرفضون التعاون مع الكفار لاحتلال البلاد -وهذا حقٌّ- ويرفضون خلع الحاكم المرتد بالقوة أيضًا -وهذا باطل-؛ محصلة منهجهم واحدة.

فهؤلاء منهجهم غاية في الخطورة لوجهين:

أولاً: أنَّهم على خطر عظيم لأنَّهم زاحموا شرع الله بأهوائهم، وهذه من الكبائر العظام كما لا يخفى، ولا يمكن أن تصدر عن مسلم، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾.

ثانيًا: إنَّ هؤلاء يشاركون في صدِّ الناس عن منهج الله وفتنتهم في دينهم، حيث يمنعونهم من أخذ حقوقهم بالطرق التي شرعها الله ممَّا يدفع المنافقين والجهلة إلى التفكير بالأخذ بمذهب تحالف الشمال وأمثاله، كعلاوي ومن معه، فهذا لا يجوز بحال.)

وقال-رحمه الله- في "حي على الجهاد -كلمة إلى أهل باكستان-": (وقد يقول بعض المنافقين من علماء السوء وغيرهم بأن الإسلام يأمرنا بأن نبقى بعضنا مع بعض الشعب مع الجيش والحكومة للوقوف في وجه الأعداء ولتجنب الفتن فأقول: إن من يقول هذا الكلام هو يفتري على الله الكذب. فالحكومة والجيش قد أصبحوا أعداء للأمة بعد أن صاروا سلاحاً في يد الكفار على المسلمين وهم يرفضون الاحتكام لدين الإسلام في جميع شؤون الحياة كالسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها من الشؤون وإن الله تعالى قد أمر بقتال هؤلاء وأمثالهم وليس بالتوحد معهم والتمسك بهم كما يزعم أولئك المنافقون. قال الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ**

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾، فإذا كان الدين بعضه لله تعالى وبعضه لغير الله تعالى وجب القتال ليكون الدين كله لله تعالى.

ولقد جاهدنا بفضل الله تعالى مع المجاهدين الأفغان ضد الروس وكان الجيش الأفغاني سلاحاً في أيديهم ضدنا وكانوا يصلون ويصومون ومع ذلك أفتى كبار علماء العالم الإسلامي بقتالهم بما فيهم علماء باكستان. وبعد خروج الروس أيضاً أيّد علماءُ باكستان طالبان ضد تحالف الشمال رغم أنهم يصلون ويصومون كذلك. فهل هناك فرق بين برويز وجنده وأحمد شاه مسعود ورباني وسياف وجنودهم؟ لا فرق البتة، فكل منهم تكفل للصليبيين بقتال الإسلام الحق وأهله، والذين يقولون بعدم جواز قتال برويز وجنده واستثنوه من الحكم العام في قلوبهم مرض آثروا الدنيا على الآخرة.

قال الله تعالى: **﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ﴾**، ثم إني أقول لبرويز وجيشه: لقد افتضح أمركم وخيانتكم ضد أمتكم وشعبكم، ولم يعد ينطلي على الناس استعراضاتكم الحربية بإطلاق بعض الصواريخ بعد كل مصيبة ومجزرة تقومون بها ضد الشعب كما تكرر مراراً في المناطق الحدودية أو بعد المجزرة الكبرى في المسجد الأحمر مؤخراً، فما النفع العائد على الأمة من أسلحتكم هذه وتجاربكم؟ وكذا القنبلة النووية نفسها: فعندما جاءك وزير الخارجية الأمريكي باول، جبنتم وركعتم وخضعتم له خضوع العبيد الأذلاء وأبحتم باكستان بلاد الإسلام بأجوائها وترابها ومياهها للقوات الصليبية الأمريكية لقتل أهل الإسلام في أفغانستان ثم في وزيرستان، فتباً لكم وسحقاً:

أعلى الشعوب قساور صيالة   وعلى العدو أرانب ونعام

ثم إن ذهابك إلى مكة المكرمة وطوافك بالبيت العتيق لن ينفعك مع الكفر ومحاربة الإسلام وأهله ولو كان ينفع أحداً مع الكفر لنفع أبا لهب عم رسول الله ﷺ. ثم قد يقول قائل: إن الخروج على برويز بالسلاح سوف يؤدي إلى سفك الدماء فأقول: إذا كان الأمر بقتال الحاكم المرتد هو من عند الناس كعمر وزيد فهنا يجوز أن تتدخل العقول والآراء وتتحاور لترى ما تفعل وما لا تفعل وأما وقد علمتم أن الأمر بقتال الحاكم المرتد هو أمر في شريعة الله تعالى فعندئذ لا يجوز للمسلم أن يزاحم برأيه أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً**﴾ فمتى وجدت الاستطاعة وجب الخروج على الحاكم المرتد وهذا هو واقع الحال ومن اعتقد أن القوة المطلوبة للخروج لم تستكمل بعد فيجب عليه استكمالها والخروج المسلح على برويز وجيشه من غير تسويف.

ثم إن برويز ومعظم حكام المسلمين قفزوا إلى الحكم واغتصبوه وحكمونا بغير ما أنزل الله تعالى بقعقعة السلاح، ولن يرجع الأمر إلى نصابه بالانتخابات والمظاهرات والصياح، فاحذروا الانتخابات الشركية والعبث فلن يفل الحديد إلا الحديد. فبالقتال في سبيل الله وتحريض المؤمنين يُكَفُّ بأس الكفار. قال الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾ والقتال في سبيل الله عبادة، وهي قائمة على التضحية بالنفوس، فتُسفكُ الدماءُ المسلمةُ وتُراقُ لحفظ الدين الذي لم يصلنا إلا

بعد أن كسرت رباعيته ﷺ وشج في رأسه ودُمِيَ وجهه الشريف وأريقت دماء خير الناس كحمزة ومصعب وزيد وجعفر رضي الله عنهم فهذا هو السبيل فاتبعوه.

نسي الناس طريق النصر
حسبوه يـأتي في يســر
أو من غير دمـاء تجري
أيــن جهـاد رسـول الله

وخلاصـة القول: يجب على المسـلمين في باكسـتان أن يقوموا بالجهاد والقتال لخلع برويز وحكومته وجيشـــه ومن أعانه وعليهم أن يبايعوا أميراً للمؤمنين يلتزم بالتحاكم إلى شريعة الله بدلاً من دستور برويز الوضعي الشركي.

ولن يفلح المســلمون في التحرر من العبودية لبرويز وقوانينه الشــركية حتى يفلحوا في التحرر من كثير من الزعماء والعلماء المنتسبين إلى الإسلام زوراً وهم في الحقيقة خط الدفاع الأول عن برويز وحكومته وجيشه، وقد رأيتم بأعينكم مواقفهم من قبل عندما تحركوا لا لفك الحصـار عن المسـلمين في أفغانسـتان وإنما لفك الحصـار عن القواعد والمطارات التي أعطاها برويز لأمريكا وكانت تنطلق منها الطائرات لتدكنا في توره بوره وفي كابل وقندهار وبكتيا وننكرهار وغيرها من الأماكن.

وللعلم فإن برويز لم يتجرأ على غزو المســـجد الأحمر وجامعة حفصـــة إلا بعد أن اطمأن أن معظم علماء وزعماء الجماعات قد نبذوا الجهاد الذي شــــرعه الله تعالى لإحقاق الحق وعقدَ رايتَه رسـول الله ﷺ، ثم اسـتبدلوه بالحلول الديموقراطية الشـركية

وبالمظاهرات السـلمية والتوعدات الوهمية لامتصـاص غضـب الجماهير وقد جربهم برويز من قبل يوم أن قسـم ظهر الإمارة الإسـلامية في أفغانسـتان فجاءوه بعدها طائعين مختارين للمشاركة في مجلس النواب الشركي وكأن شيئا لم يكن.

فيا أهل الإسـلام في باكسـتان: إن الحق أكبر من الجميع وإن لم يكن الحق فوق الجميع وإذا لم نقم الحدود على الشريف والضعيف فذلك طريق الهلاك، كما أخبرنا رسـول الله ﷺ حيث قال: «فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سـرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» متفق عليه.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة مفتوحة إلى الملك فهد بمناسبة التعديل الوزاري الأخير": (وبناءً على ما تَقَدَّم: فإنّ ما تقوم به الأُمَّة وفي صدارتها العلماء والمصلحون والتجار وشـيوخ القبائل ضـد نظام حكمكم لن يدخل قطعاً في باب الخروج المحظور على الحكّام، لأن نظام حكمكم فاقد للمشروعية كما بينا والمعدوم شرعاً كالمعدوم حساً، كما قرر أهل العلم، والحاكم إذا ارتد وجب الخروج عليه بإجماع الأمّة!! لكنّ هذا أيضاً لا يعني أن كل تصرف من هذا القبيل يكون صواباً بالضرورة، فلكل مرحلة من مراحل التغيير مقومات عملها ووسـائله وأهدافه. وتحديد ذلك لا يمكن باجتهاد شـخصـي متعجل، أو قرار فردي مُستفَز، بل يتم من قِبل قيادات الأمة من العلماء الصـادقين والدعاة المصـلحين الذين أثبتت المحن والابتلاءات جدارتهم وأهليتهم للتصدر لمثل هذه الأمور العظام.

ولا شـــكَّ أنه في مقدمات واجبات المرحلة الحالية الصـــدع بالحق والجهر به وبيان معاني ومقتضـيات لا إله إلا الله وما يترتب على الخروج عنها حتى تكون الأمة على بصيرة من دينها ووعي من أمرها.

وبعيداً عن هذا وذاك، فإننا نرى أيها الملك أن من مصـــلحتك الشـــخصـــية ومن مصلحة عائلتك ومن حولك، وقد تقدمت بك السن ودب إليك المرض وحاصرتك الأزمات الداخلية والخارجية، أن تجنب الأمة والبلاد والعباد، مزيداً من العناء والشقاء والأزمات والاضطرابات. وأن تقدم استقالتك فتريح وتستريح وتترك الأمة تمارس حقها بواســـطة أهل الحل والعقد في اختيار من ينقذها من هذه الهاوية التي قدتها إليها، بعد أن انقطع الأمل في أن تصلح من حالك بعد أن تقدمت بك السن وشخت، فقديماً قال الشاعر:

فإنَّ سِفَاهَ الشيخِ لا حِلمَ بعده   وإنَّ الفتى بعد السفاهة يحلمُ.)

دور جيوش الدول الإسلامية في حرب الإسلام

إن الأجهزة العسكرية والاستخباراتية من أوتاد الأنظمة الحاكمة وأدواته التي تدير وتحمي بها سلطانها ولها الدور الأكبر في حفظ سلطانها.. من هنا رأينا الإمام المجدد -رحمه الله- يبين حقيقة جيوش الأنظمة الحاكمة لبلاد المسلمين ويكشف عن دورها الخبيث في محاربة الإسلام وأهلة الذي تقوم به فقال -رحمه الله- في "حي على الجهاد -كلمة إلى أهل باكستان-": (في مثل هذه الأحداث يتمحص الناس فيتميز أولياء الرحمن من أولياء الشيطان. فالعلماء الذين هم من أولياء الرحمن يصدعون بالحق وإن عجزوا أو ضعفوا سكتوا ولم ينصروا الباطل بقول أو فعل، وأما أولياء الشيطان فتقودهم الاستخبارات العسكرية الباكستانية لقول الباطل ونصرة أهله، فمنهم من يوجب الوحدة مع برويز وجيشه، وآخر يحرم العمليات الفدائية الاستشهادية ضد جنود الطاغوت، وآخر يتهجم على المجاهدين يغمز فيهم ويطعن، فهذا شأن المنافقين. قال الله تعالى: ﴿**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾ فكل من قعد عن نصرة الإمام مولانا عبد الرشيد غازي فهو من القاعدين، وأما من تهجم عليه مناصرة لبرويز زاعماً أن الإسلام لا يقوم بالقتال مسمياً القتال في سبيل الله إرهاباً في سياق الذم ويقول إن السبيل هو بالمظاهرات السلمية والسبل الديمقراطية فهذا من الضالين الذين اتبعوا سبيل المنافقين.

ولئن كان ثرى باكستان قد شهد وارتوى بدماء إمام عظيم من أئمة الإسلام قبل قرابة عقدين من الزمان هو البطل المجاهد الإمام عبد الله عزام رحمه الله، فقد شهدنا اليوم إماماً عظيماً آخر ليس على مستوى باكستان فحسب وإنما على مستوى جميع أمة الإسلام هو الإمام مولانا عبد الرشيد غازي رحمه الله. فقد طالب هو وإخوانه وطلابه وطالبات جامعة حفصة بتطبيق شريعة الإسلام حيث إن الغاية من خلقنا أن نعبد الله تعالى بدينه الإسلام فقتلوا من أجل هذه الغاية العظيمة. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ فجادوا بأعظم ما يملكون: ضحوا بأنفسهم من أجل دينهم أرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء. ولقد قُتِلوا غدراً وخيانةً على أيدي المرتد الكافر برويز وأعوانه، في حين أن الغرض من الجيش كما زعموا هو أن يحمي المسلمين من الكفار، فإذا بالجيوش تصبح عوناً وسلاحاً في أيدي الكفار ضد المسلمين.

ولقد أضاع برويز قضية كشمير وقيد المقاتلين لتحريرها استجابةً لرغبة الهندوس والنصارى، ثم فتح قواعده ومطاراته لأمريكا لغزو المسلمين في أفغانستان وكما رأيتم من قبل هجوم الجيش على أهل سوات المطالبين بتحكيم الشريعة أيضاً وكذلك هجومه على وزيرستان فضلاً عن غدره وتسليمه لمئات المجاهدين العرب من أحفاد الصحابة رضي الله عنهم سلمهم لرأس الكفر العالمي أمريكا. فبرويز ووزراؤه وجنوده ومن أعانهم شركاء في سفك دم من قتلوا من المسلمين، فمن أعانه عن علم ورضى فهو كافر مثله، ومن أعانه عن علم وإكراه فإكراهه غير معتبر شرعاً إذ أن نفس المكره على القتل ليست بأفضل من نفس المقتول، وقد قال رسول الله ﷺ:

«لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز وجل في النار».
وأقول للجنود المصلين في الأجهزة العسكرية: يجب عليكم أن تستقيلوا من أعمالكم وأن تدخلوا في الإسلام من جديد وتتبرؤوا من برويز وشركه.

وقد يقول بعض المنافقين من علماء السوء وغيرهم بأن الإسلام يأمرنا بأن نبقى بعضنا مع بعض الشعب مع الجيش والحكومة للوقوف في وجه الأعداء ولتجنب الفتن فأقول: إن من يقول هذا الكلام هو يفتري على الله الكذب. فالحكومة والجيش قد أصبحوا أعداء للأمة بعد أن صاروا سلاحاً في يد الكفار على المسلمين وهم يرفضون الاحتكام لدين الإسلام في جميع شؤون الحياة كالسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها من الشؤون وإن الله تعالى قد أمر بقتال هؤلاء وأمثالهم وليس بالتوحد معهم والتمسك بهم كما يزعم أولئك المنافقون. قال الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ**﴾ فإذا كان الدين بعضه لله تعالى وبعضه لغير الله تعالى وجب القتال ليكون الدين كله لله تعالى.)

وقال -رحمه الله- في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (وإن من المصائب التي وقعت على المسلمين يوم أحد، أن ثلث الجيش خضع وانقاد لرأس المنافقين ابن سلول، فانخذل بهم وأمرهم أن لا يقاتلوا الأعداء، وأما اليوم فجميع الجيوش الرسمية للأمة تحت قيادة المنافقين من حكام المنطقة، كما أن معظم الجيوش غير الرسمية تحت قادة الجماعات الإسلامية، وكثير منهم يرون أن هؤلاء الحكام ولاة أمر شرعيين، يحرم الخروج عليهم، فكيف لا تتوالى علينا المصائب؟! وقد بدا ذلك

واضحاً في خذلان هذه الجماعات لغزة وأهلها، وهم ينتظرون إذناً من المنافقين حتى يجاهدوا، فأي استغفال هذا للشباب المسلم!

فالواجب أن نبعد المنافقين والمخذلين عن ميادين القيادة والتوجيه، كما فعل الصحابة -رضي الله عنهم- بعد غزوة أحد، فلما قام ابن سلول ليخطب بالمسلمين كما كان يفعل من قبل، وكان سيداً في قومه يريد بذلك أن يحافظ على مكانته في توجيه الجماعة الأولى، أخذ الصحابة بثيابه من نواحيه وقالوا: "اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت".)

وقال -رحمه الله- في "إلى إخواننا في باكستان (وقاتلوهم) ": (وأذكركم بأن روسيا كانت تستعين بالجيش الأفغاني لقتال المجاهدين، واليوم تستعين به أمريكا للقيام بنفس الدور، فالجيوش والقوى العسكرية في جميع عواصم العالم الإسلامي قد أصبحت أدوات في يد أعداء الأمة من داخلها أو من خارجها أو من كليهما معاً فيحرم الدخول فيها، وقد بدا ذلك واضحاً أيضاً في حرب غزة الأخيرة حيث شاركت قوى عسكرية عربية في محاصرة أهلنا في غزة من جانب رفح مناصرة لليهود، بينما تقوم جيوش دول الجوار الأخرى بمنع المجاهدين من نصرة إخوانهم في فلسطين.

وقد كان المجاهدون يقاتلون الروس والجيش الأفغاني معاً، فحكمه حكمهم، وكان علماء باكستان وغيرها من بلاد الإسلام يفتون بقتالهم وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون لأنهم يقاتلون في خندق الكفار فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وكذا اليوم حال الجيش الباكستاني، فهو وأمريكا في خندق واحد ضد الإسلام فيجب على أهل الإسلام الصادقين قتالهم، ومن يدعي الإكراه على قتل المسلمين فهذا الإكراه غير معتبر شرعًا وبدعوى الإكراه هذه يتم مخادعة كثير من المسلمين حتى بلغ الأمر أن رجال زرداري يروجون لهذه الدعوى بأنهم مكرهون على قتال أبناء باكستان في إقليم الحدود الغربية وإلا فإن أمريكا ستدفع الهند لشن حرب على باكستان، ومما يؤسف له أن بعض المسلمين يردد هذه الدعوى بدون وعي وتدبر، فمثال ذلك كرجل ظالم هددك بالقتل إن لم تقتل أبناءك وإخوانك فهل ستقتلهم أم تقاتله؟ ثم لو افترضنا أنك في حالة عجز عن قتاله فهذه مصيبة قد وقعت عليك أنت فلا يجوز لك لإنقاذ نفسك من القتل أن تقتل نفساً زكية بغير حق. فهذا هو الحكم الشرعي وأما الترويج لدعوى الإكراه هذه والانخداع بها فمحصلتها أن نسمح للحاكم المرتد أن يهدم دين الله تعالى ويستبدله بدين من هواه وهوى موكله، وهذا معاند لرسالات الله ورسله صلى الله عليهم وسلم ومناقض لأمر الله تعالى القاضي بأن يكون الدين كله لله.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (ثم إني أوجه النداء للمسلمين عامة ولشعب العراق خاصة، فأقول لهم:

إياكم ومناصرة قوات أمريكا الصليبية ومن شايعها، وإن كل من يتعاون معها وما انبثق عنها -بغض النظر عن الأسماء والمسميات- كأجهزة الأمن والشرطة والجيش وغيرها أو تحت مسمى مجلس الحكم الانتقالي فهو مرتد كافر مهدور الدم يجب قتله.

وكذلك حكم من يناصـــر الأحزاب الكفرية كحزب البعث العربي الاشـــتراكي والأحزاب الكردية الديمقراطية وما شـــابهها، وإن هذه المناصـــرة والموالاة للكفار هي من نواقض الإسلام العشرة كما لا يخفى، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ وقال: ﴿**بَشِّـــرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً**﴾. فاتقوا الله وتوبوا إليه وتبرؤوا من هذه الأنظمة والأحزاب الطاغوتية وآمنوا بالله وحده وجاهدوا لتكون كلمة الله هي العليا.

ولا يخفى أن أي حكومة يتم تشـكيلها من طرف أمريكا هي حكومة عميلة خائنة، كســـائر حكومات المنطقة، بما فيها حكومتا كرزاي ومحمود عباس اللتان أنشـــئتا لإزهاق الجهاد، وما خارطة الطريق إلا حلقة جديدة في ســـلســـلة المؤامرات لإنهاء الانتفاضـــة المباركة شـــارك فيها أكابر مجرميها: بوش، وشـــارون، وعبد الله بن عبد العزيز، وعبد الله الثاني، وحسني مبارك، ومحمود عباس. فيجب أن يستمر الجهاد إلى أن تقوم حكومة إسلامية تحكم بشرع الله ولا ينبغي أن يكون بيننا وبين المحتلين من اليهود والصليبيين حوار إلا بالسلاح، فإن الشرع أوجب علينا معهم القتال، قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾، وقال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»، وقد قيل:

لهيب الشـــرك لا يطـفـيه إلا الأحمـــر الهطـــل
وقد سندت خطى التوحيد خير البيض والأُسلُ

كما وإن كل من يســـتجيب لأمريكا من الدول أو الأفراد بالمجيء إلى العراق للقيام بأي عمل مناصرة لها فيجب قتله ولو تحت مسميات خادعة كحفظ السلام أو نزع الألغام أو من يأتي تحت مظلة الأمم المتحدة الملحدة، تلك الهيئة الصهيونية الصليبية عدوة العالم الإسـلامي؛ وهل مُنح اليهود دولة على أرض فلسـطين إلا بقرارها الظالم بالتقســيم قبل نصــف قرن من الزمان؟ وكذلك كل من يســتجيب لأمريكا بالمجيء تحت منظمة المؤتمر الإســـلامي أو جامعة الدول العربية فيجب قتاله، وهل ســـلم فلسـطين لليهود في العام الثاني لقرار التقسـيم إلا جيوش الدول العربية السـبع طاعة لأمريكا، وكان من هذه الجيوش: جيش الملك عبد العزيز آل ســعود، وجيش الملك فاروق من مصر، وجيش الملك عبد الله بن الحسين من الأردن، وجميع هذه الجيوش العربية السبع كانت بقيادة الضابط الإنجليزي "كلوب"، فأي خيانة بعد هذا؟!

فيا أيها المسـلمون، إن الأمر جد ليس بالهزل، فمن كان له جهد أو رأي أو نجدة أو بأس أو مال فهذا وقته، ففي مثل هذه الأحداث يتمحص الناس، ويعلم الصـــادق من الكاذب، والغيور على الدين من القاعد، ولمثل هذه المكائد الجســام يُدعى أولو البأس والغيرة على الدين من الرجال العظام ويُرتجى من الحرائر الكريمات المســلمات الأبيـات أن يقمن بـدورهن، فيـا أخوات فـاطمـة وسمية وخولـة وذات النطـاقين؛ إن ســـاحات الوغى تنتظر تحريضـــكن الآباء والأبناء والأزواج والإخوان، وتنتظر

تجهيزكن للغزاة في سبيل الله، فانصرن دين الله بأثمن ما تملكن احتسابًا لما عند الله من الأجر والمثوبة.)

الموقف من العلمانية وإفرازاتها من الديمقراطية ومجالسها التشريعية

إن رسالة الإسلام توجب على المسلمين التصدي والوقوف في وجه المناهج والتشريعات المخالفة لمنهج الإسلام الذي يقوم على قاعدة العبودية لله وحده في جميع مناحي الحياة كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

يقول سيد قطب –رحمه الله– في تقرير هذا الأصل والقاعدة في "في ظلال القرآن": (في ظلال القرآن (٣/ ١٢٣٩)

(إنه مفرق الطريق بين الرسول ﷺ ودينه وشريعته ومنهجه كله وبين سائر الملل والنحل..

سواء من المشركين الذين كانت تمزقهم أوهام الجاهلية وتقاليدها وعاداتها وثاراتها، شيعاً وفرقاً وقبائل وعشائر وبطونا. أو من اليهود والنصارى ممن قسمتهم الخلافات المذهبية مللا ونحلاً ومعسكرات ودولاً.

أو من غيرهم مما كان وما سيكون من مذاهب ونظريات وتصورات ومعتقدات وأوضاع وأنظمة إلى يوم الدين.

إن رسـول الله ﷺ ليس من هؤلاء كلهم في شـيء.. إن دينه هو الإسـلام وشـريعته هي التي في كتاب الله ومنهجه هو منهجه المســتقل المتفرد المتميز.. وما يمكن أن يختلط هذا الدين بغيره من المعتقدات والتصورات ولا أن تختلط شريعته ونظامه بغيره من المذاهب والأوضـاع والنظريات.. وما يمكن أن يكون هناك وصـفان اثنان لأي شريعة أو أي وضع أو أي نظام.. إسلامي.. وشيء آخر...!!! إن الإسلام إسلام فحسـب. والشـريعة الإسـلامية شـريعة إسـلامية فحسـب. والنظام الاجتماعي أو السياسـي أو الاقتصـادي الإسـلامي إسـلامي فحسـب.. ورسـول الله ﷺ ليس في شـيء على الإطلاق من هذا كله إلى آخر الزمان! إن الوقفة الأولى للمسـلم أمام أية عقيدة ليست هي الإسلام هي وقفة المفارقة والرفض منذ اللحظة الأولى.

وكذلك وقفته أمام أي شــرع أو نظام أو وضــع ليســت الحاكمية فيه لله وحده -وبالتعبير الآخر: ليســت الألوهية والربوبية فيه لله وحده- إنها وقفة الرفض والتبرؤ منذ اللحظة الأولى.. قبل الدخول في أية محاولة للبحث عن مشــابهات أو مخالفات بين شيء من هذا كله وبين ما في الإسلام! إن الدين عند الله الإسلام.. ورسول الله ﷺ ليس في شيء ممن فرقوا الدين فلم يلتقوا فيه على الإسلام.

وإن الدين عند الله هو المنهج والشرع.. ورسـول الله ﷺ ليس في شـيء ممن يتخذون غير منهج الله منهجاً، وغير شريعة الله شرعا..

الأمر هكذا جملة. وللنظرة الأولى. بدون دخول في التفصــيلات! وأمر هؤلاء الذين فرقوا دينهم شـيعاً، وبرئ منهم رسـول الله ﷺ بحكم من الله تعالى.. أمرهم بعد ذلك إلى الله وهو محاسبهم على ما كانوا يفعلون:

﴿إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾..

وبمناسبة الحساب والجزاء قرر الله سبحانه ما كتبه على نفسه من الرحمة في حساب عباده. فجعل لمن جاء بالحسنة وهو مؤمن -فليس مع الكفر من حسنة! - فله عشر أمثالها. ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها لا يظلم ربك أحدا ولا يبخسه حقه:

﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾..

وفي ختام السورة -وختام الحديث الطويل عن قضية التشريع والحاكمية- تجيء التسبيحة الندية الرخية، في إيقاع حبيب إلى النفس قريب وفي تقرير كذلك حاسم فاصل.. ويتكرر الإيقاع الموحي في كل آية:

﴿قل﴾.. ﴿قل﴾.. ﴿قل﴾.. ويلمس في كل آية أعماق القلب البشري لمسات دقيقة عميقة في مكان التوحيد.. توحيد الصراط والملة. توحيد المتجه والحركة. توحيد الإله والرب. توحيد العبودية والعبادة..

مع نظرة شاملة إلى الوجود كله وسنته ومقوماته.

﴿قل: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين. قل: أغير الله أبغي ربا، وهو رب كل شيء، ولا تكسب كل نفس إلا عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم،

فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون. وهو الذي جعلكم خلائف الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم. إن ربك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم﴾..

هذا التعقيب كله، الذي يؤلف مع مطلع السورة لحناً رائعاً باهراً متناسقاً، هو تعقيب ينتهي به الحديث عن قضية الذبائح والنذور والثمار، وما تزعمه الجاهلية بشأنها من شرائع، تزعم أنها من شرع الله افتراء على الله.. فأية دلالة يعطيها هذا التعقيب؟ إنها دلالة لا تحتاج بعد ما سبق من البيان إلى مزيد..

﴿قُلْ: إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾..

إنه الإعلان الذي يوحي بالشكر، ويشي بالثقة، ويفيض باليقين.. اليقين في بناء العبادة اللفظي ودلالتها المعنوية، والثقة بالصلة الهادية.. صلة الربوبية الموجهة المهيمنة الراعية.. والشكر على الهداية إلى الصراط المستقيم، الذي لا التواء فيه ولا عوج: **﴿ديناً قيماً﴾**.. وهو دين الله القديم منذ إبراهيم. أبي هذه الأمة المسلمة المبارك المخلص المنيب: **﴿ملة إبراهيم حنيفا، وما كان من المشركين﴾**.

﴿قُلْ: إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾..

إنه التجرد الكامل لله، بكل خالجة في القلب وبكل حركة في الحياة. بالصلاة والاعتكاف. وبالمحيا والممات. بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه.

إنها تسبيحة "التوحيد" المطلق، والعبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات، وتخلصها لله وحده. لله "رب العالمين".. القوام المهيمن المتصرف المربي الموجه الحاكم للعالمين.. في "إسلام" كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يعبدها لله، ولا يحتجز دونه شيئاً في الضمير ولا في الواقع..

"وبذلك أمرت".. فسمعت وأطعت: ﴿**وأنا أول المسلمين**﴾.)

وعلى هذا المنهج الرباني من وجوب الوقوف في وجه هذه المناهج المخالفة لرسالة الإسلام سار الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– والعلماء والدعاة والمجاهدون الربانيون فجعلوا التصدي للمناهج والمشاريع المخالفة لرسالة الإسلام من أهم الركائز والمبادئ لدعوتهم وجهادهم وفي ذلك يقول الإمام المجدد –رحمه الله– في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (فقد تعالت أصوات في العراق –كما تعالت من قبل في فلسطين ومصر والأردن واليمن وغيرها– تنادي بالحل السلمي الديمقراطي في التعامل مع الحكومات المرتدة أو مع الغزاة من اليهود والصليبيين بدلًا عن القتال في سبيل الله..

لذا لزم التنبيه باختصار على خطورة هذا المنهج الضال المضل المخالف لشرع الله المعوّق عن القتال في سبيله، فكم من فرصة ثمينة لإقامة الإسلام ضُيِّعت بسبب

الطاعة لأصحاب هذا المنهج، فإياكم أن تطيعوهم و تدبروا قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾، حتى لا تندموا يوم لا ينفع الندم، فاعرفوا الحق تعرفوا أهله واعرفوا الرجال بالحق ولا تعرفوا الحق بالرجال، فإن الإسلام هو الدين الحق وقد تعمد الله بحفظه، فانظروا الأمر الذي كان عليه النبي ﷺ فالزموه فإنه الأمر.. فقد قال كما في الصحيحين: «والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا»، فكيف تطيعون مع تعين الجهاد من لم يغزُ في سبيل الله أبدًا؟ أفلا تتدبرون! فإن أولئك هم الذين عطلوا طاقات الأمة من الرجال الصادقين واحتكموا إلى أهواء البشر، إلى الديمقراطية دين الجاهلية بدخول المجالس التشريعية، أولئك قد ضلوا ضلالًا بعيدًا وأضلوا خلقًا كثيرًا، أوليس رأس الإسلام شهادة أن (لا إله إلا الله) قد هزمت في أول ما هزمت أهواء الرجال في دار الندوة، مجلس قريش التشريعي؟ فإن التشريع من أخص خصائص الألوهية، وأن من شرّع للناس من دون الله قد جعل من نفسه إلهًا يُعبد وذلك كفر أكبر مخرج من الملة، وهو طاغوت من الطواغيت، وإن الكفر بالطاغوت أحد ركني التوحيد فلا يقوم الإيمان بغيرهما، قال الله تعالى: **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**.

فما بال هؤلاء يدخلون مجلس الشرك، مجلس النواب التشريعي الذي هدمه الإسلام، وبذلك ينهدم رأس الدين، فماذا بقي لهم؟! ثم يزعمون أنهم على الحق! إنهم على خطأ عظيم، وعلم الله أن الإسلام من أفعالهم بريء. فليتقوا الله ويتوبوا إليه من هذه

الأفعال الجاهلية وليتبرؤوا من مجلس الكفر وطواغيته، وأن يجهروا بتكفيره فإن مناداة الكافرين بكفرهم منهج رباني، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾.

فالإسلام دين الله، ومجالس النواب التشريعية دين الجاهلية، فمن أطاع الأمراء أو العلماء في تحليل ما حرم الله، كدخول المجالس التشريعية أو تحريم ما أحل الله كالجهاد في سبيله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال الله تعالى: ﴿**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾، فسمّى الله تعالى فعلهم هذا شركًا، نعوذ بالله من الشرك.)

وقال –رحمه الله– في "حي على الجهاد –كلمة إلى أهل باكستان–": (في مثل هذه الأحداث يتمحص الناس فيتميز أولياء الرحمن من أولياء الشيطان. فالعلماء الذين هم من أولياء الرحمن يصدعون بالحق وإن عجزوا أو ضعفوا سكتوا ولم ينصروا الباطل بقول أو فعل، وأما أولياء الشيطان فتقودهم الاستخبارات العسكرية الباكستانية لقول الباطل ونصرة أهله، فمنهم من يوجب الوحدة مع برويز وجيشه، وآخر يحرم العمليات الفدائية الاستشهادية ضد جنود الطاغوت، وآخر يتهجم على المجاهدين يغمز فيهم ويطعن، فهذا شأن المنافقين. قال الله تعالى: ﴿**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ**

اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾، فكل من قعد عن نصرة الإمام مولانا عبد الرشيد غازي فهو من القاعدين، وأما من تهجم عليه مناصرة لبرويز زاعماً أن الإسلام لا يقوم بالقتال مسمياً القتال في سبيل الله إرهاباً في سياق الذم ويقول إن السبيل هو بالمظاهرات السلمية والسبل الديمقراطية فهذا من الضالين الذين اتبعوا سبيل المنافقين.)

وقال -رحمه الله- في "الرسالة الثانية للشيخ عبد العزيز بن باز": (ومما يثير العجب والاستغراب هنا هو وصفكم لرئيس ما يُسمّى "السلطة الوطنية الفلسطينية" وشرذمته العَلمانية بأنهم "وليُّ أمر المسلمين في فلسطين" وبالتالي يجب الالتزام بما يعقده من عقود ويلتزم به من معاهدات مع العدو، مع أنه من المعلوم من فتاوى أهل العلم أن العَلمانية كفرٌ مخرجٌ من المِلة، وأنتم ممن أفتى بذلك مراراً وتكراراً. وهؤلاء لم يُخفوا في يومٍ من الأيام منهجهم العَلماني الفاضح الواضح في أقوالهم وأفعالهم ومواثيقهم، فكيف يستقيم مع هذا وصفهم بأنهم "وليُّ أمر المسلمين في فلسطين"؟)

وقال -رحمه الله- في "السبيل لخلاص فلسطين": (أمتي المسلمة، لا يخفى عليكِ أن أقرب ميادين الجهاد اليوم لنصرة أهلنا في فلسطين هو ميدانُ العراق فينبغي الاهتمام به والتركيز عليه ونصرته، وإن واجب النصرة آكد ما يكون على المسلمين في دول الجوار، وينبغي على أهلِ الشامِ -كل الشام- أهل الأرض المباركة أن يستشعروا عظم فضل الله عليهم، ويقوموا بما يجب عليهم من نصرةٍ لإخوانهم المجاهدين في العراق، وإنها لفرصةٌ عظيمة وواجب كبير على إخواني المهاجرين من أهل فلسطين،

الذين حيل بينهم وبين الجهاد على ربى القدس أن ينفضوا عنهم أوهام الأحزاب والجماعات الغارقة في خدعةِ الديمقراطية الشركية، وأن يسارعوا بأخذ مواقعهم في صفوف المجاهدين في أرضِ الرافدين، فتكون المؤازرة وحسن التوكل على الله ونصرته لينصرهم بإذنه تعالى، ثم يكون الانطلاق إلى الأقصى المبارك حولهُ فيلتقي المجاهدون في الخارجِ مع إخوانهم في الداخل، فيعيدوا لنا بإذن الله ذكرى حطين وتقر أعين المسلمين بالنصر المبين.)

وقال -رحمه الله- في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة": (أمتي المسلمة، إن هذه الحروب والأزمات والمحن تحوي في طياتها منحاً، والعقلاء لا يتركونها تمر هكذا، وإنما يستفيدون منها، فأمامك فرصة عظيمة لدفع الظلم والاستبداد الذي يمارس عليك من الداخل والخارج منذ بضعة عقود لتنتزعي حقك بالقوة، وإن الذين يقولون لك إن الطريق لأخذ الحقوق يكون عبر صناديق الاقتراع ويضربون لك مثلاً بالشعوب الغربية، هؤلاء يخادعونك ويكذبون عليك، يفعلون ذلك إما خوفاً من الحكام أو طمعاً فيما عندهم، فالشعوب الغربية التي يشيرون إليها إنما أخذت حقها بالثورات وقوة السلاح، فبعد حرب السنوات السبع بين بريطانيا وفرنسا للاستحواذ على أمريكا وقع الطرفان في أزمة اقتصادية كبيرة، مما دفع القادة لفرض الضرائب على الشعوب، فكان ذلك هو الحافز الذي أشعل فتيل الثورة الفرنسية مع ما سبقه من ظلم واستبداد الملوك على الناس، فقد كان الملك لويس الرابع عشر يقول أنا الدولة والدولة أنا، وهذا هو حال ملوكنا ورؤسائنا، فاغتنم الفرنسيون تلك المنح من وسط تلك المحن وثاروا على الملوك الظلمة الممتصين لدمائهم وخيراتهم وخلعوا لويس

الرابع عشر وقدموه إلى المقصلة وانتزعوا حقوقهم بقوة السلاح. فلا مكان لصناديق الاقتراع في بلادنا تحت ظل الجبابرة إلا لمخادعتنا، ومما يؤسف له وينبغي التنبه إليه أن يسوق لهذه الخدعة الكبرى كثير من العلماء والدعاة.

ومن رحم تلك الأزمة الاقتصادية أيضاً قام الأمريكيون أيضاً بثورتهم على بريطانيا لأخذ حقوقهم، ولم يقوموا ويتبعوا الديمقراطية التي يخادعوننا بها اليوم في أفغانستان والعراق وغيرها، بل انتزعوا حقوقهم بالحديد والنار، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ونحن المسلمون نعتقد أن من حق الأمة أن تنتخب رئيسها ونحن نؤمن بالشورى، ولكننا نعتقد أن هذه الديمقراطية الغربية –فوق أنها خدعة كبرى– فهي بدعة شركية، والمسلمون لا يرضون أن يحكمهم أحد إلا بشرع الله تعالى، لا بقوانين البشر التي يضعونها من عندهم، وفي ديننا القتال في سبيل الله ضد الغزاة المعتدين وضد الحكام المرتدين لتكون كلمة الله هي العليا وعندها ترجع الأمور إلى نصابها والحقوق إلى أصحابها.)

يظهر لنا بوضوح من هذه الكلمات للشيخ المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– موقفه الصريح من هذا المنهج المخالف والمناقض لأصل التوحيد وأنه لم يكتف بمجرد الإنكار له وبيان مخالفته لأصل التوحيد ولكنه كان يبرهن على صحة رأيه ويبين السبيل القويم الذي يوافق الشرع الحنيف وهذا يدل على دقة طرحه وشمول فكرته لبيان الداء ووصف العلاج.

حكم المشاركة في الانتخابات البرلمانية

بعد حديثنا عن موقف الإمام المجدد -رحمه الله- من الديمقراطية ننتقل للحديث عن حكم المشاركة في الانتخابات والمجالس البرلمانية والتشريعية فهي فرع من فروعها وأداة من أدواتها.. فقد وجدناه يحذر منها أشـــد التحذير وبعبارات واضـــحة جلية لا غموض فيها ولا خفاء ومن الأمثلة على ذلك قوله -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وهنا أذكِّر ببعض الأحكام، ومن أهمِّها وأخطرها:....

ثانيًا: حكم المشـاركة في الانتخابات المزمع إجراؤها، سـواء في العراق أو في فلسـطين أو ما جرى في أفغانستان وما شابهها.

ابتداءً؛ لا يخفى أنَّ اختيار الأمراء أو الرؤساء، هو حقٌّ للأمَّة، ولكن هذا الحقُّ مقيَّد بشـروط، إذا انتفت حرمت المشـاركة في اختيار الأمير، وإنَّما يجب السـعي لتنصـيب أمير مسـلم يحكمنا بشـرع الله، وأهم هذه الشـروط: أن يكون الأمير مسـلمًا، وأن يكون الدين الذي سـيطُبَّق على الناس هو الإسـلام، وهذا يعني أن تكون جميع الأحكام والقوانين مصدرها الوحيد هو الإسلام.

ومن المعلوم أنَّ الدسـتور الذي فرضـه المحتل الأمريكي بريمر، هو دسـتور وضـعي جاهلي، حيث أصـرَّ أن لا يكون الإسـلام هو المصـدر الوحيد لجميع التشـريعات، وبالتالي لو فرضـنا جدلاً أنَّ تسعين في المئة (٩٠٪) من القوانين والأحكام مصـدرها الشريعة الإسلامية، وعشرة في المئة (١٠٪) مصدرها التشريعات الوضعية، فإنَّ هذا الدستور يعتبر في ميزان الإسلام دستورًا كُفريًّا.

فالإسلام منهج أنزله الله تعالى، ليلتزم الناس به كله في جميع شؤون حياتهم، فالإسلام كُلٌّ لا يتجزَّأ، قال الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾.

فمن آمن ببعضه وكفر ببعضه فقد كفر ولا تغني عنه صلاته ولا صيامه شيئًا، قال الله تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.

فلو التزم الناس بجميع أحكام الإسلام، إلا الالتزام بتحريم الربا مثلاً، وأباحوا البنوك الربوية؛ فإنَّ دستور هذه الدولة، يعتبر دستورًا كُفريًّا، لأنَّ هذا التصرُّف يتضمن اعتقادهم عدم كمال الشريعة، وكمال منزِّلها سبحانه وتعالى. ولا يخفى أنَّ هذا كفر أكبر مخرج من المِلَّة، فضلاً عن أنَّ هذه الانتخابات تجري بأمر أمريكا، تحت ظلِّ طائراتها وقذائف دباباتها.

وبناءً عليه؛ إنَّ كل من يشارك في هذه الانتخابات والتي سبق وصف حالها عن علم ورضا، يكون قد كفر بالله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وينبغي الحذر من الدجَّالين، الذين يتكلَّمون باسم الأحزاب والجماعات الإسلامية، ويحثُّون الناس على المشاركة، في هذه الردَّة الجموح، ولو كانوا صادقين لكان همُّهم في الليل والنهار إخلاص الدين لله تعالى والتبرُّؤ من الحكومة المرتدة، وتحريض الناس

على جهاد الأمريكيين وحلفائهم، فإن عجزوا فلينكروا بقلوبهم وليجتنبوا المشـاركة في برامج المرتدين أو القعود في مجالس الردة.

وكل ما ذكرناه عن العراق، ينطبق تمامًا على الوضـــع في فلســـطين، فالبلاد تحت الاحتلال، ودستور الدولة وضعي جاهلي، الإسلام منه بريء، والمرشح محمود عباس بهائي عميل كافر، وإنَّما جاءوا به بعد أن أضـــاع مع رفقائه من عمر المســـلمين في فلسطين عشر سنين عبر مؤامرة اتفاقية أوسلوا فضلاً عن غيرها من المؤامرات. جاءوا به ليدخل الناس في تيهٍ جديد، وليقدِّم في هذه الجولة تنازلات جديدة، وليروض الانتفاضة، ويقمع الجهاد والمقاومة.

فليتَّق الله المســـلمون في أنفســـهم وفي دينهم، وليحذروا من المشـــاركة في هذه الانتخابات المزمعة، فإنَّ هذا أمر خطير، وليعلموا أنَّه لا فرق بين أن يعتقدوا صـحة انتخاب أبي جهل الأول عمرو بن هشـــام وبين أن ينتخبوا أبا جهل إياد علاوي، أو أبا جهل محمود عباس، أو أبا جهل حامد كرزاي، أو أبا جهل حســـني مبارك، أو أبا جهل فهد بن عبد العزيز، أو غيرهم من الحكام المرتدين، فإن يكن الأخير قد قام ببناء وتوسـعة المسـجد الحرام فإن أبا جهل الأول قد قام مع قريش بتجديد بناء الكعبة المشرفة، وكانوا يطوفون بالبيت العتيق ويحجُّون ويسقون الحجيج، ولكنهم في ميزان الإسلام مشركون؛ لأنَّهم لم يستسلموا استسلامًا مطلقًا لله تعالى، بل كان من كفرهم أن اسـتسـلموا لمجلس دار الندوة التشـريعي الوضـعي، وهو شـبيه بالمجالس التشـــريعية اليوم أو ما يُســـمَّى بمجلس النوَّاب أو مجلس الأمَّة التشـــريعي، قال الله

تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (فخَيَّرَ الله الإيمان والجهاد مع النبي ﷺ على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به.)

وخلاصة القول في هذه المسألة: أنَّه يجب على المسلمين أن يحذروا من مثل هذه الانتخابات وإنَّما عليهم أن يلتفُّوا حول المجاهدين ويقاوموا المحتلِّين.)

وقال -رحمه الله- في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (وإن من أعظم القضايا التي تظهر هذه المعاني جلية واضحة قضية فلسطين، فأي ظلم واعتداء وحقد أوضح من أن يتخذ التحالف الصليبي الصهيوني قراراً بتسليم فلسطين للصهاينة لتكون دولة لهم بعد أن قاموا بالمجازر فيها حتى شردوا كثيراً من أهلها، وبالمقابل جاؤوا باليهود من بلاد شتى ليوطنوهم في فلسطين، ولم يتوقف هذا الظلم والعدوان خلال العقود التسعة الماضية إلى يومنا الحالي، وكل محاولة لاسترجاع حقوقنا والانتصاف من الظالم الإسرائيلي فإن قيادة التحالف الصليبي الصهيوني تحول دون ذلك باستخدام ما يسمى بحق "الفيتو"، ومما يظهر ذلك أيضاً رفضهم لحركة حماس بعد أن فازت في الانتخابات، مع تأكيدنا على ما نبه عليه الشيخ أيمن الظواهري من حرمة الدخول في المجالس الشركية، إلا أن رفضهم لحماس أكد أنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين.)

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصـــة والمســـلمين عامة":

(فما بال هؤلاء يدخلون مجلس الشـــرك، مجلس النواب التشـــريعي الذي هدمه الإســـلام، وبذلك ينهدم رأس الدين، فماذا بقي لهم؟! ثم يزعمون أنهم على الحق! إنهم على خطأ عظيم، وعلم الله أن الإسلام من أفعالهم بريء. فليتقوا الله ويتوبوا إليه من هذه الأفعال الجاهلية وليتبرؤوا من مجلس الكفر وطواغيته، وأن يجهروا بتكفيره فإن مناداة الكافرين بكفرهم منهج رباني، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾.

فالإســـلام دين الله، ومجالس النواب التشـــريعية دين الجاهلية، فمن أطاع الأمراء أو العلماء في تحليل ما حرم الله، كدخول المجالس التشريعية أو تحريم ما أحل الله كالجهاد في ســـبيله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال الله تعالى: ﴿**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِـــيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـــهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾، فسمّى الله تعالى فعلهم هذا شركًا، نعوذ بالله من الشرك.)

أهمية الشورى والفرق بينها وبين الديمقراطية

الشــورى من ركائز الحكم الرشــيد والرأي الســديد فقد ذكرها عز وجل مع الإيمان والصـــلاة قال الإمام الجصـــاص في "أحكام القرآن": ﴿**وَالَّذِينَ اسْــتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾، يدل على جلالة موقع المشـورة لذكره لها مع الإيمان وإقامة الصلاة، ويدل على أننا مأمورون بها.

وقال ابن العربي المالكي في "أحكام القرآن": (الشـورى فعلى، من شـار يشـور شـورا إذا عرض الأمر على الخيرة، حتى يعلم المراد منه. وفي حديث أبي بكر الصــديق أنه ركب فرسا يشوره. المسألة الثالثة: الشورى ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا. وقد قال حكيم:

إذا بلغ الــرأي المشــورة فــاستعن   برأي لبيب أو مشورة حــازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة   فإن الخـوافي نافع للقـوادم.)

وقد كانت مســـألة الشـــورى من المســـائل التي ركز عليها الإمام المجدد في دعوته وتوجيهاته فقد كانت العناية بالشـورى من آخر ما نصـح به الأمة الإســلامية مع بداية الربيع العربي حيث جاء في "كلمة شــهيد الإســلام -كما نحســبه- لأمّته المسلمة": (وَفِي هَذَا المِقَام أُذَكِّرُ الصّادِقِينَ بِأَنّ تَأسِيسَ مَجلِسٍ لِتَقدِيمِ الرّأيِ وَالمشُورَةِ لِلشُّعُوبِ المسلِمَةِ فِي جَميعِ المحَاوِرِ المهِمّةِ وَاجِبٌ شَرعِيّ، وَآكَدُ مَا يَكُونُ عَلَى بَعضِ الغيُورِينَ الّذِينَ قَد نَصَحُوا مُبَكرًا بِضَرُورَةِ استِئصَالِ هَذِهِ الأَنظِمَةِ الظَّالِمَة، وَلَهُم ثِقَةٌ

وَاسِعَةٌ بَينَ جَمَاهِير المسلِمِينَ، فَعَلَيهِم البدءُ بِهَذَا المشرُوعِ وَالإِعلَانُ عَنهُ سَرِيعًا بَعِيدًا عَن هَيمَنَةِ الحُكّامِ المستَبِدّينَ، وَإِنشَاءُ غُرفَةِ عَمَلِيّاتٍ مُوَاكِبَةٍ لِلأَحدَاثِ لِلعَمَلِ بِخُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ تَشمَلُ جَمِيعَ حَاجَاتِ الأُمّةِ مَعَ الِاستِفَادَةِ مِن مُقتَرَحَاتِ أُولِي النُّهَى فِي هَذِهِ الأُمّة، وَالِاستِعَانَة بِمَرَاكِزِ الأَبحَاثِ المؤَهَّلَة، وَأُولِي الأَلبَابِ مِن أَهلِ المعرِفَةِ لِإِنقَاذِ الشُّعُوبِ الّتِي تُكَافِحُ لِإِسقَاطِ طُغَاتِهَا، وَيَتَعَرّضُ أَبنَاؤُهَا لِلقَتلِ، وَتوجِيهِ الشُّعُوبِ الّتِي أَسقَطَت الحَاكِمَ وبَعضَ أَركَانِهِ بِالخُطوات المطلُوبَةِ لِحِمَايَةِ الثّورَةِ وَتَحقِيقِ أَهدَافِهَا.

وَكَذَلِكَ التّعَاوُنُ مَعَ الشُّعُوبِ الّتِي لم تَنطَلِق ثَورَاتهَا بَعدُ، لِتَحدِيدِ سَاعَةِ الصِّفرِ وَمَا يَلزَمُ قَبلَهَا، فَالتّأَخُّرُ يُعَرّضُ الفُرصَةَ لِلضّيَاعِ، وَالتَّقَدُّمُ قَبلَ أَوَانِهِ يَزِيدُ مِن عَدَدِ الضّحَايَا، وَأَحسبُ أَنَّ رِيَاحَ التّغيِيرِ سَتَعُمُّ العَالَمَ الإِسلَامِيّ بِأَسرِهِ -بِإِذنِ اللهِ- فَينبَغِي عَلَى الشّبَابِ أن يُعِدُّوا لِلأَمرِ مَا يَلزَمُ، وَأَن لَا يَقطَعُوا أَمرًا قَبلَ مَشُورَةِ أَهلِ الخِبرَةِ الصّادِقِينَ المبتَعِدِينَ عَن أَنصَافِ الحُلُولِ وَمُدَاهَنَةِ الظّالِمِين، وَقَد قِيلَ:

الرَأيُ قَبلَ شَجَاعَةِ الشُجعَانِ هُوَ أَوّلٌ وَهِيَ المحلُّ الثّانِي).

وقال -رحمه الله- في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة" لبيان الفرق بين الشورى والديمقراطية: (ونحن المسلمون نعتقد أن من حق الأمة أن تنتخب رئيسها ونحن نؤمن بالشورى، ولكننا نعتقد أن هذه الديمقراطية الغربية -فوق أنها خدعة كبرى- فهي بدعة شركية، والمسلمون لا يرضون أن يحكمهم أحد إلا بشرع الله تعالى، لا بقوانين البشر التي يضعونها من عندهم، وفي ديننا القتال في سبيل الله ضد الغزاة المعتدين وضد الحكام المرتدين لتكون كلمة الله هي العليا وعندها ترجع الأمور إلى نصابها والحقوق إلى أصحابها.)

وعن هذا الأمر في حياة الإمام المجدد -رحمه الله- يحدثنا الدكتور الظواهري في "أيام مع الإمام": (أيضًا من سمات الشيخ أسامة بن لادن أنه يشاور كل صاحب رأي وكل من يريد منه رأيًا بغض النظر عن تنظيمه وبغض النظر عن انتمائه، ابتغاءً للوصول إلى مصلحة المسلمين، وكان أيضًا يوظف الإخوة من التنظيمات المختلفة في أعماله ويحملهم مسؤوليات، كل أخ فيه كفاءة كان الشيخ -رحمه الله- يحاول أن يستفيد منه ويدفعه في العمل المشترك.

ومن أمثلة اهتمام الشيخ بهموم المسلمين بغض النظر عن الانتماء للتنظيمات: اهتمامه بقضية الشيخ عمر عبد الرحمن -فك الله أسره- فأنا شاهد على مدى اهتمام الشيخ بهذا الأمر، أولاً من الناحية الدعائية هو أكثر من مرة يتكلم عن هذا في لقاءاته، بل عقد مؤتمرًا خصيصًا لهذا الأمر وتكلم فيه أكثر من أخ، وهذا الأمر منشور ومعروف.)

التحذير من مشاريع الضرار

إن مسألة مسجد الضرار مسألة غير منحصرة في زمن وغير منحصرة في مسجد بل هي فكرة ونهج يقوم على نصرة أعداء المسلمين وزعزعة صف الجماعة المؤمنة من الداخل وبث الفتنة والفرقة بينهم بأي صورة أو أي مشروع.. وفي هذا المعنى يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني –حفظه الله– في "صبغة الله الصمد": (﴿**والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل**﴾، المسجد وعاء العمل الإيماني، ومصدر العلم، ومجمع الطاعات، ولكن بقرار خبيث، وتدبير محكم بني مسجد ظاهره ذلك كله، وباطنه الإضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين وإعداداً لاستقبال المحاربين المعاندين لله ولرسوله، وهذا منتهى المكر والخديعة، وإذا كان هذا يمكن أن يكون في ظل اسم المسجد الذي يتخذ للسجود والعبادة فما بالك فيما هو أدنى منه من الأسماء والأعمال؟!

لقد صار المسجد ضراراً، وصار المسجد كفراً، وصار المسجد تفريقاً بين المؤمنين، وصار المسجد وكراً للكيد والتخطيط واستقبال العتاة من كبار المجرمين، ولم يكن للمؤمنين زمن رسول الله ﷺ كشفه إلا بكشف الله له، وهذه الجرائم المتعددة في اتخاذ هذا المسجد قد تتوزع على هياكل الطاعة في المجتمع المسلم، وقد يتعدد بعضها دون الآخر، ولكن كلها لها حكم واحد وحل واحد وهو هجرانها وجوباً لا مثنوية فيه، وحرقها لمن قدر على ذلك.

هذا الفعل يدل على أن اتقان المكر والخداع لم يكن وليد اليوم، وإنما هو قديم، والذي تطور هو الأدوات في تنفيذ هذا المكر، لكن القاعدة واحدة، والأسلوب هو هو لم يتغير، فنحن نرى مؤسسة اسلامية ناجحة ترعى عملاً اسلامياً من أعمال الطاعات، فيلتف الناس حولها، وتصبح مصدر هداية، ويعمل فيها ما قال الله لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿**وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة**﴾، وهذا كله من باب التنظيم والتجميع لتحقيق الأهداف ومحاولة صبغ الجميع صبغة واحدة في عملية تربوية جماعية، فما أن تنجح هذه المؤسسة حتى يسارع الخصوم إلى إنشاء عمل يوازي هذا العمل، ويشابهه، ثم يبدأ بإدارة الأعمال التي نجح فيها هذا العمل الإيماني القائم، فيفترق الناس بين الأمرين القائمين، ويبدأ التنازع، واثارة الفتن، وبث الشائعات حتى تصل الأمور إلى المواجهة والمحاربة، ومما يذكر في التاريخ أن النصارى المثلثين المشركين لما رأوا حب الناس للنصارى الموحدين بعد أن بدأ آلة الامبراطورية الرومانية في اضطهادهم بعد أن دخل الامبراطور قسطنطين وأمة هيلانة النصرانية الشركية فاضطر الموحدون إلى الهروب إلى القفار والجبال متخذين الرهبنة عملاً أجبروا عليه أمام قتلهم وتعذيبهم، فقام النصارى المثلثون بعمل رهبنة موازية حتى يتم جلب تعاطف الناس إليهم كما حصل التعاطف مع الموحدين.

فهذه حيلة شر قديمة، وناجحة، وهي توصل إلى الكثير من الأهداف، إن لم تكن كل الأهداف، وربما يتم استدراج السذج -وهو الأغلب- لإدارة هذه الأعمال تحت دعاوى كثيرة، منها ما هو جيد في الشرع كحجة تكثير الخير، ومنها ما هو قائم

على الشـــر ابتداءً كقذف الآخرين من أهل الحق ومحاولة الغائهم، ومجرد وجود آخر على هذا المعنى هو شـــر لما قاله تعالى: ﴿**وتفريقاً بين المؤمنين**﴾، فما يزعمه الجهلة من أن هذا تكثير للخير هو في تسمية القرآن تفريق وشر، وهو سبب الفساد.

هذه المســـاجد، والتي بناؤها طاعة لله تعالى، جعل الشـــارع تكثيرا على غير معنى الحاجة تفريقاً وفساداً في الصف المؤمن، ولذلك من فقه العلماء أنهم أوجبوا هدم أي مسـجد يبنى قريباً من مسـجد آخر من غير حاجة له، لأن بناءه شـر يشـابه معنى مسجد الضرار الذي هدمه رسول الله ﷺ، فكيف يقال إن التكثير على هذا المعنى خير ومشروع، بل يذهب البعض إلى تسمية حكم هذا التكثير مستحب لله تعالى؟!

هذا الحكم الشرعي بإضـافة اسـم الخير إلى وصـف المعصية أي -مسـجد الضـرار- فقه لا يبنى إلا في نفوس نيرة عـاقلة حكيمة، لأن الورع البـارد، والفقـه الجامـد يأبى هذا الاقتران، فكيف يصـبح المسـجد كفراً؟، وكيف يصـبح ضـراراً؟، وعلى هذه القاعدة فكيف يصبح طباعة المصحف أو حمله كفراً وضـراراً، لكن علياً رضـي الله عنه أدرك أن رفع المصحف فوق الرؤوس هو سبيل شر، فلم يقنع به، لكن من معه وقعوا في الخديعة وانطلت عليهم الحيلة، وقد أدرك كذلك أن شـــعار -إن الحكم إلا لله- هو كلمة حق يراد منها باطل، ولكن الجهلة يتسـاقطون في النار لظنهم أنها نور يأوون إليه.

إنها قاعدة بناء الشر على اسم الخير، فيبصر الفقيه الأمر فيقرن اسم الخير مع وصف الشر حتى تذهب عن اسم الخير تلك المعاني المرتبطة به في عقول المسلمين ونفوسهم من الاحترام والتقدير.

هذا الأمر العظيم يجعل الأحكام منوطة بالمعاني لا بالأسماء، وبالمحتوى لا بالظاهر، فالأشكال والأسماء لها اعتبار في الشرع والواقع إن كانت تدل على حقائق باطنة، ومعاني توافقها، أما إن كانت الأسماء والأشكال والظواهر خادعة، لا تدل على محتواها، وخاوية من معانيها وحقائقها فهي لا تحمل حكم الاسم الذي علق به، وهذا فقه مضطرد في أبواب الفقه كلها، وفي مسائل الحياة أجمع، لأن الأسماء دلائل، والمقصود هي المعاني والحقائق، والآيتين لما فيهما من الأعمال، ولما بنيت له من المقاصد، فحين تنقلب المعاني إلى أضدادها فإن أحكامها تتغير بحسب المعاني، كما قال أهل العلم عن الاستحالة، لأن الحكم معلق بالوصف كما هو معلوم.

منذ بداية الخلق وكيد الشيطان يقوم على هذه القضية، وهي قضية الأسماء والمعاني، فشجرة المعصية سماها الشيطان لأبينا آدم -شجرة الخلد وملك لا يبلى- واليهود احتالوا على الشحم فأذابوه فصار سمناً فباعوه، وهذا كيد يتكرر في كل قضية، فنابليون لبس الجبة الأزهرية وتسمى باسم محمد، وشكل مجلساً للعلماء ليحكم بالشرع على أهل مصر، ومن قرأ رسائله لأهل مصر لما دخلها كما رواها الجبرتي في تاريخه رأى أن هذه الرسائل هي عينها التي يقولها كل مجرد يكيد لهذه الأمة، فهي عين ما قاله بوش وبلير من غير خرم حرف واحد، وهي نفس الصورة التي قدم فيها قازان لما أراد دخول الشام زمن محمد بن الناصر قلاوون، ومع كل هذه التجارب المكررة بنفس الأسلوب والطريقة إلا أن هذه الحيلة ما زالت تنجح وتؤتي أكلها في المجتمعات الإسلامية، وما أن يرفع الشعار الخادع حتى تركض الجموع الجاهلة إليه، فتلدغ مرة وراء مرة دون أن ترعوي أو تتعلم الأسلوب واحد، والخطة

متشـــابهة لكن الأدوات قد كثرت في زماننا، فهناك مســـجد الضـــرار الذي يبنيه الطاغوت ليدفن فيه، أو يبنيه أبناؤه وأحفاده حتى يجبر الناس على اســـم ممدوح يلتصـق به فهذا مسـجد الشـهيد فلان، وهناك جماعة الضـرار التي يبذل فيها الكفر بعض ماله ليغطي جرائمه وكفره، فتسـقط عنه أحكام الكفر التي يطلقها أهل العلم، وهناك مؤسسـات الضـرار التي يجمع فيه الكفر مشـايخ العلم والفتوى ليجلس إليهم متصـدراً وآمراً، ثم ليتخذ منهم متكئاً لجرائمه وخصـوماته وحروبه، وهناك صـحف الضـرار التي تبث الشر والكفر تحت اسم الإسـلام المتمدن والمسالم والمحرف، وهكذا فكل ما يقوم من وســائل لخدمة الحق فإن أهل الباطل يســارعون لإيجاد البدائل الموازية ليضعفوا أهل الحق ويشتتون اتحادهم.

في مسـجد الضـرار هذا كان هناك صـلاة وأذان وذكر لله، فعلى المرء أن لا ينسـى ذلك، حتى لا يظن ظان أن هناك مسجد في البناء فقط مع خلوه من الطاعات التي تحويها بقية المسـاجد المؤمنة الصـالحة التقية، لكن كان هناك مع هذه الطاعات التي كانت لبث أبخرة الدخان لتمنع رؤية الخفايا والدسائس، ولكن كل هذه الطاعات لم تمنع لحوق اسم الضرار على هذا المسجد ولا حكم الله تعالى فيه.

وأركان هذا المســجد الخبيث هي الضـــرار والكفر والتفريق بين المؤمنين واتخاذه وكراً لحرب المسلمين، وكل واحدة من هذه الأركان كافية لتسمية المسجد باسم الضرار لا كما زعم بعضـــهم أنه لا يكون كذلك حتى تجتمع فيه كل هذه الأركان، ولو تفكر هذا القائل في معنى كلامه لما قاله، فهل يعقل أن لا يكون المسـجد مسـجد ضـرار وقد قام على الكفر كمعان الجاهلية من مســاجد فرق الباطنية كالقاديانية

والاسماعيلية حتى يكون مقصد أصحابه اتخاذه وكراً لمؤامراتهم ضد المسلمين؟! ثمّ إن أغلب كتب الفقه تتحدث عن المساجد الكثيرة لغير ضرورة في بلاد المسلمين بصفتها مساجد ضرار، كما أفتى السيوطي في عامة مساجد القاهرة في زمانه، حيث اتخذها الناس تباهياً، وحصل بسببها قلة اجتماع المسلمين على الصلوات في المسجد الواحد، مع أن أصحابها لم يريدوا بها كفراً.

ما يهم أهل الجهاد في هذا الباب هو ما ستقوم أركان الجاهلية به من بناء تنظيمات موازية ومنافسة لأهل الحق، وهي ترفع اسم الإسلام، وتُلحق بها أسماء اسلامية، كما يلتحق بها بعض السفهاء ممن يسمى بالعلماء، لما يحملون من ألقاب تباع كثيراً في عالمنا اليوم، فتجري على أيديهم أمور الضرار والتفرقة بين المؤمنين، بل قد يصل الأمر إلى القتال والصدام، فيختلط الأمر على الناس، وحينها يفرغ الكفر إلى تنفيذ مآربه في بلاد المسلمين.

من صور الضرار اليوم هو ما تقوم به طوائف الكفر والردة من ضم المساجد إلى حوزتها، واخضاعها لسلطتها حتى تصبح كلها قاسورة لقوانينها وتشريعاتها، بل إن أئمتها وخطباءها لا يكون في وسعهم إلا أن يرتبط رزقهم بعطايا هذه الطوائف المرتدة، ولا يؤذن لهم بقول إلا ما كان خدمة لهذه الطوائف، فتحولت المساجد إلى منابر للدعوة إلى غير الله تعالى، وصارت ألعوبة بيد أهل الشر، ومن وجد من بعض الخير يمنع من الإمامة والخطابة، فلا عجب بعد ذلك أن سقطت هيبة الأئمة والخطباء، إذ كيف يسمع الناس له وقد أمر أن يتحدث عن أهمية نظافة الشوارع في الإسلام، وهو يرى أن أعظم قضايا المسلمين لا يقدر الخطيب أن يتكلم عنها

بكلمة، وإن أذن له أن يتكلم فالمأذون فيه أن يبين فضـــائل عمل الطاغوت في هذا الأمر، بل وشرعيته في دين الله تعالى، بل حدثني من أثق به أن جنود الأمن في بلده يوجبون على أئمة المساجد أن يعملوا عندهم، أي أن يتجسسوا على أهل المسجد، لينقلوا لهم أمزجة الناس، وماذا يقولون، وأقســم لي محدثي -وهو من حملة كتاب الله تعالى- أنه لما رفض هذا قالوا له: (لماذا ترفض وقد قبل الكثير غيرك)، فذلك عادت المساجد في هذا الباب وكراً لرصد المؤمنين وصيدهم واتخاذهم هدفاً.)

وقال الدكتور عبد الله عزام رحمه الله في "في ظلال ســورة التوبة": (﴿**والذين اتخذوا مســجدا ضــرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين**﴾، للتفريق، فأي واحد يعمل عملا، حزبا جديدا من أجل التفريق هذا كذلك مسجد الضرار.

فأنا كنت أسمي بعض فصائل الجهاد الأفغاني مساجد الضرار الأفغانية، لأنها عملت للتفريق بين المؤمنين، فأي عمل للإضرار بين المؤمنين هو مسجد ضرار جديد، وهذا يجب أن يهدم

فالرسول ﷺ أرسل أربعة وأحرقوا مسجد الضرار، وهدموه وحرقوه، وحوله رسول الله ﷺ إلى محل للزبالة -للقمامة-، المســجد تحول إلى محل للقمامة، وكان رســول الله ﷺ بعدها ﴿**لا تقم فيه أبدا**﴾، لا يجب أن يمر من الطريق التي بجانب مســـجد الضـرار، والذي يصـلي في مسـجد الضـرار هذا الإمام في زمن عمر جاءوا إلى عمر ليكون بن عمرو بن عوف إماما في مســـجد قباء -ومســـجد قباء الذي هو أول مســـجد أقيم في المدينة- جاءوا إلى عمر قال: لا، ولا نعمة عين، أليس هذا إمام مسـجد الضـرار؟ اسمه مجمع بن جارية، كان إماما لمسـجد الضـرار، فرفض عمر في

أيامه أن يضعه إماما لمسجد قباء، قال: يا أمير المؤمنين: لا تعجل علي، فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم ما قد أضمروا فيه -عليه-، ولو علمت ما صليت بهم فيه، كنت غلاما قارئا للقرآن، وكانوا شيوخا قد عاشوا على جاهليتهم، وكانوا لا يقرأون من القرآن شيئا، فصليت ولا أحسب أني صنعت إثما، ولا أعلم بما في أنفسهم، فعذره عمر وصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء.....)

وقد شغل أمر التصدي لمشاريع الضرار بمختلف صورها فكر الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- فكان التصدي لمشاريع الضرار حاضراً بقوة وكثرة في توجيهات وجهود وجهاد الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- فجاء في البيان رقم (١٠) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح "المجلس الأعلى للضرار!!"

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد...

فيعد قيام النظام السعودي خلال الأسابيع الماضية بحملةٍ مسعورة استهدفت ضرب وتشويه الدعوة واعتقال وسجن الدعاة والمشايخ، وبعد أن فشل النظام في الحصول على مبتغاه من تأييد كثير من كبار العلماء ممن وقف مع المشايخ ورفض الانجرار وراء النظام، وتأكيداً منه على "سَعْوَدة" كل ما في البلاد حتى إسلام أهلها واعتباره كل ذلك ملكاً خاصاً للأسرة الحاكمة تتصرف فيه كما تريد، وإمعاناً منه في التدليس على الناس والتلبيس على الأُمَّة، من أجل ذلك كله قام النظام السعودي مؤخراً بتشكيل مجلس ضرار يسمى بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ليتظاهر أمام الناس بحرصه على نشر الدعوة وحماية العقيدة.

والأمر المستغرب هنا ليس هو إقدام النظام على تصرف من هذا القبيل يخادع به الله والذين آمنوا فهذه أساليب مألوفة معروفة تقوم بها الأنظمة الطاغوتية في كل آن لتلميع وجوهها المسودة من كثرة الكيد للإسلام والتآمر على دعاته.

لكن المثير هو الطريقة المستخدمة في إخراج هذه المسرحية الهزيلة التي لا تنطلي على أحد، فأعضاء المجالس ومهامه الموكلة إليه وتوقيت وملابسات تشكيله، كلها أمور تدل على مدى الارتباك الذي يحكم تصرفات النظام في حربه المكشوفة ضد الإسلام ودعاته الحقيقيين، حيث أعماه حقده على الإسلام حتى عن إتقان ألاعيبه هذه إلى الحد الأدنى الذي يمكن له به أن يلبس على بعض الناس على الأقل، فإذا كان لا بُدَّ من الكيد للإسلام ومضارة دعاته فهنالك طرق أكثر ذكاءً وحنكة من هذه الطريقة المكشوفة والأسلوب الفج.

إن طبيعة تكوين هذا المجلس لا تدع مجالاً للشك في المقصود من ورائه والهدف من إنشائه، فوجود الأمير سلطان وزير دفاع النظام الأمير نايف وزير داخليته وأمير زبانيته على رأس هذا المجلس ينبئ عن مهمته الحقيقية الموكلة له فعلاً، وهي القضاء على الإسلام الحقيقي ودعوته وتدعيم دين الملك وتهيئته، فتاريخ الرجلين الأسود المليء بالمكر بالإسلام والحقد على الدعاة والمشايخ لا تدعُ مجالاً للشك في هذه الحقيقة ، وإلا فكيف يصدق عاقل مدرك للحقيقة أن هذا الرهط المفسد في الأرض من المحاربين لله ورسوله جيء بهم لخدمة الإسلام والمسلمين؟

وهل محنة الإسلام ودعاته في الجزيرة حالياً جاءت إلا عن طريق هؤلاء وعلى أيديهم؟ فكيف يكون الخصم حكماً والجاني قاضياً والسبع راعياً؟

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها   فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

كما أن مهام المجلس وصلاحياته غير المحدودة التي جعلته يمسك في يده كل الخيوط ويجمع فيها كل ما يمكن أن يستغل في خدمة الإسلام والدعوة إليه تدل على عزم النظام على الحيلولة دون تكرار ما حصل في السابق من إفلات بعض هذه الوسائل من يده حيث استفادت منها الدعوة واستغلها الدعاة في خدمة الإسلام والمسلمين. وإذا علمنا ذلك سهل علينا أن نفسر ما في صلاحيات هذا المجلس من تجاوز للجنة الخماسية ومفتي عام المملكة، حيث سلبت أهم صلاحياتهم واختصاصاتهم وضمت إلى صلاحيات مجلس الضرار الجديد.

وكم جهة أخرى فإن إقدام النظام على تشكيل هذا المجلس على هذا النحو في ظل الأزمة الحالية يؤكد إصراره على السير في خطط التصعيد وطريق التأزيم وعدم استعداده للاستجابة إلى مساعي المصالحة التي كان سعى فيها الشيخ عبد العزيز بن باز وبعض المشايخ ورفضها النظام ، فالنظام أراد من هذا المجلس من لبن ما أراد قطع هذا الطريق على أية محاولة صلح من هذا القبيل وكان في سلب المجلس الضرار هذا لأهم صلاحيات الشيخ عبد العزيز بن باز عقاباً له على تلك المساعي الإصلاحية وعلى موقفه من المشايخ السجناء حيث ظل يثني عليهم دائماً ويحثهم على الصبر مؤكداً أن ما أصابهم من قبل النظام هو من جنس الابتلاءات التي لا بد أن تصيب الرسل ومن سار على طريقهم .

ونحن في "هيئة النصيحة والإصلاح" لا نستغرب صدور هذا التصرف من هذا النظام الذي مُرد على المكر بالإسلام ودأب على الكيد لدعاته. ولكن المستغرب

هو أن يظل هذا النظام يجد من بين أهل العلم من يحمي ظهره، ويرفع قدره رغم ما يقوم به من حرب مكشوفة ضد الإسلام ودعاته؛ فقد أفصح هذا النظام عن نواياه العدوانية بكل صراحة وفصاحة، وما هيئات ومجالس الضرار التي ينشئها بين الحين والآخر إلا دليل على عزم النظام على الدفع بالبلاد إلى مصير مجهول العواقب من خلال إصراره على عقر ناقة الدعوة على أيدي أشقياء آل سعود من أمثال الأميرين سلطان ونايف فهل يعي المخلفون الحقيقة ويدركون خطورة الموقف ليقوموا بواجبهم في العمل لهذا الدين غير مبالين بكم التضحيات ونوع الابتلاءات التي سيتعرضون لها ليثبتوا حقاً صدق انتمائهم لهذا الدين وإخلاص توجههم لله؟ أم أن الرخص والأعذار ستقعد بهم فتصيبهم الفتنة التي لا تصيب الذين ظلموا خاصة؟

إنه ما دام بعض أهل العلم الذين أخذ الله عليهم ميثاق بيانه وعدم كتمه مترددين في القيام بهذا الواجب فغير مستغرب أن يكلف الأمير سلطان وأمثاله برعاية الشئون الإسلامية.

فمن رعى غنماً بأرض مأسدةٍ   ونامَ عنها تولى رعيُّها الأسدُ

وفي الختام نؤكد أن دين الله منصور ودعوته ماضية، استجاب من استجاب أو أعرض من أعرض

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾

عنهم / أسامة بن محمد بن لادن

التاريخ: ١٠/٥/١٤١٥هـ الموافق: ١٥/١٠/١٩٩٤م).

وقال –رحمه الله– في "السبيل لإحباط المؤامرات": (حديثي هذا إليكم عن المؤامرات التي يحيكُها التحالف الصـــهيوني الصـــليبي بقيادة أمريكا بالتعاون مع وكلائها في المنطقة لسـرقة ثمرة الجهاد المبارك في أرض الرافدين، وما الواجب علينا لإفسـاد هذه المؤامرات.

لا يخفى عليكم أن أمريكا ما فتئت تسعى بشتى السُّبل العسكرية والسياسية لتثبيت قواتها في العراق، ولما أيقنت بعجزها العســكري زادت من نشــاطها الســياســي والإعلامي لمخادعة المسلمين، وكان من كيدها السعي لإغواء العشائر بشراء ذممهم، لتكوين مجالس الضـرار تحت مسـمى (الصـحوات) كما زعموا، فامتنعت عن ذلك عشــائرُ كثيرةٌ حرة أبية، أبت أن تبيع دينها أو تُدنس شــرفها، أرجو الله أن يثبتهم على الحق ويجعلهم ذُخراً لنصرة الإسلام وأن يبارك لهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وجزاهم الله خيراً.

بينما اسـتجاب بعض ضـعاف النفوس، كان منهم الضـال المضـل عبد السـتار أبو ريشـة وبعض ذويه، فهؤلاء خانوا الملة والأمة، وجَرُّوا على أنفسـهم ومن تبعهم الخزي والفضيحة والعار، عار يتبعهم أبد الدهر ما لم يتوبوا.

وإن شَـــرَّ التجَّار همُ الذين يتاجرون بدينهم ودين أتباعهم فيبيعونه بدنيا زائلة، ومع ذلك لم ينعموا فيها، فقد عاجلهم أُسْدُ الإسلام بالقتل جزاءً لهم وردعاً لأمثالهم، ولم يغنِ عنهم بوش وجنوده شيئاً، فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

وإني أنصحُ من ساروا في طريق الغواية أن يغسلوا هذا الكفر والعار بتوبةٍ نصوح، قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾.

فتجنيدُ من نافقَ من زعماء العشائر محور، ومحورٌ آخر تسعى أمريكا من خلاله مع وكلائها في المنطقةِ لتشكيل حكومة جديدة مواليةٍ لها كحكوماتِ دول الخليج بدلاً عن حكومة المالكي، تُسمَّى باسم حكومة الوحدة الوطنية أيضاً، وهذا الاسم يستهوي كثيراً من الناس وخاصةً الذين تعبوا من الحرب، فيجب على المسلمين أن يعلموا حقيقة هذه الحكومة قبل الترحيب بها، فحكومةُ الوحدة الوطنية تعني أن يلتقي جميع أطياف الشعب على تعظيم الوطن تعظيماً يفوق تعظيمهم لأي مُقدَّس عندهم، أي أن الوطن له الكلمة العليا فهو يعلو ولا يُعلى عليه، فيلتقي الجميع في وسط الطريق ويرضون بأنصاف الحلول، مما يعني أن يتخلى البعثيون وبقيةُ الأطراف الأخرى عن بعض مبادئهم، ويتخلى المسلمون أيضاً عن بعض دينهم، ومقتضى هذا الأمر أن يرضى المسلم بتحكيم ومشاركة التشريعات الوضعية للشريعة الإسلامية في التحليل و التحريم، هذه المشاركةُ هي شركٌ أكبرٌ مخرجٌ من الملة مُخَلِّدٌ لصاحبه في النار -نعوذ بالله منها-، فباسم الوطن و الوطنية ناصرت دول الخليج أمريكا لتستبيح العراق ليعاني أهله ما يعانون من ويلات، كل ذلك حتى لا يشطب الوطن من الخريطة كما زعموا، والحقيقةُ هي خوفهم من أن يشطبوا هُم لا الوطن، فهذا حليفهم السابق صدام قد شُطِب ولكن العراق لم يُشطب.)

التحذير من المشاريع والحكومات الوطنية

ومن المشـــــاريع الهدامة التي تصـــــدى لها قادة تنظيم القاعدة وإخوانهم من العلماء والدعاة فكرة ومشاريع الحكومات الوطنية المناقضة لرسالة الإسلام ومبادئه وفي بيان خطر هذه المشاريع والأفكار يقول الشيخ عطية الله الليبي –تقبله الله– كما جاء في مجموع الأعمال الكاملة: (لا نقف في جانب من ينادي بـ "الوحدة الوطنية" وعموم "الفكرة الوطنية" لا في فلسطين، ولا في غيرها.

بل نعتقد أن هذه الفكرة فكرة غير إســـلامية، مصـــادمة للدين الحنيف، الذي مبنى الاجتماع فيه على الدين والرابطة الدينية والأخوة في الله وفي دين الله الإسلام، وهذه الفكرة –كما سبق الإشارة– هي من الأفكار الواردة على أمتنا من ثقافات الغرب وفلسفات الشرق، ونحن أكرمنا الله تعالى بالإسـلام والإيمان فلمَ نبتغي في الإسـلام سنة الجاهلية؟! ونحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العزّ في غيره أذلنا الله.

الفكرة الوطنية الخبيثة مبناها على اجتماع الناس على المواطنة، أي على الكون كلهم مواطنين لنفس البلد ولنفس الدولة، لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات بناء على هذه الرابطة الوطنية، كلهم متســـــاوون، لا فرق بينهم بدين ولا عدالة ولا غير ذلك.

وهذا لا شـــكّ أنه باطل مناقض لدين الإســـلام الذي جعل العلاقة بين الناس مبنية على الدين والتوحيد والإيمان بالله تعالى وبرســـوله ﷺ وبما جاء به، وأمر بموالاة

المؤمنين ومحبتهم، وأمر ببغض الكافرين ومعاداتهم، وجعل لكلٍ أحكامًا، وجعل الرابطة بين المؤمنين هي الأخوّة في الإسلام......

والمقصود أن فكرة ومبدأ الوطنية -وكذا القومية- في المفهوم المعاصر فكرة باطلة كافرةٌ مناقضة للدين، ومبادئ الدين من الولاء والبراء والحب والبغض والموالاة والمعاداة من أجل الدين، وتقويم الناس وتفاضلهم بحسب الدين والتقوى والعمل الصالح؛ وهي فكرة دخيلة على أمة الإسلام، إنما نشأت أول ما نشأت عند الغرب الكافر ثم صدّروها إلينا في زمن الانحطاط والهزيمة والغفلة.! والمؤمن بهذه الفكرة على النمط الغربي والمعروف اليوم عند أصحابه.. هو كافرٌ بالله العظيم خارج من ملة الإسلام.. نبرأ إلى الله منه ومن فكرته، ونسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة. ولكن لا بد أن نؤكد هنا -حتى لا يشتطّ أحدٌ في فهم هذا الكلام- أن القدر الموجود من هذه الفكرة لدى حركة حماس أو حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وعند الكثيرين غيرهم، ليس هو الفكرة الوطنية بمعناها الكامل الذي قلنا إنه كفرٌ، لكن هي لوثةٌ وأثرٌ منها، يجب أن يجتنبوه ويبرؤوا منه، هداهم الله وأصلحهم.

نعم؛ على الجماعات الإسلامية في فلسطين أن تتخلى عما عندهم من آثار هذه الفكرة وتبرأ منها وتتنظّف من أدرانها.! وعليهم بلا شك البراءة ممن لا يحكمون بشرع الله تعالى.. هذا لا شك فيه، من حيث الأصل والمبدأ والعموم والإطلاق.

ثم تفاصيل ذلك لها محلها، من حيث ما يجوز لهم السكوت عنه مثلا، وما يسعهم تأخير الكلام فيه والتصريح به، بحسب القدرة أو العجز، وهكذا. والله الموفق، وأما

أن الأفضل الآن هو توجيه السلاح إلى اليهود، فعلى الإجمال نعم، هذا أفضل، ما أمكن.

لكن قد تكون حالاتٌ يكون فيها توجيه السلاح للخونة العلمانيين والمرتدين من بني جلدتنا مطلوبًا، فهذه تحتاج إلى أن ينظر فيها أهل الأمر هناك، والله الموفق.)

وقال الدكتور الظواهري في "صنم الوحدة الوطنية": (ثم ما هذه الوحدة الوطنية؟ أصنمٌ هي يُعبد من دون الله؟ إن الله لم يتعبدنا بالوحدة الوطنية ولكنه سبحانه تعبدنا بالوحدة مع أهل الإيمان والتقوى والجهاد يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

فأمرنا الله سبحانه وتعالى بالاعتصام بحبله الذي هو شرعه وتوحيده وليس بالدستور العلماني وبالشرعية الدولية.

وفي المقابل ينهانا الله سبحانه وتعالى عن موالاة الإخوة والآباء والأبناء والأزواج والعشائر إن كانوا مخالفين ومعادين لدين الله فيقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ**

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

ويقول عز من قائل: **﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾**.

ويقول عز من قائل: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾**.

ويقول سبحانه وتعالى: **﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**.

إن تقديس الوحدة الوطنية ثمرة خبيثة من ثمرات سايكس بيكو التي قسّمت الأمة المسلمة لأسلاب متفرقة نهباً لتركة الدولة العثمانية، ثم عشّشت هذه السياسة الغازية المجرمة في عقولنا حتى أصبحت صنماً مقدساً فيجب على المسلم طِبقاً لها في كل قُطر أن يتحد مع أبناء قطره وبلده حتى لو كانوا من أعدى أعداء الإسلام وأخبث خلق الله من الخونة وبائعي المبادئ والقيم، وقد أخبرنا القرآن الكريم أنه ما من نبي أُرسِل إلا وحاربه قومه وخالفوه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾. ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾. ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾.

وكذلك أخبرنا المولى سبحانه وتعالى أنه أرسل رسله ليدعوا الناس للتوحيد حتى وإن فرقوا أقوامهم بين ضال ومهتدٍ، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾، ويقول سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**﴾. ويقول عز من قائل: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾.)

وقد شارك الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– إخوانه المصلحين القيام بالتحذير من مشاريع الحكومات الوطنية وركز على ذلك وجعله من القضايا المركزية

في توجيهاته ورسائله فقال -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (فتجنيدُ من نافقَ من زعماء العشائر محور، ومحورٌ آخر تسعى أمريكا من خلاله مع وكلائها في المنطقةِ لتشكيل حكومة جديدة مواليةٍ لها كحكوماتِ دول الخليج بدلاً عن حكومة المالكي، تُسمَّى باسم حكومة الوحدة الوطنية أيضاً، وهذا الاسم يستهوي كثيراً من الناس وخاصةً الذين تعبوا من الحرب، فيجب على المسلمين أن يعلموا حقيقة هذه الحكومة قبل الترحيب بها، فحكومةُ الوحدة الوطنية تعني أن يلتقي جميع أطياف الشعب على تعظيم الوطن تعظيماً يفوق تعظيمهم لأي مُقدَّس عندهم، أي أن الوطن له الكلمة العليا فهو يعلو ولا يُعلى عليه، فيلتقي الجميع في وسط الطريق ويرضون بأنصاف الحلول، مما يعني أن يتخلى البعثيون وبقيةُ الأطراف الأخرى عن بعض مبادئهم، ويتخلى المسلمون أيضاً عن بعض دينهم، ومقتضى هذا الأمر أن يرضى المسلم بتحكيم ومشاركة التشريعات الوضعية للشريعة الإسلامية في التحليل والتحريم، هذه المشاركةُ هي شركٌ أكبرٌ مخرجٌ من الملة مُخَلِّدٌ لصاحبه في النار -نعوذ بالله منها-، فباسم الوطن و الوطنية ناصرت دول الخليج أمريكا لتستبيح العراق ليعاني أهله ما يعانون من ويلات، كل ذلك حتى لا يشطب الوطن من الخريطة كما زعموا، والحقيقةُ هي خوفهم من أن يشطبوا هُم لا الوطن، فهذا حليفهم السابق صدام قد شُطِب ولكن العراق لم يُشطب.

وباسم الوطن والوطنية يتم التمكين للصليبيين اليوم في أرض الرافدين أيضاً، بتنصيب حكومةٍ عميلةٍ لأمريكا تُوقِّع سلفاً على الرضا بوجود القواعد الأمريكية الكبرى فوق أرض العراق، وتعطي الأمريكان ما شاؤوا من نفط العراق تحت قانون النفط

للاستمرار في إخضاعه وللهيمنة المطلقة على بقية دول المنطقة، ولكن مما يؤسف له أن يشارك في هذه الخيانة العظمى أحزابُ وجماعاتٌ تنتسب للعلم والدعوة والجهاد، وهذا من تلبيس الحق بالباطل، وقد شـاهد الناس بعض هذه الزعامات وهي تتعاون بشكل مباشر مع الأمريكيين كما فعل زعيم الحزب الذي يسمى بالإسلامي، ودعا صـراحةً لإبرام اتفاقيات أمنيةٍ طويلةِ المدى مع أمريكا، و رأى الناس أيضـاً زعاماتٍ أخرى تتعاون بشـكل غير مباشـر وذلك عن طريق وكلاء أمريكا في المنطقة وخاصـةً حاكم بلاد الحرمين، فلا يمكن للرياض أن تسـتقبل وتدعم هذه الزعامات إلا على شـرط الرضـا بحكومة وحدة وطنية، وللعقلاء أن يعتبروا بما آلت إليه قيادة حماس، حيث أضـاعت دينها ولم تَسْـلَم لها دنياها، عندما أطاعت حاكم الرياض وغيره بالدخول في دولة الوحدة الوطنية واحترام المواثيق الدولية الظالمة، فهلّا قام الصادقون في حماس ليصححوا مسارها.

وكما أغوى حُكَّام الرياض قادةَ حماس فكذلك يسعون لإغواء الجماعات المجاهدة في العراق، فيغضـوا طرفهم عن أعضـاء بعض الجماعات لتتحرك في دول الخليج باطمئنان لتأخذ الدعم ولكن ليس بشكل رسمي فهذا ما ترفضه الجماعات، وإنما يتم تمرير الدعم باسـم جمع التبرعات من بعض العلماء والدعاة غير الرسميين، وكثير منهم في حقيقتهم رجال موالون للدولة يسـعون في تنفيذ سـياسـتها في العراق، بسـحب البسـاط من تحت أقدام المجاهدين الصـادقين، فمهمةُ هؤلاء العلماء والدعاة إقناع قادة هذه الجماعات بنفس الشـرط السـابق وهو الرضـا بحكومة وحدة وطنية، فضـلاً عن حثهم لبث الدعايات المغرضة ضد دولة العراق الإسلامية وقتالها إن أمكن وهذا

من أسرار الحملة الشرسة عليها عسكرياً وإعلامياً، وإن المرء ليعجب أشد العجب كيف ضيعت هذه الزعامات الأمانة التي في أعناقها وذهبت تضع يدها في يد أحد أَلَدِّ أعدائها حاكمِ الرياض، وهو الذي ثبتت نصرته وتواطؤه مع أمريكا لغزو العراق، وهل يخفى اليوم على فتيان المسلمين فضلاً عن علمائهم وشيوخهم وقادة المجاهدين أن هذا الحاكم هو كبير وكلاء أمريكا في المنطقة وقد أخذ على عاتقه مراودة وترويض كل حُرٍّ عفيف أمين شريف لجره إلى سبيل الغي والغواية، ذلك الطريق الذي ارتضاه لنفسه وهو في العقد التاسع من عمره، طريق الخيانة للملة والأمة والخضوع لإرادة التحالف الصليبي الصهيوني، فبئس السبيل سبيلهم، ولكن هلّا رجع العلماء والأمناء المرشدون إلى طريق الرشد؟ فهذا ما نتمناه.

وإن أصحاب هذا المنهج يبررون تعاونهم مع أعداء الأمة من حكام المنطقة وموكليهم بشدة الأهوال التي أصابت أهل الإسلام على يد جيش الصدر وكذا فيالق الغدر بقيادة عبد العزيز الحكيم، و منتسبي حزب الدعوة داخل حكومة المالكي وخارجها، فأقول إن جرائم هؤلاء قد تجاوزت كل الحدود وما يفعلونه بأهل الإسلام لا يصدقه الإنسان ولكنها حقائق على أرض الواقع يذوقها إخواننا هناك في العراق، وهؤلاء القوم لهم أطماع وكذا أهداف في توسيع جرائمهم خارج العراق، ومع هذا كله فإنه بالإمكان إيقاف جرائم هذه المليشيات ومدها بإذن الله بالاعتماد على الله تعالى ثم بتوحيد جهود المجاهدين للقتال ضد الغزاة وأعوانهم هؤلاء، ودعم عامة المسلمين للمجاهدين بكل ما يحتاجونه.

وقد حاز الأمير أحمد الخلايلة أبو مصعب الزرقاوي -عليه رحمة الله- وإخوانه قصب السبق في رفع اللواء لفضح هؤلاء المجرمين وقتالهم وإيقاف مدهم، وبدلاً من أن تنصروهم خذلتموهم وثبطتم المجاهدين عن قتال هؤلاء وقسمتم القتال إلى قسمين، فقتال الأمريكان فقط مقاومة شريفة، و أما قتال هذه المليشيات المرتدة وأعضاء الجيش والشرطة وهم أنصار أمريكا وأدواتها لاحتلال العراق وقتل أحراره فهي عندكم مقاومة غير شريفة تتبرؤون من أصحابها، فهذه تقسيمات ما أنزل الله بها من سلطان، وقد كان رسول الله ﷺ يقاتل أبناء عمومته من قريش، فالدين هو الذي يعصم الدم وليس العرق أو الوطن، وقد وافقكم في هذا المنهج المعوج عشراتٌ من أصحابكم من أولياء وعلماء السلطان غير الرسميين في بلاد الحرمين وغيرها، وهذا مما أعطى فرصةً كبيرةً لهذه المليشيات أن تتمادى في إهلاك الحرث والنسل.

ترجو النجاةَ ولم تسلك مسالكها   إن السفينةَ لا تجري على اليبسِ

ثم إن كان حرصكم على دفع شر هؤلاء هو الذي دفعكم لموالاة الكفار والحكومات المرتدة، أَمَا كان من الواجب عليكم أن تصارحوا إخوانكم الذين قد ائتمنوكم وأطاعوكم لتقيموا دولةً إسلامية، أليس من الواجب أن تبلغوهم أنكم قد عجزتم عن الأمر المتفق عليه، ورضيتم بدولة وحدة وطنية، وحقيقتها دولة وحدة وثنية، الكلمة العليا فيها ليست لله تعالى وإنما للوطن وكاهنه، وإني أدعو من زلت أقدامهم أن يتقوا الله في أنفسهم وفي أمتهم وألا يضيعوا ثمرة هذه الدماء الزكية الطاهرة التي أريقت من أجل قيام الدين والتمكين لدولة المسلمين، وأن يرجعوا إلى الحق فالرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل.

إخواني المجاهدين، فأما الواجب علينا لإفشـــال هذه المؤامرات الخطيرة التي ترمي إلى إجهاض الجهاد في أرض العراق، والحيلولة دون قيام دولة إسـلامية على كامل أرض الرافدين تكون نصـرةً وعوناً لأهل الإسـلام في كل مكان، وتُفشـل مخطط أمريكا في تقسيم العراق وتكون خط الدفاع الأول عن أمتنا.)

وقال –رحمه الله– في "النزال النزال يا أبطال الصـــومال": (فإلى إخواني المســـلمين الصابرين المصابرين في الصومال المجاهد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن الحرب الدائرة فوق أرضـــكم خلال هذه الســـنوات، هي حرب بين الإســـلام والصـليبية العالمية، فحلف الأطلسـي أوكل هذه المهمة لإثيوبيا، وهؤلاء وموكلوهم لما أرهقهم جهادكم المبارك، لجؤوا إلى المكر والخداع، وهذا دأبهم في العالم الإســـلامي، فنصبوا عليكم رجلاً من بني جلدتكم ولكنه على ملتهم: هو الرئيس السابق عبد الله يوسف.

ولما لم تنطل عليكم حيلة الكرزايات القديمة في المنطقة، قاموا بتبديله وجاءوا بنسـخة أخرى معدلة، كنســخة سـياف ورباني وأحمد شــاه مســعود. فقد كانوا من قادة المجاهدين الأفغان، ثم ارتدوا على أعقابهم وســاعد حلفهم أمريكا لإسـقاط الإمارة الإسـلامية في أفغانسـتان: وكذلك حال شـيخ شـريف، فقد كان رئيسـاً للمحاكم الإسـلامية ومع المجاهدين، ولكنه نتيجة لإغراءات وعروض من المبعوثة الأمريكية في كينيا، غير وبدل وارتد على عقبيه، ووافق على إشـراك القوانين الوضـعية الكفرية مع الشـريعة الإسـلامية لإقامة حكومة وحدة وطنية، وهذا الإشـراك هو الشـرك الأكبر المخرج من الملة.

وكيف يصـــدق العقلاء أن أعداء الأمس على أســـاس ديني يصـــبحون أولياء اليوم، فهذا لا يكون إلا بتخلي أحد الطرفين عن دينه، فانظروا من الذي تخلى: هل هو شـــيخ شـــريف أم أمريكا؟ وتدبروا قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّـــيْطَانُ سَـــوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُم وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾.

وقد قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». رواه أحمد والترمذي.

فكم أفسد الحرص على المال والشرف والجاه قياداتنا!

فمثل هؤلاء الرؤساء هم وكلاء أعدائنا لا تنعقد لهم ولاية أصلاً، فشيخ شريف هذا حاله فيجب خلعه وقتاله. وقد أجمع علماء الإســـلام، على أن الولاية لا تنعقد لكافر، فإذا طرأ عليه الكفر ســـقطت ولايته، فوجب القيام عليه بالســـلاح. قال القاضي عياض رحمه الله: (أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل).)

حقيقة هيئة الأمم المتحدة

ولقد كان من المسائل التي اهتم علماء المجاهدين وقادتهم ببيانها والتركيز عليها كشف دور وحقيقة وحكم هيئة الأمم المتحدة قال الشيخ أبو مصعب السوري –رحمه الله في "دعوة المقامة": (الأمم المتحدة باختصار منظمة شكلها حلفاء منتصرون في الحرب العالمية الثانية، لضمان تقاسم السيطرة على العالم، وتقنين توزيع تلك السيطرة فيما بينهم بحسب قوتهم وأوزانهم العسكرية والسياسية.

وقد تركت بعض الهوامش الدعائية لبعض مؤسسات تلك المنظمة، لتتحرك فيها الشعوب الضعيفة والحكومات التابعة بما تتوهم أنه هامش من التأثير السياسي. وقد تفرع عن الأمم المتحدة منظمات دولية كثيرة تقاسمت مهمة إخضاع الشعوب الضعيفة والسيطرة عليها. في مجالات التعليم والصحة والزراعة والتنمية البشرية والاقتصادية.. لتتركها عالة تدور في فلك الدول الاستعمارية. ولما اختل ميزان القوى الدولي بانهيار الإتحاد السوفيتي، وانفردت أمريكا بإدارة العالم ورثت أمريكا السيطرة شبه الكاملة على هذه المنظمة التي ستنهار قريبا وتذهب كمؤسسة من مخلفات النظام العالمي القديم.

وقد شهدت هذه المنظمة على نفسها بأنها كانت وراء تقنين ضياع حقوق العرب والمسلمين في كل مسائلهم التي عرضت عليها وهذا يحتاج لمجلد كامل لسرد تفاصيله. فقد اعترفت المنظمة بإسرائيل. وبكل مؤامراتها بعد قيامها. ولم تفلح قراراتها لصالح

العرب والمسـلمين إلا لذر رماد قرارات الشـجب في العيون. وأما وقد ورثت أمريكا المنظمة.

فقد تحول هذا (الكوفي العنان) لموظف حقير تابع للبيت الأبيض. حيث شرع مجلس الأمن غزو العراق وقنن احتلاله، ومهد لتدويل ذلك الاحتلال.. كما فعل في أفغانستان والبوسنة سابقا...

والخلاصـة فإن على قوى المقاومة أن تتعامل مع هذه المؤسـسـات الدولية، كلا بحسب ضررها وعدوانها على أساس أنها الستار المزيف للعدوان الصهيوني الأمريكي وسـيطرة حكومته الخفية على العالم. وعدم الانخداع بمهزلة مواجهة الأمم المتحدة للمطامع الأمريكية. فقصارى دور الدول المناوئة لأمريكا فيها هو حرصهم على زيادة حصة الذئاب والضباع والجرذان. مما يتركه الأسد الأمريكي مما افترس من قصعتنا ونهب من ثرواتنا.

هذا ناهيك عن الدور التجسسي والاستخباراتي الذي لعبه موظفو تلك المؤسسات في كل مكان حلوا فيه في بلادنا. وعلينا أن نتعامل معها كإحدى مؤسـسـات العدوان والاحتلال الصـهيوأمريكي. فننسـف كل وجودهم في بلادنا بلا هوادة. والله المستعان عليهم جميعا.)

وقال الشـيخ أبو يحيى الليبي -تقبله الله- في "تفنيد تراجعات السـجون": (أما ثاني الركائِز التي يقوم عليها المنهج الجهادي: هو أن هذه العبادة التي نقوم بها ونجتهد قدر طاقتنا في إحيائِها غايتها الأولى هي إقامة الدين وتحكيم الشـرع وتعبيد الخلائِق

لخالقهم، فهو وسيلة نبيلة لغاية جليلة ليست مدنسة بلوثة الوطنية ولا رِجس القومية ولا دنس العقلانية ولا تلاعب الأهواء وهو المعنى الســـامي الذي يعبر عنه القرآن والســنة بكلمة "في ســبيل الله"، أي في طاعة الله عز وجل، وهذا الباعث يجب أن يكون مُحرراً محدّداً في أعماق النفس كما يجب أن يكون قائِماً ملموساً في الممارسات العملية ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يُقاتل للمغنم والرجل يُقاتل للذِكر والرجل يقاتِل ليُرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وقال ﷺ: «من قاتل تحت راية عُمّية يغضـب لعصـبية أو يدعو لعصـبية أو ينصـر عصبية فقُتِل فقِتلةٌ جاهلية».

وبناء على هذا الأصـــل فنحن نُحذّر بعض الجماعات الإســلامية ومنها حماس التي تُغامر بدماء أبناءها وتُقحمهم في معارك لا زِمام لها ولا خِطام وندعوهم أن يُجرِّدوا جهادهم و يُصـفوه من اللوثات الجاهلية المعاصـرة ومن المصـطلحات التي زيّنها لهم الشـيطان وهي في ميزان الشـرع كالريح في الفلاة، فالوطنية والقومية ووحدة المصـير والمصلحة العليا وغير ذلك من الشعارات التي تُعاد في اليوم مرات ومرات على لسان مســـؤوليهم وقادتهم كل هذه لا مكان لها في دين الله عز وجل وهي إحدى الطوام العِظام التي نتجت عن الاختلال في إدراك هذه الركيزة الأصـــيلة من ركائِز المنهج الجهادي.

إذاً فليكن مقصدنا واضح وهدفنا محدد وغايتنا معلنة إقامة دين الله عز وجل بمفهومه الكامل الشامل الذي يُفصح عنه قول الله عز وجل: ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ وهي

غاية من أجلها نضـحي ولإقامتها نُريق دماءنا ونبذل جُهودنا وكل ما سـواها مهما كان قدره فهو دونها.

ولهذا فنحن لا نقبل تجاهها أدنى تنازل ولا نرضـى أن نضـعها محل البحث والنظر والأخذ والرد ولو أدى الاستمسـاك بها إلى فناء جماعاتنا عن بكرة أبيها، فلسـنا في ذلك خيراً من أصـحاب الأخدود، فلا مجال لاحترام الشـرعية الدولية ولا الالتزام بمواثيق الأمم المتحدة ولا الرجوع لقرارات مجلس الأمن ولا تقديس ميثاق جامعة الدول العربية فكل هذه الهيئات بما فيها ومن فيها لا تساوي عندنا ذرة.)

وقال الدكتور أيمن الظواهري –رحمه الله حيا وميتا– في "حقائق الصراع بين الإسلام والكفر": (وهنا لا بد أن نوضح؛ ما هي حقيقة الأمم المتحدة؟!

الأمم المتحدة هيئة معادية للإسـلام، قانونها الأسـاسـي يقوم على التحاكم لغير الشـريعة، ويلزم كل أعضـائها –بما فيهم حكومات البلاد الإسـلامية– بالاعتراف بإسرائيل، لأنها عضوة مثلهم في الأمم المتحدة، كما أنه يلزمهم بالاعتراف باستيلاء روسيا على الشيشان والقوقاز المسلم، والصين على تركستان الشرقية، وإسبانيا على سبتة ومليلة، وغيرها من ديار الإسـلام التي تستولي عليها حكومات غير مسلمة أعضاء في الأمم المتحدة.

ثم الأمم المتحدة هي التي شرعت الوجود اليهودي في فلسطين، والوجود الصليبي في أفغانسـتان، والاحتلال الصـليبي للعراق، وهي شـاهدة الزور الدولية، التي تجري الانتخابات المزورة في أفغانستان والعراق، وهي التي تحاول اليوم تمكين الصليبيين من دارفور تحت ستار الأمم المتحدة.

والأمم المتحدة هي التي تنتشـــر قواتها الدولية الآن على حدود لبنان، لتحول دون تواصـل المجاهدين من خارج فلسـطين ومن داخلها، لتكمل الحصـار على المجاهدين داخل فلسطين.

الأمم المتحدة أداة في يد الولايات المتحدة وشريكاتها الصليبيات للسيطرة على العالم بالتهـديد والإغراء والابتزاز، ولها قيادة من الخمســـة الكبار، وفناء خلفي -اسمه الجمعية العامة- تتصايح فيه الدول الضعيفة.

ومن صــور الاعتراف بإســرائيل؛ القبول بشــرعية الســلطة الوطنية التي قامت على أساس من اتفاقية أوسلو.

ومن صـور الاعتراف بإسـرائيل؛ القبول بشـرعية محمود عباس رئيس السـلطة الوطنية -رجل أمريكا في فلســـطين- وتفويض "منظمة التحرير" -المعترفة بإســـرائيل- في التفاوض مع إســـرائيل هاوية تؤدي في النهاية للقضــــاء على الجهاد والاعتراف بإسرائيل.

إن التغاضــي عن الحقائق الشــرعية والواقعية في الصــراع بين الكفر والإســلام أدى لاستدراج بعض الإخوة في فلسطين؛ من التهدئة إلى الانتخابات على أساس دستور علماني، ومن الانتخابات على أســاس دســتور علماني إلى احترام القرارات الدولية، ومن احترام القرارات الدولية إلى الموافقة على وثيقة الأسـرى، ومن الموافقة على وثيقة الأسـرى إلى حكومة الوحدة الوطنية، ومن حكومة الوحدة الوطنية إلى إخراجهم من الوزارة، ولا زال المسلسل مستمراً.)

فهذه هي حقيقة هذه الهيئة المحادة لله ورسوله وهذا حكمها الذي اجتهد الدعاة الربانيون في بيانه وتوضيحه فخالفهم من خالفهم حتى جاءت الأحداث والوقائع تترى والتي كان آخرها أحداث طوفان الأقصى لتثبت صدق وصواب ما ذهبوا إليه فجزاهم الله خير الجزاء

وأما عن الحديث دور الإمام المجدد في كشف وبيان حكم وحقيقة ودور الأمم المتحدة فقد كان له الدور البارز والأثر الظاهر -بفضل الله- في هذا الباب فقال -رحمه الله- في "حقيقة الصراع - أولى حروب القرن": (فالحق الذي لا لبس فيه أن بوش قد حمل الصليب ورفع رايته عالياً ووقف في أول الطابور، فكل من يقف خلف بوش في هذه الحملة فقد ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام العشرة، التي أجمع أهل العلم على أن موالاة الكافرين ومظاهرة الكافرين على المؤمنين من نواقض الإسلام الكبرى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولننظر هل هذه الحرب التي قامت قبل أيام على أفغانستان هي مفردة، مستقلة، نادرة، أم أن هذه الحرب هي حلقة من سلسلة طويلة من الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامي؟

فمنذ الحرب العالمية الأولى التي انتهت قبل أكثر من ٨٣ عاماً وسقط العالم الإسلامي بأسره تحت أعلام الصليب، تحت الحكومة البريطانية وتحت الحكومة الفرنسية وتحت الحكومة الإيطالية، تقسّموا هذا العالم بأسره وسقطت فلسطين تحت الإنجليز ومنذ ذلك التاريخ وإلى اليوم، أكثر من ٨٣ عاماً، يُسام إخواننا وأبناؤنا

وأخواتنا في فلسطين سوء العذاب، وقد قُتِلَ منهم مئات الألوف، وسُجِنَ مئات الألوف، وعُوِقَ مئات الألوف.

ثم لننظر إلى الأحداث القريبة، فلننظر إلى الشيشان، أمة مسلمة تقَدّمَ عليها هذا الدب الروسي، صاحب العقيدة النصرانية الأرثوذكسية، أباد شعباً بأكمله، وشردوا إلى الجبال، واكلتهم الثلوج والفقر والأمراض، ولم يتحرك أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم حرب إبادة في البوسنة، على مرأى ومسمع من العالم أجمع، بل في قلب أوروبا، عدة سنوات يقتل إخواننا، وتنتهك أعراض نسائنا، ويذبح أطفالنا، في الملاذات الآمنة للأمم المتحدة وبعلم الأمم المتحدة وبتعاون الأمم المتحدة.

إن الذين يحيلون مآسينا اليوم، ويريدون أن يحلوها في الأمم المتحدة، إنما هم منافقون يخادعون الله ورسوله ويخادعون الذين آمنوا.

وهل مآسينا إلا من الأمم المتحدة، من الذي أصدر قرار التقسيم عام ١٩٤٧ لفلسطين، أباح بلاد الإسلام لليهود؟ الأمم المتحدة بقرارها في ٤٧.

فهؤلاء الذين يزعمون بأنهم زعماء للعرب ومازالوا في الأمم المتحدة هم كفروا بما أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، الذين يحيلون الأمور إلى الشرعية الدولية هم كفروا بشرعية الكتاب الكريم وبسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فهذه هي الأمم المتحدة التي عانينا منها ما عانينا فلا يذهب إليها مسلم بحال من الأحوال، ولا يذهب إليها عاقل وإنما هي أداة من أدوات الجريمة، نُذبح في كل يوم ولا تحرك ساكنا.

إخواننا في كشمير منذ أكثر من ٥٠ عاماً يسامون سوء العذاب، يذبحون ويقتلون ويعتدى على أعراضهم ودمائهم ودورهم، ولا تحرك ساكنا الأمم المتحدة.

واليوم بدون أن يثبت أي دليل تسوق الأمم المتحدة القرارات المؤيدة لأميركا الظالمة الجابرة المتجبرة على هؤلاء المستضعفين الذين خرجوا من حرب ضروس على يد الاتحاد السوفياتي.

ولننظر إلى حرب الشيشان الثانية التي مازالت قائمة إلى اليوم، شعب بأكمله تعاد عليه الحروب مرة أخرى من هذا الدب الروسي، وتتحرك الهيئات الإنسانية حتى الأميركية تطالب الرئيس كلينتون بأن يوقف الدعم عن روسيا، ولكن كلينتون يقول إن إيقاف الدعم عن روسيا لا يخدم المصالح الأميركية.

وبوتين قبل عام يطالب الصليب ويطالب اليهود أن يقفوا معه ويقول لهم ينبغي عليكم أن تقفوا معنا وأن تشكرونا لأننا نقوم بحرب ضد الأصولية الإسلامية.

بكل هذا الوضوح يتكلم الأعداء وزعماء المنطقة يتوارون ويستحون من أن ينصروا إخوانهم، والأشد من أنهم يمنعون المسلمين من نصرة إخوانهم.

ولننظر إلى موقف الغرب وإلى موقف الأمم المتحدة في أحداث إندونيسيا عندما تحركوا لتقسيم أكبر دولة في العالم الإسلامي من حيث عدد السكان، هذا المجرم كوفي عنان يتكلم على الملأ ويضغط على حكومة إندونيسيا، ويقول لها أمامك ٢٤ ساعة لقسم وفصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا، وإلا سوف نضطر بإدخال قوات عسكرية لفصلها بالقوة، وكانت القوات الصليبية الأسترالية على الشواطئ الإندونيسية وفعلاً دخلت لفصل تيمور الشرقية، جزء من بلاد العالم الإسلامي.

فينبغي أن ننظر إلى الأحداث لا على أنها حلقة مستقلة، بل هي حلقة في سلسلة طويلة من المؤامرات، هي حرب إبادة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وحيث إنَّ من هدي القرآن والسنَّة الصدق والتمايز بين الحقِ والباطل، لكي لا يلتبس على الناس الحقُّ فيضلوا عن الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.

ولإزالة اللبس يجب تسمية الأمور بأسمائها الحقيقية، والتعبير عنها بألفاظها الشرعية، ولا سيَّما عندما نتحدَّث عن هذه القوى المؤثِّرة في مسيرة الأمَّة، حتى يتسنَّى لنا أن نأخذ التصور الصحيح عنهم وعن أفعالهم، ليسهل علينا معرفة التعامل معهم، حيث إنَّ الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، لذا فإنَّ اللفظ الشرعي في وصف الحاكمِ الذي يحكم بغيرِ ما أنزل الله ويسير على غير هدى الله سبحانه وتعالى، أو يناصر الكفار تحت أي مسمَّى، كتقديم التسهيلات العسكرية أو تنفيذًا لقرارات الأمم المتحدة ضدَّ الإسلام والمسلمين؛ فهذا كافرٌ مرتد.)

وجاء في بيان رقم (٣) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح "السعودية تنصر الشيوعيين في اليمن": (وبالرغم من ضخامة المآسي وبشاعة المجازر التي ارتكبت ضد الشعب المسلم في البوسنة والهرسك بتآمرٍ صليبيٍّ عالميٍّ حاقد حَرَمَهُم من الدفاع عن أنفسهم بعد فسح المجال لوصول أية أسلحة أو ذخيرة لهم وكل ذلك كان بسيف هيئة الأمم المتحدة، التي أذلت المسلمين في الصومال، وكان لها الدور الخبيث في تسليم فلسطين لليهود، وأيَّدَت عمليات اعتداءاتهم على لبنان وتعامت عن مذابح الهندوس الفظيعة لمسلمي الهند وكشمير وغير ذلك من الجرائم التي ارتكبت ضد أُمَّتنا الإسلامية حتى أصبح جلياً أن هيئة الأمم ماهي إلا أداة في يد اليهود والصليبين لإبادة المسلمين ونهب ثرواتهم، فمع كل ذلك لايزال الحكم السعودي مُصِرّاً على التحاكم إلى هذا الطاغوت ودوائره فسارع إلى مجلس الأمن داعيًا إياه التدخل في اليمن معرضاً عن التحاكم إلى الشريعة الإسلامية وهذا من نواقض الإسلام كما قرره أهل العلم.)

وقال -رحمه الله- في " قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (وإن من أعظم القضايا التي تظهر هذه المعاني جلية واضحة قضية فلسطين، فأي ظلم واعتداء وحقد أوضح من أن يتخذ التحالف الصليبي الصهيوني قراراً بتسليم فلسطين للصهاينة لتكون دولة لهم بعد أن قاموا بالمجازر فيها حتى شردوا كثيراً من أهلها، وبالمقابل جاؤوا باليهود من بلاد شتى ليوطنوهم في فلسطين، ولم يتوقف هذا الظلم والعدوان خلال العقود التسعة الماضية إلى يومنا الحالي، وكل محاولة لاسترجاع حقوقنا والانتصاف من الظالم الإسرائيلي فإن قيادة التحالف الصليبي الصهيوني تحول دون ذلك باستخدام ما

يسمى بحق "الفيتو"، ومما يظهر ذلك أيضاً رفضهم لحركة حماس بعد أن فازت في الانتخابات، مع تأكيدنا على ما نبه عليه الشيخ أيمن الظواهري من حرمة الدخول في المجالس الشركية، إلا أن رفضهم لحماس أكد أنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين.

ثم إني أقول توضيحاً لسيطرتهم على مجلس الأمن، إن الصليبية العالمية مع البوذية الوثنية هم أصحاب المقاعد الخمسة الدائمة، وهم أصحاب ما يسمى بامتياز حق الفيتو في ما يسمى بمجلس الأمن، فأمريكا وبريطانيا يمثلون النصارى البروتستانت، وروسيا تمثل النصارى الأرثوذكس، وفرنسا تمثل النصارى الكاثوليك، والصين تمثل البوذيين والوثنيين في العالم.

وأما العالم الإسلامي المتمثل بسبع وخمسين دولة ويشكلون خمس أهل الأرض، وهم أكثر من ربع دول الأمم المتحدة، وإن ولاية واحدة من ولايات إحدى الدول الإسلامية عدد سكانها أكثر من عدد سكان فرنسا أو بريطانيا -كولاية البنجاب في باكستان- بل إن ولاية واحدةً من إحدى الدول الإسلامية مساحتها أكبر من مساحة بريطانيا ومقاربة لمساحة فرنسا -كولاية دارفور في السودان- ومع ذلك فلا مقعد لهم في مجلس الأمن.

وأنا هنا لا أطالب بذلك، فذلك ظلم، وإنما أصف واقع الحال، فتلك هيئة كفرية يكفر من رضي بقوانينها وهي أداة لتنفيذ القرارات الصليبية الصهيونية، ومنها قرارات الحروب ضدنا وتقسيم واحتلال أرضنا.

إنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين.

وماذا يعني هدم وإسقاط الدولة العثمانية بقية دولة الخلافة -على عِلاتها- وتقسيمها إلى عشرات الدول والدويلات والاستيلاء عليها، ثم عادت بريطانيا وفصلت السودان عن مصر، ثم عطفت مرة أخرى على السودان تسعى لفصل جنوبه وكونت فيه جيشاً من أهل الجنوب ودعمتهم بالمال والسلاح والخبرة ووجهتهم بالمطالبة بالانفصال عن السودان، ثم تبنت أمريكا هذا الجيش بالدعم المادي والمعنوي وعبر أدواتها الدولية كالأمم المتحدة وضغطت على حكومة الخرطوم بالتوقيع على اتفاقية ظالمة تسمح للجنوب بالانفصال بعد ست سنوات من توقيع الاتفاق.

وليعلم البشير وبوش أن هذا الاتفاق لا يساوي قيمة الحبر الذي كتب به، ولا يلزمنا بمثقال ذرة، وليس لأحد مهما كان أن يتنازل عن شبر من أرض الإسلام، وسوف يبقى الجنوب جزءًا لا يتجزأ من أرض الإسلام بإذن الله ولو استمرت الحروب لعقود قادمة.

ثم لم تكتف أمريكا بكل هذه الفتن والجرائم، بل توجهت لإثارة فتن أخرى، وكان من أكبرها فتنة غرب السودان مستغلة بعض الخلافات بين أبناء القبائل وأثارتها حرباً شعواء فيما بينهم تأكل الأخضر واليابس تمهيداً لإرسال قوات صليبية لاحتلال المنطقة وسرقة نفطها، تحت غطاء حفظ الأمن هناك.)

وقال رحمه الله في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وتعلمون أن امريكا قد جعلت الجوائز العظام لمن يقتل المجاهدين في سبيل الله، وإننا في تنظيم القاعدة

ملتزمون بإذن الله بجائزة قدرها عشـــرة الاف جرام من الذهب لكل من يقتل المحتل "بريمر" أو نائبه أو قائد القوات الأمريكية أو نائبه في العراق، وأما الأمم المتحدة فما هي إلا أداة صـليبية صـهيونية وإن تسـترت ببعض الأعمال الإغاثية، وهل سـلم فلسطين لليهود إلا الأمم المتحدة، وهل فصل تيمور الشرقية إلا الأمم المتحدة، وهل برر حصـار العراق وقتل أكثر من مليون طفل إلا الأمم المتحدة، وهي اليوم تواصـل أدوارها الخبيثة ضـد الأمة، لذا فإن من يقتل "كوفي أنان" أو رئيس بعثته إلى العراق أو ممثليه كالأخضـر الإبراهيمي فله نفس الجائزة -عشـرة آلاف جرام من الذهب- وكذلك جائزة مقدارها الف جرام ذهبا لكل من يقتل عسـكريا أو مدنيا من سـادة الفيتو -كالأمريكيين أو البريطانيين- وخمسـمئة جرام ذهبا لمن يقتل عسـكريا أو مدنيا من عبيد الجمعية العمومية بالعراق أيضـا -كاليابان وإيطاليا- ونظرا للظروف الأمنية فتسـليم الجوائز سـيكون في أقرب فرصـة متاحة بإذن الله، وأما من قتل بعد قتله لأحد جنود الاحتلال فالجائزة الكبرى لنا وله أن يمن الله علينا بالشـهادة في سبيله، وأما جائزته الصغرى فستكون لورثته بإذن الله.)

المواثيق الدولية

ونتبع الحديث عن موقف الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- من مسائل الحاكمية والموقف من هيئة الأمم المتحدة الحديث عن موقفه من المواثيق الدولية التي تخالف الشريعة فقد كان موقفه من ذلك واضحاً جلياً فقال -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (كما وأني أطمئن أهلنا في فلسطين خاصة بأننا سنوسع جهادنا بإذن الله، ولن نعترف بحدود سايكس بيكو، ولا بالحكام الذين وضعهم الاستعمار، فنحن والله ما نسيناكم بعد أحداث الحادي عشر، وهل ينسى المرء أهله؟! ولكن بعد تلك الغزوات المباركة التي أصابت رأس الكفر العالمي وفؤاده الحليف الأكبر للكيان الصهيوني أمريكا فإننا اليوم منشغلون بمصاولتها ومقاتلتها وعملاءها ولاسيما في العراق وأفغانستان والمغرب الإسلامي والصومال، فإن انهزمت وعملاءها في العراق بإذن الله فلن يبقى كثير ولا قليل لتنطلق جحافل المجاهدين كتائب في إثرها الكتائب من بغداد والأنبار والموصل وديالى وصلاح الدين تعيد لنا حطين -بإذن الله-، ولن نعترف لليهود بدولة ولا على شبرٍ من أرض فلسطين كما فعل جميع حكام العرب عندما تبنوا مبادرة حاكم الرياض قبل سنوات، ولم يكتفوا بارتكاب تلك المصيبة الكبرى بل رأى الناس مؤخراً راعية المستسلمين تسوقهم متقاطرين إلى أنابوليس تمارس عليهم ما مارسه الأمريكيون على أجدادها من قبل ولكن لا ليباعوا بل ليبيعوا، وأي شيء يبيعون؟ يبيعون القدس والأقصى ودماء الشهداء ولا حول ولا قوة إلا بالله، عليهم من الله ما يستحقون، وبذا تأكد للناس من الأمين ومن الخائن ومن الذي تحركه الأيادي الصهيونية.

أنا مازال جـرح القدس في جنبيَّ يعتمل

ووقد مصابها كالنار في الأحشاء يشتعل

أنا ما خنت عهد الله لما خانت الدول

كما وأننا لن نحترم المواثيق الدولية التي تعترف بالكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين كما تحترمها قيادة حماس أو كما صـرح بذلك بعض قيادات الإخوان المسـلمين، وإنما جهاد لتحرير فلسطين كلها من النهر إلى البحر بإذن الله واضعين أيدينا بأيدي المجاهدين الصـادقين هناك من قواعد حماس والفصـائل الأخرى الذين أنكروا على قادتهم عدولهم عن الحق، فالدم الدم والهدم الهدم وأكرر القسم: "والله لننصرنكم ولو حبواً على الركب أو نذوق ما ذاق حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه".)

وقال -رحمه الله- في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (إنها حرب صـليبية صهيونية ضد المسلمين.

وماذا يعني هدم وإسـقاط الدولة العثمانية بقية دولة الخلافة -على عِلاتها- وتقسـيمها إلى عشـرات الدول والدويلات والاسـتيلاء عليها، ثم عادت بريطانيا وفصلت السودان عن مصر، ثم عطفت مرة أخرى على السودان تسعى لفصل جنوبه وكونت فيه جيشاً من أهل الجنوب ودعمتهم بالمال والسلاح والخبرة ووجهتهم بالمطالبة بالانفصـال عن السـودان، ثم تبنت أمريكا هذا الجيش بالدعم المادي والمعنوي وعبر أدواتها الدولية كالأمم المتحدة وضغطت على حكومة الخرطوم بالتوقيع على اتفاقية ظالمة تسمح للجنوب بالانفصال بعد ست سنوات من توقيع الاتفاق.

وليعلم البشير وبوش أن هذا الاتفاق لا يساوي قيمة الحبر الذي كتب به، ولا يلزمنا بمثقال ذرة، وليس لأحد مهما كان أن يتنازل عن شبر من أرض الإسلام، وسوف يبقى الجنوب جزءًا لا يتجزأ من أرض الإسلام بإذن الله ولو استمرت الحروب لعقود قادمة.

ثم لم تكتف أمريكا بكل هذه الفتن والجرائم، بل توجهت لإثارة فتن أخرى، وكان من أكبرها فتنة غرب السودان مستغلة بعض الخلافات بين أبناء القبائل وأثارتها حرباً شعواء فيما بينهم تأكل الأخضر واليابس تمهيداً لإرسال قوات صليبية لاحتلال المنطقة وسرقة نفطها، تحت غطاء حفظ الأمن هناك.)

وقال -رحمه الله- في "رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله-": (إنَّ أبا مصعب علَّم البشرية دروسًا عملية في كيفية انتزاع الحرية، فالحرية لا توهب للخانعين تحت قباب الديمقراطية، وعلَّم البشرية التمرُّد على الطغاة في زمنٍ استبدَّ فيه الطاغوت الأكبر فرعون العصر بوش وصحبه وداسوا على جميع القيم والمواثيق، ولكم في غزو العراق وسجن غوانتنامو عبرة، فأرهبوا الناس واستذلُّوهم بالنار والحديد، وعاملوا الرؤساء معاملة العبيد.)

الولاء والبراء

إن الولاء والبراء من الأصـول والركائز التي اهتم ببيانها علماء الإسـلام قديماً وحديثاً فهو من المسائل العقدية المهمة التي ينبثق منها كثير من الأحكام الشرعية في مختلف أبواب الشريعة..

وقد بين الدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله- أثر هذه المسألة في كتاب "الولاء والبراء؛ عقيدة منقولة وواقع مفقود" وذكر في خاتمته: (وفي ختام هذه الصـفحات نود أن نؤكد على عدد من المعاني الخطيرة:

١) إن موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ركن خطير في عقيدة المسلم، لا يتم إيمانه إلا به، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصـارى أولياء بعضـهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.

ومعاداة الكافرين التي هي ركن الإيمان بالله لا تتم إلا بالكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿**ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**﴾، وقال تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً**﴾.

فلا بد لنا من مفاصلة الطواغيت وأعوانهم والتبرؤ منهم، ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾.

٢) إن التفريط في هذا الركن الأساسي؛ هو الثغرة التي ينفذ منها أعداء الإسلام للقضاء على الأمة المسلمة ولخداعها وتخديرها وتوريطها في الكوارث والمصائب، قال الله تعالى: ﴿**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلى خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين**﴾.

٣) إن التفريط في هذا الركن الأساسي يؤدي إلى انحلال عقيدة المسلم، وانسلاخه منها، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**﴾.

٤) إننا أحوج ما نكون إلى التفريق بين أولياء الإسلام الذين يدافعون عنه، وبين أعدائه الذين يعتدون عليه، وبين المذبذبين الذين لا يعملون إلا لتحقيق مصالحهم بتوهين مقاومة الأمة وصرفها عن الميدان الحقيقي للمواجهة، قال الله تعالى: ﴿**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾، وقال أيضاً عز من قائل: ﴿**مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً**﴾.

٥) كيف يمكن لنا أن نقبل الدعوات الرامية إلى إخلاء الميدان أمام أعداء الأمة المسلمة؟

كيف يمكن أن نسكت عن سعيهم في حرمان المسلمين من حق مقاومة أعدائهم؟ وهو الحق الذي يمارسه كل البشر!

كيف يمكن أن نسكت عن تثبيطهم، والأمة تملك هذا المدد الهائل من الإمكانات والمجاهدين الصادقين؟

كيف يمكن أن نسمح لهذه الدعوات أن تسري بيننا وقد تعدى المجرمون علينا بكافة أنواع التعدي؟ ولم يرقبوا فينا حرمة ولا خلقاً ولا إلاً ولا ذمة!

إن أي مسلم حريص على انتصار الإسلام؛ لا يمكن أن يقبل أي نداء إلى إيقاف الجهاد أو تعطيله، أو صرف الأمة عنه، رغم وجود كل هذه الإمكانيات التي أشرنا إليها، وفي الوقت الذي ينهش أعداؤنا كل يوم في مقدساتنا وحرماتنا وثرواتنا، قال الله تعالى: ﴿**لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون**﴾.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أحمد وأبو داود.

٦) ولا نكتفي -فقط- برفض أية دعوة لإيقاف الجهاد، بل إننا ندعو الأمة بجميع طوائفها وشرائحها وفئاتها؛ إلى الانضمام لقافلة الجهاد والسير في طريقه، والتنافس في القيام به والنكاية في أعدائها، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم**

على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾.

٧) كما إننا نمد أيدينا لكل مسلم حريص على انتصار الإسلام، حتى يشاركنا في خطة عمل -لإنقاذ الأمة من واقعها الأليم- ترتكز على البراءة من الطواغيت ومعاداة الكافرين وموالاة المؤمنين والجهاد في سبيل الله.

خطة عمل؛ يتنافس فيها كل حريص على الإسلام على البذل والعطاء من أجل تحرير أراضي المسلمين وسيادة الإسلام في دياره، ثم نشر دعوته بين العالمين.

٨) إننا نحذر أمتنا من السلبية والتغافل عن الأخطار الجاثمة فوق صدورنا، إن الآلة العسكرية الصليبية اليهودية تحتل القدس الشريف، وتجثم على بعد تسعين كيلومتراً من الحرم المكي، وتحاصر العالم الإسلامي بسلسلة من القواعد والجيوش والأساطيل. وتدير عدوانها عبر شبكة من الحكام المستسلمين.

ونحن لا نريد أن نعيش في كوكب آخر، ونتصرف وكأن الخطر على بعد ألف سنة منا، إننا قد نفتح عيوننا -في أي صباح- لنجد الدبابات اليهودية التي تهدم البيوت في غزة وجنين تحاصر منازلنا.

إن الحملة على العراق لها ما بعدها، وإن قتل "أبي علي الحارثي" بالصواريخ الأمريكية في اليمن نذير لنا؛ بأن النمط الإسرائيلي في قتل المجاهدين في فلسطين قد

انتقل إلى العالم العربي، وكل منا قد يكون غداً هدفاً لصاروخ أمريكي، وأصبح الاتهام الأمريكي لن يفلت منه أي داعية مخلص أو كاتب شريف.

إن علينا أن نتحرك وبسرعة، وكفى ما ضاع من أوقات.

والشباب المسلم؛ عليه ألا ينتظر إذناً من أحد، فإن جهاد الأمريكان واليهود وحلفائهم من المنافقين المرتدين قد صار فرضاً عينياً -كما بينا- وعلى كل مجموعة من الشباب أن تحمل هم أمتها وتخطط لرد العدوان عنها.

علينا أن نشعل أرضنا ناراً تحت أقدام الغزاة، فلن يرحلوا بغير ذلك.

٩) وختاماً: ندعو أمتنا المسلمة وخاصة شبابها المجاهد؛ إلى الصبر واليقين، الصبر على القيام بأعباء الدين وخاصة ذروة سنامه -الجهاد في سبيل الله- قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾، واليقين بوعد الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿**كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز**﴾.

أخرج مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك».)

وقد أولى العلماء والدعاة والأئمة المجددون موضوع الولاء والبراء عناية كبيرة لما له من أثر كبير ومنزلة عظيمة في إقامة الدين ونصرة المسلمين وجهاد أعداء الدين وغيرها من الأحكام والمسائل..

وقد سار الإمام المجدد -أسامة بن لادن-رحمه الله- على نهج من سبقه من العلماء والدعاة في هذا الباب فجعله ركيزة أساسية وركناً ركيناً في دعوته وجهاده فَشَغَل موضوعُ الولاء والبراء مساحة واسعة من كلمات وتوجيهات إمامنا المجدد -رحمه الله- ومن الأمثلة على ذلك:

قول الإمام المجدد في "رسالة مفتوحة إلى الملك فهد بمناسبة التعديل الوزاري الأخير": (إلى ملك نجد والحجاز فهد بن عبد العزيز: السلام على من اتبَّع الهدى، وبعد...

فهذه رسالة مفتوحة نبعث بها إليك بعيداً عن ألقاب المجاملات الملكية وألقاب التفخيم، وهي مصارحة لك ببعض ما يمكن التصريح به مما ارتكبته أنت ومن حولك من أمور عظام في حق الله ودينه، وحق عباده وبلاده، وحق حرمه وأُمَّته، فإن وضوح ما سنكتبه لك من حق، وجلاء ما في هذه الرسالة من الصواب، يدفعنا إلى الأمل بأن تخترق ما أحطت به نفسك من حجب عن سماع الحق، وجدر دون وصوله إليك.

أيُّها الملك:

مناسبة هذه الرسالة هي ما تقوم به أنت والأمراء المتنفذون من خداع للناس ومحاولة لِلّعب على عقولهم وامتصاص لغضبهم عليكم ونقمتهم على حكمكم بما تقومون به من "إصلاحات" هامشية خادعة تدخل في باب المسكِّنات والمهدئات الآنية لنقمتهم، ومن ذلك ما قمتم به من تأسيس مجلس الشورى الذي انتظرته الأُمَّة طويلاً، وخيّب آمالها بعد أن وُلد ميتاً، وما قمتم به أخيراً من تعديلٍ وزاريٍّ هامشي

لم يمس رأس الداء وأساس البلاء الذي هو أنت ووزير دفاعك ووزير داخليتك وأمير الرياض ومن على شاكلتكم!!

ومناسبة هذه الرسالة المهمّة لن تدفعنا إلى تخطى جوهر الخلاف معك، وأساس الصراع مع حكمك، وهذا الجوهر والأساس ليس هو ما يتبادر إلى ذهنك مما عملت على إشاعته في عهدك، ومكّنت له من بعدك من ظلم للعباد وهضم لحقوقهم، وخاصة العلماء منهم والدعاة والمصلحين والتجار وشيوخ القبائل. ولا هو ما عرّضت له الأُمَّة عامةً من إهانةٍ لكرامتها وتدنيسٍ لمقدساتها وسلبٍ لخيراتها ونهبٍ لثرواتها، ولا هو أيضاً ما شاع في عهدك من الرشاوي والعمولات وانتشر من المحسوبية والفساد الإداري والأخلاقي!! ولا هو كذلك ما قدمت إليه البلاد من انهيارٍ اقتصادي مذهل وصل بها إلى درجة الإفلاس.

فهذه الأمور المهمّة سنعرض لبعضها لاحقاً بعد أن نعرض أولاً لجوهر الخلاف معك وأساسه الذي هو خروج نظام حكمك عن مقتضيات لا إله إلا الله ولوازمها التي هي أساس التوحيد الفارق بين الكفر والإيمان لأن كل تلك الأمور ناجمة عن خروجك ونظام حكمك عن مقتضيات التوحيد، ولوازمه.

وبما أننا سنصدر -إن شاء الله- قريباً بحثاً يتناول أوجه هذا الخروج بشكلٍ أكثر تفصيلاً فإننا سنقتصر في هذه الرسالة الموجزة على بيان وجهين من وجوه هذا الخروج وهما:

أولاً: حكمك بغير ما أنزل الله وتشريعك له.....

الوجه الثاني: موالاة الكفار ومعاداة المسلمين

ليست هنالك سمة للسياسة الخارجية في نظام حكمكم أبرز من ربطكم إياها بمصالح الدول الغربية والصليبية والأنظمة الطاغوتية في البلاد الإسلامية، ومثبت هذه الحقيقة لا يحتاج إلى كثير عناء فالقاصي قبل الداني يعرف مدى هذا الارتباط، فنظام حكمكم الذي يتبجح بحماية العقيدة وخدمة الحرمين هو الذي أعلن عن دفع أربع مليارات من الدولارات مساعدة للاتحاد السوفيتي السابق الذي لم يغسل بعد يديه الملطخة بدماء الشعب المسلم في أفغانستان، وذلك سنة ١٩٩١م.

ونظام حكمكم -حارس العقيدة السمحة!!- هو الذي دفع قبل ذلك آلاف ملايين من الدولارات للنظام النُصيّري السوري سنة ١٩٨٢م، مكافأةً له على ذبح عشرات الآلاف من المسلمين في مدينة حماة، وهو كان يدعم الموارنة النصارى من حزب الكتائب اللبناني ضد المسلمين هناك. ونظام حكمكم -الرشيد!!- هو الذي دفع مليارات الدولارات للنظام الطاغوتي الذي يطحن الإسلام والمسلمين في الجزائر. ونفس النظام هو الذي دعم بالمال والسلاح المتمردين النصارى في جنوب السودان. ومع كل هذه العظائم الجمّة في حق المِلة والأُمّة، فإن نظام حكمكم أفلح إلى حين في مخادعة بعض الناس وتضليلهم عن هذه الحقائق.

إلا أن الله أبى إلا أن يكشف حقيقتكم بأحداث اليمن الأخيرة التي مزّقت آخر الأقنعة التي كنتم تتموهون بها وتضللون الناس من ورائها، فقد كان دعمكم السياسي والعسكري للشيوعيين اليمنيين القاصمة التي قصمت ظهركم سياسياً الحالقة التي حلقت مصداقيتكم إسلامياً ... إن أحداث اليمن أوقعتكم في تناقض فظيع، أظهر

أن دعمكم للمجاهدين الأفغان ليس حباً في الإسلام، ولكن حمايةً للمصالح الغربية التي كان يهددها كسب الروس للمعركة هناك، وإلا فإن الشيوعي الأفغاني لا يختلف عن الشيوعي اليمني والمسلم اليمني لا يختلف عن المسلم الأفغاني أيضاً، فكيف نفسر دعمكم للمسلمين ضد الشيوعيين في أفغانستان، ودعمكم ضد المسلمين في اليمن؟

هذا التناقض لا يمكن أن يفهمه إلا من عَلِمَ أن سياستكم مملاةٌ عليكم من الخارج من قِبَل الدول الغربية الصليبية التي ربطتم مصيركم بمصالحها، ولذا فما تقومون به أحياناً من دعم لبعض القضايا الإسلامية ليس دافعه -كما بيّنا- حب القضايا الإسلامية ومناصرة أهلها، بل دافعه الحقيقي هو حماية مصالح الدول الغربية الكافرة التي قد تتلقي مع تلك القضايا الإسلامية، كما حصل في أفغانستان.

والدليل على ذلك أن القضايا الإسلامية التي تتعارض مع المصالح الغربية، وقفتم فيها لدعم تلك المصالح على حساب أصحاب القضايا المسلمين، فهذا شعب الصومال المسلم قد وقفتم ضد مصالحه مع السياسة الأمريكية وبذلتم في ذلك مال الأُمَّة المغصوب، ورجالها المكرهين. وقبل ذلك وبعده، ها هي قضية فلسطين أم القضايا الإسلامية، قد باركتم مسيرة التطبيع والتركيع والتضييع التي تُسيَّر فيها ومضيتم في مسلسل السلام والاستسلام المفروض فيها، وتطوعتم بدفع جزء كبير من تكاليف العملية رغم الضائقة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، حيث تبرعتم بمائة مليون دولار لسلطة ياسر عرفات العلمانية التي جيء بها لتمارس ما عجزت عن تحقيقه

سلطات الاحتلال اليهودي من قمع ضد الشعب الفلسطيني المسلم، ومحاربة لحركاته الجهادية وفي مقدمتها حركة المقاومة الاسلامية "حماس".

ولم يمنعكم من دعم سلطة عرفات واستقباله في الرياض موقفه العدائي منكم إبان حرب الخليج ودعمه الواضح لصدام حسين، فقد بلعتم منه تلك الإهانة مراعاةً لخاطر الراعي الأمريكي لمسيرة السلام المزعوم!!

ولا غرو في ذلك، فحتى لو لم تكن على قناعة شخصية بعملية السلام المزعوم، فليس أمامك إلا الاستجابة لأوامر وليِّ أمرك الأمريكي، أوَ ليس الرئيس الأمريكي كلينتون هو الذي لما زار البلاد رفض أن يزورك في الرياض، وأصرَّ على أن تأتيه صاغراً ذليلاً في القواعد الأمريكية في حفر الباطن؟ الرئيس الأمريكي بتصرفه ذلك أراد أمرين:

- أولهما: أن يؤكد أنّ زيارته أساساً هي لقواته المرابطة في تلك القواعد!!
- وثانيهما: أن يلقنك درساً في الذلة والمهانة حتى تعلم أنه وليُّ أمرك حقيقةً حتى داخل مملكتك المزعومة التي ليست في الحقيقة أكثر من محميةٍ أمريكية يسري عليها القانون الأمريكي!!

إن مما لاشكَّ فيه ولا نزاع بين العلماء أن موالاة الكفار ومناصرتهم ضد المسلمين تعتبر ناقضاً قطعياً من نواقض الإسلام، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام العشرة، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وقال تعالى: **﴿لاَّ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الآخر يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾**، وقد جعل تعالى اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ابتغاء للعزة عندهم، من خصائص المنافقين، قال تعالى: **﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾**، وموالاة الكفار كما قال أهل العلم هي إكرامهم والثناء عليهم والنصرة والمعاونة لهم على المؤمنين والمعاشرة وعدم البراءة منهم ظاهراً، فهذه ردّة من فعلها يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين، كما يدل على ذلك الكتاب والسُنّة وأقوال علماء الأُمّة المقتَدَى بهم، ولله درُّ القائل:

ومن يتول الكافرين فمثلهم ... ولا شكَّ في تكفيره عند من عقل
وكل محب أو معين وناصرٍ ... ويظهر جهراً للوفاق على العمل
فهم مثلهم في تكفيرٍ من ريبةٍ ... وذا قول من يدري الصواب من الزلل

فماذا يقول أهل العقيدة النقية والتوحيد الخالص أيها الملك في أفعالكم الكفرية؟ وبماذا يجادل الذين يدافعون عنكم بالباطل؟

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.)

وقال رحمه الله في "توجيهات منهجية": (فالمنهج فيما يبدو لنا ويظهر؛ وهو في خصال محددة تظهر في نص آخر من نصوص الشريعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾، فهذا النص هو في مثل حالتنا ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ**﴾.

عندما تحصل الردة؛ ماهي الصفات المطلوبة لإعادة الناس إلى الإسلام؟ فهنا ذكر صفات ستة؛ ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾، فلابد أن نتصف بهذه الصفات:

- المحبة العظيمة لله سبحانه وتعالى.
- والذلة على المؤمنين والتراحم.
- والتناصح بالحسنى وبالمعروف.
- والعزة على الكافرين.

وهذا يظهر بوضوح في أهم عروة في الإسلام وهي الولاء والبراء، نوالي المؤمنين ونعادي الكافرين ونكون عليهم أعزة.

٥) ثم الصفة الخامسة ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾.

فالجهاد في سبيل الله وعدم الخوف من لومة أي لائم، هاتان الصفتان في غاية الأهمية لإعادة الناس إلى الدين.

فالذين يظنون أنهم يمكن أن يعيدوا الناس إلى الدين، وأن يقيموا دولة إسـلامية بعد أن انحسر ظل الإسـلام عن الأرض، فهؤلاء ما فقهوا منهج الله سبحانه وتعالى، فهذه الآية غاية في الوضـوح والصـراحة في حالة الردة، فلا بد من المحبة والولاء، أن يكون ظاهرًا عند الناس، والبراء من الكفار أن يكون ظاهراً، مع الجهاد في سبيل الله، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ وهي تشـمل النصـح بكل أنواعه، والأمر بالمعروف بكل أنواعه.

فإذا قمنا بتحقيق هذه الصفات، وأوجدنا عناصر تتخلق بهذه الصفات، فنكون قد أوجدنا القاعدة القوية التي تبدأ في التغيير، وتجاهد في سبيل الله سبحانه وتعالى إلى أن يقوم الحق.)

وقال -رحمه الله- في "حقيقة الصـراع - أولى حروب القرن": (فلا يمكن بحال من الأحوال أن يتم تناسـي هذا العداء بيننا وبين الكفار فالعداء عقدي، فلابد من الولاء مع المؤمنين وأهل "لا إله إلا الله" ويجب التبرؤ من أهل الشرك والكفر والإلحاد -حسبي الله عليهم جميعا-..

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾، فالمسألة مسألة ملة، مسألة عقيدة، لا كما يصورها بوش وبلير على أنها حرب ضد الإرهاب.)

التحذير من معاونة الأعداء

ويلحق الحديث عن قضـــية الولاء والبراء عند الإمام المجدد أســـامة بن لادن –رحمه الله– الحديث عن تركيز الإمام المجدد على قضـــية التحذير من خطر معاونة الأعداء ومناصـــرتهم على المســـلمين.. فإن ذلك من أظهر صـــور المولاة لهم قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَـارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

قال الإمام القرطبي –رحمه الله– في تفســيره: (قوله تعالى: ﴿**ومن يتولهم منكم**﴾ أي يعضــدهم على المســلمين ﴿**فإنه منهم**﴾ بين تعالى أن حكمه كحكمهم، وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتد.)

وقال الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسيره: (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نَهَىَ المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصـــارى أنصـــارًا وحلفاءَ على أهل الإيمان بالله ورســوله وغيرَهم، وأخبر أنه من اتخذهم نصــيرًا وحليفًا ووليًّا من دون الله ورســـوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزُّب على الله وعلى رســـوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان.)

وقال سيد قطب في "في ظلال القرآن": (وتشير نصوص هذا الدرس إلى طريقة المنهج القرآني في تربية الجماعة المسلمة وإعدادها لدورها الذي قدره الله لها كما تشير إلى مقوّمات هذا المنهج والمبادئ التي يريد تقريرها في النفس المسلمة وفي الجماعة المسلمة في كل حين. وهي مقومات ومبادئ ثابته، ليست خاصة بجيل من هذه الأمة دون جيل. إنما هي أساس النشأة للفرد المسلم وللجماعة المسلمة في كل جيل..

إن هذا القرآن يربي الفرد المسلم على أساس إخلاص ولائه لربه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الذي يقف فيه وكل صف آخر لا يرفع راية الله، ولا يتبع قيادة رسول الله ولا ينضم إلى الجماعة التي تمثل حزب الله. وإشعاره أنه موضع اختيار الله، ليكون ستاراً لقدرته، وأداة لتحقيق قدره في حياة البشر وفي وقائع التاريخ. وأن هذا الاختيار -بكل تكاليفه- فضل من الله يؤتيه من يشاء. وأن موالاة غير الجماعة المسلمة معناه الارتداد عن دين الله، والنكول عن هذا الاختيار العظيم. والتخلي عن هذا التفضيل الجميل..)

وهذا الأمر الخطير الذي يذهب بدين من تلبس به قد حذر منه الإمام المجدد كثيرا وجعله من المسائل الكبرى في دعوته وجهوده فقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (ثم إني أوجه النداء للمسلمين عامة ولشعب العراق خاصة، فأقول لهم:

إياكم ومناصرة قوات أمريكا الصليبية ومن شايعها، وإن كل من يتعاون معها وما انبثق عنها -بغض النظر عن الأسماء والمسميات- كأجهزة الأمن والشرطة والجيش

وغيرها أو تحت مســـمى مجلس الحكم الانتقالي فهو مرتد كافر مهدور الدم يجب قتله.

وكذلك حكم من يناصـــر الأحزاب الكفرية كحزب البعث العربي الاشـــتراكي والأحزاب الكردية الديمقراطية وما شـــابهها، وإن هذه المناصـــرة والموالاة للكفار هي من نواقض الإسـلام العشـرة كما لا يخفى، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾، وقال: ﴿**بَشِّـرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً**﴾. فاتقوا الله وتوبوا إليه وتبرؤوا من هذه الأنظمة والأحزاب الطاغوتية وآمنوا بالله وحده وجاهدوا لتكون كلمة الله هي العليا.)

وجاء في لقاء مع الصحفي تيسير علوني لقناة الجزيرة:

(-تيسـير علوني: طيب شـيخ أسـامة، ما هي إسـتراتيجية تنظيم القاعدة في الدول العربية، الملاحظ أن بعض الدول العربية علقت على ما حصل في نيويورك وواشنطن، علقت تعليقا مؤيدا للاتهامات الأمريكية لكم بالوقوف وراء ما حصـــل في نيويورك وواشـنطن، بعض الدول العربية أشـد شـططا في تعليقها، مثلا تعليق وزير الداخلية السـعودي الأخير الذي حذر منكم شـخصيا وحذر من إتباع نهجكم ومن إتباع ما تقولونه، فهل لديكم استراتيجية خاصة بالدول العربية؟ وما هو ردكم على التصـريح الأخير لوزير الداخلية السعودي؟

-الشـيخ أسـامة بن لادن: أؤكد أننا جزء من هذه الأمة، وأن هدفنا هو نصـرة أمتنا والسعي لرفع الظلم والذل والهوان والخنوع عنها، ورفع الأحكام الوضعية التي فرضتها

أمريكا على عملائها في المنطقة، لتُحكم هذه الأمة بكتاب ربها الذي خلقها سبحانه وتعالى، فاستمعت إلى طرف من كلام وزير الداخلية، و اتهمنا بالاسم بشكل مباشر وقال إن هؤلاء يكفرون المسلمين، معاذ الله، فإننا نعتقد أن المسلمين مسلمون ولا نكفر أحدا إلا إذا ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، إن كان عالما بأن هذا ناقض للإسلام، أو من معلوم من نواقض الدين بالضرورة. لكن نقول عموما، همنا أن تجتمع هذه الأمة على كلمة سواء تحت كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وأن تتحرك هذه الأمة لقيام الخلافة الراشدة مع الأمة الإسلامية عموما التي بشرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أن الخلافة الراشدة ستعود بإذن الله سبحانه وتعالى، والمطلوب من الأمة أن توحد جهودها في هذه الحملة الصليبية، فهذه أشد وأعنف وأشرس حملة صليبية تقوم على العالم الإسلامي منذ فجر التاريخ العالم الإسلامي، فقد مرت حروب صليبية سابقة ولكن لم يسبق لمثل هذه الحملة مثيل، وقد صرح بوش بلسانه "Crusade" أي الحرب الصليبية، فالغريب أننا نقوّل ما لم نقل، ويصدق بعض الناس، يقال أننا كما ذكر وزير الداخلية، نكفر المسلمين، معاذ الله من ذلك، وبوش عندما يقول، يلتمسون له الأعذار، يقول ما قصدنا حرب صليبية، هو قال أنها حرب صليبية، فصورة العالم اليوم "منقسمة" إلى قسمين، وقد أصاب بوش عندما قال: "إما معنا أو مع الإرهاب"، أي إما مع الصليبية أو مع الإسلام، بوش صورته اليوم، هو في أول الطابور يحمل الصليب الضخم، الكبير ويسير، وأشهد بالله العظيم، أن كل من يسير خلف بوش في خطته هو قد ارتد عن ملة محمد ﷺ، وهذا الحكم هو من أوضح الأحكام في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ،

وقد أفتى كما ذكرت المشـــايخ من قبل، والدليل على ذلك قوله ســبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين قائلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَـــارَى أَوْلِيَاء بَعْضُـــهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَـإِنَّـهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْـدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

قال أهل العلم: (الذي يتولى الكفار قد كفر)، ومن أعظم معالم الولاية المناصـــرة بالقول وبســنان وبالبيان، فالذين يســيرون خلف بوش وفي حملته ضــد المســلمين، قد كفروا بالله ورســوله ســبحانه وتعالى. ويقول أيضــا في الآية التي تليها ســبحانه وتعالى: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَـى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَة فَعَسَــى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْـبِحُواْ عَلَى مَا أَسَــرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾، ويقول: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْــبَحُواْ خَاسِــرِينَ**﴾، قال ابن كثير –رحمه الله–.

في تفســيره وغيره: كان كثير من الصـــحابة لا يعلمون أن رأس النفاق منافق كافر، عبد الله بن أبي بن سـلول، فلما وقع ما وقع بين المسـلمين واليهود من خلاف، أراد رســول الله ﷺ أن يعاقب اليهود، تحرك رأس النفاق ووقف مع صــف اليهود وحال بين رسولنا عليه الصلاة والسلام وبين اليهود، فهذه الآيات نزلت فيه وفي أمثاله.

فالذين يتولون الذين كفروا، قد كفروا بالله ســبحانه وتعالى ورســوله، وتزيد الآية التي تليها تعقيبا على ما فات، لأن هذا الذي تولى الكافرين قد ارتد، فجاءت الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَـــوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ**

﴿وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فأقول للمسلمين فليحذروا أشد الحذر من موالاة اليهود والنصارى، ومَن زلت قدمه بكلمة فليتق الله ويجدد أيمانه وليتوب مما فعله.

تيسير علوني: حتى الكلمة؟

الشيخ أسامة بن لادن: حتى الكلمة، الذي يواليهم بكلمة يقع في الردة، ردة جامحة ولا حولا ولا قوة إلا بالله.

تيسير علوني: ولكن قسم كبير جدا من الأمة...؟

الشيخ أسامة بن لادن: ليس قسم كبير، هذا حكم الله سبحانه وتعالى وبيّن واضح في كتابه الكريم، وهو من أوضح الأحكام.

تيسير علوني: الحكومات العربية والإسلامية؟

الشيخ أسامة بن لادن: الكل من، لا يضرنا أن تقول عمر أو زيد، اعرف الحق، تعرف أهله، لا تعرف الحق بالرجال، هذا كتاب الله سبحانه وتعالى، من الثوابت عندنا، لو تمالأت الدنيا على تغيير أي شيء فيه لا يضيرنا ولا يغير من قناعتنا شيئا، هو إما حق أو باطل إما إسلام وإما كفر.

تيســـير علوني: هل من ممكن أن تحدد لو سمحتم ألا يمكن التماس العذر لبعض الدول التي قد تعتبر مغلوبة على أمرها، دعنا نأخذ دولة قطر مثلاً؛ دولة قطر دولة صـــغيرة، قال وزير خارجيتها في إحدى المرات، أنني محاط بدولة عظمى ممكن أن تمحني من الخارطة بكل ســـهولة، لذلك مضـــطر للتحالف مع الأمريكان وغير الأمريكان، ألا يمكن التماس العذر لدولة قطر؟، مثل الكويت مثلا؟ مثل البحرين؟

الشيخ أسامة بن لادن: في هذه الأمور، في أمور الإسلام هذه وفي أمور قتل المؤمنين والمســلمين، هذا الذي يفعله هؤلاء الناس ويتحججون بالإكراه ليس هو من الإكراه المعتبر شرعاً، هذا الإكراه لا يعتبر شرعاً، لو جاء الآن أمير قطر وأمر رجلا عنده أن يقتل ابنك، فجئنا إلى هذا العســـكري، لماذا قتلت ابن الأخ تيســـير، فيقول: أنني مكره، أنت يا تيسير تعرف معزتك عندي ولكن أنا مكره، فتضيع دماء الناس بهذه الحجج، هذا إكراه غير معتبر شـرعاً، ليس نفس هذا العســكري بأفضـل من نفس ابنك، هو يقتل، يقتل مظلوما، أما ليس له الحق أن يعين ظالم على قتل ابنك، فهذا إكراه غير معتبر شرعاً.)

وقال –رحمه الله– في "إلى أهل العراق خاصـة والمســلمين عامة": (حكم من ناصـر الكفار على المسلمين، فقد أجمع أهل العلم أنَّ مناصرة الكفار على المسلمين، كفر أكبر مخرج من الملَّة، وهي معدودة في نواقض الإســلام العشــرة، ســواء كان الكافر روميًّا أو عربيًّا، حاكمًا أو محكومًا، فمناصـــرة أمريكا أو حكومة علاوي المرتدة، أو حكومة كرزاي، أو حكومة محمود عباس وغيرها من الحكومات المرتدة، في قتالهم ضــدَّ المســلمين، كفر أكبر مخرج من الملَّة، ويدخل في ذلك أصــحاب الشــركات،

والعاملين الذين يقومون بنقل الوقود والذخائر والمواد التموينية أو أي احتياجات أخرى، وإنَّ كل من يناصرهم ويساعدهم بأي نوع من أنواع المساعدة، فقد ارتدَّ عن الدين، ويجب قتاله.

وتدبَّروا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وراجعوا إن شئتم الأدلة وأقوال العلماء في كتاب "التبيان في كفر من أعان الأمريكان"، فالمسلم يوالي أولياء الله وإن كانوا عجمًا، ويعادي أعداء الله وإن كانوا عربًا، والعراقي الذي يجاهد ضد الكفار الأمريكيين أو حكومة علاوي المرتدة، فهو أخونا ووليُّنا، وإن كان فارسيًّا أو كرديًّا أو تركمانيًّا.

والعراقي الذي ينضم إلى هذه الحكومة المرتدة، ويقاتل معها المجاهدين المقاومين للاحتلال، فقد ارتدَّ وكفر، وإن كان عربيًّا من ربيعة أو مضر.

فلا يقول المسلم هذه حرب أهلية لا يجوز الدخول فيها، كلاَّ، فإنَّما أهلنا المسلمون، ونتبرأ من الكافرين؛ وقد قاتل رسول الله ﷺ عشيرته وبني عمومته، من أجل لا إله إلا الله.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

وتدبَّروا قصة بلال الحبشي وأبي جهل القرشي، فبلالٌ آمن فرضي الله عنه، وبُشِّر بالجنة وهو وليُّنا، وأبو جهل كفر، وغضب الله عليه، وهو من أهل النار، وهو

عدوُّنا. قاتله أبناء عمومته بأيديهم رضـــي الله عنهم، فإنَّما الاعتبار في الروابط بين المؤمنين بالإيمان، وما بعده له تبع، فإذا انتقض الإيمان فلا اعتبار لرابطة النســـب والعشيرة والوطن. قال الله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾.

فـالـذين يُقتلون من العراقيين المنتمين لحكومـة علاوي المرتـدة: كعنـاصـــر الجيش، وأجهزة الأمن والحرس الوطني، هؤلاء كأبي جهل العربي القرشـــي، دمهم هدر، كفار لا يُصـلَّى عليهم، ولا يرثون ولا يورثون، وتطلق منهم زوجاتهم، ولا يُدفنون في مقابر المسلمين.

وأقول لهؤلاء: اتقوا الله في أنفســـكم، وفي دينكم وفي أمَّتكم، وأقلعوا عن مناصـــرة حكومـة علاوي المرتـدة، المعيَّنة من قبـل المحتل الأمريكي، وليختلِ كل واحد منكم بنفســه، وليســألها علامَ يضـيّع دينه ودنياه؛ من أجل دراهم معدودة؟! فارجعوا إلى دينكم تفلحوا، وترجع أخوَّتنا، ونصل الرحم الذي بيننا.)

وقال في "النفير": (فيجب على المؤمنين أن يجاهدوا لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كلٌ بحسب طاقته، قال رسول الله ﷺ في صحيح مسلم: «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلســـانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل». رواه مســـلم، وهذا الحديث العظيم يشـــمل جميع المؤمنين، فبما أننا مؤمنون إذن فنحن مجاهدون في ســـبيل الله لنصـــرة الدين، فالمؤمن الذي عجز عن الجهاد بيده ولسـانه يجب عليه أن يجاهد بقلبه، ومن

ذلك أن يستمر في بغض أعداء الله ويدعو عليهم وأن يستمر في موالاة المؤمنين والمجاهدين ويدعو لهم ويستشعر الأخوَّة الإيمانية التي تربطه بالمسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها، وينبغي أن يستشعر أن أهل الإيمان في فسطاط واحد وأن أهل الكفر في فسطاط واحد إلى أن يمن الله على الأمة بدولة تضم المسلمين تحت لوائها بإذن الله، وينبغي أن يحدث نفسه بالجهاد في سبيل الله بيده ولسانه، وهذا أضعف الإيمان وينبغي عليه مقاطعة بضائع أميركا وحلفائها، وليحذر المؤمن كل الحذر من أن يؤيد الباطل، فإن مناصرة الكافرين على المسلمين -ولو بكلمة- كفر بواح كما قرر ذلك أهل العلم، وليحذر من أن يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ**﴾، أو من الذين قال الله فيهم: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾، فلا يجمع بين كبيرة القعود وكبيرة التخذيل.)

وقال -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (فينبغي على كل أخ من الأخوة المجاهدين أن يتدبر ويُعمل عقله ولا يعطله وأن يفرق بين حُسن الظن بالقادة وبين أن يكون كَيِّساً فطناً يزن الأمور والرجال بميزان الإسلام ويترفع عن أن يكون إمَّعَة يتبع القادة على غير بصيرة ، فالذين بقوا مع القادة كسياف ورباني في كابل يناصرونهم ضد المسلمين بعد كل الذي حصل هؤلاء قد ظاهروا الكفار على المسلمين وذلك ناقضٌ من نواقض الدين وليس بعذر لهم حسن ظنهم بالقادة فيجب عليهم أن يفتشوا قلوبهم ويتبرؤوا من الشرك وأهله ويدخلوا في الإسلام من

جديد ، فكم من الناس ضلوا عن سواء السبيل لتعصبهم لقادتهم وكبرائهم بغير هدى وليتدبروا قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.

ومن العِبَر، ألا ينخدع الإخوة بأسماء الأحزاب أو بقادتها، فهذا سياف كان أبرز قادة المجاهدين وكان مِلء السمع والبصر واسم حزبه الاتحاد الإسلامي ثم أعان أمريكا على المسلمين وذلك كفر بواح ، وهذا رباني وحزبه الجمعية الإسلامية وحاله كذلك ، وهذا أحمد شاه مسعود الذي ذهب عند الصليبيين في أوروبا يعرض نفسه على الملأ ليكون أداة لإسقاط إمارة أفغانستان الإسلامية ثم يزعم بعض المضلين أنه شهيد، ولئن زلَّ بعض قادة الأفغان فإنه بفضل الله قد ثبت البعض الآخر فكانوا صادقين مخلصين –نحسبهم والله حسيبهم– منهم الشيخ يونس خالص –عليه رحمة الله– والشيخ جلال الدين حقاني –حفظه الله– وكلاهما قد أفتى بوجوب الجهاد ضد الغزو الأمريكي لأفغانستان وساهما فيه، كما رأت الدنيا بأسرها صدق وثبات الأمير المجاهد الملا محمد عمر في قتال تحالف الكفر العالمي وعدم الرضوخ والخضوع لهم بتضييع أمانته وذلك برفضه التخلي عن الشريعة أو تسليم من دخلوا في جواره من العرب المهاجرين لأنهم إخوانه في الدين ولو ذهبت الإمارة وكرسيها، مواقف عظيمة تنبئ عن رجال عظام –أحسبهم والله حسيبهم ولا أزكي على الله أحداً– ففرق هائل بين موقف الحاكم المسلم وبين مواقف الحكام المنافقين الذين تعاونوا مع أمريكا في الحرب العالمية ضد الإسلام ، فالأول ضحَّى بملكه من أجل دينه والآخرون يضحون بدينهم من أجل مُلكهم فالفرق بينهم هو الفرق بين الإيمان والكفر فشتان شتان بين مواقف المؤمنين الرجال وبين مواقف المنافقين أشباه الرجال.

وقد يقول بعض الناس إن بعض قادة الجهاد في أفغانســـتان الذين زلّت أقدامهم كانت لهم ســابقة فقد رفعوا راية الجهاد مبكراً ضــد الروس فينبغي أن تقال عثراتهم، فأقول: يجب التفريق بين العثرة التي ينبغي إقالتها لذوي الهيئات وبين ارتكاب الحدود التي يجب أن تقام ولا يُستثنى منها أحد فالمرأة التي سرقت في عهد رسول الله ﷺ لها ســابقة في الإســلام والهجرة ومع ذلك أقيم الحد عليها لتجنيب الأمة طريق الهلاك، فتدبر.

وذكري لهؤلاء القادة إنما هو من هذا الباب فقد ارتكبوا ناقضــاً من نواقض الإســلام وهو مظاهرة الكفار على المسلمين، ومنهج محاباة السادة والكبراء منهج منتشر بين كثير من المسلمين ومن هنا كان ضلال أصحاب هذا المنهج عن الصراط المستقيم.)

التحذير من مداهنة الأعداء والركون إليهم

ونتبع حديثنا عن الولاء والبراء عند الإمام المجدد أسامة بن لادن الحديث عن تحذيره عن الركون إلى الإعداء ومداهنتهم.. وهذا التحذير مصدره وأساسه من كتاب ربنا تبارك وسنة نبينا ﷺ ونهج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فقد قال الله تعالى: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾** [هود: ١١٢-١١٣].

وقال تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾** [القلم: ٧-١٠].

يقول سيد قطب -رحمه الله- في تفسير هذه الآيات: (**﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾**..

فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق. كما يفعلون في التجارة. وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير! فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها لأن الصغير منها كالكبير. بل ليس في العقيدة صغير وكبير. إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء. لا يطيع فيها صاحبها أحدا، ولا يتخلى عن شيء منها أبدا.

وما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق. وذلك حال الإســـلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان. جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها ســـواء. إن الهوة بينها وبين الإســـلام لا تعبر، ولا تقام عليها قنطرة، ولا تقبل قســـمة ولا صـــلة. وإنما هو النضـــال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق!)

والناظر في تراث الإمام المجدد أسامة بن لادن يجد أن مسألة التحذير من الركون إلى الأعداء أخذت حيزاً كبيراً في دعوة وتوجيهات الإمام المجدد حيث قال في "إلى الأمة الإسلامية عامة وإلى أهل العراق والصومال خاصة" : (ثم أني أقول لأمتنا الإسلامية برغم العمليات البطولية التي يقوم بها المجاهدون ضـــد الأمريكيين وعملائهم المرتدين والتي قتلت رجاله وبددت أمواله وأثخنت جراحه وشـــتتت حلفاءه وكســـرت هيبته وأظهرت ذلته حتى رضـــي من الغنيمة بالإياب ومع ذلك كله فإن العزل من أهل الإســـلام في أرض الرافدين يتعرضـــون لحملات إبادة على أيدي عصـــابات الحقد والغدر التي كانت منتشرة في جميع الأماكن الحساسة في حكومة الجعفري السابقة وهي موجودة اليوم كذلك في حكومة المالكي الحالية، لذا فقد حذرت قيادات من هيئة علماء المسلمين في العراق وناشدت إغاثة أهل الإسلام من هول وشدة حملة الإبادة التي يتعرضون لها وكان من أبرزهم الشيخ بشار الفيضي والشيخ عبد السلام الكبيسي والشيخ حارث الضاري حيث ذكر قبل فترة وجيزة بصريح العبارة بأنهم يتعرضـــون للإبادة وأنه قد خطف وعذب وقتل أكثر من أربعين ألفاً على يد القوات الصليبية وقوات الجعفري المرتدة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، لذا يجب على المسلمين

أن يدركوا ويغيثوا إخوانهم في أرض الرافدين بالمال والرجال حتى يكفوا عنهم عادية المعتدين من الصليبيين والمرتدين وأكد على أهلنا المسلمين في العراق بأنه ينبغي أن يعلموا علم اليقين أنه لا مداهنة مع الصليبيين والمرتدين ولا أنصاف حلول ولا سبيل لهم للنجاة إلا بالاعتصام بحبل الله وأن يحرصوا على الاجتماع وأن يحذروا الفرقة والنزاع ويلتزموا الجهاد وأقول لهم سيوفكم حصونكم واحذروا الاغترار بالأحزاب والجماعات التي دخلت وشاركت في هذه الحكومات فإن الأمر خطير وما هذه الحكومات والمشاركات السياسية إلا مخادعات لكم فسيوف القوم تقطر من دمائكم يوماً ولا يفل الحديد إلا الحديد ومن يأمل أن يقنع هؤلاء المرتدين بغير سلاح بالكف عن قتال أهل الإسلام في بغداد وما حولها فهو كأحمق يحاول إقناع الذئاب بالكف عن افتراس الغنم وهذا لا يكون فلا يكف بأس هؤلاء الكفار الصليبيين والمرتدين إلا بالقتال، فإن تركتم أمر ربكم لكم بقتالهم فقد خذلتم وهلكتم وعصيتم قال الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾، فالزموا الجهاد وانخرطوا في صفوف المجاهدين وعليكم بالجماعة والسمع والطاعة.)

وقال رحمه الله في "السبيل لخلاص فلسطين": (أمتي المسلمة، برغم هذا الحصار الشديد عليك إلا أن أمامك فرصة عظيمةً جداً لاستعادة حريتك للخروج من الخضوع والتبعية في هذا التحالف الصليبي الصهيوني، ولكي يتم ذلك فلا بد أن تتحرري من قيود الذل والخنوع التي يكبلنا بها وكلاء هذا التحالف من حكام بلادنا وأعوانهم، ولا سيما من قيود علماء السلاطين، وكذا من قيود قادة الجماعات

الإســـــلامية التي أصـــبح من منهجها الاعتراف بالحاكم الذي خان الملة والأمة والانخراط في المنظومةِ السياسيةِ للدولة، ولا فرق إن كانت في الحكم أو المعارضة.

أو تلك الجماعات الأخرى التي تضـخم عندها الحذر حتى وصـل إلى درجة الخوف المقعد عن القيام بالجهاد، هذه العبادة التي ينهى عنها الحاكم، والتي هي ذروة سـنام الدين وهي السبيل لكف بأس الكفار ولفك الحصار عن المسلمين.

وبعض هذه الجماعات تسوغ مداهنة الحاكم والقعود عن الجهاد تحت ذريعة مصلحة الدعوة، حتى صـار هذا الادعاء صـنماً يعبد من دون الله، وتحت غطائه تزاحم أوامرُ قادة الجماعة أوامرَ الله تعالى وأوامرَ رسوله ﷺ وذلك هو الضلال المبين.)

وقال -رحمه الله- في "رسـالة إلى الأمة الإسـلامية": (وبذا يتضـح الفرق بين المنهج الذي اتبعه صـــلاح الدين الأيوبي بقتال الكفار لكف بأســـهم ومنهج أمريكا الذي اتبعه الحكام العرب، ذلك المنهج الآمر بالاستسلام للعدو، كما اتضح منهج العلماء والجماعات والأحزاب الذين يدورون في فلك الحكومات وهذا هو الضـــلال المبين، فهؤلاء وإن رفع بعضـــهم شـــعار "الإســـلام هو الحل" فلا تنخدعوا بهم فاعترافهم بالحكام الطواغيت يناقض شعارهم.

فحالهم كما لو أن رجلاً في صـدر الإسـلام قال إن الإسـلام هو الحل وإن أبا جهل وصـناديد قريش من ولاة الأمر، وهو ملتزم بما تصـدره دار الندوة من قوانين تشـريعية وضعية، فهل يشك مسلم عاقل بأن هؤلاء قد ضلوا ضلالاً بعيداً؟!

وإني عندما أصف الجماعات الإسلامية بواقعها الحقيقي فإن ذلك من باب التناصح والنصح للأمة، وحرصاً منّي على تحذيرها من انحراف مسارها، فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.

وإن المداهنة في الباطل فضلاً عن كونها معصية فهي تعين الآخرين على السير في طريق الضلال، ولا توصلهم لنصرة الدين كما يدعون ويتوهمون؛ فنصرة دين الله بما شرع لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع، فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..)

الرد على دعاة الصلح (التطبيع) مع اليهود

ويتفرع من الحديث عن قضـية الولاء والبراء الحديث عن مسـألة التطبيع مع اليهود المحتلين لمقدسات وأراضي المسلمين فقد جعلها الإمام المجدد محوراً رئيساً من محاور الصـراع بين الحق والباطل فإن هذا التطبيع مبناه على الاعتراف والمولاة للكيان الصهيوني وخذلان المستضعفين من المسلمين ومقدساتهم..

وقد بين الشـيخ ناصـر الفهد -فرج الله عنه- حقيقة التطبيع مع اليهود وعلاقته بقضـية الولاء والبراء وأنه لا يدخل تحت باب الصـلح والهدنة المشـروعة المذكورة في أبواب الفقه وإنما يدخل تحت باب مولاة اليهود -عليهم وعلى من والاهم لعائن الرب المعبود- فَسَـطَّر -فرج الله عنه- في كتابه "التبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين" كلاماً نفيساً يخرج من مشكاة عقيدة ومنهج السلف انقله بطوله لأهميته في هذه المرحلة التي رأينا فيها بعض الحركات الإسلامية أخذت تسلك هذا السبيل الضال نسأل الله العافية والسلامة، فقال -فرج الله عنه-:

(مصطلح "التطبيع" -كما سبق- مصطلح حادث، لم يرد ذكره في الكتاب ولا في السـنة؛ فلا بد من معرفة حقيقة هذا المصـطلح ومعرفة ما يقابله من المصـطلحات الشـرعية لترتيب الحكم الشـرعي بناء على ذلك؛ لأن العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

والمتأمل في اتفاقيات ما يسمى بالسلام التي عقدها اليهود مع غيرهم، وفي تصريحات المسئولين اليهود، وما ورد من ذكر حقيقة المراد من "التطبيع" من أهل الاختصاص،

على ما سبق تفصيله في الفصل الثاني، يعلم جيداً أن "التطبيع" هو في الاصطلاح الشرعي "موالاة اليهود"، فهذه هي التسمية الشرعية لهذا الأمر إذا أتي الأمر من بابه.

والكلام على حكم هذا الأمر سأعرضه على وجهين: إجمالي، وتفصيلي:

الوجه الأول: الحكم الإجمالي:

إن اتفاقيات السلام والتطبيع مع اليهود هي أمر زائد على الصلح المشروع، فهي إقامة للعلاقات الدائمة معهم، وإقرار لهم في ديار الإسلام، وتمكينهم من الدخول والعبث بعقول المسلمين، وإمدادهم بما يزيد من قوتهم وجبروتهم -على ما سبق تفصيله-، وهذا كله في الشرع من باب الموالاة لليهود، وإلقاء المودة لهم، والركون إليهم، ونحو ذلك من المحرمات، وقد دلت نصوص كثيرة على النهي عن ذلك، ومنها:

١ - قوله تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمَاً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وبِاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادّ اللهَ وَرَسُوْلَه وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيْرَتَهُمْ**﴾.

٢ - قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

٣ – قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٤ – قوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ).

٥ – قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

٦ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.....

والنصوص في النهي عن موالاة الكفار والركون إليهم ومودتهم ووجوب بغضهم ومعاداتهم كثيرة جداً.

الوجه الثاني: الحكم التفصيلي:

فإن معاهدات السلام والتطبيع مع اليهود فيها من الموبقات والعظائم الشيء الكثير، ولو أردنا أن نستقصي ما في هذه الاتفاقات من المنكرات والعظائم لطال بنا المقام،

فإنها اتفاقات لم يراع فيها من قام بها حق الله سبحانه، ولم يلتفت إلى الدين أصلاً، فلا عجب أن كانت مليئة بالطوام.

لذلك سوف أذكر هنا بعض أصول المنكرات الموجودة في هذه الاتفاقات، وفي ذكرها كفاية لمن أراد الحق، فمن ذلك:

المنكر الأول: أن التحاكم في هذه الاتفاقات إلى الطاغوت

المنكر الثاني: أن هذه الاتفاقات تملك اليهود أرض الإسلام

المنكر الثالث: أن هذه الاتفاقات تلغي الجهاد في سبيل الله

المنكر الرابع: أن هذه الاتفاقات تولٍ لأعداء الله ومظاهرة لهم على المجاهدين

المنكر الخامس: أن هذه الاتفاقات تهدم أصل البراء من الكفار

المنكر السادس: أن في هذه الاتفاقات تسليطاً لليهود على المسلمين

وفيما يلي تفصيل ذلك، فأقول مستعيناً بالله سبحانه:

المنكر الأول: أن التحاكم في هذه الاتفاقات إلى الطاغوت:

وذلك أن الاستناد فيها على مواثيق الأمم المتحدة وقوانينها، وليس فيها رجوع إلى الشرع مطلقاً، وهذا من التحاكم إلى الطاغوت

وهيئة الأمم المتحدة قد جمعت بين أمرين:

الأول: أنها هيئة طاغوتية تحكم بآراء الكفار وقوانينهم الجاهلية.

والثاني: أنها هيئة ظالمة باغية، فإنها تقوم على قاعدة: إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإذا سرق فيهم القوي تركوه.

فأي خيرٍ يرتجى من مثل هذه المنظمة؟!.

وإيمان المسلم لا يتم إلا بالكفر بالطاغوت بجميع أشكاله، كما قال تعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾، وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن ابعدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾.

ومن الطواغيت: طاغوت الحكم بغير ما أنزل الله كما قال الله سبحانه: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾.....

المنكر الثاني: أن هذه الاتفاقات تملك اليهود أرض الإسلام:
ففيها الاعتراف الصريح بملكية اليهود لأراضي المسلمين في فلسطين وإعطائهم لها، وإقرارهم عليها، وهذا من أعظم الخيانات للأمة، وفرق كبير بين ترك قتالهم والهدنة معهم لوجود الضعف للإعداد لهم، وبين الاعتراف بهم، وإقرارهم على أراضي الإسلام، فالأول جائز بالإجماع، والثاني محرم بالإجماع.)

وقد أفتى العلماء في منتصف القرن الرابع عشر بأن بيع شيء من أراضي فلسطين خيانة لله ولرسوله وللإسلام، فكيف بمن يبيع فلسطين كلها؟.

بل ويزيد على البيع: حماية الحدود، والتعهد بترك قتاله، واعتبار من يقاتله إرهابياً خارجاً على دولة شرعية، ويعمل على تقوية اقتصاده، ويدعو إلى تطبيع العلاقات معه؟!

ومن هذه الفتاوى السابق ذكرها:

١ - فتوى علماء فلسطين بتاريخ ٢٠ شوال ١٣٥٣ (٢٦ كانون ثاني ١٩٣٥م)، وأولها:

(الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإننا نحن المفتين، والقضاة، والمدرسين، والخطباء، والأئمة، والوعاظ، وسائر علماء المسلمين، ورجال الدين، في فلسطين، المجتمعين اليوم في الاجتماع الديني المنعقد في بيت المقدس بالمسجد الأقصى المبارك حوله، بعد البحث والنظر فيما ينشأ عن بيع الأراضي في فلسطين لليهود من تحقيق المقاصد الصهيونية في تهويد هذه البلاد الإسلامية المقدسة... وبعد النظر في الفتاوى التي أصدرها المفتون وعلماء الإسلام في العراق ومصر والهند والمغرب وسوريا وفلسطين والأقطار الإسلامية الأخرى والتي أجمعت على تحريم بيع الأرض في فلسطين لليهود، وتحريم السمسرة على هذا البيع، والتوسط فيه، وتسهيل أمره بأي شكل أو صورة، وتحريم الرضا بذلك كله والسكوت عنه، وأن ذلك كله أصبح بالنسبة لكل فلسطيني صادراً من عالم بنتيجته راض بها ولذلك فهو يستلزم الكفر والارتداد عن دين الإسلام باعتقاد حله... بعد النظر

والبحث في ذلك كله، وتأييد ما جاء في تلك الفتاوى الشرعية، والاتفاق على أن البائع والسمسار والمتوسط في الأراضي بفلسطين لليهود، والمسهل له، هو:

أولاً: عامل ومظاهر على إخراج المسلمين من ديارهم.

ثانياً: مانع لمساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وساع في خرابها.

ثالثاً: متخذ اليهود أولياء؛ لأن عمله يعد مساعدة ونصراً لهم على المسلمين.

رابعاً: مؤذ لله ولرسوله وللمؤمنين.

خامساً: خائن لله ولرسوله وللأمانة.

إلى أن قالوا:

فيعلم من جميع ما قدمناه من الأسباب والنتائج والأقوال والأحكام والفتاوى:

أن بائع الأرض لليهود في فلسطين سواء كان ذلك مباشرة أو بالواسطة، وأن السمسار والمتوسط في البيع والمسهل له والمساعد عليه بأي شكل مع علمهم بالنتائج المذكورة، كل أولئك ينبغي أن:

لا يصلى عليهم، ولا يدفنوا في مقابر المسلمين، ويجب نبذهم، ومقاطعتهم، واحتقار شأنهم، وعدم التودد إليهم والتقرب منهم، ولو كانوا آباء، أو أبناء، أو إخواناً، أزواجاً... هذا وإن السكوت على أعمال هؤلاء والرضا به مما يحرم قطعاً.)

٢ - فتوى علماء نجد في (يوليو ١٩٣٧م) وفيها: إن ولاية اليهود في بلاد الإسلام باطلة ومحرمة، ونحوها عن علماء العراق.

٣ - فتوى الشيخ محمد رشيد رضا: (إن من يبيع شيئاً من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنجليز فهو كمن يبيعهم المسجد الأقصى، وكمن يبيع الوطن كله؛ لأن ما يشترونه وسيلة إلى ذلك، وإلى جعل الحجاز على خطر، فرتبة الأرض من هذه البلاد هي كرقبة الإنسان من جسده، وهي بهذا تعد شرعاً من المنافع الإسلامية العامة، لا من الأملاك الشخصية الخاصة، وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل، وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام، ولا أذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة، وإنما أقترح على كل من يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله خاتم النبيين: أن يبث هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة إلى:

مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرون على خيانتهم في كل شيء: المعاشرة، والمعاملة، والزواج، والكلام، حتى رد السلام.)

٤ - فتوى رئيس جمعية العلماء المركزية في الهند محمد سليمان القادري: (إن المسلمين الذين يبيعون أراضي فلسطين المقدسة لليهود في أيامنا هذه أو يتوسطون بهذا الفعل القبيح مع أنهم علموا بأن اليهود لا يشترونها إلا لجلاء المسلمين عن تلك الأرض المقدسة وتبديل الهيكل مكان المسجد الأقصى وتشكيل دولة يهودية فإنهم عند الله ممن حاربوا الإسلام وسالموا الكفر وظاهروا أعداء الإسلام: ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما رحبت تجارتهم وما كانوا مهتدين**﴾، ولا يكون جزاؤهم إلا نار جهنم وأظن العلماء الذي أفتوا بكفرهم منعوا المسلمين من الصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين زجراً عليهم وعبرة لغيرهم قد أصابوا في فتياهم ولهم أجران.)

٥ – فتوى علماء الأزهر في إقامة الصلح والسلام مع اليهود والاعتراف بدولتهم عام (١٩٥٦م): (إن الصلح مع إسرائيل لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار للغاصب على الاستمرار في غصب ما اغتصبه وتمكينه، والاعتراف بحقية يده على المعتدي من البقاء على عدوانه، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم، بل يجب على المسلمين أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها، ومن قصر في ذلك أو فرط فيه، أو خذل المسلمين عن الجهاد أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار من تنفيذ مخططهم ضد العرب والإسلام وضد فلسطين فهو في حكم الإسلام: مفارق جماعة المسلمين، ومقترف أعظم الآثام.)

٦ – وفتوى أخرى للجنة علماء الأزهر برئاسة الشيخ عبد المجيد سليم في ١٤ شعبان ١٣٦٦ عن مساعدة اليهود وإعانتهم في تحقيق مآربهم في فلسطين، فأجابت اللجنة إجابة طويلة، ومما جاء فيها: (فالرجل الذي يحسب نفسه من جماعة المسلمين إذا أعان أعداءهم في شيء من هذه الآثام المنكرة وساعد عليها مباشرة أو بواسطة لا يعد من أهل الإيمان، ولا ينتظم في سلكهم، بل هو بصنيعه حرب عليهم، منخلع من دينهم، وهو بفعله الآثم اشد عداوة من المتظاهرين بالعداوة للإسلام والمسلمين.)

إلى أن قال: (ولا يشك مسلم أيضاً أن من يفعل شيئاً من ذلك فليس من الله ولا رسوله ولا المسلمين في شيء، والإسلام والمسلمون براء منه، وهو بفعله قد دل على أن قلبه لم يمسه شيء من الإيمان ولا محبة الأوطان، والذي يستبيح شيئاً من هذا بعد أن استبان له حكم الله فيه يكون مرتداً عن دين الإسلام، فيفرق بينه وبين زوجه، ويحرم عليها الاتصال به، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وعلى المسلمين أن يقاطعوه، فلا يسلموا عليه، ولا يعودوه إذا مرض، ولا يشيعوا جنازته إذا مات حتى يفيء إلى أمر الله، ويتوب توبة يظهر أثرها في نفسه وأحواله وأقواله وأفعاله.)

المنكر الثالث: أن هذه الاتفاقات تلغي الجهاد في سبيل الله:

ففيها اشتراط "السلام الدائم" و "الاحترام المتبادل" وترك القتال إلى الأبد، ولا شك أن هذا يؤدي إلى إلغاء لشريعة الجهاد في سبيل الله، بل وزادوا على ذلك المعاقبة عليه، وتسمية أهله بالإرهابيين!.

وإبطال شريعة الجهاد مطلقاً، والسعي إلى إلغائه كفر.

فالجهاد ذروة سنام الإسلام، شرعه الله سبحانه في كتابه، وحث عليه النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، وجاهد بنفسه، وجاهد الصحابة وأئمة الدين من بعده، فلا يبطله حكم حاكم، ولا عقد جائر........

المنكر الرابع: أن هذه الاتفاقات تولٍ لأعداء الله ومظاهرة لهم على المجاهدين:

ففي هذه الاتفاقات التعاون بين الطرفين في مجال مكافحة الجريمة، ومن الجرائم الجهاد ضد اليهود؛ لأن دولة اليهود أصبحت -بهذه الاتفاقات- دولة شرعية معترفاً بها، فيصبح من يجاهدها من "الخوارج والإرهابيين"، لذلك يتعاون جميع المتفقين في هذه المعاهدات على ضرب هؤلاء، والاتفاق على مثل هذا الأمر كفر من وجهين:

الوجه الأول:

أن هذا إعانة لليهود ومظاهرة لهم على المجاهدين، وهي ردة معروفة، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١]، وهذا هو الناقض الثامن من نواقض الإسلام.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في نواقض الإسلام: (الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل: قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.)

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: (وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم، كما قال الله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١].)

الوجه الثاني:

أن هذا تشريع عام يحرم ما أحل الله، بل يجرم ما أوجبه الله من الجهاد ضد أعداء الله تعالى ويعاقب عليه، وهذه كفر آخر.

قال الله سبحانه: ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والإيجاب والتحريم ليس إلا لله ولرسوله، فمن عاقب على فعل أو ترك بغير أمر الله ورسوله وشرع ذلك ديناً فقد جعل لله نداً ولرسوله نظيراً، بمنزلة المشركين الذين جعلوا لله نداً، أو بمنزلة المرتدين الذين آمنوا بمسيلمة الكذاب وهو ممن قيل فيه: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله).)

المنكر الخامس: أن هذه الاتفاقات تهدم أصل البراء من الكفار:

وذلك أن هذه الاتفاقات إنما تهدف إلى ما يسمى بالتطبيع مع اليهود، وقد سبق في الفصل الثاني ذكر معنى التطبيع بالتفصيل، وأن المراد به هو إحداث تغيير عقلي ونفسي جذري في المجتمع الإسلامي يهدف من خلاله إزالة العداوة بين المسلمين واليهود.

قال الرئيس الأمريكي "بوش" في مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١م: (إن غرض المؤتمر ليس إنهاء الحرب بين الطرفين وإنما إنهاء العداوة.)

وقال شامير في نفس المؤتمر: (لا بد من تغيير ثقافتكم العدائية نحو اليهود، فعلى مراحل تنتهي كل شعارات العداء لليهود؟ بل ينتهي حتى كل ما يثير العداء دينيًّا.)

ولا شـك أن هذا من أعظم الأخطار على المسـلمين، فأصـل ملة إبراهيم قائم على موالاة المؤمنين، وحبتهم، ومعاداة الكافرين، وبغضهم.

كما قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: ٤].....

<u>المنكر السادس</u>: أن في هذه الاتفاقات تسليطاً لليهود على المسلمين:

حيث فتحت هذه الاتفاقات بلاد المسـلمين لليهود ليدخلوها، فوضـعت لهم السـفارات، ورفعت رايتهم اليهودية، واسـتقبلت وفودهم السـياسـية والاقتصـادية والثقافية والإعلامية والسـياحية وغيرها، ومكّنوا من ديار الإسـلام، وصـارت لهم حصـانة، وهذا فيه من البلاء العظيم ما يعرفه كل من يعرف اليهود وخبثهم، ومن النظر في أفعالهم في (مصـر) رائدة التطبيع يتبين الحال فقد سـعوا لإفسـاد العقائد، وهدم البراء من نفوس المسـلمين، وأقاموا مراكز للتجسـس، وأكاديميات لمسخ العقول، كما أهلكوا الحرث والنسل بتدمير المزروعات وتصدير الأمراض وغير ذلك من البلاء العاجل.

وقد علم خبثهم عقلاء الكفار، فخشوا منهم على شعوبهم، وقد سبق أن ذكرنا في الفصل الأول كلام الرئيس الأمريكي "بنجامين فرانكلين" حيث قال: (في كل أرض حل فيها اليهود أطاحوا بالمسـتوى الخلقي، وأفسـدوا الذمة التجارية فيها، ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم.) ثم قال: (إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص الدستور فإن سيلهم سيتدفق إلى أمريكا في غضون مئة سنة إلى حد يقدرون معه

على أن يحكموا شـــعبنا، ويدمروه، ... حتى يكون مصـــير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام الشعب اليهودي.)

ولا شــك أن تسـليط هؤلاء على الشـعوب المسـلمة من أعظم الغش لهم.....) اهـ كلامه باختصار.

ولما كانت قضية التطبيع مع اليهود بهذه الخطورة وتتعلق بأصل الإيمان اجتهد إمامنا المجدد -رحمه الله- بالتصـدي لها ومحاربتها واجتهد بالرد على أباطيل دعاة الصـلح (التطبيع) مع اليهود وأصدر في ذلك كلمات وبيانات[١٢] نذكر منها:

ما جاء في بيان رقم (١١) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح "رسالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود":

(بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ ابن باز -حفظه الله -: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نحمد الله إليكم الذي أنزل الكتاب آيات بينات، ورفع الذين أوتوا العلم درجات، وأخذ عليهم ميثاقًا بالصـدع بالحق وبيانه وحذرهم من المداهنة فيه وكتمانه. والصـلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد القائل: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». حديثٌ صحيح أخرجه الإمام أحمد والطبراني وابن ماجه والبيهقي.

وبعد...

---

١٢ . وهنا أقول: هذه الكلمات والبيانات نرسل نسخة منها إلى دعاة الصلح (التطبيع) مع اليهود اليوم.. فهم يسيرون حذو القذة بالقذة في هذا الضلال المبين نسأل الله العافية والسلامة.

فإن من المعلوم لديكم ما حبا الله به أهل العلم من منزلة عظيمة، وأعطاهم من مكانة كريمة، ولا غرو في ذلك، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم هذا الدين، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتمييع الظالمين المسرفين، ويمثلون القدوة الحسنة والأسوة المثلى للأمة في النهوض بأعباء الانتصار للحق وإيثاره على ما عند الخلق.

وقد قام العلماء الصادقون من سلف الأمة وخلفها خير قيام بهذه المهمات، وما وقوف سعيد بن جبير في وجه طغيان الحجاج صادعاً بالحق، وتحدي الإمام أحمد بن حنبل لجبروت الحكم والسلطان وصبره في فتنة الخلق بالقرآن، وتحمل ابن تيمية وحسن بلائه في السجن انتصارًا للسُنّة، إلا نماذج من القيام بواجب النُّصرة للحق وأهله، قام بها هؤلاء الأئمة الأعلام انتصارًا للحق وغيرة على الدين، رحمهم الله جميعاً.

فضيلة الشيخ: لقد أردنا من ذكر ما سبق تذكيركم بواجبكم تجاه الدين، وتجاه الأمة وتنبيهكم إلى مسئوليتكم العظيمة، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.. أردنا تذكيركم في هذا الوقت الذي انتفش فيه الباطل، وعربد المبطلون المضلون، ووئد الحق، وسجن الدعاة، وأسكت المصلحون، والأغرب أن ذلك لم يتم بعد بعلم منكم وسكوت فقط، بل مُرر على ظهر فتاواكم ومواقفكم، ونحن سنذكركم -فضيلة الشيخ- ببعض هذه الفتاوى والمواقف التي قد لا تلقون لها بالاً، مع أنها قد تهوي بها الأُمَّة سبعين خريفاً في الضلال، كي تدركوا معنا ولو جانباً من خطورة هذا الأمر والآثار السيئة المترتبة عليه.

وإليكم بعض الأمثلة:

• إن مما لا يخفى على أحد المدى الذي وصل إليه انتشار الفساد العارم والذي شمل كافة نواحي الحياة حيث فشت منكرات المختلفة التي لم تعد تخفى على أحد، كما فصلت "مذكرة النصيحة" التي تقدم بها نُخبة من العلماء ودعاة الإصلاح، وكان من أخطر ما بينوا هو الشرك بالله المتمثل في التشريع وسن القوانين الوضعية التي تستبيح المحرمات والتي من أشنعها التعامل بالربا المتفشي ففي البلاد، وذلك من خلال مؤسسات الدولة وبنوكها الربوية التي تزاحم أبراجها مآذن الحرمين، وتعج بها البلاد طولها وعرضها.

ومما هو معلومٌ بالضرورة أن الأنظمة والقوانين الربوية التي تتعامل بها هذه البنوك والمؤسسات مُشَرَّعَةٌ من قِبَل النظام الحاكم ومصدق عليها منه، ومع ذلك لم نسمع منكم إلا أن تعاطي الربا حرام لا يجوز، غير مكترثين بما في كلامكم هذا من التلبيس على الناس، بعدم التفريق بين حكم من يتعاطى الربا فقط، وحكم من يشرع الربا ويقننه. مع أن الفرق بينهما واضح كبير، فمتعاطي الربا مرتكب لموبقة من أكبر الموبقات، أما مشرع الربا فهو مرتد كافر كفراً مخرجاً من المِلة بعمله هذا، لأنه جعل من نفسه نداً لله وشريكاً له في التحليل والتحريم – وهذا ما فصلناه في بحثٍ مستقل سينشر قريباً إن شاء الله. ومع أن متعاطي الربا غير المنتهي عنه قد أعلن الله ورسوله عليه الحرب ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ فما زلنا نسمع منكم عبارات الثناء والإطراء لهذا النظام الذي لم يكتف بالإدمان على تعاطي الربا فقط، بل شرعه وقننه

وأباحه، وقد قال ﷺ: «الربا ثلاثة وسبعون بابًا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه». صحيح ورواه الحاكم.

وقد قال ابن عباس –رضي الله عنه–: (فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه.) رواه بن جرير بسنده عن ابن عبّاس؛ هذا فيمن يتعاطى الربا؛ فما بالكم بمن يُحلل ويُشَرّع الربا؟ إن ما تتخبط فيه البلاد من أزماتٍ اقتصادية وسياسية وما انتشر فيها من الجرائم بشتى أنواعها، وبشكل مذهل ما هو إلا عقوبة من الله، وجزء من الحرب التي أعلنها سبحانه على من لم ينته عن تعاطي الربا ونحوه من المنكرات والمحق الذي حكم به على الربا ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾.

• وحينما عَلَّقَ الملك الصليب على صدره، وظهر به أمام العالم فرحاً مسروراً، تأولتم فعله، وسوغتموه مع شناعته وفظاعته، رغم وضوح أن هذا الفعل كُفر، والظاهر من حال فاعله الرضا والاختيار عن علم.

• ولما قررت قوات التحالف الصليبية واليهودية الغازية في حرب الخليج –بتواطؤ مع النظام– احتلال البلاد باسم تحرير الكويت سوَّغتم ذلك بفتوى متعسفة بررت هذا العمل الشنيع الذي أهان عزة الأُمَّة ولطخ كرامتها، ودنس مقدساتها معتبرة ذلك من باب الاستعانة بالكافر عند الضرورة، مهملة قيود هذه الاستعانة، وضوابط الضرورة المعتبرة.

• ولما قام النظام السعودي الحاكم بمساعدة ودعم رؤوس الردّة الاشتراكية الشيوعية في اليمن، ضدَّ الشعب اليمني المسلم في الحرب الأخيرة التزمتم الصمت، ثمَّ لما دارت الدائرة على هؤلاء الشيوعيين أصدرتم -وبإيعازٍ من هذا النظام- "نصيحة!!" تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مسلمين، موهمةً أن الشيوعيين مسلمون يجب حقن دماءهم، فمتى كان الشيوعيون مسلمين؟ ألستم أنتم الذين أفتيتم سابقاً بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان، أم أن هناك فرقاً بين الشيوعيين اليمنيين والشيوعيين الأفغان؟ فهل ضاعت مفاهيم العقيدة وضوابط التوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟

وما زال هذا النظام يؤوي أئمة الكفر هؤلاء في مختلف مدن البلاد ولم نسمع لكم نكيراً، وقد قال ﷺ: «لعن الله من آوى محدثاً». رواه مسلم.

• وحينما قرر النظام البطش بالشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي، اللذين صدعا بالحق وتحملا في الله الأذى، استصدر منكم فتوى سوغ بها كل ما تعرض ويتعرض له الشيخان ومن معهما من دعاة ومشايخ وشباب الأمة من البطش والتنكيل.. فك الله أسرهم ورفع عنهم ظلم الظالمين.

هذه بعض الأمثلة التي لم نقصد منها الحصر ولكن اقتضى المقام ذكرها ونحن بين يدي فتواكم الأخيرة بشأن ما يُسمّى بهتاناً بالسلام مع اليهود والتي كانت فاجعةً للمسلمين، حيث استجبتم للرغبة السياسية للنظام لما قرر إظهار ما كان يضمره من قبل، من الدخول في هذه المهزلة الاستسلامية مع اليهود، فأصدرتم فتوى تبيح السلام مطلقاً مقيداً مع اليهود فما كان من رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه

إلا أن صفقوا لها وأشادوا بها، كما أعلن النظام السعودي عقبها عن نيته في تنفيذ المزيد من التطبيع مع اليهود.

وكأنكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين لقوات الاحتلال اليهودية والصليبية، حتى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة بإضفائكم الشرعية على صكوك الاستسلام التي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العرب مع اليهود إن هذا الكلام خطيرٌ كبير، وطامة عامة لما فيه من التدليس على الناس والتلبيس على الأمة من عدة جوانب منها:

١. إن العدو اليهودي الحالي ليس إلا عدواً مستقراً في بلاده الأصلية محارباً من الخارج حتى يجوز معه الصلح، بل هو عدوٌ صائل مُفسدٌ للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم.) ا.هـ. [الاختيارات الفقهية ص.٣٠٩-٣١٠].

إن الواجب الشرعي تجاه فلسطين وإخواننا الفلسطينيين من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، هو الجهاد في سبيل الله وتحريض الأُمَّة عليه حتى تتحرر فلسطين عن أخرها وتعود إلى السيادة الإسلامية.

وفلسطين في غِنى عن مثل هذه الفتاوى المخذلة عن الجهاد والمخلدة إلى الأرض، هذه الفتاوى التي تقر احتلال العدو لأقدس مقدسات المسلمين بعد الحرمين

الشـريفين، وتُضـفي الشـرعية عليه، وتدعم بكل قوة مسـاعي العدو لضـرب الجهود الإسـلامية المتلهفة لتحرير فلسـطين عن طريق الجهاد الذي أكد من خلال عمليات أبطال الحجارة وشـباب الجهاد المسـلم في فلسـطين أنه السـبيل الوحيد الناجع في مواجهة العدو والكفيل بتحرير الأرض إن شاء الله.

ونذكركم هنا بفتواكم السابقة في هذا الشأن، لما سئلتم عن السبيل لتحرير فلسطين، فقلتم أنه: (لا يمكن الوصـول إلى حل لتلك القضـية إلا باعتبار القضـية إسـلامية، وبالتكاتف بين المسـلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهاداً إسـلامياً حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شـذاذ اليهود إلى بلادهم.) ا.هـــ. [مجموعة فتاوى الشـيخ عبد العزيز بن باز ١/٢٨١].

٢. هَب أن هذا العدو اليهودي عدوٌ يجوز الصـلح معه وتوفرت فيه الشـروط، فهل ما تقوم به الأنظمة والحكومات الطاغوتية العربية الانهزامية مع اليهود من سلامٍ كاذب مزعوم يعتبر سلاماً تجوز إقامته مع العدو؟

الكل يدرك أنه ليس كذلك فهذا لسـلام المزعوم الذي يتهافت فيه المتهافتون الآن من الحكام والطواغيت مع اليهود ما هو إلا خيانةٌ كبرى تتمثل في توقيع صـكوك استسلام وتسليم للقدس وفلسطين كلها من قبل هذه الحكومات لليهود، والاعتراف بسيادتهم عليها إلى الأبد.

٣. إن هؤلاء الحكام المرتدين المحاربين لله ورسـوله لا شـرعيةَ لهم ولا ولايةَ لهم على المسـلمين وليس لهم النظر في مصـالح الأُمَّة، ولكنكم بفتواكم هذه تعطون الشـرعية

لهذه الأنظمة العَلمانية وتعترفون بولايتها على المســـلمين، وهذا ما يتناقض مع ما عُرِفَ عنكم من تكفيرها في السابق، وقد بَيَّنَ لكم ذلك نُخبةٌ من العلماء والدعاة في مناشــدتهم إياكم ســابقاً بالامتناع عن هذه الفتوى، وســنرفق لكم صــورة من تلك المناشدة تذكيراً لكم وتنبيهاً.

إن فتواكم هذه كانت تلبيساً على الناس لما فيها من إجمال مخل وتعميم مضل، فهي لا تصلح فتوى في حكم سلامٍ منصف، فضلاً عن هذا السلام المزيف مع اليهود الذي هو خيانةٌ عُظمى للإسلام والمسلمين، لا يقرها مسلم عادي فضلاً عن عالمٍ مثلكم يفترض فيه من الغيرة على المِلة والأُمَّة.

إن الواجب فيمن يتصــدى للفتوى في قضــايا الأُمَّة الخطيرة الكبيرة، أن يكون على علم بأبعادها وما قد يترتب عليها من أضـرار وأخطار، لأن العلم بذلك من شـروط المفتي التي لا غنى عنها. يقول الإمام ابن القيم: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واســتنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط بها علمًا، والنوع الثاني فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكمه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر.) ا.هـ. [إعلام الموقعين ١/٨٧].

وإذا كانت الشــروط لازمة للفتوى بصــورة عامة، فإنها تتأكد في الفتوى فيما يتعلق بالجهاد والصـــلح ونحوه. يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: (والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصـــحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون

الذي يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين، فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا.) [الاختيارات الفقهية صـ٣١١].

إن الفتاوى السابقة لو صدرت عن غيركم لقيل بتعمد صاحبها ما تتضمنه من الباطل، ويترتب عليها من أثار وأخطار، ولكنها لما صدرت منكم تعين أن يكون سبب الخلل فيها غير ذلك من الأسباب التي لا ترجع إلى نقص علمكم الشرعي، ولكن لعدم إدراك حقيقة الواقع، وما يترتب على مثل هذه الفتاوى من أثار، مما يجعل الفتوى حينئذ غير مستوفاة الشروط ومن ثم لا يصح إطلاقها، مما يحتم على المفتي عندئذ أن يتوقف عن الفتوى أو يحيلها حينئذ على المختصين الجامعين بين العلم بالحكم الشرعي والعلم بحقيقة الواقع. وقد ثبت أن الإمام أحمد بن حنبل كان يتوقف في كثير من المسائل، وقد كان الإمام مالك إذا سئل عن القراءات أحال إلى الإمام نافع رحمهم الله جميعًا.

فضيلة الشيخ: إن إشفاقنا البالغ على حال الأُمَّة والعلماء من أمثالكم هو الذي دفعنا لتذكيركم، فإننا نربأ بكم وبأمثالكم عن أن يستغلكم النظام الحاكم هذا الاستغلال الفظيع ويرمي بكم في وجه كل داعية ومصلح، ويسكت بفتاواكم ومواقفكم كل كلمة حق ودعوة صدق، كما حدث عند ردكم على "مذكرة النصيحة" و "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" وغيرها.

فضيلة الشيخ: لقد تقدمت بكم السن، وقد كانت لكم أياد بيضاء في خدمة الإسلام سابقاً، فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله، وكونوا مع الصادقين، وإن لكم في سَلَف الأُمَّة وخلفها الصالح

أسوةٌ حسنة فقد كان من أبرز سمات العلماء الصادقين الابتعاد عن السلاطين؛ فقد فَرَّ الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- وغيره من العمل مع حكام عصره على رغم استقامتهم الكبيرة على الدين، إذا ما قورنوا مع حكام اليوم الذين لا يخفى ما هم عليه من فساد الدين وسوء الحال. وفي زماننا هذا، حينما أدرك العلامة الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- خطورة المسار الذي يمضي فيه النظام السعودي الحاكم وما يترتب عليه من خطر وضرر لمن يشاركه أو يختلط به آثر الفرار بدينه واستقال من رئاسة مجلس القضاء الأعلى. وقد قال الإمام الخطابي -رحمه الله- في التحذير من الدخول على هؤلاء الحكام: (ليت شعري من الذي يدخل عليهم اليوم فلا يصدقهم على كذبهم ومن الذي يتكلم بالعدل إذا شهد مجالسهم ومن الذي ينصح ومن الذي ينتصح منهم.) وقد صحَّ الحديث: "من أتى أبواب السلطان افتتن" فاحذروا فضيلة الشيخ الركون إلى هؤلاء بقولٍ أو عمل ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾، إن من لم يستطع الجهر بالحق والصدع به فلا أقل من أن يمتنع من الجهر بغير الحق، قال ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

وأخيراً: نرجو أن لا تجدوا في أنفسكم من هذا الكلام وتعتبروه خارجاً عن آداب النصح وما تقتضيه من إسرار وعدم إشهار فالأمر جلل خطير ومهم كبير لا يسوغ عنه السكوت، ولا يجوز عنه التغاضي.

وما ذكرناه معلومٌ لدى أهل العلم، وقد سبقنا إلى تنبيهكم عليه نخبة من علماء ودعاة الأُمَّة، حيث تقدموا لكم بمناشدات عدة في هذا الصدد منها مناشدتهم

إياكم قبل مدة بالامتناع عن الفتوى بجواز هذا السـلام الاسـتسـلامي المزعوم مع اليهود، مبينين عدم اسـتيفائه للشـروط اللازمة شـرعاً، محذرين من المخاطر الجمة الدينية والدنيوية المترتبة عليه، ومن الموقعين على تلك المناشـدة الشـيوخ الأفاضـل؛ ابن جبرين، عبدالله القعود، حمود التويجري، حمود الشعيبي، البراك، العودة، الخضيري، الطريري، الدبيان، عبد الله التويجري، عبد الله الجلالي، عائض القرني... وغيرهم كثير. وفي حرب اليمن الأخيرة لما صـدر منكم الكلام المشـار إليه سـابقاً أصـدر خمسةٌ وعشرون عالماً فتوى معارضة له مبينة الصواب الشرعي في المسألة، ومن هؤلاء العلماء الأفاضـل؛ المسـعري، الشـعيبي، الجلالي، العودة، الحوالي، العمر، اليحيى، التويجري.. وغيرهم كثير.

وفي الختام: نسـأل الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يبرم لهذه الأُمَّة أمر رشـد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصـيته ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ويحكم فيه بالعدل ويصـدع فيه بالحق، وتعلو فيه راية الجهاد خفاقة، لتسـتعيد الأمة عزتها وكرامتها، وترفع راية التوحيد فيه من جديد فوق كل أرض إسلامية سليبة.. ابتداء بفلسطين ووصولاً إلى الأندلس وغيرها من بلاد الإسلام الضائعة بسبب خيانات الحكام وتخاذل المسلمين.

كما نسأله تعالى أن يولي أمورنا خيارنا ويصرف عنا شرارنا، ونسأله السداد في القول والصواب في العمل والتوفيق لما يحبه ويرضاه في الحياة وحسن الختام عند الممات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عنهم؛ أسامة بن محمد بن لادن

التاريخ: ٢٧/٠٧/١٤١٥هـ الموافق: ٢٩/١٢/١٩٩٤م)

وما جاء في بيان رقم (١٢) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح "الرسالة الثانية للشيخ عبد العزيز بن باز":

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، والصلاة والسلام على من تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

إلى الشيخ عبد العزيز بن باز، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد سبق لنا في "هيئة النصيحة والإصلاح" أن وجهنا لكم رسالة مفتوحة في بياننا رقم ١١ وذكرناكم فيها بالله، وبواجبكم الشرعي تجاه الملة والأمة، ونبهناكم فيها على مجموعة من الفتاوى والمواقف الصادرة منكم، والتي ألحقت بالأمة والعاملين للإسلام من العلماء والدعاة أضرارا جسيمة عظيمة.

وكان من آخر تلك الفتاوى ما فَجعتم به المسلمين عموماً والمجاهدين والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان من أهل فلسطين خصوصاً، من إضفاء الصبغة الشرعية الدينية على الخيانات السياسية لحكام العرب الذين خانوا الله ورسوله، حيث اعتبرتم ما يقوم به هؤلاء من توقيع صكوك استسلامية تقضي بتسليم فلسطين إلى اليهود

والاعتراف بسيادتهم الأبدية عليها من قبيل الصلح الجائز مع العدو. ولما كانت الفتوى بهذه الدرجة من الخطورة، وكانت أصوات أهل العلم المستنكرة لها قد تعالت في الداخل والخارج -كان بياننا السابق من هذا القبيل- كانت الأمة تتوقع منكم موقفا ينصف القضية وترجعون به إلى الصواب، بعد أن حصحص الحق، وشهدت الأدلة المختلفة على بطلان تلك الفتوى وما تضمنته من خلط وتلبيس.

غير أن الجميع فوجئ لا لأنكم أكدتم فتواكم السابقة بما نشرته الجريدة المدعوة "المسلمون" بتاريخ ١٩ شعبان ١٤١٥ هـ، الموافق ٢٠ يناير ١٩٩٥م في عددها ٥٢٠ فقط، بل لما تضمنه هذا التأكيد أيضاً من إضافاتٍ وتفسيرات لمفهومكم لما يُسمّى بالسلام مع اليهود، حيث تضمنت تلك التفسيرات أموراً لم يكن اليهود وعملاؤهم يحلمون بصدورها منكم لما أشادوا بالفتوى السابقة وصفقوا لها. ونحن في هذه الرسالة نود أن ننبه على بعض الأمور التي لم يتسع لها البيان السابق، وبعض الأمور التي أثارتها فتواكم المؤكدة الثانية، وذلك بشيء من الإيجاز والإجمال، لأن ما ذكرناه في بياننا السابق، وما بينته رسائل وفتاوى أهل العلم في الداخل والخارج من بطلان هذه الفتاوى يغني عن التطويل والتفصيل في الموضوع بما لا يتسع له مثل هذا البيان.

وعليه فإننا سنوجز كلامنا فيما يلي:

أولاً: إن كل ما سقتموه من أدلة في الفتوى الأولى والثانية غاية أمره أن يدل على جواز الهدنة مع العدو عند توفر الشروط اللازمة. وقد بَيَّنَ أهل العلم أن ما يجري بشأن فلسطين الآن ليس من الصلح المعتبر شرعاً في شيء، لأنه لم يتوفر فيه من

الأركان والشـــروط إلا ما كان من قبل العدو، فطرف العقد الثاني هو زمرة من العَلمانيين المرتدين من حكام العرب، ومحل العقد هو أرض فلسطين ومسرى الرسول ﷺ التي هي أرض إسلامية، وصيغة العقد قاضية بتملك هذه الأرض لليهود تمليكاً أبدياً، وتلغي فرض الجهاد بشـكل دائم. ولما كان الإجماع منعقدا على بطلان ولاية المرتد، ومنعقدا كذلك على بطلان أي عقد يقضـي بتمليك أي شـبر من أرض المسلمين للعدو، علم بذلك أن هذا المسمى "سلاماً" باطلٌ من أساسه بالإجماع.

ومما يثير العجب والاستغراب هنا هو وصفكم لرئيس ما يُسمّى "السلطة الوطنية الفلسطينية" وشرذمته العَلمانية بأنهم "وليُّ أمر المسلمين في فلسطين" وبالتالي يجب الالتزام بما يعقده من عقود ويلتزم به من معاهدات مع العدو، مع أنه من المعلوم من فتاوى أهل العلم أن العَلمانية كفرٌ مخرجٌ من المِلة، وأنتم ممن أفتى بذلك مراراً وتكراراً. وهؤلاء لم يُخفوا في يومٍ من الأيام منهجهم العَلماني الفاضـح الواضـح في أقوالهم وأفعالهم ومواثيقهم، فكيف يستقيم مع هذا وصـفهم بأنهم "وليُّ أمر المسـلمين في فلسطين"؟

__ثانياً__: إن ما بنيت عليه هذه الفتوى من دعوى ضعف المسلمين وعجزهم عن قتال اليهود باطل هو الآخر، باطل من جهة كونه لم يصـدر من قبل أهل النظر والاختصاص، ومن ليس أهلا للنظر في مثل هذه الأمور لا يجوز له الحكم بناء على نظره ولو أصاب الصواب. وهو باطلٌ أيضاً من جهة كونه لم يصادف الصواب هنا، فمَنْ مِنْ أهل الخبرة والاختصـاص -الذين هم المرجع في تقدير مثل هذه الأمور- قال لكم إن أكثر من مليار مسـلم يملكون أكبر ثروة في العالم وأهم المواقع

الاستراتيجية فيه، عاجزون عن مواجهة خمسة ملايين يهودي في فلسطين؟ إن علة المسلمين اليوم ليست في الضعف العسكري، ولا في الفقر المادي، وإنما ينقصها علماء من أمثال ابن تيمية وحكام من جنس صلاح الدين -رحمهم الله- حتى يجتمع صلاح السلطان وصدق الإيمان وهدي القرآن، وعندئذٍ لن تغلب منهم اثنا عشر ألف من قلة، ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

وقد أكدت العمليات البطولية التي يقوم بها العزل من أطفال وشباب فلسطين المسلمين، وما أثارته من الرعب وألحقته من أضرار في صفوف العدو صدق هذه الحقيقة، فكيف لو توجهت الأُمَّة كلها هذا التوجه وسلكت هذا المسلك؟

ثالثاً: إن ما ذكرتموه مما يترتب على الصلح مع اليهود من جواز التبادل الديبلوماسي والتعاون الاقتصادي يتناقض مع ما ذكرتموه من أن تَمَلُّكَ اليهود فلسطين "تمليكٌ مؤقّت" لأن التبادل الدبلوماسي بمقتضى العُرف والقانون الدولي الذي تجري في ظله عملية "السلام"، والذي هو مرجع هؤلاء يعتبر اعترافاً متبادلاً يمنع أيَّ طرفٍ من التدخل في شؤون الطرف الآخر على أيِّ وجه يمكن أن يخل بسيادته المطلقة والدائمة على أراضيه.

إن اليهود لم يكونوا يحلمون -في سعيهم إلى اختراق الأُمَّة الإسلامية، ونهب ثرواتها- بأكثر مما قدمتم لهم من تسويغٍ "شرعي" لفتح العواصم والأسواق الإسلامية أمام سفاراتهم ومراكز تجسسهم وبث فسادهم وأفكارهم وأمام بضائعهم ومنتجاتهم فهذه خطوةٌ لازمة للتمهيد إلى إقامة دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات مروراً بأجزاءٍ كبيرة من جزيرة العرب.

رابعاً: ما قلتموه من أن تملك فلسطين لليهود بمقتضى هذا السلام المزعوم هو "تمليكٌ مؤقّت" منافٍ للحقيقة والواقع، لأن نصوص كل الاتفاقيات والمعاهدات تنص على أنه تَمَلُّكٌ أبدي بما في ذلك اتفاقية كامب ديفيد من مصر، واتفاق غزة-أريحا مع منظمة التحرير، واتفاقية وادي عربة مع الأردن، وأكثر هذه الاتفاقيات طموحاً تلك التي تطالب باسترجاع ما احتُلَّ من فلسطين في حرب ١٩٦٧ مقابل التنازل من العرب عن ما احتُلَّ في حرب ١٩٤٨ وهذا هو ما يَعنونَهُ بقولهم "الأرض مقابل السلام" ولنفترض أن اليهود تنازلوا عما احتُلَّ سنة ١٩٦٧، وهذا في غاية الاستبعاد، لأنهم مُصرون على أن القدس عاصمتهم الأبدية وهي مما احتُلَّ سنة ١٩٦٧؛ فبأيِّ شرعٍ يجوز إقرارهم على ما احتل من الأرض سنة ١٩٤٨ مع أن الإجماع منعقد على بطلان أي عقد يتنازل بموجبه المسلمون ولو عن شبر من الأرض ليتملكه العدو؟

وإذا أردتم التأكُّد فما عليكم إلا مراجعة تلك الاتفاقيات ، حتى لا تقولوا بغير علم، فهي صريحة في الاعتراف بسيادة العدو اليهودي الأبدية على ما احتل من فلسطين سنة ١٩٤٨، لأنه بدون الاعتراف بذلك لن تكون لليهود أرض وبالتالي لن تكون لهم دولة يعقد معها الصلح والهدنة ويجوز معها التبادل الدبلوماسي والتجاري وغيرها من الأمور التي تقولون بجوازها معهم ، لأنه من المعلوم أن كل أرض ما يُسمّى بإسرائيل إما مما احتُلَّ في ١٩٤٨ أو ١٩٦٧ وليس لها أرض زائدة على ذلك، فكيف يقال مع كل هذا إن تمليكهم لتلك الأرض مؤقت مع أن جميع الأطراف يصفون ما يجري بأنه "سلامٌ دائمٌ وشامل".

إن الأُمَّة عمومًا وأهالي فلسطين خصوصًا كانوا ينتظرون منكم القيام بواجبكم الشرعي تحريضًا على الجهاد واستنهاضًا للهمم له وحثًا للناس عليه وتأييداً ودعماً للناهضين بأعبائه من الأفراد والجماعات. وما كانوا يتوقعون منكم مثل هذه الفتوى التي تؤثِّم المجاهدين لتحرير الأقصى وفلسطين، نعم تؤثمهم؛ لأنهم بعملياتهم الجهادية ضد اليهود يخرقون اتفاق غزة-أريحا الذي وقعه "وليُّ أمر المسلمين في فلسطين" كما زعمتم، وخرقُ اتفاقٍ وقعه وليُّ أمر المسلمين لا يجوز. وبهذه الفتوى تثبطون وتصيبون بالإحباط أولئك الذين قدموا الآباء والأبناء والإخوان والأزواج شهداء في سبيل الله لتحرير القدس وفلسطين، لأنهم بمقتضى هذه الفتوى يكونون ماتوا على معصية لأنهم خرقوا اتفاقاً عقده "وليُّ أمر المسلمين في فلسطين" هذا معنى كلامكم ومقتضى فتواكم، فهل تعون ما تقولون ؟!أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ   وإن كنت تدري فالمصيبة أعظمُ

خامساً: إن ما يبعث على الخوف والقلق ليس مجرد صدور هذه الفتوى منكم، ولكن الأدهى أن هذه الفتوى صدرت بمقتضى منهج متبع من قبلكم في إصدار مثل هذه الفتاوى، أهم ما يميزه:

١. أنه ينطلق من مبدأ مجاراة حكام السوء في أهوائهم السياسية، ومواقفهم على تصرفاتهم.
٢. وفي سبيل ذلك يتعسف الأدلة ويلوي أعناق النصوص لتستجيب لتلك الرغبات.

٣. وإذا لم تسعف النصوص القابلة لذلك في الواقعة والمعروضة أبهم الحكم بصورة يتوصل بها الحكام لمرادهم.

٤. أنه قائم على الجهل بالواقع الذي هو مناط الحكم ولا تجوز الفتوى على جهل به.

٥. ولأنه مبني على رغبات الحكام المتقلبة فقد اتسم بكثير من التناقض والتعارض.

وقد أوردنا في رسالتنا السابقة من الأمثلة ما يشهد بصدق هذا الكلام.

ولا يخفى ما في هذا المنهج من البطلان الظاهر والفساد الجلي لأنه قائم على التشهي والمحاباة في إصدار الفتاوى وهذا -كما يقول ابن القيم رحمه الله-: (حرام باتفاق الأُمَّة، وهذا مثل ما حكى القاضي أبو الوليد الباجي عن بعض أهل زمانه ممن نصب نفسه للفتوى أنه كان يقول إن الذي لصديقي علي إذا وقعت له حكومة أو فتوى أن أفتيه بالرواية التي توافقه وهذا مما لا خلا ف بين من يعتد بهم في الإجماع أنه لا يجوز ... وهذا من أفسق الفسوق وأكبر الكبائر، والله المستعان.) [أعلام الموقعين ٤/٢١١].

هذا حكم المفتي الذي تَشَهّى باختيار الأقوال التي توافقه، وقد قيل بها قبله، فما حكم من يتشهى بإنشاء أقوال وفتاوى مخالفةً لإجماع السلف والخلف؟

هذا ونؤكد أن ما ذكرناه من النقد ليس مقصوداً لذاته، وإنما المقصود منه هو بيان الخطأ ليُجتَنَب، وهذا هو منهج أهل العلم، يقول الإمام النووي عن نفسه إنه التزم "بيان رجحان ما كان راجحاً وتضعيف ما كان ضعيفاً، وتزييف ما كان زائفاً،

والمبالغة في تغليط قائله ولو كان من الأكابر، وإنما أقصد بذلك التحذير من الاغترار به." [المجموع شرح المهذب ١/٥].

ولذا فإننا ننبه الأُمَّة إلى خطورة مثل هذه الفتاوى الباطلة وغير مستوفية الشروط، وندعوه إلى الرجوع في الفتوى إلى أولئك الذين جمعوا بين العلم الشرعي والاطلاع على الواقع، ولم تأخذهم في الله والصدع بالحق لومة لائم، فضاق بهم النظام ذرعا فواراهم في السجون، ورماهم خلف القضبان، وفصلهم من أعمالهم، ومنعهم حق الكلام.

كما نكرر دعوتنا لكم أيُّها الشيخ للخروج من خندق هؤلاء الحكام الذين سخروكم لخدمة أهوائهم وتترسوا بكم ضد كل داعية، ورموا بكم في وجه كل مصلح، ونخوفكم بما خوف الله به أفضل خلقه وخاتم رسله بقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً**﴾ فإذا كان هذا التهديد من الله تعالى لأفضل خلقه حتى لا يركنن ولو شيئاً قليلاً، فكيف بمن ركنَ ركوناً كثيراً، وأصابه ما أصابه من فتنتهم بسبب هذا الركون؟

كما نعظكم بحال أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾.

إلا أن مما يهون من هذا الأمر -رغم عظمته- أن الأُمَّة بدأت تنصرف عن مثل هذه الفتاوى الصادرة منكم، كما دلت على ذلك أصوات الاستنكار والرفض التي ارتفعت ضد هذه الفتوى في الداخل والخارج، وفي المقابل وضعت ثقتها فيمن هو أهل لها من العلماء والدعاة الصادقين حبساء السجون والقضبان، الذين ساهمت مثل هذه الفتاوى فيما يعانونه على أيدي النظام الحاكم في سبيل جهرهم بالحق وصدعهم به، من أمثال الشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي وإخوانهم فَرَّجَ الله عنهم.

إلا أن هذا الإعراض عن فتاويكم -وإن كان يقلل من خطر ضلال الناس بها- إلا أن ذلك لا يُعفيكم من المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقهم في الجهر بالحق وبيانه والصدع به وعدم كتمانه.

أيُّها الشيخ في ختام هذه الرسالة نقول لكم: إذا أنتم لم تستطيعوا أن تتحملوا تبعات الجهر بالحق والصدع به، ومناصرة أهله ضد هؤلاء الحكام، فلا أقلَّ من أن تتنحوا عن المناصب الرسمية التي لوثكم بها هذا النظام، وتهجروا أبواب هؤلاء السلاطين الذين بارزوا الله بالحرب، حتى لا يصيبكم ما يصيبهم، والتزموا طريق النجاة الذي حدده ﷺ للسائل عنه بقوله: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك». رواه الترمذي، صحيح الجامع الصغير.

وأخيراً نسأل الله العلي القدير بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُقَيِّضَ لهذه الأُمَّة علماء ربانيين صادقين، وأئمة هداة مهديين، ومجاهدين صابرين محتسبين، حتى تعود خير أُمَّة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

ونسـأله أن يلهمنا الصـواب في القول، والسـداد في العمل، ويهدينا طريق الرشـاد، ويسدد خطانا ويوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، ونسأله حسن الختام لنا ولكم، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عنهم / أسامة بن محمد بن لادن

التاريخ: ١٤١٥/٨/٢٨هـ الموافق: ٢٩ /١٩٩٥/١م)

وأختم هذا المبحث بكلام الإمام المجدد في "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى" فقد اشتملت هذه الكلمة على القول الفصل والبيان الجلي:

(الحمد لله القائل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾، والصـلاة والسـلام على إمام المجاهدين، وقائد الغُرِّ المحجَّلين، النبي الأُميّ الأمين، وعلى آله وصـحابته الذين حملوا الراية وذادوا عن حياض الإسلام وحمى المسلمين، وبعد:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ**﴾.

إلى أمة المليار، أمة الجهاد، أمة الشهادة والاستشهاد، إلى الأمة التي جاءت لتكون خير أمة أُخرجت للناس؛ إلى أمتنا الإسـلامية. ما أشـبه الليلة بالبارحة، وما أكثر العبر وأقل الاعتبار، وكم تجرعنا كؤوس الذل، وفارقنا الإباء حين تولى أمرنا الأذلاء.

أمتنا المسلمة:

إن الذي ينظر بعين البصيرة، ويعي لغة العقل، ويسبر غوائر الأحداث ليعلم علم اليقين أن الأمة قد أفاقت من غفوتها، وعرفت طريقها بعد أن اتضحت لها ملامحه، وبرزت لها علاماتُه، وعلمت أنه إذا كان الحِلم مَفسدة كان العفو مَعْجَزة، وأن الصبر حسَنٌ إلا على ما أضر بالدين، والأناةُ محمودةٌ إلا عند إمكان الفرصة. فانتفضت انتفاضة الأقصى ونطق الحجر في أكف المجاهدين الأبرار الرجال والنساء، الصغار والكبار، فحاول اليهود الفرار عبثًا فلم يجدوا لهم ملجأً فأصبحوا مكشوفين من وراء الجدُر، يواجهون أجسادًا تتفجّر تُذيقهم الموت، وتُطاردهم بالرعب، وتصيبهم بالزلزلة فصاروا كالحمر المستنفرة فرت من قسورة.

ثم جاءت غزوة نيويورك تشعل ديار هُبَل العصر، تدُكُّ حصونه، وتفضح كبرياءه، وتُبطِلُ سحره، وتُعَرِّي كل الرايات التي سارت وراءه، وتعلِنُ بداية النهاية له -بإذن الله-.

إن هذه الأحداث العظيمة هي الجهاد المبارك الذي واصل مسيره نحو الهدف المنشود، والخبر الموعود، وجاء ليفضح تلك المقولة الهزيلة والحجة المدحوضة، فهذه المقولة: "ماذا عسانا أن نفعل؟ ليس بأيدينا شيء، الأمرُ ليس لنا"، لم يعُد لها مكانُ ولا يتَّسع لها قلبٌ ولا يرضاها ضميرٌ حي، في ظل الأحداث الدامية التي تتعرض لها أُمتنا، فالكل مطالبٌ اليوم بالجهاد والعمل الجاد، وعلى القيادات الشعبية بجميع شرائحها أن تتحرك لوقف هذا النزيف الهادر، وفضح تلك الخيانات المكشوفة، ومن لم يستطع الحركة من هذه القيادات بسبب ما وقع عليه من ضغط وإرهابٍ في

ظل هذه الأنظمة فلا أقل من أن يفسح المجال لغيره من الطاقات الجريئة والقادرة على التغيير ووضع الأمور في نصابها الصحيح، وليحذر من القعود والتّخذيل، وليتجنّب عملية التّربص المذموم والاحتكار المحرم، فالجهاد الذي أخرج أولئك الفتية الذين استجابوا لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾، إن هذا الجهاد قادِرٌ على إخراج وتحريك غيرهم من أبناء الأمة، فالجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة، أما نحن كأفراد فأيامُنا معدودة، وسنقف بعدها بين يدي الله -عز وجل-، ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾.

أمتنا المسلمة:

لا يزال أبو رِغال يتكرّر في الأمة منذ قرنٍ من الزمن بشخصه وشخصيته الغادرة، يسعى لكسر الشوكة، وتنكيس الراية، ووأد الجهاد، وإنفاذ الكفر وتثبيت أركانه؛ وما مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز (صهيوأميركية بثياب الحكومة السعودية) إلا حيلةً من حيل أبي رغال، ومؤامرةً وصورةً من صور الخيانة المتكررة في تاريخ حكام المنطقة تجاه قضايانا بشكل عام، وقضية الأقصى بشكلٍ خاص.

فهو إن أعلن ذلك فإنما يسير علي نهج والده الذي أجهض انتفاضة عام ١٩٣٦م - ١٣٥٤هـ، بوعدٍ كاذب منه ومن الحكومة الإنجليزية، فخدع الفلسطينيين وأوقفوا الانتفاضة واستمر الاحتلال الإنجليزي حتى عام ١٩٤٨م - ١٣٦٦هـ حين سُلِّمت فلسطين لليهود، وهو بذلك أيضًا يسير على نهج أمثاله من الحكام الخونة الذين سيّروا الجيوش السبعة بقيادة الإنجليز تحت قيادة "كلوب باشا" رجل الحكومة

الإنجليزية، فقضوا بذلك على التحرك الشعبي الجاد لتحرير فلسطين، فأكملوا المؤامرة ووقعوا هدنةً بوقف القتال وذلك في عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م. أما خيانتهم العظمى فكانت في أوسلو عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م للقضاء على انتفاضة الأقصى الأولى.

وإن كان اليوم قد تقدّم بخيانةِ أولى القبلتين وثالث المسجدين وعمد إلى وأد قضية أمةٍ بأكملها بدافع شهوةِ الملك، فلا غَرر في ذلك ولا عَجَب؛ فقد خان من قبل الحرمين الشريفين حين أباح أرض الحرمين للأمريكان بكذبةٍ كذبها هو وإخوانه على الأمة، وهي ضرورة الاستعانة بهم ولمدة ثلاثة أشهر، وإذا بها تمتدُ إلى أيامنا هذه والتي ندخُلُ فيها مطلع السنة الثالثة عشر من إباحة أرض الحرمين للكفار!

ولا شك من أنّ هذه المبادرة إنما هي إنفاذٌ واضحٌ لدولة اليهود الغاصبة، وتمكينٌ صريحٌ لها في الوقت الذي تتخذ فيه القوات الأمريكية قواعد عسكرية على أرض الحرمين لتهديد المنطقة وضرب الشعب العراقي المسلم. أما التصريحات بأن النظام السعودي لن يسمح باستخدام أراضيه لضرب العراق، فهي تصريحاتٌ جوفاء، ولو كان له من الأمر شيءٌ لقام بإخراج القوات الأمريكية المحتلة من بلاد الحرمين.

أمتنا المسلمة:

إن مصير الطغاة والخونة أوضح من أن يوضَّح، وأجلى من أن يُبيَّن، والمصير الذي صاروا إليه دليلُ إيمانٍ وغيرةٍ عند أبناء الأمة، فها هو الملك عبد الله بن الشريف حسين قُتل على يد بطلٍ من إبطال فلسطين، وهاهو أنور السادات الذي رموه بالخيانة ثم ساروا على دربه قُتل على يدِ بطلٍ من أبطال مصر المسلمة خالد

الإســلامبولي، وهاهم الخونة والعملاء الصــغار والكبار يلاقون نفس المصــير والذي يجب أن يلقاه كل خائن.

أمتنا المســـــلمة: إن هذه المبادرات في لغة الإعلام الفرعوني ما هي إلا مؤامرةٌ وقحة، وخططٌ مفضــوحةٌ تعريفها في قاموس السـياسـة: "الكراسـي مقابل الخيانة"، أما تعريفها في قاموس الشـرع فهي: "الرِّدة"؛ حيث المناصـرة والمظاهرة للكفار على المسـلمين والمعدودة في ديننا من نواقض الإسـلام العشـرة المخرجة من الملة، والتي لا يَسـعُ المسلم -كائنًا من كان ومهما كان حاله وظرفه- إلا أن يتبرأَّ منها ومن فاعلها، حيث أنها من أفعــال الطواغيــت، ولا يقوم إيمــانُ المرء حتى يكفر بالطــاغوت؛ ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾.

أمتنا المسلمة:

إن الذي يبيع شـبرًا يبيع دولة، والذي يرخص قطرة دم لا يبالي بأنهارٍ منها، ومن يَئِدُ شعبًا يئدُ أمة، والذي يَصُمُّ أُذنيه اليوم يُغمض عينيه غدًا.

فيـا أمـة الإســـــلام ثوري على الظلم والطغيـان، على الجور والعـدوان، على الـذُلِ والامتهان، فليس الخبز بأعزّ عندنا من ديننا، ولا الأموال بأغلى علينا من أعراضــنا، ولا الموت بأصــعب في حِسِّـنا من حياة الذل والهوان، فالوسـيلة ممكنةٌ ومتاحةٌ لكل فردٍ من أفرادِ أمتنا، وهي كالتالي:

- رفض المبادرة الاستسـلامية، والسـعي لحشـد الأمة للخروج بمظاهرات شـعبيةٍ وعصيانٍ مدني حتى سقوط الحكومات الخائنة.

- السـعي للخروج على أئمة الكفر والنفاق الذين ارتدوا عن دينهم وخانوا أمتهم وقتلهم.
- ضـرب المصـالح الأمريكية المنتشـرة في العالم بشـكل عام، وعلى أرضِ أمتنا العربية والإسلامية بشكلٍ خاص.
- مقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية.
- قتل الأمريكان واليهود بطلقةٍ من رصـاص، أو طعنةٍ بسـكين، أو رميةٍ بحجر ... إلخ.
- دعم المجاهدين والوقوف وراءهم والشد من أزرهم والدعاءِ لهم.

شعبنا الفلسطيني:

إن البطولة فعلٌ أنت رائده، والتضـحية ثمنٌ أنت باذله، والعزة والكرامة ثمرةٌ أنت أهلٌ لقطفها، فما زِلْتَ تثبتُ يوماً بعد يوم للأمةِ بأسْرها أن الدين غالٍ والمقدسات دونها الدماءُ والأرواح. فامضوا على بركةِ الله وسيروا على هدىً منه وتوفيق، ونحن ماضون على طريق الجهاد، باقون على العهد، فدماؤكم دماؤنا وأعراضـكمُ أعراضـنا، وأبناؤكم أبناؤنا ودم الدُّرةِ وإخوانه لن يضـيع هدرًا، ووالله الذي لا إله إلا هو سـننصـركم ولن نخذلكم، حتى يتم النصـر وتعود فلسـطين إسـلامية أو نذوقَ ما ذاقه حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾.

اللهم انزِع الملك من طواغيت العرب والعجم، ووَلِّ علينا خِيارنا، واصــــرف عنا شِرارنا، وأَبْرِم لهذه الأمة أمر رشـد، يُعزُّ فيه أهل طاعتك، ويُذلّ فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.)

حكم دعاة السلام الدائم مع اليهود

ولم يكتف الإمام المجدد -رحمه الله- بهذا البيان الواضـح في حكم التطبيع مع اليهود فقد زاد الأمر بياناً وتوضـيحاً فحكم على دعاة السـلام الدائم مع اليهود بالردة الصريحة عن الإسلام فجاء في لقاء مع الصحفي تيسير علوني لقناة الجزيرة:

(تيسـير علوني: ما هو تعليقكم على ما يقوله صـمويل هانجتينتون وأمثاله من حتمية صـراع الحضـارات؟ ترديدكم الدائم لكلمة الصـليبية والصـليبين يشـير إلى أن أنكم تؤيدون هذه المقولة بحتمية صراع الحضارات؟

الشيخ أسامة بن لادن: أقول لا شك في ذلك، فهذا أمر واضح مثبت في الكتاب والسنة، ولا يصح لمؤمن يدعي الإيمان أن يكذب هذه الحقائق، قال بها عمرو أم لم يقل بها، المعتبر عندنا ما جاءنا من كتاب الله ومن سـنة رسـولنا عليه الصـلاة والسلام، ولكن اليهود وأمريكا جاءوا بخرافة يروجونها على سذج المسلمين، وتبعهم للأسف حكام المنطقة وكثير من مَن ينتسبون الثقافة بالدعوة إلى السلام والسلام العالمي، هذه الخرافة لا أساس له بتاتا.

تيسير علوني: السلام؟

الشيخ أسامة بن لادن: السلام الذين يدعونه هو لتخدير الشعوب المسلمة حتى تذبح، والذبح مسـتمر، وإذا جئنا ندافع عن أنفسـنا، قالوا إننا إرهابيون والذبح مستمر، فصح عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل

المسلمون اليهود، فيختبئ اليهودي وراء الشجرة والحجر، فيقول الشجر أو الحجر، يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله إلا الغرقد فأنه من شجر اليهود»؛ من زعم أن هناك سلام دائم مع اليهود فهو قد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، فالصراع هو بيننا وبين أعداء الإسلام قائم وإلى قيام الساعة،[١٣] وما يسمى من سلام وجائزة السلام، هذه خرافة تعطى لأكبر السفاحين، هذا بيغين، صاحب مجزرة دير ياسين (١٠/٤/١٩٤٨م) أعطي جائزة السلام، هذا الخائن أنور السادات الذي باع الأرض والبلاد وباع القضية وباع دماء الشهداء أعطي جائزة السلام، فنحن في زمن كما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويّبضة»، قيل وما الرويبضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»، وهذا للأسف الشديد حال العالم الإسلامي اليوم في قياداته الكبرى وزعامته المعروفة. فهي خداع، يخادعون الناس ويكذبون على الناس، ولكن بإذن الله فرج الله قريب ونصره الموعود قريب.)

١٣ . وانظر تأصيل الشيخ ناصر الفهد -فرج الله عنه وعن أسرى المسلمين- لهذا الحكم فيما نقلناه عنه فيما سبق في هذه الرسالة.

قضية فلسطين في دعوة الإمام المجدد

أرى أنه من المناسب بعد بيان حكم التطبيع مع اليهود والحديث عن جهود الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– في مواجهته والتصدي له أن أبين واتحدث عن قضية تحرير فلسطين في دعوة وجهاد الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله–.

فمما هو معلوم أن قضية تحرير فلسطين والمسجد الأقصى من اليهود من أكثر القضايا المعاصرة التي شغلت جهود الدعاة والعلماء فهي أرض مقدسة قدسها وباركها الله وجعل فيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال فقال الله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء: ١] فتحريرها وإعادة سلطان المسلمين عليها من أوجب الواجبات العينية في هذا الزمان فهي أرض إسلامية محتلة فضلا عمّا ميزها وخصها الله به من الفضائل والبركات فقد قال شيخ الإسلام في "الفتاوى الكبرى": (وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.)

وقد صنف الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله– كتابه "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان" وجمع فيه الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء والمذاهب الفقهية وعرضه على عدد من أهل العلم فأقروه ووافقوه على ذلك..

وقد شغلت قضية تحرير فلسطين وردها إلى سلطان المسلمين جهد وفكر الإمام المجدد أسامة بن لادن -تقبله الله- وكانت حاضرة بجلاء ووضوح في توجيهاته وكلماته كما لا يخفى ذلك على أي متابع لجهوده..

فقد كان يعتبرها مفتاحاً من مفاتيح الصراع بين الحق والباطل التي يستطيع من خلالها حشد الأمة للقيام بدفع صيال المعتدين على بلاد المسلمين.

ويكفي للتمثيل على ذلك بأشهر قسم في هذا الزمان انتشر قسم الإمام مجدد -رحمه الله- في " بيان بعد إعلان أمريكا الحرب على الإمارة الإسلامية": (أُقْسِمُ بِاللهِ الْعَظِيمِ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِلاَ عَمَدٍ، لَنْ تَحْلُمَ أَمْرِيكَا وَلاَ مَنْ يَعِيشُ فِي أَمْرِيكَا بِالأَمْنِ قَبْلَ أَنْ نَعِيشَهُ وَاقِعاً فِي فِلَسْطِينَ وَقَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ جَمِيعُ الْجُيُوشِ الْكَافِرَةِ مِنْ أَرْضِ مُحَمَّدٍ ﷺ.)

فلم يألُ -رحمه الله- جهداً في نصرة هذه القضية بالقول والعمل والتضحية ووضع الحلول وبيان السبيل لتحريرها وفيما يأتي أمثلة على ذلك:

قال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في محاضرة قديمة له "واجبنا تجاه فلسطين": (وهذا مبدأ الكفار، لا يفهمون إلا بالضربات الموجعة على أم رؤوسهم في اقتصادهم وفي أنفسهم، وهكذا أمريكا لن تفهم حوارًا، هذه أمم مستضعفة أكثر من خمسين إلى ستين سنة وهم يرزحون تحت الحكم الإنجليزي المستعمر ثم سُلم لليهود، وأي حرية تذكر أمريكا وهي بجبروتها ذهبت إلى أمم في الشرق في فيتنام تبعد عنها آلاف الأميال تقصفهم بالطائرات تذبحهم وتقتلهم، أي حرية هذه، وما

خرج الأمريكان من فيتنام إلا بعد أن أُوجِعوا ضربًا هؤلاء الأخباث، فقُتِل منهم أكثر من ستين ألف جندي أمريكي وذهبت أموالهم وإمكانياتهم حتى ضج الشعب الأمريكي في أمريكا وخرج مظاهرات يطالب الحكومة المجرمة المستبدة أن تسحب أبناءه من فيتنام، وهكذا الحال اليوم لن يوقف الأمريكان دعمهم لليهود في فلسطين الذين يقتلون المسلمين حتى نوجعهم ضربًا وحتى نرفع راية الجهاد، فلا ينتهون حتى نجاهدهم، ولا يكف بأس الكفار إلا بالجهاد، ولا يُحق الحق إلا بالجهاد، ولا يُقطع دابر الكافرين إلا بالجهاد، ولا يُبطل الباطل إلا بالجهاد.)

وقال في "بيان رقم (١١) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح" رسالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود": (العدو اليهودي الحالي ليس إلا عدواً مستقراً في بلاده الأصلية محارباً من الخارج حتى يجوز معه الصلح، بل هو عدوٌ صائل مُفسدٌ للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم.) ا.هـ. [الاختيارات الفقهية صـ٣٠٩-٣١٠].

إن الواجب الشرعي تجاه فلسطين وإخواننا الفلسطينيين من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، هو الجهاد في سبيل الله وتحريض الأُمَّة عليه حتى تتحرر فلسطين عن أخرها وتعود إلى السيادة الإسلامية.

وفلسطين في غِنى عن مثل هذه الفتاوى المخذلة عن الجهاد والمخلدة إلى الأرض، هذه الفتاوى التي تقر احتلال العدو لأقدس مقدسات المسلمين بعد الحرمين

الشـريفين، وتُضـفي الشـرعية عليه، وتدعم بكل قوة مسـاعي العدو لضـرب الجهود الإسـلامية المتلهفة لتحرير فلسـطين عن طريق الجهاد الذي أكد من خلال عمليات أبطال الحجارة وشـباب الجهاد المسـلم في فلسـطين أنه السـبيل الوحيد الناجع في مواجهة العدو والكفيل بتحرير الأرض إن شاء الله.)

وقال في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شـهور مِن الضـربات المباركة.. شـوال ١٤٢٢هـ - ديسـمبر ٢٠٠١م": (فإن هذه الضـربات المباركة الموفقة إنما هي ردود فعل لما يجري على أرضنا في فلسطين وفي العراق وفي غيرها، وإن أميركا في مواصلتها لهذه السياسة بمجيء هذا الابن جورج بوش الذي ابتدأ حكمه بغارات جوية عنيفة على العراق أيضا ليؤكد على سياسة الظلم والعدوان، وعلى أن دماء المسلمين لا ثمن لها، فكان هذا الرد المبارك بفضل الله سبحانه وتعالى.

وهذه الضـربات المباركة لها دلالات عظيمة، فقد أوضـحت بجلاء أن هذه القوة المتغطرسة المتكبرة هبل العصر أميركا تقوم على قوة اقتصادية عظيمة ولكنها هشة ما أسرع أن تهاوت بفضل الله سبحانه وتعالى.

فالذين قاموا بالعمل ليسـوا تسـعة عشـر دولة عربية ولم تتحرك الجيوش ولا وزارات الدول العربية التي ألفت الخنوع والظلم الذي يصـيبنا في فلسـطين وفي غيرها، وإنما تسعة عشر من طلاب الثانويات -أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهم- هزوا عرش أميركا وضربوا الاقتصاد الأميركي في صميم فؤاده وضربوا أكبر قوة عسكرية في عمق قلبها بفضل الله سبحانه وتعالى.)

وقال –رحمه الله– في "الذكرى السنوية الأولى لغزوة منهاتن (مناقب وأسماء الأبطال التسعة عشر) ٢ رجب ١٤٢٣هـ – ٩ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٢م": (فهؤلاء الرجال أرادوا أن يعدوا جوابا ليوم الحساب، أخرجهم من بيوتهم الإيمان بالله واليوم الآخر واتباع محمد ﷺ، وعلموا أن سيل الأعذار الذي يقدمه المِعَذِرُونَ من الأعراب لا يغني عنهم شيئاً.

كيف يصدقونهم والأندلس منذ خمسة قرون لم تعد؟

كيف يصدقونهم وفلسطين منذ تسعة عقود تقريباً والإعداد لم ينته؟

كيف يصدقونهم ومعسكرات الإعداد وميادين الجهاد في أفغانستان فتحت لأكثر من عشرين سنة! لم يكلفوا أنفسهم هؤلاء أن يغبروا أقدامهم في سبيل الله.

وإن هؤلاء الشباب قد أقاموا الحجة على وجود القدرة بالنكاية برأس الكفر، فعلى شباب الإسلام أن يتبعوا منهج محمد ﷺ في الجهاد، حيث إنه متعين اليوم.

إلى إخواننا في فلسطين نقول لهم: إن دماء أبنائكم هي دماء أبنائنا، وإن دماءكم دماؤنا فالدم الدم والهدم الهدم، ونشهد الله العظيم أننا لن نخذلكم حتى يتم النصر أو نذوق ما ذاق حمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنه.)

وقال –رحمه الله– في "السبيل لإحباط المؤامرات": (كما وأني أطمئن أهلنا في فلسطين خاصة بأننا سنوسع جهادنا بإذن الله، ولن نعترف بحدود سايكس بيكو، ولا بالحكام الذين وضعهم الاستعمار، فنحن والله ما نسيناكم بعد أحداث الحادي عشر، وهل ينسى المرء أهله؟! ولكن بعد تلك الغزوات المباركة التي أصابت رأس

الكفر العالمي وفؤاده الحليف الأكبر للكيان الصــهيوني أمريكا فإننا اليوم منشــغلون بمصـاولتها ومقاتلتها وعملاءها ولاسـيما في العراق وأفغانسـتان والمغرب الإسـلامي والصـــومال، فإن انهزمت وعملاءها في العراق بإذن الله فلن يبقى كثير ولا قليل لتنطلق جحافل المجاهدين كتائب في إثرها الكتائب من بغداد والأنبار والموصـــل وديالى وصـــلاح الدين تعيد لنا حطين -بإذن الله-، ولن نعترف لليهود بدولة ولا على شبرٍ من أرض فلسطين كما فعل جميع حكام العرب عندما تبنوا مبادرة حاكم الرياض قبل سنوات، ولم يكتفوا بارتكاب تلك المصيبة الكبرى بل رأى الناس مؤخراً راعية المستسلمين تسوقهم متقاطرين إلى أنابوليس تمارس عليهم ما مارسه الأمريكيون على أجدادها من قبل ولكن لا ليباعوا بل ليبيعوا، وأي شـــيء يبيعون؟ يبيعون القدس والأقصـــى ودماء الشـــهداء ولا حول ولا قوة إلا بالله، عليهم من الله ما يســـتحقون، وبذا تأكد للناس من الأمين ومن الخائن ومن الذي تحركه الأيادي الصهيونية.

أنا مازال جـرح القدس في جنبيَّ يعتمل

ووقد مصابها كالنار في الأحشاء يشتعل

أنا ما خنت عهد الله لما خانت الدول

كما وأننا لن نحترم المواثيق الدولية التي تعترف بالكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين كما تحترمها قيادة حماس أو كما صرح بذلك بعض قيادات الإخوان المسلمين، وإنما جهاد لتحرير فلســطين كلها من النهر إلى البحر بإذن الله واضـــعين أيدينا بأيدي المجاهدين الصـــادقين هناك من قواعد حماس والفصـــائل الأخرى الذين أنكروا على

قادتهم عدوهم عن الحق، فالدم الدم والهدم الهدم وأكرر القسم: والله لننصرنكم ولو حبواً على الركب أو نذوق ما ذاق حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (أمتي المسلمة الحبيبة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإن احتفال اليهود بمشاركة زعماء دوليين بالذكرى الستين لقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المغتصبة يؤكد بوضوح أن قيم العدل والحرية والإنسانية ما هي إلا شعارات جوفاء يرفعونها لمخادعة المستضعفين، وتخفي وراءها حقيقة القانون السائد في هذا العصر، فهو قانون الغاب والناب، قانون القوي فيه يأكل الضعيف، قانون السباع؛ إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب، فمن عز بز، ومن يهن يسهل الهوان عليه، فلا مكان عندهم لصاحب حق إن كان ضعيفاً وإنما الأمر والنهي لصاحب القوة وإن كان مبطلاً!

أمتي المسلمة، لقد مضى على سقوط فلسطين في أيدي النصارى ثم اليهود تسعة عقود، فإذا كانت الذين سُلبت فلسطين في عهدهم قد أفضوا إلى ما قدموا، وإذا كان الملوك والرؤساء قد ضحوا بفلسطين والأقصى لتسلم لهم عروشهم، وهذا ما تؤكده الحقائق والوثائق، وإذا كان كثير من العلماء قد داهنوا الحكام وركنوا إليهم ليسلم لهم شرفهم وجاههم وتسلم لهم مناصبهم ومعاهدهم وجامعاتهم، زاعمين أن ذلك لمصلحة الدعوة، فإذا كان كل هؤلاء السادة والكبراء قد ضحوا بكل القضية الفلسطينية، فإننا غير معفيين من المسؤولية بل هي معلَّقة برقابنا ورب الكعبة، وكل واحد منا مسؤول بحسبه عن وفاة أهلنا المستضعفين في غزة.

وقد مات العشرات بعد العشرات بسبب ذلك الحصار الظالم، وآكد ما يكون الواجب بشأن فك هذا الحصار على إخواننا فرسان أرض الكنانة حيث إنهم الوحيدون على حدودها، فيجب عليهم العمل على فك هذا الحصار وإسقاط ذلك العتل الجواظ المتكبر صاحب القلب المتحجر قاتل أطفال غزة المتشبه بفرعون وهامان في قتل أطفال بني إسرائيل من قبل، عليه وعلى أعوانه من الله ما يستحقون.

ولكي نستدرك ما وقع من إخفاقات حالت دون تحرير فلسطين خلال العقود الماضية، فلا بد على جيل اليوم أن يدرسوا أسباب الفشل ويتدبروها لأخذ العبر، وإني مساهمٌ معكم في ذلك بذكر بعض مواطن الخلل لتلافي الوقوع بها، وابتداءً أقول:

إن الأمة لم تؤتَ يومها من قلة الصادقين الراغبين بالتطوع والجهاد لاسترجاع فلسطين، وإنما أتيت من عدم معرفة سوادها الأعظم بالوضع السياسي الجديد الناشئ بعد غياب الدولة العثمانية.

فمنذ ذلك الحين أصبحت الكلمة الأولى في المنطقة للصليبيين، الذين نصبوا وكلاءهم في بلادنا، وظنت الأمة أن هؤلاء الوكلاء هم ولاة أمرها الشرعيين الحريصين عليها والذين يتقى بهم ويقاتل من ورائهم، فاطمأن الناس وصدقوا هؤلاء الحكام بأنهم سيقومون بواجباتهم ومن أهمها استرجاع فلسطين، فاستأمنوهم على القضية ومن مأمنه يؤتى الحذر.

وهنا أضرب مثالاً لاختصار وتوضيح حال الأمة، فكان حالها كالغنم الشافية في أرض مسبعة يسيء راعيها رعايتها ولكنه يحفظها من الذئاب، فتواطأ عليه أعداؤه وقتلوه واستبدلوه بذئاب من بني جلدتنا ومن أعدائنا فعاثوا في الغنم فساداً ففي كل يومٍ يأمن القطيع أن تتوقف الذئاب عن افتراسه ولكنها لا تستجيب لذلك، وهل يشك عاقل أن هذا الأمل ليس في محله؟

فهذا حالنا.

كانت الدولة العثمانية على علاتها العظام تحمي الأمة من ذئاب الغرب الصليبية، فتواطأت بريطانيا مع زعماء عرب في مقدمتهم الشريف حسين وأبناؤه والملك عبد العزيز آل سعود؛ تواطؤوا معها على قتال وإسقاط الدولة العثمانية، وتم ذلك ثم نصبت بريطانيا وكلاء لها ينفذون سياستها ويحفظون مصالحها على حسابنا.

ومن الحماقة أن يظن إنسان أن وكلاء التحالف الصليبي الصهيوني سيتوقفون عن محاربة ديننا وافتراس ثرواتنا، فحالهم كحال الذئاب لا تتوقف عن افتراس الغنم.

ومن رعى غنماً في أرضِ مسبعةٍ   ونامَ عنها تولى رعيها الأسدُ

ولئن كانت الأمة اليوم أتيت من عدم قيامها بما يجب عليها من عمل لمواجهة وكلاء الصليبيين والتخلص من خطرهم؛ فكثير من أبناء الأمة الصادقين لما علموا بتبعية حكام البلاد لأمريكا أبغضوهم ونفروا منهم وانضموا إلى جماعات إسلامية تدعو إلى تحكيم الإسلام وإعادة الخلافة واسترجاع فلسطين.

والحقيقة أن قادة تلك الجماعات وجدوا أن الأمر ثقيل جداً كما لم يمهلهم الحكام في السعي لما أرادوه من خير، فشددوا الضغوط عليهم وخيروهم بين أن يتخلوا عن السبيل الشرعي الذي يمكنهم من إقامة دولة الإسلام وهو الجهاد في سبيل الله أو التعذيب والقتل، فركنوا إلى الخيار الأول وتركوا الجهاد في سبيل الله وسموا قتال المجاهدين للطواغيت عنفاً وذموه والمجاهدين معاً ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وحقيقة فعلهم هذا أنهم أعادوا الذين سعوا للخروج من تبعية الحاكم، أعادوهم إلى دائرة الحاكم وطاعته والاعتراف بشرعيته باسم الإسلام ومصلحة الدعوة زوراً وبهتاناً، لذا فإن كثيراً من أبناء الأمة الصادقين ما زالوا يدورون في الحلقة المفرغة التي بدأت الأمة الدوران فيها منذ تسعين سنة.

أمتي المسلمة، أما آن لكِ أن تخرجي من هذا التيه؟

لقد أثخنتك الجراح وأرهقتك الخطوب وأنتِ تتبعين كل جبار عنيد، أما آن لكِ أن تكفري بطواغيت العرب والعجم من إندونيسيا إلى موريتانيا؟ فإن سبيل العزة والكرامة والسؤدد والسعادة واسترجاع فلسطين واضح بيِّن في دين الله تعالى، ولقد التزم ذلك السبيل الزعيم البطل صلاح الدين الأيوبي، وبمقارنة بين بعض الأعمال التي قام بها وبعض الأعمال التي قام بها حكام العرب خلال هذه العقود فيتبين لنا السبيل لاسترجاع فلسطين بإذن الله:

أولاً: فصلاح الدين التزم بتعاليم الإسلام وقرأ قول الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ**

وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾، فأيقن أن السبيل لكف بأس الكفار هو بالقتال في سبيل الله.

وأما حكام العرب فأعرضوا عن تعاليم الإسلام ونظروا في تعاليم أمريكا فوجدوها تأمر بمحو آيات القتال والجهاد من مناهج التعليم وتأمر بالاستسلام تحت اسم السلام فقرروا بالإجماع أن السلام مع الكيان الصهيوني خيارهم الاستراتيجي، فبئس ما قرروا!

ثانياً: صلاح الدين كان يصاحب العلماء الربانيين يطلب العلم حتى في ميادين الجهاد للعمل به ويساعدهم في تحريض الأمة على الجهاد ضد الصليبيين.

وأما حكام العرب فقد أسروا العلماء بوظائفهم ليسكتوهم، ومن أبى أودعوه السجن، وفتحوا مجال الإعلام لعلماء السوء ليثبطوا فتية الجيل عن جهاد أمريكا وعملائها، وقاموا بالطعن في المجاهدين وشهدوا بالزور أن الحكام العملاء ولاة أمر شرعيون.

ثالثاً: صلاح الدين قاتل الأمراء وأعوانهم الذين قاتلوا جنباً إلى جنب مع الصليبيين ضد المسلمين وإن كانوا يقولون "لا إله إلا الله" لأنه يعلم أن هؤلاء قد نقضوا هذه الكلمة العظيمة بفعلهم هذا. وأما حكام العرب فقد وقفوا تحت راية الصليب الكبرى بقيادة بوش يقاتلون الإسلام وأهله تحت مظلة الحرب على الإرهاب كما زعموا وتلك ردة ظاهرة، فإذا قاتلهم المجاهدون قالوا خوارج تكفيريين!

رابعاً: صـــلاح الدين كان يقبل الشـــباب المتطوعين للجهاد ولا يشـــترط موافقة "ريتشـــرد" ملك بريطانيا أو وكيله ليبدأ الجهاد ضـــدهم، بينما المفتي العام وجمع من العلماء الرسميين وشـــبه الرسميين في بلاد الحرمين يتقدمهم شـــيخ الصـــحوة ســـابقاً يشترطون لقتال الأمريكيين إذناً من وكيل أمريكا في الرياض وقد قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

وأما في مصر فالمرشد العام يشترط موافقة وكيل بوش هناك لكي يرسل عشرة آلاف مجاهد ليقاتلوا اليهود! فأي استخفاف هذا بعقول الشباب.

وفي لبنان يقول "حسـن نصـر الله" أنه لا يريد أموالاً لأن لديه أموالاً طاهرة زكية كما زعم، ولا يحتاج رجالاً لأن عنده من الرجال ما يكفي، ولكن الحقيقة خلاف ذلك فإذا كان صادقاً ولديه ما يكفي فلمَ لمْ يواصل القتال لتحرير فلسطين وتخليص أهلنا من أيدي اليهود، بل على العكس من ذلك فقد رحب بالقوات الصـــليبية لحماية اليهود، فلقد أظهر الحقيقة الأمين الســـابق للحزب صـبحي الطفيلي والذي قال إن "كوفي عنان" جاء إلى لبنان والتقى قادة الحزب لتوفيق الاتفاق بين الحزب والكيان الصـــهيوني، ومن هنا كان رفضـــه لقبول المجاهدين المتطوعين لأن ذلك يتعارض مع الاتفاق المبرم.

وبذا يتضـح الفرق بين المنهج الذي اتبعه صـلاح الدين الأيوبي بقتال الكفار لكف بأســـهم ومنهج أمريكا الذي اتبعه الحكام العرب، ذلك المنهج الآمر بالاســـتســـلام للعدو، كما اتضـــح منهج العلماء والجماعات والأحزاب الذين يدورون في فلك

الحكومات وهذا هو الضلال المبين، فهؤلاء وإن رفع بعضهم شعار "الإسلام هو الحل" فلا تنخدعوا بهم فاعترافهم بالحكام الطواغيت يناقض شعارهم.

فحالهم كما لو أن رجلاً في صدر الإسلام قال إن الإسلام هو الحل وإن أبا جهل وصناديد قريش من ولاة الأمر، وهو ملتزم بما تصدره دار الندوة من قوانين تشريعية وضعية، فهل يشك مسلم عاقل بأن هؤلاء قد ضلوا ضلالاً بعيداً؟!

وإني عندما أصف الجماعات الإسلامية بواقعها الحقيقي فإن ذلك من باب التناصح والنصح للأمة، وحرصاً مني على تحذيرها من انحراف مسارها، فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.

وإن المداهنة في الباطل فضلاً عن كونها معصية فهي تعين الآخرين على السير في طريق الضلال، ولا توصلهم لنصرة الدين كما يدعون ويتوهمون؛ فنصرة دين الله بما شرع لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع، فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..

فتية عندهم عقيدة الولاء والبراء مقدمة على الملوك والأمراء..

فتية لا يتنظرون الكبار إن قعدوا ولا يستفتون السادة إن فسدوا..

فتية مصـــدرهم في التلقي ليس قوانين الأمم المتحدة وما يســـمى بالشـــرعية الدولية أو طواغيت الغرب أو الشرق أو علماء وقادة جماعاتٍ يستظلون بظلهم.

وليس مصـــدرهم في التلقي تحاليل ســياســية من إعلام مغرض لا يلتزم بشـــرع الله، يستهزئ بشعائر الدين تحت اسم الفكاهة، وينشر الزندقة تحت مسمى حرية التعبير، ويسعى لتشويه المجاهدين وتخذيلهم.

وإنما مصـــــدر هؤلاء الفتية في التلقي كتاب الله تعالى وســـنة نبينا ﷺ، فإذا ناداهم الشـــجر أو الحجر: يا مســـلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، انطلقوا كالشهاب يضربون الرقاب، ولئن يخروا من السماء على الأرض أهون عليهم من أن يشـــترطوا إذناً من طاغوتٍ أو ممن يعترف به لكي يقوموا بتنفيذ أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

وختاماً أقول:

إن السبيل لتحرير فلسطين واضح بيّن نظرياً، ولكن إذا ما تم تنزيل الأمر إلى أرض الواقع نشأ الخلاف، فمعلوم أنه لا سبيل للوصول إلى فلسطين إلا بقتال الحكومات والأحزاب التي تحيط باليهود وتحول بيننا وبينهم وعند ذلك يصـــيح كثير من الناس ويقولون كيف تقتلون من يقول "لا إله إلا الله".

ولو كان لمثل هؤلاء قوةٌ وكلمةٌ زمن صلاح الدين وما بعده لحالوا بينه وبين الخطواتِ العملية لتحرير القدس، ولبقي الأقصى في الأسر عشرة قرون.

فهؤلاء القوم يدورون بين أمورٍ عدةٍ منها أنهم لا يفقهون دينهم، فقد أجمع الصحابة -رضي الله عنهم- على قتال مانعي الزكاة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ويقيمون بقية أركان الإسلام.

فكيف بالحكام الذين استبدلوا الإسلام بالقوانين الوضعية ويقاتلون مع النصارى ضد المسلمين.

واحتمالٌ آخر أن هؤلاء قد جبنت نفوسهم عن قتال العدو وخارت عزائمهم عن تحمل تكاليف الجهاد من هجرة الأوطان ومفارقة الأهل والخلان.

وقد يكون هؤلاء من الذين لا يعقلون، فالحكام يحكموننا بغير ما أنزل الله، وقد وصلوا إلى الحكم إما بانقلابٍ عسكري أو بدعمٍ مسلحٍ خارجي، ثم يقولون إياكم وحمل السلاح!

وأقول: لا يتخلى عن السلاح اختياراً إلا من قلت مروءته وضعف دينه.

فالمجاهدون قرؤوا قول الله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾.

فقد كان السلاح بأيدي الرجال الصادقين الأوائل -رضي الله عنهم- في كلا الحالين من قضى نحبه ومن بقي، ونحن على العهد ولن نبدل تبديلاً بإذن الله.

فيا فتية الجيل ليس سوى الجهاد من سبيل لتحرير فلسطين والأقصى واسترجاع الخلافة الراشدة بإذن الله.

فاحرصوا على ساحاته ولا سيما أقربها إلى فلسطين، وأُؤكد لكم أن الكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين كيانٌ ضعيف جداً، ومليءٌ بالثغرات، وهو يعلم علم اليقين أنه فاقدٌ لمقومات البقاء في محيطٍ إسلاميٍ كبير، بدون حبلٍ ودعمٍ من الغرب ووكلائه من حكام المنطقة، وهذا من أكبر الأسباب لبقائه إضافةً إلى أنه لم يتعرض ولا مرةً واحدة لحربٍ حقيقيةٍ لاسترجاع فلسطين.

وقد يقول القائل: لقد خاض العرب عدة حروب وقاتلوا اليهود ولم ترجع فلسطين، فأقول إن المطلع على حقيقة هذه الحروب، يعلم أنه لم تكن ثمة حرب واحدة جادّة من هذه الحروب بغرض تحرير فلسطين فضلاً عن غياب الشروط المطلوبة لنجاحها.

ويكفي أن نعلم أن القائد العام لجميع الجيوش العربية التي شاركت في الحرب الأولى قبل ستين سنة وعرفت بحرب ٤٨ هو الضابط البريطاني "كلوب"! فهل يصدق عاقل أن العرب جادون لاسترجاع فلسطين؟!

فبريطانيا هي التي سلمت فلسطين لليهود وهي التي وضعت ذلك الضابط رئيساً للجيش الأردني وهو صاحب القوة الحقيقة وليس للملك السابق عبد الله بن الشريف إلا الاسم والعلم فقط.

فما كانت تلك الحرب إلا تمثيلية، وهي نموذج للخيانة.

فقد قبلوا عقبها مباشرة بالهدنة المؤقتة ثم الدائمة، فليس هناك حربٌ أعد لها إعداد لا بأس به إلا حرب العاشر من رمضان ولكن القائد الأعلى لهذه الحرب الرئيس

المصـري السـابق أنور السـادات كان همه اسـترجاع سـيناء كيفما اتفق وليس تحرير فلسطين، وهذا الذي حصل.

وأما الحرب في جنوب لبنان قبل عامين والتي تكبد فيها اليهود خسـائر فادحة فعند وضعها في سياقها الطبيعي فهي حرب للدفاع عن النفس ولم تكن لتحرير فلسطين.

وبذا يظهر أن بقاء الكيان الصـهيوني إلى اليوم لم يكن ناشـئًا عن قوته، وإنما بسـبب تخلي الحكومات عن جهاده ومقاومته فضلاً عن حماية حدوده لضعفه.

وإني أؤكد لكم أن الكيان الصـهيوني لا يحتمل عشـر معشـار ما بذله المجاهدون من قبل لإسقاط الروس في أفغانستان، ولا يحتمل عشر معشار ما بذله المجاهدون اليوم لضرب أمريكا وعملائها في العراق.

وكل تلك الجهود جهود أبنائك أمتي، وليسـت جهود الحكومات، فثقي بالله ثم بنفسكِ والتزمي سبيل الجهاد.

واعلمي أن ضعف الكيان الصهيوني وحده لا يكفي لسقوطه، فالخشبة النخرة رغم ضعفها لا بد لها من قوة لإسقاطها فعسى أن تكونوا أنتم هذه القوة بإذن الله.

فيا فتية الجيل:

تَسْـأَلُني عَـزَائِمُـنَـا عَـلامَ الجبنُ والخَـورُ
وَقَد مَـلأَت عَوَالِمَنَـا سِياسَـاتٌ لَهَا ضَـرَرُ
لِتُوهِنَ مِنْ عَقِيدَتِنَـا وفِيهَـا يَكْمُنُ الخَطَـرُ

أَخي يا قـوةً عُظمَى جِهَادُ الكُفـرِ مِحَنَتُكَ
أَأَنتَ المَوتَ تَخشَـاهُ وأَنتَ المِوتُ جَنَّتُـكَ
عَمُـودُ الدينِ لَنْ يَقوى بتصويتٍ وتخذيلِ
فَغيرُ السَيفِ لا يُجدي -يَمِيناً- فتيةَ الجِيلِ)

وقال -رحمه الله- في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (أمتي المسلمة: حديثي هذا إليكم عما يجب فعله نصـرة لأهلنا في الأرض المباركة، فقد تأخرنا عنهم كثيراً وأضـر ذلك بقضايانا فازدادت صعوبة وتشعباً.

فإلى متى يبقى أهلنا في فلســـطين خائفين، ونحن آمنون أمناً زائفاً مؤقتاً؟ وإلى متى يبقى أهل غزة محاصـــرين، ونحن متنعمون إلى حين؟ وإلى متى نقعد وقلوبهم تحترق على أكبادهم، الذين حرقوا بقنابل الفســـفور الأبيض، بتواطؤ حكام العرب، مما أبكى حتى أولي بأس من الرجال، وما ذاك إلا لأمر عظيم، فبكاؤهم هنا أبلغ في التعبير من آلاف الخُطب عن فداحة الخَطب.

وطعن ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

ولا عجب إن مات بعض أمهاتنا وأخواتنا في غزة أو كدن بغير شظايا ولا رصاص، لا بسبب الحصار فليس بشيء حصار البلد إذا بقي الولد، وإنما الحصار يوم فُقِد، فالأم ترى الملوك وما يملكون أصغر في عينيها من صغيرها، ولكن الطائرات الأمريكية بيد اليهود تقصــف وتعود، فتخطف صــغار الحي وبينهم صــغارها، فهذا ما يجعل أمهاتنا وأخواتنا يرتعدن خوفاً، فتكاد تخرج أنفســهن بعدد خروج أنفاســهن وليس

الخبر كالمعاينة فلا يعرف الثكل إلا من خُطِفَ كبده، ولا القصف إلا من يكابده، ولا معتصم من الطغاة ينتقم.

وينبغي التنبيه إلى أن من الهزيمة النفسية ومن الخيانة للملة والأمة ودماء الشهداء، أن يتم مدح من تواطأ على قتلهم ووصفه بأنه أمل غزة، بينما أهلها أباة أعزاء يرفضون ذلك.

فغزةُ مات فتيتها لتحيا ومدح الكفر للأحرار حرقُ
وحررتِ الشعوب على قناها فكيف على قناها تسترقُ
وبي مما رمتك به الدواهي جراحاتٌ لها في القلب عمقُ
فلا يحمي العقائدَ كالضحايا ولا يدني الحقوق ولا يحق
ذوو السلطان قد باعوا القضايا لأهل الكفر غلمان ورق
سلي من حاصر الأطفال فيك أبين فؤاده والصخر فرق
قلوب ولاتنا مثل الأعادي بنجد أو بمصر لا ترق
فراعنة أتوا من بعد عهد تذل بني العروبة تسترقُّ
تعاونتم مع الأعداء علينا فضرب رقابكم في الدين حق

أمتي المسلمة: لقد مضى على احتلال فلسطين أكثر من تسعين سنة، ذاقت خلالها الأمرّين على أيدي النصارى واليهود، وبرغم الجهود السابقة التي بذلت بما في ذلك تكرار المظاهرات والمهرجانات، فالاحتلال ما زال مستمراً.

فأريد منك أمتي دقائق معدودة، لأضع أمامك خطوات عملية لتحريرها، تبرئة للذمة، وإنهاضاً للأمة، وهذا يستلزم قول الحق ولو كان مراً، كما أنه لا بد من إقامته على الضعيف والشريف ولو كان ثقيلاً، وإلا فهو طريق الهلاك فاحذروه، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» متفق عليه.

أمتي المسلمة: إن من الحق المر الذي ينبغي الصدع به، هو أنه رغم حرصنا على إنقاذ أهلنا في غزة وفك الحصار عنها، فهناك من هم أحرص منا عليهم، وأعني بذلك إخواننا في باقي فلسطين، بما في ذلك الضفة الغربية، ومع ذلك لم يستطيعوا إغاثة أهلهم وذويهم. والسبب واضح جلي؛ فبلادهم محتلة، وجنود الصهاينة وجنود السلطة بقيادة عباس يمنعونهم من نصرة إخوانهم هناك.

وهذا السبب هو نفسه الذي يمنعنا من نصرة أهلنا في غزة، فالحقيقة المرة أن بلادنا محتلة من داخلها، وصهاينة العرب حكام المنطقة وكلاء أعدائنا هم وجنودهم الذين يمنعوننا من نصرة المستضعفين هناك.

فإن لم نفقه أن بلادنا محتلة لصالح الحكام وموكليهم، يساندهم في ذلك جيوش عسكرية، وأخرى مدنية، وهي الأهم والأخطر، وفي مقدمتهم علماء السوء، ومن استؤجروا من المثقفين ورجال الإعلام، هؤلاء يقومون بتضليل الأمة، وبث روح الهزيمة فيها، وترويضها بشتى الطرق للسير خلف الحكام، فيواصلوا اغتصاب الإدارة، ويسلبوها الإرادة، ترغيباً وترهيباً، فتصبح أمتنا عاجزة عن أخذ زمام المبادرة، والتحرك بعيداً عن الحكام ورجالاتهم.

فإن لم نعِ هذا الأمر، ونعمل على كشـــف حقيقة هؤلاء والتحذير منهم وخلعهم والتحرر من ســلطانهم، فلن نســتطيع أن نحرر فلســطين، ففاقد الشــيء لا يعطيه، وسنبقى ندور في دائرة مغلقة بدأ المسير بها منذ أن احتلت الأرض المباركة.

أمتي المسـلمة: إن الناظر إلى الأوضـاع في فلسـطين، يرى أن المقومات المطلوبة لكي يحقق الجهاد غاياته ما زالت بحاجة إلى أن تستكمل، ورغم صعوبة ذلك في فلسطين المحتلة، وخاصـة مع الحصـار المفروض على أهلنا هناك، فضـلاً عن اتفاقيات التهدئة التي توقع من حين لآخر، وواقع الحال خلال العقود الماضـــية يؤكد ذلك، لذا يجب تكوين قوة كافية من المجاهدين، تفك الحصـــار عن فلســطين لتناصـــر أهلنا هناك، وحيث إن دول الطوق العربية جميعها، مغلقة لحدودها مع فلسـطين حارسـة لها من تحرك المجاهدين، بل وحتى الجزء الذي كان يســتثنى من الجبهة الشـمالية لفلســطين على حدود لبنان، قام حسن نصر الله وحزبه بالموافقة على قرار إغلاقه رقم ١٧٠١، القاضـي بدخول آلاف القوات الصـليبية لحماية اليهود، وبذا يكون ليس هناك فرق في هذه القضـية، بين حســن وحســني وبقية طواغيت العرب الذين حاصـروا أهلنا هناك.

وبنـاء على مـا تقـدم: لا بـد من البحـث عن دول خـارج دول الطوق، يتم تحرك المجاهدين منها لتفتح الحدود بالقوة، لنصـــل إلى أهلنا في ربوع الأقصـــى المبارك، والفرصة الثمينة النادرة للصادقين في رغبتهم في تخليص الأقصى، هي بدعم المجاهدين في العراق بكل ما يحتاجون إليه، لكي يحرروا أرض الرافدين، وبذا يقومون بواجبين اثنين: هزيمة الحليف الأكبر للصهاينة ثم ينطلقوا إلى الأردن، حيث إنها أفضل وأوسع

الجبهات، فنصف سكانها هم من أهل فلسطين الذين هجروا منها سابقاً، ومن الأردن تكون الانطلاقة الثانية إلى الضفة الغربية وما جاورها، وتفتح الحدود بالقوة لاستكمال النقص في المقومات المطلوبة، لكي يتم تحرير فلسطين كلها من النهر إلى البحر بإذن الله. فهذا هو السبيل الشرعي وهو السبيل الواقعي العملي، بعيداً عن صرف الجهود بأقوال وأفعال معظمها لا تكف بأس سلاح، ولا تنكأ للعدو جراح.

فكفى قعوداً وإهداراً للوقت وتهرباً من المسؤولية، فمحرقة غزة وسط هذا الحصار الطويل، هي حدث تاريخي مهم، وفاجعة مفصلية، تؤكد على ضرورة المفاصلة بين المسلمين والمنافقين، فلا يصح أن يكون حالنا بعد غزة كحالنا قبلها، بل يجب العمل الجاد والإعداد للجهاد، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، ويجب أن نبرأ إلى الله تعالى من كل من تواطأ مع الأعداء على أهل غزة، فالبراءة من هؤلاء المتواطئين ليست من نوافل الأعمال بل هي أحد ركني التوحيد، فمناصرة الكفار على المسلمين كفر أكبر مخرج من الملة، واقرؤوا قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، وقول الله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾. فهذا الحدث اختبار لنا جميعاً، ينجح فيه من اتبع الهدى، ويتردى فيه من ضل وغوى.

فنحن بحاجة إلى قيادات صادقة، تقوم بما يلزم لحشد ما يكفي من طاقات المسلمين في هذا الميدان، فالأمة تعاني إفلاســـاً هائلاً في قياداتها، رغم أن كثيراً من أبنائها يحســبون أن لديهم قيادات تقودهم إلى شــاطئ الأمان، فإن لم يكن على مســتوى الصف الأول من الملوك والرؤساء، فعلى الأقل على مستوى الصف الثاني والثالث، والحقيقة أن هذا وهمٌ كبير وهو مكمن رئيسـي للخلل، وبقاء فلسـطين لتسعة عقود تحت الاحتلال، فضلاً عن غيرها، ناهيك عن انتشار الفقر والجهل والمرض رغم كثرة الموارد؛ مؤشـر واضـح على ذلك، فالسـفينة مهما عظمت وحسـنت فلن تصـل إلى شاطئ الأمان إن لم يكن لها قيادة أمينة.

فزعامات الصـــف الأول عرفنا أمرهم وتبعيتهم لأعدائنا، لكن الأدهى والأمرّ أنهم اســتطاعوا ترويض كثير من القيادات التي تليهم. فقيادات الصــف الثاني ومن قرب منهم إن لم يغيروا ما بأنفسـهم من ركون ومداهنة للباطل، أو يُغيَّروا، فلن تتقدم الأمة في طريق تحرير الأقصــى، لأن هؤلاء قد أصــبحوا عقبات وحواجز في الطريق الذي يخرج الأمة من هذا التيه، مثلهم كمثل ســكة حديد في مقدمتها قطار الحكام ويليه قطار قيادات الصـــف الثاني ومن قرب منهم، وكلا القطارين متوقفان منذ عقود في طريق تحرير فلســطين، فلا ســبيل إلى الأقصــى إلا بإزاحة كلا القطارين عن الطريق وتجاوزهما، ويصعب أن يتم ذلك قبل أن يستيقظ كثير من المسلمين، فيتركوا التعصب المذموم للأوطان والرجال، حكاماً أو علماء أو قيادات للجماعات الإســـلامية، ويتركوا معارضـة نصـحهم وإقامة الحق عليهم، فإن لم يفعلوا فلسـان حالهم يقول إنهم يســـيرون على الطريق الذي أهلك الأمم قبلنا، ولذلك فالأمة في تيه الظلمات منذ

عقود، ويبدو أنهم لم يفقهوا قول رسـول الله ﷺ: «وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» متفق عليه.

فيجب أن تسري فينا روح النصيحة لتصحيح المسار، وأن الحق أكبر من الجميع، وسلامة الحق مقدمة على سلامة الأوطان والرجال والأحزاب والجماعات، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول ﷺ، والذي قال: «الدين النصيحة».

نعم فإن أضعناها أضعنا الدين، وتبعاً لذلك ضياعنا، فهذا واقعنا وقد قال عمر رضي الله عنه: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، فاعتبروا يا أولي الأبصار.)

وعوداً على موضوع القيادة: فالطريق لتحرير الأقصى يحتاج إلى قيادات حقيقية صادقة مستقلة قوية أمينة، تكون على مستوى هذه الأحداث الجسام، ملمة بفقه الواقع وفقه الشريعة، وينشئون هيئة مناصحة لها فروع في أقطار العالم الإسلامي، تسعى لنشر البيان والبلاغ، وتوعية عامة أبناء الأمة شرعياً وسياسياً، وعندها تتحرر العقول من الجهل والغفلة، والنفوس من الخضوع والخنوع للحكام الخاضعين لأعدائنا.

فالمعرفة بخطورة هذا الواقع الذي نعيشه، ودور الحكام وأعوانهم فيه، هي الخطوة الأولى لتشكيل قوة دافعة في النفس، لتتحرك لتغيير هذا الواقع المظلم. وهنا لا بد من إنزال فقه الشريعة على هذا الواقع، وعندها تنضبط تحركاتنا على الطريق المستقيم، لتصحيح الأوضاع المنكرة وإزالة العدوان عن أمتنا.

كما ينبغي أن يحرص أعضاء هذه الهيئة على أن يكونوا في مأمن من تدخل السلاطين في هيئتهم، متبرئين منهم جميعاً، حذرين من اختراقهم لهيئتهم عبر علماء السوء، كما هو حال كثير من الهيئات القائمة في بلادنا، وإن من واجبهم نشر الأحكام الشرعية ذات الصلة بهذه المواضيع، كالتأكيد على أن الجهاد متعين اليوم إلى أن تتم الكفاية، والتأكيد على الفتوى التي صدرت عن بعض أهل العلم في أحداث غزة، والمتضمنة بأن من ساعد الأعداء وظاهرهم على المسلمين يكون مرتكباً ناقضاً من نواقض الإسلام، وما يترتب على ذلك من أحكام.

كما أضع بين يدي العلماء والدعاة بعض المقترحات في هذا المجال، راجياً بذل الجهود لاستكمال الأمر وتطويره، ومن أهم هذه المقترحات:

أولاً: القيام بعمل القوائم المتضمنة للعلماء والدعاة والمفكرين والكتاب الصادقين المناصحين لأمتهم، مع أبرز مؤلفاتهم، والعمل على نشرها بين عامة الأمة، ولا يمنع من ذلك وجود بعض الزلل غير المتعمد، فتتم الملاحظة عليه والنصح فيه، وإلا فلن يبقى لنا عالم فضلاً عمن دونه، فينبغي العمل على إبراز القيادات الصادقة الملتزمة بمنهج الإسلام.

ثانياً: تصحيح المفاهيم الشرعية في فكر وحياة الأمة.

ومن الكتب المفيدة في ذلك كتاب "فتح المجيد" للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وهو كتاب مهم جداً لمعرفة التوحيد والتحذير من الشرك ومنه شرك القبور وشرك القصور، وكتابا الشيخ محمد قطب "مفاهيم ينبغي أن تصحح" و "هل نحن

مسلمون"، وكتاب "التبيان في كفر من أعان الأمريكان" للشيخ المجاهد ناصر بن حمد الفهد فك الله أسره من سجون الرياض.

وهناك كتاب خامس مفيد، في تقييم جميع الأنظمة في العالم الإسلامي، وإن كان عنوانه خاصاً "النظام السعودي في ميزان الإسلام"، وكثير من الكتب المفيدة يتيسر قراءتها على شبكة المعلومات كموقع التوحيد والجهاد.

ثالثاً: تنبيه الأمة على أن هناك حرباً لتغيير وإماتة الأسماء والمصطلحات الشرعية، لارتكاب ما حرم الله تعالى، فيجب تفنيد ذلك وإشاعة الأسماء والألفاظ الشرعية، ومن أمثلة ذلك:

انتهاك حرمة الربا فسموه بالفائدة، وأطلقوا على البنوك الربوية البنوك التجارية.

وعندما أرادوا انتهاك حرمة الخمر، أطلقوا عليه المشروبات الروحية وما شابهها من أسماء.

وعندما أرادوا محاربة ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله سموه بالعنف والإرهاب.

ولما أرادوا ارتكاب نواقض الإسلام، وموالاة أعداء الله، أماتوا حد الردة ووصفوا كل من دعا لإقامة هذا الحد بأنه تكفيري.

ويتم الحديث عن تسمية الكافر والمرتد والزنديق والمنافق بلفظ: الآخر، وينفرون عن استخدام المصطلحات الشرعية، وكذا المغالطة بحوار الأديان، وحرية الرأي وحرية التعبير والتعايش السلمي، والدول الصديقة وعقود تقديم التسهيلات لدعم السفن

الحربية الصليبية، في الوقت الذي يقوم به اليهود والنصارى بقتل إخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان ووزيرستان والصومال وكشمير والفلبين والشيشان. فالمغالطة بالأسماء والمصطلحات باب واسع فينبغي تتبعها وكشف حقيقتها وحقيقة ناشريها.

رابعاً: القيام بعمل القوائم المتضمنة لأعدائنا من المنافقين ووسائلهم، ولاسيما الإعلامية كالصحف والكتب والمجلات والإذاعات والقنوات الفضائية، وأخطرها الأخيرتان كهيئة الإذاعة البريطانية وأخواتها وقناة الحرة وقناة العربية.

وكذلك إعداد القوائم للذين تصب جهودهم في صالح أعدائنا دون أن يشعروا، كالمرجفين والمخذلين والمثبطين من المسلمين، وذلك بالضوابط الشرعية، ونشرها على الأمة بالوسائل المتاحة لتحذرهم، مرفقين تلك القوائم بوثائق وبراهين من أقوالهم وأفعالهم، تدلل على ذلك مع تفنيدها، وأذكر هنا بقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾.

فكشف حقيقة المنافقين منهج قرآني، كما أجمع العلماء على وجوب كشف المنافقين والمبتدعين، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: (إذا قام وصلى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.) ا هـ

فالأمة بحاجة ماسة اليوم –وخاصة بعد هذه الحرب على غزة– أن تعرف المنافقين على جميع الأصعدة، لتحذرهم فتجاهدهم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ**

تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، وقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**، فخلاصة القول: لا بد من قادة صادقين وتوعية شرعية وسياسية وجهاد في سبيل الله وكشف لحقيقة المنافقين وتمايز ومفاصلة معهم، مع العلم أن المفاصلة هي أمر قائم من جهة الحكام، فلديهم أجهزة أمنية يصل تعداد أفرادها إلى مئات الألوف، ترصد الناصحين لأمتهم، وتتجسس عليهم، وتعد بهم قوائم تسمى سوداء لمحاربتهم بطرق عدة، إغراء وإغواء، وفصلاً وسجناً، ومنعاً من السفر، ومطاردة وتشويهاً لسمعتهم، بل وقتلاً، وذلك كله للحيلولة بينهم وبين منابر التوجيه، لنصح أمتهم وتحذيرها من مؤامراتهم، وفي المقابل انفردوا هم وعلماؤهم وإعلامهم بالدجل على الأمة وتضليلها.

وفيما يخص قوائم أعدائنا، فنظراً لضيق المقام فسأكتفي بوصف كبار أئمتهم في بلادنا. ففي هذه الأحداث تمايز الناس، وخاصةً السادة والكبراء حكاماً وعلماء، وقد بدا واضحاً أن بعض حكام العرب، تواطؤوا مع التحالف الصليبي الصهيوني على أهلنا، وهم من تسميهم أمريكا بحكام دول الاعتدال. وفي الحقيقة إن دول العالم الإسلامي من إندونيسيا إلى موريتانيا بلا استثناء، تنقسم إلى قسمين اثنين: دول معوجة ودول أكثر اعوجاجاً، والإسلام بريء من حكامها جميعاً.

ولا يخفى أن مما ساعد الجماعة الأولى في صدر الإسلام على أن يصلب عودها ويقوى عمودها لتحمل أعباء إقامة الدولة الإسلامية؛ عدد من الأمور كان من أهمها

بعد الإيمان الصـــحيح والزهد: التمايز بين المؤمنين والمنافقين، فالأحداث العظام والمصـائب الجسـام ولا سـيما الحروب والصـدامات، نفضـت الخبيث عن الطيب وميزت الصادق من المنافق، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾.

وإن من المصائب التي وقعت على المسلمين يوم أحد، أن ثلث الجيش خضع وانقاد لرأس المنافقين ابن ســلول، فانخذل بهم وأمرهم أن لا يقاتلوا الأعداء، وأما اليوم فجميع الجيوش الرسمية للأمة تحت قيادة المنافقين من حكام المنطقة، كما أن معظم الجيوش غير الرسمية تحت قادة الجماعات الإســلامية، وكثير منهم يرون أن هؤلاء الحكام ولاة أمر شــرعيين، يحرم الخروج عليهم، فكيف لا تتوالى علينا المصــائب؟! وقد بدا ذلك واضحاً في خذلان هذه الجماعات لغزة وأهلها، وهم ينتظرون إذناً من المنافقين حتى يجاهدوا، فأي استغفال هذا للشباب المسلم!

فالواجب أن نبعد المنافقين والمخذلين عن ميادين القيادة والتوجيه، كما فعل الصحابة -رضي الله عنهم- بعد غزوة أحد، فلما قام ابن سلول ليخطب بالمسلمين كما كان يفعل من قبل، وكان سـيداً في قومه يريد بذلك أن يحافظ على مكانته في توجيه الجماعة الأولى، أخذ الصـحابة بثيابه من نواحيه وقالوا: "اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت".

فما أكثر الرجال الذين يعتلون منابر التوجيه بصورها المختلفة ليخادعوا الأمة لتلتف حول حكام المنطقة المنافقين، ويخذلوها عن القتال لتحرير فلسطين، فما أحرانا أن نقول لكل واحد من هؤلاء مواجهة أو عبر الهاتف كما قيل لرئيسهم الأول ابن سلول "اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت". فما فعله الصحابة -رضي الله عنهم- بابن سلول هو فضح وإزالة له عن منابر التوجيه في الجماعة المسلمة، حتى لا يعيد الكرة في غزوة أخرى، فينثني بثلث الجيش وتتكرر المصائب، وهذا ما ينبغي علينا فعله، فالمنافقون والمخذلون يكررون علينا المصائب منذ عقود.

فهذه بعض المقترحات، أرجو أن تصب في صالح المشروع العام لإنقاذ الأمة وفك وكسر القيود التي كبل بها كثير من أبنائها، فيتحررون منها، وينطلق منهم من يكفي بما يلزم للقيام بأوجب الواجبات بعد الإيمان: دفع العدو الصائل، الذي يفسد الدين والدنيا. وإن فك حلقة من حلقات السلسة الغليظة الملقاة على رقابنا، تعيننا على إسقاط وطرح لبقية الحلقات بإذن الله.

فالفرصة متاحة اليوم، للقيام بهذا الواجب في عدد من ساحات الجهاد المفتوحة، وخاصة في العراق وأفغانستان وباكستان والصومال والمغرب الإسلامي. فأرجو الله أن يوفقنا لنصرة الدين وللجهاد في سبيله، حتى نحرر بلاد المسلمين، ولا سيما العراق لننطلق منها إلى فلسطين.

وختاماً، أذكر أمتي بأهمية تعاهد قلوبنا بمقويات الإيمان، وتجنيبها مواطن الفتن والنفاق، ويعيننا على ذلك: أن تكون ألسنتنا رطبة بذكر الله تعالى، وقراءة جزء يومياً

من القرآن الكريم بتدبر وتفكر، فهو يجلي القلوب وينير العقول، ويبصرنا بالصفات المشتركة لأعدائنا، من المشركين والمنافقين على مر العصور. واقرؤوا قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾**.

وكذلك أذكر بأهمية قراءة الكتب المقترحة، ومتابعة كتيبات القوائم والاطلاع عليها ونشرها، لأنها منارات وسط ظلمات الهجمات الداخلية والخارجية علينا.

وأخيراً، أحرض نفسي وإخواني بهذه الأبيات:

وتسألني عزائمنا علام الجبن والخورُ
وقد ملأت عوالمنا طواغيت لها صورُ
ليوهنوا من عقيدتنا وفيهم يكمن الخطرُ
أخي يا قوة عظمى سبيل الله غايتكَ
أأنت الموت تخشاهُ وأنت الموت جنتكَ
عمود الدين لا يقوى بتصويت وتخذيلِ
فغير السيف لا يجدي يميناً، فتيةَ الجيلِ)

وقال –رحمه الله– في "أسباب الصراع في الذكرى الستين لقيام دولة الاحتلال الإسرائيلي": (إلى الشعوب الغربية عامة، السلام على من اتبع الهدى، وبعد..

حديثي هذا إليكم لمعرفة أحد أهم أسباب الصراع بين حضارتنا وحضارتكم -أعني القضية الفلسطينية-، وأن هذا الصراع يتصاعد في ظل سياساتكم القائمة، وهنا أؤكد أن القضية الفلسطينية هي القضية المحورية الأولى لأمتي.

ومن هنا فقد كانت عاملاً مهما في تزويدي منذ الصغر وتزويد الأحرار التسعة عشر بشعورٍ عظيم لنصرة المظلومين، ومعاقبة اليهود الظالمين وأعوانهم.

ثم تتابع ظلمكم علينا في لبنان وغيرها ومن هنا جاءت أحداث الحادي عشر وما تقدمها وما تلاها، وهنا أسترعي انتباهكم وأقول لكم:

إن أمام المنصفين منكم والراغبين في معرفة حقيقة القضية الفلسطينية فرصة ثمينة للاطلاع عليها فاليهود يحتفلون بمشاركة زعماء غربيين بمرور الذكرى الستين على قيام دولتهم، وهذا الاحتفال له دلالاتٌ كثيرةٌ مهمة سأتحدث عن ثلاث منها باختصار:

أولا: إن هذا الحدث يدل بوضوح على أنه قبل ستين سنة لم تكن لدولة إسرائيل وجود وإنما أقيمت على أرض فلسطين المغتصبة بقوة السلاح وهذا من الدلائل على صحة دعوانا بأن فلسطين أرضنا وأن الإسرائيليين غزاةٌ محتلون يجب قتالهم.

ثانيا: إن هذا الحدث أظهر أن معظم وسائل إعلامكم قد تخلت عن الموضوعية والمهنية في هذه القضية وما شابهها، وقام القائمون عليها بتضليلكم خلال ستين سنة، فقلبوا لكم الحقائق وأظهروا اليهود الغزاة المحتلين لأرضنا على أنهم الضحية.

وفي المقابل أبرزوا الفلسطينيين المظلومين المطالبين بأرضهم على أنهم الجلادون الإرهابيون بغير حق.

وهنا يظهر مدى خطورة وسائل الإعلام الكبرى والتي تقوم بدور كدور السحرة في تزييف الحقائق وصناعة رأي عام مضلّل يمكنها من سَوق الأمم الغربية في دخول حربٍ ظالمةٍ ضدنا بغير حق.

كما ظهر ذلك جليا في غزو العراق بعد أن روجت لأكاذيب زعيم البيت الأبيض ومن معه، وكذا ظهر مدى نفوذ اللوبي الصهيوني في وسائل إعلامكم حيث صوّر الأمور بخلاف حقيقتها لخدمة الإسرائيليين.

ثالثا: إن مشاركة زعماء غربيين لليهود في هذا الاحتفال يؤكد على أن الغرب يؤيد هذا الاحتلال اليهودي الغاشم لبلادنا، وأنهم يقفون في خندق الإسرائيليين ضدنا وقد أكدوا ذلك عملياً بإرسال قواتهم إلى جنوب لبنان نصرةً لليهود.

وإن ساسة الغرب مازالوا يعيشون بعقلية العصور الوسطى في ظلم الآخرين باحتلال أرضهم، وقتل أحرارهم، ونهب ثرواتهم، وهذا ما أكده بوش وبلير بجلاءٍ ووضوح في غزو العراق أيضا لسرقة نفطهِ وإذلال أهله.

ولئن كانت بريطانيا قد مكنت اليهود من احتلال فلسطين عبر وعد بلفور، ولئن كانت الأمم المتحدة قد قررت إعطاء اليهود معظم فلسطين، فإن هذه القرارات لا اعتبار لها ولا تعنينا، حيث إن من لا يملك أعطى من لا يستحق.

وهل الأمم المتحدة إلا أداة من أدواتكم، وما مفاوضـــات الســـلام التي بدأت منذُ ستين سـنة ولم تنتهِ إلا لمخادعة المغفلين، وما وعود بوش بدولةٍ بما تحمل الكلمة من معنى، إلا كمواعيد عرقوب، مع أن الجهاد واجبٌ لتحرير فلسطين كلها. وبعد..

فإننا نفهم أن أصـحابَ النفوس غير السـوية ميالون للاعتداء على حقوق الآخرين وأخذ أموالهم بغير حق بالاحتيال أو بالسطو المسلح، وإن وصل هؤلاء إلى السلطة فإن الكارثة تعظم وتتضاعف بقدر الفرق بين قوة الدولة وقوة العصابة المسلحة.

وأما في حالنا اليوم فإن الإرهاب المذموم والســـطو المســـلح يقوم بهِ قائد أقوى آلةٍ عسكريةٍ عرفتها البشرية، وبالتالي فإن الكارثة ليست قُطريةً أو إقليمية بل هي كارثةٌ عالمية.

ورغم ما في حروبكم علينا من ويلاتٍ ومآسٍ هائلة، إلا أننا صـبرٌ في الحرب، صـدقٌ عند اللقاء في قتال المعتدين.

ولكن من مما يثير الغثيان أنه بعد كل هذا القتل والتدمير والسلب والنهب والانحطاط يقف ساستكم للتحدث عن القيم، فهذا مما ليس يحتمل، فلا تجمعوا بين ظلمين.

فإن أصررتم على النهب والسلب –وستجدون ما يسوؤكم– فقليلٌ من الحياء وأوقفوا الكذب بالحديث عن القيم.

وسـأضـرب أمثلةً من واقعِ فلسـطين تزيد القضـية وضـوحا كما تظهر زيف قيمكم، فازدواج المعايير في القضية الواحدة سمةٌ من سمات ساستكم فأنتم تصنفون المنظمات

الفلسطينية بأنها منظماتٌ إرهابية وتم معاقبتها ومقاطعتها وفي المقابل عندما كان الإسرائيليون يمارسون القتل للمدنيين حقا من النساء والأطفال سواء بالسيارات المفخخة كما في يافا وحيفا وغيرها، أو ما هو أشد من ذلك عندما كانت تقوم المنظمات الصهيونية بإقامة مذابح للقرويين الفلسطينيين لإرعابهم وتهجيرهم وسلب أراضيهم، فماذا كان موقفكم؟

يظهر ذلك تعاملكم مع بيجن، وما أدراك ما بيجن رئيس إحدى هذه المنظمات الصهيونية الظالمة، بيجن هو سفاح مذبحة دير ياسين، بيجن هو باقر بطون الحوامل في مذبحة دير ياسين.

وهل هناك إرهابٌ أفظع وأشنع، أليس هذا قمة الإجرام وقاع الانحطاط؟ وهل يستطيع رجلٌ أن يقتل قرويةً لا تعرف القتال ولا شأن لها به فضلاً عن أن يبقر بطنها ناهيك عن كونها حامل.

إن رؤيا مثل هذه الجريمة المروعة تشيب لهولها الرؤوس، ولا تكاد تُصدق لولا أن الوثائق تؤكدها، بل إن من الإسرائيليين من يفتخر بها ويقولون لولا مذبحة دير ياسين لما فرَّ الفلسطينيون من أرضهم وأخلوها لنا.

فما كان موقف الغرب من بيجن؟ فبدلاً من أن يعاقب على جرائمه تلك، تم الاعتراف به رئيساً للوزراء، ثم لم يكتفوا بذلك بل منحوه جائزة نوبل للسلام.

يا للظلمِ والعدوان..

يا لرخصِ الدماءِ البريئة..

يا للقسوة والوحشية..

ولم تتوقف المذابح بعد دير ياسين بل توالت، وها هي مذبحةُ غزة نعايشها اليوم وتتم أمام أنظار العالم أجمع.

مليون ونصف إنسان تحت الحصار القاتل يتعرضون للموت البطيء نتيجة سوء الغذاءِ وندرة الدواء.

بل إن ساستكم يلزمون حاكم مصر بإحكام الحصارِ من طرفهِ عليهم ليخنق المستضعفين وأكثرهم من النساء والاطفال.

فنبئوني كم هو الفرق بين قيمكم في جاهليتكم المعاصرة وبين قيم هامان في الجاهلية الاولى وهو يناصر فرعون على قتل أطفال بني إسرائيل في مصر.

وختماً، لا يلام من يدافع عن أطفاله ويعادي متبعي سياسة فرعون الظالمة، وإننا سنواصل بإذن الله القتال ضد الإسرائيليين وحلفائهم إحقاقاً للحق وإنصافاً للمظلومين من الخلق، ولن نتخلى عن شبرٍ واحد من فلسطين بإذن الله ما دام على الأرض مسلم صادق واحد، ومن يزرع الشوك لن يجني العنب.)

وهذا غيض من فيض من جهود وكلمات وأعمال الإمام المجدد أسامة بن لادن في نصرة هذه القضية المركزية وبيان سبيل تحريرها.. وحبذا ولو يقوم أحد مشايخنا ممن صاحب الإمام المجدد –رحمه الله– فيفرد القضية الفلسطينية وجهود الإمام المجدد

فيها ببحث مســـتقل فهي تســـتحق ذلك وفيها فائدة عظيمة للأجيال المعاصـــرة والقادمة -بإذن الله-.

السبيل لتحرير فلسطين
بالخروج على حكام الردة والخيانة

ويحسن بنا هنا أن نشير إلى أن من الأمور التي أصبحت حقائق مسلمات بعد الأحداث والمجريات التي مرت بأمة الإسلام وخاصة بعد طوفان الأقصى ما دعا إليه وركز عليه الإمام المجدد في دعوته وتوجيهاته كما في "رسالته إلى الأمة الإسلامية في جمادى الأول ١٤٢٩هـ - مايو ٢٠٠٨م" : (إن السبيل لتحرير فلسطين واضح بيّن نظرياً، ولكن إذا ما تم تنزيل الأمر إلى أرض الواقع نشأ الخلاف، فمعلوم أنه لا سبيل للوصول إلى فلسطين إلا بقتال الحكومات والأحزاب التي تحيط باليهود وتحول بيننا وبينهم وعند ذلك يصيح كثير من الناس ويقولون كيف تقتلون من يقول "لا إله إلا الله".

ولو كان لمثل هؤلاء قوةٌ وكلمةٌ زمن صلاح الدين وما بعده لحالوا بينه وبين الخطواتِ العملية لتحرير القدس، ولبقي الأقصى في الأسر عشرة قرون.

فهؤلاء القوم يدورون بين أمورٍ عدةٍ منها أنهم لا يفقهون دينهم، فقد أجمع الصحابة -رضي الله عنهم- على قتال مانعي الزكاة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ويقيمون بقية أركان الإسلام.

فكيف بالحكام الذين استبدلوا الإسلام بالقوانين الوضعية ويقاتلون مع النصارى ضد المسلمين.

واحتمالٌ آخر أن هؤلاء قد جبنت نفوســـهم عن قتال العدو وخارت عزائمهم عن تحمل تكاليف الجهاد من هجرة الأوطان ومفارقة الأهل والخلان.

وقد يكون هؤلاء من الذين لا يعقلون، فالحكام يحكموننا بغير ما أنزل الله، وقد وصلوا إلى الحكم إما بانقلابٍ عسكري أو بدعمٍ مسلحٍ خارجي، ثم يقولون إياكم وحمل السلاح!

وأقول: لا يتخلى عن السلاح اختياراً إلا من قلت مروءته وضعف دينه.

فالمجاهدون قرؤوا قول الله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾.

فقد كان السلاح بأيدي الرجال الصادقين الأوائل –رضي الله عنهم– في كلا الحالين من قضى نحبه ومن بقي، ونحن على العهد ولن نبدل تبديلاً بإذن الله.

فيا فتية الجيل ليس سوى الجهاد من سبيل لتحرير فلسطين والأقصى واسترجاع الخلافة الراشدة بإذن الله.)

تحرير بلاد الحرمين
والمسجد الحرام والمسجد النبوي

ويلحق بقضية تحرير فلسطين والمسجد الأقصى قضية تحرير بلاد الحرمين والمسجد الحرام والمسجد النبوي من الاحتلال الصليبي ومن رجز طواغيت الجزيرة فإنها منذ عقود من الزمن خرجت من سلطان المسلمين واستولى عليها الصليبيون ووكلاؤهم من حكام المنطقة..

وهذه القضية من القضايا المعاصرة التي جعلها الإمام المجدد من القضايا الكبرى وركز عليها وجعلها في أولويات توجيهاته ودعوته..

فإنها من أعظم المصائب التي نزلت بأهل الإسلام في هذا الزمان فأصبحت بلاد الحرمين منبع الشر والفساد والحرب على الإسلام وأهله بعد أن كانت منبع النور والوحي كما وضَّح ذلك الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– في "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠هـ": (فهذا العيدُ يعود، وفي هذه اللحظات يعود على إخواننا المسلمين في فلسطين وفي لبنان وفي العراق وفي السودان والصومال وفي البوسنة وفي الشيشان وما أدراك كيف يعود العيد على إخواننا في الشيشان! يعود عليهم ودوي المدافع يزلزل الأرض هناك، يعود عليهم وقصف الطائرات على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة. الكفر العالمي تألب وتكتّل وتحشّد ضد أهل الإسلام وضد المسلمين في الشيشان، قصفٌ ونسفٌ وتخريب،

دكٌّ للجسور وهدمٌ للبيوت وانتهاكٌ للأعراض وسفكٌ للدماء، دماءُ المسلمين أرخص الدماء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جراحُ المسلمين غائرة، غائرة جدًّا في كل مكان ولكن جراحنا اليوم في أعظم مقدساتنا، في البيت العتيق، في الكعبة المشرفة في مسجد نبينا عليه الصلاة والسلام، بعدما خَذَلْنا مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام في القدس، ها هم الصليبيون واليهود قد تحالفوا وغزوا دار الإسلام في عقر دارنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلئن كانت تلك مصائب عظيمة وغائرة إلا أن مصيبتنا في البيت العتيق هي أشدها وأعظمها وأوجعها وآلمها..

هذا البيت وما أدراك ما عظمة هذا البيت عند الله سبحانه وتعالى! هذا البيت هو أول بيت وُضع للناس، اختار له الله سبحانه وتعالى أبا الأنبياء إبراهيم من أولي العزم من الرسل عليه الصلاة والسلام وابنه إسماعيل عليه السلام لكي يقوموا ببنائه، مِن تشريفه سبحانه وتعالى لهذا البيت لا يبنيه العُمال وإنما يبنيه أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام، هذ البيت شأنه عظيم جدًّا، ولا يقبل الله سبحانه وتعالى منا فرضًا من هذه الصلوات الخمس من عمود الدين إذا لم نتجه إلى البيت العتيق، ولم يُصَب المسلمون في طول تاريخهم منذ بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام لم نُصب بمثل هذه المصيبة قط، لم يستطع الكفار أن يعتدوا على البيت العتيق من قبل وإنما حاول النصارى قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، جاء ستون ألفًا من نصارى الحبشة على رأسهم أبرهة، جاؤوا يريدون أن يكيدوا بالبيت العتيق، فتقدموا، وتقدم لهم رجال، رجالٌ من الجاهليين ولكن كان مما بقي لهم من ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

تعظيم هذا البيت العتيق، فخرجت قبائل العرب المتفرقة قبيلة تلو قبيلة تريد أن تصد أبرهة وجيشه ولكن لأمر يريده الله كُسِرت هذه القبائل واستمر أبرهة حتى وصل إلى الطائف وهناك بحث عمن يدله إلى البيت العتيق فما وجد إلا أشقاها، وجد أبو رغال، خرج ليدُلَّه على البيت العتيق، بئس الدليل! بئس الدليل! فأماته الله سبحانه وتعالى بين الطائف ومكة، ولكن أين له أن ينجو من العرب التي تعظم البيت حتى في الجاهلية؟ فسنُّوا سُنة ليعتبر الناس من بعد ولتعتبر الناشئة حتى لا يعتدي أحد على البيت العتيق، فرجموا قبره وأصبح سُنة في الجاهلية، فسار أبرهة وهو في طريقه إلى البيت العتيق حدثت معجزة وآية وكرامة، هذه الفِيَلة، هذه العجماوات فقهت أن الله سبحانه وتعالى له بيت وأنه لا بد من تعظيم البيت ولا بد من تعظيم رب البيت سبحانه وتعالى، فربضت وبركت للأرض، فيشبعوها ضربًا لا تتحرك مقدار أنملة في اتجاه الكعبة المشرفة تعظيمًا وإجلالًا لربها سبحانه وتعالى.

ستون ألفًا.. أراد عبد المطلب أن يذود عن البيت العتيق، وأنّى له وأهل مكة بضع مئات وهؤلاء ستون ألفًا؟ فالتزم البيت العتيق، واستغاث وتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بأن ينصر بيته، ثم رفعت قريش ذويها وذراريها إلى الجبال تنظر ما الذي يكون، فكانت آية أخرى.. أرسل الله سبحانه وتعالى طيرًا أبابيل تحمي هذا البيت وتذود عنه فأهلك ستين ألفًا من النصارى، وهم أهل كتاب وقريش مشركون، لكن تعظيمًا للبيت لم يبالِ الله سبحانه وتعالى بهم في أي وادٍ هلكوا، لم يبقَ منهم مخبر، وأنزل من فوق سبع سماوات سورةً تُتلى إلى يوم القيامة، يحفظها الصغار فضلًا عن الكبار، تُبيِّن مدى غيرة الله سبحانه وتعالى على هذا البيت العتيق، وتُبيّن لنا أن

الذين يريدون كيدًا للبيت العتيق فكيدهم في ضلال وتضليل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾، بلى والله، جعلَ كيدهم في ضلالٍ وتضليل، لم يبقَ لهم أثر وكُفيَ البيت بفضل الله سبحانه وتعالى.

هذا البيت من أجلهِ يُهلك الله سبحانه وتعالى جيشًا عرمرمًا يريد البيت، كما في الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «يؤمُّ هذا البيت جيشٌ فيُخسف بأولهِ وآخره»، قيل له: يا رسول الله إن فيهم المكره وفيهم من ليس منهم، قال: «يُخسف بأولهم وآخرهم، ويُبعثوا على نياتهم»، شؤمُ مجاورة الذين يكيدون للبيت، شؤمُ خُذلان هذا البيت ولو كنت مُكرهًا، مجاورتك للذين يكيدون للبيت العتيق هذه تَبعتها، أن يُخسف بك في هذه الأرض، نسأل الله العافية.

وما ظهرَ في الأمةِ بعدَ أبي رغال أبو رغالٍ آخر، مرّت أربعة عشر قرنًا من السنين وعشر فوقها، لم يظهر أبو رغال على ما في هذه القرون من أشقياء، ولكن يُريد الله سبحانه وتعالى أن يبتلينا ويَختبر إيماننا، أنذود عن بيته أم نقعد مع القاعدين ونتخلّف مع الخوالف.

ما ظهرَ إلا في عصرنا هذا، ظهرَ أبو رغال وأحفادُ أبي رغال، ظهروا ليبيحوا بلاد الحرمين، فتصبح حمى مستباحًا لدبابات الأمريكيين، للجنود الأمريكيين، بل للمجندات من بنات اليهود والنصارى، يسرحون ويمرحون على أرضٍ وُلد فيها محمدٌ ﷺ، على أرضٍ نزل فيها جبريل الأمين بالقرآن العظيم من السماء على محمدٍ ﷺ،

هذه الأرض شأنها عظيم فهي أحب البلاد إلى الله سبحانه وتعالى كما صحّ عن نبينا عليه الصلاة والسلام، وما أدراك ما شأن البيت عند الله سبحانه وتعالى!

هذا البيت عَرَّف الله سبحانه وتعالى نفسه بالإضافة إلى البيت العتيق فأمرنا بالعبادة في آيات كثيرة، ولكن لحكم كثيرة جاء الأمر هنا بالعبادة مقترنًا باسم البيت العتيق، قال سبحانه: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ**﴾، رب هنا نكرة عُرِّفت بالإضافة إلى البيت العتيق ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾، وقال في آية أخرى نسب فيها البيت إليه سبحانه وتعالى نسبةَ تشريفٍ وتعظيم كما قال سبحانه: ﴿**بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾، فشأن البيت عظيم ولا نستطيع في هذه الخطبة أن نأتي على كل ما ذُكر في شأنه فإنه صحّ عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة»، فذكر من ضمنهم: «مُلحدٌ في الحرم»، فإذا كان الذي يأتي بالذنوب والتي هي دون الإلحاد سُميت إلحادًا لأن الكبائر ولأن المعاصي في البيت العتيق في حرم الله سبحانه وتعالى تُضاعَف مضاعفة كبيرة، كما أن الحسنات تضاعف أيضًا، فكما تعلمون أن الركعة عند البيت العتيق بمائة ألف ركعة.

وهنا يثور تساؤل: إلى متى سيقعد المسلمون عن نصرة الله سبحانه وتعالى، وعن نصرة بيته، وعن تطهير أرض الحرمين من رجس الصليبيين واليهود؟ أما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا**﴾؟ أما قال ﷺ وهو في مرض الموت في الحديث الصحيح الذي يرويه ابن عباس -رضي الله عنهما- في يوم الخميس، وما أدراك ما يوم

الخميس! في يوم الخميس اشتد وجع رسول الله ﷺ ثم بكى حتى بل دمعه الحصباء، وقال عن وصية نبينا عليه الصلاة والسلام فكانت وصيته وهو على فراش الموت: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، فماذا أعددنا من جوابٍ يومَ الحساب، يوم التغابن، يوم القيامة؟ ماذا أعددنا من جواب لله سبحانه وتعالى؟ هل كنا مستضعفين؟ الله سبحانه وتعالى مطلعٌ على قلوبنا.

وإن ما وصلت إليه الأمة في هذا الزمان من تيه وضياع، ها قد مرت عشر سنوات منذ دخول الأمريكيين إلى بلاد الحرمين، ومرَّ أكثر من سبع عقود منذ سقوط مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام مع اليهود، إن هذا التيه الذي نعيشه لا بد أن نبحث في كتاب الله سبحانه وتعالى لنجد السبيل، ولنبحث عن الأسباب والأمراض التي أصابتنا حتى خذلنا البيت العتيق، خذلنا هذا البيت العظيم الذي لا يقبل الله سبحانه وتعالى منا الركن الخامس من أركان الإسلام إذا لم نطُف بالبيت العتيق.

عند البحث والتأمل في كتاب الله هذا الكتاب الذي ما فرّط الله سبحانه وتعالى فيه من شيء، كما قال سبحانه: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾، بل جعله هدى وتبيانًا لنا، يتضح لنا أن كراهية القتال وحبَّ الدنيا الذي استولى على قلوب كثير منا هو السبب الرئيسي في هذه المصائب وفي هذه الذلة والهوان، فقد قال الله سبحانه وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ**

تُظْلَمُونَ فَتِيلاً أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، الله أكبر، الله أكبر على هذا المنهج العظيم الكامل الشامل، تدبروا هذه الآيات، ماذا قالوا: ﴿**لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**﴾، وماذا عسى أن يكون بعد التأجيل والتأخير؟ سيلٌ من الأعذار لا ينقطع ولا ينتهي، لم يذكره الله سبحانه وتعالى هذا السيل من الأعذار، وإنما بيّن أصل هذه الأعذار التي لا تنتهي، فكان الجواب: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ**﴾، هذه الأعذار منشؤها التعلق بالدنيا، فينبهنا سبحانه وتعالى وهو أعلم بأنفسنا وضعفها، يذكرنا بأن متاع الدنيا قليل، فعلامَ نبخل بأنفسٍ هو خلقها سبحانه وتعالى؟ وبأموال هو رزقها سبحانه وتعالى؟ ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾، انتبهوا إلى الآية التي تليها، تبين للناس أن الأمر بين هذين: بين تعلق بالدنيا وخوف من الموت، فكان الجواب واضحًا صريحًا بَيِّنًا: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾، فالذي أنار الله بصره وبصيرته يستجيب لله والرسول بتقديم نفس هو خلقها سبحانه وتعالى، ما أجهلك يا ابن آدم! تبخل بشيء ليس لك بل إن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقه ورزقك ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ**﴾، من أوفى بوعده من الله سبحانه وتعالى؟ ونِعمَ بالله، هذا العقد في التوراة والإنجيل والقرآن، صفقةٌ بين مالك السماوات والأرض وبين هذا المخلوق الضعيف، ولكن من خَفَّ الإيمان في قلبه لم يفقه ما أعدَّ الله سبحانه وتعالى للمجاهدين، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يُزين الإيمان في قلوبنا وأن يُكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان.)

ولما كانت هذه النازلة من أعظم النوازل المعاصـــرة أصـــدر الإمام المجدد –رحمه الله– بيان إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب":

(بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

الحمد لله القائل: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

الحمد لله القائل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾.

والصلاة والسلام على عبده ورسوله القائل: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَالِمِ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يده أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ» كما رواه أبو داود والترمذي.

أمَّا بعد؛

فلا يخفى عليكم ما أصاب أهل الإسلام من ظلمٍ وبغيٍ وعدوانٍ من تحالف اليهودِ والنصارى وأعوانهم، حتى أصبحت دماء المسلمين أرخص الدماء، وأموالهم وثرواتهم نهبًا للأعداء، فها هي دماؤهم قد سُفِكَت في فلسطين والعراق، وما زالت الصور الفظيعة لمجزرة قانا في لبنان عالقةً بالأذهان، وكذلك المجازر في طاجكستان وبورما وكشمير وآسام والفلبين وفطاني والأوجادين والصومال وإريتريا والشيشان وفي البوسنة والهرسك، حيث جرت مذابح للمسلمين هناك تقشعرُّ لها الأبدان، وذلك على مرأى ومسمع من العالم أجمع، بل وبتآمرٍ واضحٍ من أمريكا وحلفائها بمنعهم السلاح عن المستضعفين هناك تحت ستار الأمم المتحدة الظالمة، فانتبَهَ أهل الإسلام إلى أنَّهم الهدف الرئيسي لعدوان التحالف اليهودي الصليبي، وزالت كل تلك الدعايات الكاذبة عن حقوق الإنسان تحت الضربات والمجازر التي ارتُكِبَت ضد المسلمين في كل مكان.

وكان من آخر هذه الاعتداءات أن أُصيبَ المسلمون بمصيبة من أعظم المصائب التي أُصيبوا بها منذ وفاة النبي ﷺ؛ ألا وهي احتلال بلاد الحرمين؛ عقر دار الإسلام ومهبط الوحي ومنبع الرسالة وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين، وذلك من قِبَل جيوش النصارى من الأمريكيين وحلفائهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في ظلال هذا الواقع الذي نعيشه، وفي ظل الصحوة المباركة العظيمة التي شملت بقاع العالم، والعالم الإسلامي خاصَّة، ألتقي اليوم معكم بعد طول غياب فرضته الحملة الصليبية الظالمة التي تتزعَّمها أمريكا على علماء الإسلام ودعاته خشية أن يحرِّضوا الأمَّة الإسلامية ضد أعدائها تأسِّيًا بعلماء السلف -رحمهم الله- كابن تيمية والعز بن عبد السلام، وهكذا قام هذا التحالف الصليبي اليهودي بقتل واعتقال رموز العلماء الصادقين والدعاة العاملين -ولا نزكِّي على الله أحدًا-، فقام بقتل الشيخ المجاهد عبد الله عزام -رحمه الله-، واعتقال الشيخ المجاهد أحمد ياسين في مسرى النبي عليه الصلاة والسلام والشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن، كما اعتقل بإيعازٍ من أمريكا عددٌ كبيرٌ جدًّا من العلماء والدعاة والشباب في بلاد الحرمين، من أبرزهم: الشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي والشيخ إبراهيم الدبيَّان والشيخ يحيى اليحيى وإخوانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان وأفغانستان ممَّا أدَّى إلى هذا الغياب الطويل، ولكن بفضل الله تيسَّر وجود قاعدة آمنة في خراسان، فوق ذُرى الهندوكوش، تلك الذرى التي تحطَّمت عليها -بفضل الله- أكبر قوة عسكرية ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها أسطورة القوى الكبرى أمام صيحات المجاهدين "الله أكبر"، واليوم من فوق نفس الذرى من أفغانستان نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمَّة من التحالف اليهودي الصليبي وخاصة بعد استباحته بلاد الحرمين، ونرجو الله أن يمنَّ علينا بالنصر إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

إخوة الإيمان؛ ها نحن اليوم نبدأ منها الحديث والعمل والتذاكُر لبحث سبل الإصلاح لما حلَّ بالعالم الإسلامي عامة، وببلاد الحرمين خاصة، ونريد أن نتدارس السبل التي يمكن بسلوكها إعادة الأمور إلى نصابها، والحقوق إلى أصحابها، بعد أن أصاب الناس ما أصابهم من خطب عظيم وضرر جسيم في أمور دينهم ودنياهم، أصاب الناس بجميع فئاتهم، أصاب المدنيين كما أصاب العسكريين ورجال الأمن، أصاب الموظفين كما أصاب التجار، وأصاب الصغار والكبار، أصاب طلاب المدارس والجامعات كما أصاب المتخرجين من الجامعات العاطلين عن العمل، وهم بمئات الألوف، بل أصبحوا يشكِّلون شريحة عريضة في المجتمع، أصاب أهل الصناعة كما أصاب أهل الزراعة، وأصاب أهل الحضر والمدر كما أصاب أهل البادية والوبر، والكل يشتكي من كل شيء تقريبًا، وبات الوضع في بلاد الحرمين أشبه ببركان هائل يكاد أن ينفجر فيقضي على الكفر والفساد مهما كانت مصادره، وما انفجارا الرياض والخُبَر إلا نذرٌ لهذا السيل الهادر الذي تولَّد عن المعاناة والكبت المرير والقهر والظلم الفادح والبغي المذلِّ والفقر.

وقد شُغل الناس بأمور معاشهم شغلاً عظيمًا، الحديث عن التردي الاقتصادي وغلاء الأسعار وكثرة الديون وامتلاء السجون هو حديث الجميع فحدِّث عنه ولا حرج، فهؤلاء موظفون من ذوي الدخل المحدود يحدِّثونك عن ديونهم بعشرات ومئات الألوف من الريالات، ويشتكون من التدني الهائل والمستمر لقيمة الريال الشرائية مقابل معظم العملات الرئيسية، بينما يحدثك كبار التجار والمقاولين عن ديونهم بمئات وآلاف الملايين من الريالات، وقد بلغت الديون الداخلية للمواطنين

على الدولة أكثر من ثلاثمائة وأربعين ألف مليون من الريالات تزداد يوميًّا بســـبب الفوائد الربوية ناهيك عن ديونها الخارجية، والناس يتســـاءلون أحقًّا نحن أكبر دولة مصـدِّرة للنفط، وحُقَّ لهم أن يتسـاءلوا، بل ويشـعرون أنَّ هذا عذاب من الله عليهم لأنَّهم سـكتوا عن ظلم النظام وتصـرفاته غير الشـرعية ومن أبرزها عدم التحاكم إلى شـــرع الله، ومصـــادرة حقوق العباد الشـــرعية، وإباحة بلاد الحرمين للمحتلين الأمريكيين، وإيداع العلماء الصـــادقين ورثة الأنبياء الســـجونَ ظلمًا وعدوانًا، هذا المصـاب العظيم قد تنبَّه له أهل الفضـل والخير من المختصِّـين في أمور الدين، كالدعاة والعلماء، وكذلك من المختصِّـــين في أمور الدنيا كالتجار والاقتصـــاديين والوُجهاء، فبذلت كل فئة جهدها للتحرك الســـريع لتدارك الموقف، والجميع مجمِعٌ على أنَّ البلاد تســـير نحو هوَّة ســـحيقة ومصـــيبة فظيعة لا يعلم مداها إلا الله، وعلى حدِّ تعبير كبار التجار: "إنَّ الملك يقود البلاد إلى ســتِّين داهية" ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما أنَّ العديد من الأمراء يشاركون الشعب همومه ويعبرون في مجالسهم الخاصَّة عن اعتراضهم على ما يجري في البلاد من إرهاب وقمع وفساد، وإنَّ تنافس الأمراء المتنفِّذين على المصالح الشخصية قد دمَّر البلاد، وإنَّ النظام قد مزَّق شرعيته بيده بأعمال كثيرة أهمها:

- تعطيله لأحكام الشـــريعة الإســـلامية، واســـتبدالها بالقوانين الوضـــعية، مع دخوله في مواجهة دامية مع العلماء الصـــادقين والشـــباب الصـــالحين، ولا نزكِّي على الله أحدًا.

- وكذلك عجزه عن حماية البلاد وإباحتها السنين الطوال لأعداء الأمَّة من القوات الصليبية الأمريكية التي أصبحت أحد الأسباب الرئيسية في نكبتنا بجميع نواحيها وبخاصة الاقتصادية، نتيجة الإنفاق الثقيل عليها بغير حقٍّ، ونتيجة للسياسات التي تفرضها على البلاد وخاصة السياسة النفطية حيث تُحدَّد الكمية المنتَجة من البترول والسعر بما يحقِّق مصالحهم ويهمل مصالح البلاد الاقتصادية، ونتيجة لصفقات الأسلحة الباهظة التكاليف التي تُفرَض على النظام حتى أصبح الناس يتساءلون: "ما فائدة وجود النظام إذن؟".

فعند ذلك بذلت كل فئة جهدها للتحرك السريع لتدارك الموقف، وتلافي الخطر، فنصحوا سرًّا وجهرًا، ونثرًا وشعرًا، زرافاتٍ ووحدانًا، وأرسلوا العرائض تتلوها العرائض، والمذكرات تتبعها المذكرات، وما تركوا سبيلاً إلا ولجوه ولا رجلاً مؤثِّرًا إلا وأدخلوه معهم في تحركهم الإصلاحي، وقد كانوا متوخِّين في كتاباتهم أسلوب الرفق واللين بالحكمة والموعظة الحسنة، داعين إلى الإصلاح والتوبة من المنكرات العظام والمفاسد الجسام التي شمل فيها التجاوز مُحْكَمَات الدين القطعية وحقوق المواطنين الشرعية.

ولكن للأسف الشديد لم يجدوا من النظام إلا الصدود والإعراض، بل والسخرية والاستهزاء، ولم يقف الأمر عند حدِّ تسفيههم فقط، بل تعزَّزت المخالفات السابقة بمنكرات لاحقة أكبر وأكثر، كل ذلك في بلاد الحرمين!! فلم يعد السكوت مستساغًا، ولا التغاضي مقبولاً.

ولما بلغ التجاوز ما بلغ، وتعدَّى حدود الكبائر والموبقات، إلى نواقض الإسلام الجليَّات، قامت مجموعة من العلماء والدعاة الذين ضاقت صدورهم ذرعًا بما أصمَّ

آذانهم من أصوات الضلال، وغشي أبصارهم من حُجُبِ الظلم، وأزكم أنوفهم من رائحة الفساد، فانبعثت نذر الرفض، وارتفعت أصوات الإصلاح داعيةً لتدارك الموقف، وانضم إليهم في ذلك المئات من المثقَّفين والوجهاء والتجار والمسؤولين السابقين، فرفعوا إلى الملك العرائض والمذكرات المتضمنة المطالبة بالإصلاح.

ففي سنة ١٤١١هـ إبَّان حرب الخليج رُفعت إلى الملك عريضة وقعها حوالي أربعمائة شخصية من هؤلاء تدعوه لإصلاح أوضاع البلاد، ورفع الظلم عن العباد، غير أنَّه تجاهل النصح، واستهزأ بالناصحين، وظلت الأوضاع تزداد سوءًا على سوء وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وحينئذٍ أعاد هؤلاء الناصحون الكرَّة من جديد بمذكرات وعرائض أخرى، كان من أهمها مذكرة النصيحة التي سُلِّمَتْ للملك في محرم ١٤١٣هـ والتي شَخَّصت الداء ووصفت الدواء، في تأصيل شرعي قويم، وعرض علمي سليم، فتناولت بذلك الفجوات الكبرى في فلسفة النظام، ومواضع الخلل الرئيسية في دعائم الحكم، فبيَّنت ما يعانيه رموز المجتمع وقياداته الداعية للإصلاح -كالعلماء والدعاة وشيوخ القبائل والتجار والوجهاء وأساتذة الجامعات- من تهميشٍ وتحييد، بل ومن ملاحقة وتضييق.

وأوضحت حالة الأنظمة واللوائح في البلاد، وما تضمنته من مخالفات شملت التحريم والتحليل تشريعًا من دون الله، وتعرَّضت المذكرة لوضع الإعلام أيضًا الذي أصبح وسيلة لتقديس الأشخاص والذوات، وأداةً لطمس الحقائق وتزييف الوقائع والتشهير بأهل الحقِّ، والتباكي على قضايا الأمَّة لتضليل الناس دون عمل جاد، وتنفيذ خطط

الأعداء لإفساد الناس وإبعادهم عن دينهم، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾، وتطرَّقت إلى حقوق العباد الشرعية المهدورة والمصادَرة في هذه البلاد، وتناولت الوضع الإداري، وما يحكمه من عجز، ويشيع فيه من فساد.

كما أبانت حالة الوضع المالي والاقتصادي للدولة، والمصير المخيف المرعب الذي ينتظره في ظل الديون الربوية التي قصمت ظهر الدولة، والتبذير الذي يبدِّد أموال الأمَّة إشباعًا للنزوات الشخصية الخاصة، ثم تُفرض الضرائب والرسوم والمكوس وغير ذلك على الشعب، وقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن المرأة التي زنت وتابت وأقام عليها الحدَّ: «...لَقَدْ تَابتْ تَوْبةً لَوْ تَابَهَا صَاحِب مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ»، ممَّا يبين عِظَمَ ذنب صاحب المكس، بينما لا زال بعض الناس يدعون على المنابر لصاحب المكس، المجاهر بكبيرة الربا، المشرّع لها، وتشريعها كفرٌ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكشفت المذكرة أيضًا عن حالة المرافق الاجتماعية المزرية داخل البلاد، والتي استفحلت بعد المذكرة وتفاقمت، وبخاصة خدمات المياه أهم مقومات الحياة.

وعرضت حالة الجيش وما كشفته أزمة الخليج، من قلة أفراده، وضعف إعداده، وعجز قائد قُوَّاده، رغم ما أُنفق عليه من أرقام فلكية لا تعقل ولا تخفى.

وعلى مستوى القضاء والمحاكم بيَّنت المذكرة تعطيل العديد من الأحكام الشرعية واستبدالها بالقوانين الوضعية.

وعلى صعيد سياسة الدولة الخارجية كشفت المذكرة ما تميَّزت به هذه السياسة من خذلان وتجاهل قضايا المسلمين، بل ومن مناصرة ومؤازرة الأعداء ضدهم وليست غزة – أريحا والشيوعيون في جنوب اليمن عنَّا ببعيد، وغيرهما كثير.

ولا يخفى أنَّ تحكيم القوانين الوضعية ومناصرة الكافر على المسلم معدودة في نواقض الإسلام العشرة، كما قرر ذلك أهل العلم، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

ومع أنَّ المذكرة عرضت كل ذلك بلين عبارة، ولطف إشارة، مذكِّرةً بالله، واعظةً بالحسنى، في أسلوب رقيق ومضمون صادق، ورغم أهمية النصيحة في الإسلام، وضرورتها لمن تولى أمر الناس، ورغم عدد ومكانة الموقِّعين على هذه المذكرة، والمتعاطفين معها، فإنَّ ذلك لم يشفع لها، إذ قوبل مضمونها بالصد والرد ومُوقِّعُوها والمتعاطفون معها بالتسفيه والعقاب والسَّجْن.

وهكذا ظهر بكل وضوح مدى تعنُّت النظام عن قبول النصح وتعسُّفه في استخدام السلطة في معاقبة الناصحين، في حين ظهر حرص الدعاة والمصلحين على سلوك

سبل الإصلاح السلمية حرصًا على وحدة البلاد وحقنًا لدماء العباد، فلماذا يوصِد النظام جميع سبل الإصلاح السلمية ويدفع الناس دفعًا نحو العمل المسلَّح؟ وهو الباب الوحيد الذي بقي أمام الناس لرفع الظلم وإقامة الحق والعدل، ولمصلحة من يقحم الأمير سلطان والأمير نايف البلاد والعباد في حرب داخلية تأكل الأخضر واليابس، ويستعين ويستشير من أشعل الفتن الداخلية في بلاده، وجيَّش أبناء الشعب من الشرطة لإجهاض الدعوة الإصلاحية هناك، وضَرْب أبناء الشعب بعضهم ببعض، وبقي العدو الرئيسي في المنطقة وهو التحالف اليهودي الأمريكي في أمن وأمان، بعد أن وجد أمثال هؤلاء الخائنين لأمَّتهم ينفِّذون سياساته لاستنزاف طاقات الأمَّة البشرية والمالية داخليًّا.

أخوة الإسلام؛ إنَّ هذا الذي يستشيره وزير الداخلية الأمير نايف لم يتحمَّله الشعب في بلده لشدة قذارته وبغيه على شعبه، فأقيل من منصبه هناك، ولكنه جاء ليجد صدرًا رحبًا لدى الأمير نايف للتعاون على الإثم والعدوان، فملأ السجون بخيرة أبناء الأمَّة، وذرفت لذلك العيون، عيون الأمهات اللواتي سُجِنَ أبناؤهنَّ بغير حقٍّ ظلمًا وزورًا وبهتانًا، فهل يريد النظام أن يضرب الشعب من المدنيين والعسكريين بعضهم ببعض كما حصل في بعض البلدان المجاورة؟ لا شكَّ أنَّ هذه سياسة العدو التحالفي الإسرائيلي الأمريكي وهو المستفيد الأول من ذلك، ولكن بفضل الله فإنَّ الغالبية العظمى من الشعب من مدنيين وعسكريين متنبِّهون لهذا المخطط الخبيث، ويربؤون بأنفسهم أن يكونوا أداةً لضرب بعضهم بعضًا، تنفيذًا لسياسة العدو الأمريكي عبر وكيله في البلاد النظام السعودي.

ولذا اتفق الجميع على أنَّه "لا يســـتقيم الظل والعود أعوج" فلا بدَّ من التركيز على ضرب العدو الرئيسي الذي أدخل الأمَّة في دوامات ومتاهات منذ بضعة عقود بعد أن قسَّمها إلى دول ودويلات، وكلما برزت دعوة إصلاحية في الدول الإسلامية دفع هذا التحالف اليهودي الصـليبي وكلاءه في المنطقة من الحكام لاسـتنزاف وإجهاض هذه الدعوة الإصـلاحية بطرق شـتى وبما يتناسـب معها، فأحيانًا يجهضـها بجرِّها إلى الصدام المسلح محدِّدًا الزمان والمكان لهذه المعركة فيقضي عليها في مهدها.

وأحيانًا يطلق عليها رجاله من وزارة الداخلية والذين تخرجوا من كليات شـــرعية ليشوِّشوا على المسـيرة الإصـلاحية وليشـتتوا الأمَّة والشـعب عنها، وأحيانًا يسـتزلون أقدام بعض الصالحين للدخول في حرب كلامية مع علماء ورموز الدعوة الإصلاحية ليستنزف طاقة الجميع ويبقى الكفر الأكبر مسيطرًا على الأمَّة مضـلِّلاً لها، وتسـتمر المناقشـــات في الفروع بينما توحيد الله بالعبادة والتحاكم إلى شـــريعته مغيَّب عن الواقع، وفي ظل هذه المناقشـــات والردود يلتبس الحق بالباطل وكثيرًا ما تنتهي إلى عداوات شـخصية يتحزَّب الناس مع هذا أو ذاك ممَّا يزيد الأمَّة انقسـامًا وضعفًا إلى ضعفها، وتغيب الأولويات في العمل الإسلامي.

فينبغي التنبُّه إلى هذه الحيل الشيطانية وأمثالها التي تنفِّذها وزارة الداخلية، والصـواب في مثل هذه الحالة التي نعيشـــها هو كما قرره أهل العلم، وهو تكاتف جميع أهل الإسلام للعمل على دفع الكفر الأكبر الذي يسيطر على بلاد العالم الإسلامي، مع تحمُّل الضرر الأدنى في سبيل دفع الضرر الأكبر ألا وهو الكفر الأكبر، وإذا تزاحمت الواجبات قُدِّم آكدها، ولا يخفى أنَّ دفع هذا العدو الأمريكي المحتل هو أوجب

الواجبات بعد الإيمان، فلا يُقَدَّمُ عليه شيء كما قرر ذلك أهل العلم، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: (وأمَّا قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجبٌ إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يُشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان.) [كتاب الاختيارات العلمية، ملحق بالفتاوى الكبرى: ٤/٦٠٨].

فإذا تعذَّر دفع هذا العدو الصائل إلا باجتماع المسلمين بقضِّهم وقضيضهم وغثِّهم وسمينهم، كان ذلك واجبًا في حقِّهم، مع التغاضي عن بعض القضايا الخلافية والتي ضَرَر التغاضي عنها في هذه المرحلة أقل من ضرر بقاء الكفر الأكبر جاثمًا على بلاد المسلمين، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مبيِّنًا هذه المسألة منبِّهًا على أصل عظيم ينبغي مراعاته وهو: (العمل على دفع أعظم الضررين بالتزام أدناهما.) واصفًا حالة المجاهدين والمسلمين وإن كان فيهم عسكرٌ كثير الفجور، فإنَّه لا يُعفى من ترك الجهاد ضد العدو الصائل، قال -رحمه الله- وبعد أن ذكر شيئًا من أحوال التتار وما هم عليه من تبديل شرائع الله: (فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله ﷺ، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه، كان الواجب أيضًا قتالهم دفعًا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإنَّ هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها، ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة: "الغزو مع كل بر وفاجر"، فإنَّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنَّه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجَّار أو مع عسكر كثير الفجور فإنَّه لا بدَّ من أحد أمرين إمَّا ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررًا في الدين والدنيا، وإمَّا الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه.) [مجموع الفتاوى ٢٨/٥٠٦].

وبرغم أنَّ المفاسد العظام قد فشت، والمنكرات الجسام قد طغت، ولا ينكر وجودها أعمى أو أصم فضلاً أن ينكرها من يسمع ويبصر حتى وصلت إلى الظلم العظيم وهو الشرك بالله ومشاركة الله في تشريعه للناس؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾، فشرِّعت التشريعات الوضعية تبيح ما حرَّم الله كالربا وغيره، حتى في البلد الحرام عند المسجد الحرام -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، حيث إنَّ بنوك الربا تزاحم الحرمين مجاهرةً لله بالحرب معانَدةً لأمر الله تعالى القائل: ﴿**وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾، وقد توعَّد الله سبحانه وتعالى صاحب كبيرة الربا في كتابه الكريم بوعيد لم يتوعَّده أحدًا من المسلمين في كتابه فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾، هذا للمسلم المرابي، فكيف لمن جعل من نفسه ندًّا لله وشريكًا يشرّع ويحلّل لعباد الله ما حرَّم ربُّهم

عليهم، برغم ذلك كلِّه نرى الدولة تستزل أقدام بعض الصالحين من العلماء والدعاة، وتجرُّهم بعيدًا عن إنكار المنكر الأعظم والكفر الأكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والذي ينبغي في مثل هذه الحالة أن يبذل الجميع قصارى الجهد في تحريض وتعبئة الأمَّة ضد العدو الصائل والكفر الأكبر المخيِّم على البلاد والذي يفسد الدين والدنيا ولا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه؛ ألا وهو التحالف الإسرائيلي الأمريكي المحتل لبلاد الحرمين ومسرى النبي عليه الصلاة والسلام، وتذكير المسلمين بتجنُّب الدخول في قتال داخلي بين أبناء الأمَّة المسلمة؛ وذلك لما له من نتائج وخيمة، من أهمِّها:

- استنزاف الطاقات البشرية؛ حيث إنَّ معظم الإصابات والضحايا ستكون من أبناء الشعب المسلم.
- استنزاف الطاقات المالية.
- تدمير البنية التحتية للدولة.
- تفكك المجتمع.
- وكذلك تدمير الصناعات النفطية؛ حيث إنَّ تواجد القوات العسكرية الصليبية والأمريكية في دول الخليج الإسلامي برًّا وجوًّا وبحرًّا هو الخطر الأعظم الذي يهدد أكبر احتياطي بترولي في العالم، حيث إنَّ هذا التواجد يستفز أهل البلاد ويعتدي على دينهم ومشاعرهم وعزَّتهم، وقد دفعهم نحو الجهاد المسلح ضد الغزاة المحتلين، وإنَّ انتشار القتال في تلك الأماكن يعرِّض البترول لمخاطر

الاحتراق ممَّا يؤدي للإضـرار بالمصـالح الاقتصـادية لدول الخليج ولبلاد الحرمين بل وأضرار جسيمة للاقتصاد العالمي.

ونقف هنا وقفة ونهيب بإخواننا أبناء الشـعب المجاهدين بأن يحافظوا على هذه الثروة وبأن لا يقحموها في المعركة لكونها ثروة إسـلامية عظمى وقوة اقتصـادية كبرى هامة لدولة الإســـلام القادمة بإذن الله، كما نحذِّر وبشـــدة الولايات المتحدة الأمريكية من إحراق هذه الثروة الإســـلامية في نهاية الحرب خوفًا من سـقوط هذه الثروة في أيدي أصـحابها الشـرعيين وإضـرارًا منها بمنافسـيها الاقتصاديين في أوروبا والشرق الأقصى.

• وكذلك من أضـرار القتال الداخلي؛ تقسـيم بلاد الحرمين واسـتيلاء إسـرائيل على الجزء الشــمالي منها، حيث إنَّ تقســيم بلاد الحرمين يعتبر مطلبًا مُلحًّا للتحالف اليهودي الصـليبي؛ لأنَّ وجود دولة بهذا الحجم وهذه الطاقات تحت حكم إســلامي صـحيح قادمٍ بإذن الله يمثِّل خطورة على الكيان اليهودي في فلسطين، وذلك لأنَّ بلاد الحرمين تمثِّل رمزًا لوحدة العالم الإسلامي نظرًا لوجود الكعبة المشـــرفة قبلة المســـلمين أجمعين، وكذلك فإنَّ بلاد الحرمين تمثِّل قوةً اقتصـــاديةً هامةً في العالم الإســـلامي؛ كما أنَّ أبناء الحرمين يرتبطون بســـيرة أجدادهم من الصـحابة رضـوان الله عليهم ويعتبرونها قدوة لهم ومَثَلاً في إعادة مجد الأمَّة، وإعلاء كلمة الله من جديد، بالإضـافة إلى وجود عمق اسـتراتيجي ومددٍ بكثافة بشــرية مقاتلة في ســبيل الله في اليمن الســعيد، وقد قال ﷺ:

«يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» رواه أحمد بسندٍ صحيح.

كل هذا يسبِّب خطورة على تواجد التحالف اليهودي الصليبي في المنطقة، لذلك إنَّ أي قتال داخلي مهما تكن مبرراته مع وجود قوات الاحتلال الأمريكي يشكِّل خطأً كبيرًا حيث إنَّ هذه القوات ستعمل على حسم المعركة لصالح الكفر العالمي، ولأنَّ الحديث عن الجهاد فلا بدَّ من توجيه كلمة إلى إخواننا في القوات المسلحة والحرس الوطني والأمن -حفظهم الله ذخرًا للإسلام والمسلمين- فنقول لهم:

يا حماة التوحيد وحرَّاس العقيدة، يا خلف أولئك السلف الذين حملوا نور الهداية ونشروه على العالمين، يا أحفاد سعد بن أبي وقاص والمثنَّى بن حارثة الشيباني والقعقاع بن عمرو التميمي، ومن جاهد معهم من الصحابة الأخيار؛ لقد تسابقتم للانضمام إلى الجيش والحرس رغبةً في الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ولتذودوا عن حياض الإسلام وبلاد الحرمين ضدَّ الغزاة والمحتلين وذلك ذروة سنام هذا الدين، إلا أنَّ النظام قلب الموازين، وعكس المفاهيم، وأذلَّ الأمَّة وعصى الملَّة، ففي الوقت الذي لم تسترجع الأمَّة بعدُ قبلتها الأولى ومسرى نبيِّها عليه الصلاة والسلام، بعد الوعود التي قطعها الحكام منذ ما يقرب من نصف قرن باسترجاعها حتى ذهب ذلك الجيل وجاء جيل جديد تبدَّلت معه الوعود وسُلِّمَ الأقصى لليهود ولا حول وقوة إلا بالله، ولا زالت جراحات الأمَّة تنزف دمًا هناك منذ ذلك الوقت.

رغم هذا كله؛ إذا بالنظام السعودي يفجع الأمَّة بما تبقى لها من مقدسات في بلاد الحرمين بأن جلب نساء جيوش النصارى للدفاع عنه، وأباح بلاد الحرمين للصليبيين

ولا عجب في ذلك بعد أن لبس الملك الصليب وفتحها بطولها وعرضها لهم، فامتلأت بقواعد جيوش أمريكا وحلفائها؛ لأنَّه أصبح عاجزًا أن يقف بدون مساعدتهم، وأنتم أعلم الناس في الجيش والحرس بهذا التواجد وحجمه وأهدافه وخطورته، فخان بذلك الأمَّة ووالى الكفَّار وناصرهم وظاهرهم على المسلمين، ولا يخفى أنَّ ذلك معدود في نواقض الإسلام العشرة، وقد خالف بإباحته الجزيرة العربية للصليبيين الوصية التي أوصى بها رسول الله ﷺ أمَّته وهو على فراش الموت حيث قال -كما في صحيح البخاري-: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»، وقال أيضًا -كما في صحيح الجامع الصغير-: «لَئِنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ».

وإنَّ الادعاء بأنَّ تواجد القوات الصليبية على أرض الحرمين ضرورة مُلحَّة ومسألة مؤقَّتة للدفاع عنها؛ قضية قد تجاوزها الزمن، وخاصَّة بعد تدمير العراق تدميرًا وحشيًّا أصاب البنية العسكرية والمدنية، وأظهر مدى الحقد الصليبي اليهودي على المسلمين وأطفالهم، وبعد الإصرار على عدم استبدال تلك القوات الصليبية بقوات إسلامية من أبناء البلاد وغيرهم، ثم إنَّ هذا الادعاء أُزيل من أساسه وهُدِّمَت أركانه بعد التصريحات المتتالية لأئمة الكفر في أمريكا، وكان آخرها تصريح وزير الدفاع الأمريكي "وليام بيري" بعد انفجار الخُبَر للجنود الأمريكيين هناك بأنَّ وجودهم في بلاد الحرمين إنَّما هو لحماية المصالح الأمريكية.

وقد ألَّف الشيخ سفر الحوالي -فرَّج الله عنه- كتابًا من سبعين صفحة، ساق فيه الأدلة والبراهين على أنَّ تواجد الأمريكيين في الجزيرة العربية هو احتلال عسكريٌّ

مخطَّط له من قبل، وإنَّ هذا الادعاء هو خدعة أخرى يريد النظام أن تنطلي على المسلمين كما انطلت خدعته الأولى على المجاهدين الفلسطينيين وكانت سببًا في ذهاب المسجد الأقصى، وذلك أنَّه لما هبَّ الشعب المسلم في فلسطين في جهاده الكبير ضدَّ الاحتلال البريطاني عام ١٣٥٥هـ الموافق لعام ١٩٣٦م؛ عجزت بريطانيا أن تقف أمام المجاهدين أو أن توقف جهادهم، ثم أوحى إليهم شيطانهم أنَّه لا سبيل إلى إيقاف الجهاد المسلح في فلسطين إلا بواسطة الملك عبد العزيز والذي في استطاعته خداع المجاهدين، وقد قام الملك عبد العزيز بمهمته تلك حيث أرسل ابنيه فالتقيا مع قادة المجاهدين في فلسطين وأبلغاهم بتعهُّد الملك عبد العزيز بضمان وعود الحكومة البريطانية بأنَّها ستخرج إذا أوقفوا الجهاد وستلبِّي مطالبهم، وهكذا تسبَّب الملك عبد العزيز في ضياع القبلة الأولى للمسلمين، ووالى النصارى ضد المسلمين، وخذل المجاهدين بدلاً من تبنِّي قضية المسجد الأقصى، ونصرة المجاهدين في سبيل الله لتحريره، واليوم يحاول ابنه الملك فهد أن تنطلي الخدعة الثانية على المسلمين، ليذهب ما تبقى لنا من مقدسات، فَكَذَب على العلماء الذين أفتوا بدخول الأمريكيين، وكذلك على الجمع العظيم من علماء وقيادات العالم الإسلامي في مؤتمر الرابطة في مكة المكرمة بعد أن استنكر العالم الإسلامي دخول القوات الصليبية بلاد الحرمين بحجة الدفاع عنها، حيث قال لهم: إنَّ الأمر يسير وإنَّ القوات الأمريكية وقوات التحالف سوف تخرج بعد بضعة أشهر، وها نحن اليوم ندخل في السنة السابعة بعد مجيئهم، والنظام عاجز عن إخراجهم، ولا يريد أن يعترف لشعبه بعجزه، فاستمر يكذب على الناس، ويدَّعي أنَّ الأمريكيين سيخرجون، وهيهات هيهات، فإنَّ المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين، والسعيد من اتَّعظ بغيره.

وبدلاً من أن يدفع النظامُ الجيشَ والحرسَ ورجال الأمن لمواجهة المحتلين، جعلهم حماةً لهم، إمعانًا في الإذلال ومبالغة في الإهانة والخيانة ولا حول ولا قوة إلا الله، ونذكّر أولئك النفر القليل من الجيش والشرطة والحرس والأمن الذين يستزلُّهم النظام، ويضغط عليهم ليعتدوا على حقوق المسلمين ودمائهم بقوله تعالى في الحديث القدسي -كما رواه البخاري-: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه النسائي بسند صحيح: «يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ؛ إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلانٍ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلانٍ، فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ»، وفي لفظٍ عن النسائي أيضًا: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَعَلِّقًا بِقَاتِلِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: فِيمَ قَتَلْتَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: فِي مُلْكِ فِلَانٍ».

واليوم قد بدأ إخوانكم وأبناؤكم من أبناء الحرمين الجهاد في سبيل الله لإخراج العدو المحتل من بلاد الحرمين، ولا شكَّ أنَّكم ترغبون في القيام بهذه المهمة لإعادة العزَّة للأمَّة وتحرير مقدساتها المحتلة، غير أنَّه لا يخفى عليكم أنَّ المرحلة تستدعي اتباع أساليب قتالية مناسبة نظرًا لعدم التوازن بين قواتنا النظامية المسلحة وقوات العدو، وذلك بواسطة قوات خفيفة سريعة الحركة، تعمل في سرية تامة، وبعبارة أخرى شنّ حرب عصابات يشارك فيها أبناء الشعب من غير القوات المسلحة، وتعلمون أنَّه من الحكمة في هذه المرحلة تجنيب قوات الجيش المسلحة الدخول في قتال تقليدي مع قوات العدو الصليبي، ويُستثنَى من ذلك العمليات القوية الجريئة التي يقوم بها

أفراد من القوات المسلحة بصورة فردية، أي بدون تحريك قوات نظامية بتشكيلاتها التقليدية، بحيث لا تنعكس ردود الأفعال بشكل قوي على الجيش ما لم تكن هناك مصلحة كبيرة راجحة، ونكاية عظيمة فادحة في العدو، تحطِّم أركانه وتزلزل بنيانه، وتُعِين على إخراجه مهزومًا مدحورًا، مع الحذر الشديد من أن تُسْفَكَ في ذلك دماء مسلمة.

والذي يرجوه إخوانكم وأبناؤكم المجاهدون منكم في هذه المرحلة هو تقديم كل عون ممكن من المعلومات والمواد اللازمة لعملهم، ويرجون من رجال الأمن خاصة الاستمرار في التستر عليهم، وتخذيل العدو عنهم، والإرجاف في صفوفه، وكل ما من شأنه إعانة المجاهدين على العدو المحتل، وينبغي التنبُّه إلى أنَّ النظام قد يلجأ إلى افتعال أعمالٍ ضد أفراد القوات المسلحة أو الحرس أو الأمن، ويحاول نسبتها للمجاهدين؛ للوقيعة بينهم وبينكم، فينبغي تفويت هذه الفرصة عليه.

وفي الوقت الذي نعلم أنَّ النظام يتحمَّل المسؤولية كاملة في ما أصاب البلاد وأرهق العباد، إلا أنَّ أساس الداء ورأس البلاء هو العدو الأمريكي المحتل، فينبغي تركيز الجهود على قتله وقتاله وتدميره ودحره والتربُّص به والترصُّد له حتى يُهْزَمَ بإذن الله تعالى، وستأتي المرحلة –بإذن الله– التي تقومون فيها بدوركم بحسم الأمور لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والضرب بيد من حديد على المعتدين، وإعادة الأمور إلى نصابها، والحقوق إلى أصحابها، والقيام بواجبكم الإسلامي الصحيح، وسوف يكون لنا حديث مستقل –بإذن الله– حول هذه القضايا.

إلى المسلمين عامَّة وفي جزيرة العرب خاصَّة نذكِّرهم بالآتي:

إنَّ الأموال التي تدفعها ثمنًا للبضـائع الأمريكية تتحوَّل إلى رصـاصـات في صـدور إخواننا في فلسطين وبلاد الحرمين وغيرها، وإنَّنا بشراء بضائعهم نقوِّي اقتصادهم، بينما نزداد نحن فقرًا وضعفًا.

أخي المسلم في بلاد الحرمين؛ هل يُعقل أن تكون بلادنا أكبر مُشترٍ للسلاح في العالم من أمريكا، كما أنَّها أكبر شريك تجاري للأمريكان في المنطقة، الذين يحتلون بلاد الحرمين، ويساندون بالمال والسلاح والرجال إخوانهم اليهود في احتلال فلسطين، وقتل وتشريد المسلمين هناك، وإنَّ حرمان هؤلاء المحتلين من العوائد الضخمة لتجارتهم معنا إنَّما هو مساعدة هامة جدًّا في الجهاد ضدهم، وهو تعبيرٌ معنويٌّ هامٌّ في إظهار غضبنا عليهم وكرهنا لهم، ونكون بذلك قد ساهمنا في تطهير مقدساتنا من اليهود والنصارى، وأرغمناهم على مغادرة أراضينا مهزومين، مدحورين، مخذولين بإذن الله تعالى.

وننتظر من النساء في بلاد الحرمين وغيرها أن يقمن بدورهنَّ في ذلك بالزهد في الدنيا ومقاطعة البضائع الأمريكية.

وإذا تضافرت المقاطعة الاقتصادية مع الضربات العسكرية للمجاهدين، فإنَّ هزيمة العدو تكون قريبةً بإذن الله، والعكس صحيح؛ فإذا لم يتعاون المسلمون مع إخوانهم المجاهدين ويشدُّوا من أزرهم بقطع التعامل الاقتصادي مع العدو الأمريكي، فإنَّهم

بذلك يدفعون إليه بالأموال التي هي عماد الحرب وحياة الجيوش، وبذلك يطول أمد الحرب، وتشتدُّ الوطأة على المسلمين.

وإنَّ كل أجهزة الأمن والاستخبارات في العالم لا يمكنها أن تُرغم مواطنًا على شراء بضائع أعدائه، فالمقاطعة الاقتصادية لبضائع العدو الأمريكي هي سلاح فعَّال للغاية لإضعاف العدو والإضرار به، ومع ذلك فهو سلاح لا يقع تحت طائلة أجهزة القمع.

وقبل الختام لنا حديثٌ هامٌّ، وهامٌّ جدًّا مع شباب الإسلام، رجال المستقبل المشرق لأمَّة محمَّد عليه الصلاة والسلام، حديثنا مع الشباب عن واجبهم في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ أمَّتنا، هذه المرحلة التي لم يتقدَّم فيها لأداء الواجبات في جميع الاتجاهات إلا الشباب -حفظهم الله-، فبعد أن تردَّد بعض الذين يُشار إليهم بالبنان عن أداء الواجب للذود عن الإسلام، ولإنقاذ أنفسهم وأموالهم من الظلم والبغي والقمع الذي تمارسه الدولة، مع استخدام الإعلام لتغييب وعي الأمَّة، تقدَّم الشباب -حفظهم الله- لرفع راية الجهاد عالية خفَّاقة ضد التحالف الأمريكي اليهودي الذي احتل مقدسات الإسلام في الوقت الذي تقدَّم غيرهم -نتيجةً لإرهاب الدولة لهم، أو من زلَّت أقدامهم طمعًا في دنيا فانية- تقدَّموا ليضفوا الشرعية على هذه الخيانة العظمى والمصيبة الكبرى على احتلال بلاد الحرمين -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، ولا غرو ولا عجب من هذا الإقدام، وهل كان أصحاب محمَّد ﷺ إلا شبابًا، وهؤلاء الشباب هم خلَفُ أولئك السلف، وهل قتل فرعون هذه الأمَّة -أبا جهل- إلا الشباب؟

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: (إِنِّي لفي الصف يوم بدر، إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيان حديثا السنِّ، فكأَنِّي لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: فما تصنع به، قال: أُخبرتُ أنَّه يسبُّ رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منَّا، فتعجَّبتُ لذلك، قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه)، الله أكبر، هكذا كانت همم الفتيان رضي الله عنهم، وهكذا كانت همم آبائنا، فهذان فَتَيان صغيرا السنِّ كبيرا الهمَّة والجرأة والعقل والغيرة على دين الله، يسأل كل واحد منهما عن أهم مقتَل للعدو ألا وهو قتل فرعون هذه الأمَّة وقائد المشركين في بدر -أبي جهل-، وكان دور عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هو دلالتهما على أبي جهل، وهذا هو الدور المطلوب من أهل المعرفة والخبرة بمَقاتِل العدو، أن يرشدوا أبناءهم وإخوانهم إليها، وبعد ذلك سيقول الشباب كما قال سلفهم: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منَّا، وفي قصة عبد الرحمن بن عوف مع أميَّة بن خلف يظهر مدى إصرار بلال رضي الله عنه على قتل رأس الكفر، حيث قال: رأس الكفر أميَّة بن خلف، لا نجوت إن نجا.

وقبل أيام نقلَت وكالات الأنباء تصريحًا لوزير الدفاع الأمريكي الصليبي المحتل، قال فيه إنَّه تعلَّم درسًا واحدًا من انفجاري الرياض والخبر، وهذا الدرس هو عدم الانسحاب أمام الإرهابيين الجبناء، فنقول لوزير الدفاع: إنَّ هذا الكلام يُضحك

الثكلى التي مات وحيدها، وظاهرٌ منه حجم الخوف الذي يعتريكم، وأين هذه الشـــجاعة الزائفة (في بيروت) عام ١٤٠٣هـ الموافق لعام ١٩٨٣م، والتي جعلتكم شذر مذر وقِطَعًا وأشلاءً بمقتل ٢٤١ جنديًّا؟! وأين هذه الشجاعة الزائفة في عدن بعد حادثي انفجار جعلاكم تخرجون لا تلوون على شيء في أقل من أربع وعشرين ساعة؟!

ولكن فضيحتكم الكبرى كانت في الصومال، فبعد ضجيج إعلامي عنيفٍ لعدة أشـــهر عن قوة أمريكا بعد الحرب الباردة، وتزعمها للنظام العالمي الجديد، دفعتم بعشرات الألوف من القوات الدولية منها ثمانية وعشرون ألف جندي أمريكي إلى الصومال، ولكن بعد معارك صغيرة، قُتل فيها بضع عشرات من جنودكم، وسُحِلَ طيَّار أمريكي في أحد شـــوارع مقديشـــو، خرجتم منها مهزومين مدحورين تحملون قتلاكم، وتجرُّون أذيال الخيبة والخســـران والهوان، ولقد ظهر (كلينتون) أمام العالم يتهدَّد ويتوعَّد بأنَّه سينتقم، بينما كان ذلك التهديد تمهيدًا للانسحاب، وقد أخزاكم الله وانسحبتم، وظهر جليًّا مدى عجزكم وضعفكم، ولقد كان منظركم وأنتم تنهزمون في هذه المدن الإســـلامية الثلاث -بيروت وعدن ومقديشـــو- يُدخِل السرور على قلب كل مسلم، ويشفي صدور قومٍ مؤمنين.

وأقول: لئن كان أبناء بلاد الحرمين قد خرجوا لقتال الروس في أفغانســـتان والصرب في البوسنة والهرسك، وهم يجاهدون اليوم في الشيشان وقد فتح الله عليهم ونصرهم على الروس المتحالفين معكم، ويقاتلون بفضـــل الله أيضًـــا في طاجكســـتان، أقول: لئن كان أبناء الحرمين عندهم شعورٌ وإيمانٌ بضرورة الجهاد ضد الكفر في كل مكان،

فهم أكثر ما يكونون عددًا وقوةً وحماسةً على أرضهم التي وُلدوا عليها للدفاع عن أعظم مقدساتهم؛ الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين أجمعين، ويعلمون أنَّ المسلمين في العالم أجمع يُناصِرونهم ويؤازرونهم في قضيتهم الكبرى، قضية كل المسلم؛ ألا وهي تحرير مقدساتهم.

وأقول لك يا "وليام": إنَّ هؤلاء الشباب يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة، وقد ورثوا العزَّة والإباء والشجاعة والكرم والصدق والإقدام والتضحية كابرًا عن كابر، وإنَّهم لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، وقد ورثوا هذه الصفات عن أجدادهم في الجاهلية وجاء الإسلام فأقرَّ تلك الأخلاق وكمَّلها، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» صحيح الجامع الصغير، وعندما أراد الملك عمرو بن هند أن يذلَّ عمرو بن كلثوم أخذ عمرو بن كلثوم السيف وقطع رأس الملك؛ رافضًا للذلِّ والهوان والضيم، وأنشد قصيدة منها:

إذا ما المِلْكُ سَامَ الناسَ خسفًا أبيْنا أن نُقِرَّ الذلَّ فينا
بأيِّ مشيئة عمرَو بنَ هندٍ تريدُ بأن نكون الأرذلينا
بأيِّ مشيئة عمرَو بنَ هندٍ تُطيعُ بنا الوُشَاةَ وتزدرينا
فإنَّ قناتنا يا عمرُو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا

هؤلاء الشباب يؤمنون بالجنة بعد الموت، ويؤمنون بأنَّ الأجل لا يقدِّمه إقدامهم على القتال ولا يؤخِّره تأخُّرهم، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ**

كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾، ويؤمنون بحديث رسول الله ﷺ -كما في صحيح الجامع الصغير-: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّة لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

ويتمثَّلون قول الشاعر:

إذا لم يكن من الموت بدٌّ   فمن العجز أن تموت جبانًا

وقول الآخر:

من لم يَمُتْ بالسيف مات بغيره   تعدَّدت الأسباب والموتُ واحدُ

هؤلاء الشباب يؤمنون بما أخبر الله به ورسوله ﷺ عن عظيم أجر المجاهد والشهيد، حيث يقول الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾**، ويقول تعالى أيضًا: **﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾**، ويقول رسول الله ﷺ -كما في صحيح الجامع الصغير-: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، ويقول أيضًا -كما في مسند الإمام أحمد-: «أفضل الشهداء الَّذِينَ إِنْ يَلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»،

ويقول أيضًا -كما في صحيح الجامع الصغير-: «الشَّهِيدُ لا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ، إلا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرْصَــةِ»، ويقول أيضًــا ﷺ -كما في مســند الإمام أحمد-: «إِنَّ لِلشَّـهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ خِصَالاً، أَنْ يُغْفَرُ لَهُ مِنْ أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَـعُ عَلَى رَأْسِـهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ».

هؤلاء الشباب يعلمون أنَّ أجرهم في قتالكم مضاعفٌ عن أجرهم في قتالِ غيركم من غير أهل الكتاب، ولا همَّ لهم إلا دخول الجنة بقتلكم، فلا يجتمع الكافرُ وقاتلُه في النار.

وهم يردِّدون ويرتِّلون قوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُـرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾، وقول رسول الله ﷺ وهو يحرِّض المسلمين في بدر: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَــابِرًا مُحْتَسِــبًا مُقْبِلا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، وقوله لهم بعد ذلك: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُـــهَا السَّـــمَاوَاتُ وَالأَرْضُ»، وهم يرتِّلون أيضًـــا قوله تعالى: ﴿**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَـرْبَ الرِّقَابِ**﴾، وهؤلاء الشـباب لا يحبُّون الكلام معكم، والعتاب لكم، لسـانُ كل واحدٍ منهم يقول لكم:

ليس بيني وبينكم من عتاب   سوى طعن الكلى وضرب الرقابِ

وهم يقولون لك ما قال جدُّهم أمير المؤمنين هارون الرشـــيد لجدِّك "نقفور" عندما تهدَّد وتوعَّد المسلمين في رسالته إلى هارون الرشيد، فردَّ عليه هارون الرشيد برسالته التي جاء فيها: من هارون الرشـــيد أمير المؤمنين إلى "نقفور" كلب الروم، الجواب ما ترى لا ما تســمع، ثم ســار بجيوش الإســلام إلى ملاقاة "نقفور" وجيشــه، فهزم الله "نقفور" هزيمة منكرة أعزَّ الله فيها أهل الإسلام وأذلَّ أهل الصليب.

فهؤلاء الشـباب الذين تقول عنهم إنَّهم جبناء، يقولون لك: "لا يُقَعْقَعُ لنا بالشِّـنان ولا يُلَوَّحُ لنا بالسِّـنان، والجواب ما ترى لا ما تســمع" فهم يتنافســون على قتلكم وقتالكم، كتنافس الأوس والخزرج رضـــي الله عنهم في قتال المشــركين، وقد قال أحدهم:

جيش الصليب غدا هباءً يوم فـجَّـرنا الخُبَر
بـشبابِ إسـلامٍ كُـمَـاةٍ لا يهـابـون الخطر
إن قِيلَ يقتـلكَ الـطُّـغـاةُ يقول في قتلي ظَفَرْ
أنا مـا غدرت بذا المليكِ إذ بـقبـلـتـنـا غَدَرْ
وأبـاحَ ذا البـلـدَ الحـرام لشـرِّ أنجـاسِ البشر
أقسـمت بالله العـظـيـم بأن أقـاتـلَ من كَفَر

وهم قد حملوا السـلاح على أكتافهم عشـر سـنوات في أفغانسـتان، وقد عاهدوا الله على أن يســتمروا في حمله ضــدَّكم حتى تخرجوا خائبين مهزومين مدحورين –بإذن الله– ما دام فيهم عِرقٌ ينبضُ أو عينٌ تطرف، ولسان حالهم يقول:

غـدًا ستـعلم يا ولـيـام أي فـتىً   يلقى أخاك الذي قد غرَّه العـصـبُ
فتىً يخوض غمـار الحرب مبتسمًا   وينـثـنـي وسنـان الــرمح مُختـضـبُ
لا أبـعـد الله عن عـيـني غطارفةً   إنــسًا إذا نـزلـوا جـنًّــا إذا ركـبـوا
ليـوثُ غـابٍ كـن لا نيوبَ لهم   إلا الأســنة والهـنـديـة القـضـبُ
والخيل تشـهد لي أني أكفكفهـا   والـطعـن مـثل شـرار النـار يلتهبُ
والنقع يوم طـراد الخيل يشهد لي   والطعن والضـرب والأقلام والكتبُ

وإنَّ شَـتْمَك أحفاد الصـحابة رضـي الله عنهم بوصـفهم بالجبن، وتحدِّيك لهم بعدم الخروج من بلاد الحرمين، فيه عدم اتزان، وتظاهر بالجنون دواؤه عند شباب الإسلام، حيث يُقال فيهم:

فدت نفسي وما ملكت يميني   فوارسَ صـدَّقوا فـيـهم ظنوني
فوارس لا يـملُّـون الـمـنـايـا   وإن دارت رحى الحرب الزَّبُونِ
وإن حـمي الوطيس فلا يبالوا   وداوَوْا بالجـنونِ مـن الجـنونِ

وإنَّ إرهابنا لكم وأنتم تحملون السـلاح على أرضـنا هو أمرٌ واجبٌ شـرعًا ومطلوبٌ عقلاً، وهو حقٌّ مشروعٌ في أعراف جميع البشر، بل والكائنات الحية، ومَثَلُكم ومَثَلُنا كمَثَل أفعى دخلت دار رجلٍ فقتلها، وإنَّ الجبان من يترككم تمشـــون على أرضــه بسلاحكم آمنين مطمئنين.

وهؤلاء الشباب يختلفون عن جنودكم، فمشكلتكم هي كيفية إقناع جنودكم بالإقدامِ إلى الحرب، أمَّا مشكلتنا فهي كيفية إقناع شبابنا بانتظار دورهم في القتال والعمليات

المهمة، فلله دَرُّ هؤلاء الشباب، فهم أهلٌ للمدح والثناء، حيث وقفوا لنصرة الدين يوم أضلَّت الدولةُ كبارَ الناس، واستنزلتهم لإصدار فتاوى ليس لها سندٌ في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ بتسليم اليهود المسجد الأقصى وإباحة بلاد الحرمين لجيوش النصارى، وإنَّ ليَّ أعناق النصوص لن يغيِّر من هذه الحقيقة شيئًا، ففي ذمِّ القاعدين وفي مدح المجاهدين يقول الشاعر:

كفرت بكل من عذلوا وعن درب الهدى عدلوا
ومن بِنَديِّهِمْ والنار تز حف يكثر الجدلُ
ومن بِالوَهم رغم التِيه ظنُّوا أنَّهم وصلوا
وأكبرتُ الذين مضوا وعمَّا شقَّ ما سألوا
وعن غاياتهم رغم اعتساف الدرب ما نكلوا
ومن دمهم أُضيئت في دياجي الحَيْرَةِ الشُّعَلُ
أيا مهرًا يجيد العدو لم يشمت به الكللُ
وزورق عزة رغم اشتداد الموج ينتقلُ
وسيفًا مثل ضوء البرق يَسْطع حين يُنتضَلُ
رأيتك صافيًا والناس مغشوشٌ ومنتحِلُ
أنا ما زال جرح القدس في جَنْبَيَّ يعتملُ
وَوَقْدَ مُصَابِها كالنار في الأحشاء يشتعلُ
أنا ما خنتُ عهد اللهِ لما خانت الدولُ
وفي ساحاتها جاهدت إذ جُلُّ الورى خذلوا

وقد قال جدُّهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه عندما طلب منه الكفار المفاوضة وعدم القتال؛ أبى إلاَّ قتالهم فقال:

ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نابلُ والقوس فيها وَتَرٌ عُنابلُ

الموت حقٌّ والحياةُ باطل إن لم أقاتلكم فأمي هابلُ

وإنَّ الشباب يعتبرونكم مسؤولين عن كل ما يقوم به إخوانكم اليهود في فلسطين ولبنان من قتلٍ وتشريدٍ وانتهاكٍ لحرمات المسلمين، حيث إنَّكم تمدُّونهم بالمال والسلاح جهارًا نهارًا، وإنَّ أطفال العراق والذين قد مات منهم أكثر من ستمائة ألف بسبب نقص الغذاء والدواء نتيجة حصاركم الظالم على العراق وشعبه هم أطفالنا، فأنتم تتحمَّلون بذلك مع النظام السعودي دماء هؤلاء الأبرياء، كل ذلك يجعل كل عهد لكم معنا منقوضًا، فإنَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام اعتبر صلح الحديبية لاغيًا بعد أن ساعدت قريشٌ بني بكرٍ على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، فقاتل قريشًا وفتح مكة، وقد اعتُبِرَ العهدُ مع بني قينقاع منقوضًا لأسباب منها أنَّ يهوديًّا منهم آذى امرأة في السوق، فكيف بقتلكم مئات الألوف من المسلمين واستباحتكم لمقدساتهم، وبذلك يظهر أنَّ الذين يزعمون أنَّ دماء جنود هذا العدو الأمريكي المحتل لبلاد المسلمين معصومة، إنَّما يردِّدون مُكرَهين ما يمليه النظام عليهم خوفًا من بطشه وطمعًا في السلامة، والواجب على كل قبيلة في جزيرة العرب أن تجاهد في سبيل الله وتطهِّر أرضها من هؤلاء المحتلين، وعَلِمَ الله أنَّ دماءهم مهدورة وأموالهم غنيمة، ومن قتل قتيلاً فله سَلَبُه، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ**

مَرْصَدٍ﴾، والشباب يعلمون أنَّ هذه المهانة التي لحقت بالمسلمين باحتلال مقدَّساتهم لا تزول ولا تُدكُّ بغير الجهاد والمتفجرات، وهم يردِّدون قول الشاعر:

جُدُرُ المذلة لا تُدَكُّ بغير زخَّات الرصاصِ
والحرُّ لا يُلْقِي القِيادَ لكل كَفَّارٍ وعاصي
وبغير نَضْحِ الدم لا يُمْحَى الهوانُ من النواصي

وأقول لشباب العالم الإسلامي الذين جاهدوا في أفغانستان والبوسنة والهرسك بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم وأقلامهم بأنَّ المعركة لم تنتهِ بعد، وأذكِّرهم بحديث جبريل مع رسولنا ﷺ بعد غزوة الأحزاب -كما رواه البخاري-: فلمَّا انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة لم يكن إلا أن وضع سلاحه، فجاءه جبريل، فقال: أوضعت السلاح؟ والله إنَّ الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإنِّي سائرٌ أمامك أُزلزلُ بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكبه من الملائكة ورسول الله ﷺ على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار...

كما أنَّ هؤلاء الشباب يعلمون أنَّ من لم يُقتل يمت، وأنَّ أشرف مِيتَة عندنا هي القتل في سبيل الله، ويردِّدون قول جدِّهم الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وخاصة بعد قتْلِ الأبطال الأربعة الذين فجَّروا مركز الأمريكيين في الرياض، أولئك الشباب الذين رفعوا رأس الأمَّة شامخًا، وأذلُّوا أعداءها من الأمريكيين المحتلين بعمليتهم الشجاعة تلك ولسان حالهم يردِّد:

يا نفسُ إلا تُقْتَلي تموتي هَذي حِيَاضُ الموتِ قد صُلِيْتِ

وما تمنيتِ فقد أُعطِيتِ   إن تـفـعـلـي فعلَـهما هُديتِ

وقول جعفر رضي الله عنه حيث يقول في مؤتة:

يا حبذا الجنـة واقترابـها   طيِّبـةٌ وبـاردٌ شـرابـهـا

والرومُ رومٌ قد دنا عذابها   عليَّ إن لاقَيتها ضِرَابُهَا

وأمَّا عن أمهاتنا وأخواتنا ونســـائنا وبناتنا فهنَّ يتخذن من الصـــحابيات الجليلات رضي الله عنهنَّ قدوة لهنَّ بعد رسول الله ﷺ، ويقتبسن من سيرتهنَّ الجرأة والتضحية والإنفاق لنصرة دين الله عزَّ وجلَّ، ويتذكَّرن جرأة وصلابة فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها في الحقِّ أمام أخيها عمر بن الخطاب قبل أن يسـلم، وتحدِّيها له بعدما علم بإســـلامها بقولها له: أرأيت إن كان الحقُّ في غير دينك يا عمر، ويتذكَّرن موقف أسماء بنت أبي بكر يوم الهجرة، حيث شـــقَّت نطاقها نصـــفين وعلَّقت بأحدهما السُّـفرة التي أخذها رسـول الله ﷺ وأبو بكر معهما في رحلتهما إلى المدينة، وسُمِّيت بذلك ذات النطاقين، ويتذكَّرن موقف نُسـيبة بنت كعب وهي تدافع عن رسـول الله ﷺ يوم أُحد حتى أصـابها اثنا عشـر جرحًا بينها جرحٌ أجوفٌ في عاتقها، ويتذكَّرن بذل الصـحابيات وإنفاقهنَّ لحليِّهنَّ لتجهيز جيوش المسـلمين الغازية في سـبيل الله، وقد ضـربت نسـاؤنا في هذا العصـر مثلاً رائعًا في الإنفاق في سبيل الله، وفي تحريض أبنائهنَّ وإخوانهنَّ وأزواجهنَّ على الجهاد في ســبيل الله، وذلك في أفغانســـتان، وفي البوسنة والهرسك، والشيشان وغيرها.

فنســـأل الله أن يتقبَّـل منهنَّ ويفرِّج عن أبنـائهنَّ وآبائهنَّ وأزواجهنَّ وإخوانهنَّ، وأن يزيدهنَّ إيمانًا ويثبِّتهنَّ على هذا الطريق –طريق التضـحية والفداء– لتكون كلمة

الله هي العليا، وإنَّ نســـاءنا لا يرثين إلا الرجال المقاتلين في ســـبيل الله، كما قال الشاعر:

ولا تَـرْثِـيْـنَ إلا لَـيــثَ غَــاب   شجــاعًا في الحروب الثائراتِ
دعوني في الحروبِ أمت عزيزًا   فموت العـزِّ خـيرٌ من حياتي

وهنَّ يحرِّضن إخوانهنَّ على الجهاد في سبيل الله متمثِّلاتٍ قول الشاعر:

تَأَهَّبْ مثل أُهْبـةَ ذي كفـاح   فإنَّ الأمر جَلَّ عن التَلاحـــي
أتتركنـا وقـد كَثــُرت علـينـا   ذئاب الكفر تأكل من جناحي
ذئاب الكفر ما فتئَت تُؤَلِّبْ   بني الأشرار من شتَّى البِـطاح
فأيـن الحـرُّ مــن أبنــاء ديني   يذود عن الحَــرائر بالسـلاح
وخيرٌ من حياة الذلِّ مــوتٌ   وبعـض العـار لا يمحوه ماحِ

إخواننا المسلمين في العالم أجمع؛

إنَّ إخوانكم في بلاد الحرمين وفلسطين يستنصرونكم، ويطلبون منكم مشـاركتهم في جهادهم ضد أعدائهم وأعدائكم من الإسرائيليين والأمريكيين بالنكاية فيهم بكلِّ ما من شـأنه أن يخرجهم مهزومين مدحورين من المقدســات الإســلامية، كلٌّ بحســب طاقته، قال تعالى: ﴿**وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾.

فيا خيل الله اركبي، وهذا أوان الشَّـدِّ فاشـتدُّوا، واعلموا أنَّ اجتماعكم وتعاونكم من أجل تحرير مقدسات الإسلام هو خطوة صحيحة نحو توحيد كلمة الأمَّة تحت كلمة التوحيد.

ولا يسعنا ونحن في هذا المقام إلا أن نرفع أكفَّ الضراعة، سائلين المولى عزَّ وجلَّ أن يرزقنا السداد والتوفيق في الأمر كله.

اللهم إنَّ علماء الإسـلام الصـادقين، وشـباب الأمَّة الصـالحين قد غُيِّبوا في غياهب السجون، اللهم فرِّج عنهم، اللهم ثبِّتهم، اللهم اخلفهم في أهلهم بخير.

اللهم إنَّ أهل الصـليب تتقدَّمهم أمريكا قد جاءوا بخيلهم ورجلهم، واسـتباحوا بلاد الحرمين، وإنَّ اليهود يعيثون فسادًا في المسجد الأقصى مسرى رسولنا عليه الصلاة والسـلام، اللهم شـتِّت شملهم، وفرِّق جمعهم، وامنحنا اللهم أكتافهم، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم، اللهم اقذف الرعب في قلوبهم، اللهم إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم أرنا فيهم يومًا أسودًا، اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك، اللهم لا حول ولا قوة لنا إلا بك، اللهم منزل الكتاب ومجري السـحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصـرنا عليهم، اللهم أنت عضـدنا، وأنت نصـيرنا، بك نصول، وبك نجول، وبك نقاتل، حسبنا الله ونعم الوكيل.

اللهم هؤلاء الشـباب قد اجتمعوا لنصـرة دينك ورفع رايتك وإعزاز كلمتك، اللهم أمدَّهم بمددٍ من عندك، واربط على قلوبهم، اللهم ثبِّت شـباب الإسـلام، وسـدِّد رميهم، اللهم ألِّف بين قلوبهم، ووحِّد بين صـفوفهم، اللهم تقبَّل شـهداءهم، اللهم

اشف جرحاهم وفكَّ أسراهم، ربَّنا أفرِغ علينا صبرًا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربَّنا ولا تحمل علينا إصـــرًا كما حملته على الذين من قبلنا، ربَّنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنَّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصـــرنا على القوم الكافرين.

اللهم أبرم لهذه الأمَّة أمر رشـــد يُعَزُّ فيه أهل طاعتك، ويُذَلُّ فيه أهل معصـــيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.

وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.)

التركيز على الجانب الإيماني
وحسن العبودية ومكارم الأخلاق في الصراع

إن بناء الشخصية المسلمة وبناء الأمة المسلمة يتطلب من الدعاة والمربين الاهتمام أولاً بالجانب الإيماني والإصـــلاحي والخُلقي فهذا هو الهدي النبوي في بناء الفرد والأمة.. فالفرد والمجتمع الذي يفقد هذا الأســاس لا يدوم له البقاء ويسـهل على شـياطين الإنس والجان من السـيطرة عليه وتسـخيره لتنفيذ مخططاتهم قال الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله– في "التربية الجهادية والبناء": (فكثير من القادة قتلوا بهذه الطريقة على يد أناس اسمهم مجاهدون، لكنهم عملاء للدولة، عملاء، فالآن المليشيا الذين يقاتلون مع روسيا أليسوا من أفغانستان، أليس اسمه محمد وأحمد وعلي هكذا، لكن من أجل دراهم معدودة، بدون تقوى وجود سلاح يخرب في البلد ويفسد، فلا نريد ســلاحاً بدون تقوى، ومن هنا لا بد من التربية للمجاهد لأن المجاهد إذا حمل السلاح بدون تربية يصبح قاطع طريق.)

وقال الشيخ أبو مصعب السوري –رحمه الله– في "سرايا المقاومة الإسلامية العالمية": (فهناك فرق بين المقاتل العقائدي وبين المحارب أو المقاتل أو قاطع الطريق، كلاهما يحمل سلاح، فمن الناحية العسكريّة قد يكونون بنفس المستوى، وقد يكون قاطع الطريق عنده معلومات عســكرية أكثر من المجاهد؛ فالفرق بين المجاهد والجندي العقائدي وقاطع الطريق أو أي نوع من المرتزقة هو في العقيدة القتالية.)

وهذا الأمر أولاه إمامنا المجدد أســـامة بن لادن اهتماماً وتركيزاً كبيراً في كلماته وتوجيهاته لما يعلم من أثره العظيم في تحقيق النصـــر والتمكين فقال -رحمه الله- في "رســالة إلى إخواننا المســلمين في العراق": (ونرغب أن نؤكد بين يدي هذه الحرب الظالمة، حرب الفجار الكفار التي تخوضـها أمريكا بحلفائها وعملائها على عدد من المعاني المهمة:

أولًا: إخلاص النية بأن يكون القتال في ســبيل الله وحده لا شــريك له، لا لنصــر القوميات ولا لنصـــر أنظمة الحكم الجاهلية التي تعم جميع الدول العربية بما فيها العراق، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾.

ثانيًا: نذكر بأن النصـــر من عند الله وحده تعالى، وما علينا إلا بذل الأســـباب بالإعداد والتحريض والجهاد، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُـرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾.

وينبغي المسارعة والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب، ولا سيما الكبائر كما قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرَّم اللهُ إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات» متفق عليه، وكذا سائر الكبائر، كالخمر والزنا وعقوق الوالدين وشهادة الزور.

وينبغي المسارعة في الطاعات عموما، وخاصةً كثرة الذكر عند التقاء الزحوف، قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: (عمل صالح قبل الغزو، فإنكم إنما تقاتلون بأعمالكم.....))

وقال أيضا -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية - بعد عام؛ الفشل الأمريكي في أفغانستان": (نداء إلى الأمة..

إننا في هذه الأوضاع الخطيرة التي تمر بها أمتنا اليوم، بل ويمر بها العالم أجمع، نوجه نداء إلى هذه الأمة العظيمة التي هي أعظم الأمم.. إلى هذه الأمة المنصورة المرحومة التي لا يزال فيها الخير والخيرون إلى قيام الساعة.. إلى هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.. إلى هذه الأمة التي لا تزال فيها طائفة منصورة تقاتل على الحق لا يضرها من خذلها ولا من خالفها إلى قيام الساعة.

فيا أمة الإسلام، يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً:

إن القضية الآن لم تعد قضية هل الأمة مستهدفة بشكل كامل وشامل، ودون تفريق بين من يسمون بالمعتدلين والمتطرفين، أو بين الحلفاء والأعداء، فقد كفانا العدو مؤونة كشف هذه الحقيقة بتصريحاته السرية والعلنية التي كشف فيها عن بعض نواياه العدوانية ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾.

إن القضية الآن هي كيف نواجه هذا العدوان الصارخ وندافع عن عقيدتنا وشرفنا وكرامتنا فننال شرف الدنيا وفوز الآخرة؟

إذا أردنا أن يكتب الله لنا النصر ويحقق لنا الظفر في هذه المواجهة فيجب أن نتسلح بعدة أمور في مقدمتها:

أولاً: الرجوع إلى الله ...

إن أول ما يجب علينا هو أوبة صادقة إلى الله، وتوبة نصوح إليه، بالإخلاص في العمل، والصدق في النية، والتجرد للحق، وتحكيم الشرع في كل مجالات أعمالنا ومعاملاتنا، وكل صغير وكبيرة من حياتنا.

إنه يجب علينا ان نعترف بأن ما أصابنا من تسليط العدو كان ببعض ما كسبت أيدينا، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾.

ثانياً: الاعتصام بحبل الله جميعا ...

إذا كان من المسَّلم به أن النزاع والاختلاف من أهم دواعي الفشل وذهاب الريح الذي تعاني منه أمتنا اليوم، فإن من المسَّلم به كذلك أن الوحدة والاجتماع والاعتصام بحبل الله هي مفتاح النصر والظفر، وباب السيادة والقيادة.

قال تعالى آمراً بالوحدة والاجتماع: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾، وقال محذراً من الفرقة والنزاع: ﴿**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

والوحدة التي ندعو لها المسلمين اليوم لا تستلزم بالضرورة رفع الخلاف في كل المسائل الجزئية والقضايا الفرعية، فالخلاف في مثل هذه المسائل لا يمكن رفعه، ولا يضر وجوده، فالوحدة التي نطالب بها هي الوحدة في ثوابت العقيدة، وقطعيات الدين وكليات الشرع.

ثالثاً: استنفار وتفجير طاقات الأمة ...

إن أمتنا تزخر بكثير من الطاقات والقدرات، وأهم هذه الطاقات على الإطلاق هو الإنسان المسلم الذي هو وقود المعركة ومحرك الصراع، ولا نقصد بالإنسان هنا فئة الملتزمين والعاملين للإسلام من العلماء والدعاة وأبناء الصحوة والحركات الإسلامية فقط، بل نقصد الشعوب الإسلامية بكل فئاتها الخاصة والعامة، فإذا كان للخواص دورهم الذي لا يقوم به غيرهم، فإن العوام هم وقود المعركة الحقيقي، ومادتها المتفجرة، ودور الخواص هو دور الصاعق والمحرك الذي يفجر هذه المادة.

وهنالك طاقات الأمة المادية والاقتصادية، فأمتنا تعتبر من أثرى الأمم على وجه الأرض، وأكثرها إمكانات، وأزخرها بالموارد التي ظلت مسخرة عقوداً من الزمن لخدمة الأعداء، والتآمر على الأشقاء.

وهنالك الإمكانات العسكرية الضخمة التي تزخر بها البلاد الإسلامية، والتي صدئت في المخازن والمستودعات، ومرت عليها سنوات وسنوات، دون أن تثأر لعرض، أو تذود عن أرض، بل ظلت كابوساً جاثماً على صدور الشعوب، وخنجراً مغموساً في خاصرة الأشقاء.

وهنالك الكثير الكثير من طاقات الأمة ومقدراتها التي آن لها أن تتحرر وتتفجر وتثأر، وتأخذ طريقها في الذود عن العقيدة المستهدفة، والحمى المستباح، والعرض المنتهك، والأرض المغتصبة، والخيرات المستلبة.....)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (وفي الختام؛ أوصي نفسي وإخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن، وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يقبل توبتنا ويفرج كربتنا، **﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**.

ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يفك أسرانا من يد الأمريكيين وعملائهم وعلى رأسهم الشيخان عمر عبد الرحمن وسعيد بن زعير، وإخواننا في "جوانتانامو"، وأن يثبت المجاهدين في فلسطين وينصرهم وباقي بلاد الإسلام، وأن ينصرنا على عدونا.

كما أوصي نفسي وإياكم؛ بكثرة الذكر وقراءة القرآن وتدبره ففيه الموعظة والشفاء والهدى والرحمة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾**.)

الدعاء والتضرع إلى الله

إن الدعاء من سـلاح المؤمنين الذي لا غنى لهم عنه في حال من الأحوال فبه يستنزلون به النصر وينجون من الكروب والهموم.. وهو سنة الأنبياء والرسل أجمعين كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وهو دأب الصـالحين كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

وذكر الإمام الذهبي في "تاريخ الإسلام عن الأَصْمَعِي": (لَمَّا صَافَّ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ التُّرْكَ وَهَالَهُ أَمْرَهُمْ سَأَلَ عن محمد بن واسع فقيل: هو ذاك فِي الْمَيْمَنَةِ يُبَصْبِصُ بِإِصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ قَالَ:

تِلْكَ الإِصْبَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَشَابٍّ طَرِيرٍ.)

وقد وجدنا الدعاء من أبرز المعالم والأمور التي كان يركز عليها إمامنا المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في دعوته وجهاده وكان يحث عليه ويحرض عليه المسلمين لما يعلم من أثره العظيم عند الله فقال -رحمه الله- في "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى":

(أمتنا المسلمة:

إن الذي يبيع شبرًا يبيع دولة، والذي يرخص قطرة دم لا يبالي بأنهارٍ منها، ومن يَئِدُ شعبًا يئدُ أمة، والذي يَصُمُّ أُذنيه اليوم يُغمض عينيه غدًا. فيا أمة الإسلام ثوري على الظلم والطغيان، على الجور والعدوان، على الذُلِ والامتهان، فليس الخبز بأعزّ عندنا من ديننا، ولا الأموال بأغلى علينا من أعراضنا، ولا الموت بأصعب في حِسِّنا من حياة الذل والهوان، فالوسيلة ممكنةٌ ومتاحةٌ لكل فردٍ من أفرادِ أمتنا، وهي كالتالي:

- رفض المبادرة الاستسلامية، والسعي لحشد الأمة للخروج بمظاهرات شعبيةٍ وعصيانٍ مدني حتى سقوط الحكومات الخائنة.
- السعي للخروج على أئمة الكفر والنفاق الذين ارتدوا عن دينهم وخانوا أمتهم وقتلهم.
- ضرب المصالح الأمريكية المنتشرة في العالم بشكل عام، وعلى أرضِ أمتنا العربية والإسلامية بشكلٍ خاص.
- مقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية.
- قتل الأمريكان واليهود بطلقةٍ من رصاص، أو طعنةٍ بسكين، أو رميةٍ بحجر ... إلخ.
- دعم المجاهدين والوقوف وراءهم والشد من أزرهم والدعاءِ لهم.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (فينبغي على دعاة الإصلاح أن يعلموا أنَّ الطريق لإصلاح الأمَّة وتوحيدها تحت كلمة التوحيد؛ ليس بالمحاضرات

النظرية وتأليف الكتب فقط، ولكن لا بدَّ أيضًا من مشروع عملي تنخرط فيه الأمَّة كلها كلٌّ بحسبه، ابتداءً بالدعاء والابتهال إلى الله، وانتهاءً بالقتال في سبيل الله.

فالقتال في سبيل الله؛ جزءٌ لا يتجزَّأ من ديننا، بل هو ذروة سنام الدين، فكيف يبقى الدين بغير ذروته؟! فهو ضرورةٌ مُلِحَّةٌ لحياة أمَّتنا وعزِّها وبقائها، وقد صدق عدوُّنا وهو كذوب، إذ قال معلِّمًا لأبنائه: "أنت تقاتل؛ إذن فأنت موجود"، هذه هي الحقيقة التي يعلِّمونها أبناءهم ويرسلون إلينا بعكسها، كما أنَّ القتال مطلقًا ضرورةٌ لبقاء الدول الكبرى، وانظروا التاريخ إن شئتم -بما في ذلك تاريخ أمريكا- فقد أشعَلَتْ عشراتِ الحروب خلال ستة عقود فقط، لأنَّ ذلك من أعظم ضروراتها الملحَّة، فيومَ أن تتَّخذ الولايات المتحدة الأمريكية قرارًا صادقًا بإيقاف الحروب في العالم؛ فهي تعلم قبل غيرها أنَّ ذلك اليوم هو يوم بداية تفكُّك ولاياتها وانهيارها -وذلك قادمٌ بإذن الله- فاحذروا كلَّ دعوةٍ لإلقاء السلاح تحت اسم الدعوة للسلام، لأنَّها في الحقيقة دعوةٌ لتخذيلنا واستسلامنا، ولا يُرَوِّجُ لمثلِ هذه الدعوات إلا جاهلٌ أو منافق.

وقبل الختام:

أُحَرِّضُ شباب الإسلام على الجهاد ولا سيَّما في فلسطينَ والعراق وأُوصي نفسي وإياهم؛ بالصبر والتقوى، وأن يُثخنوا في العدو بقوة، مع الحرصِ على دماء المسلمين أثناء ذلك، وأن يحذروا ولا يتوسَّعوا في مسألة التترس، بل يُقَدِّرُهَا بقَدرِها علماؤهم الصادقون -في كلِّ عمليةٍ على حدة- فإنَّنا إنَّما نرجو نصر الله بالصبر والتقوى، اللهم اجعلنا من الصابرين المتقين.

وفي الختام:

أنقل إلى شباب الإسلام في كلِّ مكان كلماتٍ قصيرةً سمعناها ممن قبلنا من أجدادكم الذين عَرَكَتْهم أحداث السنين في أرض فلسطين، ومَرَّت على رؤوسهم عشرات المبادرات والمؤامرات والمصائب التي تدعو للسلام فأذكِّركم بها، تلك هي:

سيحدِّثونك يا بنيَّ عن السلام

إيَّاك أن تصغي إلى هذا الكلام

صدَّقتُهم يومًا فآوتني الخيام

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

اللهم إنِّي أسألك أن تثبِّت أقدام المجاهدين في كلِّ مكان، ولا سيَّما في فلسطين والعراق وكشمير والشيشان وأفغانستان، اللهم سدِّد رميهم، واربط على قلوبهم، وألِّف بينهم، ومدَّهم بمدد من عندك، وانصرهم على عدوِّك وعدوِّهم، فإنَّه لا ناصر لهم إلا أنت يا قوي يا عزيز، اللهم أبرم لهذه الأمَّة أمر رشد؛ يعزُّ فيه أهل طاعتك، ويذلُّ فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.)

وقال -رحمه الله- في "بشــــريات": (أنا ما أريد أن أطيل عليكم، أطلت عليكم، ولكن إن شــاء الله يكون لنا لقاء لعله في ســاحات أخرى. وأوصــي نفســي وإياكم بكثرة الذكر كما في حديث عبد الله بن بسـر -رضـي الله عنه- قال: جاء رجلٌ إلى رســول الله ﷺ فقال: يا رســول الله إن شــرائع الإســلام قد كثرت علي فهلا بابٌ جامع نتمســك به؟ فقال عليه الصــلاة والســلام: «لا يزال لســانك رطبًا بذكر الله سبحانه وتعالى» أو «من ذكر الله»، فحال المجاهد مع كثرة الاستنفار في هذه الأيام والتدريب وكذا قد لا يتيســـر له أن يأتي بكثير من النوافل، ولكن هذا الذكر أمر ســهل ويســد مســد تلك النوافل الأخرى كما هو بين في حديث عبد الله بن بســر -رضي الله عنه-.

وأوصــي نفســي وإياكم بكثرة الدعاء والتضـرع إلى الله ســبحانه وتعالى، أن نشــكره على أن وفقنا واصـــطفانا من بين ألف ومائتي مليون مســـلم بأن نقف موقفًا وقفه محمدٌ ﷺ بجوار راية التوحيد، فهذه منةٌ عظيمة إذا لم تحمدوا الله عليها تذهب منكم ولا يبالي سبحانه وتعالى بنا.

وأوصـــي نفســـي وإياكم بكثرة الدعاء لإخواننا الذين خرجوا، نســـأل الله ســـبحانه وتعالى أن يفتح عليهم فتحًا مبينًا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصــــل اللهم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.)

الصبر والتقوى

إن مما هو معلوم أن الصبر والتقوى من أسس النصر والتمكين في الأرض قال الله تعالى: ﴿**إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله– في التفسير: (قال الله تعالى مخاطبا للمؤمنين وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا الآية، يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به. وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه.)

وقال شيخ الإسلام اين تيمية –رحمه الله– في "مجموع الفتاوى": (وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ فَذَكَرَ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى فِي هَذِهِ

الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ فَالصَّبْرُ يَدْخُلُ فِيهِ الصَّبْرُ عَلَى الْمَقْدُورِ وَالتَّقْوَى يَدْخُلُ فِيهَا فِعْلُ الْمَأْمُورِ وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ. فَمَنْ رُزِقَ هَذَا وَهَذَا فَقَدْ جُمِعَ لَهُ الْخَيْرُ بِخِلَافِ مَنْ عَكَسَ فَلَا يَتَّقِي اللَّهَ بَلْ يَتْرُكُ طَاعَتَهُ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ وَلَا يَصْبِرُ إذَا اُبْتُلِيَ وَلَا يَنْظُرُ حِينَئِذٍ إلَى الْقَدَرِ فَإِنَّ هَذَا حَالُ الْأَشْقِيَاءِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَنْتَ عِنْدَ الطَّاعَةِ قَدَرِيٌّ وَعِنْدَ الْمَعْصِيَةِ جَبْرِيٌّ أَيُّ مَذْهَبٍ وَافَقَ هَوَاك تَمَذْهَبْت بِهِ.)

ورأينا الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- يبني دعوته وجهاده على الصبر والتقوى ويوجه المسلمين إلى التمسك بالصبر والتقوى فهما من أعظم ركائز الفتح والنصر كما سبق بيانه..

قال الإمام المجدد -رحمه الله- "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (أُحَرِّضُ شباب الإسلام على الجهاد ولا سيَّما في فلسطينَ والعراق وأُوصي نفسي وإياهم؛ بالصبر والتقوى، وأن يُثخنوا في العدو بقوة، مع الحرصِ على دماء المسلمين أثناء ذلك، وأن يحذروا ولا يتوسَّعوا في مسألة التترس، بل يُقَدِّرُهَا بقدرِها علماؤهم الصادقون -في كلِّ عمليةٍ على حدة- فإنَّنا إنَّما نرجو نصر الله بالصبر والتقوى، اللهم اجعلنا من الصابرين المتقين.

وفي الختام:

أنقل إلى شباب الإسلام في كلِّ مكان كلماتٍ قصيرةً سمعناها ممن قبلنا من أجدادكم الذين عَرَكَتْهم أحداث السنين في أرض فلسطين، ومَرَّت على رؤوسهم عشرات المبادرات والمؤامرات والمصائب التي تدعو للسلام فأذكِّركم بها، تلك هي:

سيحدِّثونك يا بنيَّ عن السـلام

إيَّاك أن تصغي إلى هذا الكلام

صدَّقتُهم يومًـا فـآوتني الخيام)

وقال -رحمه الله- في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة": (أمتي المســلمة، إن جهاد أبنائك ضـد التحالف الصـليبي الصـهيوني هو أحد الأسـباب الرئيسـة -بعد فضــل الله- في كل هذه النتائج المدمرة لأعدائنا والتي ظهرت وتبدت بعد حرب السنوات السبع، وإني أطمئنك أمتي -ومن باب التحديث بنعمة الله عز وجل علينا- فإننا نشـعر بأن الله قد منّ علينا بصـبر يكفينا لمواصـلة طريق الجهاد لسـبع سـنوات أخرى، وسـبع، وسـبع، بإذن الله، فالصـبر خير سـلاح، والتقوى خير زاد، فإن أدركتنا الشـــهادة فذلك ما كنا نبغي، ولكن راية الجهاد لن تقع إلى أن تقوم الساعة كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصـة والمسـلمين عامة": (واعلموا أنَّ الدائرة لمن اتقى وصبر، وساعة صبرٍ يعقبها بإذن الله سرور دهر، وما لا يُحصى من الأجر.

وهذه الحرب الزبون الدائرة في العراق وفلســطين، قلَّما يُرى مثلها في شـــراســتها واسـتعارها، فقد تمعمعت كمعمعة الإباء المحرق، ولا يثبت فيها إلا سـيف صـارم، أو ليث ضارم، فهنيئًا لكم الصبر والثبات، في الدفاع عن الدين والحرمات، واجتهدوا لموعود الله، إمَّا النصر أو الشهادة.

قال الله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾.

فالسعيد من شارك بنفسه وماله في هذه الحرب لنصرة الدين، والسعيدة من شاركت بأولادها وساهمت بأموالها، علمًا بأنَّ مصاريف تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين تبلغ مائتي ألف يورو أسبوعيًّا، ناهيك عن مصاريف الجماعات الأخرى فصِلوا الجميع ولا يؤتى المجاهدون من قبلكم، واعلموا أنَّ هذه حرب عظيمة لها ما بعدها، أشبه ما تكون بغزوة بدر الكبرى، في نتائجها العظيمة، وآثارها العميمة، فما زالت أصداء تكبيرات الصحابة رضي الله عنهم، وقعقعة سيوفهم وصهيل خيولهم يوم بدر، تبثُّ في الأمَّة روح العزة والجهاد. وفي الحديث: سأل جبريل رسولنا عليهما الصلاة والسلام؛ من حضر بدرًا من الصحابة؟ فقال: «خيارنا»، فقال جبريل: وكذلك من حضرها من الملائكة.)

وقال في "بشريات": (في الحديث الصحيح حديث الوصية الذي يتحدث فيه سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– عندما جاءه المرض وهو في مكة وخشي أن يموت في مكة لأن المهاجرين كان ينبغي عليهم أن يبقوا في دار الهجرة –رضي الله عنهم– فخشي أن يموت في مكة فطمأنه الرسول –عليه الصلاة والسلام– ثم قال في آخر حديثه: «لكن البائس سعد بن خولة»، سعد بن خولة هذا رجلٌ وُفّق إلى الهجرة ووُفّق إلى الإسلام وصافح خير الأنام –عليه الصلاة والسلام– ثم شده الشوق والحنين إلى الأهل وإلى الأرض وإلى العشيرة وإلى مراتع الصبا فترك ذلك الخير العظيم ورجع إلى مكة تحت ظل الكافرين، فقال عليه الصلاة والسلام عنه: «لكن البائس

سـعد بن خولة»، فإياكم ثم إياكم أن يكن منكم مثل سـعد بن خولة، فنحن على أبواب مقارعة عظيمة جدًّا، نتهيأ في هذه الأيام لمقارعة الكفار، إخوانكم خرجوا ليضـربوا وهم خرجوا ليضـربوا، أمريكا خرجت وروسـيا يريدون أن يضـربوا الإمارة الإسـلامية في أفغانسـتان ويضـربوا المجاهدين في أفغانسـتان، فأوصـي نفسـي وإياكم بالصبر والتقوى.

أقسم بالله هذا العدد الذي أراه أرجو الله أن يجعل فيه البركة، إن تصـبروا وتتقوا والله الذي لا إله إلا هو لنأكلن بكم الأخضر واليابس والعرب والعجم، فقليلٌ من الصبر تجدون خيرًا عظيمًا بإذن الله سبحانه وتعالى.)

وقال في "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى" (أمتنا المسلمة:

إن الذي ينظر بعين البصـيرة، ويعي لغة العقل، ويسـبر غوائر الأحداث ليعلم علم اليقين أن الأمة قد أفاقت من غفوتها، وعرفت طريقها بعد أن اتضـحت لها ملامحه، وبرزت لها علاماتُه، وعلمت أنه إذا كان الحِلم مَفسدة كان العفو مَعْجَزة، وأن الصبر حسَنٌ إلا على ما أضر بالدين، والأناةُ محمودةٌ إلا عند إمكان الفرصة. فانتفضت انتفاضة الأقصى ونطق الحجر في أكف المجاهدين الأبرار الرجال والنساء، الصغار والكبار، فحاول اليهود الفرار عبثًا فلم يجدوا لهم ملجأً فأصبحوا مكشوفين من وراء

الجذُر، يواجهون أجسادًا تتفجّر تُذيقهم الموت، وتُطاردهم بالرعب، وتصيبهم بالزلزلة فصاروا كالحمر المستنفرة فرت من قسورة.)[١٤]

١٤ . ومما يستأنس به في هذا الموضوع ما جاء في وثائق أبوت أباد في الرسالة للشيخ عطية الله الليبي -رحمه الله-: (انطلاقًا من سنة الصبر وقيامًا بالواجبات مهما كان المصاب، أشرع في حديثي معكم عن العمل الجهادي بشكل عام.

وابتداءً أحيطكم علمًا بأنه قد تم تعيينك خلفًا للشيخ سعيد -رحمه الله- لمدة عامين من تاريخ وصول رسالتي هذه إليكم، الله أرجو -سبحانه وتعالى- أن يعينكم على القيام بهذه المسؤولية خير قيام، وأن يزيدكم توفيقًا وتمسكًا بالصبر والتقوى، وبمحاسن الأخلاق التي إن تمسك بها أمير صلح حال رعيته.

وإن مما لا يخفى عليكم أن من خير الناس أجمعهم للناس، ومن أهم ما يجمع الناس ويحافظ على بقائهم مع أميرهم حلمه وعفوه وعدله وصبره وحسن تعامله معهم ومداراته لهم وعدم تحميلهم من الأمر ما لا يستطيعون.

ومما ينبغي أن نأخذه بعين الاعتبار ونتذكره دائمًا: أن إدارة الناس في مثل هذه الظروف أمر يستدعي زيادة في الحكمة والحلم والعفو والصبر والأناة، فهو ظرف معقد بمعظم المقاييس.)

وجوب المسارعة في الخيرات واغتنام العمر الفرص

إن من سمات ومعالم دعوات ومناهج المصلحين والدعاة الربانيين المسارعة في الخيرات واغتنام الفرص وعدم التسويف وإضاعة العمر فقد قال الله تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤].

وقال تعالى: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد: ٢١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا».

وفي سنن أبي دواد عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ» صححه الألباني.

وقد رأينا هذا المعلم والسمة في تراث وسيرة الإمام المجدد أسامة بن لادن -تقبل الله منه- بصورة واضحة وجلية فكان مسارعاً في الدعوة الجهاد والتضحية ومحرضاً

وداعياً لذلك -تقبل الله منه- فقال رحمه الله في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة": (أمتي المسلمة، إن هذه الحروب والأزمات والمحن تحوي في طياتها منحاً، والعقلاء لا يتركونها تمر هكذا، وإنما يستفيدون منها، فأمامك فرصة عظيمة لدفع الظلم والاستبداد الذي يمارس عليك من الداخل والخارج منذ بضعة عقود لتنتزعي حقك بالقوة، وإن الذين يقولون لك إن الطريق لأخذ الحقوق يكون عبر صناديق الاقتراع ويضربون لك مثلاً بالشعوب الغربية، هؤلاء يخادعونك ويكذبون عليك، يفعلون ذلك إما خوفاً من الحكام أو طمعاً فيما عندهم، فالشعوب الغربية التي يشيرون إليها إنما أخذت حقها بالثورات وقوة السلاح، فبعد حرب السنوات السبع بين بريطانيا وفرنسا للاستحواذ على أمريكا وقع الطرفان في أزمة اقتصادية كبيرة، مما دفع القادة لفرض الضرائب على الشعوب، فكان ذلك هو الحافز الذي أشعل فتيل الثورة الفرنسية مع ما سبقه من ظلم واستبداد الملوك على الناس، فقد كان الملك لويس الرابع عشر يقول أنا الدولة والدولة أنا، وهذا هو حال ملوكنا ورؤسائنا، فاغتنم الفرنسيون تلك المنح من وسط تلك المحن وثاروا على الملوك الظلمة المتصين لدمائهم وخيراتهم وخلعوا لويس الرابع عشر وقدموه إلى المقصلة وانتزعوا حقوقهم بقوة السلاح. فلا مكان لصناديق الاقتراع في بلادنا تحت ظل الجبابرة إلا لمخادعتنا، ومما يؤسف له وينبغي التنبه إليه أن يسوق لهذه الخدعة الكبرى كثير من العلماء والدعاة.)

وقال -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (ثم إِنّي أوجِّه خطابي لأهل الحلِّ والعقد من العلماء الصادقين والزعماء المطاعين

والأعيان والوجهاء والتجار: بأن يتداركوا الأمر قبل فوات الأوان، فإنَّ الأمور تسير بسرعة غير عادية نحو الانفجار، فابذلوا ما في وسعكم لسحب فتيل الأزمة، مع العلم أنَّ المجاهدين في بلاد الحرمين لم يبدأوا القتال بعدُ ضدَّ النظام، ولو بدأوا فعلاً لكان في رأس القائمة التخلُّص من أَئِمَّةَ الكفر المحلي حكام الرياض، ولكن الذي يجري ما هو إلا امتداد للقتال مع التحالف الصليبي الأمريكي الذي يقاتلنا في كلِّ مكان ونقاتله في كلِّ مكان كذلك، بما في ذلك بلاد الحرمين، ونحن نسعى لإخراجهم منها بإذن الله.

فيا أهل الحلِّ والعقد اتقوا الله في أنفسكم وفي أمَّتكم، وليهاجر الذين يستطيعون فيتحرَّروا من القيود الوهمية وممَّا يفرضه النظام من ضغوط نفسية ليتسنَّى لكم القيام بواجبكم بتوجيه الأمَّة، وترتيب الأولويات المهمَّة، فإنَّ تأخركم يزيد الأمور تعقيدًا، والمشاكل عمقًا وتشعُّبًا، ويفتح الباب للشباب ليجتهدوا دونكم باتخاذ قرار البدء بالقيام المسلَّح على الحاكم إذا بدا لهم أنَّهم قد أعدُّوا ما يلزم لذلك وغلب على ظنِّهم أنَّ ما أعدُّوه كافيًا لخلع الحاكم المرتد، مع العلم أنَّ الواجب أن تتَّحد جهود الصادقين للقيام بهذا الأمر العظيم، ولكن إن تثاقل بعضهم فإنَّ واجب القيام على الحاكم لا يسقط.

وقد نصحتُ مرارًا من قبلُ، ولكن لم تُعطَ الأمور حقَّها، فقوموا بواجبكم وسارعوا في استدراك الموقف، ولقد كان الاقتتال قاب قوسين أو أدنى قبل عقود بين حكام الرياض اليوم وأخيهم الملك سعود، فتمَّ التوسط بينهم وإقناع الملك سعود بالتنازل عن الملك، وبذلك تمَّ حلُّ الخلاف، وهذا هو الدور المطلوب منكم اليوم أن تقنعوا

هؤلاء البغاة الذين وثبوا على رقاب الناس بأن يردُّوا الأمانات إلى أهلها، فإنَّ الناس لم يطلبوا باطلاً، فهذا حقُّهم وقد قيل: "دِرهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج".)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عام": (وأقول للحكام المرتدين: إنَّ الأمَّة هي صاحبة الحقِّ في اختيار ولاة أمرها، فردُّوا الأمانات إلى أهلها، فهذا خير لكم، وإنَّ موكِّلكم الطاغية في العراق، قد ظهر تضعضعه، واتَّسعت أصدعه، وأنَّ الأحداث والأيام تسير بسرعة نحو تصفية الحساب معكم ومن أعانكم، فاغتنموا الفرصة قبل فوات الأوان؛ فإنَّ الأمَّة قد استيقظت وأخرجت فلذات كبدها للجهاد في سبيل الله، لإحقاق الحقِّ، وإبطال الباطل.

لئن شهد التاريخ أوسًا وخزرجا   فلله أوس قادمون وخزرج

وإنَّ بني الإسلام أضحوا كتائبًا   مجاهدة رغم الزعازع تخرج

فأين عباد الله الصالحون؟

أين أهل الصبر؟

أين طلاب الأجر؟

أين أصحاب سورة البقرة؟

أين المقتدون بأصحاب الشجرة؟

أين المبايعون على الموت؟

أين المبايعون على الموت ليمزِّقوا الجيوش الأمريكية ويفتكوا بالكتائب الصهيونية؟

أين فتيان عدنان وقحطان؟

أين ربيعة الطعَّانُون في الهيجاء؟

أين فرسان مضر الحمراء؟

أين أحفاد سلمان الفارسي رضي الله عنه وليوث طارق بن زياد وأشاوس صلاح الدين؟

أين أحفاد محمد الفاتح وأبطال أرض الشام؟

أين غطارفة أرض الكنانة؟

أين أمداد اليمن وآلاف عدن؟

فهذه حرب مصيرية بين الكفر والإسلام، بين جند محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام جند الإيمان، وبين أهل الصلبان ومن فاتته فاته الأجر، وباء بالوزر، إلى أن تتمَّ الكفاية.

فالبدار البدار، فسارعوا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، ويا خيل الله اركبي ويا ريح الجنة هبِّي.)

وقال -رحمه الله- في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (وبهذا الخصوص.. فإني أعزم على المجاهدين وأنصارهم عموماً وفي السودان وما حولها بما في ذلك جزيرة العرب خصوصاً، أن يعدوا كل ما يلزم لإدارة حرب طويلة المدى ضد اللصوص الصليبيين في غرب السودان، وهدفنا واضح وهو الدفاع عن الإسلام وأهله وأرضه لا دفاعاً عن حكومة الخرطوم -وإن تقاطعت المصالح- فخلافنا معها عظيم ويكفي أنها تقاعست عن تطبيق الشريعة وفرطت في الجنوب.

وإني أحث المجاهدين أن يتعرفوا على أرض وقبائل ولاية دارفور وما حولها، وقد قيل "قتل أرضــاً عالمها وقتلت أرضٌ جاهلها"، مع العلم أن المنطقة مِقبلة على موســم تكثر فيه الأمطار غالباً مما يعيق الحركة ويقطع الطرق الترابية، وهذا من الأســباب الرئيســة التي أخرت الاحتلال إلى ما بعد ســتة أشــهر قادمة، فينبغي الســرعة والاســتفادة من عامل الوقت بأقصــى ما يمكن، مع الاهتمام بشــكل خاص بتوفير كميات هائلة من الألغام والقناصات والمدافع المضادة للدروع كالأربيجي.)

وقال رحمه الله في آخر كلمة له "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة" :(تَمَسّـكُوا بِزمَامِ المبَادَرَةِ، وَاحذَرُوا المحَاوَرَةَ؛ فَلَا التِقَاءَ فِي مُنتَصَـفِ السّبِيلِ بَينَ أَهلِ الحَقِّ وَأَهلِ التّضلِيل، حَاشَا، وَكَلّا.

وتَذَكَّرُوا أنّ اللهَ قد مَنّ عَلَيكُم بِأَيّامٍ لهَا مَا بَعدَهَا، أَنتُم فُرسَــانُهَا وَقَادَتهَا، وَبِأيدِيكُم لجَامُها وَرِيادتها، ادّخَرَتكُم الأُمّةُ لِهَذَا الحَدَث الجَلَل، فأَتِمّوا المسِيرَ وَلَا تَهَابُوا العَسِيرَ.

بَدَأَ المسَيرُ إِلَى الهَدَف وَالحُرُّ فِي عَزمٍ زَحَفْ
وَالحُـرُّ إِن بَدَأَ المسِيـرَ فَلَن يَكِلّ وَلَن يَقِفْ

فَلَن يَقِفَ حَتّى تَتَحَقَّقَ الأَهـدَافُ المنشُــودَةُ، وَالآمَـالُ المعقُودَةُ -بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى- فَثَورَتُكُم هِيَ قُطبُ الرَّحَى، وَمَوضِـعُ آمَالِ المكلُومِينَ وَالجَرحَى، فَقَد فَرّجتُم عَن الأُمّةِ كُرَبًا عَظِيمَةً -فرّج اللهُ كُرَبَكُم- وَتُحَقّقُونَ آمَالاً كَبِيرَةً -حقّقَ اللهُ آمَالَكَم-.

وَقَفَ السّبِيلُ بِكُم كَوقفَةِ طَارِقٍ   اليَأسُ خَلفٌ وَالرَّجَاءُ أَمَامُ
وَتُـرَدُّ بِالـدّمِ عِـزّةٌ أُخِـذَت بِـهِ   وَيمُوتُ دُونَ عَرِينِهِ الضّرغَامُ
مَن يَبذِل الـرُّوحَ الكَـرِيمَ لِـربّـهِ   دَفعًا لِبَاطِلِهِم فَكَيفَ يُلَامُ

فَيَا أَبنَاءَ أُمّتِي المسلِمَة:

أَمَامَكُم مُفتَرَقُ طُرُقٍ خَطِير، وَفُرصَـــةٌ تَارِيخيّةٌ عَظِيمَةٌ نَادِرَةٌ لِلنُهُوضِ بِالأُمّةِ، وَالتّحَرُّر مِنَ العُبُودِيَّةِ لِأَهوَاءِ الحُكّامِ، وَالقَوَانِين الوَضعِيّةِ، وَالهَيمَنَةِ الغَربِيّةِ.

فَمِنَ الإِثمِ العَظِيمِ وَالجَهلِ الكَبِيرِ أَن تَضِيعَ هَذِهِ الفُرصَـةُ الّتِي تَنتَظِرُهَا الأُمّةُ مُنذ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ، فَاغتَنِمُوهَا وَحَطّمُوا الأَصنَامَ وَالأَوثَانَ، وَأَقِيمُوا العَدلَ وَالإِيمَان.)

الدين النصيحة

ومن الركائز والأصـــول الشـــرعية التي اعتمد عليها الإمام المجدد -رحمه الله- وبذل وسـعه في نشـرها بين المسـلمين أصـل وركيزة "الدين النصـيحة".. وهذه الركيزة قد عظمت الشـريعة منزلتها ورفعت درجتها فقال رسـول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِـيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم.

وقد بين الإمام النووي -رحمه الله- منزلة هذه الركيزة في "شـرح صـحيح مسـلم" فقال: (هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام كما سنذكره من شرحه وأما ما قاله جماعات من العلماء أن أحد أرباع الإسلام أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإســلام فليس كما قالوه بل المدار على هذا وحده وهذا الحديث من أفراد مسـلم وليس لتميم الداري في صـحيح البخاري عن النبي ﷺ شـيء ولا له في مســلم عنه غير هذا الحديث وقد تقدم في آخر مقدمة الكتاب بيان الاختلاف في نسـبة تميم وأنه دارى أو ديرى وأما شــرح هذا الحديث فقال الإمام أبو سـليمان الخطابي رحمه الله النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصـوح له قال ويقال هو من وجيز الأسماء ومختصـر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة يسـتوفى بها العبارة عن المعنى هذه الكلمة كما قالوا في الفلاح ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه قال وقيل النصـيحة مأخوذة من نصـح الرجل ثوبه إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسـده من خلل الثوب قال وقيل إنها مأخوذة من نصـحت العسـل إذا صـفيته من الشـمع شـبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسـل من الخلط قال ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه

النصيحة كقوله الحج عرفة أي عماده ومعظمه عرفة وأما تفسير النصيحة وأنواعها فقد ذكر الخطابي وغيره من العلماء فيها كلاما نفيسا أنا أضم بعضه إلى بعض مختصرا قالوا أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه وموالاة من أطاعه ومعادة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته وشكره عليها والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف في جميع الناس أو من أمكن منهم عليها قال الخطابي رحمه الله وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه فالله تعالى غني عن نصح الناصح وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأن كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه والى ما ذكرناه من نصيحته وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا ومعاداة عن عاداه وموالاة من والاه وإعظام حقه وتوقيره وإحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر شريعته ونفي التهمة عنها واستثارة علومها والتفقه في معانيها والدعاء إليها والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم واجلال

أهلها لانتسابها إليها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم قال الخطابي رحمه الله ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعى لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وهذا هو المشهور وحكاه أيضا الخطابي ثم قال وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين وأن من نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن بهم وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات وقد كان في السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه والله أعلم هذا آخر ما تلخص في تفسير النصيحة.) اهـ.

ولما كانت النصيحة بهذه المنزلة في الشريعة رأينا الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– وإخوانه المصلحين يولونها أهمية كبيرة ويجعلونها مدارا من مدارات دعوتهم.. فقد صدرت عدة بيانات باسم بيانات هيئة النصيحة والإصلاح وكانت بتوقيع الإمام المجدد –رحمه الله– كانت تحمل النصيحة والكلمة الطيبة والدعوة على بصيرة في هذا الواقع الأليم الذي تمر فيه أمة الإسلام هذا من جانب..

ومن جانب آخر فقد قال الإمام المجدد في "توجيهات منهجية": (ومن الأمور المهمة في ميدان النجاة والخروج من هذا التيه؛ هو النصح للدين –النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم– فمسألة النصيحة هي في غاية الأهمية، وهي الإطار المهم الذي يحفظ الدين. ولذا قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»، رواه مسلم، لأن النصيحة التي هي من أبرز معالمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ هي التي تحافظ على الدين، فلذلك اختصر عليه الصلاة والسلام الدين بهذه الكلمة "الدين النصيحة".

ولكننا في زمن اختلط على الناس فهم الدين، وظنوا أن الدين يقوم بغير نصيحة ويقوم بغير المخاطرة. فنظراً لكثرة الترف الذي أصاب الناس، وإلى ركونهم إلى الدنيا وإلى الأرض، والأشد والأنكى أن هذا المرض القاتل يوزّعه هؤلاء القاعدون الراكنون إلى الدنيا على الشباب الصادقين الغيورين على دينهم، الذين يريدون أن ينكروا المنكر، ويأمرونهم بعدم إنكار المنكر، وهم في ذلك يتقدمون بآرائهم بين يدي حديث رسول الله ﷺ كما سنذكره بإذن الله.

فلا يستقيم أمر الدين إلا بالنصح وإلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحمّل كل المخاطر في سبيل هذا الدين، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». رواه الإمام أحمد، هذا كله حتى يستقيم الدين.

وحال هؤلاء الذين يعرّضون أنفسهم للمخاطر من أجل أن يستقيم الدين كحال أناس في سفينة، يسير بها قائدها إلى هاوية سحيقة في مجرى نهر، فهذا يريد أن ينصح القائد وهؤلاء من خوفهم يقولون له؛ "إذا نصحته سيقتلك لا تنصحه!"، فالحاصل أن الجميع سيذهبون إلى تلك الهاوية.

ففي ديننا من التأكيد والحرص على تصحيح المسار، إلى درجة أن تقدم نفسك في سبيل الله لتصحيح المسار حتى يبقى الناس على الدين، فلذا جاء حديث رسول الله ﷺ: سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمامٍ جائر فأمره ونهاه، فقتله. رواه الحاكم، فهذا للأسف الفهم الواضح الصريح للحديث، كان علماؤنا ومشايخنا يقومون بتثبيطنا عنه وينهوننا أن نفعل مثل هذا ويقولون ليس من ورائه مصلحة.

ففي هذا الفهم خطر عظيم على دينهم وعلى اعتقادهم، كيف يتقدمون بهذا بين يدي حديث رسول الله ﷺ الواضح الصريح: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قائم إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، فقوتنا وسلاحنا للمحافظة على بقاء ديننا، وعلى مقاومة أي محاولة لتحريف الدين داخلية أو نتيجة ضغط خارجي هي

الروح الاستشهادية، فالجهاد وما تفرع منه هو السبيل لإحقاق الحق، ولإبطال الباطل.

فينبغي للشباب الذين شرح الله صدورهم لحب الدين، وللفداء في سبيل الله أن لا يلتفتوا إلى هؤلاء الموظفين، وأن لا يلتفتوا إلى القاعدين، وأن لا يلتفتوا إلى الراكنين، فشتان شتان بين علمائنا الذين يشار إليهم بالبنان، ومن يشار إليهم اليوم نتيجة الثورة الإعلامية ونتيجة التقدم الإعلامي الهائل.)

وقال -رحمه الله- في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (فيجب أن تسري فينا روح النصيحة لتصحيح المسار، وأن الحق أكبر من الجميع، وسلامة الحق مقدمة على سلامة الأوطان والرجال والأحزاب والجماعات، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول ﷺ، والذي قال: «الدين النصيحة».

نعم فإن أضعناها أضعنا الدين، وتبعاً لذلك ضياعنا، فهذا واقعنا وقد قال عمر رضي الله عنه: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، فاعتبروا يا أولي الأبصار.))

الدعوة إلى الله
(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

النصوص الشرعية وأقوال علماء الأمة الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم مكانته ومنزلته في هذا الدين أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.. نذكر منها ما يدل على أثره العظيم في إقامة الدين وتمكينه:

قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: (أي كان لا ينهى أحدٌ منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك، ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبوه فقال: لبئس ما كانوا يفعلون.)

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلٌ في الدين وعمدة من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من فائدة بعث النبيين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة والأمن.)

وقال أبو بكر الجصـــاص في "أحكام القرآن": (أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضـــع من كتابه، وبينه رســـول الله ﷺ في أخبار متواترة عنه فيه، وأجمع عليه الســـلف وفقهاء الأمصـــار على وجوبه، وإن كان قد تعرض أحوال من التقية يسع معها السكوت.)

وأما بالنســـبة لاهتمام وحرص الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- على هذه الفريضـــــة فأمر يعرفه كل من نظر نظرة ولو عابرة على تراث الإمام المجدد فقد قال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (فلا يستقيم أمر الدين إلا بالنصح وإلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحمّل كل المخاطر في سبيل هذا الدين، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» رواه الإمام أحمد، هذا كله حتى يستقيم الدين.

وحال هؤلاء الذين يعرّضـــون أنفســـهم للمخاطر من أجل أن يســـتقيم الدين كحال أناس في ســـفينة، يســـير بها قائدها إلى هاوية ســـحيقة في مجرى نهر، فهذا يريد أن ينصـــح القائد وهؤلاء من خوفهم يقولون له؛ "إذا نصـــحته ســـيقتلك لا تنصـــحه!"، فالحاصل أن الجميع سيذهبون إلى تلك الهاوية.

ففي ديننا من التأكيد والحرص على تصـحيح المسـار، إلى درجة أن تقدم نفسـك في سبيل الله لتصحيح المسار حتى يبقى الناس على الدين، فلذا جاء حديث رسول الله ﷺ: «ســـيد الشـــهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمامٍ جائر فأمره ونهاه، فقتله» رواه الحاكم، فهذا للأســـف الفهم الواضـــح الصـــريح للحديث، كان علماؤنا

ومشـــايخنا يقومون بتثبيطنا عنه وينهوننا أن نفعل مثل هذا ويقولون ليس من ورائه مصلحة.

ففي هذا الفهم خطر عظيم على دينهم وعلى اعتقادهم، كيف يتقدمون بهذا بين يدي حديث رسول الله ﷺ الواضح الصريح "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قائم إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله"، فقوتنا وســلاحنا للمحافظة على بقاء ديننا، وعلى مقاومة أي محاولة لتحريف الدين داخلية أو نتيجة ضـغط خارجي هي الروح الاســتشــهادية، فالجهاد وما تفرع منه هو الســبيل لإحقاق الحق، ولإبطال الباطل.

فينبغي للشباب الذين شرح الله صدورهم لحب الدين، وللفداء في سبيل الله أن لا يلتفتوا إلى هؤلاء الموظفين، وأن لا يلتفتوا إلى القاعدين، وأن لا يلتفتوا إلى الراكنين، فشتان شتان بين علمائنا الذين يشار إليهم بالبنان، ومن يشار إليهم اليوم نتيجة الثورة الإعلامية ونتيجة التقدم الإعلامي الهائل.

فالحكومة تنظر في العلماء فما رأت فيه موافقة لها ولينٍ ومداهنةٍ منهم سـلطت عليه الأضواء، فينشأ الناشئة منذ الصغر ويسمعون؛ "الشيخ فلان أرسل برقية إلى الملك"، و"الملك رد إليه برقية"، ويظهر عن يمين الملك في كل يوم اثنين وغيره، فيقع في ذهنه أن هؤلاء أهل الخير والصلاح.

قال أهل العلم؛ "دخول العلماء على الســلاطين فيه مضــارٌ ثلاث"، فمن أعظم مضاره تضليل العامة، فالعامة يقولون لولا أن هذا الإمام وهذا الملك أو هذا الرئيس

على خير لما دخل عليه الشيخ فلان! وهم يتجاهلون أن هذا الذي دخل على الملك هو موظفٌ ملحقٌ بالديوان الملكي أو ملحقٌ بوزارة الداخلية.)

كلمة حق عند سلطان جائر

إن من أعظم السـمات والمعالم المشـتركة في منهج ودعوة العلماء الربانيين والدعاة والأئمة المجددين قول الحق والصدع به وتحمل تبعات ذلك فإنهم كما وصفهم القرآن لا يخافون في الله لومة لائم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤].

يقول سيد قطب –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: (﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾..

فالجهاد في سبيل الله، لإقرار منهج الله في الأرض، وإعلان سلطانه على البشر، وتحكيم شريعته في الحياة، لتحقيق الخير والصلاح والنماء للناس.. هي صفة العصبة المؤمنة التي يختارها الله ليصنع بها في الأرض ما يريد..

وهم يجاهدون في سبيل الله لا في سبيل أنفسهم ولا في سبيل قومهم ولا في سبيل وطنهم ولا في سبيل جنسهم.. في سبيل الله. لتحقيق منهج الله، وتقرير سلطانه، وتنفيذ شريعته، وتحقيق الخير للبشر عامة عن هذا الطريق.. وليس لهم في هذا الأمر شيء، وليس لأنفسهم من هذا حظ، إنما هو لله وفي سبيل الله بلا شريك..

وهم يجاهدون في ســـبيل الله ولا يخافون لومة لائم.. وفيم الخوف من لوم الناس، وهم قد ضـــمنوا حب رب الناس؟ وفيم الوقوف عند مألوف الناس، وعرف الجيل، ومتعارف الجاهلية، وهم يتبعون سنة الله، ويعرضون منهج الله للحياة؟ إنما يخشى لوم الناس من يستمد مقاييسه وأحكامه من أهواء الناس ومن يستمد عونه ومدده من عند الناس أما من يرجع إلى موازين الله ومقاييسه وقيمه ليجعلها تسيطر على أهواء الناس وشهواتهم وقيمهم وأما من يستمد قوته وعزته من قوة الله وعزته، فما يبالي ما يقول الناس وما يفعلون.

كائنا هؤلاء الناس ما كانوا وكائنا واقع هؤلاء الناس ما كان، وكائنة "حضـارة" هؤلاء الناس وعلمهم وثقافتهم ما تكون! إننا نحســب حســابا لما يقول الناس ولما يفعل الناس ولما يملك الناس ولما يصطلح عليه الناس ولما يتخذه الناس في واقع حياتهم من قيم واعتبارات وموازين.. لأننا نغفل أو نسهو عن الأصل الذي يجب أن نرجع إليه في الوزن والقياس والتقويم.. إنه منهج الله وشــريعته وحكمه.. فهو وحده الحق وكل ما خالفة فهو باطل ولو كان عرف ملايين الملايين، ولو أقرته الأجيال في عشــرات القرون! إنه ليســت قيمة أي وضــع، أو أي عرف، أو أي تقليد، أو أية قيمة.. أنه موجود وأنه واقع وأن ملايين البشــر يعتنقونه، ويعيشــون به، ويتخذونه قاعدة حياتهم.. فهذا ميزان لا يعترف به التصور الإسلامي.

إنما قيمة أي وضع، وأي عرف، وأي تقليد، وأية قيمة، أن يكون لها أصل في منهج الله، الذي منه –وحده– تستمد القيم والموازين..

ومن هنا تجاهد العصبة المؤمنة في سبيل الله ولا تخاف لومة لائم.. فهذه سمة المؤمنين المختارين..

ثم إن ذلك الاختيار من الله، وذلك الحب المتبادل بينه وبين المختارين، وتلك السمات التي يجعلها طابعهم وعنوانهم، وهذا الاطمئنان إلى الله في نفوسهم، والسير على هداه في جهادهم.. ذلك كله من فضل الله.)

وقد جعل الرسول الكريم ﷺ الصدع بالحق في وجه الظلمة والفراعنة في أعلى درجات الجهاد فإن القائم به في الأغلب لا يسلم من شدة بطش الظلمة والفراعنة فهو بمنزلة المقتحم للأهوال وصفوف الأعداء نصرة للحق روى الإمام النسائي بإسناده عن طارق بن شهاب: أن رجلًا سأل النبي ﷺ، وقد وضع رجله في الغَرْز: أي الجهاد أفضل؟ قال: «كَلِمَةُ حَقٍّ، عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» صححه الإمام الألباني.

وهذا العمل العظيم والصفة المباركة كانت من أظهر معالم دعوة مجدد الزمان وقاهر الأمريكان أسامة بن لادن –رحمه الله– فقد صدع بالحق ووقف موقف الحق في وجه هبل العصر أمريكا وفراعنة وطواغيت هذا الزمان بالكلمة والقوة والسلاح فجدد الله به الدعوة والجهاد ورفعه بهذا العمل العظيم وجعل له المنزلة الرفيعة عند المسلمين فكان للمتقين إماماً –تقبل الله منه–..

قال الإمام المجدد –رحمه الله– في "بشريات": (وفي هذا إشارة واضحة جلية إلى ضعف هذين الخصمين اللدودين، فلأول مرة يتفقان على هذه العصبة المؤمنة المجاهدة، وقد ضُرِبَت هيبة أمريكا –بفضل الله– إذ وفق شبابًا كانوا في مثل هذه

المعسكرات في أفغانستان، فتح الله عليهم وحطموا هيبة القوى العظمى، ليس العبرة بعدد القتلى الذين قتلوا في نيروبي في السفارة الأمريكية أو في دار السلام وإنما العبرة في الرسائل القوية التي حملتها موجات الانفجار إلى البيت الأبيض وإلى الشعب الأمريكي أجمع؛ أن أهل الإيمان لن يعطوا الدنية في دينهم وأنهم سيبذلون النفس والنفيس من أجل "لا إله إلا الله"، ولن تحلم أمريكا -مجرد حلم- لن تحلم بالأمن إذا لم نعشه واقعًا حيًّا في فلسطين وفي بلاد الحرمين وفي جميع بلاد الإسلام بإذن الله سبحانه تعالى. ثم فتح الله عليهم في الصومال من قبل مما اضطر القوات الأمريكية أن تخرج ذليلة منهزمة رغم أنفها لا تلوي على شيء. وفتح الله على إخوانكم -أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبلهم جميعًا- في عدن أبين قبل تسعة أشهر ضربوا صميم الهيبة الأمريكية؛ هذا الإله المزعوم هُبل العصر الذي جعل من نفسه إلهًا يعبد من دون الله يشرع للناس كما يشاء ويعبث بدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم كما يشاء، خرج إليه رجال يؤمنون حقًّا أن ما عند الله سبحانه وتعالى خير من هذه الحياة الدنيا الفانية، لا يتكلمون هذا كلامًا فقط بل يتكلمونه ويؤمنون به، تجذر في قلوبهم حتى أصبح في عقولهم وفي قلوبهم الغيبُ كالشهادة، كأنهم يرون جنان الله سبحانه وتعالى، فلئن كانت ضربات نيروبي ودار السلام لأهداف كما يزعم الكفار أنها مدنية -والكفر يبيح الدم، ولا تقسيم عندنا للمدني والعسكري في حفظ الدم، وإنما الذي يعصم دم الإنسان هذه الكلمة العظيمة "لا إله إلا الله" فمن لم يقلها فدمه هدر لا وزن له سموه مدنيًّا أو سموه عسكريًّا- فجاءت ضربة "كول" بتوفيق من الله سبحانه وتعالى وفضله في القوة العسكرية الأمريكية بل في أحدث قطعة حربية في العالم تجري فوق البحر، وقد سمعتم بماذا وصفوها من أوصاف؛ أنها تستطيع

أن ترد أعدادًا كبيرة من محاور شـتى برية وبحرية وجوية، فيسَّـر الله سـبحانه وتعالى ضـربها بشـابين اثنين آمنوا أن ما عند الله سـبحانه وتعالى خيرٌ وأبقى، وحبس العالم الإسـلامي أنفاسـه بعد ضـربة "كول" شـفقًا ورحمةً على المجاهدين هنا، خوفًا على المجاهدين هنا من هذا العملاق الصـليبي الأمريكي ماذا سيفعل بهؤلاء المستضـعفين النزّاع من القبائل الذين جاؤوا من مشـارق العالم الإسـلامي ومغاربه، وتمر الأيام وتمر الأسابيع وتمر الشهور، وها قد مر تسعة أشهر ولم ينبسوا ببنت شفة ولم يرموا طلقة بفضـل الله سـبحانه وتعالى ورد كيدهم إلى الوسـاوس وإلى الخرافات الإعلامية التي يكذبون بها على الناس، فلله الحمد والمنة.

وبشرناكم بفضل الله سبحانه وتعالى منذ أسابيع بأن إخوانًا لكم قد خرجوا يحملون رؤوسـهم على أكفهم يبتغون الموت مظانه من أجل رضـوان الله سـبحانه وتعالى، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليهم ويسدد رميهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فاتصـل الإخوة من هنا إلى إخوانهم هناك أهل المعسـكرات والمضـافات يبشـرون إخوانهم هناك أن هلموا إلينا قبل الضـربات خشـية من أن تقفل الطرق، والكفر العالمي وأمريكا قد فرّغت شعبةً كاملة في جهاز الاستخبارات الأمريكي CIA تعمل على مدار الساعة يتناوب عليها ثلاثة فرق كل ثمانية ساعات يبدأ دوام فرقة، شعبة خاصـة بالمجاهدين في أفغانسـتان، بالمجاهدين هؤلاء الذين يجاهدون، وفرّغوا لهم قمرًا اصطناعيًّا لتصوير مواقعهم ولالتقاط الرسائل التي تخرج من هنا عبر الهواتف إلى بلاد العرب، فزاد هذا من خوفهم ومن رعبهم بفضل الله سبحانه وتعالى، فقبل أيام تحذر أمريكا رعاياها في المنطقة بأخذ الحيطة والحذر ثم ترفع حالة الاسـتنفار للقوات

الأمريكية في الكويت، ثم بعد ذلك بيومين ترفع حالة الاستنفار في الدوحة وفي البحرين إلى الحالة القصوى (ج) ثم بعد ذلك بيومين أو ثلاثة تأمر جميع الموظفين في السفارة الأمريكية في صنعاء وعوائلهم أن يغادروا صنعاء إلى أمريكا لأن هناك معلومات أن عمليات إرهابية قريبة سوف تستهدفهم، ثم أمس في الصباح الباكر تعلن الإذاعات -وإخوانكم سجلوا الخبر في شريط كاسيت- تعلن الإذاعات أن فريقين أمريكيين للتحقيق في اليمن؛ فريق من البحرية الأمريكية وفريق من الFBI الأمريكي غادروا اليمن على عجل استجابةً لأوامر من الحكومة الأمريكية لأنه وصلتهم أخبار مؤكدة ومحددة أن المجاهدين يستعدون لضربهم في هذه الأيام، فلله الفضل والمنة.

فهذه الأحداث المتتابعة تهز هيبة هبل العصر بفضل الله سبحانه وتعالى. وإنَّ ضرب هؤلاء يشهد الله العظيم أنه من صميم الإيمان ومن صميم التوحيد، فلا يقوم الدين إلا بتحطيم الآلهة المزيفة، لا إله إلا الله، لا بد أن ننفي جميع الآلهة المزيفة ونثبت الألوهية لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ فلا بد من الكفر بهذا الطاغوت، وأعرف المعروف أن تأمر الناس بلا إله إلا الله وتقاتل عليها كما روي هذا في الأثر عن السلف رضي الله عنهم.)

وقال -رحمه الله- "بيان بعد إعلان أمريكا الحرب على الإمارة الإسلامية": (وفي هذه الأيّام؛ تدخل الدبّابات والمجنزرات الإسرائيلية، لتعيث في فِلَسْطِينَ فساداً، في جِنِينَ وفي رَامَ اللّهَ وفي رَفَحَ وفي بَيْتِ جَالاً، وغيرها مِنْ أرض الإسلام، ولا نسمع

مَنْ يرفعُ صوتاً أو يحرّكُ ساكناً!، فإذا جاءَ السّيفُ بعد ثمانين عاماً على أمريكا، ظهرَ واشرأبّ النّفاق برأسه يتحسّر ويتحسّف على هؤلاء القتلة الّذين عبثوا بدماء وأعراض ومقدّسات المسلمين، فهؤلاء أقلّ ما يقال فيهم أنّهم فسقةٌ اتّبعوا الباطل، نصروا الجزّار على الضّحيّة، نصروا الظّالم على الطّفل البريء، فحسبي الله عليهم، وأرانا الله -سبحانه وتعالى- فيهم ما يستحقّون.

أقول؛ إنّ الأمر واضح وجليّ، فينبغي على كلّ مسلمٍ بعد هذا الحدث، وبعد أنْ تحدّث كبار المسؤولين في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ابتداءً برأس الكفْر العالميّ -بوش ومَنْ معه-، وقد خرجوا أشراً وبطراً، برجالهم وبخيْلهم، وقد ألّبوا علينا حتّى الدّول الّتي تنتسب إلى الإسلام على هذه الفئة، الّتي خرجت تفرّ بدينها إلى الله سبحانه وتعالى، تأبى أنْ تُعطي الدّنيّة في دينها؛ خرجوا يريدون أنْ يحاربوا الإسلام، ويزيّفون على النّاس باسم "الإرهاب"، شعْبٌ في أقصى الأرض -في اليابان- قُتل منهم مئات الألوف، صغاراً وكباراً، فهذه ليست جريمة حرب!، هذه مسألة فيها نظر!، مليون طفل في العراق مسألة فيها نظر!، أمّا عندما قُتل منهم بضعة عشر في نيروبي ودار السّلام قُصفت أفغانستان وقُصف العراق، ووقف النّفاق بأسره خلف رأس الكفْر العالميّ خلف هُبَل العصر "أمريكا" ومَنْ معها.

فأقول إنّ هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين: فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاط كُفْرٍ -أعاذنا الله وإيّاكم منه-، فينبغي على كلّ مسلم، أنْ يهبّ لنصرة دينه، وقد هبّت رياح الإيمان، وهبّت رياح التّغيير لإزالة الباطل مِنْ جزيرة مُحَمد ﷺ.

وأمّا أمريكا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة:

أُقْسِـــمُ بِاللهِ الْعَظِيمِ الَّذِي رَفَعَ السَّـــمَاءَ بِلاَ عَمَدٍ، لَنْ تَحْلُمَ أَمْرِيكَا وَلاَ مَنْ يَعِيشُ فِي أَمْرِيكَا بِالأَمْنِ قَبْلَ أَنْ نَعِيشَـهُ وَاقِعَاً فِي فِلَسْـطِينَ وَقَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ جَمِيعُ الْجُيُوشِ الْكَافِرَةِ مِنْ أَرْضِ مُحَمَّدٍ ﷺ.)

وقال –رحمه الله– في الذكرى الســـنوية الأولى لغزوة منهاتن "مناقب وأسماء الأبطال التسـعة عشـر" :(عندما تتحدث عن غزوتي نيويورك وواشـنطن، تتحدث عن أولئك الرجال الذين غيروا مجرى التاريخ وطهروا صـفحات الأمة من رجس الحكام الخائنين وأتباعهم بغض النظر عن أسمائهم ومسمياتهم.

نتحدث عن رجال لا أقول إنهم حطموا برجي التجارة ومبنى وزارة الدفاع الأميركية فقط فهذا أمر يسير، ولكنهم حطموا هبل العصر، وحطموا قيم هبل العصر.

وظهر فرعون القرن على حقيقته البشعة، لا فرق بينه وبين فرعون مصر إلا زيادة في الكفر والكذب، فها هو يقتل أطفالنا في فلســطين، وفي أفغانســتان، وفي العراق، وفي لبنان، وفي كشمير، وفي غيرها من بلاد الإسلام.

هؤلاء الرجال العظام جسدوا الإيمان في قلوب المؤمنين، وأكدوا عقيدة الولاء والبراء، ونسـفوا مخططات الصـليبيين وعملائهم من حكام المنطقة عبر عشـرات السـنين، عبر الغزو الفكري لتنويع عقيدة الولاء والبراء.

وإن المقام لا يتسع لذكر هؤلاء الرجال بما هم أهله، والقلم يعجز عن حصر محاسنهم ومحاسن آثار غزواتهم المباركة، إلا أننا نحاول، فما لا يدرك كله، لا يترك جله.)

وقال -رحمه الله- في "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى": (ثم جاءت غزوة نيويورك تشعل ديار هُبَل العصر، تدُكُّ حصونه، وتفضح كبرياءه، وتُبطِلُ سحره، وتُعَرّي كل الرايات التي سارت وراءه، وتعلِنُ بداية النهاية له -بإذن الله-.

إن هذه الأحداث العظيمة هي الجهاد المبارك الذي واصل مسيره نحو الهدف المنشود، والخبر الموعود، وجاء ليفضح تلك المقولة الهزيلة والحجة المدحوضة، فهذه المقولة: "ماذا عسانا أن نفعل؟ ليس بأيدينا شيء، الأمرُ ليس لنا"، لم يعُد لها مكانُ ولا يتَّسع لها قلبٌ ولا يرضاها ضميرٌ حي، في ظل الأحداث الدامية التي تتعرض لها أُمتنا، فالكل مطالبٌ اليوم بالجهاد والعمل الجاد، وعلى القيادات الشعبية بجميع شرائحها أن تتحرك لوقف هذا النزيف الهادر، وفضح تلك الخيانات المكشوفة، ومن لم يستطع الحركة من هذه القيادات بسبب ما وقع عليه من ضغط وإرهابٍ في ظل هذه الأنظمة فلا أقل من أن يفسح المجال لغيره من الطاقات الجريئة والقادرة على التغيير ووضع الأمور في نصابها الصحيح، وليحذر من القعود والتّخذيل، وليتجنّب عملية التّربص المذموم والاحتكار المحرم، فالجهاد الذي أخرج أولئك الفتية الذين استجابوا لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾، إن هذا الجهاد قادِرٌ على إخراج وتحريك غيرهم من أبناء الأمة، فالجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة، أما نحن

كأفراد فأيامُنا معدودة، وسنقف بعدها بين يدي الله -عز وجل-، **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**.

أمتنا المسلمة:

لا يزال أبو رِغال يتكرّر في الأمة منذ قرنٍ من الزمن بشخصه وشخصيته الغادرة، يسعى لكسر الشوكة، وتنكيس الراية، ووأد الجهاد، وإنفاذ الكفر وتثبيت أركانه؛ وما مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز (صهيوأميركية بثياب الحكومة السعودية) إلا حيلةً من حيل أبي رغال، ومؤامرةً وصورةً من صور الخيانة المتكررة في تاريخ حكام المنطقة تجاه قضايانا بشكل عام، وقضية الأقصى بشكلٍ خاص.)

وجاء في مقابلته مع عبد الباري عطوان:

(عبد الباري عطوان: هل تعرَّضت عائلتك للأذى؟

أسامة بن لادن: بشكل واضح وبدون شكّ، تعرّضت عائلتي للأذى، ولكن نسبيًا حيث طبّقت عليهم ضغوطًا كبيرةً في سبيل عودتي.

عبد الباري عطوان: هل كانت هناك وساطات من الحكومة سعيًا للتّصالح، ومتى كان آخرها؟

أسامة بن لادن: كان آخر هذه الوساطات منذ ثمانية شهور، حيث وعدوني أنهم سيُعيدون لي جنسيّتي وجواز سفري وأموالي، وأنّه بإمكاني أن أَرجع إلى المملكة مُعزَّزًا مُكرّمًا، إن صَرّحتُ عبرَ وسائل الإعلام بأنّ الملك فهد مسلم.

كان جوابي بأنّنا نعتقد وبشكل جازم بأنّ النّظام قد تجاوز العديد من القواعد بدون الرجوع لشرع الله، وجعل من نفسه مُشرِّعًا ونِدًّا لله، وهذا كُفر كما بيّنه العلماء، وكما بينه كتاب الله –سبحانه وتعالى–، قال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾، وأوجّه أي واحد ينتقدني بسبب مهاجمة النظام السعودي للآية الكريمة: ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**﴾.)

الخروج من دائرة الخوف للصدع بالحق

هنا أذكر نصـــيحة عظيمة وكلمة كريمة وحقيقة بينة.. وضـــحها الإمام المجدد في توجيهاته وكلماته وهذه الحقيقة هي أن الخروج من تحت ســـلطان القهر والخوف والإكراه من أعظم السبل المعينة على الصدع بالحق والقيام به ومحاربة الباطل وإزهاقه حيث قال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (وقد يتعجب الناس؛ هل يعقل أن هذا الشيخ فلان أو ذلك على جلالة قدره في العلم، ورغم كبر سنه، هل يعقل أن يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل؟!

أقول؛ إن الإنسان ليس بمعصوم، وإذا نظرنا في تاريخنا وفي تاريخ العالم الإسلامي عبر القرون الماضية فنجد أن هذه الحالات تتكرر.

وسأذكر مثالاً أو مثالين ليعي الناس هذا الأمر:

١) فقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في ســيَره، ذكر ســيرةَ علي بن المديني رحمه الله -انظر إلى مقدمة تلك السيرة- وقال: (علي بن المديني... أمير المؤمنين في الحديث) [سير أعلام النبلاء: ٤١/١١]، وذكره ووصفه ومدحه وذكر أن الناس في علم الحديث عالة عليه، ولكن من باب الإنصـاف مع جلالة قدر علي بن المديني -وإذا ذكر لا يذكر علماؤنا في هذا العلم بجواره- ولكنه مع ذلك زل زلةً شـــديدة عندما تعرض لخدمة الســـلطان، وعندما ضـــغط عليه أمراء بني العباس وافقهم بضـــد ما يعتقد، وفي ضد ما كان يُدَرّس، وافقهم في تلك الفتنة المضلة الفظيعة.

٢) وكذلك شيخ المؤمنين في الحديث يحيى بن معين رحمه الله زل نفس الزلة.

وكثير من العلماء في ذلك العصر زلوا هذه الزلة، نتيجة للتهديد بالضرب والسجن، وقد يصل إلى القتل، وما ثبت إلا عدد يسير كما تعلمون كان منهم إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فينبغي التنبه لذلك، واقرأوا هذه السيرة لتروا ولتعتبروا بحال الناس.

وقد صح عن نبينا ﷺ أنه قال: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان» رواه الإمام أحمد، هذا إذا كان القاضي غضبان فينبغي عليه أن لا يقضي بين اثنين، فكيف إذا كان خائفاً؟ والخوف أشد وقعاً على النفوس من الغضب كما يقول ابن القيم رحمه الله: (فمن قصر النهي على الغضب وحده، دون الهم المزعج، والخوف المقلق، والجوع والظمأ الشديد، وشغل القلب المانع من الفهم، فقد قل فقهه وفهمه.) [إعلام الموقعين ج١ ص ٢٠٧-٢٠٨].

فالناس في بلادنا خائفون من أن يقولوا كلمة الحق، فينبغي التنبه. وقد صرّحوا لنا مراراً كبار العلماء الذين يشار إليهم بالبنان عن الخوف الذي يخشونه فيما لو صدعوا بالحق، وقد حدثت من قبل أن أحد كبار العلماء في هيئة كبار العلماء حدثني عندما كنّا نقول لهم: "إنه ينبغي إصدار فتوى بوجوب الإعداد، على التسليم فرضاً بقولكم أن وجود الأمريكان في البلاد ضرورة"، فاعتذر عن إصدار فتوى مع تصريحه في المجلس بأنه حق، وأنه لابد من أن يكون العمل للجهاد في البلاد على أبناء البلاد وأن يخرج الأمريكان، قال: "لكن الدولة لا توافق لنا بهذا"، ولما قلنا له: "حاولوا عبر هيئة كبار العلماء أن تستصدروا فتوى بذلك"، فقال كلاماً وأنا أشكر

له مصـــارحته لي، قال: "في نظامنا في قانون هيئة كبار العلماء لســـنا نحن الذين نبحث القضـية ونصـدر فيها فتوى، وإنما تصـدر الفتاوى في المسـائل التي تحال إلينا من المقام السامي" -على حد تعبيره-.

فينبغي للناس أن تعي هذا الأمر، فإذا اســـتمر هذا الخلط ولم يتميز الولاء للمؤمنين وللدين، ولم يتميز البراء والبراءة من الشرك والإلحاد، فلن نجد السبيل الذي نصل به إلى رضـوان الله سـبحانه وتعالى، فهذا أمر في غاية الأهمية وفي غاية الخطورة. وينبغي على الصـادقين من العلماء وطلبة العلم والدعاة أن يوضـحوه للناس وللشـباب، حتى لا يلتبس عليهم الأمر.)

التربية في ساحات الجهاد

وإن من المعاني التي اهتم الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- في ترســـيخها وبيانها أن ســـاحات الجهاد من أهم ميادين التربية والتعليم فلا يؤخر الجهاد إذا تعين من أجل ذلك وخاصة إذا دهم العدو بلاد المسلمين واستباح الأعراض فقد أجاب -رحمه الله- في "الجهاد وتجاوز العقبات" على سـؤال: يوجد هناك بعض طلبة العلم ممن إن تســألهم عن الجهاد والنفرة في ســبيل الله فتكون الإجابة بأنه أولًا لا بد من التربية الإسلامية وحجتهم في ذلك حال الكثير من أبناء الأمة الإسلامية الذي يقعد عن هذه التربية، نرجو من فضيلتكم التوضيح جزاكم الله خيرًا.؟

فأجاب -رحمه الله- بقوله: (الأولى إن تيســـرت التربية فهذا هو الأولى، أما إن ما تيســـرت وتعين فرض الجهاد فلا نقعد نقول ننتظر التربية، حاله كحال الصـــلاة إذا وجد الماء فيجب أن تتوضأ بالماء أما إذا ما وجِد الماء وكاد أن يذهب وقت الصلاة فتتيمم ولا تترك الصـــلاة بحجة أنك تنتظر الماء ويذهب وقتها، فكذا الحال هنا، والأحداث على ذلك كثيرة جدًّا.

من ذلك يوم حنين فُتِحت مكة في العشـرين من رمضــان، وفي العشــر الأوائل من شـــوال كانت غزوة حنين، أي بين مســـلمة الفتح، أهل مكة كانوا مشـــركين أبناء مشـركين أبناء مشـركين، ٣٦٠ صـنم في الحرم، فأسـلموا يوم عشـرين رمضـان، باقي معانا عشرة أيام من رمضان، في العشر الأوائل من شوال استنفرهم رسول الله ﷺ، أي منذ أن أسـلموا إلى أن ذهبوا للجهاد بضـعة عشـر يومًا، فكم تربوا وكم تعلموا؟

إن كانوا قد تربوا فأنت من فضل الله لك بضع عشر سنة وليس بضع عشر يومًا منذ أن بلغت وأنت تعي وتفهم معاني الإيمان ومعاني الإســـلام، فذهبوا وفر الناس كلهم أجمعون إلا رسـول الله ﷺ وعشـرة من الصـحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس رضـي عنهم أجمعين، فهو رسـولنا عليه الصـلاة والسـلام، فر المتربي والذي بدون تربية كلهم فروا، ثم نادى رســـول الله ﷺ الذين تربوا فترة طويلة وهم أهل الشـــجرة أمر العباس وكان جهوري الصـــوت أن ينادي فيهم، يا أهل الشـــجرة يا أصـحاب سـورة البقرة، فما أن سمعوا الصـوت حتى عطفوا كما تعطف البقر على فصيلها ورجعوا إلى نحو الصوت وثبتوا ثم رجع الآخرون وثبتوا، فالشاهد أن لا يصح الجهاد إلا بعد التربية هذا ليس له دليل، إنما الأصـل أن يربي الإنسـان نفسـه ويجهز نفســه ولا تنتهي التربية ولا طلب العلم حتى يوضــع الإنســان في قبره، فنحن نربي أنفســنا ونطلب العلم ونجاهد ونصـوم ونذكر الله وكله في الجهاد ميســور مع عظيم الأجر للمجاهد والمرابط.

وكذلك جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ، فقال: يا رسـول الله أأسـلم أم أقاتل أو قال: أقاتل أم أسلم، قال: «أسلم ثم قاتل»، فتشـهد "أشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رســـول الله" ودخل المعركة فقُتِل ولم يركع لله ركعة، فقال ﷺ: «عمِل يســـيرًا وأجِر كثيرًا».

فالشرط هنا غير موجود وإلا لنبهنا عليه رسول الله ﷺ.

والذين ارتدوا بعد وفاته ﷺ بعث إليهم أبو بكر الجيوش ثم لما جاء عمر بعثهم إلى فارس والروم، كتب إلى عماله في الأمصـــار وهم مرتدين أســـلموا قريبًا لم يقل لابد

نستمر في التربية ونشوف لزومات التربية وكيف ارتدوا وكذا، لا، كتب إلى عماله لا تدعوا فارسًا ولا خطيبًا ولا شاعرًا ولا ذو رأي ولا ذو نجدة إلا أرسلتموه طوعًا أو كرهًا، ورمى بالعرب فارس والروم وفُتِحت هذه البلاد التي أنتم الآن فيها، فهذا الشرط ليس له دليل.)

وقال -رحمه الله- في "العلم للعمل": (يا عباد الله اتّقوا الله، نريد رجل من كل مئة ألف ما الذي سوف يضرّهم؟! كم في اليوم يموت من المسلمين؟ نرجو من الله أن يردنا وإياهم ردًا جميلًا.

وما يُثار في هذا العصر من شبهة "طلب العلم"، هذه المسألة ما كانت تُثار عند السّلف الصالح -رضي الله عنهم-، والإنسان إذا تدبّر قليلًا تزول مثل هذه الحُجج، ولن يصبح لها وجود، فأذكر -فقط للتّذكير- يوم فتح مكة، فمُسلمة الفتح كأبي سفيان ومن معه -رضي الله عنهم- أسلموا يوم الفتح، يوم الفتح متى يا عباد الله؟ كان في ٢٠ من رمضان، وهؤلاء كانوا قبل ذلك مشركين وأبناء مشركين وأبناء مشركين، عقود طويلة والشرك يجري في دمائهم، حتى بعد أن أسلموا كان الواحد منهم إذا أقسم -مع انفعال هكذا- يُقسم باللّات والعُزّى، ويرجع يُجدد إيمانه من جديد ويستغفر، فهؤلاء أسلموا يوم الفتح بعد أن فعلوا ما فعلوا، فقال لهم الرسول ﷺ: «ما تظنّون أني فاعل بكم؟»، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم؛ لأنه في سيف اليوم! فالقلوب خلاص تعرف الحق، فالسيف يُعين الكفار على معرفة الحق ومعرفة الإسلام.

فبقي معهم كم يوم من رمضـــان؟ بالكثير عشـــرة أيام، وغزوة حُنين في شـــوال! فهؤلاء بفقـه النّـاس اليوم، بفقـه طلبـة العلم: مـا الـذي يجـب عليهم أن يفعلوه؟ لا يطلبوا العلم، بل يفهموا أولًا أصـــول الدين، هذا كان مشـــرك ابن مشـــرك ابن مشـرك، فالذي لا ينطق عن الهوى -عليه الصـلاة والسـلام- المعصـوم لم يقل لهم يا أبا ســفيان أنت ومســلمة الفتح امكثوا في مكة ويبقى معكم عبد الله بن مســعود -رضـي الله عنه-، وعبد لله بن عباس -رضـي الله عنه-، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، وعلي وزيد بن ثابت -رضـــي الله عنهما-، هؤلاء فقهاء الصـــحابة المشهورين، فلم يقل لهم ابقوا ونجعل لكم الصحابة يعلمونكم، لم يحصل هذا!

فكلمة "لا إله إلا الله" هي روح الأمة؛ هذه أمة جهاد، فالعلم الغرض منه العمل به، أما أن نتعلّم دون أن نعمل به مشكلة.

نحن اليوم نســير على علم بفضــل الله -ســبحانه وتعالى-، لولا العلم لما علمنا أن الجهاد فرض علينا، ولما علمنا ما يريد الله -ســـبحانه وتعالى- منّا، فالعلم مطلوب للعمـل، العلم ليس غـايـة في حـد ذاتـه، العلم مطلوب ليُرينـا الطريق حتى نعبـد الله -سبحانه وتعالى- كما أمر.

فحدّثوا أنفسكم بالعمليات الاستشهاديّة، حدّثوها كثيرًا، في البداية نفسك ما تألف الأمر، تظن أن الأمر صعب جدًا، وأنت ما جئت هنا إلا في قلبك حب الله وحب رسـوله ﷺ هذا نحسـبكم والله حسـيبكم ولا نُزكّي على الله أحدًا، حدّث نفسـك، بقدر ما يزيد عندنا من الشـباب أصـحاب العمليات الاسـتشـهادية بقدر ما يقترب موعد النصر بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

إخوانكم وأخواتكم في فلسطين خرجوا من شدة ما أصيبوا من الظلم، يحملون رايات يُخاطبون بها المجاهدين هنا، وقبل بضعة أيام يقولون: ننتظر المدد من أهل أفغانستان، فأنتم مخاطبون وقد نوّهِ بأسمائكم، فاتّقوا الله -سبحانه وتعالى-، وانصروا هذه الكلمة العظيمة "لا إله إلا الله"، وانصـــروا أهل "لا إله إلا الله"، تكونوا من المفلحين بإذن الله.)

العدل والإنصاف

إن الأمر بالعدل وإقامته من أصـــول الشــريعة العامة التي أمر الله بها وجعل بها قوام الدين والدنيا فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَـانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال شـيخ الإسـلام -رحمه الله- في "مجموع الفتاوى": (وأمور الناس تسـتقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشـتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تسـتقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسـلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي ﷺ: «ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم» فالباغي يصـرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شـيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصـاحبها في الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصـاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة.)

وهـذا الأصـــل العظيم كـان من أهم مركزيات دعوة الإمـام المجدد ومحـاور كلمـاتـه وتوجيهـاتـه فقـال -رحمـه الله- في "إلى الأمـة الإسـلامية عـامـة وإلى أهـل العراق والصـومال خاصـة": (حديثي هذا للأمة الإسـلامية عامة وإلى أهلنا وإخواننا المجاهدين في العراق والصومال خاصة؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإلى إخواننا المجاهدين في بغداد دار الخلافة وما حولها، إن تواصل عملياتكم الجريئة ضد الأمريكيين وأعوانهم قد زادت المسلمين فرحاً وسروراً وابتهاجاً وحبوراً ولقد رفعتم رؤوس المسلمين عالياً بحسن فعالكم التي تفرح المحزون وتضحك الثكلى فجزاكم الله خير الجزاء، وإن أمتكم الإسلامية كلها أنظارها شاخصة إليكم وألسنتها تلهج بالدعاء لكم تفرح لفرحكم وتترح لترحكم، وآمالها بعد الله معلقة عليكم، وهي تحسبكم جند الله المخلصين وتعتقد أن انتصاركم انتصار لدينها وعزها وكرامتها، وبانتصاركم بإذن الله تتحرر من العبودية والتبعية للصليبيين وعملائهم في بلادنا فتقضوا على الذل والخوف والبغي والظلم وتقيموا الحق والعدل وتنشروا الرخاء والأمن وتنفقوا كنوز الأرض على أهلها ومستحقيها في إعمار البلاد وقضاء حوائج العباد، بدل من أن يذهب جلها إلى الصليبيين وعملائهم.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى شعوب أوروبا (مبادرة صلح)":

(هذه رسالة إلى جيراننا شمال البحر المتوسط، تتضمن مبادرة صلح كرد على التفاعلات الإيجابية التي ظهرت عندهم.

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي أقام السماوات والأرض بالعدل، وأذن للمظلوم أن يقتص من ظالمه بالمثل، أما بعد:

فالســلام على من اتبع الهدى، بين يديّ الرســالة أذكركم بأن العدل واجب مع من تحب ومن لا تحب، وأن الحق لا يضــيره إن قاله الخصــم، وإن أعظم قواعد الأمان: العدل والكف عن الظلم والعدوان، وقد قيل:

البغي يصرع أهله   والظلم مرتعه وخيم

ولكم في الأوضاع في فلسطين المحتلة عبرة، وإن ما جرى في الحادي عشر من سبتمبر والحادي عشر من مارس هي بضاعتكم ردت إليكم، ومعلوم أن الأمن ضرورة ملحة لكل البشر، ونحن لن نرضى لكم أن تحتكروه لأنفسكم، كما أن الشعوب الواعية لن ترضى لساستها أن يعبثوا بأمنها.

فبعد ما تقدم، نحيطكم علماً بأن وصــفكم لنا ولأعمالنا بالإرهاب هو بالضــرورة وصف لأنفسكم وأعمالكم كذلك، حيث إن رد الفعل من جنسه؛ وأعمالنا هي رد فعل لأعمالكم، التي هي تدمير وقتل لأهلنا كما في أفغانســتان والعراق وفلســطين، ويكفيكم شاهدٌ الحدث الذي روع العالم؛ قتل المسن المقعد الشيخ احمد ياسين رحمه الله، فنحن نعاهد الله بأن نقتص له من أمريكا بإذن الله.

ففي أي ملة قتلاكم أبرياء وقتلانا هباء، وفي أي مذهب دماءكم دماء ودمائنا ماء، فمن العدل المعاملة بالمثل والبادئ أظلم.)

وقال –رحمه الله– في كلمته الأخيرة "كلمة شــهيد الإســلام –كما نحســبه– لأمّته المسلمة":

(فَيَا أَبنَاءَ أُمّتِي المسلِمَة:

أَمَامَكُم مُفتَرَقُ طُرُقٍ خَطِير، وَفُرصَـــةٌ تَارِيخيّةٌ عَظِيمَةٌ نَادِرَةٌ لِلنُهُوضِ بِالأُمّةِ، وَالتّحَرُّر مِنَ العُبُودِيَّةِ لِأَهوَاءِ الحُكّامِ، وَالقَوَانِين الوَضعِيّةِ، وَالهَيمَنَةِ الغَربِيّةِ.

فَمِنَ الإِثمِ العَظِيمِ وَالجَهلِ الكَبيرِ أَن تَضِيعَ هَذِهِ الفُرصَةُ الّتِي تَنتَظِرُهَا الأُمّةُ مُنذ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ، فَاغتَنِمُوهَا وَحَطّمُوا الأَصنَامَ وَالأَوثَانَ، وَأَقِيمُوا العَدلَ وَالإِيمَان.)

ركيزة الهدم والبناء (السبيل القويم)

إن ركيزة هدم الباطل وبناء الحق من ركائز وأصول الدعوة والجهاد الأساسية التي رسخها الشرع منذ اللحظة لنزول الوحي..

وقبل بياني لعناية الإمام المجدد بهذه الركيزة الأساسية لا بد أن انقل لكم هذا الكلام النفيس -رغم طوله- للأستاذ الكبير -سيد قطب رحمه الله- في تقرير هذا الأصل والركيزة حيث قال في "في ظلال القرآن": (وذلك أن هذه الدعوة لم تكن مجرد بيان لعقيدة كلامية، أو شرح لمسألة من مسائل الإلهيات وإنما كانت نداء لانقلاب اجتماعي عالمي، ما كانت بوادره لتخفى على المستأثرين بمناصب العز والجاه، المستبدين بمنابع الثراء، ممن يشمون رائحة الاضطراب السياسي قبل حدوثه بأعوام! إن الإسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية، وجملة من المناسك والشعائر، كما يفهم من معنى الدين في هذه الأيام. بل الحق أنه نظام شامل، يريد أن يقضي على سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية في العالم، ويقطع دابرها، ويستبدل بها نظاما صالحا، ومنهاجا معتدلا، يرى أنه خير للإنسانية من النظم الأخرى، وأن فيه نجاة للجنس البشري من أدواء الشر والطغيان، وسعادة له وفلاحا في العاجلة والآجلة معا.

ودعوته في هذه السبيل، سبيل الإصلاح والتجديد والهدم والبناء، عامة للجنس البشري كافة، لا تختص بأمة دون أمة، أو طائفة دون طائفة. فهو يدعو بني آدم جميعا إلى كلمته حتى إنه يهيب بالطبقات الجائرة نفسها ممن اعتدوا حدود الله في

أرضـه، واسـتأثروا بخيرات الأرض دون سـائر الناس.. يهيب بالملوك والأمراء أنفسـهم ويناديهم قائلا: لا تطغوا في الأرض، وادخلوا في كنف حدود الله التي حدها لكم، وكفوا أيديكم عما نهاكم الله عنه وحذركم إياه. فإن أسـلمتم لأمر الله، ودنتم لنظام الحق والعدل الذي أقامه للناس خيرا وبركة، فلكم الأمن والدعة والسـلامة فإن الحق لا يعادي أحدا وإنما يعادي الحق الجور، والفسـاد والفحشـاء، وأن يتعدى الرجل حدوده الفطرية، ويبتغي ما وراء ذلك، مما لا حظ له فيه حسب سنن الكون، وفطرة الله التي فطر الناس عليها.

فكل من آمن بهذه الدعوة وتقبلها بقبول حسـن، يصـير عضـوا في "الجماعة الإسـلامية" أو "الحزب الإسـلامي" لا فرق في ذلك بين الأحمر منهم والأسـود، أو بين الغني منهم والفقير. كلهم سواسية كأسنان المشط. لا فضل لأمة على أمة. أو لطبقة على أخرى. وبذلك يتكون ذلك الحزب العالمي أو الأممي، الذي سمي "حزب الله" بلسان الوحي.

وما إن يتكون هذا الحزب حتى يبدأ بالجهاد في سـبيل الغاية التي أنشـئ لأجلها. فمن طبيعته، وما يسـتدعيه وجوده، أن لا يألو جهدا في القضـاء على نظم الحكم التي أسس بنيانها على غير قواعد الإسلام، واستئصال شأفتها، وأن يستنفد مجهوده في أن يسـتبدل بها نظاما للعمران والاجتماع معتدلا، مؤسـسـا على قواعد ذلك القانون الوسـط العدل الذي يسـميه القرآن الكريم: "كلمة الله". فإن لم يبذل هذا الحزب الجهد المسـتطاع، ولم يسـع سـعيه وراء تغيير نظم الحكم وإقامة نظام الحق.. نظام الحكم المؤسس على قواعد الإسـلام.. ولم يجاهد حق جهاده في هذه السـبيل،

فاتته غايته. وقصر عن تحقيق البغية التي أنشئ لأجلها. فإنه ما أنشئ إلا لإدراك هذه الغاية، وتحقيق هذه البغية.. بغية إقامة نظام الحق والعدل.. ولا غاية له ولا عمل إلا الجهاد في هذه السبيل. وهذه الغاية الوحيدة التي بينها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولا يظن أحد أن هذا الحزب.. "حزب الله" بلسان الوحي.. مجرد جماعة من الوعاظ المبشرين، يعظون الناس في المساجد، ويدعونهم إلى مذاهبهم ومسالكهم بالخطب والمقالات ليس إلا! ليس الأمر كذلك! وإنما هو حزب أنشأه الله ليحمل لواء الحق والعدل بيده، ويكون شهيدا على الناس ومن مهمته التي ألقيت على كاهله من أول يوم أن يقضي على منابع الشر والعدوان، ويقطع دابر الجور والفساد في الأرض والاستغلال الممقوت وأن يكبح جماح الآلهة الكاذبة، الذين تكبروا في أرض الله بغير الحق وجعلوا أنفسهم أربابا من دون الله ويستأصل شأفة ألوهيتهم. ويقيم نظاما للحكم والعمران صالحا يتفيأ ظلاله القاصي والداني والغني والفقير.. وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى في غير واحدة من آي الذكر الحكيم:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فتبين من كل ذلك أن هذا الحزب لا بد له من امتلاك ناصية الأمر ولا مندوحة له من القبض على زمام الحكم لأن نظام العمران الفاسد لا يقوم إلا على أساس حكومة مؤسسة على قواعد العدوان والفساد في الأرض وكذلك ليس من الممكن أن يقوم نظام للحكم صالح، ويؤتي أكله، إلا بعد ما ينتزع زمام الأمر من أيدي الطغاة المفسدين. ويأخذه بأيديهم رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا.

وأضف إلى ذلك أن هذا الحزب بصرف النظر عما يرمي إليه من إصلاح العالم وبث الخير والفضيلة في أنحاء الأرض كافة، لا يقدر أن يبقى ثابتا على خطته، متمسكا بمنهاجه، عاملا وفق مقتضياته ما دام نظام الحكم قائما على أساس آخر، سائرا على منهاج غير منهاجه. وذلك أن حزبا مؤمنا بمبدأ ونظام للحياة والحكم خاص، لا يمكن أن يعيش متمسكا بمبدئه عاملا حسب مقتضاه في ظل نظام للحكم مؤسس على مبادئ وغايات غير المبادئ والغايات التي يؤمن بها، ويريد السير على منهاجها. فإن رجلا يؤمن بمبادئ الشيوعية، إن أراد أن يعيش في بريطانيا أو ألمانيا، متمسكا بمبدئه، سائرا في حياته على البرنامج الذي تقرره الشيوعية، فلن يتمكن من ذلك أبدا، لأن النظم التي تقررها الرأسمالية أو الناتسية تكون مهيمنة عليه، قاهرة بما أوتيت من سلطان، فلا يمكنه أن يتخلص من براثنها أصلا.. وكذلك إن أراد المسلم أن يقضي حياته مستظلا بنظام للحكم مناقض لمبادئ الإسلام الخالدة وبوده أن

يبقى مستمسكا بمبادئ الإسلام، سائرا وفق مقتضاه في أعماله اليومية، فلن يتسنى له ذلك، ولا يمكنه أن ينجح في بغيته هذه أبدا. لأن القوانين التي يراها باطلة، والضرائب وأهله من أثرها ونفوذها.

فالذي يؤمن بعقيدة ونظام -فردا كان أو جماعة- مضطر بطبيعة عقيدته وإيمانه بها أن يسعى سعيه في القضاء على نظم الحكم القائمة على فكرة غير فكرته، ويبذل الجهد المستطاع في إقامة نظام للحكم مستند إلى الفكرة التي يؤمن بها ويعتقد أن فيها سعادة للبشر. لأنه لا يتسنى له العمل بموجب عقيدته والسير على منهاجه إلا بهذا الطريق. وإذا رأيت رجلا لا يسعى وراء غايته، أو يغفل عن هذا الواجب، فاعلم أنه كاذب في دعواه. ولما يدخل الإيمان في قلبه. وبهذا المعنى ورد في التنزيل:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٣-٤٥].

وأي شهادة أصدق وأي حجة أنصع من شهادة القرآن وحجته ففي هذه الآيات من سورة براءة قد نص القرآن الكريم على أن الذي لا يلبي نداء الجهاد ولا يجاهد بماله ونفسه في سبيل إعلاء كلمة الله، وإقامة الدين الذي ارتضاه لنفسه، وتوطيد نظام الحكم المبني على قواعده، فهو في عداد الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ...

لعلك تبينت مما أســـلفنا آنفا أن غاية الجهاد في الإســـلام، هي هدم بنيان النظم المناقضـة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسـة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها. وهذه المهمة.. مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام. غير منحصرة في قطر دون قطر. بل مما يريده الإسلام، ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة.. هذه غايته العليا، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره.

إلا أنه لا مندوحة للمسلمين، أو أعضاء "الحزب الإسلامي" عن الشروع في مهمتهم بإحـداث الانقلاب المنشـــود، والســـعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يســـكنونها. أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشـــامل المحيط بجميع أنحاء الأرض. وذلك أن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية، بل تـدعو الناس جميعا إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين، لا يمكنها أصلا أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر. بل الحق أنها مضـطرة بسـجيتها وجبلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضـعها نصـب عينها، ولا تغفل عنها طرفة عين. فإن الحق يأبى الحدود الجغرافية، ولا يرضـى أن ينحصـر في حدود ضـيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها. فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة.)

وقال الشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله- في "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية": (نظرية البناء والهدم في التحرك الاسـتراتيجي: هذا المبدأ هو أســاس في كل صــراع. وعلى كل صـــعيد يحتدم فيه خصـــمان. فبدأً من العقيدة، لا يمكن الإيمان بالله مع الاعتراف بالطاغوت. قال تعالى:

﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾

وعلى صـــعيد البناء الفكري لا يمكن الدعوة لإثبات فكرة ما، إلا بإثبات بطلان نقيضـها. وعلى الصـعيد العسـكري، فإن خير وسـائل الدفاع الهجوم. وهكذا على صعيد كل تنافس وصدامي.

وإذا ما جئنا للمقاومة وخصـــومها، وجدنا أن هناك صـــداما حضـــاريا على كافة الأصعدة، وفي كل المجالات؛ العقدية والسياسية والفكرية والثقافية والاقتصادية.

وفي الشكل العنيف للصدام، (المجال العسكري). نجد أن مبدأ هدم قوى ومرتكزات ودعاوى عملاء الخصـوم هو أولوية في اسـتراتيجية هجوم المقاومة. وعملية يجب أن تجري سواءً بسواء ومنذ البداية مع انطلاق المقاومة، إلى جانب عملية بناء المكونات الذاتية للمقاومة، على كل تلك الصعد.)

ولما كان أمر هذه الركيزة بهذه المنزلة والأهمية رأينا الإمام المجدد -رحمه الله- أعطاها عناية بالغة في دعوته وتوجيهاته حيث قال في "بشـريات": (هذه الأحداث المتتابعة تهز هيبة هبل العصر بفضل الله سبحانه وتعالى. وإنَّ ضرب هؤلاء يشهد الله العظيم أنه من صميم الإيمان ومن صميم التوحيد، فلا يقوم الدين إلا بتحطيم الآلهة المزيفة، لا إله إلا الله، لا بد أن ننفي جميع الآلهة المزيفة ونثبت الألوهية لله سـبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ فلا بـد من الكفر بهـذا الطـاغوت، وأعرف المعروف أن تأمر النـاس بلا إلـه إلا الله وتقاتل عليها كما روي هذا في الأثر عن السلف رضي الله عنهم.

فهذه التداعيات ما اســتطاعت أمريكا أن تقف مكتوفة الأيدي، ويشــهد الله أنهم يراودوننا مرارًا منذ "كول" وقبل "كول" على الهدنة وصـــرحوا مرارًا في رســـائلهم، إذا خرجنا من الخليج هل توقفون نضـــالكم؟ هكذا، فلم نرد عليهم بشـــيء إلا ما سمعتم من خروج إخوانكم للنيل منهم ولضربهم، وكما قيل:

ليس بيننا وبينهم من عتاب   سوى طعن الكلى وضرب الرقاب

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يفتح على إخوانكم.)

وقال -رحمه الله- في "واجبنا تجاه فلســطين": (وهذا مبدأ الكفار، لا يفهمون إلا بالضـربات الموجعة على أم رؤوسـهم في اقتصـادهم وفي أنفسـهم، وهكذا أمريكا لن تفهم حوارًا، هذه أمم مستضعفة أكثر من خمسين إلى ستين سنة وهم يرزحون تحت الحكم الإنجليزي المســتعمر ثم سُــلم لليهود، وأي حرية تذكر أمريكا وهي بجبروتها ذهبت إلى أمم في الشــرق في فيتنام تبعد عنها آلاف الأميال تقصــفهم بالطائرات تذبحهم وتقتلهم، أي حرية هذه، وما خرج الأمريكان من فيتنام إلا بعد أن أُوجِعوا ضـــربًا هؤلاء الأخباث، فقُتِل منهم أكثر من ســتين ألف جندي أمريكي وذهبت أموالهم وإمكانياتهم حتى ضـج الشعب الأمريكي في أمريكا وخرج مظاهرات يطالب الحكومة المجرمة المستبدة أن تسـحب أبناءه من فيتنام، وهكذا الحال اليوم لن يوقف الأمريكان دعمهم لليهود في فلســطين الذين يقتلون المســلمين حتى نوجعهم ضــربًا وحتى نرفع رايـة الجهـاد، فلا ينتهون حتى نجاهـدهم، ولا يكف بأس الكفـار إلا بالجهاد، ولا يُحق الحق إلا بالجهاد، ولا يُقطع دابر الكافرين إلا بالجهاد، ولا يُبطل الباطل إلا بالجهاد.

وذلك واضـــح بيّن، فنحن أمة لنا تاريخ مجيد أكثر من أربعة عشـــر قرنًا لم يدعنا سبحانه وتعالى هملًا بل قد أكمل لنا الدين وبعث لنا الرسول عليه الصلاة والسلام يبين لنا كيف نتصرف في مثل هذه الأحوال وبعث بعده الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين.

يقول ســبحانه وتعالى مبينًا لهذا الأمر في ســورة الأنفال: ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّــوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾، فإحقاق الحق بكلماته أي بأمره إياكم بالجهاد في سبيل الله.)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (والآن كيف الســبيل لكف بأس الكفار وإنقاذ بلاد المسلمين؟

فللإجابة على هذا الســؤال أقول -وبالله التوفيق- كما قال العبد الصـــالح نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾.

فالســبيل لكف بأس الكفار هو الجهاد في ســبيل الله كما قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾.

وابتداءً؛ أبشركم بفضل الله أن الأمة اليوم عندها من الطاقات الهائلة ما يكفي لإنقاذ فلســطين، وإنقاذ باقي بلاد المســلمين، ولكن هذه الطاقات مقيدة فيجب العمل

على إطلاقها، كما وأن الأمة موعودة بالنصر، لكن إذا تأخر النصر فبسبب ذنوبنا وقعودنا عن نصرة الله، قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾، والأمة موعودة بالنصر أيضاً على اليهود كما أخبرنا رسولنا ﷺ حيث قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر؛ يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعالَ فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» رواه مسلم.

وفي هذا الحديث تنبيه أيضاً إلى أن حسم الصراع مع الاعداء إنما يكون بالقتل والقتال، لا بتعطيل طاقات الأمة لعشرات السنين عبر طرق أخرى كخدعة الديمقراطية وغيرها.

وبعد هذه المبشرات أتحدث إليكم عن بعض الامور التي تساعدنا على الجهاد في سبيل الله، ومنها ذكر بعض الوقائع والحروب التي انتصر فيها المسلمون خلال العقدين الماضيين مما يزيد من ثقة أبناء الأمة بأنفسهم، لما لذلك من أهمية في تعبئة الأمة لتدافع عن نفسها ضد التحالف الصليبي الصهيوني.

وفي الحقيقة؛ أن الأمة الإسلامية هي القوة البشرية العظمى إن أقامت دين الإسلام حقاً، وهذا ما أثبته التاريخ خلال القرون الماضية، وهي قادرة على قتال ومقاومة ما يسمى بالدول الكبرى.

وقبل ذلك سأذكر حادثة ذات صلة بموضوع قتال القوى الكبرى؛ ذكر أهل السير أن المثنى الشيباني رحمه الله جاء إلى المدينة يطلب مدداً من الخليفة لقتال الفرس،

فندب الخليفة عمر رضي الله عنه الناس ثلاثة أيام فلم يخرج أحد، ففطن عمر رضي الله عنه لما في نفوس الناس من عقدة قتال القوى العظمى، فأمر المثنى أن يحدث الناس بما فتح الله عليه ضد فارس ليزيل ما بأنفسهم، فقام المثنى فتكلم ونشَّط القوم، فكان مما قال: (يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فإنا قد تبجحنا فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم وأجترأ من قِبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها)، فتحمس الناس، وقام أبو عبيد الثقفي وعقد له الخليفة اللواء وتتابع القوم رضي الله عنهم. [الكامل في التاريخ ٢/٤٣٢-٤٣٣].

وأنا أقول متشبهاً بأولئك الكرام:

يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، لا يعظمنَّ عليكم وجه أميركا وجيشها، فقد ضربناهم والله مراراً وهزموا تكراراً، وإنهم أجبن قوم عند اللقاء، وقد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأميركي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيس على الحرب النفسية نظراً لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة، وكذلك على القصف الجوي الكثيف إخفاءً لأبرز نقاط ضعفه وهو الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجندي الأميركي، ولولا ضيق المقام لحدثتكم عن ذلك، أشياء تكاد لا تصدق في قتالنا لهم في تورا بورا وشاهي كوت بأفغانستان، وأرجو الله أن ييسر وقتاً ونتحدث عن ذلك بالتفصيل.

وابتداءً أذكركم بهزيمة بعض القوى الكبرى على أيدي المجاهدين:

فأذكركم بهزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً والذي أصبح أثراً بعد عين بعد عشر سنين من القتال الضاري على أيدي أبناء الأفغان ومن ساعدهم من أبناء المسلمين بفضل الله.

وكذلك هزيمة الروس في بلاد الشيشان وضرب المجاهدون أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فحطم المجاهدون الشيشان مع إخوانهم العرب والأنصار كبرياء الروس فكبدوهم الخسائر تلو الخسائر فانسحبوا مدحورين بعد الحرب الأولى، ثم إن الروس رجعوا مرة أخرى بدعم أميركي ومازالت روسيا إلى الآن تتكبد الخسائر الفادحة من فئة قليلة مؤمنة نرجو الله أن يثبتهم وينصرهم.

كما أذكركم بهزيمة القوات الأميركية عام ١٤٠٢ للهجرة، عندما اجتاح بنو إسرائيل لبنان، فقدمت المقاومة اللبنانية شاحنة مملوءة بالمتفجرات إلى مركز القوات الأميركية -المارينز- في بيروت فقتل منهم أكثر من ٢٤٠ قتيلاً، فإلى جهنم وبئس المصير.

ثم بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسلمين هناك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أُسْدُ الإسلام من العرب الأفغان فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض فمرَّغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحدٌ على أحد، فلله الحمد والمنَّة.

وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأميركيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة.

ثم في عام ١٤١٥ للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسببه أربعة من الأمريكيين، وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأميركية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين.

ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر، قتل بسببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضطر بعدها الأمريكيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء.

ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨ للهجرة هدَّد المجاهدون أمريكا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين، فرفض العدو التحذير وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا.

ثم حُذِّرت أمريكا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأميركية "كول" في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأمريكية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة.

ثم إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم -الأحمق المطاع- أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم لبلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره.

وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشـــرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة، الموافق للحـادي عشـــر من ســـبتمبر عـام ٢٠٠١ للميلاد، كـان التحـالف "الصـهيوأمريكي" يحصـد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصـى المبارك حصـدا، بطائرات ودبابات أمريكية وأيدٍ يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أمريكا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإســـلامي يعيش في حالة من البعد الشـــديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتســـويف عند المســـلمين -إلا من رحم الله- ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف "الصـهيوأمريكي"، فقد كانت بلاد "العم سـام" في غيها سـادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها. إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شـــعث الرؤوس، مغبرو الأقدام، المطاردون في كـل مكـان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هـدى، وربط على أفئدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشـــوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشـــرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في ســـويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم:

فانهارت أسطورة أميركا العظمى، وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة الـ "سي آي إي"، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأمريكي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من رقاده، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة، يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر.

ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأمريكي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في "مانهاتن" كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر؛ أن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها -بإذن الله- ستترنح وتنكمش، فتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى

العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصر أسبابٌ وللخُسر مثلها وكل طريقٍ يورث الخلد رابحُ

دروب العلا شتى وأقصرها التي تريق الدما في جانبيها الجَحاجحُ

وأمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير -بفضل الله- ولكنهم مقيدون، فينبغي علينا أن نتعاون جميعاً لفك قيودهم لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله، لأن الجهاد هو سبيل عز هذه الأمة وأمنها.

وإن القيود والسدود التي تحول بين شباب الأمة وبين انطلاقها للجهاد كثيرة، إلا أننا سنتحدث عن أهمها، وبين يدي ذلك أذكر حديثاً من الصحيحين من اهتدى به سلك ومن ضل عنه هلك، قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» متفق عليه، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فهذا من أسباب هلاكنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

إحسان اختيار مفاتيح الصراع

إن الناظر في كلمات وتراث الإمام المجدد يجد أنه يحسن اختيار مفاتيح الصراع مع العدو الخارجي أو العدو الداخلي (الحكام المرتدين).. فيختار في دعوته وتحريضه ما يناسب مرحلة الصراع القائمة وحال العدو وما يناسب حشد الأمة للقيام بفريضة الوقت من دعوة وجهاد ومن الأمثلة الجلية الدالة على هذا الأمر بيان إعلان الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين حيث جاء فيه:

(الحمد لله منزل الكتاب، ومجري السّحاب، وهازم الأحزاب، والقائل في محكم كتابه: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمد بن عبد الله القائل: «بُعثت بالسّيف بين يدي السّاعة حتى يُعبد الله وحده، وجُعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وجُعل الذّل والصّغار على من خالف أمري».

أما بعد:

فمنذ أن دحى الله جزيرة العرب، وخلق فيها صحراءها، وحفّها ببحارها، لم تَدهمها غاشية كهذه الجحافل الصّليبيّة التي انتشرت فيها كالجراد، تزحم أرضها وتأكل ثرواتها وتُبيد خضراءها. كل ذلك في وقت تداعت فيه على المسلمين الأمم، كما تداعت الأكلة إلى قَصْعتها. ويلزمنا حين عظم الخطب وقلّ النّاصر أن نقف وإيّاكم على مكنون الأحداث الجارية، كما يجب أن نتّفق جميعًا على فصل القضاء فيها.

لا أحـد يجـادل اليوم في حقـائق ثلاث تواترت عليهـا الشـــواهـد، وأطبق عليهـا المنصـفون، ونحن نذكرها ليتذكّر من تذكّر، وليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بيّنة، وهي:

أولًا: منذ ما يربو عن سـبع سـنين وأمريكا تحتلّ أراضـي الإسـلام في أقدس بقاعها -جزيرة العرب-، وتنهب خيراتها، وتُملي على حكّامها، وتُذلّ أهلها، وترعب جيرانها، وتجعل من قواعدها رأس حربة تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة.

وإذا كان في الماضــي من جادل في حقيقة هذا الاحتلال، فقد أطْبَق على الاعتراف به أهل الجزيرة جميعًا.

ولا أدّل عليه من تمادي الأمريكان في العدوان ضد شعب العراق انطلاقًا من الجزيرة، رغم أن حكامها جميعًا يرفضون استخدام أرضهم لذلك، ولكنّهم مغلوبون.

ثانيًا: رغم الدّمار الكبير الذي حلّ بالشّـعب العراقي على يديّ التّحالف الصّـليبيّ اليهوديّ، ورغم العدد الفظيع من القتل الذي جاوز المليون، رغم كل ذلك يحاول الأمريكان مرة أخرى معاودة هذه المجازر المروّعة، وكأنّهم لم يكتفوا بالحصـــار الطويل بعد الحرب العنيفة ولا بالتّمزيق والتّدمير.

فها هم يأتون اليوم ليبيدوا بقية هذا الشعب وليذلّوا جيرانه من المسلمين.

ثالثًا: وإذا كانت أهداف الأمريكان من هذه الحروب دينيّة، واقتصـاديّة فإنّها كذلك تأتي لخدمة دويلة اليهود، ولصرف النّظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين فيه.

ولا أدّل على ذلك من حرصـهم على تدمير العراق -أقوى الدول العربية المجاورة-، وسعيهم لتمزيق دول المنطقة جميعا كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلى دويلات ورقيّة، تضـمن بفرقتها وضـعفها بقاء إسـرائيل واسـتمرار الاحتلال الصّـليبيّ الغاشـم لأرض الجزيرة.

إن كـل تلـك البوائق والجرائم هي من الأمريكـان إعلان صـريح للحرب على الله ورسوله وعلى المسلمين، وقد أجمع العلماء سلفًا وخلفًا عبر جميع العصور الإسلاميّة على أن الجهاد فرض عين إذا دهم العدو بلاد المسـلمين، وممّن نقل ذلك الإمام ابن قدامة في "المغني"، والإمام الكسـائيّ في "البدائع"، والقرطبيّ في تفسـيره، وشـيخ الإسـلام في اختياراته، حيث قال: (أمّا قتال الدّفع فهو أشـد أنواع دفع الصّـائل عن الحرمة والدين، واجب إجماعًا؛ فالعـدوّ الصّائل الذي يُفسد الدّين والدّنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.)

ونحن بناءً على ذلك، وامتثالًا لأمر الله نُفتي جميع المسـلمين بالحكم التّالي: إنّ حكم قتل الأمريكان وحلفائهم -مدنيّين وعسـكريّين- فرض عين على كل مسـلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسّر فيه، وذلك حتى يتحرّر المسجد الأقصى، والمسجد الحرام من قبضـتهم، وحتى تخرج جيوشـهم عن كل أرض الإسـلام مثلولة الحدّ، كسـيرة الجناح، عاجزة عن تهديد أيّ مسـلم، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْـرِكِينَ كَافَّةً كَمَا**

يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا**﴾.

إننا بإذن الله ندعو كلّ مسلم يؤمن بالله، ويرغب في ثواب، إلى امتثال أمر الله بقتل الأمريكان، ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك.

كما ندعو علماء المسلمين وقادتهم وشبابهم إلى شنّ الغارة على جنود إبليس الأمريكان، ومَن تحالف معهم من أعوان الشّيطان، وأنْ يُشرّدوا بهم مَن خلفهم لعلهم يذّكّرون.

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، وقال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

الموقعون:

- أسامة بن لادن
- أيمن الظواهري

- رفاعي أحمد طه (عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية بمصر)
- منير حمزة (سكرتير جمعية علماء باكستان)
- فضل الرحمن خليل (أمير حركة الأنصار في باكستان)
- عبد السلام محمد خان (أمير حركة الجهاد في بنغلادش)) اهـ.

وأما بالنسبة لحسن اختيار الإمام المجدد -رحمه الله- لمفتاح الصراع مع العدو الداخلي فنذكر ما جاء في "رسالة مفتوحة إلى الملك فهد بمناسبة التعديل الوزاري الأخير":

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

إلى ملك نجد والحجاز فهد بن عبد العزيز:

السلام على من اتبَّع الهدى، وبعد...

فهذه رسالة مفتوحة نبعث بها إليك بعيداً عن ألقاب المجاملات الملكية وألقاب التفخيم، وهي مصارحة لك ببعض ما يمكن التصريح به مما ارتكبته أنت ومن حولك من أمور عظام في حق الله ودينه، وحق عباده وبلاده، وحق حرمه وأُمَّته، فإن وضوح ما سنكتبه لك من حق، وجلاء ما في هذه الرسالة من الصواب، يدفعنا إلى الأمل بأن تخترق ما أحطت به نفسك من حجب عن سماع الحق، وجدر دون وصوله إليك.

أيُّها الملك:

مناسبة هذه الرسالة هي ما تقوم به أنت والأمراء المتنفذون من خداع للناس ومحاولة لِلّعب على عقولهم وامتصاص لغضبهم عليكم ونقمتهم على حكمكم بما تقومون به من "إصلاحات" هامشية خادعة تدخل في باب المسكِّنات والمهدئات الآنية لنقمتهم، ومن ذلك ما قمتم به من تأسيس مجلس الشورى الذي انتظرته الأُمَّة طويلاً، وخيّب آمالها بعد أن وُلد ميتاً، وما قمتم به أخيراً من تعديلٍ وزاريٍّ هامشي لم يمس رأس الداء وأساس البلاء الذي هو أنت ووزير دفاعك ووزير داخليتك وأمير الرياض ومن على شاكلتكم!!

ومناسبة هذه الرسالة المهمّة لن تدفعنا إلى تخطى جوهر الخلاف معك، وأساس الصراع مع حكمك، وهذا الجوهر والأساس ليس هو ما يتبادر إلى ذهنك مما عملت على إشاعته في عهدك، ومكّنت له من بعدك من ظلم للعباد وهضم لحقوقهم، وخاصة العلماء منهم والدعاة والمصلحين والتجار وشيوخ القبائل. ولا هو ما عرّضت له الأُمَّة عامةً من إهانةٍ لكرامتها وتدنيسٍ لمقدساتها وسلبٍ لخيراتها ونهبٍ لثرواتها، ولا هو أيضاً ما شاع في عهدك من الرشاوي والعمولات وانتشر من المحسوبية والفساد الإداري والأخلاقي!! ولا هو كذلك ما قدمت إليه البلاد من انهيارٍ اقتصادي مذهل وصل بها إلى درجة الإفلاس.

فهذه الأمور المهمّة سنعرض لبعضها لاحقاً بعد أن نعرض أولاً لجوهر الخلاف معك وأساسه الذي هو خروج نظام حكمك عن مقتضيات لا إله إلا الله ولوازمها التي

هي أســـاس التوحيد الفارق بين الكفر والإيمان لأن كل تلك الأمور ناجمة عن خروجك ونظام حكمك عن مقتضيات التوحيد، ولوازمه.

وبما أننا سـنصـدر -إن شـاء الله- قريباً بحثاً يتناول أوجه هذا الخروج بشـكلٍ أكثر تفصـيلاً فإننا سـنقتصـر في هذه الرسـالة الموجزة على بيان وجهين من وجوه هذا الخروج وهما:

أولاً: حكمك بغير ما أنزل الله وتشريعك له

لقد تواترت نصوص القرآن والسُنّة وأقوال علماء الأُمَّة على أنّ كل من سوَّغ لنفسه أو لغيره اتبّاع تشريعٍ وضعي أو قانونٍ بشري مخالفٍ لحكم الله، فهو كافرٌ خارجٌ عن المِلة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشـيخ -رحمه الله- في تفسـير هذه الآية: (من دعا إلى تحكيم غير الله ورسـوله فقد ترك ما جاء به الرسـول ﷺ ورغب عنه وجعل لله شـريكاً في الطاعة وخالف ما جاء به رسـول الله ﷺ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيۤ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾. فمن خالف ما أمر الله به

ورســـوله ﷺ بأن حَكَمَ بين الناس بغير ما أنزل الله أو طلب ذلك إتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الاســـلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضـــمن قوله: ﴿**يَزْعُمُونَ**﴾ من نفي إيمانهم فإن ﴿**يَزْعُمُونَ**﴾ إنما يُقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما يُنافيها، يحقق هذا قوله: ﴿**وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ**﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، كما في آية البقرة، فإذا لم يحصـــل هذا الركن لم يكن موحداً، والتوحيد هو أســـاس الإيمان الذي تصـلح به جميع الأعمال وتفسـد بعدمه، كما أن ذلك بيّن في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمانٌ به.) [من كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد صـ٣٩٢-٣٩٣].

ويقول الشـــيخ محمد بن إبراهيم آل الشـــيخ -رحمه الله- في تفســـير هذه الآية: (وقد نفى الله الإيمان عمن أراد التحكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ من المنافقين كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ فإن قوله -عز وجل-: ﴿**يَزْعُمُونَ**﴾ تكذيبٌ لهم فيما ادّعوه من الإيمان فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصـلاً بل أحدهما يُنافي الآخر، والطاغوت مشـتقٌ من الطغيان وهو مجاوز الحد فكل من حكم بغير ما جاء به الرســـول ﷺ أو حاكم إلى غير ما

جاء به الرسـول ﷺ فقد حكم الى الطاغوت وحاكم إليه.) [من رسـالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ].

ويقول الله -عز وجل-: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَـــنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾، يقول ابن كثير في تفسـير هذه الآية: (ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشـتمل على كل خير الناهي عن كل شـر وعدل إلى ما سـواه من الآراء والاهواء والاصـطلاحات التي وضـعها الرجال بلا مسـتند من شـريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضــلالات والجهالات مما يضـعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السـياسـات الملكية المأخوذة من ملكهم جنكيز خان الذي وضـع لهم الياسـق وهو عبارةٌ عن أحكامٍ اقتبسـها من اليهودية والنصـرانية والمِلة الإسـلامية، وغيرها. وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد هواه. فسـارت في بنيه شـرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسـنة رسـوله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافرٌ يجب قتله حتى يرجع إلى حكم الله ورسـوله ﷺ فلا يحكم سـواه في قليل ولا كثير.)

وهل الياســـق هذا إلا مثالٌ متقدمٌ للقوانين التي تحكمها أنت ونظام حكمك ومن على شـاكلته من الأنظمة اليوم؟ إن تحكيم القوانين الوضـعية والتحاكم إليها هو بلا شـك عبادة ممن يفعل ذلك لواضـع هذه القوانين، واستعبادٌ من مُشَرِّعها لمن يتبعونه ويطيعونه في تشـريعاته تلك من دون الله. وهذا المعنى بَيَّنَهُ رسـول الله ﷺ لعُديّ بن حاتم في الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيّره وحسـنه أن عُديّ ابن حاتم رضـي الله عنه -وكان نصـرانياً- سمع النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ**

أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ فقال: يا رسول الله إنّا لسنا نعبدهم! فقال رسول الله ﷺ: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حَرَّم الله فتحلونه؟!» قال: بلى، قال: «فتلك عبادتهم».

إن عُديّ بن حاتم -رضي الله عنه- كان يظن ان العبادة مقتصرةٌ على تقديم الشعائر التعبدية كالصلاة ونحوها ولما كان النصارى لا يصلون لأحبارهم ورهبانهم ظنَّ أنهم لا يتخذوهم أرباباً، لكن رسول الله ﷺ أزال عنه هذا اللبس وبين له أنهم بطاعتهم إياهم في التحليل والتحريم على وجه مخالف للشرع، فقد اتخذوهم أرباباً من دون الله. وهذا المعنى للعبادة الذي بينه الرسول ﷺ لعُديّ بن حاتم -رضي الله عنه- هو الذي أجمعت عليه الأُمَّة وتواتر عن العلماء الأئمة الذين سنذكر بعض أقوالهم فيما يلي باختصار: يقول ابن حزم عن قوله تعالى: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**: (لما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلّوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها، وسمّى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أربابٍ من دون الله عبادة وهذا هو الشرك من دون الله بلا خلاف.) [الفصل ٢/٦٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن أورد حديث عُديّ بن حاتم السابق: (... وكذلك قال أبو البختري أما أنهم لم يصلوا لهم ولو أن يعبدوهم من دون الله ما أمروهم، ولكن أطاعوهم فجعلوا الحلال حراماً والحرام حلالاً فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية... فقد بَيَّن النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال لا أنهم صلّوا لهم وصاموا ودعوهم من دون الله، فهذه عبادة الرجال،

وقد ذكر الله أن ذلك شــرك بقوله: ﴿**لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُــبْحَانَهُ عَمَّا يُشْــرِكُونَ**﴾.) [الفتاوى ٦٧/٧].

ويقول الشــيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– مبوباً حديث عُديّ الســابق: (من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حَرَّم الله فقد اتخذهم أرباباً.) [عن حاشية كتاب التوحيد صـ١٤٦].

ويقول شــيخ الإســلام ابن تيمية –رحمه الله–: (ومن المعلوم بالاضــطرار من دين الإسلام، وباتفاق جميع المسلمين أن من سوّغ اتباع غير دين الإسلام واتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر.) ويقول رحمه الله: (فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته دونه.)

ويقول الشــيخ محمد بن ابراهيم آل الشــيخ –مفتي المملكة ســابقاً– رحمه الله: (إن من الكفر الأكبر المســتبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلســان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين.)

ويقول في رســالةٍ وجهها إلى أمير الرياض –في وقته– بشــأن القوانين الوضــعية التي يتحاكم إليها في الغرفة التجارية بالرياض وبيان أنها كفر ناقل عن الملة: (واعتبار شــيءٍ من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شــكَّ أنه عدم رضــا بحكم الله

ورسـوله ونسـبة حكم الله ورسـوله إلى النقص وعدم القيام بالكفاية في حل النزاع وإيصـال الحقوق إلى أربابها وحكم القوانين إلى الكمال وكفاية الناس في حل مشـاكلهم، واعتقاد هذا كفرٌ ناقلٌ عن المِلة والأمر كبير مهم وليس من الأمور الاجتهادية... وتحكيم شرع الله وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحدة دون ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن الله هو المعبود وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن الله هو المعبود وحده لا شريك له وأن يكون رسوله هو المتبع المحكِّم ما جاء به فقط، ولا جردّت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك والقيام به فعلاً وتركاً وتحكيماً عند النزاع.)

ويقول العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في "أضواء البيان": (تحكيم النظام المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم كفر بخالق السماوات الأرض وتمرد على نظام السماء الذي وضعه مع خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها -سبحانه وتعالى- أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً، قل آالله أذن لكم أم على الله تفترون.)

ويقول الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- في تعليقاته على كتاب التوحيد، في شأن مُحكِّم القوانين الوضعية: (فهو بلا شك كافرٌ مرتدّ إذا أصرّ عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله، ولا ينفعه أي اسم تسمّى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحج ونحوها.)

ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في تحكيم القوانين الوضعية: (فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام الكفار على حكم الله سبحانه، وهذا كفرٌ لا يشك أحدٌ من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه.)

هذه أدلةٌ من الوحي صحيحة، ونقولٌ عن العلماء صريحة في محل النزاع، تَقطعُ الخلاف وتُسكتُ الجدَل وتُخرِسُ المكابرة، ولولا مخافة التطويل لاسترسلنا في هذه الأدلة والنقول، فهذا الموضوع يُشَكِّلُ الموضوع الرئيسي في القرآن الكريم كله ولكن نظن أن فيما ذكرنا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

بقي أن نذكرك بما تمارسه أنت ونظام حكمك من تحكيم لهذه القوانين الكفرية وتعطيل لأحكام الله الشرعية. إن الإنسان العادي -فضلاً عن الباحث المدقق- لا يجد عناءً في إثبات أنك ونظام حكمك مشرعون ومحكِّمون للقوانين الوضعية وملزمون الناس بالتحاكم إليها، فنظرة خاطفة على لوائح المحاكم التجارية والقوانين التي تشّرع وتبيح المعاملات الربوبية في البنوك وغيرها، وقانون العمل والعمال وقانون الجيش العربي السعودي، وغير ذلك من القوانين الكفرية التي تؤكد المدى الذي وصل إليه تحكيم هذه القوانين الكفرية من التوسع والنفوذ داخل البلاد.

وقد ذكرت «مذكرة النصيحة» وجود عشرات الهيئات القانونية التي تحكم بين الناس بالقوانين الوضعية التي تسوسون بها البلاد والعبد في الداخل، ناهيك عما يحكم البلاد في علاقتها الخارجية من تلك القوانين التي نأخذ مثالاً لها التزامكم بالتحاكم إلى هيئة تسوية المنازعات بين دول مجلس التعاون الخليجي، فهذه الهيئة التي تتحاكم

إليها الدول المتنازعة الأعضـاء في المجلس وفي مقدمتها دولة المقر -السـعودية- هيئة قانونية كفرية وضعية مما لا يدع مجالاً للشـك، فقد نصحت مبينة مصادر أحكامها وقوانينها في المادة التاسعة من نظامها الأساسي قائلة:

"تصدر الهيئة توصياتها وفتاويها وفقاً لـ:

١. أحكام النظام الأساسي لمجلس التعاون.
٢. والقانون الدولي.
٣. والعرف الدولي.
٤. ومبادئ الشـريعة الإسـلامية، على أن ترفع تقاريرها بشـأن الحالة المطروحة عليها إلى المجلس الأعلى لاتخاذ ما يراه مناسباً."

أيُّ استهزاءٍ هذا بدين الله وأيُّ احتقارٍ لشريعته؟

أما اكتفيتم من الكفر والضلال بأن جعلتم شريعة الله السماوية وأحكامه القرآنية في آخر قائمة مصادر أحكامكم وقوانينكم مقدماً عليها حثالة أفكار البشـر الوضـعية وعادات وأعراف الأمم الجاهلية وأحكام النظم القانونية الكفرية حتى جعلتموها تحت رحمة مجلسكم الأعلى ليتخذ منها ما يراه مناسباً لهواه؟

ماذا يقول حماة الدين وحراس العقيدة ودعاة التوحيد في التحاكم إلى مثل هذه الهيئات والمحاكم يا "خادم الحرمين"؟ إن الإجابة واضحةٌ وضوح الشـمس في رابعة النهار لا تقبل التلكؤ، ولا التلعثم، ولا المراوغة ولا المداهنة، كما بيّنّا فيما سـبق، إنه كفرٌ بواح مُخرجٌ من المِلة بدليل الكتاب والسُـنّة وإجماع الأُمَّة. وهذه بعض فتاوى

العلماء الأعلام، تُبَيِّن وجود هذه القوانين من جهة وحكمها الشـــرعي من جهةٍ أخرى:

يقول الشـــيخ محمد بن إبراهيم –رحمه الله– عن قوانين المحاكم التجارية في رســـالةٍ وجّهها إلى أمير الرياض في وقته: (وقد انتهى إلينا نســـخة عنوانها نظام المحكمة التجارية بالمملكة العربية السعودية ودرسنا قريباً نصفها فوجدنا ما فيها نظماً وضعية قانونية لا شـــرعية ... واعتبار شـــيء من القوانين للحكم بها ولو في أقل القليل لا شـــك أنه عدم رضـــا بحكم الله ورســـوله ... واعتقاد هذا كفرٌ ناقلٌ عن المِلة.) [من فتاوى الشيخ ١٢/٢٥١].

ويقول رحمه الله في رســـالةٍ وجهها إلى رئيس المحكمة العليا بالرياض في شـــأن قانون نظام العمل والعمال الذي يحكمه مكتب العمل والعمال وما يجب على المحاكم الشـــرعية تجاهه: (من مُحَمَّد بن إبراهيم إلى حضـــرة فضـــيلة رئيس المحكمة العليا بالرياض، الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد... فقد اطلعنا على خطابكم حول المعاملات التي ترد من مكتب العمل والعمال. والذي يتعّين اتباعه في مثل هذا إنما أحيل للمحكمة للبت فيه وإنهائه فعلى المحكمة النظر فيه لأنه من صـميم عملها أمّا أذا أحيلت المعاملة لإنفاذ توجيه من مكتب العمل ثم تعاد إليه لينهيها بموجب تعليمات ونظم ما أنزل الله بها من سـلطان فلا يسـوغ للمحكمة الالتفات لمثل هذا التوجيه لأن ذلك يعد من المحكمة موافقة، بل مســـاعدة على التحاكم بغير ما أنزل الله.) رئيس القضاء ١٣٧٩/١٠/٢٣ هـ. [من فتاوى الشيخ ١٢/٢٥١].

وفي نفس الموضــوع -نظام العمل والعمال- كتب الشــيخ العلامة عبد الله بن حميد رئيس القضاء -رحمه الله- رسالته المعروفة في بيان أن التحاكم إلى قوانين هذا النظام كفرٌ مُخرجٌ عن المِلة. هـذه بعض الفتاوى التي تثبت وجود هـذه القوانين من جهة وتُبَيِّن الحكم الشرعي لها من جهة أخرى ولا داعي للاستطراد فالأمر واضح جلي.

ومما هو معروف أن هنالك فَرْقاً جلياً بين من يرتكب كبائر من قبيل أكل الربا مع اعتقاده بحرمتها، وبين من يشـــرّع قوانين تبيح تعاطي هذه الكبائر، فالذي يتعاطى الربا مثلاً وهو مقر بحرمته مرتكبٌ لكبيرة من أكبر الكبائر والعياذ بالله لكن الذي يشـرّع ويقنن القوانين التي تبيح الربا فهو كافرٌ مرتد!! ولســنا بحاجة إلى تنبيه الناس إلى أبراج البنوك الربوية التي تزاحم مآذن الحرمين الشرفين وتعمل بقوانينكم الوضعية.

إن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾؛ حكم منه تعالى بنفي الإيمان عمّن لم يحكّم شرعه مستسلماً منقاداً، وقد أكد سبحانه هذا الحكم بأدوات التأكيد المختلفة وفي مقدمتها قسم بنفسه سبحانه وتعالى، وهذه الآية مع ما سبق من بيان النبي ﷺ لعُديّ بن حاتم في آية: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ تدحض أية شبهةٍ وتقطع أيِّ متعلق يمكن أن يتشبَّث به المخالف.

الوجه الثاني: موالاة الكفار ومعاداة المسلمين

ليست هنالك سمة للسياسة الخارجية في نظام حكمكم أبرز من ربطكم إياها بمصالح الدول الغربية والصليبية والأنظمة الطاغوتية في البلاد الإسلامية، ومثبت هذه الحقيقة

لا يحتاج إلى كثير عناء فالقاصي قبل الداني يعرف مدى هذا الارتباط، فنظام حكمكم الذي يتبجح بحماية العقيدة وخدمة الحرمين هو الذي أعلن عن دفع أربعة مليارات من الدولارات مساعدة للاتحاد السوفيتي السابق الذي لم يغسل بعد يديه الملطخة بدماء الشعب المسلم في أفغانستان، وذلك سنة ١٩٩١م.

ونظام حكمكم -حارس العقيدة السمحة!!- هو الذي دفع قبل ذلك آلاف ملايين من الدولارات للنظام النُصيّري السوري سنة ١٩٨٢م، مكافأةً له على ذبح عشرات الآلاف من المسلمين في مدينة حماة، وهو كان يدعم الموارنة النصارى من حزب الكتائب اللبناني ضد المسلمين هناك. ونظام حكمكم -الرشيد!!- هو الذي دفع مليارات الدولارات للنظام الطاغوتي الذي يطحن الإسلام والمسلمين في الجزائر. ونفس النظام هو الذي دعم بالمال والسلاح المتمردين النصارى في جنوب السودان. ومع كل هذه العظائم الجمّة في حق المِلة والأُمَّة، فإن نظام حكمكم أفلح إلى حين في مخادعة بعض الناس وتضليلهم عن هذه الحقائق.

إلا أن الله أبى إلا أن يكشف حقيقتكم بأحداث اليمن الأخيرة التي مزَّقت آخر الأقنعة التي كنتم تتموهون بها وتضللون الناس من ورائها، فقد كان دعمكم السياسي والعسكري للشيوعيين اليمنيين القاصمة التي قصمت ظهركم سياسياً الحالقة التي حلقت مصداقيتكم إسلامياً ... إن أحداث اليمن أوقعتكم في تناقض فظيع، أظهر أن دعمكم للمجاهدين الأفغان ليس حباً في الإسلام، ولكن حمايةً للمصالح الغربية التي كان يهددها كسب الروس للمعركة هناك، وإلا فإن الشيوعي الأفغاني لا يختلف عن الشيوعي اليمني والمسلم اليمني لا يختلف عن المسلم الأفغاني

أيضاً، فكيف نفسر دعمكم للمسلمين ضد الشيوعيين في أفغانستان، ودعمكم ضد المسلمين في اليمن؟

هذا التناقض لا يمكن أن يفهمه إلا من عَلِمَ أن سياستكم مملاةٌ عليكم من الخارج من قِبَل الدول الغربية الصليبية التي ربطتم مصيركم بمصالحها، ولذا فما تقومون به أحياناً من دعم لبعض القضايا الإسلامية ليس دافعه -كما بيّنا- حب القضايا الإسلامية ومناصرة أهلها، بل دافعه الحقيقي هو حماية مصالح الدول الغربية الكافرة التي قد تتلقي مع تلك القضايا الإسلامية، كما حصل في أفغانستان.

والدليل على ذلك أن القضايا الإسلامية التي تتعارض مع المصالح الغربية، وقفتم فيها لدعم تلك المصالح على حساب أصحاب القضايا المسلمين، فهذا شعب الصومال المسلم قد وقفتم ضد مصالحه مع السياسة الأمريكية وبذلتم في ذلك مال الأُمَّة المغصوب، ورجالها المكرهين. وقبل ذلك وبعده، ها هي قضية فلسطين أم القضايا الإسلامية، قد باركتم مسيرة التطبيع والتركيع والتضييع التي تُسيَّر فيها ومضيتم في مسلسل السلام والاستسلام المفروض فيها، وتطوعتم بدفع جزء كبير من تكاليف العملية رغم الضائقة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، حيث تبرعتم بمائة مليون دولار لسلطة ياسر عرفات العلمانية التي جيء بها لتمارس ما عجزت عن تحقيقه سلطات الاحتلال اليهودي من قمع ضد الشعب الفلسطيني المسلم، ومحاربة لحركاته الجهادية وفي مقدمتها حركة المقاومة الاسلامية "حماس".

ولم يمنعكم من دعم سلطة عرفات واستقباله في الرياض موقفه العدائي منكم إبان حرب الخليج ودعمه الواضح لصدام حسين، فقد بلعتم منه تلك الإهانة مراعاةً لخاطر الراعي الأمريكي لمسيرة السلام المزعوم!!

ولا غرو في ذلك، فحتى لو لم تكن على قناعة شخصية بعملية السلام المزعوم، فليس أمامك إلا الاستجابة لأوامر وليّ أمرك الأمريكي، أوَ ليس الرئيس الأمريكي كلينتون هو الذي لما زار البلاد رفض أن يزورك في الرياض، وأصرَّ على أن تأتيه صاغراً ذليلاً في القواعد الأمريكية في حفر الباطن؟ الرئيس الأمريكي بتصرفه ذلك أراد أمرين:

- أولهما: أن يؤكد أنّ زيارته أساساً هي لقواته المرابطة في تلك القواعد!!
- وثانيهما: أن يلقنك درساً في الذلة والمهانة حتى تعلم أنه وليُّ أمرك حقيقةً حتى داخل مملكتك المزعومة التي ليست في الحقيقة أكثر من محميةٍ أمريكية يسري عليها القانون الأمريكي!!

إن مما لاشكَّ فيه ولا نزاع بين العلماء أن موالاة الكفار ومناصرتهم ضد المسلمين تعتبر ناقضاً قطعياً من نواقض الإسلام، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام العشرة، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**لاَّ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الآخر يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ وقد جعل تعالى اتخاذ الكافرين

أولياء من دون المؤمنين ابتغاء للعزة عندهم، من خصـــائص المنافقين، قال تعالى: ﴿بَشِّــرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وموالاة الكفار كما قال أهل العلم هي إكرامهم والثناء عليهم والنصـرة والمعاونة لهم على المؤمنين والمعاشـرة وعدم البراءة منهم ظاهراً، فهذه ردّة من فعلها يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين، كما يدل على ذلك الكتاب والسُنّة وأقوال علماء الأُمّة المقتَدَى بهم، ولله درُّ القائل:

ومن يتـول الكـافريـن فمثلـهم ... ولا شـكَّ في تكفـيره عند من عقل
وكل محـب أو معـين ونـاصرٍ ... ويظـهر جهـراً للوفـاق علـى العمل
فهم مثلـهم في تكفـيرٍ من ريـبةٍ ... وذا قول من يدري الصواب من الزلل

فماذا يقول أهل العقيدة النقية والتوحيد الخالص أيها الملك في أفعالكم الكفرية؟ وبماذا يجادل الذين يدافعون عنكم بالباطل؟

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.

والآن وبعد أن تَبَيَّنَ خروج نظام حكمك عن مقتضـيات كلمة التوحيد وعقيدته السمحة التي تتشدق دائماً بدعوى حمايتها، تعال لنقوِّم بكل موضوعية إنجازاتك في المجال الدنيوي بعد أن كشفنا حقيقتكم بالميزان الشرعي... وسنناقش معك ذلك في النقاط التالية:

أولاً: الوضع الاقتصادي

لا شكَّ أنك تدرك معنا أن البلاد ترقدُ على بحيرةٍ من النفط تمثل ربع احتياطي العالم من هذه المادة التي لا تخفى أهميتها، وتدرك معنا أيضاً أن البلاد تنتج ثلث إنتاج منظمة الأوبك، وتدرك معنا أن كذلك أن متوسط الدخل اليومي للبلاد خلال الأعوام الماضية كان يساوي مئة مليون دولار يومياً من عائدات النفط، فضلاً عن احتياطي مالي كان يقدر مع بداية توليك الحكم بمائة وأربعين مليار دولار، أي أكثر من احتياطي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مجتمعة في ذلك الوقت. لقد كانت البلاد في ظل المعطيات الاقتصادية السابقة وقلة عدد السكان نسبياً أن تُشَكِّلَ ظاهرةً اقتصاديةً مناهضةً للحس الاقتصادي السليم عند بعض من ظنوا أنه لن يأتي اليوم الذي ينهار فيه اقتصاد البلاد لتصبح من أكثر الدول مديونية في العالم.

لكن سياستك الانتحارية خيّبت آمال هؤلاء وغيرهم، فلم يكد يمضي عقدٌ من الزمان على توليك الحكم، حتى انقلبت كل الموازين وتبدل كُلُّ شيء، فأصبحت البلاد مدينة بما يناهز ثمانين بالمائة من مجمل دخلها، وتحول المواطن من صاحب أكبر احتياطٍ مالي إلى أحد أكثر المواطنين ديناً في العالم. وألقى الوضع الاقتصادي المنهار بكل ثقله على حياة المواطنين والمقيمين الذين أثقلت كواهلهم الضرائب والمكوس وخنق جيوبهم غلاء الماء والكهرباء والغذاء، حيث ارتفعت أسعار هذه المواد بشكل جنوني لم يسبق له مثيل.

ولم يكن وضع التعليم بمنأى عن الكارثة، حيث تعاني المدارس من اكتظاظ كبير في الفصول يعاني من نتيجة الطلاب والأساتذة وأولياء الأمور، وزاد من سوء الوضع

عجز الوزارة عن صيانة الفصول الموجودة بالفعل، فضلاً عن عجزها عن بناء فصول جديدة.

وليس وضع المستشفيات بأحسن من وضع للمدارس، حيث عجزت الدولة حتى عن صيانة المستشفيات التي تحوّل كثير من أجنحتها إلى ما يشبه مسالخ بشرية فيظل عدم توفر الدواء والعلاج والعناية الطبية المطلوبة، ناهيك عن عجز الوزارة عن بناء مستشفيات جديدة.

ومما زاد وضع البلاد سوءاً على سوء تفشي البطالة بين صفوف الشباب والخرجين من أصحاب الشهادات الجامعية، حيث يقدر عدد العاطلين من هؤلاء ممن أعياهم توفير فرصة العمل بمائة وخمسين ألف يزداد عددهم كل عام ويتقلص سوق العمل وتنكمش أمامهم على الدوام بفعل الأزمة الاقتصادية الحالية التي تزداد سوءاً على سوء.

ومع اشتداد هذه الأزمة وتفاقم الأوضاع سوءاً، لا تستحي أنت ونظام حكمك أن تدعوا الناس إلى الاقتصاد في الاستهلاك في الطاقة وغيرها في الوقت الذي كان سلوككم أسوأ قدوة للمواطنين تشجعهم على مزيد من البذخ والتبذير، فكيف تدعون الناس إلى الاقتصاد في الطاقة، والكل يرى قصوركم الساحرة منارةً مكيّفة بالليل والنهار؟

إن حجم إنفاقكم من مال الأُمَّة العام على تلك القصور والدور داخل البلاد وخارجها، حجمٌ مذهلٌ ومخيف، فهو يُقَدَّر بآلاف الملايين من الدولارات، والحديث

عنه يطول، والمتحدث لا يدري من أين يبدأ، أَيَبدَأ من مدينة جدة والجزر الصناعية الساحرة التي أُقيمَت عليها هناك أفخم القصور على أوسع الأراضي على الساحل؟ أَم يبدأ بالرياض التي لم تكتف ببناء القصور على ظهر أرضها حتى بنيت تحتها؟ أَم يبدأ في قصورك في مِنى والطائف والهدا والشفا ومكة المكرمة والمدينة المنورة وبقية مدن البلاد؟ أم يُترَك كل هذا ويبدأ بقصورك في بقية العواصم والمنتجعات الغربية؟ تلك القصور التي لم تدخل كثيراً منها فيما مضى من عمرك ولن تدخلها على غالب الظن فيما تبقى منه.

لو كان هذا الكلام من غيرنا لظننت أنه يمكن أن تكذِّبه، ولكنك تعرف محدثيك، وأنهم من أدرى الناس بهذه الحقائق التي لم تَعُد تَخفَى على العامة فضلاً عن الخاصة **﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾**.

لقد كان من ولعك ومن حولك ببناء القصور وكنز المال والتنافس بينكم سبباً رئيساً وراء انصراف كثير من جهدكم ووقتكم في هذا السبيل، حيث مزق التنافس بينكم علاقاتكم الداخلية بعد أن أثار حفيظة بعضكم وهيّج غضبه ما استأثرت به أنت والمقربون إليك من الامتيازات المادية، فصدق قوله ﷺ: «تعِس عبد الدينار، تعِس عبد الدرهم، تعِس عبد القطيفة، تعِس عبد الخميلة، إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيكَ فلا انتقش» رواه البخاري.

إن هذ الإسراف والإنفاق من مال الأمه العام واهتمامكم بمصالحكم الشخصية وتنافسكم في ذلك كان أحد أبرز الأسباب التي قادت البلاد إلى هاوية الإفلاس التي وصلت إليها فيضل سياستكم -الرشيدة!!- **﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ**

الشَّيَاطِينِ﴾، إن الأزمة الاقتصادية الحالية وما تنذر به من أخطار ويترتب عليها من آثار، لم تأت بدون مقدمات وأسباب بل كانت محصلة جملة من التصرفات والسياسات القاتلة التي ارتكبتها أنت والمتنفذون من عائلتكم الحاكمة.

ومن أهم هذه الأسباب، فضلاً عما أشرنا إليه من البذخ والإسراف الذي تمارسونه هو:

١. دوركم في تدهور أسعار النفط:

لقد بدأت أسعار النفط في التدهور منذ عقد الثمانينات، غير أن آثار هذا التدهور لم تظهر بشكل علني على اقتصاد البلاد إلا في عقد التسعينات، حيث كنتم دائماً تلجأون إلى احتياطي البلاد المالي لتغطية عجز الميزانية المستمر في سياسةٍ حمقاء استنزفت احتياط البلاد المالي ولم تقدم أي حل للأزمة التي تتفاقم يوماً بعد يوم. وللتذكير فإنك تعلم أن التبعية المطلقة من قِبلِكم لسياسات الدول الغربية وتوجيهاتهم لكم بدعم صديقكم السابق صدام حسين بخمسة وعشرين مليار دولار وبزيادة الإنتاج لتخفيض الأسعار، لإلحاق الضرر بإيران أثناء حربها معه، كان لها دور كبير في تدهور أسعار النفط إلى المستوى الحالي الذي يخدم المستهلكين الغربيين، ومع أن الغرب حريص على عدم قتل الدجاجة السعودية التي تبيض لهم الذهب الأسود، فإنهم أشد حرصاً على أن يبقى سعر هذا البيض متدنياً إلى أدنى حد ممكن.

٢. عدم العمل الجاد على إيجاد مصادر دخل أخرى:

مع أنه من المعلوم أن النفط مصدر عائدات معرض للنضوب وتقلب الأسعار دائماً، ومع أن البلاد مؤهلة لتطوير مصادر دخل أخرى كثيرة ومتوفرة، إلا أن نظامكم

فشل في تطوير تلك المصادر، وظلت البلاد معتمدة بشكل شبه كلي على عائدات النفط فقط.

٣. الإنفاق الجنوني على قوات الحلفاء في حرب الخليج:

رغم الضائقة المالية التي كانت تمر بها البلاد أثناء حرب الخليج ورغم أن تدمير قوات وشعب العراق المسلم كان هدفاً للدول الغربية قبل غيرها، إلا أن دول التحالف وجدت فرصة سانحة لابتزازكم واستغلال مشاعر خوفكم وجبنكم، فأصرت على أن تسددوا فاتورة الحرب بشكل شبه كامل، حيث صرفتم على تلك الحرب حوالي ستين مليار دولار ذهب منها حوالي ثلاثين مليار في الجيب الأمريكي وحوالي نصف ذلك المبلغ إلى بقية الحلفاء، وصرف الباقي في عمولات وصفقات ورشاوى محلية. ولم تقف تكاليف الحرب عند هذا الحد فقط، بل دفعكم ولاؤكم لدول الحلفاء إلى عقد صفقات أخرى كانت مكافأة لها بعد الحرب، حيث كلفت هذه الصفقات حوالي أربعين مليار دولار ثمناً وهمياً لصفقات عسكرية ومدنية مع الأمريكان لوحدهم، فضلاً عن عقد شراء طائرات التورنيدو البريطانية الذي جاء مجاملة لرئيس وزراء بريطانيا جون ميجر دون أن تكون هناك طاقة بشرية في جيش البلاد لاستخدام هذه الطائرات، كما ثبت أثناء حرب الخليج، فضلاً عن عدم كفاءتها، كما شهدت بذلك اللجنة الفنية في الجيش، وسنفصل هذا الموضوع لاحقاً.

وبدلاً من وضع سياسة ناجعة لتلافي الموقف وتدارك الوضع الاقتصادي المنهار، اتخذت ونظام حكمك سياسات اقتصادية انتحارية زادت الطين بلة.

ومن هذه السياسات:

- القضاء على رصيد الدولة المالي في الخارج:

سبق أن ذكرنا أنّ أرصدة الدولة في الخارج كانت تقدر بمائة وأربعين مليار دولار مع بداية توليك للحكم، وكان دخلها السنوي في ذلك الوقت يقدر بسبعة وتسعين مليار دولار. ولك أن تتصور معنا درجة السفه في الإنفاق إذا تذكرت أنّ هذا الاحتياط قد قضي عليه تماماً بعد سبع سنوات فقط من ذلك التاريخ.

- الاقتراض الربوي من البنوك المحلية والعالمية:

رغم ما في الربا من الوعيد الشديد ومبارزة الله بالحرب ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ ورغم ما أثبته الواقع من أنّ نظام القروض الربوية التي تقدمها البنوك لا تزيد الفقير إلاّ فقراً يوماً بعد يوم، رغم كل ذلك فإنك ونظام حكمك أغرقتم البلاد في بحر من الديون التي ليس في الأفق مؤشر على إمكانية التخلص حتى من فوائدها الربوية في ظل عجز الدولة عن تسديد مجرد تلك الفوائد الربوية، وكمثال على حجم تلك الديون، ففي سنة ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م لوحدها التجأتم إلى اقتراض عشرات مليارات الدولارات من البنوك المحلية والعالمية، وقد حلت هذه الديون بفوائدها الربوية المركبة سنة ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤م دون أن تتمكن الدولة من الوفاء بالتزاماتها لأصحابها مما يعني أنّ تسديد مجرد الفوائد الربوية سيبقى يثقل كاهل ميزانية الدولة، ناهيك عن تسديد أصل الدين، وتركتم بذلك مستقبل البلاد ومستقبل أجيالها القادمة مرهوناً بأيدي المؤسسات الدولية التي لا تقف سيطرتها على المجال الاقتصادي للبلدان المدينة فقط، بل تتعداه إلى السيطرة

على القرار السياسي لهذه البلدان. هذا فضلاً عن مائتي مليار ريال ديون لأكثر من ثلاثة آلاف تاجرٍ ومقاولٍ على الحومة لا زالت تماطلهم في تسديدها.

لقد حطّمتم بتصرفاتكم تلك كل الأرقام القياسية في التبذير والإسراف من المال العام ففتم بذلك من قِبلكم وفتّم من بعدكم، فهنيئاً لكم على ذلك! وهذا غير مستغرب منكم، فأمثالكم لا يهمهم مستقبل بلادهم وشعوبهم بقدر ما تهمهم تلبية شهواتهم الذاتية ونزواتهم الآنية.

لقد غاب عنكم وأنتم تمارسون هذه التصرفات المصير المرعب الذي صار إليه شاه إيران وماركوس الفلبين وتشاوسيسكو رومانيا وغيرهم من مصاصي دماء شعوبهم غير المكترثين بمصير بلادهم. إن البلاد حقيقةً تمر بأخطر أزماتها الاقتصادية التي مرت بها حتى الآن، فقد كانت الأزمة الأولى سنة ١٣٨٥/٨٤هـ ١٩٦٥/٦٤م بسبب فوضوية إدارة الملك سعود التي انتهت بعزله، وكانت الثانية سنة ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٦م بسبب الانهيار المفاجئ في أسعار النفط. وإذا كانت الأزمة الأولى قد حُلت بعزل الملك سعود وحاشيته، والثانية قد تجاوزتها البلاد بلُجوئها إلى احتياطها المالي الضخم آنذاك، فإنّ الأزمة الحالية وفي ضوء القضاء التام على رصيد الدولة المالي من جهة، وفقد مصداقيتها المالية في الداخل والخارج من جهةٍ أخرى، تبدو غير مبشرة بالانفراج في المستقبل المنظور.

لقد كان عجزك عن معالجة الأزمة في الوقت الذي كانت البلاد تملك احتياطياً يُقدر بمائة وأربعين مليار دولار، وليس عليها أية ديون، أقوى دليل على فشلك في

معالجتها بعد القضـاء على ذلك الاحتياطي وغرق البلاد في بحر متلاطم من الديون الربوية، قال الشاعر:

فمن خانه التدبير والأمر طائعٌ   فلن يحسن التدبير والأمر جامحُ

ولم يعد يجدي هنا ما تقوم به وسائل إعلامك من تضليل للناس وتلبيسٍ عليهم، وإيهامهم بأنّ الأزمة أوشكت على الانفراج، فكذبُ هذه الوسائل الإعلامية وخداعها لم يعد ينطلي على الأُمَّة التي وصل بها الوعي مرحلةً لم تعد تصدق معها مثل هذه الأكاذيب المفضوحة. إنّكَ بإهدارك لأموال الأُمَّة، وإسرافك في تبذيرها، وكذبك عليها بعد ذلك، فقد جمعت بين الخصال التي حكم الله على صاحبها بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾، هذا إذا كان إنساناً عادياً، أما إذا كان ملكاً، فالملك الكذّاب أشد عقوبةً عند الله من غيره من الناس، كما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وجاء فيه: «ثلاثةٌ لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذّاب، وعائلٌ مستكبر».

وفي ضوء المعطيات الواقعية السابقة يبدو الحل الذي انتهت به أزمة الملك سعود، وهو خلعه من الملك أفضل الحلول الجذرية المطروحة. وقبل ذلك تبقى الحلول الترقيعية أمامكم مريرة وقاسية من جهة، وغير ناجعة ولا فعّالة من جهةٍ أخرى، فهل ستعمدون إلى تخفيض الريال مثلاً؟ قد يرجع عليكم هذا الإجراء بانفراج مؤقت، غير أنّ هذه الخطوة لها آثار سياسية أخطر من آثارها الاقتصادية، فهل ستجازفون بمكانتكم الطامحة إلى زعامة مجلس التعاون وتخفضون الريال مقابل

عملات الدول الأخرى؟ طموحكم السـياسـي وحبكم للزعامة يمنعكم من ذلك، خاصةً أن زعامة هذه الدول هي ما تبقى لديكم من حلم زعامي عريض تبدد بعدم تحقيقكم أية مكانة معتبرة في العالم العربي والإسـلامي الذي كانت البلاد يوماً من الأيام تتحدث باسمه وتتولى زعامته في عهد الملك فيصـل. فهل سـتزيدون من الضـرائب والمكوس على المواطنين والمقيمين بتوفير مزيد من المال لخزانة الدولة المفلسـة؟ قد تنجح هذه الخطوة بتوفير قدر من السـيولة لا شـك، لكنّ ذيولها السياسية قد تمنعكم من المضي فيها إلى النهاية، لأن المواطن قد يسكت مضطراً عن تبذير مال الأمة العام من قِبلكم، ولكنه لن يسـكت وهو يرى الضـرائب والمكوس التي جُبيَت من عرق جبينه تُصـرف في لذات وشـهوات المسـتهترين والمتنفذين من الأسرة الحاكمة!!

يبقى أمامك حلٌ آخر وهو بيع مؤسسات الدولة للقطاع الخاص، ومع أنكم قطعتم خطوات في هذا المجال، إلا أن هناك صـعوبات تعترضـكم ونحن نقدرها من جهتنا، فالإحراج والإهانة التي تلحقكم ببيع هذه المؤسـسـات التي تعتبرونها من أثاث بيتكم الخاص، وما يؤذن به بيع هذا الأثاث علانية من مستوى إفلاسكم هي أمور مقدرة ومعتبرة من قبل من يعرفون حرصكم على الأبّهة والظهور والاستكبار والغرور.

إنّ مشـكلتكم أنّ هذه الحلول الجزئية مع مرارتها وقسـوتها هي أحلى الأمرين بالنسبة لكم، لأن الحلول الجذرية تعني أول ما تعني القضـاء على أسـباب الأزمة وعلى رأس هذه الأسـباب وجودكم في الحكم، فالمعادلة الصـعبة أن يكون بقاؤك سـبب فنائك واستمرارك سبب انتهائك.

ثانياً: الوضع العسكري

لعلك تتفق معنا أن جيش البلاد ظل لعقود من الزمن يستحوذ على ثلث ميزانية الدولة، في حين أن دولة نووية مثل فرنسا تنفق على جيشها ٤٪ فقط من ميزانيتها، وتتفق معنا كذلك أن الجيش رغم الأرقام الفلكية التي صُرفت عليه ما هو في الحقيقة إلاّ أكوام من السلاح والعتاد الذي ليست له طاقة بشرية تستخدمه، ولا غرو في ذلك، فما صُرف على هذا الجيش لم يصرف لتقويته وإعداده، بل صُرف ليشكل مصدر رزق للأمراء المتنفذين، وليكون مضخة تعويضات لحماة عرشكم وأوليائكم الغربيين الذين عُقدت كثير من الصفقات أداءً لضريبة الذل والتبعية لهم، وكمثال على ذلك شراء سبعين طائرة من نوع "إف ١٥" من أمريكا دعماً لجورج بوش في حملته الانتخابية بعد حرب الخليج، وكذلك جاءت صفقات أسطول طائرات الخطوط الجوية السعودية وصفقات توسعة الهاتف جبراً لخاطر كلنتون الذي انكسر بدعمكم لمنافسه جورج بوش، وكذلك شراء ٤٨ طائرة "تورنيدو" من بريطانيا لنفس الأسباب.

وإذا أدركنا ما وراء هذه الصفقات، أدركنا سر أداء وزير الدفاع المخزي أثناء حرب الخليج.

إنّ سلاح الجو الذي يملك خمسمائة طائرة مقاتلة لم يسجل طوال هذه الحرب أي عمل يُذكر باستثناء إسقاط طائرتين عراقيتين ليس لهما أي غطاء جوي. أمّا البحرية التي تمتلك ثلاثين بارجة منها عشرين قاذفة صواريخ، فلم تطلق أية طلقة طوال مدة

الحرب. ولم يكن سلاح البر بأحسن حالاً من سابقيه، فلكي يجهز لواء مدرعات واحد، اضطرت البلاد أن تحضر الفرق التقنية اللازمة من الباكستانيين.

وهكذا ذهبت مئات المليارات من الدولارات التي صُرفت على هذا الجيش أدراج الرياح!!

إن الإنسان ليصاب بالذهول والدهشة عندما يترك المجال للأرقام تتحدث عن إنفاقات وزارة الدفاع التي يجلس على عرشها أقدم وزير دفاع في العالم الأمير سلطان الذي يتولاها منذ اثنين وثلاثين عاماً وكأنه لا زال يطالب بإتاحة الفرصة له لإثبات كفائتة بعد الفشل الذريع الذي مُني به وكشفته حرب الخليج.

ولكي نتصور جانباً من الصورة المذهلة لإنفاقات هذه الوزارة يكفي أن نعرف أن المواطن في الجزيرة العربية تحمّل من الإنفاق على الجيش أكثر مما تحمّله المواطن في عشر دول أخرى هي الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا إيطاليا، مصر، رومانيا، بولندا، إسبانيا، الإكوادور، الأورجواي، وأيرلندا، فقد صرف المواطن في الجزيرة سنة ١٩٩٢م أكثر مما صرف المواطن في هذه الدول مجتمعة، مع العلم أنّ من بينها دولاً نووية وأعضاء في حلف شمال الأطلسي، ويتضح جانب آخر من هذه الصورة المذهلة عندما نعلم أنّ الفرد في القوات المسلحة في الجزيرة العربية أنفِقَ عليه أكثر مما أنفِقَ على الفرد العسكري في تسع دول مجتمعة هي: الولايات المتحدة، ألمانيا بلجيكا، الأرجنتين، الصين، إيران، العدو الصهيوني، كوريا الجنوبية، وتنزانيا. أليس من حقنا أيها الملك أن نسألك أين ذهبت كل هذه المبالغ؟ لا عليك في عدم الإجابة، فإذا عُلمت نسبة العمولات والرشاوي التي تَحصل عليها والأمراء المتنفذين

وعلى رأســـهم وزير الدفاع ســـلطان مع شـــركات الأســـلحة ومقاولات بناء المدن والقواعد العسكرية، فلن نتعب أنفسنا في السؤال عن مصير باقي المبالغ المصروفة، فلم يعد خافياً أنكم وتلك الشـــرذمة من الأمراء المتنفذين تســـتولون من كل صـــفقة على نسبة ما بين ٤٠-٦٠٪ من قيمتها!!

والنســـبة الكبرى من الأموال المتبقية تصـــرف في بناء قواعد وتجهيزات لا يتناســـب حجمها الضـخم وتجهيزاتها العالية مع عدد وكفاءة جيش البلاد، الشـيء الذي ينبئ أنها بُنيت لا لهذا الجيش، ولكن لتســـتخدم من قبل القوات الأمريكية والغربية التي ترابط في كثير منها الآن

هل ما زال العراق بعد تدمير قواته وتجويع شـــعبه المســـلم يشـــكل خطراً فعلياً على عرشكم؟ كل الحقائق تشهد بغير ذلك وتؤكد أنّ الخطر الذي ترابط هذه القوات من أجل دفعه ليس خطراً وهمياً من عراق مدمّر جائع!! بل هو الخطر الإســـــلامي في الداخل كما يقوله الخبراء بناءً على ما تعيشـــه البلاد من صـــحوة إســـلامية مباركة ومتصاعدة في جميع القطاعات المدنية والعسكرية.

ومهما يكن فليس هناك أي مســـوغٍ لإبقاء جيش البلاد في حالة العجز والقصـــور التي يعيشـها، في حين يفترض فيه حماية بلاد المسـلمين والدفاع عن قضـاياهم فضـلاً عن حماية البلاد المقدســـة، فمن غير المعقول الســـكوت عن تحويل البلاد إلى محمية أمريكية يدنسـها جنود الصـليب بأقدامهم النجسـة حمايةً لعرشـكم المتداعي وحفاظاً على منابع النفط في المملكة.

وفي ضوء الواقع الحالي أيها الملك، أليس من حق الأمة أن تتساءل عن الذي يتحمل زعزعة الأمن وإثارة الاضطراب؟ أهوَ النظام الذي أسلم البلاد لحالة العجز العسكري المزمن ليسوغ استجلاب القوات الصليبية واليهودية لتدنس الأماكن المقدسة؟ أَم هو الداعية الذي يدعو لإعداد الأمة وتجييشها لتتولى بنفسها شرف حماية دينها والدفاع عن مقدساتها والذب عن أعراضها؟

والحق أن اللوم في هذا المجال كله يقع عليك أنت ووزير دفاعك دون أفراد الجيش والحرس الذين يشهد لكثير منهم بالصلاح والشهامة والشجاعة ولكن ليس لهم من الأمر شيء، فقد كان خوفكم من أي عمل إصلاحي يُحتمل أن يقوموا به دافعاً لكم إلى تهميش كثير من ضباطهم وجنودهم، وزرع الجواسيس بين صفوفهم، وكان خوفكم من أي تنسيق محتمل بين الأسلحة المختلفة - البرية والبحرية والجوية للقيام بأيِّ عملٍ إصلاحي ضدكم سبباً وراء منعكم أي تنسيق أو حتى تعارفٍ كافٍ بينهم، مع ضرورة التنسيق لأي عملٍ عسكري ناجح، فكان ثمنُ محافظتكم على عرشكم ودفعكم لأوهام الخوف التي تلاحقكم هو ما لحق بالبلاد والعباد من عارٍ وشنارٍ بسبب حرب الخليج!!

-الخلاصة والاستنتاجات:

لقد ثبت لنا مما سبق أيها الملك، أن نظامكم قد ارتكب من نواقض الإسلام ما يُبطل ولايته عند الله، ويثبت عليه من الفشل الذريع والفساد الشنيع ما يوجب عزله عند الناس، فهو بتشريعه للقوانين الوضعية الكفرية وإلزامه الناس بالتحاكم إليها، وبموالاته ومناصرته للكفار ضد المسلمين قد ارتكب من نواقض الإسلام ما يوجب

عزله والقيام عليه، وبفساده الذريع وفشله الشنيع في مجالات الدفاع والاقتصاد وغيرها، أثبت عملياً عدم أهليته لأن يتولى تسيير أمور البلاد حتى ولو لم يكن على ما هو عليه من انتقاض الإسلام والردّة عن الدين.

لقد جمعت أيها الملك على الناس أعظم ما يستعاذُ من الشر وهو الكفر والفقر.

-ومن جملة ما سبق يتضح:

أنّ خلاف الأُمَّة التي يتقدمها العلماء والدعاة المخلصون والتجار وشيوخ القبائل مع نظام حكمكم ليس خلافاً عارضاً ولا نزاعاً عابراً، بل هو صراعٌ متأصل بين منهجيّن ونزاعٌ عميق بين عقيدتين، صراع بين المنهج الرباني المتكامل الذي أسلم الأمر لله في جميع شأن منهجه ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾، منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله بكل دلالاتها ومقتضياتها، وبين المنهج العلماني الصارخ، منهج ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾، منهج ﴿**يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ اِلاَّ اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾.

-وبناءً على ما تَقَدَّم:

فإنّ ما تقوم به الأُمَّة وفي صدارتها العلماء والمصلحون والتجار وشيوخ القبائل ضد نظام حكمكم لن يدخل قطعاً في باب الخروج المحظور على الحكّام، لأن نظام حكمكم فاقد للمشروعية كما بينا والمعدوم شرعاً كالمعدوم حساً، كما قرر أهل العلم، والحاكم إذا ارتد وجب الخروج عليه بإجماع الأمّة!! لكنّ هذا أيضاً لا يعني أن

كل تصرف من هذا القبيل يكون صواباً بالضرورة، فلكل مرحلة من مراحل التغيير مقومات عملها ووسائله وأهدافه. وتحديد ذلك لا يمكن باجتهاد شخصي متعجل، أو قرار فردي مُستفَز، بل يتم من قِبل قيادات الأمة من العلماء الصادقين والدعاة المصلحين الذين أثبتت المحن والابتلاءات جدارتهم وأهليتهم للتصدر لمثل هذه الأمور العظام.

ولا شكَّ أنه في مقدمات واجبات المرحلة الحالية الصدع بالحق والجهر به وبيان معاني ومقتضيات لا إله إلا الله وما يترتب على الخروج عنها حتى تكون الأمة على بصيرة من دينها ووعي من أمرها.

وبعيداً عن هذا وذاك، فإننا نرى أيها الملك أن من مصلحتك الشخصية ومن مصلحة عائلتك ومن حولك، وقد تقدمت بك السن ودب إليك المرض وحاصرتك الأزمات الداخلية والخارجية، أن تجنب الأمة والبلاد والعباد، مزيداً من العناء والشقاء والأزمات والاضطرابات وأن تقدم استقالتك فتريح وتستريح وتترك الأمة تمارس حقها بواسطة أهل الحل والعقد في اختيار من ينقذها من هذه الهاوية التي قدتها إليها، بعد أن انقطع الأمل في أن تصلح من حالك بعد أن تقدمت بك السن وشخت، فقديماً قال الشاعر:

فإنَّ سِفَاهَ الشيخِ لا حِلمَ بعده   وإنَّ الفتى بعد السفاهة يحلمُ

ولعلك تتذكر في هذا المقام أن الملك سعود عُزل في ما هو دون ما أنت علي من الفساد بعشرات المرات، وقد كنتَ وقتها في صدارة من سعوا في عزله، وحسناً فعلتَ

يومها، وليتك تفعل اليوم، ولا تقتصـر في ذلك على مجرد الاسـتقالة الشـخصـية، فلا بُدَّ من إقالة كل من كان له دور من وزرائك وحاشـيتك فيما آلت إليه الحال، فكما تحمّلت سـيئة تسـليطهم على رقاب العباد ومصـالح البلاد، فحاول أن تكون لك مزيّة تخليصها من شرّك وشرهم، وخاصةً وزير دفاعك الفاشل الذي لم يتولى أمراً وأتى منه بخير، سـواءً كان أمراً سـياسـياً أو إدارياً، فقد فجر ملف الحدود مع قطر، وكاد أن يشعلها حرباً ضروساً مع اليمن، هذا زيادة على فشله في إدارة وزارة الدفاع والطيران والخطوط الجوية التي أفلست على يديه.

وغير مجدية في هذا المقام التعديلات الوزارية الترقيعية التي تأتي في النهاية بوزراء مربوطين بفلك الفسـاد الكامن في أسـاس ورأس النظام الحاكم ويدورون حوله لا يملكون من الأمر شـيئاً، إذ على افتراض حسـن نيتهم وسـعيهم في الإصـلاح، فإن هامش صـلاحياتهم المحدود وسـلطتك المطلقة فوقهم لا تتيح لهم فرصـة أي إصلاح، فلا يستقيم الظل والعود أعوج.

وهذه المطالب بالاستقالة والإقالة ليست مطالب تعجيزية، فهي نفس ما دعوت إليه وقمت به وإخوانك بشأن الملك المخلوع سعود في السابق.

وقبل أن نضـع القلم؛ نطلبُ منك أن تفكر ملياً وتراجع نفسـك كثيراً أمام هذه الحقائق قبل أن تأخذك العزة بالرفض وتتخذ قرارك بمعاقبة كل من سـعى في إيصـال هذه الرسـالة إليك، وعكر مزاجك بها، كما فعلت مع كثير من عرائض ومذكرات النصح التي رُفعت إليك، والتي كان من أشهرها مذكرة النصيحة التي جاءتك حافلة بأهم المطالب الإصـلاحية مبينة الداء واصـفة الدواء بدقة العالم وحرارة الداعية

وإشفاق الناصح في أدب جم ووقار عظيم، ولم يكن منك إلا أن تجاهلت النصح وتغافلت عن الناصحين بل وقررت عقاب صفوة الأمة من العلماء والدعاة والمصلحين الذين رفعوها إليك، وأجلبت عليهم بخيلك ورجلك من سدنة نظام حكمك وزبانيته وهيئاته السلطانية وحاشيته من المخدوعين والمتمالئين، فاستصدرت الفتاوى التي ترمي بكل إفكٍ وتقذف بكل بهتان تلك النخبة من أبناء الأُمَّة والصفوة من علمائها التي لا زالت مرابطة بكل صبر وثبات في زنازين سجونك ووراء قضبانها الحديدية. نسأل الله أن يفك أسرهم ويسهل أمرهم ويثبتنا وإياهم على طريق دعوته وسبيل التمكين لدينه ﴿**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه**﴾.

ونسأله أن يعيننا على الوفاء بما عاهدناه عليه من الثأر لدينه، والانتقام لأوليائه عامةً وللذين يتعرضون لأنواع التعذيب والبطش على أيدي جلادي سجونكم خاصة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عنهم / أسامة بن محمد بن لادن
التاريخ ١٤١٦/٣/٥هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٣م)

وفي تقرير ما ذكرناه في هذا المبحث يقول الشيخ أبو مصعب السوري رحمه الله في "دعوة المقاومة": (لقد أحسن الشيخ أسامة اختيار طبيعة المعركة وتحديد العدو. فقد وفق -بحسب رأيي- لاختيار مفتاح الصراع والمواجهة. كما أحسن القائمون على تنفيذ هجمات سبتمبر صناعة صاعق الانفجار، وابتدأوا المعركة بهجوم ظافر كبد العدو خسائر فادحة، وجعل المسلمين يبتدئون المبادرة المذهلة. إلا أني أعتقد

أن الأمة الإســـلامية بكامل طاقاتها ما تزال غائبة عن المعركة، رغم أنها هي المعنية أساسا بهذا الجهاد ومادته ... وأن ساحة المواجهة ما تزال معطلة، إذ أن ساحتها الحقيقية هي بلاد المسلمين، حيث نزلت مختلف أشكال صائل اليهود والنصارى وأعوانهم من المرتدين والمنافقين. وأن على المشرفين على الصحوة الجهادية لهذه الأمة من الجهاديين جميعا أن يعملوا بقول الله تعالى: ﴿**فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف باس الذين كفروا والله أشد باسا وأشد تنكيلا**﴾ [النساء: ٨٤] ليقوم المؤمنون –كل المؤمنين– بمهمة الدفع الأساسية.

لقد أحسن اختيار اتجاه المعركة، ولكن لا يزال أمامنا الكثير من الجهد في مجال الدعوة والبيان وتحريض المؤمنين، لوضع المعركة إدارة وتنفيذا في ميدانها ومجالها الصحيح، كي نستعيد زمام المبادرة الذي استردته أمريكا بعد أحداث سبتمبر. وما زال في يدها إلى الآن..

ومهما يكن من أمر المواقف والآراء في الصف الإسلامي والجهادي من أحداث سبتمبر، فإن من المسلم به أنها قد أوجدت واقعا جديدا، يشكل بفعل الهجمة الأمريكية حملة طاغية تحتاج منا إلى مواجهة. وصرف الاهتمام لذلك. وهو خير ولا شك من إضاعة الوقت، في التلاوم وتجاذب الآراء حول الأحداث وملابساتها وفاعليها. فقد وصلت المعركة لأن تكون معركة مصير نكون معها أولا نكون.)

هذه الحرب حلقة
من سنة الصراع بين الحق والباطل

وقد كان مما بينه الإمام المجدد أن هذه المرحلة من مراحل الصـــراع بين الحق والباطل مرحلة وحلقة من سلسـلة طويلة من الحروب الصـليبية ضـد العالم الإسـلامي حيث قال -رحمه الله- في "حقيقة الصراع - أولى حروب القرن": (فبعد هذا الأمر الواضح البين الجلي لابد للمسلم أن يدري وأن يتعلم أين يقف من هذه الحرب.

فهذا بوش بعد أن تكلم السـاسـة الأمريكيون وبعد أن طفحت الصـحف والقنوات الأمريكية بالحقد الصليبي الواضح، الظاهر، في هذه الحملة تعبئ على الإسلام وأهله لم يترك بوش المجال للظنون وإلى اجتهادات الصـــحفيين وإنما خرج على الملأ لينطق بوضـــوح أن هذه الحرب هي "الحرب الصـــليبية" تلفّظ بهذه الكلمة أمام العالم أجمع ليؤكد هذه الحقيقة.

فأين يذهب أولئك الذين يزعمون أن هذه حرب ضـــد الإرهاب، وأي إرهاب هذا الذي يتحدثون عنه، في وقت تنحر الأمة منذ عشـــرات الســـنين ولا نســـمع لهم صـــوت، ولا يتحرك منهم متحرك، فإذا قامت الضـــحية لتنتقم لأولئك الأطفال الأبرياء في فلسـطين والعراق وجنوب السـودان والصـومال وفي كشـمير وفي الفليبين، قام علماء الســلاطين وقام المنافقون يدافعون عن الكفر الظاهر -حســبي الله عليهم أجمعين-.

فالعوام قد فقهوا المسألة وهؤلاء مازالوا يجاملون هؤلاء الذين تواطؤوا مع الكفار على تخدير الأمة عن القيام بواجب الجهاد؛ لتكون كلمة الله هي العليا.

فالحق الذي لا لبس فيه أن بوش قد حمل الصـــليب ورفع رايته عالياً ووقف في أول الطابور، فكل من يقف خلف بوش في هذه الحملة فقد ارتكب ناقضــاً من نواقض الإســـلام العشـــرة، التي أجمع أهل العلم على أن موالاة الكافرين ومظاهرة الكافرين على المؤمنين من نواقض الإسلام الكبرى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولننظر هل هذه الحرب التي قامت قبل أيام على أفغانســتان هي مفردة، مســتقلة، نادرة، أم أن هذه الحرب هي حلقة من سـلسـلة طويلة من الحروب الصـليبية ضـد العالم الإسلامي؟

فمنذ الحرب العالمية الأولى التي انتهت قبل أكثر من ٨٣ عاماً وســـقط العالم الإســـلامي بأســـره تحت أعلام الصــليب، تحت الحكومة البريطانية وتحت الحكومة الفرنسية وتحت الحكومة الإيطالية، تقسّموا هذا العالم بأسره وسقطت فلسطين تحت الإنجليز ومنذ ذلك التاريخ وإلى اليوم، أكثر من ٨٣ عاماً، يُســـام إخواننا وأبناؤنا وأخواتنا في فلســطين ســوء العذاب، وقد قُتِلَ منهم مئات الألوف، وسُــجِنَ مئات الألوف، وعُوِقَ مئات الألوف.

ثم لننظر إلى الأحداث القريبة، فلننظر إلى الشـيشــان، أمة مســلمة تقَدّمَ عليها هذا الدب الروسي، صاحب العقيدة النصرانية الأرثوذكسية، أباد شعباً بأكمله، وشردوا

إلى الجبال، واكلتهم الثلوج والفقر والأمراض، ولم يتحرك أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم حرب إبادة في البوسنة، على مرأى ومسمع من العالم أجمع، بل في قلب أوروبا، عدة سنوات يقتل إخواننا، وتنتهك أعراض نسائنا، ويذبح أطفالنا، في الملاذات الآمنة للأمم المتحدة وبعلم الأمم المتحدة وبتعاون الأمم المتحدة.

إن الذين يحيلون مآسينا اليوم، ويريدون أن يحلوها في الأمم المتحدة، إنما هم منافقون يخادعون الله ورسوله ويخادعون الذين آمنوا.

وهل مآسينا إلا من الأمم المتحدة، من الذي أصدر قرار التقسيم عام ١٩٤٧ لفلسطين، أباح بلاد الإسلام لليهود؟ الأمم المتحدة بقرارها في ٤٧.

فهؤلاء الذين يزعمون بأنهم زعماء للعرب ومازالوا في الأمم المتحدة هم كفروا بما أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، الذين يحيلون الأمور إلى الشرعية الدولية هم كفروا بشرعية الكتاب الكريم وبسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.)

فما نعيشه اليوم حملة من الحملات والحروب الصليبية كما سنفصل في المبحث الآتي:

إنها حرب صليبية

هنا نريد أن نقف على حقيقة من الحقائق جعلها الإمام المجد أسـامة بن لادن -رحمه الله- في رأس دعوته وتوجيهاته.. هذه الحقيقة هي أن ما تعيشه الأمة اليوم من اعتداء على دينها ومقدساتها وقتل لأبنائها واحتلال لبلادها وسرقة لخيراتها ومقدراتها ما هي إلا حرب صليبية معاصرة على أمة الإسلام..

وهذه الحقيقة التي أصبحت واضحة جلية اليوم عند أبناء الإسلام إلا من أعمى الله بصيرته وانتكس على عقبيه -نسأل الله العافية- بعد هذه الأحداث العظام في فلسطين أفغانستان والعراق وغيرها من بلاد الإسلام..

فقد جاءت أحداث طوفان الأقصى المباركة وما تبعه من أخدود أهل الإسلام في غزة على يد اليهود الملاعين بتأييد ودعم أمريكي غربي وتواطؤ من طواغيت العرب ليثبت هذه الحقيقة بأوضح صورة لكل ذي بصيرة وإيمان.. لينتهي أقوام من حيث بدأ الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-..

ويحسن بنا أن نضع بين أيديكم التفريغ الكامل لكلمة الإمام المجدد "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون".. فقد شرح فيها هذه الحقيقة بكل وضوح.. قال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-:

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإلى الأمة الإسلامية عامة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثي هذا إليكم لمواصلة الحث والتحريض لنصرة رسولنا ﷺ ولمعاقبة أصحاب الجريمة النكراء التي ارتكبها بعض الصحفيين من الصليبيين أو من الزنادقة المرتدين بالإساءة إلى سيد الأولين والآخرين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لقد جاءت الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة مبينة ما يجب لرسول الله ﷺ من محبة وتكريم واتباع وتعظيم فقد حرم الله تبارك وتعالى أذاه، فقال في القرآن العظيم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن نبينا ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

وقد أجمعت الأمة على ردة وقتل من تعرض له بالشتم أو التنقص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن سب الرسل ﷺ والطعن فيهم ينبوع جميع أنواع الكفر وجماع جميع الضلالات وكل كفر ففرع منه.) اهـ.

وقال القاضي عياض رحمه الله: (من شبه رسول الله ﷺ بشيء على طريق السب له والازدراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه أو العيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم السّاب له). اهـ.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (من شتم النبي ﷺ أو انتقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل.) اهـ.

فالزنادقة والملحدون الذين يطعنون في الدين ويغمزون ويسيئون إلى رسولنا الكريم ﷺ قد وضّح حالهم وحكمهم الإمام ابن القيم رحمه الله، ووضح أن جريمة الزنديق أغلظ الجرائم وأن مفسدة بقائه بين أظهر المسلمين من أعظم المفاسد وأنه يُقتل ولا تُقبل توبته.

فكان مما قال: (فإن الزنديق هذا دأبه دائماً، فلو قُبلت توبته لكان تسليطاً له على بقاء نفسه بالزندقة والإلحاد وكلما قُدِرَ عليه أظهر الإسلام وعاد إلى ما كان عليه، ولا سيما وقد علم أنه آمِنٌ بإظهار الإسلام من القتل، فلا يَزَعُهُ خوفه من المجاهرة بالزندقة والطعن في الدين ومَسَبَّة الله ورسوله ﷺ، فلا ينكف عدوانه عن الإسلام إلا بقتله، وأيضاً فإن مَنْ سَبَّ الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله ﷺ وسعَى في الأرض فساداً، فجزاؤه القتل حداً، والحدود لا تسقط بالتوبة بعد القدرة اتفاقاً.) اهـ.

وأذكر نفسي وإياكم بأفعال الأطهار الأبرار الجنود الأُول للإسلام الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- لنتشبه بهم في نصرة الدين، وإن التشبه بالكرام فلاح.

فقد روى أهل السنن وكذلك أهل السير حادثة شعر كعب بن الأشرف الذي نال به من رسولنا ﷺ فلما بلغ ذلك لرسولنا ﷺ قال: «مَن لي بكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله»، عند ذلك قام محمد بن مسلمة فقال: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟، قال: «نعم».

الله أكبر! الله أكبر ما أسرع استجابتهم لنصرة الله ونصرة رسوله ﷺ، الله أكبر ما أعظم إيمانهم ويقينهم وما أعلمهم وما أفقههم، فقد كان عالماً رضي الله عنه أن دواء من يؤذي الله ورسوله القتل بدون مقدمات.

لا كما يفعل الدعاة المنهزمون اليوم الذين ما ذهبوا إلى الصليبيين مقاتلين وإنما ذهبوا محاورين، أمثال هؤلاء يميعون الدين فاحذروهم، نعم، إن منهجهم مخالف للمنهج القويم، فمنهج رسول الله ﷺ أنه يحب قتل كعب بن الأشرف ويحب قتل كل من آذى الله تعالى ورسوله ﷺ، نعم، إن قتل هؤلاء أمر يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وقد أمر الله تعالى به وحرض عليه رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾، فبالقتال ينتهون عن الطعن في الدين.

قال ابن القيم رحمه الله عند هذه الآية: (كل من طعن في ديننا فهو إمام في الكفر.) اهـ.

فكم من إمام للكفر اليوم في بلاد المسلمين؟! وكم من أتباع لكعب بن الأشرف في جزيرة العرب؟! كم منهم كُتّاب في الصحف وممثلون ومذيعون في وسائل الإعلام؟!

وهنا ينبغي التنبيه؛ أنه لا يجوز للمسلم أن يستمع إلى أي برنامج فيه حوار مع الزنادقة أو إلى أي تمثيل فيه استهزاء بالدين وبالمتدينين، فإن ذلك من أكبر الكبائر.

وكم من هؤلاء الزنادقة وزراء ومن دونهم وعلى رأسهم وزير العمل في بلاد الحرمين غازي القصيبي، ومن يريد فتوى رسمية بكفره وردته فقد أفتى بذلك المفتي العام السابق الشيخ عبد العزيز بن باز، كما أفتى بكفر وردة الزنديق شملان العيسى في الكويت. ومن هؤلاء الزنادقة، أحمد البغدادي في الكويت أيضاً وتركي الحمد في بلاد الحرمين، وقد أفتى بردة الأخير الشيخ حمود العقلاء وغيرهم كثير.

وقد حوى كتاب "الحداثة في ميزان الإسلام" أسماء كثير منهم، وكذا حذر الشيخ سعيد الغامدي منهم في أشرطة مسجلة.

والآن لنعد لإكمال قصتنا..

فإن محمد بن مسلمة -رضي الله عنه- أخذ معه بعض الأصحاب -رضي الله عنهم- فذهبوا وقتلوا عدو الله كعب بن الأشرف، فعند ذلك فزعت يهود ومن معها من المشركين، فجاؤوا إلى النبي ﷺ حين أصبحوا فقالوا: قد طُرق صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا، قُتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه!، فقال رسول الله ﷺ: «إنه لو قرّ كما قرَّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف».

نعم، هذا هو حكم رسولنا ﷺ في كل من يهجوه وفي كل من يتنقص من الدين ويستهزئ به.

فيا شباب الإسلام..

اتبعوا أمر الله تعالى وأمر رسولنا ﷺ بقتل هؤلاء واقتدوا بمحمد بن مسلمة وأصحابه -رضي الله عنهم- فبطن الأرض خير والله من ظهرها والزنادقة بيننا يستهزئون بديننا ونبينا ﷺ، فاتقوا الله في أنفسكم وأرضوا ربكم، ولا تشاوروا أحداً في قتل هؤلاء الزنادقة، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.

هذا بشأن الزنادقة المرتدين.

وسنبدأ الحديث عن الطاعنين في الدين من الكفار الأصليين:

لقد انتفض أبناء الأمة الإسلامية من مشرق الأرض لأقصى المغرب مستنكرين تلك الجريمة الكبرى، فجزى الله كل منكر لتلك الأعمال الكفرية خير الجزاء، ونسأل الله أن يتقبل من قتل منهم في الشهداء ونعاهد الله أن نثأر لهم من الحكومات التي سفكت دماءهم.

فقد تعالت بعض الأصوات في أمتنا، مطالبة الظالمين الكافرين في الغرب بأن يعتذروا اعتذاراً واضحاً صريحاً، ليتم إنهاء الأزمة -كما قالوا- والحقيقة أن الأمر أعظم وأخطر بكثير من أن ينتهي بتأسف أو اعتذار -على افتراض أنهم سيعتذرون- بل لا بد من معاقبة المجرمين ومعاقبة كل من آواهم أو تضامن معهم.

إن التعامل مع هذه الجريمة منفردة مجتزأَة عن السياق العام، يضر بالتصور الصحيح لمعرفة حجم العداء الذي يكنه الغرب لنا وحقيقة الحرب الصليبية التي تشن ضد أمتنا.

وحيث إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، لذا لا بد من وضع هذه الجريمة في السياق العدواني العام الذي يمارس على أمتنا خلال العقود والسنوات الأخيرة، وبذلك يسهل علينا معرفة حقيقة حجم هذا الحدث.

وإن المتأمل للأحداث التي جرت خلال العقود الماضية والسنوات القريبة يشاهد بوضوحٍ بشاعة صورة الغرب وعظم كرهه لأمتنا، وفي هذا السياق جاء الحدث وتتابعت تداعياته، وكان من أبرزها إصرار حكومة الدنمارك على عدم الاعتذار -فضلاً عن معاقبة المجرمين- وامتناعها عن اتخاذ إجراءات تمنع تكرار مثل هذه الجريمة، ثم تضامن أمريكا والاتحاد الأوروبي معها.

هذه الأحداث مع ما سبقها منذ غزوة مانهاتن أكدت على حقائق سابقة -لكن هذه المرة بوضوحٍ وجلاء شديدين- فرغم الضجيج الإعلامي والدعاية الهائلة عن حقوق الإنسان والعدل والحرية، تبين من الأحداث السابقة أن هذه المعاني الجميلة سطحية الجذور عند الغرب، بل هي لا جذور لها عندهم إذا تعلق الأمر بالمسلمين، وإنما هي كريشة في مهب الريح تبحث هي لنفسها عن مكان تلجأ إليه هروباً من الغرب حتى لا يقوم باسمها بشنق وسحق تلك المعاني.

ولقد أكدت هذه الأحداث مع ما سبقها أن الغرب عاجز عن الاعتراف بالآخرين وحقوقهم فضلاً عن احترام عقائدهم ومشاعرهم، وأن الغرب ما زال يعيش عقدة التفوق العنصري، فهو ينظر إلى بقية الشعوب باستكبارٍ من علٍ وأنه فوق والآخرين دون، هذه النظرة الدونية للشعوب مسيطرة عليهم فظلال ورواسب القرون الماضية يوم أن كانت الشمس لا تغيب عما يسمى بمستعمراتهم حيث جيوشهم الجشعة المحتلة للبلدان والماصة لخيرات الشعوب والمستعبدة لهم، هذه الظلال والرواسب ما زالت مسيطرة عليهم، فالناس في نظرهم بيض وهم السادة، وملونون وهم العبيد.

لذلك شرع في إنشاء الهيئات والتشريعات التي تحافظ على عقيدته الاستعبادية هذه للناس، فأنشأ هيئة الأمم المتحدة لهذا الغرض، وما حق الفيتو إلا دليل صارخ على هذا الأمر، وما هو إلا تكريس للدفاع عن هذه العقيدة المستبدة الظالمة التي تعتبر الجهاد في سبيل الله أو الدفاع عن النفس والوطن إرهاباً.

فإن أمريكا وأوروبا تعتبران الجماعات المجاهدة في فلسطين والشيشان والعراق وأفغانستان جماعات إرهابية، فكيف يمكن الحوار والتفاهم مع هؤلاء بغير السلاح؟ وإن حكام منطقتنا يعتبرون أمريكا وأوروبا أصدقاء وحلفاء ويعتبرون الجماعات المجاهدة ضد الصليبيين في العراق وأفغانستان جماعات إرهابية أيضاً، فكيف يمكن التفاهم مع هؤلاء أيضاً بغير سلاح؟ هؤلاء وهؤلاء الذين ينكرون علينا حقنا في الدفاع عن ديننا وأنفسنا، حاصل كلامهم جميعاً أن نخضع ولا نجاهد ونرضى بالعبودية لهم، وهذا محال بإذن الله.

وإن من أعظم القضـــايا التي تظهر هذه المعاني جلية واضـــحة قضـــية فلســـطين، فأي ظلم واعتداء وحقد أوضـــح من أن يتخذ التحالف الصـــليبي الصـــهيوني قراراً بتسـليم فلسـطين للصـهاينة لتكون دولة لهم بعد أن قاموا بالمجازر فيها حتى شـردوا كثيراً من أهلها، وبالمقابل جاؤوا باليهود من بلاد شـــتى ليوطنوهم في فلســـطين، ولم يتوقف هذا الظلم والعدوان خلال العقود التســـعة الماضـــية إلى يومنا الحالي، وكل محاولة لاسترجاع حقوقنا والانتصاف من الظالم الإسرائيلي فإن قيادة التحالف الصـليبي الصـهيوني تحول دون ذلك باسـتخدام ما يسـمى بحق "الفيتو"، ومما يظهر ذلك أيضـاً رفضـهم لحركة حماس بعد أن فازت في الانتخابات، مع تأكيدنا على ما نبه عليه الشيخ أيمن الظواهري من حرمة الدخول في المجالس الشركية، إلا أن رفضهم لحماس أكد أنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين.

ثم إني أقول توضـيحاً لسـيطرتهم على مجلس الأمن، إن الصـليبية العالمية مع البوذية الوثنية هم أصـحاب المقاعد الخمسـة الدائمة، وهم أصـحاب ما يسـمى بامتياز حق الفيتو في ما يسـمى بمجلس الأمن، فأمريكا وبريطانيا يمثلون النصـارى البروتسـتانت، وروسـيا تمثل النصـارى الأرثوذكس، وفرنسـا تمثل النصـارى الكاثوليك، والصـين تمثل البوذيين والوثنيين في العالم.

وأما العالم الإســلامي المتمثل بســبع وخمســين دولة ويشــكلون خمس أهل الأرض، وهم أكثر من ربع دول الأمم المتحدة، وإن ولاية واحدة من ولايات إحدى الدول الإسـلامية عدد سـكانها أكثر من عدد سـكان فرنسـا أو بريطانيا –كولاية البنجاب في باكسـتان– بل إن ولاية واحدةً من إحدى الدول الإسـلامية مسـاحتها أكبر من

مساحة بريطانيا ومقاربة لمساحة فرنسا -كولاية دارفور في السودان- ومع ذلك فلا مقعد لهم في مجلس الأمن.

وأنا هنا لا أطالب بذلك، فذلك ظلم، وإنما أصـــف واقع الحال، فتلك هيئة كفرية يكفر من رضـــي بقوانينها وهي أداة لتنفيذ القرارات الصـــليبية الصـــهيونية، ومنها قرارات الحروب ضدنا وتقسيم واحتلال أرضنا.

إنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين.

وماذا يعني هدم وإســـقاط الدولة العثمانية بقية دولة الخلافة -على عِلاتها- وتقســـيمها إلى عشـــرات الدول والدويلات والاســـتيلاء عليها، ثم عادت بريطانيا وفصلت السودان عن مصر، ثم عطفت مرة أخرى على السودان تسعى لفصل جنوبه وكونت فيه جيشاً من أهل الجنوب ودعمتهم بالمال والسلاح والخبرة ووجهتهم بالمطالبة بالانفصـــال عن الســـودان، ثم تبنت أمريكا هذا الجيش بالدعم المادي والمعنوي وعبر أدواتها الدولية كالأمم المتحدة وضغطت على حكومة الخرطوم بالتوقيع على اتفاقية ظالمة تسمح للجنوب بالانفصال بعد ست سنوات من توقيع الاتفاق.

وليعلم البشير وبوش أن هذا الاتفاق لا يساوي قيمة الحبر الذي كتب به، ولا يلزمنا بمثقال ذرة، وليس لأحد مهما كان أن يتنازل عن شبر من أرض الإسلام، وسوف يبقى الجنوب جزءًا لا يتجزأ من أرض الإسلام بإذن الله ولو استمرت الحروب لعقود قادمة.

ثم لم تكتف أمريكا بكل هذه الفتن والجرائم، بل توجهت لإثارة فتن أخرى، وكان من أكبرها فتنة غرب السودان مستغلة بعض الخلافات بين أبناء القبائل وأثارتها حرباً شعواء فيما بينهم تأكل الأخضر واليابس تمهيداً لإرسال قوات صليبية لاحتلال المنطقة وسرقة نفطها، تحت غطاء حفظ الأمن هناك.

إنها حرب صليبية صهيونية مستمرة ضد المسلمين.

وبهذا الخصوص..

فإني أعزم على المجاهدين وأنصارهم عموماً وفي السودان وما حولها بما في ذلك جزيرة العرب خصوصاً، أن يعدوا كل ما يلزم لإدارة حرب طويلة المدى ضد اللصوص الصليبيين في غرب السودان، وهدفنا واضح وهو الدفاع عن الإسلام وأهله وأرضه لا دفاعاً عن حكومة الخرطوم -وإن تقاطعت المصالح- فخلافنا معها عظيم ويكفي أنها تقاعست عن تطبيق الشريعة وفرطت في الجنوب.

وإني أحث المجاهدين أن يتعرفوا على أرض وقبائل ولاية دارفور وما حولها، وقد قيل "قتل أرضاً عالمها وقتلت أرضٌ جاهلها"، مع العلم أن المنطقة مقبلة على موسم تكثر فيه الأمطار غالباً مما يعيق الحركة ويقطع الطرق الترابية، وهذا من الأسباب الرئيسة التي أخرت الاحتلال إلى ما بعد ستة أشهر قادمة، فينبغي السرعة والاستفادة من عامل الوقت بأقصى ما يمكن، مع الاهتمام بشكل خاص بتوفير كميات هائلة من الألغام والقناصات والمدافع المضادة للدروع كالأربيجي.

ثم ماذا يعني منع السلاح عن العزّل في البوسنة وترك الجيش الصربي يجزر المسلمين جزراً ويسفك الدماء وينتهك الأعراض لبضع سنوات، تحت غطاء وستار الأمم المتحدة؟

إنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين.

ثم ماذا يعني ضغط الدول الصليبية على أندونيسيا إلى أن فصلوا عنها تيمور الشرقية خلال أربع وعشرين ساعة بتهديد من الأمم المتحدة أيضاً؟

إنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين.

وفي المقابل يتم التعامي عن قرار الأمم المتحدة الصادر قبل أكثر من نصف قرن والذي يعطي كشمير المسلمة الحرية في اختيار ما تشاء والاستقلال عن الهند، ويتم التغاضي خلال هذه الفترة عن مذابح الهندوس الفظيعة لمسلمي الهند وكشمير، بل بلغ الأمر أن بوش زعيم هذه الحملة الصليبية أعلن قبل أيام بأنه سيأمر برويز مشرف –عميله المرتد– أن يغلق معسكرات المجاهدين الكشميريين، وبذلك يثبت ويؤكد بأنها حرب صليبية صهيونية هندوسية ضد المسلمين.

وبخصوص باكستان..

فإن بعض المسلمين قد أحسنوا بمساعدة إخوانهم الذين تضرروا من الزلزال فجزاهم الله خير الجزاء، ولكن ينبغي كذلك مساعدة أبناء القبائل المسلمة البشتونية الحرة التي دمر زلزال الجيش الباكستاني بيوتهم في منطقة وزيرستان إرضاءً لأمريكا.

أسأل الله أن يتقبل قتلاهم في الشهداء ويشفي جرحاهم ويبارك لهم في أنفسهم وذراريهم وأهلهم وأموالهم، وأسأل الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أن يعاقب بوش وبرويز وجنودهما بما يستحقون، وأن يسخر من أسد الإسلام من يقتل غلام بوش في باكستان، إنه ولي ذلك والقادر عليه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾.

ثم ماذا يعني السكوت عن فظائع الجرائم الروسية داخل الشيشان وسحل المسلمين وتمزيق أجسادهم بربطهم بين العربات المجنزرة، وما يدعى بالعالم المتحضر يبارك ذلك كله بل ويدعمون ذلك سراً؟

إنها حرب صليبية صهيونية.

وماذا يعني إذلال المسلمين في الصومال وقتل ثلاثة عشر ألف مسلم من إخواننا هناك، وظهور عظم حقدهم وحضارتهم وهم يشوون إخواننا على النار، ولا حول ولا قوة إلا بالله؟

إنها حرب صليبية صهيونية.

وإني أذكر المسلمين أن يتقوا الله في أنفسهم وأحثهم على أن يتداركوا إخوانهم في القرن الأفريقي من المجاعة التي حلت بهم، فهذا أقل ما يقدمونه لهم.

ثم ماذا يعني تدمير البنية التحتية للعراق، وما أدراك ما العراق وما حصل فيها من مآسٍ، وماذا يعني استخدام اليورانيوم المنضب وحصار العراق لبضع سنين حتى مات

خلالها أكثر من مليون طفل، مما أذهل وأفجع كل من زار العراق حتى من الغربيين أنفسهم.

إنها حرب صليبية حاقدة.

ثم ماذا يعني أن يعيد احتلال العراق بخدع وأكاذيب وفعل فيها الأعاجيب من قصف ودمار وقتل وتشريد وسجن وتعذيب، وأنشأ فيها القواعد العسكرية الضخمة لإحكام سيطرته على المنطقة بأسرها؟ فعوا ما يحاك لكم.

إنها حرب صليبية صهيونية ضد المسلمين.

ثم ماذا يعني مواصلة الغزو الثقافي الإعلامي الخبيث بإنشاء محطات متلفزة وأخرى إذاعية موجهة إضافة لصوت أمريكا ولندن وغيرها لمواصلة الغزو الفكري ضد أمتنا ومحاربة عقيدتها وتغيير قيمها ونشر الخنا والرذيلة، بل وصل بهم الأمر إلى التدخل في المناهج الدراسية وتغييرها وخاصة الدينية؟

إنها حرب صليبية صهيونية.

وبماذا يمكن أن نفسر موقف فرنسا من الحجاب ومنعه في المدارس وقسوتها المفرطة في معاملة الجاليات المسلمة، ثم عزمها على إنشاء محطة تلفزة في المغرب العربي لتحارب الصحوة الإسلامية هناك؟

إنها حرب صليبية صهيونية.

وبعد أن كتب الزنديق سلمان رشدي كتابه الذي يعتدي فيه على المقدسات الإسلامية، قامت رئاسة الوزراء البريطانية باستقباله، متحدية مستهزئة لدين المسلمين ومشاعرهم، ثم استقبله الرئيس الأمريكي الأسبق في البيت الأبيض، مع ما سمعتم من الإهانة المتعمدة للمصحف الكريم في سجن غوانتنامو، فبماذا يمكن أن نفسر تلك الأفعال إلا أنه تشجيع على الاستهزاء بالإسلام ونبيه ﷺ وتحريض على كراهية أتباعه، وما الرسوم المسيئة التي ننكرها اليوم إلا ثمرة من ثمار هذا التوجه العدواني في الغرب على أعلى المستويات فضلاً عما دونها، وإن ما ينشره عن الرسوم الكرتونية إنما هو يعبر عن رأي الشعب العام وما يجوش في صدورهم.

إنها حرب صليبية صهيونية.

هذا غيض من فيض وقليل من كثير، وإن كل فعل من هذه الأفعال منفرداً على حده يشير إلى أنها حرب صليبية صهيونية على أمتنا فكيف باجتماعها واجتماع غيرها علينا.

وإن من الاستخفاف بالناس والازدراء بهم أن يهزأ بمقدساتهم ثم تظهر تضامنك مع المستهزئ، ثم بعد ذلك تدعو للحوار والتهدئة!

وإن من الاستهزاء بالناس واحتقارهم أيضاً، أن تكون طائراتكم ودباباتكم تدمر البيوت فوق رؤوس أهلنا وأطفالنا في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان

وباكســتان، ثم تبتســمون في وجوهنا وتقولون نحن لا نعادي الإســلام وإنما نعادي الإرهابيين، وندعو إلى التعايش السلمي والحوار بدلاً من صراع الحضارات!

والواقع يكذبهم، فســاسـة الغرب لا يرغبون في حوار إلا من أجل الحوار لاسـتغفالنا وتخديرنا لكسب الوقت، ولا يريدون هدنة إلا من طرفنا نحن فقط.

فقد علمتم ردنا مؤخراً على استطلاعات الرأي عندهم بعرض هدنة بيننا وبينهم بعد انسـحاب جيوشـهم وكف أذاهم عنا، فرفضـوا كل ذلك وهم مصـرون على اسـتمرار حملاتهم الصــليبية ضــد أمتنا واحتلال بلادنا ونهب خيراتنا واســتعبادنا، فلا تغرنكم أقوالهم أو أقوال المنافقين أو المرتدين من بني جلدتنا أو أقوال الفاســـقين المخذلين المثبطين المرجفين الذين ارتفعت أصواتهم جميعاً في الفترة الأخيرة.

فبعد أن انتفضت الأمة مستنكرة هذه الإساءة وارتفعت الأصوات لمقاطعة بضائعهم وازداد العداء لهم، فعند ذلك أعلن زعيم الحملة الصـــليبية بوش على الملأ مطالبته لعملائه في المنطقة –وخاصة الحكام– أن يبذلوا جهودهم لتهدئة الشعوب والتصدي لردود الأفعال هذه، فما كان من حكام العرب ومن يدور في فلكهم من الإعلاميين وعلماء ودعاة السوء إلا أن قاموا بالاستجابة وسارعوا إلى التهدئة.

فقام المعروف بـــ"مفتي الأمريكان" وأعلن على الملأ أن أسـف الصـحفي الدانماركي يعتبر اعتذاراً كافياً! رغم أن الكل يعلم أنهم مصـــرون على باطلهم ولم يعاقبوا هؤلاء المجرمين ولم يتخذوا أي اجراء لمنع تكراره.

وبعد هذه الفتوى الضالة المضلة، قام بعض دعاة السوء يروجون لحصر المقاطعة مع الدنمارك فقط، والكل يعلم أن جميع أوروبا وأمريكا قد نشرت كثير من صحفهم هذه الإساءات وأنهم متضامنون مع الدنمارك.

ويبرر هؤلاء الدعاة للحكام قعودهم وخذلانهم لرسول الله ﷺ، وأنه لا يلزمهم حتى الدعوة إلى مقاطعة بضائعهم بحجج واهية، كقولهم إن هناك اتفاقات تجارية بين الدول! وتناسى هؤلاء أن محبة الله تعالى ورسوله ﷺ والجهاد في سبيل الله أعظم من محبة الأموال والتجارة، ومن لم يكن الأمر عنده كذلك فقد توعده الله تعالى وحرمه الهداية وحكم عليه بالفسق، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

ثم بعد ذلك ظهر كبير حكام العرب ليهديهم سبيل الرشاد -كما زعم- فقال في حفل "الجنادرية" بأن الأمة تتعرض لهجوم يستهدف شريعتها ورموزها، في إشارة إلى حملة الرسوم المسيئة إلى رسولنا ﷺ، فشنف الناس آذانهم ينصتون مستمعين إلى الواجب الذي سيذكرهم به، وكان بعضهم يتوقع منه أن يعبئ الأمة لنصرة دينها ونبيها ﷺ بكل ما نملك والوقوف لصد هذه الهجمة، لكن هؤلاء فاتهم أن هذا يتعارض مع أوامر أمريكا وتعليماتها التي تنص على أن يقوم بنفس الدور الذي قام به قبل غزو العراق حين كذب على الناس -كما تذكرون- وقال ليس هناك حرب!

ليبث الخنوع والذل والهوان في الأمة، واليوم العراق يذوق ويلات ذلك الخذلان وويلات ذلك الخداع والكذب والحرب.

فسار على نفس المنهج في هذه المسألة فقال بالحرف: (إنه يجب على أبناء الأمة ومفكريها على وجه الخصوص، أن يبرزوا الوجه الحقيقي للأمة وجه التسامح والعدالة والوسطية)، ثم يعيد ويؤكد بشكل لا يقبل اللبس أنه ضد كل عمل لصد هذا العدوان والانتقام من مرتكبي تلك الجريمة، عندما قال بأنه يدين فكرة الصدام بين الحضارات ويدعو إلى أن تحل محلها فكرة التعايش السلمي البناء!

أقول: إن هذه مغالطات كبيرة عظيمة، فالصدام قائم بين الحق والباطل إلى قيام الساعة، ومن ذلك الصدام القائم منذ تسعة عقود، ولكن من حضارتهم ضد حضارتنا.

وإلا فماذا يعني بقاء فلسطين طوال هذه المدة تحت الاحتلال البريطاني ثم الإسرائيلي ثم يطالبنا هؤلاء الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم وملتهم وأمتهم أن نتجنب الصدام مع الذين يصدموننا في الليل والنهار؟ عليهم من الله ما يستحقون.

فتبرأوا منهم واحذروهم واحذروا كل من يدور في فلكهم، واعلموا أنه لا سبيل لدفع الظلم إلا بالمقاتلة والمدافعة، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ**﴾.

فموقفنا نحن من هؤلاء المستهزئين بنبينا عليه الصلاة والسلام، الذين أساؤوا إليه في تلك الرسوم:

أننا نطالب حكومتهم بتسليمهم لنا لنحاكمهم بشرع الله تعالى، طالما أنهم يقولون إنها حرية تعبير، وأن الحكومة غير مسؤولة عنهم، وإنما المسؤولية تقع على الصحيفة نفسها، وهذا طلبنا من باب المعاملة بالمثل.

ونقول لهم:

إن نسيتم ذكرناكم بأنكم عندما أعلنتم أن أسامة بن لادن هو المتهم بضرب المصالح الأمريكية، أصدرتم قراراً من مجلس الأمن -تمت الموافقة عليه بالإجماع- بوجوب تسليم أسامة، رغم أنه لم يكن هناك دليل على ذلك، وبالتالي سلِّموا من ثبت ارتكابه لهذا العمل، أم أنه إذا كان المتهم مسلماً فلا اعتبار للأخلاق ولا اعتبار للعقليات، وأما إذا كان المتهم أمريكياً أو أوروبياً تلتمسون له الأعذار وتبررون تصرفاته المشينة بأنها حرية تعبير وما شابه ذلك، وأن لكم حق في أخذ مواطنين مسلمين لتحاكموهم في بلادكم ولا يكون لنا حق أن نأخذ مواطنيكم لنحاكمهم في بلادنا؟!

فإن أبيتم فإنما تؤكدون أنكم جنس آخر فوق البشر وفوق المحاسبة وأن من حقكم أن تستعبدوا الآخرين.

ونذكركم أيضاً أنه بعد الغزوة المباركة لنيويورك أعلنت أمريكا أنها ستهاجم أفغانستان، وقال بوش في ذلك الحين: أريد أسامة حياً أو ميتاً! وبدأت الحملة العسكرية الظالمة،

قبل أن يظهر أي دليل على قيامنا بذلك العمل، ولم نكن قد صـــرحنا بعد بذلك، فمن الذي أعطاكم الحق بالهجوم على دولة ذات سيادة بدون دليل، وحين اشتدت وطأة الحملة الإعلامية وقتها وبدأت البارجات بالتحرك سارع وزير الخارجية الأفغاني متوكل بالإعلان عن استعداده لتسليم أسامة، فما كان الرد إلا أن قلتم إنه حتى وإن سلمتمونا أسامة فإننا لابد أن نهجم على أفغانستان.

هذا يدل بجلاء فاضح أن الهجوم لم يكن بسبب وجود القاعدة في أفغانستان فقط، وإنما هو هجوم صارخ على الإسلام وتدمير الدولة الإسلامية الناشئة، وتابعتم جميع قياداتها بالمطاردة والقتل والســـجن مما دل بشـــكل قاطع على أنها حرب صـــليبية صهيونية ضد المسلمين.

ولئن وجد بوش وقتها من الأســباب ما يبرر بها لشـعبه المســتغفل غزو أفغانســتان المســلمة بحكم أن بلاده هي التي ضــربت، وتعلمون -كما ذكرت ســابقاً- أننا ما ضربناهم إلا دفاعاً عن أنفسنا ونصرة لإخواننا في فلسطين ولبنان وغيرها، فما دخل شعوب أوروبا في هذه الحرب لتسارع بالانضمام تحت لواء بوش، فلم تنكر عليه ولم تمنعه، بل ازداد في أفغانستان الجنود الأوروبيون من حلف النيتو، فما شأن هؤلاء؟!

ثم لو افترضـــنا أن الذي كان وراء غزوة منهاتن فرد من ألمانيا أو فرنســـا، فهل كنتم ستوافقون على محاكمته قبل ظهور الأدلة؟ وهل كنتم ستنضمون مع بوش وزمرته إن اتخذت موقفاً كموقفها في الحرب من أفغانستان بضرب ألمانيا أو فرنسا؟!

بالتأكيد الجواب بالنفي، وهذا يؤكد ازدواجية المعايير، ويؤكد حقدكم على الإسـلام وأنها حرب صليبية ضد المسلمين، وهو المطلوب إثباته.

ثم إني أقول:

إن الحرب مسؤولية تضامنية بين الشعوب والحكومات، والحرب مستمرة والشعوب تجدد الولاء لحكامها وساستها وترسل أبناءها إلى الجيوش لقتالنا وتواصل الدعم المادي والمعنوي، وبلادنا تحرق وبيوتنا تقصف وشعوبنا تقتل، ولا يبالي بنا أحد، ويكفيكم مثالاً على الانتهاكات الصارخة على ملتنا وعلى إخواننا وبلداننا ما قامت به حليفتكم إسرائيل من اقتحام وهدم لسجن أريحا بتواطؤٍ مع أمريكا وبريطانيا.

وخلاصة القول:

فالحرب قائمة للنيل من رسول الله ﷺ ودينه وأمته، فيجب أن يكون استعداد المسلمين وجهادهم وأعمالهم على مستوى هذه الأحداث.

فما الواجب على أمتنا تجاه هذه الحملة الصليبية الجديدة الشرسة المتعددة المحاور؟

أقول: إن الواجب يكون بالاجتهاد لنصرة الرسول ﷺ ودينه وأمته بكل ما أوتينا من قوة وعلى جميع الأصعدة، فرغم كثرة الهجمات الصليبية والصهيونية على أمتنا، فهجمات عسكرية، وثانية اقتصادية، وثالثة ثقافية وأخلاقية، إلا أن أهمها وأخطرها على الإطلاق هجماتهم على نبينا وديننا ومنهج شريعتنا.

وإن قطب رحى هذه الحروب والهجمات قائمة في بغداد -دار الخلافة- وهم يقولون ويكررون إن النجاح في بغداد نجاح لأمريكا وإن فشلهم في العراق فشل لأمريكا،

لذا فإن كسر رحاهم هناك هو كسر لجميع حروبهم وهجماتهم المتنوعة ضد أمتنا بإذن الله، وبداية جزر لمدهم الصليبي الصهيوني علينا.

وإن أبناءكم وإخوانكم المجاهدين في العراق بفضل الله قد لقنوا أمريكا وحلفاءها دروساً لن ينسوها، وها هي السنة الرابعة قد أطلت منذ بداية الغزو الصليبي وإخوانكم هناك ثابتون مصابرون مرابطون وفي كل يوم ينكؤون جراح العدو ويحصدون جنوده بين قتيل وجريح، وقد أربكوا خطواته وعوقوا مخططاته، وحالهم بفضل الله من حسن إلى أحسن، وخطواتهم نحو توحيد الجهود تحت كلمة التوحيد مستمرة، فنرجو الله تعالى أن يبارك فيهم وفيها، وقد رفعوا راية الإسلام عالياً فجزاهم الله خير الجزاء وأجزل لهم المثوبة والعطاء.

فيجب على الأمة بكل فئاتها وشرائحها: رجالها ونسائها شبانها وشيبها؛ أن يقدموا من أنفسهم وأموالهم وخبراتهم وجميع أنواع الدعم المادي والمعنوي ما يكفي لقيام الجهاد في ساحات الجهاد وخاصة في العراق وفلسطين وأفغانستان والسودان وكشمير والشيشان.

وعلم الله أن الجهاد اليوم فرض عين، وهو واجب على كل مسلم، والأمة آثمة إن لم تقدم ما تتم به الكفاية، والكفاية تتم باليسير من أبنائنا وأموالنا وخبراتنا إن اتقينا الله تعالى.

فيا أهل الإسلام..

لا يهولنكم العدو وكثرة عدده وعُدده فإنما النصر من عند الله، والعدو بفضل الله في مأزق شديد، وإن منازلة أبنائكم المجاهدين للعدو الأمريكي في أفغانستان والعراق قد كسر هيبته وأضعف قوته واستنزف طاقته وأرغم أنفه، مما جعله يتلكأ ويتخبط في اتخاذ أي قرار ذي شأن في الاعتداء على الدول التي تتحرر من هيمنته وسلطانه، وأصبح كصاحب دبابة انتهت ذخيرتها لا تخيف إلا الحمقى بزمجرتها.

فيا أتباع محمد ﷺ..

اصبروا وصابروا ورابطوا، فالسعيد من وقف يذود عن راية التوحيد، والسعيد من ترس بنفسه ونحره يدافع عن دين الله تعالى، فاحرصوا أن يراكم الله تعالى حيث يحب، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾.

فيا أيها المسلمون..

من عجز عن الجهاد بنفسه فلا يبخل على نفسه بالجهاد بماله وقلمه ولسانه.

وإن هذه الحرب لها ما بعدها، وهذا رسول الله ﷺ سيدنا وحبيبنا وقدوتنا وأسوتنا يتعرض للأذى من الصليبيين والمرتدين، وأنتم ترون وتسمعون، وقد خذلته الدول والحكام أجمعون.

وإن المقاطعة ينبغي أن تشمل دول أمريكا وأوروبا والدول المتضامنة معها الذين تضامنوا جميعاً مع الدنمارك، وينبغي أن تتواصل، إلا أن ذلك وحده لا يكفي كما ذكرنا.

واعلموا أن الدنيا دار اختبار وابتلاء، والله مختبركم بهذه الأحداث، أتواصلون الذود عن دينه ونبيه ﷺ، أم تقعدون؟ ﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

فالناس تجاه هذا الحدث ثلاث طوائف:

- فطائفة آوت المحدث المسيء إلى رسول الله ﷺ وتضامنت معه، وهم أوروبا وأمريكا ومن سار في ركابهم.
- وطائفة أخرى قعدت مع القاعدين، فخذلت رسول الله ﷺ.
- وطائفة ثالثة قامت تناصر رسول الله ﷺ، كل بحسبه، وأفضلهم من ناصره بنفسه وماله وقلمه وسنانه ولسانه.

والله مطلع علينا، فينبغي للمسلم أن ينظر من أي طائفة يكون.

فيا عباد الله، أعدوا الجواب ليوم الحساب، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

أما المجاهدون..

فإننا بعون الله نعاهده على نصرته ونصرة رسوله ﷺ ودينه وأمته حتى يتم النصر أو نهلك دونه.

فالله الله، في نصرة رسول الله ﷺ، فلا يؤتى رسول الله ﷺ ودينه من قبلكم، فإياكم إياكم.

ولا يؤتى المجاهدون الذين ينصرون رسول الله ﷺ ودينه من قبلكم، فإياكم إياكم.

وقبل الختام..

أحرض نفس وإخواني المجاهدين بهذه الأبيات للشيخ المجاهد أبي منصور الشامي، التي يقول فيها:

سواد الليل يجلوه الصباح ... وذل الوجه يمحوه السلاح

ومن يرتع بمرعى الظلم يوماً ... تؤدبه الصوارم والرماح

وللمظلوم حق يقتضيه ... وإن غارت بلبته الجراح

ومهما حاول الطاغوت كيداً ... لدين الله بادرهم كفاح

ورام الروم للإسلام كيداً ... يظن الروم أنا نستباح

يظنون الفوارس في سبات ... وأن الأسد يفزعها نباح

تركناكم على اليرموك صرعى ... تنازعكم نسور والسراح

ومعتصمٌ وهارونٌ غزاكم ... وفي حطين حطمكم صلاح

وفي الروس الجبابر خير وعظ ... فإن الاتعاظ بهم يباح

فمزقنا أواصرهم فصاروا ... كأعشاب تذرّيها الرياح

وقـوضنـا بـأمـريكـا صـروحـاً أأنـكـرتم وهـل تخـفى بـراح

غـزونـاكـم بأجنـحـة المنـايـا ولم يخـطـر ببـالكم الطـلاح

على صهـواتهـا فـرسـان عـز تـرى أن اعتنـاق الموت راح

فعـانقت الصـروح عناق غيظٍ فـخـرت إذ ألم بهـا الجـلاح

دككنـاهـا بفـضـل الله دكـاً ودب الـقـتل فيكـم والجـراح

ومعقد حربكم أضحى ركاماً كسرنا أنفكم وهوى الطماح

فلو عاينت بوشاً حين ينمى إليه الـرعب والخزي الصراح

لقد واجهت إعصاراً شديداً فخـابت إن تـواجـهه الـرياح

وأمـا الحية الـرقطا فـذاقـت بلـنـدن بأسـنـا وعـلا النـواح

ونـازلنـا جمـوعكم كفـاحـاً ببغـداد فخـانكـم النجـاح

حصدنا منكم الآلاف مهما تـسـتــرتم فـخـزيكـم بـواح

وإن تأتوا إلى السـودان يوماً فـأسـد الله ديـدنهـا الكفـاح

سنحصـدكم بألغـام وقنـص وتعلو فـوق هامكم الصفـاح

وعقبى الكفـر خسـر ثم نـارٌ وعـاقـبـة المضحـين الفـلاح

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسـنة وفي الآخرة حسـنة وقنا عذاب النار، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اللهم ألف بين قلوب المسلمين واجمع شملهم ووحد صـفوفهم وارحم ضـعفهم واجبر كسـرهم، اللهم أبرم لأمتنا أمر رشـد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصـيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، اللهم حبب إلينـا الإيمـان وزينـه في قلوبنـا وكره إلينـا الكفـر والفســـوق

والعصيان، اللهم اشرح صدور شبابنا وفتياتنا للالتزام بدينك، وارزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم ثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام اللهم ثبتنا وثبت المجاهدين في كل مكان ولاسيما في فلسطين والعراق والسودان وبلاد الحرمين وكشمير والشيشان ونيجيريا وإندونيسيا وأفغانستان، اللهم سدد رميهم واربط على قلوبهم ومدهم بمدد من عندك وانصرهم على عدوك وعدوهم فإنه لا ناصر لنا ولهم إلا أنت يا قوي يا عزيز.)

انقسام العالم إلى فسطاطين

وبعد حديثنا عن الحرب الصليبية المعاصرة بقيادة أمريكا يحسن بنا أن نذكر كلام الإمام المجدد -رحمه الله- في انقسام العالم في هذه الحرب الصليبية المعاصرة إلى فسطاطين حيث قال الإمام المجدد -رحمه الله- في: "بيان بعد إعلان أمريكا الحرب على الإمارة الإسلامية" : (وفي هذه الأيّام؛ تدخل الدبّابات والمجنزرات الإسرائيلية، لتعيث في فِلَسْطِينَ فساداً، في جِنِينَ وفي رَامَ اللّهَ وفي رَفَحَ وفي بَيْتِ جَالاَ، وغيرها مِنْ أرض الإسلام، ولا نسمع مَنْ يرفعُ صوتاً أو يحرّكُ ساكناً!، فإذا جاءَ السّيفُ بعد ثمانين عاماً على أمريكا، ظهرَ واشرأبّ النّفاق برأسه يتحسّر ويتحسّف على هؤلاء القتلة الّذين عبثوا بدماء وأعراض ومقدّسات المسلمين، فهؤلاء أقلّ ما يقال فيهم أنّهم فسقةٌ اتّبعوا الباطل، نصروا الجزّار على الضّحيّة، نصروا الظّالم على الطّفل البريء، فحسبي الله عليهم، وأرانا الله -سبحانه وتعالى- فيهم ما يستحقّون.

أقول؛ إنّ الأمر واضح وجليّ، فينبغي على كلّ مسلمٍ بعد هذا الحدث، وبعد أنْ تحدّث كبار المسؤولين في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، ابتداءً برأس الكفْر العالميّ -بوش ومَنْ معه-، وقد خرجوا أشراً وبطراً، برجالهم وبخيْلهم، وقد ألّبوا علينا حتّى الدّول الّتي تنتسب إلى الإسلام على هذه الفئة، الّتي خرجت تفرّ بدينها إلى الله سبحانه وتعالى، تأبى أنْ تُعطي الدّنيّة في دينها؛ خرجوا يريدون أنْ يحاربوا الإسلام، ويزيّفون على النّاس باسم "الإرهاب"، شعْبٌ في أقصى الأرض -في اليابان- قُتل منهم مئات الألوف، صغاراً وكباراً، فهذه ليست جريمة حرب!، هذه مسألة فيها نظر!، مليون طفل في العراق مسألة فيها نظر!، أمّا عندما قُتل منهم بضعة

عشر في نيروبي ودار السّلام قُصفت أفغانستان وقُصف العراق، ووقف النّفاق بأسره خلف رأس الكفْر العالميّ خلف هُبَل العصر "أمريكا" ومَنْ معها.

فأقول إنّ هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين: فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاط كُفْرٍ -أعاذنا الله وإيّاكم منه-، فينبغي على كلّ مسلم، أنْ يهبّ لنصرة دينه، وقد هبّت رياح الإيمان، وهبّت رياح التّغيير لإزالة الباطل مِنْ جزيرة مُحَمد ﷺ.

وأمّا أمريكا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة:

أُقْسِمُ بِاللهِ الْعَظِيمِ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِلاَ عَمَدٍ، لَنْ تَحْلُمْ أَمْرِيكَا وَلاَ مَنْ يَعِيشُ فِي أَمْرِيكَا بِالأَمْنِ قَبْلَ أَنْ نَعِيشَهُ وَاقِعَاً فِي فِلَسْطِينَ وَقَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ جَمِيعُ الْجُيُوشِ الْكَافِرَةِ مِنْ أَرْضِ مُحَمَّدٍ ﷺ.. والله أكبر والعزّة للإسلام.)

وضوح الأهداف
والغايات السامية النبيلة (الراية)

إن من أبرز سمات ومعالم منهج الشيخ أسامة بن لادن التركيز على بيان وتوضيح الأهداف والغايات العظيمة لدعوته وجهاده فلا تكاد تجد له كلمة أو إصداراً إلا ويبين ذلك أو يشير إليه وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على وضوح أهداف دعوته وجهاده ورسوخها وثباتها في قناعته وقلبه وأهميتها وعظم منزلتها عنده.. بخلاف من كان على غير قناعة تامة بأهدافه ولم تبلغ عنده المنزلة العظيمة فتجده متقلبا متلعثما فقد قيل: (الراسخ في العلم بعيد عن التكلف والتعنت فليس بينه وبين الحق حاجب)..

قال الإمام المجدد -رحمه الله- في لقاء مع الصحفي تيسير علوني لقناة الجزيرة: (وأن هدفنا هو نصرة أمتنا والسعي لرفع الظلم والذل والهوان والخنوع عنها، ورفع الأحكام الوضعية التي فرضتها أمريكا على عملائها في المنطقة، لتُحكم هذه الأمة بكتاب ربها الذي خلقها سبحانه وتعالى، فاستمعت إلى طرف من كلام وزير الداخلية، و اتهمنا بالاسم بشكل مباشر وقال إن هؤلاء يكفرون المسلمين، معاذ الله، فإننا نعتقد أن المسلمين مسلمون ولا نكفر أحدا إلا إذا ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، إن كان عالما بأن هذا ناقض للإسلام، أو من معلوم من نواقض الدين بالضرورة. لكن نقول عموما، همنا أن تجتمع هذه الأمة على كلمة سواء تحت كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة رسوله عليه

الصلاة والسلام وأن تتحرك هذه الأمة لقيام الخلافة الراشدة مع الأمة الإسلامية عموما التي بشرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أن الخلافة الراشدة ستعود بإذن الله سبحانه وتعالى، والمطلوب من الأمة أن توحد جهودها في هذه الحملة الصليبية، فهذه أشد وأعنف وأشرس حملة صليبية تقوم على العالم الإسلامي منذ فجر التاريخ العالم الإسلامي، فقد مرت حروب صليبية سابقة ولكن لم يسبق لمثل هذه الحملة مثيل، وقد صرح بوش بلسانه "Crusade" أي الحرب الصليبية.)

وقال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في جوابه على سؤال جمال إسماعيل: (الأهداف التي تروها لأنفسكم في النهاية: ما هي هذه الأهداف وما هي الرسالة التي تريدون أن توجهوها للعالم العربي والإسلامي بشكل عام؟؟)

(الحمد لله، كما ذكرت أننا نعتقد اعتقاداً جازماً وأقول ذلك لشدة ما تمارسه الأنظمة والإعلام علينا، يريدوا أن يسلخونا من رجولتنا، نحن نعتقد أننا رجال ورجال مسلمون، ينبغي أن نذود عن أعظم بيت في الوجود، الكعبة المشرفة، وأن نتشرف بالذود عنها، لا أن تأتي المجندات الأمريكيات من اليهوديات والنصرانيات يذدن عن أحفاد سعد والمثنى وأبي بكر وعمر، والله لو لم نكن قد أكرمنا الله بالإسلام لأبى أجدادنا في الجاهلية أن تأتي هؤلاء ويأتي هؤلاء الهنود الحمر بحجة هذه الدعوة وهي دعوى لم تعد تنطلي على الأطفال، وقد قال الحكام في تلك المنطقة أن مجيء الأمريكان لبضعة أشهر وهم كذبوا في البداية والنهاية، وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة كما ذكر رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام. منهم ملك

كذاب، ومرت الأشهر ومرت السنة الأولى والثانية ونحن الآن في السنة التاسعة والأمريكان يكذبون الجميع، يقولون نحن لنا مصالح في المنطقة ولن نتحرك قبل أن نطمئن عليها، يعني أن العدو يدخل يسرق مالك وأنت تقول له أنت تسرق يقول لك لا هذه مصلحتي، فيغالطوننا بالألفاظ، فالحكام في تلك المنطقة وقع على رجولتهم شيء، لعل رجولتهم سلبت ويظنون أن الناس نساء. ووالله إن النساء الحرائر من المسلمين يأبين أن يدافع عنهن هؤلاء المومسات من الأمريكان واليهوديات، فهدفنا العمل بشرع الله سبحانه وتعالى والذود عن الكعبة المشرفة، هذه الكعبة العظيمة، وهذا البيت العتيق، الله سبحانه وتعالى جعل وجود البشر في هذه الأرض على توحيده بالعبادة، ومن أعظم العبادة بل أعظم العبادات بعد الإيمان الصلاة كما في الصحيح، رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل منا صلاة مكتوبة إذا لم نتجه نحو هذا البيت العتيق، والله سبحانه وتعالى اختار له خير الناس بعد نبينا، أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام. وهذا هدفنا أن نحرر بلاد الإسلام من الكفر، وأن نطبق فيها شرع الله سبحانه وتعالى حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، وأما رسالتي إلى المسلمين فنقول لهم: إن الدين والدنيا إذا لم نتبع أمر الله سبحانه وتعالى فستذهب ولا يبقى لنا دين ولا دنيا ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأما الدين فنحن نرى الكفر الأكبر في بلاد الإسلام، ونرى الكفار وقد استحلوا بلادنا.

وهناك فرق بين القاضي الذي يحكم في مسألة واحدة بغير الشرع وإنما بهوى وبرشوة أو يخاف من السلطان إن حكم على أحد من أقربائه والذي يصدر منه مخالفة

للشرع أو نحوه فهذا كفر لأن الله سبحانه وتعالى سماه كفراً، لكنه لا يخرج من الملة، ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾، فهذا الذي قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم أما الذي وضع قوانين بدل شريعة الله حتى يتحاكم الناس إليها فهذا كفر أكبر يخرج من الملة، وللأسف هذا انتشر انتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي.

أما من ناحية الدنيا فهذا البترول كان يؤخذ بمبالغ زهيدة، ففي دول الخليج وفي السعودية شركة أرامكو وفي فترة مبكرة في عهد الملك فيصل كان لا يدفع للمملكة من البترول إلا بضع وسبعون سنتا للبرميل الواحد، يعني أقل من دولار، ثم شاء الله سبحانه وتعالى أن قامت الحرب ضد اليهود في عام ١٩٧٣، وقطع العرب البترول فكسبوا أيضاً في دنياهم وارتفعت الأسعار إلى أن وصلت إلى ما يقرب من أربعين دولاراً للبرميل الواحد، ووصلت إلى ستة وثلاثين في الثمانينات، ثم قام الأمريكان باحتلالهم وضغطهم على دول الخليج وإجبارها على زيادة حجم إنتاجها النفطي ومن عرضها له في السوق، مما أدى إلى نزول الأسعار، فنحن نتكلم عن أكبر سرقة عرفتها البشرية في التاريخ، يمكن أن نوضح هذا من خلال الخريطة: (هنا فتح الشيخ أسامة خريطة كانت معه يبين فيها ما قال عنه أكبر سرقة عرفتها البشرية وكانت فيها المعلومات التالية):

سعر البترول المفترض حالياً: ٣٦×٤=١٤٤ دولار.

سعر البترول حالياً: ٩ دولار.

حجم السرقة الأمريكية في كل برميل: ١٤٤ - ٩=١٣٥ دولار.

الإنتاج اليومي من البترول للدول الإسلامية: ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ برميل يومياً.

حجم السرقة اليومي: ١٣٥×٣٠،٠٠٠،٠٠٠=٤٠٥٠ مليون دولار يومياً.

حجم السرقة السنوية: ٤٠٥٠×٣٦٥=١،٤٧٨،٢٥٠ مليون دولار.

حجم السرقة الكلية خلال ٢٥سنة: ١٤٧٨٢٥٠×٢٥=٣٦ تريليون دولار.

حجم ما يطالب به كل مسلم أمريكا من سرقتها:

٣٦تريليون ÷١٢٠٠ مليون مسلم =٣٠،٠٠٠ دولار لكل مسلم).

سعر البترول وصل إلى أربعين دولار، لو أخذنا متوسط السعر ٣٦ دولار للبرميل الواحد، فكما هو معلوم الأسعار الآن هي تسعة دولارات للبرميل وهو أقل سعر للبرميل منذ ربع قرن ومعلوم أن البترول هو السلعة الأساسية، والصناعات الأخرى متفرعة عنه، فلا معنى لوجود السيارات الفارهة بهذا الحجم ووجود كثير من الصناعات بهذا الحجم إلا وهي متفرعة عن البترول، فنجد أن الدول الصناعية رفعت أسعار السلع إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف على الأقل بينما للأسف البترول نزل سعره أربع مرات للأسفل في حين أنه كان ينبغي رفعه أربع أضعاف أو خمسة على الأقل، فمن هنا عندما كان البترول سعره ٣٦ دولاراً فلو رفعنا سعره أربع مرات يكون عندنا ١٤٤ دولار للبرميل الواحد، في حين أن سعره الحالي هو تسعة دولارات، فحجم السرقة والخسارة في كل برميل من التي تسرقها أمريكا وحلفاؤها هو ١٤٤ - ٩=١٣٥ دولار حجم السرقة للبرميل الواحد، وإذا علمنا أن أوبيك أو

الدول الإسلامية وحدها في أوبيك تنتج وتصدر ٢٥ مليون برميل في اليوم الواحد، وأن الدول الإسلامية خارج الأوبيك تنتج وتصدر خمسة ملايين برميل يومياً فالإجمالي عندنا هو ٣٠ مليون برميل يومياً، وإذا ضربنا هذا العدد بالرقم أعلاه لحجم السرقة في البرميل الواحد يومياً، يكون حجم السرقة في اليوم الواحد أربعة مليارات وخمسين مليون دولار يومياً.

وهذا الحجم لم تشهد له البشرية مثيلاً، ويكفي للتدليل على حجم هذه السرقة أن هذا المبلغ يكفي لإعاشة شعب في السودان من ثلاثين مليون شخص مدة أربعة أعوام، ويكفي لإعاشة شعب مثل اليمن بشماله وجنوبه مدة سنتين، إذ أن ميزانية اليمن هي مليارا دولار سنوياً، وأما بالنسبة للمملكة فخمسة أضعاف هذا الرقم أو أربعة أضعافه وقليل يساوي ميزانية المملكة السعودية، وإذا حسبنا كم حجم السرقة في سنة فيكون عندنا تريليون و٤٧٨ مليار دولار، فإذا حسبنا حجم السرقة خلال ربع قرن فيكون عندنا٣٦ تريليون دولار، حجم السرقة الذي سرق من المسلمين فقط على مستوى البترول فضلا عن المعادن الأخرى في بلاد المسلمين ولو قسمنا هذا المبلغ على عدد المسلمين الآن في العالم البالغ ألفا ومائتي مليون مسلم، فيكون لكل مسلم طفلا كان أو شيخا في ذمة أمريكا وحلفائها ثلاثون ألف دولار ولا حول ولا قوة إلا بالله، بينما شعوب العالم الإسلامي ترزح تحت الفقر والمرض والجوع، كيف نتخيل سرقة يوم واحد ماذا كانت يمكن أن تفعل في شعب مثل إخواننا في بنغلاديش الذين هم في مهب السيول والفيضانات في كل عام؟ والأمراض

منتشرة فيهم وفي كثير من الشعوب الإسلامية، فلذلك أمريكا لا ترغب في كل من يقول كلمة الحق ضدها.

وتريد منه أن يسكت لحجم السرقة الضخم الذي تسرقه، والمؤسف أن أمريكا استطاعت أن تدخل دول الخليج نتيجة الاحتلال في دوامة الديون، فرغم انخفاض الأسعار، تلزمهم أمريكا بأن يشتروا أسلحة لا قبل لهم بها ولا حاجة لهم بها، جديدة وقديمة، خردة من عند الأمريكان يلزمون دول الخليج بشرائها، ولما نفذ الاحتياطي أصبحوا يلزمونهم الشراء بالدين، فاليوم كما في التقارير الموثقة من مراكز الدراسات في الجزيرة العربية وفي رسالة موجهة من الدكتور عبد العزيز الدخيل (وهو رئيس أحد مراكز الدراسات الاقتصادية) إلى أمراء البلاد يتحدث عن حجم الدين الخارجي والداخلي وهو ما يساوي تقريباً مائتي مليار دولار، ولو سألنا عن نسبة خدمة الربا وأقلها عشرة في المائة فيكون مطلوباً عشرين مليار دولار ضريبة الدين فقط، فضلا عن سداد أصل الدين، في حين أن دخل دول الخليج، مثل الكويت، هي أيضاً في نفس المشكلة، الدخل من البترول، إذا اقتطعنا تكلفة الإنتاج، واقتطعنا ما ينبغي لإعادة الصيانة والاستثمار في مجال البترول فدولة مثل المملكة يكون ناتجها من البترول يساوي ١٦ مليار دولار فقط. وتحتاج إلى عشرين مليار دولار لخدمة الديون، فالأمريكان أدخلوا دول المنطقة في دوامة الديون التي لا يمكن أن يخرجوا منها إلا بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وأن يعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فإذا عبدوه حق العبادة فهو الذي يدفع الخوف وهو الذي يطعم الناس من جوع سبحانه وتعالى.

مسـألة أخرى هنا أيضـا أقول لإخواننا الذين ركنوا إلى الخوف وعزفوا عن الصـدع بالحق وينتظرون أن تمر العاصـفة، ها هي مرت سـنوات وبدأت تمر العقود والحملة الصـليبية لم تنته، أقول لهم إننا في هذا الزمن أقول إن الأمريكان يسـاومونا على السكوت، وأمريكا وبعض عملائها في المنطقة ساوموني أكثر من عشر مرات على إسكات هذا اللسان السليط، قالوا اسكت ونرجع لك الجواز، ونرجع لك أموالك وبطاقة الهوية، لكن بشـرط أن أسـكت. وهؤلاء يظنون أن الناس يعيشـون في هذه الدنيا من أجل الدنيا، وهم نسـوا أنه لا معنى لوجودنا إن لم نسـع لنيل رضـوان الله سبحان وتعالى.

وهذا الرسم يوضح كثافة السكان حسب أعمارهم:

-هنا فتح الشيخ أسامة بن لادن رسماً بيانياً كان بحوزته وفيه الرسم التالي: هنا يجب أن تضع الرسم البياني-

فالناس منذ الولادة وحتى العاشـرة هم أكبر قطاع في المجتمعات السـوية، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم من ستين إلى سبعين، وفي هذا الزمن ضاقت الشريحة المعطاءة لخدمة الدين وخاصة في الجهاد، وكما هو معلوم فإنه من سن الولادة وحتى الخامسة عشـرة يكون الإنسـان غير مكلف ولا يعي الأحداث العظام، ومن سـن ٢٥ فما فوق يكون الإنسـان دخل في التزامات أسـرية، تخرجه من الجامعة والتزامات الوظيفة ولديه زوجة وأولاد، فعقله يزداد نضـجاً لكن قدرة العطاء تصـبح ضـعيفة جداً: أترك الأولاد لمن؟ من يصرف عليهم؟

وهكذا، ففي الحقيقة نجد أن الشـريحة من خمسـة عشـر إلى خمسـة وعشـرين هي الشـريحة التي لديها قدرة على العطاء والجهاد وهذا الذي لاحظناه في الجهاد في أفغانستان، معظم المجاهدين من هذا السن، فعندما دخل الأمريكان في محرم من أول سـنة ١٤١١ هجرية، هؤلاء الصـغار ما كانوا يعون الحدث، وصـدرت للأسـف فتاوى، الدولة، ودول الخليج سـاهمت في الضـغط على هؤلاء العلماء لإصـدار مثل هذه الفتاوى التي زعموا أنها مؤقتة، وقد حدثنا من نثق به من هؤلاء العلماء أمثال الشـيخ محمد بن صـالح العثيمين في مجلسـه وفي بيته، قال نحن لم نصـدر فتوى، وإنما بعد أن أدخلت الدولة الأمريكان جمعونا وقالوا لا بد أن تصـدروا فتوى، وإلا فإن الشـباب سـوف يقاتلون هذه القوات الأمريكية، وتحدثت معه طويلاً في وجوب إصـدار فتوى لإخراجهم، فتوى من هيئة كبار العلماء، فقال لي بوضـوح ويشـهد الله الذي لا إله إلا هو قال: يا أسـامة ليس من حقنا في هيئة كبار العلماء أن نصـدر فتوى من عند أنفسـنا وإنما إذا أحيلت إلينا من المقام السـامي (على حد تعبيره) نحن نصدر فيها، فهذا حالنا للأسف الشديد.

فهذه الشـريحة من ١٥-٢٥ عاما عندما سـكت الناس لم يعلموا حقيقة الأمر، فنحن الآن مرت علينا تسع سنوات منذ الغزو، وهذه الشريحة بالكامل، إلا الذين عمرهم أكثر من ستة عشر عاماً ووصلت إلى سن ٣٤ عاماً، فهم دخلوا في الشريحة التي نضجت عقليا ولا تستطيع أن تعطي، والشريحة الصغيرة التي تستطيع أن تعطي الناس متوقفون الآن عن تبيين الوضع لها. فإن سـكتنا فسـيصـبح حالنا كما صـار الحال في الأندلس، تمضي عشر سنوات ثم يتبلد الحس تدريجيا.

أمر خطير، يجب على الناس أن يبذلوا ما يستطيعون في تحريض الأمة بكل ما يستطيعون بألسنتهم وأقلامهم وبأنفسهم ونحن بفضل الله قمنا بهذا الواجب اعتقاداً منا بأنه متعين علينا، ونحن مستمرون فيه حتى نلقى الله سبحانه وتعالى، وفي الختام أوجه نصيحة إلى جميع المسلمين بأن يتدبروا كتاب الله سبحانه وتعالى فهو المخرج وهو الذي انتشلنا من الجاهلية المنتنة في تلك العصور المظلمة، فدواؤنا في الكتاب والسنة، عندما يقرأ الإنسان القرآن يتعجب لقعود كثير من الناس، هل هم لا يقرأون القرآن أم أنهم يقرأون ولا يتدبرون. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

منهم: أي منهم في الكفر فيصبح كافراً.

ثم في الآية التي تليها يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾.

فأرجو إخواني المسلمين أن يقرأوا القرآن وأن يقرأوا تفسير هذه الآيات وهي كثيرة جدا في كتاب الله سبحانه وتعالى، والتي حذرنا الله فيها من الولاء للكفار. فليقرأوا مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي، وأقول إن العالم الصليبي قد أجمع على أكل العالم الإسلامي، وقد تداعت علينا الأمم، ولم يبق لنا بعد الله

سبحانه وتعالى إلا الشباب الذين لم تثقلهم أدران الدنيا، فالله سبحانه وتعالى علمنا كيف نرد الذين يتحججون في تأخير الجهاد قال تعالى:

﴿فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا﴾.

لولا أخرتنا إلى أجل قريب هو الذي نصاب به اليوم.

فالذي أيقن أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير وأبقى هذا الذي يستجيب لأمر الله سبحانه وتعالى وفي الآيات التي مرت معنا:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾.

يبين ابن كثير يقول إن المسلمين اكتشفوا المنافقين يوم دافعوا ووالوا بني قينقاع من اليهود، واليوم حكام العرب يوالون اليهود والنصارى على الملأ، وما زال الناس يمدحون أعداء الإسلام والمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فينبغي وقفة جادة صادقة نبتغي بها رضوان الله سبحانه وتعالى وأن هذه الحياة الدنيا هي متاع الغرور، وعلى كل مسلم يستطيع أن ينفر بنفسه فعليه أن ينفر ويسأل عن مواطن الجهاد والإعداد في سبيل الله حتى يلقى الله سبحانه وتعالى وهو راض عنه، وأحرض نفسي والمؤمنين بقول القائل بعد هذه المصائب العظام:

تأهب مثل أهبة ذي كفاح   فإن الأمر جل عن التلاحي
سألبس ثوبها وأذود عنها   بأطراف الأسنة والصفاح
أتتركنا وقد كثرت عليها   ذئاب الكفر تأكل من جناحي
ذئاب الكفر ما فتئت تؤلب   بني الأشرار من شتى البطاح
فأين الحر من أبناء ديني   يذود عن الحرائر بالسلاح
وخير من حياة الذل موت   وبعض العار لا يمحوه ماحي)

الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا

وأكمل الحديث هنا ببيان أن الغاية العظمى والهدف الأسمى عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- من القتال هي ما قاله ربنا تبارك وتعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: ٣٩]. وما صح رسولنا الكريم ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل».

فقد كان وضوح الراية والغاية وسمو الهدف من المعالم البارزة والسمات الجلية والركائز القويمة لجهاد ودعوة الإمام المجدد أسامة -رحمه الله-.. فهي نفس واحدة وحياة واحدة لا تحتمل التجربة ولا ينبغي أن تكون في غير سبيل بارئها وخالقها وإعلاء كلمته حيث قال الإمام المجدد -رحمه الله- في "رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق": (كما أنه لا يخفى أن هذه الحرب الصليبية تعني في أول ما تعني أهل الإسلام بغض النظر عن بقاء أو زوال الحزب الاشتراكي وصدام، فيجب على المسلمين عامة وفي العراق خاصة أن يشمروا عن ساق الجد والجهاد ضد هذه الحملة الظالمة وأن يحرصوا على اقتناء الذخائر والسلاح فهذا أمر واجب عليهم متعين قال الله تعالى: ﴿**وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً**﴾.

ومعلوم أنه لا يجوز القتال لنصرة الرايات الجاهلية وكذلك يجب على المسلم أن تكون عقيدته ورايته واضحة في القتال في سبيل الله كما قال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن وهذا القتال الذي يدور أو يكاد أن يدور في هذه الأيام يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين للروم من قبل، وتقاطع المصالح لا يضر فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة رضي الله عنهم ذلك في شيء.)

وجاء في مقابلته مع لقاء مع الصحفي "جون ميلر" لقناة ABC:

(- الصحفي: صُنفت في أمريكا كزعيم إرهابي، بالنسبة لأتباعك أنت بطل، كيف ترى نفسك؟

- أسامة بن لادن: كما قلت لسنا مهتمين بما تقوله أميركا، نحن لا نهتم. نعتبر أنفسنا وإخواننا مثل أي شخصٍ آخر، خلقنا اللهُ لعبادته ولاتّباع دينه وللاسترشاد بكتابه. أنا واحدٌ من عباد الله وأطيع أوامره، من بين أوامره -تعالى- القتال من أجل إعلاء كلمته، والقتال إلى أن يتم طرد الأميركيين من الدول الإسلامية أجمع.)

وقال في "إلى أهلنا بالعراق": (الحمد لله الذي فرض على عباده الجهاد؛ لإعلاء كلمته، ولإعزاز شريعته، ولقمع المحاربين لدعوته.

الحمد لله القائل: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ**﴾، والحمد لله القائل: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ**﴾.

والصلاة والسلام على نبينا القائل: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد»، والقائل: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد».....)

وقال -رحمه الله- في "محاضرة جماعة المسلمين": (فحديثنا عن فرض الساعة وعن واجب العصر، حديثنا عن إقامة الدين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فالله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ ليدعوا الناس إلى هذه الكلمة العظيمة إلى كلمة التوحيد، إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، هذه الكلمة هي الركن العظيم الركن الأول في هذا الدين، بها بعث محمد ﷺ، وبها بعث جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، هذه الكلمة إذا غابت عن الأرض ساد الكفر والظلام على أرجاء هذه الأرض، بعث محمد ﷺ بهذه الكلمة فكان يقول لأهله وعشيرته ولقريش قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، بهذا الركن مكث دهراً عليه الصلاة والسلام يدعوا قريش إلى هذا الركن، ولكن هذا الركن الركين لا يقوم بحال إلا على قواعد عظام، الذين يغارون على دين الله ويريدون أن يهيمن الدين على الناس ويحكم في دمائنا وأعراضنا وأموالنا وفي جميع مناحي حياتنا، لا سبيل إلى ذلك إلا بالنهج الذي نهجه محمد ﷺ...)

أهمية قيام الدولة والإمارة المسلمة
ووجوب تهيئة الظروف المناسبة لذلك

وإن من أهم مركزيات دعوة الإمام المجدد التي جعلها هدفاً رئيسـا لدعوته ولا يقبل المسامة عليه ولا التنازل عنه هدف إقامة الدولة الإسلامية التي تحكم بالشريعة فتنشر العدل وتقيم وتنصر الحق..

وهذا الهدف العظيم لا يتصـور قيام عزَّ وتمكين للمسـلمين دونه قال شيـخ الإسـلام ابن تيمية –رحمه الله– في "السياسـة الشـرعية": (يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ وِلَايَةَ أَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ؛ بَلْ لَا قِيَامَ لِلدِّينِ وَلَا لِلدُّنْيَا إلَّا بِهَا. فَإِنَّ بَنِي آدَمَ لَا تَتِمُّ مَصْـلَحَتُهُمْ إلَّا بِالِاجْتِمَاعِ لِحَاجَةِ بَعْضِـهِمْ إلَى بَعْضٍ وَلَا بُدَّ لَهُمْ عِنْدَ الِاجْتِمَاعِ مِنْ رَأْسٍ حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَـفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَـعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَد فِي الْمُسْـنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ إلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ» فَأَوْجَبَ ﷺ تَأْمِيرَ الْوَاحِدِ فِي الِاجْتِمَاعِ الْقَلِيلِ الْعَارِضِ فِي السَّـفَرِ تَنْبِيهًا بِذَلِكَ عَلَى سَـائِرِ أَنْوَاعِ الِاجْتِمَاعِ. وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إلَّا بِقُوَّةِ وَإِمَارَةٍ. وَكَذَلِكَ سَـائِرُ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ الْجِهَادِ وَالْعَدْلِ وَإِقَامَةِ الْحَجِّ وَالْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ وَنَصْـرِ الْمَظْلُومِ. وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ لَا تَتِمُّ إلَّا بِالْقُوَّةِ وَالْإِمَارَةِ؛ وَلِهَذَا رُوِيَ: "أَنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ" وَيُقَالُ: "سِتُّونَ سَنَةً مِنْ إمَامٍ جَائِرٍ أَصْـلَحُ مِنْ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِلَا سُـلْطَانٍ". وَالتَّجْرِبَةُ تُبَيِّنُ ذَلِكَ. وَلِهَذَا كَانَ السَّـلَفُ

– كالْفُضَـيْل بْنِ عِيَاضٍ وَأَحْمد بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمَا– يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ لَنَا دَعْوَةٌ مُجَابَةٌ لَدَعَوْنَا بِهَا لِلسُّـلْطَانِ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَـى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَنْ تَنَاصَحُوا مِنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ. وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ الدِّينُ النَّصِيحَةُ الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». فَالْوَاجِبُ اتِّخَاذُ الْأَمَارَةِ دِينًا وَقُرْبَةً يَتَقَرَّبُ بِهَا إلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ التَّقَرُّبَ إلَيْهِ فِيهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ. وَإِنَّمَا يَفْسُدُ فِيهَا حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ لِابْتِغَاءِ الرِّيَاسَةِ أَوْ الْمَالِ بِهَا. وَقَدْ رَوَى كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. فَأَخْبَرَ أَنَّ حِرْصَ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ يفسِدُ دِينَهُ مِثْلَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ فَسَادِ الذِّئْبَيْنِ الْجَائِعَيْنِ لِزَرِيبَةِ الْغَنَمِ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الَّذِي يُؤْتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾. وَغَايَةُ مُرِيدِ الرِّيَاسَةِ أَنْ يَكُونَ كَفِرْعَوْنَ وَجَامِعُ الْمَالِ أَنْ يَكُونَ كقارون وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَالَ فِرْعَوْنَ وَقَارُونَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ**﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾...)

وهذا الذي أَصَّلَه وبَيَنَه شيخ الإسلام رحمه الله هو عين ما دعا إليه وركز عليه الإمام المجدد وبذل في سبيله روحه وأهله وماله وما يملك فقال -رحمه الله- في مقابلته مع جمال إسماعيل: (فنحن ننصح المسلمين في داخل أفغانستان وفي خارجها أن ينصروا هؤلاء الطلبة، وننصح المسلمين في الخارج أن كثيرًا من الجهد إن كان بعيدًا عن وجود الدولة الإسلامية فلن يأتي بالثمرة المرجوة الكبيرة، فهذا نبينا محمد ﷺ مكث ثلاثة عشر سنةً يدعو في مكة المكرمة، وكانت المحصلة بضع مئاتٍ من المهاجرين -رضي الله عنهم-، فلما وُجدت دولة المدينة على صغرها في خِضّم دولة الفرس ودولة الروم وفي خضم عبس وذبيان وغطفان وقبائل العرب المجاورة والأعراب التي تنهش هذه الدويلة، ومع ذلك قام الخير.

فنحن ندعو المسلمين أن ينصروا هذه الدولة بكل ما أوتوا من قوة، من قوةٍ بإمكانياتهم وأفكارهم وبزكواتهم وبأموالهم التي هي -بإذن الله- اليوم تمثل راية الإسلام، وأن أي اعتداءٍ من أمريكا اليوم على أفغانستان هو ليس على أفغانستان في ذاتها وإنما على أفغانستان رافعةِ راية الإسلام في العالم الإسلامي، الإسلام الصحيح المجاهد في سبيل الله. فعلاقتنا بفضل الله تعالى معهم قويةٌ جدًا ووطيدة، وهي علاقة عقدية قائمةٌ على مُعتقدٍ وليس مواقف سياسيةً أو تجارية، ساهمت كثيرٌ من الدول وحاولت أن تضغط على الطالبان ترغيبًا وترهيبًا، ولكنّ اللهَ -سبحانه وتعالى- ثبتهم.)

وقال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (ونحن في وضع لم يعد لدينا دولة لنهاجر إليها؛ وقد كانت هذه الفرصة متاحة، وكانت فرصة نادرة، فمنذ أن سقطت الخلافة

حرص الصليبيون على أن لا يمكن أهل الإسلام الصادقون لإقامة دولة، وقدر الله سبحانه وتعالى أن جاءت الأحداث في أفغانستان وهزم الاتحاد السوفيتي، وتنازل الصليبيون عن ذلك الحرص والاهتمام في ظل خوفهم ورعبهم من الاتحاد السوفيتي، فلم يكن هناك بد من دفع الاتحاد السوفيتي إلا بكل شيء، ولو كان بالمجاهدين، ولو كان بالأصوليين، ولو كان بشباب الإسلام المجاهد، ففتح ذلك الباب، ومضى بضع عشرة سنة.

ولكن للأسف الشديد لم تنهض الأمة بواجبها المطلوب، وخاصة العلماء والدعاة والخطباء والجماعات الإسلامية، وإنما الذين جاءوا إلى أرض الجهاد لنصرة المجاهدين هم نفر بسيط من عامة الشباب من شباب الأمة، مع ما قدمه بعض التجار بعضاً من أموالهم، ولكن لم تكن كافية لإقامة دولة قوية.

وكانت الفرصة جيدة جداً لإقامة دولة قوية بعيداً عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضعٍ وفي انشراحٍ وتعاون غير عادي، كان الوضع يسمح بقوة أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية، لا باعتبارات قطرية وقومية، فللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين؛ أن اغتنموا هذه الفرصة! ولكن لا حياة لمن تنادي، شُغل الناس وسُحبوا باعتبارات أرضية، وباعتبارات قطرية، وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة

سـنة ولم يتحرك الناس للاسـتفادة منها، وأذكر ذلك لأقول إن الأمر ليس سـهلاً، الآن أصبحت الظروف أصعب.

ثم يسـر الله سـبحانه بين ذلك وهذا أن قامت دولة الطلبة وإقامة طالبان، وهذا الصـراع الذي حصـل بين الأفغان، ومكثوا سـت سـنوات تقريباً أو أكثر، وأيضاً بقي الناس أسرى لأهوائهم وأسرى للإعلام العالمي الذي شن حملة لا هوادة فيها ضـد الطالبان وشـوهوا سمعتهم، والإعلام العالمي قد يلام في تأثيره أو قد يُحمَّل بعض التأثير على العوام، أما من غير المقبول أن يكون الدعاة والذين تصدروا لنصرة الدين أمام الناس من غير المقبول أن يقولوا تأثرنا بالإعلام العالمي، أفغانسـتان على بعد بضـع سـاعات من جزيرة العرب مثلاً، أو من أي مكان من أقطار العالم الإسلامي.

فهذا التأخر عن نصـرة هذه الدولة رغم أن اسمها دولة الطالبان؛ دولة طلبة العلم، هو مؤشـر على وجود خلل غير عادي إما في فقههم أو في صـدقهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فيما يظهر لنا والله أعلم، فذهبت هذه الدولة وهم لم يحركوا ساكناً.

وأقول؛ إنني على يقين بفضل الله سبحانه وتعالى أن في الأمة من الطاقات ما يكفي لإقامة الدولة الإسلامية، وإقامة الخلافة الإسلامية، ولكن نحن بحاجة إلى إبلاغ هذه الطاقات؛ أن هذا الأمر واجب عليهم. ونحن بحاجة إلى إبلاغ الطاقات الأخرى المقيدة لهذه الطاقات؛ أنكم تأثمون بتقييد هذه الطاقات. فإذا فقه الشـباب وفقه التجار واجبهم فيمكن أن نقوم بالمهمة، فيُرفع الإثم عن باقي الأمة، وأيضـاً يرفع الضنك والأذى الذي يصيبنا.)

وقال رحمه الله في "توجيهات منهجية": (ولو قعد الإنسان عن الجهاد واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان وكان الجهاد متعيناً، فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة أو بهذه الطاعة جزاه الله خيراً بل هو في ديننا فاسق من الفاسقين فارٌ فر عن نصرة لا إله إلا الله ونصرة دين محمد ﷺ فينبغي الانتباه الشديد إلى هذه الأولوية، وهو كما لا يخفى، وللأسف الشديد غائبة غياباً عظيماً جداً من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء. وأنبه الإخوة كما في حديث رسولنا ﷺ عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال؛ من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه» رواه البخاري، فالفرائض والطاعات والعبادات هي بما فرض الله سبحانه وتعالى، وترتيبها كما رتبها الله سبحانه لا بما يتوافق معنا، وبما يتوافق مع أهوائنا، وبما يتوافق مع نفوسنا وتثاقلها إلى الأرض.

فعندما تكون الأولوية الأولى بتحكيم لا إله إلا الله فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية، وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.)

ويحدثنا عن هذا الأمر الدكتور الظواهري في "الحلقة الخامسة من سلسلة الربيع الإسلامي": (تحدثتُ فيما سبق عن الموقفِ الواجبِ تجاهِ الحملةِ الصليبية على العراق والشام، وعن الجريمةِ الباكستانيةِ الأمريكيةِ ضد وزيرستانَ، وعن أهمِ معالمِ الخلافةِ التي على منهاجِ النبوةِ، وفي هذه الحلقةِ أودُ أن أتطرقَ لسؤالين:

الأول: هل الظروفُ الآن مهيأةٌ لإعلانِ قيامِ الخلافةِ؟

والثاني: إذا لم تكنِ الظروفُ الآن مهيأةً لإعلانِ قيامِ الخلافةِ، فما هو البديلُ من أجلِ السعي في إقامتِها؟

فبالنسبةِ للسؤالِ الأولِ وهو: هل الظروفُ الآن مهيأةٌ لإعلانِ قيامِ الخلافةِ؟

فأبدأُ قبلَ الجوابِ عليه بتمهيدٍ، وهو:

أن الحركاتِ الإسلاميةَ منذ سقوطِ الخلافةِ تسعى لاستعادتِها. وقد قطعوا خطواتٍ واسعةً في هذا المضمارِ، بل البغداديُ ومجموعتُه وأفرعُ القاعدةِ بما فيهم دولةُ العراقِ الإسلاميةُ ما هم إلا ثمرةٌ من الثمارِ العديدةِ لهذا المسعى.

ومن أجلِ الاختصارِ أضربُ مثالًا واحدًا على ذلك، وهو الإشارةُ بإيجازٍ لمساعي الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ -رحمه اللهُ- من أجلِ إقامةِ الخلافةِ على منهاجِ النبوةِ.

- فمن هذه المساعي دعمُ الجهادِ في أفغانستانَ على أملِ أن تكونَ أفغانستانُ قلعةً للإسلامِ، ودعمُه لكثيرٍ من الحركاتِ الجهاديةِ في العالمِ ليساعدَها على إقامةِ دولٍ إسلاميةٍ في مناطقِها.

- ومن هذه المساعي دعمُه لحكومةِ السودانِ بهدفِ إنشاءِ قاعدةٍ اقتصاديةٍ تستندُ لها أيةُ حركةٍ إسلاميةٍ.

فقد كان الشيخُ –رحمه اللهُ– يرى أن أيةَ حركةٍ إسلاميةٍ تتمكنُ من الوصولِ للحكمِ، سيشنُ الغربُ الصليبيُ عليها حربًا اقتصاديةً، وأن السودانَ بإمكاناتِها الزراعيةِ الواسعةِ، يمكنُ أن توفرَ الغذاءَ الضروريَ لأيةِ دولةٍ إسلاميةٍ تُحاصرُ اقتصاديًا.

وكان –رحمه اللهُ– يستدلُ على أهميةِ الاقتصادِ بأن دولةَ إسرائيلَ قامت على أساسِ الدعمِ المالي من اليهودِ.

أما مشروعُه الآخرُ الذي كان يرجو أن يحققَه فهو إنشاءُ طريقِ الحجِ البريِ الممتدِ من نيجيريا حتى السودانِ، لتتصلَ البلدانُ الإسلاميةُ الإفريقيةُ اقتصاديًا وثقافيًا وشعبيًا.

– ثم هجرتُه الثانيةُ لأفغانستانَ والسعيُ لتوحيدِ الأمةِ حول الحركةِ الجهاديةِ في مواجهةِ هدفٍ واحدٍ وهو العدوُ الأمريكيُ، ولذا بدأ بتحريضِه على الجهادِ ضد الأمريكانِ بعد دراستِه لكلِ الحركاتِ والتجاربِ الجهاديةِ السابقةِ، ليجمعَ الأمةَ والحركاتِ الإسلاميةَ والجهاديةَ حول قضيةٍ واحدةٍ توحدُهم كخطوةٍ أساسيةٍ للسعيِ نحو الخلافةِ.

– ثم شارك في الجهادِ في صفوفِ الإمارةِ الإسلاميةِ تحت رايةِ أميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مجاهدٍ حفظه اللهُ، ضد أعداءِ الإمارةِ الذين رأى فيهم العمالةَ لأمريكا، والعداءَ لوحدةِ المجاهدين وقيامَ الخلافةِ، وهو الأمرُ الذي أثبتته الأحداثُ، وأقر به تقريرُ الكونجرسِ عن أحداثِ الحادي عشرَ من سبتمبرَ، ووثقته مؤسسةُ السحابِ في عدةِ إصداراتٍ لها.

- ثم الخطوةُ التاليةُ الهامةُ والخطيرةُ مبايعةُ الشيخِ أسـامةَ بنِ لادنٍ -رحمه اللهُ- لأميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ حفظه اللهُ، وكان هذا من علاماتِ بصـــيرتِه التي أكرمه اللهُ بها. ثم دعوةُ المســلمين لبيعةِ أميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مجاهدٍ حفظه اللهُ، باعتبارِ أن له صـلاحياتُ الإمامِ الأعظمِ في أفغانسـتان وفي أعناقِ من بايعوه، ومنهم جماعةُ قاعدةِ الجهادِ بأفرعِها المختلفةِ، ومنها دولةُ العراقِ الإسلاميةُ.

ومن أهمِ جنودِ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ البطلان الشهيدان -كما نحسبُهما- الشيخُ أبو مصعبٍ الزرقاويِ والشيخُ أبو حمزةَ المهاجرِ رحمهما اللهُ رحمةً واسعةً.

من أيةِ مدرسةٍ تخرَّج هذان البطلان؟

الشيخُ أبو مصعبٍ نشأ في مدرسةِ الشيخِ عبدِ اللهِ عزامٍ الجهاديةِ، ثم تربى على يدِ الشيخِ أبي محمدِ المقدسيِ حفظه الله، ثم صار جنديًا في جماعةِ قاعدةِ الجهادِ.

وأودُ هنا أن أضـــربَ مثالين راقيين من أمثلةِ وفائِه بالعهدِ رحمه اللهُ، ليكونا قدوةً للمجاهدين في الخلقِ الراقي والسلوكِ الرفيعِ.

المثالُ الأولُ: ما قاله -رحمه اللهُ- في شـريطٍ صـوتيٍ للشـيخِ أسـامةَ -رحمهما اللهُ- إنما أنا جنديٌ تحت إمارتِك، وإن شـــئت عزلتني، وجرِّب لترى، وما أرســـل لي به الدكتورُ في رسالتِه كان استفساراتٍ، ولو كانت أوامرَ قاطعةً لالتزمتها.

المثالُ الثاني: أرســل الشـيخُ أبو مصـعبٍ الزرقاوي -رحمه اللهُ- رسـولًا لإخوانه في خراسـان فالتقى ببعضِ القياداتِ، منهم الشيخُ مصـطفى أبو اليزيدِ رحمه اللهُ، فكان

مما أخبرهم به أن الشيخَ أبا مصعبٍ -رحمه اللهُ- لما كان يعرِضُ أمرَ شورى المجاهدين على الجماعاتِ المجاهدةِ، اشترطت إحدى الجماعاتِ قطعَ علاقةِ تنظيمِ القاعدةِ في بلادِ الرافدين بقيادةِ القاعدةِ، فلما نُقِلَ الأمرُ للشيخِ أبي مصعبٍ -رحمه اللهُ- قال: (معاذَ اللهِ أن أنكثَ بيعتي مع الشيخِ أسامةَ رحمه اللهُ.)

ومن أراد الاستزادةَ فليرجعْ -على سبيلِ المثالِ- لكلمتي الشيخِ أبي مصعبٍ الزرقاويِ رحمه اللهُ: بَيَانٌ البَيعَةُ لِتَنظِيمِ القَاعِدَةِ بِقِيَادَةِ الشَّيخِ أُسَامة بنُ لادِنَ، ورسالةٌ من جنديٍ إلى أميرِه.

أما الشيخُ أبو حمزةَ المهاجرُ -رحمه اللهُ- فقد نشأ في جماعةِ الجهادِ وكان من أخلصِ جنودِها، وكنتُ أعتبرُه أخي الأصغرَ، وفي أكثرَ من مرةٍ كان مرافقًا وحارسًا لي، وبايع هو والشيخُ أبو إسلامٍ المصريُ -رحمهما اللهُ- الشيخَ أسامةَ في أفغانستانَ.

وأحيانًا كان يراسلُنا أنا والشيخَ أسامةَ والشيخَ مصطفى بأسماءِ العمِ والوالدِ والخالِ. وقد اشترط على الشيخِ أبي عمرَ البغداديِ -رحمه اللهُ- عند بيعتِه أن يقرَ بأنه جنديٌ للشيخِ أسامةَ وبالتالي لأميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مجاهدٍ حفظه اللهُ.

ومن قبل هذا قال الشيخُ أبو حمزةَ المهاجرَ -رحمه اللهُ- في البيانِ الذي أصدره عقبَ استشهادِ الشيخِ أبي مصعبٍ الزرقاويِ رحمه اللهُ:

(شيخَنا وأميرَنا أبا عبدِ اللهِ أسامةَ بنَ لادنٍ؛

لقد مَنَّ اللهُ علينا وأكرمنا بإخوةٍ كرامٍ أشـــاوسَ اجتمعوا معنا في "مجلسِ شـــورى المجاهدين"، فكانوا خيرَ عونٍ ونصيرٍ، تعاقدنا على النّصرِ وتعاهدنا على التزامِ منهجِ السّلفِ رضي اللهُ عنهم، فجزاهم ربُنا عنا وعن جميعِ المسلمين كلَ خيرٍ.

شيخَنا وأميرَنا أبا عبدِ اللهِ أسامةَ بنَ لادنٍ؛

نحن رهنُ إشارتِكم وطوعُ أمرِكم، ونبشِّرُكُم بالمعنوياتِ العاليةِ لجندِكم وبالنفوسِ الكريمةِ الأبيةِ التي انضوت تحت رايتِكم وبطلائعِ نصرٍ قريبٍ بإذنِ اللهِ تعالى.)

فهل يُعقلُ أن هذين البطلين الشهيدين الوفيين ينكُثان بيعتَهما مع الشيخِ أسامةَ بنَ لادنٍ من طرفٍ واحدٍ؟

بينما الحقيقةُ والوقائعُ والوثائقُ تثبتُ كذبَ هذا الادعاءِ.

ثم لمصـــلحةِ من يفعلُ أبو حمزةَ المهاجرُ -رحمه اللهُ- هذا؟ وهل هذا يدعمُ وحدةَ المجاهدين أم ينقضُها؟

ولماذا يخرجُ أبو حمزةَ المهاجرُ من طاعةِ أميرِ الإمارةِ الإسـلاميةِ الملا محمدٍ عمرَ حفظه اللهُ؟

وما النتيجةُ لو فعل كلُ فرعٍ من القاعدةِ أو من الجماعاتِ المبايعةِ لأميرِ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ مثل ما افتروا به على أبي حمزةَ -رحمه اللهُ- بل وعلى أنفسِـــهم؟ النتيجةُ هي تفتتُ صفِ المجاهدين وتفرقُهم.

فهل يحقُ لمن يفعلُ ذلك أن يدعيَ أنه يدعو لوحدةِ المجاهدين؟

ومن هي المجموعةُ المستفيدةُ من الإصرارِ على ترويجِ فِريةٍ؛ أن أبا حمزةَ -رحمه اللهُ- قد نكث بيعتَه من طرفٍ واحدٍ مع الشيخِ أسامةَ رحمه اللهُ، ومع الملا محمدِ عمرَ؟

الجوابُ: إنها مجموعةُ البغداديِ الساعيةُ للتمددِ بالتهربِ من التحاكمِ للشريعةِ، وباغتصاب حقوق المسلمين بغيرِ شورى ولا سمعٍ ولا طاعةٍ، وبرمي من يعارضُ تمددَها -حتى من سبقوها- بالانحرافِ والعلمانيةِ والديمقراطيةِ والإخوانيةِ بمحضِ الافتراءِ والاختلاقِ.

رحمكما اللهُ يا أبا مصعبٍ ويا أبا حمزةَ، فقد عظُمتِ المصيبةُ بفقدِكما، وإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

- ثم عودةٌ لخطواتِ الشيخِ أسامةَ -رحمه اللهُ- في السعي للخلافةِ، فبالإضافةِ لما ذكرتُه من قبل، سعى الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ -رحمه اللهُ- في توحيدِ الحركاتِ الإسلاميةِ: بإنشاءِ الجبهةِ الإسلاميةِ العالميةِ لجهادِ اليهودِ والصليبيين، ثم تكوينُ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ تحت رايةِ الإمارةِ الإسلاميةِ.

- ثم توسيعُ جماعةِ قاعدةِ الجهادِ بإنشاءِ أفرعَ مختلفةٍ لها، تجتمعُ كلُها في كيانٍ جهاديٍ واحدٍ تحت إمارةِ أميرٍ واحدٍ وهو أميرُ المؤمنين الملا محمدِ عمرَ.

فهذا بإيجازٍ هو طريقُ الشيخِ أسامةَ بنِ لادنٍ -رحمه اللهُ- خطوةً خطوةً نحو الخلافةِ الراشدةِ.

ورغمَ هذه الخطواتِ المباركةِ الجبارةِ، فقد كان الشـــيخُ أســـامةُ -رحمه اللهُ- وإخوانُه يرون أن الوقتَ الآن غيرُ ملائمٍ لإعلانِ قيامِ إماراتٍ إســـلاميةٍ ناهيك عن خلافةٍ، وقد نشـر الأمريكانُ بعضَ مراسـلاتِه، التي تضـمنت هذا المعنى، وليسـت إشـارتي لما نشره الأمريكانُ استدلالًا مني بما ينشرونه، ولكن لأبينَ ألا عذرَ لأحدٍ يهتمُ بالجهادِ والمجاهدين ألا يطَّلعَ على هذه الوثائقِ الهامةِ.

بل إن أحدَ الإخوةِ في إحدى الجماعاتِ الجهاديةِ أخبرني أنه يُدَرِّسُ هذه الوثائقَ لإخوانِه للاستفادةِ مما فيها من توجيهاتٍ وعبرٍ.

ولم يكنْ نهيُ الشـيخِ أسـامةَ بنِ لادنٍ -رحمه اللهُ- وإخوانِه عن إقامةِ إماراتٍ في هذا الوقتِ تقاعسًـا منهم ولا جبنًا ولا تقصـيرًا، ولكنه اجتهادٌ واقعيٌ رأَوه لصـالحِ الجهادِ والمسلمين، باعتبارِ أن تعجلَ الشيءِ قبل أوانِه يؤدي لحرمانِه، كما يُقالُ.

ولو كانت مجردُ سـيطرةِ بعضِ الإخوةِ على بقاعٍ من بلادِ المسـلمين وهم فيها في كرٍ وفرٍ مع أعدائِهم، الذين نســألُ اللهَ أن ينصــرَ المســلمين والمجاهدين عليهم، أقولُ: لو كانت مجردُ ســيطرةِ هؤلاءِ الإخوةِ مبررًا لإعلانِ خلافةٍ، لكانت جماعةُ قاعدةِ الجهادِ أولى منهم بذلك، لأن لها فروعًا علنيةً وغيرَ علنيةٍ في عددٍ من البلادِ تسـيطرُ -بفضل اللهِ ومنتِه- على مساحاتٍ شاسعةٍ.

بل أميرُ المؤمنين الملا محمـدٌ عمرَ كـان أولى من الجميعِ، فـالقـاعـدةُ كلُها جزءٌ من جنودِه.)

وقال الدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- في "سلسلة الربيع الإسلامي":

(وأنا أدعو الدعاة الصادقين منكم أن يبينوا للأمة الخطوات الطيبة المباركة التي خطاها المجاهدون بقيادة الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- لتوحيد صفوف المسلمين وتجميعهم ضد أعدائهم.

فقد سعى الشيخ أسامة لتحريض الأمة على هدف واحد وهو جهاد اليهود والصليبيين وهبل العصر أمريكا، وسعى في تجميع الجماعات الجهادية، فأنشأ الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، وبايع الإمارة الإسلامية في أفغانستان، ودعا المسلمين لبيعتها ليتوحدوا تحت راية واحدة، فاستجيبوا لهذا النداء المبارك، وأكملوا طريق الإمام المجدد رحمه الله.

وعلى الدعاة الصادقين أن يبينوا للأمة المسلمة في شرق آسيا ما هي الدولة المسلمة التي ندعو لها، وأنها دولة الرضا والشورى والعدل، وليست دولة الغصب والقهر والتفجير والنسف.

دولة تقوم على التحاكم للشريعة لا على التهرب منها.

دولة تقوم على الوفاء بالعهود لا نكثها.

دولة تقوم على حفظ حرمات المسلمين والمجاهدين، لا على تكفيرهم وسبهم واتهامهم بأنهم عملاء المخابرات ولا على استباحة دمائهم.

دولة تهتدي بهدي القرآن الكريم، الذي أنزل الله فيه: ﴿**وأمرهم شــــورى بينهم**﴾، لا ببدعة البغدادي التي تقول: وأمركم شورى بيننا.

إنها دولة تهتدي بســـنة النبي ﷺ، الذي قال: «أول من يغير ســـنتي رجل من بني أمية» حسنه الشيخ الألباني رحمه الله، وقال: (ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة، وجعله وراثةً.) وقال ﷺ: «أوصـيكم بتقوى الله والسّـمع والطّاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين، فتمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنّواجذ».

دولة تهتدي بهدي الخلفاء الراشـدين رضـي الله عنهم. قال سـيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنّه لا خلافة إلا عن مشورة.) وهذا سند صحيح مسلسل بالثقات بفضل الله.

وقال سيدنا عبد الرحمن بن عوف لسيدنا علي –رضي الله عنهما– في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله: (أمّا بعد يا عليّ إنّي قد نظرت في أمر النّاس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنّ على نفسـك سـبيلًا. فقال: أبايعك على سـنّة الله ورســوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرّحمن وبايعه النّاس المهاجرون والأنصـــار وأمراء الأجناد والمسلمون.)

إنها دولة الخلافة على منهاج النبوة، التي لا تهتدي بهدي الحجاج بن يوسف ولا أبي مسـلم الخراسـاني، ولا بتضـليل متحدث البغدادي الذي يفخر بأنهم أخذوها مغالبةً وغصبًا بتفجير وتفخيخ ونسف.

ومعركتكم أيضًا معركة سياسية لحشد الأمة المسلمة وتنظيمها لتسير نحو التغيير المنشود للدفاع عن أراضي المسلمين وردع أكابر المجرمين ونشر دعوة التوحيد والوحدة الإسلامية والدعوة لإقامة الحكومة المسلمة، التي تجمع المسلمين تحت خلافة واحدة بالرضا والشورى. وهذا الحشد والتنظيم يتطلب منكم عملًا دؤوبًا بين أوساط الأمة المتعددة.)

دفع العدو الصائل

إن قضية دفع العدو الصائل من مهمات مسائل الجهاد التي وضحتها نصوص الكتاب والسنة والعلماء الربانيون قديما وحديثا قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [الأنفال: ٧٢].

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: (وقوله: ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير**﴾ يقول تعالى: وإن استنصروكم هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا في قتال ديني، على عدو لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم؛ لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار ﴿**بينكم وبينهم ميثاق**﴾ أي: مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم. وهذا مروي عن ابن عباس، رضي الله عنه.)

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا**﴾ [النساء: ٧٥].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (قوله تعالى: ﴿**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله**﴾ حض على الجهاد. وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس. وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال، وذلك أوجب لكونها دون النفوس إذ هي أهون منها. قال مالك: واجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم. وهذا لا خلاف فيه، لقوله عليه السلام: «فكوا العاني» ......)

وروى أصحاب السنن عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد» صححه الألباني.

ومسألة مشروعية دفع العدو الصائل وأنه من أهم فروض الأعيان في بعض الصور والحالات من المسائل التي انعقد عليها إجماع علماء الأمة وفي ذلك يقول الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله- في "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان": (جهاد الدفع (دفع الكفار من بلادنا): وهذا يكون فرض عين بل أهم فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أ) إذا دخل الكفار بلدة من بلاد المسلمين.

ب) إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان.

ج) إذا استنفر الإمام أفراد أو قوما وجب عليهم النفير.

د) إذا أسر الكفار مجموعة من المسلمين.

الحالة الأولى: دخول الكفار بلدة من بلاد المسلمين:

ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقا أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة -التي هاجمها الكفار- وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا أو تكاسلوا أو قعدوا يتوسع فرض العين على شكل دوائر الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصروا فعلى من يليهم ثم على من يليهم حتى يعم فرض العين الأرض كلها.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية: (وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط - كالزاد والراحلة- بل ي دفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم).

ويعلل ابن تيمية رأيه بعدم اشتراط الراحلة في رده على القاضي الذي قال: (إذا تعين فرض الجهاد على أهل بلد فمن شرط وجوبه الزاد والراحلة إذا كانوا على مسافة القصر قياسا على الحج)، قال ابن تيمية: (وما قاله القاضي من القياس على الحج لم ي نقل عن أحد وهو ضعيف، فإن وجوب الجهاد يكون لدفع ضرر العدو

فيكون أوجب من الهجرة، ثم الهجرة لا تعتبر فيها الراحلة، فبعض الجهاد أولى، وثبت في الصحيح من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال على المرء المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وأثرة عليه فأوجب الطاعة عمادها الاستنفار في العسر واليسر، وهنا نص في وجوبه مع الإعسار بخلاف الحج، هذا في قتال الطلب، وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.))

بعد هذا البيان الموجز لهذه المسألة العظيمة في الكتاب والسنة ومذاهب علماء الأمة انتقل بكم إلى بيان هذه المسألة في دعوة وتوجيهات الإمام المجدد أسامة –رحمه الله– فقد كانت هذه المسألة من أهم الأسس والركائز والمسائل التي اعتمد عليها وكانت من أهم مفاتيح الصراع التي خاطب بها المسلمين متبعاً بذلك هدي الكتاب والسنة وهدي الصالحين وأصحاب الفطر السليمة على مر العصور كما قال الإمام ابن القيم –رحمه الله– في" الفروسية": (فجهاد الدفع يقصده كل أحد ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعا وعقلا.. وجهاد الطلب الخالص لله يقصده سادات المؤمنين وأما الجهاد الذي يكون فيه طالبا مطلوبا فهذا يقصده خيار الناس لإعلاء كلمة الله ودينه ويقصده أوساطهم للدفع ولمحبة الظفر.)

ولكبير وعظيم منزلة مسألة دفع الصائل في الدين أخذت هذه الركيزة الهامة مساحة واسعة في توجيهات إمامنا المجدد –رحمه الله– فلا تجد له كلمة أو رسالة تخلو منها

وقد تنوعت أساليب وعبارات الإمام المجدد بما يقتضيه المقام والحالة والنازلة فنذكر نماذج لذلك على سبيل المثال لا الحصر..

فقد اعتمد على هذا الأصل العظيم لتحريض الأمة للقيام بأهم فروض الأعيان اليوم فقال -رحمه الله- في "النفير": (والآن نتحدث عن ما هو واجب المسلمين تجاه هذه الحرب الصليبية الصهيونية ضد أمة الإسلام:

قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾، إن أوجب الواجبات بعد الإيمان اليوم هو دفع وقتال العدو الصائل، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط)، فالجهاد اليوم متعين على الأمة بأسرها وهي واقعة في الإثم إلى أن تخرج من أبنائها وأموالها وطاقاتها ما يكفي لقيام الجهاد الذي يدفع بأس الكفار عن جميع المسلمين في فلسطين وغيرها.

فيجب على المؤمنين أن يجاهدوا لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كلٌ بحسب طاقته، قال رسول الله ﷺ في صحيح مسلم: «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل» رواه مسلم، وهذا الحديث العظيم يشمل جميع المؤمنين، فبما أننا مؤمنون إذن فنحن مجاهدون في سبيل الله لنصرة الدين، فالمؤمن الذي عجز عن الجهاد بيده ولسانه يجب عليه أن يجاهد بقلبه، ومن ذلك أن يستمر في بغض أعداء الله ويدعو عليهم وأن يستمر في موالاة المؤمنين والمجاهدين ويدعو

لهم ويستشعر الأخوَّة الإيمانية التي تربطه بالمسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها، وينبغي أن يستشعر أن أهل الإيمان في فسطاط واحد وأن أهل الكفر في فسطاط واحد إلى أن يمن الله على الأمة بدولة تضم المسلمين تحت لوائها بإذن الله، وينبغي أن يحدث نفسه بالجهاد في سبيل الله بيده ولسانه، وهذا أضعف الإيمان وينبغي عليه مقاطعة بضائع أميركا وحلفائها، وليحذر المؤمن كل الحذر من أن يؤيد الباطل، فإن مناصرة الكافرين على المسلمين -ولو بكلمة- كفر بواح كما قرر ذلك أهل العلم، وليحذر من أن يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ**﴾، أو من الذين قال الله فيهم: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ فلا يجمع بين كبيرة القعود وكبيرة التخذيل.

والجهاد بالنفس اليوم وإن كان متعيناً على الأمة بأسرها إلا أنه في حق الشباب آكد مما هو في حق الكهول والشيوخ. وكذلك الجهاد بالمال المتعين اليوم هو في حق أصحاب الأموال آكد مما هو في حق غيرهم.

ومن فضل الله على الأمة اليوم أن شرح الله صدور كثير من شبابها للجهاد في سبيله، والذود عن دينه وعباده، فيجب على الأمة أن تعينهم وتشجعهم وتيسر أمورهم ليدافعوا ويدفعوا عنها الظلم والخزي والإثم، ويجب على الأمة أيضاً أن تحافظ على الجهاد القائم اليوم، وأن تنصره بكل ما أوتيت من قوة، فهو عزيز جداً كما هو في فلسطين والشيشان وأفغانستان وكشمير وإندونيسيا والفلبين وغيرها من بلاد الإسلام، فإن الجهاد في هذه الدول لم تبق رايته مرفوعة بعد فضل الله، رغم الهجمة

الشرسة من الأعداء، إلا ببذل ما لا يوصف من العناء والدماء والأشلاء، نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.)

واعتمد على هذا الأساس العظيم في بيان الدوافع لعملية الحادي عشر من سبتمبر فقال -رحمه الله- في "الحرب أسبابها ونتائجها": (ومعلوم أن الذين يكرهون الحرية لا يملكون نفوسا أبية كنفوس التسعة عشر رحمهم الله، وإنما قاتلناكم لأننا أحرار لا ننام على الضيم، نريد إرجاع الحرية لأمتنا، فكما تهدرون أمننا نهدر أمنكم، ولا يعبث بأمن الآخرين ثم يتوهم بأنه سيبقى آمنا إلا اللص الأحمق، وإن العقلاء إذا وقعت المصائب كان من أهم أعمالهم البحث عن أسبابها لتجنبها.

ولكنني أعجب منكم؛ فبالرغم من دخولنا السنة الرابعة بعد أحداث الحادي عشر فما زال بوش يمارس عليكم التشويش والتضليل وتغييب السبب الحقيقي عنكم، وبالتالي فإن الدواعي قائمة لتكرار ما حدث.

وإني سأحدثكم عن الأسباب وراء تلك الأحداث، وسأصدقكم القول باللحظات التي اتخذ فيها هذا القرار لتتفكروا.

فأقول لكم؛ علم الله أنه ما خطر في بالنا ضرب الأبراج، ولكن بعدما طفح الكيل وشاهدنا ظلم وتعسف التحالف الأميركي الإسرائيلي على أهلنا في فلسطين ولبنان تبادر إلى ذهني ذلك.

وإن الأحداث التي أثرت في نفسي بشكل مباشر ترجع إلى عام ١٩٨٢ وما تلاها من أحداث، عندما أذنت أميركا للإسرائيليين باجتياح لبنان وساعد في ذلك

الأسطول الثالث الأميركي، وبدأ القصف وقتل وجرح كثيرون وروع وشرد آخرون، وما زلت أتذكر تلك المشاهد المؤثرة؛ دماء وأشلاء وأطفال ونساء صرعى في كل مكان، منازل تدمر بمن فيها وأبراج تدك على ساكنيها، قذائف كالمطر تصب على ديارنا بلا رحمة، وكان الحال كتمساح التقم طفلا لا حول له ولا قوة إلا الصراخ، فهل يفهم التمساح حوارا بغير سلاح؟!، وكان العالم كله يسمع ويرى ولا يجيب، وفي تلك اللحظات العصيبة جاشت في نفسي معان كثيرة يصعب وصفها ولكنها أنتجت شعورا عارما برفض الظلم وولّدت تصميما قويا على معاقبة الظالمين.

وبينما أنا أنظر إلى تلك الأبراج المدمرة في لبنان انقدح في ذهني أن نعاقب الظالم بالمثل وأن ندمر أبراجا في أميركا لتذوق بعض ما ذقنا ولترتدع عن قتل أطفالنا ونسائنا، وتأكد لي يومها أن الظلم وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء عن عمد؛ قانون أمريكي معتمد، والترويع حرية وديمقراطية، وأما المقاومة؛ فإرهاب ورجعية، وتعني ظلم وحصار الملايين حتى الموت كما فعل بوش الأب في أكبر مجزرة للأطفال جماعية عرفتها البشرية في العراق، وتعني أن يلقى من القنابل والمتفجرات ملايين الأرطال على ملايين الأطفال في العراق أيضا كما فعل بوش الأبن لعزل عميل قديم وتنصيب عميل جديد يعين على اختلاس نفط العراق، وغير ذلك من الفظائع.

وعلى خلفية تلك الصور وأمثالها جاءت أحداث الحدي عشر ردا على تلك المظالم العظام، فهل يلام المرء في الذود عن حماه؟ وهل الدفاع عن النفس ومعاقبة الظالم بالمثل إرهاباً مذموماً؟ فإن يكن كذلك فما لنا منه بد.

فهذه هي الرسالة التي حرصنا على إبلاغها لكم -قوليا وعمليا- مراراً منذ سنين قبل أحداث الحادي عشر، وطالعوها إن شئتم في لقائي مع "سكوت" في مجلة "التايم" عام ٩٦، وكذلك مع "بيتر أرنيت" في "CNN" عام ٩٧، ثم لقائي مع "جون ونر" عام ٩٨، وطالعوها عمليا إن شئتم في نيروبي وتنزانيا وفي عدن، وطالعوها في لقائي مع عبد الباري عطوان وكذلك لقائاتي مع "روبرت فيسك" -وهذا الأخير هو من جلدتكم وعلى ملتكم وأحسب أنه محايدا- فهل يستطيع مدعو الحرية في البيت الأبيض والقنوات الخاضعة لهم أن يجروا معه لقاء لينقل للشعب الأميركّي ما فهمه منا عن أسباب قتالنا لكم؟

فإن تجتنبوا هذه الأسباب تكونوا قد سرتم في الطريق الصحيح الذي يوصل أميركا إلى أمنها الذي كانت عليه قبل الحادي عشر، فهذا عن الحرب وأسبابها.)

واعتمد هذا الأصل وهذه الركيزة في بيان وجوب جهاد الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين وبيان الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين فقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين - أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (فينبغي التنبُّه إلى هذه الحيل الشيطانية وأمثالها التي تنفِّذها وزارة الداخلية، والصواب في مثل هذه الحالة التي نعيشها هو كما قرره أهل العلم، وهو تكاتف جميع أهل الإسلام للعمل على دفع الكفر الأكبر الذي يسيطر على بلاد العالم الإسلامي، مع تحمُّل الضرر الأدنى في سبيل دفع الضرر الأكبر ألا وهو الكفر الأكبر، وإذا تزاحمت الواجبات قُدِّم آكدها، ولا يخفى أنَّ دفع هذا العدو الأمريكي المحتل هو أوجب الواجبات بعد الإيمان، فلا يُقَدَّمُ عليه شيء كما قرر ذلك أهل

العلم، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: (وأمَّا قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجبٌ إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يُشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان.) [كتاب الاختيارات العلمية، ملحق بالفتاوى الكبرى: ٤/٦٠٨].

فإذا تعذَّر دفع هذا العدو الصائل إلا باجتماع المسلمين بقضِّهم وقضيضهم وغثِّهم وسمينهم، كان ذلك واجبًا في حقِّهم، مع التغاضي عن بعض القضايا الخلافية والتي ضَرَر التغاضي عنها في هذه المرحلة أقل من ضرر بقاء الكفر الأكبر جاثمًا على بلاد المسلمين، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مبيِّنًا هذه المسألة منبِّهًا على أصل عظيم ينبغي مراعاته وهو: (العمل على دفع أعظم الضررين بالتزام أدناهما) واصفًا حالة المجاهدين والمسلمين وإن كان فيهم عسكرٌ كثير الفجور، فإنَّه لا يُعفى من ترك الجهاد ضد العدو الصائل، قال -رحمه الله- وبعد أن ذكر شيئًا من أحوال التتار وما هم عليه من تبديل شرائع الله: (فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله ﷺ، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه، كان الواجب أيضًا قتالهم دفعًا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإنَّ هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها، ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة: "الغزو مع كل بر وفاجر"، فإنَّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام

لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنَّه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجَّار أو مع عسكر كثير الفجور فإنَّه لا بدَّ من أحد أمرين إمَّا ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررًا في الدين والدنيا، وإمَّا الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه.) [مجموع الفتاوى ٢٨/٥٠٦].

وكان الإمام المجدد أول الموقعين على بيان "إعلان "الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين" والذي جاء فيه: (إن كل تلك البوائق والجرائم هي من الأمريكان إعلان صريح للحرب على الله ورسوله وعلى المسلمين، وقد أجمع العلماء سلفًا وخلفًا عبر جميع العصور الإسلاميّة على أن الجهاد فرض عين إذا دهم العدو بلاد المسلمين، وممّن نقل ذلك الإمام ابن قدامة في "المغني"، والإمام الكسائيّ في "البدائع"، والقرطبيّ في تفسيره، وشيخ الإسلام في اختياراته، حيث قال:

(أمّا قتال الدّفع فهو أشد أنواع دفع الصّائل عن الحرمة والدين، واجب إجماعًا؛ فالعدوّ الصّائل الذي يُفسد الدّين والدّنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.)

ونحن بناءً على ذلك، وامتثالًا لأمر الله نُفتي جميع المسلمين بالحكم التّالي: إنّ حكم قتل الأمريكان وحلفائهم –مدنيّين وعسكريّين– فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسّر فيه، وذلك حتى يتحرّر المسجد الأقصى، والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم عن كل أرض الإسلام مثلولة الحدّ، كسيرة الجناح، عاجزة عن تهديد أيّ مسلم، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا**

يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾، وقوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾**، وقوله تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾**.

إننا بإذن الله ندعو كلّ مسلم يؤمن بالله، ويرغب في ثواب، إلى امتثال أمر الله بقتل الأمريكان، ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك.

كما ندعو علماء المسلمين وقادتهم وشبابهم إلى شنّ الغارة على جنود إبليس الأمريكان، ومَن تحالف معهم من أعوان الشّيطان، وأنْ يُشرّدوا بهم مَن خلفهم لعلهم يذّكّرون.

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**، وقوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**، و قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**.)

واعتمد على هذا الأصل لتوحيد الجهود وتجاوز المسائل التي تضعف قوة المسلمين وتزيد من تسلط الأعداء عليهم فقال الإمام المجدد –رحمه الله– في "مقابلة مجلة نداء

الإســلام": (إنه ليس لدينا أدنى شــك أن هذه حملةٌ صــليبيةٌ يهوديةٌ شــرســةٌ على الإسلام، والتي لم نشهد مثلها من قبل، لذلك يجب على المسلمين الاستعداد بكل إمكانياتهم وقواهم لصــد العدو عســكريًا واقتصــاديًا، وفي المناطق التي يُشــرون فيها وغيرها من الأماكن.

إنه من الضروري أن نكون صبورين، ونتعاون بِورعٍ وتقوى، وأن نرفع وعي المسلمين بحقيقة أن الأولوية الكبرى بعد الإيمان هي دفع العدو الصــائل الذي يفســد الدين ويعيث فسادًا في العالم، ولا شيء بعد الإيمان أولى من ذلك -كما قد ذكر العلماء في هذه القضية- إنه لَمِن الضروري أن نترك الكثير من قضايا المشاحنات في سبيل توحيد صــــفوفنا لنتمكن من رد الكفار، علينا جميعًا أن نطبق قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾، ولا نكون كالذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾.

إنه من الضروري أن نتعاون ولا نتشاحن وأن نتقي الله في شأننا كله، يقول رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، وعلينا أن نتّبع سنة الرسول ﷺ عندما قال: «بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا».

نســأل الله أن يهدينا وأن يعز المســلمين ويُذل الكافرين، وأن يُحكّم شــريعته حيث يسود الخير ويزول الشر.)

واعتمد على هذا الأصل في الرد المخالفين والمخذلين وشبهاتهم.. فكان هذا الأصل من الأســـس التي ذكرها في بطلان فتوى الصـــلح مع اليهود فقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "رســـالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصـــلح مع اليهود": (إن العدو اليهودي الحالي ليس إلا عدواً مستقراً في بلاده الأصلية محارباً من الخارج حتى يجوز معه الصلح، بل هو عدوٌ صائل مُفسدٌ للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: (والعدو الصـائل الذي يفسـد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم.) ا.هـ. [الاختيارات الفقهية صـ٣٠٩-٣١٠].

إن الواجب الشرعي تجاه فلسطين وإخواننا الفلسطينيين من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، هو الجهاد في سبيل الله وتحريض الأُمَّة عليه حتى تتحرر فلسطين عن أخرها وتعود إلى السيادة الإسلامية.

وفلســـطين في غِنِى عن مثل هذه الفتاوى المخذلة عن الجهاد والمخلدة إلى الأرض، هذه الفتاوى التي تقر احتلال العدو لأقدس مقدســـات المســـلمين بعد الحرمين الشـريفين، وتُضـفي الشـرعية عليه، وتدعم بكل قوة مسـاعي العدو لضـرب الجهود الإسـلامية المتلهفة لتحرير فلسـطين عن طريق الجهاد الذي أكد من خلال عمليات أبطال الحجارة وشـباب الجهاد المسـلم في فلسـطين أنه السـبيل الوحيد الناجع في مواجهة العدو والكفيل بتحرير الأرض إن شاء الله.

ونذكركم هنا بفتواكم السابقة في هذا الشأن، لما سئلتم عن السبيل لتحرير فلسطين، فقلتم أنه: (لا يمكن الوصول إلى حل لتلك القضية إلا باعتبار القضية إسلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهاداً إسلامياً حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم.) ا.هـ. [مجموعة فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز ١/٢٨١].)

اكتفي بهذه الأمثلة من كلام الإمام المجدد في بيان حسن اعتماده على هذا الأصل العظيم في دعوته وجهاده تقبل الله منه ونفع به.

وحرض المؤمنين

إن تحريض المسلمين على الجهاد في سبيل الله من أهم أعمال الدعاة الصادقين وتتأكد وتزداد أهميته في الحالات التي يكون الجهاد فيها فرض عين على المسلمين فهو بمنزلة الصاعق الذي يفجر طاقات الأمة ويبعثها من غفلتها ويحيي معاني الجهاد والاستشهاد والعزة والشجاعة في النفوس قال الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾ [النساء: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**﴾ [الأنفال: ٦٥].

وعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» رواه أبو داود وصححه الألباني.

وفي تقرير هذا الواجب يقول الشيخ أبو مصعب السوري –تقبله الله– في "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية": (يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وحرض المؤمنين**﴾.. أي كل المؤمنين. ولفظا "المؤمنين" و"المسلمين" كما هو معلوم إذا انفردا دل اللفظ على أهل ملة الإسلام أهل لا إله إلا الله. وإذا اجتمعتا عم لفظ "المسلمين" أهل الإسلام، وخص لفظ المؤمنين الصفوة المؤمنة منهم كما قال تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾.

وموضع الشاهد هنا. أن الأمر لرسول الله ﷺ بتحريض الأمة في الآية التي كانت أساس دعوتنا ومستندها ومنطلق نظرياتها وشعارها وهي قوله تعالى:

﴿**فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين**﴾.. هي أمر لكل فرد وتكليف شخصي بالقتال، سواء قاتل الناس أم قعدوا.. وأمر للمجاهد عامة ولأهل العلم والدعوة وأصحاب الخطابة والقلم والكلمة، أن يحرضوا المؤمنين، أي كل المسلمين. فالدرس الأول هو الاتجاه للأمة، كل الأمة، بدعوة المقاومة. وليس فقط لخاصتها من أهل الصحوة أو أهل التدين. فالجهاد فريضة على الجميع وعلينا أن نحرض الجميع ونقاتل معهم برهم وفاجرهم، قويهم وضعفهم، ولاسيما وأن دعوة المقاومة هي دعوة دفع صائل عامة براية الإسلام العامة.

(٢) - أن أنجح شعارات الحشد والجمع على الجهاد كانت شعارات الجهاد ضد الصائل الخارجي. وهو حالنا اليوم. وهو هدف دعوة المقاومة. فعلى رسالتنا التحريضية ودعوتنا أن تتخذ من ذلك أساس الدعوة.. دفع الصائل والفريضة العينية في ذلك.

(٣) - أن أمة الإسلام اليوم تتعرض لهجوم الصائل عليها في كافة مناحي وجودها، فهو يستهدفها في دينها بالإزالة والطمس والتبديل، وفي أنفسها بالقتل وبالإبادة، وفي أعراض بالأذى وانتهاك الكرامة، وفي أموالها وثرواتها بالنهب.. الخ، ولذلك فإن مفتاح الجهاد وبرنامج التحريض وشعاراته يجب أن يكون شاملا لكل ذلك.)

وقد كان تحريض المسلمين للوقوف في وجه الحملة الصليبية المعاصرة ودفع صيال المعتدين من أشهر وأظهر الركائز والمعالم التي تميزت به دعوة وجهود الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-..

فقد جاء في مقابلته مع تيسير علوني:

(تيسير علوني: طيب يا شيخ، المراقب لتصريحاتكم ولبياناتكم قد يربط بين القسم الذي أدليتم به مؤخرا، قلتم حرفيا: "أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بغير عمد، لن تهنأ أمريكا بالأمن ما لم نعشه واقعا في فلسطين"، فمن السهل على أي متابع للأحداث أن يربط بين ما حصل من اعتداءات إرهابية في نيويورك وواشنطن وقسمكم هذا، فما رأيكم في هذا الاستنتاج؟

الشيخ أسامة بن لادن: الربط سهل، من حيث أننا حرضنا على ذلك فنحن حرضنا منذ سنين وأصدرنا بيانات وأصدرنا فتاوى في هذا الباب، وغير ذلك أيضا من التحريض المستمر في لقاءات كثيرة ونشر في الإعلام، فإن قصدوا أو قصدتم أن هناك صلة نتيجة التحريض فهذا صحيح، فنحن نحرض والتحريض متعيّن اليوم، وقد كلف الله سبحانه وتعالى به خير البشر محمدا ﷺ وقال سبحانه: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾، فكف بأس الكفار سبيله القتال والتحرير، فهذا الربط صحيح أننا حرضنا على قتال أمريكان واليهود، فهذا صحيح..........

تيسير علوني: طيب يا شيخ أنا أرى أن إجاباتكم تقودنا دوما إلى الحديث عن فلسطين والقضية الفلسطينية فدعنا نقود السؤال: بياناتكم الأخيرة، أو بالتحديد أو

بيان صدر منذ سنوات يدعو إلى قتال اليهود والصليبيين وكان، نحن نذكر طبعا أن عنوان كان موجودا عليه بين قوسين جملة من الحديث الشريف: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» وكان تركيزكم على إخراج الأمريكيين من جزيرة العرب، لكن بدأنا نرى في الآونة الأخيرة تبديلا في أولوياتكم، وضعتم قضية فلسطين أو ما تسموها أنتم "قضية الأقصى" في المقدمة وأعدتم قضية الحرمين إلى المقام الثاني، إن صح التعبير فما تعليقكم على ذلك؟

الشيخ أسامة بن لادن: أقول لا شك أن الجهاد فرض عين لتحرير الأقصى ولإنقاذ المستضعفين في فلسطين وفي لبنان وفي العراق وفي جميع بلاد الإسلام، ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين أيضا هو كذلك فرض عين، لكن في مسألة تقديم أو بعض الكلام أنه يقال أن أسامة الآن وضع قضية فلسطين، فهذا غير صحيح، فللعبد الفقير محاضرات ١٤٠٧ هجرية تحث المسلمين على المقاطعة الاقتصادية ضد البضائع الأمريكية وكنت أقول إن أموالنا يأخذها الأمريكان ويعطوها لليهود فقتلوا فيها أخواتنا في فلسطين فهذا فرض عين، وهذا فرض عين، وفروض عيان كثيرة في الجهاد ككشمير وغيرها. وفي الجبهة التي أنشأت قبل بضع سنين كان عنوانها -مسمى الجبهة- الجبهة الإسلامية ضد اليهود والصليبيين، وذكرنا لهذين الحدثين أو لهاتين القضيتين من باب الأهمية، فأحيانا قد تتوفر مقومات في إحدى القضيتين تدفع بها أكثر من غيرها فنتحرك بهذا الاتجاه دون إهمال للاتجاه الآخر......

تيسير علوني: شيخ أسامة هل لديكم رسالة تودون توجيهها لمشاهديك؟

الشيخ أسامة بن لادن: أقول بالنسبة لهذه الأزمة، ولهذا الصراع ولهذا القتال بين الإسلام والصليبية، أؤكد أننا سنواصل بإذن الله سبحانه وتعالى هذا الجهاد ونحرض الأمة على ذلك حتى نلقاه وهو راض عنا.

والحرب كما وُعدنا بها وما هي قائمة، بالأساس اليوم بيننا وبين اليهود، فأي دولة تدخل في خندق اليهود، فلا تلومن إلا نفسها، وإن كان الشيخ سليمان أبو غيث صرح في بعض تصريحاته السابقة، خاصة أمريكا وبريطانية، فهذا ليس للحصر، وإنما إعطاء فرصة للدول الأخرى تراجع حساباتها، فما شأن اليابان وشأننا، من الذي يدخل اليابان في هذه الحرب الصعبة، القوية، الشرسة؟ في اعتداء سافر على أبنائنا في فلسطين، ولن تحتمل اليابان أن تدخل معنا في حرب، فلها أن تراجع نفسها، ما شأن أستراليا في أقصى الجنوب وحال هؤلاء المستضعفين في أفغانستان؟ وحال المستضعفين في فلسطين؟ ما شأن ألمانيا في هذه الحرب إلا الكفر والصليبية؟ هي حرب تتكرر صليبية، كما كانت الحروب السابقة -ريتشارد قلب الأسد وبربروسا من ألمانيا ولويس من فرنسا- كذلك اليوم ومباشرة يوم أن رفع بوش الصليب تدافعت الدول الصليبية، ما شأن الدول العربية في هذه الحرب الصليبية وتدخل سفارا جهارا نهارا؟ هم قد رضوا بحكم الصليب.

كل من يدعم بوش ولو بكلمة، فضلا عن أن يقدم التسهيلات، وما يسمى تسهيلات، هي خيانة عظمى، يغيرون الأسماء، فإيش تسهيلات عسكرية؟! تتعاون معهم على قتل أبنائنا وتقول لي تسهيلات، كيف نصدق أن هذا النظام يجمع تبرعات للأبرياء هنا في أفغانستان وهو سبب رئيسي في إباحة بلاد الحرمين

للأمريكان ومن حالفهم، كيف نصدقه وهو سبب رئيسي في قتل أكثر من مليون طفل؟ نقول أليس عند هؤلاء الناس الذين يمشون ويسيرون خلف هؤلاء الحكام؟ أليس عندهم قلوب؟ أليس عندهم إيمان؟ كيف يصح إيمانهم وهم يساعدون هؤلاء الكفرة، الفجرة ضد أبناء لإسلام؟ يساعدونهم ضد أبناءنا في العراق وفلسطين، أقول كما تدين تدان.

إن الذين يتكلمون عن الأبرياء في أمريكا، لم يذوقوا حرارة فقد الأبناء، ولم يذوقوا أن ينظروا إلى أشلاء أبناءهم في فلسطين وفي غيرها، بأي حق يحرم أهلنا في فلسطين الأمن، تصطادهم طائرات الهليكوبتر في بيوتهم، بين نساءهم وأطفالهم؟ كل يوم يشلون الجرحى والجثث، ثم يأتي هؤلاء السفهاء يتباكون على قتلى أمريكا ولا يتباكون على أبنائنا؟ ألا يخشون أن يعاقبوا بمثل هذا العقاب؟ وقد صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «من لم يغز أو يخلف غازيا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة»، فليتقوا الله وليتوبوا وليفكوا الحصار عن هؤلاء الأطفال الأبرياء، فالغربيون هم أحرار، أوربا أرادت تدخل الحرب، هذا شأنها، أما نحن شأننا أن نقاتل من يقف في خندق اليهود، وأمريكا وشعب أمريكا هم أحرار، دخلوا في الخندق فليستلموا ما يأتيهم.

وأما نحن، فهذا نحن في عبادة وفي جهاد، صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «قيام ساعة في الصف خير من عبادة ستين سنة»، فأي فضل أفضل من هذا؟ في رضوان الله سبحانه وتعالى، نجاهد من أجل دينه، نرجو الله أن يتقبل منا ومنكم.

وأما بالنسبة للمسلمين فأقول لهم: فليثقوا بنصر الله سبحانه وتعالى، وليستجيبوا لأمر الله سبحانه وتعالى، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بالجهاد ضد الكفر العالمي، فوالله السعيد من اتخذ شهيدا اليوم، والسعيد من تشرف بأن يقف تحت راية محمد ﷺ، تحت راية الإسلام لقتال الصليبية العالمية. فليتقدم كل أمرئ منهم لقتل هؤلاء اليهود والأمريكان، فإن قتلهم من أوجب الواجبات ومن أعظم القربات، وليتذكروا تعليمات نبينا عليه الصلاة والسلام، فقد قال ﷺ للغلام ابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام أني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك، لم ينفعونك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، فلا تشاور أحداً في قتل الأمريكان، امض على بركة الله وتذكر موعودك عند الله سبحانه وتعالى بصحبة خير الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

وفي الختام أوجه نداء إلى إخواننا في باكستان: فإن موقف الحكومة الباكستانية للأسف الشديد وباكستان هي ركن من أركان هذا التحالف المشؤوم، هذا التحالف الصليبي، فتحرك إخواننا في باكستان بإذن الله سبحانه وتعالى سيؤدي إلى ضربة قوية لهذا التحالف الصليبي المشؤوم، فكل من وقف مع أمريكا -تسهيلات طبية وغير طبية- هذا كفر أكبر مُخرج من الملة، فينبغي على الأخوة في باكستان أن يتحركوا تحركا جادا لنصرة دين الله سبحانه وتعالى ولنصرة رسول الله ﷺ، فهذا الإسلام اليوم يناديهم:

واإسلاماه، واإسلاماه، واإسلاماه،

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد..

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد..

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد..

والسلام عليكم ورحمة الله.)

وجاء في مقابلة جمال إسماعيل: (سؤال: بعد الهجوم الأمريكي الأول على أفغانستان في الصيف الماضي ورد في وكالات الأنباء أو في تصريحات لكم أو لأنصاركم أنكم ستردُّون على هذا الهجوم، لكن إلى الآن لم يقع أي ردٍ ولم نسمع بأي رد، تُرى في حال حصول هجوم أمريكي جديد على أفغانستان هل نتوقع أن نسمع رد فعلٍ عملي وماذا سيكون هذا الرد؟

أسامة بن لادن: نحن واجبنا والذي قمنا به هو أن نحرّض الأمة على الجهاد في سبيل الله ضد أمريكا وضد إسرائيل وضد أعداء الله، ومازلنا في هذا الخط نحرّض الناس، وما حصل بفضل الله -سبحانه وتعالى- من تحرُّك شعبي في هذه الشهور الأخيرة يبشّر في الاتجاه الصحيح لإخراج الأمريكان من بلاد المسلمين، نحن -ونظرًا للظروف التي تحيط بنا، وعدم القدرة على الحركة خارج أفغانستان لمزاولة أعمالنا ما تيسر لنا-، لكن بفضل الله نحن شكّلنا مع عددٍ كبير من إخواننا "الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين"، ونعتقد أن كثيرًا من هؤلاء أمورهم تسير بشكلٍ جيدٍ ولديهم حركة واسعة، نرجو اللهَ أن يفتح عليهم في المستقبل في نصرة الدين والانتقام من اليهود والنصارى وأمريكا.)

وقال في محاضـــرة "الإيمان والجهاد": (فما هو الســـبيل لإحقاق الحق وقطع دابر الكافرين؟ وما هو السبيل لإبطال الباطل وكف بأس الكفار؟

نحن نشأنا في زمن لا جهاد فيه إلا شيئًا لا يُذكر، فاجتهد الـــمخلصون من أبناء هذه الأمَّة يريدون الرجوع بهذه الأمَّة إلى عزها ومجدها، ولكن كلٌ أخذ بحظٍ إلا هذه الذروة -أي: الجهاد- غابت عن الناس فما اســتفادوا منها كما ينبغي، فنشـــأنا بعيدين عن ذلك ولكن الله ســبحانه وتعالى قد أكمل لنا هذا الدين، وبيَّن كيف السبيل لإحقاق الحق؛ يقول سبحانه وتعالى في سورة الأنفال -بعد أعوذ بالله من الشــيطان الرجيم-: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾، الصحابة يوم بدر كانوا يريدون العير لا يريدون القتال -بعضهم؛ كما يقول أهل التفسير- ولكن الله سبحانه وتعالى لـــم يحابهم، فسبحانه وتعالى يريد إحقاق الحق، فلـما أراد إحقاق الحق -كما تعلـمون- وجَّههم للجهاد في سبيل الله يقول سبحانه: ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المجْرِمُونَ**﴾، يقول أهل التفسير في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلماتِهِ**﴾ أي: يريد أن يحق الحق بالجهاد في سبيل الله، ﴿**بِكَلماتِهِ**﴾ -كما يقول القرطبي رحمه الله- أي: بأمره إياكم بأن تجاهدوا في سبيل الله، وكذا يكون كف بأس الكفار الذين أحاطوا بنا إحاطة السوار بالـــمعصم ونحن في غفلة عن هذا إلا من رحم الله، فيكون كف بأس الكفار أيضًا بالجهاد؛ بأمرين اثنين بيَّنهما سبحانه وتعالى لرسولنا عليه الصلاة والسلام:

١. بالقتال في سبيل الله.

٢. تحريض المؤمنين.

حيث يقول سبحانه: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الـمؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾، ولذا اتبع رسولنا ﷺ هذا الأمر الرباني وكلما جاء للكفار بأس خرج ﷺ يقاتلهم ويحرِّض الـمؤمنين، بل حتى إذا كان الكفار أو اليهود يفكرون في أن ينالوا من هذا الدين كان الدواء هو الخروج في سبيل الله، فكما جاء في الحديث الصحيح أنه -يأتي معنى الحديث- بعد أن رجع رسول الله ﷺ من غزوة الأحزاب وكانت ما يقارب شهرًا إلا قليلاً دخل عليه الصلاة والسلام يغتسل في بيت أم الـمؤمنين، وإذ بعد أن اغتسل -هذا ما جاء في الحديث الصحيح- وإذ بجبريل يطرق عليه الباب ويقول: يا محمد؛ هل وضعتم السلاح! فإنَّ الـملائكة لـم تضع السلاح بعد، فهذه الأمَّة أمَّة الجهاد، فسأل رسول الله ﷺ: «ما الخبر؟» فأشار بوجهه عليه السلام جهة بني قريظة، فنادى منادي رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلِّينَّ العصر إلا في بني قريظة، وهم لـم ينالوا من الـمسلمين وإنَّما فكروا في أن ينالوا.)

وقال في كلمته الأخيرة بعد ثورات الربيع العربي: (فإِلَى أُولئِك الثّوارِ الأَحرَارِ فِي جَمِيعِ الأَقطَار:

تَمسّكُوا بِزمَامِ المبَادَرَةِ، وَاحذَرُوا المحَاوَرَةَ؛ فَلَا التِقَاءَ فِي مُنتَصَفِ السّبِيلِ بَينَ أَهلِ الحَقّ وَأَهلِ التّضلِيل، حَاشَا، وَكَلّا.

وتَذكَّرُوا أنّ اللهَ قد مَنّ عَلَيكُم بِأَيّامٍ لهَا مَا بَعدَهَا، أَنتُم فُرسَـــانُهَا وَقَادَتُهَا، وَبِأَيدِيكُم لِجَامُها وَرِيادتها، ادّخَرَتكُم الأُمّةُ لِهَذَا الحَدَث الجَلَل، فأَتِمّوا المسِيرَ وَلَا تَهَابُوا العَسِيرَ.

بَدَأَ المسَيرُ إِلَى الهَدَف وَالحُرُّ فِي عَزمٍ زَحَفْ

وَالحُـرُّ إِن بَدَأَ المسِيـرَ فَلَن يَكِلّ وَلَن يَقِفْ

فَلَن يَقِفَ حَتّى تَتَحَقَّقَ الأَهـدَافُ المنشُـــودَةُ، وَالآمَـالُ المعقُودَةُ -بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى- فَثَورَتُكُم هِيَ قُطبُ الرَّحَى، وَمَوضِـعُ آمَالِ المكلُومِينَ وَالجرحَى، فَقَد فَرّجتُم عَن الأُمّةِ كُرَبًا عَظِيمَةً -فرّج اللهُ كُرَبَكُم- وَتُحَقّقُونَ آمَالاً كَبِيرَةً -حقّقَ اللهُ آمَالَكَم-.

وَقَفَ السّبِيلُ بِكُم كَوقفَةِ طَارِقٍ اليَأسُ خَلفٌ وَالرَّجَاءُ أَمَامُ

وَتُـرَدُّ بِالـدّمِ عِـزّةٌ أُخِـذَت بِـهِ وَيَمُوتُ دُونَ عَرِينِهِ الضّرغَامُ

مَن يَبذِل الـرُّوحَ الكَـرِيمَ لِـربّـهِ دَفعًا لِبَاطِلِهِم فَكَيفَ يُلَامُ

فَيَا أَبنَاءَ أُمّتِي المسلِمَة:

أَمَـامَكُم مُفتَرَقُ طُرُقٍ خَطِير، وَفُرصَـــةٌ تَارِيخيّـةٌ عَظِيمَـةٌ نَادِرَةٌ لِلنُهُوضِ بِالأُمّـةِ، وَالتّحَرُّر مِنَ العُبُودِيَّةِ لِأَهوَاءِ الحُكّامِ، وَالقَوَانِين الوَضعِيّةِ، وَالهَيمَنَةِ الغَربِيّةِ.

فَمِنَ الإِثمِ العَظِيمِ وَالجَهلِ الكَبيرِ أَن تَضِيعَ هَذِهِ الفُرصَةُ الّتِي تَنتَظِرُهَا الأُمّةُ مُنذ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ، فَاغتَنِمُوهَا وَحَطّمُوا الأَصنَامَ وَالأَوثَانَ، وَأَقِيمُوا العَدلَ وَالإِيمَان.)

نكتفي بهذه المواضع والأمثلة فإننا لا نكاد نجد كلمة من كلمات الإمام المجدد أسامة بن لادن تخلو من تحريض المؤمنين على الجهاد والوقوف في وجه الصـــهيوصـــليبية المعاصرة.

محاربة الذل والهوان وبعث روح العزة والكرام في روح الأمة

وإن من المعاني السـامية والركائز الأصـيلة التي بنى عليها الإمام المجدد دعوته وجهاده محاربة الذل والهوان وبعث روح العزة في روح الأمة.. فإن الذل والهوان والركون إلى الدنيا من أعظم أسباب تسلط الأعداء وتأخر النصر قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩].

قال الإمام السـعدي -رحمه الله- في تفسـيره: (يقول تعالى مشـجعا لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومنهضـا لهممهم: ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا**﴾ أي: ولا تهنوا وتضـعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصـابتكم المصـيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصـيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصـر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال (تعالى): ﴿**وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾.)

وقال الإمام ابن عاشـور -رحمه الله- في تفسـير هذه الآية: (قَوْلُهُ: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾ نَهْيٌ لِلْمُسْـلِمِينَ عَنْ أَسْـبَابِ الْفَشَـلِ. وَالْوَهَنُ: الضَّـعْفُ، وَأَصْـلُهُ ضَـعْفُ الذَّاتِ: كَالْجِسْـمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي**﴾ [مَرْيَم: ٤]، وَالْحَبْلُ فِي قَوْلِ زُهَيْرٍ:

فَأَصْـــبَحَ الْحَبْلُ مِنْهَا خَلَقًا وَهُوَ هُنَا مَجَازٌ فِي خَوَرِ الْعَزِيمَةِ وَضِـــعْفِ الْإِرَادَةِ وَانْقِلَابِ الرَّجَاءِ يَأْسًا، وَالشَّجَاعَةِ جُبْنًا، وَالْيَقِينِ شَكًّا، وَلِذَلِكَ نُهُوا عَنْهُ. وَأَمَّا الْحُزْنُ فَهُوَ شِدَّةُ الْأَسَـفِ الْبَالِغَةُ حَدَّ الْكَآبَةِ وَالِانْكِسَـارِ. وَالْوَهَنُ وَالْحَزَنُ حَالَتَانِ لِلنَّفْسِ تَنْشَـآنِ عَنِ اعْتِقَادِ الْخَيْبَةِ وَالرُّزْءِ فَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمَا الِاسْـتِسْـلَامُ وَتَرْكُ الْمُقَاوَمَةِ. فَالنَّهْيُ عَنِ الْوَهَنِ وَالْحُزْنِ فِي الْحَقِيقَـةِ نَهْيٌ عَنْ سَـــبَبِهِمَـا وَهُوَ الِاعْتِقَـادُ، كَمَـا يُنْهَى عَنِ النِّسْـــيَانِ، وَكَمَا يُنْهَى أَحَدٌ عَنْ فِعْلِ غَيْرِهِ فِي نَحْوِ لَا أَرَيَنَّ فُلَانًا فِي مَوْضِـعِ كَذَا أَيْ لَا تَتْرُكْهُ يَحُلُّ فِيهِ، وَلِذَلِكَ قَدَّمَ عَلَى هَذَا النَّهْيِ قَوْلَهُ: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ**﴾ [آل عمران: ١٣٧] إِلَخْ ... وَعَقَّبَ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿**وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾، الْوَاوُ لِلْعَطْفِ وَهَذِهِ بِشَـارَةٌ لَهُمْ بِالنَّصْـرِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَالْعُلُوُّ هُنَا علوّ مَجَازِيٌّ وَهُوَ عُلُوُّ الْمَنْزِلَةِ.

وَالتَّعْلِيقُ بِالشَّـرْطِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ قُصِـدَ بِهِ تَهْيِيجُ غَيْرَتِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ إِذْ قَـدْ عَلِمَ الله أنّهم مُؤمنُونَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّـا لَاحَ عَلَيْهِمُ الْوَهَنُ وَالْحَزَنُ مِنَ الْغَلَبَـةِ، كَانُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ ضَـعُفَ يَقِينُهُ فَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ عَلِمْتُمْ مِنْ أَنْفُسِـكُمُ الْإِيمَانَ، وَجِيءَ بِإِنِ الشَّرْطِيَّةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا عَدَمُ تَحْقِيقِ شَرْطِهَا، إِتْمَامًا لِهَذَا الْمَقْصِدِ.)

وعن ثوبان رضـــي الله عنه، قال: قال رســـول الله ﷺ: «يوشـــك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصـــعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء الســـيل، ولينزعن الله من صـــــدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت».

وسـيرة الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- القولية والعملية زاخرة بالآثار التي تبعث العزة والكرامة في روح الأمة وتحارب الذل والمهانة ومن ذلك قوله في محاضـرة "حال الجهاد" والتي هي من أوائل محاضراته: (فما سبب قعودنا عن الجهاد وتشبهنا ببعض صفات المنافقين؟

أسباب كثيرة ولكن من أهمها:

إن هذا العالم الإسـلامي بأجمعه من أقصـاه إلى أقصـاه، من مشـرقه إلى مغربه، اسـتعمر ودخله الغزو الفكري، بل إن هذا العالم الإسـلامي بأجمعه لم ينجُ من الاستعمار المباشر بأجمعه إلا شمال اليمن وبلاد الحرمين فمكث الاستعمار في كثير من بلاد المسلمين خمسين سنة وبعضها مئة سنة بل بعضها قرنين من الزمان، فبذل جهده على أن يُخمد المقاومة المسـلحة وهي عند المسـلمين تسـمى بالجهاد فبذل جهده في هذا.

بل يحدثني من أثق به من مشـايخ المسـلمين الذين كانوا في شمال أفريقيا، يقول: كان الفرنسـيون يسـتأجرون من أبناء جلدتنا من المنافقين من يقف بيننا في المسـاجد، فإذا أردنا أن نحدث أو نفقه الناس في كتاب الجهاد في الفقه منعونا حتى أصـبح ذلك عادة عندنا، إذا وصـلنا عند كتاب الجهاد في الفقه أو في الحديث أن نقفز عنه ولا ندرسه للناس.

فنشـأ في هذا الجو أجيال بعيدة عن الجهاد لم تر نماذج حية أمامها تجاهد في سـبيل الله بل وجدوا الخنوع وما يخفاكم كيف يكون حال الاسـتعمار، والحمد لله الذي سـلم هذه البلاد وشمال اليمن من الاستعمار، تنشـأ أجيال في خنوع كامل وفي ذلة

وفي استسلام كما حصل في القارة الهندية والتي فيها أكثر من ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم ما بين باكستان وبنغلادش والهند، ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم، فالهند فيها مائة وخمســـون يحكمونهم الهندوس ولكن لا تجد فيها رائحة للجهاد في تلك الجزيرة بعد أن مكث فيها الإنجليز -أخزاهم الله- ما يقارب قرنين من الزمان، فأشـــعروا الناس أن الجهاد انتهى زمانه وعهده.

بل بثوا فيهم طوائف كالبهائية لا تؤمن بالجهاد جملة ولا تفصــيلًا، وهكذا أثروا على معظم المســـلمين في العالم الإســـلامي، ونحن تأثرنا إما بالمجاورة والاختلاط أو بالغزو الفكري الإعلامي الذي ينتشر عبر موجات الهواء، فهذا من الأسباب الرئيسية، لأن الذل والخنوع هو قيد، ولو لم يكن هناك حديد كما قال الشاعر:

قيد العبيد من الخنوع   وليس من برد الحديد

فالخنوع والذلة شـــعور معنوي يمنع الإنســـــان في داخله وفي باطنه، يمنعه من قتال الكفار ومن دفع الضيم.

ولذلك لما كان عنترة وهو الفارس المشـــهور عندما هوجم بنو عبس، قال له أبوه: كرّ يا عنترة. قال إن العبد لا يحســـن الكرّ، ولكن يحســـن القلاب والصـــر، قال: كرّ وأنت حُر.

فلما زال ذلك الحاجز المعنوي والذل، خرج واســـترد بعير بني عبس من أعدائهم، رجل واحد عندما زال عنه ذلك الذل.

فالذليل لا يستطيع أن يدفع الكفار.

وقد نما الذل فينا علمنا أم لم نعلم، ولا أدل من ذلك أن نرى إخواننا في فلسطين صباح مساء يذلون ويهانون ويعتدى على مسرى رسول الله ﷺ ولا نحرك ساكناً، فما ذلك إلا من ذل الرَّبَى دون أن نشعر به، فالذليل لا يمكن أن يدفع الكفار وقد قيل: لا يدفع الضيم الذليل، فالذليل لا يستطيع أن يرفع الضيم عن ديار المسلمين ولا عن نفسه، وإياكم وأن تذلوا أبناء المسلمين، فوالله كل راع يذل رعيته إذا حمي الوطيس يجدهم أذلاء لا خير فيهم ولا نفع.

فإياك أن تذل، فقد استرعاك الله سبحانه وتعالى على أبنائك وأهلك، فإياك أن تذلهم فإن ذللت أمهم خرج الأولاد ذليلين، وإن ذللتهم هم كانوا أشد ذلاً، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً في الجهاد.

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يبعد عنا هذا الذل الذي أصابنا والطريق إلى ذلك ميسور إن شاء الله.

فمن أعظم الأسباب التي أصابتنا أننا نشأنا في جيل، بل نحن أبناء جيل ما عرفوا العزة والإباء الإسلامي، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ونهانا الله سبحانه وتعالى عن أن نهين أو ندعو إلى السلم فقال سبحانه: ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ**﴾.)

وقوله في "الذكرى السنوية الثانية لغزوة منهاتن.. كلمة الشيخ أسامة بن لادن كما جاءت في الشريط المرئي (وصية سعيد الغامدي) ": (إن غزوتي نيويورك وواشنطن جسدت معنى العزة والكرامة في زمن الذلة والمهانة، وإن أبطال تلك الغزوتين أمسوا نجوماً زاهرةً لأهل الأرض قاطبة، وسط هذه الظلمات المدلهمة؛ تُرشد الحائرين إلى طريق الحرية والإباء والمقاومة والفداء ضد فرعون العصر، الذي يريد أن يستعبد البشرية جمعاء، وإن يواصل امتصاص دمائها ونهب خيراتها لصالح الشركات الكبرى.

إن هؤلاء الفتية كبدوا العدو خسائر فادحة معنوية ومادية، كما أربكوا مخططاته العدوانية، فقد ظهر بالوثائق أن هذا العدوان لاحتلال المنطقة وتقسيمها قد بُيِتَ بليل قبل ستة أشهر من الغزوتين، فلعل الإرباك للعدو كان كافياً للناس لينتبهوا من غفلتهم ويهبوا من سباتهم للجهاد في سبيل الله.

ولقد تشرفت بالتعرف على هؤلاء الرجال، وبمثل هؤلاء يتشرف الناس، كيف لا وقد شرفهم الله ووفقهم لنصرة الإسلام، ولا أراهم إلا غرساً غرسهم الله في دينه، واستعملهم في طاعته، فلله درهم.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقد كان منهم الشاب الناشئ في طاعة الله؛ سعيد الغامدي من بلاد الحرمين، فقد كان صاحب عبادة، وزهد وأدبٍ جم، وحياء وصفاء، فطنٌ صدوق، لا يعرف المداهنة في الحق، هموم الأمة تؤرقه، ليثٌ مقدامٌ، لا يخاف في الله لومة لائم، نحسبه كذلك والله حسبه.

أسدٌ دم الأسد الهزبر خضابه   ليثٌ فريص الأُسد منه ترعد

فمن أراد أن يتعلم والوفاء الصدق، والكرم والشجاعة لنصرة الدين من قُدُواتٍ مُعاصرة فليغترف من بحر سعيد الغامدي ومحمد عطا وخالد المحضار وزياد الجراحي ومروان الشحي وإخوانهم يرحمهم الله، فإن هؤلاء تعلموا من سيرة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهو أصدق الناس وأشجع الناس وأكرم الناس، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً».

وهذه الصفات ضرورية لإقامة الدين، فمن فاتته هذه الصفات فلن يستطيع أن ينصر الدين ويقيمه.

وهنا أقول لمن فاتته بعض هذه الصفات من المخلفين والمخذلين عن الجهاد:

من لم يكن بالقتل مقتنعا   يخلي الطريق ولا يغوي من اقتنع

وأقول لهم:

ومن يتهيب صعود الجبال   يعش أبد الدهر بين الحفر)

وقوله -رحمه الله- في آخر كلمة له "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة": (فَضَعفُ الوَعيِ عِندَ كَثيرٍ مِن أَبنَاءِ الأُمّةِ النَاتِجُ عَن الثّقَافَةِ الخَاطِئَةِ الّتِي يَبُثّهَا الحُكّامُ مُنذُ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ هُوَ المصِيبَةُ الكُبرى، وَمَا مَصَائِبُ الأُمّةِ الأُخرَى إِلّا ثَمَرَةٌ مِن ثَمَرَاتِهَا المرّة، فَثَقَافَةُ الذُّلِّ وَالهوَانِ وَالخُنُوعِ، وَتَكرِيسِ الطَّاعَةِ المطلَقَةِ لِلحُكّامِ -وَتِلكَ عِبَادَةٌ لَهُم مِن دُونِ الله- وَالتّنَازُل عَن أَهَمِّ الحُقُوقِ الدِّينِيّةِ وَالدّنيَوِيّةِ لَهُم،

وَجَعلِ القِيَمِ وَالمبَادِئِ وَالأَشـــخَاصِ تَدُورُ فِي فَلَكِهِم، فَتُفقِدُ الإِنسَـــانَ إِنسَـــانِيّته، وَتَجعَلهُ يركضُ وَرَاءَ الحَاكِمِ وَإِرَادَتِه، دُونَ إِدرَاكٍ أَو تَبَصّــر فيُصــبِح إِمّعَة؛ إِن أَحسَــنَ النّاسُ أَحسَن، وَإِن أَسَاؤُوا أَسَاء، مِمّا يَجعَلهُ كَسِلعَةٍ مِن سَقطِ المتَاعِ، يَفعَلُ بِهَا الحَاكِمُ مَا يَشَــاء، وَهَؤُلاءِ هُم ضَــحَايَا الظّلمِ وَالاِســتِبدَادِ فِي بِلَادِنَا، الّذِينَ أَخرَجَهُم الحُكّامُ لِيَهتِفُوا بِاسمِهِم، وَيَقِفُوا فِي خَندَقِهِم، وَقَد سَــعَى الحُكامُ لِيَتَخَلّى النَّاسُ عَن أَهَمّ حُقُوقِهِم الّتِي آتَاهُم اللهُ إِيّاهَا، فَعَطّلُوا عُقُولَ الأُمّةِ، وَهمّشُــوا دَورَهَا فِي الشّــؤُونِ العَامّةِ المِهِمّةِ عَبرَ تَضَــافُرِ جُهُودِ مُؤَسّــسَــاتِ الدّولَةِ الدّينِيّةِ وّالإِعلاَمِيّةِ لِإِصــبَاغِ الشّــرعِيّةِ عَلَيهِم، فَسَحَرُوا أَعيُنَ النَّاسِ وإِرَادَاتِهِم وَعُقُولَهُم، وَرَوّجُوا لِصَنَمِيّةِ الحَاكِمِ، وَأَسّسُوا لَهَا زُورًا وَبُهتَانًا بِاســـمِ الدّين، وَكَذَلِكَ بِاســـمِ الوَطَن، لِيَحترِمَهَا النّاسُ وَلِيَغرِسُـــوهَا فِي النّفُوس، لِيُقَدّسِـــهَا الكِبَارُ، وَلَم يَســـلَم مِنهَا الصّـــغَارُ، الّذِينَ هُم أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا، وَقَد وُلِدُوا عَلَى الفِطرَةِ فَاغتَالُوا فِطرَتَهُم بِلَا ضَــمِيرٍ وَلَا رَحمَة، فَهَرِمَ عَلَى ذَلِكَ الكَبِيرُ، وَشَــبّ عَلِيهِ الصّــغِيرُ، فَازدَادَ الطُّغَاةُ طُغيَانًا، وَالمستَضــعَفون اســتِضــعَافًا، فَمَاذَا تَنتَظِرُون؟!)

وهكذا حياته ودعوته -رحمه الله- من أولها إلى آخرها قائمة على العزة والكرامة ومحاربة الذل والهوان فقد جاء في مقابلته مع "قناة CNN": (الصــحفي: هل تخبرنا عن ترحيلك من السعودية والوقت الذي قضيته في السودان ومن ثم وصولك إلى أفغانستان؟

-أسامة بن لادن: كنت -وبفضل الله سبحانه وتعالى- أقيم في مكان عظيم قريب من الله ســبحانه وتعالى -الحجاز- في مكة المكرمة عند بيت الله الحرام.

على أي حال فقد فرض النظام السعودي على الناس حياة لا تتوافق مع إرادة المسلمين الأحرار. أراد هذا النظام من الناس أن يأكلوا ويشربوا ويشكروا نعمة الله فقط ولكن إذا أرادوا أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فإنهم لن يستطيعوا علاوة على ذلك قام بطردهم من وظائفهم وعلى وقع ذلك الحدث استمروا بالدعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكانت النتيجة أن احتجزهم في السجون.

رفضت عيشة الذل هذه وبفضل الله سبحانه وتعالى الذي وقف معنا ولم يتركنا لوحدنا في هذه المحنة حيث بقيت أنتظر الفرصة للخروج حتى يسر الله سبحانه وتعالى لي مغادرة بلاد الحرمين الشريفين – أمل من الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بفضله ومنته بالعودة إلى تلك الديار وأن تكون شريعته هي الحاكمة وقتها.

ذهبت إلى السودان وأقمت هناك ما يقارب الخمس سنوات زرت خلالها أفغانستان وباكستان لتنسيق الجهود ضد الحكومة الشيوعية في كابول. وعندما تمادت الحكومة السعودية في قمع جميع أصوات العلماء والدعاة إلى الإسلام وجدت نفسي مجبرًا وخاصة -بعد أن منعت الحكومة السعودية الشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي وبعض العلماء الآخرين- في أن أكمل واجبي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لذلك تعاونت مع بعض الأخوة وأقمنا "مؤسسة النصيحة والإصلاح" لتقديم النصح ونشرنا بعض البيانات ومع ذلك لم يعجب هذا النشاط النظام السعودي وبدأ بممارسة الضغوط على النظام السوداني وساهمت أيضا حكومة الولايات المتحدة والحكومة المصرية والحكومة اليمنية بهذه الضغوط. طالبوا وبشكل واضح من النظام

السوداني تسليمي واستمر الضغط بسبب هذا الأمر حيث سخرت السعودية كل إمكانياتها للضغط على النظام السوداني في سبيل ترحيلي من السودان. وكانت حكومة الولايات المتحدة قد أخذت نفس الموقف سابقًا وسحبت بعثتها الدبلوماسية من الخرطوم ورهنوا موقفهم بالعودة إليها فقط في حال غادرت البلاد.

لسوء الحظ كانت الحكومة السودانية في ظروف صعبة نوعًا ما حينها وكانت هناك داخل الحكومة نفسها نزعة وميل للمصالحة أو الاستسلام لهذه الضغوط. بعد ذلك وعندما أصروا على أنه يجب أن ألتزم الصمت مبدئيًا قررت أن أبحث عن أرض أكون فيها حرًا بحيث أستطيع أن أقوم بواجبي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأمر الذي وجدته في هذه الأرض العظيمة خراسان (أفغانستان) أسال الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيها ونتوسل إليه -سبحانه وتعالى- أن يتقبل منا أعمالنا ومن المسلمين.)

هذا زمان العمل والتضحية فالأزمة أزمة القعود عن العمل

ومن صور التحريض التي اتبعها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- ما بذله من جهد كبير في التركيز على بيان أن من أعظم الأسباب التي أوصلت الأمة إلى هذه الدرجة من الهوان والاستضعاف هو القعود عن العمل والتضحية لنصرة الدين فقال رحمه الله في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (ولو تيسر لي أن أحدثكم مرارا لكثر حديثي معكم عن رأس الأمر "لا إله إلا الله" معانيها والعمل بمقتضياتها، وعن الجهاد ذروة سنام الإسلام لتنفروا في سبيل الله، فالأزمة الراهنة ليست أزمة علم أو مصنفات، فالعلم منتشر بفضل الله، وإنما الأزمة في القعود عن العمل بما نعلم لضعف الأمانة والصدق واليقين، فالدين لا يقوم بفتات أموالنا وأوقاتنا، وإنما يقوم بالوقوف تحت ظلال السيوف، فطوبى للذين فقهوا المسألة واقتدوا بنبي الرحمة ونبي الملحمة عليه الصلاة والسلام فقاتلوا وقتلوا في سبيل الله، نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.)

وقال -رحمه الله- في "واجبنا تجاه فلسطين": (فالأمر يا إخوتي خطيرٌ جدًّا، فلا بد من الجهاد ولا يغرنّكم كثرة القاعدين عن الجهاد فما عُرِف التخلف والقعود عن الجهاد بهذا الحجم إلا في العصور المتأخرة، وأما زمن صحابة رسول الله ﷺ فما عُرِفوا إلا مجاهدين، وأبرز صفة تميزهم رضي الله عنهم، أول صفة تُذكر "شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ"، بدري شهد بدرًا والحديبية.

فلا بد أن نحرض الأمة على الجهاد ولا بد من مقاطعة جميع البضائع الأمريكية وتحريض الأمة على ذلك، وخاصة ما أكثرها في بلادنا، فما مر عفا الله عما سلف وأما اليوم إذا قاطعنا هذه البضائع سيزداد عداؤنا لهؤلاء الكفار وستزداد البراءة منهم، لا أن يكون الحال كما هو اليوم نجد الأمريكي ولا كأنه فعل لنا شيئًا، فهم يأخذون أموالنا التي نشتري بها البضائع ويعطونها اليهود فيقتلون إخواننا ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

وفي تبين هذه المسألة يقول الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله- في "كلمات من خط النار الأول": (وأثناء هذه الرحلة المضنية على طريق هذا الدين تعلمنا أن كثرة الثقافة الإسلامية ووفرة المعلومات الشرعية دون أن يصاحبها حركة عملية وتنفيذ متواصل وبذل وتضحية بالعرق والدم خطر كبير على الدعوة، خطأ كبير يرتكبه أصحاب الدعوات يقتلون به أنفسهم كالماء الكثير الذي يعطى للنبتة الصغيرة فيخنقها ويغرقها.

وأن الغيرة الإسلامية تكبت أولا، ثم تذوي، ثم تضمحل، ثم تموت، فإذا انهار هذا السد في أعماق النفس انهارت وراءه جميع الحواجز، ويتحول الإنسان بعدها إلى جثة هامدة باردة جامدة، لا حرارة في كلماته، ولا صدق في نبراته، ولا حيوية في عروقه، لا يعرف إلا الجدل في الحقائق وفلسفة الأمور حسب أحلامه التي يعيش بها، لا ينجو من نقده عامل لهذا الدين، ولا يخلص من لسانه متحرك في سبيل الله، يعيش في شرنقته متقوقعا على نفسه، من خلال البرج العاجي الذي يسبح فيه مع أوهامه.)

البعد عن الخصومات والجدل المذموم

ولما كان منهج الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- يقوم على الجد والعمل والتضحية كما تبين لنا مما سبق.. وجدناه يحذر من الانشغال بالجدال والخصومات التي تهدر وتضيع الطاقات والأوقات الجهود فقال -رحمه الله- في "شـرح حديث كعب بن مالك -رضـي الله عنه-": (فهنا اعتراف واضـح وبيّن من كعب فيه عبرة لأولي الألباب، فيقول كعب: (قلت: يا رسـول الله، والله لو جلسـت عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنِّي سـأخرج من سـخطه بعذر) -انتبهوا يا عباد الله- ويكمل كعب ويقول: (ولقد أوتيتُ جدلاً)، كثيرون اليوم أوتوا الجدل، فالنصـوص الواضحة البيّنة من كتاب الله ومن سُنَّة رسول الله ﷺ يصرفونها بصوارف لا تغني ولا تسـمن من جوع، بأقوال، يقولون: ليس وقته، إذن متى وقته؟

ها قد سـقطت الأندلس بلاد الإسـلام منذ أكثر من خمسـمائة عام! خمسـة قرون! متى وقته؟ كلما جاء واحد يحيلنا إلى مجهول يقول: ما جاء وقته، وهل الآيات والأحكام نزلت حتى تُصرف إلى مجهول وإلى العبث؟

هذه العبادة العظيمة التي بها يُعَبَّد العباد لربِّ العباد سـبحانه وتعالى كما ذكرتُ في الصحيحين: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله ويقيموا الصـلاة ويؤتوا الزكاة»، أُمر بالقتال من أجل العبادة فكيف نحن نريد أن نُعبِّد الناس بغير منهج محمد ﷺ؟ وظهرت الزندقة في جميع بلاد الإسـلام يُكفَر بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام على صفحات الجرائد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهنا احذروا من الجدل ودع عنك الناس، اتَّبع أولئك السلف رضي الله عنهم إمامهم وقائدهم محمَّد عليه الصلاة والسلام.

يقول: «لقد أعطيتُ جدلاً، ولكنِّي والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عنِّي ليوشكنَّ الله أن يُسخطك عليَّ».)

وقال في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين – أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (ولذا اتفق الجميع على أنَّه "لا يستقيم الظل والعود أعوج" فلا بدَّ من التركيز على ضرب العدو الرئيسي الذي أدخل الأمَّة في دوامات ومتاهات منذ بضعة عقود بعد أن قسَّمها إلى دول ودويلات، وكلما برزت دعوة إصلاحية في الدول الإسلامية دفع هذا التحالف اليهودي الصليبي وكلاءه في المنطقة من الحكام لاستنزاف وإجهاض هذه الدعوة الإصلاحية بطرق شتى وبما يتناسب معها، فأحيانًا يجهضها بجرِّها إلى الصدام المسلح محدِّدًا الزمان والمكان لهذه المعركة فيقضي عليها في مهدها.

وأحيانًا يطلق عليها رجاله من وزارة الداخلية والذين تخرجوا من كليات شرعية ليشوِّشوا على المسيرة الإصلاحية وليشتتوا الأمَّة والشعب عنها، وأحيانًا يستزلون أقدام بعض الصالحين للدخول في حرب كلامية مع علماء ورموز الدعوة الإصلاحية ليستنزف طاقة الجميع ويبقى الكفر الأكبر مسيطرًا على الأمَّة مضلِّلاً لها، وتستمر المناقشات في الفروع بينما توحيد الله بالعبادة والتحاكم إلى شريعته مغيَّب عن الواقع، وفي ظل هذه المناقشات والردود يلتبس الحق بالباطل وكثيرًا ما تنتهي إلى

عداوات شخصية يتحزَّب الناس مع هذا أو ذاك ممَّا يزيد الأمَّة انقسامًا وضعفًا إلى ضعفها، وتغيب الأولويات في العمل الإسلامي.

فينبغي التنبُّه إلى هذه الحيل الشيطانية وأمثالها التي تنفِّذها وزارة الداخلية، والصواب في مثل هذه الحالة التي نعيشـــها هو كما قرره أهل العلم، وهو تكاتف جميع أهل الإسلام للعمل على دفع الكفر الأكبر الذي يسيطر على بلاد العالم الإسلامي، مع تحمُّل الضرر الأدنى في سبيل دفع الضرر الأكبر ألا وهو الكفر الأكبر، وإذا تزاحمت الواجبات قُدِّم آكدها، ولا يخفى أنَّ دفع هذا العدو الأمريكي المحتل هو أوجب الواجبات بعد الإيمان، فلا يُقَدَّمُ عليه شيء كما قرر ذلك أهل العلم، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: (وأمَّا قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجبٌ إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يُشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان.) [كتاب الاختيارات العلمية، ملحق بالفتاوى الكبرى: ٤/٦٠٨].

الرد على ثقافة العجز والتراجع
وإعادة ثقة الأمة بنفسها

إن من رحمة الله بأمة الإسلام في هذا الزمان الذي يصدق عليه وصف النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» رواه أبو داود وصححه الألباني أن جعل في هذا الزمان أمثال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- ليبعث في الأمة روح ومعاني العزة والجهاد ويرد على ثقافة العجز والوهن ودعاتها.. قال الدكتور أيمن الظواهري في "فرسان تحت راية النبي": (ردت الغزوات -بصورة لا نظير لها- على ثقافة العجز ومنهج التراجع، الذي ظل ولا يزال حتى اليوم يرضع أبناءه سم أن "العنف لا يؤدي إلا للفشل"، أو قد "ثبت يقيناً أن كل محاولات العنف فاشلة". فتركت الغزوات الصليبيين الأمريكان ليخبروا العاجزين المتراجعين أن الطليعة المجاهدة قد أنزلت بهم أكبر ضربة في تاريخهم.

وشمائلٌ شَهِدَ العدوُّ بفَضْلِها   والفضلُ ما شَهِدَتْ به الأعداءُ

لقد أثبتت الغزوات المباركات أن القوة العظمى ليست آلهة، وأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تعلم الغيب «**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ**».)

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصـــة والمســـلمين عامة": (فما يقعدكم عن الجهاد بأموالكم، وأنتم تعلمون أنَّه واجب عليكم؟ وما يقعدكم عن الجهاد بأنفسكم؟ وأنتم تؤمنون بأنَّ الأرزاق معدودة والآجال محدودة، وأنَّ الموت الذي تفرُّون منه فإنَّه ملاقيكم لا محالة في موعده ولو كنتم في بروج مشيَّدة!

فاتق الله يا عبد الله، فأين ذهب عقلك حتى تضـــنَّ بنفســـك ومالك عن المالك؟ وهل يضـــنُّ بالمملوك عن مالكه عزَّ وجلَّ إلا من خان أمانته، وضـعف يقينه، ورقَّ دينه؟! وتدبَّروا قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَـــوْنَ النَّاسَ كَخَشْـيَةِ اللهِ أَوْ أَشَـدَّ خَشْـيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَـلٍ قَرِيـبٍ قُـلْ مَتَـاعُ الـدَّنْيَـا قَلِيـلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾.

فهذا هو الجواب لمن خاف يوم الحســاب، فمن قعد له شـيطان من الإنس أو الجن في طريق الجهاد، وقال له: تجاهد فتُقتل، يُقسَّـــم مالك، وتُنكح زوجتك، ويُيَتَّم أطفالك، فليتلُ عليه قول الله تعالى: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾.

فيا عباد الله: اســتجيبوا لله وللرســول إذا دعاكم لما يحييكم، واحذروا كل الحذر من المثبِّطين والمرجفين والمعوِّقين، القائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا.

واحذروا الذين يحبُّون قول الحقِّ ولا يستطيعونه، إلا أن يختموه بقول الباطل، كمدح وتزكية الطواغيت، فهؤلاء قد ضلوا ضلالاً مبينًا، ولا تصحُّ الصلاة خلفهم، فليتقوا الله في أنفسهم وأمَّتهم، وليتوبوا عن باطلهم.

واحذروا الذين يريدون قول الباطل فيلبسون الحقَّ بباطلهم، ليمرِّروه على الناس، فتعيّن الجهاد اليوم في فلسطين والعراق، حقّ على أهل القطرين، فإن عجزوا أو قصروا أو تكاسلوا، فعلى من يليهم، وثم وثم، إلى أن تعمَّ الدائرة جميع بلاد المسلمين، حيث إنَّ بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلدة الواحدة.

هذه هي فتاوى العلماء رحمهم الله، الذين لم يأخذوا في اعتبارهم أهواء الحكام العملاء في العواصم المحيطة، كالرياض وعمان وغيرها، وحيث إنَّ العجز واضح في فلسطين والعراق، فإنَّ الجهاد متعيّن على من يليهم، كأهل بلاد الحرمين وسوريا والأردن وتركيا وإيران والكويت، فإن عجز أو قصر هؤلاء، فعلى من يليهم، فالجهاد في العراق وفلسطين حقٌّ، والتخذيل عنه باطل.

واحذروا الذين يتسلَّلون لواذًا، الذين يزاحمون الربوبية والنبوة بآرائهم وأهوائهم، ثم يزعمون أنَّ هذه مصلحة الدعوة؛ فهذا محال، وفي آرائهم الدمار والبوار، قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

فيا عباد الله؛ إنَّ الطريق واضح بيِّن، فقد تركنا رسولنا عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

واقرؤوا القرآن والسنة تبصروا الصراط المستقيم، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ، إلا نبيّنا عليه الصلاة والسلام.

واضربوا بعرض الحائط آراء وأهواء الرجال، مهما عظموا وعلموا وفقهوا، إذا عارض قولهم قول الله تعالى، أو قول رسوله عليه الصلاة والسلام، حتى وإن كانوا مخلصين صادقين، فهي زلة منهم لا تهدر مكانتهم وفضلهم، ولكن لا يُتابَعون في زلَّتهم.

وأمَّا القعود عن الجهاد المتعيّن، فهو من أبرز صفات المنافقين، فقد ذمَّهم الله تعالى، وقال لهم شَرَّ ما قال لأحد، ليحذِّرنا منهم ومن القعود وتوعَّدهم الله بعدم الهداية والعذاب الأليم، وطبع على قلوبهم ونفى عنهم العلم والفقه وإن تعلَّموا؛ لأنَّ ثمرة العلم خشية الله واقرؤوا إن شئتم سورة التوبة.

فتدبَّروا هذه الآيات التالية، فهي توضح طريقين لا ثالث لهما عند تعيُّن الجهاد: طريق إمام المجاهدين، وخاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام، وطريق القاعدين. فاختر لنفسك، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ * لَـكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

فيا عبد الله؛ هذا سيد الورى، الذي لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام، قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وهو صاحب الشفاعة العظمى، ومع هذا كلِّه حرص على أن يجاهد والذين آمنوا معه بأنفسهم وأموالهم لنصرة لا إله إلا الله،

فخرج يوم تبوك لقتال الروم في الضحِّ والحرور، وتقعد أنت مع ذوات الخدور، ثم تزعم أنَّك متَّبع لنبيِّنا عليه الصلاة والسلام، وأنَّك على هديه، قاتل الله الجبن والجبناء.

يرى الجبناء أنَّ العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

فالكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت.)

وقال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "النفير": (لذا فإنه من الواجب المتعين على الأمة اليوم، أن تدعم الجهاد عموماً بما في ذلك فلسطين وأفغانستان، وهذه المحاور من أهم المحاور التي ينبغي التركيز عليها، لاستنزاف اليهود حلفاء الأمريكيين، ولاستنزاف الأمريكيين حلفاء اليهود، وإن هزيمة أمريكا في أفغانستان -بإذن الله- تكون بداية النهاية لها، ولن تؤتوا بإذن الله من قِبَلنا مع إخواننا المجاهدين الأفغان بإذن الله فنرجو ألا نؤتى من قبلكم.

والأمة اليوم بين يدي يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه العجز ولا البغي وينبغي أن تتجمع فيه زحوف المسلمين ضد زحوف الكافرين، وينبغي فيه التوبة من الذنوب والكبائر، كما ينبغي على الأمة بين يدي هذا الأمر العصيب الذي هو جِدٌّ ليس بالهزل أن تهجر حياة اللهو واللعب والإسراف والترف، وأن تخشوشن وتتهيأ للحياة الحقة، حياة القتل والقتال والضرب والنزال.

وإليكم ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في فتنة مشابهة لما نحن فيه الآن، فقال: (واعلموا -أصلحكم الله- أن النبي قد ثبت عنه من وجوه كثيرة أنه قال:

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضـــرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» رواه مسلم.

فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق:

- الطائفة المنصورة؛ وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين.
- والطائفة المخالفة؛ وهم هؤلاء القوم ومن تحيز إليهم من خبالة المنتســبين إلى الإسلام.
- والطائفة المخذلة؛ وهم القاعدون عن جهادهم وإن كانوا صحيحي الإسلام.

فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصـــورة أم من الخاذلة أم من المخالفة، فما بقي قسم رابع).

ويقول -رحمه الله- أيضـــاً في "النفير": (حتى والله لو كان الســـابقون الأولون من المهاجرين والأنصـار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم حاضـرين في هذا الزمان لكان من أفضـــل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين، ولا يفوت مثل هذه الغزاة إلا من خســـرت تجارته وســـفِه نفســـه، وحُرم حظاً عظيماً من الدنيا والآخرة). انتهى كلامه.

ثم إني أوصـــي الشـــباب بالاجتهاد في الجهاد، فهم أول المعنيين بفرضـــيته اليوم كما أشار إلى ذلك الشاطبي رحمه الله في الموافقات.

واعلموا أن استهداف الأمريكيين واليهود بالقتل في طول الأرض وعرضها من أعظم الواجبات وأفضل القربات إلى الله تعالى، كما أوصيهم بالالتفاف حول العلماء الصادقين والدعاة المخلصين العاملين، وأوصيهم بالاستعانة على قضاء حوائجهم بالكتمان، ولا سيما في الأعمال العسكرية الجهادية.)

الرد على دعاة نبذ العنف والسعي في الحلول السلمية

ويتفرع عن حديثنا عن الرد على دعاة ثقافة العجز الحديث عن رد الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- على دعاة نبذ العنف والسعي في الحلول السلمية فقد أكثر الإمام المجدد من الرد على دعاة نبذ العنف والسعي للحلول السلمية فقال -رحمه الله- في "الجهاد وتجاوز العقبات": (هذا مُلخّص ما أحببت أن أشير إليه وأؤكد في هذا الزمن الذي كثُرت فيه الفتن والتبس على الناس الحق وكثر الداعون إلى ما يُسمى بإحلال السلام على حساب الدين، وإلى ما يُسمى بنبذ العنف وهم يقصدون نبذ الفريضة التي شرعها الله سبحانه وتعالى وهي القتال، وكثر الداعون إلى الحِوار وإلى المناقشات السياسية وإلى معالجة كيد أولياء الشيطان بالكيد السياسي وإنما الحل كما ذكرنا: ﴿**فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾ هذا وأرجوه سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ويرحمنا وأن يؤلِّف بين قلوب المسلمين وأن يفتح عليهم بلاد الأفغان وغيرها من بلاد الإسلام وهو على ذلك قدير سبحانه وتعالى.)

لا يكفي الشجب والاستنكار والادانة

ولقد كان من معالم منهج الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- في الإصـلاح والدعوة والجهاد أنه لا يكتفي بالشجب والاستنكار.. فهذا أمر يلوذ وراءه من يريد أن يخدع نفسـه بأنه قام بالواجب المطلوب في هذه الظروف الراهنة التي تريد كلمة الحق وعمل الصـدق والإعداد بالمستطاع والسعي الجاد نحو النصـر والتمكين وفي ذلك يقول الإمام المجدد -رحمه الله- في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة": (أمتي المسلمة الغالية، لست بالذي يقف أمامكم في هذه الأيام العصيبة ليتخذ من الشجب والتنديد لما يجري لأهلنا في غزة ستاراً يتوارى وراءه، وإنما أقف أمامكم اليوم لأقول كلمة حق تعيننا بإذن الله على استعادة ما اغتصب من الحق، كلمة حق لا تداهن ملكاً أو أميراً ولا عالماً أو وزيراً، كلمة لا تعترف بالشـرعية الدولية الزائفة ولا تهاب مجلس أمن الدول الكبرى الذي ينشـر الرعب على المستضـعفين في الدول الصغرى كفلسطين والعراق وأفغانستان والصومال وكشمير والشيشان، كلمة حق تداعت الدنيا عليها تريد محوها من منهجنا وحياتنا لتمحونا بعدها؛ إنها الجهاد المقدس لاسترجاع بيت المقدس والقدس.

ويح القدس ديس عفافها   والمسلمون عن الجهاد نيام.)

وجوب الدعم المادي للمجاهدين

إن الدعم المادي للجهاد والمجاهدين من المعالم الجلية في سيرة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-.. فرأيناه أماماً وقدوة في هذا الباب قولا وعملا.. فإن بذل الأموال في الجهاد في سبيل الله من أعظم أبواب الجهاد فقد قرن ربنا تبارك وتعالى الجهاد بالمال بالجهاد في النفس في أكثر من موضع من كتابه فقال تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: ٤١] وقال رسولنا الكريم ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ» رواه أبو داود وصححه الألباني.

ولو أردنا أن نسرد آثار الإمام المجدد العملية في هذا الباب لضاق المقام ولكن نكتفي بقول الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله- في وصيته: (وأدعو كثيراً لمن تكفل هذا المكتب بماله الخاص، وهو الأخ أبو عبد الله أسامة بن محمد بن لادن، أدعو الله أن يبارك له في أهله وفي ماله ونرجو الله أن يكثر من أمثاله، ولله أشهد أني لم أجد له نظيراً في العالم الإسلامي فنرجو الله أن يحفظ له دينه وماله وأن يبارك له في حياته.)

وأما بالنسبة لأقواله المحرضة على الانفاق ودعم الجهاد والمجاهدين في سبيل الله فهي كثيرة جدا كذلك نذكر منها قوله -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (والأمر جد لا هزل فيه وقد قيل "أكلت يوم أكل الثور الأبيض"، فاليوم بغداد وغداً دمشق وعمان والرياض فاتقوا الله حق تقاته ولا تخشوا في الله لومة لائم،

وإن ما يريده أبناؤكم المجاهدون من مال للعتاد والقتال في سبيل الله قليلٌ يستطيعه تاجر واحد منكم يؤدي -بإذن الله- إلى هزيمة رأس الكفر العالمي، فإلى متى تخشون أمريكا وعملاءها؟ أليس فيكم تاجر رشيد يتحرر من الخنوع ومن قيود العبيد، ويتذكر الموت والبلى فيعِدُّ الزاد ليوم المعاد، فقد ولد بلا مال وسيرحل على تلك الحال فليتق الله ويخشاه، وليحتسب ما بقي من عمره وماله لأُخراه، وليستعن على قضاء حوائجه بالكتمان ويقتدي برسولنا عليه الصلاة والسلام، فقد اختفى عن أعين قريش في الغار ثم هاجر سراً إلى الأنصار -رضي الله عنهم- فيرتب أموره الأمنية ويهاجر إن اقتضى الأمر الهجرة متذكراً عظم الثواب الجزيل، ويكون سبباً في نصرة الدين وإنقاذ أمة الأمين محمد ﷺ في وقت قد تداعى عليها الأعداء من كل مكان، فأي ذخرٍ هذا وأي شرف هذا يشرفه الله به كما شرّف عثمان -رضي الله عنه- وهو رجل واحد بتجهيز جيش العسرة ضد الروم ، فقال رسول الله ﷺ: «ماضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم، ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم».

قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾، وقال الله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.

وقد قيل:

فتشبهوا بالكرام إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاحُ

فدعم المجاهدين الصـــادقين ولا ســيما في فلســطين والعراق وأفغانســتان والمغرب الإسـلامي والصـومال هو والله مشـروع الأمة كلها، وهو خط دفاعها الأول في وجه جميع أعدائها الطامعين بها، وفيه صـلاحها في دينها و دنياها وفيه عزها وسـلامتها، ففيه أمنها على جميع المحاور، نعم فيه أمنكم العسـكري وكذا أمنكم الاجتماعي وفيه أمنكم الغذائي وكذا أمنكم الاقتصـادي، ليحفظ نفطكم وثرواتكم وتسـلم أموالكم التي تفقدونها وهي بين أيديكم، بســبب ربطها الظالم المتعســف بالدولار، ودعم المجاهدين أيضـاً هو مشـروع الأمة لتحرير فلسـطين جميعها فيبتسـم الأقصـى ونحرر الأسيرات والأسرى بإذن الله، ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾..)

وقال –رحمه الله– في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (فيجب على الأمة بكل فئاتها وشـرائحها: رجالها ونسـائها شـبانها وشـيبها؛ أن يقدموا من أنفسـهم وأموالهم وخبراتهم وجميع أنواع الدعم المادي والمعنوي ما يكفي لقيام الجهاد في ســـاحات الجهاد وخاصة في العراق وفلسطين وأفغانستان والسودان وكشمير والشيشان.

وعلم الله أن الجهاد اليوم فرض عين، وهو واجب على كل مســلم، والأمة آثمة إن لم تقدم ما تتم به الكفاية، والكفاية تتم باليسير من أبنائنا وأموالنا وخبراتنا إن اتقينا الله تعالى.)

إعداد العدة

إن إعداد العدة والأخذ بأسباب القوة حسب القدرة والاستطاعة من الواجبات الشرعية التي أمرنا بها الشرع الكريم فقال الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولما كان الجهاد لا يقوم إلا بإعداد العدة والأخذ بأسباب النصر والتمكين جعله العلماء من الواجبات الشرعية الدائمة التي لا تسقط بالعجز فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "مجموع الفتاوى": (وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.)

والجهاد من حيث الأصل من فروض الكفاية ويتعين في بعض الحالات والأوقات ويجب على الأمة دوام القيام به كل عام مرة على الأقل كما قال الإمام ابن النحاس -رحمه الله- "في مشارع الأشواق": (اعلم أن جهاد الكفار، في بلادهم فرض كفاية باتفاق العلماء. وحكي: عن ابن المسيب وابن شبرمة أنه فرض عين.

ومعنى فرض الكفاية: أنه إذا قام به من فيه كفاية، سقط الحرج والإثم عن الباقين، فإن تركه الجميع أثموا، وهل يعمهم الإثم؟

وجهان، أصحهما: يأثم كل من لا عذر له. والثاني: يأثمون أجمعين.

وأقل الجهاد في كل سنة مرة، والزيادة أَفضل بلا خلاف، ولا يجوز إخلاء سنة من غزو، إلا لضرورة كضعف المسلمين، وكثرة العدو وخوف الاستئصال لو ابتدأوهم، أو لعذر كعزة الزاد، وقلة علف الدواب، ونحو ذلك.

فإن لم تكن ضرورة ولا عذر لم يجز تأخير الغزو سنة، نص عليه الشافعي رحمه الله وأصحابه.

وقال الإمام: المختار عندي مسلك الأصوليين فإنهم قالوا: الجهاد دعوة قهرية فتجب إقامته بحسب الإمكان حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم، ولا يختص بمرة في السنة، ولا يعطل إذا أمكنت الزيادة، وما ذكره الفقهاء، حملوه على العادة الغالبة وهو أن الأموال والعدد، لا تتأن لتجهيز الجيوش في السنة أكثر من مرة، انتهى.

وقال صاحب المغني من الحنابلة: أقل ما يفعل الجهاد في كل عام مرة، فيجب في كل عام إلا من عذر، وإن دعت الحاجة إلى القتال في كل عام أكثر من مرة، وجب لأنه فرض كفاية، فوجب منه ما دعت الحاجة إليه. انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: فرض على الإمام إغزاء طائفة إلى العدو كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه، أو يخرج من يثق به يدعوهم إلى الإسلام ويزعهم ويكف أذاهم، ويظهر دين الله حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا ا لجزية، انتهى.)

ولما كان إعداد العدة حسب القدرة والاستطاعة بهذه المنزلة أولاه القادة الربانيون وأئمة الجهاد أهمية خاصة وجعلوه من أولويات دعوتهم وتوجيهاتهم ومركزيات جهادهم..

وهذا ما وجدناه في تراث الإمام المجدد أسامة بن لادن -تقبله الله- فلا تكاد تخلو مناسبة أو حادثة إلا ويستثمرها في التذكير بهذا الواجب العظيم وبيان أثره ومنزلته في دفع صيال المعتدين وإقامة الدين وفيما يأتي أمثلة على ذلك:

قال الإمام المجدد -رحمه الله- في "لقاء مع جمال إسماعيل لقناة الجزيرة": (نعتقد أن الجهاد فرض عينٍ اليوم على الأمة، ولكنْ ينبغي التفريق بين الحكم والقدرة على القيام به؛ ففي أي بلدٍ توفرت المقومات اللازمة من العدد والعدة وما يلزم لأركان الجهاد أن تقوم فعند ذلك يجب على المسلمين في ذلك المكان أن يشرعوا بالجهاد ضد الكفر الأكبر المستبين، ولكن في بعض البلدان قد يكون ظهر لبعض الناس أن المقومات قد اكتملت وبعد فترة من الزمن أخذوا الخبرة والتجربة وظهر لهم أن المقومات لم تكتمل، فعندئذ هم مأمورون في هذه الحالة بالعفو والصفح، ولكن من الذي يحدد هذه المقومات؟ هل هم الذين ركنوا إلى الدنيا أم هم الذين لم يأخذوا حظًا من العلم الشرعي؟ وإذا ما تيسر لهم أن يأخذوا حظًا من العلم العسكري، فالصواب في هذه المسألة أن الجهاد رغم أنه فرض عينٍ قد يسقط أحيانًا للعجز، لكن لا يسقط الإعداد الحقيقي لاستكمال العدد والعدة، أما ما انتشر بين المسلمين اليوم من القول إن الجهاد ليس وقته الآن، فهذا الكلام إذا لم يُقيّد فهو غير صحيح.

كثيرٌ من طلبة العلم يقولون إن الجهاد ليس وقته الآن، وهذا في الحقيقة مغالطةٌ شديدةٌ إذا لم يُقيّد، أما إذا قيل فرض عين اليوم فيجب علينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوةٍ لاستكمال العدد والعدة والمقومات، فالكلام هنا يستقيم، وشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في هذا الموطن يبين أن الذي يفتي في أمور الجهاد هو الذي له علم بالدين الشرعي وله علم بالجهاد وأصول الجهاد، وأن يكون مارس الجهاد. ولكن لما غاب الجهاد عن الأمة زمنًا طويلًا نشأ لدينا جيلٌ من طلبة العلم لم يخوضوا معامع الجهاد، وتأثروا بالغزو الإعلامي الأمريكي الذي غزا بلاد المسلمين، فهو دون أن يخوض حربًا عسكريةً قد أُصيب بالهزيمة النفسية، يقول لك: "صحيح أن الجهاد لازم لكن لا نستطيعه"، لكن الصواب: أن الذين منَّ اللهُ –سبحانه وتعالى– عليهم بالجهاد كما حصل في أفغانستان أو في البوسنة أو الشيشان، ونحن منَّ الله علينا بذلك، فنحن على يقين أن الأمة اليوم تستطيع بإذن الله –سبحانه وتعالى– أن تجاهد ضد أعداء الإسلام، وبخاصةٍ ضد العدو الأكبر الخارجي التحالف الصليبي اليهودي.)

وقال –رحمه الله– في "البلاغ تحاور: قائد المجاهدين العرب أسامة بن لادن": (الإعداد هو واجب شرعي وهذا فرض على المسلمين لكي يعدوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله وللذود عن هذا الدين وإخراج الكفر الذي عم معظم ديار المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله، لأن الجهاد متعين كما أفتى بذلك الأئمة الفقهاء وقد ذكرنا فتوى ابن قدامة في المغني وأيضاً فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية وأيضاً من المعاصرين فتوى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فإذا تعين الجهاد يتعين الإعداد

له، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقد أفتى أيضاً الشيخ محمد بن صالح العثيمين (عضو هيئة كبار العلماء في السعودية) وقال: (هذا أمر مفروغ منه لأن إعداد الشباب المسلم المؤمن إعداداً كاملاً في النواحي الإيمانية والإعداد للقتال والتدريب أمر واجب على المسلم وبرنامج التدريب عند الإخوة العرب في أفغانستان أدنى الكمال أن يتدرب الأخ القادم شهراً، فإذا تيسر له شهراً ونصف فهو أولى وكل مسلم عنده إجازة شهر ولو كان موظفاً حكومياً ناهيك عن طلاب المدارس فباستطاعة كل إنسان أن يذهب هذه السنة شهر وإذا تيسر له السنة القادمة يكمل شهر آخر فيزداد تدريباً.)

والإعداد واجب لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ فالقوة هنا واضحة بينة لا يقول مسلم بأنها لغير القتال وقد صح عنه ﷺ في الحديث الصحيح بعد أن ذكر هذه الآية أنه قال: «ألا إن القوة الرمي... ألا إن القوة الرمي». ويقول: «ارموا بنو إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» وممن قال أيضاً بوجوب الإعداد الشيخ عبد الرحمن الدوسري عليه رحمة الله حيث يقول في كتابه "الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم" صفحة ٢٦٨ طبعة دار القلم: (وجب الإعداد حسب الاستطاعة فهو من واجبات الدين ولوازم إقامته والعابد الصحيح لله سبحانه وتعالى كما يذكر لا يتعوره تسويف).

أي لا يسّوف يقول غداً أو بعد غد، فالمؤمن الصحيح ينبغي أن يكون مستعداً حيث ينصر راية التوحيد، والعابد الصحيح لا يعترضه تسويف فضلاً عن الإهمال أو الترك، وهنا بفضل الله التدريب متيسر على جميع أنواع الأسلحة الشرقية من المسدس

إلى المعدات الثقيلة إلى الدبابات وأيضـــاً هناك تدريبات مهمة جداً يســـتفيد منها المسلم ويكون قوة بإذن الله لنصرة هذا الدين.)

وقال -رحمه الله- في "الأمة الإســـلامية في مواجهة الحملة الصـــليبية الجديدة": (فأقول: ينبغي على المســـلمين في العالم الإســـلامي أن تجتمع الطاقات فيهم حول خيارهم لتشكيل لجان ولتنصيب قضاة يحكمون بينهم بما أنزل الله، ولتشكيل لجان لتحريض الأُمَّة وتعبئتها في معاداة اليهود والنصـــارى وفي مقاطعة البضـــائع اليهودية والبضـــائع الأمريكية وكل ما من شـــأنه أن ينكأ في العدو وهناك واجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة فإن هذه الأُمَّة تتحمل المسؤولية جميعاً.

كما صحَّ عن نبينا ﷺ قوله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته».

وصحَّ عنه كما في صحيح مسلم -عليه رحمة الله- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه - قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان».

وكذلك في الحديث الآخر عن ابن مسعود كما في صحيح مسلم أيضاً يؤكد هذا المعنى قال في آخره عن رسولنا ﷺ: «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

فكلنا مســـؤولون، وكلنا مجاهدون؛ فالرجل مجاهد والشـــابُّ مجاهد والمرأة مجاهدة؛ كلٌّ يقوم بما يستطيع بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه.

فينبغي على النساء أن يُرضعوا أطفالنا بُغضَ اليهود والنصارى فإن ذلك براءةً من هؤلاء المشركين أعداء محمد ﷺ، وينبغي عليهنَّ أن يزهدنَ في الدنيا فإن صلاحَ هذه الأُمَّة وصلاحُ أولها كما في صحيح الجامع: «صلاح أول هذه الأُمَّة بالزهد واليقين».

فينبغي أن نزهد جميعاً في هذه الدنيا وأن نقوي يقيننا بالله سبحانه وتعالى لنُّصرة دينه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا فالمسؤولية إذاً هي على الجميع.

وينبغي على الرجال أن يرسلوا أولادهم إلى ميادين القتال وإلى ميادين النزال لكي يعدوا أنفسهم إعداداً عسكرياً حتى ينصروا دين محمد ﷺ أما أن نأخذ ببعض الدين الذي لا شوكة فيه فقد حِدنا عن منهجه علية الصلاة والسلام، فقد صحَّ في السير أنه ﷺ خرج في الضح والحرور إلى تبوك لنصرة "لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله" وخرج يوم أُحُد لنُّصرة راية التوحيد فشُجَّ وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام وكسرت رباعيتهُ ﷺ.

فمالنا وما بالنا نتخاذل عن نُّصرة ديننا ولا حول ولا قوة إلا بالله؟! فالمسؤولية عظيمة وينبغي علينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوة في القيام بهذا الواجب والقيام بهذه الأمانة.)

وقال -رحمه الله- في "الجهاد وتجاوز العقبات": (فأقول نصرة دين الله واجبة والذي أمر بالقتال هو الله سبحانه وتعالى والذي أمر بالإعداد هو الله سبحانه وتعالى، فما ينبغي للمسلم أن يأخذ ببضعٍ من الحكم، يذهب للقتال قبل أن يأخذ أيضًا بحكم

الإعداد، وحكم الإعداد هنا فيه الواو (واو الجماعة) ﴿**وَأَعِدُّواْ**﴾ ليس المخاطب فرد (أعِد) بل ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم**﴾ فالخمسة والعشرة والخمسين والمائة قد لا يحركون ساكنًا، ولذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: (قد يسقط القِتال للعجز، رغم أنه فرض عين في بعض الدول لكنه يسقط بالعجز)، أي ما عندك طاقات ولا إمكانيات حتى تكون كافية لقتال جيوش الكفر مثل فلسطين مثلًا، فيقول: (ولكن لا يسقط الإعداد، فنستمر في الإعداد وتحريض الأمة وفي نشر الفِكر الجهادي حتى تتكون أرضية كبيرة من المؤمنين المجاهدين الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، فهوِّن عليك وإن شاء الله إذا التحقت بالفئة -يقول إنه ليس ملتحق مع فئة- التحق مع فئة تعينك على الصبر في أرض الجهاد حتى يمن الله سبحانه وتعالى بالجهاد في المكان الذي لم تحدده والله أعلم.)

الإعداد الجيد من أسباب نجاح للعمليات

وإن من الأمور والنصائح النفيسة التي كان يوجهها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- للمجاهدين في سبيل الله هو ضرورة الإعداد الجيد للعمليات وأخذ أسباب النجاح فقال -رحمه الله- في "إلى أهلنا بالعراق": (فإن مما يحزن المسلمين ويفرح الكافرين تعثر بعض العمليات القتالية ضد العدو بسبب تقصير في أي مرحلة من مراحل الإعداد للعملية، كاستطلاع الهدف أو التدريب أو سلامة وكفاءة السلاح والذخيرة أو جودة العبوة الناسفة وإلى ما هنالك من ترتيبات، وإذا وضعتم لغماً فليكن صحيحاً، لا يبقي من الأمريكان مخبراً ولا جريحاً، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» وقال أيضا: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان»....)[١٥]

---

١٥ . ومما يستأنس به هنا ما جاء في وثائق أبوت أباد في الرسالة "المرسلة إلى: الشيخ يونس الموريتاني (عبد الرحمن ولد محمد الحسين) التاريخ: مايو ٢٠١٠": (حبذا أن تقوموا بعمل مذكرة للعمل الخارجي وتتطلع عليها الإخوة الكبار ليسجلوا عليها ما عندهم من مقترحات ثم تعاد صياغتها آخذين بعين الاعتبار ملاحظاتهم، ويتم إرسال نسخة منها لي قبل أن تعاد صياغتها ثم بعد أن تعتمدوا المذكرة تنسقوا مع الإخوة على أن تكونوا في مكان آمن وملائم؛ حتى تقوموا بإعطاء دورة إعداد كوادر في العمل الخارجي ويكون اختيار الإخوة المتدربين في هذه الدورة اختيارًا متميزًا بحيث يكونوا مؤهلين لأن يصبحوا قادة في العمل الخارجي ومدربين لبقية العناصر ولديهم القدرة على أخذ الدورة بالمدة المتفق عليها، ويكون ذلك في البيت الذي يتم ترتيبه حيث يدخلون البيت ولا يخرجون منه إلا بعد إتمام الدورة؛ حفاظًا على سلامة الجميع، ولضمان ذلك يؤخذ عليهم عهد قبل دخولهم البيت وتسجيلهم في الدورة، وأرى أن تتضمن الدورة النقاط التالية:

الاهتمام بإتقان العمل مراعين أن منطقة العالم الإسلامي من أندونيسيا إلى المغرب لم يتم فيه الاهتمام بهذا الأمر، فهو متوارث منذ مدة طويلة رغم أنه مخالف للتعاليم الإسلامية كقول الرسول ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه».

إذن، ينبغي بذل جهد في العلوم النظرية للطلاب الدارسين في الدورات عامة والعمل الخارجي خاصة؛ لتنمية الإتقان عندهم وجعل حديث رسول الله ﷺ نصب أعينهم حتى يكون الإتقان يجري فيهم مجرى الدم، فهناك أحداث وقصص كثيرة مؤسفة سبب رئيسي فيها الإهمال وعدم الإتقان.)

وجوب الأخذ بالأسباب المتاحة واستخدام الطرق الممكنة للوصول إلى الأهداف والتوكل على الله والثقة بنصره وحسن الظن به

وقد كان من منهجه -رحمه الله- بعد إعداد العدة حسب القدرة والاستطاعة يكون بأخذ الأسباب المتاحة واستخدام الوسائل والطرق الممكنة الموصلة للهدف والتوكل على الله في السير في منازلة الأعداء ودفع صيالهم والثقة بنصر الله وحسن الظن به.. وفي بيان هذا الأمر يقول الإمام المجدد أسامة -رحمه الله-: (قد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأمريكي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيسي على الحرب النفسية نظرا لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة.

وكذلك على القصف الجوي الكثيف، إخفاء لأبرز نقاط ضعفه وهي الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجنود الأمريكيين، فهؤلاء الجنود على قناعة تامة بظلم حكومتهم وكذبها كما أنهم يفتقدون قضية عادلة يدافعون عنها وهم إنما يقاتلون من أجل أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الربا وتجار السلاح والنفط بما فيهم عصابة الإجرام في البيت الأبيض.

أضف إلى ذلك أحقادا صليبية وأحقادا شخصية لبوش الأب.

وتبين لنا أيضا أن من أفضل الوسائل الفعالة والمتاحة لتفريغ القوة الجوية للعدو الصليبي من محتواها، هو بإنشاء الخنادق المسقوفة والمموهة بأعداد كبيرة، وكنت قد أشرت إلى ذلك في حديث سابق في أثناء معركة تورا بورا العام الماضي.

تلك المعركة العظيمة التي انتصـــر فيها الإيمان على جميع القوى المادية لأهل الشـــر بالثبات على المبدأ بفضـل الله سـبحانه وتعالى، وسـأذكر لكم طَرَفا من تلك المعركة العظيمة للتدليل على مدى جبنهم من جهة ومدى فعالية الخنادق في اسـتنزافهم من جهة أخرى.

فقد كان عددنا يصـــل إلى ثلاثمائة مجاهد وكنا قد حفرنا مئة خندق منتشـــرة في مســـاحـة لا تزيـد عن ميـل مربع، بمعـدل خنـدق لكـل ثلاثـة اخوة. حتى نتلافى الإصـابات البشـرية الكبيرة من القصـف، وقد تعرضـت مراكزنا منذ السـاعة الأولى للحملة الأمريكية في العشرين من رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة الموافق للسـابع من أكتوبر لسـنة ألفين وواحد ميلادية لقصـف مركّز ثم اسـتمر ذلك القصـف بشـكل متقطع إلى منتصـف رمضـان وبعدها في صـبيحة السـابع عشـر من رمضــان بدأ قصــف شــديد جدا وخاصــة بعد ما تأكدت القيادة الأمريكية بوجود بعض قيادات القـاعـدة في تورا بورا بما فيهم العبد الفقير والأخ المجاهـد الـدكتور أيمن الظواهري، وأصبح القصف على مدار الساعة فلم تكن تمر علينا ثانية بدون طائرات حربية فوقنا ليلا أو نهارا حيث تفرغت غرفة قيادة وزارة الدفاع الأمريكية مع جميع القوى المتحالفة معها لنســـف وتدمير هذه البقعة الصـــغيرة وإزالتها من الوجود، فكانت الطائرات تصب حممها فوقنا وخصوصا بعد أن أنهت مهماتها الأسـاسية في أفغانســتان، وكانت القوات الأمريكية تقصــفنا بالقنابل الذكية والقنابل ذات آلاف الأرطال والقنابل العنقودية وكذلك كانت القنابل الخارقة للكهوف، وقد كانت قاذفات القنابل كطائرات بي اثنين وخمســين تحوم الواحدة منها لأكثر من ســاعتين

فوق رؤوسنا وترمي في كل دفعة من عشرين إلى ثلاثين قنبلة، وكانت طائرات السي ميه وثلاثين المعدلة ترمينا ليلا بالأبسطة المتفجرة وغيرها من القنابل الحديثة.

ورغم ذلك القصف الهائل مع الإعلام الدعائي الرهيب اللذين لم يسبق لهما مثيل على مثل هذه البقعة الصغيرة المحاصرة من جميع الجهات، بالإضافة لقوات المنافقين التي دفعوها لقتالنا لمدة نصف شهر متصل والتي صددنا موجاتهم اليومية كلها -بفضل الله سبحانه وتعالى- وأرجعناهم في كل مرة مهزومين يحملون قتلاهم وجرحاهم، رغم ذلك كله ما تجرأت القوات الأمريكية على اقتحام مواقعنا، فأي دلالة أظهر من ذلك على جبنهم وخوفهم وكذبهم في أساطيرهم المدعاة لقواهم المزعومة؟!

خلاصة المعركة: الفشل الهائل الذريع لتحالف الشر العالمي بجميع قواه على مجموعة صغيرة من المجاهدين، على ثلاثمائة مجاهد في خنادقهم داخل ميل مربع في درجة حرارة بلغت عشر درجات تحت الصفر، وكانت نتيجة المعركة إصابتنا في الأفراد بستة في المئة تقريبًا -نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء-، وأما أصابتنا في الخنادق فكانت بنسبة اثنين في المئة والحمد لله.

فإذا كانت جميع قوى الشر العالمي لم تستطع أن تحقق مرادها على ميل مربع بعدد بسيط من المجاهدين بإمكانيات متواضعة جدا فكيف يمكن لهذه القوى الشريرة أن تنتصر على العالم الإسلامي، فهذا محالٌ -بإذن الله- إذا ثبت الناس على الدين وأصروا على الجهاد في سبيله.

فيا إخواننا المجاهدين في العراق:

لا يهولنكم ما تروج له أمريكا من أكاذيب حول قوتهم وحول قنابلهم الذكية والموجهة بالليزر، فالقنابل الذكية لا أثر لها يذكر في وسط الجبال وفي وسط الخنادق في السهول والغابات فهي لا بد لها من أهداف ظاهرة، أما الأهداف والخنادق المموهة تمويها جيدا فليس للقنابل الذكية ولا الغبية إليها من سبيل إلا بالضرب العشوائي الذي يبدد ذخيرة العدو وامواله، يبدد ذخيرة العدو ويبدد أمواله سدى، فعليكم بكثرة الخنادق كما جاء في الأثر عن عمر رضي الله عنه قال: (ادرعوا بالأرض)، أي اتخذوا الأرض درعة فإن ذلك كفيل بإذن الله وفضله باستنزاف كامل المخزون من قذائف العدو خلال بضعة أشهر، وأما إنتاجهم اليومي فشيء يسير يسهل احتماله بإذن الله.

كما ننصح بأهمية استدراج قوات العدو إلى قتال طويل متلاحم منهك مستغلين المواقع الدفاعية المموهة في السهول والمزارع والجبال والمدن، وأخوف ما يخافه العدو هو حرب المدن والشوارع، تلك الحرب التي يتوقع العدو فيها خسائر فادحة باهظة في أرواحه.

كما نؤكد على أهمية العمليات الاستشهادية ضد العدو، تلك العمليات التي أنكت في أمريكا وإسرائيل نكاية لم يشهدوها في تاريخهم من قبل -بفضل الله تعالى-.)

وجاء في مقابلته مع جمال إسماعيل: (سؤال: نُشرت في بعض الصحف العربية والأجنبية أيضًا مواضيعٌ حول سعيكم لامتلاك سلاحٍ نووي أو كيماوي أو بيولوجي، وخاصةً عن طريق بعض التجار من وسط آسيا أو بقية دول الاتحاد السوفيتي

السابق، خاصةً وأن الإدارة الأمريكية في سجل الاتهامات الذي اتهمتكم به -والبالغ حوالي ٢٣٥ اتهامًا- سجّلت هذه الاتهامات، وأنكم تسعون جادين لامتلاك مثل هذه الأسلحة.

أسامة بن لادن: نحن كما ذكرت نطالب بحقوقنا، نطالب بإخراج الأمريكان من العالم الإسلامي وعدم سيطرتهم عليه، ونعتقد أن حق الدفاع عن النفس هو حقٌ لكل البشر، ففي وقت تخزن إسرائيل فيه المئات من الرؤوس النووية والقنابل النووية، ويسيطر فيه الغرب الصليبي على هذا السلاح بنسبةٍ كبيرة لا تُعتبر هذه تهمة، بل هو حقٌ ولا نقبل من أحدٍ أن يوجّه تهمةً لنا. يعني كما تتهم رجلًا كيف يكون فارسًا شجاعًا مقاتلًا، تقول له لماذا أنت كذلك؟! فلا يتهمه بذلك إلا رجل مُختلٌ غير عاقل. وإنما هذا حقّ، ونحن أيّدنا وهنّأنا الشعب الباكستاني عندما فتح اللهُ عليهم وامتلكوا هذا السلاح النووي، نعتبر هذا من حقوقنا وحقوق المسلمين، ولا نلتفت لمثل هذه التهم من قِبل أمريكا.

سؤال: هل يعني هذا تأكيدٌ للاتهامات من أنكم تسعون للحصول على السلاح؟

أسامة بن لادن: هذا ليس تهمة؛ هذا واجبٌ على المسلمين أن يملكوه، وأمريكا تعلم اليوم أن المسلمين يملكون هذا السلاح بفضل الله -سبحانه وتعالى-.)

وقال في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة": (هنا أود أن أطمئنك أمتي أنني على يقين أن الأمر يسير عليك بإذن الله إذا اتبعنا الجادة واعتمدنا على الله تعالى

وأخذنا بالأسباب التي أمر بها وأعرضنا عن بنيات الطريق. وهنا أضع بين يديك دليلين يثبتان لك أنك قادرة على هزيمة أعدائنا بقدر يسير من قدراتك:

الدليل الأول: ما حل من هزيمة كبرى بالاتحاد السوفيتي في أفغانستان بفضل الله ثم بجهودك الشعبية، ودون تدخل أي جيش من جيوش حكوماتك، وإن كانت الرياح العامة خلف سفينة المجاهدين في تلك الحرب ومن يومها نُزِع علم الاتحاد السوفيتي من الدنيا ووضع في سلة النسيان فلله الحمدُ والمنة.

وأما الدليل الثاني: فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي تفرد النظام الأمريكي وسعى ليفرض هيمنته وسياسته على العالم، فازداد حكام منطقتنا له استسلاماً فبالغ في طغيانه ودعمه للكيان الصهيوني ليهلك الحرث والنسل في فلسطين، عندها أعلنت ثلة من أبنائك الجهاد على ذلك القطب الأوحد، هتلر العصر، وحيد القرن، فكسرنا قرنه، ودككنا حصنه، وهدمنا برجه، فثار غاضباً وزعم أن سيحضر قادة المجاهدين أحياءً أو أمواتاً ليستعيد هيبة أمريكا ويجعلهم عبرة لمن يعتبر، فكان كأبي جهل في يوم بدر فخرج يتبختر بعتاده مزهواً بعدده ففللنا حده، وقتلنا جنده، وفرقنا صحبه، والفضل لله وحده، فإذا حمي الوطيس واعتديَ علينا فالقول قول الصوارم كي تسترد المظالم.

وها هي أمريكا تترنح اليوم تحت ضربات المجاهدين وتداعياتها، فنزيف بشري، وآخر سياسي ومالي، فأضحت اليوم غارقة في الأزمة الاقتصادية، حتى أنها تتسول دولاً صغرى فضلاً عن الكبرى، فلم يعد يهابها أعداؤها ولا يحترمها أصدقاؤها.

وهنا لا بد لنا من وقفة تدبر، فأنتم تعلمون أن الخاســر الأول من انحســار الظلم الأمريكي هو الكيان الصــهيوني، حيث إنه بذلك يفقد أحد أهم مقومات بقائه وشرايين حياته.....)

وقال -رحمه الله- في "جماعة المســلمين": (فهذا القطب الآخر الولايات المتحدة الأمريكية التي يخوفنا منها كثير من الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله، ها هي كما سمعتم منذ أسابيع ترتعد فرائسها وتُخرج أساطيلها من دول الخليج إلى عرض البحر خائفة ذليلة ممن تخاف، من عمر وزيد؟ لا. وإنما تخاف من جند الله، الله ســبحانه وتعالى هو الذي ألقى الرعب في قلوبهم فله الحمد والمنة، وما نحن إلا أســباب لا حول لنا وطوق، وليس عندنا قوة إلا التوكل على الله ســبحانه وتعالى، والاعتماد على الله ســبحانه وتعالى، فاليوم الأزمة يا عباد الله أزمة يقين، أزمة توكل على الله ســبحانه وتعالى، نقول للناس جهاد يقولون وماذا عندكم، وكم وكيف وهل تستطيعون؟ هؤلاء يعيشون في جو لوثته المادية. ولوثته طغيان الأسباب المادية فلا يفكرون إلا بالكم والكيف ولا يعتمدون كما أمر الله ســبحانه وتعالى عليه، ولا يتوكلون كما أمر الله ســبحانه وتعالى عليه حق التوكل، من الذي يرزقنا منذ عشرين سنة؟ الله سبحانه وتعالى، من قبل ذلك ومن بعد، حصار ما عرفت مثله البشرية، العالم بأسره يحاصر أفراد معدودين نزاع من القبائل من شتى البقاع من الذي يرزقهم الذي يرزق الطير ســبحانه وتعالى، لو توكلتم على الله حق التوكل، لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطاناً فلله الحمد والمنة، لو أن الصحابة رضي الله عنهم عندما قيل لهم أن يُهاجروا إلى الحبشــة، ولا عهد لهم بالبحر فمكثوا دهراً

يخافون من البحر، وكان عمر رضـــي الله عنه يأمر العمال والولاة أن لا يُجبروا أحداً من العرب على ركوب البحر للجهاد في سبيل الله، هؤلاء رضي الله عنهم لا علم لهم بالبحر ولا بالسـباحة، فكان أمامهم كم هائل من الأسـئلة لو انقلب هذا الزورق أو هذه السـفينة ماذا سـنفعل؟ لا نعرف السـباحة سـنموت، لو أن هؤلاء أصـحاب الســـفينة ذهبوا بنا إلى قبيلة أخرى وباعونا -وهذا كان كثير في ذلك الزمان- ماذا سنصنع؟ سبعون رجلا رضي الله عنهم ومعهم بعض النساء ماذا سيصنعون لو أخذوهم على الشـاطئ الآخر من البحر الأحمر وباعوهم إلى قبيلة من تلك القبائل، ثم إذا وصـلوا إلى الحبشـة لعل بعض قطاع الطرق -لا نسـب ولا قرابة ولا دين- يأخذونهم، ثم إذا وصلوا إلى الحبشة لعل النجاشي يموت قبل أن يصلوا؟ ثم إذا وصلوا عند النجاشـي أليس النجاشـي معرض للموت؟ معرض، لعله يموت فلماذا نذهب كم هائل من الأسئلة، لا يقوم بما أمر الله سبحانه وتعالى إلا من توكل عليه، فلا بد من اليقين والتوكل، ولابد أن تعتقدوا في قلوبكم أن الله سبحانه وتعالى ناصـرنا على الكافرين بإذنه ســبحانه وتعالى إذا اتبعنا أمره واعتمدنا عليه وتوكلنا عليه ســبحانه وتعالى، ﴿**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾، خوف من الله والتوكل، جيش عرمرم مع موسـى عليه السـلام، في قلوبهم وهن خافوا من الجبارين الذين في القدس ﴿**إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ**﴾ من هذا الجيش العظيم أنعم الله سبحانه وتعالى على رجلين، فأنتم استشعروا هذه النعمة من ألف ومائتين مليون مسـلم أنعم الله على بضـع مئات فاحمدوا الله سـبحانه وتعالى واحرصـوا على شـكر هذه النعمة فلابد من الخوف من الله ســبحانه وتعالى ولابد من التوكل عليه ســبحانه وتعالى،

فصـــراعنا مع الروم ومع النصـــارى إلى قيام الســـاعة، كما أخبر بذلك رســـولنا عليه الصلاة والسلام، يوم أن دعونا إلى الجهاد وأصدرنا بيان يدعوا المسلمين إلى إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين قبل خمس ســـنوات ونيف، والله الذي لا إله إلا هو كنا هنا في أفغانســـتان ســـبعة أُخرجنا مطرودين من الســـودان ســـبعة تتعقبهم الدنيا بأســـــرها ما إن كدنا أن نحط رحالنا في جبال تورا بورا في جلال أباد حتى صدرنا هذا البيان بفضل الله سبحانه وتعالى، فكيف اليوم وقد أنعم الله سبحانه وتعالى علينا وبدأنا نرى ثمرات ذلك الجهاد وثمرات هذا البيان، فاصـــبروا واحتســـبوا وإياكم ثم إياكم أن تنكسوا أو تتقهقروا أو ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين...)

التخلص من العقبات
والقيود التي تقيد العبد عن الجهاد

ومن الأمور التي عني الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- بالحديث عنها وبيانها مسألة الحديث عن العقبات والقيود التي تعيق العبد عن الجهاد فقد كان له محاضرة بعنوان "الجهاد وتجاوز العقبات" والتي جاء فيها: (والجهاد هو في رأس القمة، لأن العقبات عدة ولكن الجهاد هو أعلى شـــيء فهو بإذن الله يتجاوز جميع العقبات، فالجهاد وتجاوز العقبات، الجهاد كما في الحديث الصـحيح: «رأس الأمر الإســلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله».

وهناك عقبات قبل الوصــول إلى الجهاد، ســنذكرها جملة في هذه المحاضـــرة دون تفصيل، وهناك عقبات لا يمكن تجاوزها إلا بالجهاد.

وأما العقبات التي تقف دون الجهاد فهي كثيرةٌ جدًا على تفصيلات وتشريعات فيها إلا أنها يجمعها قوله سـبحانه وتعالى، بعد أعوذ بالله من الشـيطان الرجيم: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

فلو تدبر الإنسـان هذه الأصـناف الثمانية، فرُب رجل قد ينجو من سـبعة ويقع في الثامنة، وما تجده بالنسبة لك سهلًا قد يكون على غيرك عقبة تعوق، فالسعيد من

تجاوز هذه الأصــناف الثمانية ووصــل إلى أن يكون حب الله والرســول والجهاد في سبيل الله أحب إليه من هذه الأصناف الثمانية.

ثم هذه الأصــناف يســتطيع الإنســان أن يتجاوزها بمفرده، وإن وجد له أعوان كان خيرًا على خير، ولكن هناك عقبات بالمجمل تنحدر من الكفر والشرك يصعب على الفرد أن يزيل هذه العقبات وأن يتجاوزها ويزيلها من طريق الدعوة إلا بهذه العبادة العظيمة؛ عبادة الجهاد في ســبيل الله، فلا يمكن كف بأس الكفار إلا بهذه العبادة، بالقتال، ولا يمكن إحقاق الحق أمام الكافرين الطغاة المتعجرفين الذين أعدوا العدة والســلاح، لا يمكن إحقاق الحق ولا يمكن إبطال هذا الباطل وقطع دابر الكافرين إلا بالقتال، ولا يمكن إنهاء الفتنة وأن يكون الدين كله لله إلا بالقتال، وأيضًــا لا يمكن أن يُضــعف كيد الشــيطان وأولياء الشــيطان إلا بالقتال، هذا تفصــيل فيما ذكرنا، ولا يمكن للكفرة أن ينتهوا عن الطعن في الدين صــباح مســاء في صُــحفهم وجرائدهم وإعلامهم إلا بالقتال، وإن شــئتم اسمعوا إلى قوله ســبحانه وتعالى مبينًا أن إحقاق الحق يكون بالقتال، قال ســبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّــوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾، فإحقاق الحق بكلماته، يقول ابن كثير والطبري عليهم رحمة الله: أي بأمره إياكم بالقتال في سبيل الله يوم بدر.

فيا طُلاب الحق، يا من تريدون أن تُحقوا الحق: هذا هو الســبيل (ويريد الله)، رغم أنهم خير الناس –رضــي الله عنهم– لم يُحابِهم ســبحانه وتعالى وقد كانوا يودون

العير بنص الآية ولكن سبحانه وتعالى يريد إحقاق الحق، وقال سبحانه: ﴿**وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾، وكذلك لا يكون الدين كله لله ولا تنتهي الفتنة، فتنة الناس يدعونهم إلى أبواب جهنم يغرونهم بمناصب في الأحزاب الكفرية وبإمكانيات مادية وبالجاه والسلطان إلى أن يتركوا هذا الدين، فهذه الفتنة في هذا الدين أو بالسجن والتعذيب ترهيبًا وترغيبًا، هذا كله لا ينتهي إلا كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه**﴾.

وكذلك لا ينتهي الشرك من هذه الأرض إلا بالقتال كما أمر سبحانه وتعالى بقتال المشركين إلى أن يتوبوا، فهم لا يتوبون من الشرك إما قتلًا أو توبة بعد قتال -توبة بعد قتال أو رفع السلاح فيتوبوا قبل أن نقاتلهم- يقول سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾، فهم لا يتوبون من الشرك إلا بقتالهم ﴿**فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ**﴾، ولا ينتهي كيد الطغاة وكيد أولياء الشيطان إلا بالقتال، قال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾.

وكيف نرد بأس الكفار الذي عمّ البلاد وطمّ ولا حول ولا قوة إلا بالله؟

يُرد كما بين سبحانه وتعالى، مُشيرًا على خير خلقه رسولنا عليه الصلاة والسلام، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾، عسى هنا للوجوب، إذا قاتلت وحرّضت فإن الله سبحانه وتعالى يكف بأس الكفار.

هذه العقبات وما ذكرنا مما يشابهها كلها تنحدر من الكفر والشرك، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر تجمع الكفر عندما يطعنون في الدين، أيضًا يكون حله بالقتال.

ومن الذي يأمرنا بسفك الدماء والإثخان في الأرض؟

هو أرحم الراحمين سبحانه وتعالى، فنعوذ بالله من أن يستدرك مسلمٌ على أن هناك أساليب دون سفك الدماء، إنما الغلظة والشدة وسفك الدماء تكون في مثل هذه المواطن، لا على المؤمنين، وإنما الرحمة والرأفة تكون بالمؤمنين كما بين سبحانه وتعالى، ويقول سبحانه مُبينًا كيف ينتهي الكفار عن الطعن في الدين، يقول سبحانه:﴿**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾، فهم لا ينتهون حتى نقاتلهم، ولذا شرع الله سبحانه وتعالى وأمر بهذه العبادة وجعلها في بعض الأوقات متعينة كما هو الحال اليوم، ولا نقول أن الجهاد في أفغانستان فقط فرض عين، لكنه في أفغانستان فرض عين ولا نقول فقط بل هو يتعين في مواطن كثيرة في كل شبر من أراضي المسلمين غلب عليها الكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فكونه يتعين في فلسطين أو في بورما

أو في غيرها لا ينفي تعينه في أفغانستان، وإنما أخذت أفغانستان الجهد الأكبر من الإخوة لتيسر العمل والجهاد في هذه الساحة، وهذا رأس الكفر وهذا بأس الكفار الذي أصاب المسلمين بمشارق الأرض ومغاربها على أيدي الشيوعية منّ الله على رجال من أهل الأفغان بدأوا الجهاد فجاهدوا هذه السنين الطويلة حتى تحطمت الشيوعية العالمية أمام الكبير والصغير وأمام البر والفاجر والمسلم والكافر، فقد سحبت جيوشها وأذيالها وهي راغمةٌ صاغرة وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى علينا، ثم من فضله بأن منّ على هذه الأمة بالجهاد وسخّر له رجالًا من أهل الأفغان جاهدوا في الله حتى خسئت رايات الكفر وخرجت بفضله سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن هؤلاء الرجال الذين جاهدوا هذه السنين الطوال من أجل "لا إله إلا الله" ومن أجل أن محمدًا رسول الله، نأتي ونتنكر لهم في حادثة لم يكن لهم فيها دخل من حيث الجملة، وأمّا مقتل الشيخ فكما ذكرنا لا من حيث الجملة ولا من حيث التفصيل وإنما حادثة تنشأ بين المسلمين وقد حدث مثلها في كثيرٍ -ولا حول ولا قوة إلا بالله- من بعض البقاع في أفغانستان، فلا يجوز أن نتنكر لهم وإنما يُجازون على قدر إحسانهم ونسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ولهم فيما أسأنا.

هذا مُلخّص ما أحببت أن أشير إليه وأؤكد في هذا الزمن الذي كثُرت فيه الفتن والتبس على الناس الحق وكثر الداعون إلى ما يُسمى بإحلال السلام على حساب الدين، وإلى ما يُسمى بنبذ العنف وهم يقصدون نبذ الفريضة التي شرعها الله سبحانه وتعالى وهي القتال، وكثر الداعون إلى الحِوار وإلى المناقشات السياسية وإلى معالجة كيد أولياء الشيطان بالكيد السياسي وإنما الحل كما ذكرنا:

﴿فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾، هذا وأرجوه سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ويرحمنا وأن يؤلّف بين قلوب المسلمين وأن يفتح عليهم بلاد الأفغان وغيرها من بلاد الإسلام وهو على ذلك قدير سبحانه وتعالى.)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (وأمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير -بفضل الله- ولكنهم مقيدون، فينبغي علينا أن نتعاون جميعاً لفك قيودهم لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله، لأن الجهاد هو سبيل عز هذه الأمة وأمنها.

وإن القيود والسدود التي تحول بين شباب الأمة وبين انطلاقها للجهاد كثيرة، إلا أننا سنتحدث عن أهمها، وبين يدي ذلك أذكر حديثاً من الصحيحين من اهتدى به سلك ومن ضل عنه هلك، قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» متفق عليه، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فهذا من أسباب هلاكنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأذكر كذلك قصة إسلام خالد رضي الله عنه، لتتحرر العقول من التبعية العمياء، فقد قيل له بعد أن أسلم متأخراً: (أين كان عقلك يا خالد فلم تر نور النبوة بين ظهرانيكم منذ عشرين سنة؟!، فقال: كان أمامنا رجال كنا نرى أحلامهم كالجبال.)

قال الإمام أحمد رحمه الله: (من قلة فقه الرجل أن يُقلِّد دينَه الرجال).

وأول هذه القيود والسدود في عصرنا الحاضر؛ هم الحكام وشهداء الزور من علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة ومن شابههم......)

وقال رحمه الله في "السبيل لخلاص فلسطين": (أمتي المسلمة، برغم هذا الحصار الشديد عليك إلا أن أمامك فرصة عظيمةً جداً لاستعادة حريتك للخروج من الخضوع والتبعية في هذا التحالف الصليبي الصهيوني، ولكي يتم ذلك فلا بد أن تتحرري من قيود الذل والخنوع التي يكبلنا بها وكلاء هذا التحالف من حكام بلادنا وأعوانهم، ولا سيما من قيود علماء السلاطين، وكذا من قيود قادة الجماعات الإسلامية التي أصبح من منهجها الاعتراف بالحاكم الذي خان الملة والأمة والانخراط في المنظومةِ السياسيةِ للدولة، ولا فرق إن كانت في الحكم أو المعارضة.

أو تلك الجماعات الأخرى التي تضخم عندها الحذر حتى وصل إلى درجة الخوف المِقعد عن القيام بالجهاد، هذه العبادة التي ينهى عنها الحاكم، والتي هي ذروة سنام الدين وهي السبيل لكف بأس الكفار ولفك الحصار عن المسلمين.

وبعض هذه الجماعات تسوغ مداهنة الحاكم والقعود عن الجهاد تحت ذريعة مصلحة الدعوة، حتى صار هذا الادعاء صنماً يعبد من دون الله، وتحت غطائه تزاحم أوامرُ قادة الجماعة أوامرَ الله تعالى وأوامرَ رسوله ﷺ وذلك هو الضلال المبين.

أمتي المسلمة، لا بد من التحرر من هذه القيود الباطلة، والاستسلام والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له، وعندئذٍ فقط يتحرر الإنسان، وعندئذٍ يستطيع أن يسعى في تحرير أمته وفي تحرير فلسطين والأقصى، وسيرى الأبواب مشرعةً إلى طريق الحريةِ والكرامة، إلى ميادينِ الرجال والنزال، ميادين القتل والقتال في سبيل الله كما في أفغانستان ووزيرستان والمغرب الإسلامي والصومال وكشمير والشيشان، وأهمها وأعظمها نكاية في العدو بغداد دار الخلافة وما حولها.

ففي هذه الساحات وتحت ظلال السيوف ينبُت العز، وكل مكانٍ يُنبت العز طيبُ، وفوق ثراها تدق أعناقُ الظالمين وتُشفى صدورُ قومٍ مؤمنين.....)

وتعاونوا على البر والتقوى
واستثمار كل الطاقات

إن التعاون على البر والتقوى وتضافر جهود العاملين لنصرة الإسلام ودفع صيال المعتدين من الواجبات المتحتمات قال الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢]، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في "زاد المهاجر": (فإن الله سُبحانَه يقول في كتابه: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

وقد اشتملتْ هذه الآيةُ على جميعِ مَصالح العبادِ في معاشِهم ومعادِهم، فيما بينَهم في بعضِهم بعضًا، وفيما بينَهم وبينَ ربهم، فإن كلَّ عبد لا يَنْفَكُّ من هاتينِ الحالتينِ وهذينِ الواجبينِ: واجب بينه وبين الله، وواجب بينه وبين الخَلْقِ.

فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرةِ والمعاونةِ والصُّحبةِ، فالواجبُ عليه فيها أن يكون اجتماعُه بهم وصحبتُه لهم تعاونًا على مَرْضاةِ اللهِ وطاعتِه، التي هي غايةُ سعادةِ العبد وفلاحِه، ولا سعادةَ له إلا بها، وهي "البِرُّ والتقوى" اللذانِ هما جماع الدين كله، وإذا أُفرِدَ كلُّ واحد من الاسمينِ دخلَ فيه المسمَّى الآخر، إما تضمنا وإمّا لزومًا....)

وهذا الواجب كان أحد الأصول والأسس التي بنى عليها الإمام المجدد دعوته وجهاده وحرص أشد الحرص عليه فكانت توجيهاته وكلماته عامرة به ومن شدة حرصه عليه

كان أحد نصـــائحه وتوجيهاته في آخر كلماته كان فقال -رحمه الله- في "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة": (وَفِي هَذَا المقَام أُذَكّرُ الصّادِقِينَ بِأَنّ تَأسِيسَ مَجلِسٍ لِتَقدِيمِ الرَّأيِ وَالمشُورَةِ لِلشُّعُوبِ المسلِمَةِ فِي جَميعِ المحَاوِرِ المهِمّةِ وَاجِبٌ شَــرعِيّ، وَآكَدُ مَا يَكُونُ عَلَى بَعضِ الغيُورِينَ الّذِينَ قَد نَصَـحُوا مُبَكرًا بِضَــرُورَةِ استِئصَالِ هَذِهِ الأَنظِمَةِ الظَّالِمَة، وَلَهُم ثِقَةٌ وَاسِعَةٌ بَينَ جَمَاهِير المسلِمِينَ، فَعَلَيهِم البدءُ بِهَذَا المشرُوعِ وَالإِعلَانُ عَنهُ سَرِيعًا بَعِيدًا عَن هَيمَنَةِ الحُكّامِ المستَبِدّينَ، وَإِنشَاءُ غُرفَةِ عَمَلِيّاتٍ مُوَاكِبَةٍ لِلأَحدَاثِ لِلعَمَلِ بِخُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ تَشــمَلُ جَمِيعَ حَاجَاتِ الأُمّةِ مَعَ الاِســتِفَادَةِ مِن مُقتَرَحَاتِ أُولِي النُّهَى فِي هَذِهِ الأُمَّة، وَالِاســتِعَانَة بِمَرَاكِزِ الأَبحَاثِ المؤَهَّلَة، وَأُولِي الأَلبَابِ مِن أَهلِ المعرِفَةِ لإِنقَاذِ الشُّعُوبِ الّتِي تُكَافِحُ لإِسقَاطِ طُغَاتِها، وَيَتَعَرّضُ أَبنَاؤُهَا لِلقَتلِ، وَتوجِيهِ الشُّــعُوبِ الّتِي أَســقَطَت الحَاكِمَ وبَعضَ أَركَانِهِ بِالخُطواتِ المطلُوبَةِ لِحِمَايَةِ الثّورَةِ وَتَحقِيقِ أَهدَافِهَا.

وَكَذَلِكَ التّعَاوُنُ مَعَ الشُّعُوبِ الّتِي لم تَنطَلِق ثَورَاتها بَعدُ، لِتَحدِيدِ سَاعَةِ الصّفرِ وَمَا يَلزَمُ قَبلَهَا، فَالتّأَخُّرُ يُعَرّضُ الفُرصَــة لِلضّــيَاعِ، وَالتَّقَدُّمُ قَبلَ أَوَانِهِ يَزِيدُ مِن عَدَدِ الضّحَايَا، وَأَحسبُ أَنَّ رِيَاحَ التّغيِيرِ سَتَعُمُّ العَالَمَ الإِسلَامِيّ بِأَسرِهِ -بِإِذنِ اللهِ- فَينبَغِي عَلَى الشّــبَابِ أن يُعِدُّوا لِلأَمرِ مَا يَلزَمُ، وَأَن لَا يَقطَعُوا أَمرًا قَبلَ مَشُــورَةِ أَهلِ الخِبرَةِ الصّادِقِينَ المبتَعِدِينَ عَن أَنصَافِ الحُلُولِ وَمُدَاهَنَةِ الظّالِمِين، وَقَد قِيلَ:

الرَأيُ قَبلَ شَجَاعَةِ الشُجعَانِ   هُوَ أَوّلٌ وَهِيَ المحلُّ الثّانِي.)

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "النفير": (والأمة اليوم بين يدي يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه العجز ولا البغي وينبغي أن تتجمع فيه زحوف المسـلمين ضـد زحوف

الكافرين، وينبغي فيه التوبة من الذنوب والكبائر، كما ينبغي على الأمة بين يدي هذا الأمر العصيب الذي هو جِدٌ ليس بالهزل أن تهجر حياة اللهو واللعب والإسراف والترف، وأن تخشوشن وتتهيأ للحياة الحقة، حياة القتل والقتال والضرب والنزال.

وإليكم ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في فتنة مشابهة لما نحن فيه الآن، فقال: (واعلموا -أصلحكم الله- أن النبي قد ثبت عنه من وجوه كثيرة أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» رواه مسلم.

فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق:

- الطائفة المنصورة؛ وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين.
- والطائفة المخالفة؛ وهم هؤلاء القوم ومن تحيز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام.
- والطائفة المخذلة؛ وهم القاعدون عن جهادهم وإن كانوا صحيحي الإسلام.

فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة أم من المخالفة، فما بقي قسم رابع.)

ومما جاء في مقابلته مع عبد الباري عطوان: (عبد الباري عطوان: يتّهمك البعض بتمويل حركات جهادية مُتطرّفة في ليبيا ومصر والجزائر، وفي أماكن أخرى، ما هي الحقيقة حول ذلك؟

أسـامة بن لادن: أن تُعدد بلداناً مختلفة في العالم الإسـلامي لا يُغيّر شـيئًا في الواقع، فنحن نتعامل مع العالم الإسلامي كبلدٍ واحدٍ ونتعاون مع الناس على أساس التّقوى والصّلاح، ووفِقًا لقدراتنا وإمكاناتنا فنحن أمةٌ واحدة، لها دينٌ واحد، وقِبلةٌ واحدة، والكثير مّما قيل في الإعلام يحتوي على مبالغاتٍ كبيرة.)

وقال -رحمه الله- في "لقاء مع جمال إسماعيل لقناة الجزيرة": (أســامة بن لادن: بفضـل الله سبحانه علاقتنا بالجماعات الإسـلامية بالجملة علاقاتٌ جيدةٌ وحسـنة، ونحن نتعاون معهم على البر والتقوى لنصـرة هذا الدين كلٌ في المجال الذي فتح اللهُ -سـبحانه وتعالى- عليه به، ونحن ندعو المسـلمين وخاصـةً العاملين للإسـلام أن يترفّعوا عن المشاكل الجزئية، واستطاعت للأسف شياطين الجن والإنس وبخاصةٍ من الصـليبيين أن يصـرفوا الدول -فضـلًا عن الجماعات الصـغيرة فيها- إلى مشـاكل إقليمية؛ فتجد أن مصـر لها مشـاكل مع ليبيا، والسـعودية مع اليمن، وكذلك الجماعات تعيش في مشـاكل ضـيقةٍ في الجملة -إلا من رحم الله-، بينما يقترب الكفر الأكبر والتحالف الصـليبي الأمريكي يمزّق العالم الإسـلامي، وينهب ثروات المسلمين بشكل لم يسبق له مثيل.)

وقال الدكتور الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- في "أيام مع الإمام" مبيناً عناية الإمام المجدد بهذا الواجب وحسـن اسـتثمار مختلف الطاقات والجهود: (وكما قلت من قبل أن الشـيخ أسـامة بن لادن رجل عجيب في اسـتثمار كل الطاقات الإسـلامية والجهادية؛ من هو مبايع معه ومن هو ليس مبايع معه، وذكرت من قبل من فضـائل الشيخ ومناقبه أنه رجل بعيد عن التعصب وأنه يستفيد من كل طاقة إسلامية بغض

النظر عن انتمائها التنظيمي أو الحزبي، وكان رحمه الله يعني مثل المغناطيس الذي يجمع الطاقات ويوظفها في المشاريع المنتجة، فالشيخ ابن الشيخ الليبي لم يكن من القاعدة بمعنى أنه لم يكن مبايعًا للشيخ أسامة بن لادن، فلما سأله المحققون الأمريكيون: هل أنت من القاعدة؟ قال: نعم أنا من القاعدة. فالشيخ أبو يحيى يقول له: يعني فعلت هذا تورط نفسك؟ قال: لا أنا لا أتبرأ من القاعدة أمامهم، القاعدة شرف، أنا لا أتبرأ منها ولا أظهر بمظهر الخائف أمامهم وأنا أفتخر بالقاعدة حتى ولو لم أكن في القاعدة.. جزى الله خيرًا الشيخ ابن الشيخ الليبي على هذا الموقف النبيل الكريم.)

وقال الدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- في "أيام مع الإمام": (من الجوانب الجميلة في شخصية الشيخ أسامة -رحمه الله- التي يعرفها من اقتربوا منه أنه من أقل الناس عصبيةً للتنظيمات والتجمعات، يعني العصبية التنظيمية عنده هذه من أقل ما رأيت -الكمال لله وحده سبحانه وتعالى- لكن كان الشيخ أسامة بن لادن قدوة في هذا المجال، أذكر أني ذهبت إليه في موقعه بقيادة الإخوة في جلال آباد أثناء هجوم الإخوة عليها وحملاتهم ضدها لتحريرها، ووجدت في الموقع إخوةً من كل التنظيمات، من "إخوان" ومن "جماعة إسلامية" ومن "جهاد" ومن عرب ومن عجم ومن الجزيرة ومن العراق، فوالله غبطت الشيخ أسامة بن لادن قلت ما شاء الله عليه يا أسامة بن لادن استطعت أن تجمع الناس في مشروعٍ واحد وتصرفهم في هذا الخير.

أيضًا من سمات الشيخ أسامة بن لادن أنه يشاور كل صاحب رأي وكل من يريد منه رأيًا بغض النظر عن تنظيمه وبغض النظر عن انتمائه، ابتغاءً للوصول إلى مصلحة المسلمين، وكان أيضًا يوظف الإخوة من التنظيمات المختلفة في أعماله ويحملهم مسؤوليات، كل أخ فيه كفاءة كان الشيخ -رحمه الله- يحاول أن يستفيد منه ويدفعه في العمل المشترك.

ومن أمثلة اهتمام الشيخ بهموم المسلمين بغض النظر عن الانتماء للتنظيمات: اهتمامه بقضية الشيخ عمر عبد الرحمن -فك الله أسره- فأنا شاهد على مدى اهتمام الشيخ بهذا الأمر، أولاً من الناحية الدعائية هو أكثر من مرة يتكلم عن هذا في لقاءاته، بل عقد مؤتمرًا خصيصًا لهذا الأمر وتكلم فيه أكثر من أخ، وهذا الأمر منشور ومعروف.)

سلامة المنهج مقدم
على سلامة الدول والجماعات

ومن الركائز والأصـــول المنهجية الكبرى التي تحفظ الدعوة والجماعات من الانحراف ما سطره الأمام.

ســـيد قطب -رحمه الله- بكلمات تكتب بماء الذهب في "في ظلال القرآن": (وهناك حقيقة أخيرة نتعلمها من التعقيب القرآني على مواقف الجماعة المسلمة التي صــاحبت رســول الله ﷺ والتي تمثل أكرم رجال هذه الأمة على الله.. وهي حقيقة نافعة لنا في طريقنا إلى استئناف حياة إسلامية بعون الله..

إن منهج الله ثابت، وقيمه وموازينه ثابتة، والبشـر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون في قواعد التصور وقواعد السلوك. ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوباً على المنهج، ولا مغيرا لقيمه وموازينه الثابتة.

وحين يخطئ البشر في التصور أو السلوك، فإنه يصفهم بالخطأ. وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف.

ولا يتغاضـــى عن خطئهم وانحرافهم -مهما تكن منازلهم وأقدارهم- ولا ينحرف هو ليجاري انحرافهم! ونتعلم نحن من هذا، أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج! وأنه من الخير للأمة المســـلمة أن تبقى مبادئ منهجها ســـليمة ناصـــعة قاطعة، وأن يوصـــف المخطئون والمنحرفون عنها بالوصـــف الذي يســـتحقونه- أياً كانوا-

وألا تبرر أخطاؤهم وانحرافاتهم أبداً، بتحريف المنهج، وتبديل قيمه وموازينه. فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف.. فالمنهج أكبر وأبقى من الأشخاص.

والواقع التاريخي للإسلام ليس هو كل فعل وكل وضع صنعه المسلمون في تاريخهم. وإنما هو كل فعل وكل وضع صنعوه موافقاً تمام الموافقة للمنهج ومبادئه وقيمه الثابتة.. وإلا فهو خطأ أو انحراف لا يحسب على الإسلام، وعلى تاريخ الإسلام إنما يحسب على أصحابه وحدهم، ويوصف أصحابه بالوصف الذي يستحقونه: من خطأ أو انحراف أو خروج على الإسلام.. إن تاريخ "الإسلام" ليس هو تاريخ "المسلمين" ولو كانوا مسلمين بالاسم أو باللسان!

إن تاريخ "الإسلام" هو تاريخ التطبيق الحقيقي للإسلام، في تصورات الناس وسلوكهم، وفي أوضاع حياتهم، ونظام مجتمعاتهم.. فالإسلام محور ثابت، تدور حوله حياة الناس في إطار ثابت. فإذا هم خرجوا عن هذا الإطار، أو إذا هم تركوا ذلك المحور بتاتاً، فما للإسلام وما لهم يومئذ؟ وما لتصرفاتهم وأعمالهم هذه تحسب على الإسلام، أو يفسر بها الإسلام؟ بل ما لهم هم يوصفون بأنهم مسلمون إذا خرجوا على منهج الإسلام، وأبوا تطبيقه في حياتهم، وهم إنما كانوا مسلمين لأنهم يطبقون هذا المنهج في حياتهم، لا لأن أسماءهم أسماء مسلمين، ولا لأنهم يقولون بأفواههم: إنهم مسلمون؟! وهذا ما أراد الله –سبحانه– أن يعلمه للأمة المسلمة، وهو يكشف أخطاء الجماعة المسلمة، ويسجل عليها النقص والضعف، ثم يرحمها بعد ذلك

ويعفو عنها، ويعفيها من جرائر النقص والضعف في حسابه. وإن يكن أذاقها جرائر هذا النقص والضعف في ساحة الابتلاء!)

ومن جميل ما قرأت في تقرير هذا المعنى قول الأستاذ أحمد سمير -حفظه الله- في "معركة الأحرار": (إن عدم الاعتراف بقيم الباطل قولا وعملا هو أحد عناصر المنهج السليم، وسلامة المنهج لا يعدلها شيء من المكاسب المزعومة على الأرض.)

وأما الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- فكانت له البصمة الواضحة والكلمات النفيسة في تقرير واعتماد هذا الأصل المنهجي والركيزة الجليلة فقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وإني عندما أصف الجماعات الإسلامية بواقعها الحقيقي فإن ذلك من باب التناصح والنصح للأمة، وحرصاً منّي على تحذيرها من انحراف مسارها، فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.

وإن المداهنة في الباطل فضلاً عن كونها معصية فهي تعين الآخرين على السير في طريق الضلال، ولا توصلهم لنصرة الدين كما يدعون ويتوهمون؛ فنصرة دين الله بما شرع لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع، فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..

فتية عندهم عقيدة الولاء والبراء مقدمة على الملوك والأمراء..

فتية لا ينتظرون الكبار إن قعدوا ولا يستفتون السادة إن فسدوا..

فتية مصـدرهم في التلقي ليس قوانين الأمم المتحدة وما يسـمى بالشـرعية الدولية أو طواغيت الغرب أو الشرق أو علماء وقادة جماعاتٍ يستظلون بظلهم.)

وقال –رحمه الله في "خطوات عملية لتحرير فلسـطين": (فيجب أن تسـري فينا روح النصـيحة لتصـحيح المسـار، وأن الحق أكبر من الجميع، وسـلامة الحق مقدمة على سـلامة الأوطـان والرجـال والأحزاب والجمـاعـات، فكـل يؤخـذ من قولـه ويرد إلا الرسول ﷺ، والذي قال: «الدين النصيحة».)

وقال –رحمه الله– في "توجيهات منهجية": (فأما ما انتشـر بين العلماء من السـلامة على أنفسـهم وعلى أبنـائهم، وعلى أموالهم، وعلى وظـائفهم، مع بقـاء الـدين، فهـذا فهم مغـاير لحقيقـة "لا إلـه إلا الله" ولمعـاداة أهـل البـاطـل لهـا، فهـذا التواؤم، وهذا التماشـي بين العلماء والحكام –الذين كفروا بالله ورسـوله– هو وضـع خاطئ ينقلب وينصـبُّ في الابتداء على أن العلماء تركوا حقيقة "لا إله إلا الله"، والالتزام بحقيقة "لا إله إلا الله" ومقتضيات "لا إله إلا الله"، يداهنون الحكام.

فينبغي الحذر كل الحذر من هؤلاء، لأن النظام وضـعهم عن قصـدٍ للصـد عن سـبيل الله، وقد كان منذ ربع قرن كان الشـيخ عبد الله بن حميد عليه رحمة الله، لا يُذكر بجواره العلمـاء الآخرون –بعـد أن توفي الشـيخ محمـد بن إبراهيم عليـه رحمـة الله– في ورعه وفقهه وعلمه وشـدته في الحق، ولكن النظام لا يريد أهل الحق ولا يريد أهل التقى والورع، فما زال يضايَق الشيخ عبد الله بن حميد وأُخذ الأضواء عنه بعيداً على عدد من العلماء الأخرين الذين فيهم لين ورقّة مع النظام، ونوع مداهنة، وأضف إلى ما لبّس عليه النظام، وتركوا الشـيخ عبد الله بن حميد يضـايقوه في عمله إلى أن

اســـتقال لما شـــعر أن الدولة بدأت تبتعد كثيراً، وظهر له أن الدولة توالي الكفار، وتبتعد كثيراً عن شرع الله سبحانه وتعالى.)

وقال رحمه الله في "الذكرى الســنوية الثانية لغزوة منهاتن.. كلمة الشــيخ أســامة بن لادن.. كما جاءت في الشريط المرئي.. (وصية سعيد الغامدي)": (هذا الفتى المؤمن وإخوانه صـغار الســن، والمرء بأصـغريه قلبه ولســانه، ولكنهم كبار العقول والهمم، حافظوا على ســـلامة عقولهم من أن تداس أو يغرر بها بخداع الحكومات العميلة ومؤسساتها، التي تصور المنكر معروفا والمعروف منكرا، والباطل حقا والعدو صديقا، مرات ومرات، لأن هؤلاء الشـــباب مؤمنون حقا والمؤمن لا يُلدغ من جحرٍ مرتين، كما قال نبينا -عليه الصلاة والسلام-.

إن هؤلاء الفتية يعلمون أن طريق الهلاك هو تعطيل الشريعة، ولو في بعض أحكامها، ويرفضــون المداهنة في ذلك ولو للأمراء أو العلماء، ويعتقدون أن ســلامة الشــريعة مقدمة على ســلامة الرجال مهما عظموا، والناس في دين الله ســواســية، ويهتدون بحديث رســـول الله ﷺ، حيث قال: «وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد ســـرقت لقطعت يدها».

إن هؤلاء الفتية قد فقهوا معنى لا إله إلا الله، وأنها رأس الإســـلام، وأنه يجب أن تكون مهيمنة علينا، حاكمة لنا في جميع شـــؤون حياتنا، ولما كان الأمر خلاف ذلك، بل إن أهواء الحكام وتشـــريعاتهم هي المهيمنة على الناس، وإن سمحوا ببعض الشـعائر للناس، عند ذلك علم هؤلاء الفتية أن الحكام ليســوا على شــيء، بل إنهم مرتدون، وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون، فرفض هؤلاء الفتية أن يقعدوا مع

القاعدين ويعملوا في أمرٍ لا رأس له، وإنما نفروا وسارعوا لنصرة وإقامة كلمة التوحيد؛ لا إله إلا الله وأن محمداً رســـول الله، فجاهدوا الكفار، وكان حالهم كحال معاذ بن الجموح عندما سـأل عبد الرحمن بن عوف رضـي الله عنهما قائلا: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبِرتُ أنه يسـب رسـول الله، والذي نفسـي بيده لئن رأيته لا يفارق سـوادي سـواده حتى يموت الأعجل منا، هكذا الصدق، هكذا الإيمان؛ يحرك أصحابه إذا وقر في القلوب.)

توحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد

إن الاعتصام بحبل الله واجتماع الكلمة من أسس النصر والتمكين كما بين ذلك ربنا الكريم بقوله: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي تفسير هذه الآية يقول سيد قطب -رحمه الله- "في ظلال القرآن": (إنهما ركيزتان تقوم عليهما الجماعة المسلمة، وتؤدي بهما دورها الشاق العظيم. فإذا انهارت واحدة منهما لم تكن هناك جماعة مسلمة، ولم يكن هنالك دور لها تؤديه:

ركيزة الإيمان والتقوى أولاً.. التقوى التي تبلغ أن توفي بحق الله الجليل.. التقوى الدائمة اليقظة التي لا تغفل ولا تفتر لحظة من لحظات العمر حتى يبلغ الكتاب أجله:

﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ**﴾..

اتقوا الله -كما يحق له أن يتقى- وهي هكذا بدون تحديد تدع القلب مجتهداً في بلوغها كما يتصورها وكما يطيقها. وكلما أو غل القلب في هذا الطريق تكشفت له آفاق، وجدّت له أشواق. وكلما اقترب بتقواه من الله، تيقظ شوقه إلى مقام أرفع مما

بلغ، وإلى مرتبة وراء ما ارتقى. وتطلع إلى المقام الذي يستيقظ فيه قلبه فلا ينام! **﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**..

والموت غيب لا يدري إنسان متى يدركه. فمن أراد ألا يموت إلا مسلماً فسبيله أن يكون منذ اللحظة مسلماً، وأن يكون في كل لحظة مسلماً. وذكر الإسلام بعد التقوى يشي بمعناه الواسع: الاستسلام. الاستسلام لله، طاعة له، واتباعاً لمنهجه، واحتكاماً إلى كتابه. وهو المعنى الذي تقرره السورة كلها في كل موضع منها، على نحو ما أسلفنا.

هذه هي الركيزة الأولى التي تقوم عليها الجماعة المسلمة لتحقق وجودها وتؤدي دورها. إذ أنه بدون هذه الركيزة يكون كل تجمع تجمعاً جاهلياً. ولا يكون هناك منهج لله تتجمع عليه أمة، إنما تكون هناك مناهج جاهلية. ولا تكون هناك قيادة راشدة في الأرض للبشرية، إنما تكون القيادة للجاهلية.

فأما الركيزة الثانية فهي ركيزة الأخوة.. الأخوة في الله، على منهج الله، لتحقيق منهج الله:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً. وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها. كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾..

فهي أخوة إذن تنبثق من التقوى والإسلام.. من الركيزة الأولى.. أساسها الاعتصام بحبل الله-أي عهده ونهجه ودينه- وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر،

ولا على أي هدف آخر، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة! ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾..

هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى. وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً.)

ولقد كان موضع توحيد صفوف وكلمة المسلمين تحت كلمة التوحيد من التوجيهات والنصائح التي ركز عليها الإمام المجدد أسامة -رحمه الله- في دعوته وتوجيهات ومن الأمور التي بذل فيها جهده ووقته.. فقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (ثم إِنِّي أذكِّر المجاهدين بأنَّ توحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد، هو أمر ليس من النوافل، بل إنَّه من أوجب الواجبات، فينبغي أن يُعطى حقَّه، ويجب على الجماعات المجاهدة، التنسيق فيما بينها لتوحيد صفوفها، تحت راية واحدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإنَّ الجماعة رحمة والفرقة عذاب.) ا.هـ.

وإنَّ الأمور تسير في العراق بفضل الله، بخطوات واثقة وسريعة، وتتصاعد بوتيرة مبشِّرة، والعدو يتكبَّد الخسائر الفادحة، في الأرواح والمعدات والأموال، وقد فشلت جميع خططه، فأين ذهبت عملياتهم ذات الأسماء الرنَّانة؟ كالقبضة الحديدية، والمطرقة الحديدية والأفعى الضخمة، وإلى ما هنالك، لقد ذهبت كلها أدراج الرياح والحمد لله.

وها هم المجاهدون بفضل الله، يمتلكون الإرادة والقوة اللازمتين لتنفيذ أكبر العمليات في وضح النهار، في وسط بغداد فضلاً عن غيرها.

والمقاومة بفضل الله تنمو وتزداد، ولننسينَّ بإذن الله أرطبونات الروم –بوش ومن معه– وساوس الشيطان بأرطبونات المسلمين أبي مصعب الزرقاوي وإخوانه.

فإن يكن أرطبون الروم قطعها فقد جعلت بها أبراجه قطعًا
وإن يكن أرطبون الروم قطعها فقد بقي بها بحمد الله منتفعًا
كتيبتان وأنصار أقيم بهم سُمر الرماح إذا ما آنسوا فزعًا

فيا أيُّها المسلمون: إنَّ أمر الجهاد قد توجَّه وقام على سوقه فلله الحمد والمنَّة، فينبغي عليكم أن تنفضوا غبار النوم واليأس، وأن تستشعروا اقتراب النصر بإذن الله، وتبذلوا ما في وسعكم لنصرة دينكم.)

وقال –رحمه الله– في "إلى الأمة الإسلامية عامة وإلى أهل العراق والصومال خاصة": (لذا يجب على المسلمين أن يدركوا ويغيثوا إخوانهم في أرض الرافدين بالمال والرجال حتى يكفوا عنهم عادية المعتدين من الصليبيين والمرتدين وأكد على أهلنا المسلمين في العراق بأنه ينبغي أن يعلموا علم اليقين أنه لا مداهنة مع الصليبيين والمرتدين ولا أنصاف حلول ولا سبيل لهم للنجاة إلا بالاعتصام بحبل الله وأن يحرصوا على الاجتماع وأن يحذروا الفرقة والنزاع ويلتزموا الجهاد وأقول لهم سيوفكم حصونكم واحذروا الاغترار بالأحزاب والجماعات التي دخلت وشاركت في هذه الحكومات فإن الأمر خطير وما هذه الحكومات والمشاركات السياسية إلا مخادعات لكم

فسيوف القوم تقطر من دمائكم يومياً ولا يفل الحديد إلا الحديد ومن يأمل أن يقنع هؤلاء المرتدين بغير سلاح بالكف عن قتال أهل الإسلام في بغداد وما حولها فهو كأحمق يحاول إقناع الذئاب بالكف عن افتراس الغنم وهذا لا يكون فلا يكف بأس هؤلاء الكفار الصليبيين والمرتدين إلا بالقتال، فإن تركتم أمر ربكم لكم بقتالهم فقد خذلتم وهلكتم وعصيتم قال الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾، فالزموا الجهاد وانخرطوا في صفوف المجاهدين وعليكم بالجماعة والسمع والطاعة.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (فيجبُ على الصادقينَ ممن يعنيهم الأمرُ -كالعلماء والزعماء المطاعين في أقوامهم والأعيانِ والوجهاءِ والتجارِ- أن يتنادوا ليجتمعوا في مكانٍ آمن بعيدًا عن ظلِّ هذه الأنظمة البطَّاشة، ويشكِّلوا مجلسًا لأهل الحلِّ والعقد ليسدُّوا الفراغ الذي حصل بسقوط هذه الأنظمة شرعًا وعجزها عقلاً، حيث إنَّ الحقَّ في تعيين الإمام إنَّما هو للأمَّة، والحقُّ لها في حملِهِ على الجادَّة إذا انحرف عنها، والحقُّ لها في عزله إذا ارتكب ما يوجب ذلك -كالرِّدَّة والخيانة مثلاً- وهذا المجلس المؤقت يتشكَّل من الحدِّ الأدنى الممكن من الطاقات والكوادر دون أن يفتئتوا على بقية الأمَّة -إلا فيما تبيحه الشريعة في حالة الضرورة- إلى أن تُستكملَ بقيةُ الأعداد عندما تتحسَّن الأوضاع بإذن الله، ويكون منهجهم كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ويبدؤون بتوجيه المسلمين إلى الأولويات المهمَّة في هذه المرحلة الحرجة، ويأخذون بأيديهم إلى برِّ الأمان، على أن

يكونَ من أولى أولوياتهم توحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد، والدفاع عن بيضة الإسلام وأهله وحياضه، وتحريض المسلمين على الجهاد والإعداد، وتيسيرِ وصول السلاحِ إلى الناس، وخاصَّة الأسلحة الخفيفة ومضادات الدروع كقواذف "الآر بي جي" وألغام الدبابات، وإعلان النفير العام في الأمَّة استعدادًا لصدِّ غدرة الروم التي بدأت في العراق ولا يُعلم أين ستنتهي، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فيا إخواني في الله:

ينبغي أن يكون عندنا يقينٌ جازم؛ بأنَّ نجاتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة هي بإقامة الإسلام والجهاد، فبهما عزَّتنا وسعادتنا كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذلاًّ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

وقد قال الخليفة عمر لأبي عبيدة رضي الله عنهما: نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزَّة بغيره أذلَّنا الله.

فينبغي على دعاة الإصلاح أن يعلموا أنَّ الطريق لإصلاح الأمَّة وتوحيدها تحت كلمة التوحيد؛ ليس بالمحاضرات النظرية وتأليف الكتب فقط، ولكن لا بدَّ أيضًا من مشروع عملي تنخرط فيه الأمَّة كلها كلٌّ بحسبه، ابتداءً بالدعاء والابتهال إلى الله، وانتهاءً بالقتال في سبيل الله.

فالقتال في سـبيل الله؛ جزءٌ لا يتجزَّأ من ديننا، بل هو ذروة سـنام الدين، فكيف يبقى الدين بغير ذروته؟! فهو ضـرورةٌ مُلِحَّةٌ لحياة أمَّتنا وعزِّها وبقائها، وقد صـدق عدوُّنا وهو كذوب، إذ قال معلِّمًا لأبنائه: (أنت تقاتل؛ إذن فأنت موجود)، هذه هي الحقيقة التي يعلِّمونها أبناءهم ويرسلون إلينا بعكسها، كما أنَّ القتال مطلقًا ضـرورةٌ لبقاء الدول الكبرى، وانظروا التاريخ إن شئتم -بما في ذلك تاريخ أمريكا- فقد أشعَلَتْ عشراتِ الحروب خلال ستة عقود فقط، لأنَّ ذلك من أعظم ضروراتها الملحَّة، فيومَ أن تتَّخذ الولايات المتحدة الأمريكية قرارًا صـادقًا بإيقاف الحروب في العالم؛ فهي تعلم قبل غيرها أنَّ ذلك اليوم هو يوم بداية تفكُّك ولاياتها وانهيارها -وذلك قادمٌ بإذن الله- فاحذروا كلَّ دعوةٍ لإلقاء السـلاح تحت اسـم الدعوة للسـلام، لأنَّها في الحقيقة دعوةٌ لتخذيلنا واستسـلامنا، ولا يُرَوِّجُ لمثلِ هذه الدعوات إلا جاهلٌ أو منافق.)

وقال -رحمه الله- في " إلى أهلنا بالعراق": (إخواني المجاهدين في العراق: فكما أنكم أهل للثناء والمدح، فلسعة صدوركم، وحسن تواضعكم؛ فأنتم أهل للعتاب والنصح.

فقد أحسنتم بواجب من أعظم الواجبات قل من يقوم به، وهو دفع العدو الصائل، ولكن قد تأخر بعضـكم عن القيام بواجب آخر -هو من أعظم الواجبات أيضـا- وهو أن توحدوا صـفوفكم؛ فتجعلونها صـفاً واحداً، كما يحب الله سـبحانه وتعالى حيث قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ وقال: ﴿**وَاعْتَصِـمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ...** ﴾.

وقال رسـول الله ﷺ: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة! فإن الشـيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة؛ فليلزم الجماعة، ومن سـرته حسـنته، وساءته سيئته؛ فذلك المؤمن».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة؛ فإنه حبل الله الذي أمر به، وقال أيضا: الجماعة أن تكون على الحق، وإن كنت وحدك.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا   وإذا افترقن تكسرت آحاداً

إخواني أمراء الجماعات المجاهدة:

إن المسـلمين ينتظرونكم أن تجتمعوا جميعاً تحت راية واحدة؛ لإحقاق الحق، وعند قيامكم بهذه الطاعة سـتنعم الأمة بعام الجماعة. وكم هي مشـتاقة لهذا العام فعسـى أن يكون قريباً على أيديكم. فاحرصـوا -يرحمكم الله- على القيام بهذه الفريضـة العظيمة الغائبة، وينبغي على أهل الفضـل والعلم الصـادقين أن يبذلوا جهودهم؛ لتوحيد صـفوف المجاهدين، وأن لا يملوا في السـير إلى الطريق الموصـل إلى ذلك، أرجو الله أن يثيبهم وأن يوفقهم.)

وجاء في مقابلته لمجلة نداء الإسـلام: (ما هي مسؤولية المسـلمين تجاه الحملة الدولية على الإسلام؟

إنه ليس لدينا أدنى شـك أن هذه حملةٌ صليبيةٌ يهوديةٌ شرسةٌ على الإسلام، والتي لم نشـهد مثلها من قبل، لذلك يجب على المسلمين الاستعداد بكل إمكانياتهم وقواهم لصد العدو عسكريًا واقتصاديًا، وفي المناطق التي يُبشرون فيها وغيرها من الأماكن.

إنه من الضروري أن نكون صبورين، ونتعاون بِورعٍ وتقوى، وأن نرفع وعي المسلمين بحقيقة أن الأولوية الكبرى بعد الإيمان هي دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين ويعيث فسادًا في العالم، ولا شيء بعد الإيمان أولى من ذلك -كما قد ذكر العلماء في هذه القضية- إنه لَمِن الضروري أن نترك الكثير من قضايا المشاحنات في سبيل توحيد صفوفنا لنتمكن من رد الكفار، علينا جميعًا أن نطبق قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾، ولا نكون كالذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾.

إنه من الضروري أن نتعاون ولا نتشاحن وأن نتقي الله في شأننا كله، يقول رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، وعلينا أن نتّبع سنة الرسول ﷺ عندما قال: «بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا».

نسأل الله أن يهدينا وأن يعز المسلمين ويُذل الكافرين، وأن يُحكّم شريعته حيث يسود الخير ويزول الشر.

وصَلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله، وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وأنا لا أحسب أنَّ المجاهدين اليوم، الذين يقاومون الطائرات والدبابات الأمريكية، ويصلون بالقذائف في فلسطين والعراق، إلا أنهم خيار الأمَّة اليوم -أحسبهم والله حسيبهم-، والموفَّق

من وفَّقه الله تعالى للمشاركة في بدر فلسطين وبدر العراق وبدر أفغانستان وبدر الشيشان وغيرها من ساحات الجهاد. وقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة» رواه مسلم، فاحرص أن تكون من هذه الطائفة.

وكذلك لا أحسب أنَّ الأمير المجاهد؛ الأخ الكريم أبا مصعب الزرقاوي، والجماعات التي انضمت معه إلا أنَّهم من هؤلاء الخيار، ومن هذه الطائفة المقاتلة على أمر الله -أحسبهم والله حسيبهم-.

ولقد سرَّتنا عملياتهم الجريئة، ضد الأمريكيين وحكومة علاوي المرتدة كما سرَّنا استجابتهم لأمر الله تعالى وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام، بالوحدة والاجتماع والاعتصام بحبل الله، قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾.

وإنَّنا في تنظيم القاعدة نرحب باتحادهم معنا ترحيبًا كبيرًا، وهذه خطوة عظيمة، في طريق توحيد جهود المجاهدين، لإقامة دولة الحقِّ، وإزهاق دولة الباطل، فنرجو الله أن يتقبَّلها ويباركها.

وللعلم؛ فإنَّ الأخ المجاهد أبا مصعب الزرقاوي هو أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وعلى الإخوة في الجماعة هناك أن يسمعوا له ويُطيعوا بالمعروف، وشتَّان شتَّان بين الصادقين من أمراء المجاهدين -أحسبهم والله حسيبهم-، الذين يتنازلون عن الإمارة من أجل دينهم حرصًا على مصلحة أمَّتهم، وبين ملوك ورؤساء دول

المنطقـة الـذين لم يقوموا بتوحيـد الأمَّـة، وإلغـاء الحـدود التي رسمهـا الصـــليبيون، وإنَّما كرَّسـوا الخلاف والفرقة باسـم الوطنية، وهم ليسـوا مسـتعدِّين للتضـحية بأمَّتهم ومصـــالحها، من أجل بقائهم في الإمارة فحســـب، بل يضـــحُّون بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم، في ســـبيل الكرســـي وما عزل حســـن بن طلال وحمزة بن الحســـين، وما تهميش عبد الله بن عبد العزيز من طرف آل فهد إلا أمثلة على ذلك، فأيُّ خير يرتجى من هؤلاء لتوحيد الأمَّة ورعاية مصـــالحها، وســـط التكتلات الدولية الكبيرة، وهذه بعض أحوالهم.

ثم إنِّي أذكِّر المجاهـدين بأنَّ توحيـد الكلمـة تحت كلمـة التوحيـد، هو أمر ليس من النوافل، بل إنَّه من أوجب الواجبات، فينبغي أن يُعطى حقَّه، ويجب على الجماعات المجاهدة، التنسيق فيما بينها لتوحيد صفوفها، تحت راية واحدة، قال شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: (فمتى ترك النـاس بعض مـا أمرهم الله بـه وقعت بينهم العداوة والبغضـــاء، وإذا تفرق القوم فســـدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صـــلحوا وملكوا، فإنَّ الجماعة رحمة والفرقة عذاب.) ا.هـ.)

وقال –رحمه الله– في "السـبيل لإحباط المؤامرات" : (إخواني المسـلمين فكما أن من الواجبات العظام الســـعي لتوحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد فإن القعود عن ذلك كبيرة من الكبائر العظام أيضـــاً فإن الدين لا يكون كله لله ، ولا تأمن الســـبل ولا تُقمع الفتن ولا يُسـتتب الأمن ولا تُحبط المؤامرات ولا ينضـبط كثيرٌ ممن انضـموا إلى الجماعات المجاهدة من عامة أبناء الأمة و إلى ما هنالك من أمور عظام إلا إذا كان للمسلمين جماعة وإمام ، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ولئن خَلَعَ ربقة

الإســلام من عنقه من فارق الجماعة شــبراً، فكيف يســوغ للمســلم أن يؤخر قيام الجماعة دهراً فيكون ســبباً في ترك مئات الملايين من المســلمين يعيشــون تحت ظل الأنظمة الطاغوتية الجاهلية وكفى بذلك فتنة في الدين ، فإن الأمر مهم كبير خطير ولا يجوز أن يؤخر ، وينبني عليه علوُّ الإسـلام وانتصـار المسـلمين في الدنيا والفلاح والفوز في الآخرة بإذن الله تعالى .

إخواني المســـلمين في العراق : لقد تكرر النداء من المشـــفقين مرات ومرات لقادة المجاهدين لكي يجتمعوا منذ سنوات فاجتمع من اجتمع وامتنع من امتنع ، فإن تحرك أمراء الجماعات المجاهدة وأعضاء مجالس الشورى فيها تحركاً جاداً لاستدراك ما فات وســعوا لتوحيد جميع المجاهدين تحت راية واحدة لمجاهدة حملة الصـــليبيين والمرتدين فذاك هو الواجب ، فقد أمرنا الله تعالى بالاجتماع ونهانا عن التفرق ، وها أنتم ترون الكفر العالمي والمحلي بجميع ملله ونحله قد اتحد وفي كل يوم يأكل ذئب الطاغوت من الغنم القاصـــية ، وأما إن كانت الأخرى ولم يتم اجتماع جميع القادة في جماعة واحدة لالتزامها فهذا مطلب شــرعي وهو فرض الســاعة وقد قال رســول الله ﷺ لحذيفة –رضــي الله عنه– عندما ســأله عن أحوال مشــابه فقال له : «تلزم جماعة المســلمين وإمامهم»، فإذا تعذر ذلك فإن الســعي لإقامة جماعة المســلمين الكبرى يتعين على آحاد المســلمين والمجاهدين وذلك بأن يبايعوا أكثر الطوائف التزاماً بالحق و اتصـــافاً بالصـــدق ، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾.)

وقال في "إلى الأمة الإسلامية عامة وإلى أهل العراق والصومال": (وفي الختام فقد بلغنا أن الإخوة المجاهدين في تنظيم القاعدة قد اختاروا الأخ الكريم أبا حمزة المهاجر أميراً عليهم خلفاً للأمير أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله، فأرجو الله تعالى أن يجعله خير خلف لخير سلف وأوصي نفسي وأياه بالصبر والتقوى ومواصلة الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا وأن يعض بالنواجذ على بقائه في مجلس شورى المجاهدين، فالخلاف شر كله والجماعة رحمة والفرقة عذاب ،كما أوصيه بأن يركز قتاله على الأمريكيين ومن ناصرهم ومن ظاهرهم في حربهم على أهل الإسلام في العراق، وأدعو الله أن يبارك في جهاده وجهاد المجاهدين عامة في العراق وأن يفتح عليهم لتحرير أرض الرافدين من الصليبيين والمنافقين ويقيموا دولة الإسلام بإذن الله تعالى.
اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم ألف بين قلوب المسلمين واجمع شملهم ووحد صفوفهم وارحم ضعفهم واجبر كسرهم، اللهم أبرم لأمتنا أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويأمر فيه بالمعرف وينهى فيه عن المنكر، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، اللهم اشرح صدور شبابنا وفتياتنا للالتزام بدينك وارزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم ثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام، اللهم ثبتنا وثبت المجاهدين في كل مكان ولا سيما في فلسطين والعراق وكشمير والشيشان وأفغانستان والصومال والجزائر وبلاد الحرمين، اللهم سدد رميهم واربط على قلوبهم ومدهم بمدد من عندك وانصرهم على عدوك وعدوهم فإنه لا ناصر لنا ولهم إلا أنت يا قوي يا عزيز،

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.)

وهنا أحب أن أشـــير أن هذا النهج وهذه الغاية النبيلة (توحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد) معلم وهدف من معالم وأهداف تنظيم القاعدة –حفظه الله وأيده بنصـره– كما بين ذلك الدكتور الظواهري في كلمة "توحيد الكلمة حول كلمة التوحيد": (إخواني المســـلمين، أود أن أتحدث لكم اليوم عن قضـــيةٍ في غاية الخطورة، وهي: توحيد العمل الإسلامي حول كلمة التوحيد.

وهي قضـيةٌ أحسـبها من أهم ما تحتاجه الأمة المسـلمة اليوم، وخاصـةً بعد الثورات التي أطاحت بعدد من الطغاة الجبابرة العملاء، وبعد انكسار التحالف الغربي بقيادة أمريكا في العراق وأفغانســتان –بفضـل الله ونعمته– وبعد انتشـار وتزايد الصـحوة الجهادية في ديار الإســـلام من الســـاحل الأفريقي حتى تركســـتان الشـــرقية، ومن الشـيشـان حتى الصـومال، وبعد الصـمود البطولي المتكرر لأهلنا في فلسـطين ضـد العدوان الإسـرائيلي المتتالي، بعد كل هذه الإرهاصـات والمبشـرات أحسـب أنّ الأمة المسـلمة بفضـل الله مقبلةٌ على مرحلةٍ جديدة من التمكين والفتح إن هي التزمت بما أُمِرت به وقامت بما كُلِّفت به.

وأحسـب أنّ الأمة المسلمة والجماعات الإسلامية اليوم بحاجةٍ ماسة لأمرين في غاية الخطورة:

- الأول: أن تتداعى للوحدة والاجتماع.
- والثاني: أن تعي على ماذا يجب أن تتحد وتجتمع.

لقد مرّت بالأمة المسلمة ظروفٌ في الماضي القريب طردت فيها المحتل من كثيرٍ من بلدانها، وحسبت الأمة والعديد من الجماعات الإسلامية أنها قد تقدّمت نحو الانتصار والفتح والتمكين للإسلام وعودة مجده وعزّته، ولكن لغياب الوعي بما يجب أن تتمسك به الأمة والجماعات الإسلامية لكي لا يضيع النصر من يدها ولا يتسرب الفوز من بين أناملها ضاعت تلك الفرص وتمكن في بلادنا المسلمة حكامٌ تركهم المحتل خلفه أذاقونا الويلات والنكال، ومضوا بنا للهزائم تلو الهزائم، وملؤوا بلادنا بعفن الفساد والتحلل والنفاق، وفرضوا علينا أنظمةً علمانية وطنية عصبية قسّمتنا لأكثر من خمسين دولة بعد أن كنا ننعم بخلافةٍ واحدة، وصار لكل دولة علمٌ ونشيدٌ وطني وحكومة ومطارٌ دولي ومقعدٌ في الأمم المتحدة. وتعدى الأمر لحد المسخرة فأُنشِئت دول تبحث عنها في الخريطة بالمجهر وتكاد تتسع بالكاد للقواعد العسكرية الأجنبية التي تحتلها. والغرب الذي سحب قواته من بلادنا يراقبنا وهو يضحك ملء شدقيه؛ فقد حقق له هؤلاء الحكام ما يريد، فعادت القوات الأجنبية في صورة معاهداتٍ للتعاون العسكري وإنشاء القواعد، وعادت التبعية الاقتصادية في صورة نهب الثروات، وعادت التبعية السياسية في صورة الحكام العملاء الذين ولوا وجوههم شرقًا أو غربًا بحثًا عن سندٍ ودعم ضد شعوبهم، وعادت التبعية الفكرية بفرض الأنظمة العلمانية ومناهج التعليم المشوهة التي أخرجت أجيالاً تمجِّد الحدود التي رسمها الغازي الكافر، وتهتف للتقسيم والتفتيت وتؤمن بالدولة العلمانية العصبية وتصدِّق ما حشوا به أدمغتها من أنّ دولة الخلافة التي دافعت عن ديار الإسلام عامة وفلسطين خاصة كانت دولة التخلف والفساد والإذلال، وأنّ الدول الوطنية العلمانية التي تنازلت عن ديارنا المحتلة ورضخت للقوى الأجنبية وسعدت بدور

التابع الذليل هي مظهر الاستقلال والعزة والكرامة. وغفلت تلك الأجيال عن تاريخها القريب الذي ساقت فيه الدول الغربية المحتلة جيوشًا من شعوبنا وسخّرت ثرواتنا وطاقتنا لخدمة مجهودها الحربي ضد دولة الخلافة واستغلت الدين أسوأ استغلال حيث حرّكت الشريف حسين المطالب بخلافة آل البيت وعبد العزيز آل سعود رافع لواء دعوة التوحيد ليطعن الخلافة الإسلامية في ظهرها بحركتين ظاهرهما إسلامي وباطنهما علماني عصبي تابع لأعداء الإسلام.

ولكي لا تضيع الفرصة منا مرةً أخرى نسعى في جماعة "قاعدة الجهاد" لتذكير الأمة المسلمة والجماعات الإسلامية بالفريضة الشرعية الواجبة عليها "فريضة توحيد الكلمة حول كلمة التوحيد".

إخواني الكرام في كل مكان، إنّ هذه القضية الخطيرة تحتاج منا جميعًا لأن نتناصح فيها ونحرِّض بعضنا بعضًا عليها، وسعيًا في مناصحة أمتنا وتحريضها على التوحد حول كلمة التوحيد أصدرنا وثيقة نصرة الإسلام التي أكدنا فيها على سبعة معانٍ هامة على المسلمين أن يتحدوا حولها:

- الأول: العمل على تحرير ديار المسلمين.
- والثاني: العمل على تحكيم الشريعة وحدها ورفض التحاكم لغيرها.
- والثالث: العمل على إيقاف نهب ثروات المسلمين.
- والرابع: مساندة الشعوب المسلمة الثائرة على حكامها ودعوتها للالتزام بالشريعة واجتثاث بقايا الفساد.
- والخامس: مساندة كل مظلومٍ في الدنيا.

- والسادس: السعي لإقامة الخلافة.
- والسابع: السعي في توحيد جهود المسلمين حول تلك الأهداف.

ونحن نتوجه بهذه الدعوة لكل المسلمين في هذه الدنيا بأفرادهم وتجمعاتهم، وأول من أتوجه لهم -بعد تذكير نفسي بهذه الدعوة- هم أهلنا في الشام الحبيب عامة ومجاهدوهم خاصة أسود الإسلام المقاتلون عن دين الأمة وكرامتها وعزتها وحرماتها والمتصدون بصدورهم لقوى الطغيان والفساد والعلمانية الطائفية في شام الرباط والجهاد، أولئك الليوث الميامين الذين ضربوا أروع الأمثلة في الفداء والتضحية والبذل والعطاء، والذين وقف العالم كله مشدوهًا من شدة صلابتهم وثباتهم في وجه شدة وشراسة ووحشية الحملة البربرية المسلطة على أنفسهم وحرماتهم وأعراضهم وأموالهم، ولا أستطيع أن أبدأ رسالتي لهم قبل أن أقدم بين يديها تحيتي وإعزازي وإكباري لأولئك الأبطال البواسل حراس ثغر الرباط والجهاد شام العزة والكرامة، شام الإسلام والإيمان، شام الملاحم والفتوح، شام الانتصار والتمكين، قريبًا بإذن الله.

فيا أيها الإخوة الكرام والأحبة العظام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم يا من رفعتم رؤوسنا وحميتم بيضتنا وشفيتم صدورنا وجددتم الأمل في قلوبنا وأثبتم أنّ أمة الإسلام التي أنجبتكم أمةٌ لا تموت ولا تفنى حتى يرث الله الأرض ومن عليها، أمةٌ باقيةٌ على رباطها صابرةٌ على محنها ماضيةٌ في جهادها حتى تقوم الساعة.

أخرج الإمام البخاري -رحمه الله- عن معاوية -رضي الله عنه- يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من

خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»، قال عمير: فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: وهم بالشـــام، قال معاوية: هذا مالكٌ يزعم أنه سمع معاذ يقول: وهم بالشام.

فيا أهلنا في الشام عليكم بالوحدة حول كلمة التوحيد، وتذكروا قول النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

فليكن قتالكم في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل تحكيم شريعة الله، ابذلوا كل ما في وســعكم لتكون ثمرة جهادكم -بإذن الله- دولةً إســلاميةً مجاهدة تبسط العدل وتنشر الشورى وتحمي الحقوق وترعى الذمة، دولةً تكون لبنةً في عودة الخلافة الراشــدة على منهاج النبوة -بإذن الله-، فاثبتوا على جهادكم فإنما النصــر صــبر ســاعة، وقد بدأ العدو في الترنح والانهيار فشــدوا عليه شــدة المؤمن المجاهد المبتغي رضوان ربه، الراغب في الشهادة، واحذروا من مؤامرات أمريكا والدول العربية و "الأخضر الإبراهيمي" و "نبيل العربي" وأشباههم فإنهم يريدون سرقة تضحياتكم وجهادكم ليقدموها لمن يرضى عنهم أكابر المجرمين في واشنطن وموسكو وتل أبيب.

ومن نعمة الله عليكم أن جعل جهادكم فرقانًا بين الحق والباطل، فقد كشـــف الله بجهادكم كثيرًا من الحقائق الملتبسة، وسقط بفضل ثباتكم كثيرٌ من الأقنعة عن الوجوه الشائهة، فقد انكشف الوجه الحقيقي لإيران وحزب الله وظهرت حقيقتهم البشعة في ميدان الجهاد بالشـــام وتبيّن في أي الصــفين يقفان؛ في صــف الأمة المســلمة المجاهدة أم في صف النظام البعثي العلماني الطائفي الإجرامي.)

العمل ضمن جماعة أو فصيل

يتفرع عن موضـــوع التعاون على البر التقوى في هذا الزمان الذي غابت فيه الخلافة الراشـــدة الحديث عن العمل الجماعي ضـــمن جماعة أو فصـــيل للدعوة والجهاد.. فقد كثر الحديث في هذه المسألة وتعددت الآراء والاتجاهات فيها..

ولعل أقرب هذه الاتجاهات والآراء فيها من الصواب ضرورة العمل مع جماعة ضمن ضوابط وشروط من أهمها التعاون على البر والتقوى مع العاملين لنصرة الإسلام..

وقد فصـل في هذه المسـألة الشـيخ أبو بصـير الطرطوسـي -حفظه الله- في "حكم الإسـلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية" بكلام نفيس حيث قال: (يختلف الحديث هنا بعض الشـــيء عما قلناه عن العمل الحزبي الجماعي في ظل دولة الإســـلام لاختلاف واقع المســلمين في كل من الدولتين؛ ففي دولة الإســلام يكون الإســلام عزيزاً له الحكم والأمر، والمسلمون في دولتهم أعزاء لهم شوكتهم وإمامهم الذي يجتمع عليه شملهم، وتتوحـد كلمتهم، ويتقون بـه، ويقـاتلون من ورائـه، والجمـاعـة قـائمـة وموجودة من شـــذ عنها شـــذَّ في النار، ومن فارقها شـــبراً واحداً فمات، مات ميتة جاهلية ..

لأجل ذلك قلنا لا مبرر لوجود الأحزاب في ظل الدولة الإسـلامية التي تلتزم بشـريعة الإسلام -قولاً وعملاً- سوى شق عصا المسلمين، وتفريق كلمتهم في شيع وأحزاب ما أنزل الله بها من سلطان.

أما في ظل دولة الطاغوت -وكل دولة لا تحكم بما أنزل الله، ولا تلتزم شـــرع الله بالقول والعمل فهي دولة طاغوت- فالإســلام محارب، والمســلمون مضــطهدون في دينهم ومعاشهم، ومستضعفون في ديارهم يُسامون أشد أنواع العذاب والفتن لصدهم عن دينهم الحنيف، وليس لهم إمام يجمع كلمتهم ويوحد طاقاتهم، ويقاتل عنهم ودونهم الأعداء، ويقيم فيهم حكم الله..

وهم من جهة مطالبون شرعاً بالإعداد والأخذ بجميع أسباب القوة قدر استطاعتهم، ومن ثَمَّ الجهاد في ســبيل الله تعالى لإعلاء كلمته في الأرض، وإحقاق الحق والعدل، وإبطال الباطل والظلم، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله وحده.

فهل يصــح أن يُقال لهم -وهذا واقع حالهم- انطلقوا للجهاد، ولإعلاء كلمة الله في الأرض كلاً بمفرده وبحسب ما يهوى ويريد..؟!

وهل يقال لهم لا يجوز لكم أن تعدوا للجهاد عدته، وتعملوا لنصـــرة دينكم ورفع الظلم عن أنفسكم من خلال عمل جماعي منظم، يرشد الطاقات، ويرص الصفوف، ليوجهها بهدوء ودراية إلى الهدف المنشود..؟!

وهل يقال لهم -وهم ليس لهم إمام تجتمع عليه كلمتهم- لا يجوز لكم أن تجتمع كلمتكم ويلتم شملكم على أمير مسلم عدل يقاتل دونكم ومن ورائكم، ويحفظ لكم دينكم ومحارمكم..؟!

لا يقول بهذا القول ناصـــح محب، ولا يقول به إلا واحد من اثنين مرجف مغفل تملكه الجبن والخوف، أو رجل غاش لا يريد للمسلمين أن تقوم لهم قائمة..

وطواغيت الكفر الجاثمين على صـدر الأمة ومقدراتها ماذا يريدون من المسـلمين غير هذه الاتكالية والنزعة الفردية الانطوائية الســلبية التي لا تتفاعل مع واقع الأمة، والحركة الفوضوية العشوائية التي لا يقرها ولا يرضاها نقل ولا عقل..؟!

واعلم أنه لا شــيء يخيف الطواغيت ويرهبهم من المســلمين مثل العمل الجماعي الهادف المنظم، لأنهم يعلمون أنه هو العمل الذي يمكن أن يثمر وينتج شــيئاً، ومتى علم الطاغوت أن المسـلم يتحرك لدينه بطريقة فردية أنانية اسـتخف به، وهان في عينه، ورضي حاله مهما كان يتصف بالاستقامة والالتزام، وإن كان هذا المسلم على خلاف ذلك يعمل لدينه من خلال جماعة عامة منظمة يعلوها أمير مطاع، خافوه وهابوه، وحسبوا له ألف حساب..!

لذا نراهم يهتمون في معرفة انتماء الفرد التنظيمي، ومع أي جماعة يعمل، أكثر مما يريدون معرفته عنه من حيث منهجه، وأفكاره، وعقيدته، فهذه أمور تأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية والخطورة عليهم..!!

حق بلا سـيف ولا سـاعد يحميه، الكل يسـتهين به.. وبخاصـة أننا نعيش في زمان تسـوده شـريعة الغاب، ومنطق الأقوى هو الأسـلم والأحكم، وهو دائماً على حق وصواب، ورأيه مسموع ومطاع..!!

ضرورة العمل للإسلام من خلال جماعة منظمة عليها أمير مطاع؟

هذه الضـرورة تأتي من جهتين جهة ما يمليه الواقع على المسـلمين من وجوب الأخذ بأسباب القوة والمنعة والتمكين، وجهة ثانية وهي دلالة النصوص الشرعية.

أما ما يمليه الواقع فإن الجاهلية المعاصـــرة -المتمثلة بأنظمتها الكافرة الدولية منها والمحلية- تواجه المســـلمين بكل أســـباب القوة والمنعة؛ من تنظيم وتخطيط، وتكتل وإعـداد، وعتـاد وجيوش وغير ذلـك. وبالمقـابـل فمن العبـث والتواكـل أن يواجـه المســـلمون هذه الجاهلية المنظمة القوية، والمســـلحة بجميع أســـباب القوة المادية، بأسباب الضعف والهزيمة؛ من عشوائية وحركة فردية فوضوية، وروح صوفية اتكالية!

فالتنظيم يقابله التنظيم لا الفوضـة والعشـوائية، والعمل الجماعي يقابله عمل جماعي مماثل، والقوة لا يفلها إلا القوة لا الضـعف والتشـرذم، والحديد لا يفله إلا الحديد.. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

أما من حيث دلالة النصوص الشرعية فقد أمر الله تعالى المسلمين بالإعداد والأخذ بأســـباب القوة ليرهبوا أعداءهم من الكفار والمرتدين، قال تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما اســـتطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ [الأنفال٦٠].

فوجب على المسلمين -بدلالة الآية الكريمة- أن يأخذوا بجميع أسباب القوة والغلبة المادية منها والمعنوية، التي ترهب أعداء الله وأعداء المسـلمين من الكافرين والمنافقين، والتي منها الجماعة، والتنظيم والتخطيط، والإمارة، والطاعة، التي لا تقوم للجهاد قائمة صـــحيحة من دونها، والتي تعتبر من المقدمات الضـــرورية للإعداد المطلوب شرعاً.

وفي السنة، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم. فإذا كان من مستلزمات السفر الناجح -وهو سفر- التنظيم والإمارة والطاعة، فمن باب أولى أن يكون العمل والتوجه لإقامة الدولة الإسلامية -على منهاج النبوة- قائم على أساس من التنظيم والتخطيط السليم، والعمل الجماعي المنظم الهادف الذي عليه أمير مطاع.

قال ابن تيمية في الفتاوى: (فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفرٍ فليؤمروا أحدهم».

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: «لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم»، فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم. فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات.) ا.هـ.

وقال الشوكاني بعد أن ذكر أحاديث الإمارة في السفر فيها دليل على أنه يشرع لكل عددٍ بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليه أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف، فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون، ومع التأمير يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة، وإذا شرع هذا

لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى. ا.هـ.

وقال ﷺ: «لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»، وفي رواية: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»، وفي رواية: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة»، وفي رواية: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك». وغيرها كثير من الأحاديث التي تفيد بوجود هذه الطائفة التي تجاهد في سبيل الله ولا تخشى في الله لومة لائم.

والشاهد أن هذه الطائفة المنصورة، أو العصابة المسلمة الظاهرة بالحق كما وصفها النبي ﷺ تقاتل في سبيل الله، وهي موجودة في زماننا -زمان غياب الخلافة الإسلامية، وغياب السلطان المسلم الذي تجتمع عليه كلمة المسلمين- وفي كل زمان إلى أن تقوم الساعة، وهذا المستفاد من قوله ﷺ: «لا تزال الذي يفيد الوجود والاستمرارية وعدم الانقطاع».

وإذا كان الأمر كذلك، فهل يعقل أن هذه الطائفة المذكورة -التي من أبرز سماتها القتال في سبيل الله- تقوم بمهمة القتال والجهاد بطريقة فردية عشوائية فوضوية وغير منظمة، أم أنها تقاتل بطريقة جماعية منظمة، ومنضبطة بأسباب النصر والتمكين؟!

قال تعالى: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف٤].

ثم هل مهمة القتال في سبيل الله -ومعلوم كم للقتال الناجح من لوازم ومتطلبات وبخاصة في هذا الزمان الذي يتترس فيه العدو بكل أسباب القوة المادية- مهمة فردية، أم هي مهمة جماعية تقوم بها جماعة منظمة ومدربة، يرأسها أمير مطاع، أعدت للجهاد عدته وأسبابه؟!

وإذا كانت الإمارة والطاعة، والجماعة لا تستخدم في مثل هذا الموضع الهام، فبأي المواضع تستخدم؟!

عجب من أولئك الذين يرفضون -رهبة أو رغبة- العمل الجماعي المنظم، بدعوى رفض التحزب والحزبيات التي تفرق كلمة المسلمين!!

وأي فرقة أشد على وحدة كلمة المسلمين من أن يعمل المسلمون كل بمفرده وبطريقته الخاصة التي تناسبه بعيداً عن مصلحة الجماعة، ومن دون أن تجتمع جهودهم في جماعة واحدة، يسوسهم ويرأسهم أمير مطاع..؟!

وإذا كان لكل شيء سيد، حتى المجالس فلها سيد كما يقول النبي ﷺ إن لكل شيءٍ سيداً، وإن سيد المجالس قبالَة القبلة.

فعلام يستهجن دعاة الإرجاف أن يكون للمسلمين في مرحلة الاستضعاف سيد يسوسهم ويقودهم بالدين، ويجمع كلمتهم على التقوى والعمل الصالح، ويرجعون

إليه عند الملمات والحاجة، علماً أن كلمة شـــيء الواردة في الحديث، جاءت نكرة وهي من صيغ العموم التي تفيد عموم كل شيء، بما في ذلك المسلمين!

ثم لينظر هؤلاء في سيرة النبي المصطفى ﷺ وصحابته، قبل قيام الدولة الإسلامية، وقبل التمكين وهم في المرحلة المكية، هل كانت حركتهم تقوم على أســلوب الدعوة الفردية من دون جماعة ولا طاعة للرســـول ﷺ، أم أنها كانت منتظمة في الجماعة والطاعة لتعاليم وأوامر النبي ﷺ، لا يتحركون ولا يفعلون شيئاً إلا بإذنه ﷺ..؟

وفي الحديث، فقد صــح عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشـــيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة».

وقال ﷺ: «يد الله مع الجماعة» وقال ﷺ: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب». وغيرها كثير من النصـــوص التي تلزم بالجماعة والاجتماع، وتنهى عن التفرق والفردية، والاختلاف.

قال علماء نجد رحمهم الله وقد علم بالضـــرورة من دين الإســـلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة؛ وهذه الثلاثة متلازمة، لا يتم بعضها ولا يستقيم بدون بعض، وبها قوام الدين والإسلام، وبها صلاح العباد في معاشـهم ومعادهم، وإذا وقع الإخلال والتقصـير فيها، أو في بعضـها، حصـل من الشر والفساد بحسب ما وقع من ذلك ولا بدّ، وهكذا حتى يعظم الفساد، ويتتابع الشر ويتفاقم الأمر، وينحل النظام، وتتخلف أمور الدين.

ولهؤلاء الذين يرفضـــون العمل الجماعي المنظم مطلقاً، نقول لهم ما حكم الجهاد في هذا الزمان؟

يقولون على الفور هو فرض عين على كل مسلم.

قلنا لهم كيف الســـبيل لإحياء هذه الفريضـــة الغائبة، التي أمتناها وأضـــعناها بين الفوضى والفردية، والتواكل والتصرف غير المسؤول؟!

قالوا لا بد أولاً أن يسبق الجهاد الإعداد الشامل؛ المادي والمعنوي معاً.

قلنا لهم قد أصبتم، ولكن كيف يتم هذا الإعداد الشامل والكامل في نظركم، هل يتم بطريقة فردية تواكلية، أم بطريقة جماعية منظمة؟!

لا نكاد نجد عندهم جواباً يُذكر، ســـوى الخوف والإرجاف من تبعات العمل الجماعي المنظم، لما يشـكله من خطر محقق على أمن وســلامة الطواغيت، خشـية وقوعهم في الفتن كما زعموا.. ألا في الفتنة سقطوا!

وهؤلاء مثلهم مثل من يقول بالشـــيء وضـــده في آنٍ معاً، نعم للجهاد لكن لا للأسباب المؤدية إليه..!

قال تعالى: ﴿**أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ [العنكبوت: ٢]؛ وقال تعالى: ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصـــابرين ونبلوا أخباركم**﴾ [محمد: ٣١].) اهـ.

وقد كان التركيز على أهمية العمل الجماعي ضمن الضوابط الشرعية والتعاون على البر والتقوى والسعي لوحدة كلمة المسلمين واستثمار كافة الجهود والطاقات لدفع صيال المعتدين وإقامة دولة الإسلام مما تبناه الإمام المجدد أسامة بن لادن ودعا إليه وحثَّ عليه فقد قال الإمام المجدد في إجابته على سؤال سائل في محاضرة "الجهاد وتجاوز العقبات": (نقول يا أخا الإسلام، الأمر للجهاد أشد خصوصية بضرورة الترابط بأن تكون ضمن فئة، إما ضمن فصيل أو ضمن سرية أو ضمن كتيبة، أما لا أحد يأمرك فأنت أصلًا في مخالفة، لا أحد يستفيد منك حق الاستفادة في نصرة الجهاد، ثم تطالب هذه التجمعات أن تخدمك إذا مرضت وإذا أردت أن تسافر، وإذا.. وإذا...

فالأصل في السفر ولو كان قصيرًا أن يكون عليك أمير، إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا أحدكم، فكيف ونحن نريد أن نقيم ذروة سنام هذا الدين، ونريد أن نقيم دولة التوحيد في بلاد أفغانستان وأنت تريد أن تمشي بدون ضبط وربط، وإنما مدح الله سبحانه وتعالى الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾ فالسمع والطاعة من مستلزمات الجهاد، فينبغي عليك أن تنتسب إلى فئة أو فصيلة أو كتيبة حتى يُستفاد منك وتُفاد عبر إخوانك لما فيه صالح الجهاد والمسلمين.)

وقال الإمام المجدد أسـامة بن لادن-رحمه الله- في تقديمه لكتاب العمل الإسـلاميّ بين دَوَاعي الاجتماع ودُعاة النِّزاع للشـيخ أبي حفص الموريتاني -حفظه الله-: (فإنّ من أخطر الأمراض، وأشدّ الآفات بالمجتمعات والأمم، داء الفُرْقة والاختلاف.

ولذلك فقد حذَّرنا الله -عزّ وجلّ- منه أشـدّ التّحذير، ونهانا عنه أبلغ النّهي، وبيّن لنا عواقبه الوخيمة، وآثاره السّـيئة، فقال سـبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ولكنّ ما يدعو للدّهشـة ويُصـيب بالذُّهول هو ما يَلحظُه المسـلم اليوم من حجم الخلافات والفُرقة بين المسـلمين عمومًا، وبين العاملين للإسـلام بصـورةٍ أخصّ، حتى أصبحت هذه الظّاهرة الخطيرة تكاد تكون موضع الإجماع والاتّفاق الوحيد بين فصائل العمل الإسلاميّ المختلفة!!

وقد دفع الشّعور بخطورة هذه الظّاهرة العديدَ من الأقلام الإسلاميّة لتتناولها بالدّراسة والتّحليل من جوانب مختلفة، سواءً من حيث تشخيص الأسباب والمظاهر، أو من حيث بيان أدب الخلاف، وطريق الخروج من هذه الأزمة، لكن هذه الجهود المبذولة حتى اليوم لا زالت دون الحدّ المطلوب لعلاج ظاهرة بهذا الحجم من الخطورة والتّعمّق.

والرّسالة التي نُقدِّم لها اليوم تدخل ضمن هذه الجهود المشكورة، التي تسدّ ثغرة مهمة في هذا المجال.

وقد أوردتِ الرّسالة أهمّ الأدلّة من الكتاب والسّنة، وأقوالَ علماء الأمّة، على وجوب الوحدة والاجتماع، ونَبْذ الفُرْقة والنِّزاع، مُبيّنةً آثار وأضرار الخلاف.

ثُمّ استعرضت حال السّاحة الإسلاميّة، وما تعيشُه من فِصام وخِصام وفُرقة واختلاف، مبيّنة الأسباب الرئيسيّة لذلك.

ولم تكتفِ الرّسالة ببيان الأسباب والمظاهر فقط، بل بيّنت الدّواء المتمثِّلَ في الالتزام بمنهج أهل السُّنة والجماعة في الحكم على النّاس والآراء، وهو النّهج القائم على العلم والعدل والإنصاف.

ولقد لخصت الرّسالة هذا النّهج من خلال مجموعة من الضّوابط الشرعيّة، التي يجب أن تحكم العلاقة بين المسلمين والعاملين للإسلام، حتى يحافظوا على أخوّتهم الإسلاميّة، وإنْ تعدَّدت وجهات نظرهم العمليّة، واجتهاداتهم العلميّة.

وفوق هذا وضعت الرّسالة المعالم العامّة التي تمثل مدخلًا لا بُدّ منه لوحدة العمل الإسلاميّ.

غير أنّ أهميّة الرّسالة لا تكمُن في محواها فقط، وإنّما تكمن أيضًا في مصدرها، فالرّسالة صادرة من عمق التيّار الجهاديّ داخل الصحوة الإسلاميّة المباركة، وهي تعبّر عن رأي قطاع عريض من هذا التّيار الذي كان -ولا زال- يوصف بأنّه من أشدّ التّيارات الإسلاميّة اعتدادًا برأيه في المسائل الخلافيّة.

فإذا كان الشّـعور بخطورة الفُرْقة والخلاف، وضـرورة الوحدة والائتلاف قد دفع بهذا الطّرف المهم في القضـــية إلى طرحها في هذا الإطار الجامع الموحّد، فلأن يدفع بقيّة الأطراف إلى التّعامل الإيجابيّ مع هذا الطّرح من باب أولى.

واللهُ يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل.)

وقال -رحمه الله- في "رســـالة إلى مؤتمر علماء الديوبند في بيشـــاور": (يا علماء الإسلام:

إن هذه الجِراح مهما كانت غائرة، وهذه الأزمات ولو كانت متكاثرة، فإن الثقة بالله عظيمة، وقد وعد بنصــــر دينه، وبشـــــر بأنه لا تزال طائفة من أمة النبي محمد ﷺ ظاهرين على الحق يقاتلون عليه لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

فالواجب كما لا يخفى عليكم هو الصـــــدع بالحجة، وبيان المحجة لهذه الجموع المنتظرة، والتي تشرئب أعناقها تطلعاً لكم

علموهم أنه لا عز ولا نصر إلا بالجهاد في سبيل الله.

علموهم أن الجهاد في سبيل الله لا يتم ولا يكون إلا من خلال جماعة تسمع وتطيع لأمير واحد، يجمع الله به شملها من التفرق، وكيانها من التمزق كما قال النبي ﷺ في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد

خلع ربقة الإســـلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوة الجاهلية فإنه من جثاء جهنم وإن صـام وزعم أنه مسـلم فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسـلمين المؤمنين عباد الله» رواه أحمد والترمذي.

وكما قال في حديث حذيفة رضـــي الله عنه لما ســـأله: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» رواه البخاري ومسلم.

وكما قال في حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: ثلاث لا يغل عليهم قلب امرئ مسـلم إخلاص العمل لله والنصـح لأئمة المسـلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحوط من ورائهم رواه الترمذي وغيره.

وقال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم عن ابن عمر.

علموهم أن لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة.

وأنتم تعلمون أنه قد قيّض الله لهذه الأمة في هذه الأيام العصيبة قيامَ دولة إسـلامية تطبق شـريعة الله، وترفع راية التوحيد، هي إمارة أفغانســتان الإســلامية بقيادة أمير المؤمنين ملا محمد عمر حفظه الله.

فواجبكم دعوة الناس إلى لزوم هـذه الإمـارة ونصـــرتها بالنفس والنفيس، والوقوف معها في مواجهة هذا التيار الجارف من الكفر العالمي.

وتحقيقاً لذلك نرجو أن تُضمّنوا توجيهات المؤتمر، الدعوة إلى نصرة الإمارة الإسلامية في أفغانستان بكل الوسائل الممكنة:

- بالنفس وذلك بتحريض الشباب على الجهاد والإعداد في أفغانستان، فالجهاد في مثل حال الأمة اليوم من آكد فروض الأعيان.

- بالمال، وذلك بدعوة الأغنياء إلى إنفاق أموالهم لهذه الإمارة، ودفع زكواتهم إليها، واستثمار تجاراتهم فيها.

- باللسان، بإصدار الفتاوى في شرعية هذه الإمارة، ووجوب نصرتها.

- وبهذه المناسبة أُحيطكم علماً أن بعض علماء الجزيرة العربية وغيرها وعلى رأسهم الشيخ حمود بن عقلا الشعيبي، قد أفتوا بشرعية هذه الإمارة ووجوب نصرتها وأكدوا أنها الدولة الوحيدة التي تحكم بشرع الله في هذا العصر وعملاً بالنصوص الشرعية الكثيرة ومنها حديث حذيفة السابق رضي الله عنه: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

وقوله ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم.

نظراً لهذه النصوص وغيرها فإني أؤكد لكم أنني أدين الله بوجوب مبايعة أمير المؤمنين ملا محمد عمر وأنني قد بايعته بالفعل وأرجو أن يكون ذلك خلصاً لوجه الله تعالى فهو الحاكم والأمير الشرعي الذي يحكم بشريعة الله في هذا العصر.

وليست قراراته الإسلامية العظيمة التي كان من آخرها قرار تحطيم الأصنام، ومنع زراعة المخدرات، والوقوف بكل عزة وإباء في وجه الحملة الكفرية العالمية إلا بعض مواقفه الإسلامية التاريخية التي تؤكد صدقه وثباته على الطريق فيما نحسبه والله حسيبه.)

وقال -رحمه الله- في "محاضـرة جماعة المسـلمين": (فحديثنا عن فرض السـاعة وعن واجب العصـــر، حديثنا عن إقامة الدين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي الســـفلى، فالله ســـبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ ليدعوا الناس إلى هذه الكلمة العظيمة إلى كلمة التوحيد، إلى شـــهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رســـول الله، هذه الكلمة هي الركن العظيم الركن الأول في هذا الدين، بها بعث محمد ﷺ، وبها بعث جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، هذه الكلمة إذا غابت عن الأرض ســـاد الكفر والظلام على أرجاء هذه الأرض، بعث محمد ﷺ بهذه الكلمة فكان يقول لأهله وعشـــيرته ولقريش قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، بهذا الركن مكث دهراً عليه الصـــلاة والســـلام يدعوا قريش إلى هذا الركن، ولكن هذا الركن الركين لا يقوم بحال إلا على قواعد عظام، الذين يغارون على دين الله ويريدون أن يهيمن الدين على الناس ويحكم في دمائنا وأعراضـــنا وأموالنا وفي جميع مناحي حياتنا، لا سبيل إلى ذلك إلا بالنهج الذي نهجه محمد ﷺ، فاللطيف الخبير سبحانه وتعالى الذي خلق الخلق يعلم ســـبحانه وتعالى أن هذه النفوس لا تســـتجيب كما أمر إلا بوجود ســـلطان وبوجود قوة وشـــوكة، فعند ذلك يدخل الناس في دين الله أفواجاً، فرسولنا عليه الصلاة والسلام قبل أن يدعوا الناس إلى باقي الأركان وقبل أن يُكلف عليه الصلاة والسلام بباقي الأركان، بدأ يبحث عن القوة وعن العصبة وعن الشوكة التي تنصر هذه الكلمة، فكان يعرض نفسه الشريفة عليه الصلاة والسلام على قبائل العرب في الحج وفي غيره من مواســـم العرب، فيقولون له إلى أي شـــيء تدعوا يا أخا قريش؟ فيقول: أدعوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تأووني وتمنعوني

وتنصروني مما تنصرون منه أنفسكم وأبناءكم، فهذا الكلام في غاية الأهمية والخطورة، لنعلم كيف السبيل لإحقاق الحق وكيف السبيل لتبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى.

هذا الركن الركين لابد له من قواعد خمس حتى يهيمن كما أمر الله سبحانه وتعالى، ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ فيعقب عليه الصلاة والسلام بعد أن يطلب من الجماعة من القبائل النصرة والإيواء ويقول: «حتى أبلغ رسالة ربي» فرسالة ربي سبحانه وتعالى لا تبلغ بغير قوة كان يبحث عن القبائل ذات الشوكة والمنعة عليه الصلاة والسلام، فالسبيل لإحقاق الحق هو بالجهاد في سبيل الله والسبيل لإبطال الباطل هو بالجهاد في سبيل الله والسبيل لكف بأس الكفار هو بالجهاد في سبيل الله، والجهاد هو أحد القواعد الخمس التي يقوم عليها ركن الدين العظيم، ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحارث بن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: «أوحى الله سبحانه وتعالى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن»، لا أن يتكلم الناس بهن فقط بل يعملوا بهن فذكر له الكلمات الخمس وهي الأركان الأربعة والركن الخامس ذكر الله سبحانه وتعالى، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن»، هنا الشاهد وهناك تلازم شديد جداً حتمي بين الخمس الأول، بين الأركان وبين هذه الخمس لأن هذه الخمس هي القواعد وهذه الأركان التي ترون لا تقوم على غير قواعد، والبناء لا يقوم على غير أركان ولا على غير قواعد، فالدين لا بد له من هذه الأركان الخمس ولا بد له من هذه القواعد الخمس، ما هذه الخمس التي أمرنا رسول الله ﷺ بها؟- قال: «وأنا آمركم بخمس

أمرني الله بهن -أسمعوا وعوا واحفظوها- الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة والجهاد في سبيل الله،»، فأتباع محمد ﷺ نقول لهم هذا هو السبيل لابد من جماعة مسلمة ولا بد من سمع وطاعة لها ولا بد من هجرة عندما تتعين الهجرة ولا بد من جهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، فكل من يريد أن ينصر هذه الدين مع غياب هذه القواعد، ما فقه الطريق وما فقه منهج محمد ﷺ وبعد أن أكدنا هذا الأمر، الذي نعتقده اليوم أن الجماعة التي تنصرف إليها النصوص في الكتاب والسنة هي دولة الإسلام في أفغانستان هي دولة الطالبان، فينبغي على المسلم أن يعتقد في قلبه أن أمير المؤمنين هو أميره الشرعي إتباعاً لأمر رسولنا عليه الصلاة والسلام كما جاء في الصحيحين في البخاري ومسلم عليهم رحمة الله في الحديث الذي يرويه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، نسأل الله العافية تدبروا في هذا الحديث، فكأنما يصف حال المسلمين اليوم، الأنظمة والحكام بإعلامهم وبأجهزتهم الأمنية وبكثير من مؤسساتهم يدعون إلى أبواب جهنم كم من فئات من المسلمين يُدعون في الليل والنهار على مدار الساعة إلى الفجور وإلى الكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله، نشأت ناشئة في بلاد المسلمين اليوم ما كان يظن أحد أن مثل هذه الناشئة تنشأ، ولكن نتيجة هؤلاء الدعاة إلى أبواب جهنم ...

قال: فهل بعد ذلك الخير من شــر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».. قلت: صــفهم لنا يا رســول الله، قال: «هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألســنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك -الأمر هنا للوجوب- رضـي الله عن حذيفة إذ بين لنا الطريق واختصر لنا الأمر، وسأل عن هذه المعامع العظام، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك، فرائض الإسلام كثيرة وشعب الإيمان كثيرة ففي الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وستون وفي رواية بضع وسبعون شعبة أرفعها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان»، فلا يصح بحال عند غياب الشعبة العظمى الأس الأعظم شهادة أن لا إله إلا الله يشتغل الناس بإماطة الأذى عن الطريق .. وبغيرها من الشعب، فهذا تهرب عن الواجب الشرعي الذي أمر الله به، فأول ما ندعو الناس إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا غابت عن الوجود، وحكم الطواغيت القوانين الوضعية الإنكليزية والفرنسية والأمريكية وغيرها من زبالة عقول البشر، بل الواجب الأعظم كما قال رسولنا عليه الصلاة والسلام لمعاذ حينما أرسله إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، لا يصح البناء إذا لم يكن هناك هذا الركن العظيم، فهنا عليه الصلاة والسلام لما سأله حذيفة قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك -الشعب كثيرة- أمره بشعبة واحدة، أمره بفرض واحد هو فرض الساعة وهو فرض العصر أمره بهذا الفرض لأنه الآكد ولأنه الأهم وعليه يقوم الدين بإذن الله سبحانه وتعالى، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، هذا هو الفرض الغائب المغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف نصل إلى السبيل وكيف نصل إلى نصرة الدين والمسلمون في

جماعة غير المسلمين، وإمام المسلمين ممن ارتكبوا نواقض الإسلام في وضح النهار، إمام المسلمين هم الذين يوالون اليهود والنصارى، وهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فكيف نريد النجاة ونحن نتبع هؤلاء الضّلال الذين أضلوا الناس على علم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

ونختم هذا المبحث بقول الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- في تقرير هذ المسألة "في ظلال سورة التوبة": (الحقيقة أن التربية في جماعة ضرورية، والتعاون مع الجماعات ضروري، ودخولك جماعة إسلامية ضروري، لكن أعبد الله ولا تعبد الحزب.)

التحذير من الغدر والخيانة

ولقد كان الإمام المجدد -رحمه الله- شديد الحرص على وحدة الصف والتعاون على البر والتقوى والبعد عن الفرقة والإفساد بين الجماعات العاملة لنصرة الإسلام كما تبين لنا مما سبق..

وقد كان من حرصه وعنايته على هذا الأمر أنه كان يحذر من الغدر والخيانة وبث والفتن بصفة عامة وبين المجاهدين بصفة خاصة فقال -رحمه الله- في "إلى أهلنا بالعراق": (وأقول لإخواني: خذوا حذركم من أعدائكم، ولا سيما المنافقين الذين يخترقون صفوفكم لإثارة الفتن بين الجماعات المجاهدة، فمن كان هذا شأنه فأحيلوه إلى القضاء وعليكم بالتثبت وادرؤوا الحدود بالشبهات وعليكم بحفظ أسراركم وأتقنوا أعمالكم.

فإن مما يحزن المسلمين ويفرح الكافرين تعثر بعض العمليات القتالية ضد العدو بسبب تقصير في أي مرحلة من مراحل الإعداد للعملية، كاستطلاع الهدف أو التدريب أو سلامة وكفاءة السلاح والذخيرة أو جودة العبوة الناسفة وإلى ما هنالك من ترتيبات، وإذا وضعتم لغماً فليكن صحيحاً، لا يبقي من الأمريكان مخبراً ولا جريحاً، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». وقال أيضا: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان»، وإياكم ثم إياكم من الغدر، فإنه إثم وعار وشنار والحر لا يغدر، فقد قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة».)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وفي الختام؛ أوصي نفسـي والمجاهدين بتقوى الله في السـرِّ والعلن، وبالذكر وقراءة القرآن، وكثرة الدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى، كما أوصي نفسي وإيَّاكم بالصبر، واجتناب الغدر، فإنَّ لكل غادر لواء ينصـب له يوم القيامة، والحذر من الدماء المحرَّمة إلا ما أباحه الشـرع؛ كمسـألة التترس من غير توسُّـع، والتي يقدِّرها فقهاء المجاهدين، فإنَّنا إنَّما نتعرَّض لنصـر الله بالتقرُّب إليه بالطاعات، والبعد عن المعاصـي، ثم إِنِّي أحثُّكم على ضـرب خطوط الإمداد، وخطوط النفط وزراعة الألغام المضـاعفة، التي لا تبقي جريحًا، واغتيال أصـحاب الشـركات الذين يمدُّون العدو بما يحتاج، سـواءً في الرياض أو الكويت أو الأردن أو تركيا أو غيرها.)

وقال -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسـبيل لحله": (أنحن أصـحاب الفكر الضـال؟! أم الذين غدروا بالأمَّة، وأباحوا جزيرة محمد ﷺ لليهود والنصـارى ومكَّنوهم منها وأعطوهم فيها القواعد العسـكرية، فضـلاً عن غدركم بالعراق، والغدر يحرم حتى مع الكافر، وقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام: «لكل غادرٍ لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامَّة» رواه مسلم.

ومن هم أصـحاب الفكر الضـال والزمرة الفاسـدة؟! أهم الذين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله؟! أم هم الذين يفسـدون المسـلمين بسـياسـاتهم

وإعلامهم حتى في البلد الحرام وفي الشهر الحرام وحول المسجد الحرام؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.)[16]

---

١٦ . ومما يستأنس به هنا ما جاء في وثائق أبوت أباد في الرسالة المرسلة إلى: الشيخ عطية الله الليبي: (وإن حصل من بعض الإخوة في الأقاليم تقصير في هذا المجال فلا بد أن نتحمل المسئولية ونعتذر عما حدث، كما ينبغي التأكيد على جميع الإخوة المجاهدين بأهمية الوضوح والصدق والوفاء بالوعود والحذر من الغدر.)

التقوى والأخوة الإيمانية
مقدمة على كل الروابط الأخرى

عند حديثي عن العمل التنظيمي والجماعي عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- لا بد أن أبين أن من الأصول والركائز عند الإمام المجدد في هذا الباب أن التقوى والإخوة الإيمانية مقدمة على الروابط الأخرى حيث قال -رحمه الله- في "إلى أهلنا في العراق": (ثم إن لدي مسألة أود أن أتناصح فيها مع إخوتي:

وهو ما يقع بين الإخوة من أخطاء قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**..﴾ وقال الرسول ﷺ: «أكرم الناس أتقاهم لله»، وقال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله رضي الله عنهما عندما تسائل عن سبب تفضيله لأسامة بن زيد رضي الله عنهما في العطاء عليه قال له: كان أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك وكان أبوه أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك؛ فهذا هو ميزاننا. فازدياد الثقة بالناس لتحمل أمانة الدعوة والجهاد، بقدر ازدياد التقوى، لا بقدر قرابة أو نسب، أو من إلى التنظيم انتسب.)

وقال الإمام المجدد -قدس الله روحه- في "إلى أهلنا بالعراق": (أنصح نفسي والمسلمين عامة والإخوة في تنظيم القاعدة خاصة في كل مكان أن يحذروا من التعصب للرجال والجماعات والأبطال، فالحق هو ما قاله الله تعالى وما قاله رسوله ﷺ وكلٌ يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول ﷺ، فأمره على الرأس والعين.

فإياكم ثم إياكم أن يكون حظكم من هذه المسألة الفهم النظري فقط ثم تخالفوه في واقعكم العملي. فكل من يقول قولا اعرضوا قوله على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فما وافق الحق فخذوه وما عارضه فاتركوه. وقد قال رسول الله ﷺ: «من قتل تحت راية عمية ينصر للعصبية، ويغضب للعصبية فقتلته جاهلية» رواه مسلم. وقال: «ما بال دعوى الجاهلية! دعوها فإنها منتنة» متفق عليه.

فأخوة الإيمان هي الرابطة بين المسلمين، وليس الانتساب إلى القبيلة أو الوطن أو التنظيم فمصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد، ومصلحة الدولة المسلمة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة.

فيجب أن تكون هذه المعاني واقعاً عملياً في حياتنا.

وأقول: وحري بعلماء المسلمين، وقادة المجاهدين، وزعماء الجماعات الصادقة، أن يردد كل منهم على إخوانه ما قاله الصديق رضي الله عنه: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.

وقال: أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإذا أحسنت فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني.

قال الإمام مالك -رحمه الله-: (لا يكون أحد إمام أبداً إلا على هذا الشرط).

ونردد هذه الأقوال عليهم لإزالة التضخم الذي نشأ عند بعضهم، وذلك بتعظيم أوامر الجماعة وأوامر قادتها، فيتوهم الواحد منهم أنها بالضرورة لا تكون إلا حقاً.

فيتعامل معها في واقعه العملي كأنما هي نصوص معصومة، وإن كان يعتقد نظرياً أن العصمة لرسول الله ﷺ فقط.

فيتعصب لأمر جماعته وقادتها، ولا ينقاد لآية من كتاب الله أو لحديث من سنة رسول الله ﷺ فهذا هو الضلال المبين. قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾. قال ابن كثير –رحمه الله–: (أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿**أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿**أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.)

والأشد والأنكى أن تقتحم جماعته وقادتها الموبقات العظام، وتأمره باقتحامها كدخول البرلمانات التشريعية الشركية، وانتخاب أعضائها، فالمنتخِب والمنتخَبُ قد وقعا في أعمال شركية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإني أوصي نفسي وإخواني بالتقوى والصبر؛ فهما زاد وسلاح من رجا النصر.)

وهذه الأصل العظيم والنهج القويم عند الإمام المجدد أوضحه الدكتور الظواهري في "أيام مع الإمام" فقال: (من الجوانب الجميلة في شخصية الشيخ أسامة –رحمه الله– التي يعرفها من اقتربوا منه أنه من أقل الناس عصبيةً للتنظيمات والتجمعات،

يعني العصـــبية التنظيمية عنده هذه من أقل ما رأيت -الكمال لله وحده ســـبحانه وتعالى- لكن كان الشيخ أسامة بن لادن قدوة في هذا المجال، أذكر أني ذهبت إليه في موقعه بقيادة الإخوة في جلال آباد أثناء هجوم الإخوة عليها وحملاتهم ضـــدها لتحريرها، ووجدت في الموقع إخوةً من كل التنظيمات، من "إخوان" ومن "جماعة إسلامية" ومن "جهاد" ومن عرب ومن عجم ومن الجزيرة ومن العراق، فوالله غبطت الشيخ أسامة بن لادن قلت ما شاء الله عليه يا أسامة بن لادن استطعت أن تجمع الناس في مشروعٍ واحد وتصرفهم في هذا الخير.

أيضًا من سمات الشيخ أسامة بن لادن أنه يشاور كل صاحب رأي وكل من يريد منه رأيًا بغض النظر عن تنظيمه وبغض النظر عن انتمائه، ابتغاءً للوصـــول إلى مصـلحة المســلمين، وكان أيضًــا يوظف الإخوة من التنظيمات المختلفة في أعماله ويحملهم مسؤوليات، كل أخ فيه كفاءة كان الشيخ -رحمه الله- يحاول أن يستفيد منه ويدفعه في العمل المشترك.

ومن أمثلة اهتمام الشـــيخ بهموم المســـلمين بغض النظر عن الانتماء للتنظيمات: اهتمامه بقضـية الشـيخ عمر عبد الرحمن -فك الله أسـره- فأنا شـاهد على مدى اهتمام الشـيخ بهذا الأمر، أولاً من الناحية الدعائية هو أكثر من مرة يتكلم عن هذا في لقاءاته، بل عقد مؤتمرًا خصـيصًـا لهذا الأمر وتكلم فيه أكثر من أخ، وهذا الأمر منشور ومعروف.)

تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة

وهذا النهج القويم والفهم السديد في مسائل العمل التنظيمي وغيرها مما أنعم الله به على عبده الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- كان نتيجة للركائز والأصول التي بنى عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن دعوته وجهاده بفضل الله وتوفيقه.. والتي منها أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة فمصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد، ومصلحة الدولة المسلمة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة.

قال الإمام المجدد -رحمه الله- في "إلى أهلنا بالعراق": (فأخوة الإيمان هي الرابطة بين المسلمين، وليس الانتساب إلى القبيلة أو الوطن أو التنظيم فمصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد، ومصلحة الدولة المسلمة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وإني عندما أصف الجماعات الإسلامية بواقعها الحقيقي فإن ذلك من باب التناصح والنصح للأمة، وحرصاً مني على تحذيرها من انحراف مسارها، فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.

وإن المداهنة في الباطل فضلاً عن كونها معصية فهي تعين الآخرين على السير في طريق الضلال، ولا توصلهم لنصرة الدين كما يدعون ويتوهمون؛ فنصرة دين الله بما شرع لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع، فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وللعلم؛ فإنَّ الأخ المجاهد أبا مصعب الزرقاوي هو أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وعلى الإخوة في الجماعة هناك أن يسمعوا له ويُطيعوا بالمعروف، وشتَّان شتَّان بين الصادقين من أمراء المجاهدين -أحسبهم والله حسيبهم-، الذين يتنازلون عن الإمارة من أجل دينهم حرصًا على مصلحة أمَّتهم، وبين ملوك ورؤساء دول المنطقة الذين لم يقوموا بتوحيد الأمَّة، وإلغاء الحدود التي رسمها الصليبيون، وإنَّما كرَّسوا الخلاف والفرقة باسم الوطنية، وهم ليسوا مستعدِّين للتضحية بأمَّتهم ومصالحها، من أجل بقائهم في الإمارة فحسب، بل يضحُّون بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم، في سبيل الكرسي وما عزل حسن بن طلال وحمزة بن الحسين، وما تهميش عبد الله بن عبد العزيز من طرف آل فهد إلا أمثلة على ذلك، فأيُّ خير يرتجى من هؤلاء لتوحيد الأمَّة ورعاية مصالحها، وسط التكتلات الدولية الكبيرة، وهذه بعض أحوالهم.)

وقال -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (فكيف وأنتم ترون أحزاب أو فصائل وهيئات فيها شيوخ كبار تنتمي إلى أمتنا تفتن وتتساقط عند أبواب سلاطين نجد، من أسباب ذلك تأخر الوحدة ، وقد تكون عند بعض الأمراء شهوة خفية في الحرص على الإمارة هي المانع الحقيقي فلا ينبغي أن نتعصب للرجال أو الأحزاب

أو الجماعات ولكن نتعصب للحق فمن تمسك به أعناه وإن أمرنا أطعناه ومن حاد عن الجادة قومناه، وأمرناه أن يكون للحق تَبَع فالحق أحق أن يُتبع ومن كان مقتدياً فليقتد بمن قد مات من القدوات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، واعرف الحق تعرف أهله فالحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق ، وهنا ينبغي ذكر أهل الفضل السابقين في باب الوحدة والاجتماع بما هم أهلٌ له فلقد سر المسلمين تسابق عدد من أمراء الجماعات المقاتلة في سبيل الله مع عدد مع شيوخ العشائر المرابطة المجاهدة لتوحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد فبايعوا الشيخ الفاضل أبا عمر البغدادي أمير على دولة العراق الإسلامية.

إن تنازل هؤلاء الأمراء عن الإمارة للاعتصام بحبل الله جميعاً هو مؤشر على صدقهم وعدلهم وإنصافهم وتجردهم من حظوظ أنفسهم وحرصهم على مصلحة المسلمين -نحسبهم كذلك والله حسيبهم- فجزاهم الله خير الجزاء، واجتماعهم هذا خطوة عظيمة مباركة نحو توحيد باقي الجهود في تكوين جماعة المسلمين الكبرى.)

القاعدة فكر ورسالة قبل أن تكون تنظيماً

ومن المعاني والمفاهيم التي رسخها وبثها الإمام المجدد -رحمه الله- وإخوانه قادة تنظيم القاعدة أنهم يحملون فكرا ودعوة قبل أن يكونوا تنظيما.. فهم أصـــحاب رســـالة مســـتمدة من شـــريعة الرحمن قال الدكتور أيمن الظواهري في "ســـلســـلة الربيع الإسـلامي": (إخواني المجاهدين في كل مكان: لقد كان من نعمة الله على المسـلمين أن وفق الله الإمام المجدد الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- وإخوانه إلى استخلاص التجارب، والاجتهاد لتوجيه المجاهدين والمسلمين إلى خطوط رئيسية:

أولها: التركيز على هبل العصـــر أمريكا وحلفائه، والســـعي -قدر الإمكان- لنقل المعركة إلى ديارهم، فبسقوط هبل العصر أمريكا سيسقط أتباعه بإذن الله، فهذه هي الأولوية الأولى في الجهاد المسلح اليوم، والله أعلم.

وثانيها: توحيد صف المجاهدين ببيعة الإمارة الإسلامية، ودعوة المسلمين لذلك.

وثالثها: تأييد ثورات الشـــعوب المظلومة، ودعوتها لأن ترتقي بثوراتها للمطالبة بحكم الإسـلام، ودعوة زعماء الأمة وأعيانها لأن يشـكلوا نواة مجلس حل وعقد، لأن الأمة -وحدها- هي التي من حقها اختيار إمامها ومحاسبته وعزله.

أما أمتنا المســـلمة فنقول لها: لعله قد اتضـــح لك أن حكامك هم أدوات في يد التحالف الصليبي العلماني الصفوي؛ تحالف الشياطين وعلى رأسهم أمريكا والغرب،

ولعله قد بان لك أنك لن تضـــعي قدمك على طريق الخلاص إلا إذا كفرت بهؤلاء الحكام الأدوات، ونزعت قناع العمالة عن وجوههم القبيحة.

يا أمتنا المســـلمة: لقد رأيت نتيجة منهج مهادنة الأنظمة الفاســـدة التابعة، نتيجته خسارة الدين والدنيا، لقد رأيت بنفسك الذين تخلوا عن الشريعة، كيف تخلى عنهم أعداء الشريعة، وألقوا بهم في غياهب السجون.

يا أمتنا المسلمة: طريق الخلاص هو الدعوة والجهاد، كتاب يهدي وسيف ينصر.

يا أمتنا المســـلمة: إن جنودك الحقيقيين هم أبناؤك المجاهدون، الذين لا يريدون منك جزاءً ولا شكورًا، ولا يفرضون أنفسهم عليك حكامًا بغير رضاك ومشورتك، والذين تركوا دنياهم نصـــرة لدينهم، والذين يريدونك أن تعيشـــي حرة عزيزة في ظل الخلافة الراشدة، التي تختار فيها الأمة إمامها وتحاسبه وتعزله، والذين يتبعون الكتاب والسنة ومنهاج الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وينبذون ويحذرون من سنة الحجاج بن يوسف والجبابرة المستكبرين، الذين يسعون للسلطة بالتهرب من التحاكم للشريعة والتكفير والقتل واستباحة الحرمات واغتصاب حق الأمة.

يا أمتنا المسلمة: إن القاعدة رسالة قبل أن تكون جماعة، وقد وصلت رسالتنا لك، وســـنحرص -بإذن الله- على أن تظل نقية من كل تحريف وطمع وتعد على الحرمات.

فيا مجاهدي الإســـلام: الوحدة الوحدة والتكاتف التكاتف في وجه هذه الحملة العلمانية الصفوية الصليبية، فإذا لم نتحد في مواجهتها، فمتى سنتحد؟

أمتنا المسلمة: لقد سرق عملاء أمريكا تضحيات ثوراتك بواسطة الحركات المنتسبة للإسلام، التي ساقتك للذبح، وقدمتك فرائس عزلًا للذئاب المفترسة، لأنهم تربوا وربوا أتباعهم على طبائع الشياه، والشياه لم تخلق لمصارعة الذئاب، ولكن الذئاب تفتك بها الأسود.

والأسود لا تعيش في أحضان أنظمة الردة والعمالة والتبعية، تتسول المكاسب، وتخوض انتخابات الدساتير العلمانية الكفرية، ولكنها تعيش في صفاء التوحيد وخنادق الجهاد وميادين الكفاح.

فانهضي يا أمتنا نهضة الأسود، وربي أبناءك على طبائع الأشبال.

أما أنتم يا وكلاء أمريكا وجنودها وتابعيها: فإن معركتنا معكم طويلة، وتركيزنا على رأس الأفعى، لن يصرفنا عنكم، ولكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث، وقد تعلمنا من فقهائنا أن المرتد أعظم جرمًا من الكافر الأصلي.

ولقد تعلمنا من شريعتنا -أيضًا- أن الدعوة ليست للمسلمين فقط، ولكنها للخلق عامة، فنقول لكل مستضعف في الدنيا: إن أمريكا هي أصل البلاء، وهي رأس الشر في هذا العالم، وهي سارقة أقوات الشعوب، وهي التي تستذل الأفارقة إلى اليوم فيها، ومهما حاولوا الإصلاح ونيل حقوقهم عبر القانون والدستور فلن ينالوه، لأن القانون بيد الأغلبية البيض، يطوعونه كيف يشاءون، ولن ينقذهم إلا الإسلام، الإسلام الذي لا يشرع فيه أبيض لأسود ولا أحمر لأصفر، بل الكل يتحاكمون لشريعة ربهم، التي لا تميز بين أجناسهم وألوانهم.

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة بالحق من ملل الهدى غراء

فرسمت بعدك للعباد حكومة لا سوقة فيها ولا أمراء

والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.)

وقال الدكتور الظواهري في "اللقاء السابع مع مؤسسة السحاب": (أمرٌ آخر في غاية الأهمية..

هو أنّ القاعدة بفضل الله رسالةٌ قبل أن تكون تنظيمًا، وهذا ما حرص عليه الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- وإخوانه في جماعة قاعدة الجهاد أشد الحرص، وليتكم في مؤسسة السحاب تجدون وقتًا لإخراج بعضٍ من تراث الشيخ المكتوب ومراسلاته مع إخوانه.

المهم أنّ القاعدة بفضل الله رسالةٌ قبل أن تكون تنظيمًا فإذا شوّهنا هذه الرسالة فقد خسرنا حتى لو كنا نتمدد تنظيميًّا وماديًّا؛ لأننا سنفشل في مهمتنا الأساسية وهي تحريض الأمة على الجهاد ضد أعدائها لكي تحكِّم شريعتها وتعيد خلافتها. ولئن نكون عشرة نقدم للأمة قدوةً صالحة ورسالةً تتطابق فيها الأقوال مع الأعمال خيرٌ لنا من أن نكون عشرات الألوف التي تنفر الأمة منهم ومن أعمالهم ومن تصرفاتهم، فإذا وجدتنا الأمة نتقاتل على المغانم قبل التمكين، ونسعى لمصادرة حق الأمة وفضلائها وخيارها في الشورى والحكم، وإذا وجدتنا الأمة نشارك في قتال فتنةٍ

تُســفك فيه دماء إخواننا المجاهدين وتنتهك فيه حرماتهم وأموالهم، وإذا وجدتنا الأمة نضــيع ثمرة الجهاد قبل نضــجها بتصــرفاتٍ غير مدروســة وقرارات فردية متســرعة؛ فكيف ستثق بنا الأمة؟ وكيف ستتجاوب معنا؟ بل نحن نقدِّم لأعدائنا أكبر فرصةٍ لتشـــويه سمعتنا وصـــرف الأمة عنا، وســـيقول العلمانيون والمتأمركون للشـــعب: انظروا ماذا يفعل المجاهدون ببعضهم فماذا سيفعلون بكم؟)

أهمية دور الشعوب المسلمة واستثمارها في الصراع والوصول بهم إلى سبيل التمكين

إن إحسان الرقي بالشعوب المسلمة في طريق التمكين من أهم عوامل دفع صيال المعتدين وتحقيق النصر والتمكين قال الشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله-: (أثبتت تجربة الجهاد في الجزائر وغيرها، القاعدة الذهبية في حروب المستضعفين، وفي كل مواجهة مع الطواغيت الحاكمين أو مع القوات الغازية، وهي أن التلاحم بين المجاهدين وشعبهم وأمتهم هو السند الأول لهم في عالم الأسباب -بعد توفيق الله- في هذه المواجهات، وأنهم غالباً ما يخسرون تلك المواجهات عندما يخسرون ذلك السند.) [مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر].

ويقول الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- في "التربية الجهادية": (أي حركة إسلامية تعيش بعيداً عن الشعب لا يمكنها أن تقيم دولة إسلامية.)

ويقول الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- في "تفسير سورة التوبة": (واعلم يا أخي العزيز: إذا كنت فعلاً جاداً في إقامة الدولة الإسلامية أن جماعتك وحدها لن تستطيع إقامة الدولة الإسلامية، لن تستطيع أي جماعة وأي تنظيم بمفرده أن يقيم دولة إسلامية، لا بد أن تستعين بطاقات المسلمين الطيبين، وأن تستفيد من روحهم وخبراتهم واندفاعهم وجهادهم حتى تعينك على الوصول إلى إقامة المجتمع الإسلامي وإقامة دولة الإسلام.)

وهذا الأمر كان من أهم وأبرز معالم دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن فلا تكاد تجد له كلمة أو رسالة إلا وهي تخاطب الأمة المسلمة بعمومها أو تخاطب شريحة من شرائح الأمة

أما الأمثلة على مخاطبته لعموم الأمة قوله في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (من أسامة بن محمد بن لادن إلى إخوانه وأخواته في الأمَّة الإسلامية عامَّة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، رسالتي هذه إليكم بخصوص التحريض ومواصلة الحثِّ على الجهاد، لدفع المؤامرات العِظام التي حِيكت وتُحاكُ ضدَّ أمَّتنا، وخاصَّةً وقد ظهر بعضها ظهورًا بيِّنًا:

كاحتلال الصليبيين بمناصرة المرتدين لبغدادَ دارِ الخلافة، تحت خِدعة "أسلحة الدمار الشامل".

وكذلك المحاولة الشرسة لتدمير المسجد الأقصى، والقضاء على الجهاد والمجاهدين في فلسطين الحبيبة تحت خدعة "خارطة الطريق" و "مبادرة جنيف للسلام".

وكذلك الحملات الإعلامية الصليبية على الأمَّة الإسلامية، والتي تُظهر بوضوحٍ عظيم؛ عِظَمَ ما يبيِّتون من شرٍّ مستطيرٍ للأمَّة عامَّة، ولأهل بلاد الحرمين خاصَّة، وظهرت نوايا الأمريكيين كذلك في تصريحاتٍ بضرورة تغيير معتقدات ومناهج وأخلاق المسلمين، حتى يصبحوا أكثر تسامحًا -على حدِّ تعبيرهم- وبعبارةٍ واضحة؛ إنَّها حرب دينية اقتصادية، يريدون إبعاد العباد عن عبادة الله ليستعبدوهم ويحتلُّوا

بلدانهم وينهبوا ثرواتهم، فمن العجب أن يفرضوا الديمقراطية وأمركة الثقافة بالقاذفات النفَّاثة، لذا فإنَّ ما يُنتظر أدهى وأمرُّ.

فما احتلال العراق إلا حلقةٌ في سلسلة الشرِّ الصهيونية الصليبية، ثم يأتي دور الاحتلال الكامل لبقية دول الخليج تمهيدًا لبسط النفوذ والهيمنة على العالم أجمع، فالخليج ودوله هو مفتاح السيطرة على العالم في نظر الدول الكبرى نظرًا لوجودِ أكبر مخزونٍ نفطيٍّ عالميٍّ، فاحتلال بغداد ما هو إلا خطوة تنفيذية لما فكَّرت وخطَّطت له أمريكا من قبل، فالمنطقة كانت مستهدَفة في الماضي، وهي اليوم مستهدَفة كذلك، وستبقى مستهدَفة في المستقبل، فماذا أعددنا لذلك؟

وهذه الحملة الصهيونية الصليبية على الأمَّة اليوم؛ تُعدُّ أخطر الحملات وأشرسها على الإطلاق، وهي تهدِّد الأمَّة كلها في دينها ودنياها. أوَلم يقل بوش: (إنَّها حرب صليبية)؟ ألم يقل أيضًا: (إنَّ الحرب ستستمرُّ سنين طويلة وتستهدف ستين دولة)؟ أوَليس العالم الإسلامي زهاء ستين دولة؟ أفلا تبصرون؟! ألم يقولوا إنَّهم يريدون تغيير أيديولوجية المنطقة التي تبثُّ الكراهية ضدَّ الأمريكيين؟!)

وقال رحمه الله في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (فإلى الأمة الإسلامية عامة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثي هذا إليكم لمواصلة الحث والتحريض لنصرة رسولنا ﷺ ولمعاقبة أصحاب الجريمة النكراء التي ارتكبها بعض الصحفيين من الصليبيين أو من الزنادقة المرتدين بالإساءة إلى سيد الأولين والآخرين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لقد جاءت الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة مبينة ما يجب لرسول الله ﷺ من محبة وتكريم واتباع وتعظيم فقد حرم الله تبارك وتعالى أذاه، فقال في القرآن العظيم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن نبينا ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

وقد أجمعت الأمة على ردة وقتل من تعرض له بالشتم أو التنقص.......)

وقال -رحمه الله- في كلمته الأخيرة في "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة": (أُمّتي المسلِمَة، نراقبُ معكِ هذا الحدث التاريخيّ العظيم، ونشاركُكِ الفرحةَ والسرورَ والبهجةَ والحبور، نفرحُ لِفرحكِ وَنترحُ لِتَرَحكِ، فهَنِيئًا لكِ انتصَارَاتُك، ورَحِمَ اللهُ شهداءَكِ، وعَافَى جرحَاكِ، وفرّجَ عن أسرَاكِ.

وَبَعدُ:

هَلّت بِمَجدِ بَنِي الإِسلامِ أَيّامُ   وَاختَفَى عَن بِلَادِ العُربِ حُكّامُ

طَوت عُروشٌ حَتّى جَاءَنَا خَبَرٌ   فِيهِ مَخَايِلُ لِلبُشرَى وَأَعلَامُ

طَالما يَمّمَت الأُمّةُ وجهَها ترقُبُ النّصرَ الذي لاحَت بشَائرُه منَ المشرِق، فإِذَا بشمسِ الثّورَةِ تطلعُ من المغرِب، أضَاءت الثّورةُ مِن تُونُس، فأنِسَت بهَا الأُمّة، وأشرقَت وجُوه

الشّعوبِ، وشَرقَت حناجِرُ الحكّام، وارتَاعَت يهُود لِقُربِ الوعُود، فبِإسقَاطِ الطّاغِيةِ سَقَطَت مَعانِي الذّلَّةِ والخُنوعِ والخَوفِ والإِحجَام، ونَهَضَت مَعَانِي الحُرّيّة وَالعِزّةِ والجُرأةِ والإِقدَام، فَهَبّت رِياحُ التّغييرِ رَغبَةً فِي التّحرِير، وكَانَ لتُونُسَ قَصَبُ السَّبقِ، وبسرعَةِ البَرقِ أَخذَ فُرسَانُ الكنَانَةِ قَبَسًا مِن أَحرَارِ تُونُسَ إِلَى ميدَانِ التّحرِير، فانطَلَقَت ثَورةٌ عظيمةٌ، وَأَيُّ ثَورَة!

ثَورةٌ مَصِيرِيّةٌ لِمِصرَ كلِّها وَللأُمّة بِأسرِها إِن اعتصَمَت بِحَبلِ رَبِّها، وَلَم تَكُن هذِه الثّورَة ثَورَةَ طَعَامٍ وكِسَاء، وإِنَّمَا ثَورَةُ عِزٍّ وَإِبَاء، ثَورَةُ بَذلٍ وَعطَاء، أضَاءَت حَواضِرَ النّيلِ وَقُرَاه مِن أَدنَاه إِلَى أَعلَاه، فَتَراءَت لِفتيَانِ الإِسلَامِ أَمجَادُهُم، وَحَنّت نُفُوسُهم لِعَهدِ أَجدَادِهم، فَاقتَبَسُوا مِن مَيدَانِ التّحرِيرِ فِي القَاهِرَةِ شُعَلاً لِيَقهرُوا بِهَا الأَنظِمَةَ الجَائِرَة، وَوَقَفُوا فِي وَجهِ البَاطِلِ وَرَفَعُوا قَبضَاتهم ضِدّه، وَلَم يَهَابُوا جُندَه، وَتَعَاهَدُوا فَوثّقُوا المعَاهَدَة، فَالهِمَمُ صَامِدَةٌ، وَالسّواعِدُ مُسَاعِدَةٌ، والثّورَةُ وَاعِدَة.

فإِلَى أُولئِك الثّوارِ الأَحرَارِ فِي جَمِيعِ الأَقطَار:

تَمَسّكُوا بِزمَامِ المبَادَرَةِ، وَاحذَرُوا المحَاوَرَةَ؛ فَلَا التِقَاءَ فِي مُنتَصَفِ السّبِيلِ بَينَ أَهلِ الحَقّ وَأَهلِ التّضلِيل، حَاشَا، وَكَلّا.

وتَذَكَّرُوا أنّ اللهَ قد مَنّ عَلَيكُم بِأَيّامٍ لهَا مَا بَعدَهَا، أَنتُم فُرسَانُها وَقَادَتهُا، وَبِأَيدِيكُم لِجَامُها وَرِيادتها، ادّخَرَتكُم الأُمّةُ لِهَذَا الحَدَث الجَلَل، فأَتِمّوا المسِيرَ وَلَا تَهَابُوا العَسِيرَ.

بَدَأَ المسَيرُ إِلَى الهَدَف وَالحُرُّ فِي عَزمٍ زَحَفْ
وَالحُرُّ إِن بَدَأَ المسِيرَ فَلَن يَكِلّ وَلَن يَقِفْ)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (أمتي المسلمة الحبيبة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإن احتفال اليهود بمشاركة زعماء دوليين بالذكرى الستين لقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المغتصبة يؤكد بوضوح أن قيم العدل والحرية والإنسانية ما هي إلا شعارات جوفاء يرفعونها لمخادعة المستضعفين، وتخفي وراءها حقيقة القانون السائد في هذا العصر، فهو قانون الغاب والناب، قانون القوي فيه يأكل الضعيف، قانون السباع؛ إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب، فمن عز بز، ومن يهن يسهل الهوان عليه، فلا مكان عندهم لصاحب حق إن كان ضعيفاً وإنما الأمر والنهي لصاحب القوة وإن كان مبطلاً!

أمتي المسلمة، لقد مضى على سقوط فلسطين في أيدي النصارى ثم اليهود تسعة عقود، فإذا كانت الذين سُلبت فلسطين في عهدهم قد أفضوا إلى ما قدموا، وإذا كان الملوك والرؤساء قد ضحوا بفلسطين والأقصى لتسلم لهم عروشهم، وهذا ما تؤكده الحقائق والوثائق، وإذا كان كثير من العلماء قد داهنوا الحكام وركنوا إليهم ليسلم لهم شرفهم وجاههم وتسلم لهم مناصبهم ومعاهدهم وجامعاتهم، زاعمين أن ذلك لمصلحة الدعوة، فإذا كان كل هؤلاء السادة والكبراء قد ضحوا بكل القضية الفلسطينية، فإننا غير معفيين من المسؤولية بل هي معلَّقة برقابنا ورب الكعبة، وكل واحد منا مسؤول بحسبه عن وفاة أهلنا المستضعفين في غزة.....)

وأما بالنسبة لمخاطبة الإمام المجدد إلى فئات وشرائح الأمة المختلفة فنبين ذلك في مباحث وعناوين مستقلة لأهمية ذلك في المباحث الآتية:

مخاطبة العلماء

أول فئة من فئات الأمة نذكر مخاطبة الإمام المجدد لهم هم فئة العلماء فلهم أكبر وأعظم الأثر في حياة الأمة كما هو معلوم ومقرر عند الجميع.. وتحت هذا العنوان هنا سأقتصر على ذكر أمثلة على مخاطبة الإمام المجدد -رحمه الله- للعلماء فسيأتي الحديث عن العلاقة والموقف من العلماء بمباحث مستقلة -بإذن الله-..

حيث قال -رحمه الله- في "ندوة: الأمة الإسلامية في مواجهة الحملة الصليبية الجديدة": (فأقول: كان لا بُدَّ من الأمراء والعلماء أن يقوموا بتحشيد وحشد الأُمَّة وهنا اتضح لنا أن الأمراء هم قد خانوا الأُمَّة، والله سبحانه تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.

الله سبحانه وتعالى نهانا عن الخيانة ولا بُدَّ من النصح للأُمَّة فلم يبق إذاً معنا إلا العلماء الصادقين، هؤلاء يتعيَّن عليهم أن يسعوا لإنقاذ الأُمَّة ويتعيَّن عليهم أن ينتبهوا منهم ... بعضهم لكي يسعوا في تنصيب إمامٍ للأُمَّة لمواجهة الكفر العالمي ومن هنا نفقه الطريق الذي ينبغي علينا أن نسلكه وينبغي على الناس في حالة غياب الإمام كما ذكر أهل العلم ومنهم ما سطره إمام الحرمين الجويني -رحمه الله- في كتابه "غياث الأُمم في التياث الظلم"، قال: إذا خلى الزمان عن سلطان وجب على أُلي الأحلام والحِجى أن يُؤمروا عليهم أحدهم ليحكم بينهم بما أنزل الله، كلامٌ هذا معناه.

فأقول: ينبغي على المســـلمين في العالم الإســـلامي أن تجتمع الطاقات فيهم حول خيارهم لتشكيل لجان ولتنصيب قضاة يحكمون بينهم بما أنزل الله، ولتشكيل لجان لتحريض الأُمَّة وتعبئتها في معاداة اليهود والنصـــارى وفي مقاطعة البضـــائع اليهودية والبضـــائع الأمريكية وكل ما من شـــأنه أن ينكأ في العدو وهناك واجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة فإن هذه الأُمَّة تتحمل المسؤولية جميعاً.

كما صحَّ عن نبينا ﷺ قوله: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته».

وصحَّ عنه كما في صحيح مسلم –عليه رحمة الله– عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه – قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان».)

وقال –رحمه الله– في "رسالة إلى الأمة الإسلامية – بعد عام؛ الفشل الأمريكي في أفغانستان": (فيا أيها العلماء الصادقون والدعاة والمصلحون: أنتم الذين يجب أن تتقدموا الصـــفوف، وتقودوا الأمة، وتوجهوا المســـيرة؛ فذلك هو مقتضـــى وراثتكم للنبوة.

إن واجبكم الأول هو بيان الحق للأمة، والصـــدع به في وجوه الظلمة دون مواربة أو خوف؛ فذلك هو مقتضـــى الميثاق الذي أخذه الله عليكم ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَه**﴾.

إن أهمية وظيفتكم هذه تنبع من خطورة عملية التدليس والتضليل التي يمارسها علماء السلطة وسدنة الحكام من المتاجرين بالدين الذين لبّسوا على الأمة أمرها، وباعوا دينهم بعرض من الدنيا.

إن عليكم أن تؤجلوا كل خلاف يعوق عن العمل، وكل نزاع يؤدي إلى الفشل، وعليكم أن تحسموا الشك باليقين، والتردد بالعزم، وأن تسارعوا وتبادروا، فإن عجلة الأحداث لن تنتظر أحداً.

إننا ونحن نوجه إليكم هذا النداء نستنهض هممكم ونستحث عزائمكم، ندرك تماماً أن هنالك بعض الخلافات في مناهج التغيير بين العاملين للإسلام لا يمكن تجاهلها، ولكن من غير المقبول ولا من المعقول أن نظل حبيسين لبعض الخلاف في المسائل الجزئية والقضايا الفرعية معطلين العمل بمحكمات الدين وكليات الشرع في مثل هذه الفترة العصيبة من تاريخ الأمة.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى مؤتمر علماء الديوبند في بيشاور": (إلى أصحاب الفضيلة العلماء:

أبعث هذه الكلمات إلى لقائكم الإسلامي الحاشد فقد اجتمعتم من أماكنَ بعيدة وأصقاعٍ مختلفة تعبيراً عن وحدةِ الإسلام التي لا تعترف بالأجناس والألوان ولا تقم وزناً للحدود والسدود، إنكم الآن تجتمعون تجسيداً لمعنى عظيم في هذا الدين معنى الاجتماع على الحق لنصرة الحق وأهل الحق، واجتماعكم هذا يأتي في وقتٍ عصيبٍ جداً، يأتي وما في أمتنا موضع شبرٍ إلا وفيه طعنة برمحٍ أو ضربة بسيف أو رمية

بسهم، يأتي اجتماعكم هذا في وقتٍ قد يَئِسَت الأمة الإسلامية من المؤتمرات الرسمية وأصـــحابها التي تقيمها الدول العربية والإســـلامية ذراً للرماد في العيون، يزعمون أن ذلك من أجل الدفاع عن دينها وعن حقوقها، ولكن بعد مرور عشـــرات الســـنين ومقدسات الإسلام ترزح تحت قوى الكفر الصليبية واليهودية توصل أفراد الأمة إلى يقين أن هذه المؤتمرات لا تقدم شـــيئاً ووصـــلوا إلى قناعة بعجز هذه الحكومات وحكامها وعمالتها وتواطئها مع أعداء الأمة، وما مؤتمر شـــرْم الشـــيخ الأول الذي تنادى فيه المؤتمرون من أئمة الكفر العالمي وحلفائهم وعملائهم من حكام المنطقة وأدانوا الأطفال الأبرياء، أدانوا الضـحية وأدانوا المظلوم ونصـروا الظالم إلا دليلاً بينا على ذلك، لذا فإن أعناق الأمة اليوم مُشـرَئِبة نحوكم تنتظر الفتوى التي تُبَيِّن السـبيل للخروج من هذا التيه.

إن الأمة تنتظر منكم فتوى بَيِّنَة المعاني تنتظر خطة واضـحة المعالم لتسـير عليها حتى تدفع هذا العدوان عن نفسها وعن مقدساتها وعن أبنائها، فهل أنتم فاعلون.

يا أصحاب الفضيلة ...

أبعث إليكم هذا النداء في وقت تســـتباح فيه الدماء حتى دماء الأطفال الأبرياء، وتنتهك فيه الحرمات الإســـلامية في أكثَرَ من مكان تحت إشـــرافِ النظامِ العالمي الجديد ورعايةِ الأمم المتحدة التي أصـــبحت أداةً مكشـــوفةً لتنفيذِ مخططاتِ الكفر العالمي ضـد المسـلمينَ، هذه المنظمة التي تشـرفُ بكل كفاءةٍ على إبادة وحصـار ملايين المسلمينَ ثم لا تستحي أن تتحدث عن حقوق الإنسان!!

إن رسـولَ الله ﷺ يقول في الحديث الذي رواه البخاري: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشــاش الأرض حتى ماتت»! هذا في هِرة يا عباد الله فكيف بمن حبس شـعوب مسـلمة وفرض عليها الحصــار حتى الموت؟، اللهم إني أبرأ إليك مما صـــنع هؤلاء وأعتذر إليك عن قعود المســـلمين عن نصـــرة إخوانهم المحاصَرين.

يا علماء الإسلام:

إن هذه الجِراح مهما كانت غائرة، وهذه الأزمات ولو كانت متكاثرة، فإن الثقة بالله عظيمة، وقد وعد بنصــــر دينه، وبشــــر بأنه لا تزال طائفة من أمة النبي محمد ﷺ ظاهرين على الحق يقاتلون عليه لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

فـالواجب كمـا لا يخفى عليكم هو الصــــدع بالحجة، وبيان المحجة لهذه الجموع المنتظرة، والتي تشرئب أعناقها تطلعاً لكم

علموهم أنه لا عز ولا نصر إلا بالجهاد في سبيل الله.....)

مخاطبة المجاهدين

وقد خص الإمام المجدد فئة المجاهدين بمزيد عناية وتوجيه فهي طليعة من طلائع الأمة يذودون عن دينها وعرضها وأرضها فهم سياج الأمة وسورها المتين.. ومن الأمثلة على ذلك قوله -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (فيا أيُّها المجاهدون: اصبروا وصابروا واحتسبوا، فهذا طريق الأنبياء، هجرةٌ ودماءٌ، وقتالٌ وأشلاءٌ، تخيفون العدو ويخيفكم، ولا يخفى عليكم أنَّ أكثر قضايا الأمَّة اليوم سخونة؛ الجهاد في فلسطين والعراق فاحرصوا كل الحرص على نصرتهم.

وإنَّ استنزاف أمريكا اليوم في العراق اقتصاديًّا وبشريًّا ومعنويًّا فرصة ذهبية نادرة فلا تضيِّعوها فتندموا، كما أَنَّ من أكبر الأسباب الدافعة لأعدائنا للهيمنة على بلادنا؛ سرقة نفطنا، فابذلوا كل ما تستطيعون لإيقاف أكبر سرقة تتمُّ في التاريخ لثروات الأجيال الحاضرة وأجيال المستقبل بالتواطؤ بين الدخلاء والعملاء، فهم يأخذونه بثمن بخس، مع العلم أنَّ جميع السلع تضاعفت أسعارها عدة مرات إلا النفط -وهو أساس الصناعة- انخفضت أسعاره عدة مرات، فبعد أن كان يُباع قبل عقدين بأربعين دولارًا، بيع بتسعة دولارات في العقد الماضي بينما كان ينبغي أن يكون سعره اليوم على أقل تقدير مائة دولار، فاجتهِدوا وحُولُوا بينهم وبينه، وركِّزوا عملياتكم عليه وخاصَّة في العراق والخليج فذلك حتفهم.)

وقال في "إلى أهلنا بالعراق": (فيا أيها المجاهدون: إن اســـتمراركم في هذا الجهاد المبارك له ما بعده، فوراء الأكمة ما ورائها، فالدنيا بأســـرها تتابع انتصـــاراتكم العظيمة، وهي تعلم أن تاريخها قد بدأ صفحة جديدة، وبتغيرات كبيرة، وسيعاد رسم خريطة المنطقة بأيدي المجاهدين -بإذن الله- وتمحى الحدود المصـــطنعة بأيدي الصـــليبيين؛ لتقوم دولة الحق والعدل، دولة الإســـلام الكبرى من المحيط إلى المحيط -بإذن الله-.

وهذا المطلب، عزيز جداً؛ فالكفر بجميع مســـتوياته: الدولية، والإقليمية، والمحلية، تتضـــافر جهوده للحيلولة دون قيام دولة الإســـلام، ولقد مر إخوانكم بعدة تجارب -لا تخفى عليكم- ورأينا ذلك رأي العين، فقد حال العدو دون قيام دولة للمســـلمين، بعد انهزام الروس في أفغانســـتان، ثم لما أقامت حركة طالبان دولتها؛ حاصرها العدو، ثم كر عليها وأسقطها. وعندما أعلنت السودان أنها ستبدأ بتطبيق الشريعة الإسلامية تضافرت جهود الكفر العالمي مع دول المنطقة العميلة بالضغط عليها إلى أن تراجعت عن ذلك.)

وقال في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (أوصي نفسي والمجاهدين بتقوى الله في الســـرِّ والعلن، وبالذكر وقراءة القرآن، وكثرة الدعاء والتضـــرُّع إلى الله تعالى، كما أوصي نفسي وإيَّاكم بالصبر، واجتناب الغدر، فإنَّ لكل غادر لواء ينصب له يوم القيامة، والحذر الحذر من الدماء المحرَّمة إلا ما أباحه الشرع؛ كمسألة التترس من غير توسُّـــع، والتي يقدِّرها فقهاء المجاهدين، فإنَّنا إنَّما نتعرَّض لنصـــر الله بالتقرُّب إليه بالطاعات، والبعد عن المعاصـــي، ثم إنِّي أحثُّكم على ضـــرب خطوط الإمداد،

وخطوط النفط وزراعة الألغام المضـــاعفة، التي لا تبقي جريحًا، واغتيال أصـــحاب الشـركات الذين يمدُّون العدو بما يحتاج، ســواءً في الرياض أو الكويت أو الأردن أو تركيا أو غيرها.

وعليكم بالاجتهاد في العمليات الاســتشــهادية، تلك العمليات التي كانت ســببًا عظيمًا بفضل الله في إرعاب العدو، وإرباك حركته، وإفشال مخططاته، وتحدَّت جميع عُدده وعَدده فهذه من أهمِّ الأعمال.)

مخاطبة الشباب وبيان أهمية دورهم في الدعوة والجهاد والإصلاح

وكان من المعالم البارزة في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- التركيز على دور الشباب في الصحوة الإسلامية وأثرهم الكبير في مجريات الصراع بين الحق والباطل فمن أحسن استثمار دور الشباب يكسب عاملاً من أهم عوامل النصر..

جاء في "البلاغ تحاور: قائد المجاهدين العرب أسامة بن لادن": (- وماذا عن إعداد الشباب العربي للجهاد؟

أسامة ابن لادن: أمر الإعداد هو واجب شرعي وهذا فرض على المسلمين لكي يعدوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله وللذود عن هذا الدين وإخراج الكفر الذي عم معظم ديار المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله، لأن الجهاد متعين كما أفتى بذلك الأئمة الفقهاء وقد ذكرنا فتوى ابن قدامة في المغني وأيضاً فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية وأيضاً من المعاصرين فتوى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فإذا تعين الجهاد يتعين الإعداد له، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقد أفتى أيضاً الشيخ محمد بن صالح العثيمين (عضو هيئة كبار العلماء في السعودية) وقال: (هذا أمر مفروغ منه لأن إعداد الشباب المسلم المؤمن إعداداً كاملاً في النواحي الإيمانية والإعداد للقتال والتدريب أمر واجب على المسلم وبرنامج التدريب عند الإخوة العرب في أفغانستان أدنى الكمال أن يتدرب الأخ القادم شهراً، فإذا تيسر له شهراً ونصف فهو أولى وكل مسلم عنده إجازة شهر ولو كان موظفاً حكومياً ناهيك عن

طلاب المدارس فباستطاعة كل إنسان أن يذهب هذه السنة شهر وإذا تيسر له السنة القادمة يكمل شهر آخر فيزداد تدريباً.)

والإعداد واجب لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ فالقوة هنا واضحة بينة لا يقول مسلم بأنها لغير القتال وقد صح عنه ﷺ في الحديث الصحيح بعد أن ذكر هذه الآية أنه قال: «ألا إن القوة الرمي... ألا إن القوة الرمي».

ويقول: «ارموا بنو إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» وممن قال أيضاً بوجوب الإعداد الشيخ عبد الرحمن الدوسري عليه رحمة الله حيث يقول في كتابه "الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم" صفحة ٢٦٨ طبعة دار القلم: (وجب الإعداد حسب الاستطاعة فهو من واجبات الدين ولوازم إقامته والعابد الصحيح لله سبحانه وتعالى كما يذكر لا يتعوره تسويف.)

أي لا يسّوف يقول غداً أو بعد غد، فالمؤمن الصحيح ينبغي أن يكون مستعداً حيث ينصر راية التوحيد، والعابد الصحيح لا يعترضه تسويف فضلاً عن الإهمال أو الترك، وهنا بفضل الله التدريب متيسر على جميع أنواع الأسلحة الشرقية من المسدس إلى المعدات الثقيلة إلى الدبابات وأيضاً هناك تدريبات مهمة جداً يستفيد منها المسلم ويكون قوة بإذن الله لنصرة هذا الدين.)

وقال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (فأما اليوم فهناك خلل في طريقة المحافظة على هذا الدين، وفي تفعيل الطاقات لنصرة هذا الدين، فالآن أصبح الذي يقعد

عن نصرة الدين لا يشعر بالإثم، بل هو يشعر أنه في طاعة، ولا يشعر بسوءة هذه الكبيرة العظيمة التي جاء فيها عشرات الآيات تهدد وتحذر، وترغب في هذه الطاعة، وتوبخ من يقعد عنها، وتقرّع الذين يركنون إلى الدنيا، ومن كان الذي يُهدَد؟ صحابة رسول الله ﷺ تهديداً تلو التهديد ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ**﴾، هذا توبيخ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيل**﴾.

هل يجترئ أحدٌ منا اليوم أن يقول لأبيه أو لعمه أو لشيخه؛ "أأنت رضيت بالحياة الدنيا؟! هذه فلسطين منذ ثمانين سنة ما أطلَقت فيها طلقة! ولا غّبرت قدمك يوماً من الأيام! فأنت من الذين رضوا بالحياة الدنيا!" لا أحد يستطيع ان يقول ذلك. هناك خلل عام في فهم الصحوة حول الطرق التي يحافظ بها على الدين، والآيات كما ذكرت إذا تتبعناها كثيراً.

والشباب الذين عندهم القدرة على فداء الدين وعلى التضحية من أجل الدين، للأسف الشديد عندهم خلط في السمع والطاعة لعلماء الإسلام القاعدين، فالقاعد لا يسمع له ولا يطاع، فمن هنا هذه الطاقات تبقى معطلة، ويصرفونهم عن الواجب المتعين إلى فرض كفاية؛ كطلب العلم، لو أصبح كل الناس علماء لن يقوم الدين إلا بالجماعة والسمع والطاعة والنصرة والجهاد.

فمن هنا نحن بحاجة إلى أن نُفهّم الشباب أن قياداتهم العلمية هي راضية بالدنيا، هي تفر من واجب ثقيل تذمّر منه بعض صحابة رسول الله ﷺ، والله سبحانه

وتعالى يبين ذلك بقوله: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾.

الصحابة رضي الله عنه لما خرجوا يوم بدر خرجوا على أنهم سيأخذون العير للتجارة، فلما بلغهم أن قريشاً قد خرجت في ألفٍ كَرِهِ بعضهم ذلك، فقال رسول الله ﷺ -كما يروي أبو أيوب- فقال: «أشيروا علي أيها الناس؟»، فقال: أظهرنا كرهنا للقاء العدو. فقلنا: يا رسول الله ما خرجنا لقتال عدو ولا طاقة لنا بهم، وإنما خرجنا للعير، فقال: «أشيروا علي أيها الناس؟»، فكررنا ذلك، فقال: «أشيروا علي أيها الناس؟»، فتكلم المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! إذاً لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلن عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك.

فإذا كان الصحابة الكرام الذين عاشوا في جو القتال والجهاد؛ القتال بين الأوس والخزرج أخذت منهم الشيء الكثير وهي عبر عشرات السنين، وجاء الإسلام وهم في مطاحنات لها أول ليس لها آخر، وكان القتل أمراً ليس ذي بال كبير عند الأوس والخزرج في الجاهلية. وجاء الإسلام ليحثهم على ذلك بالجهاد.

فكيف بنا اليوم تتشابه القلوب وتتواطأ كلها -إلا من رحم الله- على القعود عن نصرة الله.

يجب أن يفهم الشباب أن هناك خللاً كبيراً، وأن هؤلاء لا بد أن نصفهم بالصفات التي وصفهم بها الله سبحانه وتعالى.)

وقال في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين - أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (وقبل الختام لنا حديثٌ هامٌّ، وهامٌّ جدًّا مع شباب الإسلام، رجال المستقبل المشرق لأمَّة محمَّد عليه الصلاة والسلام، حديثنا مع الشباب عن واجبهم في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ أمَّتنا، هذه المرحلة التي لم يتقدَّم فيها لأداء الواجبات في جميع الاتجاهات إلا الشباب -حفظهم الله-، فبعد أن تردَّد بعض الذين يُشار إليهم بالبنان عن أداء الواجب للذود عن الإسلام، ولإنقاذ أنفسهم وأموالهم من الظلم والبغي والقمع الذي تمارسه الدولة، مع استخدام الإعلام لتغييب وعي الأمَّة، تقدَّم الشباب -حفظهم الله- لرفع راية الجهاد عالية خفَّاقة ضد التحالف الأمريكي اليهودي الذي احتل مقدسات الإسلام في الوقت الذي تقدَّم غيرهم -نتيجةً لإرهاب الدولة لهم، أو من زلَّت أقدامهم طمعًا في دنيا فانية- تقدَّموا ليضفوا الشرعية على هذه الخيانة العظمى والمصيبة الكبرى على احتلال بلاد الحرمين -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، ولا غرو ولا عجب من هذا الإقدام، وهل كان أصحاب محمَّد ﷺ إلا شبابًا، وهؤلاء الشباب هم خلَفُ أولئك السلف، وهل قتل فرعون هذه الأمَّة -أبا جهل- إلا الشباب؟

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: (إنِّي لفي الصف يوم بدر، إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتَيان حديثا السنِّ، فكأنِّي لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: فما تصنع به، قال: أُخبرتُ

أنَّه يسبُّ رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منَّا، فتعجَّبتُ لذلك، قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، الله أكبر، هكذا كانت همم الفتيان رضي الله عنهم، وهكذا كانت همم آبائنا، فهذان فَتَيان صغيرا السنِّ كبيرا الهمَّة والجرأة والعقل والغيرة على دين الله، يسأل كل واحد منهما عن أهم مقتَل للعدو ألا وهو قتل فرعون هذه الأمَّة وقائد المشركين في بدر -أبي جهل-، وكان دور عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هو دلالتهما على أبي جهل، وهذا هو الدور المطلوب من أهل المعرفة والخبرة بمَقَاتِل العدو، أن يرشدوا أبناءهم وإخوانهم إليها، وبعد ذلك سيقول الشباب كما قال سلفهم: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منَّا، وفي قصة عبد الرحمن بن عوف مع أميَّة بن خلف يظهر مدى إصرار بلال رضي الله عنه على قتل رأس الكفر، حيث قال: رأس الكفر أميَّة بن خلف، لا نجوت إن نجا.)

وقبل أيام نقلَت وكالات الأنباء تصريحًا لوزير الدفاع الأمريكي الصليبي المحتل، قال فيه إنَّه تعلَّم درسًا واحدًا من انفجاري الرياض والخبر، وهذا الدرس هو عدم الانسحاب أمام الإرهابيين الجبناء، فنقول لوزير الدفاع: إنَّ هذا الكلام يُضحك الثكلى التي مات وحيدها، وظاهرٌ منه حجم الخوف الذي يعتريكم، وأين هذه الشجاعة الزائفة (في بيروت) عام ١٤٠٣هـ الموافق لعام ١٩٨٣م، والتي جعلتكم شذر مذر وقِطَعًا وأشلاءً بمقتل ٢٤١ جنديًّا؟! وأين هذه الشجاعة الزائفة في عدن

بعد حادثي انفجار جعلاكم تخرجون لا تلوون على شيء في أقل من أربع وعشرين ساعة؟!

ولكن فضيحتكم الكبرى كانت في الصومال، فبعد ضجيج إعلامي عنيفٍ لعدة أشهر عن قوة أمريكا بعد الحرب الباردة، وتزعمها للنظام العالمي الجديد، دفعتم بعشرات الألوف من القوات الدولية منها ثمانية وعشرون ألف جندي أمريكي إلى الصومال، ولكن بعد معارك صغيرة، قُتل فيها بضع عشرات من جنودكم، وسُحِلَ طيَّار أمريكي في أحد شوارع مقديشو، خرجتم منها مهزومين مدحورين تحملون قتلاكم، وتجرُّون أذيال الخيبة والخسران والهوان، ولقد ظهر "كلينتون" أمام العالم يتهدَّد ويتوعَّد بأنَّه سينتقم، بينما كان ذلك التهديد تمهيدًا للانسحاب، وقد أخزاكم الله وانسحبتم، وظهر جليًّا مدى عجزكم وضعفكم، ولقد كان منظركم وأنتم تنهزمون في هذه المدن الإسلامية الثلاث -بيروت وعدن ومقديشو- يُدخِل السرور على قلب كل مسلم، ويشفي صدور قومٍ مؤمنين.

وأقول: لئن كان أبناء بلاد الحرمين قد خرجوا لقتال الروس في أفغانستان والصرب في البوسنة والهرسك، وهم يجاهدون اليوم في الشيشان وقد فتح الله عليهم ونصرهم على الروس المتحالفين معكم، ويقاتلون بفضل الله أيضًا في طاجكستان، أقول: لئن كان أبناء الحرمين عندهم شعورٌ وإيمانٌ بضرورة الجهاد ضد الكفر في كل مكان، فهم أكثر ما يكونون عددًا وقوةً وحماسةً على أرضهم التي وُلدوا عليها للدفاع عن أعظم مقدساتهم؛ الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين أجمعين، ويعلمون أنَّ المسلمين في

العالم أجمع يُناصِرونهم ويؤازرونهم في قضيتهم الكبرى، قضية كل المسلم؛ ألا وهي تحرير مقدساتهم.

وأقول لك يا "وليام": إنَّ هؤلاء الشباب يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة، وقد ورثوا العزَّة والإباء والشجاعة والكرم والصدق والإقدام والتضحية كابرًا عن كابر، وإنَّهم لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، وقد ورثوا هذه الصفات عن أجدادهم في الجاهلية وجاء الإسلام فأقرَّ تلك الأخلاق وكمَّلها، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» [صحيح الجامع الصغير]، وعندما أراد الملك عمرو بن هند أن يذلَّ عمرو بن كلثوم أخذ عمرو بن كلثوم السيف وقطع رأس الملك؛ رافضًا للذلِّ والهوان والضيم، وأنشد قصيدة منها:

إذا ما المِلْكُ سَامَ الناسَ خسفًا   أبيْنا أن نُقِرَّ الذلَّ فينا
بأيِّ مشيئة عمرَو بنَ هندٍ   تريدُ بأن نكون الأرذلينا
بأيِّ مشيئة عمرَو بنَ هندٍ   تُطيعُ بنا الوُشَاةَ وتزدرينا
فإنَّ قناتنا يا عمرُو أعيت   على الأعداء قبلك أن تلينا

هؤلاء الشباب يؤمنون بالجنة بعد الموت، ويؤمنون بأنَّ الأجل لا يقدِّمه إقدامهم على القتال ولا يؤخِّره تأخُّرهم، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً**﴾، ويؤمنون بحديث رسول الله ﷺ -كما في صحيح الجامع الصغير-: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّة لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ

يَضُـــرُّوكَ بِشَـــيْءٍ لَمْ يَضُـــرُّوكَ إِلَّا بِشَـــيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

ويتمثَّلون قول الشاعر:

إذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جبانًا

وقول الآخر:

من لم يَمُتْ بالسيف مات بغيره تعدَّدت الأسباب والموتُ واحدُ

هؤلاء الشباب يؤمنون بما أخبر الله به ورسوله ﷺ عن عظيم أجر المجاهد والشهيد، حيث يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾، ويقول تعالى أيضًا: ﴿**وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾، ويقول رسول الله ﷺ -كما في صحيح الجامع الصغير-: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، ويقول أيضًا -كما في مسند الإمام أحمد-: «أفضل الشهداء الَّذِينَ إِنْ يَلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»، ويقول أيضًا -كما في صحيح الجامع الصغير-: «الشَّهِيدُ لا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ، إلا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرْصَةِ»، ويقول أيضًا ﷺ -كما في مسند الإمام أحمد-: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ خِصَالاً، أَنْ يُغْفَرَ لَهُ مِنْ أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ

الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ».

هؤلاء الشباب يعلمون أنَّ أجرهم في قتالكم مضاعفٌ عن أجرهم في قتالِ غيركم من غير أهل الكتاب، ولا همَّ لهم إلا دخول الجنة بقتلكم، فلا يجتمع الكافرُ وقاتلُه في النار.

وهم يردِّدون ويرتِّلون قوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾، وقول رسول الله ﷺ وهو يحرِّض المسلمين في بدر: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، وقوله لهم بعد ذلك: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ»، وهم يرتِّلون أيضًا قوله تعالى: ﴿**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾، وهؤلاء الشباب لا يحبُّون الكلام معكم، والعتاب لكم، لسانُ كل واحدٍ منهم يقول لكم:

ليس بيني وبينكم من عتاب   سوى طعن الكلى وضرب الرقابِ

وهم يقولون لك ما قال جدُّهم أمير المؤمنين هارون الرشيد لجدِّك "نقفور" عندما تهدَّد وتوعَّد المسلمين في رسالته إلى هارون الرشيد، فردَّ عليه هارون الرشيد برسالته التي جاء فيها: (من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى "نقفور" كلب الروم، الجواب ما

ترى لا ما تسمع)، ثم سار بجيوش الإسلام إلى ملاقاة "نقفور" وجيشه، فهزم الله "نقفور" هزيمة منكرة أعزَّ الله فيها أهل الإسلام وأذلَّ أهل الصليب.

فهؤلاء الشباب الذين تقول عنهم إنَّهم جبناء، يقولون لك: لا يُقَعْقَعُ لنا بالشِّنان ولا يُلَوَّحُ لنا بالسِّنان، والجواب ما ترى لا ما تسمع، فهم يتنافسون على قتلكم وقتالكم، كتنافس الأوس والخزرج رضي الله عنهم في قتال المشركين، وقد قال أحدهم:

جيش الصليب غدا هباءً يوم فجَّرنا الخُبَر
بشبابِ إسلامٍ كُمَاةٍ لا يهابون الخطر
إن قِيلَ يقتلكَ الطُّغاةُ يقول في قتلي ظَفَرْ
أنا ما غدرت بذا المليكِ إذ بقبلتنا غَدَرْ
وأباحَ ذا البلدَ الحرام لشرِّ أنجاسِ البشر
أقسمت بالله العظيم بأن أقاتلَ من كَفَر

وهم قد حملوا السلاح على أكتافهم عشر سنوات في أفغانستان، وقد عاهدوا الله على أن يستمروا في حمله ضدَّكم حتى تخرجوا خائبين مهزومين مدحورين -بإذن الله- ما دام فيهم عِرقٌ ينبضُ أو عينٌ تطرف، ولسان حالهم يقول:

غدًا ستعلم يا وليام أي فتىً ... يلقى أخاك الذي قد غرَّه العصبُ
فتىً يخوض غمار الحرب مبتسمًا ... وينثني وسنان الرمح مُختضبُ
لا أبعد الله عن عيني غطارفةً ... إنسًا إذا نزلوا جنًّا إذا ركبوا

ليوثُ غابٍ كن لا نيوبَ لهم إلا الأسنة والهندية القضبُ
والخيل تشهد لي أني أكفكفها والطعن مثل شرار النار يلتهبُ
والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي والطعن والضرب والأقلام والكتبُ

وإنَّ شَتْمَك أحفاد الصحابة رضي الله عنهم بوصفهم بالجبن، وتحدِّيك لهم بعدم الخروج من بلاد الحرمين، فيه عدم اتزان، وتظاهر بالجنون دواؤه عند شباب الإسلام، حيث يُقال فيهم:

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارسَ صدَّقوا فيهم ظنوني
فوارس لا يملُّون المنايا وإن دارت رحى الحرب الزَّبُونِ
وإن حمي الوطيس فلا يبالوا وداوَوْا بالجنونِ من الجنونِ

وإنَّ إرهابنا لكم وأنتم تحملون السلاح على أرضنا هو أمرٌ واجبٌ شرعًا ومطلوبٌ عقلاً، وهو حقٌّ مشروعٌ في أعراف جميع البشر، بل والكائنات الحية، ومَثَلُكم ومَثَلُنا كمَثَل أفعى دخلت دار رجلٍ فقتلها، وإنَّ الجبان من يترككم تمشون على أرضه بسلاحكم آمنين مطمئنين.

وهؤلاء الشباب يختلفون عن جنودكم، فمشكلتكم هي كيفية إقناع جنودكم بالإقدامِ إلى الحرب، أمَّا مشكلتنا فهي كيفية إقناع شبابنا بانتظار دورهم في القتال والعمليات المهمة، فلله دَرُّ هؤلاء الشباب، فهم أهلٌ للمدح والثناء، حيث وقفوا لنصرة الدين يوم أضلَّت الدولةُ كبارَ الناس، واستنزلتهم لإصدار فتاوى ليس لها سندٌ في كتاب الله ولا في سنة نبيه ﷺ بتسليم اليهود المسجد الأقصى وإباحة بلاد الحرمين لجيوش

النصارى، وإنَّ ليَّ أعناق النصوص لن يغيِّر من هذه الحقيقة شيئًا، ففي ذمِّ القاعدين وفي مدح المجاهدين يقول الشاعر:

كفرت بكل من عذلوا وعن درب الهدى عدلوا
ومــن بِنَـديّهِمْ والنــار تـز حــف يكثر الجدلُ
ومــن بِـالوَهـم رغم التِيه ظنُّـوا أنَّهـم وصـلوا
وأكبـرتُ الذين مضوا وعمَّــا شـقَّ ما سـألوا
وعـن غاياتهم رغم اعتسـاف الدرب ما نكلوا
ومـن دمهم أُضيئت في ديـاجي الحَيْرَةِ الشُّعَلُ
أيا مهــرًا يجيد العـدو لم يشمت بـه الكـللُ
وزورق عــزة رغـم اشتـداد المـوج ينـتـقــلُ
وسيفًــا مثل ضــوء البرق يَسْطع حين يُنتضَلُ
رأيتك صــافيًــا والنـاس مغشــوشٌ ومنتحِـــلُ
أنــا ما زال جـرح القـدس في جَنْبَيَّ يعتـملُ
وَوَقْدَ مُصَــابِها كالنــار في الأحشـاء يشتـعلُ
أنـا مـا خـنـتُ عهـد اللهِ لما خــانت الدولُ
وفي ســاحــاتها جاهدت إذ جُلُّ الورى خذلوا

وقد قال جدُّهم عاصـم بن ثابت رضـي الله عنه عندما طلب منه الكفار المفاوضـة وعدم القتال؛ أبى إلاَّ قتالهم فقال:

ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نابلُ   والقوس فيها وَتَرٌ عُنابلُ

الموت حقٌّ والحياةُ باطل   إن لم أقاتلكم فأمي هابلُ

وإنَّ الشباب يعتبرونكم مسؤولين عن كل ما يقوم به إخوانكم اليهود في فلسطين ولبنان من قتلٍ وتشريدٍ وانتهاكٍ لحرمات المسلمين، حيث إنَّكم تمدُّونهم بالمال والسلاح جهارًا نهارًا، وإنَّ أطفال العراق والذين قد مات منهم أكثر من ستمائة ألف بسبب نقص الغذاء والدواء نتيجة حصاركم الظالم على العراق وشعبه هم أطفالنا، فأنتم تتحمَّلون بذلك مع النظام السعودي دماء هؤلاء الأبرياء، كل ذلك يجعل كل عهد لكم معنا منقوضًا، فإنَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام اعتبر صلح الحديبية لاغيًا بعد أن ساعدت قريشٌ بني بكرٍ على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، فقاتل قريشًا وفتح مكة، وقد اعتُبِرَ العهدُ مع بني قينقاع منقوضًا لأسباب منها أنَّ يهوديًّا منهم آذى امرأة في السوق، فكيف بقتلكم مئات الألوف من المسلمين واستباحتكم لمقدساتهم، وبذلك يظهر أنَّ الذين يزعمون أنَّ دماء جنود هذا العدو الأمريكي المحتل لبلاد المسلمين معصومة، إنَّما يردِّدون مُكرَهين ما يمليه النظام عليهم خوفًا من بطشه وطمعًا في السلامة، والواجب على كل قبيلة في جزيرة العرب أن تجاهد في سبيل الله وتطهِّر أرضها من هؤلاء المحتلين، وعَلِمَ الله أنَّ دماءهم مهدورة وأموالهم غنيمة، ومن قتل قتيلاً فله سَلَبُه، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾، والشباب يعلمون أنَّ هذه المهانة التي لحقت بالمسلمين باحتلال مقدَّساتهم لا تزول ولا تُدكُّ بغير الجهاد والمتفجرات، وهم يردِّدون قول الشاعر:

جُدُرُ المذلة لا تُـدَكُّ بغـير زخَّـات الرصـاصِ

والحرُّ لا يُلْقِي القِيادَ لكـل كَـفَّـارٍ وعـاصـي

وبغير نَضْـحِ الدم لا يُمْحَى الهوانُ من النواصي

وأقول لشباب العالم الإسلامي الذين جاهدوا في أفغانستان والبوسنة والهرسك بأموالهم وأنفسهم وألسنتهم وأقلامهم بأنَّ المعركة لم تنتهِ بعد، وأذكِّرهم بحديث جبريل مع رسولنا ﷺ بعد غزوة الأحزاب -كما رواه البخاري-: (فلمَّا انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة لم يكن إلا أن وضع سلاحه، فجاءه جبريل، فقال: أوضعت السلاح؟ والله إنَّ الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإنِّي سائرٌ أمامك أُزلزلُ بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكبه من الملائكة ورسول الله ﷺ على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار...)

كما أنَّ هؤلاء الشباب يعلمون أنَّ من لم يُقتل يمت، وأنَّ أشرف مِيتَة عندنا هي القتل في سبيل الله، ويردِّدون قول جدِّهم الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وخاصة بعد قتْلِ الأبطال الأربعة الذين فجَّروا مركز الأمريكيين في الرياض، أولئك الشباب الذين رفعوا رأس الأمَّة شامخًا، وأذلُّوا أعداءها من الأمريكيين المحتلين بعمليتهم الشجاعة تلك ولسان حالهم يردِّد:

يا نفسُ إلا تُقْتَلي تموتي هَذي حِيَاضُ الموتِ قد صُلِيْتِ

وما تمنيتِ فقد أُعطِيتِ إن تفعلي فعلَهما هُدِيتِ

وقول جعفر رضي الله عنه حيث يقول في مؤتة:

يا حبذا الجنـة واقترابـها طيّبـةٌ وبـاردٌ شـرابـهـا
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها عليَّ إن لاقَيتها ضِرَابُهَا)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (ثم إني أوصـي الشـباب بالاجتهاد في الجهاد، فهم أول المعنيين بفرضيته اليوم كما أشار إلى ذلك الشاطبي رحمه الله في الموافقات.

واعلموا أن استهداف الأمريكيين واليهود بالقتل في طول الأرض وعرضها من أعظم الواجبات وأفضـل القربات إلى الله تعالى، كما أوصـيهم بالالتفاف حول العلماء الصـادقين والدعاة المخلصين العاملين، وأوصيهم بالاستعانة على قضاء حوائجهم بالكتمان، ولا سيما في الأعمال العسكرية الجهادية.)

وقال في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شـهور مِن الضـربات المباركة": (فالأمر واضح بين، وما ينبغي لمسلم عاقل أن يقف في ذلك الخندق تحت أي تأويل من التأويلات، فهذه أخطر وأعنف وأشـرس حرب صـلبية تشـن ضـد الإسـلام، وبإذن الله نهاية أميركا قريبة ونهايتها ليسـت متوقفة على وجود العبد الفقير، أسامة قتل أم بقي، فبفضل الله قد قامت الصحوة وكان من مكاسب هذه العمليات أرجو الله سـبحانه وتعالى أن يتقبل هؤلاء الشـباب في الشـهداء وأن يجمعهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فهؤلاء الشباب قاموا بعمل عظيم جدا، بعمل جليل، جزاهم الله خير الجزاء ونرجو الله أن يكونوا ذخرا لآبائهم وأمهاتهم، فقد رفعوا رأس المسلمين عالياً، وأعطوا أميركا درسا لن تنساه بإذن الله سبحانه وتعالى.

وقد حذرت فيما مضى في لقاء مع قناة ABC أن أميركا بدخولها في صراع مع أبناء الحرمين سوف تنسى أهوال فيتنام، وهذا الذي كان بفضل الله سبحانه وتعالى، وما خفي كان أعظم بإذنه سبحانه وتعالى.

فمن بلاد الحرمين خرج خمسة عشر شابا -نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء- من أرض الإيمان، هنالك أعظم كنز للمسلمين حيث يأرز الإيمان كما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة كما تأرز الحية إلى جحرها، وأيضا خرج اثنان من شرق جزيرة العرب من الإمارات، وخرج آخر من الشام زياد الجراح -نرجو الله أن يتقبله في الشهداء- وخرج الآخر من أرض الكنانة من مصر محمد عطا فنرجو الله أن يتقبل الجميع شهداء.

فهؤلاء في تصرفهم هذا أعطوا دلالات عظيمة جدا، وبينوا أن هذا الإيمان الذي في قلوبهم يستدعي مقتضيات كثيرة، ويستدعي أن تقدم الروح من أجل لا إله إلا الله، فهؤلاء فتحوا بابا عظيما للخير والحق، ومن يقول إن العمليات الفدائية الاستشهادية لا تجوز إنما هؤلاء الذين نسمع أصواتهم في الإعلام إنما يرددون شهوات الطغاة، شهوات أميركا وعملاء أميركا.

أمة من ١٢٠٠ مليون مسلم تنحر من مشرق الأرض إلى مغربها في كل يوم في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي كشمير وفي الفلبين وفي البوسنة والشيشان وفي آسام لا نسمع لهم صوتا، فإذا ما قامت الضحية، إذا ما قام المظلوم يقدم نفسه من أجل دينه ارتفعت أصوات هؤلاء! ١٢٠٠ مليون مسلم

ينحرون لا حس لهم فإذا قام رجل ليذود عن هؤلاء قام هؤلاء يرددون ما يشتهي الطغاة، لا عقل لهم ولا فقه لهم.

وفي حديث الغلام والملك والساحر والراهب دليل واضح على تقديم النفس من أجل لا إله إلا الله، وهنا معنى آخر أن النصر لا يعتبر فقط بالكسب الظاهر الذي غلب على ذهن الناس وإنما النصر هو الثبات على المبادئ.

فأهل الأخدود ذكرهم الله سبحانه وتعالى وخلد ذكرهم في سياق المدح لهم إذ ثبتوا على الإيمان، هُددوا بين الإيمان وبين أن يدخلوا النار، فأبوا أن يكفروا بالله سبحانه وتعالى وأدخلوا النار، وفي نهاية الحديث -حديث الغلام- عندما أمر الملك الظالم أن يقحم هؤلاء في الأخدود، وجاءت تلك الأم المستضعفة تحمل ابنها فلما رأت النار خافت على ابنها وتقاعست فقال لها كما قال عليه الصلاة والسلام، اصبري يا أماه فإنك على الحق.

فهؤلاء لا يقول مسلم بحال من الأحوال ماذا استفادوا؟ ضيعوا أنفسهم، هذا جاهل جهلا مركبا، هؤلاء فازوا برضوان الله سبحانه وتعالى وبجنات الخلد التي وعدهم الله سبحانه وتعالى، فليس النصر هو الكسب المادي فقط، وإنما النصر الثبات على المبادئ.

وفي الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام هذا حديث الغلام، عندما أخذ الغلام الحجر وكان مازال قليل العلم وهو يتردد بين الساحر والراهب، وقطعت الدابة

الطريق على الناس. قال اليوم أعلم أيهما أفضـــل الراهب أم الســـاحر، كان من قلة علمه لم يفقه بعد أيهما أفضل وتطمئن نفسه.

فســـأل الله أن يريه أيهما أفضـــل، فإن كان الراهب أحب إلى الله ســـبحانه وتعالى فليقتل هذه الدابة، فأخذ حجرا ورمى الدابة فقتلها، فجاء الراهب إلى الغلام وقال: يا بني إنك اليوم أفضـــل مني، هذه الكلمة رغم علم الراهب وجهل الغلام ولكن نوّر الله ســـبحانه وتعالى قلب هذا الغلام بنور الإيمان وبدأ يضـــحي من أجل لا إله إلا الله.

هذه الكلمة العزيزة نادرة ينتظرها شـــباب الإســـلام من علمائهم؛ أن يقولوا لهؤلاء الذين حملوا رؤوســـــهم على أكفهم من أجل لا إله إلا الله أن يقولوا لهم قولة ذلك العالم لذلك الغلام، إنكم اليوم أفضل منا.

هذه هي الحقيقة فميزان التفضـــيل في هذا الدين هو كما في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام، ميزان الإيمان ليس جمع العلم فقط بل جمع العلم والعمل به، فميزان الإيمـان «فمن جـاهـدهم بيـده فهو مؤمن» كمـا قـال عليـه الصـــلاة والســـلام، «ومن جاهدهم بلســـانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان» فهؤلاء جاهدوا الكفر الأكبر بأيديهم وأنفســـهم نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.

هؤلاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل...» -رجل هنا نكرة ولكن نور الله قلبه بالإيمان- «ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فزجره فقتله»، كما في صحيح الجامع.

هذا فاز فوزا عظيما لم يدرك التابعين بل لم يدرك الصحابة الكرام رضي الله عليهم، وإنما رفعه الله سبحانه وتعالى إلى منزلة سيد الشهداء فهذا أمر حض عليه رسولنا -عليه الصلاة والسلام- فكيف يمكن لمسلم عاقل أن يقول ماذا استفاد هذا، هذا ضلال مبين نسأل الله العافية.

فهؤلاء الفتية فتح الله عليهم أن يقولوا لرأس الكفر العالمي لأميركا ومن حالفها أنتم على باطل وأنتم على ضلال، وضحوا بأنفسهم من أجل لا إله إلا الله.

فالحديث يطول معنا عن هذه الأحداث العظام ولكنني أختصر كلامي وأركز على أهمية استمرار العمل الجهادي ضد أميركا عسكريا واقتصاديا، وأن أميركا قد تراجعت بفضل الله سبحانه وتعالى وأن النزيف الاقتصادي مستمر إلى اليوم ولكن يحتاج إلى ضربات أخرى وأن يجتهد الشباب في البحث عن مفاصل الاقتصاد الأميركي ويضرب العدو في مفاصله بإذنه سبحانه وتعالى.)

مخاطبة الجماعات الإسلامية

ومن فئات الأمة التي خصها الإمام المجدد بالمخاطبة والنصح الجماعات الإسلامية على مختلف توجهاتها.. وهنا يقتصر حديثي على ذكر أمثلة دالة على ذلك.. وسيكون مزيد تفصيل عن هذا الأمر في مباحث مستقلة -بإذن الله-..

فجاء في "مقابلته مع جمال إسماعيل لقناة الجزيرة": (أسامة بن لادن: بفضل الله سبحانه علاقتنا بالجماعات الإسلامية بالجملة علاقاتٌ جيدةٌ وحسنة، ونحن نتعاون معهم على البر والتقوى لنصرة هذا الدين كلٌ في المجال الذي فتح اللهُ -سبحانه وتعالى- عليه به، ونحن ندعو المسلمين وخاصةً العاملين للإسلام أن يترفّعوا عن المشاكل الجزئية، واستطاعت للأسف شياطين الجن والإنس وبخاصةٍ من الصليبيين أن يصرفوا الدول -فضلًا عن الجماعات الصغيرة فيها- إلى مشاكل إقليمية؛ فتجد أن مصر لها مشاكل مع ليبيا، والسعودية مع اليمن، وكذلك الجماعات تعيش في مشاكل ضيقةٍ في الجملة -إلا من رحم الله-، بينما يقترب الكفر الأكبر والتحالف الصليبي الأمريكي يمزّق العالم الإسلامي، وينهب ثروات المسلمين بشكل لم يسبق له مثيل.)

وقال في "السبيل لإحباط المؤامرات": (فإلى أمتي الإسلامية الغالية عامة، وإلى أهلنا الصابرين المرابطين في جبهات وثغور العراق خاصة، إلى أهل العِلم والفضل، وإلى قادةِ الجماعات المجاهدة وأعضاء مجالس الشورى فيها، وإلى شيوخ العشائر الحرَّة الأبية، وإلى إخواني المجاهدين: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثي هذا إليكم عن المؤامرات التي يحيكُها التحالف الصـــهيوني الصـــليبي بقيادة أمريكا بالتعاون مع وكلائها في المنطقة لســـرقة ثمرة الجهاد المبارك في أرض الرافدين، وما الواجب علينا لإفساد هذه المؤامرات.

لا يخفى عليكم أن أمريكا ما فتئت تسعى بشتى السُّبل العسكرية والسياسية لتثبيت قواتها في العراق، ولما أيقنت بعجزها العســكري زادت من نشــاطها الســياســي والإعلامي لمخادعة المسلمين، وكان من كيدها السعي لإغواء العشائر بشراء ذممهم، لتكوين مجالس الضــرار تحت مســمى "الصــحوات" كما زعموا، فامتنعت عن ذلك عشـــائرُ كثيرةٌ حرة أبية، أبت أن تبيع دينها أو تُدنس شـــرفها، أرجو الله أن يثبتهم على الحق ويجعلهم ذُخراً لنصرة الإسلام وأن يبارك لهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وجزاهم الله خيراً.

بينما استجاب بعض ضعاف النفوس، كان منهم الضـال المضـل عبد السـتار أبو ريشـة وبعض ذويه، فهؤلاء خانوا الملة والأمة، وجَرُّوا على أنفسـهم ومن تبعهم الخزي والفضيحة والعار، عار يتبعهم أبد الدهر ما لم يتوبوا.)

وقال -رحمه الله- في لقاء مجلة بلاغ: (وأخص أيضــــاً طلاب العلم والجماعات الإسلامية والعلماء الذين ساهموا بشيء يسير جداً، فمعظم الذين جاؤوا هم شباب على الفطرة من عامة أقطار العالم الإســلامي خرجوا لنصــرة دينهم، لم يتأولوا الأمور ويأخذوا بالتحليلات العسكرية والسياسية ويبرروا لأنفسهم القعود، فالواحد منهم في نظرنا لا يعد له أي قائد من قادة الجيوش في الدول.

هذا هو واجبنا نحو إخواننا، فإذا قمنا بواجبنا بالقتال والتحريض عليه فالله سبحانه وتعالى يكف بأس الكفار، أخبر بذلك نبيه ﷺ حيث يقول: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾.)

مخاطبة وجهاء الأمة
وأصحاب النفوذ والعشائر

ومن فئات الأمة التي لها أثر ودور كبير حياة الأمة وسير حركة الإصلاح والتمكين فيها وجهاء الأمة وأصحاب النفوذ والعشائر فهؤلاء من الفئات المؤثرة في وضع الأمة بالسلب أو الإيجاب فمن هنا خصهم الإمام المجدد في كلماته وتوجيهاته حيث قال في كلمته الأخيرة "كلمة شهيد الإسلام –كما نحسبه– لأمّته المسلمة":

(فَيَا أَبنَاءَ أُمّتِي المسلِمَة:

أَمَامَكُم مُفتَرَقُ طُرُقٍ خَطِير، وَفُرصَةٌ تَارِيخيّةٌ عَظِيمَةٌ نَادِرَةٌ لِلنُهُوضِ بِالأُمّةِ، وَالتّحَرُّر مِنَ العُبُودِيَّةِ لِأَهوَاءِ الحُكّامِ، وَالقَوَانِين الوَضعِيّةِ، وَالهَيمَنَةِ الغَربِيّةِ.

فَمِنَ الإِثمِ العَظِيمِ وَالجَهلِ الكَبيرِ أَن تَضِيعَ هَذِهِ الفُرصَةُ الّتِي تَنتَظِرُهَا الأُمّةُ مُنذ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ، فَاغتَنِمُوهَا وَحَطّمُوا الأَصنَامَ وَالأَوثَانَ، وَأَقِيمُوا العَدلَ وَالإِيمَان.

وَفِي هَذَا المقَام أُذَكّرُ الصّادِقِينَ بِأَنّ تَأسِيسَ مَجلِسٍ لِتَقدِيمِ الرّأيِ وَالمشُورَةِ لِلشُّعُوبِ المسلِمَةِ فِي جَمِيعِ المحَاوِرِ المهِمّةِ وَاجِبٌ شَرعِيّ، وَآكَدُ مَا يَكُونُ عَلَى بَعضِ الغيُورِينَ الّذِينَ قَد نَصَحُوا مُبكرًا بِضَرُورَةِ استِئصَالِ هَذِهِ الأَنظِمَةِ الظَّالِمَة، وَلَهُم ثِقَةٌ وَاسِعَةٌ بَينَ جَمَاهِير المسلِمِينَ، فَعَلَيهِم البدءُ بِهَذَا المشرُوعِ وَالإِعلَانُ عَنهُ سَرِيعًا بَعِيدًا عَن هَيمَنَةِ الحُكّامِ المستَبِدّينَ، وَإِنشَاءُ غُرفَةِ عَمَلِيّاتٍ مُوَاكِبَةٍ لِلأَحدَاثِ لِلعَمَلِ بِخُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ تَشمَلُ جَمِيعَ حَاجَاتِ الأُمّةِ مَعَ الِاستِفَادَةِ مِن مُقتَرَحَاتِ أُولِي النُّهَى فِي هَذِهِ الأُمَّة، وَالِاستِعَانَة بِمَرَاكِزِ الأَبحَاثِ المؤَهَّلَة، وَأُولِي الأَلبَابِ مِن أَهلِ المعرِفَةِ لِإِنقَاذِ الشُّعُوبِ

الّتِي تُكَافِحُ لإِسقَاطِ طُغَاتِها، وَيَتَعَرّضُ أَبنَاؤُهَا لِلقَتلِ، وَتوجِيهِ الشُّعُوبِ الّتِي أَسقَطَت الحَاكِمَ وبَعضَ أَرَكَانِهِ بِالخُطواتِ المطلُوبَةِ لِحِمَايَةِ الثّورَةِ وَتَحقِيقِ أَهدَافِهَا.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهلنا بالعراق": (أقول لأهلنا في العراق الصـابرين المرابطين في خط الدفاع الأول عن الدين وعن حرمات المسلمين: لقد ازدادت النقم وادلهمت الظُلَمْ. بمثلكم تشـــد أزرها الأمم وترتقي القمم. ادخرتكم الأمة لـدهماء الليـالي؛ لأنكم أســـدها التي لا تبالي، فكنتم أهلاً لها وأولى الناس بها، فأنرتم ظلمتها ببريق ســـيوفكم، وأزلتم غربتها بحســـن وقوفكم، فنفوســـكم أبية كنفس خالد وعلي. شم الأنوف من الطراز الأول.

فيا عشائرنا الحرة الأبية:

يا قومي وهلي، أخلاقكم ذكّرتنا بالرعيل الأول.

صدقٌ وكرم وشجاعة وهمم.

التزام بالعهد ووفاء بالوعد.

تقاتلون الظالم وتجيرون المظلوم، ولو كان في ذلك الموت المحتوم.

إذا نادى المنادي "حي على الجهاد"، اسـتقبلتم المنايا بالعتاد، فودع بعضـكم بعضـا توديع ألا تلاقيا، وكنتم أناساً تتقون المخازياً.

كأنمـا يولـد الندى معهـم   لا صِـغَـرٌ عـاذِرٌ ولا هـرمُ

قوم وصفُ الفحول عندهم   طعن نحور الكماة لا الحلم

أبى لكم إيمانكم أن يجر علوج الروم أقدامهم على ما في العراق من تخوم، وأنفتم أن تتركوا للكفار ســـاحة الدار، وأن تزمجر الدبابات بين دجلة والفرات، فعزمتم على قتالهم حتى الممات، ومن يحرص على الموت توهب له الحياة.

فأثخنتم في العدو إثخاناً، وأمعنتم في قتالهم إمعاناَ، حتى صــاروا ســجناء قواعدهم والمنطقة الخضـراء، يخافون الخطر.. فواصـلوا سـقي جنود الكفر من كأس الموت المر ولا تبقوا منهم على أرض العراق دَيّاراً.

يا عشائرنا الحرة الأبية:

إنكم تصـــاولون وتقاتلون للمحافظة على الملة والأمة، فاحفظوا الأمانة ومن ادخر بأساً ليوم شدة فهذا أوانه، ولن يسلم الحر أمانه.

يا أسـود الحـرب.. يا صقور سـاميـات في السمـاء
صهوات الخيل كانت مهدكم وعليها قد توارثتم إباء

اسمعوا ما قال أعشـى قيس في وفاء وإباء آبائكم الأحرار في يوم ذي قار، فقد أنفوا المهانة والهوان. وأبو أن يسـلموا لكسـرى بنات النعمان ولو أدى ذلك إلى هلاكهم واصــطلامهم جميعاً. فثبتوا وقاتلوا، فكيف بكم؟ وقد من الله عليكم بالإســلام وتمم أخلاقكم ومن بـه عليكم من قبـل على آبائكم ففتحوا العراق من أعلى الفرات إلى أدناه وهزموا كسرى ومن والاه.

قال الأعشى:

وجند كسرى غداة الحن صبحهم   منا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا
لـقـوا ململمة شـهبـاء يقـدمهـا   للموت لا عاجز فيهـا ولا خـرفُ
فـرع نمتـه فـروع غيـر نـاقـصـة   مـوفـق حــازم فـي أمــره أنــفُ
فيـهـا فـوارس محـمـود لـقـاؤهـم   مثـل الأسنـة لا ميـل ولا كشـفُ
لمـا أمـالـوا إلـى النشــال أيـديـم   ملنـا ببيـض فمـل الهام يختـطـفُ
وخيل بكـر فمـا تنفك تطحنهـم   حتـى تولـوا وكـاد اليــوم ينتصـفُ
لـو أن كـل معـدّ كـان شـاركنـا   في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرفُ

فيا عشـــائرنا الحبيبة المهيبة –وأخص بالذكر في هذه الأيام أهلنا في ديالى الذين يتصـدون لحملة الكفر والعمالة– إن الوقوف تحت ظلال السـيوف، رغم ما فيه من حتوف، ذخر عظيم اليوم، ينفعكم يوم الحسـاب غداً، وذلك مقتضـى التقى والورع، وشـرف الدنيا لذلك تبع، فاعملوا لذلك اليوم، ومن صـبر ظفر، وإن الحذر لا يدفع القدر، واســتقبال الموت خير من اســتدباره، والطعن في النحر أكرم من الطعن في الظهر.

فأين الذين يؤثرون الدين على حياة الأنفس والبنين؟

أين أهل التوحيد؟ أين أهل التوحيد ومنكسي راية الكفر والتنديد؟

أين الذين يستعذبون العذاب ولا يهابون الضراب؟

أين الذين يستسهلون الوعرة، ويستحلون المرّة، لأنهم أيقنوا أن نار جهنم أشد حراً؟

أين النافرون لقتال الروم كيوم تبوك؟ أين المبايعون على الموت كيوم اليرموك؟

أين أجناد الشام؟ أين أمداد اليمن؟ أين فرسان الكنانة؟ وأسد حجاز واليمامة؟

هبوا لنصرة إخوانكم وإغاثتهم في بلاد الرافدين بالتنسيق معهم عبر الأدلة الثقات.

فيا أهل العراق، يا راكبي الدهم العتاق وحاملي البيض الرقاق، يا حماة الإسلام، يا أعلام الترك والكرد والعرب، إن أمر الكفر قد اضطرب ووقت فراره قد اقترب، فزيدوا اضطرابه اضطراباً، ورقابه ضراباً، ومكنوا الصارم القرضاباً.

ولقد زاد جنده حامل راية الصلبان، زعم أنه سيهزم جند الإيمان! فاثبتوا -يرحمكم الله- واذكروه كثيراً، فإنه مطلع عليكم، فاصدقوا اللقاء، وليرى منكم ما يتم به الرضا ويغضب العدى.

فلا تفضحوا المسلمين اليوم، فلا تفضحوا المسلمين اليوم.

ستر الله عوراتكم وآمن روعاتكم.

فيا قوم شدوا وجدوا..

فما من الموت بدُ..

نفسي فداكم وأبي والجدُ..)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وهكذا؛ ظهر أنَّ الحكَّام عاجزين وخائنين، وأنَّهم لم يسيروا على منهج الإسلام القويم، بل ساروا وفق أهوائهم وشهواتهم، وهذا هو سبب الانتكاسات في مسيرة الأمَّة خلال العقود الماضية،

وبالتالي يتَّضــحُ لنا جليًّا أنَّ الحلَّ يكمنُ في التمسُّــكِ بدين الله تعالى الذي أعزَّنا الله به خلال القرون الماضية، وتنصيبِ قيادةٍ قويةٍ أمينة تقيم القرآن فينا وترفعُ رايةَ الجهاد حقًّا.

فيجبُ على الصـــادقينَ ممن يعنيهم الأمرُ -كالعلماء والزعماء المطاعين في أقوامهم والأعيانِ والوجهاءِ والتجارِ- أن يتنادوا ليجتمعوا في مكانٍ آمن بعيدًا عن ظلِّ هذه الأنظمة البطَّاشـة، ويشـكِّلوا مجلسًـا لأهل الحلِّ والعقد ليسـدُّوا الفراغ الذي حصـل بسـقوط هذه الأنظمة شـرعًا وعجزها عقلاً، حيث إنَّ الحقَّ في تعيين الإمام إنَّما هو للأمَّة، والحقُّ لها في حملِهِ على الجادَّة إذا انحرف عنها، والحقُّ لها في عزله إذا ارتكب ما يوجب ذلك -كالرِّدَّة والخيانة مثلاً- وهذا المجلس المؤقت يتشكَّل من الحدِّ الأدنى الممكن من الطـاقـات والكوادر دون أن يفتئتوا على بقيـة الأمَّـة -إلا فيمـا تبيحـه الشـريعة في حالة الضـرورة- إلى أن تُسـتكملَ بقيةُ الأعداد عندما تتحسَّـن الأوضـاع بإذن الله، ويكون منهجهم كتاب الله وسـنة رسـوله عليه الصـلاة والسـلام، ويبدؤون بتوجيه المسلمين إلى الأولويات المهمَّة في هذه المرحلة الحرجة، ويأخذون بأيديهم إلى برِّ الأمـان، على أن يكونَ من أولى أولوياتهم توحيـد الكلمـة تحت كلمـة التوحيـد، والدفاع عن بيضة الإسلام وأهله وحياضه، وتحريض المسلمين على الجهاد والإعداد، وتيسـيرِ وصـول السـلاحِ إلى الناس، وخاصَّـة الأسـلحة الخفيفة ومضـادات الدروع كقواذف "الآر بي جي" وألغام الدبابات، وإعلان النفير العام في الأمَّة اســتعدادًا لصـــدِّ غدرة الروم التي بدأت في العراق ولا يُعلم أين ســتنتهي، وحســبنا الله ونعم الوكيل.)

مخاطبة فئة الإعلاميين

ومن فئات الأمة المؤثرة وتلعب دوراً هاماً في مسـيرة الأمة فئة الإعلاميين وخاصـة في هذا الزمان الذي أصـبح الإعلام من أهم محطات الصـراع بين الحق والباطل كما سـنبين ذلك في مباحث مسـتقلة -بإذن الله- ولكن هنا نذكر بعض الأمثلة على مخاطبة الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- للإعلاميين في توجيهاته ودعوته حيث قال رحمه الله في "رسـالة إلى أمير المؤمنين " الملا محمد عمر": (لقد أخذت الجزيرة العربية أهمية كبرى لأسـباب كثيرة أهمها وجود الكعبة المشـرفة قبلة المسـلمين أجمعين والحرم النبوي الشريف.

وكذلك وجود ٧٥./. من نفط العالم في منطقة الخليج، والذي يسـيطر على النفط فإنه يسيطر على اقتصاديات العالم.

وهذا ما يفسر ويوضح الاهتمام العالمي الكبير بهذه القضية، وأيضاً يفسر ويوضح تشـبث القوات الأمريكية وغيرها بالتواجد على أرض الحرمين الشـريفين وتبجحهم بأنهم لن يخرجوا منها ولن يتركوا مصالحهم في هذه المناطق.

ولقد أرسـل إلينا عدد من الهيئات الإعلامية العالمية للقاء بنا، ونرى والله أعلم أن هذه فرصة جيدة لتعريف المسلمين بما يحدق على أرض الحرمين الشريفين، وأيضاً بما يحدث في أفغانستان من تمكين لدينه وتحكيم لشرعه.

ولا يخفى عليكم أن الحرب الإعلامية في هذا العصر هي من أقوى الوسائل بل قد تصل نسبتها في الحروب إلى ٩٠٪ من قوة الإعداد في المعارك.

هذه الأمور وغيرها من مصالح المسلمين التي نود أن يجمعنا الله وإياكم للتشاور فيها، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى.)

وقال -رحمه الله في "رسالة إلى الأمة الإسلامية - بعد عام؛ الفشل الأمريكي في أفغانستان": (وهناك فئة الإعلاميين وأصحاب القلم الذين لهم الأثر البارز والدور الكبير في توجيه المعركة، وكسر معنويات العدو، ورفع معنويات الأمة.

لقد آن الأوان لأن يتبوأ الإعلام مكانه الصحيح، ويقوم بدوره المطلوب في مواجهة هذه الحملة الشرسة والحرب الصليبية المعلنة بجميع وسائله المرئية والمسموعة والمقروءة، وعلى رجال الإعلام كتّاباً كانوا أم صحفيين أم محللين أم مراسلين أن يكونوا على مستوى المسئولية والحدث، وأن يقوموا بدورهم المطلوب في تبصير الأمة، وبيان حقيقة العدو، وكشف مخططاته وألاعيبه وأن يقفوا صفاً واحداً بكل توجهاتهم، فالعدو اليوم لا يفرق بين فئة وأخرى، فهدفه القضاء على كل من له علاقة بالعروبة والإسلام.)

مخاطبة فئة التجار والأغنياء للقيام بواجبهم

وقد كانت فئة التجار وأصحاب الأموال والأغنياء من الفئات المستهدفة بخطابات الإمام المجدد -أسامة بن لادن رحمه الله- ليقوموا بواجبهم في نصرة الدين بما أنعم الله به عليهم فلا يخفى أن المال شريان هام للجهاد والدعوة ونصرة الدين حيث قال -رحمه الله- في مقابلة جمال إسماعيل: (فينبغي على المسلمين، وخاصةً أهل الحل والعقد وأهل الرأي من العلماء الصادقين والتجار المخلصين وشيوخ القبائل أن يهاجروا في سبيل الله ويجدوا لهم مكاناً يرفعوا فيه راية الجهاد، ويُعبِّئوا الأمة للمحافظة على دينهم ودنياهم، وإلا سيذهب عليهم كل شيء.

فإذا لم يعتبروا مما أصاب إخواننا في فلسطين بعد أن كان الشعب الفلسطيني مشهوراً بنشاطه وزراعته التي يصدرها، وحمضياته وصناعة الصابون والنسيج، أصبح ذلك الشعب -وهم إخواننا- مشردين مطرودين في كل أرض، وأصبحوا في الأخير أُجَراءً عند اليهودي المستعمر، من شاؤوا أدخلوه ومن شاؤوا منعوه بأزهد الأسعار، فهذا الأمر خطير.

وإذا لم نتحرك وقد اعتُدي على البيت العتيق وعلى قِبلة ألفٍ ومائتي مليون مسلم فمتى نتحرك؟! هذا أمر عجيب ينبغي السعي فيه. أما من يظن أن هذا الضرب يرغم الحركات الإسلامية فهو واهم، فنحن كمسلمين نعتقد أن الآجال معلومةٌ محدودة، لا تتقدّم ولا تتأخّر منذ أن كنّا في بطون أمهاتنا، وأما الأرزاق فهي بيد اللهِ

-سبحانه وتعالى-، وهذه الأنفُس اللهُ -سبحانه وتعالى- هو الذي خلقها، والأموال هو الذي رزقها ثم اشتراها بالجنة، فعلامَ يتأخر الناس عن نصرةً الدين؟!)

وقال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (وأقول؛ إنني على يقين بفضل الله سبحانه وتعالى أن في الأمة من الطاقات ما يكفي لإقامة الدولة الإسلامية، وإقامة الخلافة الإسلامية، ولكن نحن بحاجة إلى إبلاغ هذه الطاقات؛ أن هذا الأمر واجب عليهم. ونحن بحاجة إلى إبلاغ الطاقات الأخرى المقيدة لهذه الطاقات؛ أنكم تأثمون بتقييد هذه الطاقات. فإذا فقه الشباب وفقه التجار واجبهم فيمكن أن نقوم بالمهمة، فيُرفع الإثم عن باقي الأمة، وأيضاً يرفع الضنك والأذى الذي يصيبنا.

فنحن نريد الناس الذين -كما لا يخفى- يقولون؛ أن الجهاد لا يحتاج إلى جميع الأمة، وهذه كلمة حق، ولكن لم يرد بها الحق، فالجهاد لا يمكن أن يستوعب جميع الأمة اليوم، ودفع العدو الصائل يندفع بجزء يسير جداً من الأمة، هذا حق، ولكن يبقى الحكم أنه فرض عين، وهم يخالفوننا في إطلاق هذا الحكم، يقولون؛ نحن وصّلنا لكم بضعة آلاف لا تستطيعون أن تستوعبوهم! ويقولون؛ ليس من المعقول أن نترك كل الثغرات وكلنا نذهب للجهاد! فمن هنا يظهر بوضوح لوثة العصر، وهي اللوثة المادية، لوثة بروز العقل، فهذه أحكام أجمع عليها الفقهاء من سلف الأمة رحمهم الله، واليوم يخرج علينا فقهاء يعترضون على إجماع الأمة، إذا تعين الجهاد فهو أولى الأولويات بدون شك كما ذكر شيخ الإسلام، فدفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.

فليس هناك وجه في أن تقول؛ إذا ذهبوا جميعهم لم يستوعبهم الجهاد!، هذا ناتج عن خلل غير عادي في الفقه، وهو ناتج عن ركون إلى الدنيا غير عادي، فالأمر إذا تعين؛ مجرد أن يأتي العدد الذي يكفي لدفع العدو الصائل يصبح تلقائياً الجهاد فرض كفاية، فيبقى الباقون الذين تأخروا في ثغورهم وتندفع الضرورة بهذا التحرك.

فهذا للأسف من أكبر العوامل المثبطة عند الصحوة الإسلامية، وهو يظهر في كتاباتهم وفي رسائلهم وفي لقاءاتهم.

ويقولون؛ إن الجهاد عبادة عظيمة، ولكن هناك عبادات أخرى!

هؤلاء ما فقهوا منهج محمد ﷺ وقد ذكرت في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه تلك الدروس وتلك العبر. وأن كعباً رضي الله عنه عندما جلس وقعد في المدينة كان يقوم بكثير من الطاعات وهو في مدينة رسول الله ﷺ وفي الحديث عن نبينا عليه السلام أن طلب العلم في مسجده عليه الصلاة والسلام كالجهاد في سبيل الله، ومع ذلك كله، ومع سابقته في الإسلام وهو من أصحاب بيعة العقبة -وما أدراك ما بيعة العقبة وهي التي تكونت بها الجماعة المسلمة لإقامة الدولة المسلمة- ومع ذلك كله لم يُذكر بأي صفة من هذه الصفات، لأنه عندما يتعين الجهاد لا مجال للطاعات الأخرى لأن تُذكر، وإنما يُذكر في مقابل الجهاد القعود والعتاب والتوبيخ، ولا يُقال "جزاه الله خيراً ذاك في المدينة، ويا حظه يصلي في الحرم" أو "يعطي دروس"! هذا لا يقال لنص القرآن الكريم: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ**

كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية - بعد عام؛ الفشل الأمريكي في أفغانستان": (وهناك فئة التجار وأصحاب الأموال الذين لا يقلون شأناً عن غيرهم في دفع هذه المعركة نحو هدفها المنشود ومطلبها المقصود من التمكين لدين الله في الأرض وتطبيق شرعه، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون﴾**.

معاشر التجار وأصحاب الأموال:

إن إنفاقكم في سبيل الله اليوم واجب شرعي ومطلب ملح يفرضه عليكم انتماؤكم لدينكم وأمتكم، والمال الذي ستنفقونه وإن قل سيوقف سيلاً جارفاً يريد تدميرنا جميعاً.

معاشر التجار وأصحاب الأموال:

إن دينكم اليوم يناديكم، وإخوانكم يستنصرونكم، والله ناظر إليكم فيما استخلفكم فيه **﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾**.)

وقال -رحمه الله- في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة": (فما أحراك أمتي أن تضعي يدك بيد أبنائك المجاهدين لنواصل الجهاد ضد أعداء الدين ومواصلة

استنزافهم في هاتين الجبهتين وغيرها من الجبهات المفتوحة أمامك مع التحالف الصليبي الصهيوني ووكلائه في المنطقة في فلسطين والعراق وأفغانستان ووزيرستان والمغرب الإسلامي والصومال، فواجبك دعمها جميعاً بالنفس والمال إلى أن تتم الكفاية، فقد خبرتُ الجهاد بفضل الله وأعرف تكاليفه المالية، فزكاة تاجر واحد من كبار تجار المسلمين تكفي لمصاريف الجهاد في جميع الجبهات المفتوحة اليوم ضد أعدائنا، وللجهاد سهم في الزكاة كما تعلمون، فالسعيد من وفقه الله تعالى ليكون سبباً في نصرة دينه والذود عن رسوله وإنقاذ أمته ﷺ، وما أشبه حال عسرة المجاهدين اليوم بالحال في جيش العسرة في زمن رسول الله ﷺ، إلى أن جاء عثمان -رضي الله عنه- وجهز معظم الجيش، فقال رسول الله ﷺ: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»، فمن ذا يكون عثمان المسلمين في هذه العسرة؟

وإني أعلم أن الكثير من تجار المسلمين لا يمنعهم البخل في أموالهم من الإنفاق في سبيل الله، ولكن يمنعهم من ذلك خشيتهم من أمريكا ووكلائها في المنطقة، وإني أقول لهم هذا ليس بعذر وإنما أنتم في دار ابتلاء واختبار وتذكروا قول الله تعالى: ﴿**أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ**﴾.)

مخاطبة فئة النساء والأطفال

وقد كانت فئة النســاء وأطفال المســلمين من الفئات التي اهتم الإمام المجدد بتوجيه الخطاب إليها وبيان دورها في هذه المرحلة الحاسمة في تاريخ الأمة.. فدور المرأة دور كبير في حياة الأمة فهي مربية الجيل وهي لبنة من لبنات المجتمع المســـلم وهي أم المجاهد والداعية والمصلح أو أخته أو ابنته أو زوجته فصلاحها وقيامها بواجبها عوناً لهم في القيام بواجبهم.. وأما الأطفال فهم جيل الأمة القادم فتربيتهم التربية الراشــدة منذ طفولتهم من عوامل النصر والتمكين..

وفيما يأتي بعض الأمثلة من خطابه لهذه الفئة من المســـلمين وبيان دورها في هذه المرحلة:

قال -رحمه الله- في "رسـالة إلى الأمة الإسـلامية - بعد عام؛ الفشـل الأمريكي في أفغانســـتان": (وهنالك المرأة المســـلمة التي لا يقل دورها بحال عن دور الرجال؛ فيا أيتها الزوجة التي تقتفي أثر خديجة رضـــي الله عنها في الوقوف وراء زوجها في نصـرة الحق.. ويا أيتها الأم التي ترتســم خطي الخنســاء في التضـحية بأبنائها فداء للدين.. ويا أيتها الأخت التي ترتسـم خطى الصـالحات بدفع إخوانهن إلى سـاحات البطولة بكل يقين وثبات.

فأنتن اللواتي حرضـتن ودفعتن، ومن قبل ربيتن كل الرجال الذين جاهدوا في فلسطين ولبنان وأفغانستان والشيشـان، وأنتن اللواتي أخرجتن كوكبة البطولة في غزوتي نيويورك وواشنطن.

وإن كنا ننسى، فلن ننسى بطولة المرأة الفلسطينية المسلمة على أرض الرباط ومواقفها العظيمة والتي عجز عن مثلها كثير من الرجال، حيث لم تضن بزوج ولا ابن في سبيل نصرة الأقصى المبارك، بل قدمت نفسها وبذلت روحها لتنضم إلى قوافل الشهداء حية ترزق عند ربها متجاوزة بذلك كل مغريات الحياة الدنيا وزينتها.

فيا أيتها المرأة المسلمة إننا ننتظر منك اليوم الكثير، ولن تعدمي وسيلة لنصرة دينك وأمتك وسنة نبيك متى ما صدقت مع ربك.)

وقال -رحمه الله- في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين - أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (وأمَّا عن أمهاتنا وأخواتنا ونسائنا وبناتنا فهنَّ يتخذن من الصحابيات الجليلات رضي الله عنهنَّ قدوة لهنَّ بعد رسول الله ﷺ، ويقتبسن من سيرتهنَّ الجرأة والتضحية والإنفاق لنصرة دين الله عزَّ وجلَّ، ويتذكَّرن جرأة وصلابة فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها في الحقِّ أمام أخيها عمر بن الخطاب قبل أن يسلم، وتحدِّيها له بعدما علم بإسلامها بقولها له: (أرأيت إن كان الحقُّ في غير دينك يا عمر)، ويتذكَّرن موقف أسماء بنت أبي بكر يوم الهجرة، حيث شقَّت نطاقها نصفين وعلَّقت بأحدهما السُّفرة التي أخذها رسول الله ﷺ وأبو بكر معهما في رحلتهما إلى المدينة، وسُمِّيت بذلك ذات النطاقين، ويتذكَّرن موقف نُسيبة بنت كعب وهي تدافع عن رسول الله ﷺ يوم أُحد حتى أصابها اثنا عشر جرحًا بينها جرحٌ أجوفٌ في عاتقها، ويتذكَّرن بذل الصحابيات وإنفاقهنَّ لحليِّهنَّ لتجهيز جيوش المسلمين الغازية في سبيل الله، وقد ضربت نساؤنا في هذا العصر مثلاً رائعًا في

الإنفاق في سبيل الله، وفي تحريض أبنائهنَّ وإخوانهنَّ وأزواجهنَّ على الجهاد في سبيل الله، وذلك في أفغانستان، وفي البوسنة والهرسك، والشيشان وغيرها.

فنسأل الله أن يتقبَّل منهنَّ ويفرّج عن أبنائهنَّ وآبائهنَّ وأزواجهنَّ وإخوانهنَّ، وأن يزيدهنَّ إيمانًا ويثبِّتهنَّ على هذا الطريق -طريق التضحية والفداء- لتكون كلمة الله هي العليا، وإنَّ نساءنا لا يرثين إلا الرجال المقاتلين في سبيل الله، كما قال الشاعر:

ولا تَـرْثِيْـنَ إلا لَيـثَ غَـاب شجاعًا في الحروب الثائراتِ
دعوني في الحروبِ أمت عزيزًا فموت العـزِّ خيرٌ من حياتي

وهنَّ يحرِّضن إخوانهنَّ على الجهاد في سبيل الله متمثِّلاتٍ قول الشاعر:

تَأَهَّبْ مثل أُهْبةَ ذي كفاح فإنَّ الأمر جَلَّ عن التَلاحي
أتتركنا وقد كَثُرت علينا ذئاب الكفر تأكل من جناحي
ذئاب الكفر ما فتئَت تُؤَلِّبْ بني الأشرار من شتَّى البِطاح
فأين الحرُّ من أبناء ديني يذود عن الحَرائر بالسلاح
وخيرٌ من حياة الذلِّ موتٌ وبعض العار لا يمحوه ماحِ.)

وقال -رحمه الله- في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين - أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (وننتظر من النساء في بلاد الحرمين وغيرها أن يقمن بدورهنَّ في ذلك بالزهد في الدنيا ومقاطعة البضائع الأمريكية.

وإذا تضافرت المقاطعة الاقتصادية مع الضربات العسكرية للمجاهدين، فإنَّ هزيمة العدو تكون قريبةً بإذن الله، والعكس صحيح؛ فإذا لم يتعاون المسلمون مع إخوانهم المجاهدين ويشدُّوا من أزرهم بقطع التعامل الاقتصادي مع العدو الأمريكي، فإنَّهم بذلك يدفعون إليه بالأموال التي هي عماد الحرب وحياة الجيوش، وبذلك يطول أمد الحرب، وتشتدُّ الوطأة على المسلمين.

وإنَّ كل أجهزة الأمن والاستخبارات في العالم لا يمكنها أن تُرغم مواطنًا على شراء بضائع أعدائه، فالمقاطعة الاقتصادية لبضائع العدو الأمريكي هي سلاح فعَّال للغاية لإضعاف العدو والإضرار به، ومع ذلك فهو سلاح لا يقع تحت طائلة أجهزة القمع.)

وقال -رحمه الله- في "واجبنا تجاه فلسطين": (فهذا هو السبيل يا إخوة الإسلام؛ ينبغي أن نعد أنفسنا للجهاد، وينبغي أن نتدرب على السلاح، وهذا المجال مفتوح بفضل الله في أفغانستان حتى نكون صادقين في نصرة المسلمين هناك في فلسطين.

أما إن تركنا الأمر للكلام وللحوار فلن نصل أبدًا، ستين سنة ولم نفعل شيئًا يُذكر لإخواننا.

ولكن إذا تعلمنا الجهاد وحملنا السلاح فسنُطالب وستُطالب الأمم الإسلامية وسيكون أمرًا طبيعيًّا وبديهيًّا حتى ننصر إخواننا هناك، هذا جانب.

وأما الجانب الآخر: وهو سهلٌ ميسور علينا في هذه البلاد، سهل على الرجال وعلى النساء وسهل على الأطفال أيضًا، وهو مثل الذي فعله أبو بصير -رضي الله

عنه- فهؤلاء لا يفهمون إلا إذا ضربنا اقتصادهم فالمطلوب هو شن الحرب الاقتصادية على أمريكا ومقاطعتها كما يُهددون المسلمين اليوم بقطع المساعدات الاقتصادية، يهددون باكستان إن لم تتخل عن المجاهدين بقطع المساعدات الاقتصادية، وها هم قبل أسبوعين يقطعون المساعدات الاقتصادية عن دولة إسلامية هنا بجوارنا في السودان ويأمرون البنك الدولي أن يقطع مساعداته عن السودان لأنهم فتية أرادوا أن يطبقوا شريعة الله فأبى الكفر ذلك وذهب رئيسهم الأسبق كارتر -أخزاه الله- يدبر المؤامرات في جنوب السودان وما أدراك ما الخطر القادم علينا إن مكثنا هكذا لا نحمل سلاح!)

وقال رحمه الله في "الأمة الإسلامية في مواجهة الحملة الصليبية الجديدة": (فكلنا مسؤولون، وكلنا مجاهدون؛ فالرجل مجاهد والشابُّ مجاهد والمرأة مجاهدة؛ كلٌّ يقوم بما يستطيع بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه.

فينبغي على النساء أن يُرضعوا أطفالنا بُغضَ اليهود والنصارى فإن ذلك براءةً من هؤلاء المشركين أعداء محمد ﷺ، وينبغي عليهنَّ أن يزهدنَ في الدنيا فإن صلاحَ هذه الأُمَّة وصلاحُ أولها كما في صحيح الجامع: "صلاح أول هذه الأُمَّة بالزهد واليقين".

فينبغي أن نزهد جميعاً في هذه الدنيا وأن نقوي يقيننا بالله سبحانه وتعالى لنُّصرة دينه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا فالمسؤولية إذاً هي على الجميع.)

جهاد الأمة

والآن نصل إلى المقصود من هذا الذكر والبيان لمخاطبة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- للإمة الإسلامية عامة ولفئاتها وشرائحها المتنوعة بصفة خاصة..

فهذه الخطابات والأمثلة التي ذكرناها وغيرها تتبين لنا بجلاء ووضوح أن دعوة وجهاد الإمام المجدد أسامة بن لادن رحمه الله ليس منحصراً أو مختصاً في بلد أو طائفة أو جماعة بل هو جهاد أمة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى..

فهو يسعى لقيام الأمة كلها بواجبها في هذا الزمان لتحريرها ودفع صيال المعتدين عنها وإقامة دولة الإسلام التي تقيم الدين وتحكم شريعة رب العالمين في كافة مجالات الحياة وهذا ما قرره الشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله- في "دعوة المقاومة": (بدا لي أن الجهة الوحيدة التي تقيم كثيرا من جوانب عملها الحركية على أسس شبيهة بالأفكار التي اقتنعت بها، هي تنظيم الشيخ أسامة بن لادن "القاعدة" فهم قد أدركوا -ولاسيما الشيخ أسامة، ونائبه أبو حفص رحمه الله- أن زمن التنظيمات القطرية المحلية قد ولى، وأنه لا يصلح للمرحلة القادمة. وأن الواجب هو: حشد الأمة على مواجهة العدو الخارجي ممثلا بأمريكا والتركيز على شعار إخراجهم من جزيرة العرب ودمج هذا ببعد الصراع مع اليهود حول فلسطين والأقصى. وببعد دفع عدوان أمريكا على عموم المسلمين. وهو ذات ما كنت قد توصلت إليه سنة ١٩٩٠ وسجلت فيه عددا من المحاضرات والكتابات منذ ذلك الوقت.)

ومباحث وعناوين هذه الرسالة التي بين أيدكم تدل دلالة واضحة على هذا الأمر وأن الجهاد عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- هو "جهاد أمة" فلا بد من إشراك الأمة في الصراع والسير بها نحو التمكين بعون الله وتوفيقه..

وهنا يحسن بي أن ذكر كلام الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- في هذا المعنى حيث قال الدكتور عبد الله عزام -تقبله الله- في "في الجهاد.. فقه واجتهاد":
(وظيفة الحركة الإسلامية:
لن تقوم للمسلمين قائمة بدون قتال.. لا يمكن الطريق إلى مجتمع إسلامي إلا من خلال جهاد شعبي عام، لن تستطيع دعوة مهما كانت منظمة، مهما كان عددها أن تقيم دولة الإسلام وحدها، إنما الدعوة الإسلامية ضرورة لتكون عقل الأمة المفكر، وقلبها النابض، وتعتبر الدعوة الإسلامية صاعقا يفجر طاقات الأمة.. الأمة طاقات والدعوة الإسلامية هي الصاعق، فهي التي تفجرها.

فوظيفة الدعوة الإسلامية: أن تحرك الخير في أعماق الأمة وتقود مسيرة الجهاد، كما حصل في الجهاد الأفغاني..

الحركة الإسلامية صاعق فجر الجهاد الأفغاني فقامت الأمة.. الشعب بكامله، شعب بكامله يضحي، ما من بيت تدخله إلا ويدفع الثمن.. المسيرة طويلة..

الجماعة الإسلامية تقود المسيرة، هذا ضروري، لكن أفرادها قليلون وهذه حرب تحتاج إلى وقود، ووقودها الناس.. خلال المسيرة تصفو نفوسهم، تصقل أرواحهم، تعلو اهتماماتهم، تصغر الدنيا في أنظارهم، لا يختصمون على سفاسف الأمور.)

وهذا ما أكده الشـــيخ ســـليمان أبو غيث -فرج الله عنه- في "خطاب الى الأمة الإســـلامية": (المجاهدون جزء من هذه الأمة المباركة المنصـــورة وطليعة أخذت على عاتقها إشـــعال فتيل المواجهة الحتمية بيننا وبين أعداءنا وهي بذلك لا تقاتل نيابة عن الأمة، بل هي تعمل على تجييشـــها ضـــد عدوها لتنهض جميعها في وجه هذا العدو الغاصـــب المحتل ومن الخطأ اختزال الجهاد في تنظيم محدود، بل الجهاد عقيدةً وفكراً أصيلاً يواجه أعداء الدين وامتداداً لمنهج محمد ﷺ وصحبه.)[١٧]

---

١٧ . وينظر مزيد بيان حول وجوب اشـــراك الأمة في الصـــراع وأقوال أهل العلماء فيه رســـالتي: "جهاد الأمة وجماعات الأمة".

بناء القاعدة الصلبة

بعد الحديث عن جهاد الأمة أتحدث في هذا المبحث عن ركيزة مهمة من ركائز نجاح مشروع جهاد الأمة ونجاح الدعوات والجهاد والثورات وقيام الدول وهذه الركيزة هي بناء القاعدة الصلبة لهذه الدعوات التي تحمل همَّ الأمة وتتولى أمر قيادتها وبنائها ومواجهة التحديات والصعوبات فهي في الأمة بمنزلة القلب للجسد يقول سيد قطب -رحمه الله-:(إنه ابتداء يجب توجيه الحرص كله لإقامة القاعدة الصلبة من المؤمنين الخلص، الذين تصهرهم المحنة فيثبتون عليها والعناية بتربيتهم تربية إيمانية عميقة تزيدهم صلابة وقوة ووعيا ذلك مع الحذر الشديد من التوسع الأفقي قبل الاطمئنان إلى قيام هذه القاعدة الصلبة الخالصة الواعية المستنيرة. فالتوسع الأفقي قبل قيام هذه القاعدة خطر ما حق يهدر وجود أية حركة، لا تسلك طريق الدعوة الأولى من هذه الناحية، ولا تراعي طبيعة المنهج الحركي الرباني النبوي الذي سارت عليه الجماعة الأولى.

على أن الله -سبحانه- هو الذي يتكفل بهذا لدعوته. فحيثما أراد لها حركة صحيحة، عرّض طلائعها للمحنة الطويلة وأبطأ عليهم النصر وقللهم وبطأ الناس عنهم حتى يعلم منهم أن قد صبروا وثبتوا، وتهيأوا وصلحوا لأن يكونوا هم القاعدة الصلبة الخالصة الواعية الأمينة.. ثم نقل خطاهم بعد ذلك بيده -سبحانه- والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.)

وقال الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله– في "الحق بالقافلة": (إقامة القاعدة الصلبة لدار الإسلام:

إن إقامة المجتمع المسلم فوق بقعة أرض ضرورية للمسلمين، ضرورة الماء والهواء، وهذه الدار لن تكون إلا بحركة إسلامية منظمة تلتزم الجهاد واقعا وشعارا وتتخذ القتال لحمة ودثارا.

وإن الحركة الإسلامية لن تستطيع إقامة المجتمع المسلم إلا من خلال جهاد شعبي عام، تكون الحركة الإسلامية قلبه النابض وعقله المفكر، وتكون بمثابة الصاعق الصغير الذي يفجر العبوة الناسفة الكبيرة، فالحركة الإسلامية تفجر طاقات الأمة الكامنة وينابيع الخير المخزونة في أعماقها.

فالصحابة رضوان الله عليهم كان عددهم قليلا جدا بالنسبة لمجموع عامة المسلمين الذين قوضوا عرش كسرى وثلوا مجد قيصر.

بل إن القبائل المرتدة عن الإسلام في أيام الصديق قد سيرهم عمر بن الخطاب –بعد أن أعلنوا توبتهم– إلى قتال الفرس، ولقد أصبح طلحة بن خويلد الأسدي –الذي ادعى النبوة من قبل– أحد أبطال القادسية البارزين، واختاره سعد بمهمة استكشاف أخبار الفرس فأبدى شجاعة فائقة.

أما الحفنة من الضباط التي يمكن أن يتوهم البعض أن بإمكانهم عمل مجتمع مسلم، فهذا ضرب من الخيال أو وهم يشبه المحال لا يعدوا أن يكون تكرارا لمأساة عبد الناصر مع الحركة الإسلامية مرة أخرى.

والحركة الشعبية الجهادية مع طول الطريق ومرارة المعاناة وضخامة التضحيات وفداحة الأرزاء، تصفى النفوس فتعلوا على واقع الأرض الهابط، وترتفع الاهتمامات عن الخصومات الصغيرة على دراهم، وعن الأغراض القريبة، وسفاسف المتاع وتزول الأحقاد وتصقل الأرواح، وتسير القافلة صعدا من السفح الهابط إلى القمة السامقة بعيدا عن نتن الطين وصراع الغابات.

وعلى طول طريق الجهاد تفرز القيادات، وتظهر الكفاءات من خلال العطاء والتضحية، ويبرز الرجال شجاعتهم وبذلهم.

ولا تحسبن المجد زقا وقينة   فما المجد إلا الحرب والفتكة البكر

ومع ارتفاع الاهتمامات ترتفع النفوس عن الصغائر، وتصبح الأمور العظيمة غاية القلوب وأمل الشعوب.

إذا غامرت في شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير   كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن الجبن عقل   وتلك خديعة الطبع اللئيم

وطبيعة المجتمعات كالماء تماما، ففي الماء الراكد تطفو على السطح الطحالب والأعفان، أما الماء المتحرك فلا يحمل العفن فوقه، والقيادات في المجتمعات الراكدة لا يمكن أن تكون على قدر المسؤولية، لأنها لا تبرز من خلال الحركة والتضحية والبذل والعطاء، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ما برزوا إلا من خلال الأعمال الجليلة والتضحيات الباهظة، ولذا لم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية عندما

أجمعت الأمة على انتخابه، فما أن فاضت روح رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى في الجنة تطلعت العيون إلى الساحة فلم تجد أفضل من أبي بكر رضي الله عنه.

والأمة التي تجاهد تبذل الثمن غاليا فتجني الثمرة الناضجة، ليس من السهل أن تفرط فيما جنته بالعرق والدم، وأما الذين يتربعون على صدور الناس من خلال البيان الأول في انقلاب عسكري صنع وراء الكواليس في سفارة من السفارات، يسهل عليهم التفريط بكل شيء.

ومن أخذ البلاد بغير حرب   يهون عليه تسليم البلاد

والأمة الجهادية التي يقودها أفذاذ برزوا من خلال الحركة الجهادية الطويلة، ليس من السهل أن تفرط بقيادتها أو تخطط للإطاحة بها، وليس من اليسير على أعدائها أن يشككوها بمسيرة أبطالها، والحركة الجهادية الطويلة تشعر الأمة بأفرادها جميعا أنهم قد دفعوا في الثمن وشاركوا في التضحية من أجل قيام المجتمع الإسلامي، فيكونون حراسا أمناء لهذا المجتمع الوليد، الذي عانت الأمة جميعها من آلام مخاضه.

لا بد للمجتمع الإسلامي من ميلاد، ولا بد للميلاد من مخاض ولا بد للمخاض من آلام.)

وقال الشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله- في "دعوة المقاومة": (بناء القاعدة الصلبة:

يجب الاهتمام بتربية النماذج، لا بإكثار الأعداد، لأن الناس إنما يتغير بفعل النماذج والأفذاذ.

علينا أن نعتني بالكيف لا بالكم، والفئة الصـــابرة والصـــادقة وإن كانت قليلة فإنها تنتصر بإذن الله ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

هذه القاعدة الصـــلبة هي التي أعادت الجزيرة العربية كلها أيام الردة إلى الإســـلام، لأن من نماذجها أبا بكر الذي صاح عندما بلغوه ردة القبائل: (والله لو منعوني عناقا -جديا- كانوا يؤدونه لرســـول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه، ثم قال: أينقص الدين وأنا حي؟) وفي رواية: (لو منعوني عقالا -حبل الذي يربط به البعير-.)

وأصـــر أبو بكر على إنفاذ جيش أســـامة، وأجاب الذين راودوه على تأخيره قائلا: (والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشا وجهه رســـول الله)، وفي رواية: (لو ظننت أن الســـباع تخطفني لأنفذت بعث أســـامة) وفي هذه اللحظة الحاسمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ساق الله رجلا حازما -أبا بكر- لينقذ بموقفه أمة بكاملها من الاندثار والبوار.

لا بد من تربية النماذج الصلبة التي تستعصي على الإغراء ولا تقبل البيع والشراء من قبل الأعداء والأصـــدقاء. ولا بد من تربية الأفذاذ الذين لا يقبلون الذوبان في حوامض المجتمع الجاهلي، ولا يتميعون في ظروفه المختلة، العناصر الصلبة التي تحمل

المجتمع والدعوة فوق كاهلها. نريد الأفرع الصـــلبة التي لا تتلوى مع رياح المجتمع، ولا تتثنى مع أهوائه.

لقد كان اجتياز الجيش الإســلامي لنهر دجلة عند فتح العراق وفارس إبان فيضــانه من القضــايا التي أذهلت المؤرخين وحيرهم تفســيرها: اجتياز الجيش لدجلة دون ان يفقد فردا واحدا من عدده. ولكن القضــية الأروع أن هذا الجيش خاض بحور أكبر مدنيتين –الروم والفرس– دون أن يفقد من خلقه ولا من دينه شي.

لقد تربع ســـلمان الفارســـي على مقام كســـرى بعد أن أذله الله وثل عرشـــه، وكان كسرى يبكي ويقول: لم يبق عندي سوى ألف طباخ فكيف أستطيع أن أعيش بهذا العدد فقط؟ بينما سلمان –أمير فارس المسلم– ينفق كل يوم درهما واحدا.)

وهذه الركيزة كانت من ركائز دعوة الإمام المجاهد أســامة بن لادن قولا وعملا حيث قال رحمه الله في "توجيهات منهجية": (عندما تحصل الردة؛ ماهي الصفات المطلوبة لإعادة الناس إلى الإســلام؟ فهنا ذكر صــفات ســتة: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾، فلابد أن نتصف بهذه الصفات:

- المحبة العظيمة لله سبحانه وتعالى.
- والذلة على المؤمنين والتراحم.
- والتناصح بالحسنى وبالمعروف.
- والعزة على الكافرين.

وهذا يظهر بوضـــوح في أهم عروة في الإســـلام وهي الولاء والبراء، نوالي المؤمنين ونعادي الكافرين ونكون عليهم أعزة.

٥) ثم الصفة الخامسة: ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾.

فالجهاد في ســـبيل الله وعدم الخوف من لومة أي لائم، هاتان الصـــفتان في غاية الأهمية لإعادة الناس إلى الدين.

فالذين يظنون أنهم يمكن أن يعيدوا الناس إلى الدين، وأن يقيموا دولة إســـلامية بعد أن انحســـر ظل الإســـلام عن الأرض، فهؤلاء ما فقهوا منهج الله ســـبحانه وتعالى، فهذه الآية غاية في الوضـــوح والصـــراحة في حالة الردة، فلا بد من المحبة والولاء، أن يكون ظاهرًا عند الناس، والبراء من الكفار أن يكون ظاهراً، مع الجهاد في سبيل الله، ﴿**وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ وهي تشـــمل النصـــح بكل أنواعه، والأمر بالمعروف بكل أنواعه.

فإذا قمنا بتحقيق هذه الصفات، وأوجدنا عناصر تتخلق بهذه الصفات، فنكون قد أوجدنا القاعدة القوية التي تبدأ في التغيير، وتجاهد في ســبيل الله ســبحانه وتعالى إلى أن يقوم الحق.)

وقال في "الجهاد وتجاوز العقبات": (فنســـتمر في الإعداد وتحريض الأمة وفي نشـــر الفِكر الجهادي حتى تتكون أرضية كبيرة من المؤمنين المجاهدين الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا.)

وقال -رحمه الله- في "العلم للعمل": (أقول يا إخواني إن من منهج أهل السنة والجماعة أن الإنسان إذا دخل إلى هذا الدين بيقين فلا يخرج منهُ إلا بيقين؛ فالأصل في المسلمين أنهم مسلمون، فلا يجوز للناس أن يكفرّوهم، بل هذا من منهج الخوارج، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي الحديث الصحيح عن نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»، فإن كانت المقولة في الذي قيل فيه كافر فخلاص هو ذاك كافر، ولكن إن لم يكن كافر رجعت على الذي قال، فهذا تحذير شديد جدًا جدًا جدًا من الخوض في هذه المسألة، وخاصةً في تكفير الأعيان، فاتقوا الله -سبحانه وتعالى-، وإنّما النّصر الذي ننتظره من الله -سبحانه وتعالى- نُقدّم بين يديه -سبحانه وتعالى- الصّبر والتقوى، ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾.

فإيّاكم ثم إيّاكم؛ فتكفير الناس من الذنوب العظام جدًا، ومن الكبائر الخطيرة جدًا، فاحفظوا ألسنتكم، وفي الحديث الصحيح عن نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، أن تَعبدوهُ ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفرّقوا..»

فهذا الرّكن الأول لا يقوم بغير هذه القاعدة، وماذا هي هذه القاعدة؟ قاعدة الجماعة: "أن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا"، يقول شيخ الإسلام: (هذا الحديث في هذه الثلاث شمل أصول الإسلام؛ «أن تعبدوهُ ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفرّقوا، وأن تُناصحوا من ولّاه الله أمركم»، فعليكم بالنّصيحة في ما بينكم وما بين أمرائكم..)

وقال رحمه الله في "بشــريات": (فالســعيد من يثبته الله ســبحانه وتعالى بجوار راية التوحيد، وقد كان أولئك الأطهار الأخيار والصــحابة الكرام -رضــي الله عنهم- يصنعون التاريخ ويكتب المؤرخون عن ذلك العصر وعن ذلك الجيل الفريد الناصع الأبيض الطاهر ومع ذلك النور المبين الذي كان يتنزل على محمدٍ عليه أفضل الصلاة والتسليم حُرم أُناسٌ بعد أن ذاقوا وبعد أن رأوا الإسلام ورأوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- حُرموا من إكمال المسيرة كما في الحديث الصحيح حديث الوصية الذي يتحدث فيه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- عندما جاءه المرض وهو في مكة وخشــي أن يموت في مكة لأن المهاجرين كان ينبغي عليهم أن يبقوا في دار الهجرة -رضــي الله عنهم- فخشــي أن يموت في مكة فطمأنه الرســول -عليه الصــلاة والسـلام- ثم قال في آخر حديثه: «لكن البائس سعد بن خولة»، سعد بن خولة هذا رجلٌ وُفّق إلى الهجرة ووُفّق إلى الإســلام وصــافح خير الأنام -عليه الصــلاة والسـلام- ثم شـده الشـوق والحنين إلى الأهل وإلى الأرض وإلى العشـيرة وإلى مراتع الصبا فترك ذلك الخير العظيم ورجع إلى مكة تحت ظل الكافرين، فقال عليه الصلاة والسـلام عنه: «لكن البائس سـعد بن خولة»، فإياكم ثم إياكم أن يكن منكم مثل سـعد بن خولة، فنحن على أبواب مقارعة عظيمة جدًّا، نتهيأ في هذه الأيام لمقارعة الكفار، إخوانكم خرجوا ليضــربوا وهم خرجوا ليضــربوا، أمريكا خرجت وروســيا يريدون أن يضربوا الإمارة الإسلامية في أفغانستان ويضربوا المجاهدين في أفغانستان، فأوصي نفسي وإياكم بالصبر والتقوى.

أقســـم بالله هذا العدد الذي أراه أرجو الله أن يجعل فيه البركة، إن تصـــبروا وتتقوا والله الذي لا إله إلا هو لنأكلن بكم الأخضـــر واليابس والعرب والعجم، فقليلٌ من الصبر تجدون خيرًا عظيمًا بإذن الله سبحانه وتعالى.)

وقال رحمه الله في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..

فتية عندهم عقيدة الولاء والبراء مقدمة على الملوك والأمراء..

فتية لا يتنظرون الكبار إن قعدوا ولا يستفتون السادة إن فسدوا..

فتية مصـــدرهم في التلقي ليس قوانين الأمم المتحدة وما يســـمى بالشـــرعية الدولية أو طواغيت الغرب أو الشرق أو علماء وقادة جماعاتٍ يستظلون بظلهم.

وليس مصـــدرهم في التلقي تحاليل ســـياســـية من إعلام مغرض لا يلتزم بشـــرع الله، يستهزئ بشعائر الدين تحت اسم الفكاهة، وينشر الزندقة تحت مسمى حرية التعبير، ويسعى لتشويه المجاهدين وتخذيلهم.

وإنما مصـــدر هؤلاء الفتية في التلقي كتاب الله تعالى وســـنة نبينا ﷺ، فإذا ناداهم الشـــجر أو الحجر: يا مســـلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، انطلقوا كالشهاب يضربون الرقاب، ولئن يخروا من السماء على الأرض أهون عليهم من أن يشـــترطوا إذناً من طاغوتٍ أو ممن يعترف به لكي يقوموا بتنفيذ أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.)

ضرورة إيجاد القيادات الصادقة لقيادة الصراع

ومن هذه القاعدة الصلبة تكون القيادة الصادقة التي تقود حركة الصراع بين الحق والباطل.. فمن الحقائق والركائز التي اهتم بها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- ضرورة إيجاد القيادات الصادقة لقيادة الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل فإن ذلك من أهم عوامل النصر والتمكين المقررة في طريق الصراع والإصلاح يقول الإمام المجدد -رحمه الله- في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (فكفى قعوداً وإهداراً للوقت وتهرباً من المسؤولية، فمحرقة غزة وسط هذا الحصار الطويل، هي حدث تاريخي مهم، وفاجعة مفصلية، تؤكد على ضرورة المفاصلة بين المسلمين والمنافقين، فلا يصح أن يكون حالنا بعد غزة كحالنا قبلها، بل يجب العمل الجاد والإعداد للجهاد، لإحقاق الحق وإبطال الباطل، ويجب أن نبرأ إلى الله تعالى من كل من تواطأ مع الأعداء على أهل غزة، فالبراءة من هؤلاء المتواطئين ليست من نوافل الأعمال بل هي أحد ركني التوحيد، فمناصرة الكفار على المسلمين كفر أكبر مخرج من الملة، واقرؤوا قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، وقول الله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾. فهذا الحدث اختبار لنا جميعاً، ينجح فيه من اتبع الهدى، ويتردى فيه من ضل وغوى.

فنحن بحاجة إلى قيادات صادقة، تقوم بما يلزم لحشد ما يكفي من طاقات المسلمين في هذا الميدان، فالأمة تعاني إفلاســـاً هائلاً في قياداتها، رغم أن كثيراً من أبنائها يحســبون أن لديهم قيادات تقودهم إلى شــاطئ الأمان، فإن لم يكن على مســتوى الصف الأول من الملوك والرؤساء، فعلى الأقل على مستوى الصف الثاني والثالث، والحقيقة أن هذا وهمٌ كبير وهو مكمن رئيسـي للخلل، وبقاء فلسـطين لتسعة عقود تحت الاحتلال، فضلاً عن غيرها، ناهيك عن انتشار الفقر والجهل والمرض رغم كثرة الموارد؛ مؤشـر واضـح على ذلك، فالسـفينة مهما عظمت وحسـنت فلن تصـل إلى شاطئ الأمان إن لم يكن لها قيادة أمينة.

فزعامات الصـــف الأول عرفنا أمرهم وتبعيتهم لأعدائنا، لكن الأدهى والأمرّ أنهم اســتطاعوا ترويض كثير من القيادات التي تليهم. فقيادات الصــف الثاني ومن قرب منهم إن لم يغيروا ما بأنفسـهم من ركون ومداهنة للباطل، أو يُغيَّروا، فلن تتقدم الأمة في طريق تحرير الأقصـــى، لأن هؤلاء قد أصـــبحوا عقبات وحواجز في الطريق الذي يخرج الأمة من هذا التيه، مثلهم كمثل ســكة حديد في مقدمتها قطار الحكام ويليه قطار قيادات الصـــف الثاني ومن قرب منهم، وكلا القطارين متوقفان منذ عقود في طريق تحرير فلســطين، فلا ســبيل إلى الأقصــى إلا بإزاحة كلا القطارين عن الطريق وتجاوزهما، ويصعب أن يتم ذلك قبل أن يستيقظ كثير من المسلمين، فيتركوا التعصب المذموم للأوطان والرجال، حكاماً أو علماء أو قيادات للجماعات الإســـلامية، ويتركوا معارضـة نصـحهم وإقامة الحق عليهم، فإن لم يفعلوا فلسـان حالهم يقول إنهم يســـيرون على الطريق الذي أهلك الأمم قبلنا، ولذلك فالأمة في تيه الظلمات منذ

عقود، ويبدو أنهم لم يفقهوا قول رسـول الله ﷺ: «وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» متفق عليه.

فيجب أن تسري فينا روح النصيحة لتصحيح المسار، وأن الحق أكبر من الجميع، وسلامة الحق مقدمة على سلامة الأوطان والرجال والأحزاب والجماعات، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول ﷺ، والذي قال: «الدين النصيحة».

نعم فإن أضعناها أضعنا الدين، وتبعاً لذلك ضياعنا، فهذا واقعنا وقد قال عمر رضي الله عنه: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وعوداً على موضوع القيادة: فالطريق لتحرير الأقصى يحتاج إلى قيادات حقيقية صادقة مستقلة قوية أمينة، تكون على مستوى هذه الأحداث الجسام، ملمة بفقه الواقع وفقه الشريعة، وينشئون هيئة مناصحة لها فروع في أقطار العالم الإسلامي، تسعى لنشر البيان والبلاغ، وتوعية عامة أبناء الأمة شرعياً وسياسياً، وعندها تتحرر العقول من الجهل والغفلة، والنفوس من الخضوع والخنوع للحكام الخاضعين لأعدائنا.

فالمعرفة بخطورة هذا الواقع الذي نعيشه، ودور الحكام وأعوانهم فيه، هي الخطوة الأولى لتشكيل قوة دافعة في النفس، لتتحرك لتغيير هذا الواقع المظلم. وهنا لا بد من إنزال فقه الشريعة على هذا الواقع، وعندها تنضبط تحركاتنا على الطريق المستقيم، لتصحيح الأوضاع المنكرة وإزالة العدوان عن أمتنا.

كما ينبغي أن يحرص أعضـــاء هذه الهيئة على أن يكونوا في مأمن من تدخل السـلاطين في هيئتهم، متبرئين منهم جميعاً، حذرين من اختراقهم لهيئتهم عبر علماء السـوء، كما هو حال كثير من الهيئات القائمة في بلادنا، وإن من واجبهم نشـر الأحكام الشرعية ذات الصلة بهذه المواضيع، كالتأكيد على أن الجهاد متعين اليوم إلى أن تتم الكفاية، والتأكيد على الفتوى التي صـدرت عن بعض أهل العلم في أحداث غزة، والمتضـمنة بأن من سـاعد الأعداء وظاهرهم على المسـلمين يكون مرتكباً ناقضاً من نواقض الإسلام، وما يترتب على ذلك من أحكام.

كما أضـع بين يدي العلماء والدعاة بعض المقترحات في هذا المجال، راجياً بذل الجهود لاستكمال الأمر وتطويره، ومن أهم هذه المقترحات:

أولاً: القيام بعمل القوائم المتضـمنة للعلماء والدعاة والمفكرين والكتاب الصـادقين المناصحين لأمتهم، مع أبرز مؤلفاتهم، والعمل على نشـرها بين عامة الأمة، ولا يمنع من ذلك وجود بعض الزلل غير المتعمد، فتتم الملاحظة عليه والنصـح فيه، وإلا فلن يبقى لنا عالم فضـلاً عمن دونه، فينبغي العمل على إبراز القيادات الصـادقة الملتزمة بمنهج الإسلام.

ثانياً: تصحيح المفاهيم الشرعية في فكر وحياة الأمة.

ومن الكتب المفيدة في ذلك كتاب "فتح المجيد" للشـيخ عبد الرحمن بن حسـن آل الشـيخ وهو كتاب مهم جداً لمعرفة التوحيد والتحذير من الشـرك ومنه شـرك القبور وشرك القصور، وكتابا الشيخ محمد قطب "مفاهيم ينبغي أن تصحح" و "هل نحن

مسـلمون"، وكتاب "التبيان في كفر من أعان الأمريكان" للشـيخ المجاهد ناصـر بن حمد الفهد فك الله أسره من سجون الرياض.

وهناك كتاب خامس مفيد، في تقييم جميع الأنظمة في العالم الإسـلامي، وإن كان عنوانه خاصاً "النظام السعودي في ميزان الإسلام"، وكثير من الكتب المفيدة يتيسر قراءتها على شبكة المعلومات كموقع التوحيد والجهاد.

ثالثاً: تنبيه الأمة على أن هناك حرباً لتغيير وإماتة الأسماء والمصـطلحات الشـرعية، لارتكاب ما حرم الله تعالى، فيجب تفنيد ذلك وإشـاعة الأسماء والألفاظ الشـرعية، ومن أمثلة ذلك:

انتهاك حرمة الربا فسموه بالفائدة، وأطلقوا على البنوك الربوية البنوك التجارية.

وعندما أرادوا انتهاك حرمة الخمر، أطلقوا عليه المشـروبات الروحية وما شـابهها من أسماء.

وعندما أرادوا محاربة ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله سموه بالعنف والإرهاب.

ولما أرادوا ارتكاب نواقض الإسـلام، وموالاة أعداء الله، أماتوا حد الردة ووصـفوا كل من دعا لإقامة هذا الحد بأنه تكفيري.

ويتم الحديث عن تسـمية الكافر والمرتد والزنديق والمنافق بلفظ: الآخر، وينفرون عن اسـتخدام المصـطلحات الشـرعية، وكذا المغالطة بحوار الأديان، وحرية الرأي وحرية التعبير والتعايش السـلمي، والدول الصـديقة وعقود تقديم التسـهيلات لدعم السـفن

الحربية الصليبية، في الوقت الذي يقوم به اليهود والنصارى بقتل إخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان ووزيرستان والصومال وكشمير والفلبين والشيشان. فالمغالطة بالأسماء والمصطلحات باب واسع فينبغي تتبعها وكشف حقيقتها وحقيقة ناشريها.

رابعاً: القيام بعمل القوائم المتضمنة لأعدائنا من المنافقين ووسائلهم، ولاسيما الإعلامية كالصحف والكتب والمجلات والإذاعات والقنوات الفضائية، وأخطرها الأخيرتان كهيئة الإذاعة البريطانية وأخواتها وقناة الحرة وقناة العربية.

وكذلك إعداد القوائم للذين تصب جهودهم في صالح أعدائنا دون أن يشعروا، كالمرجفين والمخذلين والمثبطين من المسلمين، وذلك بالضوابط الشرعية، ونشرها على الأمة بالوسائل المتاحة لتحذرهم، مرفقين تلك القوائم بوثائق وبراهين من أقوالهم وأفعالهم، تدلل على ذلك مع تفنيدها، وأذكر هنا بقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾.

فكشف حقيقة المنافقين منهج قرآني، كما أجمع العلماء على وجوب كشف المنافقين والمبتدعين، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: (إذا قام وصلى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل). ا.هـ

فالأمة بحاجة ماسة اليوم -وخاصة بعد هذه الحرب على غزة- أن تعرف المنافقين على جميع الأصعدة، لتحذرهم فتجاهدهم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ**

تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، وقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**، فخلاصة القول: لا بد من قادة صادقين وتوعية شرعية وسياسية وجهاد في سبيل الله وكشف لحقيقة المنافقين وتمايز ومفاصلة معهم، مع العلم أن المفاصلة هي أمر قائم من جهة الحكام، فلديهم أجهزة أمنية يصل تعداد أفرادها إلى مئات الألوف، ترصد الناصحين لأمتهم، وتتجسس عليهم، وتعد بهم قوائم تسمى سوداء لمحاربتهم بطرق عدة، إغراء وإغواء، وفصلاً وسجناً، ومنعاً من السفر، ومطاردة وتشويهاً لسمعتهم، بل وقتلاً، وذلك كله للحيلولة بينهم وبين منابر التوجيه، لنصح أمتهم وتحذيرها من مؤامراتهم، وفي المقابل انفردوا هم وعلماؤهم وإعلامهم بالدجل على الأمة وتضليلها.

وفيما يخص قوائم أعدائنا، فنظراً لضيق المقام فسأكتفي بوصف كبار أئمتهم في بلادنا. ففي هذه الأحداث تمايز الناس، وخاصةً السادة والكبراء حكاماً وعلماء، وقد بدا واضحاً أن بعض حكام العرب، تواطؤوا مع التحالف الصليبي الصهيوني على أهلنا، وهم من تسميهم أمريكا بحكام دول الاعتدال. وفي الحقيقة إن دول العالم الإسلامي من إندونيسيا إلى موريتانيا بلا استثناء، تنقسم إلى قسمين اثنين: دول معوجة ودول أكثر اعوجاجاً، والإسلام بريء من حكامها جميعاً.

ولا يخفى أن مما ساعد الجماعة الأولى في صدر الإسلام على أن يصلب عودها ويقوى عمودها لتحمل أعباء إقامة الدولة الإسلامية؛ عدد من الأمور كان من أهمها

بعد الإيمان الصـــحيح والزهد: التمايز بين المؤمنين والمنافقين، فالأحداث العظام والمصـائب الجسـام ولا سـيما الحروب والصـدامات، نفضـت الخبيث عن الطيب وميزت الصادق من المنافق، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾.

وإن من المصائب التي وقعت على المسلمين يوم أحد، أن ثلث الجيش خضع وانقاد لرأس المنافقين ابن ســـلول، فانخذل بهم وأمرهم أن لا يقاتلوا الأعداء، وأما اليوم فجميع الجيوش الرسمية للأمة تحت قيادة المنافقين من حكام المنطقة، كما أن معظم الجيوش غير الرسمية تحت قادة الجماعات الإســـلامية، وكثير منهم يرون أن هؤلاء الحكام ولاة أمر شـــرعيين، يحرم الخروج عليهم، فكيف لا تتوالى علينا المصـــائب؟! وقد بدا ذلك واضحاً في خذلان هذه الجماعات لغزة وأهلها، وهم ينتظرون إذناً من المنافقين حتى يجاهدوا، فأي استغفال هذا للشباب المسلم!

فالواجب أن نبعد المنافقين والمخذلين عن ميادين القيادة والتوجيه، كما فعل الصحابة -رضي الله عنهم- بعد غزوة أحد، فلما قام ابن سلول ليخطب بالمسلمين كما كان يفعل من قبل، وكان سـيداً في قومه يريد بذلك أن يحافظ على مكانته في توجيه الجماعة الأولى، أخذ الصـحابة بثيابه من نواحيه وقالوا: (اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت.)

فما أكثر الرجال الذين يعتلون منابر التوجيه بصورها المختلفة ليخادعوا الأمة لتلتف حول حكام المنطقة المنافقين، ويخذلوها عن القتال لتحرير فلسطين، فما أحرانا أن نقول لكل واحد من هؤلاء مواجهة أو عبر الهاتف كما قيل لرئيسهم الأول ابن سلول: (اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت.) فما فعله الصحابة -رضي الله عنهم- بابن سلول هو فضح وإزالة له عن منابر التوجيه في الجماعة المسلمة، حتى لا يعيد الكرة في غزوة أخرى، فينثني بثلث الجيش وتتكرر المصائب، وهذا ما ينبغي علينا فعله، فالمنافقون والمخذلون يكررون علينا المصائب منذ عقود.

فهذه بعض المقترحات، أرجو أن تصب في صالح المشروع العام لإنقاذ الأمة وفك وكسر القيود التي كبل بها كثير من أبنائها، فيتحررون منها، وينطلق منهم من يكفي بما يلزم للقيام بأوجب الواجبات بعد الإيمان: دفع العدو الصائل، الذي يفسد الدين والدنيا. وإن فك حلقة من حلقات السلسة الغليظة الملقاة على رقابنا، تعيننا على إسقاط وطرح لبقية الحلقات بإذن الله.

فالفرصة متاحة اليوم، للقيام بهذا الواجب في عدد من ساحات الجهاد المفتوحة، وخاصة في العراق وأفغانستان وباكستان والصومال والمغرب الإسلامي. فأرجو الله أن يوفقنا لنصرة الدين وللجهاد في سبيله، حتى نحرر بلاد المسلمين، ولا سيما العراق لننطلق منها إلى فلسطين.)

وقال -رحمه الله- في "العلماء ورثة الأنبياء": (وهذه المنزلة العظيمة للعلماء في الإسلام نابعةٌ من عِظَم الدور وأهمية المسؤولية الملقاة على كاهلهم بمقتضى ميثاق

بيان الحق الذي أخذه الله عليهم وميراث النبوة الذي ورثوه، ومن هنا تأتي خطورة النيل منهم والتنقيص من قدرهم، لما في ذلك من الطعن في العلم الذي يحملونه، والحق الذي يدعون إليه الذي هو ميراث النبوة والطعن فيه طعن في الإسلام ذاته، كما أن الطعن في العلماء مقدمة لتحطيم مصداقيتهم، وإفراغ الأُمَّة من القيادات الشرعية والموجهة، وما سيترتب على ذلك من تصدر الجهال وسيادتهم في الأُمَّة وإفتائهم للناس بغير علم وضلالهم وإضلالهم بذلك. ولهذا حذر أهل العلم من الطعن في العلماء شديد التحذير، قال ابن عساكر: (واعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وأن أحوال الله في هتك منتقصيهم معلومة، وأن من تكلم فيهم بالثلب، أصابه الله قبل موته بموت القلب.))

وقال في "توجيهات منهجية": (والشباب الذين عندهم القدرة على فداء الدين وعلى التضحية من أجل الدين، للأسف الشديد عندهم خلط في السمع والطاعة لعلماء الإسلام القاعدين، فالقاعد لا يسمع له ولا يطاع، فمن هنا هذه الطاقات تبقى معطلة، ويصرفونهم عن الواجب المتعين إلى فرض كفاية؛ كطلب العلم، لو أصبح كل الناس علماء لن يقوم الدين إلا بالجماعة والسمع والطاعة والنصرة والجهاد.

فمن هنا نحن بحاجة إلى أن نُفهّم الشباب أن قياداتهم العلمية هي راضية بالدنيا، هي تفر من واجب ثقيل تذمّر منه بعض صحابة رسول الله ﷺ، والله سبحانه وتعالى يبين ذلك بقوله: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في كلمته الأخيرة "كلمة شـهيد الإسـلام -كما نحسـبه- لأمّته المسلمة": (وَفِي هَذَا المِقَام أُذَكِّرُ الصّادِقِينَ بِأَنّ تَأسِيسَ مَجلِسٍ لِتَقدِيمِ الرَّأيِ وَالمشُورَةِ لِلشُّعُوبِ المسلِمَةِ فِي جَمِيعِ المحَاوِرِ المهِمّةِ وَاجِبٌ شَرعِيّ، وَآكَدُ مَا يَكُونُ عَلَى بَعضِ الغيُورِينَ الّذِينَ قَد نَصَحُوا مُبَكرًا بِضَرُورَةِ استِئصَالِ هَذِهِ الأَنظِمَةِ الظَّالِمَة، وَلَهُم ثِقَةٌ وَاسِعَةٌ بَينَ جَمَاهِير المسلِمِينَ، فَعَلَيهِم البدءُ بِهَذَا المشرُوعِ وَالإِعلَانُ عَنهُ سَرِيعًا بَعِيدًا عَن هَيمَنَةِ الحُكّامِ المستَبِدّينَ، وَإِنشَاءُ غُرفَةِ عَمَلِيّاتٍ مُوَاكِبَةٍ لِلأَحدَاثِ لِلعَمَلِ بِخُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ تَشمَلُ جَمِيعَ حَاجَاتِ الأُمّةِ مَعَ الاِستِفَادَةِ مِن مُقتَرَحَاتِ أُولِي النُّهَى فِي هَذِهِ الأُمَّة، وَالِاستِعَانَة بِمَرَاكِزِ الأَبحَاثِ المؤَهَّلَة، وَأُولِي الأَلبَابِ مِن أَهلِ المعرِفَةِ لِإِنقَاذِ الشُّعُوبِ الّتِي تُكَافِحُ لِإِسقَاطِ طُغَاتِها، وَيَتَعَرّضُ أَبنَاؤُهَا لِلقَتلِ، وَتوجِيهِ الشُّعُوبِ الّتِي أَسقَطَت الحَاكِمَ وبَعضَ أَركَانِهِ بِالخُطواتِ المطلُوبَةِ لِحِمَايَةِ الثّورَةِ وَتَحقِيقِ أَهدَافِهَا.)

وهذه الذي قرره الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- هو ما يشـهد به الواقع اليوم في سـاحات الثورة الجهاد.. وهو ما قرره أهل العلم والجهاد يقول الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله- في "الحق بالقافلة": (وطبيعة المجتمعات كالماء تماما، ففي الماء الراكد تطفو على السـطح الطحالب والأعفان، أما الماء المتحرك فلا يحمل العفن فوقه، والقيادات في المجتمعات الراكدة لا يمكن أن تكون على قدر المسـؤولية، لأنها لا تبرز من خلال الحركة والتضـحية والبذل والعطاء، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ما برزوا إلا من خلال الأعمال الجليلة والتضـحيات الباهظة، ولذا لم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية عندما أجمعت الأمة على انتخابه، فما أن فاضـت

روح رسـول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى في الجنة تطلعت العيون إلى السـاحة فلم تجد أفضل من أبي بكر رضي الله عنه.

والأمة التي تجاهد تبذل الثمن غاليا فتجني الثمرة الناضـجة، ليس من السـهل أن تفرط فيما جنته بالعرق والدم، وأما الذين يتربعون على صـدور الناس من خلال البيان الأول في انقلاب عسـكري صـنع وراء الكواليس في سـفارة من السـفارات، يسهل عليهم التفريط بكل شيء.

ومن أخذ البلاد بغير حرب   يهون عليه تسليم البلاد

والأمة الجهادية التي يقودها أفذاذ برزوا من خلال الحركة الجهادية الطويلة، ليس من السـهل أن تفرط بقيادتها أو تخطط للإطاحة بها، وليس من اليسـير على أعدائها أن يشـككوها بمسـيرة أبطالها، والحركة الجهادية الطويلة تشـعر الأمة بأفرادها جميعا أنهم قد دفعوا في الثمن وشـاركوا في التضـحية من أجل قيام المجتمع الإسـلامي، فيكونون حراسا أمناء لهذا المجتمع الوليد، الذي عانت الأمة جميعها من آلام مخاضه.

لا بد للمجتمع الإسـلامي من ميلاد، ولا بد للميلاد من مخاض ولا بد للمخاض من آلام.)

وقال الشـيخ أبو محمد المقدسـي -حفظه الله- في تقديمه لكتاب "جهاد الأمة وجماعات الأمة": (وأكثر مَنْ يَردّ علينا تحت سـتار "جهاد أمّة" إنما ينقم علينا في الحقيقة؛ إنكارنا تصـدير الملوّثين بدروع الصـليب ونحوها ممن لم يتبرّؤوا من انحرافاتهم؛

وإنكارنا لتوليتهم لمراكز حساسة في قيادة الجهاد ورفعهم على المجاهدين المخلصين؛ مع أن بعضهم لا يزال يتواقح بالدعوة إلى باطله ويقترح ما هو أبطل منه!

إذن نختم هذا بأن نؤكد قولنا بوضوح:

- لم يعترض أحدٌ منّا يوماً على أن يكون الجهاد جهاد أمة.

- ولم يشترط أحدٌ مِنّا طُهريّة ملائكية كشرط لجهاد دفع الصائل!

- ولا مَنَعَ أحدٌ مِنّا مِنْ تحييد الخصوم أو موادعة بعضهم؛ ولا دعا إلى قتال الكفار كلهم دفعة واحدة! أو تحميل المسلمين والمجاهدين ما لا يطيقون!

- ولم يمنع أحدٌ مِنّا التعامل بالسياسة الشرعية النبويّة المنضبطة بضوابط الشريعة؛ في يوم من الأيام..

إنما ذلك كلّه من شغب الخصوم وتدليسهم؛ ومحاولات تسخيفهم وتشويههم لما نشترطه من ضرورة بقاء النخبة المتمثلة بالعصبة الُموَحِّدة قولاً وعملا؛ والتي ميزانها التوحيد أولا ودائما؛ على رأس من يُوجّه هذا الجهاد ويقوده ويسيطر عليه؛ كي لا يُحرَف أو تُسرق ثمراته..

ولما ننكره مِنْ دروع الصليب ونحوها من النواقض والشركيّات التي يُسوّغها أنصارها ويسوّقونها باسم السياسة الشرعية وحقيقتها أنها سياسة شركية!

أخيرا.. ذَكَّرنا ولا زلنا نُذَكِّر بأنّ رسـولنا ﷺ أشـرَكَ في غزوة حُنين الأمّة كلها؛ فهو قدوتنا ﷺ في حشــد الأمة للجهاد؛ عنه أخذناه ولم نأخذه عن غيره؛ وكان فيها يومئذٍ كثير ممن كانوا صناديد للكفر قبل أيام ... فلم يمنعهم ﷺ من حضور الجهاد.

ولكنّه ﷺ لم يمنحهم قيادة هذا الجهاد ولا جعل مصـيره في أيديهم؛ ولا أمّرهم على السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار؛ الذين يمثلون نخبة أهل الجهاد ويؤثرون فيه وفي توجيهه؛ ولذلك لما فَرّت الأمة بصـناديدها ولم تُغْنِ عنهم كثرتُهم التي أعجبتهم! لم تثبت إلا تلك النخبة؛ ولما ولّت الأمة التي اغترت بكثرتها مدبرةً؛ لم يأمر رسـولنا ﷺ العباس بأن ينادي على الأمة؛ بل أمره بأن ينادي على أصـحاب الشـجرة "النخبة" وهؤلاء هم الذين ثبتوا وردّوا الأمور إلى نصابها وبهم جاء الله بالنصر المبين..

إذن فلتُحشـد الأمة جمعاء لجهاد الدفع تحت راية التوحيد؛ مع بقاء النخبة الموَحِّدة في دفّة القيادة؛ يحرسون هذا الجهاد من الانحراف؛ ويحمون ثمراته من الاختطاف.)

بيان حال القيادات التاركة للواجبات المتحتمات في هذه الحرب الصهيوصليبية

وقد رأينا في الجهة المقابلة لبيان الإمام المجدد لضرورة القيادات الصادقة ومناصرتها تحذيره من القيادات الراضية بالدنيا والتاركة للواجبات المتحتمات في هذه الحرب الصهيوصليبية على أمة الإسلام حيث قال في "توجيهات المنهجية": (فمن هنا نحن بحاجة إلى أن نُفهّم الشباب أن قياداتهم العلمية هي راضية بالدنيا، هي تفر من واجب ثقيل تذمّر منه بعض صحابة رسول الله ﷺ، والله سبحانه وتعالى يبين ذلك بقوله: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾.

الصحابة رضي الله عنه لما خرجوا يوم بدر خرجوا على أنهم سيأخذون العير للتجارة، فلما بلغهم أن قريشاً قد خرجت في ألفٍ كَرِه بعضهم ذلك، فقال رسول الله ﷺ -كما يروي أبو أيوب- فقال: «أشيروا علي أيها الناس؟»، فقال: أظهرنا كرهنا للقاء العدو. فقلنا: يا رسول الله ما خرجنا لقتال عدو ولا طاقة لنا بهم، وإنما خرجنا للعير)، فقال: «أشيروا علي أيها الناس؟»، فكررنا ذلك، فقال: «أشيروا علي أيها الناس؟»، فتكلم المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! إذاً لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلن عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك).

فإذا كان الصحابة الكرام الذين عاشوا في جو القتال والجهاد؛ القتال بين الأوس والخزرج أخذت منهم الشيء الكثير وهي عبر عشرات السنين، وجاء الإسلام وهم في مطاحنات لها أول ليس لها آخر، وكان القتل أمراً ليس ذي بال كبير عند الأوس والخزرج في الجاهلية. وجاء الإسلام ليحثهم على ذلك بالجهاد.

فكيف بنا اليوم تتشابه القلوب وتتواطأ كلها -إلا من رحم الله- على القعود عن نصرة الله.

يجب أن يفهم الشباب أن هناك خللاً كبيراً، وأن هؤلاء لا بد أن نصفهم بالصفات التي وصفهم بها الله سبحانه وتعالى.

كل من يقعد عن الجهاد بغير عذر وصفه في القرآن ظاهر بيّن، إنّه "الفسق" ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾، الذين يرضون بالقعود مع الخوالف؛ هم لا يفقهون، وإن أخذوا أكبر الشهادات من أفضل الجامعات، وهم لا يعلمون وإن وجّهت إليهم كل أسئلة الفتاوى، فهذا نص كتاب الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ**﴾، هذا ذمٌ شديدٌ جداً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿**رَضُوا**﴾ هذا هو الذم، ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾.

فمفتي الديار صاحب الكتب والتأليفات والمصنفات الكثيرة هو لا يفقه، لأن العلم ثمرته خشية الله سبحانه وتعالى. قالت تلك المرأة أم سفيان رحمها الله: (يا أيها

العالم!)، قال: (إنما العالم من يخشى الله)، فليس العلم هو كثرة الرواية، وإنما العلم هو عبادة الله بما أنزل سبحانه وتعالى والخوف منه وتقواه.

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى -بعدها في بضع آيات-: **﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾**، لو كانوا يفقهون، وقوي اليقين في قلوبهم؛ أن ما عند الله سبحانه خير لهم من هذه الدنيا، لما ركنوا إليها ولما داهنوا، ولأسرعوا الخطى وتسابقوا في تلك الخيرات إرضاءً لله تعالى.

فأقول ينبغي أن يُشرح للشباب هذه المعاني، وتفك هذه القيود التي تقيدهم من ذلك.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (كما ينبغي علينا أن نبحث عن الأسباب الرئيسة التي أدَّت إلى انحراف المسيرة عن الصراط المستقيم من الداخل، وعن القوة الفاعلة في هذا الانحراف، فإنَّنا وبدون عناء سنجد أنَّ أبرزهم: الأمراء، وعلماء وخطباء السوء، والراكنون إلى الذين ظلموا من قيادات العمل الإسلامي، وإعلاميو الدولة ومن سار على أثرهم.

والحقيقة المرَّة هي: أنَّ الأمراء قد تمكَّنوا من إغواء وإغراء كثيرٍ من أفراد هذه الشرائح، ثم قاموا بتكميم أفواه من أبى منهم -إلا من رحم الله-.

وحيث إنَّ من هدي القرآن والسنَّة الصدق والتمايز بين الحقِّ والباطل، لكي لا يلتبس على الناس الحقُّ فيضلوا عن الصراط المستقيم، قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**.

ولإزالة اللبس يجب تسمية الأمور بأسمائها الحقيقية، والتعبير عنها بألفاظها الشرعية، ولا سيَّما عندما نتحدَّث عن هذه القوى المؤثِّرة في مسيرة الأمَّة، حتى يتسنَّى لنا أن نأخذ التصور الصحيح عنهم وعن أفعالهم، ليسهل علينا معرفة التعامل معهم، حيث إنَّ الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، لذا فإنَّ اللفظ الشرعي في وصف الحاكمِ الذي يحكم بغيرِ ما أنزل الله ويسير على غير هدى الله سبحانه وتعالى، أو يناصر الكفار تحت أي مسمًّى، كتقديم التسهيلات العسكرية أو تنفيذًا لقرارات الأمم المتحدة ضدَّ الإسلام والمسلمين؛ فهذا كافرٌ مرتد.

كما وإنَّ هذه القوى المؤيِّدة للطغاة عن علم وبغير إكراه؛ لها نصيب من هذا الظلم الذي يُرتكب كلٌّ بحسَبه، إلا أنَّني أهيبُ بأبناء العمل الإسلامي أن يعزلوا قياداتهم التي ركنت إلى الذين ظلموا، وينصِّبوا قيادات قوية أمينة تقوم بواجبها في هذه الظروف العصيبة، للدفاع عن الأمَّة الإسلامية.)

وحدة الساحات
فكل على ثغر من ثغور الإسلام

ومن صور عناية الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وحرصه على مشروع جهاد الأمة والتعاون بين الشعوب المسلمة في دفع صيال المعتدين والوقوف في وجه الحرب الصليبية المعاصرة تركيزه على وحدة الساحات الجهادية فكل على ثغر من ثغور الإسلام حيث قال رحمه الله في "النزال النزال يا أهل الصومال":

(ثم إني أخاطب إخواني المجاهدين أبناء الصومال الصادقين بأن يواصلوا خطواتهم على طريق الجهاد، فالكفر العالمي في مآزق وأزمات لم يسبق لها مثيل منذ عقود بعيدة، فاصبروا واثبتوا، فأنتم جيش من الجيوش المهمة في الفيلق الإسلامي المجاهد وخط الدفاع الأول عن العالم الإسلامي في جزئه الجنوبي الغربي، وصبركم وثباتكم دعم لإخوانكم في فلسطين والعراق وأفغانستان والمغرب الإسلامي وباكستان وباقي ساحات الجهاد، وصبرهم وثباتهم أمام نفس العدو -أمريكا وحلفائها- دعم وتقوية لصبركم وثباتكم كذلك. فليحفظ كل منا ثغره وبقتل المعتدين يشفي صدره.

كما أهيب بأبناء الشعب الصومالي المسلم، أن يلتفوا ويناصروا إخوانهم المجاهدين الصادقين، كما أوجه ندائي إلى الأمة المسلمة في كل مكان بمد يد العون إلى أهلنا في الصومال لسد حاجات من أصابتهم المجاعة، وكذا أن يفرغوا من طاقاتهم وأموالهم لدعم الجهاد، إلى أن تتحرر من الغزاة والمنافقين وتقام فيها دولة الإسلام بإذن الله. وتحقيق النصر هناك ميسر بمشيئة الله، إذا قام كل طرف بواجبه، وإن مما يبشر

بذلك، أن إخوانكم الصومالين هم أهل الجلد والصبر ونفوسهم أبية، الموت أحب إليهم من أن يطأطئوا رؤوسهم لحكومة الحبشة الصليبية، وقد أبلوا بلاء حسناً ضد الغزاة الصليبين سابقاً بقيادة أمريكا فهزموها بفضل الله، ومرغوا أنفها في الطين، فخرجت تجر أذيال الخيبة والهوان. فسدوا حاجاتهم أيها المسلمون في الأموال لشراء السلاح وتيسير أمور الجهاد، فإياكم ثم إياكم أن يؤتوا من قبلكم.

أمتي المسلمة: إن انتصار المجاهدين في الصومال أمر في غاية الأهمية، وترك دعمهم والأخذ بيدهم في غاية الخطورة، فإنه إذا أكلت الأطراف سهل على العدو التهام قلب العالم الإسلامي، وفي ذلك انتقال من الاحتلال بالوكالة إلى الاحتلال المباشر من التحالف الصليبي الصهيوني.

فأنتم أمام حملة صليبية عامة عليكم، فهذه الصومال في الطرف الغربي الجنوبي، وقد غزاها الصليبيون براً وجواً وبحراً، ومن جهة الغرب زحف صليبي آخر على السودان يتقدم من دارفور، وما بين شاطئ السودان والمسجد الحرام في مكة المكرمة إلا قرابة ثلاثمئة كيلومتر، وهي أقل من مرمى صواريخ سكود، وفي الشمال في المسجد الأقصى المبارك، جيوش صهيونية منذ ستين سنة، وسفن صليبية قبالة غزة وفي جنوب لبنان جيوش صليبية أخرى، وفي المشرق غزو صليبي بقيادة أمريكا على أفغانستان وغزو آخر على العراق، فضلاً عن القواعد العسكرية المنتشرة في بلادنا.

فإلى متى تخشون أمريكا وعملاءها؟!

وأذكركم بقول الله تعالى: ﴿**أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ**﴾.

فتبرؤا من موالاة الطواغيت أعداء الله وأدو أماناتكم، وهبوا للقيام بواجباتكم، فأنتم مهددون في كل ما تملكون، في أنفسكم وأموالكم، بل في أعظم شيء عندكم: مهددون في دينكم.

أصون ديني بمالي لا أبدده   لا بارك الله بعد الدين بالمال)

الدعوة العالمية للجهاد[١٨]

بعد حديثي عن جهاد الأمة عند الإمام المجدد أسـامة بن لادن –رحمه الله– أتحدث هنا عن سمة ومعلم من أشهر معالم دعوة وجهاد الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– وهو دعوته إلى الجهاد العالمي وفي ذلك يقول أبو مصعب السوري –رحمه الله– في "دعوة المقاومة الإسـلامية العالمية": (مدرسـة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصـائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها:

وكان خلاصـة هذه طرح المدرسـة كما بينت بشـي من التفصـيل.. أن المعارك مع الأنظمة لا طائل من ورائها، وأن أمريكا وحلفاءها من قوى الصـليبية واليهود هم المسـتفيدون من معارك الاسـتنزاف تلك رغم الحق الذي فيها. وأن الحل في جهاد رأس الأفعى أمريكا التي سـيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة، وبداية لاسـتواء الأوضـاع وسـيرها نحو الصـواب، حيث يسـهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي بعد تنظيف المنطق العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها..

وقد مثل الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة أبرز من رأي التحرك في هذا الاتجاه من الجهاديين منذ ١٩٩٦. وافتتح ذلك بإصدار بيان إعلان الجهاد ضد أمريكا كما حصل في تجربتهم التي لخصتها في الفصل السابق. وأعتقد أن هذا الطرح بشكل عام بصـرف النظر عن تفاصـيل أداء من عمل له هو طرح صـحيح وصـائب ويتناسـب

١٨ . وينظر لمزيد تفصيل كتاب الشيخ خبيب السوداني –حفظه الله– "شذرات من تاريخ القاعدة".

جدا مع حجم المتغيرات التي شهدها العالم باستيلاء أمريكا على قيادة النظام العالمي الجديد وانفرادها بحكم العالم كقطب أوحد وقوة عظمى متجبرة..)

وفي تقرير هذه الحقيقة يقول الشيخ عطية الليبي -رحمه الله- كما في "مجموع الأعمال الكاملة": (ولنكون واضحين أيضا مرة أخرى أخي الكريم، فعندما أقول "الحركة الجهادية" فإنني أعني بها:

الحركة الجهادية العالمية التي هي مشروع أمة الإسلام الكامل المتكامل المترابط، وهي حركة: التوحيد والجهاد والسنة والولاء والبراء، ونصاعة العقيدة وصفاء المنهج ووضوحه، والصدق والصدع بالحق، التي لا ترضى بأنصاف الحلول والتسويات، ولا تلتقي مع عدوّها الكافر في منتصف الطريق، ولا ترضى بالفتات!! حركة أخذت على عاتقها الإحاطة بهذا الدين من كل جوانبه بحسب الوسع والطاقة ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، حركة من مبادئها: ليس عندنا ما نخسره: نحن بين إحدى الحسنيين: نصر أو شهادة، ومن مبادئها: المنيّة ولا الدنية، ولضربة بسيف في عزّ خير من ضربة سوط في ذل..

حركةٌ الوشيجة التي تربط بين أبنائها وأعضائها وأفرادها هي الإسلام: التوحيد والسنة والسير على منهج وطريق السلف الصالح من هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، لا تعترف بـ "سايكس بيكو" والحدود التي صنعها ووضعها أعداء الأمة ومزقوها بها، إلا بقدر ذلك الاعتبار "الفني" إذا صح التعبير الذي تكلمنا عنه فيما سبق متى ما تمحّص واتضحت فيه المصلحة الراجحة، وذلك من مسائل السياسة الشرعية، حركة لا تفرّق بين كافر محليّ وأجنبيّ، إلا -مرة أخرى- بالقدر

والاعتبار "الفني" إذا صـــح التعبير وإنما نســـتعمله لتقريب الفهم، كتقديم قتال هذا على ذاك أو ذاك على هذا، أو تحييد هذا والســـكوت عنه إلى حين، أو نحو ذلك، مما تسعه السياسة الشرعية ولله الحمد والمنة..

حركة لا تعترف إلا بشـــرعية ديننا وشـــريعتنا المطهرة شـــريعة رب العالمين كمرجعية مطلقة، لا بما يُسمّى اليوم بـ "الشرعية الدولية" وغيرها.

حركة غاية الجهاد عندها ودافعه هي: أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدينُ كله لله، هذا هو المبدأ الأســاســي والأكبر والمقصـد الأعظم، فما اندرج تحت هذا المبدأ وخدمه، من أغراض ومقاصـــد أخرى، ولم يرجع عليه بالبطلان، كتحرير الأوطان من قبضـة الأعداء الظلمة، ونصـر المستضـعفين وحفظ الأعراض ونحوها، فهو تابع له في الشـــرعية، حركة عرفت عدوّها جيدا وعرفت أعداء الأمة ولم تعد منخدعة فيهم أو مغترّة بنفاقهم وألاعيبهم، حركة لا تســـلم قيادتها إلا للأمناء على الدين فعلا، ﴿**الصَّادِقِينَ**﴾ نحسبهم كذلك، بحسب وسعها وطاقتها، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.)

وقال الدكتور أيمن الظواهري في كلمته "بعد سبع سنوات أين الخلاص":

(إذن في كلماتٍ معدوداتٍ ما هو طريقُ الخلاصِ والنصرِ؟

طريقُ الخلاصِ والنصـرِ هو بالوعيِ، وهو أكبرُ معركةٍ يجب أن نخوضَـها لتوعيةِ الأمةِ بما هو المفروضُ عليها، وما هو واجبُها؟ وما هو الفرقُ بين الحقِ والباطلِ؟ ومن هو عدوُها ومن هو صديقُها؟

ولتوعيتِها بأن التفاهمَ مع الأنظمةِ الفاســـدةِ في بلادِنا ومع أكابرِ المجرمين -وعلى رأسِهم أمريكا- لا يؤدي إلا لخسارةِ الدينِ والدنيا.

وأن المولى ســـبحانه قد أمرنا بأن نقاتلَ المفســـدين باللســـانِ والبيانِ والســـنانِ، قال سـبحانه: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْـتَضْـعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَـاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِـيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَـبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي ســبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاء الشَّـيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾.

وأن نجتمعَ جميعًا متحدين حولَ كلمةِ التوحيدِ، نخوضُ جهادَ الأمةِ من كاشـغرَ حتى سواحلِ الأطلسيِ، ومن قممِ القوقازِ حتى الصومالِ ووسطِ إفريقيا، نجتمع متكاتفين كأمةٍ واحدةٍ تخوضُ معركةً واحدةً على جبهاتٍ متعددةٍ، لا أن نخوضَ معاركَنا على أننا تنظيماتٌ قطريةٌ ضيقةٌ مرعوبةٌ من التصنيفِ بالإرهابِ.

إنها معركةُ الأمةِ كلِها بعلمائِها الصادقين ومجاهديها المستبسلين وأهلِ الرأيِ والتجارِ والزعماءِ والحكماءِ المخلصين.

علينا أن نعلمَ أن معركتَنا طويلةٌ، وأنها معركةُ العقيدةِ والوعيِ قبل معركةِ الســـلاحِ والقتالِ، بل معركةُ الســـلوكِ والتربيةِ والزهدِ في الدنيا قبل التفجيرِ والاغتيالاتِ وجمعِ الغنائمِ.

فلنتحدْ ولنتقاربْ ولنصطفْ ولنصلحِ الخللَ ونسدَ الثغراتِ، ولنصدقْ مع ربِنا ليُنْزِلَ نصرَه علينا، قال سبحانه: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بِيْنِكُمْ**﴾، وقال عز من قائلٍ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾.))

فهذه الأقوال وغيرها الكثير ترسخ هذا المعلم الجلي للحركة الجهادية الراشدة التي كان من رموزها وأعلامها وحملة لوائها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- الذي خطَّ بكلماته وتوجيهاته ودمه هذا المعلم وهذا النوع من الجهاد فقال -رحمه الله- "السبيل لإحباط المؤامرات": (كما وأني أطمئن أهلنا في فلسطين خاصة بأننا سنوسع جهادنا بإذن الله، ولن نعترف بحدود سايكس بيكو، ولا بالحكام الذين وضعهم الاستعمار، فنحن والله ما نسيناكم بعد أحداث الحادي عشر، وهل ينسى المرء أهله؟! ولكن بعد تلك الغزوات المباركة التي أصابت رأس الكفر العالمي وفؤاده الحليف الأكبر للكيان الصهيوني أمريكا فإننا اليوم منشغلون بمصاولتها ومقاتلتها وعملاءها ولاسيما في العراق وأفغانستان والمغرب الإسلامي والصومال ، فإن انهزمت وعملاءها في العراق بإذن الله فلن يبقى كثير ولا قليل لتنطلق جحافل المجاهدين كتائب في إثرها الكتائب من بغداد والأنبار والموصل وديالى وصلاح الدين تعيد لنا حطين -بإذن الله- ، ولن نعترف لليهود بدولة ولا على شبرٍ من أرض فلسطين كما فعل جميع حكام العرب عندما تبنوا مبادرة حاكم الرياض قبل سنوات ، ولم يكتفوا بارتكاب تلك المصيبة الكبرى بل رأى الناس مؤخراً راعية المستسلمين تسوقهم متقاطرين إلى أنابوليس تمارس عليهم ما مارسه الأمريكيون

على أجدادها من قبل ولكن لا ليباعوا بل ليبيعوا ، وأي شـــيء يبيعون ؟ يبيعون القدس والأقصـــى ودماء الشـــهداء ولا حول ولا قوة إلا بالله، عليهم من الله ما يســـتحقون، وبذا تأكد للناس من الأمين ومن الخائن ومن الذي تحركه الأيادي الصهيونية.

أنا مازال جـرح القدس في جنبيَّ يعتمل

ووقد مصابها كالنار في الأحشاء يشتعل

أنا ما خنت عهد الله لما خانت الدول

كما وأننا لن نحترم المواثيق الدولية التي تعترف بالكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين كما تحترمها قيادة حماس أو كما صـــرح بذلك بعض قيادات الإخوان المســـلمين، وإنما جهاد لتحرير فلسطين كلها من النهر إلى البحر بإذن الله واضعين أيدينا بأيدي المجاهدين الصـــادقين هناك من قواعد حماس والفصـــائل الأخرى الذين أنكروا على قادتهم عدولهم عن الحق، فالدم الدم والهدم الهدم وأكرر القسـم: والله لننصـرنكم ولو حبواً على الركب أو نذوق ما ذاق حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وختاماً، أذكر أمتي الإســلامية الغالية فأقول، أيها الناس لكم عِبَرٌ كثيرة في ما مرَّ من أحداث فكفوا عن اللهو واللعب واسمعوا وعوا واســـتيقظوا واتعظوا، فإن الأمر كبير خطير فأين تذهبون؟! وماذا تنتظرون؟! فقد حمي الوطيس ولم يبق بينكم وبين ما يراد بكم كثير ولا قليل، ولا نجاة لنا إلا بالاســـتجابة لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وإن من أعظم أوامره أن نجاهد في سبيله فينكسر الشر الظاهر ويخنس الشر الخفي، فأدوا أماناتكم عباد الله وهبوا للقيام بواجباتكم، ولاســـيما وقد كفاكم

إخوانكم في ميادين الجهاد معظم المؤونة فأنتم مهددون في كل ما تملكون في أنفسكم وعرضكم وأرضكم ومالكم، وأهم من ذلك كله وأهم من ذلك كله أنكم مهددون في دينكم.

أصون ديني بمالي لا أبدده   لا بارك الله بعد الدين بالمالِ

والأمر جد لا هزل فيه وقد قيل: أكلت يوم أكل الثور الأبيض، فاليوم بغداد وغداً دمشق وعمان والرياض فاتقوا الله حق تقاته ولا تخشوا في الله لومة لائم، وإن ما يريده أبناؤكم المجاهدون من مال للعتاد والقتال في سبيل الله قليلٌ يستطيعه تاجر واحد منكم يؤدي -بإذن الله- إلى هزيمة رأس الكفر العالمي، فإلى متى تخشون أمريكا وعملاءها؟ أليس فيكم تاجر رشيد يتحرر من الخنوع ومن قيود العبيد، ويتذكر الموت والبلى فيعِدُّ الزاد ليوم المعاد ، فقد ولد بلا مال وسيرحل على تلك الحال فليتق الله ويخشاه، وليحتسب ما بقي من عمره وماله لأُخراه، وليستعن على قضاء حوائجه بالكتمان ويقتدي برسولنا عليه الصلاة والسلام، فقد اختفى عن أعين قريش في الغار ثم هاجر سراً إلى الأنصار -رضي الله عنهم- فيرتب أموره الأمنية ويهاجر إن اقتضى الأمر الهجرة متذكراً عظم الثواب الجزيل، ويكون سبباً في نصرة الدين وإنقاذ أمة الأمين محمد ﷺ في وقت قد تداعى عليها الأعداء من كل مكان ، فأي ذخرٍ هذا وأي شرف هذا يشرفه الله به كما شرّف عثمان -رضي الله عنه- وهو رجل واحد بتجهيز جيش العسرة ضد الروم، فقال رسول الله ﷺ: «ماضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم، ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم».

قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾، وقال الله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.

وقد قيل:

فتشبهوا بالكرام إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاحُ

فدعم المجاهدين الصادقين ولا سيما في فلسطين والعراق وأفغانستان والمغرب الإسلامي والصومال هو والله مشروع الأمة كلها ، وهو خط دفاعها الأول في وجه جميع أعدائها الطامعين بها، وفيه صلاحها في دينها و دنياها وفيه عزها وسلامتها، ففيه أمنها على جميع المحاور، نعم فيه أمنكم العسكري وكذا أمنكم الاجتماعي وفيه أمنكم الغذائي وكذا أمنكم الاقتصادي، ليحفظ نفطكم وثرواتكم وتسلم أموالكم التي تفقدونها وهي بين أيديكم، بسبب ربطها الظالم المتعسف بالدولار، ودعم المجاهدين أيضاً هو مشروع الأمة لتحرير فلسطين جميعها فيبتسم الأقصى ونحرر الأسيرات والأسرى بإذن الله، ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ**﴾.

﴿**وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في " الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (ثم إنِّي أوجِّه خطابي لأهل الحلِّ والعقد من العلماء الصادقين والزعماء المطاعين والأعيان والوجهاء والتجار: بأن يتداركوا الأمر قبل فوات الأوان،

فإنَّ الأمور تسـير بسـرعة غير عادية نحو الانفجار، فابذلوا ما في وسـعكم لسـحب فتيل الأزمة، مع العلم أنَّ المجاهدين في بلاد الحرمين لم يبدأوا القتال بعدُ ضـدَّ النظام، ولو بدأوا فعلاً لكان في رأس القائمة التخلُّص من أَئِمَّةَ الكفر المحلي حكام الرياض، ولكن الذي يجري ما هو إلا امتداد للقتال مع التحالف الصـــليبي الأمريكي الذي يقاتلنا في كلِّ مكان ونقاتله في كلِّ مكان كذلك، بما في ذلك بلاد الحرمين، ونحن نسعى لإخراجهم منها بإذن الله.

فيا أهل الحلِّ والعقد اتقوا الله في أنفســـكم وفي أمَّتكم، وليهاجر الذين يســـتطيعون فيتحرَّروا من القيود الوهمية وممَّا يفرضـه النظام من ضـغوط نفسـية ليتسـنَّى لكم القيام بواجبكم بتوجيه الأمَّة، وترتيب الأولويات المهمَّة، فإنَّ تأخركم يزيد الأمور تعقيدًا، والمشــاكل عمقًا وتشـعُّبًا، ويفتح الباب للشـباب ليجتهدوا دونكم باتخاذ قرار البدء بالقيام المســـلَّح على الحاكم إذا بدا لهم أنَّهم قد أعدُّوا ما يلزم لذلك وغلب على ظنِّهم أنَّ ما أعدُّوه كافيًا لخلع الحاكم المرتد، مع العلم أنَّ الواجب أن تتَّحد جهود الصـادقين للقيام بهذا الأمر العظيم، ولكن إن تثاقل بعضـهم فإنَّ واجب القيام على الحاكم لا يسقط.)

ومن جميل ما يذكر وينقل في مسـألة الجهاد العالمي قول الأسـتاذ الكبير سـيد قطب -رحمه الله- في ظلال القرآن: (لعلك تبينت مما أســـلفنا آنفا أن غاية الجهاد في الإسلام، هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسـلام في مكانها واسـتبدالها بها. وهذه المهمة.. مهمة إحداث انقلاب إسـلامي عام. غير منحصرة في قطر دون قطر. بل مما يريده الإسلام، ويضعه نصب عينيه أن

يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة.. هذه غايته العليا، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره.

إلا أنه لا مندوحة للمسلمين، أو أعضاء "الحزب الإسلامي" عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنوها. أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض.

وذلك أن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية، بل تدعو الناس جميعا إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين، لا يمكنها أصلا أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر. بل الحق أنها مضطرة بسجيتها وجبلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها، ولا تغفل عنها طرفة عين. فإن الحق يأبى الحدود الجغرافية، ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها. فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة.)

وفي بيان هذا النهج السديد للإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– يقول الشيخ أبو مصعب السوري رحمه الله في "دعوة المقاومة": (ولست هنا بصدد التفصيل عن المرحلة، ولكن أشير هنا إلى أن تلك العقلية "القطرية–الحزبية التنظيمية" أضاعت فرصة ذهبية على التيار الجهادي. ولم يستطع دعاة الفكرة الأممية في المواجهة، لا الشيخ أسامة والقاعدة ولا غيره إقناع تلك الشرائح والكوادر باقتناص الفرصة وضم الجمع في حالة موحدة أو تنسيقية على الأقل. ورغم أن الشيخ أسامة كان المرشح الأساسي لإقناع الآخرين بذلك إلا أنه فشل بذلك، وذلك لأسباب تعود

عديدة كان من أهمها تصـــوراتهم القطرية والتنظيمية من جهة، وافتقار القاعدة للمنهجية الواضحة بحسب مقاييس الجهاديين وكذلك عدم وضوح البنية المؤسساتية فيها. فكان هذين العاملين أهم العوامل في ضياع تلك الفرصة. فقد كان من الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأسـاليب والأهداف والوسـائل في ظل فهم الواقع الجديد، مســتغلين الظروف المواتية، والالتفاف جميعا حول مشــروعية أمير المؤمنين "الملا محمد عمر". ورمزية الشيخ أسامة العالمية. ولكن ذلك لم يحصل وفشلت جميع الجهود الساعية في ذلك والتي قام بها البعض من المستقلين الذين كنت واحدا منهم – حيث دعوت كبار القوم ولأكثر من مرة في عدة مناسـبات لإقناعهم بذلك دون جدوى. وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وجاء سبتمبر ليضع حدا لتلك الفرصة الذهبية ويطوى في كنف الغيب سر ما إذا كانت ستتاح فرصة جديدة للجهاديين يكون الجيل القادم منهم قادرا على تحقيق ما عجز عنه أولئك السـلف المجاهد الذي أدى دورا رياديا في مواجهة أعداء الإسـلام وحلفائهم من المرتدين، ولكن الأزمات والمصـــائب كانت أكبر من إمكانياتهم في تحقيق الأهداف. ولعل في القدر القادم ما يبشر بتحقيق ما فات من الفرص، ولكل أجل كتاب.)

تعظيم حرمات ودماء المسلمين والثأر القصاص لها

لقد كان لعظمة حرمة الدم المسلم ومنزلته عند الله ووجوب الثأر لها الأثر العظيم في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-.. فكان يركز على ذلك كثيرا في دعوته وتوجيهاته ويعتبره من مفاتيح الصراع مع أعداء الإسلام اليوم.. مما جعل لدعوته أثراً عظيماً وانتشاراً واسعاً بين المسلمين.. وأصبحت هذه السمة من المعالم العامة لدعوته -رحمه الله- يعرفها الصغير والكبير.. ورأينا صيحات المستضعفين من المسلمين تطالبه بالثأر لهم من التحالف الصهيوصليبي..

ومن الأمثلة الدالة على تعظيم حرمات ودماء المسلمين عند الإمام المجدد -رحمه الله- قوله في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين": (فلا يخفى عليكم ما أصاب أهل الإسلام من ظلمٍ وبغيٍ وعدوانٍ من تحالف اليهودِ والنصارى وأعوانهم، حتى أصبحت دماء المسلمين أرخص الدماء، وأموالهم وثرواتهم نهبًا للأعداء، فها هي دماؤهم قد سُفِكَت في فلسطين والعراق، وما زالت الصور الفظيعة لمجزرة قانا في لبنان عالقةً بالأذهان، وكذلك المجازر في طاجكستان وبورما وكشمير وآسام والفلبين وفطاني والأوجادين والصومال وإريتريا والشيشان وفي البوسنة والهرسك، حيث جرت مذابح للمسلمين هناك تقشعرُّ لها الأبدان، وذلك على مرأى ومسمع من العالم أجمع، بل وبتآمرٍ واضحٍ من أمريكا وحلفائها بمنعهم السلاح عن المستضعفين هناك تحت ستار الأمم المتحدة الظالمة، فانتبَهَ أهل الإسلام إلى أنَّهم

الهدف الرئيسي لعدوان التحالف اليهودي الصليبي، وزالت كل تلك الدعايات الكاذبة عن حقوق الإنسان تحت الضربات والمجازر التي ارتُكِبَت ضد المسلمين في كل مكان.

وكان من آخر هذه الاعتداءات أن أُصيبَ المسلمون بمصيبة من أعظم المصائب التي أُصيبوا بها منذ وفاة النبي ﷺ؛ ألا وهي احتلال بلاد الحرمين؛ عقر دار الإسلام ومهبط الوحي ومنبع الرسالة وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين أجمعين، وذلك من قِبَل جيوش النصارى من الأمريكيين وحلفائهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

وقال -رحمه الله- في "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠هـ": (فهذا العيدُ يعود، وفي هذه اللحظات يعود على إخواننا المسلمين في فلسطين وفي لبنان وفي العراق وفي السودان والصومال وفي البوسنة وفي الشيشان وما أدراك كيف يعود العيد على إخواننا في الشيشان! يعود عليهم ودوي المدافع يزلزل الأرض هناك، يعود عليهم وقصف الطائرات على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة.

الكفر العالمي تألب وتكتّل وتحشّد ضد أهل الإسلام وضد المسلمين في الشيشان، قصفٌ ونسفٌ وتخريب، دكٌّ للجسور وهدمٌ للبيوت وانتهاكٌ للأعراض وسفكٌ للدماء، دماءُ المسلمين أرخص الدماء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جراحُ المسلمين غائرة، غائرة جدًّا في كل مكان ولكن جراحنا اليوم في أعظم مقدساتنا، في البيت العتيق، في الكعبة المشرفة في مسجد نبينا عليه الصلاة

والســـلام، بعدما خَذَلْنا مســـرى نبينا عليه الصـــلاة والســـلام في القدس، ها هم الصـليبيون واليهود قد تحالفوا وغزوا دار الإسـلام في عقر دارنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلئن كانت تلك مصـــائب عظيمة وغائرة إلا أن مصـــيبتنا في البيت العتيق هي أشدها وأعظمها وأوجعها وآلمها.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى مؤتمر علماء الديوبند في بيشاور":

(يا أصحاب الفضيلة..

أبعث إليكم هذا النداء في وقت تســـتباح فيه الدماء حتى دماء الأطفال الأبرياء، وتنتهك فيه الحرمات الإســـلامية في أَكثَرَ من مكان تحت إشـــرافِ النظامِ العالمي الجديد ورعايةِ الأمم المتحدة التي أصـــبحت أداةً مكشـــوفةً لتنفيذِ مخططاتِ الكفر العالمي ضـد المســلمينَ، هذه المنظمة التي تشـرفُ بكل كفاءةٍ على إبادة وحصـار ملايين المسلمينَ ثم لا تستحي أن تتحدث عن حقوق الإنسان!!

إن رسولَ الله ﷺ يقول في الحديث الذي رواه البخاري: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشـاش الأرض حتى ماتت»! هذا في هِرة يا عباد الله فكيف بمن حبس شـعوب مسـلمة وفرض عليها الحصـار حتى الموت؟، اللهم إني أبرأ إليك مما صـــنع هؤلاء وأعتذر إليك عن قعود المســـلمين عن نصـــرة إخوانهم المحاصَرين.

يا علماء الإسلام:

إن هذه الجِراح مهما كانت غائرة، وهذه الأزمات ولو كانت متكاثرة، فإن الثقة بالله عظيمة، وقد وعد بنصــــر دينه، وبشـــر بأنه لا تزال طائفة من أمة النبي محمد ﷺ ظاهرين على الحق يقاتلون عليه لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.)

وقال رحمه الله في" الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والســبيل لحله": (من هم أصـحاب الفكر الضـال والزمرة الفاسـدة؟! الذين يسـتبيحون البلد الحرام ويقتلون المسـلمين في مكة المكرمة؟ أهم خالد المحضـار ونواف الحازمي وأخوه سـالم الذين خرجوا من مكة المكرمة، وضـربوا أمريكا في عقر دارها دفاعًا عن الإسـلام في أمِّ القرى وما حولها؟ أم هو فهد بن عبد العزيز الذي استباح حُرمة الحرم وكان يمكن حلُّ تلك الأزمة بغير قتال، كما اتفق العقلاء في ذلك الحين، وإنَّما كان الموقف يحتاج إلى بعض الوقت وخاصَّة أنَّ الموجودين في الحرم بضع عشرات، وأسلحتهم خفيفة، أكثرها بنادق صــيد، وذخيرتهم قليلة وهم مُحاصَــرون، ولكن عدو الله فهد فعل ما لم يفعله الحَجَّاجُ من قبل، فعاند وخالف الجميع، ودفع بالمجنزرات والمصفَّحات إلى داخل الحرم، ولا زلتُ أذكرُ أثر المجنزرات على بلاط الحرم ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا زال الناس يتذكَّرون المآذن كانت تكسوها السواد بعد قصفها بالدبابات، إنَّا لله وإنا إليه راجعون.

من الذي استباح حرمة البلد الحرام ودماء المسلمين؟ أهم الشباب؟! أم قوات الأمن التي قتلت المســاكين والفقراء بحي "الرصـيفة" بمكة المكرمة، وأخرجت من بقي حيًّا بقوة السلاح من بيوتهم وحجراتهم الضيِّقة المبنية بالصفيح ليهنأ بالأرض أميرٌ في وزارة

الداخلية، وقد علم بذلك علماء وخطباء الحرم ولم يتكلّموا بكلمة عن حرمة دماء المسلمين في البلد الحرام، لأنَّ هؤلاء المعتدى عليهم كانوا فقراء مساكين.

من هم أصحاب الفكر الضال والزمرة الفاسدة؟ أهم المجاهدون؟! أم هم الذين ساهموا مع أمريكا في قتل أكثر من مليون طفل خلال بضع سنين في أكبر مجزرة للأطفال عرفتها البشرية أثناء حصاركم الظالم للعراق. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» متفق عليه.

وإنَّ الذين يتولّون النظام ويؤيدونه هم شركاء في هذا الذنب العظيم كلٌّ بحسبه، وفي حديث آخر أيضًا قال رسول الله ﷺ: «لو اجتمع أهل السماوات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبَّهم الله في النار»، قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾.

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس في الدماء»، وفي حديث آخر قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الحديث الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمًا، فيقول: يا ربِّ سلْ هذا فيمَ قتلني؟ حتى يدنيه من العرش» رواه الترمذي.

هذا مقتولٌ واحدٌ يتعلَّق بقاتله، فكيف بتعلُّق مليون طفل بقاتليهم كل واحد منهم آخذ ناصيته ورأسه بيده وهم يقولون: يا ربِّ، سل هؤلاء فيمَ قتلونا؟! أكبر مجزرة للأطفال في تاريخ البشرية، فهذا ظلم عظيم وجرم كبير يجب على المسلمين أن يتوبوا منه ويندموا عليه ويتبرَّؤوا من هذه الحكومات الكافرة الفاجرة الظالمة التي كانوا يوالونها ويؤيدونها، وينبغي عليهم أن يفتدوا أنفسهم من أولياء المقتولين، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْه**﴾، وقال الله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَه**﴾.)

التحذير من التساهل بالدماء المعصومة

إن من أعظم الحرمات عند الله حرمة دم المسلم فلا يتساهل فيها إلا من سفه نفسه ولم يعظم ما عظمه الله وحرم الاعتداء عليه فقد توعد الله قاتل المؤمن عمداً بقوله: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣].. وقال رسول الله ﷺ: «لا يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لم يصب دماً حراماً» رواه البخاري.. وقال رسول الله ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» رواه الترمذي وصححه الألباني.. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» متفق عليه..

وقد كان تعظيم شأن الدماء المعصومة والتحذير من الاعتداء عليها أو التساهل في أمرها من المعالم الجلية والسمات البارزة في منهج الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- يظهر ذلك بجلاء ووضوح لكل من نظر في تراثه المسموع والمرئي والمقروء. حيث قال رحمه الله في "الجهاد وتجاوز العقبات": (رحم الله الشيخ "جميل الرحمن" رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته، فلقد كان رحمه الله كما شهد له بذلك أوائل المجاهدين الذين بدأوا الجهاد معه، وقد سمعت من الشيخ "جلال الدين حقاني" يحدث مرة، قال: كنت والشيخ "جميل الرحمن" في مجلسٍ للمولوية في بداية الجهاد،

فأنكروا علينا كيف نبدأ الجهاد ضد الدولة ولا إمام لنا، قال وإذ يُيسر الله سبحانه وتعالى ونتذكر أن أبا بصير -رضي الله عنه- بدأ الجهاد ولم يكن له إمام فذكرنا ذلك لهم فلم ينطقوا بجواب، ومنّ الله علينا وبدأنا الجهاد في سبيل الله، وهو يرحمه الله كان له مع سبقه في الجهاد باع مشهود في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ففتح المعاهد والمدارس لدعوة الناس إلى التوحيد الصحيح، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ويرحمه ويجازي الذين كانوا سببًا في مقتله بما يستحقون، وعجبًا لهؤلاء كيف يتجرؤون على قتل مسلم، بل كيف يتجرؤون على قتل علمٍ من أعلام المسلمين ومجاهدٍ من كبار المجاهدين، وقد قدر الله سبحانه وتعالى وعظّم حرمة المسلم تعظيمًا شديدًا حتى جعل له من الوعيد نار جهنم نسأل الله العافية، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾.

وحذر من ذلك رسولنا ﷺ، فقد صح عنه في الحديث الصحيح: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق»، هذه الدنيا بأسرها أهون أن تزول من قتل مؤمن بغير حق، وقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» والأحاديث في هذا كثيرة، وصح عنه ﷺ: «إن أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» أول ما يقضى بين الناس، وجاء في الحديث عند هذه الآية في تفسير ابن كثير رحمه الله، الحديث عنه ﷺ: «من أعان على قتل مسلمٍ بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه آيسٌ من رحمة الله» نرجو الله أن يعافينا وإياكم

من أن نعين أحدًا على قتل مسلم، وإننا نفرنا نبتغي الرضوان من الله سبحانه وتعالى ونبتغي الجنان، ما نفرنا حتى نعين على قتل مسلمٍ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأذكر نفسي وإخواني بأن نحذر كل الحذر من آفات اللسان وكما في حديث معاذ رضي الله عنه: "وهل يكب الناس على وجوههم -أو قال مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم" وكم من مسلم يعين على قتل مسلم من حيث يدري ولا يدري، يلصق التهم جزافًا بلا دليل ويشهد شهادات الزور وهي من أكبر الكبائر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكذلك بيّن رسول الله ﷺ شدة الحذر من الخوض في دماء المسلمين وفي أعراضهم، ففي المحافل العظيمة وفي اجتماع المسلمين كان يحذر ﷺ كلما اجتمع جمع عظيم من المسلمين يحذر من الخوض في دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، كما في الصحيح في يوم عرفة عندما نزل بطن الوادي -وادي عرفة- قال ﷺ: «وإن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

وصح عنه في صحيح مسلم ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»..)

وقال الدكتور الظواهري في "أيام مع الإمام": (أذكر أيضًا فيما يتعلق بمعلم أول جل -رحمه الله- أنّ أحد الإخوة جاء للشيخ أسامة بن لادن وقال له أننا اكتشفنا الشخص الذي وشى بمعلم أول جل وأننا نريد أن نرتب لقتله فالشيخ أسامة بن

لادن قال لهم يا إخوة لا تأخذوا الناس بالشـــبهات واتقوا الله في الدماء وما تقتلوا أحدًا بشـــبهة إلا أن تكونوا على يقين من أنه فعلاً قد تورط في العمل والخيانة مع الأمريكان.)

مسألة التترس

المقصود بالتترس هنا: أن يتخذ العدو مجموعة من الناس كدرع وترس بشري ليحمي بهم نفسه لأنه يظن أن خصمه لن يقدم على ضربه أو الهجوم عليه حفاظاً على هذا الدرع والترس البشري..

ولها صور وحالات متعددة من أعقدها في هذا الزمان الحالة التي يجعل العدو مراكز قواته والمنشآت العسكرية في المناطق السكنية والأسواق العامة

فمسألة التترس من مسائل فقه الجهاد المشهورة قديما وحديثا.. ولكن دعت الحاجة للتفصيل فيها في هذا الزمان المعاصر لكثرة شيوعها وتعدد حالاتها وتغير صورها.. وقد أفردها عدد من أهل العلم في هذا الزمان بالبحث المستقل كما فعل الشيخ أبو يحيى الليبي –رحمه الله– أو ضمن أحكام الجهاد كما فعل أبو عبد الله المهاجر –حفظه الله– وغيرهم..

وهي مسألة حساسة وخطيرة لها جوانبها الإيجابية لمن أحسن فقهها والتزم بضوابطها إذا دعت الضرورة إليها وفي الجانب المقابل لها آثار سلبية على الدعوة والجهاد إذا أسيء في تنفيذها فلم يُلْتزم بضوابطها وشروط جوازها[١٩]

---

١٩ . يراجع في ذلك كتاب الشيخ أبي يحيى الليبي –رحمه الله– "التترس في الجهاد المعاصر" ومبحث "حكم قتل العدو إذا تترس بدرع بشري من المسلمين أو من غير المسلمين" الجهاد والقتال في السياسة الشرعية للدكتور محمد خير هيكل –حفظه الله–.

وقد كان من صور تعظيم إمامنا المجدد -رحمه الله- لشأن الدماء المعصومة توجيهه لعدم التوسع في مسألة التترس والالتزام بالضوابط الشرعية التي ذكرها العلماء لمشروعيتها حيث قال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وفي الختام؛ أوصي نفسي والمجاهدين بتقوى الله في السرِّ والعلن، وبالذكر وقراءة القرآن، وكثرة الدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى، كما أوصي نفسي وإيَّاكم بالصبر، واجتناب الغدر، فإنَّ لكل غادر لواء ينصب له يوم القيامة، والحذر الحذر من الدماء المحرَّمة إلا ما أباحه الشرع؛ كمسألة التترس من غير توسُّع، والتي يقدِّرها فقهاء المجاهدين، فإنَّنا إنَّما نتعرَّض لنصر الله بالتقرُّب إليه بالطاعات، والبعد عن المعاصي، ثم إنِّي أحثُّكم على ضرب خطوط الإمداد، وخطوط النفط وزراعة الألغام المضاعفة، التي لا تبقي جريحًا، واغتيال أصحاب الشركات الذين يمدُّون العدو بما يحتاج، سواءً في الرياض أو الكويت أو الأردن أو تركيا أو غيرها.

وعليكم بالاجتهاد في العمليات الاستشهادية، تلك العمليات التي كانت سببًا عظيمًا بفضل الله في إرعاب العدو، وإرباك حركته، وإفشال مخططاته، وتحدَّت جميع عُدده وعَدده فهذه من أهمِّ الأعمال.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (أُحَرِّضُ شباب الإسلام على الجهاد ولا سيَّما في فلسطينَ والعراق وأُوصي نفسي وإياهم؛ بالصبر والتقوى، وأن يُثخنوا في العدو بقوة، مع الحرصِ على دماء المسلمين أثناء ذلك، وأن يحذروا ولا يتوسَّعوا في مسألة التترس، بل يُقَدِّرُهَا بقَدرِها علماؤهم الصادقون -في كلِّ

عمليةٍ على حدة- فإنَّنا إنَّما نرجو نصـــر الله بالصـــبر والتقوى، اللهم اجعلنا من الصابرين المتقين.)

وقال -رحمه الله- في "الســبيل لإحباط المؤامرات": (وفي الختام، أطمئن المســلمين عامة وأهلنا في دول الجوار خاصـــة بأنهم لن ينالهم من المجاهدين إلا كل خير بإذن الله ، فنحن أبناؤكم ندافع عن دين الأمة كما ندافع عن أبنائها، وما يقع من ضحايا من أبناء المسلمين أثناء العمليات ضد الكفار الصليبيين أو وكلائهم المغتصبين فإنهم غير مقصودين، وعَلِمَ الله أنه يحزننا حزناً شديداً أن يقع بعض الضحايا من المسلمين ونحن مسؤولون مع ذلك عنه ونستغفر الله منه ونرجو الله أن يرحمهم ويدخلهم فسيح جناته ويخلف أهلهم وذويهم خيراً، ولا يخفى عليكم أن العدو يتعمد أن يتخذ مواقعه بين المســـلمين ليكونوا له تروســـاً ودروعاً بشـــرية، وهنا أؤكد على إخواني المجاهدين بأن يحذروا من التوســـع في مســـألة التترس ويحرصـــوا أن تكون عملياتهم لاستهداف العدو منضبطة بالضوابط الشرعية بعيداً عن المسلمين ما أمكنهم ذلك دون أن يُعطِّل الجهاد في سبيل الله.)[٢٠]

٢٠ . قلت وعلى هذا الكلام الدقيق يحمل كلام الإمام المجدد العام في هذه المســألة فمما يســتأنس به هنا ما جاء في وثائق أبوت أباد في رسائله للشيخ عطية الله الليبي -رحمه الله-: (ويطلب من كل أمير من أمراء الأقاليم أن يحرص أشد الحرص على ضبط العمل العسكري وعدم التوسع في مسألة التترس، فبعض العمليات التي قام بها المجاهدون وسقط فيها عدد من المسلمين كان يمكن الوصول إلى الهدف منها من دون إصابة المسلمين وذلك بشــيء من الجهد والتأني، وكذلك بعض العمليات كان يجب إلغاؤها لاحتمال وقوع المدنيين فيها لغير ضــرورة، فعلى سبيل المثال العمليات التي تستهدف بعض أئمة الكفر أثناء زيارتهم للأماكن العامة التي يتواجد فيها عامة المسلمين، ومن الممكن استهدافهم بعيدًا عن المسلمين.

فوقوع مثل هذه الأخطاء أمر عظيم ولا يخفى عليكم عظم حرمة دم المسلم فضلًا عن الضرر الواقع على الجهاد بنفور عامة الأمة من المجاهدين نتيجة لذلك؛ فيجب على الإخوة في جميع الأقاليم أن يعتذروا ويتحملوا مسؤولية

ما جرى، وتتم مساءلة من وقع منه الخطأ عن الخلل الذي أدى لوقوعه، وما هي الإجراءات التي سيتخذها حتى لا يتكرر.

وفيما يخص وقوع الخطأ البشري الخارج عن إرادة البشر كما هو متكرر في الحروب فيتم الاعتذار عنه وتحمل المسئولية وتوضح نواحي الخلل، وقد يكون بعض الذين قتلوا خطأً هم من الفساق، فينبغي أن لا تتم الإشارة إلى فسقهم في حين أن أهلهم مكلومون، والخصوم حريصون على إظهار أننا غير مبالين بهم.

وإن حصل من بعض الإخوة في الأقاليم تقصير في هذا المجال فلا بد أن نتحمل المسئولية ونعتذر عما حدث، كما ينبغي التأكيد على جميع الإخوة المجاهدين بأهمية الوضوح والصدق والوفاء بالوعود والحذر من الغدر.)

المعاملة بالمثل

إن المعاملة والمعاقبة بالمثل من الأحكام التي جاءت بها شريعتنا المطهرة في غير موضع من نصوص الوحي الشريف قال الله تعالى: ﴿**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾ [النحل: ١٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [الشورى: ٣٩-٤٣].

وقد فصل الشيخ يوسف العييري -رحمه الله- في "حقيقة الحرب الصليبية الجديدة" هذه المسألة وبين أحكامها وأدلتها وقد أشار إلى هذا الكتاب وأشاد به الإمام المجدد في مقابلته مع تيسير علوني حيث جاء فيها: (تيسير علوني: يا شيخ، الآن بالنسبة لليهود والصليبيين أو الصليبيين واليهود كما تقولوا أنتم، أنتم أفتيتم بوجوب جهاد اليهود والصليبيين، فنحن نرى أن بعض الفتاوى الأخرى صدرت عن علماء آخرين،

قد يكون هناك من يؤيدكم، ولكن بالتأكيد هناك من علق أو من عارض فتاواكم هذه. بعضهم قال: على أي أساس شرعي يمكن أن نقتل اليهودي لدينه، لأنه يهودي، أو الصليبي أو النصراني لأنه نصراني فقط، فاختلفت فتاواكم يعني لا يوجد فيها تنسيق مع فتاوى بقية العلماء؟

الشيخ أسامة بن لادن: الحمد لله، أقول إن هذه الأمور قد صدرت فيها فتاوى كثيرة، ومن المسلمين في باكستان صدرت فتاوى كثيرة للعلماء، كان من أبرزهم مفتي نظام الدين وفي بلاد العرب، خاصة في بلاد الحرمين صدرت فتاوى كثيرة ومؤكدة ومتكررة كان من أبرزها فتوى حمود بن عبد الله بن عقلة الشعيبي، نرجوه الله أن يبارك في عمره وهو من كبار العلماء في تلك الديار في بلاد الحرمين، يؤيد بوجوب قتال الأمريكان وقتال الإسرائيليين في فلسطين ويبيح دمائهم وأموالهم، كذلك صدرت فتوى للشيخ سليمان العلوان وكذلك صدر كتاب لأحد طلبة العلم في حقيقة الحروب الصليبية الجديدة، وفند فيه مزاعم الذين يزعمون أن هذا القتال لا يصح ومن زعم الجواز الشرعي قال إن هناك مفاسد أيضا فند فيه، نعم فاطلعت عليه فجمع جمعا جيدا موفقا، نرجوه الله أن يبارك فيه.)

وجاء في المقابلة نفسها: (تيسير علوني: وماذا عن قتل المدنيين الأبرياء؟

الشيخ أسامة بن لادن: قتل المدنيين الأبرياء كما تزعم أمريكا ويزعم بعض المثقفين، كلام عجيب جدا، يعني من الذي قال إن أبناءنا والمدنيين عندنا غير أبرياء ودمهم مباح؟ ولو بدرجة ما؟ وإذا قتلنا المدنيين عندهم صاحت الدنيا علينا من مشرقها إلى مغربها وألبت أمريكا حلفاءها وعملاءها وصبيان عملائها. من الذي قال إن دماءنا

ليســــت دماء ودماءهم دماء؟ من الذي أفتى بهذا؟ من الذي يقتل في بلادنا منذ عشــرات الســنين؟ أكثر من مليون طفل، أكثر من مليون طفل ماتوا في العراق وما زالوا يموتون، فلما لم نسـمع فارق أو مسـتنكر ولا من يوافي ولا من يعزي؟ وقد صـح عن النبي عليه الصــلاة والســلام في الحديث الصــحيح "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشــــاش الأرض" هذا في هرة، فكيف بملايين المسلمين الذين يقتلون؟

أين المثقفون؟ أين الكتاب؟

أين العلماء؟ أين الأحرار؟

أين من في قلوبهم ذرة من إيمان؟

كيف هؤلاء يتحركون إذا قتلنا المدنيين الأمريكان ونحن كل يوم نقتل، كل يوم في فلســـطين يقتل الأطفال؟ هناك خلل عظيم جدا عند الناس، لابد من وقفة قوية واضــحة ومراجعة للحســابات، ولكن طبيعة البشــر يميلون مع القوي من حيث لا يشــعرون، فهم إذا تكلموا علينا يعلمون أننا لا نرد عليهم. وإذا وقفوا في صـــف الحكومات والأمريكان يشعرون بشـيء من حيث لا يشعرون. وقديما قام ملك من الملوك العرب، كما جاء في أيام العرب، وقتل رجلا من العرب، فالناس ألفت أن الملوك تقتل البشــــر، فترصـــد أخو المقتول لهذا الملك وقتله، فلما المظلوم ولي الدم انتصـر بأخيه عاتبه الناس، قال تقتل ملكا من أجل أخيك؟ ومن الذي قدم الملك؟ هذه نفس وهذه نفس والنفوس تتكافأ، ودماء المســلمين تتكافأ، ففي ذلك العصــر كانت الدماء متكافئة، فقال هذا الرجل وكان حليما، قال: أخي ملكي -هذا إلي

أنتم شـــايفينه ملكي- ونحن جميع أبنائنا في فلســـطين هم ملوكنا، نقتل ملوك الكفر وملوك الصـــليبيين والمدنيين الكافرين مقابل ما يقتلون من أبنائنا وهذا جائزا شـــرعا وجائزا عقلا.

تيســـير علوني: إذا أنتم تقولون هذا من باب المعاملة بالممثل، يقتلون أبرياءنا فنقتل أبرياءهم؟

الشـيخ أسـامة بن لادن: ونقتل أبرياءهم ويكون جائز شـرعا وجائز عقلا لأن الذين تكلموا في هذا الأمر بعضهم تكلم من منطلق شرعي.

تيسير علوني: ما هو دليلهم؟

الشيخ أسامة بن لادن: أنه لا يجوز، وذكروا دليلا، أن الرسول عليه الصلاة والسلام منع من قتل الأطفال والنساء، وهذا صحيح ثابت على النبي عليه الصلاة والسلام.

تيسير علوني: هذا ما نسأل عنه بالضبط هذا نتساءل عنه بالضبط؟

الشـــيخ أســـامة بن لادن: ولكن هذا النهي عن قتل الأطفال الأبرياء ليس مطلقا، وهناك نصوص أخرى تقيده، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ**﴾، قال أهل العلم صـــاحب الاختيارات وغيره من أهل العلم وابن القيم والشـــوكاني وغيرهم كثير والقرطبي رحمه الله في تفســـيره، أن الكفار إذا تقصـــدوا أن يقتلوا لنا نســـاء أو أطفال، فلا حرج أن نعاملهم بالمثل، ردعا لهم أن يعيدوا الكرة لقتل أطفالنا ونســـائنا، فهذا من الناحية الشـــرعية. وأما الذين يتكلمون دون علم

بالشـريعة، ويقولون: لا ينبغي هذا طفلا أن يقتل.. وعلما أن هؤلاء الشـباب الذين فتح الله عليهم لم يتعمدوا قتل الأطفال، وإنما ضـربوا أكبر مركز للقوة العسـكرية في العالم، البنتاجون الذي هي أكثر من أربعة وسـتين ألف موظف، مكان عسـكري ومركز فيه القوة والخبرة العسكرية.

تيسير علوني: وماذا عن الأبراج التجارة العالمية؟

الشـيخ أسـامة بن لادن: الأبراج التجارة العالمية، الذين ضـوربوا فيها وقتلوا فيها هم قوة اقتصادية وليسوا مدرسة أطفال وليس سكن، الأصل، الذين هم في هذه المراكز رجال، يدعمون أكبر قوة اقتصـادية في العالم تعيث في الأرض فسـادا، فهؤلاء لابد أن يقفوا وقفة لله سبحانه وتعالى ويعيدوا الحسابات لابد أن يعيدوا هذه الحسابات، فنحن نعامل بالمثل: الذين يقتلون نسـائنا وأبرياءنا نقتل نسـاءهم وأبرياءهم إلى أن يكفوا عن ذلك.)

وقال الإمام المجدد -رحمه الله في "رسـالة إلى شـعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية": (من عبد الله أسـامة بن لادن إلى شـعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية الظالمة..

السلام على من اتبع الهدى، أما بعد..

فإن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل، وإن ما وقع منذ غزوتي نيويورك وواشنطن إلى يومنا الحالي:

كقتل الألمان في تونس، والفرنسيين في كراتشي، وتفجير الناقلة العملاقة الفرنسية في اليمن، وقتل المارينز في فيلكا وقتل البريطانيين والأستراليين في انفجارات بالي، وعملية موسكو الأخيرة مع بعض العمليات المتفرقة هنا وهناك، ما هو إلا رد فعل وتعامل بالمثل قام به أبناء الإسلام الغيورون ذوداً عن دينهم واستجابةً لأمر ربهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام.

وإن ما يقوم به بوش فرعون العصر من قتل لأبنائنا في العراق، وما تقوم به إسرائيل حليفة أمريكا بقصف المنازل بمن فيها من شيوخ ونساء وأطفال بالطائرات الأمريكية في فلسطين، كان كافياً للعقلاء من حكامكم للابتعاد عن عصابة الإجرام هذه، فأهلنا في فلسطين يُقتّلون ويسامون سوء العذاب منذ قرن من الزمان تقريبا، فإذا دافعنا عن أهلنا في فلسطين اضطرب العالم وتحالف ضد المسلمين تحت مسمى مكافحة الإرهاب بغياً وزوراً، فما شأن حكوماتكم والتحالف مع عصابة الإجرام في البيت الأبيض ضد المسلمين، أما تعلم حكوماتكم أن عصابة البيت الأبيض هم أكبر سفاحي العصر؟

فهذا رامسفيلد جزار فيتنام قتل أكثر من مليونين من البشر فضلاً عن الجرحى، وها هما تشيني وباول فعلا من القتل والدمار في بغداد أكثر مما فعله هولاكو التتار، فما شأن حكوماتكم والتحالف مع أمريكا في الهجوم علينا في أفغانستان وأخص بالذكر بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا وألمانيا واستراليا.

فأستراليا تلك التي حذّرناها من قبل عن مشاركتها في أفغانستان، فضلاً عن سعيها المذموم في فصل تيمور الشرقية، فتجاهلت التحذير إلى أن استيقظت على أصوات الانفجارات في بالي، ثم زعمت حكومتها بهتاناً وزوراً أنهم غير مستهدفين.

فلئن ساءكم النظر إلى قتلاكم وقتلى حلفائكم من الرجال في تونس وكراتشي وفيلكا وبالي وعمّان، فتذكروا قتلانا من الأطفال في فلسطين والعراق يومياً، وتذكروا قتلانا في مساجد خوست، وتذكروا قتلانا عن عمد في الأعراس والأفراح في أفغانستان.

ولئن ساءكم النظر إلى قتلاكم في موسكو، فتذكروا قتلانا في الشيشان.

فإلى متى يبقى الخوف والقتل والدمار والتشريد واليتم والترميل حكراً علينا ويبقى الأمن والاستقرار والسرور حكراً عليكم؟ هذه قسمة ضيزى.

لقد آن الأوان لنستوي في البضاعة، فكما تقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وأبشروا بما يسوؤكم.

فها هي الأمة الإسلامية قد بدأت بفضل الله ترميكم بفلذات أكبادها الذين عاهدوا الله على أن يواصلوا الجهاد بالبيان والسنان، لإحقاق الحق وإبطال الباطل ما دام فيهم عين تطرف أو عرق ينبض.

وفي الختام أسأل الله أن يمدنا بمدد من عنده لنصرة دينه ومواصلة الجهاد في سبيله حتى نلقاه وهو راض عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.)

وقال -رحمه الله- في "الحرب؛ أسبابها ونتائجها": (وإني سأحدثكم عن الأسباب وراء تلك الأحداث، وسأصدقكم القول باللحظات التي اتخذ فيها هذا القرار لتتفكروا.

فأقول لكم؛ علم الله أنه ما خطر في بالنا ضرب الأبراج، ولكن بعدما طفح الكيل وشاهدنا ظلم وتعسف التحالف الأميركي الإسرائيلي على أهلنا في فلسطين ولبنان تبادر إلى ذهني ذلك.

وإن الأحداث التي أثرت في نفسي بشكل مباشر ترجع إلى عام ١٩٨٢ وما تلاها من أحداث، عندما أذنت أميركا للإسرائيليين باجتياح لبنان وساعد في ذلك الأسطول الثالث الأميركي، وبدأ القصف وقتل وجرح كثيرون وروع وشرد آخرون، وما زلت أتذكر تلك المشاهد المؤثرة؛ دماء وأشلاء وأطفال ونساء صرعى في كل مكان، منازل تدمر بمن فيها وأبراج تدك على ساكنيها، قذائف كالمطر تصب على ديارنا بلا رحمة، وكان الحال كتمساح التقم طفلا لا حول له ولا قوة إلا الصراخ، فهل يفهم التمساح حوارا بغير سلاح؟!، وكان العالم كله يسمع ويرى ولا يجيب، وفي تلك اللحظات العصيبة جاشت في نفسي معان كثيرة يصعب وصفها ولكنها أنتجت شعورا عارما برفض الظلم وولّدت تصميما قويا على معاقبة الظالمين.

وبينما أنا أنظر إلى تلك الأبراج المدمرة في لبنان انقدح في ذهني أن نعاقب الظالم بالمثل وأن ندمر أبراجا في أميركا لتذوق بعض ما ذقنا ولترتدع عن قتل أطفالنا ونسائنا، وتأكد لي يومها أن الظلم وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء عن عمد؛ قانون أمريكي معتمد، والترويع حرية وديمقراطية، وأما المقاومة؛ فإرهاب ورجعية،

وتعني ظلم وحصار الملايين حتى الموت كما فعل بوش الأب في أكبر مجزرة للأطفال جماعية عرفتها البشرية في العراق، وتعني أن يلقى من القنابل والمتفجرات ملايين الأرطال على ملايين الأطفال في العراق أيضا كما فعل بوش الأبن لعزل عميل قديم وتنصيب عميل جديد يعين على اختلاس نفط العراق، وغير ذلك من الفظائع.

وعلى خلفية تلك الصور وأمثالها جاءت أحداث الحادي عشر ردا على تلك المظالم العظام، فهل يلام المرء في الذود عن حماه؟ وهل الدفاع عن النفس ومعاقبة الظالم بالمثل إرهاباً مذموماً؟ فإن يكن كذلك فما لنا منه بد.

فهذه هي الرسالة التي حرصنا على إبلاغها لكم -قوليا وعمليا- مراراً منذ سنين قبل أحداث الحادي عشر، وطالعوها إن شئتم في لقائي مع "سكوت" في مجلة "التايم" عام ٩٦، وكذلك مع "بيتر أرنيت" في "CNN" عام ٩٧، ثم لقائي مع "جون ونر" عام ٩٨، وطالعوها عمليا إن شئتم في نيروبي وتنزانيا وفي عدن، وطالعوها في لقائي مع عبد الباري عطوان وكذلك لقائاتي مع "روبرت فيسك" -وهذا الأخير هو من جلدتكم وعلى ملتكم وأحسب أنه محايدا- فهل يستطيع مدعو الحرية في البيت الأبيض والقنوات الخاضعة لهم أن يجروا معه لقاء لينقل للشعب الأميركي ما فهمه منا عن أسباب قتالنا لكم؟

فإن تجتنبوا هذه الأسباب تكونوا قد سرتم في الطريق الصحيح الذي يوصل أميركا إلى أمنها الذي كانت عليه قبل الحادي عشر، فهذا عن الحرب وأسبابها.)

السياسة الشرعية
وفقه الأولويات في الدعوة والتغير

إن إعمال فقه السياسة الشرعية وفقه الأولويات من الركائز والمعالم التي يمتاز بها الأئمة المجددون.. فإن الأزمان التي يكونون فيها أزمنة غربة للإسلام والمتمسكين به.. فيحتاجون أشد الحاجة لهذا الفقه في إدارة دعوتهم وجهادهم ففي الصحيحين عَنِ ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى: أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حجاب».

قال الشيخ عبد العزيز الطريفي -فك الله أسره- في "تفسير آيات الأحكام": (ولهذا في مسألة التدرج ما يمكن فيه التدرج من جهة تطبيقه أنه ينظر إليه من جهة الانتشار والتمكن في الناس خاصة في البلدان التي يشيع فيها المنكرات أو الشرور والكفر ويفتحها المسلمون، أو كان الناس فيها على إسلام مبدل ككثير من البلدان التي يخيم عليها الإلحاد من العلمانية أو غير ذلك، ثم يأتيها أهل الإسلام مبينين أو

مقيمين لشــرع الله عز وجل فيها، فعليهم أن يتدرجوا من وجهين: بمقدار منزلة المحرم في الشريعة، وبمقدار شيوع المنكر فيهم.

وهناك ما لا يقبل فيه التدرج وهو ما يتعلق بالتوحيد، وما يتعلق بالشـــرك فهو أمر واحد، فلا يقال: إن عبادة صـــنم واحد تختلف عن عبادة عشــرة، الصــنم الواحد والعشـــرة واحد وهي محرمة، وكذلك توحيد الله ســبحانه وتعالى كل ناقض له ينهى عنه جملة، وما يتعلق فيما دون ذلك من المنهيات من الشـــرك ينظر فيه بحســـب انتشــاره، فإذا كان الســفور ينتشــر في ذلك البلد والتعري يقتصــد في الأمر على ما وصلوا إليه، فيؤمرون بالستر العام وعدم إبداء ظواهر العورات، ويوطنون على ما بعد ذلـك، ولا ينهون عن الاختلاط وهم يقعون في الزنا والخلوة، ثم يحرم عليهم ابتـداء الزنا ثم ذرائعه من الخلوة، ثم بعد ذلك الاختلاط، لأن الخلوة أعظم من الاختلاط، والاختلاط مقدمة للخلوة.

ثم بعد ذلك ما يتعلق بما جاء من أحكام وتشــريعات في هذا الباب من خروج المرأة بلا محرم، وما يتعلق بتطيب المرأة في الأسـواق ولبسـها في الزينة ونحو ذلك فلا تؤخذ هذا حتى تؤخذ مقدماتها، ولهذا لكل وسيلة شرعية أمر الشـارع بها تؤدي إلى الحق، وكل وســـيلة تؤدي إلى الباطل لا بد من تحقيق الحق الأصـــل قبل النهي والأمر بوسـائله، ولهذا إذا أمرت بالتوحيد والناس على شـرك لا تنه عن وسـائل الشـرك وهم يقعون في الأصل من جهة الشرك، فانه عن الشرك ابتداء وخفف في وسائله باعتبار أنها لا تخرج الإنســـان من الإســـلام وتدخله في الكفر، ثم انه عن ما يتعلق بتلك الوسـائل على سـبيل التدرج، وهذا ليس على الاطراد، فهذا بحسـب بعد البلد عن

الحق. فبلد يتحقق فيهم التوحيد، ولكن فيهم المنكرات تفشو فيهم، فينظر إلى أعظمها يبدأ فيه، ثم يتدرج بجذبهم إلى الحق التام في ذلك، والناس في حكمتهم في هذا يتباينون من جهة إدراك التدرج في الشريعة. قد روى أبو نعيم في الحلية وابن سعد في كتاب الطبقات وغيرهم عن عمر بن عبد العزيز بسند صحيح: أنه لما ولي الخلافة، وهو في ذلك الزمن جاءه ابنه، فقال: إن الناس على ما هم عليه، فلو أمرتهم بما يقوموا به دينهم، ثم قال ابن عمر بن عبد العزيز: ولوددت وإني معك أن تغلى بي القدور وتقيم الناس على الحق، فقال عمر بن عبد العزيز قال: إني أرى فيك حداثة السن، يعني: الشره بإقامة الشريعة بكاملها، وإني إن حملت الناس على الحق جملة تركوه جملة.)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في تقرير هذا الفقه العظيم في "مجموع الفتاوى": (الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا وَأَنَّهَا تُرَجِّحُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ وَتَحْصِيلِ أَعْظَمِ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَفْوِيتِ أَدْنَاهُمَا وَتَدْفَعُ أَعْظَمَ الْمَفْسَدَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَدْنَاهُمَا فَنَقُولُ: قَدْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِأَفْعَالِ وَاجِبَةٍ وَمُسْتَحَبَّةٍ؛ وَإِنْ كَانَ الْوَاجِبُ مُسْتَحَبًّا وَزِيَادَةً. وَنَهَى عَنْ أَفْعَالٍ مُحَرَّمَةٍ أَوْ مَكْرُوهَةٍ وَالدِّينُ هُوَ طَاعَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ وَهُوَ الدِّينُ وَالتَّقْوَى؛ وَالْبِرُّ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ وَالشِّرْعَةُ وَالْمِنْهَاجُ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فُرُوقٌ. وَكَذَلِكَ حَمِدَ أَفْعَالًا هِيَ الْحَسَنَاتُ وَوَعَدَ عَلَيْهَا وَذَمَّ أَفْعَالًا هِيَ السَّيِّئَاتُ وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا وَقَيَّدَ الْأُمُورَ بِالْقُدْرَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ وَالْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ........

وَهَذَا بَابُ التَّعَارُضِ بَابٌ وَاسِعٌ جِدًّا لَا سِيَّمَا فِي الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ الَّتِي نَقَصَتْ فِيهَا آثَارُ النُّبُوَّةِ وَخِلَافَةِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلَ تَكْثُرُ فِيهَا وَكُلَّمَا ازْدَادَ النَّقْصُ ازْدَادَتْ هَذِهِ الْمَسَائِلُ وَوُجُودُ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأُمَّةِ فَإِنَّهُ إذَا اخْتَلَطَتْ الْحَسَنَاتُ بِالسَّيِّئَاتِ وَقَعَ الِاشْتِبَاهُ وَالتَّلَازُمُ فَأَقْوَامٌ قَدْ يَنْظُرُونَ إلَى الْحَسَنَاتِ فَيُرَجِّحُونَ هَذَا الْجَانِبَ وَإِنْ تَضَمَّنَ سَيِّئَاتٍ عَظِيمَةً وَأَقْوَامٌ قَدْ يَنْظُرُونَ إلَى السَّيِّئَاتِ فَيُرَجِّحُونَ الْجَانِبَ الْآخَرَ وَإِنْ تَرَكَ حَسَنَاتٍ عَظِيمَةً والمتوسطون الَّذِينَ يَنْظُرُونَ الْأَمْرَيْنِ قَدْ لَا يَتَبَيَّنُ لَهُمْ أَوْ لِأَكْثَرِهِمْ مِقْدَارُ الْمَنْفَعَةِ وَالْمَضَرَّةِ أَوْ يَتَبَيَّنُ لَهُمْ فَلَا يَجِدُونَ مَنْ يُعِينُهُمْ الْعَمَلَ بِالْحَسَنَاتِ وَتَرْكَ السَّيِّئَاتِ؛ لِكَوْنِ الْأَهْوَاءِ قَارَنَتْ الْآرَاءَ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ وَيُحِبُّ الْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ». فَيَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَتَدَبَّرَ أَنْوَاعَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ.)

وقال أبو مصعب السوري -رحمه الله - في "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية":
(وقد أصبح مدار السياسة اليوم، مع سيطرة قوى الكفر والظلم والطغيان في العالم الكافر، وكذلك في عالمنا المسمى مجازاً "إسلامي" على حد سواء، على الأسس "الميكافيلية"، التي تهدم أمام المصالح والأغراض والأهواء كل دين وخلق ومبدأ. حيث لا يعتبر نكث العهود، وتغير المواقف ونقض المبادئ، وهتك أساسيات الأخلاق عيباً. لأنه صار عرفاً متعارفاً عليه.

ولكن السياسة لدينا نحن المسلمين شيء آخر. مثلها مثل كافة أوجه نشاط الإنسان على هذه البسيطة. فهي محكومة بأحكام شرعية وداخلة في قوله تعالى: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾، وقوله سبحانه: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل**

شــيء﴾. ومن هنا اصــطلح على أصــولها وعلومها وما يتعلق بها عند المســلمين؛ مصطلح "السياسة الشرعية".

وقد احتل هذا العلم بين علوم الشريعة مكانة مرموقة. وألفت فيه الكتب منذ صدر الإسـلام. وقد تناول قواعده العلماء بأقوال تجدها مبثوثةً في مختلف كتبهم مفرقةً بين علوم أخرى كما هو دأب الأقدمين.)

يتبين لنا مما سبق أهمية فقه السياسة الشرعية بصفة عامة وفقه الأولويات بصفة خاصــة في الدعوة الإصــلاح في هذا الزمان الذي ســادت فيه القوانين الوضــعية الوضــيعة وغابت أحكام الشــريعة منذ عقود من الزمن.. فلابد من تقديم الأهم فالأهم ومراعاة القدرة والاســتطاعة ضــمن الضــوابط التي ذكرها العلماء في هذا الباب[٢١]..

وقد راعى الأمام المجدد أسامة بن لادن هذا الفقه وجعله من ركائز توجيهاته ودعوته كما ظهر لنا من مباحث سابقة وكما سيظهر لنا في مباحث آتية في هذا الكتاب –بإذن الله– وهنا نذكر بعض الأمثلة الدالة على ذلك

فقال –رحمه الله– في "رسالة مفتوحة إلى الملك فهد بمناسبة التعديل الوزاري الأخير": (أيُّها الملك: مناسبة هذه الرسالة هي ما تقوم به أنت والأمراء المتنفذون من خداع للناس ومحاولة لِلّعب على عقولهم وامتصاص لغضبهم عليكم ونقمتهم على حكمكم

٢١ . وينظر لمزيد تفصيل في هذه المسألة الهامة وحسن استعمال المجاهدين لها كتاب "الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق" للشيخ أبي الحسن رشيد البليدي –تقبله الله– فقد أجاد وأفاد فكان جوهرة نفيسة في تراث الجهاد المعاصر.

بما تقومون به من "إصـــلاحات" هامشـــية خادعة تدخل في باب المسـكِّنات والمهدئات الآنية لنقمتهم، ومن ذلك ما قمتم به من تأسـيس مجلس الشـورى الذي انتظرته الأُمَّة طويلاً، وخيّب آمالها بعد أن وُلد ميتاً، وما قمتم به أخيراً من تعديلٍ وزاريٍّ هامشـي لم يمس رأس الداء وأسـاس البلاء الذي هو أنت ووزير دفاعك ووزير داخليتك وأمير الرياض ومن على شاكلتكم!!

ومناسـبة هذه الرسـالة المهمّة لن تدفعنا إلى تخطى جوهر الخلاف معك، وأسـاس الصراع مع حكمك، وهذا الجوهر والأساس ليس هو ما يتبادر إلى ذهنك مما عملت على إشـاعته في عهدك، ومكّنت له من بعدك من ظلم للعباد وهضـم لحقوقهم، وخاصـة العلماء منهم والدعاة والمصـلحين والتجار وشـيوخ القبائل. ولا هو ما عرّضـت له الأُمَّة عامةً من إهانةٍ لكرامتها وتدنيسٍ لمقدسـاتها وسلبٍ لخيراتها ونهبٍ لثرواتها، ولا هو أيضـاً ما شـاع في عهدك من الرشـاوي والعمولات وانتشـر من المحسـوبية والفسـاد الإداري والأخلاقي!! ولا هو كذلك ما قدمت إليه البلاد من انهيارٍ اقتصادي مذهل وصل بها إلى درجة الإفلاس.

فهذه الأمور المهمّة سنعرض لبعضها لاحقاً بعد أن نعرض أولاً لجوهر الخلاف معك وأسـاسه الذي هو خروج نظام حكمك عن مقتضيات لا إله إلا الله ولوازمها التي هي أسـاس التوحيد الفارق بين الكفر والإيمان لأن كل تلك الأمور ناجمة عن خروجك ونظام حكمك عن مقتضيات التوحيد، ولوازمه.

وبما أننا سنصدر -إن شاء الله- قريباً بحثاً يتناول أوجه هذا الخروج بشكلٍ أكثر تفصيلاً فإننا سنقتصر في هذه الرسالة الموجزة على بيان وجهين من وجوه هذا الخروج وهما:

أولاً: حكمك بغير ما أنزل الله وتشريعك له.........

الوجه الثاني: موالاة الكفار ومعاداة المسلمين........

فماذا يقول أهل العقيدة النقية والتوحيد الخالص أيها الملك في أفعالكم الكفرية؟ وبماذا يجادل الذين يدافعون عنكم بالباطل؟

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.

والآن وبعد أن تَبَيَّنَ خروج نظام حكمك عن مقتضيات كلمة التوحيد وعقيدته السمحة التي تتشدق دائماً بدعوى حمايتها، تعال لنقوِّم بكل موضوعية إنجازاتك في المجال الدنيوي بعد أن كشفنا حقيقتكم بالميزان الشرعي... وسنناقش معك ذلك في النقاط التالية: ......)

وقال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (فأقول: كثيرٌ من الناس عندهم من الطاقات الهائلة، ولكن يعطلها باتباع قاعد، باتباع من رضي بأن يكون مع الخوالف، فلا نجاة لهذه الأمة إلا بإتباع المنهج كاملاً، فكما ذكرت الخطر ملازم بصفة دائمة لهذه الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ففي هذا الحديث العظيم فقه عظيم جداً حيث إنه وضّح للناس وللمؤمنين أهمية الأولويات في هذا الدين، فرأس الأمر الإسلام ورأس أركان الإيمان والإسلام شهادة أن "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، فالإيمان فيه شعب فلا ينبغي بحال إذا غابت الشعبة الأولى وهي أعظمها وأفضلها وأعلاها شهادة أن "لا إله إلا الله" الاشتغال بما دونها، فهي الأساس لهذا الدين فما يفعل الناس في هذا الزمان وهم يرون بأم أعينهم أن "لا إله إلا الله" بمعناها الذي أنزل على محمد ﷺ قد غيّبت عن حكم الناس في جميع شؤون حياتهم، ويشتغلون بكثير من الشُعب مع غياب هذه. فهذا لا يمكن أن يسمى لمن علم بهذه الحقائق إلا هروباً عن أداء الواجب، بل عن أعظم واجب في الحياة، وهو تحكيم شهادة أن لا إله إلا الله على كل مؤمن.

ولو قعد الإنسان عن الجهاد واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان وكان الجهاد متعيناً، فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة أو بهذه الطاعة جزاه الله خيراً بل هو في ديننا فاسق من الفاسقين فارٌ فر عن نصرة لا إله إلا الله ونصرة دين محمد ﷺ فينبغي الانتباه الشديد إلى هذه الأولوية، وهو كما لا يخفى، وللأسف الشديد غائبة غياباً عظيماً جداً من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء. وأنبه الإخوة كما في حديث رسولنا ﷺ عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال؛ من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه» رواه البخاري، فالفرائض والطاعات والعبادات هي بما فرض الله سبحانه وتعالى، وترتيبها كما رتبها الله سبحانه لا بما يتوافق معنا، وبما يتوافق مع أهوائنا، وبما يتوافق مع نفوسنا وتثاقلها إلى الأرض.

فعندما تكون الأولوية الأولى بتحكيم لا إله إلا الله فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية، وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

ومن الأشياء المهمة في هذا؛ أن العلماء الذين تبرزهم الدولة للناس هم يعلمون علم يقين أن "لا إله إلا الله" لا تحكم الناس اليوم، وأن الحكومات قد نقضوا هذه الكلمة العظيمة، ومع ذلك يدلسون على أنفسهم، ويخادعون أنفسهم، ويخادعون الناس بذكر العبادات والفتاوى للناس في مسائل مع غياب الأصل العظيم، فهم كالذي يبني على غير أساس.

فهؤلاء الذين يفتون؛ يعلمون أن هؤلاء الناس يذهبون يتحاكمون إلى المحاكم التجارية، وإلى هيئات فض المنازعات التجارية، وفض مشاكل الأطراف التجارية، وهذا حكم بغير ما أنزل الله، وهو كفرٌ أكبرٌ مخرج من الملة كما لا يخفى على أهل العلم، ومع ذلك لا يتحدثون عن ذلك.

الربا؛ هذه البنوك لا يمكن لعالم صادق أن يقول إن الربا هذا هو مجرد كبيرة من الكبائر، فهذا الربا الذي يوجد في بلادنا هو تشريع من دون الله ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: ٢١]، ومع ذلك يحدثون الناس عن أمور أخرى -هي من شعب الإيمان ولا شك- ولكن بعيداً عن أصل القضية، فهذه القضية الكبرى التي من أجلها بُعث الرسل، ومن أجلها أنزلت الكتب لكي تحكم بين الناس، فينبغي الانتباه الشديد إلى ذلك.)

وقال -رحمه الله- في "رسـالة إلى الأمة الإسـلامية - بعد عام؛ الفشـل الأمريكي في أفغانستان": (فيا شباب الإسلام: يا أحفاد خالد والقعقاع، ويا خلف مصعب بن عمير وأسـامة بن زيد ومحمد القاسـم ومحمد الفاتح، ويا إخوان محمد عطا ومروان الشـحي وزياد الجراح وهاني حنجور وبقية أفراد السـرية، ويا رفاق أنس الكندري وجاسم الهاجري ...

أنتم الذين على قنطرة تضحياتكم ستعبر هذه الأمة إلى ساحة العز وميدان الكرامة، وستسعد البشرية وتُرحم الإنسانية.

أنتم فرسـان القتال وأبطال النزال، ونحن لن نخاطبكم إلا بما خاطبكم به ربكم عز وجل، ودعاكم إليه، وحرضـكم عليه، وهو قتال أعدائه وأعداء دينه قال تعالى: ﴿**فَاقْتُلُواْ الْمُشْـرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُـرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه**﴾.

والأولوية في هذا القتال وفي هذه المرحلة، يجب أن يكون لأئمة الكفر من الأمريكان واليهود الذين لن ينتهوا عن عدوانهم ولن يكفوا عن تسـلطهم علينا إلا بالجهاد قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ**﴾، وإياكم أن تنجروا إلى تشـتيت جهودكم، وتبديد طاقاتكم في معارك جانبية مع الأذناب والأطراف، بل ركزوا الضرب على رأس الكفر حتى ينهار، وعندما ينهار سوف تتداعى له بقية الأطراف بالانهيار والاندثار والاندحار ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾.)

وجاء في مقابلته -رحمه الله- مع مجلة نداء الإسلام: (المجلة: ما هي مسؤولية المسلمين تجاه الحملة الدولية على الإسلام؟

الشيخ أسامة: إنه ليس لدينا أدنى شك أن هذه حملةٌ صليبيةٌ يهوديةٌ شرسةٌ على الإسلام، والتي لم نشهد مثلها من قبل، لذلك يجب على المسلمين الاستعداد بكل إمكانياتهم وقواهم لصد العدو عسكريًا واقتصاديًا، وفي المناطق التي يُبشرون فيها وغيرها من الأماكن.

إنه من الضروري أن نكون صبورين، ونتعاون بِورعٍ وتقوى، وأن نرفع وعي المسلمين بحقيقة أن الأولوية الكبرى بعد الإيمان هي دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين ويعيث فسادًا في العالم، ولا شيء بعد الإيمان أولى من ذلك -كما قد ذكر العلماء في هذه القضية- إنه لَمِن الضروري أن نترك الكثير من قضايا المشاحنات في سبيل توحيد صفوفنا لنتمكن من رد الكفار، علينا جميعًا أن نطبق قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾، ولا نكون كالذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾.

إنه من الضروري أن نتعاون ولا نتشاحن وأن نتقي الله في شأننا كله، يقول رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، وعلينا أن نتّبع سنة الرسول ﷺ عندما قال: «بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا».

نســأل الله أن يهدينا وأن يعز المســلمين ويُذل الكافرين، وأن يُحكّم شــريعته حيث يسود الخير ويزول الشر.)

الدعوة إلى التوحيد أولى الأولويات ومركز المركزيات في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-

يتبين لنا من المبحث السابق وغيره من المباحث أن الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في ترتيب الأولويات في الدعوة اقتفى أثر المصطفى ﷺ وسيرته في ذلك ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب».

وفي تقرير هذا الأصل والركيزة قال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "جماعة المسلمين": (فرائض الإسلام كثيرة وشعب الإيمان كثيرة ففي الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وستون وفي رواية بضع وسبعون شعبة أرفعها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان»، فلا يصح بحال عند غياب الشعبة العظمى الأس الأعظم شهادة أن لا إله إلا الله يشتغل الناس بإماطة الأذى عن الطريق وبغيرها من

الشـعب، فهذا تهرب عن الواجب الشـرعي الذي أمر الله به، فأول ما ندعو الناس إليه شـــهادة أن لا إله إلا الله فإذا غابت عن الوجود، وحكم الطواغيت القوانين الوضعية الإنكليزية والفرنسية والأمريكية وغيرها من زبالة عقول البشـر، بل الواجب الأعظم كما قال رســولنا عليه الصــلاة والســلام لمعاذ حينما أرســله إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شـهادة أن لا إله إلا الله»، لا يصـح البناء إذا لم يكن هناك هذا الركن العظيم، فهنا عليه الصلاة والسلام لما سأله حذيفة قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك -الشـعب كثيرة- أمره بشـعبة واحدة، أمره بفرض واحد هو فرض الساعة وهو فرض العصر أمره بهذا الفرض لأنه الآكد ولأنه الأهم وعليه يقوم الدين بإذن الله ســبحانه وتعالى، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المســلمين وإمامهم»، هذا هو الفرض الغائب المغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف نصـل إلى السـبيل وكيف نصـل إلى نصـرة الدين والمسـلمون في جماعة غير المســلمين، وإمام المســلمين ممن ارتكبوا نواقض الإســلام في وضــح النهار، إمام المسـلمين هم الذين يوالون اليهود والنصـارى، وهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فكيف نريد النجاة ونحن نتبع هؤلاء الضّــلال الذين أضــلوا الناس على علم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فكان بعض الناس أسـلموا على عهد محمد ﷺ، ورضـوا بأنفسـهم أن يقعدوا تحت ظلال أبي جهل وتحت ظل كفر قريش، وفي أي مكان؟ في خيرة البقاع، في أحب البقاع إلى الله سبحانه وتعالى؛ في مكة المكرمة حيث الركعة بمائة ألف ركعة، أسلموا في قلوبهم واعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى هو الإله الخالق الرزاق، واعتقدوا أن محمدًا

ﷺ هو نبي الله، ولكن ماذا بعد ذلك؟ هل ذهبوا وانضموا إلى الجماعة المسلمة؟ أم شدهم وحل الأرض؟ وبطحاء مكة والأهل والعشيرة، هذا شدهم، فلما كان الغزو بين المسلمين والكفار، خرج هؤلاء مكره أخاك لا بطل، خرجوا تحت ضغط قريش خرجوا يُكثرون سواد المشركين وفي قلوبهم حب الله وحب رسوله ﷺ ولكن هذا الحب لم يبلغ إلى الدرجة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، فخرجوا ما يريدون أن يقاتلوا المسلمين ولكن مكره أخاك لا بطل خرجوا فكثروا السواد، فلما كانت المعركة جاءت بعض السهام في نحور هؤلاء فقتلوا تحت ظل راية الشرك، فندم بعض الصحابة رضي الله عنهم وقالوا قتلنا إخواننا، فأخذوا يستغفرون وما دروا أن الجرم على أولئك الذين جلسوا وقعدوا تحت ظل الشرك، هذه الحادثة يرويها البخاري رحمه الله في صحيحه عن الصحابة الكرام فأنزل الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات قرآناً يتلى إلى يوم القيامة يبين حال القاعدين تحت ظل الشرك، يبين حال المنتظمين في جماعة غير المسلمين قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾، فالدين لا يقبل من المسلم أن يسلم ويبقى تحت ظل الشرك بل يجب عليه الهجرة للنجاة بدينه وليعبد الله سبحانه وتعالى كما أمر، فما خُلقنا حتى نتمسك بأرض آبائنا وأجدادنا وحيث سقط رؤوسنا، وإنما العلة من خلقنا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، فأرض الله واسعة تهاجر وتسيح فيها من أجل لا إله إلا الله ولتكون كلمة الله هي العليا، وبفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن من الله سبحانه وتعالى على إخوانكم بالهجرة وبالجهاد في سبيله، أدركنا عصراً كان قد نما وترعرع الخنوع والجبن

والهوان في قلوب الصالحين والطالحين، كانوا يخافون مما يسمى بالاتحاد السوفييتي سابقاً، فخرجنا ونحن في أعماركم أو دون ذلك بقليل في عام ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩م خرجنا متوكلين على الله ذلك فضل الله سبحانه وتعالى ما خرجنا نحسب كم عدد القوات السوفييتية كانوا في ذلك الوقت قريبا من ثلاثة ملايين هذا عدد القوات بأفضل الأسلحة أنفقت أمريكا وأروبا وحلف الناتو ٤٥٠ مليار دولار فقط للأسلحة والخنادق والعتاد للدفاع عن أنفسهم خوفاً من الاتحاد السوفييتي، فماذا سيصنع فتيان تركوا مدارسهم وجاؤوا ليقاتلوا الاتحاد السوفييتي الذي تخشاه الأرض بأسرها، ولكن هو السمع والطاعة، قالوا سمعنا وأطعنا هذا أمر الله سبحانه وتعالى، أمرنا بالجهاد فخرجنا نقول سمعنا وأطعنا، ومن قعد عن نصرة لا إله إلا الله فاسق بالكتاب والسنة ومن فُسق بالكتاب والسنة والله الذي لا إله إلا هو لا نعدله قال الله سبحانه وتعالى مُخاطباً المؤمنين مُخاطباً الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا**﴾ ، هذا تهديد ووعيد من الله سبحانه وتعالى، لمن؟ للخيار رضي الله تعالى عنهم وانتبهوا إلى لفظ أحب، فهم يحبون الله عز وجل ويحبون رسوله ﷺ ويحبون الجهاد ولكن بعض هذه الأصناف الثمانية كانت أحب إلى بعضهم منها، فهؤلاء الذين كتب لهم الصحابة بالآية: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ جاؤوا ليخرجوا من مكة فتبعهم أطفالهم وأولادهم وزوجاتهم وآذاهم بعض قريش عندما أرادوا الهجرة فرجع بعضهم ورضوا بالفتنة ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

ولا بد أن أنقل في هذا الباب كلام سـيد قطب في مقدمة تفسـيره لسـورة الأنعام الذي سـطره بكلمات من نور حيث قال -رحمه الله-: (والله يريد لهذا الدين أن يكون كما أراده.. عقيدة تملأ القلب، وتفرض سـلطانها على الضـمير. عقيدة مقتضاها

ألا يخضـع الناس إلا لله، ولا يتلقوا الشـرائع إلا من الله. وبعد أن يوجد الناس الذين هذه عقيدتهم، ويصبح لهم السلطان في مجتمعهم، تبدأ التشريعات لمواجهة حاجاتهم الواقعية، وتنظيم حياتهم الواقعية كذلك.

كذلك يجب أن يكون مفهوما لأصـحاب الدعوة الإسـلامية، أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشـاء هذا الدين، يجب أن يدعوهم أولا إلى اعتناق العقيدة -حتى ولو كانوا يدعون أنفسـهم مسـلمين! وتشـهد لهم شـهادات الميلاد بأنهم مسلمون- يجب أن يعلموهم أن الإسلام هو أولا إقرار عقيدة: لا إله إلا الله بمدلولها الحقيقي وهو رد الحاكمية لله في أمرهم كله، وطرد المعتدين على سـلطان الله بادعاء هذا الحق لأنفسـهم.. إقرارها في ضـمائرهم وشـعائرهم، وإقرارها في أوضـاعهم وواقعهم..

ولتكن هذه القضـية هي أسـاس دعوة الناس إلى الإسـلام كما كانت هي أسـاس دعوتهم إلى الإسـلام أول مرة.. هذه الدعوة التي تكفل بها القرآن المكي طوال ثلاثة عشر عاما كاملة..

فإذا دخل في هذا الدين -بمفهومه هذا الأصيل- عصبة من الناس، فهذه العصبة هي التي تصلح لمزاولة النظام الإسلامي في حياتها الاجتماعية لأنها قررت بينها وبين نفسها أن تقوم حياتها على هذا الأساس وألا تحكم في حياتها كلها إلا الله.

وحين يقوم هذا المجتمع بالفعل يبدأ عرض أسس النظام الإسلامي عليه كما يأخذ هذا المجتمع نفسه في سن التشريعات التي تقتضيها حياته الواقعية، في إطار الأسس العامة للنظام الإسلامي.. فهذا هو الترتيب الصحيح لخطوات المنهج الإسلامي الواقعي العملي الجاد..

ولقد يخيل إلى بعض المخلصين المتعجلين، ممن لا يتدبرون طبيعة هذا الدين، وطبيعة منهجه الرباني القويم، المؤسس على حكمة العليم الحكيم، وعلمه بطبائع البشر وحاجات الحياة.. نقول لقد يخيل لبعض هؤلاء أن عرض أسس النظام الإسلامي -بل التشريعات الإسلامية كذلك- على الناس مما ييسر لهم طريق الدعوة، ويحبب الناس في هذا الدين! وهذا وهم تنشئه العجلة! وهم كالذي كان يقترحه المقترحون: أن تقوم دعوة رسول الله ﷺ في أولها تحت راية قومية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، تيسيرا للطريق! إن النفوس يجب أن تخلص أولا لله، وتعلن عبوديتها له، بقبول شرعه وحده ورفض كل شرع غيره..

من ناحية المبدأ.. قبل أن تخاطب بأي تفصيل عن ذلك الشرع يرغبها فيه! إن الرغبة يجب أن تنبثق من الرغبة في إخلاص العبودية لله، والتحرر من سلطان سواه.. لا من أن النظام المعروض عليها.. في ذاته.. خير مما لديها في كذا وكذا على وجه التفصيل.

إن نظام الله خير في ذاته، لأنه من شـــرع الله. ولن يكون شـــرع العبيد يوما كشـــرع الله.. ولكن هذه ليست قاعدة الدعوة.. إن قاعدة الدعوة أن قبول شرع الله وحده ورفض كل شرع غيره هو ذاته الإسلام. وليس للإسلام مدلول سواه. فمن رغب في الإســـلام فقد فصـــل في هذه القضـــية ولم يعد بحاجة إلى ترغيبه بجمال النظام وأفضليته.. فهذه إحدى بديهيات الإيمان!....)

تحييد الخصوم

ويلحق الحديث عن فقه السياسة الشرعية وفقه الأولويات الحديث عن مسألة تحييد الخصـوم والتفرغ للعدو الأعظم خطرا على المسـلمين فهي مسـألة مهمة تدخل في باب السياسة الشرعية وحسن إدارة الصراع بين الحق والباطل..

وقد اتهم البعض المجاهدين في هذا الزمان بعدم اتباع هذه السـياسـة الشـرعية.. وقد رد على هذا الاتهام الشيخ عطية الله الليبي –رحمه الله– في إجابته على سؤال في لقاء مركز اليقين حول اتهام المجاهدين –ولا سيما تيار "السلفية الجهادية"، أو لنقل تيار "القاعدة"– بأنهم منحصـرون على معتنقي منهجهم، ويسـتعدون عليهم أهل المناهج والإيديولوجيات الأخرى، فيكثرون من فتح الجبهات عليهم ولا يجيدون تحييد الخصـوم، ولا يحققون النظر جيدًا في مسـألة المصـالح والمفاسـد وموازينها، ما تعليقكم على هذه الاتهامات؟!

فقال الشـيخ عطية الله –تقبله الله–: (والله يا أخي أعتقد أن هذا الكلام فيه ظلم وبغي على الإخوة المجاهدين من "القاعدة" ومَن سـار على نفس خطهم من أهل الجهاد، بل أنا والله أؤكد لك أن الإخوة المجاهدين هم أساتذة تحييد الخصـوم، وهم من أفهم الناس لهذه المسـائل: محاولة تحييد ما اسـتطاعوا من الخصـوم والأعداء، والتحكم في المقدار المناسب من الجبهات المفتوحة، وإغلاق ما يلزم إغلاقه، وتحقيق النظر في موازين المصالح والمفاسد، هذه الأشياء هي من صميم فقه الإخوة المجاهدين

وهم من أعرف الناس بها وأفقههم فيها، وإنما يجهل هذا من يجهلهم، والله خلق الناس أطوارًا.!....) [المجموعة الكاملة: ٦١٨/٢].

وتحييد ما أمكن من الخصوم والتفرغ للعدو الأخطر من المعالم الواضحة والسياسة المتبعة في دعوة الإمام المجدد جهاده فقد عرض الهدنة على كثير من دول الأعداء لإخراجها من ساحة المعركة والنزاع والتفرغ للعدو الأخطر هبل العصر أمريكا واليهود الملاعين وأرسل رسائل وكلمات لشعوب دول الأعداء في هذا الأمر[٢٢]

وجاء في مقابلة الإمام المجدد مع تيسير علوني:

(-تيسير علوني: شيخ أسامة هل لديكم رسالة تودون توجيهها لمشاهديك؟

---

٢٢ . ومما يستأنس به ما جاء وثائق أبوت أباد في الرسالة المرسلة إلى الشيخ عطية الله الليبي في تاريخ ٢٦ شعبان ١٤٣١هـ – ٦ أغسطس ٢٠١٠م: (كما أرجو أن توصوا الإخوة في الصومال بالرفق وتذكروهم بالأحاديث الصحيحة التي تحض عليه وفيما يخص الجماعات الصوفية فأكدوا عليهم بأن يسعوا بكل جهد لتحييدهم، وإن أبى بعضهم الحياد فلا يعمموا عليهم وإنما في كل جماعة يسعون لتحييد من يقبل الحياد منها، ولهذا الأمر أسباب لا تخفى عليكم منها أنهم سيكونون ورقة للخصوم وأي استفزاز من جهتنا سيدفعهم أكثر إلى الخصوم.

ويتم تنبيههم إلى أهمية التفريق بين حجم عداء كل خصم من خصومنا لنا وبين المجتهد في قتالنا عن قناعات راسخة لديه وغير المجتهد كل هذه العوامل ينبغي أن يراعيها من يريد كسب الحرب........

بخصوص المغرب الإسلامي:

فقد قرأت رسالة واحدة تتحدث عن أن هناك بعض الجهات ترغب في عقد الهدنة مع الإخوة، ورأينا أن عقد الهدنة ضمن ضوابطها الشرعية أمر حسن حيث إننا نرغب في تحييد كل من يمكن تحييده في فترة حربها مع العدو الأكبر أمريكا، أما مسألة العشرة ملايين يورو سنويًا لا أرى التشدد فيه وإنما الذي يهمنا أن تتم الهدنة.)

-الشيخ أسامة بن لادن: أقول بالنسبة لهذه الأزمة، ولهذا الصراع ولهذا القتال بين الإسلام والصليبية، أؤكد أننا سنواصل بإذن الله سبحانه وتعالى هذا الجهاد ونحرض الأمة على ذلك حتى نلقاه وهو راض عنا.

والحرب كما وُعدنا بها وما هي قائمة، بالأساس اليوم بيننا وبين اليهود، فأي دولة تدخل في خندق اليهود، فلا تلومن إلا نفسها، وإن كان الشيخ سليمان أبو غيث صرح في بعض تصريحاته السابقة، خاصة أمريكا وبريطانية، فهذا ليس للحصر، وإنما إعطاء فرصة للدول الأخرى تراجع حساباتها، فما شأن اليابان وشأننا، من الذي يدخل اليابان في هذه الحرب الصعبة، القوية، الشرسة؟ في اعتداء سافر على أبنائنا في فلسطين، ولن تحتمل اليابان أن تدخل معنا في حرب، فلها أن تراجع نفسها، ما شأن أستراليا في أقصى الجنوب وحال هؤلاء المستضعفين في أفغانستان؟ وحال المستضعفين في فلسطين؟ ما شأن ألمانيا في هذه الحرب إلا الكفر والصليبية؟ هي حرب تتكرر صليبية، كما كانت الحروب السابقة -ريتشارد قلب الأسد وبربروسا من ألمانيا ولويس من فرنسا- كذلك اليوم ومباشرة يوم أن رفع بوش الصليب تدافعت الدول الصليبية، ما شأن الدول العربية في هذه الحرب الصليبية وتدخل سفارا جهارا نهارا؟ هم قد رضوا بحكم الصليب.

كل من يدعم بوش ولو بكلمة، فضلا عن أن يقدم التسهيلات، وما يسمى تسهيلات، هي خيانة عظمى، يغيرون الأسماء، فإيش تسهيلات عسكرية؟! تتعاون معهم على قتل أبنائنا وتقول لي تسهيلات، كيف نصدق أن هذا النظام يجمع تبرعات للأبرياء هنا في أفغانستان وهو سبب رئيسي في إباحة بلاد الحرمين

للأمريكان ومن حالفهم، كيف نصدقه وهو سبب رئيسي في قتل أكثر من مليون طفل؟ نقول أليس عند هؤلاء الناس الذين يمشون ويسيرون خلف هؤلاء الحكام؟ أليس عندهم قلوب؟ أليس عندهم إيمان؟ كيف يصح إيمانهم وهم يساعدون هؤلاء الكفرة، الفجرة ضد أبناء لإسلام؟ يساعدونهم ضد أبناءنا في العراق وفلسطين، أقول كما تدين تدان.

إن الذين يتكلمون عن الأبرياء في أمريكا، لم يذوقوا حرارة فقد الأبناء، ولم يذوقوا أن ينظروا إلى أشلاء أبناءهم في فلسطين وفي غيرها، بأي حق يحرم أهلنا في فلسطين الأمن، تصطادهم طائرات الهليكوبتر في بيوتهم، بين نساءهم وأطفالهم؟ كل يوم يشلون الجرحى والجثث، ثم يأتي هؤلاء السفهاء يتباكون على قتلى أمريكا ولا يتباكون على أبنائنا؟ ألا يخشون أن يعاقبوا بمثل هذا العقاب؟ وقد صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام "من لم يغز أو يخلف غازيا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة" فليتقوا الله وليتوبوا وليفكوا الحصار عن هؤلاء الأطفال الأبرياء، فالغربيون هم أحرار، أوربا أرادت تدخل الحرب، هذا شأنها، أما نحن شأننا أن نقاتل من يقف في خندق اليهود، وأمريكا وشعب أمريكا هم أحرار، دخلوا في الخندق فليستلموا ما يأتيهم.

وأما نحن، فهذا نحن في عبادة وفي جهاد، صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «قيام ساعة في الصف خير من عبادة ستين سنة»، فأي فضل أفضل من هذا؟ في رضوان الله سبحانه وتعالى، نجاهد من أجل دينه، نرجو الله أن يتقبل منا ومنكم.

وأما بالنسبة للمسلمين فأقول لهم: فليثقوا بنصر الله سبحانه وتعالى، وليستجيبوا لأمر الله سبحانه وتعالى، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام بالجهاد ضد الكفر العالمي، فوالله السعيد من اتخذ شهيدا اليوم، والسعيد من تشرف بأن يقف تحت راية محمد ﷺ، تحت راية الإسلام لقتال الصليبية العالمية. فليتقدم كل أمرئ منهم لقتل هؤلاء اليهود والأمريكان، فإن قتلهم من أوجب الواجبات ومن أعظم القربات، وليتذكروا تعليمات نبينا عليه الصلاة والسلام، فقد قال ﷺ للغلام ابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام أني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك، لم ينفعونك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، فلا تشاور أحداً في قتل الأمريكان، امض على بركة الله وتذكر موعودك عند الله سبحانه وتعالى بصحبة خير الأنبياء عليه الصلاة والسلام.

وفي الختام أوجه نداء إلى إخواننا في باكستان: فإن موقف الحكومة الباكستانية للأسف الشديد وباكستان هي ركن من أركان هذا التحالف المشؤوم، هذا التحالف الصليبي، فتحرك إخواننا في باكستان بإذن الله سبحانه وتعالى سيؤدي إلى ضربة قوية لهذا التحالف الصليبي المشؤوم، فكل من وقف مع أمريكا -تسهيلات طبية وغير طبية- هذا كفر أكبر مُخرج من الملة، فينبغي على الأخوة في باكستان أن يتحركوا تحركا جادا لنصرة دين الله سبحانه وتعالى ولنصرة رسول الله ﷺ، فهذا الإسلام اليوم يناديهم:

وإسلاماه، وإسلاماه، وإسلاماه،

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد..

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد..

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد..

والسلام عليكم ورحمة الله.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى شعوب أوروبا "مبادرة صلح": (هذه رسالة إلى جيراننا شمال البحر المتوسط، تتضمن مبادرة صلح، كرد على التفاعلات الإيجابية التي ظهرت عندهم.

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي أقام السماوات والأرض بالعدل، وأذن للمظلوم أن يقتص من ظالمه بالمثل، أما بعد:

فالسلام على من اتبع الهدى، بين يديّ الرسالة أذكركم بأن العدل واجب مع من تحب ومن لا تحب، وأن الحق لا يضيره إن قاله الخصم، وإن أعظم قواعد الأمان: العدل والكف عن الظلم والعدوان، وقد قيل:

البغي يصرع أهله   والظلم مرتعه وخيم

ولكم في الأوضاع في فلسطين المحتلة عبرة، وإن ما جرى في الحادي عشر من سبتمبر والحادي عشر من مارس هي بضاعتكم ردت إليكم، ومعلوم أن الأمن ضرورة ملحة لكل البشر، ونحن لن نرضى لكم أن تحتكروه لأنفسكم، كما أن الشعوب الواعية لن ترضى لساستها أن يعبثوا بأمنها.

فبعد ما تقدم، نحيطكم علماً بأن وصـــفكم لنا ولأعمالنا بالإرهاب هو بالضـــرورة وصف لأنفسكم وأعمالكم كذلك، حيث إن رد الفعل من جنسه؛ وأعمالنا هي رد فعل لأعمالكم، التي هي تدمير وقتل لأهلنا كما في أفغانســتان والعراق وفلســطين، ويكفيكم شاهدٌ الحدث الذي روع العالم؛ قتل المسن المقعد الشيخ احمد ياسين رحمه الله، فنحن نعاهد الله بأن نقتص له من أمريكا بإذن الله.

ففي أي ملة قتلاكم أبرياء وقتلانا هباء، وفي أي مذهب دماءكم دماء ودمائنا ماء، فمن العدل المعاملة بالمثل والبادئ أظلم.

وأما ساستكم ومن سار على نهجهم، الذين يصرون على تجاهل المشكلة الحقيقة في احتلال فلســطين كلها، ويبالغون في الكذب والمغالطة في حقنا في الدفاع والمقاومة، فهؤلاء لا يحترمون أنفســـهم، كما أنهم يســـتخفون بدماء وعقول الشـــعوب، لأن مغالطتهم تلك تزيد من سفك دمائكم بدلاً من حقنها.

ثم إنـه عنـد النظر في الأحـداث التي جرت وتجري من قتـلٍ في بلادنا وبلادكم، تظهر حقيقة مهمة وهي أن الظلم واقع علينا وعليكم من سـاستكم، الذين يرسلون أبنائكم رغم اعتراضـــكم إلى بلادنا، ليقتلوا ويُقتلوا، لذا فمصـــلحة الطرفين أن يفوتا الفرصة على الذين يسفكون دماء الشعوب من أجل مصالحهم الشخصية الضيقة وتبعيتهم لعصابة البيت الأبيض، فهذه الحرب تدر مليارات الدولارات على الشركات الكبرى؛ ســـواء التي تصـــنع الســـلاح أو تلك التي تقوم بإعادة الاعمار كشـــركة هاليبرتون وأخواتها وبناتها.

ومن هنا يتضح بجلاء من المستفيد من ايقاد نار هذه الحرب وسفك الدماء؛ إنهم تجار الحروب مصاصو دماء الشعوب، الذين يديرون سياسة الدنيا من وراء ستار، فما الرئيس بوش ومن يدور في فلكه من الزعماء، وما المؤسسات الإعلامية الكبرى، وما الأمم المتحدة التي تقن العلاقة بين سادة الفيتو وعبيد الجمعية العمومية، إلا بعض أدوات لتضليل الشعوب واستغلالها، فهؤلاء كلهم هم مجاميع الخطر القاتل على العالم أجمع والتي يشكل اللوبي الصهيوني أحد أخطر وأصعب أرقامها، فنحن مصممون بإذن الله على مواصلة قتالهم.

وبناءً على ما تقدم، ولتفويت الفرصة على تجار الحروب، وكرد على التفاعل الايجابي الذي أظهرته الأحداث الأخيرة واستطلاعات الرأي؛ بأن معظم الشعوب الأوربية راغبة في الصلح، لذا فإني ارجوا من الصادقين ولا سيما العلماء والدعاة والتجار أن يشكلوا لجنة دائمة لتوعية الشعوب الأوروبية بعدالة قضايانا وأولها فلسطين، مستفيدين من إمكانيات الإعلام الهائلة.

كما إني أقدم مبادرة صلح لهم جوهرها التزامنا بإيقاف العمليات ضد كل دولة تلتزم بعدم الاعتداء على المسلمين أو التدخل في شؤونهم، ومن ذلك المؤامرة الأمريكية على العالم الإسلامي الكبير.

وهذا الصلح يمكن أن يجدد في حال انتهاء المدة الموقع عليها من الحكومة الأولى، وقيام حكومة ثانية برضا الطرفين، وسريان الصلح يبدأ مع خروج آخر جندي لها من بلادنا، فباب الصلح مفتوح لمدة ثلاثة أشهر من تاريخ إعلان هذا البيان.

فمن أبى الصلح وأراد الحرب فنحن أبناؤها، ومن أراد الصلح فها قد أجبناه.

فأوقفوا سفك دمائنا لتحفظوا دمائكم، وهذه المعادلة السهلة الصعبة حلها بأيديكم، وأنتم تعلمون أن الأمر يتسع ويتضاعف كلما تأخرتم، وعندها فلا تلومونا ولوموا أنفسكم، والعاقل لا يفرط بأمنه وماله وبنيه لإرضاء كذاب البيت الأبيض، إذ لو كان صادقاً في دعواه للسلام لما قال عن باقر بطون الحوامل في صبرا وشاتيلا ومزور عملية الاستسلام رجل سلام، ولا ما كذب على الناس وقال إننا نكره الحرية ونقتل لمجرد القتل، والواقع يصدقنا ويكذبه، فالقتل للروس كان بعد غزوهم لأفغانستان والشيشان، والقتل للأوروبيين كان بعد غزوهم للعراق وأفغانستان، والقتل للأمريكيين يوم نيويورك كان بعد دعمهم لليهود في فلسطين وغزوهم جزيرة العرب، والقتل لهم في الصومال كان بعد غزوهم لها في عملية إعادة الامل، فأعدناهم بلا أمل والحمد لله.

وقد قيل: درهم وقاية خير من قنطار علاج. والسعيد من وعِظَ بغيره. والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. والسلام على من اتبع الهدى.)

وقال -رحمه الله- في "رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله-": (ثمَّ إنِّي أقول لمن يتَّهم فارس أمَّتنا بأنَّه يقتل بعض فئات الشعب العراقي، أقول له: إذا جاءك من يدَّعي أنَّ رجلاً فقأ عينه فتريَّث حتى ترى المدَّعَى عليه فلعلَّ المدَّعِي قد فقأ عينيه، وهذا ما بدأ يزداد وضوحًا في الأسابيع الأخيرة حيث تحدَّث النائب محمد الدائن عن حجم الظلم والتعذيب الذي يمارس ضدَّ المسلمين في السجون العراقية، كما تحدَّث كذلك من قبل قادة هيئة علماء المسلمين

عن حرب إبادة يتعرَّض لها أبناء الإسـلام في العراق، وإنَّ أبا مصـعب –عليه رحمة الله– كانت لديه تعليمات واضـحة بأن يركّز قتاله على الغزاة المحتلِّين وعلى رأسـهم الأمريكيين، وأن يحيِّد كل من رغب في الحياد، وأمَّا من أبى إلا أن يقف يقاتل في خندق الصـليبيين ضـدَّ المسـلمين فليقتله كائنًا من كان بغضِّ النظر عن مذهبه وعشيرته فمناصرة الكفار على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام العشرة كما هو مقرَّر عند أهل العلم.)

الهدنة المشروعة

وقد كانت مسألة الهدنة الشرعية مع بعض الأعداء من المواضيع والأمور التي تلفت نظر القارئ في تراث الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-.. فقد أراد التفرغ للعمل الأعظم والأكثر نفعاً وحفظاً للمسلمين وهذا ما بينه في كلمته "السبيل لإنهاء الحرب" فقال -رحمه الله-: (وبناء على ما تقدم: يظهر بطلان مقولة بوش، ولكن القول الذي تهرّب منه -وهو جوهر نتائج استطلاعات الرأي لسحب الجنود- هو أنه من الأفضل أن لا نقاتل المسلمين على أرضهم ولا يقاتلونا على أرضنا، ولا مانع لدينا من إجابتكم لهدنة طويلة الأمد، بشروط عادلة نفي بها، فنحن أمة حرم الله علينا الغدر والكذب، لينعم في هذه الهدنة الطرفان بالأمن والاستقرار، ولنبني العراق وأفغانستان اللتين دمرتهما الحرب، ولا عيب في هذا الحل؛ لولا أنه يحول دون انسياب مئات المليارات إلى أصحاب النفوذ وتجار الحروب في أمريكا، الذين دعموا حملة بوش الانتخابية بمليارات الدولارات، ومن هنا نستطيع أن نفهم إصرار بوش وعصابته على استمرار الحرب.

فإن صدقتم في إرادتكم للأمن والصلح فها قد أجبناكم، وإن أبى بوش إلا مواصلة الكذب والبغي فمن المفيد إذن أن تقرؤوا كتاب "الدولة المارقة" الذي جاء في مقدمته:

(لوكنت رئيسا سأوقف العمليات ضد الولايات المتحدة...

أولاً: سـأقدم اعتذاري لكل الأرامل واليتامى والأشـخاص الذين تعرضـوا للتعذيب، وبعد ذلك سأعلن بأن التدخل الأمريكي في دول العالم قد انتهى وبشكل نهائي).

وختاماً أقول لكم: إن الحرب إما لنا وإما لكم، فإن كانت الأولى فهي حسـرتكم وخزيكم أبد الدهر وفي هذا الاتجاه بفضـل الله تجري الريح، وإن كانت الأخرى فأقرؤوا التاريخ فإننا قوم لا ننام على الضـيم، ونطلب الثأر مدى العمر ولن تذهب الأيام والليالي حتى نثأر كيوم الحادي عشـر من سـبتمبر بإذن الله، وبذا يظل ذهنكم مكدودا، وعيشـكم منكودا، ويصـير الأمر إلى ما تكرهون، وأما نحن فليس عندنا ما نخسـره، والسـابح في البحر لا يخشـى المطر، فقد احتلّيتم أرضـنا، واعتديتم على أعراضـنا وكرامتنا، وسـفكتم دماءنا، ونهبتم أموالنا، وهدمتم دورنا وشـردتمونا، وعبثتم بأمننا، وسنعاملكم بالمثل.

لقد حاولتم أن تمنعونا الحياة الكريمة ولكن لن تستطيعوا أن تمنعونا من الموت الكريم، فالقعود عن الجهاد المتعين في ديننا إثم مخوف، وخير القتل عندنا ما كان تحت ظلال السيوف، ولا تغرنكم قوتكم وأسلحتكم الحديثة، فهي تكسب بعض المعارك ولكنها تخسر الحرب، والصبر والثبات خير منها، والعبرة بالخواتيم.

ولقد صـبرنا في قتال الاتحاد السـوفياتي بأسـلحة بسـيطة عشـر سـنين، فاسـتنزفنا اقتصادهم وصاروا بفضل الله أثرا بعد عين، ولكم في ذلك عبرة، ولنصبرن في قتالكم بإذن الله حتى يموت الأعجل منا، ولن نفر من الكفاح حتى يفر السلاح.

أقسمت لا أموت إلا حرا ...

وإن وجدت الموت طعما مرا ...

أخاف أن أُذل أو أُغرا ...)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى شعوب أوروبا - مبادرة صلح": (هذه رسالة إلى جيراننا شمال البحر المتوسط، تتضمن مبادرة صلح، كرد على التفاعلات الإيجابية التي ظهرت عندهم.

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي أقام السماوات والأرض بالعدل، وأذن للمظلوم أن يقتص من ظالمه بالمثل، أما بعد:

فالسلام على من اتبع الهدى، بين يديّ الرسالة أذكركم بأن العدل واجب مع من تحب ومن لا تحب، وأن الحق لا يضيره إن قاله الخصم، وإن أعظم قواعد الأمان: العدل والكف عن الظلم والعدوان، وقد قيل:

البغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

ولكم في الأوضاع في فلسطين المحتلة عبرة، وإن ما جرى في الحادي عشر من سبتمبر والحادي عشر من مارس هي بضاعتكم ردت إليكم، ومعلوم أن الأمن ضرورة ملحة لكل البشر، ونحن لن نرضى لكم أن تحتكروه لأنفسكم، كما أن الشعوب الواعية لن ترضى لساستها أن يعبثوا بأمنها.

فبعد ما تقدم، نحيطكم علماً بأن وصفكم لنا ولأعمالنا بالإرهاب هو بالضرورة وصف لأنفسكم وأعمالكم كذلك، حيث إن رد الفعل من جنسه؛ وأعمالنا هي رد

فعل لأعمالكم، التي هي تدمير وقتل لأهلنا كما في أفغانستان والعراق وفلسطين، ويكفيكم شاهدٌ الحدث الذي روع العالم؛ قتل المسن المقعد الشيخ احمد ياسين رحمه الله، فنحن نعاهد الله بأن نقتص له من أمريكا بإذن الله.

ففي أي ملة قتلاكم أبرياء وقتلانا هباء، وفي أي مذهب دماءكم دماء ودمائنا ماء، فمن العدل المعاملة بالمثل والبادئ أظلم.

وأما ساستكم ومن سار على نهجهم، الذين يصرون على تجاهل المشكلة الحقيقة في احتلال فلسطين كلها، ويبالغون في الكذب والمغالطة في حقنا في الدفاع والمقاومة، فهؤلاء لا يحترمون أنفسهم، كما أنهم يستخفون بدماء وعقول الشعوب، لأن مغالطتهم تلك تزيد من سفك دمائكم بدلاً من حقنها.

ثم إنه عند النظر في الأحداث التي جرت وتجري من قتلٍ في بلادنا وبلادكم، تظهر حقيقة مهمة وهي أن الظلم واقع علينا وعليكم من ساستكم، الذين يرسلون أبنائكم رغم اعتراضكم إلى بلادنا، ليقتلوا ويُقتلوا، لذا فمصلحة الطرفين أن يفوتا الفرصة على الذين يسفكون دماء الشعوب من أجل مصالحهم الشخصية الضيقة وتبعيتهم لعصابة البيت الأبيض، فهذه الحرب تدر مليارات الدولارات على الشركات الكبرى؛ سواء التي تصنع السلاح أو تلك التي تقوم بإعادة الاعمار كشركة هاليبرتون وأخواتها وبناتها.

ومن هنا يتضح بجلاء من المستفيد من ايقاد نار هذه الحرب وسفك الدماء؛ إنهم تجار الحروب مصاصو دماء الشعوب، الذين يديرون سياسة الدنيا من وراء

ستار، فما الرئيس بوش ومن يدور في فلكه من الزعماء، وما المؤسسات الإعلامية الكبرى، وما الأمم المتحدة التي تقن العلاقة بين سادة الفيتو وعبيد الجمعية العمومية، إلا بعض أدوات لتضليل الشعوب واستغلالها، فهؤلاء كلهم هم مجاميع الخطر القاتل على العالم أجمع والتي يشكل اللوبي الصهيوني أحد أخطر وأصعب أرقامها، فنحن مصممون بإذن الله على مواصلة قتالهم.

وبناءً على ما تقدم، ولتفويت الفرصة على تجار الحروب، وكرد على التفاعل الايجابي الذي أظهرته الأحداث الأخيرة واستطلاعات الرأي؛ بأن معظم الشعوب الأوربية راغبة في الصلح، لذا فإني ارجوا من الصادقين ولا سيما العلماء والدعاة والتجار أن يشكلوا لجنة دائمة لتوعية الشعوب الأوروبية بعدالة قضايانا وأولها فلسطين، مستفيدين من إمكانيات الإعلام الهائلة.

كما إني أقدم مبادرة صلح لهم جوهرها التزامنا بإيقاف العمليات ضد كل دولة تلتزم بعدم الاعتداء على المسلمين أو التدخل في شؤونهم، ومن ذلك المؤامرة الأمريكية على العالم الإسلامي الكبير.

وهذا الصلح يمكن أن يجدد في حال انتهاء المدة الموقع عليها من الحكومة الأولى، وقيام حكومة ثانية برضا الطرفين، وسريان الصلح يبدأ مع خروج آخر جندي لها من بلادنا، فباب الصلح مفتوح لمدة ثلاثة أشهر من تاريخ إعلان هذا البيان.

فمن أبى الصلح وأراد الحرب فنحن أبناؤها، ومن أراد الصلح فها قد أجبناه.

فأوقفوا سفك دمائنا لتحفظوا دمائكم، وهذه المعادلة السهلة الصعبة حلها بأيديكم، وأنتم تعلمون أن الأمر يتسع ويتضاعف كلما تأخرتم، وعندها فلا تلومونا ولوموا أنفسكم، والعاقل لا يفرط بأمنه وماله وبنيه لإرضاء كذاب البيت الأبيض، إذ لو كان صادقاً في دعواه للسلام لما قال عن باقر بطون الحوامل في صبرا وشاتيلا ومزور عملية الاستسلام رجل سلام، ولا ما كذب على الناس وقال إننا نكره الحرية ونقتل لمجرد القتل، والواقع يصدقنا ويكذبه، فالقتل للروس كان بعد غزوهم لأفغانستان والشيشان، والقتل للأوروبيين كان بعد غزوهم للعراق وأفغانستان، والقتل للأمريكيين يوم نيويورك كان بعد دعمهم لليهود في فلسطين وغزوهم جزيرة العرب، والقتل لهم في الصومال كان بعد غزوهم لها في عملية إعادة الامل، فأعدناهم بلا أمل والحمد لله.

وقد قيل: درهم وقاية خير من قنطار علاج. والسعيد من وعِظَ بغيره. والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. والسلام على من اتبع الهدى.)

وقال -رحمه الله- في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (وإن من الاستهزاء بالناس واحتقارهم أيضاً، أن تكون طائراتكم ودباباتكم تدمر البيوت فوق رؤوس أهلنا وأطفالنا في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وباكستان، ثم تبتسمون في وجوهنا وتقولون نحن لا نعادي الإسلام وإنما نعادي الإرهابيين، وندعو إلى التعايش السلمي والحوار بدلاً من صراع الحضارات!

والواقع يكذبهم، فساسة الغرب لا يرغبون في حوار إلا من أجل الحوار لاستغفالنا وتخديرنا لكسب الوقت، ولا يريدون هدنة إلا من طرفنا نحن فقط.

فقد علمتم ردنا مؤخراً على استطلاعات الرأي عندهم بعرض هدنة بيننا وبينهم بعد انسحاب جيوشهم وكف أذاهم عنا، فرفضوا كل ذلك وهم مصرون على استمرار حملاتهم الصليبية ضد أمتنا واحتلال بلادنا ونهب خيراتنا واستعبادنا، فلا تغرنكم أقوالهم أو أقوال المنافقين أو المرتدين من بني جلدتنا أو أقوال الفاسقين المخذلين المثبطين المرجفين الذين ارتفعت أصواتهم جميعاً في الفترة الأخيرة.)[٢٣]

---

٢٣ . ومما يستأنس به هنا ما جاء في وثائق أبوت أباد في الرسالة المرسلة إلى الشيخ عطية الله الليبي التاريخ ٢٦ شعبان ١٤٣١هـ – ٦ أغسطس ٢٠١٠م: (بخصوص المغرب الإسلامي: فقد قرأت رسالة واحدة تتحدث عن أن هناك بعض الجهات ترغب في عقد الهدنة مع الإخوة، ورأينا أن عقد الهدنة ضمن ضوابطها الشرعية أمر حسن حيث إننا نرغب في تحييد كل من يمكن تحييده في فترة حربها مع العدو الأكبر أمريكا، أما مسألة العشرة ملايين يورو سنويًا لا أرى التشدد فيه وإنما الذي يهمنا أن تتم الهدنة.)

مخاطبة شعوب الأعداء

وقد كان من السمات والمعالم البارزة في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- مخاطبته شعوب الأعداء بشكل مباشر لدعوتهم إلى الحق وبيان حقيقة الصراع وكشف حقيقة حكومات دولهم فوجه أكثر من رسالة في هذا الباب نذكر منها ما جاء في "رسالة إلى الشعب الأمريكي":

(بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الشعب الأمريكي، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني لكم ناصح أمين.. فأنا أدعوكم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وإلى النجاة من حياتكم المادية الجافة البئيسة التي لا روح فيها..

أدعوكم إلى الإسلام الذي يدعو إلى إتباع منهج الله وحده لا شريك له، ويدعو إلى العدل وينهى عن الظلم والإجرام..

كما إني أدعوكم إلى تفهم رسالة غزوتي نيويورك وواشنطن، اللتين جاءتا رداً على بعض جرائمكم السابقة والبادئ أظلم، إلا أن المتابع لحركة عصابة الإجرام في البيت الأبيض، عملاء اليهود، الذين يستعدون للهجوم على العالم الإسلامي وتقسميه دون أن تنكروا عليهم، يشعر بأنكم لم تفهموا من رسالة الغزوتين شيئاً.

لذا فإني أقول لكم -والله على ما أقول وكيل- فلتزد أميركا أو تنقص من وتيرة هذا الصراع، فسوف نكيل لها بنفس الصاع -بإذن الله سبحانه وتعالى-.

وأُشهِدُ الله أن شباب الإسلام يعدون لكم ما يملأ قلوبكم رعباً، ويستهدفون مفاصل اقتصادكم إلى أن تكفوا عن ظلمكم وعدوانكم أو يموت الأعجل منا..

ونرجو الله -عز وجل- أن يمدنا بمدد من عنده إنه ولي ذلك والقادر عليه.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.)

ونذكر منها: "رسالة إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية":

(بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أسامة بن لادن إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية الظالمة..

السلام على من اتبع الهدى، أما بعد..

فإن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل، وإن ما وقع منذ غزوتي نيويورك وواشنطن إلى يومنا الحالي:

كقتل الألمان في تونس، والفرنسيين في كراتشي، وتفجير الناقلة العملاقة الفرنسية في اليمن، وقتل المارينز في فيلكا وقتل البريطانيين والأستراليين في انفجارات بالي، وعملية موسكو الأخيرة مع بعض العمليات المتفرقة هنا وهناك، ما هو إلا رد فعل

وتعامل بالمثل قام به أبناء الإســـلام الغيورون ذوداً عن دينهم واســـتجابةً لأمر ربهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام.

وإن ما يقوم به بوش فرعون العصـر من قتل لأبنائنا في العراق، وما تقوم به إسـرائيل حليفة أمريكا بقصف المنازل بمن فيها من شيوخ ونساء وأطفال بالطائرات الأمريكية في فلســطين، كان كافياً للعقلاء من حكامكم للابتعاد عن عصـــابة الإجرام هذه، فأهلنا في فلســـطين يُقتّلون ويســـامون ســـوء العذاب منذ قرن من الزمان تقريبا، فإذا دافعنا عن أهلنا في فلسطين اضطرب العالم وتحالف ضد المسلمين تحت مسمى مكافحة الإرهاب بغياً وزوراً، فما شأن حكوماتكم والتحالف مع عصابة الإجرام في البيت الأبيض ضـد المسـلمين، أما تعلم حكوماتكم أن عصـابة البيت الأبيض هم أكبر سفاحي العصر؟

فهذا رامســفيلد جزار فيتنام قتل أكثر من مليونين من البشـــر فضـــلاً عن الجرحى، وها هما تشـــيني وباول فعلا من القتل والدمار في بغداد أكثر مما فعله هولاكو التتار، فما شـــأن حكوماتكم والتحالف مع أمريكا في الهجوم علينا في أفغانســتان وأخص بالذكر بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا وألمانيا واستراليا.

فأستراليا تلك التي حذّرناها من قبل عن مشاركتها في أفغانستان، فضلاً عن سعيها المذموم في فصل تيمور الشرقية، فتجاهلت التحذير إلى أن استيقظت على أصوات الانفجارات في بالي، ثم زعمت حكومتها بهتاناً وزوراً أنهم غير مستهدفين.

فلئن ساءكم النظر إلى قتلاكم وقتلى حلفائكم من الرجال في تونس وكراتشي وفيلكا وبالي وعمّان، فتذكروا قتلانا من الأطفال في فلسـطين والعراق يومياً، وتذكروا قتلانا في مساجد خوست، وتذكروا قتلانا عن عمد في الأعراس والأفراح في أفغانستان.

ولئن ساءكم النظر إلى قتلاكم في موسكو، فتذكروا قتلانا في الشيشان.

فإلى متى يبقى الخوف والقتل والدمار والتشـريد واليتم والترميل حكراً علينا ويبقى الأمن والاستقرار والسرور حكراً عليكم؟ هذه قسمة ضيزى.

لقد آن الأوان لنستوي في البضاعة، فكما تقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وأبشروا بما يسوؤكم.

فها هي الأمة الإسلامية قد بدأت بفضل الله ترميكم بفلذات أكبادها الذين عاهدوا الله على أن يواصـلوا الجهاد بالبيان والسـنان، لإحقاق الحق وإبطال الباطل ما دام فيهم عين تطرف أو عرق ينبض.

وفي الختام أسـأل الله أن يمدنا بمدد من عنده لنصـرة دينه ومواصـلة الجهاد في سـبيله حتى نلقاه وهو راض عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.)

تقديم قتال أئمة الكفر من الكفار والمرتدين على قتال صغار الأعوان والأتباع

من صـــور اهتمام الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- بفقه الأولويات في التأصـيل والتوجيه والعمل ما وجه إليه بالاهتمام بتقديم قتال أئمة الكفر من الكفار والمرتدين على قتال صـغار الأعوان والاتباع حيث قال -رحمه الله- في "رسـالة إلى الأمة الإسلامية – بعد عام؛ الفشل الأمريكي في أفغانستان": (فيا شباب الإسلام: يا أحفاد خالد والقعقاع، ويا خلف مصعب بن عمير وأسامة بن زيد ومحمد القاسم ومحمد الفاتح، ويا إخوان محمد عطا ومروان الشـــحي وزياد الجراح وهاني حنجور وبقية أفراد السرية، ويا رفاق أنس الكندري وجاسم الهاجري ...

أنتم الذين على قنطرة تضحياتكم ستعبر هذه الأمة إلى ساحة العز وميدان الكرامة، وستسعد البشرية وتُرحم الإنسانية.

أنتم فرســـان القتال وأبطال النزال، ونحن لن نخاطبكم إلا بما خاطبكم به ربكم عز وجل، ودعاكم إليه، وحرضــكم عليه، وهو قتال أعدائه وأعداء دينه قال تعالى: **﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْـرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُـرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾**، وقال سبحانه: **﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾**.

والأولوية في هذا القتال وفي هذه المرحلة، يجب أن يكون لأئمة الكفر من الأمريكان واليهود الذين لن ينتهوا عن عدوانهم ولن يكفوا عن تسـلطهم علينا إلا بالجهاد قال تعالى: **﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾**، وإياكم أن تنجروا إلى تشـتيت

جهودكم، وتبديد طاقاتكم في معارك جانبية مع الأذناب والأطراف، بل ركزوا الضرب على رأس الكفر حتى ينهار، وعندما ينهار سوف تتداعى له بقية الأطراف بالانهيار والاندثار والاندحار ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (ثم إِنِّي أوجِّه خطابي لأهل الحلِّ والعقد من العلماء الصادقين والزعماء المطاعين والأعيان والوجهاء والتجار: بأن يتداركوا الأمر قبل فوات الأوان، فإنَّ الأمور تسير بسرعة غير عادية نحو الانفجار، فابذلوا ما في وسعكم لسحب فتيل الأزمة، مع العلم أنَّ المجاهدين في بلاد الحرمين لم يبدأوا القتال بعدُ ضدَّ النظام، ولو بدأوا فعلاً لكان في رأس القائمة التخلُّص من أَئِمَّةَ الكفر المحلي حكام الرياض، ولكن الذي يجري ما هو إلا امتداد للقتال مع التحالف الصليبي الأمريكي الذي يقاتلنا في كلِّ مكان ونقاتله في كلِّ مكان كذلك، بما في ذلك بلاد الحرمين، ونحن نسعى لإخراجهم منها بإذن الله.)

ضرورة فقه الواقع

إن معرفة الواقع والحوادث قبل إصدار الأحكام عليها وإصدار التوجيهات لكيفية العمل فيها والتعامل معها من أصول الفتيا وأسباب الهدى والسداد ونجاح الدعوة وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- في "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية": (وَهَذَا مَوْضِعُ مَزَلَّةِ أَقْدَامٍ، وَمَضَلَّةِ أَفْهَامٍ، وَهُوَ مَقَامٌ ضَنْكٌ، وَمُعْتَرَكٌ صَعْبٌ، فَرَّطَ فِيهِ طَائِفَةٌ، فَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَضَيَّعُوا الْحُقُوقَ، وَجَرَّءُوا أَهْلَ الْفُجُورِ عَلَى الْفَسَادِ، وَجَعَلُوا الشَّرِيعَةَ قَاصِرَةً لَا تَقُومُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، مُحْتَاجَةً إلَى غَيْرِهَا، وَسَدُّوا عَلَى نُفُوسِهِمْ طُرُقًا صَحِيحَةً مِنْ طُرُقِ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالتَّنْفِيذِ لَهُ، وَعَطَّلُوهَا، مَعَ عِلْمِهِمْ وَعِلْمِ غَيْرِهِمْ قَطْعًا أَنَّهَا حَقٌّ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ، ظَنًّا مِنْهُمْ مُنَافَاتَهَا لِقَوَاعِدِ الشَّرْعِ.

وَلَعَمْرُ اللَّهِ إنَّهَا لَمْ تُنَافِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَإِنْ نَافَتْ مَا فَهِمُوهُ مِنْ شَرِيعَتِهِ بِاجْتِهَادِهِمْ، وَالَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ ذَلِكَ: نَوْعُ تَقْصِيرٍ فِي مَعْرِفَةِ الشَّرِيعَةِ، وَتَقْصِيرٍ فِي مَعْرِفَةِ الْوَاقِعِ، وَتَنْزِيلِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ.)

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في "إعلام الموقعين عن رب العالمين": (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علمًا.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حُكْم الله الذي حَكَم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بَذَلَ جَهْده واستفرغ وُسْعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرًا؛ فالعالم مَنْ يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله.)

وقال الإمام الشاطبي: (لا يصح للعالم إذا سئل عن أمرٍ كيف يحصل في الواقع إلا أن يجيب بحسب الواقع، فإن أجاب على غير ذلك أخطأ في عدم اعتبار المناط المسؤول عن حكمه، لأنه سئل عن مناط معين فأجاب عن مناط غير معين.)

وقال الشيخ عبد الله العدم -رحمه الله- في مقال "الصحوات": (إن أهم ما يجب على الطائفة المجاهدة أن تعيه جيداً هو فقه حقائق كل مرحلة جهادية تمر بها، فلكل مرحلة من مراحل الجهاد أسلوب وطريقة يفرضها الواقع المعاش على كيفية التعاطي معه، ولكل حال ما يناسبه من طرح سواء كان طرحاً فكرياً في مخاطبة الناس، أو أسلوب عمل على أرض الواقع، فعلى سبيل المثال دفع الصائل له خصوصيات وفقه حركي خاص به يستلزم منا حشد الطاقات وتوجيه الجهد الأساسي لدفعه وجمع الناس والجماعات على قتاله دون الانشغال بمسائل أخرى تفرق أكثر مما تجمع، وربما ترمي بالناس في أحضان الكافر عن غير قصد، وتقلب المحب عدواً مبغضاً ...).

وهذا الأصل العظيم من أصول الهدى والسداد والحكمة والرشاد وجدنا الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- يهتم به ويركز عليه كثيرا في دعوته وتوجيهاته وجهاده فقال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "رسالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود": (إن هؤلاء الحكام المرتدين المحاربين لله ورسوله لا شرعيةَ لهم ولا ولايةَ لهم على المسلمين وليس لهم النظر في مصالح الأُمَّة، ولكنكم بفتواكم هذه تعطون الشرعية لهذه الأنظمة العَلمانية وتعترفون بولايتها على المسلمين، وهذا ما يتناقض مع ما عُرِفَ عنكم من تكفيرها في السابق، وقد بَيَّنَ لكم ذلك نُخبةٌ من العلماء والدعاة في مناشدتهم إياكم سابقاً بالامتناع عن هذه الفتوى، وسنرفق لكم صورة من تلك المناشدة تذكيراً لكم وتنبيهاً.

إن فتواكم هذه كانت تلبيساً على الناس لما فيها من إجمال مخل وتعميم مضل، فهي لا تصلح فتوى في حكم سلامٍ منصف، فضلاً عن هذا السلام المزيف مع اليهود الذي هو خيانةٌ عُظمى للإسلام والمسلمين، لا يقرها مسلم عادي فضلاً عن عالمٍ مثلكم يفترض فيه من الغيرة على المِلة والأُمَّة. إن الواجب فيمن يتصدى للفتوى في قضايا الأُمَّة الخطيرة الكبيرة، أن يكون على علم بأبعادها وما قد يترتب عليها من أضرار وأخطار، لأن العلم بذلك من شروط المفتي التي لا غنى عنها. يقول الإمام ابن القيم: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط بها علمًا، والنوع الثاني فهم الواجب في الواقع وهو

فهم حكم الله الذي حكمه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر.) ا.هـ. [إعلام الموقعين: ١/٨٧].

وقال أيضا -رحمه الله- في الرسالة الثانية للشيخ عبد العزيز بن باز: (إن ما يبعث على الخوف والقلق ليس مجرد صدور هذه الفتوى منكم، ولكن الأدهى أن هذه الفتوى صدرت بمقتضى منهج متبع من قبلكم في إصدار مثل هذه الفتاوى، أهم ما يميزه:

١. أنه ينطلق من مبدأ مجاراة حكام السوء في أهوائهم السياسية، ومواقفهم على تصرفاتهم.

٢. وفي سبيل ذلك يتعسف الأدلة ويلوي أعناق النصوص لتستجيب لتلك الرغبات.

٣. وإذا لم تسعف النصوص القابلة لذلك في الواقعة والمعروضة أبهم الحكم بصورة يتوصل بها الحكام لمرادهم.

٤. أنه قائم على الجهل بالواقع الذي هو مناط الحكم ولا تجوز الفتوى على جهل به.

٥. ولأنه مبني على رغبات الحكام المتقلبة فقد اتسم بكثير من التناقض والتعارض.)

وإذا كانت الشـروط لازمة للفتوى بصـورة عامة، فإنها تتأكد في الفتوى فيما يتعلق بالجهاد والصـلح ونحوه. يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: (والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصـحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون الذي يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين، فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا.) [الاختيارات الفقهية صـ٣١١].

إن الفتاوى السـابقة لو صـدرت عن غيركم لقيل بتعمد صـاحبها ما تتضـمنه من الباطل، ويترتب عليها من أثار وأخطار، ولكنها لما صـدرت منكم تعين أن يكون سبب الخلل فيها غير ذلك من الأسباب التي لا ترجع إلى نقص علمكم الشرعي، ولكن لعدم إدراك حقيقة الواقع، وما يترتب على مثل هذه الفتاوى من أثار، مما يجعل الفتوى حينئذ غير مسـتوفاة الشـروط ومن ثم لا يصـح إطلاقها، مما يحتم على المفتي عندئذ أن يتوقف عن الفتوى أو يحيلها حينئذ على المختصـين الجامعين بين العلم بالحكم الشـرعي والعلم بحقيقة الواقع. وقد ثبت أن الإمام أحمد بن حنبل كان يتوقف في كثير من المسـائل، وقد كان الإمام مالك إذا سـئل عن القراءات أحال إلى الإمام نافع رحمهم الله جميعًا.)

وقال أيضـا -رحمه الله- في "العلماء ورثة الأنبياء": (والرفق في بيان الخطأ والزلة قد يكون مطلوباً في حالات كما أن الشـدّة مطلوبة في حالات أخرى، والحكمة هي استعمال الأسلوب المناسب في الحال المناسب ولكل مقام مقال. إن النصوص السابقة قد دلت على مشروعية الرد بشدة وقوة على المخالف في مثل تلك المواضيع بعد تحريه للصـواب وبحثه عن الحق ، وهي تدل من باب أولى على مشـروعية ذلك

في حق أولئك الذين لم يتحروا الصواب بل جانبوه عن عمد وخالفوه عن قصد بعد أن تبين وبين لهم، وسخروا علمهم وعملهم لخدمة السلاطين الذين بارزوا الله بالحرب وكاشفوه بالعداء ، فإذا كان الرسول ﷺ قد قال في حق أولئك الذي أفتوا صاحبهم بالاغتسال عن جهل فمات: «قتلوه قتلهم الله»، فماذا ينبغي أن يقال في حق من يفتون فتاوى يترتب عليها قتل الألوف، بل ضياعُ أُمَّة بأجمعها؟ وبماذا يُرَدُّ عليهم وهم يبيحون بلاد الحرمين والقدس وفلسطين لأعداء الله تبارك وتعالى؟ وما القول المناسب في حقهم وهم يقرون ولاية المرتدين الذين يتحالفون مع اليهود لحرب المجاهدين في فلسطين وغيرها؟ بل ماذا ينبغي أن يقال في حقهم وقد تواطؤا مع حكام السوء على وأد كلمة الحق والوقوف في وجه من جهر بها ودعا إليها ممن نحسبهم من العلماء الصادقين والدعاة والمصلحين، وساهموا فيما يعانيه هؤلاء من سجن واعتقال ومحاصرة وتضييق؟

إن أصحاب هذه المواقف والفتاوى ممن رضوا بأن تتترس بهم الأنظمة الظالمة وتدافع بهم عن أوضاعها الفاسدة، أصروا على الوقوف معها في خندقٍ واحد، ليس لهم ولا لغيرهم أن يجدوا في أنفسهم إذا أصابهم جزء مما يقتضيه الواجب الشرعي من تعرية باطل تلك الأنظمة والعمل على رفع ظلمها عن العباد. ولا ينفع هؤلاء ما قد يفترضه بعض الناس من أن الأنظمة الحاكمة هي التي استغفلتهم ولبست عليهم، حتى تستصدر منهم تلك الفتاوى والمواقف ، فإن هذا الافتراض –لو صح– لا يُغَيِّرُ من الآثار الخطيرة والمفاسد الكبيرة المترتبة على تلك الفتاوى والمواقف، مما يعني بقاء الحكم الشرعي بالعمل على إزالتها ، وغاية ما في الأمر أن يكون هؤلاء معذورين في

أخطائهم عند الله، مع وجوب الإنكار عليهم، وهذا على افتراض حسن الظن بهم، وهو مالا يُسَوَّغ في حق كثير ممن مردوا على مواقفهم وفتاواهم تلك عن عمد وقصد بعد بيان الحق لهم ، وقيام الحجة عليهم واتضاح الدليل ضدهم، وحتى لو سلم أنهم استغفلوا فهذا دليل على فقدهم أحد شروط الإفتاء، وهو العلم بالواقع، وإقدامهم على الإفتاء مع فقدهم هذا الشرط، لا يجوز شرعاً، ويجب إنكاره عليهم.)

وقال أيضا -رحمه الله- في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (وعوداً على موضوع القيادة: فالطريق لتحرير الأقصى يحتاج إلى قيادات حقيقية صادقة مستقلة قوية أمينة، تكون على مستوى هذه الأحداث الجسام، ملمة بفقه الواقع وفقه الشريعة، وينشئون هيئة مناصحة لها فروع في أقطار العالم الإسلامي، تسعى لنشر البيان والبلاغ، وتوعية عامة أبناء الأمة شرعياً وسياسياً، وعندها تتحرر العقول من الجهل والغفلة، والنفوس من الخضوع والخنوع للحكام الخاضعين لأعدائنا.

فالمعرفة بخطورة هذا الواقع الذي نعيشه، ودور الحكام وأعوانهم فيه، هي الخطوة الأولى لتشكيل قوة دافعة في النفس، لتتحرك لتغيير هذا الواقع المظلم. وهنا لا بد من إنزال فقه الشريعة على هذا الواقع، وعندها تنضبط تحركاتنا على الطريق المستقيم، لتصحيح الأوضاع المنكرة وإزالة العدوان عن أمتنا.)

مراعاة الخطاب لحال والواقع في التوجيهات

ومما ميز دعوة وتوجيهات الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- مراعاة الخطاب والتوجيهات لمقتضى الحال والواقع.. فهو يعيش الواقع والحال ويتعامل فيه بما يناسبه..

جاء في "مقابلة الصحفي تيسير علوني": (-تيسير علوني: طيب يا شيخ أنا أرى أن إجاباتكم تقودنا دوما إلى الحديث عن فلسطين والقضية الفلسطينية فدعنا نقود السؤال: بياناتكم الأخيرة، أو بالتحديد أو بيان صدر منذ سنوات يدعو إلى قتال اليهود والصليبيين وكان، نحن نذكر طبعا أن عنوان كان موجودا عليه بين قوسين جملة من الحديث الشريف "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" وكان تركيزكم على إخراج الأمريكيين من جزيرة العرب، لكن بدأنا نرى في الآونة الأخيرة تبديلا في أولوياتكم، وضعتم قضية فلسطين أو ما تسموها أنتم "قضية الأقصى" في المقدمة وأعدتم قضية الحرمين إلى المقام الثاني، إن صح التعبير فما تعليقكم على ذلك؟

-الشيخ أسامة بن لادن: أقول لا شك أن الجهاد فرض عين لتحرير الأقصى ولإنقاذ المستضعفين في فلسطين وفي لبنان وفي العراق وفي جميع بلاد الإسلام، ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين أيضا هو كذلك فرض عين، لكن في مسألة تقديم أو بعض الكلام أنه يقال أن أسامة الآن وضع قضية فلسطين، فهذا غير صحيح، فللعبد الفقير محاضرات ١٤٠٧ هجرية تحث المسلمين على المقاطعة الاقتصادية ضد البضائع الأمريكية وكنت أقول إن أموالنا يأخذها الأمريكان

ويعطوها لليهود فقتلوا فيها أخواتنا في فلســـطين فهذا فرض عين، وهذا فرض عين، وفروض عيان كثيرة في الجهاد ككشــمير وغيرها. وفي الجبهة التي أنشـأت قبل بضـع ســنين كان عنوانها -مســمى الجبهة- الجبهة الإســلامية ضــد اليهود والصــليبيين، وذكرنا لهذين الحدثين أو لهاتين القضيتين من باب الأهمية، فأحيانا قد تتوفر مقومات في إحدى القضيتين تدفع بها أكثر من غيرها فنتحرك بهذا الاتجاه دون إهمال للاتجاه الآخر.)

ليس كل ما يعرف يقال

ومن صــور مراعاة الحال في الخطاب والبيان التي اعتمدها الشــيخ المجدد أســامة بن لادن -رحمه الله- ما حكاه لنا الشيخ خبيب السـوداني -حفظه الله- في "شـذرات من تاريخ القاعدة" حيث قال: (ما كل حق يقال في كل وقت ولكل أحد: جدير بالذكر هنا أن نقف وقفة تأمل نأخذ منها الدروس والعبر من رأي الشيخين عبد الله عزام وأسامة بن لادن -رحمها الله- بأن لا يخوض أبو أسامة المصري في الحديث عن السياسة الداخلية للأحزاب الأفغانية التي يصف زعماءها دوماً بأنهم لصوص وقتلة وكذابون وليس لديهم خلق إسلامي.

فقد يقول قائل إن الشيخ أبا المصري رحمه الله كان محقا في فَلِمَ يُمنع؟!

صحيح أن الشيخ أبا أسامة كان محقا، ولكن ما كل حق يقال في كل وقت ولكل أحد.. لماذا؟

لأنه قد يترتب عليه مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة. وبناء على هذه القاعدة اتخذ الشيخان قرارهما لأنه ليست هناك مصلحة شرعية مرجوة -كما ظهر للشيخين- يمكن أن تتحقق من إبداء الشــيخ أبا أســامة المصــري رأيه أمام شــباب قد يكون معظمهم حدثاء عهد ليس بالالتزام بالجهاد فحســب بل بالالتزام بمبادئ الإســلام نفسه وبمعنى آخر هل من الممكن اصلاح الأمر بإقصاء أولئك القادة المفسدين من أحزابهم بمجرد إبداء الشيخ أبي أسامة لذلك الراي؟

بالتأكيد الإجابة لا..

لكن هناك مفسدة غالب الظن أنها مؤكدة وحتمية التحقق فقد يتأثر بعض هؤلاء الشباب بمنطق وحجة أبي أسامة القوية المتناقضة بشدة مع ما يقوله الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن وينشأ من ذلك البلبلة والتثبيط المبطن غير المقصود خاصة إذا كان مثل ذلك الرأي من شخصية لها وزنها واحترامها كالشيخ أبي أسامة المصري رحمه الله تؤدي إلى نفور الشباب وتركهم لساحة الجهاد ورجوعهم إلى بلادهم ليعيشوا مرة أخرى تحت مظلة الطواغيت الذين لا يقارن كفرهم وردتهم وفسادهم بأي حال من الأحوال مع فساد هؤلاء القادة.

فهل من المصلحة رجوع هؤلاء الشباب إلى بلادهم وترك دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا بحجة أن الجهاد مفسدين علما بأن عقيدة أهل السنة أن الجهاد ماض مع كل بر وفاجر؟

وكان الشيخ أسامة رحمه الله في خطاب له عام ٢٠٠٧م بعنوان "السبيل لإحباط المؤامرات" قد أشار إلى قصة الشيخ أبا أسامة هذه بقوله: (ولقد كان لأحد المجاهدين رأيٌ شديد جداً في هذه القيادات وكان من كبار السن والقدر وهو صاحب تجربة طويلة في الحياة مع الناس، وكنا وقتها ننفر من شدة قوله فيهم، وسأحاول أن أوصل بعض قوله إليكم وخلاصته: "أن هؤلاء القادة تُجار تهمهم زعامتهم، ومصالحهم الشخصية مقدمة على القضية"، وكنا لا نصدق كلامه فيهم مما أخَّر إدراكنا للتصور الصحيح للأشخاص والأحداث، و لا يخفى ما يترتب على ذلك من مضار عظام، ثم مع مرور الأيام وتتابع الوقائع بدأت الأمور تتضح

وتصـــدق قوله في بعضـــهم ، بل جاءت الأحداث لتؤكد أموراً ما كنا نتوقعها أبداً لصـــغر ســـننا ولقلة تجربتنا في تلك الأيام ، وأمّا اليوم فكلكم قد علم أن تحالف الشـمال بقيادة رباني وسـياف صـاروا أعواناً ومناصـرين لأمريكا ضـد المجاهدين في أفغانســتان ، و كذلك الحال اليوم في العراق فالحزب الإســلامي وبعض الجماعات المقاتلة تناصر أمريكا على المسلمين ، وذلك كفرٌ بواح وردة صراح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.)

تعليقا على كلام الشيخ أسامة -رحمه الله-:

لو افترضـنا أن الشـيخين أسـامة وعبد الله عزام رحمها الله تكشـف لهما آنذاك تلك الأمور التي تكشــفت للشــيخ أبي أســامة فهل كانت لتغيب عن أذهانهما الحكمة والسياسية الشرعية بأن لا يتكلما على الملأ بأن هؤلاء لصوص كذابون وتجار تهمهم زعامتهم ومصالحهم الشخصية مقدمة على القضية؟

لا أعتقد ذلك لعلم الشيخين بان هذا الأمر وإن كان قد تكشف لهمت حسب ما افترضنا ولبعض الخاصة إلا أنه لم يتكشف بعد لدى عامة المجاهدين. إضافة إلى أن هؤلاء القادة في ذلك التاريخ لم يقعوا بعد في الكفر البواح والردة الصـــراح كما هو حالهم اليوم، بل كان لهم وزنهم ومكانتهم وكان كل المسلمين بصفة عامة والمجاهدين في ساحة أفغانستان عربهم وعجمهم بصفة أخص لا تعلم عنهم إلا كل خير وتكن لهم كل احترام وتقدير لما قدموه وبذلوه من تضـــحيات في جهاد الروس وفي جهاد حكومة كابل الماركسية العميلة قبل الغزو.

وبناء على تلك المعطيات لو كان الشيخان تكلما عن هذا الأمر على الملأ فسترعد لكلامهما أنف الأفغان المجاهدين التابعين لهؤلاء القادة حمية وعصبية وستوغر صدورهم وربما ترتب على ذلك فساد وفتنة عظيمة بين المجاهدين الأفغان وإخوانهم من العرب.

ولما كان سياف آنذاك يرأس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان وكان هو المستودع الكبر لتبرعات المسلمين للجهاد في أفغانستان خاصة التبرعات القادمة من بلاد الحرمين ودول الخليج لعل أقصى ما كان الشيخان أسامة وعبد الله عزام سيفعلانه في ذلك الوقت هو أن لا تصب تلك الملاين من أموال التبرعات في خزائن هؤلاء المفسدين وهذا ما كانوا يتخفون منه لذلك كانوا يتظاهرون بالصلاح.

ومعلوم في السيرة قصة عبد الله بن أبي سلول في غزوة بني المصطلق، وذلك عندما بلغ رسول الله ﷺ أنه قال: «أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل...» فأراد عمر رضي الله عنه أن يأذن له رسول الله ليضرب عنقه فأبى رسول الله ﷺ وقال لعمر: «فكيف يا عُمَرُ إذا تحدَّث الناس: أَن محمدًا يقتل أصحابه! لا، ولكن أذّن بالرحيل».

ولما نزل الوحي مؤكداً مقولة زعيم النفاق عبد الله بن أبي كان قومه بعد إذا أحدث الحدث هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله، لأرعدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته»، قال: قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

لقد كان الشــيخان عبد الله عزام وأســامة بن لادن -رحمهما الله- محقين في قرارهما بالتضـحية بالشـيخ أبي أسـامة المصـري ومعسـكره ورسـك فبالرغم من أن الشـيخ أبا أســـامة المصـــري كان من قدامى المجاهدين الأكفاء في مجال التدريب فقد أدركا رحمهما كما ذكرنا سـابقا أن سـاحة أفغانسـتان فرصـة ذهبية كبيرة يجب أن تسـتغل فلأول مرة منذ زمن بعيد يناقش امر الجهاد في العلن وفي صـــفحات الجرائد وعلى شـاشـات التلفزة بعد أن نسـيا منسـيا فأدرك الشـيخان رحمهما الله أن هذا الضـوء الخضـــر العالمي لدعم الجهاد ضـــد الروس والتســـهيلات التي وافقت ذلك لن تدوم طويلا وســـتنتهي وتقمع بانتهاء المهلة المطلوبة منها. لذلك كان الشـــيخان يطمعان ويتطلعان إلى أن يأتي إلى سـاحة أفغانسـتان أكبر عدد من أبناء المسـلمين ليتشـعبوا بفكر الجهاد ثم يحملوه بعد ذلك إلى بلادهم. وكان الشـــيخ عبد الله عزام رحمه الله يقول: (أريد أن يأتي من كل بلد عربي ولو أربعين مجاهدا فيسـتشـهد نصـفهم ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد.)) اهـ.

دفع أعظم المفسدتين

إن قاعدة "دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما" من القواعد الشرعية الكلية التي يحتاجها المسلمون في حياتهم في مختلف العصور ولكن تزداد الحاجة إليها في أزمنة الاستضعاف ودفع الصائلين ونحوها.. وفي تقرير هذا الأمر يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في "مجموع الفتاوى": (الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.)

وقال الإمام الزركشي –رحمه الله– في "المنثور في القواعد الفقهية": (قاعدة "تعارض المفسدتين". قال ابن عبد السلام: أجمعوا على دفع العظمى في ارتكاب الدنيا، وقال ابن دقيق العيد: من القواعد الكلية أن تدرأ أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما إذا تعين وقوع "إحداهما" بدليل "حديث: «بول الأعرابي في المسجد لما نهاهم النبي ﷺ عن زجره»" وأن يحصل أعظم المصلحتين بترك أخفهما إذا تعين عدم "إحداهما"، قال: وأعني أن ذلك في الجملة لا أنه عام مطلقا حيث كان ووجد. وقال الشيخ عز الدين: "إذا" تعارض مصلحتان حصلت العليا منهما بتفويت الدنيا....)

وهذه القاعدة الشرعية من القواعد التي اعتمد عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– في توجيهاته ودعوته وجهاده فقال الإمام المجدد في إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين

قال -رحمه الله- في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين - أخرجوا المشـــركين من جزيرة العرب": (وأحيانًا يطلق عليها رجاله من وزارة الداخلية والذين تخرجوا من كليات شرعية ليشوِّشوا على المسيرة الإصلاحية وليشتتوا الأمَّة والشعب عنها، وأحيانًا يستزلون أقدام بعض الصالحين للدخول في حرب كلامية مع علماء ورموز الدعوة الإصلاحية ليستنزف طاقة الجميع ويبقى الكفر الأكبر مسيطرًا على الأمَّة مضلِّلاً لها، وتستمر المناقشات في الفروع بينما توحيد الله بالعبادة والتحاكم إلى شريعته مغيَّب عن الواقع، وفي ظل هذه المناقشات والردود يلتبس الحق بالباطل وكثيرًا ما تنتهي إلى عداوات شخصية يتحزَّب الناس مع هذا أو ذاك ممَّا يزيد الأمَّة انقسامًا وضعفًا إلى ضعفها، وتغيب الأولويات في العمل الإسلامي.

فينبغي التنبُّه إلى هذه الحيل الشيطانية وأمثالها التي تنفِّذها وزارة الداخلية، والصواب في مثل هذه الحالة التي نعيشـــها هو كما قرره أهل العلم، وهو تكاتف جميع أهل الإسلام للعمل على دفع الكفر الأكبر الذي يسيطر على بلاد العالم الإسلامي، مع تحمُّل الضرر الأدنى في سبيل دفع الضرر الأكبر ألا وهو الكفر الأكبر، وإذا تزاحمت الواجبات قُدِّم آكدها، ولا يخفى أنَّ دفع هذا العدو الأمريكي المحتل هو أوجب الواجبات بعد الإيمان، فلا يُقَدَّمُ عليه شيء كما قرر ذلك أهل العلم، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: (وأمَّا قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجبٌ إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يُشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان.) [كتاب الاختيارات العلمية، ملحق بالفتاوى الكبرى: ٤/٦٠٨].

فإذا تعذَّر دفع هذا العدو الصائل إلا باجتماع المسلمين بقضِّهم وقضيضهم وغثِّهم وسمينهم، كان ذلك واجبًا في حقِّهم، مع التغاضي عن بعض القضايا الخلافية والتي ضَرَر التغاضي عنها في هذه المرحلة أقل من ضرر بقاء الكفر الأكبر جاثمًا على بلاد المسلمين، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مبيِّنًا هذه المسألة منبِّهًا على أصل عظيم ينبغي مراعاته وهو: (العمل على دفع أعظم الضررين بالتزام أدناهما) واصفًا حالة المجاهدين والمسلمين وإن كان فيهم عسكرٌ كثير الفجور، فإنَّه لا يُعفى من ترك الجهاد ضد العدو الصائل، قال -رحمه الله- وبعد أن ذكر شيئًا من أحوال التتار وما هم عليه من تبديل شرائع الله: (فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله ﷺ، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه، كان الواجب أيضًا قتالهم دفعًا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإنَّ هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها، ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة: "الغزو مع كل بر وفاجر"، فإنَّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنَّه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجَّار أو مع عسكر كثير الفجور فإنَّه لا بدَّ من أحد أمرين إمَّا ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررًا في الدين والدنيا، وإمَّا الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها بل كثير من

الغزو الحاصـــل بعد الخلفاء الراشـــدين لم يقع إلا على هذا الوجه.) [مجموع الفتاوى ٢٨/٥٠٦].)

الميسور لا يسقط بالمعسور

إن من القواعد الفقهية المعتبرة قاعدة "الميسور لا يسقط بالمعسور" وهذه القاعدة الفقهية من القواعد التي يكثر الحاجة إليها في بعض مراحل الصراع بين الحق والباطل وخاصة تلك المراحل التي يكون أهل الحق في حالات عدم التمكين ودفع صيال الأعداء عن ديار الإسلام وهذه القاعدة مستنبطة من قول الله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التغابن: ١٦] وقول النبي ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ» رواه مسلم.

قال الإمام العز بن عبد السلام -رحمه الله-: (قَاعِدَةٌ مَنْ كُلِّفَ بِشَيْءٍ مِنْ الطَّاعَاتِ فَقَدَرَ عَلَى بَعْضِهِ وَعَجَزَ عَنْ بَعْضِهِ: وَهِيَ أَنَّ مَنْ كُلِّفَ بِشَيْءٍ مِنْ الطَّاعَاتِ فَقَدَرَ عَلَى بَعْضِهِ وَعَجَزَ عَنْ بَعْضِهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ وَيَسْقُطُ عَنْهُ مَا عَجَزَ عَنْهُ لِقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] وَقَوْلِهِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».)

ولا يخفى على الباحث عن الحق أثر هذه القاعدة الفقهية في دفع صيال المعتدين وتمكين دين الله في الأرض فإن ذلك لا يكون جملة واحدة بل يكون حسب المستطاع والمتاح حتى ينزل ربنا تبارك وتعالى نصره ويأذن لعباده بالتمكين..

وهذه القاعدة الفقهية الهامة كانت حاضرة في دعوة وجهود الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- فقال في "واجبنا تجاه فلسطين": (أقول يا إخواننا الأمر سهل

ميسور إن أعددنا أنفسنا -الأمر واضح من الله سبحانه وتعالى- أمرين فقط نقوم بهما والباقي سهل لا يهمك من يوجد أمامك، أمرين: قتال في سبيل الله وتحريض، لقوله سبحانه: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾، فإن نحن بدأنا نحرض الأمة على الجهاد المتيسر اليوم وهو الإعداد، وعلى الجهاد بالمال، وعلى المقاطعة الاقتصادية للأمريكان، بطبيعة الحال سيرتفع الحس الجهادي عند الناس ويُصبح الراغبون في الجهاد كُثر فتتجاوب معهم الدول لأن الدول من مصلحتها ولا بد عليها في الأخير أن تلبي رغبات الشعب ونحن لا نطلب ظلمًا ولا جورًا ولا شفقة نطلب أن نعيد مسرى نبينا ﷺ، فدعوا الأقوال واتجهوا إلى الأفعال ينصرنا الله وإياكم بإذنه سبحانه.)

وقال -رحمه الله -في محاضرة "حال الجهاد": (والآن كيف السبيل لكي نعد أنفسنا للجهاد وحتى نكون بصدق وحق متبعين لمحمد بن عبد الله ﷺ؟

وأبشركم بحديث رسول الله ﷺ الذي يزيدكم عزماً وتصميماً على الاستمرار والمضي في طريق الجهاد، فيخبر سبحانه وتعالى أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، ويخبر -انتبهوا يا إخوة- ﷺ أنه من أبرز صفات الطائفة الناجية المنصورة التي يبقى أفرادها إن شاء الله إلى يوم القيامة وهم تبع لمحمد ﷺ، يخبر أن أهم صفاتهم هو الجهاد فيقول ﷺ في الحديث الصحيح في مختصر صحيح مسلم للمنذري، يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم» انتبهتم إلى هذه

الصفة «لا يضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك»، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فهل نحن نقاتل على أمر الله قاهرين لعدونا حتى نكون من الطائفة الناجية المنصورة؟

أناشدكم بالله أن تراجعوا أنفسكم، هل هذه الصفة تنطبق علينا؟

أم ينبغي أن نسعى بالجهد الجهيد وأن نبذل في ذلك الغالي والنفيس حتى نكون ممن تنطبق عليهم هذه الصفة.

والسبيل إلى ذلك، فمن فضل الله أن هناك الآن سبيلاً ميسراً ريثما ينفتح بإذن الله سبيل أيسر منه في هذه البلاد، بلاد الحرمين نرجو الله أن يحفظها وأهله، وأن يحفظ علينا بيته الحرام ومسجد نبيه ﷺ.

فأما السبيل الموجود الآن فهو الذهاب على باكستان ومنها إلى أفغانستان، وفي باكستان بفضل الله لا زال يوجد للمسلمين معسكرات يعدون فيها العدة التي أمر الله بها والخطاب موجه للمؤمنين: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ أمرٌ لكم أن تعدوا العدة.

فهناك بإذن الله يتدرب المسلم ويتفقه في بعض أمور دينه في مدة ما يقارب خمسة وأربعين يوماً، فإن لم تستطع فبما استطعت: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾، ولا نحاسب الناس، فالله سبحانه وتعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الذي يتولى ذلك وإن لنا الظاهر.

ثم بعد ذلك، وهذه المعسكرات فيها إخوانكم من المسلمين العرب المدربون والذين يقومون على شؤونها من ألفها إلى يائها، إخوانكم الذين سبقوكم لنصرة هذا الدين، فالحقوا بالركب: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ**﴾، فأدركوا وكونوا من السابقين لهذا الخير العظيم.)

وجاء في مقابلة جمال إسماعيل: (سؤال: أعلنتم الدعوة للجهاد ضد اليهود وضد الأمريكان في فبراير من عام ١٩٩٨م في الفتوى التي صدرت في تلك الفترة، ولكن هذا الإعلان بدأ يتزامن مع توجه عديد من الحركات الإسلامية التي مارست العمل المسلح إلى العودة عن هذا العمل المسلح؛ كما نسمع حاليًا في الجزائر، وكما شاهدنا في كثيرٍ من الدول العربية من أن الحركات الإسلامية بدأت تتّجه للتعاطي مع البرلمانات وما يسمى باللعبة الديمقراطية، ألا ترون أنكم بالدعوة للجهاد وفي هذا الوقت أنكم تسيرون ضد التيار الذي تسير فيه الحركات الإسلامية الأخرى؟

أسامة بن لادن: الحمد لله، نعتقد أن الجهاد فرض عينٍ اليوم على الأمة، ولكنْ ينبغي التفريق بين الحكم والقدرة على القيام به؛ ففي أي بلدٍ توفرت المقومات اللازمة من العدد والعدة وما يلزم لأركان الجهاد أن تقوم فعند ذلك يجب على المسلمين في ذلك المكان أن يشرعوا بالجهاد ضد الكفر الأكبر المستبين، ولكن في بعض البلدان قد يكون ظهر لبعض الناس أن المقومات قد اكتملت وبعد فترة من الزمن أخذوا الخبرة والتجربة وظهر لهم أن المقومات لم تكتمل، فعندئذ هم مأمورون في هذه الحالة بالعفو والصفح، ولكن من الذي يحدد هذه المقومات؟ هل هم الذين ركنوا إلى الدنيا أم هم الذين لم يأخذوا حظًا من العلم الشرعي؟ وإذا ما تيسر لهم أن

يأخذوا حظًا من العلم العسكري، فالصواب في هذه المسألة أن الجهاد رغم أنه فرض عينٍ قد يسقط أحيانًا للعجز، لكن لا يسقط الإعداد الحقيقي لاستكمال العدد والعدة، أما ما انتشر بين المسلمين اليوم من القول إن الجهاد ليس وقته الآن، فهذا الكلام إذا لم يُقيّد فهو غير صحيح.

كثيرٌ من طلبة العلم يقولون إن الجهاد ليس وقته الآن، وهذا في الحقيقة مغالطةٌ شديدةٌ إذا لم يُقيّد، أما إذا قيل فرض عين اليوم فيجب علينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوةٍ لاستكمال العدد والعدة والمقومات، فالكلام هنا يستقيم، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذا الموطن يبين أن الذي يفتي في أمور الجهاد هو الذي له علم بالدين الشرعي وله علم بالجهاد وأصول الجهاد، وأن يكون مارس الجهاد. ولكن لما غاب الجهاد عن الأمة زمنًا طويلًا نشأ لدينا جيلٌ من طلبة العلم لم يخوضوا معامع الجهاد، وتأثروا بالغزو الإعلامي الأمريكي الذي غزا بلاد المسلمين، فهو دون أن يخوض حربًا عسكريةً قد أُصيب بالهزيمة النفسية، يقول لك: "صحيح أن الجهاد لازم لكن لا نستطيعه"، لكن الصواب: أن الذين منَّ اللهُ -سبحانه وتعالى- عليهم بالجهاد كما حصل في أفغانستان أو في البوسنة أو الشيشان، ونحن منَّ الله علينا بذلك، فنحن على يقين أن الأمة اليوم تستطيع بإذن الله -سبحانه وتعالى- أن تجاهد ضد أعداء الإسلام، وبخاصةٍ ضد العدو الأكبر الخارجي التحالف الصليبي اليهودي.)

وقال في محاضرة "الجهاد وتجاوز العقبات": (الأولى إن تيسرت التربية فهذا هو الأولى، أما إن ما تيسرت وتعين فرض الجهاد فلا نقعد نقول ننتظر التربية،

حاله كحال الصلاة إذا وجد الماء فيجب أن تتوضأ بالماء أما إذا ما وجِد الماء وكاد أن يذهب وقت الصلاة فتتيمم ولا تترك الصلاة بحجة أنك تنتظر الماء ويذهب وقتها، فكذا الحال هنا، والأحداث على ذلك كثيرة جدًّا.

من ذلك يوم حنين فُتِحت مكة في العشرين من رمضان، وفي العشر الأوائل من شوال كانت غزوة حنين، أي بين مسلمة الفتح، أهل مكة كانوا مشركين أبناء مشركين أبناء مشركين، ٣٦٠ صنم في الحرم، فأسلموا يوم عشرين رمضان، باقي معانا عشرة أيام من رمضان، في العشر الأوائل من شوال استنفرهم رسول الله ﷺ، أي منذ أن أسلموا إلى أن ذهبوا للجهاد بضعة عشر يومًا، فكم تربوا وكم تعلموا؟ إن كانوا قد تربوا فأنت من فضل الله لك بضع عشر سنة وليس بضع عشر يومًا منذ أن بلغت وأنت تعي وتفهم معاني الإيمان ومعاني الإسلام، فذهبوا وفر الناس كلهم أجمعون إلا رسول الله ﷺ وعشرة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس رضي عنهم أجمعين، فهو رسولنا عليه الصلاة والسلام، فر المتربي والذي بدون تربية كلهم فروا، ثم نادى رسول الله ﷺ الذين تربوا فترة طويلة وهم أهل الشجرة أمر العباس وكان جهوري الصوت أن ينادي فيهم، يا أهل الشجرة يا أصحاب سورة البقرة، فما أن سمعوا الصوت حتى عطفوا كما تعطف البقر على فصيلها ورجعوا إلى نحو الصوت وثبتوا ثم رجع الآخرون وثبتوا، فالشاهد أن لا يصح الجهاد إلا بعد التربية هذا ليس له دليل، إنما الأصل أن يربي الإنسان نفسه ويجهز نفسه ولا تنتهي التربية ولا طلب العلم حتى يوضع الإنسان في قبره، فنحن نربي

أنفســنا ونطلب العلم ونجاهد ونصــوم ونذكر الله وكله في الجهاد ميســور مع عظيم الأجر للمجاهد والمرابط.

وكذلك جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ، فقال: يا رسـول الله أأسـلم أم أقاتل أو قال أقاتل أم أسـلم، قال: «أسـلم ثم قاتل»، فتشـهد (أشـهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رســول الله) ودخل المعركة فقُتِل ولم يركع لله ركعة، فقال ﷺ: «عمِل يســيرًا وأجِر كثيرًا».

فالشرط هنا غير موجود وإلا لنبهنا عليه رسول الله ﷺ.

والذين ارتدوا بعد وفاته ﷺ بعث إليهم أبو بكر الجيوش ثم لما جاء عمر بعثهم إلى فارس والروم، كتب إلى عماله في الأمصــار وهم مرتدين أســلموا قريبًا لم يقل لابد نستمر في التربية ونشوف لزومات التربية وكيف ارتدوا وكذا، لا، كتب إلى عماله لا تدعوا فارسًـا ولا خطيبًا ولا شـاعرًا ولا ذو رأي ولا ذو نجدة إلا أرسـلتموه طوعًا أو كرهًـا، ورمى بالعرب فـارس والروم وفُتِحـت هـذه البلاد التي أنتم الآن فيهـا، فهـذا الشرط ليس له دليل.)

الضرورات تبيح المحظورات

إن قاعدة الضرورات تبيح المحظورات من القواعد الشرعية الكلية العظيمة التي جاءت بها الشـــــريعة رحمة بهذه الأمة في طريق عبوديتها لربها وإقامة دينه في حياة الفرد والمجتمعات..

وهذه القاعدة الشـرعية منضـبطة بضـوابط ذكرها العلماء في بابها.. فليس كل حالة يدعى فيها الضرورة تتنزل عليها هذه القاعدة..

وقد كان العمل بهذه القاعدة الفقهية بضوابطها مما اعتمدها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وانتقد وردَّ على من أخل في تطبيقها حيث جاء في "بيان رقم (١١) من بيانات هيئة النصـيحة والإصـلاح - رسـالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصـلح مع اليهود": (ولما قررت قوات التحالف الصـليبية واليهودية الغازية في حرب الخليج -بتواطؤ مع النظام- احتلال البلاد باسـم تحرير الكويت سـوَّغتم ذلك بفتوى متعســـفة بررت هذا العمل الشـــنيع الذي أهان عزة الأُمَّة ولطخ كرامتها، ودنس مقدساتها معتبرة ذلك من باب الاستعانة بالكافر عند الضـرورة، مهملة قيود هذه الاستعانة، وضوابط الضرورة المعتبرة.)

وقال -رحمه الله- في "رسـالة إلى الأمة الإسـلامية": (فيجبُ على الصـادقينَ ممن يعنيهم الأمرُ -كالعلماء والزعماء المطاعين في أقوامهم والأعيانِ والوجهاءِ والتجارِ- أن يتنادوا ليجتمعوا في مكانٍ آمن بعيدًا عن ظلِّ هذه الأنظمة البطَّاشـة، ويشـكِّلوا مجلسًا لأهل الحلِّ والعقد ليسدُّوا الفراغ الذي حصـل بسقوط هذه الأنظمة شـرعًا

وعجزها عقلاً، حيث إنَّ الحقَّ في تعيين الإمام إنَّما هو للأمَّة، والحقُّ لها في حملهِ على الجادَّة إذا انحرف عنها، والحقُّ لها في عزله إذا ارتكب ما يوجب ذلك -كالرِّدَّة والخيانة مثلاً- وهذا المجلس المؤقت يتشكَّل من الحدِّ الأدنى الممكن من الطاقات والكوادر دون أن يفتئتوا على بقية الأمَّة -إلا فيما تبيحه الشريعة في حالة الضرورة- إلى أن تُستكملَ بقيةُ الأعداد عندما تتحسَّن الأوضاع بإذن الله، ويكون منهجهم كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ويبدؤون بتوجيه المسلمين إلى الأولويات المهمَّة في هذه المرحلة الحرجة، ويأخذون بأيديهم إلى برِّ الأمان، على أن يكونَ من أولى أولوياتهم توحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد، والدفاع عن بيضة الإسلام وأهله وحياضه، وتحريض المسلمين على الجهاد والإعداد، وتيسيرِ وصول السلاحِ إلى الناس، وخاصَّة الأسلحة الخفيفة ومضادات الدروع كقواذف "الآر بي جي" وألغام الدبابات، وإعلان النفير العام في الأمَّة استعدادًا لصدِّ غدرة الروم التي بدأت في العراق ولا يُعلم أين ستنتهي، وحسبنا الله ونعم الوكيل.)

وقال -رحمه الله- في "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى": (وإن كان اليوم قد تقدّم بخيانةِ أولى القبلتين وثالث المسجدين وعمد إلى وأد قضية أمةٍ بأكملها بدافع شهوةِ الملك فلا غَرر في ذلك ولا عَجَب؛ فقد خان من قبل الحرمين الشريفين حين أباح أرض الحرمين للأمريكان بكذبةٍ كذبها هو وإخوانه على الأمة، وهي ضرورة الاستعانة بهم ولمدة ثلاثة أشهر، وإذا بها تمتدُ إلى أيامنا هذه والتي ندخُلُ فيها مطلع السنة الثالثة عشر من إباحة أرض الحرمين للكفار!)

وجاء في محاضرة "بشريات": (سائل يقول: سيرجع بعضنا إلى الجزيرة؛ فما دورنا مع العلماء وطلبة العلم من جهة، ومع الأمريكان من جهةٍ أخرى؟

الشيخ أسامة بن لادن: أقول من اضطر اضطرارًا للرجوع، من اضطر اضطرارًا أو كان لديه عذر كأن يضيع مثلاً أحد أبويه أو يضيع أبواه أو يضيع ناس في ذمته فهذا لا حرج عليه، رجلٌ أمه كبيرة ضعيفة ليس له من يقوم بحالها ليس له أخ صالح يقوم بشأنها وليس لها زوج فهذا ينبغي أن يقوم بأمه فهذا الذي يترجح عندنا والله أعلم. أقول: أمثال هؤلاء إذا رجعوا فإن سقط عنهم الجهاد والنكاية بالعدو نظرًا لقيامه بوالدته التي ليس لها من يعيلها فهذا لا يسقط عنه التحريض؛ فالتحريض اليوم فرض عين، إذا تعين الجهاد تعين الإعداد وتعين التحريض، أمور متلازمة بعضها مع بعض، فهذا عليه بالتحريض، عليه بالتحريض ويتكلم بالكلمة الطيبة مع طلبة العلم ومع العلماء، ولا يحزن إن لم يجد استجابة، ولكن لا يقصر هذا الخير عليهم فقط بل يحدث عامة المسلمين وخاصتهم، فالدين النصيحة للجميع لأئمتهم وعامتهم، فيحدث الجميع ولا يقف، إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع، يروح أخ يمكث أشهر وهو حريص إلا "عمر" يبغاه يهتدي، إنك لا تهدي من أحببت سواء إلى الدين أو إلى الخير داخل هذا الدين وإنما هو توفيق من الله سبحانه وتعالى، وطبيعة الشباب نظرًا لقلة الأحمال على ظهورهم لا عليه زوجة ولا أولاد ولا وظيفة ولا شيء هؤلاء ينفرون خفافًا، ولا تدري أين الخير، أنت ضع هذا الخير رشه على الناس ومن يستجب هو الذي أحبه الله سبحانه وتعالى ودعاه إلى نصرة دينه، فلله الحمد والمنة.)

وقال -رحمه الله- في "الأمة الإسـلامية في مواجهة الحملة الصـليبية الجديدة": (فأقول للذين يقولون إن هذا الوجود الأمريكي الضـخم هو وجود إعانة فمن باب وصفٍ للواقع وتقريرٍ للحقائق: إن دخول القوات الأمريكية إلى جزيرة العرب يعني في أول ما يعني أن جيوش المنطقة وأن حكام المنطقة في حالة عجزٍ وضعف عن القيام بواجبهم عن الدفاع عن تلك الديار وأهلها، وأظن أن هذه المسـألة لا يخالف فيها عاقل وإلا لو لم يكن هناك ضـعف في جيوش المنطقة لما احتيج إلى الاسـتعانة -على ما زعموا- بالقوات الصـليبية المعادية لله ولرسـوله عليه الصـلاة والسـلام وللمسلمين.

وكان الناس ينتظرون بعد أن صرَّحَ المسؤولون في دول الخليج أنهم بوغتوا بهذا الهجوم وبهذا التحدي الذي شنَّه النظام العراقي على الكويت فكان الناس ينتظرون أن يُعلَن النفير العام وأن تحشد الأُمَّة لمواجهةِ هذه المعركة بينها وبين خصومها، وأن تُستَكمَل مقومات النصـر وجوانب النصـر التي زعم هؤلاء الحكام أنها موجودة وهذا لا يخفى برغم أنهم في بداية إذنهم للأمريكان للدخول كما زعموا قالوا أن الأمر لم يتجاوز بضعة أشهر، وكلماتهم هذه مصورة ومسجلة عندما خدعوا العلماء وخدعوا الأُمَّة بكلامهم هذا ولكن لما مرَّ عقدٌ من الزمان؛ مرَّ اليوم أكثر من عشـر سـنوات على دخول القوات الصليبيّة إلى بلاد الحرمين.

نُنَبِهُ إلى أننا عند الحديث نتحدث عن وقائع فقد يقتضـي ذكر بعض الأحكام الشرعية ولكن أنا الآن أتحدث عن وقائع لأن نحن لا نؤمن بجواز الاستعانة بالمشركين كما قرره أهل العلم الصادقين ومن ذلك فضيلة الشيخ حمود العقلاء في كتابهِ الذي

صدر قريباً تحدث عن عدم الاستعانة بالمشركين وبخاصة على الشعوب الإسلامية في كتابه المعنون: "القول المختار في حكم الاســـتعانة بالكفار" فأقول لما مرت هذه الســـنون ومرَّ عقدٌ من الزمان أيضـــاً هذا له دلائل أخرى؛ فهو يدل على أن هذه الأنظمة في دول الخليج إما أنها لا تثق بشـعوبها ولا تريد أن تسـلحهم وإما أنها ترزح تحت ضغوطٍ صليبيةٍ صهيونية من أمريكا وإسرائيل بعدم رفع عدد القوات المسلحة في هذه المنطقة.)

تقاطع مصالح وليس
استعانة محرمة أو إعانة المكفرة

ونحن نسطر هذه النظرات والتأملات في تراث الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– ينبغي علينا أن نبين مسألة مهمة ذكرها الإمام المجدد في تراثه.. وهي أن ما وقع من توافق في بعض محطات الصراع بين الحق والباطل مع بعض قوى الباطل إنما هو من باب تقاطع المصالح ضمن ضوابط شرعية فليس هو بالاستعانة المحرمة ولا الإعانة المكفرة حيث قال –رحمه الله– في "رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق": (كما أنه لا يخفى أن هذه الحرب الصليبية تعني في أول ما تعني أهل الإسلام بغض النظر عن بقاء أو زوال الحزب الاشتراكي وصدام، فيجب على المسلمين عامة وفي العراق خاصة أن يشمروا عن ساق الجد والجهاد ضد هذه الحملة الظالمة وأن يحرصوا على اقتناء الذخائر والسلاح فهذا أمر واجب عليهم متعين قال الله تعالى: **﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾**.

ومعلوم أنه لا يجوز القتال لنصرة الرايات الجاهلية وكذلك يجب على المسلم أن تكون عقيدته ورايته واضحة في القتال في سبيل الله كما قال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

ولا يضر في مثل هذه الظروف أن تتقاطع مصالح المسلمين مع مصالح الاشتراكيين في القتال ضد الصليبيين مع اعتقادنا وتصريحنا بكفر الاشتراكيين، فالاشتراكيون

وهؤلاء الحكام قد سقطت ولايتهم منذ زمن بعيد، والاشتراكيون كفار حيثما كانوا، سواء كانوا في بغداد أو عدن وهذا القتال الذي يدور أو يكاد أن يدور في هذه الأيام يشبه إلى حد بعيد قتال المسلمين للروم من قبل، وتقاطع المصالح لا يضر فقتال المسلمين ضد الروم كان يتقاطع مع مصالح الفرس ولم يضر الصحابة رضي الله عنهم ذلك في شيء.)

وجاء في مقابلته مع جمال أسماعيل: (سؤال: ذُكر في وسائل الإعلام العالمية عن دعم أمريكا للجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي -الذي شاركتم أنتم في هذا الجهاد بنفسكم ومالكم-، وكما ذُكر أيضًا في وسائل الإعلام العالمية أنكم كنتم على صلةٍ أو أن الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد، ما هي حقيقة هذه الادّعاءات؟ وما صحة الصلة بينكم وبين أمريكا في ذلك الوقت؟

أسامة بن لادن: هذه محاولةٌ للتشويه من الأمريكان، الحمد لله الذي رد كيدهم إلى الوساوس، وكل مسلمٍ منذ أن يعي التمييز وفي قلبه بغض الأمريكان، وبغض اليهود والنصارى هو جزءٌ من عقيدتنا وجزءٌ من ديننا، ومنذ أن وعيت على نفسي وأنا في حربٍ وفي عداءٍ وبغضٍ وكرهٍ للأمريكان، وما حصل هذا الذي يقولونه قط.

أما أنهم دعموا الجهاد أو دعموا القتال فهذا الدعم عندما تبين لنا في الحقيقة هو دعمٌ من دولٍ عربية، وخاصةً الدول الخليجية لباكستان حتى تدعم الجهاد وهو لم يكن لوجه الله -سبحانه وتعالى- وإنما كان خوفًا على عروشهم من الزحف الروسي، وأمريكا في ذلك الوقت كان كارتر لم يستطع أن يتكلم بكلمة ذات شأن إلا بعد

مرور بضعٍ وعشرين يومًا في عام ١٣٩٩ هجرية الموافق من عشرين يناير ١٩٨٠م، قال: إن أي تدخلٍ من روسـيا إلى منطقة الخليج فإن أمريكا سـوف تعتبره اعتداءً عليها؛ لأنه محتلٌ لهذه المنطقة محتلٌ للبترول، فقال: نحن نستخدم القوة العسكرية إذا حصـل هذا التدخل، فالأمريكان يكذبون إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام ونحن نتحداهم ليبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالةً علينا وعلى المجاهدين في أفغانسـتان، ولم يكن أي اتفاقٍ وإنما كنا نحن نقوم بالواجب لنصـرة الإسـلام في أفغانستان، وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية.

عندما قاتل المسـلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شـديدًا بين الروم والفرس وكان دائمًا، ولا يمكن لعاقلٍ أن يقول إن المسـلمين عندما بدأوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصـلحة؛ يعني قتلك الروم وهو واجبٌ عليك، كان يفرح الفرس لكن بعد أن أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدأوا بالفرس، فتقاطُع المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام ولنا محاضراتٌ -بفضل الله سبحانه وتعالى- منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجوب مقاطعة البضائع الأمريكية وبوجوب ضرب القوات الأمريكية وبوجوب ضرب الاقتصاد الأمريكي منذ أكثر من ١٢ سنة.)

وقال -رحمه الله- في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (إنها حرب صـليبية صهيونية مستمرة ضد المسلمين.

وبهذا الخصوص.. فإني أعزم على المجاهدين وأنصارهم عموماً وفي السودان وما حولها بما في ذلك جزيرة العرب خصوصاً، أن يعدوا كل ما يلزم لإدارة حرب طويلة المدى

ضد اللصوص الصليبيين في غرب السودان، وهدفنا واضح وهو الدفاع عن الإسلام وأهله وأرضه لا دفاعاً عن حكومة الخرطوم -وإن تقاطعت المصالح- فخلافنا معها عظيم ويكفي أنها تقاعست عن تطبيق الشريعة وفرطت في الجنوب.

وإني أحث المجاهدين أن يتعرفوا على أرض وقبائل ولاية دارفور وما حولها، وقد قيل "قتل أرضاً عالمها وقتلت أرضٌ جاهلها"، مع العلم أن المنطقة مقبلة على موسم تكثر فيه الأمطار غالباً مما يعيق الحركة ويقطع الطرق الترابية، وهذا من الأسباب الرئيسة التي أخرت الاحتلال إلى ما بعد ستة أشهر قادمة، فينبغي السرعة والاستفادة من عامل الوقت بأقصى ما يمكن، مع الاهتمام بشكل خاص بتوفير كميات هائلة من الألغام والقناصات والمدافع المضادة للدروع كالأربيجي.

ثم ماذا يعني منع السلاح عن العزّل في البوسنة وترك الجيش الصربي يجزر المسلمين جزراً ويسفك الدماء وينتهك الأعراض لبضع سنوات، تحت غطاء وستار الأمم المتحدة؟)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الشعب الأمريكي - الحل": (أيُّها الشعب الأمريكي؛ أحدِّثكم أحاديث هامَّة تخصُّكم فأعيروني أسماعكم، أبدأ فيها بالحديث عن الحرب التي بيننا وبينكم وبعض تداعياتها علينا وعليكم، وتمهيدًا أقول:

رغم أنَّ أمريكا تملك أكبر قوَّة اقتصادية، وتملك أقوى وأحدث ترسانة عسكرية كذلك، وهي تنفق على هذه الحرب وجيشها أكثر ممَّا تنفقه الدنيا على جيوشها، وهي الدولة الكبرى المؤثرة على سياسات العالم وكأنَّما حقُّ الفيتو الظالم حكر لها،

ومع ذلك كلِّه استطاع من فضل الله تعالى تسعة عشر شابًا أن يحرفوا بوصلتها عن مسارها، بل لقد أصبح الحديث عن المجاهدين جزءًا لا يتجزَّأ من حديث زعيمكم، ولا يخفى ما لذلك من آثار ودلالات؛ فأمريكا منذ الحادي عشر وقع كثير من سياساتها تحت تأثير المجاهدين وذلك من فضل الله تعالى، فكان من ذلك أن عرف الناس حقيقتها فازدادت سمعتها سوءًا، وكُسرت هيبتها عالميًّا وتمَّ استنزافها اقتصاديًا وإن تقاطعت مصالحنا مع مصالح الشركات الكبرى وكذلك مع المحافظين الجدد مع اختلاف النوايا، فلقد فقد إعلامكم في سنوات الحرب الأولى مصداقيَّته وظهر كأداة من أدوات الإمبراطوريات الاستعمارية، وعاد حاله في كثير من الأحيان أسوأ من حال إعلام الأنظمة الديكتاتورية التي تسير في ركاب الزعيم الأوحد، ثمَّ إنَّ "بوش" يتحدَّث عن تعاونه مع المالكي وحكومته لنشر الحرية في العراق ولكنَّه في الحقيقة يتعاون مع زعماء طائفة ضدَّ طائفة أخرى ظنًّا منه أنَّه سيحسم الحرب لصالحه بسرعة، وبذا نشأ ما يُسمَّى بالحرب الأهلية، وازدادت الأمور سوءًا على يديه وخرجت عن سيطرته، فأصبح كمن يحرث في البحر لا يحصد إلا فشلاً! فهذه بعض حقائق الحرية التي يحدِّثكم عن نشرها، ثمَّ إنَّ تراجُع "بوش" عن إصراره بعدم إعطاء الأمم المتحدة صلاحيات واسعة في العراق هو اعتراف ضمني بخسارته وهزيمته هناك، وإنَّ من أهمِّ البنود التي تضمَّنتها خطابات "بوش" منذ أحداث الحادي عشر قوله أنَّه ليس أمام الأمريكيين إلا مواصلة الحرب، وهذا الكلام في الحقيقة هو ترديد لكلام المحافظين الجدد كـ "تشيني" و "رامسفيلد" و "ريتشرد بيرل" الذي قال سابقًا: ليس أمام الأمريكيين سوى الاستمرار في الحرب أو المحرقة.)

وهنا يحسن بي أن أذكر تفنيد الشيخ أبي مصعب السوري -رحمه الله- لأباطيل والافتراءات التي تزعم عمالة الشيخ أسامة بن لادن للأمريكان وارتباطه بمخططاتهم حيث قال -رحمه الله- في "دعوة المقاومة": (وهنا أحب أن أشير إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربي والأمريكي خاصة، والإعلام التابع لهم في بلاد العالم العربي والإسلامي.. حيث يجب توضيح حقيقتهما للناس عامة وللإسلاميين والجهاديين وجمهورهم خاصة. وهما:

١. دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني.

٢. شبهة عمالة المجاهدين العرب ومن شارك في الجهاد الأفغاني من الإسلاميين لأمريكا وارتباطهم بـ "CIA" خلال تلك القضية، كما يزعم اليوم الإعلام الغربي وأتباعه:

وأعود للتذكير بأن قيمة شهادتي هذه، تأتي من ميدانية مشاركتي وقربي من مصادر المعلومات وممن أدار الأحداث، خلال تلك الفترة في أوساط الجهاديين والإسلاميين من عرب وأفغان..

١. دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني:

لقد سعى الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله التي يسطر عليها اليهود والصليبيون المتصهينون إلى التصوير بأن انتصار الجهاد الأفغاني كان مجرد نجاح للسياسة الأمريكية وبرامج "CIA" في أفغانستان. وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حد كبير. فقد عملوا على ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدءا من

أفلام "رامبو" وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات، ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان "المجاهدين!" معهم.. وركب الخيل، وقاد المدرعات وحلق في السماء بالهليكوبتر الروسية!!، وجرح مرارا ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة!!. واستطاع أن يمطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكية بسيل من الحكم والدعايات السخيفة من شفته المتدلية نصف المشلولة.. وأوصل في النهاية الرسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين ونصرتها للمظلومين، وحرصها على مساعدة المسلمين.. ودورها الرئيسي في انتصار الأفغان الذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا!. وهكذا عادت عضلاته إلى قواعدها سالمة، إلى "هوليود" ليتابع حفلات والرقص المجون مع غانياتها الحسان، كرمز معبر فعلا عن أمريكا وعضلاتها المفتولة وعقلها الصغير وشفتها نصف المشلولة لتي تفتعل الحكمة..!!

كما ركز الإعلام الأمريكي مستخفا بعقول من صدقه، على دور صواريخ "ستنغر" في انتصار الجهاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المعركة، عندما بدأت تتساقط الطائرات الروسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المجاهدين إلى انتصارهم!! وقد نشرت هذه الكذبة عبر مختلف وسائل الإعلام والدعاية، من الأفلام الوثائقية إلى الكتب إلى الصحف، إلى مذكرات ضباط الاستخبارات.. إلى غير ذلك..

علما أن الأعداد المحدودة من صواريخ "ستنغر" الأمريكية، قد دخلت أفغانستان بعد عشر سنوات من دخول الروس، وقبيل انسحابهم بقليل، ولم يستخدم في المعارك

الحاسمة الأخيرة إلا نادرا، ولم يسـقط به إلا عدد محدود من الطائرات.. ولم يره إلا النادر من مئات آلاف المجاهدين، وقد سرقت الاستخبارات الباكستانية حصتها منه، كعادتها في سـرقة حصـتها من كل المسـاعدات المالية والعينية التي جاءت للمجاهدين الأفغان من السيارات ومواد الإغاثة المختلفة والعتاد والسلاح والذخائر، التي كانت تمر إجباريا في باكستان في طريقها إليهم..

فما أدري حقيقة كيف استساغت العقول هذه الكذبة الكبرى، في دور هذا الـ "ستنغر" في انتصـار الجهاد الأفغاني الذي شـارك فيه ملايين الأفغان وانتظم في صفوف أحزاب المجاهدين خلاله أكثر من مليون مجاهد مسلح. وقدم الشعب الأفغاني خلاله أكثر من مليونين من الشهداء، وخمسة ملايين مهاجر، من شعب كان تعداد سكانه لا يجاوز ١٦ مليون نسمة.. وما أدري ما دور "ستنغر" في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكرية، وقتل أكثر من ٣٠ ألف جندي روسي على الأرض، وأكثر من ١٥٠ ألف من المليشيات الشيوعية الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليات خلال جهاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، وابتدأ قبل الغزو الروسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المجاهدين. أي من (١٩٧٣ - ١٩٩٢).. ورغم سخافة هذا الكذبة "الاستنغرية" وتهافتها أمام أبسط المعلومات عن سير الجهاد الأفغاني، ولكنها وجدت طريقا إلى عقول ملايين السذج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة.. وهذا هو سحر الإعلام الأمريكي، وميدان انتصـار هؤلاء الجبناء المخادعين، الذين استخفوا بعقول أكثر البشر فأطاعوهم وللأسف!!

٢. شـــبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا وارتباطهم بـــــــ "CIA" خلال الجهاد الأفغاني:

من العجيب اليوم. أن البرامج الإعلامية العالمية والعربية من أفلام ومقابلات وتحليلات وصحف وكتب وسواها. تمر بهذه "الكذبة" بسرعة مرور الكرام، وتنتقل لمواضيع أخرى على أنها شيء مسلم به معروف بديهي!!

فيقدمون للناس كذبة كبرى على أنها حقيقة مفادها:

أن المخابرات الأمريكية "CIA" هي التي صـــنعت "الأفغان العرب" وزعماءهم من أمثال الشـــيخ أســـامة بن لادن، والشـــيخ عبد الله عزام، من أجل تدمير الاتحاد السوفيتي. وان هذه الصنائع انقلبت عليها اليوم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حكام بلاد العرب والمسلمين.. وأن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب هي إفراز للجهاد الأفغاني، وبالتالي صـــنيعة الاســـتخبارات الأمريكية، وقد خرجت عن الطوق. ويقولون إن أمريكا قد وقعت في حال المثل السائر عندهم: (من يصنع الأشباح تخرج له).

فما حقيقة هذه الفرية البالغة الخطورة على سمعة الجهاد والجهاديين في هذا العصر.

أوضح ذلك من خلال النقاط الموجزة التالية بعون الله:

- أما أن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب والمسلمين هي إفراز لتجمع الأفغان العرب في الجهاد الأفغاني فالحقيقة هي العكس تماما..

والحقيقة هي أن الجهاد العربي في أفغانستان هو نتيجة للجهاد العربي قبله، وهو أحد إنجازات التيار الجهادي العربي في بلاد العرب وأحد إفرازاته ومراحل تطوره فكما مر سابقا.

فإن التيار الجهادي المعاصر هو وليد الصحوة الإسلامية التي نشأت مطلع لثلاثينات، وقد أنفصل عنها مطلع الستينات. وقد قامت كثير من التجارب الجهادية ما بين مطلع الستينات ومطلع الثمانينات. أي قبل من الجهاد الأفغاني بعشرين سنة. بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان الجهاد العربي في أفغانستان، هم من بقايا وكوادر ورموز وشيوخ التيار الجهادي العربي.

فالشيخ عبد الله عزام من رموز وقدماء المجاهدين في فلسطين، وقد نفاه النظام الأردني من عمان لطروحاته الجهادية ومعارضته للنظام. والشيخ أسامة بن لادن تربي في الصحوة الإسلامية، ودعم أكثر من حركة للجهاد في بلاد العرب، وساهم في دعم الجهاد في سوريا مطلع الثمانينات، قبل أن يتوجه إلى أفغانستان.

وكذلك فإن كثيرا من الكوادر الذين يصعب حصرهم هنا، من المدربين والقادة الميدانين الأوائل الذين حملوا مهمة إنشاء المعسكرات وإقامة البنية الأساسية للجهاد العربي في أفغانستان، كانوا من كوادر تنظيمات الجهاد العربية ولاسيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن.. وغيرها.. وهم الذين كانوا نواة التجمع العربي

الذين تولوا العمل في مجالات التدريب والإعلام، والعمل العسكري، والعمل الإغاثي الميداني وســـوى ذلك من الأعمال.. إلى أن تقاطر المجاهدون من البلاد العربية والإســـلامية وتزايد الجمع الذي ابتدأ بكوكبة صـغيرة سـنة ١٩٨٤، فتصـاعد منذ ١٩٨٧ وإلى ١٩٩١ ليبلغ زهـاء أربعين ألفـا من المجاهـدين العرب مع مطلع التسعينات.

- أما عن العلاقة المزعومة للجهاد العربي في أفغانســـتان بالأمريكان ومنظمتهم البائسة "CIA"، فإن كان لهؤلاء ء الأوغاد من دور فهو في الإجازة والضوء الأخضر الذي أعطوه لأزلامهم من حكام بلاد العرب والمســـلمين بأن يســـمحوا للشـــباب المجاهدين بممارســـتهم حقهم الطبيعي وأوامر دينهم بأن يتوجهوا إلى أفغانســـتان. وأن تتركهم مخابرات تلك البلاد المجرمة في حال سـبيلهم، ولا تعترضـهم وهم يذهبون إلى أداء الفريضة الشرعية. وكذلك في الدور المحدود لأجهزة إعلام تلك البلاد العربية والإســـلامية في الترويج للجهاد الأفغاني. وفي دور أمريكا بالإيعاز للســـعودية في أن تفتي مؤســـســـتها الدينية المأجورة، بأن الجهاد فرض عين في أفغانســـتان -وهي حقيقة - وفي أن تترك المجال للدعاة الصـــالحين من أئمة الدعوة والإصـــلاح في السـعودية أن يجهروا بهذه الحقيقة الشـرعية.. وأن تتيح للشـعب في بلاد الحرمين أن يؤدي فريضـــة الجهاد بماله لنصـــرة أخوة العقيدة والدين.. وأن تشـــجع من أراد من الشـباب الذهاب إلى هناك، حتى بلغ ذلك أن تخفض شـركة الطيران السـعودية ثمن تذكرة الطائرة من السعودية إلى باكستان بنسبة ٧٥٪ لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانســـتان ليصـــبح أقل من تكلفة رحلة داخلية. ولا شـــك أنه كان لآل ســـعود

مصالحهم الدعائية وغير ذلك من هذه التسهيلات. كما ساهمت أمريكا بإيعازها لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول "الفيزا" للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان. وأن تسمح للعرب بحرية الحركة، التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب، وتقديم الخدمات اللوجستية للجهاد الأفغاني. ولا شك أنه كان لباكستان مصالحها الإقليمية والوطنية في هذا، ولا محل لاستقصاء هذه الجزئيات هنا.

بل كان هناك أيضا مصالح شخصية لمليونيرات الحروب من الضباط في الجيش والاستخبارات والشرطة الباكستانية من تحرك هذا الكم من البشر والأموال بين الخارج وأفغانستان عبر أراضيهم. فإذا كانت الإجازات الأمريكية لعملائهم الصغار، تعتبر مساهم في صناعة الجهاد العربي في أفغانستان فهو ذلك لا أكثر.. وكان لعملائهم الصغار من الحكام في السعودية والباكستان ومصر وغيرها مصالحهم في ذلك..

- أما ما يزعم من تدريب الأمريكان للعرب، أو ترتيب برامجهم، أو معاونتهم على العمل العسكري، أو أي علاقة عملية على الأرض، فهذا محض كذب وافتراء.

ولقد عملت شخصيا في مجالات التدريب العسكري، وكمحاضر في المجالات الفكرية والمنهجية. وكنت على تماس مع قيادات الجهاد العربي في أفغانستان. وأستطيع من خلال ذلك أن أشهد وأؤكد أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة. ولست هنا في مجال التأريخ للجهاد العربي في أفغانستان، حتى أسرد وقائع التدريب وآلية العمل. ولقد كان بالمختصر مجموع جهود فردية مخلصة، ابتدأت

بالكوادر الجهادية القديمة وبعض الكوادر العسـكرية المحترفة من المتقاعدين أو المبعدين عن الخدمة في جيوش عدد من الدول العربية والإسـلامية، والذين كان لمسـاهماتهم دور مفيد جدا، ثم بدأت تتراكم وتتجمع خبرات الكوادر الناشـئة في الساحة.

والمطلع على الوضـع الفكري والنفسـي والمنهجي، وعلى المشـاعر تجاه الأمريكان والغرب والكفار عموما، بل وحتى تجاه حكامنا بل وصـغار أعوانهم، لدى القيادة الجهادية العربية وقواعدها من الشباب في أفغانستان وسواها، يعلم أن هذه الدعوى غير واردة وغير ممكنة..

أما حقيقة أن مصـالح وأهداف كافة أطراف الحلف غير المباشـر الذي ذكرته، من أجل حرب الإتحاد السـوفيتي، كلا على حدة عمليا، ومجتمعين على هدف واحد، فحقيقة واقعة وكثيرا ما تكررت في دنيا السياسة وتقاطع المصالح عبر التاريخ. وما تزال تتكرر هنا وهناك وهذا من طبائع الأشياء..

فقد أرادت أمريكا هزيمة الإتحاد السوفيتي والانتصار في الحرب الباردة.، بعد أن كال لها الإتحاد السوفيتي وحلف وارسو ضربات موجعة في أكثر من مجال.. وكانت قضية أفغانستان فرصة ذهبية للأمريكان، وقد استغلوها بصورة صحيحة وحصلوا على ما أسماه نيكسـون في كتابه الشـهير "نصـر بلا حرب"، فحققوه بكل جدارة يحسـدون عليها ...

وأرادت أوربا الغربية ودول حلف الأطلسـي تحقيق مكاسـب ووضـع موطئ قدم لها هناك فشـاركت في ذلك المولد لمصـالحها الخاصـة كدول أوربية، وكلا لمصـالحها منفردة.. وحصـل لكل دولة ما أرادت بشـكل نسـبي.. واليوم تنتشـر المؤسـسـات الأوروبية المختلفة تحت شـعار الخدمات الإنسـانية لتقتطع المكاسـب المغرية من الملعب الأفغاني كلا بحسب حضورها السابق واللاحق..

وأرادت الباكسـتان تحقيق مصـالح قومية وإقليمية يضـيق المكان عن حصـرها هنا بل إن ذكر ما حققته الباكسـتان يحتاج كتابا مسـتقلا. وقد قدمت لأمريكا في الملعب الأفغاني ما أرادت من خدمات؛ لدعم الجهاد الأفغاني أولا، ثم لتمزيق مكتسـباته ثانيا، ثم لتدمير أفغانسـتان في حرب أهلية ثالثا، ثم لمواجهة طالبان وإسـقاط دولتهم رابعا، ثم لقتل المجاهدين العرب وتسـليمهم لأعدائهم خامسـا.. ثم تشـرع الآن لبيع قضـية كشـمير سـادسـا.. ولتدمير البنية التحتية للإسـلاميين داخل باكسـتان ذاتها سـابعا... والحبل على الجرار.. وهكذا نفذت الحكومات الباكسـتانية ما أرادت أمريكا دائما... ولعنة الله على الظالمين والمنافقين..

وقل مثل ذلك عن باقي الأدوار في أفغانسـتان للسـعودية.. ومصـر.. وسـواها.. وعن الهند، ودول وسـط آسـيا، وإيران، والصـين من دول الجوار.. التي لعبت لعبتها أيضـا.. وصـولا إلى حركات الصـحوة الإسـلامية والجهادية وكل من دخل اللعبة الأفغانية فكسـب أو خسـر .... ويصـح هذا على مختلف التنظيمات العربية والإسلامية التي حضرت أفغانستان..

باختصار لقد صارت قضية الجهاد الأفغاني منطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها. فاجتمع الجميع على الإتحاد السوفيتي، وكان لكل نيته وأهدافه.

أما عن مصالح الحركات الإسلامية غير الجهادية.. فكانت شتى، تتراوح بين النية الحسنة في خدمة أخوة العقيدة والدين، وبين المصالح الذاتية لكل حركة من الحركات، من المكاسب الدعوية والتنظيمية والمادية، وصولا إلى المصالح الذاتية والشخصية لبعض الأفراد.) اهـ.

التحذير من مخططات الأعداء

إن التحذير من مخططات ومكر الأعداء منهج قرآني وسنة نبوية وهدي راشد لا يغفل عنه إلا من ترك سبيل الهدى والسداد قال الله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٣٢].

وقد بين هذا الأمر الإمام سيد قطب -رحمه الله- "في ظلال القرآن" بكلام نفيس ننقله بطوله لأهميته وشدة الحاجة إليه: (إذا نحن راجعنا هذه التقريرات الربانية عن المشركين، وجدنا أن الأهداف النهائية لهم تجاه الإسلام والمسلمين، هي بعينها -وتكاد تكون بألفاظها- هي الأهداف النهائية لأهل الكتاب تجاه الإسلام والمسلمين كذلك.. مما يجعل طبيعة موقفهم مع الإسلام والمسلمين هي ذاتها طبيعة موقف المشركين.

وإذا نحن لاحظنا أن التقريرات القرآنية الواردة في هؤلاء وهؤلاء ترد في صيغ نهائية، تدل بصياغتها على تقرير طبيعة دائمة، لا على وصف حالة مؤقتة، كقوله تعالى في شأن المشركين:

﴿**وَلا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا**﴾..

وقوله تعالى في شأن أهل الكتاب:

﴿**وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾..

إذا نحن لاحظنا ذلك تبين لنا بغير حاجة إلى أي تأويل للنصوص، أنها تقرر طبيعة أصيلة دائمة للعلاقات ولا تصف حالة مؤقتة ولا عارضة! فإذا نحن ألقينا نظرة سريعة على الواقع التاريخي لهذه العلاقات، متمثلة في مواقف أهل الكتاب -من اليهود والنصارى- من الإسلام وأهله، على مدار التاريخ، تبين لنا تماماً ماذا تعنيه تلك النصوص والتقريرات الإلهية الصادقة وتقرر لدينا أنها كانت تقرر طبيعة مطردة ثابتة، ولم تكن تصف حالة مؤقتة عارضة.

إننا إذا استثنينا حالات فردية -أو حالات جماعات قليلة- من التي تحدث القرآن عنها وحواها الواقع التاريخي بدت فيها الموادة للإسلام والمسلمين والاقتناع بصدق رسول الله ﷺ وصدق هذا الدين. ثم الدخول فيه والانضمام لجماعة المسلمين.. وهي الحالات التي أشرنا إليها فيما تقدم.. فإننا لا نجد وراء هذه الحالات الفردية أو الجماعية القليلة المحدودة، إلا تاريخاً من العداء العنيد، والكيد الناصب، والحرب الدائبة، التي لم تفتر على مدار التاريخ..

فأما اليهود فقد تحدثت شتى سور القرآن عن مواقفهم وأفاعيلهم وكيدهم ومكرهم وحربهم وقد وعى التاريخ من ذلك كله ما لم ينقطع لحظة واحدة منذ اليوم الأول الذي واجههم الإسلام في المدينة حتى اللحظة الحاضرة! وليست هذه الظلال مجالاً لعرض هذا التاريخ الطويل. ولكننا سنشير فقط إلى قليل من كثير من تلك الحرب المسعورة التي شنها اليهود على الإسلام وأهله على مدار التاريخ..

لقد استقبل اليهود رسول الله ﷺ ودينه في المدينة شر ما يستقبل أهل دين سماوي رسولاً يعرفون صدقه، وديناً يعرفون أنه الحق..

استقبلوه بالدسائس والأكاذيب والشبهات والفتن يلقونها في الصف المسلم في المدينة بكافة الطرق الملتوية الماكرة التي يتقنها اليهود.. شككوا في رسالة رسول الله ﷺ وهم يعرفونه واحتضنوا المنافقين وأمدوهم بالشبهات التي ينشرونها في الجو وبالتهم والأكاذيب. وما فعلوه في حادث تحويل القبلة، وما فعلوه في حادث الإفك، وما فعلوه في كل مناسبة، ليس إلا نماذج من هذا الكيد اللئيم.. وفي مثل هذه الأفاعيل كان يتنزل القرآن الكريم. وسور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والحشر والأحزاب والتوبة وغيرها تضمنت من هذا الكثير: ﴿**وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباءُوا بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ، وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ**﴾ [البقرة: ٨٩-٩٠].

﴿**وَلَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠١].

﴿**سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ: ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها. قُلْ: لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [البقرة: ١٤٢].

﴿**يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٠-٧١].

﴿**وَقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٢].

﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٨].

﴿**قُلْ: يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَداءُ وَمَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [آل عمران: ٩٨-٩٩].

﴿**يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ ...**﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٣٢].

كذلك شهد التاريخ نقض اليهود لعهودهم مرة بعد مرة وتحرشهم بالمسلمين، مما أدى إلى وقائع بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وخيبر. كما شهد تأليب اليهود للمشركين في الأحزاب، مما هو معروف مشهور.

ثم تابع اليهود كيدهم للإسـلام وأهله منذ ذلك التاريخ.. كانوا عناصـر أسـاسـية في إثارة الفتنة الكبرى التي قتل فيها الخليفة الراشـد عثمان بن عفان -رضـي الله عنه- وانتثر بعدها شمل التجمع الإسلامي إلى حد كبير..

وكـانوا رأس الفتنـة فيمـا وقع بعـد ذلـك بين علي -رضــي الله عنـه- ومعـاويـة.. وقادوا حملة الوضع في الحديث والسيرة وروايات التفسير.. وكانوا من الممهدين لحملة التتار على بغداد وتقويض الخلافة الإسلامية..

فأما في التاريخ الحديث فهم وراء كل كارثة حلت بالمسلمين في كل مكان على وجه الأرض وهم وراء كل محاولة لسحق طلائع البعث الإسلامي وهم حماة كل وضع من الأوضاع التي تتولى هذه المحاولة في كل أرجاء العالم الإسلامي! ذلك شأن اليهود..

فأما شـأن الفريق الآخر من أهل الكتاب، فهو لا يقل إصـراراً على العداوة والحرب من شــأن اليهود! لقد كانت بين الرومان والفرس عداوات عمرها قرون.. ولكن ما إن ظهر الإسلام في الجزيرة وأحست الكنيسة بخطورة هذا الدين الحق على ما صنعته هي بأيديها وسمته "المسـيحية" وهو ركام من الوثنيات القديمة، والأضـاليل الكنسـية، متلبســاً ببقايا من كلمات المســيح -عليه الســلام- وتاريخه.. حتى رأينا الرومان والفرس ينسون ما بينهم من نزاعات تاريخيه قديمة وعداوات وثارات عميقة، ليواجهوا هذا الدين الجديد.

ولقد أخذ الروم يتجمعون في الشـمال هم وعمالهم من الغسـاسـنة لينقضـوا على هذا الدين. وذلك بعد أن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله ﷺ إلى عامل

بصرى من قبل الروم -وكان المسلمون يؤمنون الرسل ولكن النصارى غدروا برسول النبي ﷺ وقتلوه- مما جعل رسول الله ﷺ يبعث بجيش الأمراء الشهداء الثلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة في غزوة "مؤتة" فوجدوا تجمعاً للروم تقول الروايات عنه: إنه مائة ألف من الروم ومعه من عملائهم في الشام من القبائل العربية النصرانية مائة ألف أخرى وكان جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل. وكان ذلك في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة.

ثم كانت غزوة تبوك التي يدور عليها معظم هذه السورة (وسيجيئ تفصيل القول فيها في موضعه إن شاء الله تعالى). ثم كان جيش أسامة بن زيد الذي أعده رسول الله ﷺ قبيل وفاته ثم أنفذه الخليفة الراشد أبو بكر -رضي الله عنه- إلى أطراف الشام لمواجهة تلك التجمعات الرومانية التي تستهدف القضاء على هذا الدين! ثم اشتعل مرجل الحقد الصليبي منذ موقعة اليرموك الظافرة، التي أعقبها انطلاق الإسلام لتحرير المستعمرات الإمبراطورية الرومانية في الشام ومصر وشمال إفريقية وجزر البحر الأبيض. ثم بناء القاعدة الإسلامية الوطيدة في الأندلس في النهاية.

إن "الحروب الصليبية" المعروفة بهذا الاسم في التاريخ، لم تكن هي وحدها التي شنتها الكنيسة على الإسلام..

لقد كانت هذه الحروب مبكرة قبل هذا الموعد بكثير.. لقد بدأت في الحقيقة منذ ذلك التاريخ البعيد..

منذ أن نسي الرومان عداواتهم مع الفرس وأخذ النصارى يعينون الفرس ضد الإسلام في جنوب الجزيرة.

ثم بعد ذلك في "مؤتة". ثم فيما تلا موقعة اليرموك الظافرة.. ثم تجلت ضـــراوتها ووحشـيتها في الأندلس عند ما زحفت الصـليبية على القاعدة الإسـلامية في أوربة، وارتكبت من الوحشية في تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم هناك ما لم يعرف التاريخ له نظيراً من قبل.. وكذلك تجلت في الحروب الصـليبية في الشـرق بمثل هذه البشـاعة التي لا تتحرج ولا تتذمم ولا تراعي في المسلمين إلاًّ ولا ذمة.

ومما جاء في كتاب "حضارة العرب" لجوستاف لوبون -وهو فرنسي مسيحي-:

(كان أول ما بدأ به ريكاردوس الإنجليزي أنه قتل أمام معســـكر المســـلمين، ثلاثة آلاف أسير سلموا أنفسهم إليه، بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم. ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل والسلب، مما أثار صلاح الدين الأيوبي النبيل، الذي رحم نصـــارى القدس، فلم يمســـهم بأذى، والذي أمد فيليب وقلب الأســـد بالمرطبات والأدوية والأزواد، أثناء مرضهما.)

كذلك كتب كاتب مسيحي آخر (اسمه يورجا) يقول: (ابتدأ الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوأ طالع، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها. وقد أسرفوا في القسوة فكانوا يبقرون البطون، ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء! أما صــلاح الدين، فلما اســترد بيت المقدس بذل الأمان للصــليبيين، ووفى لهم بجميع عهوده، وجاد المســـلمون على أعدائهم ووطأهم مهاد رأفتهم،

حتى أن الملك العادل، شقيق السلطان، أطلق ألف رقيق من الأسرى، ومنّ على جميع الأرمن، وأذن للبطريرك بحمل الصليب وزينة الكنيسة، وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهن.)

ولا يتسع المجال في الظلال لاستعراض ذلك الخط الطويل للحروب الصليبية -على مدار التاريخ- ولكن يكفي أن نقول: إن هذه الحرب لم تضع أوزارها قط من جانب الصليبية. ويكفي أن نذكر ماذا حدث في زنجبار حديثاً. حيث أبيد المسلمون فيها عن بكرة أبيهم، فقتل منهم اثنا عشر ألفاً وألقي الأربعة الآلاف الباقون في البحر منفيين من الجزيرة! ويكفي أن نذكر ماذا وقع في قبرص، حيث منع الطعام والماء عن الجهات التي يقطنها بقايا المسلمين هناك ليموتوا جوعاً وعطشاً، فوق ما سلط عليهم من التقتيل والتذبيح والتشريد! ويكفي أن نذكر ما تزاوله الحبشة في اريترية وفي قلب الحبشة، وما تزاوله كينيا مع المئة ألف مسلم الذين ينتمون إلى أصل صومالي، ويريدون أن ينضموا إلى قومهم المسلمين في الصومال! ويكفي أن نعلم ماذا تحاوله الصليبية في السودان الجنوبي! ويكفي لتصوير نظرة الصليبيين إلى الإسلام أن ننقل فقرة من كتاب لمؤلف أوربي صدر سنة ١٩٤٤ يقول فيه.

(لقد كنا نخوّف بشعوب مختلفة. ولكننا بعد اختبار، لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف.. لقد كنا نخوّف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي. إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه.

إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد! ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا.

أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها. ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته.. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي.)

ولا نستطيع أن نمضي أبعد من ذلك في استعراض تاريخ تلك الحرب العاتية التي أعلنتها الصليبية على الإسلام وما تزال.. وقد تحدثنا من قبل مراراً في أجزاء الظلال السابقة -بمناسبة النصوص القرآنية الكثيرة- عن طبيعة هذه المعركة، الطويلة، ومسائلها وأشكالها. فحسبنا هذه الإشارات السريعة هنا بالإحالة على بعض المراجع الأخرى القريبة.

وهكذا نرى من هذا الاستعراض السريع -بالإضافة إلى ما قلناه من قبل عن طبيعة الإعلان الإسلامي العام بتحرير الإنسان، وتحفز الجاهلية في الأرض كلها لسحق الحركة التي تحمل هذا الإعلان العام وتنطلق به في الأرض كلها- أن هذه الأحكام الأخيرة الواردة في هذه السورة، هي المقتضى الطبيعي لهذه الحقائق كلها مجتمعة وأنها ليست أحكاماً محددة بزمان، ولا مقيدة بحالة. وإن كان هذا في الوقت ذاته لا ينسخ الأحكام المرحلية السابقة النسخ الشرعي الذي يمنع العمل بها في الظروف والملابسات التي تشابه الظروف والملابسات التي تنزلت فيها. فهناك دائماً طبيعة المنهج الإسلامي الحركية، التي تواجه الواقع البشري مواجهة واقعية، بوسائل متجددة، في المراحل المتعددة....) اهـ.

وقد سار الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وإخوانه من القادة الربانين على هذا النهج الراشد في التحذير من مخططات ومكر الأعداء فكانت توجيهاتهم

وكلماتهم تركز على هذا الأمر أشـد التركيز وفي ذلك يقول الإمام المجدد –رحمه الله– في "رسـالة إلى الأمة الإسـلامية – بعد عام؛ الفشـل الأمريكي في أفغانسـتان": (لقد آن الأوان لأن يتبوأ الإعلام مكانه الصحيح، ويقوم بدوره المطلوب في مواجهة هذه الحملة الشرسة والحرب الصليبية المعلنة بجميع وسائله المرئية والمسموعة والمقروءة، وعلى رجال الإعلام كتَّاباً كانوا أم صـحفيين أم محللين أم مراسـلين أن يكونوا على مسـتوى المسـئولية والحدث، وأن يقوموا بدورهم المطلوب في تبصـير الأمة، وبيان حقيقة العدو، وكشـف مخططاته وألاعيبه وأن يقفوا صـفاً واحداً بكل توجهاتهم، فالعدو اليوم لا يفرق بين فئة وأخرى، فهدفه القضـاء على كل من له علاقة بالعروبة والإسلام.)

وقال –رحمه الله– في "النفير": (ففي الوقت الذي تسيل فيه دماء المسلمين وتهدر في فلسطين والشيشـان والفلبين وكشـمير والسـودان، ويموت أطفالنا بسـب الحصـار الأميركي في العراق، وفي الوقت الذي لم تلتئم جراحنا بعد، منذ الحروب الصـليبية على العالم الإسـلامي في القرن الماضـي، ونتيجة لاتفاقية "سـايكس-بيكو" بين بريطانيا وفرنسـا، والتي أدت إلى تقسـيم العالم الإسـلامي إلى قطع وأشـلاء، ومازال عملاء الصـليبيين يحكمونها إلى اليوم، إذ بأجواء اتفاقية سـايكس بيكو تطل علينا من جديد؛ إنها اتفاقية "بوش-بلير" ولكنها تحت نفس الراية ولنفس الغاية، إنها راية الصليب، وغايتها تحطيم ونهب أمة الحبيب ﷺ.

إن اتفاقية "بوش-بلير" تزعم أنها تريد القضـاء على الإرهاب، ولم يعد يخفى حتى على العوام أنها تريد القضاء على الإسلام، ومع ذلك يؤكد حكام المنطقة بالخطابات

والخطب تأييدهم لبوش في محاربة الإرهاب -أي في محاربة الإسلام والمسلمين- في خيانة واضحة للملة والأمة، معتمدين على مباركة علماء السلاطين ووزراء البلاط.

وكما أنه لا يخفى أن الاستعداد الحالي للهجوم على العراق ما هو إلا حلقة في سلسلة الاعتداءات المعدة لدول المنطقة، بما فيها سوريا وإيران ومصر والسودان، إلا أن التركيز لتقسيم بلاد الحرمين يأخذ نصيب الأسد في خطتهم، مع العلم أنه هدف استراتيجي قديم، منذ أن نقل ولاؤها من بريطانيا إلى الولايات المتحدة منذ ستة عقود، وقد حاولت أميركا قبل ثلاثة عقود تنفيذ هدفها هذا في أعقاب حرب العاشر من رمضان، يوم هدَّد رئيسها "نيكسون" بغزو بلاد الحرمين على الملأ، ولم يتيسر له ذلك في وقتها بفضل الله، ولكن مع بداية حرب الخليج الثانية أنشأت أميركا قواعد عسكرية مهمة وخطيرة، منتشرة في بلاد الحرمين، وخاصة قرب العاصمة، ولم يبق لهم إلا التقسيم، واليوم يبدو أن الوقت المناسب للتقسيم قد حان في نظرهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وخلاصة الأمر؛ أن استهداف أميركا للمنطقة عموماً وتقسيم بلاد الحرمين خصوصاً ليس سحابة صيف عابرة، وإنما هو هدف استراتيجي لا يغيب عن نظر السياسة الأميركية الماكرة.

فماذا أعدت الحكومات في المنطقة لمقاومة هذا الهدف الاستراتيجي العدواني؟

لا شـيء يذكر سـوى زيادة في الولاء للصـليبيين، أضـف إلى ذلك اجتماع وزراء الداخلية العرب المنتظم لمحاربة المجاهدين والتضـييق على الدعاة والعلماء الصـادقين الذين يسعون لتنبيه الأمة وإيقاظها للدفاع عن نفسها.

وإن من أهم أهداف هذه الحملة الصـليبية الجديدة تهيئة الأجواء وتمهيد المنطقة بعد التقسـيم لقيام ما يسـمى بدولة إسـرائيل الكبرى، التي تضـم داخل حدودها أجزاء كبيرة من العراق ومصر مروراً بسوريا ولبنان والأردن وكامل فلسطين وأجزاء كبيرة من بلاد الحرمين.

وما أدراك ما إسـرائيل الكبرى، وما سـيصـيب المنطقة من ويل وثبور؛ إن ما يجري لأهلنا في فلسـطين ما هو إلا نموذج يراد تكراره في سـائر المنطقة على يد التحالف "الصـهيوأميركي"؛ قتل للرجال والنسـاء والولدان، وسـجون وإرهاب وتهديم للبيوت وتجريف للمزارع، ونسـف للمصـانع، والناس في خوف دائم ورعب جاثم ينتظرون الموت في كل لحظة من صـاروخ أو قذيفة تهدم بيتاً وتقتل أختاً وتئد رضـيعة، فماذا نجيب ربنا غداً؟

إن مـا يجري هنـاك لا يحتمله أولو البـأس من الرجـال، فكيف بحـال الأمهـات المستضعفات وهن يرين أطفالهن يقتلون بين أيديهن؟

إنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء من اليهود والنصـارى والحكام الخائنين ومن كان في حكمهم، وأعتذر إليك من فعل هؤلاء القاعدون عن نصرة الدين.

وإن مما يعنيه قيام إسـرائيل الكبرى؛ هو خضـوع دول المنطقة لليهود، وما أدراك ما يهود، يهود افتروا على الخالق فما بالك بالمخلوق؟ يهود قتلة الأنبياء ونقضة العهود، قال الله عنهم: ﴿**أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾، إنهم يهود أرباب الربا وأئمة الخنا، لن يبقوا لكم شيئاً لا دنيا ولا دين، قال الله عنهم: ﴿**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً**﴾، إنهم يهود يعتقدون ديانة أن الناس عبيد لهم ومن أبى فحده القتل، قال الله تعالى عنهم: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.

هذه بعض صفات يهود فاحذروهم، وهذه بعض ملامح المخطط الصليبي فقاوموه.)

التحذير من الدعم المادي المسموم

الحديث عن الدعم المادي من قبل الدول للحركات الثورية والجماعات الجهادية حديث ذو شجون.. فكم أفسد من ساحات وحركات وجماعات فهذه الدول ليست جمعيات خيرية أو منظمات إغاثية وإنما هي دول طاغوتية تحكمها مصالحها وسيادتها وتسعى في سياستها العامة محاربة كل مشروع يسعى لإقامة الدين وبسط حاكمية الشريعة ومن جميل الحوارات في بيان هذه القضية ما جاء في "حوارات ولقاءات الشيخ عمر بن محمود أبو قتادة الفلسطيني" : (السؤال الثالث يقول الأخ أنتم حسب استقراءكم للواقع لا ترون بوجود الدعم الغير مشروط، لأن الأنظمة ليست جمعيات خيرية أي لا يوجد دعم من غير مقابل، ولكن لو تنزلنا جدلاً وقلنا بوجود الدعم غير المشروط هل ترون مشكلة أيضًا في أخذه؟

جواب الشيخ أبي قتادة –حفظه الله–: لا، ولكن هذا سؤال من الاحتمالات العقلية البعيدة، بمعنى أن الأنظمة تدعم على وجهين، إما لشرط حاضر وإما تحضيرًا لواقع قادم آجل، أفسر كلمتي؛ أما الصور الأولى فهي واضحة وبينة، هو يعطيك مال من أجل أن تقول قولاً، تصدر بيانًا، من أجل تقف موقفًا، تقاتل على خط جبهة ودون خط جبهة، وتضمن شيئًا ما خلال المباحثة التي تكون ضمن الدعم، هذه حالة معروفة وموجودة وجماعة الجهاد –بين قوسين– (الجهاد) قلت؛ كثير موجود على أرض الواقع وتعمل بها الكثير منها، وأظن أن البعض يصرح ولا يخفي هذا ولا يراه عيبًا، ويقول نعم، ولكن هناك من الجماعات تقول أنا آخذ مالاً غير مشروط، أنا أقول لهم هذا الوضع إنما هو آني، ولكنه تحضيرًا لمستقبل، لمآل،

أنت عندما تبني نفسـك بناءً تامًا أو كليًا أو بناءً أغلبيًا على الدعم، وتنشـط هذا النشـاط، هو يريد منك أن تصـل إلى هذه الحالة من الاعتماد على الدعم، وبعد ذلك أنت تصبح في المآل أسيرًا لهذا لدعم، أقول لك احذر من هذا، وأنتم ترون أنه يمكن لكم -أنا أقول عن الجماعات المقاتلة- يمكن لكم أن تسـتغنوا عن الدعم بالصـبر والثبات يمكن لكم، والذي كان اليوم يقول بالدعم كان يعيب على الجماعات السابقة التي تأخذ الدعم ضمن ظروف ما، والآن لما جاء الأمر إليه صار الدعم من حلال الطعم، وجمال الطعم والأكل، وهكذا، فأنا أقول لكم، أقول للإخوة وأنصـحهم دعكم من أخذ الأموال، وإذا أخذتموها، لا تأخذوها بشروط ولا تجعلوها عمدة لكم في جهادكم لئلا تصلوا إلى درجة غياب الاستقلالية والخضـوع للمال الذي يأتيكم من الخارج، إياكم، وتجارب الجماعات في هذا كلها للأسـف لا يمكن الاسـتشـهاد بها إيجابًا كما يفعل البعض، هي كلها تجارب تبين سلبية الأخذ وتلقي الدعم من الآخرين، هذا ما أقوله لكم وبالله التوفيق.)

وقد بَيَّن الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- خطر هذا الأمر على الجهاد والمجاهدين في توجيهاته وكلماته فقال -رحمه الله- في "السـبيل لإحباط المؤامرات": (وباسـم الوطن والوطنية يتم التمكين للصـليبيين اليوم في أرض الرافدين أيضـاً، بتنصـيب حكومةٍ عميلةٍ لأمريكا تُوقِّع سـلفاً على الرضـا بوجود القواعد الأمريكية الكبرى فوق أرض العراق، وتعطي الأمريكان ما شـاؤوا من نفط العراق تحت قانون النفط للاسـتمرار في إخضـاعه وللهيمنة المطلقة على بقية دول المنطقة، ولكن مما يؤسـف له أن يشـارك في هذه الخيانة العظمى أحزابٌ وجماعاتٌ تنتسـب للعلم

والدعوة والجهاد، وهذا من تلبيس الحق بالباطل، وقد شـــاهد الناس بعض هذه الزعامات وهي تتعاون بشـــكل مباشـــر مع الأمريكيين كما فعل زعيم الحزب الذي يســمى بالإســلامي، ودعا صــراحةً لإبرام اتفاقيات أمنيةٍ طويلةِ المدى مع أمريكا، ورأى الناس أيضاً زعاماتٍ أخرى تتعاون بشكل غير مباشر وذلك عن طريق وكلاء أمريكا في المنطقة وخاصةً حاكم بلاد الحرمين، فلا يمكن للرياض أن تستقبل وتدعم هذه الزعامات إلا على شــرط الرضــا بحكومة وحدة وطنية، وللعقلاء أن يعتبروا بما آلت إليه قيادة حماس، حيث أضــاعت دينها ولم تَسْــلَم لها دنياها، عندما أطاعت حاكم الرياض وغيره بالدخول في دولة الوحدة الوطنية واحترام المواثيق الدولية الظالمة، فهلّا قام الصادقون في حماس ليصححوا مسارها.

وكما أغوى حُكَّام الرياض قادةَ حماس فكذلك يسعون لإغواء الجماعات المجاهدة في العراق، فيغضـــوا طرفهم عن أعضـــاء بعض الجماعات لتتحرك في دول الخليج باطمئنان لتأخذ الدعم ولكن ليس بشكل رسمي فهذا ما ترفضه الجماعات، وإنما يتم تمرير الدعم باســم جمع التبرعات من بعض العلماء والدعاة غير الرسميين، وكثير منهم في حقيقتهم رجال موالون للدولة يسـعون في تنفيذ سـياسـتها في العراق، بسـحب البســاط من تحت أقدام المجاهدين الصــادقين، فمهمةُ هؤلاء العلماء والدعاة إقناع قادة هذه الجماعات بنفس الشرط السابق وهو الرضا بحكومة وحدة وطنية، فضلاً عن حثهم لبث الدعايات المغرضة ضد دولة العراق الإسلامية وقتالها إن أمكن وهذا من أسرار الحملة الشرسة عليها عسكرياً وإعلامياً، وإن المرء ليعجب أشد العجب كيف ضيعت هذه الزعامات الأمانة التي في أعناقها وذهبت تضع يدها في يد أحد

أَلَدِّ أعدائها حاكمِ الرياض، وهو الذي ثبتت نصرته وتواطؤه مع أمريكا لغزو العراق، وهل يخفى اليوم على فتيان المسلمين فضلاً عن علمائهم وشيوخهم وقادة المجاهدين أن هذا الحاكم هو كبير وكلاء أمريكا في المنطقة وقد أخذ على عاتقه مراودة وترويض كل حُرٍّ عفيف أمين شريف لجره إلى سبيل الغي والغواية، ذلك الطريق الذي ارتضاه لنفسه وهو في العقد التاسع من عمره، طريق الخيانة للملة والأمة والخضوع لإرادة التحالف الصليبي الصهيوني، فبئس السبيل سبيلهم، ولكن هلّا رجع العلماء والأمناء المرشدون إلى طريق الرشد؟ فهذا ما نتمناه.)

وقال -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (ولو أن قادة دولة العراق الإسلامية وضعوا أيديهم في يد أي دولة من دول الجوار لتكون لهم ظهراً وسنداً كما فعلت بعض الجماعات والأحزاب لكان الحال غير الحال، فأولئك ميزانياتهم بعشرات بل مئات الملايين، وهؤلاء رزقهم تحت ظلال رماحهم وهذا خير الرزق لو كانوا يعلمون ، فأولئك فقدوا قرارهم و استقلاليتهم بسبب دعم الدول لهم فما أن تمارس أمريكا و أولياؤها الضغوط على الدولة الداعمة حتى ينتقل الضغط مباشرة على أمين الحزب أو أمير الجماعة وقد رأى الناس ذلك نهاراً جهاراً في لبنان، فبعد الخطب الرنانة عن العزة والكرامة وعن فلسطين ونصرتها، وبعد أن تحدى أُمم العالم أجمع أن تفرض عليه إرادتها تم القبول بالقرار ألف وسبعمئة وواحد الصادر عن الأمم المتحدة الملحدة أداة أمريكا والذي جوهره القبول بدخول الجيوش الصليبية إلى أرض لبنان، وهل يخفى على الناس أن هذه الجيوش هي الوجه الآخر للتحالف الأمريكي الصهيوني؟ ولكن الأمين العام حسن نصر الله يستغفل الناس وقام ورحب بها على

الملأ ووعد بتسهيل مهمتها رغم علمه بأنها قادمة لحماية اليهود وإغلاق الحدود أمام المجاهدين الصادقين، فقد فعل هذه الطوام نزولاً عند رغبة الدول الداعمة صاحبة الأموال النزيهة الشريفة التي تَحَدَّثَ عنها من قبل، فعلام يكون السادات والحسين ابن طلال خائنين عندما قبلوا باتفاقيات تتضمن إغلاق الحدود أمام المجاهدين ضد اليهود -وهم كذلك ولا شك- وفي المقابل يكون الأمين العام للحزب شريفاً عندما وافق على قرارٍ مماثل؟! ثم كيف يتفهم الناس اتهام الحزب للأكثرية في لبنان بأنهم عملاء لأمريكا -وهم كذلك ولا شك أيضاً- وفي المقابل يتم وصف محمد باقر الحكيم الذي تواطأ مع أمريكا لغزو العراق ونهى الناس عن مقاتلتها بأنه بطل شهيد كما جاء على لسان الأمين العام للحزب؟!، أليس هذا هو النفاق بعينه؟

وصنف آخر من هؤلاء عندما تمارس الدولة الممولة والداعمة ضغوطها الشديدة عليهم يقومون بإلزام جيشهم بأخذ إجازة مفتوحة لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد! هل سمعت الدنيا أن جيشاً يأخذ إجازة والعدو جاثم على صدر البلاد؟!

فهذه بعض شؤون الذين يرهنون قراراتهم بيد الدول الممولة، ولو أردنا الاسترسال لطال بنا المقام، ولكن المسلمين الأحرار أمثال الأمير أبي عمر البغدادي وإخوانه أهون عليهم أن يُقدَّموا فتضرب أعناقهم من أن يرهنوا الجهاد في سبيل الله في يد أي حاكم من الحكام أو يكونوا معه يداً واحدة ضد أمتهم.)

التحذير من الإساءة في استخدام المصلحة ومصلحة الدعوة

ومن المسائل المتعلقة بباب المصالح والمفاسد ما يعرف اليوم بمسألة "مصلحة الدعوة" وهي دعوى مجملة لا يحكم عليها إلا بعد التفصـــيل والبيان وبعد النظر في الحالة والحادثة التي استخدمت لها هذه المسألة.. أما جعل هذه الدعوى باباً مفتوحاً دون ضوابط أو شروط معتبرة فهذا أمر يضر بالدعوة والجهاد وسيكون باباً للتفلت من بعض التكاليف الشرعية دون مراعاة للضوابط في باب المصالح والمفاسد كما هو مشاهد اليوم..

وقد نبه إلى هذا الأمر الإمام المجدد -رحمه الله- في كلماته وتوجيهاته فقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "معركة رمضان": (وأمَّا ما انتشر من بعض الكُتَّاب المسلمين أنَّ هذا دين سلم وسلام فهو رد فعل لما اتُّهموا به من المستشرقين، فلا نترك ديننا من أجل إرضاء الكفار، والأدلة على هذا كثيرة فعل الصحابة رضي الله عنهم، حتى أنَّ الطلقاء يوم مكة ما كان المســلمون بحاجة إليهم لكي يذهبوا إلى ثقيف وهوازن، الآن أسلموا يوم الفتح، بعد الفتح بعدة أيام نادى منادي رسول الله ﷺ: يا خيل الله اركبي، فخرجوا خفافًا وثقالاً، ما أحد قال هؤلاء حديثي عهد بالإسـلام اتركوهم يتعلَّموا الدين ويتعلَّموا الدعوة ويتعلَّموا.. ويقعدون، ما أحد قال هذا، من أين لنا هذا العلم الجديد الذي انتشـــر بين بعض الناس بأن يُترك الجهاد من أجل الدعوة،

وتُعطَّل نصوص القرآن من أجل مصلحة الدعوة التي يقرِّرها أفراد بشر، نستغفر الله من هذا، فلا أريد أن أطيل عليكم.)

وقال -قدس الله روحه- "السبيل لخلاص فلسطين": (أمتي المسلمة، برغم هذا الحصار الشديد عليك إلا أن أمامك فرصة عظيمةً جداً لاستعادة حريتك للخروج من الخضوع والتبعية في هذا التحالف الصليبي الصهيوني، ولكي يتم ذلك فلا بد أن تتحرري من قيود الذل والخنوع التي يكبلنا بها وكلاء هذا التحالف من حكام بلادنا وأعوانهم، ولا سيما من قيود علماء السلاطين، وكذا من قيود قادة الجماعات الإسلامية التي أصبح من منهجها الاعتراف بالحاكم الذي خان الملة والأمة والانخراط في المنظومةِ السياسيةِ للدولة، ولا فرق إن كانت في الحكم أو المعارضة.

أو تلك الجماعات الأخرى التي تضخم عندها الحذر حتى وصل إلى درجة الخوف المقعد عن القيام بالجهاد، هذه العبادة التي ينهى عنها الحاكم، والتي هي ذروة سنام الدين وهي السبيل لكف بأس الكفار ولفك الحصار عن المسلمين.

وبعض هذه الجماعات تسوغ مداهنة الحاكم والقعود عن الجهاد تحت ذريعة مصلحة الدعوة، حتى صار هذا الادعاء صنماً يعبد من دون الله، وتحت غطائه تزاحم أوامرُ قادة الجماعة أوامرَ الله تعالى وأوامرَ رسوله ﷺ وذلك هو الضلال المبين.

أمتي المسلمة، لا بد من التحرر من هذه القيود الباطلة، والاستسلام والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له، وعندئذٍ فقط يتحرر الإنسان، وعندئذٍ يستطيع أن يسعى في تحرير أمته وفي تحرير فلسطين والأقصى، وسيرى الأبواب مشرعةً إلى طريق الحريةِ

والكرامة، إلى ميادينِ الرجال والنزال، ميادين القتل والقتال في ســـبيل الله كما في أفغانسـتان ووزيرسـتان والمغرب الإسـلامي والصـومال وكشـمير والشـيشـان، وأهمها وأعظمها نكاية في العدو بغداد دار الخلافة وما حولها.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصـــة والمســـلمين عامة": (فيا عباد الله: اســـتجيبوا لله وللرســـول إذا دعـاكم لما يحييكم، واحـذروا كل الحـذر من المثبِّطين والمرجفين والمعوِّقين، القائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا.

واحذروا الذين يحبُّون قول الحقِ ولا يسـتطيعونه، إلا أن يختموه بقول الباطل، كمدح وتزكية الطواغيت، فهؤلاء قد ضـلوا ضـلالاً مبينًا، ولا تصـحُّ الصـلاة خلفهم، فليتقوا الله في أنفسهم وأمَّتهم، وليتوبوا عن باطلهم.

واحذروا الذين يريدون قول الباطل فيلبســـون الحقَّ بباطلهم، ليمرِّروه على الناس، فتعيّن الجهاد اليوم في فلســـطين والعراق، حقّ على أهل القطرين، فإن عجزوا أو قصروا أو تكاسلوا، فعلى من يليهم، وثم وثم، إلى أن تعمَّ الدائرة جميع بلاد المسلمين، حيث إنَّ بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلدة الواحدة.

هـذه هي فتـاوى العلمـاء رحمهم الله، الـذين لم يأخـذوا في اعتبـارهم أهواء الحكـام العملاء في العواصـم المحيطة، كالرياض وعمان وغيرها، وحيث إنَّ العجز واضـح في فلســـطين والعراق، فإنَّ الجهاد متعيّن على من يليهم، كأهل بلاد الحرمين وســـوريا والأردن وتركيا وإيران والكويت، فإن عجز أو قصـر هؤلاء، فعلى من يليهم، فالجهاد في العراق وفلسطين حقٌّ، والتخذيل عنه باطل.

واحـذروا الـذين يتســـلَّلون لواذًا، الـذين يزاحمون الربوبيـة والنبوة بآرائهم وأهوائهم، ثم يزعمون أنَّ هذه مصــلحة الدعوة؛ فهذا محال، وفي آرائهم الدمار والبوار، قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِــيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِــيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

فيا عباد الله؛ إنَّ الطريق واضـح بيِّن، فقد تركنا رسـولنا عليه الصـلاة والسـلام على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

واقرؤوا القرآن والسـنة تبصـروا الصـراط المسـتقيم، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويُردُّ، إلا نبيّنا عليه الصلاة والسلام.

واضــربوا بعرض الحائط آراء وأهواء الرجال، مهما عظموا وعلموا وفقهوا، إذا عارض قولهم قول الله تعالى، أو قول رسـوله عليه الصـلاة والسـلام، حتى وإن كانوا مخلصـين صادقين، فهي زلة منهم لا تهدر مكانتهم وفضلهم، ولكن لا يُتابَعون في زلَّتهم.)

وقال -رحمه الله- في "رســالة إلى الأمة الإســلامية": (ولئن كانت الأمة اليوم أتيت من عدم قيامها بما يجب عليها من عمل لمواجهة وكلاء الصــــليبيين والتخلص من خطرهم؛ فكثير من أبناء الأمـة الصــــادقين لما علموا بتبعية حكـام البلاد لأمريكـا أبغضــوهم ونفروا منهم وانضــموا إلى جماعات إســلامية تدعو إلى تحكيم الإســلام وإعادة الخلافة واسترجاع فلسطين.

والحقيقة أن قادة تلك الجماعات وجدوا أن الأمر ثقيل جداً كما لم يمهلهم الحكام في السـعي لما أرادوه من خير، فشـددوا الضـغوط عليهم وخيروهم بين أن يتخلوا عن

السـبيل الشـرعي الذي يمكنهم من إقامة دولة الإسـلام وهو الجهاد في سـبيل الله أو التعذيب والقتل، فركنوا إلى الخيار الأول وتركوا الجهاد في سـبيل الله وسموا قتال المجاهدين للطواغيت عنفاً وذموه والمجاهدين معاً ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وحقيقة فعلهم هذا أنهم أعادوا الذين سـعوا للخروج من تبعية الحاكم، أعادوهم إلى دائرة الحاكم وطاعته والاعتراف بشرعيته باسم الإسلام ومصلحة الدعوة زوراً وبهتاناً، لذا فإن كثيراً من أبناء الأمة الصـادقين ما زالوا يدورون في الحلقة المفرغة التي بدأت الأمة الدوران فيها منذ تسعين سنة.

أمتي المسلمة، أما آن لكِ أن تخرجي من هذا التيه؟)

اعتزال الفتنة واستمرار الجهاد

اقتضت حكمة الله ومضت سنته في الخلق أنه يبتليهم بالفتن وأنه كلما تقدم الزمان واقتربت الساعة ازدادت الفتن فلا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه كما دلت على لك نصوص الوحي فقد قال تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج». قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: «القتل، القتل» متفق عليه.

وعن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ.

وإن خير ما يدرأ ويدفع به المؤمن عن نفسه الفتن الاشتغال بالقربات والأعمال الصالحة وذروة سنامها الجهاد في سبيل فإن ترك الجهاد المشروع وخاصة عند تعينه خشية الوقوع في الفتنة هو عين الوقوع في الفتنة ﴿**أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾ [التوبة: ٤٩] وفي بيان هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "مجموع الفتاوى": (وإنما تنفى الفتنة بالاستغفار من الذنوب والعمل الصالح. وقوله تعالى ﴿**إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم**﴾ قد يكون العذاب من

عنده وقد يكون بأيدي العباد فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع؛ فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم..

وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض. وكذلك قوله: ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون**﴾ يدخل في العذاب الأدنى ما يكون بأيدي العباد كما قد فسر بوقعة بدر بعض ما وعد الله به المشركين من العذاب.)

وهذه المسألة وافق فيها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- من سبقه من العلماء والدعاة فقال -رحمه الله-: (وأقول قد من الله سبحانه وتعالى على أخيكم وبعض إخوانه بالسعي منذ أن علمنا ببدء الفتنة قبل بضعة أشهر بين الحزب وجماعة الدعوة، فسعينا بين الشيخ "جميل الرحمن" عليه رحمة الله وبين المهندس منذ أكثر من ثلاثة أشهر لإنهاء الخلاف قبل أن يستفحل ولكن قدّر الله وما شاء فعل.

ثم منّ الله عندما علمنا بالأمر من جديد بدأ واستفحل، منّ الله وسعينا كما أمر الله سبحانه وتعالى بالصلح بين المؤمنين وأخذنا تفويضًا من الحزب ومن الشيخ جميل الرحمن -عليه رحمة الله- لتشكيل لجنة قضاء ارتضى الطرفان هذه اللجنة، وهذه اللجنة تحكم بينهم بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة رسوله ﷺ، فما ينبغي لمسلم أن يتعجل أو يحكم بين يدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من بعد وعلى جهل وبغير بصيرة، وإنما طالما ارتضوا هذه اللجنة ننتظر حكم الله وحكم رسوله ﷺ، فإذا ظهر

الحق كنا أعوانًا للحق وكنا من أهل الحق وكنا مع أهل الحق، فتريثوا تسلموا يرحمني الله وإياكم.

واللجنة إلى هذه اللحظات هي في "باجاور" وفي "كُنر" تتابع السعي للصلح بعد أن منّ الله وأوقفت إطلاق النار بين الفئتين المسلمتين،

وينبغي الإشارة هنا أن القتال بين المسلمين كبيرة عظيمة وأمر جسيم أن يبدر من المسلمين لما ذكرنا من الآيات والأحاديث الصحيحة عنه ﷺ، ولكن ينبغي أن لا يتوهم متوهم أن هذا لا يقع بين المسلمين وإلا لما جُعِلت له هذه الآيات وهذه الحدود وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ فوصفهم أنهم مؤمنين ووصفهم بأنهم اقتتلوا، فهذا يحدث وقد حدث في خير العهود رضي الله عنهم وأرضاهم، فينبغي أن لا يكون ذلك سببًا لترك الجهاد وإنما أمران من أمور الشرع جاءا فلا تعارض بينهما، جاء الأمر بالقتال بقتال الكافرين حتى لا تكون فتنة، وجاء الأمر بالإصلاح، فلا يتعذر المتعذر بأن يترك الجهاد لأن هذه الفتنة حصلت، وإنما على الإخوة أن يستمروا في جهادهم حتى تُحرر كابل وتُحرر أفغانستان من الكفر ويكون الدين كله لله، وينبغي على أهل الحل والعقد في الإخوة أن يسعوا للصلح بين أي فئتين تتنازعان على أي أمر من الأمور.

قبل أن أنتقل من هذه المقدمة أحب أن أؤكد على أنه منهجنا وهو أمر ربنا سبحانه وتعالى أن نعتزل الفِتن كما أشار بذلك رسول الله ﷺ: «ستكون فتن المضطجع فيها خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي»، وفي الحديث الآخر: «فليسعك بيتك ولتبكِ على خطيئتك».

فأقول لا بد من استمرار الجهاد، وهذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة كما في الحديث عنه ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك» فالجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة لا يضره تثبيطك أو إرجافك وإنما من جاهد فلنفسه، فأقول مع استمرار هذا الجهاد هناك تنبيهات ينبغي التنبه لها وهي اعتزال أي نزاع مسلح أو غير مسلح بين أي فئتين من فئات المجاهدين، وقد نبهنا إخواننا منذ زمن طويل منذ أن منّ الله علينا وأتينا إلى ساحات الجهاد أن نعتزل مواطن الفِتن، فيبقى هذا في ذهنك ولست أنت بقادم حتى تُستعطف من جهة فتظن أن معها الحق ولكن بعد أن يتبين الحق تكون من أعوان الحق ومن أهل الحق، أما قبل ذلك فليس لك أن تنضم إلى فئة دون أخرى، وجئت لكي تنال الرضا والرضوان فتبوء بالإثم والغضب ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

التفريق بين العثرات والموبقات المهلكات

إن التفريق بين العثرات والأخطاء التي هي من طبيعة الإنسان وبين الموبقات المهلكات التي تخرج الفرد أو الجماعة من صف الحق وتجعله في صف الإعداء والمنافقين من الأمور التي عني بها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- فقال في "السبيل لإحباط المؤامرات": (فينبغي على كل أخ من الأخوة المجاهدين أن يتدبر ويُعمل عقله ولا يعطله وأن يفرق بين حُسن الظن بالقادة وبين أن يكون كَيّساً فطناً يزن الأمور والرجال بميزان الإسلام ويترفع عن أن يكون إمَّعَة يتبع القادة على غير بصيرة ، فالذين بقوا مع القادة كسياف ورباني في كابل يناصرونهم ضد المسلمين بعد كل الذي حصل هؤلاء قد ظاهروا الكفار على المسلمين وذلك ناقضٌ من نواقض الدين وليس بعذر لهم حسن ظنهم بالقادة فيجب عليهم أن يفتشوا قلوبهم ويتبرؤوا من الشرك وأهله ويدخلوا في الإسلام من جديد ، فكم من الناس ضلوا عن سواء السبيل لتعصبهم لقادتهم وكبرائهم بغير هدى وليتدبروا قول الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾.

ومن العِبَر، ألا ينخدع الإخوة بأسماء الأحزاب أو بقادتها، فهذا سياف كان أبرز قادة المجاهدين وكان مِلء السمع والبصر واسم حزبه الاتحاد الإسلامي ثم أعان أمريكا على المسلمين وذلك كفر بواح ، وهذا رباني وحزبه الجمعية الإسلامية وحاله كذلك ، وهذا أحمد شاه مسعود الذي ذهب عند الصليبيين في أوروبا يعرض نفسه على الملأ ليكون أداة لإسقاط إمارة أفغانستان الإسلامية ثم يزعم بعض المضلين أنه

شـهيد ، ولئن زلَّ بعض قادة الأفغان فإنه بفضـل الله قد ثبت البعض الآخر فكانوا صادقين مخلصين -نحسبهم والله حسيبهم- منهم الشيخ يونس خالص -عليه رحمة الله- والشيخ جلال الدين حقاني -حفظه الله- وكلاهما قد أفتى بوجوب الجهاد ضد الغزو الأمريكي لأفغانستان وساهما فيه، كما رأت الدنيا بأسرها صدق وثبات الأمير المجاهد الملا محمد عمر في قتال تحالف الكفر العالمي وعدم الرضـوخ والخضـوع لهم بتضييع أمانته وذلك برفضه التخلي عن الشريعة أو تسليم من دخلوا في جواره من العرب المهاجرين لأنهم إخوانه في الدين ولو ذهبت الإمارة وكرسيها، مواقف عظيمة تنبئ عن رجال عظام -أحسبهم والله حسيبهم ولا أزكي على الله أحداً- ففرق هائل بين موقف الحاكم المسـلم وبين مواقف الحكام المنافقين الذين تعاونوا مع أمريكا في الحرب العالمية ضد الإسلام ، فالأول ضحَّى بملكه من أجل دينه والآخرون يضحون بدينهم من أجل مُلكهم فالفرق بينهم هو الفرق بين الإيمان والكفر فشـتان شـتان بين مواقف المؤمنين الرجال وبين مواقف المنافقين أشباه الرجال.

وقد يقول بعض الناس إن بعض قادة الجهاد في أفغانسـتان الذين زلّت أقدامهم كانت لهم سـابقة فقد رفعوا راية الجهاد مبكراً ضـد الروس فينبغي أن تقال عثراتهم، فأقول: يجب التفريق بين العثرة التي ينبغي إقالتها لذوي الهيئات وبين ارتكاب الحدود التي يجب أن تقام ولا يُستثنى منها أحد فالمرأة التي سرقت في عهد رسول الله ﷺ لها سـابقة في الإسـلام والهجرة ومع ذلك أقيم الحد عليها لتجنيب الأمة طريق الهلاك، فتدبر.

وذكري لهؤلاء القادة إنما هو من هذا الباب فقد ارتكبوا ناقضاً من نواقض الإسلام وهو مظاهرة الكفار على المسلمين، ومنهج محاباة السادة والكبراء منهج منتشر بين كثير من المسلمين ومن هنا كان ضلال أصحاب هذا المنهج عن الصراط المستقيم وقد قيل:

وإن الجرح ينفر بعد حينٍ   إذا كان البناء على فسادِ

فينبغي الحذر من ذلك، فإقامة الحد واجب شرعي يتم به تطهير المرتكب له وتزكية المجتمع المسلم وإلا فذاك طريق الهلاك كما قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

خلاصة القول في هذا الأمر، يجب على الأخوة المجاهدين ولاسيما في مجالس الشورى ألا يستسلموا لأعذار أمراء الجماعات لتعطيل الوحدة والاجتماع فقد يكون عندهم أعذار حقيقية ولكنها لا تنهض بحال للحيلولة دون الوحدة والاعتصام بحبل الله، فلا يستقيم عند أولي الألباب والنُّهى أن يصر المرء على التمسك بالفرع وإن أدى هذا إلى ضياع الأصل فعندها يضيع الجميع..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (متى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب.) انتهى كلامه.)

وقال –رحمه الله– في "رسالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود":

(إن مما لا يخفى على أحد المدى الذي وصل إليه انتشار الفساد العارم والذي شمل كافة نواحي الحياة حيث فشت منكرات المختلفة التي لم تعد تخفى على أحد، كما فصلت "مذكرة النصيحة" التي تقدم بها نُخبة من العلماء ودعاة الإصلاح، وكان من أخطر ما بينوا هو الشرك بالله المتمثل في التشريع وسن القوانين الوضعية التي تستبيح المحرمات والتي من أشنعها التعامل بالربا المتفشي ففي البلاد، وذلك من خلال مؤسسات الدولة وبنوكها الربوية التي تزاحم أبراجها مآذن الحرمين، وتعج بها البلاد طولها وعرضها.

ومما هو معلومٌ بالضرورة أن الأنظمة والقوانين الربوية التي تتعامل بها هذه البنوك والمؤسسات مُشَرَّعَةٌ من قِبَل النظام الحاكم ومصدق عليها منه، ومع ذلك لم نسمع منكم إلا أن تعاطي الربا حرام لا يجوز، غير مكترثين بما في كلامكم هذا من التلبيس على الناس، بعدم التفريق بين حكم من يتعاطى الربا فقط، وحكم من يشرع الربا ويقننه. مع أن الفرق بينهما واضح كبير، فمتعاطي الربا مرتكب لموبقة من أكبر الموبقات، أما مشرع الربا فهو مرتد كافر كفراً مخرجاً من المِلة بعمله هذا، لأنه جعل من نفسه نداً لله وشريكاً له في التحليل والتحريم، وهذا ما فصلناه في بحثٍ مستقل سينشر قريباً إن شاء الله. ومع أن متعاطي الربا غير المنتهي عنه قد أعلن الله ورسوله عليه الحرب ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ فما زلنا نسمع منكم عبارات الثناء والإطراء لهذا النظام الذي لم يكتف بالإدمان على تعاطي الربا فقط،

بل شــرعه وقننه وأباحه، وقد قال ﷺ: «الربا ثلاثة وســبعون بابًا أيســرها مثل أن ينكح الرجل أمه» صحيح ورواه الحاكم.

وقد قال ابن عباس –رضي الله عنه–: (فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضرب عنقه) رواه ابن جرير بسنده عن ابن عبّاس؛ هذا فيمن يتعاطى الربا؛ فما بالكم بمن يُحلل ويُشَـرّع الربا؟ إن ما تتخبط فيه البلاد من أزماتٍ اقتصـادية وسياسـية وما انتشـر فيها من الجرائم بشـتى أنواعها، وبشـكل مذهل ما هو إلا عقوبة من الله، وجزء من الحرب التي أعلنها سـبحانه على من لم ينتـه عن تعـاطي الربا ونحوه من المنكرات والمحق الـذي حكم بـه على الربا ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾.

وحينما عَلَّقَ الملك الصــليب على صـــدره، وظهر به أمام العالم فرحاً مســـروراً، تأولتم فعله، وســوغتموه مع شـــناعته وفظاعته، رغم وضـــوح أن هذا الفعل كُفر، والظاهر من حال فاعله الرضا والاختيار عن علم.......)

اقتران الجهاد والإيمان

إن من المفاهيم والركائز الشرعية التي سعى الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في إحيائها والتذكير بها في هذا الزمان وتحريض المؤمنين بها أن الجهاد والإيمان متلازمان فالجهاد سياج للإيمان وأهله من مكائد وشرور شياطين الإنس والجان فقال -رحمه الله- "الإيمان والجهاد": (فالجهاد والإيمان متلازمان حتى يحفظ كلٌّ الآخر، فالإيمان بغير جهاد يتسلَّط أهل الكفر والبغي على أهل هذا الإيمان ويريدون أن يطفئوه -أخزاهم الله-، ولكنه بالجهاد يكون الذود عن هذا الدين، والجهاد بغير إيمان يصبح للمغنم والرياسة ولقطع الطرق والغنائم، فلا بدَّ من أن يتلازمان.

ولأهمية الجهاد كثيرًا ما يجمع الله سبحانه وتعالى بين الإيمان والجهاد -وفي ذلك إشارة لعظيم أهمية الجهاد- ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى والذي يبين فيه أهم وأبرز صفات المؤمنين؛ إيمان صحيح لا ريب فيه ولا شكَّ وجهاد في سبيل الله، لذا يقول سبحانه وتعالى في سورة الحجرات -بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم-: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَم يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾، فهاتين الصفتين -بيَّنهما الله سبحانه وتعالى- من أبرز صفات المؤمنين، ويثبت هذه الصفة العظيمة -صفة الصدق- لمن آمن به وبرسوله عليه الصلاة والسلام من غير شك ولا ريبة وجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، يُثبت صفة الصدق فإنَّهم قد صدقوا؛ لأنَّهم اطمأنوا بما أمر الله سبحانه وتعالى، واطمأنت قلوبهم بالله سبحانه وتعالى، فخرجوا يثبتون صدق

هذا الإيمان وصدق هذه العقيدة، يحملون رؤوسهم على أكفِّهم يبذلونها لنصرة هذا الدين ولنصرة هذه الراية العظيمة، فلذا أثبت لهم سبحانه وتعالى صفة الصدق.

وكذا أعظم نعمة في الوجود للمؤمن؛ هي صفة الإيمان الحقِّ يُثبتها الله سبحانه وتعالى لمن آمن به سبحانه وتعالى وهاجر وجاهد في سبيل الله، يثبت هذه الصفة العظيمة في كتابه الكريم فهنيئًا لمن آمن وآوى ونصر وجاهد في سبيل الله، بشهادة ربِّ العالمين أنَّه من المؤمنين حقًّا، حيث يقول سبحانه وتعالى في أواخر سورة الأنفال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾، فالإيمان والجهاد من أبرز صفات المؤمنين.

بل يجمع الله سبحانه وتعالى بين محبته ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام والجهاد في سبيل الله حيث يقول سبحانه وتعالى -بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم- وقد ذكر ثماني صفات ينبغي للمسلم الصادق الحق أن يتجاوزها في المحبة ويكون حُبُّ الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ والجهاد في سبيل الله أحبَّ إليه من تلك الصفات، ولا ينجو من أن يقع في إحداهن إلا من وفَّقه الله سبحانه وتعالى؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا...**﴾، فجمع -لأهمية الجهاد- بين محبته سبحانه وتعالى ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام والجهاد في سبيل الله.

والآيات في هذا كثيرة جدًّا في القرآن الكريم، يثبت سبحانه وتعالى أعظم الصفات للمؤمنين المجاهدين في سبيل الله ترغيبًا لهذه الأمَّة، فهذه الأمَّة أمَّة الجهاد، ولرسولنا عليه الصلاة والسلام أعظم الحظ والنصيب من الجهاد في سبيل الله، وكذا يعلِّمنا رسولنا ﷺ أيضًا أنَّه من أعظم صفات المؤمنين؛ الإيمان والجهاد، ولذا لما سئل عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: أي الناس أفضل؟ قال: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه»، إيمان وجهاد.

وكذا يبيِّن سبحانه وتعالى أيضًا أنَّه من أبرز صفات المنافقين تكذيب الله سبحانه وتعالى والكفر به والقعود عن الجهاد، فمن أبرز صفات المؤمنين إيمان وجهاد، ومن أبرز صفات المنافقين قعودٌ عن الجهاد وتكذيب بالله سبحانه وتعالى، نرجو الله أن يعافينا وإياكم من الاتصاف بصفات المنافقين، فيقول سبحانه وتعالى مبيِّنًا ذلك ذامًّا المنافقين: ﴿**وَجَاءَ المعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾، ففي هذه الآية يبيِّن سبحانه وتعالى أنَّ من أهم وأبرز صفات المنافقين القعود وتكذيب الله سبحانه وتعالى، وليس كل من قعد عن الجهاد منافقًا حتى لا يختلط الأمر على بعض المسلمين، فللناس أحوال وأعذار وظروف، والله سبحانه وتعالى أعلم بها، وإنَّما من حِكَم ذِكر هذه الآيات أن يذكِّرنا سبحانه وتعالى باجتناب صفات المنافقين.

وكذلك يبيِّن سبحانه وتعالى أيضًا حيث يقول: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾، رضوا بالقعود مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون، يقول أهل التفسير في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَا يَفْقَهُونَ**﴾ رغم أنَّ

هؤلاء الـــمنافقين كانوا في مدينته ﷺ لكنهم -يقول أهل التفسير- لا يفقهون ما أعدَّ الله سبحانه وتعالى للمجاهد في سبيل الله ولو فقهوا لخرجوا؛ لو اطمأنت قلوبهم بأنَّهم إن يُقتلوا في ســبيل الله فســيمنُّ الله ســبحانه وتعالى عليهم برحمته ورضـــوانه ويدخلهم جناته كما قال: ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَــبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِــلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾، فنفى عنهم الفقه ســبحانه وتعالى ثم اســتثنى بعد أن ذمَّهم خير الناس رســولنا عليه الصــلاة والســلام اســتثناه بأعظم هذه الصـفات وهي صـفة الإيمان والجهاد كما في سورة التوبة: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الــمُفْلِحُونَ**﴾، شهادة من ربِّ العالــمين للرسول ﷺ والصحابة بأنَّهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأثبت لهم الخيرات -خيرات الدنيا والآخرة كما يقول أهل التفسـير- وشـهد لهم بأنَّهم الـــمفلحون، فإذا كان رسـولنا عليه الصـلاة والسـلام المُفتدى بأمهاتنا وآبائنا والذي قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر وهو صاحب الشفاعة العظمى جاهد بماله ونفسه بنص القرآن، فما تكون أنفسنا نحن حتى نضنَّ بها عن أن تذود عن هذه الراية العظيمة، وما تكون أموالنا حتى نضـــنَّ بها عن أن نصرفها في سبيل الله سبحانه وتعالى، فأموال هو سبحانه وتعالى رزقها وأنفسًا هو خلقها سبحانه وتعالى وقد اشتراها مِنَّا ولـــم يبق إلا التسليم كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْــتَرَى مِنَ الــــمؤْمِنِينَ أَنْفُسَــهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ**﴾، وكذا الآيات في هذا كثيرة التي تبيِّن أهم صفات المؤمنين الإيمان والجهاد.)

وقال –رحمه الله– في "عبر وبصـائر في أفغانسـتان": (فالدواء هو الجهاد حتى ندفع هذا الذُلَّ عن هذه الأُمَّة، وقد علمنا الله سـبحانه وتعالى كيف نُحِقُّ الحق إن كنا طلابًا للحق –نرجو الله أن نكون ممن يطلب الحق– فوصـف خير الناس صـحابته ﷺ هم أهـل بـدر فقـال عن أهـل بـدر مُبيّناً أنهم كـانوا يودون غير القتـال يقول سـبحانه: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّـوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾، كان الصـحابة يريدون ﴿**العَيْر**﴾، خير الناس لا يريدون القتال، لأن القتال ﴿**كُره**﴾ كما في الآيات، لكن الله لا يُحابي أحداً، الله سـبحانه وتعالى يريد أن يُحِقَّ الحق ويُبطل الباطل ولو كره المجرمون، فماذا قال سـبحانه؟: ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّـوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾.

فلما أراد إبطال الحق هل وجههم إلى العَيْر أم وجههم إلى الجهاد في بدر؟ وجههم إلى الجهاد؛ فبالجهاد يُحق الحق، وبالجهاد يردُّ بأس الذين كفروا كما قال سـبحانه: ﴿**وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾.

وكثيرٌ من الثغرات المفتوحة عندنا اليوم في بلادنا سـببها أننا مهزومون نفسـياً ومهزومون من جميع الجهات لأن الإيمان ضَعُفَ في قلوبنا، ومن طبيعة الأُمَّة المهزومة أن تُحاكي الأُمَّة المنتصـرة فلذلك أبناؤنا يقلدون الكفّار في كل شـيء لأن الكفار أقوياء ونحن مهزومون، فنشـتغل في علاج نتائج الهزيمة التي سـببها ترك الجهاد، فنشتغل ونريد أن نربي أبنائنا (...) يفسدون ويضيعون ونشتغل في أمورٍ كثيرةٍ جداً

كلها تنطوي أو معظمها تحت أننا مهزومين لأننا تركنا الجهاد فضاع الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهكذا يُحق الحق بالجهاد، وأريد أن أقول لكم أن الجهاد أولى الناس برفع رايته هم أهل القرآن، هم أهل الحديث، هم أهل هذا الحديث كما علمنا صحابة رسول الله ﷺ فقد جاء في سيرتهم -رضي الله عنهم- يوم اليمامة قال أبو حذيفة -رضي الله عنه- يوم أن حميَّ الوطيس: (يا أهل القرآن زيّنوا القرآن بالفعال). الدين ليس فقط كُتُب ودراسة لهُ بل فعال كما فَعلوا -رضي الله عنهم- ويقول سالم مولى أبو حذيفة يوم اليمامة عندما حمل الراية قال له بعض الصحابة: (نخشى أن نؤتى من قبلك يا سالم، قال: بئس حامل القرآن أنا إن أوتيتم من قبلي). أهل القرآن هم الذين في (...) لنُّصرة هذا الدين واعلموا أنه ما حفظ القرآن وما جُمِعَ بين دفتين إلا لما استحرَّ القتل في الحفظة يوم اليمامة لأن الحفظة أهل الدين ما جلسوا في المدينة يدرسون الناس بل خرجوا لنُّصرة هذا الدين بدمائهم وهناك يُدرِسون.)

اقتران العلم والجهاد (الحق والقوة)

إن مما قرره أهل العلم قديما وحديثا أن العلم والجهاد قرينان لا يفترقان في دعوة تريد العزة والسعادة والتمكين فإن وقوع الفرقة بينهما يؤدي إلى الذل والضعف والهوان وقد بينت ذلك في محاضرة "اقتران العلم بالجهاد".. وذكرت فيها أن أعظم النعم وأجلها على العبد أن يجمع الله له بين العلم والجهاد ففيهما قوام الدين كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (قوام هذا الدين بكتاب يهدي وسيف وينصر.)

فالكتاب (الشرع) يهدي ويصلح ويسوس والعلم هو الأداة والطريق المؤدي له.

والجهاد هو الحارس الأمين والرادع القوي لكل مفسد ومجرم تسول له نفسه الاعتداء على الدين وأهله، وهو مزيل كلِ العقبات التي تقف في وجه الكتاب الهادي وما أروع ما قاله ابن القيم –رحمه الله–: (فدين الإسلام قام بالكتاب الهادي، ونفذه السيف الماضي.)

وقال الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله– في "خضم المعركة": (كثرة الثقافة لحركة دون جهاد جد خطير على النفوس لأنه يقسي القلوب ويورث الجدل.)

وهذا الأمر كان من مركزيات وأســـس دعوة وجهاد الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله-.

قال الإمام المجدد -قدس الله روحه- في "الرسـالة الثانية للشـيخ عبد العزيز بن باز": (إن علة المســـلمين اليوم ليســـت في الضـــعف العســـكري، ولا في الفقر المادي، وإنما ينقصـــها علماء من أمثال ابن تيمية وحكام من جنس صـــلاح الدين -رحمهم الله- حتى يجتمع صلاح السلطان وصدق الإيمان وهدي القرآن، وعندئذٍ لن تغلب منهم اثنا عشر ألف من قلة، ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.)[٢٤]

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الشعب الأفغاني": (هذه رسالة أوجهها إلى الشعب الأبي الصـامد المجاهد الذي حمل السـيف بيد والقرآن الكريم باليد الأخرى.. اعلموا يا أســـود الشـــريعة، ويا حراس الدين أن الله عز وجل قد قال في كتابه: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم**﴾.

أيها الشعب الأفغاني:

فإنه ليس خاف عليكم مكانة الجهاد من الدين، وأنه ذروة سنام الإسلام، وبه ينال العزة والرفعة في الدنيا والآخرة، كما به تحفظ الأوطان، وتصـــان الحرمات، وينتشـــر

٢٤ . ويستأنس في هذه المسألة فيما ورد في وثائق أبوت أباد في الرسالة المرسلة إلى الشيخ أبي بصير ناصر الوحيشي -أمير تنظيم القاعدة في جزيرة العرب-: (وأما في مسألة التخلي عن السلاح غير وارد البتة فبالكتاب والحديد ينصـــر الدين، وهو جزء من كياننا وتاريخنا والحفاظ على حياتنا، والرجل من غير ســـلاح لا شـــك أنه منتقص، فماذا جنى الذين تركوا السلاح غير أنهم أصبحوا لا وزن لهم.)

العدل، ويسود الأمن، ويعم الرفاه، وتزرع الهيبة في نفوس الأغراء، وتشاد به الممالك، وتعلو راية الحق على كل راية. أيها الشـــعب الأفغاني أنا أقول هذا الكلام وأنا على ثقة بأنكم تفهمون هذا الكلام أكثر من غيركم؛ لأن أفغانســـتان تلك البلاد التي لم تستقر أقدام الغزاة على أرضـها عبر العصـور؛ لأن شعبها يتميز بالشـدة والصـلابة والأنفة والصـبر على القتال، ولم تفتح دارها إلا للإسـلام؛ ذلك أن المسـلمين لم يأتوا إليها مستعمرين ولا راغبين بالمطامع الدنيوية، وإنما جاءوا مبشرين وداعين إلى الله عز وجل.

أيها الشعب الأفغاني:

لقد منّ الله عليكم بأن جاهدتم في ســـبيل الله، وبذلتم الغالي والنفيس لتحقيق هذه الكلمة العظيمة وهي لا إله إلا الله محمد رسـول الله على أرضـكم.. فلم يقبل الكفر العالمي ما قصـدتموه فها هي بريطانيا وروسـيا وتليها أمريكا تخوض الميدان، وتتحدى غيرة المسـلم في مشـارق الأرض ومغاربها، وإنني لأصـرح من مكاني هذا بأن الهالات الضــخمة التي ترســم حول هذه الدول الكبرى لا تســاوي جناح بعوضــة.. بل لا تســـاوي شـــيئًا أمام قوة الملك الجبار، وتأييده للمؤمنين المجاهدين المخلصـــين، ومن يشك في الأمر فليستفد من الاتحاد السوفيتي السابق وكيف بدد الجهاد المبارك أسطورته، بل وقبل هؤلاء لم يستطع التتار ولا الإنجليز أن يثبتوا؛ لأن قمم جبال هذه الأرض المباركة ترفض كل ملحد عنيد، وســوف نرى قريبًا بإذن الله ســبحانه وتعالى ســقوط دول الكفر وعلى رأســها أمريكا الطاغية التي داســت كل القيم البشــرية،

وتجاوزت كل القيم البشـــرية، وتجاوزت كل الحدود، والتي لا تعرف إلا منطق القوة والجهاد.)

وقال -رحمه الله- في "محاضـرة جماعة المسـلمين": (فحديثنا عن فرض السـاعة وعن واجب العصـــر، حديثنا عن إقامة الدين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي الســفلى، فالله ســبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ ليدعوا الناس إلى هذه الكلمة العظيمة إلى كلمة التوحيد، إلى شــهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رســول الله، هذه الكلمة هي الركن العظيم الركن الأول في هذا الدين، بها بعث محمد ﷺ، وبها بعث جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، هذه الكلمة إذا غابت عن الأرض ســاد الكفر والظلام على أرجاء هذه الأرض، بعث محمد ﷺ بهذه الكلمة فكان يقول لأهله وعشــيرته ولقريش قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، بهذا الركن مكث دهراً عليه الصــلاة والســلام يدعوا قريش إلى هذا الركن، ولكن هذا الركن الركين لا يقوم بحال إلا على قواعد عظام، الذين يغارون على دين الله ويريدون أن يهيمن الدين على الناس ويحكم في دمائنا وأعراضـــنا وأموالنا وفي جميع مناحي حياتنا، لا سبيل إلى ذلك إلا بالنهج الذي نهجه محمد ﷺ...)

وقال -قدس الله روحه- في رثاء "رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله-": (مضــى أبو مصــعب رافع الرأس عزيز النفس حرًّا أبيًّا كريمًا وفيًّا، لم يعطِ في دينه الدنيَّة، ولم ينم على الضـــيم أبدًا، ولم يداهن في الحقّ أحدًا، عزيزًا على الكافرين رحيمًا بالمؤمنين، محرضًــا على القتال ومجاهدًا في ســبيل الدين، ومن أقواله -رحمه الله-: (فلا خير في عيش تُنتهك فيه أعراضـــنا، وتُداس فيه كرامة

أخواتنا، ويحكمنا فيه عبَّاد الصـــليب)، وقوله: (نقاتل في العراق وعيوننا على بيت المقدس الذي لا يُسترد إلا بقرءان يهدي وسيف ينصر).)

اقتران العلم بالعمل

إن اقتران العلم بالعمل من أسـباب التوفيق والهدى والسـداد في حياة الأفراد والمجتمعات والدعوات ومن أسباب الفتح والتمكين قال الله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٢-٣].

وقال الله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله- في "لطائف المعارف": (وقوله: ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ يعني إنه يزكي قلوبهم ويطهرها من أدناس الشرك والفجور والضلال فإن النفوس تزكوا إذا طهرت من ذلك كله ومن زكت نفسه فقد أفلح كما قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾ وقال: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**﴾ وقوله: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ يعني بالكتاب: القرآن والمراد ويعلمهم تلاوة ألفاظه ويعني بالحكمة: فهم معاني القرآن والعمل بما فيه فالحكمة هي: فهم القرآن والعمل به فلا يكفي بتلاوة ألفاظ الكتاب حتى يعلم معناه ويعمل بمقتضاه فمن جمع له ذلك كله فقد أوتي الحكمة قال تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾.

قال الفضيل: العلماء كثير والحكماء قليل وقال: الحكماء ورثة الأنبياء فالحكمة هي العلم النافع الذي يتبعه العمل الصالح وهو نور يقذف في القلب يفهم بها معنى العلم المنزل من السماء ويحض على اتباعه والعمل به ومن قال الحكمة: السنة فقوله الحق لأن السنة تفسر القرآن وتبين معانيه وتحض على اتباعه.)

وقال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله- في "تصنيف الناس بين الظن واليقين": (إن القيم، والأقدار، وآثارها الحسان، الممتدة على مسارب الزمن لا تقوم بالجاه، والمنصب، والمال، والشهرة، وكيل المدائح، والألقاب، وإنما قوامها وتقويمها بالفضل، والجهاد، وربط العلم بالعمل، مع نبل نفس، وأدب جم، وحسن سمت، فهذه، وأمثالها هي التي توزن بها الرجال والأعمال.

وإلى هذا الطراز المبارك تشخص أبصار العالم، ولكل نبأ مستقر.)

وقد أولى لإمام المجدد أسامة -رحمه الله- ركيزة اقتران العلم بالعمل أهمية كبيرة فكانت من السمات والمعالم البارزة في دعوته وجهاده كما هو حال الأئمة المجددين على مر العصور قال الإمام المجدد -رحمه الله-في "شرح حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه-": (فيا عبد الله اغتنم صحتك، واغتنم فراغك وشبابك، هذه ميادين الجنان قد فُتحت، وقد صحَّ عن نبيِّنا ﷺ: «إنَّ أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»، فلمَّا قال هذا الحديث أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال رجلٌ: (يا أبا موسى؛ أأنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟) انظروا إلى فقههم يريد يعلم حتى يعمل لا ليستكثر بالعمل فيكون حجَّة عليه فلا بدَّ من العلم والعمل، (أأنت سمعت هذا من رسول

الله ﷺ؟) يريد أن يتأكَّد أنَّ الحديث صــحيح، قال: (نعم) فمضـــى إلى قومه فقرأ عليهم السلام وأخذ جفن سيفه فكسره وذهب فقاتل حتى قُتل رحمه الله.

هذا هو منهج الصحابة الكرام، منهج سلفنا رضي الله عنهم قال: فيا ليتني فعلت، فالفرصة عندك الآن قبل أن يأتي يوم تقول: يا ليتني فعلت.

يُروى أنَّ بعض العلماء الصالحين حضرته الوفاة وهو على فراش الموت، ذرفت عيناه وهو من أفاضــــل الناس تقًى وتعليمًا، فقيل له: ما يبكيك؟ وهو ينظر إلى قدميه، قال: أبكي لأنِّي لم أغبِّر قدميَّ في سبيل الله.)

وقال -رحمه الله- في "الذكرى الســنوية الأولى لغزوة منهاتن (مناقب وأسماء الأبطال التســعة عشــر)": (الشــيخ أبو العباس، عبد العزيز العمري الزهراني: قدوة العلماء المعاصـرين، وبقية السـلف الغابرين، العالم العامل، صــان العلم عن وظائف الطغاة، وحرره من أن يكون أسيرا لمرتباتهم.

حفظ أبو العباس القرآن، وحفظ صـــحيحي البخاري ومســـلم، وطائفة أخرى من أحاديث رســـول الله ﷺ، نظر في ســـبب جمع القرآن بين دفتي المصـــحف، فوجد العمل بالقرآن هو الســـبب، لما اســـتحر القتل في الحفظة يوم اليمامة، فكان أهل القرآن وأهل الحديث يتســـابقون في الذود عن لا إله إلا الله، ويتســـابقون في الجهاد في سـبيل الله، فشـتان شـتان بين السـلف رضـي الله عنهم، وبين من يدعون الانتماء بدون عمل.

قرأ قصة سالم، مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، يوم اليمامة، يوم تصادمت الزحوف، وتضعضعت الصفوف، فلما حمل الراية سالم رضي الله عنه، قال له بعض القوم: (نخشى أن نؤتى من قبلك يا سالم)، قال قولته المشهورة التي ترن في آذان أصحاب القلوب الحية، قال: (بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قبلي)، هكذا كان أهل العلم، وهكذا كان أهل القرآن وأهل الحديث.

فنرك عبد العزيز الزهراني -أبو العباس- تصدر المجالس لإعطاء الدروس، وذهب وحمل الراية يوم تحطيم الأصنام في أمريكا، ولم يؤت المسلمين من قبله، وكان فعله أكثر أثراً من ملايين الكتب في توضيح عقيدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين.

أبو العباس جدد معنى العالم الرباني، وأعاد الأمر إلى أصله كما كان السلف؛ يحتسبون ولا يتوظفون، نفر من الطغاة ووظائفهم، أدرك منهج السلف رضي الله عنهم، وفقه وعلم أن فضل العلم مقيد بالعمل به، فلم يتخذ العلم عملاً، وإنما طلب العلم ليعمل به على بصيرة.

فهؤلاء الرجال أيقنوا أن السبيل لإحقاق الحق وإبطال الباطل هو الجهاد في سبيل الله، وأن كف بأس الكفار يكون بالجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾.

اللهم فرج عن علمائنا في كل مكان، فرج عن الشيخ عمر عبد الرحمن في سجون أميركا، اللهم أرحم ضعفه وشيبته، اللهم فرج عن علمائنا في جزيرة العرب وغيرها من

البلدان، اللهم فرج عن الشيخ سعيد بن زعير وإخوانه من سجون بلاد الحرمين، اللهم فرج عن شباب الإسلام في كل مكان، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

فهؤلاء الرجال أرادوا أن يعدوا جوابا ليوم الحساب، أخرجهم من بيوتهم الإيمان بالله واليوم الآخر واتباع محمد ﷺ، وعلموا أن سيل الأعذار الذي يقدمه المعَذِرُونَ من الأعراب لا يغني عنهم شيئاً.

كيف يصدقونهم والأندلس منذ خمسة قرون لم تعد؟

كيف يصدقونهم وفلسطين منذ تسعة عقود تقريباً والإعداد لم ينته؟

كيف يصدقونهم ومعسكرات الإعداد وميادين الجهاد في أفغانستان فتحت لأكثر من عشرين سنة! لم يكلفوا أنفسهم هؤلاء أن يغبروا أقدامهم في سبيل الله.

وإن هؤلاء الشباب قد أقاموا الحجة على وجود القدرة بالنكاية برأس الكفر، فعلى شباب الإسلام أن يتبعوا منهج محمد ﷺ في الجهاد، حيث إنه متعين اليوم.

إلى إخواننا في فلسطين نقول لهم: إن دماء أبنائكم هي دماء أبنائنا، وإن دماءكم دماؤنا فالدم الدم والهدم الهدم، ونشهد الله العظيم أننا لن نخذلكم حتى يتم النصر أو نذوق ما ذاق حمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنه.

كيف يقعد الشيخ عبد العزيز الزهراني -أبو العباس- وهو يحفظ من مورثه خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام حديثه كما في الصحيح: «والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو

في سـبيل اللّه أبداً»، كيف يقعد وهو يردد قول رسـول الله ﷺ في الحديث نفسـه: «والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سـبيل اللّه فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل». ...

هذا التدريب هو الجهاد من أجل لا إله إلا الله فإن إخوانكم في فلسطين ينتظرونكم على أحر من الجمر، وينتظرونكم في أن تثخنوا في أميركا وإسرائيل فأرض الله واسعة ومصالحهم منتشرة، فابذلوا أقصى ما تستطيعون لضربهم لتكون كلمة الله هي العليا.)

وقال -رحمه الله- في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شـهور مِن الضـربات المباركة": (وفي الحديث عن نبينا عليه الصـلاة والسـلام هذا حديث الغلام، عندما أخذ الغلام الحجر وكان مازال قليل العلم وهو يتردد بين السـاحر والراهب، وقطعت الدابة الطريق على الناس. قال اليوم أعلم أيهما أفضل الراهب أم السـاحر، كان من قلة علمه لم يفقه بعد أيهما أفضل وتطمئن نفسه.

فسـأل الله أن يريه أيهما أفضـل، فإن كان الراهب أحب إلى الله سـبحانه وتعالى فليقتل هذه الدابة، فأخذ حجرا ورمى الدابة فقتلها، فجاء الراهب إلى الغلام وقال: «يا بني إنك اليوم أفضـل مني، هذه الكلمة رغم علم الراهب وجهل الغلام ولكن نوّر الله سبحانه وتعالى قلب هذا الغلام بنور الإيمان وبدأ يضحي من أجل لا إله إلا الله». هذه الكلمة العزيزة نادرة ينتظرها شـباب الإسـلام من علمائهم؛ أن يقولوا لهؤلاء الذين حملوا رؤوسـهم على أكفهم من أجل لا إله إلا الله أن يقولوا لهم قولة ذلك العالم لذلك الغلام، إنكم اليوم أفضل منا.

هذه هي الحقيقة فميزان التفضـــيل في هذا الدين هو كما في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام، ميزان الإيمان ليس جمع العلم فقط بل جمع العلم والعمل به، فميزان الإيمـان "فمن جاهـدهم بيـده فهو مؤمن" كمـا قـال عليـه الصـــلاة والســـلام: «ومن جاهدهم بلســـانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان»؛ فهؤلاء جاهدوا الكفر الأكبر بأيديهم وأنفســهم نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء.

هؤلاء، كما قال عليه الصــلاة والســلام: «ســيد الشــهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل..» -رجل هنا نكرة ولكن نور الله قلبه بالإيمان- «ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فزجره فقتله»، كما في صحيح الجامع.

هذا فاز فوزا عظيما لم يدرك التابعين بل لم يدرك الصـحابة الكرام رضـي الله عليهم، وإنما رفعه الله سبحانه وتعالى إلى منزلة سيد الشـهداء فهذا أمر حض عليه رسـولنا -عليه الصلاة والسلام- فكيف يمكن لمسلم عاقل أن يقول ماذا استفاد هذا، هذا ضلال مبين نسأل الله العافية.

فهؤلاء الفتية فتح الله عليهم أن يقولوا لرأس الكفر العالمي لأميركا ومن حالفها أنتم على باطل وأنتم على ضلال، وضحوا بأنفسهم من أجل لا إله إلا الله.)

الحرص على طلب العلم والتعليم والدعوة

إن من ركائز نجاح الدعوات وقيام الدول وصـلاح المجتمعات الاهتمام بالعلوم النافعة ونشـــرها والدعوة إلى ما يحتاجه الناس من هذه العلوم وما اشـــتملت عليه من خير وصلاح في دينهم ودنياهم

قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [الحديد: ٢٥].

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (فإن الله أرســـل رســـله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصــر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقســـط، فأي طريق اســـتخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها.) [إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤/٢٨٤]

فالعلوم النافعة التي تســـاهم في قيام العدل ومحاربة الظلم فتحفظ الأمة بها دينها وســلطانها وتدفع بها صـيال المعتدين وتزيل بها العقبات التي تحول بينها وبين بســط سلطان الله في الأرض ينبغي على الأمة تحصيلها ونشرها..

وقد شغل هذا الأمر (الحرص على طلب العلم والتعليم والدعوة على بصيرة) مكانة كبيرة في منهج الإمام مجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله-.. وأخذ أشـكالا عديدة وطرقاً متنوعة وفي ذلك قال الإمام المجدد -رحمه الله- في "العلماء ورثة الأنبياء": (وهذه المنزلة العظيمة للعلماء في الإسـلام نابعةٌ من عِظَم الدور وأهمية المسـؤولية الملقاة على كاهلهم بمقتضـى ميثاق بيان الحق الذي أخذه الله عليهم وميراث النبوة الذي ورثوه، ومن هنا تأتي خطورة النيل منهم والتنقيص من قدرهم، لما في ذلك من الطعن في العلم الذي يحملونه، والحق الذي يدعون إليه الذي هو ميراث النبوة والطعن فيه طعن في الإسـلام ذاته، كما أن الطعن في العلماء مقدمة لتحطيم مصـداقيتهم، وإفراغ الأُمَّة من القيادات الشـرعية والموجهة، وما سـيترتب على ذلك من تصـدر الجهال وسـيادتهم في الأُمَّة وإفتائهم للناس بغير علم وضـلالهم وإضـلالهم بذلك. ولهذا حذر أهل العلم من الطعن في العلماء شـديد التحذير، قال ابن عسـاكر: (واعلم أن لحوم العلماء مسـمومة، وأن أحوال الله في هتك منتقصـيهم معلومة، وأن من تكلم فيهم بالثلب، أصابه الله قبل موته بموت القلب.))

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "رسـالة إلى الأمة الإسـلامية بعد عام؛ الفشـل الأمريكي في أفغانسـتان": (وإذا كان للأمة واجباتها الجماعية، ودورها الكلي الذي يتحتم عليها ان تقوم به مجتمعة، فإن هنالك فئات لها دور خاص يجب عليها القيام به بشكل خاص.

وفي مقدمة هذه الفئات فئة العلماء والدعاة الذين هم ورثة الأنبياء، وحملة أمانة العلم وما يترتب على ذلك من واجب الدعوة وفريضة البلاغ.

ولذلك رفع الله منزلتهم وأعلى من شأنهم فقال: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾.

فيا أيها العلماء الصادقون والدعاة والمصلحون:

أنتم الذين يجب أن تتقدموا الصفوف، وتقودوا الأمة، وتوجهوا المسيرة؛ فذلك هو مقتضى وراثتكم للنبوة.

إن واجبكم الأول هو بيان الحق للأمة، والصدع به في وجوه الظلمة دون مواربة أو خوف؛ فذلك هو مقتضى الميثاق الذي أخذه الله عليكم ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ..**﴾.

إن أهمية وظيفتكم هذه تنبع من خطورة عملية التدليس والتضليل التي يمارسها علماء السلطة وسدنة الحكام من المتاجرين بالدين الذين لبّسوا على الأمة أمرها، وباعوا دينهم بعرض من الدنيا.

إن عليكم أن تؤجلوا كل خلاف يعوق عن العمل، وكل نزاع يؤدي إلى الفشل، وعليكم أن تحسموا الشك باليقين، والتردد بالعزم، وأن تسارعوا وتبادروا، فإن عجلة الأحداث لن تنتظر أحداً.

إننا ونحن نوجه إليكم هذا النداء نستنهض هممكم ونستحث عزائمكم، ندرك تماماً أن هنالك بعض الخلافات في مناهج التغيير بين العاملين للإسلام لا يمكن تجاهلها، ولكن من غير المقبول ولا من المعقول أن نظل حبيسين لبعض الخلاف في المسائل

الجزئية والقضايا الفرعية معطلين العمل بمحكمات الدين وكليات الشرع في مثل هذه الفترة العصيبة من تاريخ الأمة.)

قال الإمام المجدد في "شرح حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه-": (هذا الحديث يُدرَّس للمسلمين ويعلّم أهلَ الإسلام العلم فهذا من نعم الله علينا، ولكن شباب الإسلام يحتاجون أن يُعلَّموا -مع العلم- العملَ بهذا العلم، أن يصدعوا بالحقِّ من أجل لا إله إلا الله فتكتمل المسألة، أمَّا أن تعلم العلم ولا تعمل به فهو حجَّة عليك، لا بدَّ من الأمرين علم وعمل بهذا العلم، فثمرة العمل الخشية، خشية الله سبحانه وتعالى، وثمرة العلم أن نعمل على السبيل الذي بيَّنه محمَّد ﷺ لننال رضوان الله سبحانه وتعالى.)

وقد ألقى الضوء على هذا الجانب من منهج وحياة الشيخ أسامة بن لادن الدكتور الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- في "أيام مع الإمام" فقال: (هذه قصة الشيخ والعلم والتعليم هذا جانب ربما تعرَّضت إليه في بعضٍ منه في كتاب فرسان تحت راية النبي في الطبعة الثانية، ولكن هذا جانب ما أخذ حقه من التعريف، يعني حرص الشيخ على نشر الدعوة والتعليم، فالشيخ أحضر مدرِّسًا مخصوصًا لأولاده ليعلمهم القرآن، هذا المعلم لم يكن معلِّمًا عاديًا كان عالمِا من أفاضل علماء شنقيط، وكان ضليعًا في علوم اللغة العربية وفي القراءات وفي رسم المصحف، وإخوة كثيرون استفادوا منه، وأنا نفسي استفدت منه، هو شيخي، وقد ذكرت بعضًا من سيرته العطرة في كتاب "التبرئة".)

وقال لإمام المجدد -رحمه الله- في مقابلة جمال إسماعيل: (فالشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله كان يجاهد في باب الدعوة والتحريض ونحن كنا في جبال بكتيا في الداخل، وهو يرسـل لنا الشـباب ونأخذ بتوجيهاته وبما يأمرنا به عليه رحمة الله، ونرجو الله سـبحانه وتعالى أن يتقبله شـهيداً وابنيه محمد وإبراهيم وأن يعوض الأمة بمن يقوم بالواجب الذي كان يقوم به.)

بيان منزلة العلماء في الشريعة

وقد كان من حرص الإمام المجدد -رحمه الله- على طلب العلوم النافعة ونشرها بيان منزلة العلماء في الشـــريعة فقال -رحمه الله- في "العلماء ورثة الأنبياء": (فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وحماة الدين الذين ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين وشأنهم شأن عظيم، ودورهم في الأُمَّة دور كبير.

ونظراً لمكانة ومنزلة العلماء في الإســـلام، وأهمية الدور وعظم المهمة المكلفين بها، ووعياً بخطورة الخلط في هذا المقام بين العلماء العاملين المرابطين على ثغور هذا الدين ممن لا تأخذهم في الله لومة لائم، وبين المنتسبين إلى العلم من الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، وضـــرورة التفريق بين الطائفتين، وعملاً على توضـــيح الحكم الشرعي في حدود طاعة واتباع وتعظيم العلماء، وتبياناً للأسلوب الشرعي في بيان أخطائهم وزلاتهم، وسـعياً لإصـلاح العلاقة بين العلماء وجموع العاملين للإســلام، ارتأينا تناول هذا الموضوع على النحو التالي:

مكانة العلماء في الإسلام:

إن مما هو معلوم أن العلم الشــرعي هو ميراث النبوة، وأن حملته العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذلك نالوا ما نالوا من الفضل الذي وصفهم به الله ورسوله، فقد رفعهم الله درجات عظيمة على من ســواهم، قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾، وثلث بشــهادتهم بعد شــهادته هو وملائكته على

وحدانيته فقال: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

ونفى أن يستووا مع غيرهم فقال: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾، وأثنى عليهم الرسول ﷺ فقال في وصفهم: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر، العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر» رواه أبو داود والترمذي والدارقطني.

وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» رواه الترمذي.

وهذه المكانة التي أعطاها الله ورسوله للعلماء عرفها سَلَفُ الأُمَّة لهم فقال الأوزاعي رحمه الله: (الناس عندنا أهل العلم ومن سواهم فلا شيء) وقال سفيان الثوري رحمه الله: (لو أن فقيهاً على رأس جبل لكان هو الجماعة.)

وهذه المنزلة العظيمة للعلماء في الإسلام نابعةٌ من عِظَم الدور وأهمية المسؤولية الملقاة على كاهلهم بمقتضى ميثاق بيان الحق الذي أخذه الله عليهم وميراث النبوة الذي ورثوه، ومن هنا تأتي خطورة النيل منهم والتنقيص من قدرهم، لما في ذلك من الطعن في العلم الذي يحملونه، والحق الذي يدعون إليه الذي هو ميراث النبوة والطعن فيه طعن في الإسلام ذاته، كما أن الطعن في العلماء مقدمة لتحطيم مصداقيتهم، وإفراغ الأُمَّة من القيادات الشرعية والموجهة، وما سيترتب على ذلك من تصدر الجهال وسيادتهم في الأُمَّة وإفتائهم للناس بغير علم وضلالهم وإضلالهم بذلك.

ولهذا حذر أهل العلم من الطعن في العلماء شـــديد التحذير، قال ابن عســـاكر: (واعلم أن لحوم العلماء مســمومة، وأن أحوال الله في هتك منتقصــيهم معلومة، وأن من تكلم فيهم بالثلب، أصابه الله قبل موته بموت القلب.)

نعم؛ تلـك هي مكـانـة أهـل العلم ومنزلتهم وذلـك بعض من آثار النيـل منهم وتنقيصهم، فمن هم أهل العلم هؤلاء؟)

العلماء الصادقون
والفرق بينهم وبين علماء الباطل

يتابع الإمام المجدد -رحمه الله- كلامه عن العلماء ويبين لنا حال العلماء الربانيين والفرق بينهم وبين علماء السـوء فقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "العلماء ورثة الأنبياء": (كل النصـوص التي تتحدث عن العلماء وفضـلهم، ومكانتهم ومنزلتهم، وتحذر من النيل منهم، تقصـد فئة العلماء العاملين الناهضـين بأعباء ميراث النبوة، الموفين بمقتضى الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالجهر بالحق وبيانه، والصدع به وعدم كتمانه، فالعلماء بالمعنى الشرعي كما قال الإمام الشافعي: (هم العلماء العاملون.)

وبقدر ما رفع الله من شـأن هؤلاء حط وخفض من منزلة غيرهم من علماء السـوء الذين يشـترون بآيات الله ثمناً قليلاً، وقص علينا في القرآن من شـأن هؤلاء ما فيه عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السـمع وهو شـهيد، فذكر في سـورة الأعراف مثلاً لهؤلاء هو ذلك العالم الذي آتاه الله آياته وعلمه اسمه الأعظم -كما يقول المفسرون- لكنه لم يقم بحق العلم، بل أَخلدَ إلى الأرض واتبع هواه وانغمس في شـهواته، وبدلاً من أن يرشد قومه إلى سبل الخير دلهم على سبل الشر، فاستحق ما وصفه الله به في نهاية الآيات: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِـئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُـصِ الْقَصَـصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، وبغض النظر عن اسـم هذا

الرجل الذي قيل أنه بلعام بن باعوراء، فإن الآية كما يقول القرطبي: (عامة في كل من تعلم القرآن ولم يعمل به، وألا يغتر أحد بعلمه ولا بعمله.) وضرب الله مثلاً آخر بعلماء اليهود الذين لم يعملوا بمقتضى العلم الذي حملوه، فقال في شأنهم: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، وقال في شأن علماء أهل الكتاب الذين استخدموا علمهم لأغراض دنيوية: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾، وقال فيهم أيضاً: ﴿**إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، وصدُّ علماء السوء عن سبيل الله يكون بأحد أمرين:

١. عدم عملهم بعلمهم، وهذا صدٌّ عملي للناس عن الحق لأن العامة يقتدون بالعلماء الذين يمثلون بالنسبة لهم القدوة الحسنة والأسوة المثلى.

٢. تحريفهم لآيات الله واشتراءهم بها ثمناً قليلاً، وهذا صدٌّ علمي بتحريف الكلم عن مواضعه، وتأويل الأحكام اتباعاً للهوى، وتجميع الرخص، والمداهنة في دين الله تبارك وتعالى.

ومع ما قَصَّهُ الله من خطورة شأن هذه الفئة من علماء السوء على دين الله تبارك وتعالى، فإن مختلف العصور التاريخية تؤكد وتعضد هذه الحقيقة، ولسنا بحاجةٍ

للتنقيب في أسفار التاريخ البعيد، ففي الماضي القريب والحاضر المشاهد أمثلة حية تغني عن ذلك ومنها:

المثال الأول: عندما تبنى الهالك جمال عبد الناصر الملة الاشتراكية، وألزَمَ الناس بها بقوة الحديد والنار، وبدلاً من أن يقف الأزهر وعلماؤه -المعروفة مواقفهم التاريخية لنُّصرة الإسلام والدفاع عنه- في وجه هذا الطاغية ومِلته الخارجة عن الإسلام، قام شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت بالترويج لهذا المذهب الهدّام، والدعاية له باسم الإسلام من خلال برنامجه الإذاعي اليومي "الاشتراكية والحياة" فضل بسبب ذلك كثير من المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المثال الثاني: وعندما قرر نفس الطاغية إعدام نخبة من خيرة رجال ودعاة مصر في ذلك الوقت ١٩٥٤ وهم عبد القادر عودة وإخوانه، استصدر فتوى من الأزهر بذلك فجاءته جاهزةً تقول: "إن هؤلاء كفار لا تقبل توبتهم." وقد جاء الطاغية عبد الناصر بهذا المفتي بعد أن رفض الشيخ محمد خضر حسين أن يفتيه بتلك الفتوى التي ما هي إلا مثالٌ لفتاوى تصدر اليوم داخل الجزيرة وتعرض وتصرح أحياناً بأئمة الدعوة وعلمائها من أمثال الشيخ سلمان وسفر... وغيرهم.

إن مثل هذه المواقف من هذه الفئة من علماء السوء هي التي شجعت أهل الباطل على باطلهم، وخذلت أهل الحق عن حقهم، وطعنت في دين الله ومَيَّعَت عقيدة التوحيد والولاء والبراء، وعملت على انتشار مذاهب الضلال وعقائد الإلحاد، كل ذلك مقابل ثمنٍ بخس، دراهم معدودة باع بها هؤلاء دنياهم وآخرتهم بدنيا غيرهم ولا

حول ولا قوة إلا بالله. لقد صدق عليٌّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– عندما قال: (قصم ظهري رجلان: عالمٌ متهتك، وجاهل متنسك.)

إن فســاد الدين أســاســه فســاد فئتين من الناس هم العلماء والحكام كما قال ابن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

وفساد الحكام سببه فساد العلماء، وفساد العلماء سببه الإخلاد إلى الأرض وحب المال والجاه، يقول أبو حامد الغزالي واصـــفاً حال علماء عصـــره بعد أن ذكر من مواقف علماء السلف وتضحيتهم في سبيل الحق وعدم اكتراثهم ببأس السلاطين: (وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم، فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ، ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفســاد الملوك بفســاد العلماء، وفســاد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن اســـتولى عليه حب الدنيا فلم يقدر على الحســـبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر، والله المستعان على كل حال.) [إحياء علوم الدين ٢/٩٧].

إن ما سبق من النصوص والنقول يُبَيِّنُ بكل جلاء أن الوقوف لهذه الفئة من علماء السوء بالمرصاد لكشف باطلهم وتعرية ضلالهم وفضح مخططاتهم، يأتي في مقدمة أولويات العمل للإســـلام والدفاع عنه والســـعي في التمكين له، وما وقوف علماء الإسلام ضـد علماء البدع والضلال والأهواء ومناظرتهم لهم وردهم عليهم إلا أمثلة للقيام بهذا الواجب، ومن المواقف المشـــهورة في هذا المقام مواقف الإمام أحمد ضـد

المعتزلة ومواقف ابن تيمية من الفرق الضالة، وموقف الشيخ الخضر حسين شيخ الأزهر -رحمه الله- ضد مبادئ الاشتراكية العلمانية وطغاة مصر في عهده.

إن الرد على هذه الفئة من علماء السوء باب مستقل عن الرد على أخطاء العلماء الحقيقيين، لأن علماء السوء من جنس أعداء الدين، وليسوا داخلين في مسمى أهل العلم بالمعنى الشرعي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذي لا يهابون في الحق سلطاناً جائراً ولا حاكماً كافراً، وهذا التفريق بين الفئتين ضروري قبل أن ندخل في فقرة أحكام وحدود طاعة واتباع وتعظيم العلماء في الإسلام وذلك حتى لا يحصل اللبس أو الخلط.

وقال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (وفي هذا المجال لابدّ من الحديث أننا إذا عرفنا علماء السوء وعلماء السلاطين ينبغي البحث بجد واجتهاد عن الصادقين من العلماء، عن الذين يصدعون بالحق ولا يخافون لومة لائم، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾، فينبغي الالتفاف حولهم والتشاور معهم في نصرة لا إله إلا الله والعمل لتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

والصادقون من العلماء لهم صفات، والصادقون بيّن الله سبحانه وتعالى صفاتهم في كتابه الكريم قال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ فمن أبرز صفات الصادقين:

١. صفة الإيمان.

٢. وصفة الجهاد في سبيل الله.

وهذا المعنى نجده يتكرر، ويقترن الصدق مع الجهاد، ومع النصرة، ومع قول الحق، والصدع به، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾، الذين يهاجرون والذين ينصرون الله ورسوله ويجاهدون في سبيل الله هؤلاء في سبيل الله وللتمكين لدين رسول الله ﷺ فهؤلاء هم الصادقون.

ومن أعظم الجهاد كلمة الحق والصدع بها، كما مضى معنا في الحديث عن نبينا عليه السلام: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، فالعلماء الذين يصدعون بالحق؛ هؤلاء هم الصادقون وهذه صفتهم.

أما الذين يرون أن الحكّام قد والوا الكفار، ويرون الحكام قد حكموا بغير ما أنزل الله، هؤلاء الذين يمدحون الطواغيت؛ ألا يرون أبراج البنوك الربوية؛ التي هي حكم بغير ما أنزل الله؟! وإعراض عن منهج الله بجوار الحرم؟! هذا الإلحاد قرب بيت الله الحرام، والإلحاد في الحرم ليس المقصود به فقط الكفر، وإنما كما في الحديث الذي مر معنا -في حديث صحيح البخاري-: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة»، قال: «ملحدٌ في الحرم»، قال أهل العلم: الكبيرة في الحرم تعتبر إلحاداً، وذُكِرت هنا بمعنى إلحاد للتشنيع عليها وللتهويل عليها حتى يبتعد الناس عنها.

فأبرز صفات الصادقين؛ الجهاد باليد وباللسان، وقد يكون الإنسان صادقاً وهو ينكر بقلبه، ولكننا لا نعرفه ولا نتعرف عليه وإنما نتعرف على الذي ينكر بيده وبلسانه.

وهنا ينبغي أن نؤكد على شباب الصحوة ما مر معنا؛ أن فيهم من الطاقات ما يكفي وزيادة لإقامة الحق، ولإقامة دولة الإسلام، ودولة الخلافة، ولكن ينبغي أن يتحرروا ويحرروا عقولهم من التقليد الأعمى، فقد صح عن نبينا عليه السلام أنه قال: «لا تكونوا إمعة، تقولون؛ إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم؛ إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» رواه الترمذي وحسنه.

وسأذكر لكم قصة ذات مغزى كبير أن أولي الألباب والنهى إذا قلدوا مَن أمامهم دون أن يتدبروا، فقد يضيع منهم خير عظيم، بل قد تضيع عليهم الآخرة -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمر بن العاص، وعمرو بن العاص من دهاة العرب المعدودين، وخالد بن الوليد عبقري في الحروب، ومع ذلك تأخر إسلامهما لأكثر من عشرين سنه تقريباً، والنور بين يديهم، ورسول الله ﷺ ثلاثة عشرة سنة بين أظهرهم في مكة ولا يرون هذا النور مع شدة ذكائهم ونباهتهم، فماهوا السبب؟!

السبب؛ التقليد الأعمى، كانوا ينظرون إلى أولئك الرجال العظام في قريش -أهل الندوة- ويقتدون بهم، وعطّلوا عقولهم، فلما أسلم خالد وعمرو بن العاص قبل الفتح بشيء يسير -أي قريباً من عشرين سنة منذ بعثت محمد ﷺ- فقال له بعض أصدقائه: (أين كان عقلك يا خالد ولم تر هذا النور لعشرين سنة؟)،

فقال كلمة ينبغي التوقف عندها كثيراً للمقلدين، قال: (كنا نرى أمامنا رجالاً كنّا نرى أحلامهم كالجبال) -الوليد بن المغيرة، وعمرو بن هشـــام، وعتبة وشـــيبة ابني ربيعة، والعاص بن وائل الســـهمي، وأمية بن خلف- قوم عبّأوا على الناس عقولهم أنهم هم الذين يعرفون الصواب، وكانوا يقودونهم إلى المهلكة في الدنيا والآخرة.

فلما حرر خالد عقله نفع الله به وتفجرت طاقات، فكان سيفاً من سيوف الله فتح الله به أرضاً عظيمة في بلاد فارس وفي بلاد الروم.)

وقال -رحمه الله- في "الذكرى الســنوية الأولى لغزوة منهاتن (مناقب وأسماء الأبطال التســعة عشــر)": (الشــيخ أبو العباس، عبد العزيز العمري الزهراني: قدوة العلماء المعاصـرين، وبقية الســلف الغابرين، العالم العامل، صــان العلم عن وظائف الطغاة، وحرره من أن يكون أسيرا لمرتباتهم.

حفظ أبو العباس القرآن، وحفظ صــحيحي البخاري ومســلم، وطائفة أخرى من أحاديث رســول الله ﷺ، نظر في ســبب جمع القرآن بين دفتي المصــحف، فوجد العمل بالقرآن هو الســبب، لما اســتحر القتل في الحفظة يوم اليمامة، فكان أهل القرآن وأهل الحديث يتسابقون في الذود عن لا إله إلا الله، ويتسابقون في الجهاد في سبيل الله، فشتان شتان بين السلف رضي الله عنهم، وبين من يدعون الانتماء بدون عمل.

قرأ قصة سالم، مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، يوم اليمامة، يوم تصادمت الزحوف، وتضـعضـعت الصـفوف، فلما حمل الراية سـالم رضـي الله عنه، قال له بعض القوم:

نخشى أن نؤتى من قبلك يا سالم، قال قولته المشهورة التي ترن في آذان أصحاب القلوب الحية، قال: بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قبلي، هكذا كان أهل العلم، وهكذا كان أهل القرآن وأهل الحديث.

فنرك عبد العزيز الزهراني -أبو العباس- تصدر المجالس لإعطاء الدروس، وذهب وحمل الراية يوم تحطيم الأصنام في أمريكا، ولم يؤت المسلمين من قبله، وكان فعله أكثر أثراً من ملايين الكتب في توضيح عقيدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين.

أبو العباس جدد معنى العالم الرباني، وأعاد الأمر إلى أصله كما كان السلف؛ يحتسبون ولا يتوظفون، نفر من الطغاة ووظائفهم، أدرك منهج السلف رضي الله عنهم، وفقه وعلم أن فضل العلم مقيد بالعمل به، فلم يتخذ العلم عملاً، وإنما طلب العلم ليعمل به على بصيرة.

فهؤلاء الرجال أيقنوا أن السبيل لإحقاق الحق وإبطال الباطل هو الجهاد في سبيل الله، وأن كف بأس الكفار يكون بالجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾.

اللهم فرج عن علمائنا في كل مكان، فرج عن الشيخ عمر عبد الرحمن في سجون أميركا، اللهم أرحم ضعفه وشيبته، اللهم فرج عن علمائنا في جزيرة العرب وغيرها من البلدان، اللهم فرج عن الشيخ سعيد بن زعير وإخوانه من سجون بلاد الحرمين، اللهم فرج عن شباب الإسلام في كل مكان، إنك ولي ذلك والقادر عليه.)

علاقة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- مع العلماء

خير من يحدثنا عن هذا الجانب من حياة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- ومنهجه في ذلك رفيق دربه وخليفته في دعوته الدكتور الظواهري حيث سرد جانباً مهماً يوضح مَعْلما بارزاً وركيزةً من ركائز دعوته جهاده بالرجوع إلى العلماء والتواصل والتناصح والتشاور معهم كما هو منهج الأئمة المجددين فقال الدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله حياً وميتاً-: في "أيام مع الإمام": (أريد أن أتحدث اليوم إليكم عن علاقة الشيخ بالعلماء.

كثير من الناس يتكلمون عن المجاهدين والعلماء وأن المجاهدين في جفوة مع العلماء، أو أن المجاهدين لا يحترمون العلماء ولا يقدِّرون العلماء أو ينقصهم العلم، إلى آخر هذه الأشياء.

فأنا أريد أن أوضح بعض هذه الجوانب الطيبة من علاقة الشيخ أسامة بن لادن مع العلماء.

الشيخ أسامة بن لادن بدأ حياته ملتزمًا من بداية شبابه، وحتى من صباه كان ملتزمًا بتعاليم الإسلام، وكان طالبًا للعلم، حضر كثيرًا من حلقات العلم مع العديد من المشايخ، ولكن الشيخ أسامة بن لادن انشغل بالجهاد، فقد نفر للجهاد في أثناء دراسته الجامعية ولم يتفرغ لطلب العلم؛ لأن الجهاد أخذ عليه نفسه كلها وشغله شغلًا تامًّا، ولكن في هذا الشغل لم يترك الشيخ طلب العلم ولا الاهتمام بنشر العلم

والتعليم، وهذه لعلنا نذكر منها جوانب، ولعلي قد ذكرت منها جوانب في كتابي: "فرسان تحت راية النبي"، عن النشاط الدعوي والعلمي للشيخ أسامة بن لادن في أفغانستان والمعاهد التي كان ينشئها وهذه الأشياء.

ولكن أنا أريد أن أتكلم عن علاقة الشيخ أسامة بن لادن أولًا بعلماء الجزيرة، ثم بعلماء أفغانستان، ثم بعلماء باكستان، فقد حضرتُ بعضًا من هذه المواقف، وذكر لي الشيخ أشياء منها، فأذكر مما ذكره لي الشيخ -رحمه الله- عن علاقته بعلماء الجزيرة أنه كان يحرِّضهم على النفير للجهاد وكان يحرضهم على إخراج الفتاوى بوجوب الإعداد لأن الأمة المسلمة مقصودة وأعداؤها يحيطون بها من كل جانب، وأمة محتلة، وأمة وجب الجهاد عليها عينيًّا منذ أن سقطت الأندلس.. كل هذه المعاني كان الشيخ يحرِّض العلماء على أن يخرجوها في فتاوى.

فذكر لي الشيخ مرة -رحمه الله- أنه التقى بالشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-، والشيخ محمد بن عثيمين له تزكية خاصة في الشيخ أسامة بن لادن مسجلة حتى ومنشورة، رحم الله الجميع، فقال لي أني قد تكلمت مع الشيخ محمد بن عثيمين وقلت له: يجب يا فضيلة الشيخ أن تخرجوا فتوى في وجوب الإعداد في سبيل الله من هيئة كبار العلماء. فالشيخ محمد بن عثيمين قال له بصراحة: يا أسامة نحن لا نخرج فتوى إلا إذا جاءنا أمر من المقام السامي. يعني إذا جاءهم أمر من الملك، ففهم الشيخ القصة.

كان الشـيخ له علاقة قوية أيضًـا بعلماء الصـحوة، شـباب العلماء الذين حركوا الصـحوة الإسـلامية في الجزيرة، فكان الشيخ يأمل فيهم كثيرًا، وخاصـة بعد حرب الخليج الأولى.

فكان الشـيخ يحرضـهم على الهجرة في سـبيل الله، ويقول لهم أن الهجرة هذه من ضرورات الجهاد، ومن ضرورات الدعوة، وأنها من سنن المرسلين والمصلحين وأتباع المرسـلين، ويجب عليكم أن تهاجروا؛ لأن الحكومة لن تترككم وسـوف تضـطهدكم وسوف تسجنكم وتعتقلكم وتكمم أفواهكم، ويجب عليكم أن تُخرجوا منكم نفرًا أو طائفة تهاجر في سـبيل الله حتى إذا ضُـيِّق عليكم في الداخل كان لكم صـوت في الخارج، قال الشـيخ: أنا بذلت معهم جهدًا كبيرًا. وأذكر كلمة للشـيخ قالها لي وللإخوة، قال الشـيخ رحمه الله: ليس هناك اسـم تعرفونه أو لا تعرفونه من علماء الجزيرة إلا ودعوته للهجرة في سـبيل الله. وكانوا يعتذرون له بأعذار مختلفة وهكذا، وكان الشيخ يخوِّفهم من الذي سيحدث، وكان الشيخ -ما شاء الله- عنده بصيرة، وقع ما توقعه الشيخ رحمه الله، فكان يقول لهم: سـوف تضـطهدون وسـوف تكمم أفواهكم وسوف تسجنون، ففي الأخير قال لي الشيخ أن أحدهم قال له: يا أسامة إذا نحن ضُيِّق علينا فأنت صوتنا في الخارج. وفعلًا وقع ما توقع الشيخ، تعرفون جميعًا الأحداث واعتقالهم وما حدث معهم من تحقيقات واعتقالات واسـتمرت قرابة أربع سنوات أو أكثر، وكان الشيخ في هذه الفترة يتحدث باسمهم وينشر ما يتعرضون له من مظالم وهذه الأشياء ثم بدأت الحكومة تفرج عنهم.

وأذكر أني مرة بلغني أنّ أحد هؤلاء المشـــاهير قد أُفرج عنه، وذكرت ذلك للشـــيخ -وهو طبعًا كان يعرف قبلي وكان يعرف تفاصيل أكثر- فجئت للشيخ فرحًا أقول: الحمد لله أفرج عن الشيخ فلان وهكذا وإن شاء الله يكون فيه خير، فالشيخ سكت هكذا وقال لي: أنت لا تعرف شـيئًا، قلت: خيرًا ما هو؟ قال: هناك أشـياء أنا لا أريد أن أتحدث بها أمام الإخوة بخصـوص هذا الرجل، قلت: خيرًا، قال: هذا الرجل قد احتوته الحكومة، وهذا الرجل خرج يمدح محمد بن نايف، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال: أنت لا تعرف الذي حصـل في السـجون، الحكومة حولت السـجن إلى اعتقال فاخر واحتوتهم وانقلب كثير منهم داخل السجون، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال: نعم.

ثم للأسف أحد هؤلاء الذين انقلبوا خرج مرة -وهو يخرج كثيرًا على الفضائيات وما أدراك هذه الأشياء- خرج مرة وقال: أنا أبرأ إلى الله من أسامة بن لادن. فتعجبت، ســبحان الله العظيم، يا أخي أنا لا أملك إلا أن أدعو الله ســبحانه وتعالى لك أن يردك إلى الحق ردًّا جميلاً وأن يرزقك شـهادةً كشـهادة أسـامة بن لادن وأن يتقبلها منك.

واحد آخر من مدعي الوعظ والإرشـاد خرج مرة على الفضـائيات فقال: أسـامة بن لادن هذا غويٌّ مبين، وقال له إنك لغويٌ مبين، هذا على الفضـائيات. سبحان الله العظيم، أســامة بن لادن غويٌّ مبين! وحســني مبارك وعبد الله بن عبد العزيز أمراء المؤمنين؟! سـبحان الله سـاء ما يحكمون! يا أخي أنا أدعو الله سـبحانه وتعالى أن يردك إلى الحق ردًّا جميلًا وأن يرزقك شهادةً كشهادة أسامة بن لادن أو كشهادة أبي

دجانة الخراساني، رحمة الله على شهداء المسلمين. هذه بعض وقفات مع علاقة الشيخ أسامة بن لادن مع علماء الجزيرة.

كان للشيخ أسامة بن لادن علاقة قوية بعلماء أفغانستان وخاصةً بالمجاهدين منهم، وقد منَّ الله على أفغانستان بأن كان فيها علماء ومجاهدون، أول ما نذكر علاقة الشيخ بعلماء أفغانستان لا بد أن نذكر علاقة الشيخ بالشيخ يونس خالص -رحمة الله عليه- هذا العالم المجاهد، طبعًا الشيخ علاقته بالشيخ يونس علاقة قديمة، ولكن من أبرز معالم هذه العلاقة: إيواء الشيخ يونس خالص للشيخ أسامة بن لادن في جلال آباد لما طردته الحكومة السودانية عليها من الله ما تستحق -وسوف نأتي قضية السودان هذه إن شاء الله نفرد لها جانبًا وكيف أنهم أنكروا جميل الشيخ- فاستقبله الشيخ يونس خالص أحسن استقبال وأكرمه، وأذكر أن الشيخ أسامة بن لادن لما نزل إلى جلال آباد في جوار الشيخ يونس خالص -رحمة الله عليه- قال: أردت مرة أن أتحدث إلى الإعلام فقلت للشيخ يونس تأذن لنا أن نتحدث إلى الإعلام؟ قال: كيف تستأذنني هذا شيء إذا تراه واجبًا عليه افعله لا تستأذنني في شيء.

ويذكر لنا الشيخ أسامة -رحمة الله عليه- أنّ الشيخ يونس خالص جاءه السفير السعودي في باكستان وقال له: أنت تؤوي أسامة بن لادن وهذا رجل خطير وهذا رجل إرهابي، وهذه الأشياء ظل يذكرها له، فبماذا أجابه الشيخ يونس خالص كما حكى لنا الشيخ أسامة؟ قال له: يا أخي لو جاءتنا الأنعام من بلاد الحرمين لآويناها فكيف لا نؤوي المجاهدين؟! فأرجعه خاسرًا على عقبيه، الحمد لله.

وظل الشـيخ يونس خالص على هذه العلاقة الطيبة مع الشـيخ أسـامة بن لادن، وكان يواليه بالنصح والإرشاد، وأذكر مرة حضرتُ معه زيارةً للشيخ أسامة للشيخ يونس خالص بعد أن ترك جلال آباد وذهب إلى قندهار، وعاد مرةً إلى جلال آباد، فذهب إلى الشيخ يونس خالص، فالشيخ يونس نصحه وقال: "يا أسامة انتبه فقد كثر عباد الدرهم والدينار، فكن محتاطًا في تحركاتك وفي تنقلاتك ولا تعتمد إلا على أهل الثقة"، وأذكر هذه الكلمة للشيخ يونس خالص رحمة الله عليه.

ثم بعد ذلك لما وقعت هذه الحرب الصـليبية الأخيرة على أفغانسـتان كان الشـيخ يونس خالص مريضًـا مرضًـا شـديدًا يكاد يكون مقعدًا، كان عنده كسـر في عظم الفخذ وصحته تضعضعت وهكذا، ومع ذلك ومع صحته المتضعضعة هذه إلا أنّ قلبه كان حيًّا بالإيمان وبالجهاد، أخرج بيانًا مصـورًا دعا فيه الأمة الأفغانية والأمة المسـلمة إلى جهاد الأمريكان الذين احتلوا أفغانسـتان، رحمة الله عليه وعلى علماء المسلمين.

طبعًا من أحباب الشـيخ أسـامة من العلماء المجاهدين أيضًـا فضـيلة الشـيخ جلال الدين حقاني، متعه الله بالصـحة والعافية وجعله ذخرًا للجهاد والإسـلام، وكانت العلاقة هذه قديمة من أيام الجهاد وشارك معه في معارك فتح خوست وفي فتح كابل أيضًـا وفي معارك جاور، وأذكر أنه في المدة الأخيرة لما اسـتشـهد أخونا الشـيخ مصطفى أبو اليزيد –رحمة الله عليه– الشيخ جلال الدين حقاني أرسل رسالةً للشيخ أسامة بن لادن وللعبد الفقير وأذكر كتب له هكذا: "إلى أخي وحبيبي المجاهد أسامة بن لادن" رحمة الله على الشيخ أسامة.

أيضًا من العلماء الذين كانت لهم علاقة قوية بالشيخ أسامة بن لادن من علماء أفغانستان مولوي عبد الله ذاكري، هذا الاسم لعله ليس مشهورًا لكن هو مشهور في أفغانستان ومعروف، مولوي عبد الله ذاكري هو رئيس اتحاد علماء أفغانستان، وله سمعة طيبة جدًّا في أفغانستان وهيبة كبيرة واحترام كبير، ومولوي عبد الله ذاكري هو من قرية اسمها ذاكر، وهذه القرية كانت قرب قريتنا في قندهار قرية العرب التي تحدثت عنها من قبل، وكانت قرية متواضعة جدًّا والشيخ بيته متواضع جدًّا، ولكن ما شاء الله الشيخ كان له مكانة وهيبة كبيرة، وكان الشيخ أسامة بن لادن يذهب إليه بنفسه مرارًا، وقد ذهبت معه مرة، ويسأله المشورة والنصيحة، وكان الشيخ لا يبخل عليه بالنصيحة، وكان الشيخ عبد الله -ما شاء الله- صاحب همة وصاحب حمية وشهامة، وأصدر بيانًا ضد احتلال قوات الصليبيين لجزيرة العرب وجمع عليه توقيعات عدد كبير من علماء أفغانستان، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقه للخير ويرحمه حيًّا أو ميتًا.

أيضًا من الأسماء التي أذكرها إذا ذُكرت علاقة الشيخ بعلماء أفغانستان فضيلة الشيخ محمد ياسر، رحمه الله رحمةً واسعة. وأنا هنا أريد أن أعزي الأمة المسلمة عامةً والمجاهدين خاصةً وأسرة الشيخ محمد ياسر بالأخص في وفاة الشيخ محمد ياسر -رحمة الله عليه-، فقد كان الشيخ -رحمه الله- معتقلاً في السجون الباكستانية لدى المخابرات الباكستانية الخائنة، ثم خرج خبر وفاته رغم حرص المخابرات الباكستانية الشديد على أن لا يخرج هذا الخبر، ولكن خرج الخبر ولا يعرف حتى الآن سبب وفاته أقُتِل أم أهمل أم منع من العلاج؛ ما هو سبب موت الشيخ محمد ياسر،

ولكن ما يحدث في المخابرات الباكستانية وما ترتكبه المخابرات الباكستانية سوف يظهر، وهذه حقبة سوداء في تاريخ باكستان ووصمة في تاريخ الباكستانيين؛ ما تفعله الحكومة الباكستانية وجيشها ومخابراتها من خيانة لم تُسبق إليها في تاريخ المسلمين، هذه الخيانة يقوم بها هؤلاء الخونة من أجل أن يملؤوا جيوبهم ببعض المال ولكن ستكون عليهم بإذن الله وبالاً ونكالاً ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾، ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾، فالشيخ محمد ياسر -رحمة الله عليه رحمةً واسعة- توفي في داخل السجون الباكستانية، وفي داخل السجون الباكستانية تحدث من المآسي والفظائع ما يشيب له الولدان.

أيضًا من الذين توفوا في داخل السجون الباكستانية ملا عبيد الله وزير دفاع الإمارة الإسلامية السابق، وحاولت المخابرات الباكستانية أن تتكتم الخبر، ولكن خرج الخبر، ولم تسلم جثته حتى الآن إلى أهله بعد عدة سنوات من مقتله.

وقضية قتل المعتقلين في داخل السجون الباكستانية هذه أصبحت فضيحة تزكم الأنوف، الآلاف يقتلون، أو حتى أكون صادقًا: المئات يقتلون، أو ربما الآلاف، لا أحد يعرف الرقم الحقيقي، ويلقون كثير جدًّا في باكستان تلقى الجثث في الطرقات بعد أن تقتلها المخابرات الباكستانية، ولعلكم رأيتم -الذين يتتبعون أخبار باكستان- الفيلم الذي نشر على الشبكة العنكبوتية عن قتل الجيش لمجموعة من الأشخاص في سوات دون محاكمة ودون أي شيء، هكذا قتلهم الجيش، حتى علقت عليهم الخارجية الأمريكية المنافقة التي تأمر الباكستانيين بممارسة هذه الجرائم.

المهم; الشيخ محمد ياسر -رحمة الله عليه رحمةً واسعة- كان من أصدقاء الشيخ، وعلاقته بالشيخ قديمة منذ الجهاد الأفغاني ضد الروس، والشيخ محمد ياسر كما ذكرت عنه نبذةً في كتابي التبرئة هو أصلاً كان من الرعيل الأول من الحركة الجهادية في أفغانستان وكان يدرس العلوم السياسية في جامعة كابل، ولما جاء الجهاد هاجر إلى باكستان، ثم درس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم التحق بصفوف المجاهدين، وكان وزيرًا لداخلية حكومة المجاهدين في كابل، وبعد ذلك لما رأى الفساد المنتشر ترك كل هذا واشتغل بالدعوة والتدريس، ولما جاءت حكومة الإمارة الإسلامية في أفغانستان كان من مؤيديها، ولما بدأت نذر الحملة الصليبية على أفغانستان جاء الشيخ محمد ياسر وكان قد كبر سنه، يمكن وصل إلى الخمسين في هذا الوقت أو قرابتها، وجاء إلى أفغانستان، وأذكر أنه قد جاءنا في تورا بورا، صعد إلينا الجبل في تورا بورا قبل بدء القصف الأمريكي، وجلس مع الشيخ جلسةً طويلة أذكرها، مما أذكره وقاله الشيخ: "إني كنت أتمنى أن أستشهد في بيت المقدس ولما انتهى الجهاد الأفغاني ولم أصل إلى بيت المقدس حزنت لأن هذا الأمل لم يتحقق، والآن بدأت الحرب الصليبية فلعل هذه الحرب الصليبية تكون سببًا لي في أن أستشهد في بيت المقدس". فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقه أجر الشهداء ومقام الشهداء، وأذكر مما قاله للشيخ: "أنا كنت أعيش في باكستان أُدرِّس والآن ليس لي مكان إلا هنا في أفغانستان وسط المجاهدين".

ونصح الشيخ أسامة نصائح عملية كثيرة، إن شاء الله يأتي الوقت حتى ننشرها إن شاء الله، وكان له رؤية عجيبة وبصيرة عجيبة في الجهاد، والشيخ قال له: أنصحك

أن تركز جهودك في هذه المرحلة في الإعلام فأنت قد فتح الله عليك في العلم وفي الدعوة فركز جهودك في الإعلام، فبدأ الشيخ محمد ياسر -رحمه الله- يتصل بالقنوات الإعلامية ويخرج الأحاديث، وبعد ذلك حتى لما دخل الأمريكان إلى أفغانستان ظل من مهجره في باكستان يمارس نشاطًا إعلاميًّا كبيرًا، ولعل من يتابع أخبار أفغانستان يذكر له حديثًا مع قناة الجزيرة، وكان الشيخ يقول لمن ينصحه بالتريث والاختباء يقول: "هذا العمل الإعلامي بالنسبة لي هو عملٌ استشهادي، أنا أعتبر نفسي من الاستشهاديين لأني لا أرى من يقوم بهذا العبء ويسد هذه الثغرة، فأنا إن قُتلت أو سجنت فهذا أنا أعتبر نفسي استشهادي". وهو اعتقل مرة وسجن في كابل ثم أفرج عنه في تبادل أسرى بين المجاهدين وبين حكومة كابل، ولما أفرج عنه عاد مرةً أخرى إلى نشاطه الدعوي، وله نشاط دعوي كبير وسط المجاهدين في باكستان وأفغانستان ثم اعتقل مرةً ثانية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمه ويلحقنا به على خير.

أيضًا كان للشيخ أسامة بن لادن علاقة قوية جدًّا بعلماء باكستان، وقد ذكرت من قبل أنه كانت تأتيه الوفود الكثيرة من علماء باكستان لما كان في قندهار، من أبرز هذه الأسماء التي أذكرها: مولوي نظام الدين شمزاي، مولوي نظام الدين شمزاي هذا يعد من الأسماء المعدودة في علماء باكستان ومن أشهرهم، وكان هذا من أحباب الشيخ أسامة، وما كان يأتي إلى أفغانستان إلا ويزور الشيخ أسامة بن لادن ويبقى معه ويتناصح معه ويتدارس معه الأمور، وأذكر في أحد اللقاءات التقيت أنا بالشيخ نظام الدين شمزاي جاء يزور الشيخ أسامة بن لادن وحدثته عن أحوال مصر وما

يدور فيها، وكان الشـيخ نظام الدين شمزاي -ما شـاء الله- واسـع الاطلاع ومحب للتعرف على أحوال المسلمين، وأذكر أني أعطيته كتابًا لي عن مصر: "مصر المسلمة بين سياط الجلادين وعمالة الخائنين" وطلب مني أشياء ومعلومات عن مصر، وأذكر أني قد أرسـلت له أظن كتيبات أو نشـرات أو هكذا، ثم في آخر لقاء مع الشـيخ أسـامة بن لادن لما كان في قندهار كان مع الشـيخ نظام الدين شمزاي وفد من رفاقه وأحبابه لزيارة أفغانسـتان، وأنا أذكر هذا اللقاء، وذهب بهم إلى الشـيخ أسـامة بن لادن وقال للشـيخ أسـامة بن لادن: وجه هؤلاء الإخوة وأعطهم كلمة تحرضـهم بها على الجهاد وعلى العمل في سبيل الله.

نسيت شـيئًا جديرًا بالذكر في قضية الشيخ شمزاي، في أحد لقاءات الشيخ شمزاي بالشـيخ أسـامة بن لادن كان الشـيخ أسـامة بن لادن يشـرح قضـية عدوان الغرب الصـليبي على الأمة المسـلمة، وكان الشـيخ في غرفة الضـيافة قد صـنع خارطةً كبيرة على الحائط، وكان الشيخ أبو حفص المصري المشهور بأبي حفص الكومندان -رحمة الله عليه هذا البطل الشـهيد- كان هو يشـرح على هذه الخريطة مدى احتلال الصـليبيين للعالم الإسـلامي، ووضح كيف يسيطر الغرب الصليبي بقواعده وأسـاطيله وجنوده على العالم الإسلامي ويحاصره ويخنقه، وأنّ كل الممرات الهامة البحرية والجوية والبرية يسـيطر عليها الغرب الصـليبي، فالشـيخ نظام الدين شمزاي تأثر جدًّا بهذه المحاضرة، ثم لما رجع إلى باكستان عقد محاضرةً كبيرة في فندق كبير من فنادق إسلام آباد ودعا له عددًا من الحضور، وأحضر خريطة أيضًا للعالم الإسـلامي وشرح نفس

هذه الفكرة، ولما رجع إلى الشـــيخ مرةً أخرى قال له: أنا ذهبت إلى إســـلام آباد وأعطيتهم نفس المحاضرة التي أنتم أعطيتموها لي في قندهار.

لما حصـل الغزو الصـليبي لأفغانسـتان وشـارك فيه مُشـرَّف الخائن، هذا أبو رغال، هذا الذي أعان الصـليبيين على احتلال أفغانسـتان، فنظام الدين شمزاي –رحمة الله عليه– أصدر فتوى شـهيرة بأنّ الحاكم الذي يعين الكفار على احتلال بلد من بلاد المسلمين تسقط شرعيته ويجب الخروج عليه، بعد ذلك بمدة قُتل الشيخ نظام الدين شمزاي في كراتشـي، قتله مجهولون أطلقوا عليه النار وفروا، الشـيخ أسـامة بن لادن ذكر في إحدى كلماته أنه يحسب أن سبب قتل الشيخ نظام الدين شمزاي هو هذه الفتوى التي أصـدرها ضـد مُشـرف، نسـأل الله سـبحانه وتعالى أن يرحم الجميع ويلحقنا بهم في الفردوس الأعلى.

أيضًا من العلماء المشهورين في باكستان الذين تعلقوا بعلاقة طيبة بالشيخ أسامة بن لادن: الشيخ عبد الله غازي، والد الشيخ عبد الرشيد غازي شـهيد المسجد الأحمر في إسـلام آباد. الشيخ عبد الرشـيد غازي هو الشـهيد ابن الشـهيد ابن الشـهيدة، رحمة الله عليهم أجمعين.

الشـــيخ عبد الله غازي جاءنا زائرًا في قندهار وجاء معه وفد كبير من مدرســـته، وكان معهم الشـيخ عبد الرشـيد غازي –رحمة الله عليه شـهيد المسـجد الأحمر في إســـلام آباد– وأمضـــى يومًا أو نهارًا كاملاً معنا في قندهار ومعه عدد من مرافقيه وأسـاتذة مدرسـته، وأذكر أن أحدهم قام وألقى قصـيدةً في مدح الشـيخ أسـامة بن لادن باللغة العربية، للأسـف لا أحتفظ بهذه القصـيدة، وأذكر كان لقاءً طيبًا جدًّا

بالشـيخ عبد الله غازي –رحمة الله عليه– والشـيخ أسـامة كلَّمه في وجوب أن يُخرج العلماء في باكستان فتاوى ضد الغزو الصليبي لبلاد المسلمين وخاصةً لبلاد الحرمين، والشـيخ عبد الله غازي وعده أنه –إن شـاء الله– إذا رجع إلى باكسـتان فسـينشـغل بهذا الأمر ويجمع هذه الفتاوى ويحرض العلماء على ذلك.

وأذكر أني أيضًا جلست مع الشيخ عبد الله والشيخ عبد الرشيد وكلمتهم عن أحوال مصـر وأعطيتهم بعض الكتب أو أظن الكتاب الأسـود عن تعذيب المسـلمين في مصـر، فلما رجع الشـيخ عبد الله غازي –رحمة الله عليه– إلى إسـلام آباد وإلى مسـجده في إسـلام آباد كانت أول خطبة للجمعة ألقاها كانت حول أفغانسـتان وحول الغزو الصليبي لديار المسلمين ووجوب تصدي المسلمين لهذا الغزو الصليبي، وذكر أنه التقى بالشيخ أسامة بن لادن وأنه اقتنع بدعوته وفكرته وأنه سيناصر هذه الدعوة وهذه الفكرة، فبعد ذلك قُتل الشـيخ عبد الله غازي –رحمة الله عليه– في داخل مدرسـته، وقد صـرَّح ولده الشـيخ عبد الرشـيد غازي في أحد اللقاءات الصحفية المصورة بأنه يحسب أن مقتل أبيه كان بسبب مناصرته لدعوة الشيخ أسامة بن لادن في تحرير بلاد المسـلمين، وبعد ذلك استشـهد الشيخ عبد الرشـيد غازي –رحمة الله عليه– في المسجد الأحمر لتصديه لظلم وفساد وخيانة مُشرف، رحمة الله عليهم أجمعين.

أذكر هنا أيضًـا قبل أن أنسـى، قلت إن كثيرًا من وفود العلماء في باكسـتان كانوا يأتون للشيخ في قندهار كثير منهم كانوا يسألونه النصيحة، الشيخ أسامة بن لادن كان له توجيه واحد لعلماء باكسـتان ولكل العاملين للإسـلام في باكسـتان كان

يقول لهم توجيهًا واحدًا: "انصــروا الإمارة الإِســلامية في أفغانســتان، أيدوا الإمارة الإسلامية في أفغانستان"، كانوا يقولون له: كيف العمل في باكستان وهكذا وكيف خطة العمل؟ كان يقول لهم: أيدوا الإمارة الإسلامية في أفغانستان؛ إذا ثبتت الإمارة الإسلامية في أفغانستان سينتشر خيرها في جميع المنطقة بإذن الله.

أيضًــا من العلماء الذين كانت لهم علاقة طيبة بالشــيخ أســامة بن لادن من علماء باكســتان: الشــيخ فضــل محمد –حفظه الله– وهو من علماء الحديث في كراتشــي، وكان صــديقًا للشــيخ أســامة بن لادن وصــديقًا للمجاهدين، والشــيخ فضــل محمد حضرت أنا أحد لقاءاته بالشيخ أسامة بن لادن وكان يتشاور معه في أمور المجاهدين وأحوالهم، والشيخ فضل محمد له كتاب مشهور حول فضائل الجهاد منشور بالأوردو وبلغة البشتو، ولو يترجم إلى العربية يكون فيه فائدة كبيرة إن شاء الله.

هذا عن علاقة الشيخ باختصار بالعلماء.)

إن هذا الاختصــار عن علاقة الإمام لمجدد أســامة بن لادن –قدس الله روحه– يبين لنا بجلاء قوة علاقته مع أهل العلم واهتمامه الكبير باللقاء معهم والاســـتفادة منهم والتشاور والتناصح معهم..

فدعوته وجهاده مبنية على اقتران العلم بالجهاد والعلم بالعمل كما هو منهج الأئمة المجددين على مر العصور..

وهذا الســـرد التاريخي لعلاقة الإمام المجدد أســـامة بن لادن –رحمه الله– يرد على افتراءات بعض خصومه الذين اتهموه ودعوته وجهاده بالبعد عن العلم والعلماء..

ويحسن الإشارة هنا أننا في زمان أحسن فيه الطواغيت استغلال دور بعض المنسوبين إلى العلم برفع مناصبهم وصفهم بأوصاف تجعل لهم المرجعية عند المسلمين كما عملوا على تشويه صور كثير من العلماء الربانيين وتنحية بعضهم وقتل كثير منهم.. فأصبح من رفع منزلته الطواغيت وسلموه المناصب في نظر العوام هو العالم والمرجع رغم أن في الأمة من يعلوه في العلم والفهم ويفضله في العقيدة والمنهج والله المستعان..

وأصبح من لا يتواصل مع هذا الصنف من العلماء أو يرجع إليهم ويحذر من دورهم الوظيفي محل تهمة ونقد وطعن. وفي توضيح هذا الأمر يقول الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "النفير": (وإنما تركز الدولة على علمائها وتظهرهم في برامج دينية للفتوى من أجل دقائق معدودة يحتاجهم فيها النظام كل مدة لإضفاء الشرعية عليه وعلى تصرفاته، كما حصل يوم أن أباح الملك بلاد الحرمين للأمريكيين فأمر علماءه فأصدروا تلك الفتوى الطامة التي خالفت الدين واستخفت بعقول المسلمين، والمؤيدة لفعله الخائن في تلك المصيبة العظيمة، والأمة اليوم إنما تعاني ما تعانيه من مصائب وخوف وتهديد من جراء ذلك القرار المدمر وتلك الفتوى المداهنة.

ومن قرأ سيرة الأئمة الصادقين في أيام المحن كسيرة الأمام أحمد بن حنبل وغيره رحمهم الله علم الفرق بين العلماء العاملين والعلماء المداهنين -كما في سير أعلام النبلاء وغيرها- وقال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع.)

الموقف من علماء السوء

وفي مقابل هذا الموقف للإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- من العلماء الربانيين والتواصل والتشاور معهم والرجوع إليهم ومعرفة عظيم منزلتهم وعلو مكانتهم في الشريعة كان له موقف مغاير تماماً من علماء السوء الذين يفسدون ولا يصلحون ويدعون إلى الضلال والشقاء نسأل الله العافية والسلامة..

فعلماء السوء أس البلاء وأعوان الأعداء واتباع الشيطان.. وهم من أعظم أسباب تسلط الطواغيت وبقاء سلطانهم على المسلمين ولعظيم خطرهم على الإسلام وأهله وصفهم الوحي بأشد الأوصاف وحذر منهم أشد التحذير فقال الله تعالى فيهم: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

وسطر سيد قطب -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآيات كلمات تسيطر على الألباب فقال -رحمه الله-: (إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات..

إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع.. ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخاً.

ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه.. أو ليست الكينونة البشرية متلبسة بالإيمان بالله تلبس الجلد بالكيان؟.. ها هو ذا ينسلخ من آيات الله ويتجرد من الغطاء الواقي، والدرع الحامي وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم فيصبح غرضاً للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه.. ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد.. إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقاً بالأرض، ملوثاً بالطين. ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد.. كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى والخيال شاخص يتبعها في انفعال وانبهار وتأثر.. فإذا انتهى إلى المشهد الأخير منها.. مشهد اللهاث الذي لا ينقطع.. سمع التعليق المرهوب الموحى، على المشهد كله:

﴿ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَأَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ﴾..

ذلك مثلهم! فلقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم.

ثم إذا هم ينسلخون منها انسلاخاً. ثم إذا هم أمساخ شائهو الكيان، هابطون عن مكان "الإنسان" إلى مكان الحيوان.. مكان الكلب الذي يتمرغ في الطين.. وكان لهم من الإيمان جناح يرفون به إلى عليين وكانوا من فطرتهم الأولى في أحسن

تقويم، فإذا هم ينحطون منها إلى أسفل سافلين! ﴿**سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ!**﴾..

وهل أسوأ من هذا المثل مثلاً؟ وهل أسوأ من الانسلاخ والتعري من الهدى؟ وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى؟ وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا؟ من يعريها من الغطاء الواقي والدرع الحامي، ويدعها غرضاً للشيطان يلزمها ويركبها، ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر القلق، اللاهث لهاث الكلب أبداً!!! وهل يبلغ قول قائل في وصف هذه الحالة وتصويرها على هذا النحو العجيب الفريد إلا هذا القرآن العجيب الفريد!! وبعد.. فهل هو نبأ يتلى؟ أم أنه مثل يضرب في صورة النبأ لأنه يقع كثيراً. فهو من هذا الجانب خبر يروى؟ ....

فهو يمثل حال الذين يكذبون بآيات الله بعد أن تبين لهم فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها.. وما أكثر ما يتكرر هذا النبأ في حياة البشر ما أكثر الذين يعطون علم دين الله، ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه. واتباع الهوى به.. هواهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم -في وهمهم- عرض الحياة الدنيا.

وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها. ويعلن غيرها. ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً! لقد رأينا

من هؤلاء من يعلم ويقول: إن التشـــريع حق من حقوق الله –ســبحانه– من ادعاه فقد ادعى الألوهية.

ومن ادعى الألوهية فقد كفر. ومن أقر له بهذا الحق وتابعه عليه فقد كفر أيضـــاً!.. ومع ذلك.. مع علمه بهذه الحقيقة، التي يعلمها من الدين بالضـــرورة، فإنه يدعو للطواغيت الذين يدّعون حق التشـــريع، ويدّعون الألوهية بادعاء هذا الحق.. ممن حكم عليهم هو بالكفر! ويسميهم "المسلمين"! ويسمي ما يزاولونه إسلاماً لا إســلام بعده!.. ولقد رأينا من هؤلاء من يكتب في تحريم الربا كله عاماً ثم يكتب في حله كذلك عاماً آخر.. ورأينا منهم من يبارك الفجور وإشاعة الفاحشة بين الناس، ويخلع على هذا الوحل رداء الدين وشاراته وعناوينه..

فماذا يكون هذا إلا أن يكون مصـــداقاً لنبأ الذي آتيناه آياتنا فانســـلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين؟

وماذا يكون هذا إلا أن يكون المسـخ الذي يحكيه الله سـبحانه عن صـاحب النبأ: **﴿وَلَوْ شِـئْنا لَرَفَعْناهُ بِها، وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ!﴾**.. ولو شـــاء الله لرفعه بما آتاه من العلم بآياته. ولكنه –ســبحانه– لم يشــأ، لأن ذلك الذي علم الآيات أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولم يتبع الآيات..

إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله فلم ينتفع بهذا العلم ولم يستقم على طريق الإيمان. وانسلخ من نعمة الله. ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان. ولينتهي إلى المسخ في مرتبة الحيوان! ثم ما هذا اللهاث الذي لا ينقطع؟

إنه -في حسنا كما توحيه إيقاعات النبأ وتصوير مشاهده في القرآن- ذلك اللهاث وراء أعراض هذه الحياة الدنيا التي من أجلها ينسلخ الذين يؤتيهم الله آياته فينسلخون منها. ذلك اللهاث القلق الذي لا يطمئن أبداً. والذي لا يتركه صاحبه سواء وعظته أم لم تعظه فهو منطلق فيه أبداً! والحياة البشرية ما تني تطلع علينا بهذا المثل في كل مكان وفي كل زمان وفي كل بيئة.. حتى إنه لتمر فترات كثيرة، وما تكاد العين تقع على عالم إلا وهذا مثله. فيما عدا الندرة النادرة ممن عصم الله، ممن لا ينسلخون من آيات الله، ولا يخلدون إلى الأرض ولا يتبعون الهوى ولا يستذلهم الشيطان ولا يلهثون وراء الحطام الذي يملكه أصحاب السلطان!.. فهو مثل لا ينقطع وروده ووجوده وما هو بمحصور في قصة وقعت، في جيل من الزمان! وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يتلوه على قومه الذين كانت تتنزل عليهم آيات الله، كي لا ينسلخوا منها وقد أوتوها. ثم ليبقى من بعده ومن بعدهم يتلى، ليحذر الذين يعلمون من علم الله شيئاً أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة وأن يصيروا إلى هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً وأن يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذي لا يظلمه عدو لعدو. فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية النكدة! ولقد رأينا من هؤلاء -والعياذ بالله- في زماننا هذا من كان كأنما يحرص على ظلم نفسه أو كمن يعض بالنواجذ على مكان له في قعر جهنم يخشى أن ينازعه إياه أحد من المتسابقين معه

في الحلبة! فهو ما يني يقدم كل صـــباح ما يثبت به مكانه هذا في جهنم! وما يني يلهث وراء هذا المطمع لهاثاً لا ينقطع حتى يفارق هذه الحياة الدنيا! اللهم اعصـمنا، وثبت أقدامنا، وأفرغ علينا صبراً، وتوفنا مسلمين..

ثم نقف أمام هذا النبأ والتعبير القرآني عنه وقفة أخرى..

إنه مثل للعلم الذي لا يعصم صاحبه أن تثقل به شهواته ورغباته فيخلد إلى الأرض لا ينطلق من ثقلتها وجاذبيتها وأن يتبع هواه فيتبعه الشـــيطان ويلزمه ويقوده من خطام هذا الهوى..

ومن أجل أن العلم لا يعصـــم يجعل المنهج القرآني طريقه لتكوين النفوس المســـلمة والحياة الإسلامية، ليس العلم وحده لمجرد المعرفة ولكن يجعل العلم عقيدة حارة دافعة متحركة لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وفي عالم الحياة أيضاً..

إن المنهج القرآني لا يقدم العقيدة في صـــورة "نظرية" للدراســـة.. فهذا مجرد علم لا ينشئ في عالم الضمير ولا في عالم الحياة شيئاً.. إنه علم بارد لا يعصم من الهوى، ولا يرفع من ثقلة الشـهوات شـيئاً. ولا يدفع الشـيطان بل ربما ذلل له الطريق وعبدها! كذلك هولا يقدم هذا الدين دراســـات في "النظام الإســـلامي" ولا في "الفقه الإســـلامي" ولا في "الاقتصـــاد الإســـلامي" ولا في "العلوم الكونية" ولا في "العلوم النفسـية" ولا في أية صـورة من صـور الدراسـة المعرفية! إنما يقدم هذا الدين عقيدة دافعة دافقة محيية موقظة رافعة مسـتعلية تدفع إلى الحركة لتحقيق مدلولها العملي فور اســـتقرارها في القلب والعقل وتحيي موات القلب فينبض ويتحرك ويتطلع وتوقظ

أَجهزة الاستقبال والاستجابة في الفطرة فترجع إلى عهد الله الأول وترفع الاهتمامات والغايات فلا تثقلها جاذبية الطين ولا تخلد إلى الأرض أبداً.

ويقدمه منهجاً للنظر والتدبر يتميز ويتفرد دون مناهج البشر في النظر، لأنه إنما جاء لينقذ البشـــر من قصـــور مناهجهم وأخطائها وانحرافها تحت لعب الأهواء، وثقلة الأبدان، وإغواء الشـيطان! ويقدمه ميزاناً للحق تنضـبط به عقول الناس ومداركهم، وتقاس به وتوزن اتجاهاتهم وحركاتهم وتصـــوراتهم فما قبله منها هذا الميزان كان صحيحاً لتمضي فيه وما رفضه هذا الميزان كان خاطئاً يجب الإقلاع عنه.

ويقدمه منهجاً للحركة يقود البشـــرية خطوة خطوة في الطريق الصـــاعد إلى القمة السامقة. وفق خطاه هو ووفق تقديراته.. وفي أثناء الحركة الواقعية يصوغ للناس نظام حياتهم، وأصـول شـريعتهم، وقواعد اقتصـادهم واجتماعهم وسـياسـتهم. ثم يصـوغ الناس بعقولهم المنضـبطة به تشـريعاتهم القانونية الفقهية، وعلومهم الكونية والنفسـية، وســائر ما تتطلبه حياتهم العملية الواقعية.. يصـــوغونها وفي نفوســـهم حرارة العقيدة ودفعتها، وجدية الشريعة وواقعيتها واحتياجات الحياة الواقعية وتوجيهاتها.

هذا هو المنهج القرآني في صياغة النفوس المسلمة والحياة الإسـلامية.. أما الدراسـة النظرية لمجرد الدراسـة، فهذا هو العلم الذي لا يعصـم من ثقلة الأرض ودفعة الهوى وإغواء الشيطان ولا يقدم للحياة البشرية خيراً) اهـ.

وقال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الجمعة: ٥].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا، أي: كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملا حسيا ولا يدري ما عليه. وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظا ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالا من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿**أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾ [الأعراف: ١٧٩]؛ وقال هاهنا: ﴿**بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.)

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ» رواه أحمد وصححه الألباني.

ورحم الله الإمام عبد الله بن المبارك إذ قال:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وإذ كان دور علماء السوء (الدعاة على أبواب جهنم) بهذا الخطر وهذا الأثر في الإفساد والإضلال رأينا العلماء والدعاة والمجاهدين الربانيين على مر العصور يسيرون على نهج القرآن والسنة في كشف حال علماء السوء والتحذير منهم..

وعلى هذا المنهج الرباني ســار الإمام المجدد أســامة بن لادن -رحمه الله- فقال في "النفير": (وإن القيود والســدود التي تحول بين شــباب الأمة وبين انطلاقها للجهاد كثيرة، إلا أننا سـنتحدث عن أهمها، وبين يدي ذلك أذكر حديثاً من الصـحيحين من اهتدى به سـلك ومن ضـل عنه هلك، قال رسـول الله ﷺ: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» متفق عليه، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فهذا من أسباب هلاكنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأذكر كذلك قصـة إسـلام خالد رضـي الله عنه، لتتحرر العقول من التبعية العمياء، فقد قيل له بعد أن أســـلم متأخراً: أين كان عقلك يا خالد فلم تر نور النبوة بين ظهرانيكم منذ عشرين سنة؟!، فقال: "كان أمامنا رجال كنا نرى أحلامهم كالجبال.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (من قلة فقه الرجل أن يُقلِّد دينَه الرجال.)

وأول هذه القيود والسـدود في عصرنا الحاضر؛ هم الحكام وشـهداء الزور من علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة ومن شابههم.

فأما الحكام فقد اتفق الناس على عجزهم وخيانتهم.

وأما الذين يطالبون الناس بأن يضـــعوا أيديهم بأيدي هؤلاء الحكام برغم كل ذلك، نقول لهم؛ متى نزعت الشـــعوب أيديها من أيدي الحكام حتى يُنصـــحوا بأن يعيدوا

أيـديهم مرة أخرى؟! فهـذا لم يحـدث، والنتيجـة كمـا ترون، هيمنـة الكفـار علينـا، وقد قيل:

ومن خانه التدبير والأمر طائع فلن يحسن التدبير والأمر جامح

فخلافنا مع الحكام ليس خلافاً فرعياً يمكن حله، وإنما نتحدث عن رأس الإســلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهؤلاء الحكام قد نقضوها من أساسها بموالاتهم للكفار وبتشــريعهم للقوانين الوضــعية، وإقرارهم واحتكامهم لقوانين الأمم المتحدة الملحدة، فولايتهم قد سقطت شرعاً منذ زمن بعيد، فلا سبيل للبقاء تحتها، والمقام لا يتسع لوصف هذا الأمر هنا، ولكن قد ذكرنا أقوالاً لأهل العلم رحمهم الله في البيان السابع عشر الصادر عن هيئة النصيحة والإصلاح.

وبعد ذلك نقول؛ هل يمكن لمســلم أن يقول للمســلمين؛ ضــعوا أيديكم في يد "كرزاي" للتعاون لإقامة الإســلام ورفع الظلم وعدم تمكين أميركا من مخططاتها؟! فهذا لا يمكن ولا يعقل، لأن كرزاي عميل جاءت به أمريكا، ومناصــرته على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام العشرة، مخرج من الملة.

وهنا لنا أن نتســاءل؛ ما الفرق بين كرزاي العجم وكرزاي العرب؟ من الذي ثبت ونصــب حكام دول الخليج؟ إنهم الصــليبيون، فالذين نصــبوا كرزاي كابول وثبّتوا كرزاي باكســتان، هم الذين نصــبوا كرزاي الكويت وكرزاي والبحرين وكرزاي قطر وغيرها.

ومن الذين نصــبوا كرزاي الرياض وجاءوا به بعد أن كان لاجئاً في الكويت قبل قرن من الزمان ليقاتل معهم ضــد الدولة العثمانية وواليها ابن الرشــيد؟ أنهم الصــليبيون ومازالوا يرعون هذه الأســـر إلى اليوم، فلا فرق بين كرزاي الرياض وكرزاي كابول، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَـــارِ**﴾، قال تعالى: ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾.

إن الحكام الذين يريدون حل قضــايانا ومن أهمها القضــية الفلســطينية عبر الأمم المتحدة أو عبر أوامر الولايات المتحدة، كما حصـــل بمبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز في بيروت ووافق عليها جميع العرب، والتي باع فيها دماء الشــهداء وباع فيها أرض فلســطين، إرضــاء ومناصــرة لليهود وأميركا على المســلمين، هؤلاء الحكام قد خانوا الله ورسوله وخرجوا من الملة وخانوا الأمة.

كما أقول أيضاً: إن الذين يريدون أن يحلوا قضـايانا عبر هؤلاء الحكام العجزة الخونة قد خدعتهم أنفســهم وخادعوا أمتهم، وركنوا إلى الذين ظلموا وضـلوا ضـلالاً مبنياً، وأحســن أحوالهم أنهم عاجزون فاســقون، فينبغي على المســلمين أن ينصــحوهم، فإن لم ينتصحوا فليحذروهم وليحذروا منهم.

ويجب على المســـلمين كذلك أن يتبرؤوا من هؤلاء الحكام الطواغيت، ولا يخفى أن التبرؤ من الطاغوت ليس من نوافل الأعمال، وإنما هو أحد ركني التوحيد فلا يقوم الإيمان بغيرهما، قال تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْـتَمْسَـكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

وأما علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة وأشباههم؛ فكما قيل: "لكل زمن دولة ورجال"، فهؤلاء هم من رجال الدولة الذين يحرِّفون الحق ويشهدون بالزور حتى في البلد الحرام، في البيت الحرام، في الشهر الحرام، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ويزعمون أن الحكام الخائنين ولاة أمر لنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقولون ذلك من أجل تثبيت أركان الدولة، فهؤلاء قد ضلوا سواء السبيل فيجب هجرهم والتحذير منهم.

وإنما تركز الدولة على علمائها وتظهرهم في برامج دينية للفتوى من أجل دقائق معدودة يحتاجهم فيها النظام كل مدة لإضفاء الشرعية عليه وعلى تصرفاته، كما حصل يوم أن أباح الملك بلاد الحرمين للأمريكيين فأمر علماءه فأصدروا تلك الفتوى الطامة التي خالفت الدين واستخفت بعقول المسلمين، والمؤيدة لفعله الخائن في تلك المصيبة العظيمة، والأمة اليوم إنما تعاني ما تعانيه من مصائب وخوف وتهديد من جراء ذلك القرار المدمر وتلك الفتوى المداهنة.

ومن قرأ سيرة الأئمة الصادقين في أيام المحن كسيرة الأمام أحمد بن حنبل وغيره رحمهم الله علم الفرق بين العلماء العاملين والعلماء المداهنين -كما في سير أعلام النبلاء وغيرها- وقال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا   فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وأما السد الثاني؛ فهم العلماء والدعاة المحبون للحق الكارهون للباطل القاعدون عن الجهاد، تأولوا تأولاً فصدوا الشباب عن الجهاد ولا حول ولا قوة إلا بالله، هؤلاء رأوا

الباطل ينتشر ويزداد، فتداعوا للقيام بواجب نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واهتدى وتفقه على أيديهم خلق كثير، وحسناً فعلوا، وجزاهم الله خيراً على ذلك، إلا أن الباطل يضيق صدره بالحق وأهله، فشرع في مضايقتهم وإخافتهم ومنعهم من الخطب والدروس وفصلهم من وظائفهم ثم سجن من أصر على مواصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن هذه الضغوط الشديدة أدت تدريجياً إلى انحراف المسار -إلا من رحم الله- وهذا أمر بدَهَي لأن الإنسان لا يستطيع أن يتخذ القرار الصحيح في ظل أوضاع غير صحيحة وخاصة من الناحية الأمنية، قال رسول الله ﷺ: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان»، هذا إذا كان غضبانا، فكيف إذا كان خائفاً؟

فالتخويف الذي تمارسه الدول العربية على الشعب قد دمر جميع مناحي الحياة بما فيها أمور الدين، إذ الدين النصيحة، ولا نصيحة بغير أمن.

وقد قَسَّم الخوف الناس إلى أقسام، وسنتحدث عن بعضهم:

فقسم انتكس والتحق بالدولة ووالاها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقسم بدا له أنه لن يستطيع أن يستمر في الدعوة والتدريس ويؤمِّن معهده أو جمعيته أو جماعته، ويؤمِّن نفسه وجاهه وماله إن لم يمدح الطاغوت ويداهنه، فتأوَّل تأوُّلاً فاسداً باطلاً فضلَّ ضلالاً مبيناً وأضل خلقاً كثيراً.

وقسم آخر حفظهم الله من مجاراة الحكام الخائنين ومداهنتهم، وحرصوا على البقاء تحت راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد كانت لهم جهود مشكورة في الدعوة إلى الله، إلا أن الضغوط -التي سبق ذكرها- كانت كبيرة جداً، ولم يهيئوا أنفسهم لتحملها، ومن أهمها تكاليف الهجرة والجهاد، وقد كانت الفرصة متاحة منذ أكثر من عقدين ولم يستفيدوا منها، مما أفقدهم القدرة على اتخاذ القرار الصحيح -إلا من رحم الله- في مثل هذه الأيام العصيبة، ولذا نرى فريقاً منهم مازالوا إلى الآن لم يتخذوا قرار الجهاد والمقاومة.)

وسطر الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "توجيهات منهجية" كلمات طيبة تكتب بماء الذهب أرجو أن تُقْرأ بعناية وتكرار فقال -رحمه الله-: (من النصوص الأخرى التي ينبغي الاقتداء بها في مثل هذه الظروف:

هو حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ حيث يصور وضعاً شبيهاً لوضعنا الحالي، فيقول رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر -مخافة أن يدركني- فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» متفق عليه.

فهذا الوضع كما تلاحظون أن العالم الإسلامي انتشر فيه هذا الشر العظيم، وهو أن الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم هم أظهر ما يكونون في حكام المنطقة

-حكام العالم العربي والإســـلامي- فهم في إعلامهم وأجهزتهم وإفســـادهم للبلاد، فهم يدعون الناس عبر تبنيهم للأفكار الهدّامة وعبر تبنيهم للقوانين الوضعية والقوانين الكفرية، فهم يدعون الناس في الصـباح والمسـاء إلى أبواب جهنم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فالكفر بالله ورسوله ﷺ على مرأى ومسمع في الصحف وأجهزة التلفاز، وفي الراديو والندوات، ولا ينكر عليهم منكر، فهؤلاء هم الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم.

ما هو الحل إذا حصل مثل هذا؟

فهذا الصــحابي الجليل رضــي الله عنه ســأل حتى وصــل إلى مثل هذه الحالة فقال: هل بعد ذلك الخير من شـــر؟ فقال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، وقال رضي الله عنه: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

هذا كلام واضــح بيّن صــريح يســأل عن المخرج في مثل هذه الحالة التي نحن نعيش فيهــا اليوم، فيقول: مــا تأمرني إن أدركني ذلــك؟، فــأمره بأمر واحــد -رغم كثرة الواجبات وأهميتها- ولكن في مثل هذا الوضـــع هناك أمرٌ واحد يتقدم على جميع الواجبات الأخرى بعد الإيمان، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

فهذا الواجب العظيم الذي هو فرض الســـاعة لا مكان له بين العلماء اليوم ولا يتحدثون عنه، بل شُـغلوا كل واحد منهم -إلا من رحم الله- بالتهليل والمدح للأئمة الطواغيت الذين كفروا بالله ورســـوله، فبرقيات تذهب من هؤلاء لمدح هؤلاء الحكام

الذين كفروا بالله ورسوله، ويُكفر بالله ورسوله في صحفهم وفي إعلامهم، وبرقيات أخرى من هؤلاء الحكام الذين كفروا إلى هؤلاء العلماء تمدحهم، ودلسوا في ذلك على الأمة!

فالأمة لم تصب من قبل بمثل هذه الكارثة التي أصيبت بها اليوم، كان يحصل خلل ولكنه جزئي، أما الخلل اليوم فهو قد عمّ الناس مع هذه الثورة الإعلامية، وأصبح الإعلام يدخل على كل بيت، فهذه الفتنة ما سلم منها بيت حضر ولا بيت وبر، ما سلم منها أحد، في السابق كان يزِل العالم وتبقى زلته محدودة في مكان معين، ويَفجُر الأمير والحاكم ويبقى فجُوره محدوداً داخل القصر، أما أن يصبح جُل الناس أسرى وظائفهم التي هي لهذا الطاغية، فهذا ما حصل في تاريخ الإسلام قط.

وكلما حصل انحدار وكلما حصل بُعد عن دين الله فهناك تلقائيةً في هذا الدين وفي منهجه القويم المتكامل، يبدأ هناك آخرون في تصحيح المسار ويضحون بأنفسهم، لكن لم يحصل قط أن سواد الأمة وأن الفقهاء والعلماء أسرى وظائف عند الطواغيت!

حدثني بعضهم قال: نحن لا نستطيع أن نقول الحق، لأننا إذا أردنا أن نقول الحق نفكر في هؤلاء الأطفال الذين في البيت وهؤلاء النساء، أين يذهبون؟ وأين نذهب نحن؟

فينبغي على الشـــباب أن يفهم طبيعة العلاقة اليوم بين موظفي الدولة والحاكم، وكل من هو موظف دولة؛ هو موظف دولة، ولا ينبغي للشباب أن يغضب إذا قلنا؛ إن الشيخ الفلاني هو موظف دولة.

نحن لو عملنا اســـتبياناً أو أي جهة ما قدمت بعمل اســـتبيان للناس، في هذا الاستبيان الاسـم والعمر والحالة الاجتماعية والوظيفة؛ "هل أنت موظف حكومي؟ أم حر متكســـب، كما يقال عندنا أو تاجر؟ أو لا يوجد عمل أو متقاعد؟"، فماذا سيكتب من هو موظف للدولة؟

فالمدير سيكتب؛ أنا موظف دولة موظف حكومة.

والشرطي سيقول؛ أنا موظف حكومة.

والقضاة سيقولون؛ نحن موظفو حكومة.

وعلماء دار الإفتاء سيقولون؛ نحن موظفو حكومة!

فهناك خلل في فهم الشـــباب إذا وصـــفنا هؤلاء بأوصـــافهم الحقيقية؛ أنهم موظفو حكومة تراه يغضب!

فهذا خلط عجيب وازدواجية عجيبة! أنت ترفض أن ننســـبهم إلى هذا الحاكم الطاغية! وهم هذا وصفهم وهذه حقيقتهم.

فطريق الحل طريق واضح جداً جداً بيّن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهذه الأمور العظام:

١- حلها بالاجتماع للجهاد.

٢- حلها بالجماعة والسمع والطاعة والجهاد.

٣- حلها تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

وجماعة المسلمين وإمامه أول واجب عليهم هو؛ دفع الكفر ودفع العدو الصائل، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾، فدفع بأس الكفّار هو:

- بالتحريض.
- وبالقتال.

فلماذا الناس لا يهتدون؟ لأن على هذا الطريق دعاة إلى أبواب جهنم:

١- الحكام وأجهزتهم يدعون الناس في الليل والنهار يصرفونهم عن هذا الطريق المستقيم.

٢- وموظفو الحكومة بعضهم وُظّفوا عيناً للصد عن دين الله.

وظفتهم الدولة بمسميات مختلفة، لكن حقيقة الوظيفة هو موظف يشهد شهادة الزور.

فوزير الإعلام مثلاً مهمته أن يشـــهد شـــهادات الزور، هو وجهازه كله، في كل يوم يدلس على الناس، ويظهر أن البلاد هي أفضــل بلاد، وأن الحاكم هذا عبقري ليس مثله شيء، وقس على ذلك.

وكذلك وزير الدفاع يدلس على الناس ويشـــهد شـــهادات الزور ويقول إننا بخير، وإن قواتنا المســـلحة جيدة، ونحن في الحقيقة تحت الاحتلال منذ أكثر من عقد من الزمان! كل العالم يعلم أننا تحت الاحتلال، وأن الطائرات الأمريكية تخرج متى شاءت دون أن تخبر أحــداً في الليــل أو النهــار. ويخرج علينــا وزير الــدفــاع ليقول: "نحن مســتقلون وليس أحد يســتخدم أراضــينا بغير إذننا"، فهؤلاء الذين يشــهدون شهادة الزور.

وبفضل الله الوعي الذي انتشر في الفترة الأخيرة بين الناس أصبحوا يعرفون ويعلمون أن هؤلاء موظفو حكومة.

لكن الخطر الـذي يأتينـا ليس من وزير الـداخليـة وليس من أتبـاع وزير الـداخليـة، فهؤلاء مهما فعلوا لا يســتطيعوا أن يلبســوا على الناس، فخطر تلبيســهم مكشــوف ومعروف لدى العوام أنهم يكذبون عليهم ويخادعونهم، ولكن الخطر الشـــديد عندما يأتي الكـذب والخـداع من أئمـة الـدين الـذين هم مـا اتقوا الله ســـبحـانـه وتعـالى، ويشهدون شهادة الزور في الصباح والمساء يضللون الأمة.

فكيف إذا كانت شهادة الزور في البيت الحرام، في مكة المكرمة عند الكعبة المشرفة، وقـد صـــح عن نبينـا ﷺ أنـه قـال: «أبغض النـاس إلى الله ثلاثـة» فـذكر أولهم:

«ملحد في الحرم» -هذا كما في صحيح البخاري رحمه الله- فهذا من أعظم الإلحاد في الحرم؛ أن تشهد شهادة الزور تضلل أمة من أجل بضعة دراهم تأخذها في آخر كل شهر.

فلا يختلف أحد في كفر هؤلاء الحكام، وفي فجورهم، وفي إباحتهم للبلاد، وإفسادهم للعباد.

ثم تأتي وتشهد شهادة الزور في ذلك المكان العظيم؛ في البيت الحرام وفي الشهر الحرام! -ولا حول ولا قوة إلا بالله-

وقد قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟!»، فقال ﷺ: «الشرك بالله -عافانا الله وإياكم من الشرك- وعقوق الوالدين -وكان متكئاً فجلس فقال- ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور»، فما زال يكررها حتى قال الصحابي: حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.

فهذه شهادة الزور، تشهد شهادة زور على شبرٍ من الأرض، هي من أكبر الكبائر في أي بقعة من الأرض تشهدها، فكيف تشهد عند البيت الحرام؟! هذه شهادة الزور في كل جمعة وفي كل مناسبة لتضلل أمة بأسرها، من أجل بضع دراهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فكم هو إثم هذا الذي يشهد هذه الشهادة!

فهؤلاء موظفو دولة لا يمكن لعاقل أن يرجع إليهم في أمور دينه، فأقل ما يقال فيهم؛ كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله للذين يدافعون عن

الحكام الطواغيت، قال: (أقل أحوالهم أنهم فسّاق)، فهؤلاء أقل أحوالهم أنهم فسّاق. فينبغي للناس أن يقاطعوهم، وأن يهجروهم.

فإنه كما يقول ابن عباس رضي الله عنه في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل؛ كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك! ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيدة» رواه أبو داود، فهذا من أول النقص الذي يدخل على الأمة.

فلابد من التباين، فنحن لا نتكلم عن أمور صغائر، وإنما نتكلم عن أكبر الكبائر، الشرك بالله الذي تحكم به البلاد، وموالاة الأعداء الذي هو من نواقض الإسلام.

فإذا لم يحصل للشباب هذا الفهم، للأسف؛ تجد شاباً يأتيك مسروراً أنه التقى بالشيخ الفلاني من أئمة الحرم، ما ينبغي أن تبتسم في وجه هذا الفاسق الذي يضلل الأمة بأسرها! فإذا لم يحصل هذا الفهم في الصحوة لن نصل إلى مرادنا لإقامة الحق.

فالتبيين والإيضاح للناس أن الأئمة قد ضلوا؛ هذا أمر في غاية الأهمية، لذلك في الحديث الصحيح عن أبي بكر رضي الله عنه لما سألته المرأة الأحمسية، قالت له: (ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح -هذا الإسلام- الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فقال لها: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم) رواه البخاري، فاستقامة الإمام هي شرط مهم لبقاء الدين.

فالذين يريدون أن يقولوا للناس؛ إن الدين موجود مع أن الإمام قد كفر بالله ورسوله منذ قرنٍ من الزمان، منذ أن أقيم بقوة الإنجليز ووالى الإنجليز وبسلاح الإنجليز

وبذهب الإنجليز، وعاث في البلاد، وكان من أكبر أسباب سقوط الدولة الإسلامية -الدولة العثمانية- هذا كافر بالله لا يمكن أن يكون مؤمنا، لا يبقى الدين حاكماً إذا كفر الإمام.

فهذا الفقه لابد أن يكون واضـــحاً جلياً، فعندما يكفر الإمام يجب أن ينتفض الناس، لم يعد الإسلام موجوداً، لابد من الحركة لإقامة إمام يقيم في الناس حدود الله سبحانه وتعالى، فقال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

من الخدع التي يستخدمها الحكام في مخادعة الناس؛ وكأننا قد أظلنا حديث رسول الله ﷺ وأظلتنا الحالة التي يتحدث عنها رسول الله ﷺ فقد صح عنه عليه الصلاة والسـلام أنه قال: «إن بين يدي الساعة سنين خداعة، يتهم فيها الأمين ويؤتمن الخائن ويصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويتكلم فيها الرويبضة»، قيل: يا رسول وما الرويبضة؟ قال: «السفيه ينطق في أمر العامة».

فهذا الزمان كما هو ملاحظ من الخدع التي يستخدمها الحكام سواءً حكام العرب وحكام المسلمين أو حكام العالم أجمع.

فمِن أَظهر تلك العلامات أن يتحدث بوش على أن سفاح العصر شارون يسميه بـ "رجل سلام".

وكذلك حكام المنطقة يخادعوننا، ويوالون الكفار، ثم يدعون أنهم ما زالوا على الإسلام.

ومما يزيد في هذا الخداع هو استحداث هيئات غرضها التدليس على الناس. وقد يستغرب الناس عندما نتحدث عن أن بعض الهيئات المنتسبة إلى الشرع والمنتسبة إلى الفقه وإلى العلم أنها تقوم بهذا الدور -من حيث تدري أو لا تدري- فغرض النظام من إظهار بعض العلماء على شاشات التلفاز وعبر محطات الإذاعات لإفتاء الناس، ليس هذا هو الغرض الأساس لهذه المهمة، ولو كان كذلك لظهر الصادقون من العلماء على شاشات المحطات المحلية وغيرها، وعلى المحطات الإذاعية المحلية، ولكن الغرض أن هذه الهيئات لها مهمة في الظروف الحرجة وفي ساعات الصفر.

كما رأينا من قبل عندما والى النظام القوات الأمريكية الصليبية وأدخلها إلى بلاد الحرمين، وضج الناس وضج الشباب، فكان صمّام الأمان للناس أن هذه الهيئة وأمثالها صدّرت فتاوى بإلحاق الإجازة لتصرف الحاكم وَسمّوه بـ "ولي الأمر" -وما هو للمسلمين بولي أمر على الحقيقة- فينبغي الانتباه إلى ذلك.

وقد يتعجب الناس؛ هل يعقل أن هذا الشيخ فلان أو ذلك على جلالة قدره في العلم، ورغم كبر سنه، هل يعقل أن يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل؟!

أقول؛ إن الإنسان ليس بمعصوم، وإذا نظرنا في تاريخنا وفي تاريخ العالم الإسلامي عبر القرون الماضية فنجد أن هذه الحالات تتكرر.

وسأذكر مثالاً أو مثالين ليعي الناس هذا الأمر:

١) فقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في سِيَره "ذكر سيرةَ علي بن المديني -رحمه الله -" (انظر إلى مقدمة تلك السيرة) وقال:

علي بن المديني أمير المؤمنين في الحديث

[سير أعلام النبلاء: ١١/٤١].

وذكره ووصفه ومدحه وذكر أن الناس في علم الحديث عالة عليه، ولكن من باب الإنصاف مع جلالة قدر علي بن المديني -وإذا ذكر لا يذكر علماؤنا في هذا العلم بجواره- ولكنه مع ذلك زل زلةً شديدة عندما تعرض لخدمة السلطان، وعندما ضغط عليه أمراء بني العباس وافقهم بضد ما يعتقد، وفي ضد ما كان يُدَرّس، وافقهم في تلك الفتنة المضلة الفظيعة.

٢) وكذلك شيخ المؤمنين في الحديث يحيى بن معين -رحمه الله- زل نفس الزلة.

وكثير من العلماء في ذلك العصر زلوا هذه الزلة، نتيجة للتهديد بالضرب والسجن، وقد يصل إلى القتل، وما ثبت إلا عدد يسير كما تعلمون كان منهم إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فينبغي التنبه لذلك، واقرأوا هذه السيرة لتروا ولتعتبروا بحال الناس.

وقد صح عن نبينا ﷺ أنه قال: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان» رواه الإمام أحمد، هذا إذا كان القاضي غضبان فينبغي عليه أن لا يقضي بين اثنين، فكيف إذا كان خائفاً؟ والخوف أشد وقعاً على النفوس من الغضب كما يقول ابن

القيم -رحمه الله-: (فمن قصر النهي على الغضب وحده، دون الهم المزعج، والخوف المقلق، والجوع والظمأ الشديد، وشغل القلب المانع من الفهم، فقد قل فقهه وفهمه) [إعلام الموقعين ج١ ص ٢٠٧-٢٠٨].

فالناس في بلادنا خائفون من أن يقولوا كلمة الحق، فينبغي التنبه. وقد صـــرّحوا لنا مراراً كبار العلماء الذين يشـــار إليهم بالبنان عن الخوف الذي يخشـــونه فيما لو صـــدعوا بالحق، وقد حدثت من قبل أن أحد كبار العلماء في هيئة كبار العلماء حدثني عندما كنّا نقول لهم: "إنه ينبغي إصدار فتوى بوجوب الإعداد، على التسليم فرضـاً بقولكم أن وجود الأمريكان في البلاد ضـرورة"، فاعتذر عن إصـدار فتوى مع تصـــريحه في المجلس بأنه حق، وأنه لابد من أن يكون العمل للجهاد في البلاد على أبناء البلاد وأن يخرج الأمريكان، قال: "لكن الدولة لا توافق لنا بهذا"، ولما قلنا له: "حاولوا عبر هيئة كبار العلماء أن تستصـدروا فتوى بذلك، فقال كلاماً وأنا أشـكر له مصـــارحته لي، قال: "في نظامنا في قانون هيئة كبار العلماء لســـنا نحن الذين نبحث القضـية ونصـدر فيها فتوى، وإنما تصـدر الفتاوى في المسـائل التي تحال إلينا من المقام السامي" -على حد تعبيره-.

فينبغي للناس أن تعي هذا الأمر، فإذا اســـتمر هذا الخلط ولم يتميز الولاء للمؤمنين وللدين، ولم يتميز البراء والبراءة من الشرك والإلحاد، فلن نجد السبيل الذي نصـل به إلى رضـــوان الله ســـبحانه وتعالى، فهذا أمر في غـاية الأهمية وفي غـاية الخطورة. وينبغي على الصـــادقين من العلمـاء وطلبـة العلم والـدعـاة أن يوضـــحوه للنـاس وللشباب، حتى لا يلتبس عليهم الأمر.

فالنظام كما أنه استحدث وزارة الإعلام مهمتها التدليس على الناس، كذلك هو فرّغ ميزانية ضخمة لهذه الهيئات التي تنتسب إلى الإسلام، مهمتها أن تعطي الشرعية للنظام وأن النظام على حق.

فحتى تتصوروا المسألة، تصور أن مبنى هيئة كبار العلماء هو ملحق بالقصر الملكي، وتصور أن دار الإفتاء في الأزهر هي ملحقة بالقصر الجمهوري التابع لحسني مبارك، ودار الإفتاء في بلاد الحرمين ملحقة بقصر الملك، فهل تذهب وتسأل هذا الرجل الموظف الذي يتقاضى راتباً من الملك، تسأله عن حكم الملك؟ وهل الملك فعلاً والى الكفار؟! وهل الولاء للكفار ناقض من نواقض الإسلام؟! هذه المسائل واضحة بينة وإن التبس على بعض الناس لقلة علمهم، فيُرجع بها إلى الصادقين، فلا تذهب تسأل موظفاً عند الملك عن حكم الملك!

فهؤلاء كما ذكرت لا يقاسون بعلي بن المديني رحمه الله ولا يقاسون بيحيى بن معين رحمه الله، ومع ذلك كمٌ هائل غفير الذين زلّوا عندما ضغط عليهم السلطان.

فلنأخذ بكلام الإمام علي رضي الله عنه عندما قال للحارث: (يا حارث! إنه ملبوسٌ عليك، لا يُعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله).

فهذه المسألة حاصل فيها -للأسف- تقليد كبير، كثير من الشباب يقلدون أمرهم لبعض موظفي الدولة، وهؤلاء يوضع عليهم عباءه ويعطون أسماء كبيرة، وهم في الحقيقة موظفون للدولة، عن علم أضلهم الله سبحانه عن علم، ففي كتبهم، وتعلمنا من كتبهم؛ أن من نواقض الإسلام العشرة موالاة الكافرين، ويصارحوننا في مجالسهم

الخاصـــــة، ولكن يخافون ويتأولون كما تأول يحيى بن معين رحمه الله فينبغي التنبه لذلك.)

حاجة الإمة للعلماء الصادقين

وقد كان من الدرر النفيسة والحقائق الجلية التي سطرها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- أن الأمة ليست عاجزة عن دفع صيال المعتدين وتحرير بلاد المسلمين ومنها فلسطين ولكنها بحاجة إلى علماء صادقين يقودنها إلى التمكين حيث قال -رحمه الله- في "الرسالة الثانية للشيخ عبد العزيز بن باز": (إن ما بنيت عليه هذه الفتوى من دعوى ضعف المسلمين وعجزهم عن قتال اليهود باطل هو الآخر، باطل من جهة كونه لم يصدر من قبل أهل النظر والاختصاص، ومن ليس أهلا للنظر في مثل هذه الأمور لا يجوز له الحكم بناء على نظره ولو أصاب الصواب. وهو باطلٌ أيضاً من جهة كونه لم يصادف الصواب هنا، فمَنْ مِنْ أهل الخبرة والاختصاص -الذين هم المرجع في تقدير مثل هذه الأمور- قال لكم إن أكثر من مليار مسلم يملكون أكبر ثروة في العالم وأهم المواقع الاستراتيجية فيه، عاجزون عن مواجهة خمسة ملايين يهودي في فلسطين؟ إن علة المسلمين اليوم ليست في الضعف العسكري، ولا في الفقر المادي، وإنما ينقصها علماء من أمثال ابن تيمية وحكام من جنس صلاح الدين -رحمهم الله- حتى يجتمع صلاح السلطان وصدق الإيمان وهدي القرآن، وعندئذٍ لن تغلب منهم اثنا عشر ألف من قلة، ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

وقد أكدت العمليات البطولية التي يقوم بها العزل من أطفال وشـــباب فلســـطين المسـلمين، وما أثارته من الرعب وألحقته من أضـرار في صـفوف العدو صـدق هذه الحقيقة، فكيف لو توجهت الأُمَّة كلها هذا التوجه وسلكت هذا المسلك؟)

حدود طاعة العلماء
وتعظيمهم في الإسلام

وهنا يشرح لنا الإمام المجدد هذه المسألة التي هي في غاية الأهمية فقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "العلماء ورثة الأنبياء": (لا شـــكَّ أن اتبّاع العلماء فيما يُبَيِّنون من حق ويدعون إليه من خير واجبٌ على المســـلمين، يقول تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، وقد سَـبَقَ أن بَيَّنا أن طاعة الله ورســوله تقتضــي طاعة العلماء لأنهم ورثة الأنبياء، وطاعة أولي الأمر يدخل فيها طاعة العلماء أيضــاً لأن المفســرين فســروا أولي الأمر بأنهم العلماء أو العلماء والأمراء، قال تبارك وتعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾.

والنصوص في هذا الباب كثيرة نكتفي بذكر ما ذكرناه منها لنبني عليه حدود الطاعة والاتباع للعلماء، وذلك أن كثيراً من الناس يخطئ فيظن أن طاعة العلماء مطلقة عمياء لا حدود لها ، وهذا خطأ فاحش، لأن العلماء ليسوا معصومين فهم عرضة للخطأ ومجانبة الصــواب كما قال الإمام مالك: (كل كلام يؤخذ منه ويرد إلا كلام صاحب هذا القبر.)، يعني الرسـول ﷺ، والعلماء وإن كانوا معذورين فيما يصـدر منهم من أخطاء بعد تحريهم للصــواب، فإن الناس غير معذورين في تقليدهم المطلق دون تحر للصواب، ولهذا قال ابن مسعود: ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمَن آمَن، وإن كَفَرَ كَفَرْ، فإنه لا أسوة في الشر.

وقال الإمام أحمد: (من قلة علم الرجل أن يقلد دينه الرجال.)

ولقطع الطريق على التقليد الأعمى للعالِم حَذَّرَ الشـــرع من التعظيم الزائد للعلماء، فَقَصَّ في القرآن أن من أســـباب كفر أهل الكتاب مبالغتهم في تعظيمهم علمائهم حتى أصـــبحوا يصـــدرون عن أقوالهم في التحليل والتحريم من دون الله، قال تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾، وهذا الاتخاذ كما فســـره حديث عُدَيٍّ الذي رواه الترمذي وأحمد وغيرهما، كان بطاعتهم إياهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، وقد حَذَّرَ علماء المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب فصنفوا في ذلك وألفوا وممن بوب على هذا الموضوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– في "كتاب التوحيد" حيث قال: (باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حَرَّم فقد اتخذهم أرباباً.) إن طاعة العلماء واتباعهم مربوطة بقدر التزامه بالحق ودفاعهم عنه، وبقدر ميلهم عن الحق ومجانبتهم إياه يكون البراء منهم والعداوة لهم، فذلك هو الميزان الشرعي الصحيح الذي دلت عليه النصوص وتواتر به عمل سَلَفِ هذه الأُمَّة الصالح، والولاء المطلق لهم فيما هم عليه من الحق والباطل هو إخلالٌ بمقتضى الإيمان الذي أوثق عراه الحب في الله والبغض فيه.

ولما كان العلماء ليســـوا معصـــومين وتصـــدر منهم الأخطاء، كان لا بُدَّ من بيان الأسلوب الشرعي في بيان تلك الأخطاء.

التعامل مع أخطاء العلماء

وبعد الحديث عن أحوال العلماء والتعامل معهم عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- نتكلم عن مسألة التعامل مع أخطاء العلماء فهي من المسائل الشائكة والمهمة التي يراعيها الأئمة المصلحون والقادة الربانيون في طريق الدعوة والإصلاح والجهاد.. فمن وفقه الله فأحسن التعامل معها فإنه يتجاوز عقبة صعبة في مسيرته الإصلاحية..

وقد وجدنا الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- يفصل في هذه القضية ويجلي جوانبها حتى لا تبقى عقبة في طريق الإصلاح فقد جاء في بيان رقم (١٥) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح "العلماء ورثة الأنبياء": (.... لما كان العلماء ليسوا معصومين وتصدر منهم الأخطاء، كان لا بُدَّ من بيان الأسلوب الشرعي في بيان تلك الأخطاء وهو موضوع الفقرة الرابعة.

الأسلوب الشرعي في بيان أخطاء العلماء

تختلف أسباب أخطاء العلماء كما تتفاوت آثار هذه الأخطاء، وتبعاً لذلك تتحدد طريقة الرد وأسلوب البيان المناسبين لتلك الأخطاء، فإذا كان الخطأ في مسألة جزئية غاب فيها الدليل أو خفي أو تعارضت الأدلة وتحري فيها الصواب يكون المناسب التنبيه إلى الصواب برفق ولطف دون تشنيع ولا تقريع.

وإذا كان الخطأ في جليات الدين وقطعيات الشـــريعة والمســـائل التي في حكمها مما انتصـبت عليه الأدلة وشـهدت له البراهين، فإن الشـدة على المخالف والقسـوة في القول له مطلوبة، للتنفير من قوله والتحذير منه، فقد قال ﷺ لأبي ذر لما عَيَّرَ بلالاً بأمه: «إنك امرؤ فيك جاهلية» رواه البخاري.

وقال للرهط الذي أفتوا صاحبهم بالاغتسال وحكمه التيمم فمات «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، إنما شفاء العي السؤال» رواه أبو داود وابن ماجة وابن حنبل.

وقال أبو بكر لعُمَر –رضي الله عنهما–: أجبارٌ في الجاهلية خوار في الإسلام.

وقال ابن عباس لمن خالفوا حديثه عن رسـول الله ﷺ محتجين بفعل أبي بكر وعُمَر: (يوشـك أن تنزل عليكم حجارة من السـماء أقول قال رسـول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعُمَر) رواه الإمام أحمد في مسنده.

ولم يزل هذا دأب أهل العلم يشـــتدون في الرد على المخالف ويقســـون في مثل هذه الأمور والنقول في ذلك كثيرة، منها ما نقل من أن الإمام أحمد رحمه الله رفض أن يَرُدَّ السـلام على الإمام يحيي بن معين رحمه الله لما جاء يزوره في مرض موته، بسبب قول الإمام يحيي بن معين ببعض قول المعتزلة تحت إكراه العباســـيين متأولاً، ولما اســـتدل له يحيي بحديث عمار في الإكراه على كلمة الكفر ما قبل منه الإمام أحمد ذلك وقال بعد أن خرج من عنده "يســـتدل بحديث عمار"، ومنها ما نقل عن ابن تيمية –مع اعتداله وإنصـافه لمخالفيه– من ردود شـديدة عليهم إذا كان الخلاف في

مثل هذه الأمور، فقد قال فيمن يرى أن التتار يقاتلون قتال البغاة لا قتال الكفار: "إنه قد أخطأ خطأً قبيحاً وضل ضلالاً بعيداً."

وقال ابن الجزري رحمه الله معلقاً على قول الإمام أبي شـــامة بعدم تواتر القراءات السـبع: (انظر يا أخي إلى هذا الكلام السـاقط الذي خرج من غير تأمُّل، المتناقض في غير موضـــع في هذه الكلمات اليســـيرة، أوقفت عليه شـــيخنا الإمام ولي الله أبا محمد بن محمد بن محمد الجمالي فقال ينبغي أن يعدم هذا الكتاب، كتاب أبي شـامة ... قلت: ونحن نُشـهد الله أنا لا نريد إسـقاط الإمام أبي شـامة إذ الجواد قد يعثر ولا نجهل قدره بل الحق أحقُّ أن يُتَبَّع، ولكن نقصـــد التنبيه على هذه الزلة المزلة ليحذر منها من لا معرفة له بأقوال الناس ولا اطلاع له على أحوال الأئمة.) [عن كتاب منجد المقرئين ومرشد الطالبين صـ٦٢].

ويقول الإمام النووي إن منهجه في المجموع يقتضي المبالغة في تغليط صـاحب القول الضـعيف والزائف: (ولو كان من الأكابر وإنما أقصـد بذلك التحذير على الاغترار به.)

هذه نقولٌ مســتفيضــة من الأحاديث الصــحيحة وأقوال الصــحابة والعلماء تبين مشــروعية الشــدة على المخالفين في هذه الأمور كائناً من كان فالحق أحقُّ أن يُتَبَّع وزلة العالم ليســت من الحق في شــيء، يقول الشـاطبي -رحمه الله-: (إن زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة ولا الأخذ بها تقليداً له وذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشــرع ولذلك عدت زلة وإلا لو كانت معتداً بها لم يجعل لها هذه الرتبة ولا نســب إلى صاحبها الزلل فيها.) [الموافقات للشاطبي صـ١٧٠-١٧١].

والرفق في بيان الخطأ والزلة قد يكون مطلوباً في حالات كما أن الشـــدّة مطلوبة في حالات أخرى، والحكمة هي استعمال الأسلوب المناسب في الحال المناسب ولكل مقام مقال. إن النصـوص السـابقة قد دلت على مشـروعية الرد بشـدة وقوة على المخالف في مثل تلك المواضـيع بعد تحريه للصـواب وبحثه عن الحق، وهي تدل من باب أولى على مشـروعية ذلك في حق أولئك الذين لم يتحروا الصـواب بل جانبوه عن عمد وخالفوه عن قصـد بعد أن تبين وبين لهم، وسخروا علمهم وعملهم لخدمة السلاطين الذين بارزوا الله بالحرب وكاشفوه بالعداء ، فإذا كان الرسول ﷺ قد قال في حق أولئك الذي أفتوا صاحبهم بالاغتسال عن جهل فمات: «قتلوه قتلهم الله» فمـاذا ينبغي أن يقـال في حق من يفتون فتـاوى يترتـب عليهـا قتـل الألوف، بل ضياعُ أُمَّة بأجمعها؟ وبماذا يُرَدُّ عليهم وهم يبيحون بلاد الحرمين والقدس وفلسطين لأعداء الله تبارك وتعالى؟ وما القول المناســب في حقهم وهم يقرون ولاية المرتدين الذين يتحالفون مع اليهود لحرب المجاهدين في فلســطين وغيرها؟ بل ماذا ينبغي أن يقال في حقهم وقد تواطؤا مع حكام الســوء على وأد كلمة الحق والوقوف في وجه من جهر بها ودعا إليها ممن نحسـبهم من العلماء الصـادقين والدعاة والمصـلحين، وساهموا فيما يعانيه هؤلاء من سجن واعتقال ومحاصرة وتضييق؟

إن أصـحاب هذه المواقف والفتاوى ممن رضـوا بأن تتترس بهم الأنظمة الظالمة وتدافع بهم عن أوضاعها الفاسدة، أصروا على الوقوف معها في خندقٍ واحد، ليس لهم ولا لغيرهم أن يجدوا في أنفسـهم إذا أصـابهم جزء مما يقتضـيه الواجب الشـرعي من تعرية باطـل تلـك الأنظمـة والعمـل على رفع ظلمهـا عن العبـاد. ولا ينفع هؤلاء مـا قـد

يفترضــه بعض الناس من أن الأنظمة الحاكمة هي التي اســتغفلتهم ولبســت عليهم، حتى تستصـدر منهم تلك الفتاوى والمواقف، فإن هذا الافتراض -لو صـح- لا يُغَيِّرُ من الآثار الخطيرة والمفاسـد الكبيرة المترتبة على تلك الفتاوى والمواقف، مما يعني بقاء الحكم الشـرعي بالعمل على إزالتها، وغاية ما في الأمر أن يكون هؤلاء معذورين في أخطائهم عند الله، مع وجوب الإنكار عليهم، وهذا على افتراض حســن الظن بهم، وهو مالا يُسَوَّغ في حق كثير ممن مردوا على مواقفهم وفتاواهم تلك عن عمد وقصد بعد بيان الحق لهم ، وقيام الحجة عليهم واتضـاح الدليل ضـدهم، وحتى لو سـلم أنهم اســتغفلوا فهذا دليل على فقدهم أحد شــروط الإفتاء، وهو العلم بالواقع، وإقدامهم على الإفتاء مع فقدهم هذا الشرط، لا يجوز شرعاً، ويجب إنكاره عليهم.

إن مواقف هذه الفئة من العلماء وفتاواهم التي خذلوا بها الحق ونصروا الباطل وخانوا أمانة العلم وميراث النبوة هي التي دفعت كثيراً من أهل الحق إلى سـحب الثقة منهم، وقطع الأمل فيهم وكان ذلك من أهم أسباب سوء العلاقة بين كثير ممن يصنفون في خانة العلماء من جهة، وكثير من العاملين للإسلام من جهة أخرى.

والسبيل لحل هذه المشكلة هو موضوع الفقرة التالية...

خامساً: الطريق الصحيح لإصلاح هذا الوضع

لتجاوز مرحلة الخصـــام القائمة بين هؤلاء لابد من مراعاة الأمور التالية، وهي أمور نبه على معظمها فضـيلة الشـيخ الدكتور ناصـر العمر -فَرَّجَ الله عنه وعن إخوانه-

في رسالته "لحوم العلماء مسمومة" حيث بَيَّن واجب العلماء وملخصه فيما يلي، مع إضافات وتعديلات طفيفة أخرى، وبعض التعديل وهذه الواجبات هي:

١. أن يكون العالم قدوة في علمه وعمله، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾، ويقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾.

٢. أن يَتَثَبَّت العالم في الفتوى ويكمل شروطها، فإذا طلبت منه فتوى في موضوع ما فعليه التأمل والتأني ومعرفة قصد المستفتي والآثار المترتبة على تلك الفتوى، ثمَّ يفتي بعد توفر شروط الفتوى من فقه الشرع وفقه الواقع.

٣. أن يحذر العالم من الاستدراج والاستغلال والتدليس عليه خاصة من قبل حكام الظلم وسلاطين الفساد الذين بارزوا الله بالحرب والعدوان.

٤. أن يكون جريئاً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، فالجرأة في الحق من أهم ما يُمَيز العالم الصادق الذي هو القدوة الحسنة والأسوة المثلى لغيره، فعليه أن يقول للمسيء أسأت كائناً من كان، وللعالم اليوم في مواقع علماء السلف قدوة حسنة يحتذي بها، كموقف سعيد بن المسيب والإمام مالك والإمام أحمد والعز بن عبد السلام وابن تيمية وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

٥. الابتعاد عن مواقف الريب وخاصة أبواب السلاطين التي حذر منها النبي ﷺ وأصحابه وسَلَف الأمة وخلفها الصالح، فقد قال ﷺ في التحذير من

السـلاطين: «ومن أتى أبواب السـلاطين افتتن، وما ازداد عبد من السـلطان قرباً إلا ازداد من الله بُعداً» رواه أحمد في المسـند. وقال أحمد شـاكر: (إسـناده صـحيح.) وقال حذيفة -رضـي الله عنه-: إذا رأيتم العالم بباب السـلطان فاتهموا دينه، فإنهم لا يأخذون من دنياهم شـيئاً أخذوا من دينهم ضـعفه. وإذا قام العلماء بذلك وجب في حقهم من التعظيم والتقدير والاحترام لازم ما بيناه في بداية هذا البيان، فالرسـول ﷺ يقول: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه» رواه أحمد والحاكم.

وبذلك يتبوأ العلماء مكانتهم اللائقة بهم في توجيه الأمة وقيادتها إلى سـبيل الخير ومسالك الرشاد.)

من هو العالم الذي يؤخذ عنه أحكام الجهاد

ومن المســـائل التي أثارها الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- وتدخل تحت مســـألة العلاقة والموقف من العلماء مســـألة بيان من هو العالم الذي يرجع إليه في أحكام الجهاد حيث قال -رحمه الله- في "شرح حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه-": (فمصـــيبة الأمَّة اليوم حدِّث عنها ولا حرج وقد طال القعود لمدة عقود طويلـة، فـاخرج يا عبـد الله، بادروا بالأعمـال فتنًـا كقطع الليـل المظلم، فـاغتنموا فرصتكم واغتنموا فتح أبواب الجنان فقد صحَّ عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: «إنَّ السـيف محَّاء الخطايا»، يُغفر للشـهيد كل شـيء، كل شـيء إلا الدَّين، فإنَّ السيف محَّاء الخطايا.

واقتدِ بالذي أُرســـل وبُعث لنا ليُخرجنا من الظلمات إلى النور، عِلْمُنا، عِلْمُ جميع البشر من أهل الإسلام هو من عِلمه عليه الصلاة والسلام، ينزل عليه جبريل الأمين بالوحي المبين ماذا قال؟ قال: بلســـان عربي مبين، فما حجَّتكم وقد جعلكم الله تفقهون العربية وتفهمونها؟

يقول في الحديث الصـحيح -كما في الصـحيحين وغيرهما- عليه الصـلاة والسـلام، يقول وهو الصـادق المصـدوق، يقسـم: «والذي نفس محمدٍ بيده لولا أن أشـقَّ على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا» أما تفهمون كلام العرب؟! فهذا خير البرية عليه الصلاة والسلام يقسم بالله أنَّه ما كان ليقعد عن سرية تغزو في سبيل الله، لسان حالك أنَّك تستدرك أنَّ هناك أعمالاً أفضل من هذا.

ما تقوم جبهة.. حتى عندما أفتى العلماء في المرة الماضـــية، اجتمع عدد كبير من علماء المســـلمين وأفتوا أنَّ الجهاد فرض عين يوم دخل الروس، ما كانت حجَّتك حتى لم تخرج؟ ما هي الحجَّة؟ هي مخادعة النفس، التثاقل إلى الأرض، «والذي نفس محمَّدٍ بيده لولا أن أشـــقَّ على المســـلمين ما قعدتُ -في رواية خلاف وفي رواية خلف- ما قعدتُ خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا.»

فكيف برجل يزعم أنَّه يحبُّ محمَّدًا ﷺ، ويزعم أنَّه على منهج محمَّد ﷺ ما خرج في سبيل الله أبدًا؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله، في زمن الجهاد فيه متعيَّن كيف نأخذ عن هذا القاعد فقه الجهاد، وإنَّما فقه الجهاد كما قال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية، ذلك العالم الرباني المجاهد الذي خرج بنفســـه لقتال التتر، قال: (والواجب في أمور الجهاد -أي في الفتوى فيها- أن يُؤخذ برأي أهل الدين الصـــحيح الذين لهم علم بأحوال الدنيا -والتي منها الجهاد- لا بنظر مَن لهم نظر بظاهر الدين ولا بنظر أهل الدين الذين لا علم لهم بأحوال الدنيا).

أضـــرب لكم مثلاً بســـيطًا، مِن حجج من يحتجُّ ويعتذر يقول: لا طاقة لنا اليوم بأمريكا وجنودها؛ لأنَّه يفتي وهو بعيد عن اشتراط الشروط اللازمة للمفتي، لا بدَّ أن يفقه كما قرَّر ذلك أهل العلم -وهو لا يخفى-، يذكر ذلك منهم أيضًـــا ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين" قال: (لا بدَّ للمفتي والحاكم حتى يفتي أن يكون على علم بفقه الواقع بالحادثة التي حصلت، ويبحث عنها، ويستنبط عن أمورها، ويبحث عن قرائنها وعلاماتها، ثم النوع الآخر النوع الثاني هو فهم وفقه الواجب في هذه

الحالة، وفي هذا الواقع، وهو حكم الله سبحانه وتعالى الذي ينطبق على هذه الحادثة فيفتي).

فأنت لم تخض المعارك المعاصـــرة، ولم تدرِ كيف يُكَفُّ بأس الكفار، وكيف أنَّ القلة القليلة من أهل الإيمان الذين اســـتيقنوا بالله ســـبحانه وتعالى وأيقنوا أنَّ ما عند الله سبحانه وتعالى خير، الذين استيقنوا أنَّهم ملاقو الله سبحانه وتعالى بأسلحة بسيطة هزموا الاتحاد السوفييتي.

فيقيســـون دون أن تكتمل لهم الأمور، يقول لك: عدد الشـــباب قليل ولا نعرف السلاح وأسلحتنا قليلة، هذا الأمر ليس لكم يا عباد الله، إنَّ أمر الفتوى أمرٌ عظيْم جدًّا.

صـحَّ في الحديث عن نبيِّنا عليه الصـلاة والســلام في ذلك الرجل الذي ذهب إلى بعض القوم في عهده عليه الصـلاة والسـلام، وكان قد شُـجَّ رأسـه وأصـابته جنابة فيسـألهم عن الحكم ما يفعل، قالوا له لا بدَّ أن تغتســل فأفتوا ولم تكتمل لهم العلوم الشرعية في هذه المسألة ولم يراعوا حال المريض، فلمَّا اغتسل مات عليه رضوان الله، فقال رسول الله ﷺ: «قتلوه قتلهم الله».

فكيف بمن يتصدَّر اليوم للفتوى وعشرات الآلاف من أعراضنا انتُهكت في البوسنة والهرسك وألوفٌ مؤلَّفة من دمائنا –دماء إخواننا– سُحقت بالمجنزرات بالدبابات في الشيشان، وإخواننا يُحرقون في المساجد في إندونيسيا، وأبناؤنا في فلسطين وأهلنا يسامون سوء العذاب على أيدي اليهود.

أنَّى نظرت إلى الإسلام في بلدٍ   وجدته كالطير مقصوصٌ جناحاه

في كل مكان مصــــيبة، أما اكتفينا وإلى اليوم نقول فرض كفاية؟! ومن قال بفرض العين خذَّل بطرق شـــتى! فمن كان في قلبه إيمان قوي يتَّبع محمَّد ﷺ والصـــحابة الكرام.)

وقال -رحمه الله- في "حال الجهاد": (ولذلك اشترط شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على أن المفتي في أمور الجهـاد ينبغي أن يكون فقيهـاً من أهـل الـدين عـالماً بأحوال الـدنيا والجهـاد، وتجـدون هـذا في مجموع الفتـاوى الكبرى لابن تيميـة المجلد الرابع في أخريات كتاب الجهاد تقريباً ص ٦٠٥ أو ما شابه ذلك، يشترط أن يكون المفتي في أمور الجهاد ليس فقيهاً في أمور الدين فقط، بل ينبغي أن يكون عالماً بأمور الدين والدنيا وعالماً بحال الجهاد.

ولذلك اشترط ذلك ابن تيمية وهو من أبرز العلماء الفقهاء الذين جاهدوا في سبيل الله وكان له دور جوهري في دحر التتر عن ديار المســلمين، هؤلاء التتر الهمج الذين هجموا على ديار المسلمين حتى وصلوا بغداد وذبحوا فيها كما يقول ابن كثير عندما استكان الناس وكأنه أصابهم ما أصابنا أو أصابنا ما أصابهم، استنجد المسلمون في بيشـــاور بالخلافة العباســـية في بغداد فلم يأبهوا لهم -كما نفعل اليوم بإخواننا في أفغانسـتان- ثم مشـى جيش التتر حتى وصـل كابول واسـتنجد المسـلمون من هناك بالخلافة الإسلامية فلم يرسلوا لهم رجلاً واحداً.

وهكذا من شب على شيء شاب عليه، لم يشبوا على الجهاد ولم يعدوا له عدته فما زالوا في ذل وخنوع، وما تربوا على الجهاد تربوا على حمل الأقلام ولم يتربوا على حمل الأقلام والرماح، ورضوا بالصلح ونزلوا على ذمة الكفار وكانت مصيبة عظيمة وكارثة هائلة.

يقول ابن كثير: (فلما نزل المسلمون على صلح الكفار خان بهم الرافضي الوزير ابن العلقمي فقتلوا الخليفة وأخذوا بناته فاطمة وخديجة ومريم وهن حفيدات العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه– ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قتلوا القضاة وطلاب العلم وأشراف البلد وأشراف الجنود ورؤسائه، ثم مكث السيف يعمل في المسلمين أربعين يوماً فكان التتري يقتحم على المسلمين دورهم وقد فر المسلمون يقفلون على أنفسهم الأبواب كالخوالف، كالأطفال والنساء لأنهم تخلفوا ومكثوا دائماً مع النساء والأطفال فيكسرون عليهم الدور فيصعدون فيجدونهم في الأسطح فكانوا يذبحونهم على الأسطح وكانت ميادين بغداد تسكب دماً ولا حول ولا قوة إلا بالله، حتى أن أقل الروايات تذكر أنه قتل من المسلمين ثمانمائة ألف في بغداد.)

وأما العلم الذي لم يُعمل به ففي العلم أحاديث الجهاد وفي العلم آيات الجهاد، لكنهم لم يعملوا بها فأخذوها ودفنوا بها في النهر واستخدموها حتى تعبر عليها قوافلهم أخزاهم الله.

ونفس الأحداث تقريباً في ذلك العصر تمر بالمسلمين في الأندلس.

فاعتبروا يرحمكم الله واتعظوا بمن قبلكم قبل أن تكونوا عظة لمن بعدكم.)

البعد عن الطواغيت

ولقد كان من الدرر الكريمة والنصائح النفيسة التي حملتها توجيهات وكلمات وبيانات الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- نصيحته للعلماء بالبعد عن طواغيت هذا الزمان ومفاصلتهم وبيان ما هم عليهم من ضلال حيث جاء في "بيان رقم (١١) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح - رسالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود": (فضيلة الشيخ؛ إن إشفاقنا البالغ على حال الأُمَّة والعلماء من أمثالكم هو الذي دفعنا لتذكيركم، فإننا نربأ بكم وبأمثالكم عن أن يستغلكم النظام الحاكم هذا الاستغلال الفظيع ويرمي بكم في وجه كل داعية ومصلح، ويسكت بفتاواكم ومواقفكم كل كلمة حق ودعوة صدق، كما حدث عند ردكم على "مذكرة النصيحة" و "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" وغيرها.

فضيلة الشيخ؛ لقد تقدمت بكم السن، وقد كانت لكم أياد بيضاء في خدمة الإسلام سابقاً، فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله، وكونوا مع الصادقين، وإن لكم في سَلَف الأُمَّة وخلفها الصالح أسوةٌ حسنة فقد كان من أبرز سمات العلماء الصادقين الابتعاد عن السلاطين؛ فقد فَرَّ الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- وغيره من العمل مع حكام عصره على رغم استقامتهم الكبيرة على الدين، إذا ما قورنوا مع حكام اليوم الذين لا يخفى ما هم عليه من فساد الدين وسوء الحال. وفي زماننا هذا، حينما أدرك العلامة الشيخ عبد الله بن حميد -رحمه الله- خطورة المسار الذي يمضي فيه النظام السعودي الحاكم وما يترتب عليه من خطر وضرر لمن يشاركه أو يختلط به آثر الفرار بدينه واستقال من

رئاسة مجلس القضاء الأعلى. وقد قال الإمام الخطابي -رحمه الله- في التحذير من الدخول على هؤلاء الحكام: (ليت شعري من الذي يدخل عليهم اليوم فلا يصدقهم على كذبهم ومن الذي يتكلم بالعدل إذا شهد مجالسهم ومن الذي ينصح ومن الذي ينتصح منهم.) وقد صحَّ الحديث: «من أتى أبواب السلطان افتتن»، فاحذروا فضيلة الشيخ الركون إلى هؤلاء بقولٍ أو عمل ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾ إن من لم يستطع الجهر بالحق والصدع به فلا أقل من أن يمتنع من الجهر بغير الحق، قال ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».)

وجاء في "بيان رقم (١٢) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح - الرسالة الثانية للشيخ عبد العزيز بن باز": (أيُّها الشيخ في ختام هذه الرسالة نقول لكم: إذا أنتم لم تستطيعوا أن تتحملوا تبعات الجهر بالحق والصدع به، ومناصرة أهله ضد هؤلاء الحكام، فلا أقلَّ من أن تتنحوا عن المناصب الرسمية التي لوثكم بها هذا النظام، وتهجروا أبواب هؤلاء السلاطين الذين بارزوا الله بالحرب، حتى لا يصيبكم ما يصيبهم، والتزموا طريق النجاة الذي حدده ﷺ للسائل عنه بقوله: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» رواه الترمذي، صحيح الجامع الصغير.)

وجاء في بيان العلماء "ورثة الأنبياء": (لتجاوز مرحلة الخصام القائمة بين هؤلاء لابد من مراعاة الأمور التالية، وهي أمور نبه على معظمها فضيلة الشيخ الدكتور ناصر العمر -فَرَّجَ الله عنه وعن إخوانه- في رسالته "لحوم العلماء مسمومة" حيث بَيَّن

واجب العلماء وملخصـــه فيما يلي، مع إضـــافات وتعديلات طفيفة أخرى، وبعض التعديل وهذه الواجبات هي:..... الابتعاد عن مواقف الريب وخاصة أبواب الســلاطين التي حذر منها النبي ﷺ وأصــحابه وسَــلَف الأمة وخلفها الصــالح، فقد قال ﷺ في التحذير من الســلاطين: «ومن أتى أبواب الســلاطين افتتن، وما ازداد عبد من الســلطان قرباً إلا ازداد من الله بُعداً» رواه أحمد في المســند. وقال أحمد شــاكر: (إسناده صحيح). وقال حذيفة -رضـي الله عنه-: (إذا رأيتم العالم بباب الســلطان فاتهموا دينه، فإنهم لا يأخذون من دنياهم شــيئاً أخذوا من دينهم ضــعفه). وإذا قام العلماء بذلك وجب في حقهم من التعظيم والتقدير والاحترام لازم ما بيناه في بداية هذا البيان، فالرســول ﷺ يقول: «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه» رواه أحمد والحاكم.

وبذلك يتبوأ العلماء مكانتهم اللائقة بهم في توجيه الأمة وقيادتها إلى ســبيل الخير ومسالك الرشاد.)

حسن التعامل مع المسائل الخلافية في زمن دفع الصائل

إن من فضل الله على الداعية والمجاهد أن يوفقه لحسن التعامل مع مسائل الخلاف وخاصة في زمن الفتن ودفع الصائلين ونحوها.. فإن لهذا الأمر الأثر العظيم في مسار الدعوة والجهاد.. وهذا الأمر مدخل خطير يدخل منه شياطين الإنس والجان لإفساد المشاريع الجهادية والدعوية فينبغي العناية به ومعرفة أحكامه..

وللشيخ عطية الله الليبي –رحمه الله– مقال مفيد في هذا الباب يحسن بي أن أنقله بطوله لما فيه من فوائد في هذا الباب فقد قال –رحمه الله– في مقال "تذكرة في حكمة الاختلاف وفقهه": (فاعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن الله –عز وجل– قد امتحن عباده بالاختلاف في مسائل الدين، سواء في مسائل العلم –الاعتقاد والتصور– أو مسائل العمل، وسواء في المسائل الكبار أو المسائل الصغار، ولله –عز وجل– في ذلك الحكمة العظيمة والحجة البالغة على خلقه –سبحانه وتعالى–.

ولو شاء الله جل وعلا ما اختلف الناسُ!

كما قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ**

مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وَقال تعالى: ﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾ [الشعراء: ٤]، قال الإمام القرطبي -رحمه الله- عندها: (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية أي معجزة ظاهرة وقدرة باهرة فتصير معارفهم ضرورية، ولكن سبق القضاء بأن تكون المعارف نظرية) اهـ.

وهذا المعنى في كتاب الله كثير وواضح.. ولو شاء الله -عز وجل- أن ينزّل كتابًا مطوّلا حاويًا كل التفاصيل لمسائل المكلفين، وفيه كل كبيرة وصغيرة مما يحدث للخلق على وجه التفصيل، وعلى وجه النص على حكمها لفعل، ولا يعجزه شيء -سبحانه وتعالى-، وهو العزيز الحكيم، ولو شاء الله تعالى لأنزل لكتابه شروحًا مطوّلة، على غرار المذكرات التفسيرية والملحقات التفصيلية والتوضيحية والدساتير والقوانين البشرية لفعل، بحيث ينص على كل مسألة صغُرت أو كبرت!

فلا يجد الناس فيها إلا قولًا واحدًا لا مناص إما من الأخذ به أو تركه، فلا احتمال ولا اجتهاد!

لو شاء الله لأنزل في كتابه المطول وشروحه المفترضة مثلًا: حكم الدخان.. فيقول مثلًا: سيكتشف الناس على رأس القرن العاشر للهجرة النبوية حشيشة اسمها التنباك وكذا وكذا يتخذون منها شيئا اسمه الدخان ويسمونه أيضا السيجارة ووصفه كذا وكذا وخصائصه كذا وكذا.. فذلك حرام فلا تقربوه ..... الخ.

ولو شاء الله لأنزل مثل ذلك في الموسيقى والتلفزيون والستلايت والانترنت ومسائل الاجتماع والأسرة والمرأة والمعاملات المالية والعلاقات وغيرها وغيرها...

ولو شاء الله لأنزل مثله في نوازل الطواغيت المرتدين الحاكمين بلادنا اليوم، وحكم من معهم ممن يدخل في طاعتهم وخدمتهم على جميع الوجوه وتفاصيلها..

ولو شاء لأنزل مثله في كل مسألة يمكن أن تتصورها صغرت أو كبرت، علمية أو عملية، أو في معظم المسائل.. لكنه -عز وجل- لم يفعل لحكمةٍ بالغة، فالحمد لله كله.

وقد كانت هذه إحدى الحجج الداحضة التي جادل بها كفار قريش النبيَّ ﷺ؛ فردّ الله عليهم بقوله: ﴿**بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً**﴾ [المدثر: ٥٢] فسبحان الله! ثم بيّن الله تعالى حقيقة الأمر الذي دفعهم إلى هذا التعنّت والجدل والمعاجزة فقال -كما هي عادته في مثله عز وجل وتبارك وتعالى-: ﴿**كَلَّا**﴾ أي ليس الأمر كذلك، وما هذا وجهه ﴿**بَلْ**﴾ الأمر أنهم ﴿**لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ**﴾ هذه هي الحقيقة.

وكذلك الرسل؛ فلو شاء الله لبعث في كل قرية (بلدٍ أو مدينةٍ أو دولة) رسولًا خاصًّا ولا يعجزه شيء سبحانه، ولكن لم يكن هذا مقتضى حكمته، وله الحكمة التامة والحجة البالغة -عز وجل-.. قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢] أي فلا تطعهم ولا تلتفت إلى قولهم الباطل وحججهم الداحضة إذ يقولون هلا أرسل الله رسلًا كثيرين أو بصفة كذا وكذا مما اقترحوا.

وقوله: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ أي بهذا الوحي المنزّل عليك يا محمد وهو القرآن ففيه كفاية كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ [العنكبوت: ٥١].

فالحاصل أيها الإخوة المؤمنون أن هذا الاختلاف الواقع بين الناس في مسائل الدين وفهم أحكام الشريعة مقصودٌ لله تعالى مراد له، جارٍ على وَفق حكمته تعالى وعلمه التام ورحمته وعدله وإحسانه، فله الحمد كله؛ فالواجب اعتقاد ذلك على الجملة.

وسنحاول استظهار بعض الحكم الربانية في ذلك بعون الله تعالى وتوفيقه.

فمن الحكَم في هذا "الاختلاف" بين الفقهاء وبين الناس في الأحكام الشرعية ومسائل الدين: أن يكون هناك مجالٌ يتسابق فيه الناس في البحث عن الحق والعِلم وطلبه والبحث عنه وتحرير المسائل، فيتميّز العالم من الجاهل، ويرفع الله قدر أهل العلم، ويتبيّن الباحث عن الحق من الذي لا يبالي ويتبع هواه ويقنَعُ بما عليه قومه وجمهور الناس الذين هم في الغالب على غير الهدى.!

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّـذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّـذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَـاتٍ وَاللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

﴿قُلْ هَلْ يَسْـــتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَـلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

ومنها: أن يتميّز المتقي من القليل التقوى وقليل الخوف من الله تعالى، ويتســابق الناس في الأخذ باليقين وبالأحوط وبالأرضى لله تعالى، ويجتهدون في طلب رضاه، ويتميّز المحبّ الموالي الذي يأخذ بأدنى إشارةٍ فيسمعُ ويطيع ويسارع في الخيرات وهو الحرُّ -الكامل العبودية لربّه - عز وجل - من الذي لا يتحرّك ولا يفعل إلا بالقوارع والنصوص الواضحة والزواجر القاطعة لكل حجة، وربما لم يسمع ولم يطع إلا بالعقوبة والنكال، وهو العَبْد -ضدّ الحرّ، وهو الذي لم تكتمل عبوديته لربّه، وما وفّى- والعبد يقرع بالعصا!! فسبحان الله.!

ومنها: التخفيف على العباد، لأنه لو نصّ على حكم كل مسألة نصًّا جازما قاطعا لا تختلف فيه أفهام الناس لكان في ذلك تضـييق وتحريج على الخلق، لأنهم إما أن يفعلوا ما نصّ عليه أو يتركوا، وفي هذه الحالة لو تركوه فإنهم يعصـون ويتعرّضـون

لسخطه ويستحقون العقاب منه، وبتراكم العصيان منهم في أمثالها يبتعدون عن سبيل الله ويستحقون اللعن والطرد وتبعد عنهم فرصُ التوبة والإنابة، ويحلّ بهم الخسران والعياذ بالله.

وكذلك السكوت عن تفصيل وتبيين بعض الأحكام هو مرادٌ لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ١٠١]، وكما قال النبي ﷺ في الحديث: «وسكتَ عن أشياء رحمةً بكم غير نسيانٍ فلا تسألوا عنها» اختلفوا في تصحيحه ومعناه صحيح عند الجميع.

وتأمل حديث النبي ﷺ: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرّم فحُرّم من أجل مسألته» متفق عليه.

فالخلاف وإمكان الاجتهاد والتأويل أيضا هو في الحقيقة رحمة ولطف، ولهذا قال علماؤنا: إن اختلاف الصحابة ومن بعدهم من العلماء رحمةٌ وتوسعةٌ لمن بعدهم؛ كما قاله الإمام مالك –رحمه الله– وغيره.

فهذه بعض الحكم في الاختلاف بين العلماء، وربما ظهر المزيد لمن تأمل، وقد تكلم أهل العلم فيها وكتبوا في ذلك في متناثر كتبهم في الأصول والسلوك وغيرها.

وكل ذلك من لطف الله تعالى ورحمته وعظيم منته على خلقه، إنه هو الرؤوف الرحيم اللطيف الخبير، تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٤٣، الحج: ٦٥].

ولنختم هذا المقام بذكر آية عظيمةٍ من كتاب الله هي أصل في هذا الباب:

قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾ [الحج: ٥٢-٥٥].

وجمهور المفسرين على أن معنى التمنّي هنا القراءةُ والتلاوة، فمعنى ﴿**تَمَنَّى**﴾ قرأ وتلا؛ فأخبر تعالى أنه ما أرسل من رسول ولا نبيّ إلا حصل له شيء من ذلك، وهو أنه إذا قرأ وتلا على الناس ما أوحاه الله إليه من العلم والهدى ألقى الشيطان -بتمكين الله إياه للحكمة التي بيّنها بعدُ- في قراءته وتلاوته شيئا من الباطل، لكن الله العليم الحكيم سبحانه قضى أن هذا لا يستمرّ ولا يدوم بل ينسخه الله أي يبطله ويزيله، ويُحكم الله آياته ويثبّت الحق ويظهره ويعليه، ثم بيّن الله عز وهو العليم الحكيم أن حكمته اقتضت ذلك ليجعل هذا الإلقاء من الشيطان، أو ما يلقيه الشيطان من الباطل فتنةً لأصنافٍ من الخلق ذكرهم بأهم صفاتهم وهم:

- الذين في قلوبهم مرض، مرضُ الشك والريب والنفاق، واستحباب الدنيا، وخلوّها (أي القلوب) من التعلق بالآخرة ورجائها وما شابه ذلك.

- القاسية قلوبهم، وهم أهل القلوب القاسية التي لا تلين للحق، ولا ترق للوعظ والتذكير والتخويف، ولا يجدي معها كثيرًا الإنذارُ؛ فهي قد قستْ واستعصت على براهين العلم أو أن يدخلها نور الهدى.! وهؤلاء لا شك أنهم ظالمون، أهلُ ظلم عظيم، ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ**﴾!! خلافٍ للحق بعيد، ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة: ١٩].

وليست هذه هي الحكمة فقط.. بل من الحكمة الإلهية البالغة في تمكين الشيطان من هذا الإلقاء وما يتبعه: أن يظهر فضل أهل العلم وطالبي الحق والباحثين عن الهدى؛ ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ**﴾ فيزدادوا علمًا وإيمانًا وتسليمًا، ويذعنوا وينقادوا للحق بقلوب منكسرة ذليلة، ولسان حالهم: ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٤٣].

فهؤلاء هم المؤمنون، أهل الإيمان الصحيح، هؤلاء هم الذين يهديهم الله في مضلات الفتن ويفتح عليهم من بركات العلم والعمل ويجعل لهم نورًا يمشون به في الناس، ويوفقهم لسلوك الصراط المستقيم: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾.

نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه، والحمد لله رب العالمين.

كيف نتعامل مع هذا الاختلاف؟

إذا تقرر هذا.. فاعلم أخي المسلم أن الله تعالى من كمال رحمته ولطفه سبحانه ومنته علينا بيّن لنا أصولًا جامعة نتعامل بها مع مسائل الخلاف والاجتهاد، ونعرف بها الصواب من الخطأ في الغالب الأعم لمن اعتصم بها وتوكل على الله وصدقه في الطلب..

وأنا أبيّن لك هنا بشيء من الاختصار بعض تلك الأصول المهمة:

فأول هذه الأصول: عقدُ النية على البحث عن الحق والسعي في الوصول إليه، وأنه متى ظهر وبانَ دليلُه واتضح سبيله وسطع نوره أنك تأخذ به وتتمسّك بحبله، وتترك ما سواه مهما كان.

مع ملاحظة أن الحقَّ في كثيرٍ من الأحيان يكون على غير ما تهواه النفس وترتاح إليه، وقد يكون فيه صعوبةٌ ونوعُ مشقّة، لا سيما حين يقلّ القائلون به المتمسكون بحبله السالكون طريقه، أو يكون مخالفًا للعادة والمتأصّلة في النفس والاجتماع، أو يكون كرهًا للنفس ويستدعي بذلًا وتضحية.

ومن أهم الأصول المرعية عند الاختلاف: ما جاء مبينا في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**

وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، وأنت أخي المسلم إن شاء الله تعرف معنى الآية ولا بد أنك قرأت تفسيرها وجعلتها دائما نصب عينيك.

ومع ذلك فلا بأس أن أكتب لك شيئا من شرحها:

خلاصة فقه هذه الآية الكريمة أن المسائل والأدلة قسمان: مسائل وأدلة محكمة أي واضحة بيّنة لا يختلف فيها الناس باديَ الرأي ولا يحتاجون إلى عناء كبير في فهمها ومعرفتها فهذا هو المحكم، ومسائل أخرى ليست كذلك بل هي مما يمكن أن يختلف في فهمه الناس، من أجل احتماله من جهة دلالته اللغوية والعقلية وغير ذلك وهذا الذي اسمه المتشابه؛ فالصواب في التصرف إذا صادفنا ذلك في أيةِ مسألة أننا نتمسّك بالمحكم الواضح البين الثابت، ونردّ المتشابه إليه، أي نردّه إلى المحكم ونفهمه على ضوئه، فإذا أمكن أن نفهم وجهًا للجمع بينهما وانسجم فهمنا للاثنين معًا وانتفى التناقض في أذهاننا فتلك الغاية ولله الحمد، وإن لم يمكن فإننا نتمسّك بالمحكم البيّن الواضح الثابت، ونكِل المتشابه إلى الله تعالى ونقول فيه: الله أعلم، لا ندري ما المقصود بهذا، وكيف نجمع بينه وبين ذاك الآخر ... وهكذا.

ومن الأصول المرعية عند الاختلاف: أن يعرف الإنسان أنه لن يستطيع أن يصل إلى اليقين في كل بل ولا جُلّ مسائل الدين والدنيا..! وحينئذ عليه أن يقنع بما ظهر له أنه الأقرب للصواب والأوضح والأظهر أنه المراد وأنه هو الحق بعد أن يبذل جهده في التحرّي والبحث وتقليب النظر ومقايسة الأمور والاستدلال عليها بأدلتها من الكتاب والسنة وغير ذلك. هذا إن كان من أهل النظر؛ فإن لم يكن منهم فإن

اجتهاده إنما هو في تقليد الأروع (الأكثر ورعًا ودينًا وتقوى) والأعلم من العلماء حسب ما هو مبيّنٌ في محله في علم أصول الفقه.

ولأجل ذلك فإن من يصرُّ على أن يصل إلى يقين في كل مسألةٍ فإنه يضلّ ويصيبه انحراف.. ويشطّ في تصوره وسلوكه، وقد اعتبرتُ هذا في الناس ورأيتُ منه عجبًا، فالحمد لله على الهداية والتوفيق.

ولأجل ذلك قال علماؤنا: إن أكثر فروع الشريعة مبنيّ على غلبة الظنّ لا على اليقين.. فتأمل هذا يا أخي فإنه نافع جدًا إن شاء الله.

ومن الأصول المرعية عند الاختلاف: أن يجمع الإنسان الأقوال في المسألة وينظر فيها بعين الإنصاف، ولا يهمل شيئا من النظر الأول، لأنه لو أهمل قولًا في المسألة فلربما كان الحقّ أو جزءُ الحق فيه، وحينئذ يفوته الحق كلُّه أو بعضه.

ومن الأصول المرعية عند الاختلاف: أن يجمع الإنسان بين الأدلة ما أمكن ولا يترك إعمالَ شيء منها مهما أمكن، لأن العمل بكل دليل واجب، إلا إذا لم يمكن الجمع فيلجأ إلى الترجيح، أو عُرف المتقدمُ من المتأخر فيقال بالنسخ، وهذا مبيّن في الأصول أحسن بيان في باب الترجيح.

ومن الأصول المرعية أيضا: أن يعرف الإنسان مراتب المسائل والأدلة، فلا ينزل القطعيَّ منزلةَ الظنيّ، ولا الاجتهاديَّ المحتملَ منزلةَ المجمع عليه، وهكذا، وهذا مهم في نفسه، وفي ما يتعلق بالأمر والنهي وإنكار المنكر؛ فتأمله فإنه مهم جدًا.

ومن أهم الأصول الموصلة إلى تحقيق الحق عند الاختلاف: تقوى الله تعالى والخشوع والاخبات له -عز وجل-، وترك الكبر والغرور، والتوكلُ عليه تعالى والالتجاء إليه واللياذ به والتضـرع له والإكثار من الدعاء وسؤاله الهداية والتوفيق، وأن يعلم العبد المسلم أن التوفيق بيد الله وحده، وأنه ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾، ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**﴾، ولهذا قال بعدها: ﴿**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ فليطلبه منه وحده، بعد الأخذ بالأسباب المتقدمة.

فالمتكبر المغرور المعجب بنفسه لا يهديه الله ولا يوفقه كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ [غافر: ٣٥]، وإنما يهدي الله -عز وجل- أهل الخشوع والمخبتين له سبحانه ﴿**وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ**﴾ [غافر: ١٣]، ﴿**سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى**﴾ [الأعلى: ١٠]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحديد: ٢٨].

فعلى المسلم أن يبحث عن الحق ويتحرى الصواب ويتبيّن ويأتي الأمور من أبوابها ويخشع لله؛ لأن المتكبر والظالم والمتعالي والذي يريد أن ينتصر لنفسه أو لمشايخه أو لطائفته ومدرسته ونحو ذلك هذا بعيد عن نيل الحق، بعيد جدا.

الحق عزيز ولا يعطيه الله تعالى إلا لمن خضع له وخشع واستكان وانكسر واتقى الله واجتهد في تقواه، ليس لعبًا ولا هزلًا هو!! وإنما هو الجدّ والفصل، والله المستعان.

وجماع الأمر: أن يعلم الإنسان أنه عبدٌ لله مكلّفٌ مبتلىً بهذا الاختلاف وهذه المسائل؛ فلينهض في عبادة ربه وليقم بواجب العبودية كما يحب الله ويرضى، وليطلب العلم ويسأل ويبحث عن رضى ربه في كل مسألة، وفي كل حركة وسكنة وفعلٍ وتركٍ.

إن الدين مبناه على التكليف والابتلاء ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ**﴾ [الإنسان: ٢]، والنجاحُ في القيام بالتكليف مبناه على التسليم لله تعالى، ومعرفة أنه أرادنا للآخرة لا للدنيا، فالآخرة هي دار القرار وهي الدار المقصودة، والدنيا دار ممر وابتلاء وامتحان واختبار ﴿**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**﴾ [الأنفال: ٦٧]، ومثال العبد في هذه الدنيا هو كما قال النبي ﷺ: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال لعبد الله بن عمر كما في صحيح البخاري: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابرُ سبيل».

فالله إنما خلقنا لعبادته وحده لا شريك له، وبعث لنا رسلًا وأنزل لنا كتبًا، وعرّفنا بنفسه -عز وجل- وبيّن لنا كيف نعبده وهدانا السبيل وبين لنا النجدين، وما ترك رسول الله ﷺ شيئا يقربنا إلى الجنة إلا أمرنا به ولا شيئا يقربنا من النار إلا نهانا عنه

وحذرنا منه وخوّفنا من الوقوع فيه، وشـــرح لنا وســـائل الهداية وأســـباب التوفيق؛ فلله الحمد والمنه والفضل.

ونســأل الله أن يوزعنا شــكر نعمه ويهدينا ويســددنا، إنه نعم المولى ونعم النصــير، لا حول ولا قوة إلا به.

فهذه أهم الأصول التي من تمسّك بها أفلح في مسائل الخلاف وصار دائرًا بفضل الله بين الأجر والأجرين، ولم أقصــد اســتيعاب أحكام الخلاف وفقهه وآدابه، وقد كتب فيه أهل العلم وصنّفوا وإنما المقصود ذكر أصول تعصم من الفتنة في مسائل الخلاف بإذن الله تعالى وحوله وقوته.

فعليك أخي المســلم بتدبره وتمثّله واجعله نصــب عينيك وزد عليه من التفكر والتأمل وطلب العلم النافع من أهله المعروفين به العاملين به القائمين به. والله يوفقنا وإياك لكل خير.) اهـ.

وقد كان التوجيه والبيان لحسن التعامل في مسائل الخلاف في هذا الزمان من المسائل التي اهتم الإمام المجدد أســامة بن لادن -رحمه الله- بها وخصــها بمزيد عناية لأهميتها وأثرها في "مسيرة الإصلاح" فقال -رحمه الله- تقديمه لكتاب العمل الإسلاميّ بين دَوَاعي الاجتماع ودُعاة النِّزاع: (فإنّ من أخطر الأمراض، وأشــدّ الآفات بالمجتمعات والأمم، داء الفُرْقة والاختلاف.

ولذلك فقد حذَّرنا الله -عزّ وجلّ- منه أشــــدّ التّحذير، ونهانا عنه أبلغ النّهي، وبيّن لنا عواقبه الوخيمة، وآثاره السّــــيئة، فقال ســــبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا**

فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، وقال: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**.

ولكنّ ما يدعو للدّهشة ويُصيب بالذُّهول هو ما يَلحظُه المسلم اليوم من حجم الخلافات والفُرقة بين المسلمين عمومًا، وبين العاملين للإسلام بصورةٍ أخصّ، حتى أصبحت هذه الظّاهرة الخطيرة تكاد تكون موضع الإجماع والاتّفاق الوحيد بين فصائل العمل الإسلاميّ المختلفة!!

وقد دفع الشّعور بخطورة هذه الظّاهرة العديدَ من الأقلام الإسلاميّة لتتناولها بالدّراسة والتّحليل من جوانب مختلفة، سواءً من حيث تشخيص الأسباب والمظاهر، أو من حيث بيان أدب الخلاف، وطريق الخروج من هذه الأزمة، لكن هذه الجهود المبذولة حتى اليوم لا زالت دون الحدّ المطلوب لعلاج ظاهرة بهذا الحجم من الخطورة والتّعمّق.

والرّسالة التي نُقدِّم لها اليوم تدخل ضمن هذه الجهود المشكورة، التي تسدّ ثغرة مهمة في هذا المجال.

وقد أوردتِ الرّسالة أهمّ الأدلّة من الكتاب والسّنة، وأقوالَ علماء الأمّة، على وجوب الوحدة والاجتماع، ونَبْذ الفُرْقة والنِّزاع، مُبيّنةً آثار وأضرار الخلاف.

ثُمّ استعرضت حال السّاحة الإسلاميّة، وما تعيشُه من فِصام وخِصام وفُرقة واختلاف، مبيّنة الأسباب الرئيسيّة لذلك.

ولم تكتفِ الرّسالة ببيان الأسباب والمظاهر فقط، بل بيّنت الدّواء المتمثِّلَ في الالتزام بمنهج أهل السُّنة والجماعة في الحكم على النّاس والآراء، وهو النّهج القائم على العلم والعدل والإنصاف.

ولقد لخصت الرّسالة هذا النّهج من خلال مجموعة من الضّوابط الشرعيّة، التي يجب أن تحكم العلاقة بين المسلمين والعاملين للإسلام، حتى يحافظوا على أخوّتهم الإسلاميّة، وإنْ تعدَّدت وجهات نظرهم العمليّة، واجتهاداتهم العلميّة.

وفوق هذا وضعت الرّسالة المعالم العامّة التي تمثل مدخلًا لا بُدّ منه لوحدة العمل الإسلاميّ.

غير أنّ أهميّة الرّسالة لا تكمُن في محواها فقط، وإنّما تكمن أيضًا في مصدرها، فالرّسالة صادرة من عمق التيّار الجهاديّ داخل الصحوة الإسلاميّة المباركة، وهي تعبّر عن رأي قطاع عريض من هذا التّيار الذي كان –ولا زال– يوصف بأنّه من أشدّ التّيارات الإسلاميّة اعتدادًا برأيه في المسائل الخلافيّة.

فإذا كان الشّعور بخطورة الفُرْقة والخلاف، وضرورة الوحدة والائتلاف قد دفع بهذا الطّرف المهم في القضية إلى طرحها في هذا الإطار الجامع الموحّد، فلأن يدفع بقيّة الأطراف إلى التّعامل الإيجابيّ مع هذا الطّرح من باب أولى.

واللهُ يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل.)

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين - أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" :(فإذا تعذَّر دفع هذا العدو الصائل إلا باجتماع المسلمين بقضِّهم وقضيضهم وغثِّهم وسمينهم، كان ذلك واجبًا في حقِّهم، مع التغاضي عن بعض القضايا الخلافية والتي ضَرَر التغاضي عنها في هذه المرحلة أقل من ضرر بقاء الكفر الأكبر جاثمًا على بلاد المسلمين، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مبيِّنًا هذه المسألة منبِّهًا على أصل عظيم ينبغي مراعاته وهو: (العمل على دفع أعظم الضررين بالتزام أدناهما) واصفًا حالة المجاهدين والمسلمين وإن كان فيهم عسكرٌ كثير الفجور، فإنَّه لا يُعفى من ترك الجهاد ضد العدو الصائل، قال -رحمه الله- وبعد أن ذكر شيئًا من أحوال التتار وما هم عليه من تبديل شرائع الله: (فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله ﷺ، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه، كان الواجب أيضًا قتالهم دفعًا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإنَّ هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها، ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة: "الغزو مع كل بر وفاجر"، فإنَّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ؛ لأنَّه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجَّار أو مع عسكر كثير الفجور فإنَّه لا بدَّ من أحد أمرين إمَّا ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررًا في الدين والدنيا، وإمَّا الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام وإن لم يمكن إقامة جميعها،

فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه).)

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "مقابلة مجلة نداء الإسلام": (إنه ليس لدينا أدنى شك أن هذه حملةٌ صليبيةٌ يهوديةٌ شرسةٌ على الإسلام، والتي لم نشهد مثلها من قبل، لذلك يجب على المسلمين الاستعداد بكل إمكانياتهم وقواهم لصد العدو عسكريًا واقتصاديًا، وفي المناطق التي يُبشرون فيها وغيرها من الأماكن.

إنه من الضروري أن نكون صبورين، ونتعاون بِورعٍ وتقوى، وأن نرفع وعي المسلمين بحقيقة أن الأولوية الكبرى بعد الإيمان هي دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين ويعيث فسادًا في العالم، ولا شيء بعد الإيمان أولى من ذلك -كما قد ذكر العلماء في هذه القضية- إنه لَمِن الضروري أن نترك الكثير من قضايا المشاحنات في سبيل توحيد صفوفنا لنتمكن من رد الكفار، علينا جميعًا أن نطبق قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾، ولا نكون كالذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾.

إنه من الضروري أن نتعاون ولا نتشاحن وأن نتقي الله في شأننا كله، يقول رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، وعلينا أن نتّبع سنة الرسول ﷺ عندما قال: «بشّروا ولا تنفّروا ويسّروا ولا تعسّروا».

نســأل الله أن يهدينا وأن يعز المســلمين ويُذل الكافرين، وأن يُحكّم شــريعته حيث يسود الخير ويزول الشر.)

وقبل الانتقال إلى مبحث آخر أذكر هنا كلام الشيخ خبيب السوداني –حفظه الله– عن منهج الإمام المجدد في هذه المســألة: (لعل أعظم عظة وعبرة يمكن أن نقف عليها من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة بعدم إثارة الفوارق المذهبية هي: ما كل حق يقال في كل وقت ولكل أحد.

فهذه القاعدة العظيمة قد شـذ عنها كثير من الناس بحسـن نية أو بسـوئها مما ترتب عليها كثير من المفاسد وخاصة في مواطن الجهاد.

فكان الشـيخ أسـامة رحمه الله يذكر الإخوة بأن التعصـب على الإتيان بتلك السـنن قد يوغر الصـدور عند العوام وقد يؤدي إلى فسـاد ذات البين وهو الحالقة التي تحلق الدين فالمحافظة على سلامة الصدور ووحدة صف المسلمين أولى من إقامة السنن.

ولم تكن تلك النصيحة من الشيخ أسامة نابعة من فراغ بل كانت مبنية على تجارب سـابقة حدثت مع كثير من الإخوة المتعصـبين بسـبب قلة الفقه وترتيب الأولويات أدت إلى مشـاحنات أوغرت الصـدور بين المجاهدين وكانت مفسـدتها أعظم من مصلحتها وفوتت بذلك كثيرا من الخير.

وفي السـنن عن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَـدُ، وَالْبَغْضَـاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنَّهَا تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكَ لَكُمْ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

وجاء في صحيح مسلم عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢٨/٥٠): (وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين فإن الله تعالى يقول: ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾ ويقول: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ ويقول: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾. وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف. وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة)) اهـ.

تقويم ومعالجة الأخطاء (أخطاء المجاهدين)

وقد كان من الصفحات المشرقة والمعالم النيرة في دعوة الإمام المجدد منهجه في التعامل مع أخطاء المجاهدين بالحكمة والرشد فقال -رحمه الله- في "إلى أهلنا بالعراق": (ثم إن لدي مسألة أود أن أتناصح فيها مع إخوتي:

وهو ما يقع بين الإخوة من أخطاء قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ وقال الرسول ﷺ: «أكرم الناس أتقاهم لله»، وقال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله رضي الله عنهما عندما تسائل عن سبب تفضيله لأسامة بن زيد رضي الله عنهما في العطاء عليه قال له: (كان أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك وكان أبوه أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك) فهذا هو ميزاننا. فازدياد الثقة بالناس لتحمل أمانة الدعوة والجهاد، بقدر ازدياد التقوى، لا بقدر قرابة أو نسب، أو من إلى التنظيم انتسب.

وعوداً إلى موضوعنا، فإن الخطأ من طبيعة البشر، وقد قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، فالخطأ يتعذر انعدامه من الناس، وعندما يقع يثور الخلاف بينهم، وقد وقع الخطأ وارتكبت كبائر في خير القرون بل إن قريش أهمتهم المرأة التي سرقت، فقدموا أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- ليشفع لها فتلون وجه رسول الله ﷺ وقال: «أتشفع في حد من حدود الله»، وقال أيضا: «فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق

فيهم الضـــعيف أقاموا عليه الحد وإني والذي نفســـي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها» متفق عليه.

فهذا الحديث العظيم يوضـــح طريق الهلاك وهو بتعطيل الحدود، وطريق النجاة بإقامتها، ولذا تحفظ الحقوق وتطهر وتسلم الجماعة المسلمة وهذا هو سبيل المؤمنين. وأما من في قلوبهم مرض فإنهم يتتبعون عورات وسقطات المجاهدين ويضخمونها ولربما نســبوها كنتيجة لعبادة الجهاد تحت مســمى العنف والإرهاب حســبي الله عليهم. وقد قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المســـلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله –عزو جل– عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته».

فالمجاهدون هم من أبناء الأمة كالحجاج والمصلين، حالهم كحالهم يصيبون ويخطئون ومن اتهم بالوقوع في حد من حدود الله أحيل للقضاء ولا مجال للصراع بين المسلمين المستسلمين حقاً لأمر الله تعالى ولأمر رسول الله ﷺ.

فكل أمر وكل نزاع يرد إلى الله تعالى ورســوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَـــيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُـــولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾.

فرد التنازع إلى الله وإلى الرســول ﷺ هو علامة الإيمان، ورفض ذلك علامة الكفر، فيجب التحاكم إلى شرع الله، وعندها يتم تمحيص الدعاوى وتقديم البينة.

وقد قال الرسـول ﷺ: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر»، وقال أيضـا: «إذا تقاضـى إليك رجلان فلا تقضـي للأول حتى تسـمع كلام الآخر، فسـوف تدري كيف تقضي».

وينبغي على العلماء، وأمراء المجاهدين، وشيوخ العشائر، أن يبذلوا جهدهم للإصلاح بين كل طائفتين تختلفان، ويقضـوا بينهم بشـرع الله، وعلى الطائفتين المختلفتين أن تستجيبا لدعاة الإصلاح من أهل العلم الصادقين، ولكن الحذر من التقاضي إلى علماء السـوء عامة ومن بلاد الحرمين خاصـة. الذين ينهون المجاهدين عن قتال الجيش وشـرطة العملاء كعلاوي والجعفري والمـالكي، وهم يعلمون أنهم أدوات للاحتلال الأمريكي يناصـرونهم على قتل أهل الإسـلام وتلك ردة ظاهرة من العسكر.

والأدهى والأمر أن هؤلاء العلمـاء، يعتبرون طـاغوت الرياض ولي أمر، ويـدعون المسـلمين للالتفاف حوله في حين أنهم يعلمون أنه أكبر مسوق للمخطط الأمريكي الصهيوني في المنطقة، وهو أحد دعاتها لغزو العراق، هؤلاء.. ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في "الجهاد وتجاوز العقبات": (فهذا ما أحببت أن أذكر نفسـي وإخواني بين يدي محاضرتنا عن الجهاد وتجاوز العقبات، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يعافينا وإياكم من الخوض في الفِتن، وكما قال الإمام أحمد -رحمه الله- عندما كان يُسـأل عن الفتنة التي حصلت في زمن علي ومعاوية رضي الله عنهما، فكان يقول:

(تلك فتنة سلم الله أيدينا وسيوفنا منها فلتسلم ألسنتنا)، وكذا نقول هذه الفتنة التي حصلت في "كُنر" بين المسلمين سلم الله أيدينا وسيوفنا منها فلتسلم ألسنتنا منها.

وأقول قد من الله سبحانه وتعالى على أخيكم وبعض إخوانه بالسعي منذ أن علمنا ببدء الفتنة قبل بضعة أشهر بين الحزب وجماعة الدعوة، فسعينا بين الشيخ "جميل الرحمن" عليه رحمة الله وبين المهندس منذ أكثر من ثلاثة أشـــهر لإنهاء الخلاف قبل أن يستفحل ولكن قدّر الله وما شاء فعل.

ثم منّ الله عندما علمنا بالأمر من جديد بدأ واستفحل، منّ الله وسعينا كما أمر الله سبحانه وتعالى بالصلح بين المؤمنين وأخذنا تفويضًا من الحزب ومن الشيخ جميل الرحمن –عليه رحمة الله– لتشكيل لجنة قضاء ارتضى الطرفان هذه اللجنة، وهذه اللجنة تحكم بينهم بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة رسوله ﷺ، فما ينبغي لمسلم أن يتعجل أو يحكم بين يدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من بعد وعلى جهل وبغير بصيرة، وإنما طالما ارتضوا هذه اللجنة ننتظر حكم الله وحكم رسوله ﷺ، فإذا ظهر الحق كنا أعوانًا للحق وكنا من أهل الحق وكنا مع أهل الحق، فتريثوا تســـلموا يرحمني الله وإياكم.

واللجنة إلى هذه اللحظات هي في "باجاور" وفي "كُنر" تتابع السعي للصلح بعد أن منّ الله وأوقفت إطلاق النار بين الفئتين المسلمتين، وينبغي الإشارة هنا أن القتال بين المسلمين كبيرة عظيمة وأمر جسيم أن يبدر من المسلمين لما ذكرنا من الآيات والأحاديث الصحيحة عنه ﷺ، ولكن ينبغي أن لا يتوهم متوهم أن هذا لا يقع بين المســـلمين وإلا لما جُعِلت له هذه الآيات وهذه الحدود وقد قال ســـبحانه وتعالى:

﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾، فوصفهم أنهم مؤمنين ووصفهم بأنهم اقتتلوا، فهذا يحدث وقد حدث في خير العهود رضي الله عنهم وأرضاهم، فينبغي أن لا يكون ذلك سببًا لترك الجهاد وإنما أمران من أمور الشرع جاءا فلا تعارض بينهما، جاء الأمر بالقتال بقتال الكافرين حتى لا تكون فتنة، وجاء الأمر بالإصلاح، فلا يتعذر المتعذر بأن يترك الجهاد لأن هذه الفتنة حصلت، وإنما على الإخوة أن يستمروا في جهادهم حتى تُحرر كابل وتُحرر أفغانستان من الكفر ويكون الدين كله لله، وينبغي على أهل الحل والعقد في الإخوة أن يسعوا للصلح بين أي فئتين تتنازعان على أي أمر من الأمور.)

التثبت وحفظ اللسان من الخوض في أعراض المسلمين والمجاهدين

إن وجوب التثبت من الأخبار وعدم نشرها قبل التبين والتثبت، وحفظ اللسان من الخوض في أعراض المسلمين والمجاهدين من الواجبات الشرعية والأخلاق الكريمة التي أمرت بها الشريعة المطهرة لدورها الكبير في صلاح الفرد والمجتمعات فقال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾** [النساء: ٩٤].

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾** [الحجرات: ٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه» رواه البزار وصححه الألباني.

فإن عدم التثبت من الأخبار قبل نشرها والخوض في أعراض الناس دون بينة أو حجة من أعظم أسباب فساد المجتمعات والدعوات وهي من الأدوات التي يحارب ويفسد بها الأعداء مشاريع المصلحين على مر العصور.

وهذا الأمر تنبَّه له المصلحون والمجددون ومنهم الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– فجعلوه في دائرة توجيهاتهم ونصائحهم وإرشاداتهم فقال –قدس الله روحه– في "الجهاد وتجاوز العقبات": (وأذكر نفسي وإخواني بأن نحذر كل الحذر من آفات اللسان وكما في حديث معاذ رضي الله عنه: وهل يكب الناس على وجوههم –أو قال مناخرهم– إلا حصائد ألسنتهم. وكم من مسلم يعين على قتل مسلم من حيث يدري ولا يدري، يلصق التهم جزافًا بلا دليل ويشهد شهادات الزور وهي من أكبر الكبائر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكذلك بيّن رسول الله ﷺ شدة الحذر من الخوض في دماء المسلمين وفي أعراضهم، ففي المحافل العظيمة وفي اجتماع المسلمين كان يحذر ﷺ كلما اجتمع جمع عظيم من المسلمين يحذر من الخوض في دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، كما في الصحيح في يوم عرفة عندما نزل بطن الوادي –وادي عرفة– قال ﷺ: «وإن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

وصح عنه في صحيح مسلم ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

فيا عباد الله تذاكروا بالخير وتناهوا عن الشر وليكن تذاكرنا بالمعروف، وأيضًا ننهى بعضنا عن الشر بالمعروف كما أمر ربنا سبحانه وتعالى.

وقد حذر سبحانه وتعالى من الإشاعة ومن نقل الأخبار قبل التثبت والتريث ففي ذلك آيات وفيها أحاديث صِحاح، فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى مخاطبًا المؤمنين: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**.

من رحمته بنا سبحانه وتعالى يحذرنا وينبهنا بهذه الآيات العظيمة حتى نجتنب مواطن السوء، وجاء في سبب نزول هذه الآية أنه ﷺ أرسل الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق يطلب صدقاتهم، فذهب الوليد وكان بينه وبينهم إحنةٌ في الجاهلية وبعض شحناء، فلما علموا به خرجوا يحتفلون ويستقبلون رسول رسول الله ﷺ، فوسوس له الشيطان أنما يريدون قتله فرجع –قبل أن يصل إليهم– إلى رسول الله ﷺ، وقال إن بني المصطلق قد منعوا زكاتهم، وفي رواية قد ارتدوا، فغضب رسول الله ﷺ وغضب المسلمون وما زالوا يتحدثون حتى هموا بغزوهم، وفي رواية أنه أرسل إليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وبينوا أنهم لم يمنعوا زكاتهم ولم يرتدوا فأنزل الله سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**.

فلنتقِ الله في نقل الأخبار، ولنتقِ الله في الإشاعة التي ليس منها فائدة إلا الضرر والضِرار على المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد قال سبحانه وتعالى محذرًا من نقل الأخبار قبل أن يُتأكد منها وقبل أن تُرجع إلى أولياء الأمور ليتأكدوا ويستنبطوا ما هو صالح منها وما هو الحقيقي منها فيحققوه

وما هو الباطل فيبطلوه، قال ســـبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـــولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْـتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾، يقول ابن كثير -رحمه الله- عند هذه الآية: (إنكارٌ ووعيد لمن يبادر إلى الأخبار فينقلها ويفشيها ويسعى بها قبل أن يتحقق من صحتها.)

وقال الطبري -رحمه الله-: (أولي الأمر منكم، أي لا بد أن تُرجع الأمور إلى أولياء الأمور، إلى أهل العلم، إلى من ولاه الله أمرنا في الحرب، تُرجع إليهم الأمور حتى هم يشيعوا ما كان في إشاعته حسن ويمنعوا ما كان في إشاعته إساءة للمسلمين.))

وقـال -رحمـه الله- في "إلى أهلنـا بالعراق": (وأقول لإخواني: خـذوا حـذركم من أعدائكم، ولا ســيما المنافقين الذين يخترقون صــفوفكم لإثارة الفتن بين الجماعات المجاهدة، فمن كان هذا شــأنه فأحيلوه إلى القضــاء وعليكم بالتثبت وادرأوا الحدود بالشبهات وعليكم بحفظ أسراركم وأتقنوا أعمالكم.)

وقال -رحمه الله- في "الجهاد وتجاوز العقبات": (أظن فيما ذكرنا في البداية آية في التذكير وأعيد الحديث لأن اتهام رجل مسلم في عرضه، أن تتهمه مخابرات هذا تتهمه في عرضه وفي دينه بل هذه الكلمة قد تعين على قتل رجل مؤمن وقد ذكرنا الحديث عنه ﷺ: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه آيسٌ من رحمة الله»، فاتقوا الله يا إخوة الإســـلام واســـتغفروا لما بدر منكم وتوبوا وإياكم والجدل وما أوتي قومٌ الجدل إلا ضلوا.)

إرهاب الأعداء فريضة دينية
واغتيال رؤوسهم سنة نبوية

إن مصطلح الإرهاب من أكثر المصطلحات المظلومة في هذا الزمان فقد ظلمه كثير من أبناء الإسلام قبل أعدائه وجردوه من معانيه وصوره المشروعة.. وأصبح مصطلحاً للتنفير والذم في الأعم الأغلب بعد أن كان في بعض صوره وحالاته من وصف عباد الله المجاهدين في سبيل الله كما قال الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿**لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحشر: ١٢-١٤].

وكان الشيخ أبو مصعب السوري قد أشار إلى هذه المسألة بإشارات طيبة في كتابه المعطاء والمعطار "دعوة المقاومة" انقله لك أيها القارئ بطوله لأهميته فقال -رحمه الله-: (أعتقد أن من أهم مجالات نجاحات الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الجديدة، نجاحهم في مجالات الإعلام. ومما نجحوا فيه في ذلك، فرضهم للمصطلحات وتعريفاتها على الناس، وإلزام البشرية بفحوى تلك المصطلحات ما

يوافق رؤيتهم ومن المصطلحات التي فرضوها اليوم بصورة شوهاء لتعبر عن أبشع الأعمال والصفات والممارسات.

ومن ذلك اليوم مصطلح "الإرهاب" و "الإرهابيين".. و "مكافحة الإرهاب"...

حتى أصبح الطبيعي في الإعلام العربي والإسلامي وحتى إعلام الصحوة نفي هذه الصفة وكأنها تهمة ورذيلة وكارثة، تؤدي بمن يتهم بها إلى الاتصاف بكل خصائص الرذائل ومترتباتها في الدنيا والآخرة..

وبكل بساطة وشجاعة نقول:

بأننا نرفض أن نفهم هذا المصطلح وفق التوصيف الأمريكي. "فالإرهاب" كلمة مجردة ومثل كثير من الكلمات المجردة، فقد تحمل معنى صالحا أو طالحا بحسب نسبتها، وما يضاف إليها وما تنضوي عليه. فالكلمة مجردة لا صفة لها من سلب ولا إيجاب..

أرهب: أي أرعب والمصدر. الرهب.. أي الخوف الزائد. والقائم بالفعل "إرهابي".. والذي يقع عليه الفعل مرهب أو مرهوب.

وبهذا يكون لدينا هناك نوعان من الإرهاب..

١ – إرهاب مذموم:

وهو إرهاب الباطل وقوى الباطل، ويمكن تعريفه بأنه كل فعل أو قول أو تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى والخوف بالأبرياء بغير وجه حق.

ومن هذا القبيل إرهاب اللصوص. وقطاع الطرق. وإرهاب الغزاة والمعتدين. وإرهاب الظلمة والمتسلطين على الناس بغير حق، من الفراعنة وأعوانهم... فهو إرهاب مذموم وفاعله "إرهابي مجرم" يستأهل العقاب على إرهاب وجرمه بقدر أذاه وفعله الذميم.

٢ - إرهاب محمود:

وهو الإرهاب المعاكس لذلك الإرهاب المذموم. هو إرهاب المحق المظلوم الذي يدفع الظلم عن المظلومين. وذلك بإرهاب ظالمة ودفعه.

ومن هذا القبيل إرهاب رجال الأمن العدول للصـــوص وقطاع الطرق. وإرهاب المقاومين للمحتلين. وإرهاب المدافعين عن أنفســهم لأعوان الطاغوت. فهذا إرهاب محمود.

إرهاب الأعداء فريضة دينية، واغتيال رؤوسهم سنة نبوية:

أذكر أني ألحقت بدورة تدريبية لإعداد كوادر الجهاز العســـكري لتنظيم الإخوان المسـلمين أيام الجهاد والثورة على نظام حافظ الأسـد وكان لي من العمر ٢٢ عاما. وكان ذلك في معسكر الرشيد التابع للجيش العراقي ببغداد سنة ١٩٨٠. ولما دخل علينا المدرب -وكان رحمه الله- رجلا فاضــلا، وشــيخا مســنا من الرعيل الأول، من الذين بايعوا الشـــيخ حســـن البنا رحمه الله لما كان عمره ١٧ عاما، وجاهد في فلســطين ســنة ١٩٤٨، وجرح في القدس، وعمل في الجهاز الخاص، وشــارك في المقاومة السرية ضد الإنكليز في قناة السويس مطلع الخمسينات، وصحب سيد قطب رحمه الله، وهاجر عن مصر بقية حياته، وكان مدربا في معسكرات الشيوخ في

شـــرقي الأردن مع منظمة التحرير ســـنة ١٩٦٩ وانتدب لمســـاعدة أكثر من حركة جهادية ســـــاندها الإخوان عندما كانوا إخوانا على منهج البنا وقطب، قبل طاعون الديمقراطية والبرلمانات...

فكان يدربنا المواد العســـكرية ويجري معنا في الطابور الرياضــــي –رغم ســـنواته التي ناهزت الستين– ويلقي فينا المحاضـرات. وأذكر أنه أول ما دخل على الفريق المكون من ٣٠ شــابا هم نخبة الجهاز العســكري للإخوان الســـورين في حينها، كان أول ما قاله لنا بلهجته المصــرية: (إنتو إخوان مســـلمين؟ فقلنا: نعم. فقال: متأكدين يبني؟ قلنا: متأكدين. فقال مشيرا إلى عنقه: يبقى حتدبحوا كلكو.. موافئين؟.. فقلنا جميعا والسرور والبهجة تغمرنا: موافقين يابيه..)

فاستدار إلى السبورة وكتب عليها عنوان أولى المحاضرات:

(الإرهاب فريضة والاغتيال سنة)!

وخط تحتها خطا واســـتدار لتبدأ الدروس.. ونبدأ المشـــوار.. فوعينا الدروس وطال المسار وبقيت البشارة.. والأمل في كرم الله كبير لمن قضى نحبه من ذلك الفريق ولمن ينتظر.

وهذا الذي لخصــه الشـيخ –رحمه الله– جزء من عقائد هذا الدين. وقد افتتحت بها فيما بعد دروسي.

لقد أمر الله بإرهاب أعدائه في صريح كتابه، وجاءت به سنة رسوله المصطفى ﷺ القولية والفعلية والتقريرية. وقد فصل الكتاب والسنة أحكام هذا الإرهاب المحمود لأعداء الله بصريح العبارة. ففي القرآن قوله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾ [الأنفال: ٦٠]. والآية صريحة النص قطعية الدلالة.. ﴿**وأعدوا**﴾ أي تدربوا على القتال. ﴿**لهم**﴾ أي لأعدائكم ﴿**ما استطعتم من قوة ومن رباط الخير**﴾ وهو الرمي والركوب والسلاح. قال ﷺ: «ألا إن القوة الرمي» يكررها ثلاث مرات.

فلماذا الإعداد والتدرب على القتال وحشد السلاح وربط الخيل؟.. لقد بينت الآية ذاتها ذلك: ﴿**ترهبون**﴾: أي لكي ترهبوا ﴿**به**﴾: أي بما أعددتم للقتال ﴿**عدو الله وعدوكم**﴾: وهم المقصودين بالفعل الإرهابي. ﴿**وآخرين من دونهم**﴾: أي ممن يعينهم ويساعدهم أو يتربص بكم للعدوان. فلما يرى هؤلاء إرهابكم للمعتدي ومقاومتكم ودفاعكم عن أنفسكم "يرهب" ويخاف ويردع عن الإقدام، من دون أن تكونوا قد علمتم بعزمه على العدوان. ولكن الله علم ذلك وردعه بإعدادكم وإرهابكم لأعداء الله المعتدين. والله تعالى أعلم.

وهكذا وباختصار: لقد أمرت الآية الكريمة بالإعداد بغية الإرهاب للمعتدين وأعداء الله من الكفار وأعوانهم. وقد فهم الكفار الآية أكثر من كثير من علماء المسلمين في هذا الزمان، فطالبت أمريكا كل الدول الإسلامية بحذفها، وكل "سورة الأنفال" و "التوبة" و "آل عمران".. من مناهج التعليم!!.

ومن يرهب الآخرين فهو "إرهابي" بلا لف ولا دوران، وبهذا فهناك:

- إرهابي ظالم معتد..

- إرهابي عادل مدافع عن نفسه أو عن المظلومين الآخرين.

وبذلك لا نجد في كلمة إرهابي أي مدلول سيئ في حالة نعت بها المقاومون والمجاهدون.. فهم في الحقيقة إرهابيون لأعدائهم وأعداء الله وعباده الضعفاء، فأين الإشكال وأين المذمة؟!

نعم نحن إرهابيون لأعداء الله. وقد أرهبناهم وجعلناهم يرتجفون في جحورهم رغم مئات الآلاف من العاملين في أجهزتهم الأمنية. ولله الحمد، وذلك بعد أن أرهبوا البلاد والعباد وأدخلوا الخوف على الأجنة في بطون أمهاتهم..

ومن هنا فالإرهاب مأمور به في كتاب الله، فيكون في مثل حال دفع المجاهد لعدوه وإرهابه في جهاد الدفع؛ فريضة من أهم الفرائض بل ليس أوجب بعد توحيد الله منها كما نص على ذلك الفقهاء والعلماء، قبل أن يطالنا إرهاب وسائل إعلام العدو وإرهابهم الفكري أن نتبرأ من ذواتنا وكتاب ربنا وفرائض ديننا..) اهـ.

فإرهاب أعداء لله والمحاربين لدينه واغتيال أئمة الكفر والردة والزندقة ضمن الضوابط الشرعية من الأعمال الجهادية المباركة التي حرض عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- ودافع عنها وكانت كذلك من مركزيات دعوته ومن صميم توجيهاته فلم يأبه بما أذاعه المبطلون حول هذه الأعمال المباركة ولا بما يلحقه من أذى نتيجة ذلك

فقال -رحمه الله- في رده على سؤال "عبد الباري عطوان: يعتبر البعض أن العمليّات ضد القوّات الأمريكية إرهاب، ويصفونك بزعيم ما يُسمّى "الإرهاب الإسلامي؟!":

(أسامة بن لادن: إذا كان الإرهاب ضد المجرمين واللصوص وقُطّاع الطّرق، فإنّه أمرٌ مشـــروعٌ أُقِرَّ من جميع الدول عبر العصـــور، أما الإرهاب المدان فهو ما يرتكبه اللصوص ضد الأمم.

ما حدث في تفجيري الرياض والخُبَر كان إرهابًا يســـتحقُّ الثّناء؛ لأنه كان ضـــد اللصــوص، وهؤلاء اللصــوص ليســوا أفرادًا بل دولًا كبرى، ذهبَت إلى هناك لتنهب ثروات هذه الأمّة، وتعتدي على مقدَّساتها.

إنه شـرفٌ عظيمٌ لكل مسـلم أن يُدافع عن قِبلته التي يتوجّه إليها بالصّـلاة، ويُحرّرها من هؤلاء المعتدين الـذين نهبوا ثرواتهـا، وفيمـا يتعلّق بوصـــفهم للمجاهـدين بأنّهم إرهابيون، فالمثَل التالي يَرُد عليهم: "رَمتني بِدائها وانْسَلَّت".

فهؤلاء المعتدون هم الذين يرتكبون الإرهاب الشّـنيع، وأود أن أُشـير فقط إلى معاناة الشـعب المســلم في فلســطين، ولموقف الولايات المتّحدة المخزي، واسـتعمالها لحقّ النّقض الفيتو، والذي يُشـكّل بحد ذاته إرهابًا، هذا بالإضـافة لمجزرة قانا، والحصـار المفروض على العراق والذي تسبب بموت أكثر من ستمائة ألف طفلٍ بريء.

لقد بلغ الظلم حدًا كبيرًا في قمة شرم الشيخ حيث تستخدم الولايات المتحدة حق النّقض الفيتو ضدّ الشعب المسلم في فلسطين، والذي صار له يعاني من الاضطهاد لأكثر من قرن، ولكن عندما يُقتل قلّة من اليهود يُســـارع قادة العالم -والـذين

تلطّخت أيدي البعض منهم بالدماء، مثل يلسن الذي تلطّخت يديه بدم الشعب الشيشاني-، يُسارعون للاجتماع!

إنّ مثل هذه الأجندات لن تُثني المسلمين عن الدّفاع عن دينهم بأنفسهم.)

وجاء لقاء مع الصحفي تيسير علوني لقناة الجزيرة: (تيسير علوني: سؤال يتردد على ألسنة الكثير من الناس في مختلف أنحاء العالم، وتدعي الولايات المتحدة بأن لديها دلائل مقنعة على تورطك في أحداث نيويورك وواشنطن، فما ردكم على هذه الادعاءات؟

الشيخ أسامة بن لادن: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأما وصفها لهذه الأعمال بالإرهاب، فهو وصف باطل، فهؤلاء الشباب الذين فتح الله عليهم ونقلوا المعركة إلى قلب أمريكا، ودمروا أبرز معالمها، معالمها الاقتصادية، ومعالمها العسكرية، ذلك بفضل الله سبحانه وتعالى، كانوا يقومون بذلك - مما فهمنا وهو ما حافظنا عليه من قبل - هو دفاعا عن النفس، دفاعا عن إخواننا وأبنائنا في فلسطين وتحريرا لمقدساتنا، فإن كان التحريض على ذلك إرهابا، وإن كان قتل الذين يقتلون أبناءنا إرهابا، فليشهد التاريخ أننا إرهابيون.)

وجاء في لقاء مع الصحفي "جون ميلر" لقناة ABC: (الصحفي: تم القبض على والي خان أمين شاه في مانيلا، وتعتقد السلطات الأميركية أنه كان يعمل لديكم،

بتمويلكم، وبإقامة معسكرات تدريب هناك، وكان التخطيط لعملية اغتيال -أو محاولة اغتيال- الرئيس كلينتون خلال زيارته إلى مانيلا جزءًا من خطته.

أسامة بن لادن: والي خان شابٌ مسلم، كان لقبه في أفغانستان "الأسد"، وكان من بين الشبان المسلمين الأكثر شجاعة، كان صديقًا مقربًا، اعتدنا على القتال في خندق واحد في أفغانستان، شاركنا بالعديد من المعارك ضد الروس حتى هُزموا واضطروا إلى مغادرة البلاد على نحو مخزي.

وحول ما قلته أنه كان يعمل لدي فلا شيء عندي لقوله، نحن جميعنا معاً في هذا الأمر؛ نعمل جميعنا في سبيل الله وأجرنا يأتي من الله تعالى.

ثم ما قلته عن محاولة اغتيال الرئيس كلينتون ليس بالأمر المستغرب، ماذا تتوقع من قوم تتم مهاجمتهم من قبل كلينتون، أولئك الذين فقدوا أولادهم وأمهاتهم؟ هل تتوقع أي أمر غير العلاج عن طريق المعاملة بالمثل؟)

وقال -رحمه الله- في محرضاً على إرهاب واغتيال أئمة الكفر والحرب على الإسلام في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (وأذكر نفسي وإياكم بأفعال الأطهار الأبرار الجنود الأُول للإسلام الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- لنتشبه بهم في نصرة الدين، وإن التشبه بالكرام فلاح.

فقد روى أهل السنن وكذلك أهل السير حادثة شعر كعب بن الأشرف الذي نال به من رسولنا ﷺ فلما بلغ ذلك لرسولنا ﷺ قال: «مَن لي بكعب بن الأشرف فقد

آذى الله ورسوله»، عند ذلك قام محمد بن مسلمة فقال: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟، قال: «نعم».

الله أكبر! الله أكبر ما أسرع استجابتهم لنصرة الله ونصرة رسوله ﷺ، الله أكبر ما أعظم إيمانهم ويقينهم وما أعلمهم وما أفقههم، فقد كان عالماً رضي الله عنه أن دواء من يؤذي الله ورسوله القتل بدون مقدمات.

لا كما يفعل الدعاة المنهزمون اليوم الذين ما ذهبوا إلى الصليبيين مقاتلين وإنما ذهبوا محاورين، أمثال هؤلاء يميعون الدين فاحذروهم، نعم، إن منهجهم مخالف للمنهج القويم، فمنهج رسول الله ﷺ أنه يحب قتل كعب بن الأشرف ويحب قتل كل من آذى الله تعالى ورسوله ﷺ، نعم، إن قتل هؤلاء أمر يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وقد أمر الله تعالى به وحرض عليه رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾، فبالقتال ينتهون عن الطعن في الدين.

قال ابن القيم رحمه الله عند هذه الآية: (كل من طعن في ديننا فهو إمام في الكفر.) اهـ.

فكم من إمام للكفر اليوم في بلاد المسلمين؟! وكم من أتباع لكعب بن الأشرف في جزيرة العرب؟! كم منهم كُتّاب في الصحف وممثلون ومذيعون في وسائل الإعلام؟!

وهنا ينبغي التنبيه؛ أنه لا يجوز للمسلم أن يستمع إلى أي برنامج فيه حوار مع الزنادقة أو إلى أي تمثيل فيه استهزاء بالدين وبالمتدينين، فإن ذلك من أكبر الكبائر.

وكم من هؤلاء الزنادقة وزراء ومن دونهم وعلى رأسـهم وزير العمل في بلاد الحرمين غازي القصـيبي، ومن يريد فتوى رسمية بكفره وردته فقد أفتى بذلك المفتي العام السابق الشيخ عبد العزيز بن باز، كما أفتى بكفر وردة الزنديق شملان العيسى في الكويت. ومن هؤلاء الزنادقة، أحمد البغدادي في الكويت أيضاً وتركي الحمد في بلاد الحرمين، وقد أفتى بردة الأخير الشيخ حمود العقلاء وغيرهم كثير.

وقد حوى كتاب "الحداثة في ميزان الإسلام" أسماء كثير منهم، وكذا حذر الشيخ سعيد الغامدي منهم في أشرطة مسجلة.

والآن لنعد لإكمال قصتنا..

فإن محمد بن مسلمة -رضي الله عنه- أخذ معه بعض الأصحاب -رضي الله عنهم- فذهبوا وقتلوا عدو الله كعب بن الأشرف، فعند ذلك فزعت يهود ومن معها من المشركين، فجاؤوا إلى النبي ﷺ حين أصبحوا فقالوا: قد طُرق صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا، قُتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه!، فقال رسول الله ﷺ: «إنه لو قرّ كما قرَّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف».

نعم، هذا هو حكم رسولنا ﷺ في كل من يهجوه وفي كل من يتنقص من الدين ويستهزئ به.

فيا شباب الإسلام..

اتبعوا أمر الله تعالى وأمر رسولنا ﷺ بقتل هؤلاء واقتدوا بمحمد بن مسلمة وأصحابه -رضي الله عنهم- فبطن الأرض خير والله من ظهرها والزنادقة بيننا يستهزئون بديننا ونبينا ﷺ، فاتقوا الله في أنفسكم وأرضوا ربكم، ولا تشاوروا أحداً في قتل هؤلاء الزنادقة، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان....)

ويحكي لنا الشيخ خبيب السوداني -حفظه الله- في "شذرات من تاريخ القاعدة" عن مشاركة تنظيم القاعدة بتوجيه من الشيخ أسامة بن لادن بعمليات تصفية أئمة الكفر من الشيوعيين في اليمن الجنوبي ما بين ١٩٩١-١٩٩٤م.. ويذكر لنا كذلك التعاون في التخطيط والتمويل بين تنظيم القاعدة والجماعة الإسلامية في محاولة الرئيس المصري الهالك حسني مبارك في أديس أبابا عام ١٩٩٥ فقد كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري -رحمه الله- يتابع خطواتها خطوة بخطوة[٢٥]

---

٢٥ . انظر شذرات من تاريخ القاعدة ص ١١٥ وما بعد.

الإرهاب المحمود والإرهاب المذموم

ينبغي علينا عند حديثنا عن منهج الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- في مسألة الإرهاب وما أثير حولها أن نذكر أن إمامنا المجدد -رحمه الله- قد بين بوضوح أن إرهابنا لأعداء الله الصـائلين على الدين والعرض والأرض إرهاب محمود محبوب لله تبارك وتعالى وليس هو من الإرهاب المذموم الذي يقوم على الظلم والإجرام كما حال الحملات الصـهيوصـليبية المعاصـرة فقد قال الإمام المجدد -رحمه الله- في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شهور مِن الضربات المباركة": (وهؤلاء الذين يدعون الإنسانية ويدعون الحرية رأينا هنا إجرامهم الحقيقي، فالإنسان تكفيه شظية -وزيادة عليه- وزنها سـبع جرامات، فأميركا من حقدها على هؤلاء الطالبان ومن حقدها على المسـلمين كانت ترمي على إخواننا في الخطوط قذائف تصـل القذيفة الواحدة إلى ٧ طن، يا أهل الحسـاب يعني ٧ آلاف كيلو يعني تسـاوي ٧ مليون جرام بينما يكفي الإنسان ٧ جرام وزيادة عليه.

وعندما فجر الشـباب -نرجو الله أن يتقبلهم شـهداء- في نيروبي أقل من اثنين طن قالت أميركا هذا ضرب إرهابي، وهذا سلاح تدمير شامل وأما هي تستخدم قذيفتين كل قذيفة ٧ مليون جرام فهذا لا حرج فيه.

ويطلع علينا وزير الدفاع بعد أن قصـفوا قرى بكاملها بدون سـبب وإنما من أجل إرهاب الناس وجعل الناس يخافون من استضافة العرب أو الاقتراب منهم، طلع وزير الدفاع وقال هذا من حقنا! من حقهم أن يبيدوا الشـعوب طالما أنها مسـلمة وطالما

أنها غير أميركية، هذا هو الإجرام بعينه واضـــح بيّن وكل ما تســـمعون من قولهم أنه خطأ هذا من الكذب الواضـح البيّن، فقبل أيام ضـربوا كما زعموا مواقع للقاعدة في خوســت، وأرســلوا قذيفة موجهة على مســجد قالوا وقعت بالخطأ، وبعد التحري اتضح أن العلماء في خوست كانوا يصلون صلاة التراويح وكان عندهم اجتماع بعد صــلاة التراويح مع البطل المجاهد الشــيخ جلال الدين حقاني، الذي كان أحد أبرز قيادات الجهاد الســابق ضــد الاتحاد السـوفييتي والذي رفض هذا الاحتلال الأميركي على أرض أفغانســتان، فقصــفوا المســجد والمســلمون في الصــلاة فقتل منهم مئة وخمسون ولا حول ولا قوة إلا بالله وسلم الشيخ جلال نرجو الله أن يبارك في عمره.

هذا هو الحقد الصـــليبي، فلينتبه الذين يرددون الكلام دون أن ينتبهوا إلى عواهنه ويقولون نحن ندين الإرهاب، نحن إرهابنا ضـــد أميركا هو إرهاب محمود لدفع الظالم عن ظلمه لكي ترفع أميركا دعمها عن إسـرائيل التي تقتل أبناءنا، والأمر واضـح بين ألا تعقلون؟!

أميركا ورؤساء الغرب كثيرا ما يرددون أن حماس والجهاد في فلسطين وغيرها أيضا من المنظمات المقاتلة يســـموها منظمات إرهابية، إذا كان الدفاع عن النفس إرهابا فأي شـــيء هو المشـــروع؟، فدفاعنا لا يختلف وقتالنا لا يختلف عن قتال إخواننا في فلســـطين كحماس، نقاتل من أجل لا إله إلا الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ولنرفع الظلم عن المستضعفين في فلسطين وفي غيرها.

فالأمر واضح بين، وما ينبغي لمسلم عاقل أن يقف في ذلك الخندق تحت أي تأويل من التأويلات، فهذه أخطر وأعنف وأشرس حرب صلبية تشن ضد الإسلام، و بإذن

الله نهاية أميركا قريبة ونهايتها ليســت متوقفة على وجود العبد الفقير، أســامة قتل أم بقي، فبفضــل الله قد قامت الصــحوة وكان من مكاســب هذه العمليات أرجو الله ســـبحانه وتعالى أن يتقبل هؤلاء الشـــباب في الشـــهداء وأن يجمعهم مع النبيين والصـديقين والشـهداء والصـالحين وحسـن أولئك رفيقا، فهؤلاء الشباب قاموا بعمل عظيم جدا، بعمل جليل، جزاهم الله خير الجزاء ونرجو الله أن يكونوا ذخرا لآبائهم وأمهاتهم، فقد رفعوا رأس المســلمين عالياً، وأعطوا أميركا درســا لن تنســاه بإذن الله سبحانه وتعالى.

وقد حذرت فيما مضى في لقاء مع قناة ABC أن أميركا بدخولها في صراع مع أبناء الحرمين سوف تنسى أهوال فيتنام، وهذا الذي كان بفضل الله سبحانه وتعالى، وما خفي كان أعظم بإذنه سبحانه وتعالى.)

وقال –رحمه الله– في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين – أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (وإنَّ إرهابنا لكم وأنتم تحملون السلاح على أرضنا هو أمرٌ واجبٌ شـــرعًا ومطلوبٌ عقلاً، وهو حقٌّ مشـــروعٌ في أعراف جميع البشـــر، بـل والكـائنـات الحيـة، ومَثَلُكم ومَثَلُنـا كمَثَـل أفعى دخلـت دار رجـلٍ فقتلهـا، وإنَّ الجبان من يترككم تمشون على أرضه بسلاحكم آمنين مطمئنين.

وهؤلاء الشباب يختلفون عن جنودكم، فمشكلتكم هي كيفية إقناع جنودكم بالإقدامِ إلى الحرب، أمَّا مشكلتنا فهي كيفية إقناع شبابنا بانتظار دورهم في القتال والعمليات المهمة، فلله دَرُّ هؤلاء الشـباب، فهم أهلٌ للمدح والثناء، حيث وقفوا لنصـرة الدين يوم أضلَّت الدولةُ كبارَ الناس، واستنزلتهم لإصدار فتاوى ليس لها سندٌ في كتاب الله

ولا في سـنة نبيه ﷺ بتسـليم اليهود المسـجد الأقصـى وإباحة بلاد الحرمين لجيوش النصارى، وإنَّ ليَّ أعناق النصوص لن يغيِّر من هذه الحقيقة شيئًا، ففي ذمِّ القاعدين وفي مدح المجاهدين يقول الشاعر:

كفرت بكل من عذلوا وعن درب الهدى عدلوا
ومـن بِنَـديِّهِمْ والنـار تـز حـف يكثر الجدلُ
ومـن بِـالوَهـم رغم التِيـه ظنُّـوا أنَّهـم وصـلوا
وأكبـرتُ الذين مضوا وعمَّـا شـقَّ ما سـألوا
وعـن غاياتهم رغم اعتسـاف الدرب ما نكلوا
ومـن دمهم أُضيئت في ديـاجي الحَيْرَةِ الشُّعَلُ
أيا مهـرًا يجيد العـدو لم يشمت بـه الكـللُ
وزورق عـزة رغـم اشتـداد المـوج ينـتـقـلُ
وسيفًـا مثل ضـوء البـرق يَسْطع حين يُنتضَلُ
رأيتك صـافيًـا والنـاس مغشـوشٌ ومنتحِـلُ
أنـا ما زال جـرح القـدس في جَنْبَيَّ يعتملُ
وَوَقْدَ مُصَـابِها كالنـار في الأحشـاء يشتـعلُ
أنـا مـا خـنـتُ عهـد اللهِ لما خـانت الدولُ
وفي سـاحـاتها جاهدت إذ جُلُّ الورى خذلوا)

وقال في رده على سـؤال تيسـير علوني: (الآن شـيخ أسـامة، أجهزة الإعلام في كل مكان، وأجهزة الاستخبارات أيضـا تتحدث عن أنكم تديرون شـبكة واسـعة جدا،

واسعة النطاق تنتشر في أربعين أو خمسين دولة حسب بعض الأقوال، وأن إمكانات تنظيم القاعدة المالية إمكانات ضخمة جدا، وأنتم تستخدمون هذه الإمكانات في الكثير من ما نفذ من عمليات، وتدعمون حركات إسلامية، أو حركات تسمى في أماكن أخرى إرهابية. السؤال الموجه لكم، ما هو مدى ارتباط تنظيم القاعدة، وجود تنظيم القاعدة بشخص أسامة بن لادن؟

الشيخ أسامة بن لادن: الحمد لله، أقول بالنسبة لما ذكرتم، وأكرر ما ذكرته من قبل، أن الأمر لا يخص العبد الفقير ولا يخص تنظيم القاعدة، نحن أبناء أمة إسلامية قائدها محمد ﷺ، ربنا واحد سبحانه وتعالى ونبينا واحد عليه الصلاة والسلام وقبلتنا واحدة ونحن أمة واحدة، ولنا كتاب واحد، هذا الكتاب الكريم والسنة المطهرة عن نبينا عليه الصلاة والسلام ألزمتنا شرعا بأخوة الإيمان، فكل المؤمنين إخوة ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾، فليس المسألة كما يصورها الغرب أن هناك تنظيم خاص باسم كذا، هذا الاسم قديم جدا ونشأ بدون قصد منا، كان الأخ أبو عبيدة عليه رحمة الله البنشيري كوّن معسكر لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي، الغاشم، الملحد الإرهابي حقيقة للآمنين، فهذا المكان كنا نسميه القاعدة كقاعدة تدريب ثم نما هذا الاسم، أما نحن غير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة ونحن جزء لا يتجزأ منها، وما هذه المظاهرات العارمة من أقصى المشرق من الفلبين إلى ماليزيا إلى إندونيسيا إلى الهند وباكستان وموريتانيا، إلى أنه نحن نتحدث عن ضمير الأمة، هؤلاء الشباب الذين ضحوا بأنفسهم نرجو الله أن يتقبلهم في نيويورك وواشنطن، هؤلاء هم المتحدثون على الحقيقة لضمير الأمة، وهم ضميرها النابض

الذي يرى أنه لابد من الانتقام من الظالم، من الباغي، من المجرم، من الإرهابي على الحقيقة الذي يرهب الآمنين..

فليس كل إرهاب مذموم، فهناك إرهاب مذموم، وهناك إرهاب محمود. فإلى لو نأخذ بقولهم، فالمجرم اللص يشعر بالإرهاب من الشرطي- من البوليس، فهل نقول لشـــرطي أنت إرهابي أرهبت اللص؟ لا، فهذا إرهاب البوليس للمجرمين إرهاب محمود، وإرهاب المجرم للآمنين إرهاب مذموم. فأمريكا تمارس الإرهاب المذموم، هي و"إسرائيل"، ونحن نمارس الإرهاب المحمود الذي هو يردع هؤلاء عن قتل أطفالنا في فلسطين وغيرها.)

غزوات سبتمبر المباركة من الإرهاب المحمود

وقد حرص الإمام المجدد -رحمه الله- في هذه المسـألة أن يبين بوضـوح وجلاء أن غزوات سبتمبر المباركة هي من الإرهاب المحمود والممدوح وليس من الإرهاب المذموم فقال -رحمه الله- رداً على من وصـف هذه العملية المباركة بالإرهاب المذموم في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شـهور مِن الضـربات المباركة": (وبين يدي هذا الكلام أحب أن أؤكد على حقيقة الصـراع بيننا وبين أميركا، وهو في غاية الأهمية والخطورة ليس للمسلمين فقط بل للعالم أجمع، فما تتهم به أميركا هذه الفئة المهاجرة المجاهدة في سبيل الله لا يقوم عليه دليل وإنما هو البغي والظلم والعدوان.

فتاريخ المجاهدين العرب بفضـل الله سـبحانه وتعالى واضـح بين أبيض ناصـع، فقد خرج هؤلاء منذ عشرين سنة عندما ظهر الإرهاب المذموم الحقيقي على أيدي الاتحاد السـوفييتي ضـد هؤلاء الأطفال وضـد الأبرياء في أفغانسـتان، ترك المجاهدون العرب أعمالهم وجامعاتهم وأهلهم وعشـيرتهم ابتغاء مرضـاة الله، نصـرة لدين الله ثم نصـرة للمستضـعفين من أبناء المسـلمين، فالذين خرجوا لنصـرة المستضـعفين لا يعقل اليوم أن يذهبوا لقتل الأبرياء كما يزعم الزاعمون.

فهذا التاريخ.. أميركا كانت تؤيد كل من يجاهد وكل من يقاتل ضـد الروس، فلما من الله على المجاهدين العرب أن ينصـروا المسـتضـعفين في فلسـطين أولئك الأطفال الأبرياء غضبت أميركا وقلبت ظهر المجن لكل من قاتل في أفغانستان.

فإن ما يجري اليوم في فلسطين أمر في غاية الوضوح ومحل اتفاق البشرية منذ آدم عليه السلام، فإن الفطر قد تفسد ويختلف الناس في كثير من الأمور، ولكن هناك بعض الفطر يحفظها الله سبحانه وتعالى من الفساد إلا من شذت نفوسهم وبلغت مبلغا عاتيا في الظلم والعدوان، فمن الفطر المتفق عليها أن الناس حتى وإن أصابهم بعض الظلم وبعض العدوان نفوسهم لا تستطيع أن تقتل الأطفال الأبرياء، وما جرى في فلسطين وما يجري اليوم من قتل متعمد للأطفال هذا أمر في غاية القبح وفي غاية الظلم والعدوان وهو يهدد البشرية جمعاء.

وما عرف التاريخ أن أحدا يقتل الأطفال إلا نادرا وهو مذهب فرعون، فالله سبحانه وتعالى منّ على بني إسرائيل هؤلاء، إذ نجاهم من فرعون ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ**﴾، فتذبيح الأطفال أمر اشتهر به رأس الظلم والكفر والعدوان فرعون، ولكن بني إسرائيل استخدموا نفس الأسلوب ضد أبنائنا في فلسطين، والعالم أجمع نظر وشاهد العساكر الإسرائيليين وهم يقتلون محمد الدرة وغير محمد الدرة كثير.

فالعالم بأسره في شرقه وفي غربه على اختلاف ملله مجرد كون الناس ناسا استنكروا هذا الفعل، ولكن أميركا سادرة في غيها تؤيد هؤلاء الظلمة هؤلاء المعتدين على أبنائنا في فلسطين، والله سبحانه وتعالى بيّن أن النفس إذا بغت واعتدت ووصلت إلى حد أن تقتل نفسا بغير حق فهذا أمر في غاية البشاعة، ولكن أبشع منه أن يقتل الأطفال الأبرياء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي**

إِسْــرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًــا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَــادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

فهؤلاء في الحقيقة كأنما قتلوا جميع الأطفال في العالم، إســـرائيل ومن ورائها أميركا، وما الذي يرد إســـرائيل عن قتل أبنائنا غدا في تبوك وفي الجوف وفي حولها من المناطق، وماذا سـيفعل الحكام إذا وسـعت إسـرائيل من أرضـها المطبوعة في كتبهم الظالمة الجائرة الزائفة كما يزعمون، وقالت أن حدودنا إلى المدينة، ماذا ســـيفعل الحكام وهم يرضخون لهذا اللوبي الصهيوني الأميركي؟

فلابد للعقلاء أن يستيقظوا، وأن ما أصاب محمد الدرة وإخوانه سوف يصيب غدا أبناءهم ونساءهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالأمر في غاية الخطورة، والإرهاب المذموم تمارســـه أميركا على أبشـــع صـــوره في فلســطين وفي العراق، وبوش الأب هذا الرجل المشـؤوم كان سـببا في قتل أكثر من مليون طفل في العراق فضلا عن غيرهم من الناس من الرجال والنساء.

وأحداث ٢٢ جماد الثاني الموافق الحادي عشـر من سبتمبر ما هي إلا رد فعل للظلم المتواصـل الذي يمارس على أبنائنا في فلسـطين وفي العراق وفي الصـومال وفي جنوب السـودان وفي غيرها كما في كشـمير وآسـام، فالأمر يخص الأمة بأسـرها فينبغي على الناس أن يســتيقظوا من رقادهم وأن يهبوا لإيجاد حل لهذه الكارثة التي تهدد البشــر جميعا.

وأما الذين أدانوا هذه العمليات فهؤلاء نظروا إلى الحدث بصفة مستقلة ولم يربطوه بالأحداث الماضية والأسباب التي أدت إليه، فنظرتهم قاصرة ولا تنطبق ولا تنطلق لا من أصل شرعي ولا من أصل أيضا عقلاني، وإنما رأوا الناس ورأوا أن أميركا والإعلام يذم هذه العمليات فقاموا يذمونها.

وهؤلاء مثلهم كمثل ذئب رأى حملا فقال لهذا الحمل -ولد النعجة- أنت الذي عكرت عليّ الماء في العام الأول، قال يا هذا لست أنا قال بل أنت، قال إنما أنا ولدت في هذا العام، قال إذن أمك التي عكرت عليّ فأكل هذا الحمل، فما كان من هذه الأم المسكينة التي رأت ابنها يمزق بين أنياب هذا الذئب إلا أن دفعتها عاطفة الأمومة فنطحت هذا الذئب نطحة لا تقدم ولا تؤثر، فصاح الذئب وقال أنظروا إلى هذه الإرهابية، فقام هؤلاء الببغاوات يرددون ما يقول الذئب ويقولون نعم نحن ندين نطح النعجة لهذا الذئب!

أين أنتم من أكل الذئب لابن هذه النعجة؟!

فإن هذه الضربات المباركة الموفقة إنما هي ردود فعل لما يجري على أرضنا في فلسطين وفي العراق وفي غيرها، وإن أميركا في مواصلتها لهذه السياسة بمجيء هذا الابن جورج بوش الذي ابتدأ حكمه بغارات جوية عنيفة على العراق أيضا ليؤكد على سياسة الظلم والعدوان، وعلى أن دماء المسلمين لا ثمن لها، فكان هذا الرد المبارك بفضل الله سبحانه وتعالى.

وهذه الضـــربات المباركة لها دلالات عظيمة، فقد أوضـــحت بجلاء أن هذه القوة المتغطرسة المتكبرة هبل العصر أميركا تقوم على قوة اقتصادية عظيمة ولكنها هشة ما أسرع أن تهاوت بفضل الله سبحانه وتعالى.)

يظهر لنا مما سبق أن الإمام المجدد -رحمه الله- وافق هدي الكتاب والسنة في مسألة الإرهاب وشارك غيره من أهل العلم والدعاة فقد قال الشيخ عبد -عزام رحمه الله-: (نحن إرهابيون، والإرهاب فريضـــة في الكتاب والســـنة، ليعلم الغرب والشـــرق أننا إرهابيون وأننا مرعبون، وأعدوا لهم ما اســـتطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم.)

صناعة الإرهاب في سجون ودوائر أعداء الإسلام

ولقد كان من توفيق الله لعبده الإمام المجدد أســـامة بن لادن –رحمه الله– في هذه المسألة أن كشف صورا من صور الإرهاب المذموم الذي يمارسه أعداء الإسلام اليوم كما ظهر لنا مما سبق.. وأود هنا أن أشير إلى صورة خطيرة ذكرها الإمام المجدد وقد رأينا أثرها في إفساد الجهاد وتشويه صورة المجاهدين في الساحات الجهادية فأفردتها بعنوان مســـتقل فقد أجاب على ســـؤال عبد الباري عطوان: (برأيك من يمكن أن يكون وراء هذه المحاولة – محاولة اغتيال أسامة بن لادن في السودان؟

أسامة بن لادن: نعتقد أن الأنظمة في المنطقة العربية تُمارس الآن سياسة سيّئة لدفع المعتقلين نحو التّطرُّف، وليس الحصـــول على المعلومات منهم عبر التعذيب فقط، ولكن لتصـــنع منهم مجموعة تعتقد بكفر المجتمع بأكمله، وبذلك تُســـتخدم هذه المجموعة بشكلٍ غير مباشرٍ كوسيلةٍ لقتل أي من فئات المجتمع.)

ويحســن بي أن أضـيف هنا أن هذا الأمر الخطير قد فصـلّه بشـكل واضـح الشـيخ أبو مصعب السوري –رحمه الله– في "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" حيث قال:

(الصحوة الشاذة وتيار التكفير (١٩٩٠ – ٢٠٠٠):

من المهم جدا لفهم ظاهرة التكفير أن نفهم المعادلة المكونة له والتي اختصرناها بأنها:

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شاب متحمس جاهل ... = ميلاد تيار التكفير.

وخلاصة ما حصل لهذه الظاهرة منذ ميلادها مطلع السبعينيات وإلى اليوم أنها كانت محدودة معزولة لم تلق شعبية ولا انتشار، لا في أوساط الصحوة الإسلامية، ولا في أوساط عامة المسلمين. ففي حين لم يقف التواصل والعلاقات بين مختلف أعضاء وجماعات الصحوة في المناحي الثلاثة السياسية والغير سياسية والجهادية رغم اختلافها وخلافاتها، حيث قام التواصل الفكري والعلاقات الشخصية، بل والتعاون في مختلف مستويات ما اتفق عليه، أجمعت الصحوة الإسلامية بكاملها على نبذ ظاهرة التكفير وفكر أصحابه مما ساعد على ضموره وانكماشه..

وللطبيعة بالغة السوء التي طبعت فكره وسلوك أفراده؛ من الجهل والتشنج والعنف واللامعقولية، بالإضافة للانحراف عن الأسس الشرعية، لم يستطع هذا التيار أن يكسب أرضية داخل الصحوة ولا خارجها، إلا على شكل جيوب منكمشة معزولة هنا وهناك تجتر أحقادها وجهالتها وتتولى تصفية بعضها البعض. ولكن يجدر لفت النظر تحت عنوان هذه الظاهرة إلى ملاحظات مهمة:

- الملاحظة الأولى: هي أنه رغم أن جماعات تيار التكفير قد كفرت جماهير المسلمين وعلماءهم وقادة صحوتهم ودعاتهم لأنهم لم يكفروا الحكام وزبانيتهم، ولم يكفروا من لم يكفر الحكام ولم يكفروا من لم يكفر هؤلاء .... وهكذا وهي سلسلتهم النكدة وأساس انطلاق فكرتهم. إلا أن الغريب في الأمر أنهم لم يتبنوا فكرة جهاد الحاكم الكافر الذي فاصلوا الناس على كفره! ولم يعرف لجماعات التكفير أنهم قاتلوا الحكام

إلا في القليل من التجارب. ناهيك عن أنهم لم يدعوا إلى جهاد الكفار الأصليين من اليهود والنصـــارى الذين حلوا في عقر دار المســـلمين. في حين أنهم تلوثت أيديهم بقتل الأبرياء من المســـلمين. وهذا ما لفت الأثر الشـــريف النظر إليه من أن من خصائص هذه الشراذم أنهم: (يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل القرآن).

– الملاحظة الثانية: هي أن الحكومات الطاغوتية ومن ورائها من أعداء الإســـلام أدركوا أهمية هذا التيار الشاذ في محاربة الجهاد ووقف صحوته. وذلك لمفارقة بسيطة وهي:

أن الجهاديين يريدون تعبئة الأمة وتجنيدها لمحاربة الأعداء الخارجيين من الكفار مثل اليهود والصـــليبيين والوثنيين الهاجمين علينا، ولمواجهة الطواغيت من الحكام الذين تولوا تحقيق أهدافهم ومحاربة أمتهم. في حين أن التكفيريين ينطلقون من مبدأ تكفير عموم الأمة! فكيف يجاهدون معهم بعد أن سلخوهم عن دينهم!

والأمر المهم الثاني الذي أدركه أولئك الخبثاء من الحكام وأعوانهم وأجهزة استخباراتهم ومراكز دراســـاتهم المتفرغة لحرب الإســـلام والمســـلمين أن إلصـــاق تهمة التكفير بالجهاديين بدعوى أنهم خوارج يكفرون الحكام وأعوانهم وعلماءهم.. ويكفرون عوام الناس (وهو زعم باطل) لأن الجهاديين كما هو معروف لا يسحبون سلاسل التكفير هكذا خبط عشواء. ولهم فقههم المنضبط المعتمد على عقائد أهل السنة والجماعة المعروفة وكتاباتهم ومنابرهم الإعلامية أكبر دليل على ذلك ... فإلصـــاق الحكومات هذه التهمة بالجهاديين هو من أهم الســـبل لفصـــلها عن جماهيرها. ولذلك عملت

على هدم الجدار الواضـــح الفاصـــل بين هذين الاتجاهين المتناقضـــين في المنهج والأهداف وأعني "تيار الجهاد" و "ظاهرة التكفير".

- الملاحظة الثالثة والهامة جدا. أن أجهزة الاسـتخبارات المعادية لهذه الأمة والعاملة ليل نهار على ابتكار أسباب مواجهة صحوتها الجهادية. لما رأت فائدة أفعال التكفير المشـينة ولاسـيما بعد جريمتهم الشـنعاء في حق الجهاد والأمة في الجزائر التي كانت حقل تجارب للاستخبارات كما سأبين في الفصل السادس في نبذه عن تجربة الجزائر إن شـاء الله. رأت أن من أنجح الوسـائل لمواجهة الجهاد والجهاديين لفصـلهم عن الأمة هم تهمتهم بالتكفير فيكرههم الناس فينعزلون عنهم فيسـهل القضـاء عليهم. وهذا ما طبقوه في الجزائر. ولما درست أجهزة الاستخبارات هذه الظاهرة "التكفيرية" اكتشـفت المعادلة التي أشـرت إليها في ميلاد التكفير الذي يولد طبيعيا في الأجواء التي أشـرت إليها. فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاسـتنسـاخ الاصـطناعي في الأوساط التي يتوقع أن الجهاد سيولد فيها بطبيعة الحال نتيجة الحضور الاستعماري أو النظام الطاغوتي ومن الأمثلة على ذلك ما جرى في السعودية منذ حرب عاصفة الصـحراء الكويتية. وولادة بذور الجهاد والمقاومة. فقد عمدت الاسـتخبارات السـعودية التي اتخذ وزير داخليتها نايف بن عبد العزيز، من وزير الداخلية المصـري الأسبق سيئ السمعة "زكي بدر" المشهور بنظرياته الاستئصالية وبشاعة أساليبه، اتخذ منه ومن فريق عمل من الاسـتخبارات المصـرية مسـتشـارين لتأسـيس جهازه القمعي في السـعودية منذ ١٩٩١. وكان من نتائج ذلك ما بلغنا بعض القليل من أخبار ما جرى هناك لاستنساخ التكفير وتهمة الجهاد المترقب في السعودية به.

فقد حدث عدد من الناجين من سجن "الرويس" الشهير في جده من السعوديين وغير السعوديين من الجهاديين. أنه بعد حادثي انفجار الرياض والخبر سنة ١٩٩٤ وما تلا ذلك من نشاط بعض التنظيمات الجهادية في السعودية اعتقل آلاف الشباب للاستجواب ممن كان لهم سابقة جهادية أو كانوا مظنة ذلك. وقد تعرض الشباب لمختلف صنوف التعذيب البشعة التي استوردها الأمن السعودي من مصر وتونس وسوريا والبلاد العريقة في علوم التعذيب. ولكن الذي استفاد وه من تجربة الأمن الجزائري هو فائدة تيار التكفير في تدمير الجهاد! وكان ذلك من أهم التجارب: فعمدوا على استنساخه وتوليده من خلال إيجاد مكونات طرف المعادلة الأيمن:

قال أحد الذين شهدوا التجربة في سجن الرويس بجده في السعودية:

(كان يأتينا بعد جولات التعذيب الجسدي من الضرب والكهرباء.. مشرف على التعذيب النفسي رجل شيعي من النخاولة عرف نفسه باسم "أبو نايف"، في الستين من عمره أعرج. فيسمعنا من ألوان الكفر وشتم الدين والرب ومقدسات الإسلام والهزء بشعائره وشتم الجهاد والمجاهدين.. ما يهون معه ما عانينا من جلسات التعذيب مقارنة ببشاعة ما نسمع، ثم يقول لنا بعد ذلك: أنتم تريدون حكم الشريعة؟! وما هذا الذي يحكم به ولي الأمر؟ أليس شريعة؟ ألا تعجبكم شريعة الـــ (.. !! ..) "ويذكر فعل النكاح باللغة البذيئة الدارجة"، ويضحك ويضحك الجلادون. ويتابع: هذا الشيخ ابن عثيمين وابن باز يقولون أنها شريعة، وأنها دولة التوحيد ... ويتابع على هذا المنوال.. وكثيرا ما أخذ الأخوة المعتقلون من

الجهاديين فجمعوا عراة يســترون ســوآتهم بأيديهم، ثم ينادون عليهم واحدا واحدا، فيربط المعتقل ويعلق ثم يأتي الجلاد فيعبث بأعضائه التناسلية بعصا في يده، ثم يأتيه بمجســم بلاســتيكي لعضــو ذكري تناســلي، ويبدأ يمرره على دبر المعتقل! ويهدده باغتصابه واللواط به إذا لم يستجب لما يطلب منه. ثم يطالبه بعد ذلك بالتوقيع على أوراق محضـــر يعترف فيه بأنه يكفر ولي الأمر، ويكفر العلماء، ويكفر المجتمع السعودي!! وروى عن بعض الأخوة أن البعض قد فعل به فعلة اللواط واغتصب من قبل جلادين سعوديين!!)

موظفون يتلقون المرتبات من "دولة التوحيد التي نفع الله بها وتحقق على يديها من الخير ما لا يعلمه إلا الله!!" على حد شـــهادة الزور التي طالما كررها مفتي الديار -أبوهم الوالد- وهيئة كبار العملاء، ويبدوا أن هذا من بعض ذلك الخير!!. وقد أسلفنا بيان المعارضة السعودية بصدد هذه الأمور الشنيعة التي ترددت كثيرا في إيرادها حياء وحفظا لمشاعر من يقرأ هذا الكتاب.)

نقل المعركة إلى أرض العدو

إن من صفات القائد الناجح أن يثقل كاهل العدو وينقل المعارك والخوف والرعب والقتل إلى أرض العدو مما يضعف قوته ويجعله يعيد حساباته ويستسلم لخصمه..

وهذا ما سعى إليه الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وجعله من أهم أولوياته قال الدكتور أيمن الظواهري في "فرسان تحت راية النبي": (استطاع المجاهدون في غزوات نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا أن ينقلوا المعركة لعقر دار العدو بهجوم ضخم جبار لم تشهد له أمريكا في تاريخها مثيلاً، ويفوق في قوته وآثاره الهجوم الياباني على بيرل هاربر -أثناء الحرب العالمية الثانية- بمراحل متضاعفة.

يقول تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر:
(لقد كان هجوم الحادي عشر من سبتمبر حدثاً ذا تفرد لا يقارن، فأمريكا قد تعرضت لهجمات مباغتة من قبل، فبيرل هاربر حالة معلومة جيداً، وهجوم ١٩٥٠ الصيني في كوريا حالة أخرى. ولكن هذه كانت هجمات من قوى كبرى.

وبينما لم يكن هجوم ٩/١١ بحال مهدداً كما كان شن اليابان للحرب، إلا أنه كان بطريقة ما أكثر تدميراً.

لقد قامت به مجموعة ضئيلة من الأشخاص لا تكفي لتشكل فصيلاً كاملاً. وإذا قسناه على مستوى الحكومات فقد كانت الموارد خلفه تافهة. والمجموعة ذاتها أرسلت من منظمة تتمركز في واحدة من أفقر الدول وأقصاها وأقلها تصنيعاً.))

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "النفير": (ثم بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسلمين هناك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أُسْدُ الإسلام من العرب الأفغان فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض فمرَّغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحدٌ على أحد، فلله الحمد والمنَّة.

وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأميركيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة.

ثم في عام ١٤١٥ للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسببه أربعة من الأمريكيين، وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأميركية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين.

ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر، قتل بسببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضطر بعدها الأمريكيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء.

ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨ للهجرة هدَّد المجاهدون أمريكا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين، فرفض العدو التحذير وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا.

ثم حُذِّرت أمريكا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأميركية "كول" في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأمريكية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة.

ثم إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم -الأحمق المطاع- أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم لبلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره.

وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للميلاد، كان التحالف "الصهيوأمريكي" يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك حصدا، بطائرات ودبابات أمريكية وأيدٍ يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أمريكا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين -إلا من رحم الله- ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف "الصهيوأمريكي"، فقد كانت بلاد "العم سام" في غيها سادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها. إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شعث الرؤوس،

مغبرو الأقدام، المطاردون في كل مكان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وربط على أفئدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم:

فانهارت أسطورة أميركا العظمى، وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة الـ "سي آي إي"، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأمريكي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من رقاده، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوَّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة، يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر.)

وقال الإمام المجدد في "رسالة إلى الشعب الأمريكي": (أيها الشعب الأمريكي:
سلامٌ على من اتّبع الهُدى، أمّا بعد:

رسالتي هذه حول أسرانا لديكم، إنّ صاحبكم في البيت الأبيض ما زال يسير على خُطى سلفه في كثيرٍ من الأمور المهمّة كتصعيد الحرب في أفغانستان وظُلم أسرانا لديكم، وفي مقدمتهم البطل المجاهد "خالد شيخ محمد"، وقد صرّح البيت الأبيض برغبته في إعدامهم، ويوم تتخذ أمريكا هذا القرار؛ تكون قد اتخذت قرارًا بإعدام من يقع منكم أسيرًا لدينا، وقد كان ساسة البيت الأبيض يُمارسون الظّلم علينا وما زالوا وخاصةً بدعم الإسرائيليين في احتلال أرضنا فلسطين، ويظنون أنّ أمريكا خلف المحيطات في مأمنٍ من غضب المظلومين، إلى أن كان رد الفِعل قويًّا مدويًّا في عقر داركم يوم الحادي عشر -بفضل الله-، والسعيد من وُعِظ بغيره، ومن العدل المعاملة بالمِثل، والحرب سِجال والأيام دول.

والسلام على من اتّبع الهُدى.)

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في مقابلة تيسير علوني: (الشيخ أسامة بن لادن: أقول بالنسبة لهذه الأزمة، ولهذا الصراع ولهذا القتال بين الإسلام والصليبية، أؤكد أننا سنواصل بإذن الله سبحانه وتعالى هذا الجهاد ونحرض الأمة على ذلك حتى نلقاه وهو راض عنا.

والحرب كما وُعدنا بها وما هي قائمة، بالأساس اليوم بيننا وبين اليهود، فأي دولة تدخل في خندق اليهود، فلا تلومن إلا نفسها، وإن كان الشيخ سليمان أبو غيث صرح في بعض تصريحاته السابقة، خاصة أمريكا وبريطانية، فهذا ليس للحصر، وإنما إعطاء فرصة للدول الأخرى تراجع حساباتها، فما شأن اليابان وشأننا، من الذي يدخل اليابان في هذه الحرب الصعبة، القوية، الشرسة؟ في اعتداء سافر

على أبنائنا في فلسطين، ولن تحتمل اليابان أن تدخل معنا في حرب، فلها أن تراجع نفسها، ما شأن أستراليا في أقصى الجنوب وحال هؤلاء المستضعفين في أفغانستان؟ وحال المستضعفين في فلسطين؟ ما شأن ألمانيا في هذه الحرب إلا الكفر والصليبية؟ هي حرب تتكرر صليبية، كما كانت الحروب السابقة -ريتشارد قلب الأسد وبربروسا من ألمانيا ولويس من فرنسا- كذلك اليوم ومباشرة يوم أن رفع بوش الصليب تدافعت الدول الصليبية، ما شأن الدول العربية في هذه الحرب الصليبية وتدخل سفارا جهارا نهارا؟ هم قد رضوا بحكم الصليب.)[٢٦]

---

٢٦ . وإن مما يستأنس بها في هذا المسألة ما جاء في وثائق أبوت آباد في الرسالة المرسلة إلى الحاج عثمان في تاريخ مايو ٢٠١٠: (ولا يخفى عليكم أن من الأمور المهمة عند وجود نزاع بين طرفين أن يكون كل واحد منهما مطلعًا على ثقافة خصمه وتاريخه وكيفية تفكيره ونقاط ضعفه وقوته فإن هذا مما يعينه على اتخاذ القرارات الأصوب بعد عون الله -تعالى-.

ولقد ظهر من خلال تطور الصراع بيننا ومتابعتنا لتصريحات الساسة الأمريكيين والاطلاع على واقع الحرب بيننا وبينهم، فضلًا عن حروبهم السابقة إلى أن ضُربت أمريكا في عقر دارها له الأهمية القصوى، وفي المرتبة الأولى، وهو السبيل الأساسي الموصل لما نريد، فتأثر الأمريكيين من ضربهم داخل أمريكا لا يقارن بضربهم خارجها فضلًا عن ضرب حلفائهم ووكلائهم.

فبتأملنا لتاريخ أمريكا نجد أنه رغم خوضها قرابة ستين حربًا عبر تاريخها فإن القاسم المشترك لمعظم هذه الحروب هو أنها لم تُحسم بالعمل العسكري من الخارج وإنما حُسمت عندما ازداد الغضب الشعبي والمعارضة الداخلية لها، فعلى سبيل المثال: حربهم في فيتنام قُتل فيها ٥٧٠٠٠ جندي أمريكي ولم تُحسم الحرب بهذا العدد الهائل من الجنود! وإنما اضطروا للانسحاب عندما أخطأ رئيسهم نيكسون وأمر بالتجنيد الإجباري؛ لمواصلة الحرب مما جعل القضية تمس كل فرد أمريكي، وعندها ثار الشعب بمظاهرات حاشدة ضد الحرب وتم الانسحاب.

ولا يخفى عليكم أن سياستهم الحالية لمعالجة نقص الجنود هي بالإغراءات المالية الهائلة لتلافي خطأ نيكسون.

وخلاصة القول: إن حربنا مع أمريكا لا يمكن إيقافها بقتالنا لحلفائها بل حتى قتال الأمريكيين أنفسهم خارج أمريكا قد يوقفها وقد لا يوقفها فهو مرهون بقدراتهم المالية على تحمل أعباء الحرب، فمعلوم لديكم أن عدد سكان أمريكا ٣٠٠ مليون، قُتل منهم في أفغانستان حوالي ١٠٠٠ جندي، وفي العراق حوالي ٤٠٠٠ جندي، هذا يعني أن الضرر قد أصاب فئة يسيرة منهم لا تكفي لإثارتهم وتحركهم لإرغام الساسة على وقف الحرب.

وإن الإحصائيات تفيد بأن نسبة اللصوص والمجرمين في السجون الأمريكية سبعة في الألف، وهي من أعلى النسب في العالم ومع ذلك يتعايش الشعب هناك مع هذه النسب العالية من الجرائم الضاغطة على عصبه الأمني.

ولا يخفى عليكم أن عدد الذين يموتون بالتصرفات المدنية في أمريكا مرتفع جدًا، فعلى سبيل المثال: يموت كل سنة في أمريكا بسبب التدخين أربعمئة ألف ٤٠٠٠٠٠ شخص، وهو عدد ضخم أمام عدد قتلى الحرب في العراق وأفغانستان، إلا أنهم لم يخرجوا بمظاهرات حاشدة لإغلاق شركات الدخان!

وبعملية حسابية بسيطة إذا قسمنا عدد قتلى الأمريكيين في أفغانستان وهو حوالي ألف قتيل على ثلاثمئة مليون، ولو افترضنا أن كل جندي منهم له أبوان على قيد الحياة وأخ أو أخت فسيكون نسبة عدد القتلى من الشعب الأمريكي في حربهم في أفغانستان ثلاثة فاصلة ثلاثة في المليون، أي أن أمامنا أكثر من مئة ضعف حتى نصل إلى حد عدد قتلى الأمريكيين في فيتنام، ومع ذلك لم تُحسم الحرب هناك بسبب هذا العدد الكبير علمًا أن عدد سكان أمريكا وقتها مئة وخمسين مليون نسمة.

وبذا يتضح أن النسب الضئيلة في مصائب الأمم والتي لا تذكر ولا تؤثر عادة في مثل قضايا الشعوب وغضبها وثورتها وتستطيع التعايش معها وتحملها، وهنا يظهر أن الطريق أمامنا طويل جدًا لكسب المعركة في أفغانستان إذا كان الأمر متوقفًا على عدد قتلى الخصوم.

وقد ارتفع عدد العاطلين عن العمل في أمريكا بعد الحادي عشر وحربَيْ العراق وأفغانستان، حتى وصل إلى نسبة عشرة في المئة من القوى العاملة هناك، وهو رقم كبير جدًا إذا ما قيس إليه عدد قتلاهم في أفغانستان حيث تصل النسبة إلى واحد في كل عشرة آلاف.

وهؤلاء العاطلون يعلمون أن جزءًا من الضرر الذي لحق بهم كان بسبب الإنفاق الهائل على الحربين في العراق وأفغانستان، والجزء الآخر بسبب الجشع والفساد المالي والإداري في نيويورك وواشنطن.

وهذا العدد الكبير من الناس لم يستطع بعد أن يحسم في إيقاف مصادر تلك الأضرار، وإنما ساهم مع الآخرين في إسقاط إدارة الجمهوريين التي تسببت في تلك الأضرار، ورشحوا الديمقراطيين للكونجرس والرئاسة ومع ذلك لم تتغير الأمور كثيرًا.

فإذا كان عشرة ملايين عاطل عن العمل لم يستطيعوا أن يحسموا الأمور لدفع الضرر عنهم بشكل جذري فمن باب أولى ألا يحسم أمور الحرب ويوقفها ثلاثة آلاف أمريكي هم آباء وأمهات وإخوة الألف قتيل في أفغانستان. وبذا تتأكد أهمية العمل الخارجي ولا سيما داخل أمريكا للضغط على ثلاثمئة مليون أمريكي حتى يتحرك الشعب ككل لإيقاف الحروب الظالمة الضاغطة على شعوب المسلمين ولا سيما في فلسطين والعراق وأفغانستان وباكستان.

ومما يؤكد هذا المعنى أثر الرعب الذي أصابهم بعد عملية عمر الفاروق -فرج الله عنه-، رغم أن الطائرة لم تنفجر فقد اعتمدوا تكاليف مباشرة وغير مباشرة قرابة أربعين مليار دولار، وهو ضعف ما كانت تنفقه الإدارة الأمريكية على الحرب في كل سنة من السنوات الثمان الماضية.

فالمصائب بنسبة ثلاثة في الألف تستطيع الأمم والشعوب أن تتعايش معها فكيف ونحن نتحدث عن نسبة ثلاثة فاصلة ثلاثة في المليون فمن باب أولى أن يتعايش معها الشعب لعقود طويلة جدًا.

إلا أن هناك عامل آخر يدخل في المعادلة بقوة في حربهم في العراق وأفغانستان كان السبب الذي جعلها تأخذ بُعدًا أكبر عند الشعب، وهو أن أوضاعهم الاقتصادية سيئة، ولولا ذلك لكان بالإمكان أن يستمروا في الحرب لعدة عقود دون أن يشعر الشعب الأمريكي بكل هذه الحروب الطاحنة الدائرة بعيدًا عن أرضه.

وقد سبقت الإشارة إلى وجود عشرة ملايين عاطل عن العمل بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية إلا أنه رغم ذلك لم تكف محاولاتهم لحسم الأمور.

فإن عرفنا نقطة ضعف خصمنا أدركنا أنه طالما أننا نريد تحقيق هدفنا الأساس فيجب أن تكون عملياتنا داخل أمريكا وأن التعامل مع هذا الخصم يتطلب أن تمس أمنه واقتصاده هو بالتحديد، فعملية واحدة كبيرة داخل أمريكا تمس أمن وأعصاب ٣٠٠ مليون أمريكي، بينما قتل ألف جندي أمريكي خلال ثمان سنوات ونيف ضعيف الأثر في أعصابهم ككل.

وعليه، فيجب أن تكون حربنا الرئيسية موجهة للضغط على الشعب الأمريكي داخل أمريكا، التأثير عليه بضرب النفط من خارجها، ويتبع ذلك أن يتم حشد خيرة الطاقات والإمكانات لهذا العمل العظيم، فإن كان عندنا إمكانيات بشرية ومالية كافية لتنفيذ الخطة السابقة وفاض منها شيء فلا بأس من ضرب الأمريكيين في الخارج.)

تنفيذ مبدأ المباغتة

إن مما لا نزاع فيه بين خبراء الحرب أن المباغتة لها أثر كبير في النفوس، فالمباغتة من أخطر أساليب الحرب التي تستخدم لقلب موازين القوى وإحداث التحولات السريعة المفاجئة في سير المعارك.[٢٧]

وهذا ما أجاد فيه الإمام المجدد وإخوانه في تنفيذه في جهاد الصهيوصليبية المعاصرة وفي ذلك يقول الدكتور الظواهري –رحمه الله حيا وميتا– في "فرسان تحت راية النبي": (استطاع المجاهدون أن يأخذوا أمريكا على غرة، فسقطت ضحية العديد من المفاجآت:

- مفاجأة أن الضربة في عقر دارها، بل في أهم مدينتين من مدنها.
- ومفاجأة أن الضربة بهذا الحجم الهائل.
- ومفاجأة أن الضربة بهذا التخطيط المتقن.
- ومفاجأة أن الضربة بهذه الجرأة والشجاعة.
- ومفاجأة أن الضربة وجهت لعدة أماكن في وقت واحد تقريباً.
- ومفاجأة أن الضربة اختارت أهدافاً ذات قيمة رمزية هائلة.
- ومفاجأة أن الضربة جاءت من عدو يراها ولا تراه.

---

٢٧ . انظر كتاب من معارك الإسلام الفاصلة ٢٧٩/٢ وكتاب حرب المباغتة.

وهكذا اكتشـفت أمريكا أنها مكشـوفة أمام عدوها، فأصـابها سـعار حاد مرتبك، ساقها لمنحدر الهزيمة الوشيكة -بإذن الله- في أفغانستان والعراق.)

ضرب خطوط إمداد العدو

ومن وصـــايا الإمام المجدد التي حث المجاهدين عليها ولها أثر كبير على ســير المعارك وهزيمة العدو ضـــــرب خطوط إمداد العدو التي تمد العدو وتعينه في عدوانه واحتلاله لبلاد المســـلمين فقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصــة والمســـلمين عامة": (ثم إِنّي أحثُّكم على ضرب خطوط الإمداد، وخطوط النفط وزراعة الألغام المضاعفة، التي لا تبقي جريحًا، واغتيال أصحاب الشركات الذين يمدُّون العدو بما يحتاج.)

توازن الرعب

وإن من الأهداف المرحلية المهمة التي ســـعى إليها الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- في جهاده إدخال الصـــراع بين الحق والباطل مرحلة توازن الرعب التي تسبق مرحلة النصر والتمكين فطريق النصر والتمكين طريق شاق وطويل يمر بمراحل ومحطات منها مرحلة توازن الرعب بحيث تكون مرحلة رادعة للعدو من التمادي في عدوانه وبطشـه وتجعله يعيد حسـاباته.. فقد جاء في مقابلة الإمام المجدد مع أسـامة بن لادن -رحمه الله- مع تيسـير علوني: (تيسـير علوني: بالنسـبة لأثر هذه العمليات على العالم الإسـلامي، تضـاربت الأقوال، هناك من أن فرحة سـادت لدى كثيرين في العالم الإسلامي، وتسمعون أنتم التصريحات الرسمية وتصريحات من يستطيع التصريح، يقولون دائما أن هذه اعتداءات إرهابية، مدنيين أبرياء نحن لا نقبل بها، هذه تتنافى مع تعاليم الدين الإســـلامي الحنيف وما إلى ذلك، فما هو تقييمكم لما حصـــل من خلال رصـــدكم ومتابعتكم لما يجري في العالم الإســـلامي من خلال الشـــبكة التي تملكونها وتديرونها في مختلف أنحاء العالم؟

الشيخ أسـامة بن لادن: أقول إن الأحداث أثبتت بشـكل كبير جدا مدى الإرهاب الذي تمارســه أمريكا على العالم، فصـرح بوش أن الناس لا يمكن أن يكون هناك إلا قسمان: قسم هو بوش ومن معه، وأي دولة لا تدخل مع حكومة بوش مع الصليبية العالمية، هي بالضـرورة مع الإرهابيين، فأي إرهاب أظهر وأوضـح من هذا الإرهاب؟ فاضطرت كثير من الدول التي لا تملك من أمرها شيـئا يذكر إلى مجاراة هذا الإرهاب العالمي الشــديد، واضــطروا في البداية إلى أن يجاملوه ويقولوا نحن معك وهم يعلمون

جميعا علم اليقين أننا ندافع عن إخواننا وأننا ندافع عن مقدساتنا، ولذلك تصريحات الزعماء ســـواء الغربيين أو الشـــرقيين في المنطقة، قالوا إنه لابد من حل المشـــاكل والبذور الأساسية للإرهاب.

فما هي هذه المشـاكل؟ قالوا قضـية فلسـطين. إذن نحن أصـحاب قضـية عادلة، ولكن خوفا من أمريكا لم يستطيعوا أن يقولوا نحن أصحاب قضية عادلة.

يقولون عنا إننا إرهابيون ولكن حلوا قضـــية فلســطين. وبناء على ذلك، على هذه الضربات ومن تداعياتها تحرك بوش وبلير قالوا حان الآن الوقت لإقامة دولة مستقلة لفلسطين ـ سبحان الله ـ منذ عشرات السنين ما حان الوقت إلا بعد هذه الضربة؟

فهم لا يفقهون غير لغة الضرب وغير لغة القتل، فكما يقتلوننا لابد أن نقتلهم حتى يحصـــل هناك توازن في الرعب. هذه أول مرة يقترب ميزان التوازن في الرعب بين الطرفين ـ بين المسلمين والأمريكان في هذا العصر الحديث. كان الساسة الأمريكيون يفعلون بنا ما يشـاءون، وتمنع الضـحية من أن تصـيح أو تتأوه، تدمير للمسـلمين، ثم يخرج علينا كلينتون ويقول أن من حق "إسـرائيل" أن تدافع عن نفسـها بعد مجزرة قانا (عام ٩٦)، حتى لم يســـمحوا بمجرد التوبيخ للإســـرائيليين. وعندما زار الرئيس الجديد بوش وكولن باول وزير الخارجية، ما زالوا في الشـــهور الأولى من حكمهم، قالوا ســـوف ننقل الســـفارة الأمريكية إلى القدس والقدس ســـتبقى عاصـــمة أبدية لـــ"إسرائيل" وصفـــق لهم الكونجرس ومجلس النواب، فهذا نفاق ليس بعده نفاق، وهذا ظلم واضح بيّن، فهم لا يفقهون إلا إذا وقع الضرب على رؤوسهم، فمن فضل

الله سبحانه وتعالى انتقلت المعركة إلى داخل أمريكا، وسنسعى إلى المواصلة فيها بإذن الله حتى يتم النصر أو نلقى الله سبحانه وتعالى دون ذلك.)

وقال رحمه الله في "رسالة إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية": (فإلى متى يبقى الخوف والقتل والدمار والتشريد واليتم والترميل حكراً علينا ويبقى الأمن والاستقرار والسرور حكراً عليكم؟ هذه قسمة ضيزى.

لقد آن الأوان لنستوي في البضاعة، فكما تقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وأبشروا بما يسوؤوكم.

فها هي الأمة الإسلامية قد بدأت بفضل الله ترميكم بفلذات أكبادها الذين عاهدوا الله على أن يواصلوا الجهاد بالبيان والسنان، لإحقاق الحق وإبطال الباطل ما دام فيهم عين تطرف أو عرق ينبض.)[٢٨]

---

٢٨ . ويستأنس هنا بما جاء في وثائق أبوت أباد المرسلة إلى الحاج عثمان في تاريخ مايو ٢٠١٠: (وأئمة الكفر اليوم هم أمريكا، ومعلوم أن السيادة والسلطة العليا في أمريكا هي للشعب، وهو صاحب القرار الأول، ويمثله مجلس النواب والبيت الأبيض، فينبغي تركيز القتل والقتال على الشعب الأمريكي.

وإن قتال الأمريكيين وحلفاءهم في أفغانستان واجب وفرض عين لإخراجهم مهزومين -بإذن الله-، وهذا يأخذ منا جهدًا ووقتًا طويلًا، إلا أن الآكد في حقنا هو إيقاف هذه الحرب من مصدرها الرئيسي بالقوى القادرة على إيقافها بأسرع وقت -وهي كما ذكرت الشعب الأمريكي-.

وعليه، فينبغي أن نضع غرفة قيادة عمليات العدو لحربنا -وهي إدارة البيت الأبيض والكونجرس- تحت الضغط المباشر؛ وذلك باستخدام معادلة توازن الرعب بيننا وبينهم، وهذا لا يتم إلا بالتأثير على جميع الشعب الأمريكي بشكل مباشر بعمليات داخل أمريكا وبالتأثير على اقتصاده باستهداف النفط في الخارج وخاصة في الدول المصدرة لأمريكا، وبذلك يتم التأثير على دخل المواطن الأمريكي بارتفاع فاتورة وقوده.)

التركيز على العمليات الاستشهادية

العمليات الاستشهادية وما أدراك ما العمليات الاستشهادية.. إنها السلاح الفعال والزلزال المدمر الذي يضـــرب الله به أعداءه فيجعلهم أثراً بعد عين.. فقد رأى المســلمون أثرها الكبير في مســار الصــراع بين الحق والباطل على أرض فلســطين والعراق وسوريا وفي أحداث سبتمبر وغير ذلك..

وقد كتب وفصل في مشروعية العمليات الاستشهادية وضوابطها كثير من طلبة العلم -جزاهم الله خيرا- فبينوا أنها أعمال جهادية مشروعة بضوابطها المعتبرة ومن أشهر ذلك والشيخ سليمان العلوان -حفظه الله- "حكم العمليات الاستشهادية" والشيخ حمود العقلا الشعيبي -رحمه الله- "حكم العمليات الاستشهادية" والشيخ يوسف العييري -رحمه الله- في رسالته "هل انتحرت حواء أم استشهدت" والشيخ عبد الحكيم حســان -رحمه الله- في "الأدلة الواضــحة الجلية على مشــروعية العمليات الاستشهادية" وغيرهم كثير.

وقد اعتمد الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- هذا النوع من الأعمال الجهادية وحرض الأمة عليه وكان من ثمرات ذلك أحداث ســـبتمبر المباركة -بفضـــل الله وتوفيقه- وفي ذلك يقول الإمام المجدد -رحمه الله- في "العلم للعمل": (نحن اليوم نسير على علم بفضل الله -سبحانه وتعالى-، لولا العلم لما علمنا أن الجهاد فرض علينا، ولما علمنا ما يريد الله -ســبحانه وتعالى- منّا، فالعلم مطلوب للعمل، العلم

ليس غاية في حد ذاته، العلم مطلوب ليُرينا الطريق حتى نعبد الله -سبحانه وتعالى- كما أمر.

فحدّثوا أنفسكم بالعمليات الاستشهاديّة، حدّثوها كثيرًا، في البداية نفسك ما تألف الأمر، تظن أن الأمر صعب جدًا، وأنت ما جئت هنا إلا في قلبك حب الله وحب رسوله ﷺ هذا نحسبكم والله حسيبكم ولا نُزكّي على الله أحدًا، حدّث نفسك، بقدر ما يزيد عندنا من الشباب أصحاب العمليات الاستشهادية بقدر ما يقترب موعد النصر بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

إخوانكم وأخواتكم في فلسطين خرجوا من شدة ما أصيبوا من الظلم، يحملون رايات يُخاطبون بها المجاهدين هنا، وقبل بضعة أيام يقولون: ننتظر المدد من أهل أفغانستان، فأنتم مخاطبون وقد نوِّه بأسمائكم، فاتّقوا الله -سبحانه وتعالى-، وانصروا هذه الكلمة العظيمة "لا إله إلا الله"، وانصروا أهل "لا إله إلا الله"، تكونوا من المفلحين بإذن الله.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (والأمر يحتاج منكم إلى مزيد من البذل والتضحيات والعطاء ومزيد من حرب العصابات والعمليات الاستشهادية؛ فهي من أفضل الطاعات وأعظم القربات. إنها السلاح الذي أعجز العدو وأهانه بفضل الله تعالى ولها أثر كبير جدًّا في تحطيم معنوياته، فأكثروا منها وأضرموا الأرض تحت أقدامهم نارًا واضربوا منهم كل بنان حتى يخرجوا منهزمين بإذن الله.

قال الشاعر:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يُهَدم ومن لا يتق الشتم يُشتمِ
ومن هاب أسبــاب المنايــا ينلنه ولو رام أسبــاب السماء بِسُلّمِ

فأتموا جهادكم أتمَّ الله لكم، وتذكروا أنه لا عمل لمن لا نية له، واعلموا أن هذه الحرب هي حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي، وهي حرب مصيرية للأمة بأسرها، ولها من التداعيات الخطيرة والآثار السيئة على الإسلام وأهله ما لا يعلم مداه إلا الله.)

وقال -رحمه الله- في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شهور مِن الضربات المباركة": (فمن بلاد الحرمين خرج خمسة عشر شابا -نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء- من أرض الإيمان، هنالك أعظم كنز للمسلمين حيث يأرز الإيمان كما صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة كما تأرز الحية إلى جحرها، وأيضا خرج اثنان من شرق جزيرة العرب من الإمارات، وخرج آخر من الشام زياد الجراح -نرجو الله أن يتقبله في الشهداء- وخرج الآخر من أرض الكنانة من مصر محمد عطا فنرجو الله أن يتقبل الجميع شهداء.

فهؤلاء في تصرفهم هذا أعطوا دلالات عظيمة جدا، وبينوا أن هذا الإيمان الذي في قلوبهم يستدعي مقتضيات كثيرة، ويستدعي أن تقدم الروح من أجل لا إله إلا الله، فهؤلاء فتحوا بابا عظيما للخير والحق، ومن يقول إن العمليات الفدائية الاستشهادية

لا تجوز إنما هؤلاء الذين نسـمع أصـواتهم في الإعلام إنما يرددون شـهوات الطغاة، شهوات أميركا وعملاء أميركا.

أمة من ١٢٠٠ مليون مسـلم تنحر من مشـرق الأرض إلى مغربها في كل يوم في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي كشمير وفي الفلبين وفي البوسنة والشيشان وفي آسام لا نسمع لهم صوتا، فإذا ما قامت الضحية، إذا ما قام المظلوم يقدم نفسـه من أجل دينه ارتفعت أصـوات هؤلاء! ١٢٠٠ مليون مسـلم ينحرون لا حس لهم فإذا قام رجل ليذود عن هؤلاء قام هؤلاء يرددون ما يشـتهي الطغاة، لا عقل لهم ولا فقه لهم.

وفي حديث الغلام والملك والساحر والراهب دليل واضح على تقديم النفس من أجل لا إله إلا الله، وهنا معنى آخر أن النصر لا يعتبر فقط بالكسب الظاهر الذي غلب على ذهن الناس وإنما النصر هو الثبات على المبادئ.

فأهل الأخدود ذكرهم الله سبحانه وتعالى وخلد ذكرهم في سياق المدح لهم إذ ثبتوا على الإيمان، هُددوا بين الإيمان وبين أن يدخلوا النار، فأبوا أن يكفروا بالله سبحانه وتعالى وأدخلوا النار، وفي نهاية الحديث -حديث الغلام- عندما أمر الملك الظالم أن يقحم هؤلاء في الأخدود، وجاءت تلك الأم المستضعفة تحمل ابنها فلما رأت النار خافت على ابنها وتقاعست فقال لها كما قال عليه الصلاة والسلام، اصبري يا أماه فإنك على الحق.

فهؤلاء لا يقول مسلم بحال من الأحوال ماذا استفادوا؟ ضيعوا أنفسهم، هذا جاهل جهلا مركبا، هؤلاء فازوا برضـوان الله سـبحانه وتعالى وبجنات الخلد التي وعدهم الله سـبحانه وتعالى، فليس النصـر هو الكسـب المادي فقط، وإنما النصـر الثبات على المبادئ.)

وقال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (وعليكم بالاجتهاد في العمليات الاسـتشـهادية، تلك العمليات التي كانت سببًا عظيمًا بفضل الله في إرعاب العدو، وإرباك حركته، وإفشال مخططاته، وتحدَّت جميع عُدده وعَدده فهذه من أهمِّ الأعمال.)

الحس الأمني

أمر الله عباده بأخذ الحذر والحيطة الأمنية وأسباب النجاة في نفيرهم وجهادهم فقال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا خذوا حِذْركم فانفروا ثُبَاتٍ أو انفروا جميعاً**﴾ [النساء: ٧١]. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان» رواه الطبراني وصححه الألباني.

وقال الشيخ ميسرة الغريب -رحمه الله- في "موسوعة أبي زبيدة الأمنية": (حرَص الإسلام من حيث المبدأ على إرساء الحيطة والحذر وعدم إلقاء النفس إلى التهلكة مع أمرها بالجهاد القتالي، ولا تعارض بين الأمرين، فجاءت توجيهات القرآن الكريم، وإرشادات الرسول الحكيم ﷺ تدفع باتجاه تربية أمنية واعية للمؤمنين.

من كتاب الله تعالى:

- ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ [الأحزاب: ٢١].

- ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدواً من المجرمين**﴾ [الفرقان: ٣١].

- ﴿**وَلْيَتَلَطَّف، ولا يُشْعِرنَّ بكم أحداً**﴾ [الكهف: ١٩].

- ﴿**ودّ الذين كفروا لو تَغْفُلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيَميلون عليكم مَيْلة واحدة**﴾ [النساء: ١٠٢].

- ﴿**يا أيها الذين آمنوا خذوا حِذْركم فانفروا ثُبَاتٍ أو انفروا جميعاً**﴾ [النساء: ٧١].

- ﴿**يَحْسَبون كلَّ صيحةٍ عليهم، هم العدو فاحذرهم، قاتَلهم الله أنى يؤفكون**﴾ [المنافقون: ٤].

- ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم**﴾ [الأنفال: ٦٠].

- ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ [التغابن: ١٦].

من حديث النبي الحكيم ﷺ:

- «مِنْ حُسْنِ إسلام المرء تَرْكُه ما لا يَعْنِيه» الترمذي وغيره وحَسَّنه النووي.

- «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيَقُل خيراً أو لِيَصْمُت» متفق عليه.

- «كفى بالمرء إثماً أن يُحَدِّث بكل ما سمع» مسلم.

- «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان» حسنه بعض العلماء لشواهده.

من السيرة النبوية الحكيمة:

كانت ممارسته الحياتية ﷺ تجسيداً حياً لمعاني الوعي الأمني:

- بيت ابن أبي الأرقم مكان سري للاجتماع.

- قصة هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، والسير ليلاً والاستخفاء نهاراً، وسلوك طريق غير مطروقة.. إلخ.

- في غزوة الأحزاب: حذيفة بن اليمان رضـي الله عنهما كان مستطلعاً، ونُعَيم بن مسعود رضي الله عنه كان مُخذِّلاً للكفار.

- سَـريَّة المهاجرين بقيادة "عبد الله بن جَحْش" للقيام بواجبات اسـتطلاعية من خلال رسالة سِـرِّيَّة مختومة، وأَمَرَه ﷺ ألا يَفْتَحَه إلا بَعد مَسـيرِه يومين ثم يُنَفِّذ ما فيه.

- بعد العزم على فتح مكة حفظ ذلك سـراً، وهيأ الجيش، وسـار به مموهاً إلى غير اتجاهها، ثم تراه يدعو "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغتها في دارها".

- في البخاري عن كعب بن مالك: (لم يكن رسـول الله ﷺ يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها)، ورواه أبو داود وزاد فيه: وكان يقول: «الحرب خدعة». ومن فوائد الحديث أن الأصـل في الأعمال العسـكرية أن تكون سـرية، وأن إخفاء المعلومات ليس عن العدو فقط بل عن الصـديق أيضـاً، والهدف حصـر المعلومات في أضـيق دائرة ومنع تسربها ما أَمْكَنَ؛ فللعدو عيون، وقد يتكلم الصديق.)

ولقد كان الاهتمام بالأمور الأمنية والسـرية والكتمان من الأسـس التي اعتمد عليها الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- في دعوته وجهاده فكان له الدور البارز بعد توفيق الله وإعانته في النصـر والنجاح في كثير من العمليات والأعمال وفي ذلك يقول الدكتور أيمن الظواهري في "فرسـان تحت راية النبي": (ولم يصـل المجاهدون للنجاح بسـهولة ويسـر، ولا مضـوا إليه على طريق مفروش بالورود، بل مروا بمراحل كثيرة من التدريب والإعداد وتجهيز الوثائق وتمويه الرحلات والصـبر والترقب والقلق،

ثم كل هذا المجهود الجبار كان لا بد له من قاعدة دعوية تدريبية تحريضـــية، تجمع كفاءات الأمة، وتدربها، وتوعيها، وترفع من قدراتها، وتغرس في نفســها الثقة بدينها وأمتها، ثم تختار منها العناصر الصالحة لكل مهمة.)

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (وختاماً، أذكر أمتي الإسـلامية الغالية فأقول، أيها الناس لكم عِبَرٌ كثيرة في ما مرَّ من أحداث فكفوا عن اللهو واللعب واسمعوا وعوا واستيقظوا واتعظوا، فإن الأمر كبير خطير فأين تذهبون؟! وماذا تنتظرون؟! فقد حمي الوطيس ولم يبق بينكم وبين ما يراد بكم كثير ولا قليل، ولا نجاة لنا إلا بالاســـتجابة لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وإن من أعظم أوامره أن نجاهد في سبيله فينكسر الشر الظاهر ويخنس الشر الخفي، فأدوا أماناتكم عباد الله وهبوا للقيام بواجباتكم، ولاســيما وقد كفاكم إخوانكم في ميادين الجهاد معظم المؤونة فأنتم مهددون في كل ما تملكون في أنفســكم وعرضــكم وأرضــكم ومالكم، وأهم من ذلك كله وأهم من ذلك كله أنكم مهددون في دينكم.

أصون ديني بمالي لا أبدده   لا بارك الله بعد الدين بالمالِ

والأمر جد لا هزل فيه وقد قيل "أكلت يوم أكل الثور الأبيض"، فاليوم بغداد وغداً دمشـــق وعمان والرياض فاتقوا الله حق تقاته ولا تخشـــوا في الله لومة لائم، وإن ما يريده أبناؤكم المجاهدون من مال للعتاد والقتال في ســـبيل الله قليلٌ يســـتطيعه تاجر واحد منكم يؤدي -بإذن الله- إلى هزيمة رأس الكفر العالمي، فإلى متى تخشـــون أمريكا وعملاءها؟ أليس فيكم تاجر رشـــيد يتحرر من الخنوع ومن قيود العبيد، ويتذكر الموت والبلى فيعِدُّ الزاد ليوم المعاد ، فقد ولد بلا مال وســـيرحل على تلك

الحال فليتق الله ويخشاه ، وليحتسب ما بقي من عمره وماله لأُخراه ، وليستعن على قضـاء حوائجه بالكتمان ويقتدي برسـولنا عليه الصـلاة والسـلام ، فقد اختفى عن أعين قريش في الغار ثم هاجر سـراً إلى الأنصـار –رضـي الله عنهم– فيرتب أموره الأمنية ويهاجر إن اقتضـى الأمر الهجرة متذكراً عظم الثواب الجزيل ، ويكون سـبباً في نصـرة الدين وإنقاذ أمة الأمين محمد ﷺ في وقت قد تداعى عليها الأعداء من كل مكان ، فأي ذخرٍ هذا وأي شرف هذا يشرفه الله به كما شرّف عثمان –رضي الله عنه– وهو رجل واحد بتجهيز جيش العسرة ضد الروم ، فقال رسـول الله ﷺ: «ماضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم، ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم».

قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾، وقال الله تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.)

وقال –رحمه الله– في "النفير": (ثم إني أوصـي الشـباب بالاجتهاد في الجهاد، فهم أول المعنيين بفرضيته اليوم كما أشار إلى ذلك الشاطبي رحمه الله في الموافقات.

واعلموا أن استهداف الأمريكيين واليهود بالقتل في طول الأرض وعرضها من أعظم الواجبات وأفضـل القربات إلى الله تعالى، كما أوصـيهم بالالتفاف حول العلماء الصـادقين والدعاة المخلصـين العاملين، وأوصـيهم بالاستعانة على قضـاء حوائجهم بالكتمان، ولا سيما في الأعمال العسكرية الجهادية.

وأبشركم عامة وإخواننا في فلسطين خاصة، أن إخوانكم المجاهدين ماضون في طريق الجهاد لاستهداف اليهود والأمريكيين، وما عملية "ممباسا" إلا بداية الغيث –بإذن الله سبحانه وتعالى–، وإننا لن نخذلكم، فامضوا وواصلوا القتال على بركة الله، ونحن معكم ماضون مقاتلون –بإذن الله.)

وقال –رحمه الله– في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (فيا معاشر المسلمين، يا معاشر ربيعة ومُضَر، ويا معاشر بني الأكراد:

ارفعوا رايتكم –رفعكم الله– ولا يهولنكم هؤلاء العلوج بأسلحتهم، فإن الله قد أوهن كيدهم وأذهب ريحهم، فلا تروعنكم كثرتهم، فإن قلوبهم خاوية وإن أمرهم قد بدأ يضعف ويضطرب عسكريًّا وكذلك اقتصاديًّا، وخاصة بعد يوم نيويورك المبارك بفضل الله، فقد بلغت خسائرهم بعد الضربة وتداعياتها أكثر من ترليون دولار –أي ألف ألف مليون دولار– وقد سجلوا أيضًا عجزًا في ميزانياتهم للسنة الثالثة على التوالي، وقد بلغ في هذا العام رقمًا قياسيًّا حيث قدر بأكثر من أربعمائة وخمسين ألف مليون دولار، فلله الحمد والمنة. وإن استمرار الحرب يزيد نزيفهم الاقتصادي وتكلفهم أكثر من مائة مليون دولار يوميًّا، فعاجلوهم ولا تمهلوهم ولا تمكنوهم من سرقة نفطكم أو أسركم، وإذا ضربتم فأوجعوا ولا تخطئوا الذي فيه العينان فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه كما قال رسولنا عليه الصلاة والسلام، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان؛ فلا يطلع مجاهد على عملية ليس له فيها عمل، وقدموا رايتكم فتجبنوا فيجبن الناس، فالثبات الثبات والصبر الصبر فإنما النصر صبر ساعة.

فصبرًا في مجال الموت صبرا   فصبرًا في مجـــال المـــوت صبـــرا
وإنكِ لو طلبتِ بقـاء يوم   على الأجل الذي لكِ لن تُطاعي
وما للمرء خيـــر في حياة   إذا ما عُدّ من سقـــــط المتــــاعِ

فاستعينوا بالله وتوكلوا عليه واحرصوا على أن تكونوا من طلائع الشهداء الأُول الذين يبذلون المهج في ســبيل المنهج، فقد صــحّ عن رســولنا عليه الصــلاة والســلام: «أفضــل الشــهداء الذين يقاتلون في الصــف الأول لا يلتفتون حتى يُقتلوا أولئك، يتلبَّطون في الغُرف العُلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك لعبدٍ في الدنيا فلا حساب عليه»، فالوحى الوحى يا شباب الإسلام، والبدار البدار يا فتيان عدنان وقحطان، هبوا لنصرة إخوانكم في الدين والنسب في أرض الرافدين.

فيا أتباع محمد عليه الصـــلاة والســـلام، الآن قد حمي الوطيس واحمرّت الحِلَق، وتلاحمت الصفوف، وتصافحت السيوف، فهذا أوان الشدّ فاشتدّي، ويا خيل الله اركبي، ويا ريح الجنة هبي.)

وقال –رحمه الله– في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (وكم من هؤلاء الزنادقة وزراء ومن دونهم وعلى رأسهم وزير العمل في بلاد الحرمين غازي القصيبي، ومن يريد فتوى رسمية بكفره وردته فقد أفتى بذلك المفتي العام الســابق الشــيخ عبد العزيز بن باز، كما أفتى بكفر وردة الزنديق شملان العيســى في الكويت. ومن هؤلاء الزنادقة، أحمد البغدادي في الكويت أيضاً وتركي الحمد في بلاد الحرمين، وقد أفتى بردة الأخير الشيخ حمود العقلاء وغيرهم كثير.

وقد حوى كتاب "الحداثة في ميزان الإسـلام" أسماء كثير منهم، وكذا حذر الشـيخ سعيد الغامدي منهم في أشرطة مسجلة.

والآن لنعد لإكمال قصتنا..

فإن محمد بن مسـلمة -رضـي الله عنه- أخذ معه بعض الأصـحاب -رضـي الله عنهم- فذهبوا وقتلوا عدو الله كعب بن الأشرف، فعند ذلك فزعت يهود ومن معها من المشـركين، فجاؤوا إلى النبي ﷺ حين أصـبحوا فقالوا: قد طُرق صـاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا، قُتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه!، فقال رسول الله ﷺ: «إنه لو قرّ كما قرَّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف».

نعم، هذا هو حكم رسـولنا ﷺ في كل من يهجوه وفي كل من يتنقص من الدين ويستهزئ به.

فيا شباب الإسلام..
اتبعوا أمر الله تعالى وأمر رسولنا ﷺ بقتل هؤلاء واقتدوا بمحمد بن مسلمة وأصحابه -رضي الله عنهم- فبطن الأرض خير والله من ظهرها والزنادقة بيننا يستهزئون بديننا ونبينا ﷺ، فاتقوا الله في أنفسـكم وأرضـوا ربكم، ولا تشـاوروا أحداً في قتل هؤلاء الزنادقة، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهلنا بالعراق": (وإني أوصـي نفسـي وإخواني بالتقوى والصبر؛ فهما زاد وسلاح من رجا النصر.

وأقول لإخواني: خذوا حذركم من أعدائكم، ولا سيما المنافقين الذين يخترقون صفوفكم لإثارة الفتن بين الجماعات المجاهدة، فمن كان هذا شأنه فأحيلوه إلى القضاء وعليكم بالتثبت وادرأوا الحدود بالشبهات وعليكم بحفظ أسراركم وأتقنوا أعمالكم.

فإن مما يحزن المسلمين ويفرح الكافرين تعثر بعض العمليات القتالية ضد العدو بسبب تقصير في أي مرحلة من مراحل الإعداد للعملية، كاستطلاع الهدف أو التدريب أو سلامة وكفاءة السلاح والذخيرة أو جودة العبوة الناسفة وإلى ما هنالك من ترتيبات، وإذا وضعتم لغماً فليكن صحيحاً، لا يبقي من الأمريكان مخبراً ولا جريحاً، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، وقال أيضا: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان» وإياكم ثم إياكم من الغدر، فإنه إثم وعار وشنار والحر لا يغدر، فقد قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة».)[٢٩]

---

٢٩ . ومما يستأنس به في هذا الباب ما جاء في وثائق أبوت أباد في الرسالة المرسلة الشيخ عطية الله الليبي في تاريخ ٢٦ شعبان ١٤٣١هـ - ٦ أغسطس ٢٠١٠م: (ينبغي الانتباه إلى خطورة إرسال الأمور السرية الخطيرة عبر بريد الكتروني بشكل عام ولا سيما من منطقة وزيرستان وما حولها أو أن يرسل إليها وما حولها، إلا أن يكون التواصل من دول أخرى كإيران أو تركيا -مثلًا، فينبغي أن تنبهوا الشيخ يونس بهذا الأمر وكذلك تفيدوا جميع الإخوة المعنيين بأن الإرسال عبر بريد الكتروني يكون في حسابنا أن الأعداء قد يطلعون عليه فيبقى للأمور العامة والتي لا تترتب على معرفة الأعداء بها ضرر ذي بال، وألا يكون هناك أي استخدام للأجهزة المتطورة فيما يخص الأمور الخطيرة لا سيما العمل الخارجي، وألا يعتمدوا على أنها مشفرة حيث إن العدو متاح له بيسر مراقبة جميع الرسائل القادمة إلى مناطق المجاهدين ومن ثم الحصول على رسائلهم، وكما لا يخفى عليكم أن هذا العلم ليس علمنا ولسنا من اخترعه وبالتالي نجهل كثيرًا منه.

ومن هنا أرى أن إرسال أي أمر سري خطير عبر البريد معتمدين على التشفير مغامرة، حيث إن المتوقع أن من صنع هذا البرنامج يستطيع فتح الرسالة المشفرة مهما كان نظام التشفير، فالاعتماد على التشفير يكون لتعجيز العامة عن فتح الرسالة، أما في الحروب وبإمكانيات دول وخاصة عندما تكون ذات باع في هذه التخصصات فلا ينبغي الاعتماد على التشفير حيث إن الاحتمال وارد بشدة لطبيعة الأمور، فلا يكون التواصل إلا عبر الأشخاص ليبلغوا الرسالة المطلوبة للطرف المعني.)

ففرت منكم لما خفتكم

إن من سـنن الأنبياء ومن سـار على دربهم من العلماء والدعاة والمجاهدين التخفي من الأعداء والفرار بالدين من بطشهم وسطوتهم والبحث عن أسباب مواصلة طريق الدعوة إلى الله حتى يفصـل الله بينهم وبين الأعداء.. وقد كنت فصـلت في هذه المسألة في رسالة "رب الكهف أحب إليَّ مما يدعونني إليه" وقلت فيها: (إن اللُّجوء إلى الكهوف والجبال هي حالة ضـرورة واضـطرار؛ فالمسـلم مطالب بإقامة الدين وتحكيمه ونشـره بين العباد، ومطالب بإصـلاح المجتمعات التي يعيش فيها، هذا هو الأصل كما دلَّت على ذلك سيرة الأنبياء أجمعين -عليهم الصلاة والسلام-.

ولكن قد تمر الدعوة وأهلها في بعض الأزمان أو الأماكن أو الظروف التي لا يستطيعون فيها لحفاظ على أنفسهم ودعوتهم وفق هذا الأصل، فيضطرون للانحياز للكهوف والجبال وما في حكمها للحفاظ على دعوتهم ودينهم، ولعدم التنازل عن دينهم ومبادئهم، ولترتيب أمور دعوتهم وجهادهم والسَّـعي إلى التَّمكين من جديد، شعارهم في ذلك (ربِّ الكهف أحب إليَّ مما يدعونني إليه)..

وهذا الأمر ليس منكرًا ولا مسـتغربًا عند من يفقه سـير الأنبياء -عليهم الصـلاة والسلام- ومن سار على دربهم من الصالحين، ولكنه مُستغرَب عند أقوام لم يفقهوا منهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في صراع أهل الضلال، ولم يقفوا على سنن الصراع بين الحق الباطل -كما سنبين في هذه الورقات بإذن الله-.

وكذلك الأمر في حال الجهاد؛ فقد يضـــطر المجاهدون للانحياز والانســـحاب من مناطق كانوا يسيطرون عليها لعدم قدرتهم على السيطرة والبقاء فيها، فيضطرون إلى الانحياز إلى الكهوف والجبال وما في حكمها والعودة إلى ما يعرف بحرب العصابات، كما فعل الطالبان ومن معهم من المجاهدين بعد أخدود تحالف الكفر العالمي لأهل الإيمان بعد أحداث ســبتمبر المباركة، وكما فعل المجاهدون في الصــومال وفي الجزائر وغيرها في هذا الزمان.

فانظر –رحمك الله– إلى حال من اتبع نهج الأنبياء –عليهم الصــلاة والســلام– في مثل هذه الظروف والأحوال حيث انحازوا إلى الجبال والكهوف وما في حكمها فأعادوا ترتيب صـفوفهم وأمور دعوتهم وجهادهم وبدأوا ما يعرف بحرب العصـابات من جديد، فحافظوا على أنفســهم ودعوتهم وجهادهم واســتمروا في ســبيل الدعوة والجهاد الذي هو ســبيل العز والتمكين، وانظر إلى حال من انحرف عن نهج الأنبياء –عليهم الصــلاة والســلام– وآثر السَّــلامة العاجلة في مثل هذه الظروف ماذا حلَّ بهم؛ فأين ربَّاني وسيَّاف والحزب الإسلامي العراقي وشريف أحمد وغيرهم؟!نسأل الله العافية والثبات ..)

وعلى هذا النهج والطريق سار الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– وإخوانه من العلماء والدعاة والمجاهدين جاء في لقاء الإمام المجدد مع قناة "CNN":

(الصحفي: سيد بن لادن عائلتك عائلة قوية وغنية في المملكة العربية السعودية هل طالبوك أو هل طالبتك الحكومة السعودية أن تتوقف عن نشاطاتك؟

أسامة بن لادن: نعم لقد فعلوا ذلك كثيراً ومارسوا ضدي العديد من الضغوط خاصة وأنه ما زال الكثير من أموالنا بيد العائلة الحاكمة في السعودية والتي تتعلق بنشاطات عائلتنا وشركتنا هناك "مجموعة بن لادن السعودية للعمارة والإنشاء".

أرسلوا لي أمي وعمي وأخوتي في حوالي تسع زيارات إلى الخرطوم يطالبون مني التوقف عن هذا النشاط والعودة إلى السعودية لأعتذر للملك فهد.

اعتذرت لعائلتي بلطف لأنني أعرف بأنهم أجبروا على المجيء والتكلم إلي أراد هذا النظام أن يخلق مشكلة بيني وبين عائلتي وبأخذ بعض الإجراءات ضدهم ولكن وبفضل الله لم تتحقق رغبات هذا النظام ورفضت أن أعود.

نقلت لي عائلتي رسالة من الحكومة السعودية مفادها بأني إذا لم أرجع عما أفعل سيجمدون كل أصولي المالية ويحرمونني من جنسيتي وجواز سفري ويشوهوا صورتي في وسائل الإعلام الأجنبية والسعودية. ظانين بأن المسلم ربما يراهن ويتاجر بدينه قلت لهم افعلوا ما شئتم. لن أرجع.

نحن نعيش الآن حياة العزة والكرامة التي نحمد الله عليها وإنه من الأفضل لنا أن نعيش بكرامة تحت شجرة هنا على هذه الجبال من أن نعيش في قصور في أرض الحرمين الشريفين بلا كرامة لا نستطيع أن نعبد الله حق عبادته في المكان الأكثر قداسة على الأرض، حيث ينتشر الظلم وبشكل كبير ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

وقال –رحمه الله– في "مأسدة الأنصار": (كنا أحد عشر أخًا، وكنّا نعمل في شقّ الطّرق، وإنشاء الأنفاق في بطن الجبال، وكذلك المخابئ؛ وذلك لحماية المجاهدين

الأفغان، ولكنّنا كلّفنا شفيق -رحمه الله- وأسامة حيدر لمتابعة الأمور العسكرية في المنطقة، ومما هو جدير بالذّكر أنّ كلّ هؤلاء الإخوة كانوا في حدود العشرين من العمر -أكرمهم الله-، كانوا قد تركوا دراستهم وحضروا للجهاد في سبيل الله، واستمرّ الحال في العمل، وأخبرنا شفيق وأسامة حيدر أنّ هناك جبل مشرف على مواقع العدو، وهو خالٍ من المجاهدين، وزرت هذه المنطقة فوجدت أنّها فعلًا منطقة خطيرة وحسّاسة جدًا، فسألت عن سبب عدم وجود مجاهدين في هذه المنطقة رغم أهميتها، فقيل لي إن الشتاء والثلوج تقطع الطرق، ويتوقّف الإمداد، ولكثرة القصف على تلك المنطقة.)

ومن جميل كُتب في هذا الباب ما سطره -سيد قطب رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿**وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون**﴾: (يا عجباً! أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجاً، ليبقى فيها الملوثون المدنسون؟! ولكن لماذا العجب؟ وماذا تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون، فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية -وتسميه تقدمية وتحطيماً للأغلال عن المرأة وغير المرأة- أليست تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك؛ ولا تطيق أن تراهم يتطهرون؛ لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوثين الدنسين القذرين؟! إنه منطق الجاهلية في كل حين!!)

استغلال نقاط ضعف الخصم

ومن المعالم الحسنة والسمات البارزة في جهود الإمام المجدد أسامة بن لادن وإخوانه -تقبل الله منهم- حسن الاستفادة والاستغلال لنقاط ضعف العدو وفي توضيح ذلك يقول الدكتور أيمن الظواهري في "فرسان تحت راية النبي ﷺ": (استطاع المجاهدون أن يتفوقوا أمنياً على نظام الخصم، بل استطاعوا أن يضربوا الخصم من داخل نظامه.

أ- لم يعد الغرب لغزاً بالنسبة للمجاهدين، بل لقد فهم المجاهدون من نقاط الضعف في دفاعات الغرب ما لم تفهمه أجهزة أمن الغرب، التي تستهلك مئات المليارات من الدولارات سنوياً. ومن أمثلة ذلك:

(١) في ألمانيا تم تجنيد ثلاثة من أمراء الأسراب الاستشهادية، بل وسافروا لأفغانستان ثم عادوا للغرب دون أن ينتبه لهم أحد.

(٢) واستغل المجاهدون التسهيلات، التي تقدمها أمريكا للشباب الخليجي للسفر إليها والدراسة فيها، لتغرس فيهم الإعجاب والانبهار بالغرب، فقلبوا عليها سياستها، واستطاعوا أن يحصلوا على تأشيرات لستة عشر مجاهداً دون أن تنتبه لهم أجهزة الأمن الأمريكية. بل لم تنتبه أجهزة الأمن الأمريكية للتغييرات التي أحدثها المجاهدون في جوازات سفرهم.

(٣) واستغل المجاهدون أمريكا نفسها لدراسة الطيران، فأمراء الأسراب الأربعة درسوا الطيران في أمريكا، واستطاعوا أن يتحركوا بحرية في أمريكا للتخطيط لضربتهم، واستطلاع نظم الخصم ودفاعاته.

كل هذا لأن المجاهدين تخلصوا من عقدة التدني أمام الغرب، وعقدة الرعب من الغرب، بينما لا يزال من يزعم -من يُحسب من الكتاب والمفكرين- أن أمريكا تملك ٩٩٪ من أوراق اللعبة، وأن أية مواجهة مع أمريكا محكوم علينا فيها بالفشل، وأن هجمات الحادي عشر من سبتمبر فلتة لن تتكرر إلى آخر معزوفة الخنوع والدونية.

وفي معركة اليرموك لما أقبل خالد من العراق، قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: (ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد: ويلك، أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر برأ من توجعه، وأنهم أضعفوا في العدد.)

وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق.

ب- درس المجاهدون النظام الأمني الأمريكي جيداً، فقد استفادوا مثلاً من أن أنظمة الأمن في الطيران الأمريكي لا تمنع حمل المدى الأقل من أربع بوصات. تلك المدى التي كانوا قد تدربوا على استخدامها، بل وعلى ذبح الخراف ونحر الجمال بها على يد الشهيد -كما نحسبه- أبو تراب الأردني.

يقول تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر:
(لقد استغل الإرهابيون الإخفاقات المؤسسية العميقة في حكومتنا.)

ويقول أيضاً:

(لقد أظهرت خبرة ١١/ ٩ أن الإرهابيين درسوا واستغلوا نقاط ضعف أمريكا".))

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "رسالة إلى إخواننا المسلمين في العراق": (قد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأمريكي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيسي على الحرب النفسية نظرا لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة.

وكذلك على القصف الجوي الكثيف، إخفاء لأبرز نقاط ضعفه وهي الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجنود الأمريكيين، فهؤلاء الجنود على قناعة تامة بظلم حكومتهم وكذبها كما أنهم يفتقدون قضية عادلة يدافعون عنها وهم إنما يقاتلون من أجل أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الربا وتجار السلاح والنفط بما فيهم عصابة الإجرام في البيت الأبيض.

أضف إلى ذلك أحقادا صليبية وأحقادا شخصية لبوش الأب.

وتبين لنا أيضا أن من أفضل الوسائل الفعالة والمتاحة لتفريغ القوة الجوية للعدو الصليبي من محتواها، هو بإنشاء الخنادق المسقوفة والمموهة بأعداد كبيرة، وكنت قد أشرت إلى ذلك في حديث سابق في أثناء معركة تورا بورا العام الماضي.

تلك المعركة العظيمة التي انتصر فيها الإيمان على جميع القوى المادية لأهل الشر بالثبات على المبدأ بفضل الله سبحانه وتعالى، وسأذكر لكم طَرَفا من تلك المعركة العظيمة للتدليل على مدى جبنهم من جهة ومدى فعالية الخنادق في استنزافهم من جهة أخرى.

فقد كان عددنا يصـــل إلى ثلاثمائة مجاهد وكنا قد حفرنا مائة خندق منتشـــرة في مســـاحة لا تزيد عن ميل مربع، بمعدل خندق لكل ثلاثة اخوة. حتى نتلافى الإصابات البشرية الكبيرة من القصف، وقد تعرضت مراكزنا منذ الساعة الأولى للحملة الأمريكية في العشرين من رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة الموافق للسابع من أكتوبر لسنة ألفين وواحد ميلادية لقصف مركّز ثم استمر ذلك القصف بشكل متقطع إلى منتصف رمضان وبعدها في صبيحة السابع عشر من رمضان بدأ قصف شديد جدا وخاصة بعد ما تأكدت القيادة الأمريكية بوجود بعض قيادات القاعدة في تورا بورا بما فيهم العبد الفقير والأخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، وأصبح القصف على مدار الساعة فلم تكن تمر علينا ثانية بدون طائرات حربية فوقنا ليلا أو نهارا حيث تفرغت غرفة قيادة وزارة الدفاع الأمريكية مع جميع القوى المتحالفة معها لنســف وتدمير هذه البقعة الصـــغيرة وإزالتها من الوجود، فكانت الطائرات تصب حممها فوقنا وخصوصا بعد أن أنهت مهماتها الأساسية في أفغانســتان، وكانت القوات الأمريكية تقصفنا بالقنابل الذكية والقنابل ذات آلاف الأرطال والقنابل العنقودية وكذلك كانت القنابل الخارقة للكهوف، وقد كانت قاذفات القنابل كطائرات بي اثنين وخمســين تحوم الواحدة منها لأكثر من ســاعتين فوق رؤوسنا وترمي في كل دفعة من عشرين إلى ثلاثين قنبلة، وكانت طائرات السي ميه وثلاثين المعدلة ترمينا ليلا بالأبسطة المتفجرة وغيرها من القنابل الحديثة.

ورغم ذلك القصـــف الهائل مع الإعلام الدعائي الرهيب اللذين لم يســبق لهما مثيل على مثل هذه البقعة الصغيرة المحاصرة من جميع الجهات، بالإضافة لقوات المنافقين

التي دفعوها لقتالنا لمدة نصف شهر متصل والتي صددنا موجاتهم اليومية كلها -بفضل الله سبحانه وتعالى- وأرجعناهم في كل مرة مهزومين يحملون قتلاهم وجرحاهم، رغم ذلك كله ما تجرأت القوات الأمريكية على اقتحام مواقعنا، فأي دلالة أظهر من ذلك على جبنهم وخوفهم وكذبهم في أساطيرهم المدعاة لقواهم المزعومة؟!

خلاصة المعركة: الفشل الهائل الذريع لتحالف الشر العالمي بجميع قواه على مجموعة صغيرة من المجاهدين، على ثلاثمائة مجاهد في خنادقهم داخل ميل مربع في درجة حرارة بلغت عشر درجات تحت الصفر، وكانت نتيجة المعركة إصابتنا في الأفراد بستة في المائة تقريبًا -نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء-، وأما أصابتنا في الخنادق فكانت بنسبة اثنين في المائة والحمد لله.

فإذا كانت جميع قوى الشر العالمي لم تستطع أن تحقق مرادها على ميل مربع بعدد بسيط من المجاهدين بإمكانيات متواضعة جدا فكيف يمكن لهذه القوى الشريرة أن تنتصر على العالم الإسلامي، فهذا محالٌ -بإذن الله- إذا ثبت الناس على الدين وأصروا على الجهاد في سبيله.)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (وخلاصة الأمر؛ أن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها -بإذن الله- ستترنح وتنكمش، فتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصر أسبابٌ وللخُسر مثلها   وكل طريقٍ يورث الخلد رابحُ
دروب العلا شتى وأقصرها التي   تريق الدما في جانبيها الجَحاجحُ

وأمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير -بفضل الله- ولكنهم مقيدون.)

وقال - رحمه الله- في "لقاء مع جمال إسماعيل لقناة الجزيرة": (فيقول كعب بن مالك: (فتوليت وفاضت عيناي)، وحُقَّ له! أحب الناس إليه لم يستطع أن يثبت له هذا الأمر العظيم. فالشاهد من قولنا، هذا الجهاد اليوم هو مُتعيّن على الأمة وقد يسقط للعجز، لكننا نحن نعتقد أن الذين خاضوا الجهاد في أفغانستان من أكثر ما يتوجب عليهم؛ لأنهم علموا أنه بإمكانياتٍ ضعيفةٍ وعددٍ قليلٍ من الـ RPG، عددٍ قليلٍ من ألغام الدبابات، عددٍ قليلٍ من الكلاشينات، تحطمت أكبر أسطورةٍ عسكريةٍ عرفتها البشرية، وتحطمت أكبر آلةٍ عسكرية، وزال من أذهاننا ما يسمى بالدول العظمى. ونحن نعتقد أن أمريكا أضعف بكثير من روسيا، ومما بلغنا من أخبار إخواننا الذين جاهدوا في الصومال وجدوا العجب العجاب من ضعف الجندي الأمريكي ومن هزالة الجندي الأمريكي ومن جبن الجندي الأمريكي، ما قُتل منهم إلا ثمانون ففروا في ليل أظلم لا يلوون على شيءٍ بعد ضجيجٍ ملأ الدنيا عن

النظـام العـالمي الجـديـد! فهـذا اعتقـادنا يســـعُ النـاس إذا اتقوا اللهَ -عز وجـل-؛ الذي يعلم أن باســـتطاعته أن يجاهد، والذي يعلم أن طاقته الآن ما تزال تحتاج إلى استثمار يعمل على استثمار المقومات، والله أعلم.)

بذل الموجود وابتكار أساليب جديدة في التصدي للحملة الصليبية الصهيونية

إن مواكبة التطورات وابتكار الأساليب الجديدة التي تناسب طبيعة مراحل الصراع بين الحق والباطل من المهمات والمسؤوليات التي ينبغي أن يسعى أهل الحق لتحصيلها قدر الإمكان والاستطاعة كما أمرهم الله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التغابن: ١٦].

والناظر والمتأمل في دعوة وجهاد الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- يجد أن هذا الأمر قد أخذ حيزاً كبيراً من توجيهاته وجهاده فهو مربط من مرابط القوة والإثخان في العدو ومباغتته من حيث لا يحتسب وفي ذلك يحدثنا الدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله- حيا وميتاً فيقول في "فرسان تحت راية النبي": (إننا لن نلحق بالغرب في تقدمه التقني في هذه المرحلة، فقد تقدم عنا بمسافات ومراحل لأسباب عديدة منها ضعفنا وفسادنا السياسي، الذي أهملنا به النظر في العلوم الطبيعية، وانصرفنا لعلم الكلام والتصوف المنحرف والخرافات، ومنها سيطرته علينا وحرماننا من أي تقدم.

فالخلاصـــة؛ أننا في هذه المرحلة لا يمكن أن ننتج أســلحة تكافئ أســلحته، ولكننا نستطيع أن نخرب له نظامه الاقتصادي والصناعي المعقد، وأن نستنزف قواته، التي تقاتل بلا عقيدة، حتى تفر هاربة. ولذلك كان على المجاهدين أن يبتكروا أســـاليب جـديـدة، لا تخطر على بال الغرب، ومن أمثلـة هـذا التفكير الجريء الشـــجاع؛ استخدام الطائرة كسلاح جبار.

يقول تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر:
(كان الرجال التســـعة عشـــر على متن أربع رحلات عابرة للقارة. وكانوا يخططون لخطف هذه الطائرات، وتحويلها لصـــواريخ ضـــخمة موجهة، معبأة بما يصـــل إلى ١١٤٠٠ جالون من وقود النفاثات. وبحلول السـاعة الثامنة من صـباح الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كانوا قد هزموا كل طبقات الأمن، التي كانت لدى نظام أمن طيران أمريكا المدني لمنع الاختطاف.)

كذلك اختار الإخوة الطائرات البوينج ٧٦٧ العابرة لقارة أمريكا، لأنها تحمل مخزوناً أكبر من الوقود، ولم يختـاروا الأير باس، لأن بهـا طيـاراً آليـاً، يمنعهـا من الارتطـام بالأرض.

ومن أمثلة هذا التفكير الجريء الشجاع إلحاح الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله- على خالد شيخ محمد -فك الله أسره- أن يحاول تقديم موعد الهجمات إلى يونيو، ليتمكن من ضـرب البيت الأبيض في أثناء زيارة شـارون لبوش، وكان الاسـم الرمزي لشارون "مشمش"!)

أسلحة الدمار الشامل

ومن صور الإعداد الجيد وتطوير أساليب المواجه والحصول وابتكار أسلحة مؤثرة في الصـــراع بين الحق والباطل ومن باب الامتثال لقول الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْـــتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَـــيْءٍ فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، رأينا الإمام المجدد أسامة بن لادن رحمه الله يبذل جهده وإمكانيته للحصـول على ما يعرف بأسـلحة الدمار الشـامل كما ذكر ذلك الشـــيخ خبيب الســــوداني –حفظه الله– في "شــــذرات من تاريخ القـاعـدة": (في كل الحروب التي خاضـتها اسـتخدمت أمريكا كل ما تملكه من سـلاح بدءا من الرصاصة مرورا بالصواريخ الذكية وأم القنابل وقذائف اليورانيوم المستنفد حتى القنبلة النووية.. لذلك كمعاملة بالمثل في الحرب التي أعلنها الشيخ أسامة على هبل العصر أمريكا وعملاً بقول الله عز وجل: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْـــتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، كان لا بد للقاعدة أن تلج هذا الباب وذلك بأن يكون بيدها بجانب ما تملكه من سباح العمليات الاستشـهادية سـلاح من أسـلحة الدمار الشـامل تسـتخدمه متى اضطرت إلى ذلك.

وبالفعل منذ وقت مبكر سعت القاعدة نحو امتلاك هذا النوع من السلاح سواء بشرائه أم بتصنيعه وهذا أخوف سيناريو تخوفت الإدارات الأمريكية السابقة واللاحقة.

وبما تملكه القاعدة من إمكانيات ذاتية محدودة كان الأخ أبو عبد العزيز المصري (علي سيد محمد سيد مصطفى البكري) -رحمه الله- بحكم دراسته الجامعية وتخصصه في الكيمياء أحد المكلفين في هذا المضمار وليس صحيحا البتة ما يروج زورا وبهتانا عن القاعدة بأن خبراء عراقيين تابعين لنظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين كانوا قائمين على هذا البرنامج.

وكان للأخ أبي عبد العزيز في مجمع المطار بقندهار معمل كيمائي تحتوي على كميات كبيرة من الأحماض والمواد الكيمائية وبينما كانت التحضيرات لعمليات الحادي عشر من سبتمبر تجري على قدم وساق كان أبو عبد العزيز يعمل بصمت في تجاربه السرية....)

وجاء في مقابلته "لقاء مع مجلة التايم البريطانية": (مجلة التايم: تقول الولايات المتحدة بأنك تسعى لامتلاك أسلحة كيماويّة ونوويّة، كيف يمكن أن تستخدمها؟

أسامة بن لادن: امتلاك أسلحة للدفاع عن المسلمين واجبٌ ديني، إذا حصلت فعلًا على هذه الأسلحة فسأشكر الله الذي مكّنني من ذلك، وإذا كنت أسعى لامتلاك هذه الأسلحة فإنني أقوم بواجبي، سيكون من الإثم على المسلمين ألّا يَسعوا لامتلاك الأسلحة التي تمكِّنُهم من ردع الأعداء من الاعتداء على المسلمين.)

وجاء في مقابلة جمال إسماعيل: (سؤال: نُشرت في بعض الصحف العربية والأجنبية أيضًا مواضيعٌ حول سعيكم لامتلاك سلاحٍ نووي أو كيماوي أو بيولوجي، وخاصةً عن طريق بعض التجار من وسط آسيا أو بقية دول الاتحاد السوفيتي السابق، خاصةً وأن الإدارة الأمريكية في سجل الاتهامات الذي اتهمتكم به -والبالغ حوالي ٢٣٥ اتهامًا- سجّلت هذه الاتهامات، وأنكم تسعون جادين لامتلاك مثل هذه الأسلحة.

أسامة بن لادن: نحن كما ذكرت نطالب بحقوقنا، نطالب بإخراج الأمريكان من العالم الإسلامي وعدم سيطرتهم عليه، ونعتقد أن حق الدفاع عن النفس هو حقٌ لكل البشر، ففي وقت تخزن إسرائيل فيه المئات من الرؤوس النووية والقنابل النووية، ويسيطر فيه الغرب الصليبي على هذا السلاح بنسبةٍ كبيرة لا تُعتبر هذه تهمة، بل هو حقٌ ولا نقبل من أحدٍ أن يوجّه تهمةً لنا. يعني كما تتهم رجلًا كيف يكون فارسًا شجاعًا مقاتلًا، تقول له لماذا أنت كذلك؟! فلا يتهمه بذلك إلا رجل مُختلٌ غير عاقل. وإنما هذا حقّ، ونحن أيّدنا وهنّأنا الشعب الباكستاني عندما فتح اللهُ عليهم وامتلكوا هذا السلاح النووي، نعتبر هذا من حقوقنا وحقوق المسلمين، ولا نلتفت لمثل هذه التهم من قِبل أمريكا.

سؤال: هل يعني هذا تأكيدٌ للاتهامات من أنكم تسعون للحصول على السلاح؟

أســـامة بن لادن: هذا ليس تهمة؛ هذا واجبٌ على المســـلمين أن يملكوه، وأمريكا تعلم اليوم أن المسلمين يملكون هذا السلاح بفضل الله –سبحانه وتعالى–.)[٣٠]

---

٣٠ . وانظر لمزيد تبيان وتفصيل حول هذا الموضوع المهم كتاب "عمليات ١١ سبتمبر بين الحقيقة والتشكيك" ص ٢٤١ وما بعدها للشيخ أبي محمد المصري –رحمه الله–.

وضوح الكلام وجلاء المعاني للوصول إلى الحق بأيسر الطرق والبعد عن التكلف

إن وضـوح المعاني وسـهولة العبارات والبعد عن التعقيد والتكلف في البيان والطرح دليل على تمكن المعاني ورسـوخها في نفس المتكلم وقناعته بها.. والمتابع لرسـائل الإمام المجدد رحمه الله يجد أن هذه السـمة من السـمات العامة لرسـائله وتوجيهاته وأذكر هنا بعض الأمثلة وخاصـة ما فيه تشـابه في واقعنا اليوم فقال الإمام المجدد عن الواجب لنصرة أهل فلسطين عامة وغزة خاصـة في "السبيل لخلاص فلسطين صفر ١٤٢٩هـ - مارس ٢٠٠٨م":

(الحمد لله ثم الحمد لله، والصـلاة والسـلام على نبينا محمد وعلى آله وصـحبه ومن والاه. أما بعد:

أمتي الإسلامية الحبيبة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثي هذا إليكم عن حصـار غزة وكيف السـبيل لتخليصـها وسـائر فلسـطين من أيدي العدو الصهيوني.

وابتداءً أقول: إن من المصـائب العظام التي تنفطر لها قلوب أولي البأس من الرجال وهم يرون أطفالهم يتعرضـون للموت البطيء أمام أعينهم لسـوء الغذاء وانعدام الدواء نتيجة للحصار الظالم.

أمتي المسلمة، إن فلسطين وأهلها يعانون الأمرَّين منذ قرن من الزمان تقريباً على أيدي النصارى واليهود، وكلا الخصمين لم يأخذوها منا بالمفاوضات والحوار وإنما بالحديد والنار، وهو السبيل لاسترجاعها؛ فلا يفل الحديد إلا الحديد، وقد بيّن الله تعالى لنا السبيل لكف بأس الكفار بقوله: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾.

فبالتحريض والقتال يُكف بأس الكفار، فما الذي يحول بيننا وبين الجهاد في سبيل الله؟ إنه الكمّ الهائل من القيود التي وضعها ذلك التحالف الصليبي الصهيوني على حكام المنطقة، وهم بدورهم بعلمائهم وإعلامهم قيدونا بها.

عباد الله، إن هذا الحصار الظالم على غزة، قد نبّه وأكد على أن أبناء الأمةِ وقادتها محاصرون من الأعداء، مسلوبو الإرادة مقيدو الحرية إلا من رحم الله، وقد ظهر عجزها وهوانها على الناس، فكيف يستطيعُ المحاصر أن يفكَّ الحصار عن غيره؟ ففاقد الشيء لا يعطيه.

هذه هي الحقيقة المرّة التي يجب مواجهتها والسعي لإيجاد الحلول الصحيحةِ لها، بعيداً عن الأفكارِ العقيمةِ والآراء السقيمة التي تدور في فلك أعدائنا من حكامِ المنطقة.

أمتي المسلمة، برغم هذا الحصار الشديد عليك إلا أن أمامك فرصة عظيمةً جداً لاستعادة حريتك للخروج من الخضوع والتبعية في هذا التحالف الصليبي الصهيوني،

ولكي يتم ذلك فلا بد أن تتحرري من قيود الذل والخنوع التي يكبلنا بها وكلاء هذا التحالف من حكام بلادنا وأعوانهم، ولا سيما من قيود علماء السلاطين، وكذا من قيود قادة الجماعات الإسلامية التي أصبح من منهجها الاعتراف بالحاكم الذي خان الملة والأمة والانخراط في المنظومةِ السياسيةِ للدولة، ولا فرق إن كانت في الحكم أو المعارضة.

أو تلك الجماعات الأخرى التي تضخم عندها الحذر حتى وصل إلى درجة الخوف المقعد عن القيام بالجهاد، هذه العبادة التي ينهى عنها الحاكم، والتي هي ذروة سنام الدين وهي السبيل لكف بأس الكفار ولفك الحصار عن المسلمين.

وبعض هذه الجماعات تسوغ مداهنة الحاكم والقعود عن الجهاد تحت ذريعة مصلحة الدعوة، حتى صار هذا الادعاء صنماً يعبد من دون الله، وتحت غطائه تزاحم أوامرُ قادة الجماعة أوامرَ الله تعالى وأوامرَ رسوله ﷺ وذلك هو الضلال المبين.

أمتي المسلمة، لا بد من التحرر من هذه القيود الباطلة، والاستسلام والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له، وعندئذٍ فقط يتحرر الإنسان، وعندئذٍ يستطيع أن يسعى في تحرير أمته وفي تحرير فلسطين والأقصى، وسيرى الأبواب مشرعةً إلى طريق الحريةِ والكرامة، إلى ميادينِ الرجال والنزال، ميادين القتل والقتال في سبيل الله كما في أفغانستان ووزيرستان والمغرب الإسلامي والصومال وكشمير والشيشان، وأهمها وأعظمها نكاية في العدو بغداد دار الخلافة وما حولها.

ففي هذه الساحات وتحت ظلال السيوف ينبُت العز، وكل مكانٍ يُنبت العز طيبُ، وفوق ثراها تدق أعناقُ الظالمين وتُشفى صدورُ قومٍ مؤمنين.

أمتي المسلمة، لا يخفى عليكِ أن أقرب ميادين الجهاد اليوم لنصرة أهلنا في فلسطين هو ميدانُ العراق فينبغي الاهتمام به والتركيز عليه ونصرته، وإن واجب النصرة آكد ما يكون على المسلمين في دول الجوار، وينبغي على أهلِ الشامِ -كل الشام- أهل الأرض المباركة أن يستشعروا عظم فضل الله عليهم، ويقوموا بما يجب عليهم من نصرةٍ لإخوانهم المجاهدين في العراق، وإنها لفرصةٌ عظيمة وواجب كبير على إخواني المهاجرين من أهل فلسطين، الذين حيل بينهم وبين الجهاد على ربى القدس أن ينفضوا عنهم أوهام الأحزاب والجماعات الغارقة في خدعةِ الديمقراطية الشركية، وأن يسارعوا بأخذ مواقعهم في صفوف المجاهدين في أرضِ الرافدين، فتكون المؤازرة وحسن التوكل على الله ونصرته لينصرهم بإذنه تعالى، ثم يكون الانطلاق إلى الأقصى المبارك حولهُ فيلتقي المجاهدون في الخارجِ مع إخوانهم في الداخل، فيعيدوا لنا بإذن الله ذكرى حطين وتقر أعين المسلمين بالنصر المبين.

أمتي المسلمة، إن الحصارَ حتى الموت من أعظم الظلم وأشنعه، ولا يقدم عليه ولا يشارك فيه إلا من كان قلبه كالصخر أو أشد قسوة، وقد صح عن نبينا ﷺ أنه قال: «دخلت امرأة النار في هرةٍ ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»، فإذا كان هذا في حصار هرةٍ حتى الموت يا عباد الله، فكيف بحصار مئات الألوف من الأطفال اليتامى والنساء الأيامى؟ إنه خطبٌ جسيم وجرمٌ عظيم تقصر كلماتي عن وصف آهاته وتجسيد ويلاته.

أمتي المســـــلمة، إن هذا الحصـــــار القاتل قد بدأ بعد تأييد عرب أنابولس لأمريكا والكيان الصـهيوني على المجاهدين في فلسـطين، وذلك من نواقض الإسـلام العشـرة وهم بهذا التأييد شـركاء في هذه الجريمةِ الشـنيعة، فيجب على المسـلمين بغضـهم والدعاءُ عليهم والسـعيُ في خلعهم كما يجب التبرؤ منهم علانية لمن يسـتطيع وإن عجز فبقلبه.

ومما زاد المصـيبة فداحةً أن بعض الكبار المنتسـبين إلى العلم والدعوة جاؤوا للأمة في محنتها الأخيرة بأفكار مضـــللة عندما ظهروا وهم يمدحون حكامها، ويعلقون آمال الأمة عليهم بفك الحصار وهم يعلمون أنهم ركنٌ أساسيٌّ في جريمةِ الحصارِ هذه.

المستجيرُ بعمرو عند كربتهِ   كالمستجيرِ من الرمضاءِ بالنارِ

عباد الله، أمامنا ثلاثُ طوائف: طائفة المجاهدين ومن ناصـــرهم، وطائفة القاعدين عن نصـرة فلسـطين بالجهاد في سـبيل الله من غير عذر، وطائفة التحالف الصـليبي الصهيوني ومن ناصرهم وفي مقدمتهم حكام المنطقة وعلماء السوء.

- فالسعيد من كان من الطائفة الأولى، أرجو الله أن يجعلنا وإياكم من السعداء.
- والمحروم من كان من الطائفة الثانية القاعدة عن نصرة الدين.
- والشقيُّ من كان من الطائفة الأخيرة، أعاذنا الله وإياكم منها.

وفي الختام أقول: لن ترجع لنا فلسـطين بمفاوضـات الحكام المسـتسـلمين ومؤتمراتهم، ولا بمظاهرات الدعاة القاعدين وانتخاباتهم، فكلاهما وجهان لمصـيبةِ الأمة،

وإنما ترجعُ إلينا فلسطين بإذن الله إن صحونا من غفلتنا وتمسكنا بديننا وفديناه بأموالنا وأنفسنا.

أيها الغافل النؤوم تنبه فقبيح يوم اطراد القعودُ
ما حياة الإنسان إن صار عبداً يحكم أرضهُ شقيٌّ مريدُ
فبأرضي قواعدٌ للكفرِ شتى كل طاغٍ كما يشاءُ يزيدُ
يومَ بدلتم الجهادَ قعوداً ذلَّ ساداتكم وذلّ المسودُ
فنرى الموت راحةً إن تعالت في حمانا شراذم ويهودُ
وحمى القدس مستباحُ النواحي أين يا قوم وعدكم والوعيدُ
ويتيمٌ من جوعهِ يتلوى والريالاتُ أبحرٌ والنقودُ
يا قيود الطغاةِ منكِ ضجرنا وعلى القهرِ هل تنامُ الأسودُ
يا بني أمتي قوموا وهبوا وانصروا الحقَّ بالدمِ جودوا
كل بذلٍ إذا العقيدةُ ريعت دون بذل النفوس بذل زهيدُ
فلديني أحيا وأبذل روحي ولمصباحهِ دمائي وقودُ
فبغير الإسلام ذلٌ مديدُ وارتفاعُ الرؤوسِ يومَ يسودُ

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم فرج عنا وعن أهلنا المحاصرين في فلسطين وفي غيرها من بلاد المسلمين. اللهم انصر المجاهدين في فلسطين والعراق وأفغانستان والمغرب الإسلامي وجزيرة العرب والصومال والشيشان وفي كل مكان.

اللهم عليك بأعدائنا من اليهود والنصـــارى ومن والاهم، اللهم عليك بطواغيت العرب والعجم ومن والاهم فإنهم لا يعجزونك.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الجلال والإكرام لاحول ولا قوة لنا إلا بك، فارحم ضـعفنا وقوِّ شـوكتنا وثبت أقدامنا وثبت رمينا ووحد صـفنا وانصـرنا على القوم الكافرين فأنت حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.)

وجاء في مقابلته مع "لقاء مع الصـحفي الباكسـتاني حميد مير": (الصـحفي: كيف يُمكن أن نطرد الولايات المتحدة من الخليج؟

أسامة بن لادن: لو أن لصوصًا اقتحموا منزلك ماذا أنت فاعل؟

الصحفي: إذا كان معي بندقية سأطلق النار عليهم.

أسـامة بن لادن: تمامًا، هذه هي الطريقة الصـحيحة لطرد الأمريكيين من الخليج، فالولايات المتحدة تُرسـل إمدادات لقواتها في الخليج في محاولة منها للسـيطرة على مصادر النفط، ومنذ العام ١٩٧٣ ازدادت أسعار كل المواد الأخرى باستثناء أسعار النفط التي لم ترتفع كثيرًا، حيث ازدادت أسعار النفط ٨ دولارات منذ العام ١٩٧٣، بينما ازدادت أسعار المواد الأخرى ثلاث أضعاف، وبالمقارنة يجب أن تزداد أسعار النفط ثلاث أضعاف وهذا لم يحدث.

فأسعار القمح الأمريكي ازدادت ثلاثة أضعاف، بينما لم تزدد أسعار النفط العربي إلا بضع دولارات؛ لأن الولايات المتحدة تصدر أوامرها تحت تهديد القوة، فنحن نخسر ١١٥ دولار في البرميل يوميًا، والسعودية لوحدها تنتج عشر ملايين برميل يوميًا، وبالتالي فإنّ الخسارة ستكون مليار دولار يوميًا، والخسارة الإجماليّة أكثر من ملياري دولار، في السنين الثلاثة عشر الماضية تكون الولايات المتحدة قد تسببت لنا بخسارة أكثر من تريليون ومئة مليار دولار.

يجب أن نستردّ هذه الأموال من الولايات المتحدة، تِعداد المسلمين في العالم يفوق المليار مسلم، فلو أُعطيت كل عائلة ١١٠٠٠ ألف دولار فإن هذا المبلغ الطائل سيصلح أحوال المسلمين الذين يعانون حتى الموت، بينما تسرق الولايات المتحدة نفطهم، فهي تشتري منا النفط بأسعارٍ منخفضة، وتبيعنا الدّبابات والطّائرات المقاتلة من خلال تصوير إسرائيل كتهديد، وبهذه الطريقة تسترد الولايات المتحدة كل أموالها.

-الصحفي: لكن هناك حكومات في العالم العربي تتعامل مع الولايات المتحدة باستثناءِ ليبيا والعراق والسودان، عندها كيف سنتخلص من النّفوذ الأمريكي؟

-أسامة بن لادن: كانت روسيا تتزعّم الاتحاد السّوفياتي، ومع تفكّك روسيا تراجعت الشيوعية في أوروبا الشرقية، وبشكل مشابه إذا ضُربت الولايات المتحدة ستتلاشى الممالك العربية، وإن الجريمة الأكبر التي ارتكبتها الولايات المتحدة هي أنها قد دنّست أرضنا المقدّسة، ضد من يقاتل ١٢٠٠٠ جندي أمريكي في السعودية؟ ماذا حدث لعزّة المسلمين؟ ألا يستطيعون أن يَحموا كعبتهم المشرّفة بأنفسهم؟

قبل قدوم الإسلام، عندما غزا أبرهة الحبشي الكعبة، أرسل الله -سبحانه وتعالى- طيرًا أبابيل، التي رمتهم بالحجارة حتى فرّوا هاربين، والآن هناك مليار مسلم في العالم، لن يُرسل الله -سبحانه وتعالى- طيورًا مجددًا، لذا يتوجب على المسلمين أن يتحملوا مسؤولياتهم بأنفسهم، ويجب أن يقلق المسلمون بشأن الكعبة أكثر من قلقهم من البيت الأبيض.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

أمتي المسلمة الحبيبة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإن احتفال اليهود بمشاركة زعماء دوليين بالذكرى الستين لقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المغتصبة يؤكد بوضوح أن قيم العدل والحرية والإنسانية ما هي إلا شعارات جوفاء يرفعونها لمخادعة المستضعفين، وتخفي وراءها حقيقة القانون السائد في هذا العصر، فهو قانون الغاب والناب، قانون القوي فيه يأكل الضعيف، قانون السباع؛ إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب، فمن عز بز، ومن يهن يسهل الهوان عليه، فلا مكان عندهم لصاحب حق إن كان ضعيفاً وإنما الأمر والنهي لصاحب القوة وإن كان مبطلاً!

أمتي المسلمة، لقد مضى على سقوط فلسطين في أيدي النصارى ثم اليهود تسعة عقود، فإذا كانت الذين سُلبت فلسطين في عهدهم قد أفضوا إلى ما قدموا، وإذا كان الملوك والرؤساء قد ضحوا بفلسطين والأقصى لتسلم لهم عروشهم، وهذا ما تؤكده الحقائق والوثائق، وإذا كان كثير من العلماء قد داهنوا الحكام وركنوا إليهم

ليسلم لهم شرفهم وجاههم وتسلم لهم مناصبهم ومعاهدهم وجامعاتهم، زاعمين أن ذلك لمصلحة الدعوة، فإذا كان كل هؤلاء السادة والكبراء قد ضحوا بكل القضية الفلسطينية، فإننا غير معفيين من المسؤولية بل هي معلَّقة برقابنا ورب الكعبة، وكل واحد منا مسؤول بحسبه عن وفاة أهلنا المستضعفين في غزة.

وقد مات العشرات بعد العشرات بسبب ذلك الحصار الظالم، وآكد ما يكون الواجب بشأن فك هذا الحصار على إخواننا فرسان أرض الكنانة حيث إنهم الوحيدون على حدودها، فيجب عليهم العمل على فك هذا الحصار وإسقاط ذلك العتل الجواظ المتكبر صاحب القلب المتحجر قاتل أطفال غزة المتشبه بفرعون وهامان في قتل أطفال بني إسرائيل من قبل، عليه وعلى أعوانه من الله ما يستحقون.

ولكي نستدرك ما وقع من إخفاقات حالت دون تحرير فلسطين خلال العقود الماضية، فلا بد على جيل اليوم أن يدرسوا أسباب الفشل ويتدبروها لأخذ العبر، وإني مساهمٌ معكم في ذلك بذكر بعض مواطن الخلل لتلافي الوقوع بها، وابتداءً أقول:

إن الأمة لم تؤتَ يومها من قلة الصادقين الراغبين بالتطوع والجهاد لاسترجاع فلسطين، وإنما أتيت من عدم معرفة سوادها الأعظم بالوضع السياسي الجديد الناشئ بعد غياب الدولة العثمانية.

فمنذ ذلك الحين أصبحت الكلمة الأولى في المنطقة للصليبيين، الذين نصبوا وكلاءهم في بلادنا، وظنت الأمة أن هؤلاء الوكلاء هم ولاة أمرها الشرعيين الحريصين

عليها والذين يتقى بهم ويقاتل من ورائهم، فاطمأن الناس وصـــــدقوا هؤلاء الحكام بأنهم سيقومون بواجباتهم ومن أهمها استرجاع فلسطين، فاستأمنوهم على القضية ومن مأمنه يؤتى الحذر.

وهنا أضرب مثالاً لاختصار وتوضيح حال الأمة، فكان حالها كالغنم الشافية في أرض مسبعة يسيء راعيها رعايتها ولكنه يحفظها من الذئاب، فتواطأ عليه أعداؤه وقتلوه واستبدلوه بذئاب من بني جلدتنا ومن أعدائنا فعاثوا في الغنم فساداً ففي كل يومٍ يأمن القطيع أن تتوقف الذئاب عن افتراسه ولكنها لا تستجيب لذلك، وهل يشك عاقل أن هذا الأمل ليس في محله؟

فهذا حالنا.

كانت الدولة العثمانية على علاتها العظام تحمي الأمة من ذئاب الغرب الصليبية، فتواطأت بريطانيا مع زعماء عرب في مقدمتهم الشريف حسين وأبناؤه والملك عبد العزيز آل سعود؛ تواطؤوا معها على قتال وإسقاط الدولة العثمانية، وتم ذلك ثم نصبت بريطانيا وكلاء لها ينفذون سياستها ويحفظون مصالحها على حسابنا.

ومن الحماقة أن يظن إنسان أن وكلاء التحالف الصليبي الصهيوني سيتوقفون عن محاربة ديننا وافتراس ثرواتنا، فحالهم كحال الذئاب لا تتوقف عن افتراس الغنم.

ومن رعى غنماً في أرضٍ مسبعةٍ   ونامَ عنها تولى رعيها الأسدُ

ولئن كانت الأمة اليوم أتيت من عدم قيامها بما يجب عليها من عمل لمواجهة وكلاء الصـــليبيين والتخلص من خطرهم؛ فكثير من أبناء الأمة الصـــادقين لما علموا بتبعية حكام البلاد لأمريكا أبغضوهم ونفروا منهم وانضموا إلى جماعات إسلامية تدعو إلى تحكيم الإسلام وإعادة الخلافة واسترجاع فلسطين.

والحقيقة أن قادة تلك الجماعات وجدوا أن الأمر ثقيل جداً كما لم يمهلهم الحكام في السـعي لما أرادوه من خير، فشـددوا الضـغوط عليهم وخيروهم بين أن يتخلوا عن السـبيل الشـرعي الذي يمكنهم من إقامة دولة الإسـلام وهو الجهاد في سـبيل الله أو التعذيب والقتل، فركنوا إلى الخيـار الأول وتركوا الجهـاد في ســـبيل الله وسموا قتـال المجاهدين للطواغيت عنفاً وذموه والمجاهدين معاً ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وحقيقة فعلهم هذا أنهم أعادوا الذين ســـعوا للخروج من تبعية الحاكم، أعادوهم إلى دائرة الحاكم وطاعته والاعتراف بشرعيته باسم الإسلام ومصلحة الدعوة زوراً وبهتاناً، لذا فإن كثيراً من أبناء الأمة الصـــادقين ما زالوا يدورون في الحلقة المفرغة التي بدأت الأمة الدوران فيها منذ تسعين سنة.

أمتي المسلمة، أما آن لكِ أن تخرجي من هذا التيه؟

لقد أثخنتك الجراح وأرهقتك الخطوب وأنتِ تتبعين كل جبار عنيد، أما آن لكِ أن تكفري بطواغيت العرب والعجم من إندونيســـيا إلى موريتانيا؟ فإن ســـبيل العزة والكرامة والســؤدد والسـعادة واسـترجاع فلسـطين واضـح بيِّن في دين الله تعالى، ولقد التزم ذلك الســـبيل الزعيم البطل صـــلاح الدين الأيوبي، وبمقارنة بين بعض

الأعمال التي قام بها وبعض الأعمال التي قام بها حكام العرب خلال هذه العقود فيتبين لنا السبيل لاسترجاع فلسطين بإذن الله:

أولاً: فصلاح الدين التزم بتعاليم الإسلام وقرأ قول الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾، فأيقن أن السبيل لكف بأس الكفار هو بالقتال في سبيل الله.

وأما حكام العرب فأعرضوا عن تعاليم الإسلام ونظروا في تعاليم أمريكا فوجدوها تأمر بمحو آيات القتال والجهاد من مناهج التعليم وتأمر بالاستسلام تحت اسم السلام فقرروا بالإجماع أن السلام مع الكيان الصهيوني خيارهم الاستراتيجي، فبئس ما قرروا!

ثانياً: صلاح الدين كان يصاحب العلماء الربانيين يطلب العلم حتى في ميادين الجهاد للعمل به ويساعدهم في تحريض الأمة على الجهاد ضد الصليبيين.

وأما حكام العرب فقد أسروا العلماء بوظائفهم ليسكتوهم، ومن أبى أودعوه السجن، وفتحوا مجال الإعلام لعلماء السوء ليثبطوا فتية الجيل عن جهاد أمريكا وعملائها، وقاموا بالطعن في المجاهدين وشهدوا بالزور أن الحكام العملاء ولاة أمر شرعيون.

ثالثاً: صلاح الدين قاتل الأمراء وأعوانهم الذين قاتلوا جنباً إلى جنب مع الصليبيين ضد المسلمين وإن كانوا يقولون "لا إله إلا الله" لأنه يعلم أن هؤلاء قد نقضوا هذه

الكلمة العظيمة بفعلهم هذا. وأما حكام العرب فقد وقفوا تحت راية الصـــليب الكبرى بقيادة بوش يقاتلون الإســـلام وأهله تحت مظلة الحرب على الإرهاب كما زعموا وتلك ردة ظاهرة، فإذا قاتلهم المجاهدون قالوا خوارج تكفيريين!

رابعاً: صـــلاح الدين كان يقبل الشـــباب المتطوعين للجهاد ولا يشـــترط موافقة "ريتشـــرد" ملك بريطانيا أو وكيله ليبدأ الجهاد ضـــدهم، بينما المفتي العام وجمع من العلماء الرسميين وشـــبه الرسميين في بلاد الحرمين يتقدمهم شـــيخ الصـــحوة ســـابقاً يشترطون لقتال الأمريكيين إذناً من وكيل أمريكا في الرياض وقد قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

وأما في مصر فالمرشد العام يشترط موافقة وكيل بوش هناك لكي يرسل عشرة آلاف مجاهد ليقاتلوا اليهود! فأي استخفاف هذا بعقول الشباب.

وفي لبنان يقول "حسـن نصـر الله" أنه لا يريد أموالاً لأن لديه أموالاً طاهرة زكية كما زعم، ولا يحتاج رجالاً لأن عنده من الرجال ما يكفي، ولكن الحقيقة خلاف ذلك فإذا كان صادقاً ولديه ما يكفي فلمَ لمْ يواصل القتال لتحرير فلسطين وتخليص أهلنا من أيدي اليهود، بل على العكس من ذلك فقد رحب بالقوات الصـــليبية لحماية اليهود، فلقد أظهر الحقيقة الأمين الســـابق للحزب صـبحي الطفيلي والذي قال إن "كوفي عنان" جاء إلى لبنان والتقى قادة الحزب لتوفيق الاتفاق بين الحزب والكيان الصـــهيوني، ومن هنا كان رفضـــه لقبول المجاهدين المتطوعين لأن ذلك يتعارض مع الاتفاق المبرم.

وبذا يتضح الفرق بين المنهج الذي اتبعه صلاح الدين الأيوبي بقتال الكفار لكف بأسهم ومنهج أمريكا الذي اتبعه الحكام العرب، ذلك المنهج الآمر بالاستسلام للعدو، كما اتضح منهج العلماء والجماعات والأحزاب الذين يدورون في فلك الحكومات وهذا هو الضلال المبين، فهؤلاء وإن رفع بعضهم شعار "الإسلام هو الحل" فلا تنخدعوا بهم فاعترافهم بالحكام الطواغيت يناقض شعارهم.

فحالهم كما لو أن رجلاً في صدر الإسلام قال إن الإسلام هو الحل وإن أبا جهل وصناديد قريش من ولاة الأمر، وهو ملتزم بما تصدره دار الندوة من قوانين تشريعية وضعية، فهل يشك مسلم عاقل بأن هؤلاء قد ضلوا ضلالاً بعيداً؟!

وإني عندما أصف الجماعات الإسلامية بواقعها الحقيقي فإن ذلك من باب التناصح والنصح للأمة، وحرصاً مني على تحذيرها من انحراف مسارها، فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.

وإن المداهنة في الباطل فضلاً عن كونها معصية فهي تعين الآخرين على السير في طريق الضلال، ولا توصلهم لنصرة الدين كما يدعون ويتوهمون؛ فنصرة دين الله بما شرع لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع، فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..

فتية عندهم عقيدة الولاء والبراء مقدمة على الملوك والأمراء..

فتية لا ينتظرون الكبار إن قعدوا ولا يستفتون السادة إن فسدوا..

فتية مصدرهم في التلقي ليس قوانين الأمم المتحدة وما يسمى بالشرعية الدولية أو طواغيت الغرب أو الشرق أو علماء وقادة جماعاتٍ يستظلون بظلهم.

وليس مصدرهم في التلقي تحاليل سياسية من إعلام مغرض لا يلتزم بشرع الله، يستهزئ بشعائر الدين تحت اسم الفكاهة، وينشر الزندقة تحت مسمى حرية التعبير، ويسعى لتشويه المجاهدين وتخذيلهم.

وإنما مصدر هؤلاء الفتية في التلقي كتاب الله تعالى وسنة نبينا ﷺ، فإذا ناداهم الشجر أو الحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، انطلقوا كالشهاب يضربون الرقاب، ولئن يخروا من السماء على الأرض أهون عليهم من أن يشترطوا إذناً من طاغوتٍ أو ممن يعترف به لكي يقوموا بتنفيذ أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.

وختاماً أقول:

إن السبيل لتحرير فلسطين واضح بيّن نظرياً، ولكن إذا ما تم تنزيل الأمر إلى أرض الواقع نشأ الخلاف، فمعلوم أنه لا سبيل للوصول إلى فلسطين إلا بقتال الحكومات والأحزاب التي تحيط باليهود وتحول بيننا وبينهم وعند ذلك يصيح كثير من الناس ويقولون كيف تقتلون من يقول "لا إله إلا الله".

ولو كان لمثل هؤلاء قوةٌ وكلمةٌ زمن صلاح الدين وما بعده لحالوا بينه وبين الخطواتِ العملية لتحرير القدس، ولبقي الأقصى في الأسر عشرة قرون.

فهؤلاء القوم يدورون بين أمورٍ عدةٍ منها أنهم لا يفقهون دينهم، فقد أجمع الصحابة -رضي الله عنهم- على قتال مانعي الزكاة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ويقيمون بقية أركان الإسلام.

فكيف بالحكام الذين استبدلوا الإسلام بالقوانين الوضعية ويقاتلون مع النصارى ضد المسلمين.

واحتمالٌ آخر أن هؤلاء قد جبنت نفوسهم عن قتال العدو وخارت عزائمهم عن تحمل تكاليف الجهاد من هجرة الأوطان ومفارقة الأهل والخلان.

وقد يكون هؤلاء من الذين لا يعقلون، فالحكام يحكموننا بغير ما أنزل الله، وقد وصلوا إلى الحكم إما بانقلابٍ عسكري أو بدعمٍ مسلحٍ خارجي، ثم يقولون إياكم وحمل السلاح!

وأقول: لا يتخلى عن السلاح اختياراً إلا من قلت مروءته وضعف دينه.

فالمجاهدون قرؤوا قول الله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾.

فقد كان السلاح بأيدي الرجال الصادقين الأوائل -رضي الله عنهم- في كلا الحالين من قضى نحبه ومن بقي، ونحن على العهد ولن نبدل تبديلاً بإذن الله.

فيا فتية الجيل ليس سوى الجهاد من سبيل لتحرير فلسطين والأقصى واسترجاع الخلافة الراشدة بإذن الله.

فاحرصوا على ساحاته ولا سيما أقربها إلى فلسطين، وأُؤكد لكم أن الكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين كيانٌ ضعيف جداً، ومليءٌ بالثغرات، وهو يعلم علم اليقين أنه فاقدٌ لمقومات البقاء في محيطٍ إسلاميٍ كبير، بدون حبلٍ ودعمٍ من الغرب ووكلائه من حكام المنطقة، وهذا من أكبر الأسباب لبقائه إضافةً إلى أنه لم يتعرض ولا مرةً واحدة لحربٍ حقيقيةٍ لاسترجاع فلسطين.

وقد يقول القائل: لقد خاض العرب عدة حروب وقاتلوا اليهود ولم ترجع فلسطين، فأقول إن المطلع على حقيقة هذه الحروب، يعلم أنه لم تكن ثمة حرب واحدة جادّة من هذه الحروب بغرض تحرير فلسطين فضلاً عن غياب الشروط المطلوبة لنجاحها.

ويكفي أن نعلم أن القائد العام لجميع الجيوش العربية التي شاركت في الحرب الأولى قبل ستين سنة وعرفت بحرب ٤٨ هو الضابط البريطاني "كلوب"! فهل يصدق عاقل أن العرب جادون لاسترجاع فلسطين؟!

فبريطانيا هي التي سلمت فلسطين لليهود وهي التي وضعت ذلك الضابط رئيساً للجيش الأردني وهو صاحب القوة الحقيقة وليس للملك السابق عبد الله بن الشريف إلا الاسم والعلم فقط.

فما كانت تلك الحرب إلا تمثيلية، وهي نموذج للخيانة.

فقد قبلوا عقبها مباشرة بالهدنة المؤقتة ثم الدائمة، فليس هناك حربٌ أعد لها إعداد لا بأس به إلا حرب العاشر من رمضان ولكن القائد الأعلى لهذه الحرب الرئيس

المصـري السـابق أنور السـادات كان همه اسـترجاع سـيناء كيفما اتفق وليس تحرير فلسطين، وهذا الذي حصل.

وأما الحرب في جنوب لبنان قبل عامين والتي تكبد فيها اليهود خسـائر فادحة فعند وضعها في سياقها الطبيعي فهي حرب للدفاع عن النفس ولم تكن لتحرير فلسطين.

وبذا يظهر أن بقاء الكيان الصـهيوني إلى اليوم لم يكن ناشـئًا عن قوته، وإنما بسـبب تخلي الحكومات عن جهاده ومقاومته فضلاً عن حماية حدوده لضعفه.

وإني أؤكد لكم أن الكيان الصـهيوني لا يحتمل عشـر معشـار ما بذله المجاهدون من قبل لإسقاط الروس في أفغانستان، ولا يحتمل عشر معشار ما بذله المجاهدون اليوم لضرب أمريكا وعملائها في العراق.

وكل تلك الجهود جهود أبنائك أمتي، وليسـت جهود الحكومات، فثقي بالله ثم بنفسكِ والتزمي سبيل الجهاد.

واعلمي أن ضعف الكيان الصهيوني وحده لا يكفي لسقوطه، فالخشبة النخرة رغم ضعفها لا بد لها من قوة لإسقاطها فعسى أن تكونوا أنتم هذه القوة بإذن الله. فيا فتية الجيل:

تَسْأَلُنِي عَزَائِمُنَا عَـلامَ الجُـبْنُ والخَـورُ
وَقَد مَلأَت عَوَالِمَنَا سِياسَاتٌ لَهَـا ضَـرَرُ
لِتُوهِنَ مِنْ عَقِيدَتِنَا وفِيهَا يَكْمُـنُ الخَطَـرُ

أَخي يا قوةً عُظمَى جِهَادُ الكُفرِ مِحنَتـُكَ
أأَنتَ المِوتَ تَخشَاهُ وأَنتَ المِـوتُ جَنَّتُـكَ
عَمُودُ الدينِ لَنْ يَقوى بتصويتٍ وتخذيـــلِ
فَغيرُ السَيفِ لا يُجدي -يَمِيناً- فتيةَ الجِيلِ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.)

الوفاء لدعوته ولإخوانه ومعرفة فضل السابقين والعاملين لنصرة الدين

وقد كان من صفاته النبيلة وأخلاقه الكريمة التي اتصف بها قولاً ونهجاً الوفاء لدعوته ولإخوانه ومعرفة فضل السابقين والعاملين لنصرة الدين.. يحدثنا عن ذلك رفيق دربه الدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله حياً وميتاً- في "أيام مع الإمام": (الشيخ أسامة رجل شريف الأخلاق حليم ليس بسفيهٍ وليس بصخَّابٍ وليس بجهول، ولكن كان يحزن في نفسه حزنًا شديدًا إذا أحس أنَّ إخوانه على درب الجهاد قد ظُلِموا أو لم يأخذوا حقهم، وطبعًا من الإخوة الذين عاشروا الشيخ فترةً في حياته -رحمة الله عليهم أجمعين- الشهيد أبو عبيدة البنشيري، هذا الجبل من جبال الجهاد في هذا العصر الذي لم يأخذ حقه في التعريف، وفضيلة الشيخ القائد المجاهد أبي حفص المصري أو المعروف بأبي حفص الكومندان -رحمة الله عليه وعلى شهداء المسلمين أجمعين-، وكان الشيخ يذكرهم بالخير دائمًا ويترحَّم عليهم، وأذكر مرةً أنه قال لي الحمد لله الذي جاء بي لأرض الجهاد حتى أتعرَّف على أبي عبيدة، وأذكر أنه في هذه الحرب الأمريكية الصليبية على أفغانستان اطَّلع في بعض المواد الإعلامية على غمز ولمز في هذين الأسدين وهذين البطلين الكبيرين النبيلين، فأرسل لي قال لي: رد على هؤلاء الذين يذكرون أخوينا بالغمز واللمز، وقد تعرَّضت لبعض فضائلهما في كلامي وفي كتاب "فرسان تحت راية النبي" في الطبعة الثانية.

كذلك كان الشيخ -رحمه الله- يذكر كثيرًا فضيلة الشيخ المجاهد إمام الجهاد في هذا العصر الشيخ عبد الله عزام -رحمة الله عليه- بالخير والثناء وكان يصفه ويقول هذا الرجل أحيا الجهاد في هذا العصر، وكان كثير الثناء عليه.

كذلك كان الشيخ يذكر بالخير والعرفان ويتأثر عند ذكر الإخوة التسعة عشر الذين هاجموا هُبل العصر أمريكا في البنتاغون -مقر قيادتها العسكرية- وفي نيويورك -رمز قوتها الاقتصادية- وكانت الطائرة الرابعة في طريقها إما إلى البيت الأبيض أو إلى الكونغرس، فكان يذكر هؤلاء الإخوة بالوفاء الشديد، وأذكر وتذكرون أنه أول كلمة قالها بعد بداية الحرب كانت في تورا بورا وألقى الكلمة إشادةً بالإخوة التسعة عشر، وتذكرون جميعًا صورة الشيخ في هذه الكلمة كيف كان مُتعبًا شاحبًا مُرهقًا مُنهكًا وكان هذا في ظروف عشناها جميعًا من شدة البرد ومن قلة الطعام ومن قلة النوم ومن شحِّ الماء وتجمد الماء، حتى أنَّ الماء تحتنا بخمسمائة متر قد تجمَّد، وفي هذه الظروف الشديدة والأعداء والمنافقون من حولنا والصليبيون يقصفوننا من فوقنا أصرَّ الشيخ على أن يسجِّل كلمة وفاء لهؤلاء الإخوة، وكأنه -رحمه الله- كان يخشى أن تأتيه الشهادة في هذا الموقف ولا يشيد بذكر هؤلاء الإخوة الأبطال.)

وفي هذا الباب نذكر قول الإمام المجدد -رحمه الله- في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين - أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (في ظلال هذا الواقع الذي نعيشه، وفي ظل الصحوة المباركة العظيمة التي شملت بقاع العالم، والعالم الإسلامي خاصَّة، ألتقي اليوم معكم بعد طول غياب فرضته الحملة الصليبية الظالمة التي تتزعَّمها أمريكا على علماء الإسلام ودعاته خشية أن يحرِّضوا الأمَّة الإسلامية

ضد أعدائها تأسِّيًا بعلماء السلف -رحمهم الله- كابن تيمية والعز بن عبد السلام، وهكذا قام هذا التحالف الصليبي اليهودي بقتل واعتقال رموز العلماء الصادقين والدعاة العاملين -ولا نزكِّي على الله أحدًا-، فقام بقتل الشيخ المجاهد عبد الله عزام -رحمه الله-، واعتقال الشيخ المجاهد أحمد ياسين في مسرى النبي عليه الصلاة والسلام والشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن، كما اعتقل بإيعازٍ من أمريكا عددٌ كبيرٌ جدًّا من العلماء والدعاة والشباب في بلاد الحرمين، من أبرزهم: الشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي والشيخ إبراهيم الدبيَّان والشيخ يحيى اليحيى وإخوانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

وجاء في مقابلته مع جمال إسماعيل: (الشيخ عبد الله -عليه رحمة الله- هو رجلٌ بأمة! ظهر بوضوحٍ بعد أن اغتيل -رحمه الله- مدى العقم الذي أصاب نساء المسلمين من عدم إنجاب رجلٍ مثل الشيخ عبد الله -رحمه الله-. فأهل الجهاد الذين جاءوا وعاشوا تلك المرحلة يعلمون أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان لم يستفد من أحد كما استفاد من الشيخ عبد الله عزام، حيث إنه حرض الأمة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب على الجهاد.

الشيخ عبد الله عزام في فترة من ذلك الجهاد المبارك زاد نشاطه مع إخواننا المجاهدين في فلسطين وبالذات حماس، وبدأت كتب الشيخ تدخل داخل فلسطين لتحريض الأمة على الجهاد وخاصة كتاب "آيات الرحمن"، وبدأ الشيخ ينطلق من الجو الذي ألفه الإسلاميون من جو المساجد والقوقعة الضيقة والإقليمية من داخل مدينته وانفتح لتحرير العالم الإسلامي، فعند ذلك وكنا وإياه في مركبٍ واحدٍ -كما لا

يخفى عليكم- مع أخينا وائل جليدان، فعُملت مؤامرةٌ لاغتيال الجميع. وكنا نحرص كثيرًا على ألا نخرج مع بعضنا وكنت دائمًا أطلب من الشيخ -عليه رحمة الله- أن يبقى بعيداً عن بيشاور في معسكر صدى، نظرًا لزيادة المؤامرات وخاصةً بعد أن اكتشفنا قنبلة في مسجد سبع الليل قبل أسبوعين أو أسبوع من اغتيال الشيخ.

واليهود كانوا أكثر المتضررين من تحرك الشيخ عبد الله، فالمعتَقد أن إسرائيل مع بعض عملائها من العرب هم الذين قاموا باغتيال الشيخ عبد الله. أما هذه التهمة نعتقد أنها من تَقوُّلات اليهود والأمريكان وبعض عملائهم، وهي أدنى من أن يُرد عليها، ولا يعقل للإنسان أن يقطع رأسه! ومن عاش الساحة يعلم مدى الصلة القوية بيني وبين الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله-، وهذه ترهاتٌ يذكرها بعض الناس ولا أساس لها من الصحة، ولم يكن هناك تنافس؛ فالشيخ عبد الله عزام -عليه رحمة الله- كان يجاهد في باب الدعوة والتحريض، ونحن كنا في جبال بكتيا في الداخل، وهو يرسل لنا الشباب ونأخذ بتوجيهاته وبما يأمرنا به -عليه رحمة الله-، ونرجو اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يتقبله شهيدًا وابنيه محمد وإبراهيم، وأن يعوّض الأمة بمن يقوم بالواجب الذي كان يقوم به.)

وجاء في مقابلته مع قناة "CNN": (الصحفي: ماهي نظرتك إلى الشيخ عمر عبد الرحمن؟ وهل سبق لك أن قابلته؟

أسامة بن لادن: الشيخ عمر عبد الرحمن عالم مسلم معروف في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي، وهو يمثل نموذجًا للظلم الذي تمارسه الولايات المتحدة؛

حيث لفقت ضده قضية لا أساس لها من الصحة بالرغم من أنه رجل أعمى وكبير في السن.

نسأل الله العظيم أن يفرج عنه وحكمت عليه الولايات المتحدة مئات السنين فقط لإرضاء أهواء ونزوات النظام المصري ويعامل الشيخ الآن بطريقة سيئة وغير لائقة برجل كبير مثله أو بأي عالم مسلم.)

وقال الإمام المجدد عن منزلة الوفاء للدين والتضحية في سبيله في "الذكرى السنوية الثانية لغزوة منهاتن": (ولقد تشرفت بالتعرف على هؤلاء الرجال، وبمثل هؤلاء يتشرف الناس، كيف لا وقد شرفهم الله ووفقهم لنصرة الإسلام، ولا أراهم إلا غرساً غرسهم الله في دينه، واستعملهم في طاعته، فلله درهم.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقد كان منهم الشاب الناشئ في طاعة الله؛ سعيد الغامدي من بلاد الحرمين، فقد كان صاحب عبادة، وزهد وأدبٍ جم، وحياء وصفاء، فطنٌ صدوق، لا يعرف المداهنة في الحق، هموم الأمة تؤرقه، ليثٌ مقدامٌ، لا يخاف في الله لومة لائم، نحسبه كذلك والله حسبه.

أسدٌ دم الأسد الهزبر خضابه   ليثٌ فريص الأُسد منه ترعد

فمن أراد أن يتعلم والوفاء الصدق، والكرم والشجاعة لنصرة الدين من قُدُواتٍ مُعاصرة فليغترف من بحر سعيد الغامدي ومحمد عطا وخالد المحضار وزياد الجراحي

ومروان الشـــحي وإخوانهم يرحمهم الله، فإن هؤلاء تعلموا من ســـيرة نبينا محمد عليه الصـــلاة والســـلام فهو أصـــدق الناس وأشـــجع الناس وأكرم الناس، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً».

وهذه الصـفات ضـرورية لإقامة الدين، فمن فاتته هذه الصـفات فلن يسـتطيع أن ينصر الدين ويقيمه.)

وقال رحمه الله- في "حي على الجهاد -كلمة إلى أهل باكستان": (فيا أهل الإسلام في باكســـتان: إن المفتي نظام الدين شـــامزاي عليه رحمة الله قد أدى واجباً عظيماً عليه، فصدع بقول الحق ولم يبالي بغضب الخلق فخاطر بنفسه وماله وبيّن حكم الله في برويز بأنه خائن للإسـلام والمسـلمين ويجب خلعه. وهذه الفتوى أغضـبت برويز وأغضـبت سـادته في أمريكا ولا أحسـب إلا أن قتل المفتي عليه رحمة الله كان على أيديهم. وقد قضـى المفتي نظام الدين شـامزاي نحبه وما بدل قول الحق بالباطل كما يفعل الكثيرون من علماء الســـوء. وبقي الواجب علينا، وقد تأخرنا كثيراً عن القيام به حيث مضـت ست سنوات، فينبغي أن نستدرك ما فات عسى الله أن يغفر لي ولكم.)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (فأقول؛ هذه الصـــفات كانت مطلوبة لأهل الإيمان لحفظ رسول الله ﷺ، وهي مطلوبة اليوم أيضاً لحفظ دين رسول الله ﷺ.

ثم بعد أن أنهى العباس كلامه، قال البراء بن معرور من الأنصار: (قد سمعنا ما قلت، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله.)

فأقول؛ هكذا الدين، إنما يقوم بالوفاء والصدق وببذل المهج من أجل المنهج، ثم لما قاموا للمبايعة، قال أسعد بن زرارة: (رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله، فقالوا: يا أسعد أمِطْ عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها)، هكذا كانت صفات الذين يريدون أن يحموا ويقيموا دين الإسلام -رضي الله عنهم-.

وكذلك اليوم يقول المجاهدون للعلماء والدعاة الذين يحبون الحق ولا يداهنون الباطل؛ فأنتم قد رفعتم راية دين الإسلام، وتعلمون أنه دين رسول الله حقاً، وإن حملكم له بحق يعني مفارقة حكومات العرب والعجم في الأرض كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فحافظوا على الراية وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروا راية المدافعة والمقاتلة ولا تحولوا بين شباب الأمة والجهاد في سبيل الله، فهو أعذر لكم عند الله.)[٣١]

---

٣١ . نذكر هذا الكلام وهذا المعلم الجليل في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- لأننا نعيش في زمان أصبح فيه الوفاء وحسن العهد من الأخلاق والأوصاف النادرة إلا عند من رحم وعصم الله نسأل الله العافية والهدى والسداد.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

ومن السمات الجليلة والصفات الجميلة والأخلاق الكريمة التي تحلى بها الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– في دعوته وجهاده أنه يقابل الإحسان بالإحسان فقد جاء في رسالة إلى الشعب الباكستاني بعد مظاهرات يوم الجمعة ١٤٢٢/٧/٣هـ والتي قتلت فيها الحكومة بعض المتظاهرين: (قال تعالى: ﴿**وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾.

إلى إخواننا المسلمين في باكستان، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد بلغني بمزيد من الأسف نبأ قتل بعض إخواننا المسلمين في كراتشي وهم يعبرون عن رفضهم لعدوان قوات أمريكا الصليبية وحلفائها على أراضي المسلمين في باكستان وأفغانستان، نسأل الله أن يتقبلهم في الشهداء، وأن يلحقهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يرزق أهليهم الصبر والسلوان، ويبارك لهم في أبنائهم وأموالهم، ويجزيهم عن الإسلام خير الجزاء.

ومن ترك منهم أبناء فهم أبنائي وأنا لهم كفيل بإذن الله تعالى.

ولا عجب أن تهب الأمة المسلمة في باكستان دفاعاً عن إسلامها، فإنها تعتبر خط الدفاع الأولى عن الإسلام في هذه المنطقة كما كانت أفغانستان هي خط الدفاع الأول عن نفسها وعن باكستان أمام الغزو الروسي قبل أكثر من عشرين سنة.

وإننا لنرجو أن يكون هؤلاء الإخوة من أول الشـــهداء في معركة الإســـلام في هذا العصـر ضـد الحملة الصـليبية اليهودية الجديدة التي يقودها كبير الصـليبيين "بوش" تحت راية الصليب، هذه المعركة التي تعد واحدة من معارك الإسلام الخالدة.

ونحن نحرص إخواننا المسـلمين في باكسـتان أن يدفعوا بكل ما يملكون ويسـتطيعون القوات الصــليبية الأمريكية عن غزو باكســتان وأفغانســتان، فإن النبي ﷺ قال: «من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصــابه الله بقارعة قبل يوم القيامة» رواه أبو داود.

وأبشركم أيها الإخوة أننا ثابتون على طريق الجهاد في سبيل الله اقتداءً برسول الله ﷺ مع الشـــعب الأفغاني المؤمن البطل، وتحت قيادة أميرنا المجاهد المعتز بدينه: أمير المؤمنين الملا محمد عمر.

نسـأل الله أن ينصـره على قوى الكفر والطغيان، وأن يحطم الحملة الصـليبية اليهودية الجديدة على أرض باكسـتان وأفغانسـتان. ﴿**إِنْ يَنْصُـرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.

أخوكم في الإسلام أسامة بن محمد بن لادن).)

التحذير من اختراق علماء السوء لهيئات الإصلاح والدعوة الراشدة

وقد كان من النصائح النفيسة والتحذيرات المهمة الرشيدة التي قدمها الإمام المجاهد أسامة بن لادن للمسلمين وأثبتت الأحداث والتجارب صوابها.. تحذيره من اختراق علماء السوء لعمليات وهيئات الإصلاح والجهاد الراشدة وفي ذلك يقول –رحمه الله– في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (كما ينبغي أن يحرص أعضاء هذه الهيئة على أن يكونوا في مأمن من تدخل السلاطين في هيئتهم، متبرئين منهم جميعاً، حذرين من اختراقهم لهيئتهم عبر علماء السوء، كما هو حال كثير من الهيئات القائمة في بلادنا، وإن من واجبهم نشر الأحكام الشرعية ذات الصلة بهذه المواضيع، كالتأكيد على أن الجهاد متعين اليوم إلى أن تتم الكفاية، والتأكيد على الفتوى التي صدرت عن بعض أهل العلم في أحداث غزة، والمتضمنة بأن من ساعد الأعداء وظاهرهم على المسلمين يكون مرتكباً ناقضاً من نواقض الإسلام، وما يترتب على ذلك من أحكام.)

وقال –رحمه الله– في "السبيل لإحباط المؤامرات": (فيجب على أعضاء الحزب الإسلامي وتلك الفصائل المقاتلة، أن يتبرؤوا من قادتهم ويصححوا مسار أحزابهم وجماعاتهم، فإن تعذر ذلك فليعتزلوا هذه القيادات المنافقة، وليلتحقوا بالمجاهدين الصادقين في أرض الرافدين، ولقد بذلت أمريكا جهوداً كبيرة من قبل لإقناع قادة الأفغان بواسطة حكومتي الرياض وإسلام آباد للدخول في حكومة وحدة وطنية،

أي مع الشـــيوعين والعلمانيين الذين جاؤوا من الغرب، واســـتعانت الرياض ببعض رجالها من العلماء غير الرسميين، حتى يتيسـر لهم اختراق صـفوف المجاهدين، وهؤلاء كانوا من الخطباء المؤثرين المحرضـــين للناس على الجهاد، ويحضــرون الأموال الطائلة لقادة المجاهدين، و في الوقت المحدد طلبوا من قادة الأفغان أن يتحدوا مع الشيوعيين والعلمانيين، تحت مســـمى دولة الوحدة الوطنية وعندها ظهروا على حقيقتهم بأنهم علماء ســوء ورجال الطاغوت ، فقاموا بتعطيل مشــروع الوحدة بين قادة المجاهدين وذلـك عنـدمـا أغروا أحـدهم بأموالٍ طـائلـة، ووعـدوه أن يـدعموه ليكون رئيســـاً لأفغانســـتان ثم لم يفوا له بما وعدوه، ولكنه من أجل هذا الوعد بكرســـي الرئاســـة ماطلنا في أمر الوحدة كثيراً كما اتضـــح لنا في نهاية المطاف أنه كان قد رهن قراره عند رئيس استخبارات الرياض الذي جاء بنفسـه إلى بيشـاور لمتابعة الأمر بالتعاون مع الاســـتخبارات الباكســـتانية، وكان رســـوله إلى هذا القائد عالميَن معروفين من العلماء غير الرسميين مع العلم أن معظم القادة قد وافق على ذلك نتيجة لضـــغوط الرياض وإســـلام آباد ، وعندها بُذلت جهود لإفســـاد هذا الأمر والمقام لا يتســـع للتفصيل.

وما أشــبه الليلة بالبارحة، فإن حكومة الرياض ما زالت إلى اليوم تقوم بنفس أدوارها الخبيثة مع كثير من زعماء العمل الإســـلامي وقادة المجاهدين في أمتنا، فحســـبنا الله عليهم، ولقد كان من أســـباب فشـــل محاولات جمع كلمة قادة الأفغان، أن قرار الوحدة كان بأيديهم ويصعب على كثير من الناس أن يُقَدِّروا مصلحة الجهاد والأمة إذا كـانوا هم طرفـاً في تلـك المعـادلـة، فتتلبس على القـائـد أو الأمير الأمور العـامـة

بالخاصة، ويعتقد أنه هو وحزبه أفضل من يقود عموم المجاهدين لنصرة الدين، ومن هنا يزداد تمسكه بالإمارة وتتضخم عنده أخطاء غيره من القادة والأحزاب، ولا يرى أخطاء نفسه وحزبه، ففي مثل هذه الحالة يكون هو المدعَى عليه، وفي نفس الوقت هو القاضي فلا يستطيع أن يحكم على نفسه بوجوب اعتزال الإمارة والتنازل لصالح أمير آخر قد يجتمع عليه معظم المسلمين، وحالهم في هذه المصيبة كحال الملوك والرؤساء في بلادنا.)

وقال في كلمته الأخيرة "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة": (وَقَد سَعَى الحُكامُ لِيَتَخَلّى النَّاسُ عَن أَهَمّ حُقُوقِهِم الّتِي آتَاهُم اللهُ إِيّاهَا، فَعَطّلُوا عُقُولَ الأُمّةِ، وَهمَّشُوا دَورَهَا فِي الشُّؤُونِ العَامّةِ المهِمّةِ عَبرَ تَضَافُرِ جُهُودِ مُؤَسّسَاتِ الدّولَةِ الدّينِيّةِ وّالإِعلاَمِيّةِ لِإصبَاغِ الشَّرعِيّةِ عَلَيهِم، فَسَحَرُوا أَعيُنَ النَّاسِ وإِرَادَاتِهِم وَعُقُولَهُم، وَرَوّجُوا لِصَنَمِيّةِ الحَاكِمِ، وَأَسّسُوا لَهَا زُورًا وَبُهتَانًا بِاسمِ الدّين، وَكَذَلِكَ بِاسمِ الوَطَن، لِيَحتَرِمَهَا النّاسُ وَلِيَغرِسُوهَا فِي النّفُوس، لِيُقَدّسهَا الكِبَارُ، وَلَم يَسلَم مِنهَا الصِّغَارُ، الّذِينَ هُم أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا، وَقَد وُلِدُوا عَلَى الفِطرَةِ فَاغتَالُوا فِطرَتَهُم بِلَا ضَمِيرٍ وَلَا رَحمَة، فَهَرِمَ عَلَى ذَلِكَ الكَبِيرُ، وَشَبّ عَلِيهِ الصّغِيرُ، فَازدَادَ الطُّغَاةُ طُغيَانًا، وَالمستَضعَفون استِضعَافًا، فَمَاذَا تَنتَظِرُون؟!)

التحذير من الناكصين على أعقابهم
من القيادات والوجهاء

إن من الأدوات الهدامة التي يسـتغلها الأعداء لمحاربة وإفشـال مشـاريع الحركات الجهادية والإصلاحية استغلال دور الناكصين على أعقابهم من القيادات والوجهاء.. وهذا أمر مشاهد ومتكرر في تاريخ الصراع بين الحق والباطل..

وهذا الدور الخبيث الذي يقوم به هؤلاء الناكصون من أخطر الأدوات التي يستغلها الأعداء لتفتيت الصف وإضعافه..

وقد كان التنبيه على هذا الدور الخبيث من الأمور التي عني بها الإمام المجدد –رحمه الله– وجعلها حاضرة في توجيهاته وكلماته فمن ذلك قوله في "النزال النزال يا أبطال الصومال": (فإلى إخواني المسلمين الصابرين المصابرين في الصومال المجاهد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إن الحرب الدائرة فوق أرضـكم خلال هذه السـنوات، هي حرب بين الإسـلام والصـليبية العالمية، فحلف الأطلسـي أوكل هذه المهمة لإثيوبيا، وهؤلاء وموكلوهم لما أرهقهم جهادكم المبارك، لجؤا إلى المكر والخداع، وهذا دأبهم في العالم الإسـلامي، فنصبوا عليكم رجلاً من بني جلدتكم ولكنه على ملتهم: هو الرئيس السابق عبد الله يوسف.

ولما لم تنطل عليكم حيلة الكرزايات القديمة في المنطقة، قاموا بتبديله وجاءوا بنسخة أخرى معدلة، كنسخة سياف ورباني وأحمد شاه مسعود. فقد كانوا من قادة المجاهدين الأفغان، ثم ارتدوا على أعقابهم وساعد حلفهم أمريكا لإسقاط الإمارة الإسلامية في أفغانستان: وكذلك حال شيخ شريف، فقد كان رئيساً للمحاكم الإسلامية ومع المجاهدين، ولكنه نتيجة لإغراءات وعروض من المبعوثة الأمريكية في كينيا، غير وبدل وارتد على عقبيه، ووافق على إشراك القوانين الوضعية الكفرية مع الشريعة الإسلامية لإقامة حكومة وحدة وطنية، وهذا الإشراك هو الشرك الأكبر المخرج من الملة. وكيف يصدق العقلاء أن أعداء الأمس على أساس ديني يصبحون أولياء اليوم، فهذا لا يكون إلا بتخلي أحد الطرفين عن دينه، فانظروا من الذي تخلى: هل هو شيخ شريف أم أمريكا؟ وتدبروا قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُم وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾.

وقد قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» رواه أحمد والترمذي.

فكم أفسد الحرص على المال والشرف والجاه قياداتنا!

فمثل هؤلاء الرؤساء هم وكلاء أعدائنا لا تنعقد لهم ولاية أصلاً، فشيخ شريف هذا حاله فيجب خلعه وقتاله. وقد أجمع علماء الإســـلام، على أن الولاية لا تنعقد لكافر، فإذا طرأ عليه الكفر ســـقطت ولايته، فوجب القيام عليه بالســـلاح. قال القاضــي عياض رحمه الله: (أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل.))

وقال –رحمه الله– في "الســـبيل لإحباط المؤامرات": (ومن العِبَر، ألا ينخدع الإخوة بأسماء الأحزاب أو بقادتها، فهذا سياف كان أبرز قادة المجاهدين وكان مِلء السـمع والبصـر واسـم حزبه الاتحاد الإسـلامي ثم أعان أمريكا على المسـلمين وذلك كفر بواح، وهذا رباني وحزبه الجمعية الإسـلامية وحاله كذلك، وهذا أحمد شـاه مسـعود الذي ذهب عند الصـليبيين في أوروبا يعرض نفســه على الملأ ليكون أداة لإســقاط إمارة أفغانستان الإسلامية ثم يزعم بعض المضلين أنه شهيد..

ولئن زلَّ بعض قادة الأفغان فإنه بفضـل الله قد ثبت البعض الآخر فكانوا صـادقين مخلصـين –نحسـبهم والله حسـيبهم– منهم الشـيخ يونس خالص –عليه رحمة الله– والشـــيخ جلال الدين حقاني –حفظه الله– وكلاهما قد أفتى بوجوب الجهاد ضـــد الغزو الأمريكي لأفغانستان وساهما فيه، كما رأت الدنيا بأسرها صدق وثبات الأمير المجاهد الملا محمد عمر في قتال تحالف الكفر العالمي وعدم الرضـوخ والخضـوع لهم بتضـييع أمانته وذلك برفضـه التخلي عن الشـريعة أو تسـليم من دخلوا في جواره من العرب المهاجرين لأنهم إخوانه في الدين ولو ذهبت الإمارة وكرسـيها، مواقف عظيمة تنبئ عن رجال عظام –أحسبهم والله حسيبهم ولا أزكي على الله أحداً– ففرق هائل

بين موقف الحاكم المســـلم وبين مواقف الحكام المنافقين الذين تعاونوا مع أمريكا في الحرب العالمية ضد الإسلام ، فالأول ضحَّى بملكه من أجل دينه والآخرون يضحون بدينهم من أجل مُلكهم فالفرق بينهم هو الفرق بين الإيمان والكفر فشـــتان شـــتان بين مواقف المؤمنين الرجال وبين مواقف المنافقين أشباه الرجال.)

التحذير من المبادرات الهدامة
وإن صبغت بصبغة إسلامية

ومن الأمور التي حذر منها الإمام المجدد -رحمه الله- وأثبتت الأحداث والتاريخ صوابها وأنها من مكر الأعداء الذي أمرنا الله بالحذر وأخذ الحيطة منه تلك المبادرات الهدامة التي تلبس عباءة المؤسسات الدينية حيث قال -رحمه الله- في "النزال النزال يا أبطال الصومال": (إخواني المسلمين في الصومال: ينبغي الحذر من المبادرات التي تلبس عباءة الإسلام والمؤسسات الدينية، في حين أنها تخالف أحكام الشريعة الإسلامية، كالمبادرة المنسوبة لبعض علماء الصومال بإعطاء شيخ شريف ستة أشهر لتطبيق الشريعة الإسلامية، فهم يطالبونه بأمر إنما نصب لهدمه فكيف يقيمه؟

فهؤلاء إما أنهم لا يفقهون الواقع وإما أنهم يستغفلوننا، فمبادرتهم هذه خيانة ظاهرة للأمانة. وجميع العقلاء يعلمون محاربة أمريكا للإسلام، ورفضها لإقامته في الصومال من قبل، وكذا في العراق وأفغانستان، وهاهم يحتجون على إقامته في إقليم سوات في باكستان.

وهناك مبادرة أخرى من الخارج، لمطالبة المجاهدين الصادقين منكم بإيقاف القتال للتفاوض مع شيخ شريف، متجاهلة سيطرة أمريكا على هذا الوكيل الجديد. فهؤلاء قد ضلوا ضلالاً مبيناً، فالواجب قتال الحكومة المرتدة، وليس إيقاف القتال ضدها، وموقفهم هذا يتماشى مع مبادرات الأنظمة العربية في المنطقة الخاضعة لأمريكا،

كمبادرة حاكم الرياض السابقة، عندما قام بمباركة حكومة الرئيس السابق عبد الله يوسف، وقد تحطمت بفضل الله تلك المؤامرة على صخرة المجاهدين.

فاحذروا كل مبادرة تناقض أحكام الدين ولا تنخدعوا بها، فلا ينفعها أن ترفع اسم مؤسسة دينية، فكثير من هذه المؤسسات مخترقة من قبل الأنظمة، وخاصة نظامي الرياض والقاهرة، والأمثلة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.)

التحذير من الدور الهدام الذي تقوم به الجماعات التي رضيت بالقعود عن الجهاد

إن الناظر في تراث وجهود الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- يجد أنه كان يحذر ويكرر التحذير من الدور الهدام الذي يقوم به الأفراد والجماعات التي رضـيت بالقعود عن الجهاد.. فهؤلاء بقعودهم عن الواجب المتعين عليهم يخذلون المسـلمين ويلبسـون على من يقتدي بهم الحقائق فيصـدون الناس عن الجهاد المتعين ونصـرة المسلمين وهم يشعرون أولا يشعرون..

قال الإمام المجدد -رحمه الله- في "واجبنا تجاه فلسطين": (وهذا حالنا اليوم، والله لا خير لنا في الحياة إن لم نعبد الله سـبحانه وتعالى كما أمر بالجهاد في سـبيل الله، فهذا الذي أحببت أن أذكر نفسـي وإخواني وأحب أن أنبه الإخوة إلى أن كثرة القاعدين وكره الجهاد هذا أمر فطري أصـاب خير الناس صـحابة رسـول الله ﷺ، وعاتبهم الله سبحانه وتعالى عتابًا كثيرًا في القرآن الكريم لأن بعضهم كره القتال ولأن بعضـهم قعد عن القتال فمن باب أولى أن يكون اليوم كثير منا قاعدون لأن بعض الإخوة ينظرون إلى بعض آبائهم، وإلى بعض مشـايخهم وإلى بعض طلاب العلم فيرونهم قد قعدوا فيقولون لو أن الجهاد أولى من القعود لذهب هؤلاء الأفاضـل، وما هكذا يُنظر إلى الحق ولا تعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الرجال بالحق، فالله سبحانه وتعالى يقول مُبينًا ومعاتبًا في بعض الآيات لصحابة رسوله ﷺ ومن ذلك قوله سـبحانه وتعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ**

شَـيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَـى أَن تُحِبُّواْ شَـيْئاً وَهُوَ شَـرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

ويقول سـبحانه وتعالى أيضًـا مبينًا الكره الذي حصـل لصـحابة رسـول الله ﷺ: **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾**، هذا خطاب لصـحابة رسـول الله ﷺ، فلا تقولوا قعد فلان إذن لا جهاد علينا، فيقول ابن كثير في هذه الآية: نزلت يوم بدر، كان بعض صـحابة رسـول الله ﷺ كارهًا لقتال العدو.

فلا يغركم كلامٌ وتأويل يقعدكم عن الجهاد، فلا عزة لهذه الأمة إلا بالجهاد.)

وقال في "مقابلة جمال إسماعيل": (كثيرٌ من طلبة العلم يقولون إن الجهاد ليس وقته الآن، وهذا في الحقيقة مغالطةٌ شـديدةٌ إذا لم يُقيّد، أما إذا قيل فرض عين اليوم فيجب علينا أن نسـعى بكل ما أوتينا من قوةٍ لاستكمال العدد والعدة والمقومات، فالكلام هنا يستقيم، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في هذا الموطن يبين أن الذي يفتي في أمور الجهاد هو الذي له علم بالدين الشرعي وله علم بالجهاد وأصول الجهاد، وأن يكون مارس الجهاد. ولكن لما غاب الجهاد عن الأمة زمنًا طويلًا نشـأ لدينا جيلٌ من طلبة العلم لم يخوضـوا معامع الجهاد، وتأثروا بالغزو الإعلامي الأمريكي الذي غزا بلاد المسلمين، فهو دون أن يخوض حربًا عسكريةً قد أُصيب بالهزيمة النفسـية، يقول لك: "صـحيح أن الجهاد لازم لكن لا نسـتطيعه"، لكن الصواب: أن الذين منَّ اللهُ -سبحانه وتعالى- عليهم بالجهاد كما حصل في

أفغانستان أو في البوسنة أو الشيشان، ونحن منَّ الله علينا بذلك، فنحن على يقين أن الأمة اليوم تستطيع بإذن الله –سبحانه وتعالى– أن تجاهد ضد أعداء الإسلام، وبخاصةٍ ضد العدو الأكبر الخارجي التحالف الصليبي اليهودي.

وأشير هنا إلى مسألة؛ أن بعض الشباب –نرجو الله أن يحفظهم ويبارك فيهم– يتأثرون بقعود بعض الكبار، ويظنون أن هؤلاء الكبار الذين يشار إليهم بالبنان ما قعدوا إلا لأنهم يعلمون مصلحة، وعند التحقيق في الأمر نجده ليس كذلك قطعًا، فليس بالضرورة أن يكون تأخر الذي يشار إليه بالبنان ناتج عن معرفة بالمصلحة، فعند تدبر كتاب الله –عز وجل– نجد أن الخيار –رضي الله عنهم وأرضاهم– قد عاتبهم اللهُ –سبحانه وتعالى– على التأخر، فإذا كان الخيار الأبرار الأطهار –رضي الله عنهم– قد أصابهم هذا الداء؛ داء التأخر عن الجهاد، فكيف تزعم اليوم لكبارنا أنهم يتأخرون لمصلحة؟

اللهُ –سبحانه وتعالى– في سورة الأنفال قال مخاطبا نبيه ﷺ هو وخير الناس –رضي الله عنهم–: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ**﴾، هذا الوصف جاء لخيار الناس –رضي الله عنهم– أهل بدر! فهو داءٌ يصيبنا. هذا كعب بن مالك –رضي الله عنه– كما حديثه في الصحيحين البخاري ومسلم حديث طويل يقول: يوم تبوك تخلَّفت وما كنت أيسر حالًا مني يومذاك، وما ملكت راحلتين إلا في تلك الغزوة، وقلت لنفسي اليوم أتجهز ويمضي اليوم ولم يجهز من أمري شيء، ويقول نادى رسول الله ﷺ بالجهاد عندما أينعت الثمار

وكنت إليها أصعر -أي أميل إلى الثمار-؛ فالإنسان بشرٌ تتجاذبه أثقال الأرض وهو من هو رضي الله عنه، من السابقين الذين أخذوا بيعة العقبة الكبرى المباركة التي منها انطلقت دولة الإسلام في المدينة المنورة، تأخر غزوةً ثم جاء في حديثه الطويل أنهم كانوا ثلاثةً كما في كتاب الله: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا**﴾، والروايات من السيرة أن الذين خرجوا إلى تبوك ثلاثون ألفًا، كم عدد ثلاثة من ثلاثين ألفاً؟ رقم لا يُذكر اليوم! إنسانٌ عسكريٌ أو قائدٌ عسكريٌ في الجيش تقول له: تخلف عندك ثلاثة من ثلاثين ألفًا، رقم ما يُذكر! لكن لعظيم الذنب أنزل اللهُ -سبحانه وتعالى- من فوق سبع سماوات قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة في حساب هؤلاء.)

وقال في "توجيهات منهجية": (فكيف بنا اليوم تتشابه القلوب وتتواطأ كلها -إلا من رحم الله- على القعود عن نصرة الله.

يجب أن يفهم الشباب أن هناك خللاً كبيراً، وأن هؤلاء لا بد أن نصفهم بالصفات التي وصفهم بها الله سبحانه وتعالى.

كل من يقعد عن الجهاد بغير عذر وصفه في القرآن ظاهر بيّن، إنّه "الفسق" ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾، الذين يرضون بالقعود مع الخوالف؛ هم لا يفقهون، وإن أخذوا أكبر الشهادات من أفضل الجامعات، وهم لا يعلمون وإن وجّهت إليهم كل أسئلة الفتاوى، فهذا نص كتاب الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ**﴾، هذا ذمٌ شديدٌ جداً لمن كان له قلب أو ألقى

السمع وهو شهيد ﴿**رَضُوا**﴾ هذا هو الذم، ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾.

فمفتي الديار صاحب الكتب والتأليفات والمصنفات الكثيرة هو لا يفقه، لأن العلم ثمرته خشية الله سبحانه وتعالى. قالت تلك المرأة أم سفيان رحمها الله: (يا أيها العالم!"، قال: إنما العالم من يخشى الله)، فليس العلم هو كثرة الرواية، وإنما العلم هو عبادة الله بما أنزل سبحانه وتعالى والخوف منه وتقواه.

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى -بعدها في بضع آيات-: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾، لو كانوا يفقهون، وقوي اليقين في قلوبهم؛ أن ما عند الله سبحانه خير لهم من هذه الدنيا، لما ركنوا إليها ولما داهنوا، ولأسرعوا الخطى وتسابقوا في تلك الخيرات إرضاءً لله تعالى.

فأقول ينبغي أن يُشرح للشباب هذه المعاني، وتفك هذه القيود التي تقيدهم من ذلك.)

وقال -رحمه الله- في "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى": (أمتنا المسلمة: إن الذي ينظر بعين البصيرة، ويعي لغة العقل، ويسبر غوائر الأحداث ليعلم علم اليقين أن الأمة قد أفاقت من غفوتها، وعرفت طريقها بعد أن اتضحت لها ملامحه، وبرزت لها علاماتُه، وعلمت أنه إذا كان الحِلم مَفسدة كان العفو مَعْجَزة، وأن الصبر حسَنٌ إلا على ما أضر بالدين، والأناةُ محمودةٌ إلا عند إمكان الفرصة. فانتفضت انتفاضة الأقصى ونطق الحجر في أكف المجاهدين الأبرار الرجال والنساء، الصغار

والكبار، فحاول اليهود الفرار عبثًا فلم يجدوا لهم ملجأً فأصبحوا مكشوفين من وراء الجدُر، يواجهون أجسادًا تتفجّر تُذيقهم الموت، وتُطاردهم بالرعب، وتصيبهم بالزلزلة فصاروا كالحمر المستنفرة فرت من قسورة.

ثم جاءت غزوة نيويورك تشعل ديار هُبَل العصر، تدُكُّ حصونه، وتفضح كبرياءه، وتُبطِلُ سحره، وتُعَرّي كل الرايات التي سارت وراءه، وتعلِنُ بداية النهاية له -بإذن الله-.

إن هذه الأحداث العظيمة هي الجهاد المبارك الذي واصل مسيره نحو الهدف المنشود، والخبر الموعود، وجاء ليفضح تلك المقولة الهزيلة والحجة المدحوضة، فهذه المقولة: "ماذا عسانا أن نفعل؟ ليس بأيدينا شيء، الأمرُ ليس لنا"، لم يعُد لها مكانٌ ولا يتَّسع لها قلبٌ ولا يرضاها ضميرٌ حي، في ظل الأحداث الدامية التي تتعرض لها أُمتنا، فالكل مطالبٌ اليوم بالجهاد والعمل الجاد، وعلى القيادات الشعبية بجميع شرائحها أن تتحرك لوقف هذا النزيف الهادر، وفضح تلك الخيانات المكشوفة، ومن لم يستطع الحركة من هذه القيادات بسبب ما وقع عليه من ضغط وإرهابٍ في ظل هذه الأنظمة فلا أقل من أن يفسح المجال لغيره من الطاقات الجريئة والقادرة على التغيير ووضع الأمور في نصابها الصحيح، وليحذر من القعود والتّخذيل، وليتجنّب عملية التّربص المذموم والاحتكار المحرم، فالجهاد الذي أخرج أولئك الفتية الذين استجابوا لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾، إن هذا الجهاد قادِرٌ على إخراج وتحريك غيرهم من أبناء الأمة، فالجهادُ ماضٍ إلى

يوم القيامة، أما نحن كأفراد فأيامُنا معدودة، وسنقف بعدها بين يدي الله-عز وجل-، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.)

وقال في "شرح حديث كعب بن مالك -رضي الله عنه-": (قال كعب، كان يحمد الله أنَّه لم يُصبه ما أصابهم لو كذب وقعد، وكان ممَّا قال قبل ذلك لما قيل له أنَّك تعتذر ويكفيك استغفار رسول الله ﷺ قال: (لا أجمع بين القعود والكذب على رسول الله ﷺ)، تدبَّروا يا عباد الله فمن ابتُلي بالقعود فلا يجمع بين القعود وبين تخذيل المؤمنين عباد الله عن الجهاد في سبيل الله، فلِمَ تبخل وتأمر الناس بالبخل؟ فهذه من الصفات الشنيعة ذمَّ الله سبحانه وتعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، فالبخل بالمال مصيبة إذا ابتلاك الله بالشحِّ والجبن فاستغفِر لذنبك، فلِمَ تأمُر غيرك؟ وما مصلحتك في أن يتخلَّف الناس عن إنفاق أموالهم في سبيل الله؟! وما هي مصلحتك أن يتخلَّف الناس عن أن يذودوا عن دينهم؟ شُبَهٌ تثور يُلقِيها الشيطان على الناس ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾.

لو خرج بضعة عشر ألفًا لتمَّت الكفاية بإذن الله الواحد الأحد، أقول كلامًا عن علم في هذا السبيل وفي هذا الميدان بفضل الله، ولله الفضل والمنَّة منذ أكثر من عشرين سنة.

فكيف سيخرج الناس؟ يأتون بأعذار واهية يضخِّمها ويزيِّنها الشيطان في عقولهم، يقول لك: ومَنْ للثغرات الأخرى؟ سيبقى الناس الآخرون، سقط عنهم الإثم، ونُصِرت راية لا إله إلا الله.

فإيَّاك يا عبد الله أن تجمع بين القعود وبين التخذيل وبين التعويق ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ**﴾، فالله سبحانه وتعالى مطَّلع على قلوبنا، وراجع نفسك هذه التي بين جنبيك لعلَّها قد خادعتك كما حاولتْ نفسُ كعب رضي الله عنه وإخوانه رضي الله عنهم أجمعين.)

وقال رحمه الله في "السبيل لخلاص فلسطين": (عباد الله، إن هذا الحصار الظالم على غزة، قد نبّه وأكد على أن أبناء الأمةِ وقادتها محاصرون من الأعداء، مسلوبو الإرادة مقيدو الحرية إلا من رحم الله، وقد ظهر عجزها وهوانها على الناس، فكيف يستطيعُ المحاصر أن يفكَّ الحصار عن غيره؟ ففاقد الشيء لا يعطيه.

هذه هي الحقيقة المرّة التي يجب مواجهتها والسعي لإيجاد الحلول الصحيحةِ لها، بعيداً عن الأفكارِ العقيمةِ والآراء السقيمة التي تدور في فلك أعدائنا من حكامِ المنطقة.

أمتي المسلمة، برغم هذا الحصار الشديد عليك إلا أن أمامك فرصة عظيمةً جداً لاستعادة حريتك للخروج من الخضوع والتبعية في هذا التحالف الصليبي الصهيوني، ولكي يتم ذلك فلا بد أن تتحرري من قيود الذل والخنوع التي يكبلنا بها وكلاء هذا التحالف من حكام بلادنا وأعوانهم، ولا سيما من قيود علماء السلاطين، وكذا من قيود قادة الجماعات الإسلامية التي أصبح من منهجها الاعتراف بالحاكم الذي خان الملة والأمة والانخراط في المنظومةِ السياسيةِ للدولة، ولا فرق إن كانت في الحكم أو المعارضة.

أو تلك الجماعات الأخرى التي تضخم عندها الحذر حتى وصل إلى درجة الخوف المقعد عن القيام بالجهاد، هذه العبادة التي ينهى عنها الحاكم، والتي هي ذروة سنام الدين وهي السبيل لكف بأس الكفار ولفك الحصار عن المسلمين.

وبعض هذه الجماعات تسوغ مداهنة الحاكم والقعود عن الجهاد تحت ذريعة مصلحة الدعوة، حتى صار هذا الادعاء صنماً يعبد من دون الله، وتحت غطائه تزاحم أوامرُ قادة الجماعة أوامرَ الله تعالى وأوامرَ رسوله ﷺ وذلك هو الضلال المبين.

أمتي المسلمة، لا بد من التحرر من هذه القيود الباطلة، والاستسلام والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له، وعندئذٍ فقط يتحرر الإنسان، وعندئذٍ يستطيع أن يسعى في تحرير أمته وفي تحرير فلسطين والأقصى، وسيرى الأبواب مشرعةً إلى طريق الحريةِ والكرامة، إلى ميادينِ الرجال والنزال، ميادين القتل والقتال في سبيل الله كما في أفغانستان ووزيرستان والمغرب الإسلامي والصومال وكشمير والشيشان، وأهمها وأعظمها نكاية في العدو بغداد دار الخلافة وما حولها.

ففي هذه الساحات وتحت ظلال السيوف ينبُت العز، وكل مكانٍ يُنبت العز طيبُ، وفوق ثراها تدق أعناقُ الظالمين وتُشفى صدورُ قومٍ مؤمنين.)

الحذر من اختراق الصفوف
من قبل المنافقين ومثيري الفتن

وإن من المعالم الجلية والركائز الجليلة التي تظهر للناظر في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- اهتمامه الكبير بالتحذير من دور أهل النفاق الذين يخترقون الصفوف ويفسدون الجهاد ويثيرون الفتن بين المجاهدين..

فإن مما هو معلوم أن دور المنافقين من أخطر الأدوار وأخبثها في تاريخ الصراع بين الحق والباطل فقد وصفهم وحذَّر منهم الله تبارك وتعالى في كتابه والنبي ﷺ الكريم في سنته فقال الله تعالى: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [المنافقون: ٤].

قال الإمام أبو السعود -رحمه الله- في تفسيره: (﴿**هُمُ العدو**﴾ أي هُم الكاملونَ في العداوةِ والراسخونَ فيها فإنَّ أعْدَى الأعادِي العدوُّ المكاشرُ الذي يُكاشِرُكَ وتحتَ ضُلوعِهِ الداءُ الدَّوِيُ والجملةُ مستأنفةٌ وجعلُها مفعولاً ثانياً للحسبانِ ممَّا لا يساعده النظمُ الكريم أصلاً فإنَّ الفاءَ في قولِهِ تعالَى: ﴿**فاحذرهم**﴾ لترتيبِ الأمرِ بالحذرِ على كونِهِم أعْدَى الأعداءِ ﴿**قاتلهم الله**﴾ دعاءٌ عليهمْ وطلبٌ من ذاتِهِ تعالَى أنْ يلعنَهُم ويُخزيَهم أو تعليمٌ للمؤمنينَ أن يدعُوا عليهِم بذلكَ وقوله تعلى: ﴿**أنى يُؤْفَكُونَ**﴾ تعجيبٌ من حالِهِم أي كيفَ يُصرفون عن الحقِّ إلى ما هم عليه من الكفر الضلال.)

وقال الإمام ابن القيم في "طريق الهجرتين وباب السعادتين": (طبقة الزنادقة. وهم قومٌ أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله.

وهؤلاء هم المنافقون، وهم في الدرك الأسـفل من النَّار. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْــفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِــيرًا**﴾ [النســاء: ١٤٥]. فالكفَّار المجاهرون بكفرهم أخفّ، وهم فوقهم في دركات النَّار؛ لأنَّ الطائفتين اشــتركتا في الكفر ومعاداة اللَّه ورسله، وزادت المنافقون عليهم بالكذب والنفاق. وبليّة المسلمين بهم أعظم منن بليَّتهم بالكفَّار المجاهرين، ولهذا قال تعالى في حقّهم: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ**﴾ [المنافقون: ٤].

ومثل هذا اللفظ يقتضــي الحصــر، أي: لا عدوّ إلا هم. ولكن لم يرد ههنا حصــر العداوة فيهم وأنَّهم لا عدوّ للمســلمين ســواهم، بل هذا من باب إثبات الأولوية والأحقّية لهم في هذا الوصف، وأنَّه لا يتوهّم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرًا وموالاتهم لهم ومخالطتهم إيَّاهم أنَّهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحقّ بالعداوة ممن باينهم في الدار، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها. فإنَّ ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم -وهم في الباطن على خلاف دينهم- أشــدّ عليهم من ضــرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأنَّ الحرب مع أولئك ســاعة أو أيامًا ثمَّ ينقضــي، ويعقبه النصــر والظفر؛ وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صــباحًا ومســاءً، يدلّون العدوَّ على عوراتهم، ويتربَّصــون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم. فهم أحقّ بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ**﴾ لا على معنى أنَّه لا عدوّ لكم سواهم، بل على معنى أنَّهم أحقّ بأن يكونوا لكم عدوًّا من الكفَّار المجاهرين.

ونظير ذلك قول النبيّ ﷺ: «ليس المسكين بهذا الطوَّاف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المســكين الذي لا يســأل النَّاس، ولا يُفطَنُ له فيُتصــدّق

عليه». فليس هذا نفيًا لاسم المسكين عن الطوَّاف، بل إخبارٌ بأنَّ هذا القانع الذي لا يسمّونه مسكينًا أحقّ بهذا الاسم من الطوَّاف الذي يسمّونه مسكينًا.

ونظيره قوله: «ليس الشديد بالصُّرَعة، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب». ليس نفيًا للاسم عن الصرعة، ولكن إخبار بأنَّ من يملك نفسه عند الغضب أحقّ منه بهذا الاسم.

ونظيره قوله: «ما تعدّون المفلسَ فيكم؟» قالوا: من لا درهم له ولا متاع. قال: «المفلس من يأتي يوم القيامة بحسناتٍ أمثال الجبال، ويأتي قد لطَمَ هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا؛ فيقتصّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخِذَ من سيئاتهم ثمَّ طُرِحَ عليه فأُلقيَ في النار».

ونظيره قوله: «ما تعدّون الرَّقوب فيكم؟» قالوا: من لا يولد له". قال: «الرقوب من لم يقدّم من ولده شيئًا».

ومنه عندي قوله ﷺ: «الرِّبَا في النسيئة»، وفي لفظ: «إنَّما الرِّبَا في النسيئة». هو إثبات لأن هذا النوع هو أحقّ باسم الرِّبَا من ربا الفضل، وليس فيه نفي اسم الرِّبَا عن ربا الفضل. فتأمله.

والمقصود أنَّ هذه الطبقة أشقى الأشقياء، ولهذا يستهزأ بهم في الآخرة، ويُعطَون نورًا يتوسَّطون به على الصراط، ثمَّ يطفئ الله نورهم، ويقال لهم: ﴿**ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا**﴾ [الحديد: ١٣]. ويضرب بينهم وبين المؤمنين ﴿**بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ**

مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٣-١٤]. وهذا أشـــدّ ما يكون من الحســـرة والبلاءِ أن يُفتَح للعبد طريق النجاة والفلاح، حتَّى إذا ظنَّ أنَّه ناجٍ ورأى منازل السعداء اقتطِع عنهم وضُربت عليه الشقوة. ونعوذ بالله من غضبه وعقابه.

وإنَّما كانت هذه الطبقة في الدرك الأســـفل لغلظ كفرهم، فإنَّهم خالطوا المســـلمين وعاشروهم، وباشروا من أعلام الرسالة وشواهد الإيمان ما لم يباشره البعداءُ، ووصل إليهم من معرفته وصحته ما لم يصل إلى المنابذين بالعداوة؛ فإذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفرًا، وأخبث قلوبًا، وأشـــدّ عداوة لله ولرســـوله وللمؤمنين من البعداء عنهم.)

وإذ كان دور النفاق والمنافقين بهذا الخبث اجتهد علماء الإســـلام والدعاة إلى الله بالتحذير من النفاق وأهله أعظم الاجتهاد وبذلوا في ذلك غاية الوسـع.. وقد سـار على نهجهم وطريقتهم في ذلك الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- فأخذ هذا الأمر من توجيهاته ودعوته وكلماته جهداً كبيراً فقال -رحمه الله- في "إلى أهلنا بالعراق": (وأقول لإخواني: خذوا حذركم من أعدائكم، ولا ســـيما المنافقين الذين يخترقون صفوفكم لإثارة الفتن بين الجماعات المجاهدة، فمن كان هذا شأنه فأحيلوه إلى القضاء وعليكم بالتثبت وادرأوا الحدود بالشبهات وعليكم بحفظ أسراركم وأتقنوا أعمالكم.

فإن مما يحزن المســـلمين ويفرح الكافرين تعثر بعض العمليات القتالية ضـــد العدو بســـبب تقصـــير في أي مرحلة من مراحل الإعداد للعملية، كاسـتطلاع الهدف أو

التدريب أو سلامة وكفاءة السلاح والذخيرة أو جودة العبوة الناسفة وإلى ما هنالك من ترتيبات، وإذا وضعتم لغماً فليكن صحيحاً، لا يبقي من الأمريكان مخبراً ولا جريحاً، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»؛ وقال أيضا: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان»؛ وإياكم ثم إياكم من الغدر، فإنه إثم وعار وشنار والحر لا يغدر، فقد قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة».)

وقال –رحمه الله– في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (**رابعاً**: القيام بعمل القوائم المتضمنة لأعدائنا من المنافقين ووسائلهم، ولاسيما الإعلامية كالصحف والكتب والمجلات والإذاعات والقنوات الفضائية، وأخطرها الأخيرتان كهيئة الإذاعة البريطانية وأخواتها وقناة الحرة وقناة العربية.

وكذلك إعداد القوائم للذين تصب جهودهم في صالح أعدائنا دون أن يشعروا، كالمرجفين والمخذلين والمثبطين من المسلمين، وذلك بالضوابط الشرعية، ونشرها على الأمة بالوسائل المتاحة لتحذرهم، مرفقين تلك القوائم بوثائق وبراهين من أقوالهم وأفعالهم، تدلل على ذلك مع تفنيدها، وأذكر هنا بقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**.

فكشف حقيقة المنافقين منهج قرآني، كما أجمع العلماء على وجوب كشف المنافقين والمبتدعين، وقد سئل الإمام أحمد –رحمه الله–: الرجل يصوم ويصلي

ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: (إذا قام وصلى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.) اهـ.

فالأمة بحاجة ماسة اليوم -وخاصة بعد هذه الحرب على غزة- أن تعرف المنافقين على جميع الأصعدة، لتحذرهم فتجاهدهم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾، وقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾، فخلاصة القول: لا بد من قادة صادقين وتوعية شرعية وسياسية وجهاد في سبيل الله وكشف لحقيقة المنافقين وتمايز ومفاصلة معهم، مع العلم أن المفاصلة هي أمر قائم من جهة الحكام، فلديهم أجهزة أمنية يصل تعداد أفرادها إلى مئات الألوف، ترصد الناصحين لأمتهم، وتتجسس عليهم، وتعد بهم قوائم تسمى سوداء لمحاربتهم بطرق عدة، إغراء وإغواء، وفصلاً وسجناً، ومنعاً من السفر، ومطاردة وتشويهاً لسمعتهم، بل وقتلاً، وذلك كله للحيلولة بينهم وبين منابر التوجيه، لنصح أمتهم وتحذيرها من مؤامراتهم، وفي المقابل انفردوا هم وعلماؤهم وإعلامهم بالدجل على الأمة وتضليلها.

وفيما يخص قوائم أعدائنا، فنظراً لضيق المقام فسأكتفي بوصف كبار أئمتهم في بلادنا. ففي هذه الأحداث تمايز الناس، وخاصةً السادة والكبراء حكاماً وعلماء، وقد بدا واضحاً أن بعض حكام العرب، تواطؤوا مع التحالف الصليبي الصهيوني على أهلنا، وهم من تسميهم أمريكا بحكام دول الاعتدال. وفي الحقيقة إن دول

العالم الإسلامي من إندونيسيا إلى موريتانيا بلا استثناء، تنقسم إلى قسمين اثنين: دول معوجة ودول أكثر اعوجاجاً، والإسلام بريء من حكامها جميعاً.

ولا يخفى أن مما ساعد الجماعة الأولى في صدر الإسلام على أن يصلب عودها ويقوى عمودها لتحمل أعباء إقامة الدولة الإسلامية؛ عدد من الأمور كان من أهمها بعد الإيمان الصحيح والزهد: التمايز بين المؤمنين والمنافقين، فالأحداث العظام والمصائب الجسام ولا سيما الحروب والصدامات، نفضت الخبيث عن الطيب وميزت الصادق من المنافق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

وإن من المصائب التي وقعت على المسلمين يوم أحد، أن ثلث الجيش خضع وانقاد لرأس المنافقين ابن سلول، فانخذل بهم وأمرهم أن لا يقاتلوا الأعداء، وأما اليوم فجميع الجيوش الرسمية للأمة تحت قيادة المنافقين من حكام المنطقة، كما أن معظم الجيوش غير الرسمية تحت قادة الجماعات الإسلامية، وكثير منهم يرون أن هؤلاء الحكام ولاة أمر شرعيين، يحرم الخروج عليهم، فكيف لا تتوالى علينا المصائب؟! وقد بدا ذلك واضحاً في خذلان هذه الجماعات لغزة وأهلها، وهم ينتظرون إذناً من المنافقين حتى يجاهدوا، فأي استغفال هذا للشباب المسلم!

فالواجب أن نبعد المنافقين والمخذلين عن ميادين القيادة والتوجيه، كما فعل الصحابة -رضي الله عنهم- بعد غزوة أحد، فلما قام ابن سلول ليخطب بالمسلمين

كما كان يفعل من قبل، وكان سـيداً في قومه يريد بذلك أن يحافظ على مكانته في توجيه الجماعة الأولى، أخذ الصـحابة بثيابه من نواحيه وقالوا: (اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت.)

فما أكثر الرجال الذين يعتلون منابر التوجيه بصـورها المختلفة ليخادعوا الأمة لتلتف حول حكام المنطقة المنافقين، ويخذلوها عن القتال لتحرير فلسـطين، فما أحرانا أن نقول لكل واحد من هؤلاء مواجهة أو عبر الهاتف كما قيل لرئيسـهم الأول ابن سلول: (اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت.) فما فعله الصـحابة -رضـي الله عنهم- بابن سـلول هو فضـح وإزالة له عن منابر التوجيه في الجماعة المسـلمة، حتى لا يعيد الكرة في غزوة أخرى، فينثني بثلث الجيش وتتكرر المصـائب، وهذا ما ينبغي علينا فعله، فالمنافقون والمخذلون يكررون علينا المصـائب منذ عقود.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصـة والمسـلمين عامة": (لقد ثبت هؤلاء الرجال العظام في الفلوجة في وجه الطاغية الذي جاء أشـرًا وبطرًا، يسـتعرض فتك قذائف المدافع، وتدمير قنابل الطيران، على المسـتضـعفين من الرجال والنسـاء والولدان، ثم يدَّعي حمل راية الحرية والإنسانية.

ثبتوا في وجهه رغم قلَّة العدد، وضـعف العُدد، حاسـري الرؤوس، عاري الصـدور، ولكن في قلوبهم يقين تزول الجبال الرواسـي ولا يزول -أحسـبهم والله حسـيبهم-، هذا اليقين هو الذي تجذَّر في قلوب أجدادنا رضـي الله عنهم فأزالوا به حضـارة

الصليبيين الفاسدة من بلادنا من قبل وهزموهم بفضل الله، ونحن اليوم متمسِّكون به وسنهزمهم بإيماننا بإذن الله.

ثبتوا ليُثبتوا للعالم أجمع، معنى الإيمان الحق، ومعنى عزَّة وقوَّة المؤمن المتمسِّك بحبل الله المتين، فسطَّروا صفحة عزٍ جديدة في تاريخ أمَّتنا، بدمائهم وأشلائهم.

فقاتلوا العدا ولم تثنهم الموانع   واقتحموا الردى ولم تضعضعهم المعامع
أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وأنا أحيِّي هؤلاء الرجال العظام الأفذاذ اليوم، في وقت لم يعد الجهاد غريبًا بفضل الله، بل الأمَّة الإسلامية كلُّها تحيِّيهم من المحيط إلى المحيط، حاشا الحكام المرتدين والمنافقين؛ كالكتبة المأجورين، وعلماء السوء الذين ينهون الناس عن قتال الأمريكيين، ويسمُّون كبيرة القعود عن الجهاد مقاومة سلمية، أو الذين يقولون إنَّ قتال الأمريكيين دمار وهلاك، ومحرقة وفتنة، تشابهت قلوبهم مع قلوب أسلافهم، الذين قال الله فيهم: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾.

نعم أيُّها الرجال؛ إنَّ الأمَّة الإسلامية اليوم تحيِّيكم، وأنظارها عليكم وقلوبها معكم، وألسنتها تدعوا لكم، فقد أثرتم شجونها بجهادكم العظيم، ورفعتم عنها الذلَّة والهوان فتذكَّرت صفحات مجيدة من تاريخها، تذكَّرت بدرًا وخيبرًا واليرموك وحطين، فارتفع رأسها، واشتفى صدرها، واطمأن قلبها بدينها، وعادت إليها الثقة بنفسها، وبُدِّد يأسها وشحذت همتها، بفضل الله ثم بجهدكم وجهادكم وإثخانكم، فمنذ قرن

من الزمان والأمَّة تبحث عنكم، كبحث الأم التي فقدت وحيدها، وتنتظركم بعد طول غياب، فجئتم كالماء البارد على الظمأ، تنتظركم لترفعوا الراية فتتوحَّد صفوفها، وتقمعوا الغواية فيخنس خصومها، وتنشروا الهداية فتزكوا نفوسها، وأنتم أهل لذلك، أحسبكم والله حسيبكم.)

وقال -رحمه الله- في "حي على الجهاد - كلمة إلى أهل باكستان": (في مثل هذه الأحداث يتمحص الناس فيتميز أولياء الرحمن من أولياء الشيطان. فالعلماء الذين هم من أولياء الرحمن يصدعون بالحق وإن عجزوا أو ضعفوا سكتوا ولم ينصروا الباطل بقول أو فعل، وأما أولياء الشيطان فتقودهم الاستخبارات العسكرية الباكستانية لقول الباطل ونصرة أهله، فمنهم من يوجب الوحدة مع برويز وجيشه، وآخر يحرم العمليات الفدائية الاستشهادية ضد جنود الطاغوت، وآخر يتهجم على المجاهدين يغمز فيهم ويطعن، فهذا شأن المنافقين. قال الله تعالى: ﴿**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾ فكل من قعد عن نصرة الإمام مولانا عبد الرشيد غازي فهو من القاعدين، وأما من تهجم عليه مناصرة لبرويز زاعماً أن الإسلام لا يقوم بالقتال مسمياً القتال في سبيل الله إرهاباً في سياق الذم ويقول إن السبيل هو بالمظاهرات السلمية والسبل الديمقراطية فهذا من الضالين الذين اتبعوا سبيل المنافقين.

ولئن كان ثرى باكستان قد شهد وارتوى بدماء إمام عظيم من أئمة الإسلام قبل قرابة عقدين من الزمان هو البطل المجاهد الإمام عبد الله عزام رحمه الله، فقد شهدنا اليوم إماماً عظيماً آخر ليس على مستوى باكستان فحسب وإنما على مستوى جميع أمة الإسلام هو الإمام مولانا عبد الرشيد غازي رحمه الله. فقد طالب هو وإخوانه وطلابه وطالبات جامعة حفصة بتطبيق شريعة الإسلام حيث إن الغاية من خلقنا أن نعبد الله تعالى بدينه الإسلام فقتلوا من أجل هذه الغاية العظيمة. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ فجادوا بأعظم ما يملكون: ضحوا بأنفسهم من أجل دينهم أرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء. ولقد قُتِلوا غدراً وخيانةً على أيدي المرتد الكافر برويز وأعوانه، في حين أن الغرض من الجيش كما زعموا هو أن يحمي المسلمين من الكفار، فإذا بالجيوش تصبح عوناً وسلاحاً في أيدي الكفار ضد المسلمين. ولقد أضاع برويز قضية كشمير وقيد المقاتلين لتحريرها استجابةً لرغبة الهندوس والنصارى، ثم فتح قواعده ومطاراته لأمريكا لغزو المسلمين في أفغانستان وكما رأيتم من قبل هجوم الجيش على أهل سوات المطالبين بتحكيم الشريعة أيضاً وكذلك هجومه على وزيرستان فضلاً عن غدره وتسليمه لمئات المجاهدين العرب من أحفاد الصحابة رضي الله عنهم سلمهم لرأس الكفر العالمي أمريكا. فبرويز ووزراؤه وجنوده ومن أعانهم شركاء في سفك دم من قتلوا من المسلمين، فمن أعانه عن علم ورضى فهو كافر مثله، ومن أعانه عن علم وإكراه فإكراهه غير معتبر شرعاً إذ أن نفس المكره على القتل ليست بأفضل من نفس المقتول، وقد قال رسول الله ﷺ: «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله عز وجل في النار». وأقول للجنود المصلين في الأجهزة العسكرية: يجب

عليكم أن تســتقيلوا من أعمالكم وأن تدخلوا في الإســلام من جديد وتتبرؤوا من برويز وشركه.

وقد يقول بعض المنافقين من علماء الســوء وغيرهم بأن الإســلام يأمرنا بأن نبقى بعضــنا مع بعض الشــعب مع الجيش والحكومة للوقوف في وجه الأعداء ولتجنب الفتن فـأقول: إن من يقول هـذا الكلام هو يفتري على الله الكـذب. فـالحكومـة والجيش قد أصبحوا أعداء للأمة بعد أن صاروا سلاحاً في يد الكفار على المسلمين وهم يرفضـون الاحتكام لدين الإسـلام في جميع شـؤون الحياة كالسياسـة والاقتصـاد والاجتماع وغيرها من الشــؤون وإن الله تعالى قد أمر بقتال هؤلاء وأمثالهم وليس بالتوحد معهم والتمســك بهم كما يزعم أولئك المنافقون. قال الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه**﴾، فإذا كان الدين بعضه لله تعالى وبعضه لغير الله تعالى وجب القتال ليكون الدين كله لله تعالى.

ولقد جاهدنا بفضـــل الله تعالى مع المجاهدين الأفغان ضـــد الروس وكان الجيش الأفغاني ســلاحاً في أيديهم ضــدنا وكانوا يصــلون ويصــومون ومع ذلك أفتى كبار علماء العالم الإســلامي بقتالهم بما فيهم علماء باكسـتان. وبعد خروج الروس أيضــاً أيّد علماءُ باكستان طالبان ضد تحالف الشمال رغم أنهم يصلون ويصومون كذلك. فهل هناك فرق بين برويز وجنده وأحمد شــاه مســعود ورباني وســياف وجنودهم؟ لا فرق البتة، فكل منهم تكفل للصليبيين بقتال الإسلام الحق وأهله، والذين يقولون بعدم جواز قتال برويز وجنده واســتثنوه من الحكم العام في قلوبهم مرض آثروا الدنيا على الآخرة.)

التركيز على قتال العدو الأخطر والأعظم ضررا "استهداف الأمريكان واليهود في طول الأرض وعرضها من أعظم الواجبات وأفضل القربات إلى الله تعالى أنموذجا"

إن من المعالم البارزة في دعوة وجهاد الإمام المجدد -رحمه الله- ما قرره ودعا إليه بوضوح وبيان أن من أعظم الواجبات اليوم هو التركيز على العدو الأخطر ولأعظم ضررا على المسلمين وهو في هذا الزمان استهداف الأمريكان واليهود ومصالحهم في طول الأرض وعرضها فإنهم أشد أعداء المسلمين وأخطر الصائلين على الإسلام ومقدساته وأهله في هذا الزمان حيث قال في "بشريات": (الشيخ أسامة بن لادن: يسأل الأخ عن قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**﴾؟

أشكل على كثير من الإخوة وظنوا ومشوا مع ظاهر النص أن الذي يليني من الكفار هو حسني مبارك مثلاً أو الملك فهد مثلاً عند من يرون أنه كافر، بعض الناس ما زال متوقفًا لكن نحن نرى إذا أنزلنا أحكام الشرع عليه فإنه قد والى اليهود والنصارى وحكم بغير شرع الله وعلماؤنا مفتي الديار الشيخ محمد بن إبراهيم -عليه رحمة الله- وغيرهم كثير قد أفتوا بكفر من يحكم بغير ما أنزل الله، تراجع هذا في كتاب التوحيد للشيخ الفوزان وفي المجموع الثمين للشيخ ابن عثيمين، مسألة ظاهرة بينة ما تحتاج إلى كثير كلام، فالشاهد وقع في حسه أنه لا بد أن يقاتل الذي يليه، وليس الأمر

محصورًا حتميًّا على هذا المعنى، فرسولنا -عليه الصلاة والسلام- كان هناك بعض القبائل العربية لم تدخل في الإسلام بعد ولكن كان ضررها قليلًا وهناك قبيلة ضررها أكبر وهي بعيدة فكان يقاتل الأبعد مع وجود الأقرب.

وهذا أبو بكر -رضي الله عنه وأرضاه- بعد وفاة رسول الله ﷺ وارتدت جزيرة العرب إما عامة وإما خاصة فكان رأي كثير من الصحابة أن يلتفت فقط إلى المرتدين وما في داع لقتال الأبعد ولكنه أصر على إنفاذ جيش أسامة -رضي الله عنه- وجيش أسامة ما كان رايح للعرب كان رايح إلى الروم رغم أنهم أبعد، نصَّ أهل العلم على أن هذه مسائل اجتهادية يقدرها الإمام منهم الشافعي -رحمه الله- وغيرهم، فالإمام إذا رأى أن الخطر من الأبعد أشد يبدأ بالأبعد لأن لها ضوابط ليس فقط القرب هو الضابط، هناك ضوابط أخرى منها القدرة ومنها الخطر والنكاية، فقد يكون هذا الأبعد أشد نكاية فإذا تركناه وانشغلنا بأقرب نكايته ضعيفة تسبب على الإسلام ضرر كبير، فمسائل لا تخفى على من درس مقاصد الشريعة في أصول الفقه والله أعلم.)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (واعلموا أن استهداف الأمريكيين واليهود بالقتل في طول الأرض وعرضها من أعظم الواجبات وأفضل القربات إلى الله تعالى، كما أوصيهم بالالتفاف حول العلماء الصادقين والدعاة المخلصين العاملين، وأوصيهم بالاستعانة على قضاء حوائجهم بالكتمان، ولا سيما في الأعمال العسكرية الجهادية.

وأبشركم عامة وإخواننا في فلسطين خاصة، أن إخوانكم المجاهدين ماضون في طريق الجهاد لاستهداف اليهود والأمريكيين، وما عملية "ممباسا" إلا بداية الغيث -بإذن الله سبحانه وتعالى-، وإننا لن نخذلكم، فامضوا وواصلوا القتال على بركة الله، ونحن معكم ماضون مقاتلون -بإذن الله-.)

وجاء في "إعلان الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين": (الحمد لله منزل الكتاب، ومجري السّحاب، وهازم الأحزاب، والقائل في محكم كتابه: ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ**﴾، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمد بن عبد الله القائل: «بُعثت بالسّيف بين يدي السّاعة حتى يُعبد الله وحده، وجُعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وجُعل الذّل والصّغار على من خالف أمري». أما بعد:

فمنذ أن دحى الله جزيرة العرب، وخلق فيها صحراءها، وحفّها ببحارها، لم تَدهمها غاشية كهذه الجحافل الصّليبيّة التي انتشرت فيها كالجراد، تزحم أرضها وتأكل ثرواتها وتُبيد خضراءها. كل ذلك في وقت تداعت فيه على المسلمين الأمم، كما تداعت الأكلة إلى قَصْعتها. ويلزمنا حين عظم الخطب وقلّ النّاصر أن نقف وإيّاكم على مكنون الأحداث الجارية، كما يجب أن نتّفق جميعًا على فصل القضاء فيها.

لا أحد يجادل اليوم في حقائق ثلاث تواترت عليها الشواهد، وأطبق عليها المنصفون، ونحن نذكرها ليتذكّر من تذكّر، وليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بيّنة، وهي:

أولًا: منذ ما يربو عن سبع سنين وأمريكا تحتلّ أراضي الإسلام في أقدس بقاعها -جزيرة العرب-، وتنهب خيراتها، وتُملي على حكّامها، وتُذلّ أهلها، وترعب جيرانها، وتجعل من قواعدها رأس حربة تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة.

وإذا كان في الماضي من جادل في حقيقة هذا الاحتلال، فقد أطْبَق على الاعتراف به أهل الجزيرة جميعًا.

ولا أدّل عليه من تمادي الأمريكان في العدوان ضد شعب العراق انطلاقًا من الجزيرة، رغم أن حكامها جميعًا يرفضون استخدام أرضهم لذلك، ولكنّهم مغلوبون.

ثانيًا: رغم الدّمار الكبير الذي حلّ بالشّعب العراقي على يديّ التّحالف الصّليبيّ اليهوديّ، ورغم العدد الفظيع من القتل الذي جاوز المليون، رغم كل ذلك يحاول الأمريكان مرة أخرى معاودة هذه المجازر المروّعة، وكأنّهم لم يكتفوا بالحصار الطويل بعد الحرب العنيفة ولا بالتّمزيق والتّدمير.

فها هم يأتون اليوم ليبيدوا بقية هذا الشعب وليذلّوا جيرانه من المسلمين.

ثالثًا: وإذا كانت أهداف الأمريكان من هذه الحروب دينيّة، واقتصاديّة فإنّها كذلك تأتي لخدمة دويلة اليهود، ولصرف النّظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين فيه.

ولا أدّل على ذلك من حرصهم على تدمير العراق -أقوى الدول العربية المجاورة-، وسعيهم لتمزيق دول المنطقة جميعا كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلى دويلات

ورقيّة، تضمن بفرقتها وضعفها بقاء إسرائيل واستمرار الاحتلال الصّليبيّ الغاشم لأرض الجزيرة.

إن كل تلك البوائق والجرائم هي من الأمريكان إعلان صريح للحرب على الله ورسوله وعلى المسلمين، وقد أجمع العلماء سلفًا وخلفًا عبر جميع العصور الإسلاميّة على أن الجهاد فرض عين إذا دهم العدو بلاد المسلمين، وممّن نقل ذلك الإمام ابن قدامة في "المغني"، والإمام الكسائيّ في "البدائع"، والقرطبيّ في تفسيره، وشيخ الإسلام في اختياراته، حيث قال: (أمّا قتال الدّفع فهو أشد أنواع دفع الصّائل عن الحرمة والدين، واجب إجماعًا؛ فالعدوّ الصّائل الذي يُفسد الدّين والدّنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.)

ونحن بناءً على ذلك، وامتثالًا لأمر الله نُفتي جميع المسلمين بالحكم التّالي: إنّ حكم قتل الأمريكان وحلفائهم -مدنيّين وعسكريّين- فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسّر فيه، وذلك حتى يتحرّر المسجد الأقصى، والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم عن كل أرض الإسلام مثلولة الحدّ، كسيرة الجناح، عاجزة عن تهديد أيّ مسلم، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً**﴾.

إننا بإذن الله ندعو كلّ مسلم يؤمن بالله، ويرغب في ثواب، إلى امتثال أمر الله بقتل الأمريكان، ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك.

كما ندعو علماء المسلمين وقادتهم وشبابهم إلى شنّ الغارة على جنود إبليس الأمريكان، ومَن تحالف معهم من أعوان الشّيطان، وأنْ يُشرّدوا بهم مَن خلفهم لعلهم يذّكّرون.

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، وقال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.)

وجاء في مقابلة الإمام المجدد مع الصحفي تيسير علوني: (-تيسير علوني: شيخ أسامة هل لديكم رسالة تودون توجيهها لمشاهديك؟

-الشيخ أسامة بن لادن: أقول بالنسبة لهذه الأزمة، ولهذا الصراع ولهذا القتال بين الإسلام والصليبية، أؤكد أننا سنواصل بإذن الله سبحانه وتعالى هذا الجهاد ونحرض الأمة على ذلك حتى نلقاه وهو راض عنا.

والحرب كما وُعدنا بها وما هي قائمة، بالأساس اليوم بيننا وبين اليهود، فأي دولة تدخل في خندق اليهود، فلا تلومن إلا نفسها، وإن كان الشيخ سليمان أبو غيث

صرح في بعض تصريحاته السابقة، خاصة أمريكا وبريطانية، فهذا ليس للحصر، وإنما إعطاء فرصة للدول الأخرى تراجع حساباتها، فما شأن اليابان وشأننا، من الذي يدخل اليابان في هذه الحرب الصعبة، القوية، الشرسة؟ في اعتداء سافر على أبنائنا في فلسطين، ولن تحتمل اليابان أن تدخل معنا في حرب، فلها أن تراجع نفسها، ما شأن أستراليا في أقصى الجنوب وحال هؤلاء المستضعفين في أفغانستان؟ وحال المستضعفين في فلسطين؟ ما شأن ألمانيا في هذه الحرب إلا الكفر والصليبية؟ هي حرب تتكرر صليبية، كما كانت الحروب السابقة ـــ ريتشارد قلب الأسد وبربروسا من ألمانيا ولويس من فرنسا ـــ كذلك اليوم ومباشرة يوم أن رفع بوش الصليب تدافعت الدول الصليبية، ما شأن الدول العربية في هذه الحرب الصليبية وتدخل سفارا جهارا نهارا؟ هم قد رضوا بحكم الصليب.

كل من يدعم بوش ولو بكلمة، فضلا عن أن يقدم التسهيلات، وما يسمى تسهيلات، هي خيانة عظمى، يغيرون الأسماء، فإيش تسهيلات عسكرية؟! تتعاون معهم على قتل أبنائنا وتقول لي تسهيلات، كيف نصدق أن هذا النظام يجمع تبرعات للأبرياء هنا في أفغانستان وهو سبب رئيسي في إباحة بلاد الحرمين للأمريكان ومن حالفهم، كيف نصدقه وهو سبب رئيسي في قتل أكثر من مليون طفل؟ نقول أليس عند هؤلاء الناس الذين يمشون ويسيرون خلف هؤلاء الحكام؟ أليس عندهم قلوب؟ أليس عندهم إيمان؟ كيف يصح إيمانهم وهم يساعدون هؤلاء الكفرة، الفجرة ضد أبناء لإسلام؟ يساعدونهم ضد أبناءنا في العراق وفلسطين، أقول كما تدين تدان.

إن الذين يتكلمون عن الأبرياء في أمريكا، لم يذوقوا حرارة فقد الأبناء، ولم يذوقوا أن ينظروا إلى أشـلاء أبناءهم في فلسـطين وفي غيرها، بأي حق يحرم أهلنا في فلسـطين الأمن، تصـــطادهم طائرات الهليكوبتر في بيوتهم، بين نســـاءهم وأطفالهم؟ كل يوم يشـــلون الجرحى والجثث، ثم يأتي هؤلاء الســـفهاء يتباكون على قتلى أمريكا ولا يتباكون على أبنائنا؟ ألا يخشـــون أن يعاقبوا بمثل هذا العقاب؟ وقد صـــح عن نبينا عليه الصلاة والسلام "من لم يغز أو يخلف غازيا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيـامـة" فليتقوا الله وليتوبوا وليفكوا الحصـــــار عن هؤلاء الأطفـال الأبرياء، فالغربيون هم أحرار، أوربا أرادت تدخل الحرب، هذا شأنها، أما نحن شأننا أن نقاتل من يقف في خندق اليهود، وأمريكا وشـــعب أمريكا هم أحرار، دخلوا في الخندق فليستلموا ما يأتيهم.

وأما نحن، فهذا نحن في عبادة وفي جهاد، صـــح عن نبينا عليه الصـــلاة والســـلام: «قيام سـاعة في الصـف خير من عبادة سـتين سـنة»، فأي فضـل أفضـل من هذا؟ في رضوان الله سبحانه وتعالى، نجاهد من أجل دينه، نرجو الله أن يتقبل منا ومنكم.

وأما بالنسـبة للمسـلمين فأقول لهم: فليثقوا بنصـر الله سـبحانه وتعالى، وليسـتجيبوا لأمر الله سـبحانه وتعالى، وأمر رسـوله عليه الصـلاة والسـلام بالجهاد ضـد الكفر العالمي، فوالله السـعيد من اتخذ شـهيدا اليوم، والسـعيد من تشـرف بأن يقف تحت راية محمد ﷺ، تحت راية الإسـلام لقتال الصـليبية العالمية. فليتقدم كل أمرئ منهم لقتل هؤلاء اليهود والأمريكان، فإن قتلهم من أوجب الواجبات ومن أعظم القربات، وليتذكروا تعليمات نبينا عليه الصلاة والسلام، فقد قال ﷺ للغلام ابن عباس رضي

الله عنهما: «يا غلام أني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك، لم ينفعونك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، فلا تشاور أحداً في قتل الأمريكان، امض على بركة الله وتذكر موعودك عند الله سبحانه وتعالى بصحبة خير الأنبياء عليه الصلاة والسلام.)

وجاء في مقابلة الإمام المجدد مع الصحفي عبد الباري عطوان: (-عبد الباري عطوان: أنت تُطلق هذه التّهديدات، وأنت على ارتفاع ٢٥٠٠م في الجبال الأفغانيّة، وتبعد ٢٠٠٠ ميل أو أكثر من المنطقة العربية، هل تعتقد أنّ هناك شيئًا ما من الصّعب فهمه هنا؟

-أسامة بن لادن: من الممكن أن يكون ذلك صحيحًا لو أنني تحدّثتُ عن بلاد الحرمين الشريفين فقط باعتبار أنني واحدٌ من أبناء هذه البلاد، أو أنني عزلت نفسي عن هذه الأمة التي تمتد أراضيها من المشرق إلى المغرب وتتصل ببعضها البعض، أنا أتحدّث عن القِبلة -قِبلة كل المسلمين-، والتي أُريد أن أحرّرها من الكفار، فهذه الأمّة مترابطة مع بعضها البعض مثل الكهرباء، فحديثي عن الأمة ككل، وخطابي غير موجّه إلى أبناء الجزيرة فحسب، فالمصالح الأمريكية تتوزّع عبر كامل العالم الإسلامي.

لقد أصبح العالم اليوم قريةً صغيرة، وبعون الله تعالى فإنّ العلاقات والاتّصالات والتّفاعل موجود بينهم، لقد حُرمت الأمة من سماع كلمة الحق من أبنائها، ولهذا السبب وُضع نُخبة من علمائنا في السّجون الإسلامية، وبخاصة في سجون المملكة.)

وقال -رحمه الله- في "مبادرة عبد الله ... والخيانة العظمى": (أمتنا المسلمة: إن الذي يبيع شبرًا يبيع دولة، والذي يرخص قطرة دم لا يبالي بأنهارٍ منها، ومن يَئِدُ شعبًا يئدُ أمة، والذي يَصُمُّ أُذنيه اليوم يُغمض عينيه غدًا. فيا أمة الإسلام ثوري على الظلم والطغيان، على الجور والعدوان، على الذُلِ والامتهان، فليس الخبز بأعزّ عندنا من ديننا، ولا الأموال بأغلى علينا من أعراضنا، ولا الموت بأصعب في حِسِّنا من حياة الذل والهوان، فالوسيلة ممكنةٌ ومتاحةٌ لكل فردٍ من أفرادِ أمتنا، وهي كالتالي:

- رفض المبادرة الاستسلامية، والسعي لحشد الأمة للخروج بمظاهرات شعبيةٍ وعصيانٍ مدني حتى سقوط الحكومات الخائنة.

- السعي للخروج على أئمة الكفر والنفاق الذين ارتدوا عن دينهم وخانوا أمتهم وقتلهم.

- ضرب المصالح الأمريكية المنتشرة في العالم بشكل عام، وعلى أرضِ أمتنا العربية والإسلامية بشكلٍ خاص.

- مقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية.

- قتل الأمريكان واليهود بطلقةٍ من رصاص، أو طعنةٍ بسكين، أو رميةٍ بحجر ... إلخ.

- دعم المجاهدين والوقوف وراءهم والشد من أزرهم والدعاءِ لهم.)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للميلاد، كان التحالف "الصـــهيوأمريكي" يحصــد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصــى المبارك حصــدا، بطائرات ودبابات أمريكية وأيدٍ يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضــون نحبهم نتيجة الحصــار الظالم من أمريكا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإســلامي يعيش في حالة من البعد الشــديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتســويف عند المســلمين -إلا من رحم الله- ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف "الصـــهيوأمريكي"، فقد كانت بلاد "العم ســـام" في غيها سادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا ســبيل إليها. إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شــعث الرؤوس، مغبرو الأقدام، المطاردون في كل مكان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وربط على أفئدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشـــوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوســهم أن تنام على الضـيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشـرية لها مثيلاً، فحطموا أصــنام أميركا، فأصــابوا وزارة الدفاع في صــميم فؤادها، وأصــابوا الاقتصــاد الأميركي في ســويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم:

فانهارت أسطورة أميركا العظمى، وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة الـ "سي آي إي"، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأمريكي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من رقاده، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوَّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة، يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر.

ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأمريكي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في "مانهاتن" كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر؛ أن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها -بإذن الله- ستترنح وتنكمش، فتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى

العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصر أسبابٌ وللخُسر مثلها   وكل طريقٍ يورث الخلد رابحُ
دروب العلا شتى وأقصرها التي   تريق الدما في جانبيها الجَحاجحُ

وأمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير -بفضل الله- ولكنهم مقيدون، فينبغي علينا أن نتعاون جميعاً لفك قيودهم لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله، لأن الجهاد هو سبيل عز هذه الأمة وأمنها.)

وقال الشيخ أبو مصعب السوري مبيناً هذا المعلم في دعوة الإمام المجدد ومثنياً عليه في "دعوة المقامة": (مدرسة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها: وكان خلاصة هذه طرح المدرسة كما بينت بشي من التفصيل.. أن المعارك مع الأنظمة لا طائل من ورائها، وأن أمريكا وحلفاءها من قوى الصليبية واليهود هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك رغم الحق الذي فيها. وأن الحل في جهاد رأس الأفعى أمريكا التي سيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب، حيث يسهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي بعد تنظيف المنطق العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها..

وقد مثل الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة أبرز من رأي التحرك في هذا الاتجاه من الجهاديين منذ ١٩٩٦. وافتتح ذلك بإصدار بيان إعلان الجهاد ضد أمريكا كما حصل في تجربتهم التي لخصتها في الفصل السابق. وأعتقد أن هذا الطرح بشكل عام بصرف النظر عن تفاصيل أداء من عمل له هو طرح صحيح وصائب ويتناسب جدا مع حجم المتغيرات التي شهدها العالم باستيلاء أمريكا على قيادة النظام العالمي الجديد وانفرادها بحكم العالم كقطب أوحد وقوة عظمى متجبرة..)[٣٢]

وقبل الانتقال إلى مبحث آخر لا بد أن أنبه إلى قيد هام لهذه المسألة ذكره الشيخ خبيب –حفظه الله– في "شذرات من تاريخ القاعدة": (فالشيخ أسامة رحمه الله كان يهدف من هذه السياسة إلى كسب تعاطف الشعوب التي لا يختلف فيها اثنان على قتال الأمريكيين الواضح للعيان كفرهم وظلمهم وجرائمهم ودعمهم اللامحدود لليهود العدو التقليدي للمسلمين.

بالرغم من ذلك يستثنى من تلك السياسة العامة حسب ما جاء في وثيقة توجيهات عامة للعمل الجهادي للشيخ الدكتور أيمن الظواهري –حفظه الله– ما يلي: (التركيز في العمل العسكري على إنهاك رأس الكفر العالمي حتى يستنزف عسكريًا واقتصاديًا وبشريًا، وينكمش لمرحلة من التراجع والانزواء. قريبًا بإذن الله. وعلى جميع الإخوة المجاهدين أن يعتبروا أن ضرب مصالح التحالف الغربي الصليبي الصهيوني في أي مكان في العالم من أهم واجباتهم، وأن يسعوا في ذلك قدر ما يستطيعون. ويلحق بهذا الأمر أن يبذل الإخوة قصارى جهدهم لفك أسارى

---

٣٢ . وانظر "شذرات من تاريخ القاعدة" ص١٤٣.

المسلمين بشتى الوسائل بما في ذلك مهاجمة سجونهم أو خطف الرهائن من الدول المشاركة في غزو ديار المسلمين للمفاداة بهم. والتركيز على رأس الكفر العالمي لا يتعارض مع حق الشعوب المسلمة في جهاد ظالميها بالقول واليد والسلاح. فمن حق إخواننا في القوقاز المسلم أن يجاهدوا الروس المعتدين وأتباعهم، ومن حق إخواننا في كشمير أن يجاهدوا الهندوس المجرمين، ومن حق إخواننا في تركستان الشرقية أن يجاهدوا الصينيين الباغين، ومن حق إخواننا في الفلبين وبورما وفي كل أرض يعتدى فيها على المسلمين أن يجاهدوا من اعتدى عليهم.

عدم الاشتباك القتالي مع الأنظمة إلا إذا اضطررنا لذلك، كأن يكون النظام المحلي يشكل جزءًا من قوة الأمريكان كما في أفغانستان، أو يقاتل المجاهدين نيابة عن الأمريكان كما في الصومال وجزيرة العرب، أو لا يقبل بوجود المجاهدين كما في المغرب الإسلامي والشام والعراق .ولكن يتجنب الدخول في قتال معه كلما أمكن ذلك، وإن اضطررنا للقتال معه فيجب إظهار أن معركتنا معه هي جزء من مدافعتنا للحملة الصليبية ضد المسلمين.)

وكان أخوف ما يخاف الشيخ أسامة في خضم التفاعل مع الأفعال وردها بيننا وبين الخصوم أن تنحرف استراتيجية القاعدة عن خطها ومسارها الصحيح لذلك كان دائما في رسائله إلى القادة يذكرهم ويؤكد على ضرورة أن يكون الهدف الأساس في الحرب مع أمريكا واضحا نصب الأعين)[٣٣] اهـ.

---

٣٣ . ويستأنس في هذا الباب بما جاء في وثائق أبوت أباد في الرسالة: "المرسلة إلى الشيخ عطية الله الليبي": (وكذلك من سلبياته أن الدخول فيما سبق ذكره يغير الخط العام وهو عدم تبديد طاقتنا مع الأنظمة في هذه

قلت: إن هذا الأمر الذي قرره الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- في هذه الكلمات الواضحات البينات أنكره عليه طوائف من المسلمين على مختلف مشاربهم وقتها.. ولكن بعد ما رأى المســـلمون من إجرام لليهود والأمريكان بعد أحداث طوفان الأقصى المباركة رأينا كثيراً ممن كان ينكر ذلك أصبح يقرر ذلك ويدعوا إليه ويجعله من أولويات الجهاد في سبيل الله..

فالحمد لله الذي كشـــف الأمر وأظهر دعوة الحق ونســـأل الله أن يتقبل من عبده أسامة بن لادن وإخوانه جهدهم وجهادهم ودعوتهم وأن يجمعنا بهم في دار الشهداء في جنة الفردوس.

المرحلة، إضـــافة إلى خســـارتنا لتعاطف المســـلمين معنا، عندما نفقد نظرة المســـلمين لنا بأننا من يدافع عن المسلمين، ويقاتل عدوهم الأكبر التحالف الصليبي الصهيوني دون أن نقتل من يحسب العوام أنهم المسلمون، فإن قاتلنا الحكام ونحن على هذه الحال، ولم نرد عليهم بالدفاع المباشـــر أثناء هجومهم علينا وتكرر هذا الأمر مرات عدة، سيظهر أننا مظلومون وأن الحكام هم الظلمة مما يزيد كره الناس لهم، ويشعرهم أن الحكام لم يدافعوا عن إخواننا في فلســـطين والعراق وأفغانســـتان، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا يقاتلون المجاهدين الذين يدافعون عن أهلنا هناك.

بينما بدخولنا في قتال ضد الحكام خارجًا عن الدفاع المباشر نكون قد أنزلنا الضرر الذي كان سيترتب على الحكام من قتالهم لنا بسبب أنه سيتاح لهم قلب الحقيقة، وسيظهر الإعلام للناس أننا من يقاتل الحكومة ويقتل المسلمين، وبين ضجيج القتل والقتال سينسى الناس من الذي ابتدأ القتال ضد الآخر، وبذلك نخسر الناس ونقوي موقف الحكومة دون أن نقطع عدوانها عنا.)

وجوب قتل الساب لرسول الله
-صلى الله عليه وسلم-

ومن المسائل الكبرى التي اهتم به الإمام المجدد وإخوانه من قادة الجهاد وجعلوها في سلم أولوياتهم الانتقام من المستهزئين والسابين لرسولنا الكريم -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه- فقال الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "فلتثكلنا أمهاتنا إن لم ننصر رسول الله ﷺ": (إلى العقلاء في الاتحاد الأوروبي السلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

حديثي هذا إليكم بخصوص الرسوم المسيئة وتقاعسكم رغم وجود الفرصة لاتخاذ ما يلزم لمنع تكرارها.

وابتداء أقول لكم، إن العداء بين البشر قديم جدا، ولكن عقلاء الأمم حرصوا في جميع العصور على الالتزام بآداب الخلاف وأخلاق القتال، وهذا خير لهم، فالنزاع لا يبقى على حال والحرب سجال، إلا أنكم في صراعكم معنا تخليتم على كثير من أخلاق القتال عمليا وإن كنتم ترفعون شعاراتها نظريا، فكم يحزننا أن تستهدفوا قرانا بقصفكم، تلك القرى الطينية المتواضعة التي انهارت على نسائنا وأطفالنا، تفعلون ذلك عن عمد وأنا على ذلكم من الشاهدين، وكل ذلك بغير حق وإنما مجاراة لحليفكم الظالم الذي أوشك هو وسياساته العدوانية على الرحيل من البيت الأبيض.

ولم يعد يخفى عليكم أن هذه الأعمال الوحشية لم تحسم الحرب وإنما تزيدنا إصرارا على التمسك بحقنا والثأر لأهلنا وإخراج الغزاة من بلادنا، وأن مثل هذه المجازر لا تمحا من ذاكرة الشعوب، ولا يخفى ما لذلك من آثار.

ورغم أن مصيبتنا في قتلكم لنسائنا وأطفالنا مصيبة عظيمة جدا إلا أنها هانت عندما بالغتم في الكفر والتجرد من آداب الخلاف والقتال ووصلتم إلى الحد الذي تنشرون فيه هذه الرسوم المسيئة، فهذه هي المصيبة الأعظم والأخطر والحساب عليها أعسر.

وألفت نظركم هنا إلى أمر ذي دلالة، وهو أنكم برغم نشركم للرسوم المسيئة فإنكم لم تجدوا من مليار ونصف من المسلمين أي رد فعل فيه إساءة إلى نبي الله عيسى ابن مريم ﷺ، فنحن نؤمن بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن ينتقص أو يسخر بأي واحد منهم يكون كافرا مرتدا.

وهنا يجدر التنبيه إلى أنه لا داعي للتحجج بقدسية حرية التعبير عندكم وقداسة قوانينكم وأنكم لن تغيروها، وإلا فعلى ما تم إعفاء الجنود الأمريكيين من الخضوع لقوانينكم فوق أرضكم؟ وعلى ما تقمعون حرية من يشكك في أرقام حادثة تاريخية؟

ثم إنكم تعلمون أن هناك رجلا واحدا يستطيع أن يوقف هذه الرسوم لو كان الأمر يعنيه وهو الملك غير المتوج في الرياض، والذي كان قد أمر بإيقاف هيئاتكم القانونية عن العمل بشأن التحقيق باختلاس المليارات من صفقة اليمامة، وقام بلير بالتنفيذ، وهو اليوم مندوبكم في اللجنة الرباعية.

وخلاصة القول، إن قوانين البشر التي تصادم تشريعات الله تعالى باطلة لا قداسة لها ولا تعنينا، ثم إن موقفكم العملي من صفقة اليمامة يلزمكم أن تقروا أن هناك بعض القيم أعظم من قيمكم.

وختاما أقول لكم، إذا كانت حرية أقوالكم لا ضابط لها فلتتسع صدوركم لحرية أفعالنا، وإن من العجب والاستخفاف بالآخرين أن تتحدثوا عن التسامح والسلام في الوقت الذي يمارس جنودكم القتل حتى للمستضعفين في بلادنا، ثم جاء نشركم لهذه الرسوم، والتي جاءت في إطار حملة صليبية جديدة، وكان لبابا الفاتيكان با ع طويل فيها، وكل ذلك يعتبر تأكيدا منكم على استمرار الحرب واختبارا للمسلمين في دينهم، هل الرسول ﷺ أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم؟

فالجواب ما ترون لا ما تسمعون ولتثكلنا أمهاتنا إن لم ننصر رسول الله ﷺ.

والسلام على من اتبع الهدى.)

وقال في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (فإلى الأمة الإسلامية عامة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثي هذا إليكم لمواصلة الحث والتحريض لنصرة رسولنا ﷺ ولمعاقبة أصحاب الجريمة النكراء التي ارتكبها بعض الصحفيين من الصليبيين أو من الزنادقة المرتدين بالإساءة إلى سيد الأولين والآخرين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لقد جاءت الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة مبينة ما يجب لرسول الله ﷺ من محبة وتكريم واتباع وتعظيم فقد حرم الله تبارك وتعالى أذاه، فقال في القرآن العظيم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً**﴾، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن نبينا ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

وقد أجمعت الأمة على ردة وقتل من تعرض له بالشتم أو التنقص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إن سب الرسل صلى الله عليهم وسلم والطعن فيهم ينبوع جميع أنواع الكفر وجماع جميع الضلالات وكل كفر ففرع منه.) اهـ.

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: (من شبه رسول الله ﷺ بشيء على طريق السب له والازدراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه أو العيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم السّاب له.) اهـ.

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: (من شتم النبي ﷺ أو انتقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل.) اهـ.

فالزنادقة والملحدون الذين يطعنون في الدين ويغمزون ويسـيئون إلى رسـولنا الكريم ﷺ قد وضّـح حالهم وحكمهم الإمام ابن القيم رحمه الله، ووضـح أن جريمة الزنديق أغلظ الجرائم وأن مفسـدة بقائه بين أظهر المسـلمين من أعظم المفاسـد وأنه يُقتل ولا تُقبل توبته.

فكان مما قال: (فإن الزنديق هذا دأبه دائماً، فلو قُبلت توبته لكان تسـليطاً له على بقاء نفسـه بالزندقة والإلحاد وكلما قُدِرَ عليه أظهر الإسـلام وعاد إلى ما كان عليه، ولا سـيما وقد علم أنه آمِنٌ بإظهار الإسـلام من القتل، فلا يَزَعُهُ خوفه من المجاهرة بالزندقة والطعن في الدين ومَسَبَّة الله ورسـوله ﷺ، فلا ينكف عدوانه عن الإسـلام إلا بقتله، وأيضـاً فإن مَنْ سَـبَّ الله ورسـوله فقد حارب الله ورسـوله ﷺ وسعَى في الأرض فساداً، فجزاؤه القتل حداً، والحدود لا تسقط بالتوبة بعد القدرة اتفاقاً.) اهـ.

وأذكر نفسـي وإياكم بأفعال الأطهار الأبرار الجنود الأُول للإسـلام الصـحابة الكرام –رضي الله عنهم– لنتشبه بهم في نصرة الدين، وإن التشبه بالكرام فلاح.

فقد روى أهل السـنن وكذلك أهل السـير حادثة شعر كعب بن الأشرف الذي نال به من رسولنا ﷺ فلما بلغ ذلك لرسولنا ﷺ قال: «مَن لي بكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله»، عند ذلك قام محمد بن مسلمة فقال: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟، قال: «نعم».

الله أكبر! الله أكبر ما أسرع استجابتهم لنصرة الله ونصرة رسوله ﷺ، الله أكبر ما أعظم إيمانهم ويقينهم وما أعلمهم وما أفقههم، فقد كان عالماً رضي الله عنه أن دواء من يؤذي الله ورسوله القتل بدون مقدمات.

لا كما يفعل الدعاة المنهزمون اليوم الذين ما ذهبوا إلى الصليبيين مقاتلين وإنما ذهبوا محاورين، أمثال هؤلاء يميعون الدين فاحذروهم، نعم، إن منهجهم مخالف للمنهج القويم، فمنهج رسول الله ﷺ أنه يحب قتل كعب بن الأشرف ويحب قتل كل من آذى الله تعالى ورسوله ﷺ، نعم، إن قتل هؤلاء أمر يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وقد أمر الله تعالى به وحرض عليه رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾، فبالقتال ينتهون عن الطعن في الدين.

قال ابن القيم -رحمه الله- عند هذه الآية: (كل من طعن في ديننا فهو إمام في الكفر.) اهـ.

فكم من إمام للكفر اليوم في بلاد المسلمين؟! وكم من أتباع لكعب بن الأشرف في جزيرة العرب؟! كم منهم كُتّاب في الصحف وممثلون ومذيعون في وسائل الإعلام؟!

وهنا ينبغي التنبيه؛ أنه لا يجوز للمسلم أن يستمع إلى أي برنامج فيه حوار مع الزنادقة أو إلى أي تمثيل فيه استهزاء بالدين وبالمتدينين، فإن ذلك من أكبر الكبائر.

وكم من هؤلاء الزنادقة وزراء ومن دونهم وعلى رأسهم وزير العمل في بلاد الحرمين غازي القصيبي، ومن يريد فتوى رسمية بكفره وردته فقد أفتى بذلك المفتي العام

السابق الشيخ عبد العزيز بن باز، كما أفتى بكفر وردة الزنديق شملان العيسى في الكويت. ومن هؤلاء الزنادقة، أحمد البغدادي في الكويت أيضاً وتركي الحمد في بلاد الحرمين، وقد أفتى بردة الأخير الشيخ حمود العقلاء وغيرهم كثير.

وقد حوى كتاب "الحداثة في ميزان الإسلام" أسماء كثير منهم، وكذا حذر الشيخ سعيد الغامدي منهم في أشرطة مسجلة.

والآن لنعد لإكمال قصتنا..

فإن محمد بن مسلمة –رضي الله عنه– أخذ معه بعض الأصحاب –رضي الله عنهم– فذهبوا وقتلوا عدو الله كعب بن الأشرف، فعند ذلك فزعت يهود ومن معها من المشركين، فجاؤوا إلى النبي ﷺ حين أصبحوا فقالوا: قد طُرق صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا، قُتل غيلة بلا جرم ولا حدث علمناه!، فقال رسول الله ﷺ: «إنه لو قرّ كما قرَّ غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر، ولم يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف».

نعم، هذا هو حكم رسولنا ﷺ في كل من يهجوه وفي كل من يتنقص من الدين ويستهزئ به.

فيا شباب الإسلام..

اتبعوا أمر الله تعالى وأمر رسولنا ﷺ بقتل هؤلاء واقتدوا بمحمد بن مسلمة وأصحابه –رضي الله عنهم– فبطن الأرض خير والله من ظهرها والزنادقة بيننا يستهزئون بديننا

ونبينا ﷺ، فاتقوا الله في أنفسكم وأرضوا ربكم، ولا تشاوروا أحداً في قتل هؤلاء الزنادقة، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.

هذا بشأن الزنادقة المرتدين.

وسنبدأ الحديث عن الطاعنين في الدين من الكفار الأصليين:

لقد انتفض أبناء الأمة الإسلامية من مشرق الأرض لأقصى المغرب مستنكرين تلك الجريمة الكبرى، فجزى الله كل منكر لتلك الأعمال الكفرية خير الجزاء، ونسأل الله أن يتقبل من قتل منهم في الشهداء ونعاهد الله أن نثأر لهم من الحكومات التي سفكت دماءهم.

فقد تعالت بعض الأصوات في أمتنا، مطالبة الظالمين الكافرين في الغرب بأن يعتذروا اعتذاراً واضحاً صريحاً، ليتم إنهاء الأزمة -كما قالوا- والحقيقة أن الأمر أعظم وأخطر بكثير من أن ينتهي بتأسف أو اعتذار -على افتراض أنهم سيعتذرون- بل لا بد من معاقبة المجرمين ومعاقبة كل من آواهم أو تضامن معهم.

إن التعامل مع هذه الجريمة منفردة مجتزأَة عن السياق العام، يضر بالتصور الصحيح لمعرفة حجم العداء الذي يكنه الغرب لنا وحقيقة الحرب الصليبية التي تشن ضد أمتنا.

وحيث إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، لذا لا بد من وضع هذه الجريمة في السياق العدواني العام الذي يمارس على أمتنا خلال العقود والسنوات الأخيرة، وبذلك يسهل علينا معرفة حقيقة حجم هذا الحدث.

وإن المتأمل للأحداث التي جرت خلال العقود الماضــية والســنوات القريبة يشــاهد بوضــوحٍ بشــاعة صــورة الغرب وعظم كرهه لأمتنا، وفي هذا الســياق جاء الحدث وتتابعت تداعياته، وكان من أبرزها إصــــرار حكومة الدنمارك على عدم الاعتذار -فضــــلاً عن معاقبة المجرمين- وامتناعها عن اتخاذ إجراءات تمنع تكرار مثل هذه الجريمة، ثم تضامن أمريكا والاتحاد الأوروبي معها.....)

حكمه في الزنادقة

وأدخل الأمام المجدد الزنديق تحت حكم الساب لرسولنا الكريم ﷺ فقال -رحمه الله- في "قاتلوا أئمة الكفر؛ لعلهم ينتهون": (فالزنادقة والملحدون الذين يطعنون في الدين ويغمزون ويسيئون إلى رسولنا الكريم ﷺ قد وضّح حالهم وحكمهم الإمام ابن القيم -رحمه الله-، ووضح أن جريمة الزنديق أغلظ الجرائم وأن مفسدة بقائه بين أظهر المسلمين من أعظم المفاسد وأنه يُقتل ولا تُقبل توبته.

فكان مما قال: (فإن الزنديق هذا دأبه دائماً، فلو قُبلت توبته لكان تسليطاً له على بقاء نفسه بالزندقة والإلحاد وكلما قُدِرَ عليه أظهر الإسلام وعاد إلى ما كان عليه، ولا سيما وقد علم أنه آمِنٌ بإظهار الإسلام من القتل، فلا يَزَعُهُ خوفه من المجاهرة بالزندقة والطعن في الدين ومَسَبَّة الله ورسوله ﷺ، فلا ينكف عدوانه عن الإسلام إلا بقتله، وأيضاً فإن مَنْ سَبَّ الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله ﷺ وسعَى في الأرض فساداً، فجزاؤه القتل حداً، والحدود لا تسقط بالتوبة بعد القدرة اتفاقاً.) اهـ.

وأذكر نفسي وإياكم بأفعال الأطهار الأبرار الجنود الأُول للإسلام الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- لنتشبه بهم في نصرة الدين، وإن التشبه بالكرام فلاح.

فقد روى أهل السنن وكذلك أهل السير حادثة شعر كعب بن الأشرف الذي نال به من رسولنا ﷺ فلما بلغ ذلك لرسولنا ﷺ قال: «مَن لي بكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله»، عند ذلك قام محمد بن مسلمة فقال: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟، قال: «نعم».

الله أكبر! الله أكبر ما أسرع استجابتهم لنصرة الله ونصرة رسوله ﷺ، الله أكبر ما أعظم إيمانهم ويقينهم وما أعلمهم وما أفقههم، فقد كان عالماً رضي الله عنه أن دواء من يؤذي الله ورسوله القتل بدون مقدمات.

لا كما يفعل الدعاة المنهزمون اليوم الذين ما ذهبوا إلى الصليبيين مقاتلين وإنما ذهبوا محاورين، أمثال هؤلاء يميعون الدين فاحذروهم، نعم، إن منهجهم مخالف للمنهج القويم، فمنهج رسول الله ﷺ أنه يحب قتل كعب بن الأشرف ويحب قتل كل من آذى الله تعالى ورسوله ﷺ، نعم، إن قتل هؤلاء أمر يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، وقد أمر الله تعالى به وحرض عليه رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾، فبالقتال ينتهون عن الطعن في الدين.

قال ابن القيم -رحمه الله- عند هذه الآية: (كل من طعن في ديننا فهو إمام في الكفر.) اهـ.)

حروب العصابات

إن حروب العصـــابات مما اعتمد عليه الإمام المجدد أســـامة بن لادن وإخوانه المجاهدون في مواجهة الحرب الصليبية المعاصرة فهي الأسلوب الأفضل في مثل هذه الظروف التي نعيشـــها يبين لنا ذلك الدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- بقوله في "فرسـان تحت راية النبي": (حرب العصـابات هي حرب المسـتضـعفين في مواجهة الأقوياء، ولذا لا تلجأ للحسـم العسـكري، بل تلجأ للحسـم السـياسـي بإجبار العدو على التفاوض وإيقاف القتال من يأسه من تحمل الخسائر المستمرة.

يقول أبو بكر عقيدة: (لقد توغلت القوات الروسـية في أرض الشـيشـان وانتشـرت فيها بشكل شبه كامل خلال اثنين وعشرين شهراً، إلا إن ذلك كلفهم تسعين ألف قتيل حســـب اعترافاتهم -والحقيقة تزيد عن ذلك بكثير- غير الجرحى والمعوّقين والخسـائر المادية الهائلة، الأمر الذي اضـطرهم للبحث عن طريقة مشـّرفة للخروج من هذا المأزق، لأن استمرارهم في الشيشان أصبح مهلكة لهم.)

يقول أبو مصـعب السـوري -فك الله أسـره-: (أسـلوب حروب العصـابات فن استراتيجي مكون من تكتيكات عسكرية أصبحت معروفة ومدروسة، وصارت علماً له أصوله. حيث يوظف الضـعيف أعماله ضـمن إمكانياته القليلة، من أجل إجهاد الخصـم عبر الحرب الطويلة المدى لإدخاله في أوضـاع سـياسـية تضـعه أمام خيار الانسحاب أو الانهيار من داخله.

ولم تكن حروب العصابات أبداً في تاريخها كله، حروب تدمير شامل لقوى الخصم وجيوشه من أجل كسب الحرب. بل لم تعد معظم الحروب في العصور الحديثة، تنهي الصراع بالدمار المادي للخصم إلا في حالات نادرة جداً. وإنما صارت الحروب وسيلة لإدخال العدو في أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية تضعه في حال الهزيمة والاندحار.

والخلاصة محل الشاهد من هذا هنا؛ هي أن حرب العصابات تقوم على الاستثمار المتقن بوسائل السياسة والإعلام، للجهود العسكرية التي تقوم بها العصابات أو المقاومون الضعفاء، تجاه قوات ضخمة تفوقهم عدداً وقدرة وإمكانيات. بحيث يؤدي التنسيق في أعمال المقاومة بين المجهود العسكري والإعلامي والتكتيكات السياسية -عبر حرب إنهاك طويلة المدى- تؤدي إلى إدخال العدو في حال الانهيار، نتيجة الضغوط عليه من الرأي العام الداخلي أو الرأي العام الخارجي. بحيث يستحيل معه استمراره في المواجهة والحفاظ على مقومات وجوده وعلاقاته الداخلية والخارجية.

والخلاصة أن النصر العسكري في أعمال المقاومة ذو طابع سياسي. ولا يمكن أن يحقق بدون وسيلة عسكرية فاعلة. ومقاومة تحقق ضربات وخسائر حقيقية على الأرض.)

يقول هانئ الدرديري: (فحرب العصابات هي حرب السياسة في مواجهة القوة، حرب الالتزام العقائدي في مواجهة التجنيد الإجباري، أي أنها حرب الأضعف في مواجهة الأقوى مادياً، ولا سبيل مع هذا الواقع إلا إذا تجنبنا الحسم العسكري، واستبدلناه بالحسم السياسي على ما سيجيئ.

ولتجنب الحسم العسكري يعمد رجال العصابات إلى إطالة أمد الحرب بأي ثمن، ولو أدى ذلك إلى التراجع المكاني، إذ لا يهم هذا التراجع المكاني مادامت الرقعة السياسية تزداد يوماً بعد يوم) ..... أهـ.

وقال أبو مصعب السوري -رحمه الله- في "الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا": (وهنا تبرز ضرورة بناء التنظيمات الإسلامية وإعدادها إعدادا مناسبا لمواجهة هذه الأجهزة المدربة، ولما كانت الحرب واقعة لا مفر منها مع هذا الطاغوت، تبرز أهمية حرب العصابات المنظمة التي يقودها ويشرف عليها تنظيم طليعي مدرب، ومعد ليقود جماهير المسلمين في حرب طويلة الأمد، لإسقاط الطاغوت وإقامة حكم الإسلام مكانه. كما تبرز أهمية إعداد التنظيمات وبناءها بناء حقيقيا صادقا يتناسب مع ما يفرض الواقع من الصدام مع الطاغوت في حرب من هذا النوع أثبتت نجاحها في كل مكان قامت فيه وتوفرت عواملها وعلى رأس تلك العوامل نفر من الصادقين العازمين يقودون المسيرة.)

وفي ذلك يقول الإمام المجدد -رحمه الله- في "النفير": (وأبشركم أن الجهاد في أفغانستان قائم اليوم بشكل جيد والحمد لله، والأمور تسير نحو الأحسن لصالح المجاهدين بفضل الله، وها نحن في السنة الثانية من القتال ولم تستطع أمريكا أن تحقق أهدافها، وإنما تورطت في المستنقع الأفغاني، وأما ما اعتبرته أمريكا في الأشهر الأولى للحرب بأنه انتصار بعد أن استولت على المدن نتيجة إخلاء المجاهدين لها، فإنه لا يخفى على الخبراء العسكريين عامة والعارفين بأفغانستان خاصة أنه كان انسحاباً تكتيكياً يتماشى مع طبيعة دولة الطالبان ومع طبيعة الأفغان في تاريخهم الطويل مع

حروب العصـــابات، فلم يكن هناك جيش نظامي لدولة الطالبان حتى يدافع عن المدن، لذا لجأ الأفغان -بعد الله- إلى قوتهم الكامنة في قدراتهم لشـــن حروب العصـابات من عمق جبالهم الوعرة، وبنفس التكتيك الذي قهروا به -بفضـل الله- جيش الاتحاد السـوفيتي من قبل، فقد ثبت ذلك بعد أن بدأت حرب العصـابات وارتفع معدل العمليات إلى عمليتين يومياً.

فالأمريكيون في ورطة حقيقية اليوم، فلا هم يسـتطيعون حماية قواتهم ولا هم قادرين على تشكيل دولة تحمي رئيسها فضلاً عن أن تحمي الآخرين، وقد تم -بفضل الله- التنسيق مع جميع المجاهدين خلال العام المنصرم، والجميع متحمسون للجهاد ويرونه واجباً عليهم، ولولا قلة الإمكانيات لتيسـر رفع عدد العمليات يومياً إلى الحد الذي كانت عليه في الجهاد السابق ضد الروس، وهذا ما لا يحتمله الأمريكيون.)

وقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصـة والمسـلمين عامة": (وأبشـروا فقد تورطت أمريكا في مستنقعات دجلة والفرات، وقد كان بوش يظن أن العراق ونفطه غنيمة باردة، فها هو في مأزق حرج بفضـل الله تعالى، وها هي أمريكا اليوم قد بدأت تصيح بأعلى صوتها وتتضعضع أمام العالم أجمع، فالحمد لله الذي رد كيدها إلى أن تستنجد بأوباش الناس، وتتسول الجنود المرتزقة من الشرق والغرب.

ولا غرو فيما فعلتم بأمريكا هذه الفعال، وأنزلتم بها هذا النكال، فأنتم أبناء أولئك الفرسان العظام الذين حملوا الإسلام شرقًا حتى وصلوا إلى الصين.

والأمر يحتاج منكم إلى مزيد من البذل والتضـــحيات والعطاء ومزيد من حرب العصـابات والعمليات الاستشـهادية؛ فهي من أفضـل الطاعات وأعظم القربات. إنها السـلاح الذي أعجز العدو وأهانه بفضـل الله تعالى ولها أثر كبير جدًّا في تحطيم معنوياته، فأكثروا منها وأضـــرموا الأرض تحت أقدامهم نارًا واضـــربوا منهم كل بنان حتى يخرجوا منهزمين بإذن الله.

قال الشاعر:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه   يُهَدم ومن لا يتق الشتم يُشتمِ
ومن هاب أسبـاب المنايـا ينلنه   ولو رام أسبـاب السماء بِسُلّمِ

فأتموا جهادكم أتمَّ الله لكم، وتذكروا أنه لا عمل لمن لا نية له، واعلموا أن هذه الحرب هي حملة صـليبية جديدة على العالم الإسـلامي، وهي حرب مصـيرية للأمة بأسـرها، ولها من التداعيات الخطيرة والآثار السـيئة على الإسـلام وأهله ما لا يعلم مداه إلا الله.)

وقال -رحمه الله- في "الحرب؛ أسـبابها ونتائجها": (إضـافة إلى أننا خبرنا حرب العصـابات وحرب الاستنزاف في مقارعة القوى الكبرى الظالمة، حيث استنزفنا مع المجاهدين روسـيا عشـر سـنين إلى أن أفلسـوا بفضـل الله فاضـطروا إلى الانسـحاب منهزمين، فلله الحمد والمنة، ونحن ماضـون في هذه السـياسـة في استنزاف أميركا إلى درجة الإفلاس بإذن الله، وما ذلك على الله بعزيز.)

وقال -رحمه الله- في "النفير": (يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، لا يعظمنَّ عليكم وجه أميركا وجيشها، فقد ضربناهم والله مراراً وهزموا تكراراً، وإنهم أجبن قوم عند اللقاء، وقد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأميركي أنه يعتمد في قتاله بشكل رئيس على الحرب النفسية نظراً لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة، وكذلك على القصف الجوي الكثيف إخفاءً لأبرز نقاط ضعفه وهو الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجندي الأميركي، ولولا ضيق المقام لحدثتكم عن ذلك، أشياء تكاد لا تصدق في قتالنا لهم في تورا بورا وشاهي كوت بأفغانستان، وأرجو الله أن ييسر وقتاً ونتحدث عن ذلك بالتفصيل.

وابتداءً أذكركم بهزيمة بعض القوى الكبرى على أيدي المجاهدين:

فأذكركم بهزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً والذي أصبح أثراً بعد عين بعد عشر سنين من القتال الضاري على أيدي أبناء الأفغان ومن ساعدهم من أبناء المسلمين بفضل الله.

وكذلك هزيمة الروس في بلاد الشيشان وضرب المجاهدون أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فحطم المجاهدون الشيشان مع إخوانهم العرب والأنصار كبرياء الروس فكبدوهم الخسائر تلو الخسائر فانسحبوا مدحورين بعد الحرب الأولى، ثم إن الروس رجعوا مرة أخرى بدعم أميركي ومازالت روسيا إلى الآن تتكبد الخسائر الفادحة من فئة قليلة مؤمنة نرجو الله أن يثبتهم وينصرهم.

كما أذكركم بهزيمة القوات الأميركية عام ١٤٠٢ للهجرة، عندما اجتاح بنو إسـرائيل لبنان، فقدمت المقاومة اللبنانية شـاحنة مملوءة بالمتفجرات إلى مركز القوات الأميركية -المارينز- في بيروت فقتل منهم أكثر من ٢٤٠ قتيلاً، فإلى جهنم وبئس المصير.

ثم بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أميركا جيوشـها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسـلمين هناك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أُسْـدُ الإسـلام من العرب الأفغـان فـانبروا لهم مع إخوانهم في تلـك الأرض فمرَّغوا كبرياءهـا في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحدٌ على أحد، فلله الحمد والمنَّة.

وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأميركيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة.

ثم في عام ١٤١٥ للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسـببه أربعة من الأمريكيين، وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأميركية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين.

ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر، قتل بسـببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضـطر بعدها الأمريكيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء.

ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨ للهجرة هدَّد المجاهدون أمريكا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين، فرفض العدو التحذير وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا.

ثم حُذِّرت أمريكا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأميركية "كول" في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأمريكية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة.

ثم إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم -الأحمق المطاع- أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم لبلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره.

وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للميلاد، كان التحالف "الصهيوأمريكي" يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك حصدا، بطائرات ودبابات أمريكية وأيدٍ يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أمريكا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين -إلا من رحم الله- ومن الظلم والغرور والعدوان عند

التحالف "الصـهيوأمريكي"، فقد كانت بلاد "العم سـام" في غيها سـادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها. إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شـعث الرؤوس، مغبرو الأقـدام، المطـاردون في كـل مكـان، فتيـة آمنوا بربهم وزادهم الله هـدى، وربط على أفئدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشـوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسـهم أن تنام على الضـيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشـرية لها مثيلاً، فحطموا أصـنام أميركا، فأصـابوا وزارة الدفاع في صـميم فؤادها، وأصـابوا الاقتصـاد الأميركي في سـويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم:

فانهارت أسـطورة أميركا العظمى، وانهارت أسـطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة الـ "سي آي إي"، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشـنطن أنها كشـفت حقيقة الصـراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصليبيون عندما نزعت الغزوتان جلد الشـاة عن الذئب الأمريكي وظهر على حقيقته البشـعة، واسـتيقظ العالم أجمع من رقاده، وانتبه المسـلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوَّة الإيمانية بين المسـلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة

نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة، يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر.

ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأمريكي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في "مانهاتن" كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر؛ أن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها -بإذن الله- ستترنح وتنكمش، فتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصر أسبابٌ وللخُسر مثلها ... وكل طريقٍ يورث الخلد رابحُ

دروب العلا شتى وأقصرها التي ... تريق الدما في جانبيها الجَحاجحُ

وأمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير -بفضل الله- ولكنهم مقيدون، فينبغي علينا أن نتعاون جميعاً لفك قيودهم لينطلقوا مجاهدين في سبيل الله، لأن الجهاد هو سبيل عز هذه الأمة وأمنها.)

حرب المصطلحات

إن من الغفلة الكبرى تصور أن الصراع بيننا وبين أعداء الإسلام منحصر في الناحية العسكرية ومواطن القتال.. فالصراع بيننا وبين الأعداء هو امتداد للصراع الأزلي بين الحق والباطل في كل صـــوره وجوانبه ومن هذه الصـــور من صـــور الصـــراع (حرب المصـــطلحات) وفي ذلك يقول الشـــيخ أبو يحيى الليبي -رحمه الله- في "حرب المصـــطلحات": (من الخطأ تصـــور انحصـــار المعارك والحروب بيننا وبين أعدائنا في ساحات القتال ومواطن النزال وحدها.

وإن كانت هذه الصورة مدرَكة يستشعرها كل مسلم، كما أنها تعد أبرز صور التعبير عن العداوة بين المؤمنين والكافرين، ولهذا كان الجهاد ذروة سنام الإسلام، لأنه يعبر تعبيرا حقيقيا واقعيا صـــريحا عن أوثق عرى الإيمان بشـــقيه؛ الحب في الله والبغض في الله، بحيث لا يبقى مجال للشـــك في صـــدق ولاء المجاهد لله ولحزبه المؤمنين، كما لا تتقبل العقول أن يكون في قلبه مثقال ذرة من حب أو ميل للكافرين.

فأقوى صـــــور التعبير عن الحب والموالاة؛ هي أن يقدم الحبيب دمه ونفســـــه وماله ويسترخص كل غال طمعا في نيل رضا محبوبه، وتعبيرا عن شوقه إليه، فالجود بالنفس أقصـى غاية الجود، وفي المقابل فإن أنصـع صـور الترجمة العملية عن العداوة والبراءة من الأعداء؛ هي تقديم المهج والأموال من أجل دفعهم وكسـر شـوكتهم واسـتباحة دمائهم وأموالهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**﴾.

وأعداء الإسـلام –وهم يخوضـون حربهم ضـد هذا الدين وأصـحابه– لا يدعون فجا يمكن أن ينالوا به من الإسـلام وأهله إلا وسـلكوه، ولا تتهيأ لهم فرصـة سـانحة إلا وظفوها ورعوها حق رعايتها، لتكون لهم سـندا وركنا يؤوون إليه ويعتمدون عليه في حربهم الكبرى التي يريدون بها اسـتئصـال شـأفة الحق، كما قال تعالى مخبرا عنهم تتبعهم الصعب والذلول وارتكاب المستحيل لأجل ذلك: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾.

وهذا أمر كما يقرره القرآن الكريم تقريرا وافيا ويبينه بيانا شـافيا ويعرِّف فيه المؤمنين حقيقة أعدائهم، فإن تاريخ الصـراع الطويل الممتد عبر أقاصـي القرون؛ يبرهن ذلك ويؤكده، كما أن الواقع المشـاهد والحياة اليومية بأحداثها المتجددة ووقائعها المتنوعة؛ تدعم هذه الحقائق وتساندها مساندة تصيِّرها حق اليقين بل عينه.

ومن بين هذه الأسـاليب المتبعة –والتي لا تكاد تنفك عن سـبيل من سـبل سـعيهم المتنوع والمتعدد– أسلوب يمكن أن نسميه بـ "حرب المصطلحات".

والمقصـود به؛ أن يعمد أعداء الله إلى أمر من أمور الإسـلام ذات الحقائق المحددة والمسـميات المبينة والأسماء المنضـبطة، فيضـعون لها اسما مزيفا منفرا، يقلب صـورة حقيقتها في الأذهان، ويصيرها مطبوعة بطابع تشمئز منه النفوس، وتنفر لدى سماعه القلوب، أو أن يقصدوا شيئا من القبائح التي نهى الشارع عنها ومقَتَها وبين حكمها ونَفر وحذر منها، وأظهر مضارها ومفاسدها؛ فيخترعون لها مصطلحا جذابا متألقا، يزينونها به ويرغبون فيها بواسـطته، لتدنو منه النفوس خطوة خطوة، وتسـتأنس به الأفئدة وتألفه، وتميل نحوه القلوب وتقل درجة النفرة بينها وبين تلك القبائح شـيئا

فشيئا، حتى تتلاشى، فيسهل على النفس بعدها اقتحامها والعب منها دون شعور بالحرج، بل تستطيبها مع الأيام وتطمئن لها لطول الإلف وتوثق الصلة.

وهذا الأسلوب بشقيه -تحسين القبيح، وتقبيح الحسن- اعتمادا على المصطلحات المخترعة؛ يعد من الأساليب الخطيرة التي رافقت أعداء الله تعالى عبر مسيرتهم الطويلة في صراعهم مع الحق، فلم يكد ينفك عنه زمن من الأزمنة، أو تهمله طائفة من الطوائف المشاقة للحق.

وهو نهج إن لم يتنبه له المسلمون ويعوا خطورته ويدركوا عواقبه؛ فإنه سيؤدي حتما إلى قلب كثير من الحقائق الشرعية في أذهانهم ومن ثَم في واقعهم، وسينقلب من ورائه الحق باطلا والباطل حقا، والمنكر معروفا والمعروف منكرا، والمصلح مفسدا والمفسد مصلحا، وسيقود إلى فتح أبواب عريضة من الشر المستطير، وكلما استمرت الأيام ازداد شرها وظهر أثرها وتضاعف تأثيرها، وعسر إغلاقها وعلاجها، إلا بجهد متواصل وعمل دؤوب مضاعف، لا سيما مع تكفل وسائل الإعلام المتنوعة ذات الصيت العالي؛ بالقيام بهذه المهمة والتي يقوم كثير منها أو معظمها على حرب الله ورسوله..

إن "حرب المصطلحات" -بالمعنى الذي أردناه وبيناه- أسلوب إبليسي قديم، أسسه عدو الإنسان اللدود، ووضع لبنته من أول معصية دعا إليها ورغب فيها، والتي أغوى بها نبي الله آدم عليه السلام وهو في الجنة حتى أُخرج منها، ولم يزل أتباعه وأولياؤه وحزبه يقفون أثره، ويهتدون بهديه، ويسلكون سبيله، لشعورهم بمدى أهمية هذا الأسلوب، ولمعاينتهم لنجاحه في كثير من الأحيان، ولهذا لم ينقطع اهتمامهم

به، وعنايتهم بطرقه، وحرصـــهم الشـــديد على تطويره وإقحامه في جزئيات حربهم لأهل الحق في كل زمن، كما هو محكي عنهم في القصص القرآني، ومروي في سيرتهم على مدى عصـور التاريخ، وكما هو مشـاهد اليوم من خلال ما تقوم به وسـائل الإعلام بأنواعها كافة.

قص الله سـبحانه وتعالى علينا ما جرى لآدم عليه السـلام في الجنة، وكيف أغواه الشيطان، وقاده إلى معصية ربه، فأكل من الشجرة التي نهاه عن الاقتراب والأكل منها، فكان مما جاء في القصـة بيان ما خاطب به إبليس -لعنه الله- آدمَ وزوجه حتى جعلهما يأكلان من تلك الشجرة المنهي عنها، والتي حذرهما ربهما من اقترابها، فقال الله سبحانه حاكيا لنا ما قاله إبليس اللعين: ﴿**فوسوس لهما الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾، وقال في آية أخرى: ﴿**قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشـجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصـحين**﴾، فإبليس عندما أراد أن يجر آدم عليه السـلام إلى المعصية -وهي الأكل من الشجرة- أول ما قام به إضفاء الاسم الحسن الجذاب المغري على تلك الشـجرة، فسـماها "شـجرة الخلد"، وفرَّع على ذلك حصـولهما -بعد الأكل منها-؛ على ملك لا يبلى أي لا يزول ولا ينقطع، بل فوق ذلك يعترف أمامهما بأن الله قد نهاهما عن الأكل من هذه الشـجرة: ﴿**ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة**﴾! ولكنه يضفي على هذا النهي عبارات خلابة ليستميل بها آدم وزوجه، ويبعث في النفس أماني فطر الإنسـان على حبها والتعلق بها -وهي حب الملك وطلب الخلود- فخلع على المعصـية هذه الخلعة، ونمقها بتلك النعوت المغرية،

وزعم لهما أن عاقبة الأكل من الشجرة ﴿**أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين**﴾، وأضاف إلى هذا التزيين والتزييف أن ﴿**قاسمهما إني لكما لمن الناصحين**﴾.

فهذه هي أول سبيل سلكها إبليس –وهو المتمرس في الإغواء المختص به– للإيقاع في المعاصي، حيث تقمص لأجلها ثوب الناصح الصادق المشفق، وارتدى ثوب مريد الخير الحريص على إيصاله لآدم أو إيصال آدم إليه، وأفلح اللعين "بقلب الأسماء" وتغيير الصفات في أن أوقع آدم وزوجه فيما نهاهما الله عنه وحذرهما منه، وعلمنا ما ترتب على ذلك من إخراج آدم وزوجه من الجنة بعد أن تاب الله عليهما وإنزالهما إلى الأرض.

وإذ رأينا عاقبة هذا الأسلوب "الإبليسي" وعلمنا أنه أول ما استخدم للإغواء والإغراء والإيقاع في المعاصي؛ أدركنا خطره ولزمنا التنبه إليه، والحرص على معرفته ومعرفة مروجيه؛ لتُسد أمامه الأبواب.

ثم لم يزل هذا الأسلوب الإبليسي يتلقفه أتباعه جيلا بعد جيل، ويسلمه سلفهم لخلفهم فتشابهت عليه قلوبهم، وسارت به سيرتهم، وتواطأت أقدامهم، فلم يرتضوا التفريط فيه أو الغفلة عنه وإهماله.....

وبما أن هذا النهج متفق عليه بين أمم الكفر من قديم الزمان، وبما أن قلوبهم قد انعقدت على التشبث به حتى لكأنهم تواصوا به؛ فلن يكون عصرنا الذي نعيشه –وهو عصر التحضر والرقي والتقدم!– إلا كسابقه من العصور في الاستفادة من

هذا الأسلوب، ومن يشابه أبه فما ظلم، ولن يتجاوزا الاعتماد عليه كركيزة أساسية في الصد عن سبيل الله.

بل لأن كان نهج القرون الأولى في ذلك مقتصـــرا على اختلاق النعوت للأنبياء وأصحابهم، فإن عصر التحضر قد ارتقى -تبعا لرقيه!- ليستتبع في اختراع الأسماء ووضع الأوصاف جزئيات القضايا الشرعية، فلم يعد إنشاء "المصطلحات" المنفرة من أوامر الشرع أو الجاذبة نحو الموبقات؛ قاصرا على عموم الدعاة وعموم الشريعة -كما هو مســـلك غالب آبائهم- بل أصـــبح الأمر يمس كثيرا من أوامر ومنهيات الشريعة التفصيلية، فيُحسن فيها القبيح ويُقبَّح فيها الحسن.

فالربا أصـــبح؛ فوائد وعوائد، والزنا؛ غدا حرية شـــخصـــية، والتهتك والخلاعة والاختلاط؛ أصبحت تقدما وحضارة ومواكبة للعصر، والأغاني الماجنة والمسلسلات الفاضحة والمسرحيات الدنيئة المتهتكة القاتلة للغيرة والمحرضة على الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ كل هذا من الفن والقائمون عليه فنانون ونجوم، والملابس الكاســـية العارية؛ إنما هي أزياء وموضات، والخمور بأنواعها وأشكالها؛ هي مشروبات روحية أو كحولية.

ولقد صدق رسولنا ﷺ إذ قال: «ليشرب أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها» رواه أحمد وأبو داود.

وصار الجهاد والإعداد؛ تطرفا وغلوا وإرهابا وعنفا، وتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة أحكام الله؛ انقلب رجعية، وترويج الأفكار الإلحادية والطعن على الله ورســـوله

وأوليائه؛ من حرية التعبير، والتفلت من التكاليف الشـرعية وهدم أصـولها وفروعها وتفصـيلها وخياطتها وتقديمها حسـب تعاريج الجسـم العصـري؛ أصبح من التنوير والعقلانية والواقعية والتفتح، والأخذ بالنصوص الشرعية والتمسك بها والدعوة إليها والذب عنها؛ صـار جمودا وتحجيرا و "أصـولية" و "فكرا" سـلفيا، وتكلُّم الرويبضـة والجهلة في أمور العامة وتشقيقها وتمطيطها وتمييعها والإدلاء بما يشاءون فيها؛ صار تفكيرا، وأهله غدوا مفكرين ومحللين ومتنورين، وإفراغ الألفاظ من معانيها ومسـخها وتفسيرها تفسيرا باطنيا مغرضا هداما؛ لُقِّب بالحداثة، وحرب الإسلام علانية وتتبع أهله المسـتمسـكين به والتنكيل بهم وعقد الاتفاقات لتقويضـهم ومطاردتهم وبذل الأموال الطائلة بسـخاء لاقتفاء آثارهم؛ أصـبح حربا للإرهاب والتطرف وحماية للأوطان من خطرهم وصـونا لها وللشعوب من شـرهم، وبيع الأراضـي والتفريط في المقدسـات والانبطاح التام أمام الأعداء واللهث الدائم لتلبية رغباتهم والتنافس في تقديم متطلباتهم والاستسـلام المخزي لهم؛ كل ذلك صـار سـلاما ... بل "سـلام الشـجعان"، والسعي للاعتراف بأحقية المحتل اليهودي بأرض فلسطين واستحقاقه إقامة دولته عليها، مقابل نيل حفنة من التراب تحت أعينهم ومراقبتهم؛ يسـمى سلاما عادلا شاملا دائما، والمدافع عن حرماته وأرضه وعرضه والمقدم لنفسه وماله حماية للمقدسـات؛ أصـبح عدوا للسـلام وخارجا عن "الشـرعية" الدولية، وتهيئة الظروف لاسـتقدام عشـرات الآلاف من قوات النصـارى التي جلبت على أراضـي المسـلمين بخيلها ورجلها ومكنت لنفسـها برا وبحرا وجوا وامتصت خيراتهم وثرواتهم من تحت الأرض ومن فوقها ودكها للشـعوب المسـلمة و "تجريبها" اليومي لأسـلحتها المتطورة عليهم؛ كل ذلك لا يعدو أن يكون "اسـتعانة" بالقوات

"الصـــديقة" لطرد عدو عات متمرد، وتآلف الدول الكافرة وتكتلها وتكاتفها لأجل قهر الشـــعوب وإذلالها وإرغامها على الانصـــياع للركب العالمي والخضـــوع لإرادات معينة ومخصـوصـة؛ كل ذلك يقع باسـم "الشـرعية الدولية"، ومنع الخروج عن قوانين "المجتمع الدولي".

والقائمة في ذلك لا تنتهي، واسـتقصـاؤها يسـتحيل، فما هذا إلا نتف ونماذج من أسلوب "حرب المصطلحات" الذي أغرق فيه أهل هذا العصر أيما إغراق، واعتنوا به بالغ العناية، سيما مع توفر الظروف الإعلامية التي صيرت العالم كالقرية الواحدة ... بل كالبيت الواحد، حيث لا يكاد يغيب عمن في مشـــارق الأرض ما يجري في مغاربها ولا العكس.

فالمتمعن فيها ببصـيرة، والنبيه الذي لا تنطلي عليه زخارف القول، ولا ينسـاق وراء بهارج العبارات؛ يدرك إدراكا تاما أن هذا الأســـلوب يعد مرتكزا وعمودا فقريا، ووسيلة أساسية معتمدة عندهم، بحيث يندر أن ينالوا بدونها تمام ما يريدون.

فهكذا تقلب الحقائق وتغير المسميات وتنزه القباحات من الأقوال الشنيعة والأفعال الوضـيعة، وتشـوه الفضـائل والمكارم مما أرشـد إليه دين الهدى ودعت إليه شـريعة الإسلام.

ونحن نقول لهؤلاء كما قال الله سـبحانه لعابدي الأصـنام -إذ دعوها بأسماء مختلفة وجعلوها بذلك آلهة تعبد من دون الله-: ﴿**إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم**

ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعوا إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾.

ونقول لهم في كل ما زعموه وزينوه من الأدناس للناس: ﴿**ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾**.

فالأسماء لا تغير من المسميات شيئا، والنعوت لا تقلب الحقائق أو تحورها، وإن كنا ندرك خطورة تنصيل المسميات عن أسمائها، وعزل الحقائق عن صفاتها الصادقة.

وهذا هو مكمن الداء ومنبع الأدواء، ففرق كبير بين أن يقدم شيء للناس على أنه استسلام وخنوع وامتهان، وبين أن يروج له على أنه سلام ومصالحة، والبون شاسع بين أن تسمى الفواحش والموبقات المستهجنة بأسمائها الشرعية -كالزنا والربا والخمر- وبين أن تلبس لبوسا تهوِّن من بشاعتها وتقلل من فظاعتها -كالحرية الشخصية أو التقدم أو مواكبة العصر أو المشروبات الروحية أو المروِّحة أو الكحولية- ونحوها، وقس على ذلك ما ذكرنا فسترى العجب العجاب.

وإن مما يزيد الأمر خطورة، ويبين أن هذا الأسلوب قد آتى أكله أو يكاد؛ أن ينساق بعض المسلمين ... بل بعض قياديهم؛ وراء أعدائهم في الترويج لكثير من المصطلحات والأسماء المستحدثة والمنتقاة من قبل الأعداء بدقة بالغة، ويتلقفوها من غير روية ولا تأن، بل ربما يضيفون عليها كثيرا مما يحسنها ويرغب فيها ويؤكد صحة شرعيتها، فصار كثير منها مألوفا لدى الناس، ركنت إليه نفوسهم، وسكنت عقولهم،

واطمأنت قلوبهم، فلا عجب أن تجد نتيجة ذلك أن ينكروا إنكارها، ويحتجوا على محاولة استبدال غيرها بها.

ولا جرم أنهم باستعجالهم في تلقي تلك المصطلحات وأسلمتها؛ قد جنوا على أنفسهم وعلى أمتهم جناية عظيمة من حيث لا يدرون، وبذلك قدموا لأعدائهم خدمة سخية طالما سعوا لأن يجدوا لها مَنفذا ومُنقِّذا.

فمن أمثلة إرادة قلب الحقائق بقلب أسمائها، وتنفير الناس منها بتغيير صفاتها؛ كلمة "الجهاد"، هذه الكلمة التي يدرك كل مسلم علو منزلتها، ويستشعر في قرارة نفسه سمو مكانتها، واستقامة نهج أهلها، ولذا فهي كلمة سواء بينهم، بين الله فضلها وفضل أهليها، وحث على القيام بها ورغب فيها، وحرض عليها النبي ﷺ وتشرف بها أصحابه في حياته وبعد مماته.

وإنما يمدح قادة الإسلام وتظهر مكانتهم بين المسلمين -قديما وحديثا- كلما كانوا أرسخ قدما فيها وأكثر حرصا عليها، وإنما ينالون حب مسلمين لهم ويُعلم صدقهم بينهم إذا كانوا رافعين للوائه، خائضين لغماره، قائمين على أدائه.

فلما رأى أعداء الإسلام مكانة هذه العبادة في قلوب المؤمنين، وراجعوا التاريخ وتمعنوا فيه؛ فألفوا الأمة تحيا بإحياء هذه الفضيلة، وتضعف بالتخلي عنها والزهد فيها، وتكونت لديهم قناعة تامة أنهم لن يستطيعوا القضاء على هذه الأمة ولن يدكوا مرامهم منها، إلا حيث فصلوا بينها وبين هذه العبادة، واستيقنوا أن ذلك لن

يكون لهم إلا عندما يغرسون في قلوب المؤمنين؛ بأن الجهاد أمر وراء ما تتصورون، وأن حقيقته خلاف ما تعتقدون.

غير أن هذه المعاني التي يريد الأعداء إيصالها وإقناع الناس بها؛ لا يمكن تقبلها بسهولة، والناس يرون كثيرا من الشعوب الإسلامية تقاتل من أجل نيل حقوقها، وكثيرا من الجماعات الإسلامية ترفع راية الجهاد هنا وهناك، فلما وجدوا أنفسهم أمام هذا المأزق، وخشوا أن ينفلت الزمام، وأن تخطوا الأمة عبر ممارستها لعبادة الجهاد خطوات لاستعادة سالف مجدها؛ سلطوا وسائل إعلامهم، وبثوا مروجيهم في الأقطار، وراحوا يصفون تلك الأعمال الجهادية بالإرهاب والعنف والتطرف، مستغلين في ذلك بعض التجاوزات التي يقع فيها الجهلة أو المغرضون من أتباعهم الذين تربوا على أعينهم -دعما لسياسة التشويه-.

حتى نشأت في أذهان كثير من المسلمين؛ قناعات، مضمونها أن الجهاد رديف التطرف والإرهاب والعنف، وأن المجاهدين؛ هم المتطرفون والإرهابيون، وأن كل من حمل السلاح مجاهدا في سبيل الله مدافعا عن الحرمات وذابا عن الأعراض؛ يعد إرهابيا متطرفا.

وأصبحت هذه النعوت تلاحق المجاهدين حيثما كانوا، ولو كانت قضيتهم التي يقومون عليها من أعدل القضايا وأبينها لكل عاقل منصف -كما هو الحال في الشيشان وفلسطين وكشمير وغيرها-.

ولو ارتقوا درجة وأرادوا أن يصفوا قضية من القضايا بـ "وصف حسن" يسايرون فيه ركب الناس، فإنهم يسمونها بـ "المقاومة"، والتي لا تتجاوز دلالتها معنى المدافعة، بل فوق هذا يضعون لها قيدا احترازيا خشية أن يصبح الأمر في أذهان الناس محصورا في هذا الأسلوب، فيسمونها "خيار المقاومة"، والذي يقصد به مقابلته بـ "خيار السلام" -كما هو مشهور في قضية فلسطين وفي مواضع مخصوصة ومحددة منها-.

وهكذا انقلب الجهاد -ولو كان دفاعيا- إلى تطرف وعنف وما شابه ذلك من مصطلحات القائمة المعروفة.

وحتى ندرك مكانة كلمة "الجهاد" في قلوب الناس، وأنها جذابة محرضة مهيجة لهم؛ لنتأمل قليلا كيف يستغلها كثير من الطغاة المارقين كلما أرادوا أن يستميلوا الشعوب نحوهم، ويستثيروا عواطفهم ويلهبوا مشاعرهم، فيزعمون رفع لوائها، ويدندنون حولها، كما فعل طاغية العراق البعثي في حرب الخليج الثانية استثارة لقلوب الشعوب المخدوعة.

فعلى المسلم أن يكون يقظا منتبها عند التقاطه لأي مصطلح جديد، وأن يحرص على الالتزام بالأسماء الشرعية، ففيها الكفاية والغنية عما دونها، وأن يستقبل ما تبثه وسائل الإعلام بحذر، فهي غالبا ما تقدم السم فيما نحسب أنه عسل، فيلعقه بعضهم مغترين بألوانه وأشكاله، فلا يستيقظون إلا حيث تتهاوى قواهم، وتذهب حرماتهم، ويمسخ كثير من شعائر دينهم، فيضيفون مرضا جديدا مزمنا في جسد أمتهم الذي أنهكته الجراح وآلمته القروح، مما يستدعي زيادة تكليف وعناء في

علاجه، وقد كان يُغني عنه سد الباب الذي يتسبب فيه وإغلاق المسالك المؤدية إليه.) اهـ.

وقد اهتم الإمام المجاهد بهذا النوع من أنواع الصراع بين الحق والباطل وأعطاه نصيباً من توجيهاته ودعوته فقال -رحمه الله- في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (كما أضع بين يدي العلماء والدعاة بعض المقترحات في هذا المجال، راجياً بذل الجهود لاستكمال الأمر وتطويره، ومن أهم هذه المقترحات: ......

ثالثا: تنبيه الأمة على أن هناك حرباً لتغيير وإماتة الأسماء والمصطلحات الشرعية، لارتكاب ما حرم الله تعالى، فيجب تفنيد ذلك وإشاعة الأسماء والألفاظ الشرعية، ومن أمثلة ذلك:

انتهاك حرمة الربا فسموه بالفائدة، وأطلقوا على البنوك الربوية البنوك التجارية.

وعندما أرادوا انتهاك حرمة الخمر، أطلقوا عليه المشروبات الروحية وما شابهها من أسماء.

وعندما أرادوا محاربة ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله سموه بالعنف والإرهاب.

ولما أرادوا ارتكاب نواقض الإسلام، وموالاة أعداء الله، أماتوا حد الردة ووصفوا كل من دعا لإقامة هذا الحد بأنه تكفيري.

ويتم الحديث عن تسمية الكافر والمرتد والزنديق والمنافق بلفظ: الآخر، وينفرون عن استخدام المصطلحات الشرعية، وكذا المغالطة بحوار الأديان، وحرية الرأي وحرية

التعبير والتعايش السلمي، والدول الصديقة وعقود تقديم التسهيلات لدعم السفن الحربية الصليبية، في الوقت الذي يقوم به اليهود والنصارى بقتل إخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان ووزيرستان والصومال وكشمير والفلبين والشيشان. فالمغالطة بالأسماء والمصطلحات باب واسع فينبغي تتبعها وكشف حقيقتها وحقيقة ناشريها.)

لا تنخدع بالمسميات

وإن من النصائح والقواعد المتعلقة بحرب المصطلحات والحرب الإعلامية التي اهتم الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- ببيانها والتذكير بها في دعوته وتوجيهاته وجهاده قاعدة العبرة بالمعاني والحقائق لا بالمباني والمسميات.. فلا بد أن تتوافق المعاني والحقائق مع المباني والمسميات فإن حدث اختلاف كان العبرة للمعاني والحقائق قال الإمام ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- في "شرح العقيدة الطحاوية": (ولئن سموا إثبات الصفات تركيبا؛ فنقول لهم: العبرة للمعاني لا للألفاظ، سموه ما شئتم، ولا يترتب على التسمية بدون المعنى حكم! فلو اصطلح على تسمية اللبن خمرا، لم يحرم بهذه التسمية.)

وقال الإمام السرخسي -رحمه الله- في "المبسوط": (وهذا لأن الألفاظ قوالب المعاني، فلا يجوز إلغاء اللفظ - وإن وجب اعتبار المعنى - إلا إذا تعذر الجمع للمنافاة.)

فهذه القاعدة لها أثر كبير في إظهار الحق وبيانه وكشف الصور والحالات التي ينتشر فيها الباطل بقوالب ومسميات الحق.. وهذا الأمر في غاية الأهمية في هذا الزمان الذي أصبح يحارب فيه الإسلام باسم الإسلام وينشر الفساد باسم وثوب الحق وفي ذلك يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني -حفظه الله- في "أسباب تأخر التمكين": (أما الفساد الثاني: وهو الأعظم كذلك، وهو أن يتم حصول الشر والفساد في

الأرض باسـم الدين، وهذا فسـادٌ عظيم، أن يقع فسـادٌ في الأرض باسـم رب العزة والجلال.

فإذا مُنَّ على جماعةٍ بالتمكين، وهي لا تسـتحق هذا التمكين، من جهة العلم والإدراك، لا من جهة القدرة؛ فإن الله إذا مكن أعطى القدرة، ولا يمكن أن يكون تمكينٌ بغير قدرة. ولكن أتكلم على جهة العلم، إذا أعطى ربنا –سبحانه وتعالى–، منةً لأمةٍ من الأمم؛ فمكن لها في الأرض، وأعطاها الغلبة والفوز والسؤدد باسمه، ثم بعد ذلك ستمارس هذه الجماعة أعمالًا في الخلق، يبرزها هذا التمكين وهذه المنة؛ فماذا سيكون من هؤلاء الجهلة؟ ماذا سيقع منهم في أولئك الضعفاء، الذين غلبوا على رقابهم؟

لن يكون إلا الفساد، وهذا الفساد شره مضاعف؛ لأنه يكون واقعًا باسم الله، وواقعًا باسـم الإسـلام، ووقوع الشـر باسـم الإسـلام أعظم ما يكون حاجبًا، عن أن يرى الناس دين الله على حقيقته.)

من هنا وجدنا الإمام المجدد أسامة بن لادن يذكر هذه القاعدة في توجيهاته وكلماته فقال –رحمه الله– في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وعليه؛ فإنَّ أول خطوة للخروج من هذا التيه هي بالرجوع إلى الله تعالى، نسـتغفره ونتوب إليه من المعاصـي توبةً نصوحًا، ونهتدي بقرآنه العظيم وسنَّة نبيِّه الكريم عليه الصلاة والسلام.

كما ينبغي علينا أن نبحث عن الأسباب الرئيسة التي أدَّت إلى انحراف المسيرة عن الصراط المستقيم من الداخل، وعن القوة الفاعلة في هذا الانحراف، فإنَّنا وبدون عناء

سـنجد أنَّ أبرزهم: الأمراء، وعلماء وخطباء السـوء، والراكنون إلى الذين ظلموا من قيادات العمل الإسلامي، وإعلاميو الدولة ومن سار على أثرهم.

والحقيقة المرَّة هي: أنَّ الأمراء قد تمكَّنوا من إغواء وإغراء كثيرٍ من أفراد هذه الشرائح، ثم قاموا بتكميم أفواه من أبى منهم -إلا من رحم الله-.

وحيث إنَّ من هدي القرآن والسـنَّة الصـدق والتمايز بين الحقِّ والباطل، لكي لا يلتبس على الناس الحقُّ فيضلوا عن الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.

ولإزالة اللبس يجب تسمية الأمور بأسمائها الحقيقية، والتعبير عنها بألفاظها الشرعية، ولا سيَّما عندما نتحدَّث عن هذه القوى المؤثِّرة في مسيرة الأمَّة، حتى يتسنَّى لنا أن نأخذ التصور الصحيح عنهم وعن أفعالهم، ليسهل علينا معرفة التعامل معهم، حيث إنَّ الحكم على الشـيء فرعٌ عن تصـوره، لذا فإنَّ اللفظ الشـرعي في وصـف الحاكمِ الذي يحكم بغيرِ ما أنزل الله ويسـير على غير هدى الله سـبحانه وتعالى، أو يناصـر الكفار تحت أي مسـمَّى، كتقديم التسـهيلات العسـكرية أو تنفيذًا لقرارات الأمم المتحدة ضدَّ الإسلام والمسلمين؛ فهذا كافرٌ مرتد.

كما وإنَّ هذه القوى المؤيِّدة للطغاة عن علم وبغير إكراه؛ لها نصـيب من هذا الظلم الذي يُرتكب كلٌّ بحسَـبه، إلا أنَّني أهيبُ بأبناء العمل الإسـلامي أن يعزلوا قياداتهم التي ركنت إلى الذين ظلموا، وينصِّـبوا قيادات قوية أمينة تقوم بواجبها في هذه الظروف العصيبة، للدفاع عن الأمَّة الإسلامية.)

وقال -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (لذا ورغم مصيبتنا الكبيرة في حكام المنطقة العملاء إلا أنَّ مصيبتنا في كثير من قيادات العمل الإسلامي أكبر، فهم يُصرُّون على وصف هؤلاء الطواغيت بأنَّهم ولاة أمر، فبعض الناس يظنون أنَّهم -أي قيادات العمل الإسلامي- سفينة النجاة وهم في الحقيقة سفينة الغرق، وأحد أوجه النظام ولكن باسم الدين كذبًا وزورًا، فينبغي على الصادقين في هذه الجماعات تخليص العمل الإسلامي منهم.

ثم بعد هذه الفضائح الكبيرة الموَثَّقة أشارت أمريكا على الملك فهد باستقبال الملك حسين، فاستقبله وتناسى الماضي، ثم لما مات حضر أمراء آل سعود جنازته مع الوفد الإسرائيلي والأمريكي وغيرهم ثم أمر بإقامة صلاة الغائب عليه في الحرم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، نوالي من والى الله تعالى ورسولَه عليه الصلاة والسلام، ونعادي من عادى الله تعالى ورسولَه عليه الصلاة والسلام، ولكنَّ المنافقين عبيد الدرهم والدينار يَتَّبعون الملكَ حقًّا فعلَ أم باطلاً، يوالون من والى، ويعادون من عادى، فهل يبقى الإنسان إنسانًا سويًّا وهو يغيِّر عقله بهذه الطريقة المهينة الجارحة؟! أم أنَّ المفروض أن يتخلَّى المسلم عن دينه ويدوس على عقله، ليصبح مواطنًا صالحًا!!

وقِس على ذلك عبد الناصر، والسادات، والقذافي، وصدام. فعبد الناصر كان قد دخل معهم في خصومة فَكَفَّروه من على منبر الحرم المكي -وهو كذلك- ثم لما اصطلح معهم أصبح مسلمًا!

وكذا الحال مع القذافي خلال ثلاثة عقود إذا شتمهم فهو كافر! وإذا اصطلح معهم ذلك الزنديق أصبح مسلمًا ويدخلونه الكعبة المشرفة!

وهذا السادات عندما وقَّع مبادرة الاستسلام مع اليهود اتَّهمه حكام الرياض وبقية الدول العربية بالخيانة والعمالة -فهو كذلك- وامتلأت صحفهم بذمِّه وشتمه، ثم لما قام الأمير عبد الله بنفس الخيانة والعمالة في مبادرة بيروت مدحه المنافقون وأيَّدوه! فعلماء السوء وأصحاب الأقلام المأجورة يدورون مع الحاكم حيثما دار، ويتردَّون معه حيثما تردَّى من أجل المال، ثم يدَّعون العلم والمعرفة والهدى والرشاد!

إذن فممَّا سبق يتَّضح أنَّ الحاكم له دين آخر، وإنَّما هو يتاجر بدين الإسلام ويخادع الناس به، وبعد أن ظهر ما ظهر من كون حكام المنطقة عمومًا وحكام الرياض خصوصًا عملاء مرتدين فضلاً عن صفات السوء الأخرى، وظهر أنَّ الخلاف خلافٌ بين منهجين، ونزاعٌ عميقٌ بين عقيدتين؛ نزاعٌ:

- بين المنهج الرباني المتكامل الذي أسلم الأمر كله لله تعالى في جميع شؤونه، منهج: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾، منهج: لا إله إلا الله محمد رسول الله بكل دلالاتها ومقتضياتها.

- وبين المنهج العلماني الصارخ، منهج الذين ﴿**يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُون**﴾، منهج الذين يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من

دون الله، منهج الذين قال الله فيهم: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**﴾.)

وقال -رحمه الله- في بيان "تأييد فتوى علماء أفغانستان بإخراج القوات الأمريكية من أرض الحرمين": (فلا زال تجاوب الأُمَّة الإسلامية، مع قضية غزو القوات الأمريكية لبلاد الحرمين، يتفاعل ويزداد ويتعمَّق ويتجذر، ويتسع وينتشر. كان من آخر مظاهر هذا التفاعل تلك الفتوى عظيمة الشأن الصادرة من اتحاد علماء أفغانستان؛ بوجوب إخراج القوات الأمريكية، من جزيرة العرب وبلاد الحرمين، مُبَيّنين فيها بالأدلة الشرعية القاطعة، عدم جواز دخول هذه القوات إلى هذه البلاد، ووجوب إخراجها منها، وأن هذا الإخراج مسؤولية الأُمَّة الإسلامية جمعاء، وليس مسؤوليةً خاصة بأهل الجزيرة العربية وبلاد الحرمين، ومعلنين الجهاد ضد الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين.

وهذه الفتوى من علماء أفغانستان، بوجوب إخراج القوات الامريكية من بلاد الحرمين، هي الفتوى نفسها التي أفتى بها العلماء وطلاب العلم الصادقون، من أبناء بلاد الحرمين، عند دخول هذه القوات قبل ثمانِ سنوات؛ وفي مقدمة من أفتى بهذا آنذاك المشايخ؛ الشيخ سلمان العودة، والشيخ سفر الحوالي، وإخوانهم ممن صدعوا بالحق يوم تكلم غيرهم بالباطل، وآثروا ما عند الله، حين مال غيرهم إلى ما عند الناس؛ فدفعوا بطيب خاطر ثمن صدعهم بالحق، فزج بهم النظام السعودي في غياهب السجون؛ عملًا منه على طمس الحق، وتغييب الحقائق عن الأُمَّة؛ واستخرج في المقابل، وتحت عوامل التدليس والتلبيس، والترغيب والترهيب، فتوى

من بعض حاشيته الدينية؛ تلحق الشرعية باستدعائه لتلك القوات، تحت ذريعة الاستعانة بالمشركين، وهي ذريعة كشفت الأحداث اللاحقة بُطلانها؛ حيث تبين للجميع صدق ما كان يدعوا إليه المشايخ المعتقلون، من أن هذه القوات، هي قوات احتلال سافر، ليس أكثر من ذلك ولا أقل.

غير أن الله -عز وجل- أبى إلا أن يفضح تآمر النظام السعودي، ومن حوله من المتآمرين، ويُظهر الحق ولو كره الكافرون.

فقد قيض الله لبيان الحق في هذا الأمر والقيام به، أضعاف من ألقى بهم النظام السعودي في السجون؛ ولا زالت دائرة اهتمام الأمة المسلمة بهذا الموضوع، تتسع يوماً بعد يوم، داخل الجزيرة العربية وخارجها.)

تصحيح المفاهيم الشرعية
في فكر وحياة الأمة

ويتفرع عن حديثنا عن حرب المصطلحات في دعوة الإمام المجدد -رحمه الله- الحديث عن جهوده ودعوته لتصحيح المفاهيم الشرعية في فكر وحياة الأمة.. فتصحيح المفاهيم من ركائز الوعي السليم الذي يقود إلى إدراك حقيقة الصراع والوصول إلى سدة التمكين بإذن الله يقول سيد قطب -رحمه الله- في "في ظلال القرآن": (والإسلام يتجنب الكلمات الشائعة في دعوته وبيان منهجه العملي -شأن غيره من الدعوات الفكرية والمناهج الانقلابية- بل يؤثر لذلك لغة من المصطلحات خاصة، لئلا يقع الالتباس بين دعوته وما إليها من الأفكار والتصورات، وبين الأفكار والتصورات الشائعة الرائجة. "فالجهاد" أيضا من الكلمات التي اصطلح عليها الإسلام لأداء مهمته وتبيين تفاصيل دعوته. فأنت ترى أن الإسلام قد تجنب لفظة "الحرب" وغيرها من الكلمات التي تؤدي معنى القتال في اللغة العربية، واستبدل بها كلمة في اللغة الانجليزية. غير أن لفظة "الجهاد" أبلغ منها تأثيرا، وأكثر منها إحاطة بالمعنى المقصود. فما الذي أفضى بالإسلام إلى أن يختار هذه الكلمة الجديدة، صارفا بوجهه عن الكلمات القديمة الرائجة؟ الذي أراه وأجزم به أنه ليس لذلك إلا سبب واحد: وهو أن لفظة "الحرب"كانت ولا تزال تطلق على القتال الذي يشب لهيبه وتستعر ناره بين الرجال والأحزاب والشعوب لمآرب شخصية وأغراض ذاتية.)

وأما الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- فقد كانت الوصية في تصحيح المفاهيم وبناء الوعي السليم من آخر النصائح التي وجهها إلى أمة الإسلام فقال في كلمته الأخيرة "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة": (أُمّتِي المسلِمَة، لَقَد شَهِدْتِ قَبلَ بِضعَةِ عُقُودِ ثَورَاتٍ عَدِيدَة، فَرِحَ النّاسُ بِهَا ثُمّ مَا لَبِثُوا أَن ذَاقُوا وَيلَاتها، فَالسّبِيلُ لِحِفظِ الأُمَّةِ وَثَورَاتِها اليَومَ مِنَ الضّلَالِ وَالظُّلمِ هُوَ بِالاِنطِلَاقِ فِي ثَورَةِ الوَعيِ وَتَصحِيح المفَاهِيمِ فِي شَتّى المجَالَاتِ وَلَا سِيّمَا الأَسَاسِيّةِ، وَأَهَمّهَا رُكنُ الإِسلَامِ الأَوّل، وَمِن خَيرِ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ كِتَابُ: "مَفَاهِيمُ يَنبَغِي أَن تُصَحَّح" لِلشَيخِ: "مُحَمّد قُطب".

فَضَعفُ الوَعيِ عِندَ كَثِيرٍ مِن أَبنَاءِ الأُمّةِ النَاتِجُ عَن الثّقَافَةِ الخَاطِئَةِ الّتِي يَبُثّهَا الحُكّامُ مُنذُ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ هُوَ المصِيبَةُ الكُبرى، وَمَا مَصَائِبُ الأُمّةِ الأُخرَى إِلّا ثَمَرَةٌ مِن ثَمَرَاتِهَا المرّة، فَثَقَافَةُ الذُّلِّ وَالهَوَانِ وَالخُنُوع، وَتَكرِيسِ الطَّاعَةِ المطلَقَةِ لِلحُكّامِ -وَتِلكَ عِبَادَةٌ لَهُم مِن دُونِ الله- وَالتّنَازُل عَن أَهَمّ الحُقُوقِ الدِّينِيّةِ وَالدّنيَوِيّةِ لَهُم، وَجَعلِ القِيَمِ وَالمبَادِئ وَالأَشخَاصِ تَدُورُ فِي فَلَكِهِم، فَتُفقِدُ الإِنسَانَ إِنسَانِيّته، وَتَجعَلهُ يركضُ وَرَاءَ الحَاكِمِ وَإِرَادَتِه، دُونَ إِدرَاكٍ أَو تَبَصّر فيُصبِح إِمّعَة؛ إِن أَحسَنَ النّاسُ أَحسَن، وَإِن أَسَاؤُوا أَسَاء، مِمّا يَجعَلهُ كَسِلعَةٍ مِن سَقطِ المتَاع، يَفعَلُ بِهَا الحَاكِمُ مَا يَشَاء، وَهَؤُلاءِ هُم ضَحَايَا الظّلمِ وَالاِستِبدَادِ فِي بِلَادِنَا، الّذِينَ أَخرَجَهُم الحُكّامُ لِيَهتِفُوا بِاسمِهِم، وَيَقِفُوا فِي خَندَقِهِم، وَقَد سَعَى الحُكامُ لِيَتَخَلّى النَّاسُ عَن أَهَمّ حُقُوقِهم الّتِي آتَاهُم اللهُ إِيّاهَا، فَعَطّلُوا عُقُولَ الأُمّةِ، وَهَمّشُوا دَورَهَا فِي الشّؤُونِ العَامّةِ المهِمّةِ عَبرَ تَضَافُرِ جُهُودِ مُؤَسّسَاتِ الدّولَةِ الدّينِيّةِ وّالإِعلاَمِيّةِ لِإِصبَاغِ الشَّرعِيّةِ عَلَيهِم، فَسَحَرُوا

أَعيُنَ النَّاسِ وإِرَادَاتِهِم وَعُقُولَهُم، وَرَوّجُوا لِصَنَمِيّةِ الحَاكِمِ، وَأَسّسُوا لَهَا زُورًا وَبُهْتَانًا بِاسمِ الدّين، وَكَذَلِكَ بِاسمِ الوَطَن، لِيَحتَرِمَهَا النّاسُ وَلِيَغرِسُوهَا فِي النّفُوس، لِيُقَدِّسهَا الكِبَارُ، وَلَم يَسلَم مِنهَا الصِّغَارُ، الّذِينَ هُم أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا، وَقَد وُلِدُوا عَلَى الفِطرَةِ فَاغتَالُوا فِطرَتَهُم بِلَا ضَمِيرٍ وَلَا رَحمَة، فَهَرِمَ عَلَى ذَلِكَ الكَبِيرُ، وَشَبّ عَلِيهِ الصّغِيرُ، فَازدَادَ الطُّغَاةُ طُغيَانًا، وَالمستَضعَفون استِضعَافًا، فَمَاذَا تَنتَظِرُون؟!)

وقال -رحمه الله- في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (كما أضع بين يدي العلماء والدعاة بعض المقترحات في هذا المجال، راجياً بذل الجهود لاستكمال الأمر وتطويره، ومن أهم هذه المقترحات:

أولاً: القيام بعمل القوائم المتضمنة للعلماء والدعاة والمفكرين والكتاب الصادقين المناصحين لأمتهم، مع أبرز مؤلفاتهم، والعمل على نشرها بين عامة الأمة، ولا يمنع من ذلك وجود بعض الزلل غير المتعمد، فتتم الملاحظة عليه والنصح فيه، وإلا فلن يبقى لنا عالم فضلاً عمن دونه، فينبغي العمل على إبراز القيادات الصادقة الملتزمة بمنهج الإسلام.

ثانياً: تصحيح المفاهيم الشرعية في فكر وحياة الأمة.

ومن الكتب المفيدة في ذلك كتاب "فتح المجيد" للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وهو كتاب مهم جداً لمعرفة التوحيد والتحذير من الشرك ومنه شرك القبور وشرك القصور، وكتابا الشيخ محمد قطب "مفاهيم ينبغي أن تصحح" و "هل نحن

مسـلمون"، وكتاب "التبيان في كفر من أعان الأمريكان" للشـيخ المجاهد ناصـر بن حمد الفهد فك الله أسره من سجون الرياض.

وهناك كتاب خامس مفيد، في تقييم جميع الأنظمة في العالم الإسـلامي، وإن كان عنوانه خاصاً "النظام السعودي في ميزان الإسلام"، وكثير من الكتب المفيدة يتيسر قراءتها على شبكة المعلومات كموقع التوحيد والجهاد.....)

الحرب والمقاطعة الاقتصادية

وإن من أهم أبواب الصراع بين الحق والباطل على مر العصور وفي هذا الزمان خاصة "المقاطعة والحرب الاقتصـــادية" قال الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله- كما جاء في "الذخائر": (وعلى كل حال فالقاعدة في الميدان التجاري عند الفقهاء: "يمنع تصدير أو استيراد أي شيء فيه تقوية للكفار"، "يسمح بتصدير أو استيراد كل شيء فيه تقوية للمسلمين".

فتصدير السلاح مثلا حرام إلى بلاد الكفار، وكذلك البترول الذي تدار به مصانع السلاح، وكل آلات الحرب. حتى منع الفقهاء تصدير الديباج والحرير لأنه تصنع منه آليات الحرب، ويمنع تصـــدير الحديد الذي يصـــنع منه الســـلاح، فقد جاء في الفتاوى الهندية: (ولا يباع كل ما هو أصل في الحرب). وفي العصر لحديث يمنع بيع النحاس والكوبالت والراديوم واليورانيوم (إذ منهما تصـــنع القنابل الذرية). وقد قال الإمام مالك في المدونة: (أما كل ما هو قوة على أهل الإســـلام مما يتقوون به في حروبهم من كراع وســـلاح أو -خرثي- أو متاع أو شـــيء مما يعلم أنه قوة في الحرب من نحاس أو غيره فإنهم لا يباعون ذلك.))

وقال الدكتور الظواهري -رحمه الله حيا وميتا-: (إن مواجهة هذه الحوادث ليس بالمظاهرات ولا بحرق الســـفارات فقط ثم نعود لبيوتنا لنمارس حياتنا كما اعتدنا. ليس هذا هو القيام بحق النبي ﷺ الذي قال الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه الكريم: **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾**.

وقال عنه سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ**﴾.

ولكن مواجهة هذه الإهانات تتطلب منا قومة صادقة من الأمة لتتصدى للحملة الصليبية على الإسلام باليد واللسان والبيان والسنان. تتطلب منا أن نسأل أنفسنا سؤالًا خطيرًا:

هل نحن مستعدون للتضحية بأنفسنا وما نملك في سبيل الله؟ أم أننا أحرص على متاع الدنيا من حرصنا على انتصار الإسلام؟

إذا كنا مستعدين للتضحية بأنفسنا وما نملك في سبيل الله فعلينا بالسعي الجاد في صد هذه الحملة الصليبية المجرمة التي تستهدف عقيدتنا وحرماتنا وأرضنا وثرواتنا، علينا حينئذٍ أن نعمل على أربع جبهات مترابطة.

الجبهة الأولى: جبهة إنزال الخسائر بالغرب الصليبي وخاصة في كيانه الاقتصادي بضربات يظل ينزف منها لسنين وضربات نيويورك ومدريد وواشنطن ولندن خير مثال على ذلك.

وفي هذا الصدد علينا أن نحرم الغرب الصليبي من سرقة بترول المسلمين الذي يُستنزف في أكبر سرقة عرفها التاريخ البشري. ويجب علينا أيضًا أن نمارس المقاطعة الاقتصادية الشعبية ضد الدانمارك والنرويج وفرنسا وألمانيا وضد كل الدول التي

شاركت في هذا التهجم الدنيء، بل وضد كل الدول التي شاركت في الحملة الصليبية على الإسلام والمسلمين.

أما الجبهة الثانية: فهي جبهة طرد العدو الصليبي الصهيوني من بلاد الإسلام وخاصة من العراق وأفغانستان وفلسطين. يجب أن تدفع القوات الغازية لديار الإسلام ثمنًا باهظًا لهذا الغزو ويجب أن تخرج منهزمة من ديارنا بعد أن تنهار اقتصادياتها لنقيم على أرضنا دولة الخلافة المسلمة بإذن الله...........)

وقد شارك الإمام المجدد أمته المسلمة وإخوانه الصادقين في هذا الباب من أبواب الصراع بين الحق والباطل بصورة واضحة جلية واهتم به غاية الأهمية وحرض الأمة على المشاركة به فإنه أمر ميسور للجميع عظيم الأثر في الصراع بين الحق والباطل في هذا الزمان الذي يعتمد اعتمادا كبيرا على المقاطعة الاقتصادية فقال –رحمه الله– في محاضرة "واجبنا تجاه فلسطين": (وأما الجانب الآخر: وهو سهلٌ ميسور علينا في هذه البلاد، سهل على الرجال وعلى النساء وسهل على الأطفال أيضًا، وهو مثل الذي فعله أبو بصير –رضي الله عنه– فهؤلاء لا يفهمون إلا إذا ضربنا اقتصادهم فالمطلوب هو شن الحرب الاقتصادية على أمريكا ومقاطعتها كما يُهددون المسلمين اليوم بقطع المساعدات الاقتصادية، يهددون باكستان إن لم تتخل عن المجاهدين بقطع المساعدات الاقتصادية.....)

وقال –رحمه الله– في "إعلان الجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين – أخرجوا المشركين من جزيرة العرب": (إلى المسلمين عامَّة وفي جزيرة العرب خاصَّة نذكِّرهم بالآتي:

إنَّ الأموال التي تدفعها ثمنًا للبضائع الأمريكية تتحوَّل إلى رصاصات في صدور إخواننا في فلسطين وبلاد الحرمين وغيرها، وإنَّنا بشراء بضائعهم نقوِّي اقتصادهم، بينما نزداد نحن فقرًا وضعفًا.

أخي المسلم في بلاد الحرمين؛ هل يُعقل أن تكون بلادنا أكبر مُشترٍ للسلاح في العالم من أمريكا، كما أنَّها أكبر شريك تجاري للأمريكان في المنطقة، الذين يحتلون بلاد الحرمين، ويساندون بالمال والسلاح والرجال إخوانهم اليهود في احتلال فلسطين، وقتل وتشريد المسلمين هناك، وإنَّ حرمان هؤلاء المحتلين من العوائد الضخمة لتجارتهم معنا إنَّما هو مساعدة هامة جدًّا في الجهاد ضدهم، وهو تعبيرٌ معنويٌّ هامٌّ في إظهار غضبنا عليهم وكرهنا لهم، ونكون بذلك قد ساهمنا في تطهير مقدساتنا من اليهود والنصارى، وأرغمناهم على مغادرة أراضينا مهزومين، مدحورين، مخذولين بإذن الله تعالى.

وننتظر من النساء في بلاد الحرمين وغيرها أن يقمن بدورهنَّ في ذلك بالزهد في الدنيا ومقاطعة البضائع الأمريكية.

وإذا تضافرت المقاطعة الاقتصادية مع الضربات العسكرية للمجاهدين، فإنَّ هزيمة العدو تكون قريبةً بإذن الله، والعكس صحيح؛ فإذا لم يتعاون المسلمون مع إخوانهم المجاهدين ويشدُّوا من أزرهم بقطع التعامل الاقتصادي مع العدو الأمريكي، فإنَّهم بذلك يدفعون إليه بالأموال التي هي عماد الحرب وحياة الجيوش، وبذلك يطول أمد الحرب، وتشتدُّ الوطأة على المسلمين.

وإنَّ كل أجهزة الأمن والاستخبارات في العالم لا يمكنها أن تُرغم مواطنًا على شراء بضائع أعدائه، فالمقاطعة الاقتصادية لبضائع العدو الأمريكي هي سلاح فعَّال للغاية لإضعاف العدو والإضرار به، ومع ذلك فهو سلاح لا يقع تحت طائلة أجهزة القمع.)

وجاء في "مقابلة تيسير علوني": (تيسير علوني: طيب يا شيخ أنا أرى أن إجاباتكم تقودنا دوما إلى الحديث عن فلسطين والقضية الفلسطينية فدعنا نقود السؤال: بياناتكم الأخيرة، أو بالتحديد أو بيان صدر منذ سنوات يدعو إلى قتال اليهود والصليبيين وكان، نحن نذكر طبعا أن عنوان كان موجودا عليه بين قوسين جملة من الحديث الشريف "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" وكان تركيزكم على إخراج الأمريكيين من جزيرة العرب، لكن بدأنا نرى في الآونة الأخيرة تبديلا في أولوياتكم، وضعتم قضية فلسطين أو ما تسموها أنتم "قضية الأقصى" في المقدمة وأعدتم قضية الحرمين إلى المقام الثاني، إن صح التعبير فما تعليقكم على ذلك؟

الشيخ أسامة بن لادن: أقول لا شك أن الجهاد فرض عين لتحرير الأقصى ولإنقاذ المستضعفين في فلسطين وفي لبنان وفي العراق وفي جميع بلاد الإسلام، ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين أيضا هو كذلك فرض عين، لكن في مسألة تقديم أو بعض الكلام أنه يقال أن أسامة الآن وضع قضية فلسطين، فهذا غير صحيح، فللعبد الفقير محاضرات ١٤٠٧ هجرية تحث المسلمين على المقاطعة الاقتصادية ضد البضائع الأمريكية وكنت أقول إن أموالنا يأخذها الأمريكان ويعطوها لليهود فقتلوا فيها أخواتنا في فلسطين فهذا فرض عين، وهذا فرض عين، وفروض عيان كثيرة في

الجهاد ككشـــمير وغيرها. وفي الجبهة التي أنشـــأت قبل بضـــع ســـنين كان عنوانها -مسمى الجبة- الجبهة الإسلامية ضد اليهود والصليبيين، وذكرنا لهذين الحدثين أو لهاتين القضـــيتين من باب الأهمية، فأحيانا قد تتوفر مقومات في إحدى القضـــيتين تدفع بها أكثر من غيرها فنتحرك بهذا الاتجاه دون إهمال للاتجاه الآخر.)

وقال -رحمه الله- في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شـــهور مِن الضـــربات المباركة": (وطريقة أخرى ضـــرب القاعدة الاقتصـــادية التي هي أســـاس للقاعدة العسكرية فإذا انتهى اقتصادهم شغلوا بأنفسهم عن استعباد الشعوب المستضعفة فأقول من المهم جدا التركيز على ضرب الاقتصاد الأميركي بكل وسيلة ممكنة.....)

وقال -رحمه الله- في "واجبنا تجاه فلسطين": (نعم.. قَتَلَ أبو بصير -رضي الله عنه- هذا الذي جاء يريد أن يفتنه في دينه وذهب حتى نزل إلى العيص، هنا على ساحل البحر الأحمر بين جدة وينبع، أبى أن يرجع إلى الكفار وأعلن الجهاد في ذلك اليوم فتســـامع به المســـتضـــعفون في مكة فبدؤوا واحدًا تلو الآخر يلتحقون بأبي بصـــير -رضي الله عنه- حتى شكلوا رهطًا.

وهل يقعدون؟ كلا، هل يبررون للقعود ما حصـــل لهم وقلة إمكانياتهم وضـــعفهم؟ كلا وألف كلا، وما قال -رضـــي الله عنه- ماذا أفعل تجاه الكفر وأنا رجلٌ واحد كما يقول اليوم كثير من الناس؛ ماذا نفعل تجاه الكفر، ونحن أمم، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فصدِّقوا ما دعائمُ وجود اليهود والنصارى إلا تبريراتنا للقعود عن الجهاد في سبيل الله.

وبعد أن أصبحوا رهطًا بدأ -رضي الله عنه- يشن الغارات على تجارة قريش وعلى اقتصاد قريش حتى أرهقهم وأدخل الرعب في قلوبهم، وهذه الجاهلية المتغطرسة التي أبت أن تسمح لهذا المؤمن أن يفر بدينه وأصرت على تلك العهود، تحت الضربات الاقتصادية ذهبت راغمة ذليلة تستنجد برسول الله ﷺ أن يلغي ذلك الشرط ويأخذ أبو بصير -رضي الله عنه- ومن معه من الصحابة ضمن الهدنة حتى لا يقتلوا المشركين.)

الحرب النفسية

إن الحرب النفسية وبث روح الجهاد والتضحية والعطاء ونصرة الدين في نفوس المسلمين وبث روح الرعب الرهبة والخوف والهزيمة في قلوب الأعداء من أهم أدوات النزال ومقارعة الأعداء عند أئمة الجهاد والدعاة الربانيين كما هو منهج القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وسيرة السلف الأولين فقد قال الله تعالى: ﴿**لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ [الحشر: ١٣].

قال الإمام ابن عاشور -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (لَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِ وَهْنِ الْمُنَافِقِينَ فِي الْقِتَالِ تَشْدِيدَ نفس النبيء ﷺ وَأَنْفُسِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى لَا يَرْهَبُوهُمْ وَلَا يَخْشَوْا مُسَانَدَتَهُمْ لِأَهْلِ حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ أَحْلَافِ الْمُنَافِقِينَ قُرَيْظَةَ وَخَيْبَرَ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِإِعْلَامِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْلَافَهُمْ يَخْشَوْنَ الْمُسْلِمِينَ خشيَةَ شَدِيدَة وصف شِدَّتُهَا بِأَنَّهَا أَشَدُّ مِنْ خَشْيَتِهِمُ اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّ خَشْيَةَ جَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ أَعْظَمُ خَشْيَةً فَإِذَا بَلَغَتِ الْخَشْيَةُ فِي قَلْبِ أَحَدٍ أَنْ تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَذَلِكَ مُنْتَهَى الْخَشْيَةِ.

وَالْمَقْصُودُ تَشْدِيدُ نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ عَدُوَّهُمْ مُرْهَبٌ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ الْمُسْلِمِينَ إِقْدَامًا فِي مُحَارَبَتِهِمْ إِذْ لَيْسَ سِيَاقُ الْكَلَامِ لِلتَّسْجِيلِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ قِلَّةَ رَهْبَتِهِمْ لِلَّهِ بَلْ إِعْلَامَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُمْ أَرْهَبُ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَعْظَمِ الرَّهَبَاتِ.)

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل

من أمتي أدركته الصـــلاة فليصـــل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة».

وقد رأينا الإمام المجدد -رحمه الله- يركز على هذا الباب من أبواب الحرب في توجيهاته ودعوته كثيرا لما له من أثر كبير في ســـير المعركة بين الحق والباطل فقال -رحمه الله-: (وفي هذا الحديث تنبيه أيضـاً إلى أن حسـم الصـراع مع الاعداء إنما يكون بالقتل والقتال، لا بتعطيل طاقات الأمة لعشـرات السـنين عبر طرق أخرى كخدعة الديمقراطية وغيرها.

وبعد هذه المبشـرات أتحدث إليكم عن بعض الامور التي تسـاعدنا على الجهاد في سـبيل الله، ومنها ذكر بعض الوقائع والحروب التي انتصـر فيها المسـلمون خلال العقدين الماضـيين مما يزيد من ثقة أبناء الأمة بأنفسـهم، لما لذلك من أهمية في تعبئة الأمة لتدافع عن نفسها ضد التحالف الصليبي الصهيوني.

وفي الحقيقة؛ أن الأمة الإسلامية هي القوة البشرية العظمى إن أقامت دين الإسلام حقاً، وهذا ما أثبته التاريخ خلال القرون الماضـية، وهي قادرة على قتال ومقاومة ما يسمى بالدول الكبرى.

وقبل ذلك سأذكر حادثة ذات صلة بموضوع قتال القوى الكبرى؛ ذكر أهل السير أن المثنى الشيباني -رحمه الله- جاء إلى المدينة يطلب مدداً من الخليفة لقتال الفرس، فندب الخليفة عمر -رضـي الله عنه- الناس ثلاثة أيام فلم يخرج أحد، ففطن عمر -رضـي الله عنه- لما في نفوس الناس من عقدة قتال القوى العظمى، فأمر المثنى أن

يحدث الناس بما فتح الله عليه ضد فارس ليزيل ما بأنفسهم، فقام المثنى فتكلم ونشَّط القوم، فكان مما قال: (يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فإنا قد تبجحنا فارس وغلبناهم على خير شـــقي الســـواد وشـــاطرناهم ونلنا منهم وأجترأ من قِبلنا عليهم، ولها إن شـاء الله ما بعدها)، فتحمس الناس، وقام أبو عبيد الثقفي وعقد له الخليفة اللواء وتتابع القوم –رضي الله عنهم– [الكامل في التاريخ ٢/٤٣٢-٤٣٣].

وأنا أقول متشبهاً بأولئك الكرام:

يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه، لا يعظمنَّ عليكم وجه أميركا وجيشــها، فقد ضـربناهم والله مراراً وهزموا تكراراً، وإنهم أجبن قوم عند اللقاء، وقد تبين لنا من مدافعتنا ومقاتلتنا للعدو الأميركي أنه يعتمد في قتاله بشـــكل رئيس على الحرب النفسية نظراً لما يمتلكه من آلة دعائية ضخمة، وكذلك على القصف الجوي الكثيف إخفاءً لأبرز نقاط ضـــعفه وهو الخوف والجبن وغياب الروح القتالية عند الجندي الأميركي، ولولا ضيق المقام لحدثتكم عن ذلك، أشياء تكاد لا تصدق في قتالنا لهم في تورا بورا وشاهي كوت بأفغانستان، وأرجو الله أن ييسر وقتاً ونتحدث عن ذلك بالتفصيل.

وابتداءً أذكركم بهزيمة بعض القوى الكبرى على أيدي المجاهدين:

فأذكركم بهزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً والذي أصبح أثراً بعد عين بعد عشر سنين من القتال الضاري على أيدي أبناء الأفغان ومن ساعدهم من أبناء المسلمين بفضل الله.

وكذلك هزيمة الروس في بلاد الشيشان وضرب المجاهدون أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فحطم المجاهدون الشيشان مع إخوانهم العرب والأنصار كبرياء الروس فكبدوهم الخسائر تلو الخسائر فانسحبوا مدحورين بعد الحرب الأولى، ثم إن الروس رجعوا مرة أخرى بدعم أميركي ومازالت روسيا إلى الآن تتكبد الخسائر الفادحة من فئة قليلة مؤمنة نرجو الله أن يثبتهم وينصرهم.

كما أذكركم بهزيمة القوات الأميركية عام ١٤٠٢ للهجرة، عندما اجتاح بنو إسرائيل لبنان، فقدمت المقاومة اللبنانية شاحنة مملوءة بالمتفجرات إلى مركز القوات الأميركية –المارينز– في بيروت فقتل منهم أكثر من ٢٤٠ قتيلاً، فإلى جهنم وبئس المصير.

ثم بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا ١٣ ألفاً من أبناء المسلمين هناك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أُسْدُ الإسلام من العرب الأفغان فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض فمرَّغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحدٌ على أحد، فلله الحمد والمنَّة.

وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأميركيين في عدن، فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من ٢٤ ساعة.

ثم في عام ١٤١٥ للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسببه أربعة من الأمريكيين، وكان رسالة واضحة تبين اعتراض أبناء المنطقة على السياسة الأميركية في دعم اليهود واحتلال بلاد الحرمين.

ثم في العام الذي يليه وقع انفجار آخر في الخبر، قتل بسببه ١٩ وجرح أكثر من ٤٠٠، واضطر بعدها الأمريكيون لنقل مراكزهم الكبرى من المدن إلى قواعد في الصحراء.

ثم بعد ذلك أيضاً في عام ١٤١٨ للهجرة هدَّد المجاهدون أمريكا على الملأ بضرورة الكف عن مساعدة اليهود والخروج من بلاد الحرمين، فرفض العدو التحذير وتمكن المجاهدون بفضل الله من صفعه صفعتين عظيمتين في شرق إفريقيا.

ثم حُذِّرت أمريكا مرة أخرى ولم تستجب، فوفق الله المجاهدين في عملية استشهادية عظيمة، فدمرت المدمرة الأميركية "كول" في عدن، فكانت صفعة مدوية في وجه العسكرية الأمريكية، كما كشفت العملية عن عمالة الحكومة اليمنية كسائر دول المنطقة.

ثم إن المجاهدين لما رأوا أن عصابة الإجرام الأسود في البيت الأبيض تصور الأمر على غير حقيقته، بل يزعم زعيمهم -الأحمق المطاع- أننا نحسدهم على طريقة حياتهم، وإنما الحقيقة التي يخفيها فرعون العصر أننا نضربهم بسبب ظلمهم لنا في العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والعراق واحتلالهم لبلاد الحرمين، ولما رأى المجاهدون ذلك قرروا أن يتخطوا التعتيم وينقلوا المعركة إلى وسط أرضه وفي عقر داره.

وفي يوم الثلاثاء المبارك في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام ١٤٢٢ للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للميلاد، كان التحالف "الصهيوأمريكي" يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك حصدا، بطائرات

ودبابات أمريكية وأيدٍ يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أمريكا وعملائها، وفي المقابل كان العالم الإســـلامي يعيش في حالة من البعد الشـــديد عن إقامة الدين حقاً، وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتســـويف عند المســـلمين -إلا من رحم الله- ومن الظلم والغرور والعدوان عند التحالف "الصـهيوأمريكي"، فقد كانت بلاد "العم سـام" في غيها سـادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحاً لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها. إذ رموا بثالثة الأثافي وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شـــعث الرؤوس، مغبرو الأقدام، المطاردون في كل مكـان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هـدى، وربط على أفئدتهم وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشـــوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشـــرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في ســـويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار انهار ما هو أعظم وأضخم.

فانهارت أسـطورة أميركا العظمى، وانهارت أسـطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة الـ "سي آي إي"، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشـنطن أنها كشـفت حقيقة الصـراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضـخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصـليبيون عندما

نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأمريكي وظهر على حقيقته البشعة، واستيقظ العالم أجمع من رقاده، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوَّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله، وبدا ظاهراً للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة، يمكن أن تضرب، ويمكن أن تذل وتهان وتقهر.

ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأمريكي حقيقة القضية الفلسطينية وأن ما أصابهم في "مانهاتن" كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر؛ أن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها -بإذن الله- ستترنح وتنكمش، فتتخلى عن قيادة العالم وظلمه.

ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم أن يقيموا الحجة على الناس بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم وأن ينفعوا قضايا أمتهم أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصر أسبابٌ وللخُسر مثلها   وكل طريقٍ يورث الخلد رابحُ
دروب العلا شتى وأقصرها التي   تريق الدما في جانبيها الجَحاجحُ

وأمثال هؤلاء الفتية الأبطال في الأمة كثير -بفضـــل الله- ولكنهم مقيدون، فينبغي علينا أن نتعاون جميعاً لفك قيودهم لينطلقوا مجاهدين في ســبيل الله، لأن الجهاد هو سبيل عز هذه الأمة وأمنها.

وإن القيود والسدود التي تحول بين شباب الأمة وبين انطلاقها للجهاد كثيرة، إلا أننا ســنتحدث عن أهمها، وبين يدي ذلك أذكر حديثاً من الصــحيحين من اهتدى به سلك ومن ضل عنه هلك، قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» متفق عليه، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فهذا من أسباب هلاكنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

الحرب الإعلامية

وإن من مجالات النزال والصـــراع الكبرى بين الحق والباطل الحرب الإعلامية ببيان الحق والدعوة إليه ودفع الشبه عنه وبيان دواعي القتال والجهاد وتحريض المؤمنين على الجهاد ودفع صيال المعتدين ووجوب إقامة دين رب العالمين وتحكيم شريعته..

فإحســان اسـتخدام هذه الأداة من أدوات الصـراع من صـفات أهل الحق والطائفة المنصـورة فقد جاء في وصـفهم أنهم ظاهرون على الحق ففي الصـحيحين قال رسـول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق. لا يضـــرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»، ومن صور هذا الظهور تبليغ دعوتهم وما يحملونه من حق وعدل وإقامة الحجة على مخالفيهم بكل وسيلة مشروعة.. ومن ذلك باب الإعلام.

ومما هو معلوم في هذا الزمان زمان الفضاء المفتوح ومواقع التواصل ووسائل الإعلام.. أصـبح أثر المعركة الإعلامية أعظم الأثر في سـير مجريات الصـراع بين الحق والباطل فمن أجاد وأحسـن اسـتغلالها تقدم مراحل مهمة في طريق النصـر.. من هنا وجدنا قادة المجاهدين بصـفة عامة وقيادة تنظيم القاعدة بصـفة خاصـة وعلى رأسـهم الإمام المجدد أســامة بن لادن –رحمه الله– يهتمون بهذه الوســائل غاية الأهمية لبيان الحق والدفاع عنه في مختلف الأوقات والمناسبات..

وهذا ما وضحه وشرحه بشكل مفصل الدكتور أيمن الظواهري –رحمه الله حيا وميتا– في "فرسان تحت راية النبي": (الانتصار الإعلامي للمجاهدين:

يذكر تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر:

(على الولايات المتحدة أن تقوم بالمزيد لتتواصل برسالتها. وقد تساءل ريتشارد هولبروك وهو يشير لنجاح بن لادن في الوصول للجمهور المسلم: "كيف يمكن لرجل في كهف أن يكون أكثر تواصلاً من مجتمع اتصالات العالم المتقدم؟ ". وقد توجس لنا نائب وزير الخارجية ريتشارد أرميتاج من أن الأمريكان أصبحوا: "يصدرون مخاوفنا وغضبنا"، بدلاً من رؤيتنا الداعية إلى الفرصة والأمل.)

وقال بوش في خطابه الإذاعي الأسبوعي: (الإرهابيون يحاولون التأثير على الرأي العام الأمريكي هنا. لديهم استراتيجية دعائية متطورة لتقسيم أمريكا وكسر إرادتنا.)

وقال دونالد رامسفِلد: (إن أعداءنا قد تكيفوا بمهارة لخوض الحروب في عصرنا الإعلامي، أما نحن فلم نستطع التكيف.)

سأتناول في هذا الفرع -بمشيئة الله- الانتصار الإعلامي للمجاهدين تحت العناوين التالية:

١ - انتشار الإعلام الجهادي على شبكة المعلومات والوسائل الإعلامية التقليدية.

٢ - أثر الإعلام الجهادي على أنصاره والرأي العام.

٣ - التحرر من حصار الإعلام التقليدي.

٤ - الحرب الدعائية على الجهاد.

٥ - انكشاف زيف حرية التعبير الغربية.

١ – انتشار الإعلام الجهادي على شبكة المعلومات والوسائل الإعلامية التقليدية.

لقد صـــار النشـــاط الإعلامي لجماعة قاعدة الجهاد وســـائر الحركات الجهادية الآن أقوى وأوسع انتشاراً مما كان عليه قبل غزوات نيويورك وواشنطن وبنسلفانيا.

فبسبب الحسابات السياسية للإمارة الإسلامية في محاولة لتخفيف الضغوط عليها، بالإضافة لتهالك شبكة الاتصالات في أفغانستان كان التوزيع والحضور الإعلامي أقل بكثير، أما اليوم فالإعلام الجهادي –بفضل الله أولاً وآخراً– يصول ويجول على شـــبكة المعلومات، وتتلقف انتاجه الفضـــائيات، رغم تحويرها وتحريفها للكثير من محتوياته، ويصل لملايين المهتمين والمتعاطفين.

فقد اعترف إريك كلارك –المتحدث باســـم القيادة المركزية للقوات الأمريكية– بأن تنظيم القاعدة ينتصـــر في الحرب الإعلامية ضـــد الولايات المتحدة في إطار بالحرب على الإرهاب، إلا أن ذلك يبقى –في زعمه– انتصـــاراً مؤقتاً، وأن المعركة مستمرة، ولم تنته بعد.

وقال كلارك إن القاعدة ومناصريها يستعملون في الوقت الراهن نحو ٤ آلاف موقع إلكتروني متطرّف عبر الكرة الأرضية.

وخلص كلارك الى أن الحدّ الأدنى من المهمة الذي فعلته القاعدة –في حملة الاتصالات الإستراتيجية– هو أفضل بكثير من التنسيق القائم بين الولايات المتّحدة وقوّات التحالف، لكن "أؤكد لك أيضاً، بأنّ المعركة برمتها لم تنته بعد".

أما اللجنة التي شـــكلها مجلس الأمن لمتابعة القاعدة وطالبان فتقول في تقريرها في مايو ٢٠٠٨: (نجحت قيادة القاعدة في الحفاظ على حضـور إعلامي كبير بفضـل شبكة معقدة من الأشخاص العاملين على إنتاج موادها الدعائية وترجمتها وتوزيعها عبر شبكة الإنترنت.)

وتذكر إنجل راباســا وزملاؤها في الجزء الأول من كتابهم عن "ما بعد القاعدة"، الذي قامت به مؤسسة راند لحساب القوات الجوية الأمريكية أن فضاء الإنترنت يحوي قرابة ٤٠٠٠ موقع يدعم الجهاد، وأن القاعدة بدعايتها المتنوعة تشـن حرباً نفسية معقدة، وأنها لم تتميز فقط في استخدامها للإنترنت، ولكن أيضاً في تعدد الطرق التي تعمل بها في هذا الوسط، لتقوي تنظيمها بجعل عقيدتها واستراتيجياتها وتكتيكاتها متوفرة لأكبر عدد من المجندين المتوقعين.

وأن القاعدة تستفيد أيضاً من وسائط الإعلام الدولي، فالقنوات العربية كالجزيرة والعربية، والغربية مثل السي إن إن والبي بي سي والإيه بي سي والإم إس إن بي سي تنشر أشرطة القاعدة، وخاصة تلك التي لبن لادن، وموادها الأخرى كأشرطة فيديو التدريبات، ولذا لم يكن غريباً أن بيتر أرنت مذيع السي إن إن عندما سأل بن لادن عام ١٩٩٧ عن خططه المستقبلية، أجابه: "ستراها وتسمع عنها في الإعلام إن شاء الله".

ويذكر عبد الباري عطوان في كتابه عن القاعدة الصادر في ٢٠٠٧ أنه يوجد قرابة ٤٥٠٠ موقع إلكتروني جهادي علني يتعاطفون مع القاعدة كحركة عقائدية عالمية تضم أشخاصاً من جميع أنحاء العالم متشابهين في الأفكار والأمزجة.

ويذكر عمر العقاد أن الإف بي أي قد أحصت قرابة ٦٠٠٠ موقع على الإنترنت تدعم ما يسمى بالإرهاب.

٢ - أثر الإعلام الجهادي على أنصاره والرأي العام.

يقر بيتر بيرجن: (بأن الجهاديين أكثر فعالية منا في الجبهة الدعائية.)

وأن نشطاء القاعدة ينهضون الآن بشكل كبير على الإنترنت، الذي يعد حقاً مقرهم الجديد لتبادل المعلومات وتجنيد عناصر جديدة. مضيفاً: لا شك أن نشر الفكر المتطرف كان دائماً هدفاً مركزياً للقاعدة، ولذا فإن الإنترنت ساهم في تقديم حركة "جهادية" بشكل أوسع.

ويقول جاريت براتشمان أنه: (رغم الإمكانات الضخمة التي خصصتها الولايات المتحدة لمجابهة الإرهاب الجهادي منذ هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ إلا أن عدوها الإرهابي الرئيسي؛ القاعدة، قد تحور وصار أكثر خطورة، والقاعدة اليوم لا يمكن توصيفها بدقة على أنها منظمة أو شبكة أو شبكة لشبكات، بل -بالاستفادة من تقنية المعلومات والاتصالات الجديدة- حولت القاعدة نفسها لتصبح حركة اجتماعية عضوية، تجعل عقيدتها الضارية في متناول أي شخص معه حاسوب.)

ويكتب كريستوفر ديكي في النيوزويك:

(يتوجس بعض المحللين الأمريكان من أن أمريكا لا تحارب بقوة كافية في حرب الأفكار على الشبكة العنكبوتية.)

ويحذر سيفن أولف -وهو باحث مشارك في مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت- من "أننا قد فشلنا أن نواجه الجهاديين بجد وفكرياً وثقافياً، وكنتيجة ذلك يتقدم تأثيرهم المزعج غير مقاوَم".

أما إنجِل راباسا وزملاؤها من مؤسسة راند فيذكرون أن؛ الرسائل الأصولية قد تغلغلت في المجتمعات الإسلامية عبر العالم عن طريق الإنترنت والإعلاميات الجديدة الخارجة عن تحكم الحكومات. وأن الجهود الممولة من الولايات المتحدة كراديو سوا وتلفاز الحرة يفتقدون حصافة التعامل مع المواضيع والاهتمامات المحلية، وفي كل الأحوال لا يعملون لتطوير نوافذ الإعلام المحلي المعتدلة.

وتقول هنا روجان من مؤسسة أبحاث الدفاع النرويجية؛ أنه قد يكون من الصعب تقدير تأثير الإعلام الجهادي على مؤيدي الجهاد وعلى الرأي العام، ولكن يمكن القول أن حملة الجهاديين الإعلامية تحتل مكانة مرموقة بالنظر لغزارة انتاجها وتزايد جودتها والثناء الذي تحصل عليه من المؤيدين على الشبكة المعلوماتية بالإضافة للاهتمام المتزايد والقلق من وكالات مكافحة ما يسمى بالإرهاب.

أما ستيفن كورمان وجيل شيفلبين فيقرران أن قدرة الولايات المتحدة على مواجهة القاعدة محدودة. كما يقرران أيضاً أن مصداقية الولايات المتحدة في العالم الإسلامي كانت دائماً منخفضة، وأن تصريحات بعض مسؤوليها مثل اعتراف بوش؛ أن حربه على الإرهاب هي حملة صليبية، قد استفادت منها استراتيجية الجهاد الإعلامية، فقد استطاعوا أن يصوروا القوات الأمريكية في الخليج على أنهم صليبيون محتلون، وأن ما يقومون به هو نسخة معاصرة من الحروب الصليبية. ويضيفان أن بعض

الحوادث الأخرى مثل الإســاءة للمعتقلين في أبو غريب وجوانتانامو قد اســتدل بها الجهاديون ليبينوا أن الولايات المتحدة لا تختلف عن النظام العراقي المنهزم والأنظمة المرتدة في العالم العربي. وباستحضار أن مصداقية الولايات المتحدة كانت منخفضة قبل الحرب على ما يسمى بالإرهاب، فإنها الآن ضئيلة أو منعدمة. وهذا يؤثر سلباً على التخطيط لأية استراتيجية لمواجهة الجهاديين في حرب الأفكار.

وتقول إنجل راباســا وزملاؤها: (إن الذي جعل دعاية القاعدة مميزة هو النزعة العالمية -التي لا تكل- في التوزيع وجودة إنتاجها. وكنتيجة لهذه الاستراتيجية الإعلامية فإن رسائل القاعدة قد تخللت بعمق في المجتمعات الإسلامية حول العالم، وتفترس أولئك المسلمين الذين يحسون بالعجز في كل من العالم العربي والمهاجر في الغرب.)

ويضيفون أيضاً بأن القاعدة قد أتقنت استخدام تقنية المعلومات، وخاصة الإنترنت كأداة إرهابية، واستخدمت الإعلام الجماهيري لنشر دعايتها.

ويذكرون أن القيمة الرمزية للشـيخ أسـامة بن لادن وسـط الأصـوليين الإسـلاميين كخصـم لدود للولايات المتحدة بالإضـافة لزعامته للجهاد العالمي ضـد ها لهما قوة تحريضـية ضـخمة وسـط قطاعات معينة من المسـلمين، وأن الأفكار التي يروج لها الشيخ أسامة بن لادن والظواهري -والتي يتردد صداها في دوائر ما يسمى بالمتطرفين في العالم الإســلامي- قد لعبت الدور الأكبر في دعم اســتمرار حملة الجهاد العالمي وتحويلها لتمرد دولي حقيقي.

وأن دعايات القاعدة تتجاوب أصداؤها وسط ملايين المسلمين عبر العالم الإسلامي، الذين يبحثون عن تفسير مقنع لمعاناتهم ومعاناة إخوانهم في العقيدة وعن استراتيجية للتغيير الشخصي والسياسي.

وأن أكثر الدول تقدماً فقط هي التي تستطيع أن تجاري القاعدة في نشر دعايتها المتقدمة عبر العالم بسرعة.

وأن عدم اقتصار القاعدة على أسلوب واحد في إبلاغ رسالتها مكنها من الوصول لجماهير أوسع، وجعلها تتخطى حواجز التقنية والقراءة.

وأن القاعدة -قبل كل شيء- هي المجموعة الإرهابية -في زعمهم- التي برزت بإحداثها انقلاباً في عملياتها باستخدامها الناجح لتقنية المعلومات.

وأن استمرار دعاية القاعدة خلال التسع سنوات الماضية يرجح أنها تؤثر في جمهورها بالطريقة التي يراها زعماؤها مفيدة.

وأن القاعدة قد أثرت بنجاح على الصحافيين الأجانب أيضاً، الذين يعتمدون على مواقع القاعدة كمصادر جادة لتقاريرهم، وبهذا أثرت القاعدة على مفاهيم الإعلام فيما يتعلق بنواياها وقدراتها مساراتها.

ويضيف التقرير أنه يبدو أن دعاية القاعدة أيضاً تمارس الحرب النفسية ضد أعدائها وخاصة الولايات المتحدة، فتهديدات القاعدة منذ ١١ سبتمبر تلاقي اهتماماً فورياً

من الإعلام العالمي، وقد رفعت هذه التصريحات أحياناً مستويات التأهب ضد ما يسمى بالإرهاب، كما أنها ترسل موجات متتابعة من الرعب إلى الجمهور الأمريكي.

وبهذا فإن دعاية القاعدة تبدو وقد حققت أهدافها: تحريض أتباعها، وتغيير الرأي العام، والتأثير في الإعلام العالمي، وبث الرعب في الإعداء.

وكما يرى القارئ فإنها شهادة الخصم اللدود في خصمه.

وشمائلٌ شَهِدَ العدوُّ بفَضْلِها　　والفضلُ ما شَهِدَتْ به الأعداءُ

يقول عبد الباري عطوان: (الشيخ بن لادن ونائبه أيمن الظواهري نجحا في كسب عقول وقلوب الكثير من العرب والمسلمين المحبطين، سواءً بسبب المجازر، التي ترتكب في فلسطين والعراق، أو بسبب فساد الأنظمة الحاكمة.)

ويقول جوزيف ستيليتز وليندا بلمز عن حرب العراق: (في بداية الحرب كان هناك كثير من الحديث حول كسب قلوب وعقول أولئك الذين في الشرق الأوسط. بينما تظهر استطلاعات الرأي الحديثة -التي تعكس الرأي العام في العالم العربي- أن العكس بالضبط هو الذي حدث.)

ويقول روفين باز عن النشاط الجهادي على شبكة المعلومات وأثره على المسلمين:

(نستطيع أن نلحظ في بعض المجتمعات الإسلامية في الغرب -ولكن بالأخص في العالم العربي- دوراً متعاظماً لهذا التلقين في الرغبة في مساندة وتبرير والتطوع للحاق بالإرهابيين الجهاديين. وقد حلت هذه المواقع الجهادية منذ ٢٠٠١ بالتدريج محل

مؤسسة المدرسة القديمة كأداة لتجنيد جيل الجهاديين الأول في الثمانينيات والتسعينيات. إن الإنترنت -في الواقع- قد أصبح "مدرسة" عالمية واحدة.)

ويقول أيضاً: (لا بد أن نفهم دور الجهاد الذي تلعبه المظلة العقائدية المعاصرة للجهاد العالمي. إنه ليس فقط إرهاباً، ولكنه -وربما الأهم من ذلك- محور أساسي في بناء التضامن الحالي بين العرب والمسلمين.)

ويقول كريستوفر بلانتشارد في تقريره المقدم للكونجرس الأمريكي: (وعموماً فإن تصريحات بن لادن من منتصف التسعينيات حتى الآن تبين أنه ما زال يرى نفسه وأتباعه كطليعة لحركة دولية إسلامية، مصممة أساساً على إنهاء تدخل الولايات المتحدة في شؤون البلاد الإسلامية، وداعمة لجهود قلب وإعادة تشكيل المجتمعات الإسلامية تبعاً لتفسير سلفي ضيق للإسلام والشريعة الإسلامية. وما زالت التصريحات العلنية التي يدلي بها هو ومعاونوه تلعب -على الأرجح- دوراً هاماً ومحسوباً في بلوغ أهدافه.)

ونشر موقع إيلاف الخبر التالي من واشنطن: (من المقرر أن تغلق الولايات المتحدة الأميركية قناتها الفضائية الناطقة باللغة العربية "الحرة"، بعدما أدرك البيت الأبيض أن هذه القناة لا تستطيع أن تفي بالغرض. وبالتالي فإن ٣٥٠ مليون دولار التي أنفقتها الإدارة الأميركية على "الحرة" منذ فبراير ٢٠٠٤ ذهبت أدراج الرياح.)

وقال هشام ملحم مدير قناة العربية بواشنطن، إنه على الرغم من هذه التكلفة فإن القناة: (فشلت حتى في الحياز على المركز الرابع، على أقل تقدير، بالنسبة لتفضيل

مشـاهدي القنوات العربية..) وأضـاف ملحم: (إنه نادرًا ما تجد أناس قد شـاهدوا قناة الحرة. وربما تكون الحرة هي القناة رقم عشـرة في قائمة ترتيب بحث المشـاهدين عن القنوات المهمة ... إذن الحرة لم تكن في الترتيب الأول ولا الثاني ولا الثالث ... أو حتى الرابع.) وقال ملحم: (إن مسـؤولي القناة فشـلوا في إيجاد مدخل يمكنهم لإقناع المشـاهدين العرب. كما أنهم فشـلوا في ايجاد تقديم أي شـيء جديد ومختلف حول أميركا للعالم العربي.) وأضاف ملحم: (لقد كلفت القناة الكثير.. ولكن العطاء فيها أقل مما يتصور المرء.)

وكان الهدف أن تنافس قناة "الحرة" القناتين الفضائيتين العربيتين "العربية" و"الجزيرة"، وتتمسـك في الوقت نفسـه باتجاهاتها الغربية. لكن سـرعان ما أدركت إدارة "الحرة" أنها لن تستطيع تحقيق المهمة المطروحة على القناة، لأن استمالة الجمهور العربي من خلال الترويج للقيم الغربية أمر مستحيل، ولكنها استمرت في استثمار الاعتمادات المخصصة للقناة في غياب رؤية تتوخى تطوير القناة، فيما واصل العاملون في القناة عملهم من دون أن يعرف الكثيرون منهم مـا هو مطلوب منهم، معتبرين أنهم معذورون لأن لا أحد يشاهد برامج قناتهم.

وخلص الخبراء في بداية هذا العام إلى استنتاج أن "الحرة" مشروع فاشل.

وقالت صحيفة واشنطن بوست إن الحرة فشلت في أداء مهمتها في العالم العربي. وأجمع بعض الخبراء الإعلاميين من العرب والأميركيين، الذين تحدثوا للصـحيفة على أن القناة لم يعد لها أي حظوظ من النجاح في سوق الإعلام العربي. .....

وكانت استطلاعات الرأي المتعاقبة خلال السنوات الفائتة قد أظهرت أن الحرة هي أقل الفضائيات الناطقة بالعربية مشاهدة. لكن مصادر أميركية كانت تصر على عدم إقفال الحرة، رافضة أن تلقي المحطة مصير مجلة هاي الشهرية، والتي قررت الخارجية إيقافها عن الصدور. وعلى الرغم من عمليات المراجعة والتقويم الشامل لأداء المحطة الا انها لم تتمكن من جذب الجمهور العربي. .....

ويصل عدد مشاهدي القناة إلى تسعة مليون أسبوعياً، ويتركزون بشكل أساسي في العراق. .....

وقالت جهات أميركية متخصصة في استطلاعات الرأي إن مشاهدي القناة في مصر يمثلون ثمانية بالمئة من سكان مصر، التي يتجاوز عدد سكانها الـ ٨٤ مليون فضلاً عن أنها قلب العالم العربي. وتفيد احصائيات جديدة أن الذين يشاهدون القناة في ١٣ قطر عربي لا يتجاوزون نسبة الـ ٢٨ مليون مشاهد أسبوعيًا من جملة عدد السكان العرب، الذين يبلغون ٢٠٠ مليون. غير أن مصادر أخرى قالت إنه من الصعوبة تأكيد هذه الارقام وأن جهات رسمية تابعة للكونغرس، ومعنية بالمصداقية الإحصائية، شككت في هذه الأرقام.

وقال البوست: (إن الحرة تملك قاعدة مشاهدة ضيقة جداً مقارنة بالجزيرة والعربية، بحيث أظهر استطلاع لجامعة ميرلاند ومؤسسة "زغبي انترناشونال" أن ٥٤٪ من المستطلعين يشاهدون الجزيرة، مقارنة بـ ٩ % يشاهدون العربية و٢٪ فقط يشاهدون الحرة.)

وتذكر إنجل راباسا وزملاؤها أن أهم وسائل الدبلوماسية العامة هي الإذاعة والقنوات الفضائية، وأساساً إذاعة "سوا" وفضائية "الحرة". ويقرون بأن فضائية "الحرة" قد فشلت في كسب مشاهدين، بينما نجحت إذاعة "سوا" -في زعمهم- في كسب مستمعين، ولكنهم يبادرون بالقول إن كسب مستمعين لا يعني بالضرورة نشر الأفكار المعتدلة، وبالتالي يتساءلون هل تكلفتهما العالية (٧٠٠ مليون دولار سنوياً) قد ساهمت فعلاً في تغيير المزاج العام في العالم الإسلامي إيجابياً تجاه سياسات الولايات المتحدة.

وأنهم يرون أنه من الأفضل أن يصرف ما ينفق على قناة الحرة على وسائل الإعلام المحلية والصحافيين الملتزمين بقيم الديمقراطية والتعددية.

٣ - التحرر من حصار الإعلام التقليدي.

استطاع المجاهدون -بفضل الله أولاً وآخراً، وببركة دماء الشهداء، وتضحيات الأسرى والجرحى- أن يفرضوا على العالم أن يسمع صوتهم، لأنهم أصحاب مصداقية عالية، فتواصلوا مع أمتهم، وكسروا طوق الحصار الإعلامي، الذي كان مفروضاً عليهم، وهي مصداقية يجب أن تحافظ عليها الحركة المجاهدة بكل ما تملك.

يقول الأستاذ سيف الدين الأنصاري عن الانتصار الإعلامي للمجاهدين في الحادي عشر من سبتمبر:

(ولكل واحد منكم أن يسأل: أين الإمبراطورية الأمنية؟ لماذا لم تتنبأ بالغزوة؟ لماذا لم تمنعها؟ لماذا لم تقدر على إيقافها؟ الجواب: إن أمريكا بشر، ﴿**وخُلِقَ الإِنْسَانُ**

ضعِيفاً﴾ [النساء: ٢٨]، ثم إنهم المجاهدون.. وحسبُك!! إذن بعد ١١ سبتمبر كل شيء ممكن!! والمستحيل هو أن تستمر أمريكا.

والحقيقة أن المجاهدين قد قدموا -عبر جهادهم الطويل- هذه الدروس مرات عديدة.. قدموها في أفغانستان ضد "الاتحاد السوفيتي"، وقدموها في البوسنة والهرسك ضد الصرب، ولا زالوا يقدمونها يومياً في الشيشان ضد الروس، ويتفنّنون في العرض مرة أخرى في أفغانستان مع أمريكا وحلفائها، لكن قليلٌ هم الذين سمعوا بتلك الدروس، وقليل من هذا القليل الذين استوعبوها، لأن السياسة الإعلامية العالمية تتحرك دائماً في الاتجاه، الذي يحرم الشريحة الواسعة من الأمة أن تذوق لذة النصر، أو تستفيد من الدرس.

أما في الغزوة المباركة فإن الإعلام لم يجد ما يخفيه، فقد قرر المجاهدون هذه المرة أن يكون الدرس على الهواء مباشرة، لكسر هيبة أمريكا أمام الجميع، ولتتحطم مع تحطم كبريائها تلك الأغلال المضروبة حول الإرادة الإسلامية، من خلال جعل ما هو مستحيل في تصور البعض داخلا تحت دائرة الممكن، وقد كان لهم -بفضل الله- ما أرادوا، وعلّموا الأمة الإسلامية أنها قادرة حين تريد، وأن مشكلتها الحقيقية ليست في قلة العدد أو العدة، ولكنها كما قال ﷺ: «بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يكثر فيكم الوهن» رواه أحمد.

وبتوفيق من الله ثم بجهد المخلصين من العاملين لنصرة الإسلام في صمت وإنكار للذات، مع تجاوب الأمة مع المجاهدين تحرر الإعلام الجهادي من سيطرة الصحف والقنوات الفضائية على الخبر.

والإعلام الجهادي ينقل اليوم الصـــورة الحقيقية للمعركة بين الصـــليبية والإســـلام، وهي الصورة التي كان من المستحيل أن تنقلها وسائط الإعلام التقليدية.

فالصور الحية من ميادين الجهاد في أفغانستان والعراق والشيشان والصومال والجزائر وغيرها لم يكن ممكناً أبداً أن تنقلها وسائل الإعلام المحلية والدولية.

بل على العكس كانت تنقل صـــورة كاذبة مناقضـــة للحقيقة فضـــحها الإعلام الجهادي،

الذي فضـــح الإعلام الغربي، وبين أنه إعلام كاذب منحاز متلاعب بالحقائق، وبذلك انكشـــفت خدعة الغرب الكبرى في أنه راعي الحرية والشـــفافية والعدالة وحقوق الإنسان.

وهذه هزيمة أكبر من كل هزائمه العسكرية.

إنها هزيمة الحضـــارة الغربية التي ضـــبطها الإعلام الجهادي متلبســـة بجريمة الكذب والتزوير.

يقول مايكل شـــور: (منذ عام ١٩٩٦ صـــارت عمليات القاعدة الإعلامية أكثر تعقيداً وانتشـــاراً وتأثيراً. فمن عالم إعلامي -كانت القاعدة والزعماء الإســـلاميين الآخرون فيه يحرضون المسلمين بتكرار وببساطة لخوض الجهاد في سبيل الله- نشأت تلك الجرائد الإلكترونية المعقدة متعددة المواضـــيع مثل الأنصـــار والنداء وصـــوت الجهاد.

واليوم يقدم ذراع القاعدة الإعلامي إرشادات دينية معمقة للمسلمين حول مبررات الجهاد المذكورة في القرآن وأحاديث النبي محمد ﷺ وسنته والتاريخ الإسلامي. وحتى باستخدام أجزاء منتقاة من النصوص، فإن علماء القاعدة قد شكلوا أساساً دينياً مقنعاً لشن الجهاد الدفاعي، الذي اكتسب التأييد وسط عشرات الملايين من المسلمين وخاصة من الشباب. والمقاتلون الآن مدعمون بحجج دينية يردون بها -وبأسلوب تفكيرهم الخاص- على الحجج المضادة للجهاد من أولئك الذين يعتبرهم الغرب المسلمين "المعتدلين".

ولقد طورت القاعدة أيضاً ما يمكن أن يعد حقاً جامعة ذات نجاح مذهل للاستراتيجية والتكتيكات والتدريب على حروب العصابات والعمليات الإرهابية. (http://www.alsakifah.org)

وفي جرائد مثل المذكورة سابقاً وغيرها طور استراتيجيو ومحللو القاعدة نظرة للعالم توائم تماماً صراع الإسلاميين في سياق العلاقات الدولية المعاصرة، تشرح لماذا توجد أسباب جيوبوليتيكية متينة -مثل واقع السياسة الخارجية للولايات المتحدة في العالم الإسلامي، واعتماد الغرب على بترول المسلمين وحاجته للدفاع عن وصوله له- تجعل أهداف حرب القاعدة في "استنزاف أمريكا حتى الإفلاس" و "تشتيت القوة الأمريكية" أمراً يمكن إحرازه. (http://www.yaislah.org، December 25, 2005) .....

وقد أظهرت منظمة السحاب الإعلامية -حديثاً جداً- قدرة على عرض -وإعانة الآخرين على عرض- تغطية إخبارية موثوقة المصدر وشبه آنية للمسلمين من

جبهات الجهاد في العراق وأفغانستان. ومن العراق وأفغانستان -التي كان الطالبان فيها لا يعيرون أية أهمية للإعلام- تتدفق يومياً فيديوهات عالية الجودة لنشاط المجاهدين العسكري ضد قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة، وحوارات مع قادة المتمردين الهامين وأشرطة عن عقوبة المسلمين الذين يتعاونون مع "المحتلين".

وهذه الأشرطة مساهمة فعالة لتحقيق هدف القاعدة بتقليل انهزامية العرب والمسلمين، وتقديم اختيار إخباري ثالث للمسلمين حول العالم.

وبالإضافة للمنافذ الغربية مثل سي إن إن وفي أو إيه والبي بي سي، والقنوات الفضائية العربية مثل الجزيرة والعربية، فقد وفرت القاعدة وحليفاتها للمسلمين -عبر الإنترنت- خياراً آخر لمشاهدة الأنباء من مناطق الحروب، وهو وإن كان خياراً صارخاً، ولكنه ذو نزعة جهادية جيدة الاطلاع.

وبالإضافة لنجاحاتها في ميدان المعركة، فقد أحرزت القاعدة وحليفاتها إنجازاً إعلامياً مؤثراً، فقد انتقلت من حالة زعماء الجهاد المهللين، لحالة العاملين الإعلاميين الأكفاء المعاصرين جداً وأخصائيي الدعاية، الذين يركزون على التأثير في جمهور المستمعين المسلمين.

وبالإضافة لقدرة السحاب على السيطرة على الإعلام العالمي لعدة أيام عندما تقدم شريطاً صوتياً أو مرئياً جديداً لبن لادن أو أيمن الظواهري، فإنها ومنظمات الإعلام الأخرى -التي تؤيدها، أو تتعاون معها- قد شكلوا وجوداً إعلامياً منتشراً عبر الإنترنت.

وهذا لا يوفر فقط الإرشـادات الدينية والعسـكرية المطلوبة والتغطية الإخبارية شـبه الآنية، ولكنه يحرم أيضـاً القوات المسـلحة الأمريكية وحلفاءها الغربيين أحد ركائز عقيدتهم العسـكرية؛ السـيطرة على المعلومات. فإن نجاح القاعدة والإسـلاميين في ميدان الإعلام قد حرم المخططين العسكريين الغربيين كثيراً من قدرتهم السابقة على تصوير أجواء ميدان المعركة بالتحكم في تدفق المعلومات. وفي الحقيقة فإنه قد تكون القوات المسـلحة الأمريكية وحلفاؤها في وضـع من عليه أن يبحث عن سـبل، يسـتطيع بها أن يخترق سـيطرة الإسـلاميين الإعلامية في ميادين المعارك والمناطق المتنافس عليها عبر العالم الإسلامي.)

٤ - الحرب الدعائية على الجهاد.

كتب أندرو جريس في أبريل ٢٠٠٧ في صحيفة الإندبندنت أن الحكومة البريطانية أقرت بأنها مهددة بخسـارة الحرب الدعائية في مقابل القاعدة، ولذا صـرح توني بلير بأن الحكومة ستنشئ وحدة خاصة للبحث والاتصال لمكافحة عقيدة القاعدة.

ولكن هل اتبعت هذه الوحدة الخاصة أساليب نزيهة في التصدي للقاعدة؟ يشكك في هذه النزاهة وفي تواطئ هيئة الإذاعة البريطانية "البي بي سـي" معها ما نشـرته صحيفة العرب القطرية في أغسطس ٢٠٠٨ عن وكالة يونايتد برس، التي ذكرت أن صحيفة الجارديان كشفت عن أن وحدة حكومية لمكافحة الإرهاب تستهدف هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سـي" وغيرها ومن وسـائل الإعلام في المملكة المتحدة في إطار حرب دعائية جديدة ضد تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن.

وقالت الصحيفة إن وثيقة مسربة من وزارة الداخلية البريطانية كشفت أيضاً عن أن خبراء الحكومة في مجال مكافحة الإرهاب يعتزمون استغلال المواقع الإعلامية الجديدة وأجهزة الإعلام الأخرى لبث رسائل عن طريق متطوعين في منتديات الإنترنت كجزء من هذه الحملة الدعائية في خطوة ستثير الكثير من التساؤلات حول إدارات أجهزة الإعلام البريطانية.

وأضافت أن هذه الاستراتيجية وضعتها وحدة الاتصال والمعلومات والأبحاث التي أنشأتها وزارة الداخلية البريطانية العام الماضي للتصدي لدعاية تنظيم القاعدة.

وبحسب الصحيفة، فإن الحملة الدعائية ستهاجم القاعدة على ثلاث جبهات: تسليط الأضواء على تآكل دعم التنظيم، وأن القاعدة تعتزم إلحاق الضرر بالناس وأرزاقهم، وإلحاق الضرر بجميع الدول بلا استثناء.

ونقلت الغارديان عن الوثيقة المسرّبة القول نحن ندفع بهذه المادة إلى القنوات الإعلامية في المملكة المتحدة، وعلى سبيل المثال بُث برنامج عبر إحدى إذاعات بي بي سي يفضح التوتر المتزايد بين قادة القاعدة ومؤيدي التنظيم، وسنقوم بتكليف مجموعة عمل محدودة لتوجيه مثل هذه الرسائل عبر أجهزة الإعلام ووسائل أخرى.

وأشارت الصحيفة إلى أن الوثيقة ستسلط الأضواء أيضاً على إدانة شخصيات دينية مسلمة لتنظيم القاعدة مثل سيد إمام الشريف المعروف باسم الدكتور فضل الزعيم السابق لتنظيم الجهاد الإسلامي في مصر، والداعية الإسلامي السعودي سلمان العودة، الذي كان قد وجّه رسالة مفتوحة إلى بن لادن وصف فيها أهداف القاعدة

بأنها غير مشروعة وغير أخلاقية، وستبرز أيضاً تفاصيل عن الفظاعات، التي ارتكبها تنظيم القاعدة بزعم الوثيقة.

٥ – انكشاف زيف حرية التعبير الغربية:

ذكر تقرير لجنة مجلس لمتابعة القاعدة والطالبان في مايو ٢٠٠٨ أن: (اللجنة يمكن أن تنظر في إدراج مثل هذه المنافذ الإعلامية ومن يقف وراءها من أفراد رئيسيين وقائمين بالدعاية، على أساس أن أنشطتهم على شبكة الإنترنت تثبت ارتباطهم بالقاعدة. .....

ويعتقد الفريق أيضاً أن مجلس الأمن يمكن أن يدعو الدول الأعضاء إلى اتخاذ تدابير قانونية وعملية مناسبة لمنع استخدام شبكة الإنترنت بطرق تنتهك تدابير الجزاءات المفروضة ضد القاعدة والطالبان ومن يرتبط بهما.)

وطالب السناتور اليهودي المستقل جوزيف ليبرمان –وهو مستقل ينتمي للمحافظين الجدد، ويرأس لجنة الأمن القومي والشؤون الحكومية في مجلس الشيوخ– بحذف جميع خُطَب قيادات القاعدة، وأفلام الهجمات على قوات الاحتلال الأمريكي في العراق، ومواد أخرى اعتبرها تسعى إلى تجنيد المتعاطفين مع القاعدة وتقديم تدريب على السلاح من موقع اليوتيوب المملوك لشركة جوجل. وذكَّر في خطاب الى رئيس مجلس الإدارة والمدير التنفيذي لشركة "جوجل" إريك شميدت: (بتنفيذ سياستها الخاصة ضد هذا المحتوى المسيء، وحذف هذه اللقطات من "يوتيوب"، ومنعها من الظهور مجددًا.)

مشـــيرا الى أن: (المنظمات الإرهابية الإســـلامية تعتمد اليوم بشـــكل واســـع على الإنترنت في جذب المؤيدين ودفع قضيتهم.)

وقالت الشــركة في بيان على موقع "يوتيوب بلوغ" أنها تطلب من موظفيها بشــكل دائم حـذف بعض المواد، التي تحتوي على "خطـاب كراهيـة أو عنف او تنتهـك المعايير الاجتماعية". غير أنها لن تحذف كل المواد التي طالب ليبرمان بإلغائها.

وأشـار الموقع المذكور إلى حذف "عدد من التسـجيلات التي تصـور العنف غير المبرر وتروج له، وتلك المســتخدم فيها تصـريحات تحض على الكراهية"، بجانب تلك التي تنتهك قواعد المجتمع الأمريكي.

إلا أن "يوتيوب" رفض الالتزام الكامل بالطلب لأن بعضـاً من تلك الأشـرطة "غير عنيفة بالمعني القانوني أو لا تحض على الكراهية".

وتقول هنا روجان من مؤســســة أبحاث الدفاع النرويجية؛ أن المسـؤولين عن مكافحة الإرهاب يدور بينهم نقاش حول إغلاق المواقع الجهادية على شـــبكة المعلومات أو تركهـا لمتـابعتهـا، ويتعلق هـذا النقـاش أيضـــاً بالتوازن بين الأمن والحريات المـدنيـة. وقد صـــدرت عدة قرارات وتصـــريحات أخيرة تدعو لمحاربة الدعاية الجهادية على الإنترنت، فمنها مثلاً قرار مجلس الأمن ١٦٢٤ (٢٠٠٥) الذي يدعو إلى أن: (يحرم بالقانون التحريض على ارتكاب فعل أو أفعال إرهابية.)

وكذلك خطة العمل لاستراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمقاومة الإرهاب 2006 - (A/RES/60/288) التي تدعو الدول الأعضاء إلى: (جهود منسقة على المستويين العالمي والإقليمي لمحاربة الإرهاب بكل أشكاله ومظاهره على الإنترنت.)

وكذلك إعلان قمة الثمانية (G-8) في ١٦ يوليو ٢٠٠٦ الذي أكد على التعهد: (بتطوير وتطبيق استراتيجية فعالة لمقاومة الدعاية والتجنيد الإرهابيين.)

ولم يتوقف الأمر عند حجب النشر بل تعداه إلى اعتقال ومحاكمة وسجن كل من يستطيعون إثبات صلته بالإعلام الجهادي.

فينقل مارك تريفليان أن الجبهة العالمية الإسلامية الإعلامية ذكرت في بيان لها تخاطب الحكومات الغربية وأجهزة أمنها: (بعد القبض على بعض الإخوة والأخوات -فك الله أسرهم- وبعد إزالة منتدى ومدونة الجبهة العالمية الإسلامية الإعلامية، نقول الآتي: إن الجبهة العالمية الإسلامية الإعلامية لازالت موجودة، وستواصل عملها، وللكفار الذين يحاولون أن يحاربونا، نقول: تستطيعون القيام بما تشاءون، وقوموا بما تشتهون من اعتقالات ... لن تبلغوا أهدافكم. وسنواصل المسير دائماً حتى ننال النصر أو الشهادة.)

وتقول هنا روجان من مؤسسة أبحاث الدفاع النرويجية؛ أن مواطناً كندياً قد ألقي القبض عليه بتهمة انتمائه للجبهة العالمية الإسلامية الإعلامية.

وتضيف بأن الحالات الأخيرة من المقبوض عليهم في أوروبا تدل على أن هناك عملاً متصاعداً قد بُدء بالشروع فيه، مثل القبض على يونس تسولي الذي كان

يعرف على الشبكة بلقب (إرهابي ٠٠٧)، والذي أدين في يوليو ٢٠٠٧ بالتحريض على القيام بأعمال إرهابية، وكذلك خمسة بريطانيين أدينوا في نفس الشهر لتنزيل والمشاركة في مواد متطرفة تتعلق بالإرهاب.

وكذلك فإن معظم المواقع الجهادية تعمل عبر موفري خدمة إنترنت (IPSs) غربيين وخاصة من الولايات المتحدة، الذين كثيراً ما يكونون غير مدركين لطبيعة عملائهم ولا لمحتوى الموقع، ويملك موفرو خدمة الإنترنت الصلاحية القانونية لإزالة المواقع التي تخالف القانون، أو تنتهك تعليماتهم، ولذا فإن السياسة المفضلة لدى بعض من يقاوم الإرهاب هو بإخطار هؤلاء الموفرين لخدمة الإنترنت عن هذه المواقع الجهادية التي يستضيفونها. وخلال صيف ٢٠٠٧ قامت بعض المبادرات الخاصة "بحملة إخطار" نتجت عن إغلاق حفنة من المواقع الجهادية.

ومن الفقرات السابقة يتضح مدى النفاق الغربي والازدواجية في معاييره، فنشر صور قصف بغداد وأفغانستان، ودعوة بوش وبلير لغزو أفغانستان، ثم دعوتهما لغزو العراق بناء على أكاذيب تافهة، وإدلاء وزير خارجية أمريكا في مجلس الأمن ببيان كاذب مفترى عن أسلحة العراق للدمار الشامل وصلة القاعدة به، وأفلام الجنود الأمريكان عن قتالهم في أفغانستان والعراق، وتعذيبهم للمساجين فيه، ونشر صور معتقلي جوانتانامو، ونشر صور العدوان الرهيب على غزة في ديسمبر ٢٠٠٨ ويناير ٢٠٠٩، والدفاع عن إسرائيل على لسان بوش وأوباما وقادة الغرب، وأن ما قاموا به في غزة إنما هو للدفاع عن النفس، كل هذا ليس جريمة، ونشره وتوزيعه على أوسع نطاق على وسائط الإعلام الدولية الواسعة الانتشار ليس تآمراً على القتل

والإرهاب، ولا تحريضاً عليه. ولكن أن ينشر مسلم أفلاماً أو صوراً أو أخباراً عما يقوم به المجاهدون في أفغانستان والعراق، فهذه جريمة كبرى لا بد من معاقبة فاعلها عقاباً يجعله عبرة لغيره.

وإرسال أمريكا وبريطانيا وحليفاتهما الغربيات لعشرات الألوف من الجنود للعراق وأفغانستان، وإمدادهما لإسرائيل بالمؤن والذخائر والأسلحة والدبابات والقنابل الذرية، كل هذا ليس تحريضاً على القتل ولا شروعاً فيه ولا ممارسة له، ولا يستحق أي تجريم أو تحريم أو عقاب، بل غالباً ما يستدعي الشكر والثناء. أما دعوة أي مسلم لإخوانه لصد العدوان عن إخوانهم المسلمين في العراق وأفغانستان والشيشان وفلسطين وغيرها فهو جريمة الجرائم، التي يجب أن تقمع وتمنع وتدفع ويعاقب عليها بأشد العقوبات.

إن الغرب الصليبي هنا يكشف عن سوأتين بشعتين:

<u>الأولى</u>: هي فوقيته في النظر لسائر بني البشر، وأن أهل الغرب يرون أنفسهم جنساً آخر، لا يجب أن يتساوى مع بقية الآدميين، فما هو حلال لهم، حرام على غيرهم حتى لو قاموا بجزء من الألف بل من المليون مما يقوم به أهل الغرب. وذلك أنهم يعتبرون أن الحرية هي حريتهم هم في أن يفعلوا بالآخرين ما يشاؤون، والديمقراطية هي حق أغلبيتهم في تقرير مصائر الآخرين، وأن هذه وأمثالها ممتلكات غربية لا يسمح لغيرهم بأن يشارك فيها إلا لمصلحتهم أو بالقدر الذي يسمحون له به.

الثانية: أن حرية النشر والتعبير -التي يتشدق بها الغرب زوراً- قد انكشفت وافتضحت وتعرت، وأصبحت مسخرة ومهزلة، وكل ذلك تم -بفضل الله وحده- على أيدي أهل الجهاد والرباط والتوحيد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.) اهـ.

وقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية - بعد عام؛ الفشل الأمريكي في أفغانستان": (وهناك فئة الإعلاميين وأصحاب القلم الذين لهم الأثر البارز والدور الكبير في توجيه المعركة، وكسر معنويات العدو، ورفع معنويات الأمة.

لقد آن الأوان لأن يتبوأ الإعلام مكانه الصحيح، ويقوم بدوره المطلوب في مواجهة هذه الحملة الشرسة والحرب الصليبية المعلنة بجميع وسائله المرئية والمسموعة والمقروءة، وعلى رجال الإعلام كتّاباً كانوا أم صحفيين أم محللين أم مراسلين أن يكونوا على مستوى المسئولية والحدث، وأن يقوموا بدورهم المطلوب في تبصير الأمة، وبيان حقيقة العدو، وكشف مخططاته وألاعيبه وأن يقفوا صفاً واحداً بكل توجهاتهم، فالعدو اليوم لا يفرق بين فئة وأخرى، فهدفه القضاء على كل من له علاقة بالعروبة والإسلام.)

وقال -رحمه الله- في "الأمة الإسلامية في مواجهة الحملة الصليبية الجديدة": (فالحمد لله الذي أكمل لنا هذا الدين وجعل النصيحة في مكان عليٍّ عظيم فأداءً للأمانة وإبراءً للذمة؛ أقول أن الوجود الأمريكي في قلب الأُمَّة الإسلامية وفي بلاد الحرمين ودول الخليج عامة هو وجود احتلال ولقد اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بعد قيام هذا الكيان الصهيوني بعشر دقائق صدرت بياناً في الاعتراف به برغم وعودها السابقة لحكام المنطقة بأن لا يقوم هذا الكيان وسنتحدث عن ذلك

بإذن الله سبحانه وتعالى فيما بعد فالخلاصة أن هذا الوجود في قلب العالم الإسلامي هو وجود احتلال، وأؤكد هذا المعنى بكل أدوات التأكيد وقد سبقنا إلى ذلك فضيلة الشيخ الدكتور سَفَر بن عبد الرحمن الحوالي في كتابهِ المعنون "وعد كسنجر" والذي جمع فيه من الحقائق الواضحة والبراهين الساطعة من أفواه العدو ومن النشرات التي قُدِمَت للكونجرس الأمريكي وقُدِمَت أيضاً في وزارات الدفاع الأمريكية من خططاً لاحتلال بلاد الحرمين وجزيرة العرب فلم يدع مجالاً للشك في أن هذا الوجود هو وجود احتلال ووجه رسالة إلى العلماء في ذلك الحين وكتب على صفحاتها: "جيوش الكفار فوق أرض الحرمين".

هذا دوركم أيها العلماء، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفق علمائنا للقيام بتحريض الأُمَّة للخروج من هذه المصيبة المِلِمَّة التي لم يُصَب بها أهل الإسلام من فجر تاريخها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومع هذه الأدلة الدامغة ما زال بعض الناسِ يضللون كثيراً من عامة المسلمين بعلمٍ أو بغير علم، بقصدٍ أو بغير قصد يقولون إن هذا الوجود هو وجود استعانة وليس وجود احتلال وأستسمح الحضور والسامعين أن أُناقش هذا القول وأن آخُذَ من وقتهم عن مسألةٍ قد مرَّ عليها عقدٌ من الزمان واتضحت للمسلمين ولغيرهم في كل مكان، ولكن لأننا نعيش في زمنٍ غلب فيه سحر الإعلام واستخدم الحُكّام هذه الوسيلة لتضليل الناس فلا حَرَجَ من التعريج على هذه المقولة ...

وقد صحَّ عن نبينا ﷺ كما في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني -رحمه الله- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات

خداعات: يُصَــدَّقُ فيها الكاذب ويُكَذَبُ فيها الصــادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضـــــة» قيل: يا رســـول الله وما الرويبضــــة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة».

فكأن هذا الحديث يتحدثُ عن زماننا هذا حيثُ تصـدّر على ظهور بلاد الإسـلام الذين والوا اليهود والنصــارى وأباحوا لهم بلاد الإســلام وخونوا كل أمين وكذبوا كل صادق ومن نطق بالحق غيبوه في غياهب السجون من ورثة محمد ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأقول للذين يقولون إن هذا الوجود الأمريكي الضــــخم هو وجود إعانة فمن باب وصفٍ للواقع وتقريرٍ للحقائق: إن دخول القوات الأمريكية إلى جزيرة العرب يعني في أول ما يعني أن جيوش المنطقة وأن حكام المنطقة في حالة عجزٍ وضـعف عن القيام بواجبهم عن الدفاع عن تلك الديار وأهلها، وأظن أن هذه المســـألة لا يخالف فيها عاقل وإلا لو لم يكن هناك ضــــعف في جيوش المنطقة لما احتيج إلى الاســـتعانة -على ما زعموا- بالقوات الصـــليبية المعادية لله ولرســـوله عليه الصـــلاة والســـلام وللمسلمين.)

وقـال -رحمـه الله- في "توجيهـات منهجيـة": (من النصـــوص الأخرى التي ينبغي الاقتداء بها في مثل هذه الظروف:

هو حديث حذيفة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ حيث يصور وضعاً شبيهاً لوضـعنا الحالي، فيقول -رضـي الله عنه-: كان الناس يسـألون رسـول الله ﷺ عن

الخير، وكنت أسـألـه عن الشـر - مخافة أن يدركني- فقلت: يا رسـول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشـــر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شـر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» متفق عليه.)

فهذا الوضع كما تلاحظون أن العالم الإسلامي انتشر فيه هذا الشر العظيم، وهو أن الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم هم أظهر ما يكونون في حكام المنطقة -حكام العالم العربي والإسـلامي- فهم في إعلامهم وأجهزتهم وإفسـادهم للبلاد، فهم يدعون الناس عبر تبنيهم للأفكار الهدّامة وعبر تبنيهم للقوانين الوضـــعية والقوانين الكفرية، فهم يدعون الناس في الصباح والمساء إلى أبواب جهنم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فالكفر بالله ورسوله ﷺ على مرأى ومسمع في الصحف وأجهزة التلفاز، وفي الراديو والندوات، ولا ينكر عليهم منكر، فهؤلاء هم الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم.

ما هو الحل إذا حصل مثل هذا؟

فهذا الصحابي الجليل -رضي الله عنه- سأل حتى وصل إلى مثل هذه الحالة فقال: هل بعد ذلك الخير من شـــر؟ فقال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، وقال -رضي الله عنه-: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

هذا كلام واضـح بيّن صـريح يسـأل عن المخرج في مثل هذه الحالة التي نحن نعيش فيهـا اليوم، فيقول: مـا تأمرني إن أدركني ذلـك؟، فـأمره بأمر واحـد -رغم كثرة

الواجبات وأهميتها- ولكن في مثل هذا الوضع هناك أمرٌ واحد يتقدم على جميع الواجبات الأخرى بعد الإيمان، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟، قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

فهذا الواجب العظيم الذي هو فرض الساعة لا مكان له بين العلماء اليوم ولا يتحدثون عنه، بل شُغلوا كل واحد منهم -إلا من رحم الله- بالتهليل والمدح للأئمة الطواغيت الذين كفروا بالله ورسوله، فبرقيات تذهب من هؤلاء لمدح هؤلاء الحكام الذين كفروا بالله ورسوله، ويُكفر بالله ورسوله في صحفهم وفي إعلامهم، وبرقيات أخرى من هؤلاء الحكام الذين كفروا إلى هؤلاء العلماء تمدحهم، ودلسوا في ذلك على الأمة!

فالأمة لم تصب من قبل بمثل هذه الكارثة التي أصيبت بها اليوم، كان يحصل خلل ولكنه جزئي، أما الخلل اليوم فهو قد عمّ الناس مع هذه الثورة الإعلامية، وأصبح الإعلام يدخل على كل بيت، فهذه الفتنة ما سلم منها بيت حضر ولا بيت وبر، ما سلم منها أحد، في السابق كان يزِل العالم وتبقى زلته محدودة في مكان معين، ويَفجُر الأمير والحاكم ويبقى فجُوره محدوداً داخل القصر، أما أن يصبح جُل الناس أسرى وظائفهم التي هي لهذا الطاغية، فهذا ما حصل في تاريخ الإسلام قط.

وكلما حصل انحدار وكلما حصل بُعد عن دين الله فهناك تلقائيةً في هذا الدين وفي منهجه القويم المتكامل، يبدأ هناك آخرون في تصحيح المسار ويضحون بأنفسهم، لكن لم يحصل قط أن سواد الأمة وأن الفقهاء والعلماء أسرى وظائف عند الطواغيت!

حدثني بعضــهم قال: نحن لا نســتطيع أن نقول الحق، لأننا إذا أردنا أن نقول الحق نفكر في هؤلاء الأطفال الذين في البيت وهؤلاء النســاء، أين يذهبون؟ وأين نذهب نحن؟

فينبغي على الشـــباب أن يفهم طبيعة العلاقة اليوم بين موظفي الدولة والحاكم، وكل من هو موظف دولة؛ هو موظف دولة، ولا ينبغي للشباب أن يغضب إذا قلنا؛ إن الشيخ الفلاني هو موظف دولة.)

وقال -رحمه الله- في "مقابلته مع تيســـير علوني": (ولكن أقول حدثت هناك تداعيات أخرى خطيرة جدا، أعظم وأكبر وأخطر من ســـقوط الأبراج، وهو هذه الحضـــارة الغربية التي تتزعمها أمريكا، تحطمت قيمها وتحطمت تلك الأبراج المعنوية الهائلة التي تتحدث عن الحرية وعن حقوق الإنسـان وعن الإنسـانية أصبحت هباء منثورا. وظهر ذلك جلياً، عندما تدخلت الحكومة الأمريكية ومنعت وكالات الإعلام من نقل كلمات لنا لا تتجاوز بضع دقائق، لأنهم شعروا بأن الحقيقة بدأت تظهر للشــعب الأمريكي، وأننا على الحقيقة لســـنا إرهابيين بالمعنى الذي يريدونه، ولكن لأننا يُعتدى علينا في فلسطين وفي العراق وفي لبنان وفي السودان وفي الصومال وفي كشـــمير وفي الفلبين وفي كل مكان، وأن هذا رد فعل من شـــباب الأمة على اعتداءات الحكومة الأمريكية، لذلك صـرحوا بهذا التصـريح وأمروا بهذا الأمر ونسـوا كل ما ذكروا عن الرأي والرأي الآخر وهذه الأمور. فأقول إن الحرية والحريات في أمريكا وحقوق الإنسـان قُدمت إلى المقصـلة إلى غير رجعة إلا أن تستدرك سـريعا، فالحكومة ســتُدخل الشــعب الأمريكي والغرب عموما ســيدخل في حياة خانقة،

في جحيم لا يحتمل بسبب أن قيادات الحكومات هناك هم على صلة وثيقة، وتحت النفوذ واللوبي الصـهيوني يخدمون مصـالح "إسـرائيل" التي تقتل أبناءنا وأطفالنا بغير حق من أجل أن يبقوا هم على سدة الحكم.)

وقال -رحمه الله- في "رسـالة إلى أمير المؤمنين: الملا محمد عمر": (ولقد أرسـل إلينا عدد من الهيئات الإعلامية العالمية للقاء بنا، ونرى والله أعلم أن هذه فرصـــة جيدة لتعريف المســـلمين بما يحدق على أرض الحرمين الشـــريفين، وأيضـــاً بما يحدث في أفغانستان من تمكين لدينه وتحكيم لشرعه.

ولا يخفى عليكم أن الحرب الإعلامية في هذا العصـر هي من أقوى الوسـائل بل قد تصل نسبتها في الحروب إلى ٩٠./. من قوة الإعداد في المعارك.)

الرد على الشبهات والأباطيل

لقد كان الرد على الشبهات والأباطيل التي نسبها المخالفون أو الخاذلون لدعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- من المعالم الجلية لدعوته وجهاده.. وهذا الأمر يحتاجه أصحاب الدعوات والمشاريع الإصلاحية للذب والدفاع عن منهاجهم واختياراتهم وتفنيد الشبهات التي تثار حولهم.. وهو من معالم الطائفة المنصورة التي تنصر دين الله تجاهد في سبيله ففي الصحيحين من حديث معاوية -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»..

والرد على الشبهات من مهام وأعمال الدعاة والعلماء الربانيين كما قال رسول الله ﷺ: «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين» رواه البيهقي، وصححه الألباني.

وعلى هذا النهج سار الإمام المجدد أسامة بن لادن وبذل جهده في هذا الباب وأظهر حجته وأبطل -بفضل الله وتوفيقه- كثيراً من الشبهات والأباطيل التي نسبها المخالفون والخاذلون للمجاهدين والدعاة الربانيين في هذا الزمان فقال -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (فينبغي على الخصوم أن يلتزموا بآداب الخلاف والقتال ويكفُّوا أنفسهم وأُجَراءهم عن الكذب والبهتان، فذلك خير لهم، فلولا أنَّك مطمئنٌّ مهما واصلت الكذب علينا بأنَّنا لن نكذب عليك لطمأنتك، إلا إنْ سألتني عن مسلمٍ اختبأ عندي وتريد أن تظلمه أو

تسفك دمه بغير حقٍّ فعندها يكون الكذب واجبًا، كما ذكر ذلك أهل العلم –على افتراض أنَّ الحاكم مسلم–.

وكما تتَّهمون الشباب بالجهل في مسائل كلُّ المسلمين فيها علماء، قال النووي –رحمه الله–: (ثم إنَّه إنَّما يأمر وينهى من كان عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، فذلك يختلف باختلاف الشيء فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها.) انتهى كلامه.

فهل يجهل أحد من المسلمين حرمة مناصرة الكافر على المسلم أو حرمة تشريع الربا؟! فإنَّ هذا معلومٌ من الدين بالضرورة، فهو كالعلم بحرمة الخمر والزنا، هل يجهل هذا أحد؟! أم أنَّكم تريدون أن تجعلوا في الإسلام كهنوتًا! فتجعلوا هيئة كبار علماء السلطان مثل بابا النصارى، وتحتكرون فهم الدين، فتُحِلُّون ما حرَّم الله، وتحرِّمون ما أحلَّ الله، وتصدرون صكوك الغفران لمن تشاؤون!

وتصفون الشباب أيضًا بأنَّهم أصحاب الفكر الضال، والزمرة الفاسدة، فمن هم أصحاب الفكر الضال؟! أهم الذين اتَّبعوا قول رسول الله ﷺ بوجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب! كما ورد عنه في صحيح البخاري حيث قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، وقال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»، وقال أيضًا في حديث آخر: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يَبْقَيَنَّ دينان بأرض العرب»، وقال أيضًا: «لأُخْرِجَنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدعُ إلاَّ مسلمًا» رواه مسلم.

أم هم الذين يستهزؤون بأحاديث رسول الله ﷺ ويحتالون عليها كأصحاب السبت؟! كما فعل الأمير عبد الله عندما قال عن حجَّتنا إنَّها واهية! والأجنبي جاء ليَخْدِمْ! ونحن حجَّتنا هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة بوجوب إخراج المشركين، وليس فيها استثناء إن جاء ليَخْدِمْ أو ليُخْدَم.

أنحن أصحاب الفكر الضال؟! أم الذين غدروا بالأمَّة، وأباحوا جزيرة محمد ﷺ لليهود والنصارى ومكَّنوهم منها وأعطوهم فيها القواعد العسكرية، فضلاً عن غدركم بالعراق، والغدر يحرم حتى مع الكافر، وقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام: «لكل غادرٍ لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامَّة» رواه مسلم.

ومن هم أصحاب الفكر الضال والزمرة الفاسدة؟! أهم الذين يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله؟! أم هم الذين يفسدون المسلمين بسياساتهم وإعلامهم حتى في البلد الحرام وفي الشهر الحرام وحول المسجد الحرام؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾، وقال تعالى: ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾.

من هم أصحاب الفكر الضال والزمرة الفاسدة؟! أهم الذين يدافعون عن المسلمين، وأعراضهم، وأموالهم في العراق وفلسطين وأفغانستان وكشمير والشيشان؟!

أم هم الذين دخلوا في حلف الكفر العالمي ضــد المســلمين، فضــلاً عن نهب مال الأمَّة العام؟!

ويكفي للتدليل على ذلك الإشارة إلى صفقة السلاح الكبرى، أو قل السرقة الكبرى وكلاهما سواء، المسماة بــــ"عقد اليمامة" والتي بلغت قيمتها أكثر من ثلاثين مليار دولار، وكان ذلك قبل حرب الخليج بخمس ســنين، فلمَّا حصــلت الحرب لم يظهر أي أثر إيجابي لهذه الصفقة ولا لغيرها من مئات الصفقات، وإنَّما أبحتم البلاد للدفاع عنكم، وكان يومها عدد العاطلين عن العمل محدودًا، فلو قُدِّر بمائة ألف عاطل فقســمنا قيمة الصــفقة ثلاثين مليارًا على مائة ألف لكان نصــيب الواحد منهم ما يساوي مليون ومائة وخمس وعشرين ألف ريال، فلو جُعلت هذه الأموال في شركات مساهمة لاستثمارها بطريقة شرعية، وتوظيف العاطلين عن العمل والإنفاق منها على أهلها كالفقراءِ والمساكين والغارمين لتحسَّنت أحوال الناس.)

وجاء في "مقابلته مع جمال إسماعيل": (سؤال: لكن أيضًا محمد صادق هويدا ادعى عليكم أيضًــا أنكم أعطيتم أوامر باغتيال الشــيخ عبد الله عزام في بيشــاور في العام ١٩٨٩م، وأنه كان هناك صــراع على قيادة العرب أو الأفغان العرب كما يســمونهم –أي المجاهدون العرب في أفغانســـتان–، ما مدى صـــحة هذه الادعاءات؟ وما موقفكم منها؟ وكيف يمكن أن تصفوا علاقتكم بالشيخ عبد الله عزام لحين قتله؟

أسامة بن لادن: الشيخ عبد الله –عليه رحمة الله– هو رجلٌ بأمة! ظهر بوضوحٍ بعد أن اغتيل –رحمه الله– مدى العقم الذي أصاب نساء المسلمين من عدم إنجاب رجلٍ مثل الشــيخ عبد الله –رحمه الله–. فأهل الجهاد الذين جاءوا وعاشــوا تلك المرحلة

يعلمون أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان لم يستفد من أحد كما استفاد من الشيخ عبد الله عزام، حيث إنه حرض الأمة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب على الجهاد.

الشيخ عبد الله عزام في فترة من ذلك الجهاد المبارك زاد نشاطه مع إخواننا المجاهدين في فلسطين وبالذات حماس، وبدأت كتب الشيخ تدخل داخل فلسطين لتحريض الأمة على الجهاد وخاصة كتاب "آيات الرحمن"، وبدأ الشيخ ينطلق من الجو الذي ألفه الإسلاميون من جو المساجد والقوقعة الضيقة والإقليمية من داخل مدينته وانفتح لتحرير العالم الإسلامي، فعند ذلك وكنا وإياه في مركبٍ واحدٍ -كما لا يخفى عليكم- مع أخينا وائل جليدان، فعُملت مؤامرةٌ لاغتيال الجميع. وكنا نحرص كثيرًا على ألا نخرج مع بعضنا وكنت دائمًا أطلب من الشيخ -عليه رحمة الله- أن يبقى بعيداً عن بيشاور في معسكر صدى، نظرًا لزيادة المؤامرات وخاصةً بعد أن اكتشفنا قنبلة في مسجد سبع الليل قبل أسبوعين أو أسبوع من اغتيال الشيخ.

واليهود كانوا أكثر المتضررين من تحرك الشيخ عبد الله، فالمعتَقد أن إسرائيل مع بعض عملائها من العرب هم الذين قاموا باغتيال الشيخ عبد الله. أما هذه التهمة نعتقد أنها من تَقَوُّلات اليهود والأمريكان وبعض عملائهم، وهي أدنى من أن يُرد عليها، ولا يعقل للإنسان أن يقطع رأسه! ومن عاش الساحة يعلم مدى الصلة القوية بيني وبين الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله-، وهذه ترهاتٌ يذكرها بعض الناس ولا أساس لها من الصحة، ولم يكن هناك تنافس؛ فالشيخ عبد الله عزام -عليه رحمة الله- كان يجاهد في باب الدعوة والتحريض، ونحن كنا في جبال بكتيا في الداخل، وهو يرسل

لنا الشباب ونأخذ بتوجيهاته وبما يأمرنا به -عليه رحمة الله-، ونرجو اللهَ -سبحانه وتعالى- أن يتقبله شهيدًا وابنيه محمد وإبراهيم، وأن يعوّض الأمة بمن يقوم بالواجب الذي كان يقوم به.)

وقال -رحمه الله- في "الخلاف والنزاع بين حكام الرياض وأهل البلاد، والسبيل لحله": (وقبل الختام: أردُّ على بعض اتهامات النظام التي أزعج بها الناس بتكرارها في الصباح والمساء خلال السنتين الماضيتين، فقد اتَّهم المجاهدين بمذهب الخوارج، وهم يعلمون أنَّنا بريؤون من هذا المذهب، وهذه خطاباتنا وهذا واقعنا يشهد بذلك.

وهل اقتحم علينا دارنا بالسلاح في السودان ليقتلونا إلا الخوارج!

ونحن نعتقد أنَّ المعاصي التي هي دون الكفر لا يخرج بها المؤمن من الإيمان ولو كانت كبيرة كالقتل وشرب الخمر، فإن مات صاحبها ولم يتب منها فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذَّبه ثم مصيره إلى الجنة.

ونحن لا نكفِّر الناس بالعموم، ولا نستبيح دماء المسلمين، فإن قُتِل بعض المسلمين أثناء عمليات المجاهدين فنرجو الله أن يرحمهم، وإنَّما هو كما في مسألة التترس والقتل الخطأ، ونستغفر الله منه ونتحمَّل المسؤولية عنه.

ولكن أقول لحاكم الرياض: إنْ شئتَ حدَّثتك عن قاتل المسلمين، ومن قاتلهم من قبل ومن فرَّق جماعتهم، وأحدِّثك عمَّن يكفِّر بالعموم ويستبيح دماء المسلمين؛ فأبوكم عبد العزيز هو الذي خرجَ وناصرَ الإنجليز ضد الدولة العثمانية وواليها ابن الرشيد في حائل، وأنتم أنفسكم قد خرجتم بقوة السلاح على أخيكم الملك سعود،

وكادت تحصـــل بينكم مجزرة لولا الله تعالى ثم تدخُّل من تطاردون اليوم ابنه، ولم يقل علماؤكم عن أبيكم وعنكم أنَّكم خوارج.

ولو فتحنا ملف مجزرة الطائف الرهيبة لعلِمنا من الذي يكفِّر بالعموم، تلك المجزرة التي غرَّر فيها أبوكم جنودَه وقال لهم: إنَّ أهل الحجاز كفَّار وإنَّ قتالهم جهاد في ســـبيل الله، وهو بذلك يكذب عليهم، ولو تحدَّثنا عمَّا وقع في الطائف من فظائع لهانت بجوارها مصائب عِظَامٌ جدًّا.)

وجاء في "مقابلة جمال إسماعيل": (سـؤال: ذكرتم قبل قليلٍ كلامًا عن مصـنع الدواء السـوداني الذي تعرض أيضًـا للقصـف الأمريكي في نفس اليوم، الولايات المتحدة الأمريكية تتهمّكم بأنكم على علاقة تمويلٍ بهذا المصـــنع، وأنكم كنتم ترغبون في اسـتخدامه لإنتاج أسـلحة كيماوية أو بيولوجية لاسـتخدامها ضـد مصـالح ورعايا أمريكان. هل لكم أي علاقة تمويلٍ –مباشرةٌ أو غير مباشرةٍ– بهذا المصنع؟

أسـامة بن لادن: كما ذكرنا، الأحداث الأخيرة سـواء قصـف أفغانسـتان أو قصـف السـودان أو العراق أو تهديد ليبيا بالقصـف، كل هذا يُظهر أن الذي يحكم العالم اليوم هو شـريعة الغاب، شـريعة صـاروخ كروز، والقصـف عن بُعد من قِبل هؤلاء الجبناء. فجميع من له أدنى معرفةٍ وأدنى عقل يعرف أن مصـنع الدواء في السـودان كان مصنع دواء، وإلا لمات مِن أهل الخرطوم عشرات الآلاف! أنا ليس لي صلةٌ به ولا أعرف المالك الذي يُسـمّى إدريس، ليس هناك معرفةٌ سـابقة، ولكن الثابت أن أمريكا تفعل ما تشاء وتريد من الناس أن تقتنع بجبروتها.)

وقال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (ثم يسر الله سبحانه بين ذلك وهذا أن قامت دولة الطلبة وإقامة طالبان، وهذا الصراع الذي حصل بين الأفغان، ومكثوا ست سنوات تقريباً أو أكثر، وأيضاً بقي الناس أسرى لأهوائهم وأسرى للإعلام العالمي الذي شن حملة لا هوادة فيها ضد الطالبان وشوهوا سمعتهم، والإعلام العالمي قد يلام في تأثيره أو قد يُحمَّل بعض التأثير على العوام، أما من غير المقبول أن يكون الدعاة والذين تصدروا لنصرة الدين أمام الناس من غير المقبول أن يقولوا تأثرنا بالإعلام العالمي، أفغانستان على بعد بضع ساعات من جزيرة العرب مثلاً، أو من أي مكان من أقطار العالم الإسلامي.

فهذا التأخر عن نصرة هذه الدولة رغم أن اسمها دولة الطالبان؛ دولة طلبة العلم، هو مؤشر على وجود خلل غير عادي إما في فقههم أو في صدقهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فيما يظهر لنا والله أعلم، فذهبت هذه الدولة وهم لم يحركوا ساكناً.

وأقول؛ إنني على يقين بفضل الله سبحانه وتعالى أن في الأمة من الطاقات ما يكفي لإقامة الدولة الإسلامية، وإقامة الخلافة الإسلامية، ولكن نحن بحاجة إلى إبلاغ هذه الطاقات؛ أن هذا الأمر واجب عليهم. ونحن بحاجة إلى إبلاغ الطاقات الأخرى المقيدة لهذه الطاقات؛ أنكم تأثمون بتقييد هذه الطاقات. فإذا فقه الشباب وفقه التجار واجبهم فيمكن أن نقوم بالمهمة، فيُرفع الإثم عن باقي الأمة، وأيضاً يرفع الضنك والأذى الذي يصيبنا.

فنحن نريد الناس الذين -كما لا يخفى- يقولون؛ أن الجهاد لا يحتاج إلى جميع الأمة، وهذه كلمة حق، ولكن لم يرد بها الحق، فالجهاد لا يمكن أن يستوعب جميع

الأمة اليوم، ودفع العدو الصائل يندفع بجزء يسير جداً من الأمة، هذا حق، ولكن يبقى الحكم أنه فرض عين، وهم يخالفوننا في إطلاق هذا الحكم، يقولون؛ نحن وصّلنا لكم بضعة آلاف لا تستطيعون أن تستوعبوهم! ويقولون؛ ليس من المعقول أن نترك كل الثغرات وكلنا نذهب للجهاد! فمن هنا يظهر بوضوح لوثة العصر، وهي اللوثة المادية، لوثة بروز العقل، فهذه أحكام أجمع عليها الفقهاء من سلف الأمة رحمهم الله، واليوم يخرج علينا فقهاء يعترضون على إجماع الأمة، إذا تعين الجهاد فهو أولى الأولويات بدون شك كما ذكر شيخ الإسلام، فدفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.

فليس هناك وجه في أن تقول؛ إذا ذهبوا جميعهم لم يستوعبهم الجهاد!، هذا ناتج عن خلل غير عادي في الفقه، وهو ناتج عن ركون إلى الدنيا غير عادي، فالأمر إذا تعين؛ مجرد أن يأتي العدد الذي يكفي لدفع العدو الصائل يصبح تلقائياً الجهاد فرض كفاية، فيبقى الباقون الذين تأخروا في ثغورهم وتندفع الضرورة بهذا التحرك.

فهذا للأسف من أكبر العوامل المثبطة عند الصحوة الإسلامية، وهو يظهر في كتاباتهم وفي رسائلهم وفي لقاءاتهم.

ويقولون؛ إن الجهاد عبادة عظيمة، ولكن هناك عبادات أخرى!

هؤلاء ما فقهوا منهج محمد ﷺ وقد ذكرت في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه تلك الدروس وتلك العبر. وأن كعباً -رضي الله عنه- عندما جلس وقعد في المدينة كان يقوم بكثير من الطاعات وهو في مدينة رسول الله ﷺ وفي الحديث عن نبينا

عليه السلام أن طلب العلم في مسجده عليه الصلاة والسلام كالجهاد في سبيل الله، ومع ذلك كله، ومع سابقته في الإسلام وهو من أصحاب بيعة العقبة –وما أدراك ما بيعة العقبة وهي التي تكونت بها الجماعة المسلمة لإقامة الدولة المسلمة– ومع ذلك كله لم يُذكر بأي صفة من هذه الصفات، لأنه عندما يتعين الجهاد لا مجال للطاعات الأخرى لأن تُذكر، وإنما يُذكر في مقابل الجهاد القعود والعتاب والتوبيخ، ولا يُقال "جزاه الله خيراً ذاك في المدينة، ويا حظه يصلي في الحرم" أو "يعطي دروس"! هذا لا يقال لنص القرآن الكريم ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

لو تتبعتم النصوص في وصف القاعدين، تجدها متواترة على هذا المعنى في أمتنا وفي الأمم السابقة؛ فقوم موسى لما تأخروا عنه وصفهم الله سبحانه وتعالى ايضاً بالفسق ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾، وكذلك إذا تتبعنا الذين تخلفوا يوم تبوك، الله سبحانه وتعالى أيضاً وصفهم بالفسق.

فأما اليوم فهناك خلل في طريقة المحافظة على هذا الدين، وفي تفعيل الطاقات لنصرة هذا الدين، فالآن أصبح الذي يقعد عن نصرة الدين لا يشعر بالإثم، بل هو يشعر أنه في طاعة، ولا يشعر بسوءة هذه الكبيرة العظيمة التي جاء فيها عشرات الآيات تهدد وتحذر، وترغب في هذه الطاعة، وتوبخ من يقعد عنها، وتقرّع الذين يركنون إلى الدنيا، ومن كان الذي يُهدَد؟ صحابة رسول الله ﷺ تهديداً تلو التهديد

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ**﴾، هذا توبيخ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾.)

وجاء في "مقابلته مع عبد الباري عطوان": (عبدالباري عطوان: هل فكّرت بالبحث عن لجوء سياسي في أوروبا كالآخرين؟ وهل زُرت لندن -على وجه التّحديد- سرًا أو علانيّة؟

أسامة بن لادن: أُفضّل الموت على أن أستقرّ في أي دولة أوروبية، لكن بعض الحكومات العربية بثّت مثل هذه الشّائعات لتشوّه سمعتي، إنّه من الأفضل للمسلمين أن لا يستقرّوا في المجتمعات غير المسلمة، وليس صحيحًا أنّي فكرّت بالذّهاب إلى لندن أو الحصول على "فيزا"، كان الهدف من مثل هذه الشّائعات أن يُلطّخوا سُمعتي.)

وجاء في "مقابلته مع جمال إسماعيل" (سؤال: ذُكر في وسائل الإعلام العالمية عن دعم أمريكا للجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي -الذي شاركتم أنتم في هذا الجهاد بنفسكم ومالكم-، وكما ذُكر أيضًا في وسائل الإعلام العالمية أنكم كنتم على صلةٍ أو أن الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد، ما هي حقيقة هذه الادّعاءات؟ وما صحة الصلة بينكم وبين أمريكا في ذلك الوقت؟

أسامة بن لادن: هذه محاولةٌ للتشويه من الأمريكان، الحمد لله الذي رد كيدهم إلى الوساوس، وكل مسلمٍ منذ أن يعي التمييز وفي قلبه بغض الأمريكان، وبغض اليهود والنصارى هو جزءٌ من عقيدتنا وجزءٌ من ديننا، ومنذ أن وعيت على نفسي وأنا في حربٍ وفي عداءٍ وبغضٍ وكرهٍ للأمريكان، وما حصل هذا الذي يقولونه قط.

أما أنهم دعموا الجهاد أو دعموا القتال فهذا الدعم عندما تبين لنا في الحقيقة هو دعمٌ من دولٍ عربية، وخاصةً الدول الخليجية لباكستان حتى تدعم الجهاد وهو لم يكن لوجه الله -سبحانه وتعالى- وإنما كان خوفًا على عروشهم من الزحف الروسي، وأمريكا في ذلك الوقت كان كارتر لم يستطع أن يتكلم بكلمة ذات شأن إلا بعد مرور بضعٍ وعشرين يومًا في عام ١٣٩٩ هجرية الموافق من عشرين يناير ١٩٨٠م، قال: إن أي تدخلٍ من روسيا إلى منطقة الخليج فإن أمريكا سوف تعتبره اعتداءً عليها؛ لأنه محتلٌ لهذه المنطقة محتلٌ للبترول، فقال: نحن نستخدم القوة العسكرية إذا حصل هذا التدخل، فالأمريكان يكذبون إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام ونحن نتحداهم ليبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالةً علينا وعلى المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن أي اتفاقٍ وإنما كنا نحن نقوم بالواجب لنصرة الإسلام في أفغانستان، وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية.

عندما قاتل المسلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شديدًا بين الروم والفرس وكان دائمًا، ولا يمكن لعاقلٍ أن يقول إن المسلمين عندما بدأوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة؛ يعني قتلك الروم وهو واجبٌ عليك، كان يفرح الفرس لكن بعد أن أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدأوا بالفرس، فتقاطُع

المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام ولنا محاضراتٌ -بفضل الله سبحانه وتعالى- منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجوب مقاطعة البضائع الأمريكية وبوجوب ضرب القوات الأمريكية وبوجوب ضرب الاقتصاد الأمريكي منذ أكثر من ١٢ سنة.)

منهجه في مسألة التكفير
والتحذير من الخوض فيها بغير علم

إن هذا المعلم من أهم المعالم والركائز التي ينبغي تعطى حظها من البيان والكلام فقد ظلم الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- ودعوته في هذا الباب صنفان من الناس.. الصنف الأول اتهموه بالإرجاء ومخالفة أهل السنة في هذا الباب.. والصنف الآخر اتهموه بالغلو وأنه على نهج الخوارج التكفيريين..

وقبل من بيان براءة الإمام المجدد من هذه الافتراءات أذكر كلاماً نفيسا للشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله- فَصَّلَ فيه بشكل واضح هذا الأمر الخطير حيث قال -رحمه الله- في "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية": (الصحوة الشاذة وتيار التكفير (١٩٩٠ - ٢٠٠٠): من المهم جدا لفهم ظاهرة التكفير أن نفهم المعادلة المكونة له والتي اختصرناها بأنها:

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شاب متحمس جاهل ... = ميلاد تيار التكفير.

وخلاصة ما حصل لهذه الظاهرة منذ ميلادها مطلع السبعينيات وإلى اليوم أنها كانت محدودة معزولة لم تلق شعبية ولا انتشار، لا في أوساط الصحوة الإسلامية، ولا في أوساط عامة المسلمين. ففي حين لم يقف التواصل والعلاقات بين مختلف أعضاء وجماعات الصحوة في المناحي الثلاثة السياسية والغير سياسية والجهادية رغم اختلافها وخلافاتها، حيث قام التواصل الفكري والعلاقات الشخصية، بل والتعاون

في مختلف مستويات ما اتفق عليه، أجمعت الصحوة الإسلامية بكاملها على نبذ ظاهرة التكفير وفكر أصحابه مما ساعد على ضموره وانكماشه..

وللطبيعة بالغة السوء التي طبعت فكره وسلوك أفراده ;من الجهل والتشنج والعنف واللامعقولية، بالإضافة للانحراف عن الأسس الشرعية، لم يستطع هذا التيار أن يكسب أرضية داخل الصحوة ولا خارجها، إلا على شكل جيوب منكمشة معزولة هنا وهناك تجتر أحقادها وجهالتها وتتولى تصفية بعضها البعض. ولكن يجدر لفت النظر تحت عنوان هذه الظاهرة إلى ملاحظات مهمة:

- **الملاحظة الأولى**: هي أنه رغم أن جماعات تيار التكفير قد كفرت جماهير المسلمين وعلماءهم وقادة صحوتهم ودعاتهم لأنهم لم يكفروا الحكام وزبانيتهم، ولم يكفروا من لم يكفر الحكام ولم يكفروا من لم يكفر هؤلاء .... وهكذا وهي سلسلتهم النكدة وأساس انطلاق فكرتهم. إلا أن الغريب في الأمر أنهم لم يتبنوا فكرة جهاد الحاكم الكافر الذي فاصلوا الناس على كفره! ولم يعرف لجماعات التكفير أنهم قاتلوا الحكام إلا في القليل من التجارب. ناهيك عن أنهم لم يدعوا إلى جهاد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى الذين حلوا في عقر دار المسلمين. في حين أنهم تلوثت أيديهم بقتل الأبرياء من المسلمين. وهذا ما لفت الأثر الشريف النظر إليه من أن من خصائص هذه الشراذم أنهم: (يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل القرآن).

- **الملاحظة الثانية**: هي أن الحكومات الطاغوتية ومن ورائها من أعداء الإسلام أدركوا أهمية هذا التيار الشاذ في محاربة الجهاد ووقف صحوته. وذلك لمفارقة بسيطة وهي:

أن الجهاديين يريدون تعبئة الأمة وتجنيدها لمحاربة الأعداء الخارجيين من الكفار مثل اليهود والصـــليبيين والوثنيين الهاجمين علينا، ولمواجهة الطواغيت من الحكام الذين تولوا تحقيق أهدافهم ومحاربة أمتهم. في حين أن التكفيريين ينطلقون من مبدأ تكفير عموم الأمة! فكيف يجاهدون معهم بعد أن سلخوهم عن دينهم!

والأمر المهم الثاني الذي أدركه أولئك الخبثاء من الحكام وأعوانهم وأجهزة استخباراتهم ومراكز دراســاتهم المتفرغة لحرب الإســلام والمســلمين أن إلصــاق تهمة التكفير بالجهاديين بدعوى أنهم خوارج يكفرون الحكام وأعوانهم وعلماءهم.. ويكفرون عوام الناس (وهو زعم باطل) لأن الجهاديين كما هو معروف لا يسحبون سلاسل التكفير هكذا خبط عشـواء. ولهم فقههم المنضـبط المعتمد على عقائد أهل السـنة والجماعة المعروفة وكتاباتهم ومنابرهم الإعلامية أكبر دليل على ذلك ... فإلصــاق الحكومات هذه التهمة بالجهاديين هو من أهم الســبل لفصــلها عن جماهيرها. ولذلك عملت على هدم الجدار الواضـــح الفاصـــل بين هذين الاتجاهين المتناقضـــين في المنهج والأهداف وأعني "تيار الجهاد" و "ظاهرة التكفير".

- <u>**الملاحظة الثالثة والهامة جدا**</u>: أن أجهزة الاستخبارات المعادية لهذه الأمة والعاملة ليل نهار على ابتكار أسباب مواجهة صحوتها الجهادية. لما رأت فائدة أفعال التكفير المشــينة ولاســيما بعد جريمتهم الشــنعاء في حق الجهاد والأمة في الجزائر التي كانت حقل تجارب للاستخبارات كما سأبين في الفصل السادس في نبذه عن تجربة الجزائر إن شــاء الله. رأت أن من أنجح الوســائل لمواجهة الجهاد والجهاديين لفصــلهم عن الأمة هم تهمتهم بالتكفير فيكرههم الناس فينعزلون عنهم فيســهل القضــاء عليهم.

وهذا ما طبقوه في الجزائر. ولما درست أجهزة الاستخبارات هذه الظاهرة "التكفيرية" اكتشفت المعادلة التي أشرت إليها في ميلاد التكفير الذي يولد طبيعيا في الأجواء التي أشرت إليها. فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاستنساخ الاصطناعي في الأوساط التي يتوقع أن الجهاد سيولد فيها بطبيعة الحال نتيجة الحضور الاستعماري أو النظام الطاغوتي ومن الأمثلة على ذلك ما جرى في السعودية منذ حرب عاصفة الصحراء الكويتية. وولادة بذور الجهاد والمقاومة. فقد عمدت الاستخبارات السعودية التي اتخذ وزير داخليتها نايف بن عبد العزيز، من وزير الداخلية المصري الأسبق سيئ السمعة "زكي بدر" المشهور بنظرياته الاستئصالية وبشاعة أساليبه، اتخذ منه ومن فريق عمل من الاستخبارات المصرية مستشارين لتأسيس جهازه القمعي في السعودية منذ ١٩٩١. وكان من نتائج ذلك ما بلغنا بعض القليل من أخبار ما جرى هناك لاستنساخ التكفير وتهمة الجهاد المترقب في السعودية به....)

وقال الشيخ أبو مصعب السوري –رحمه الله– في "سرايا دعوة المقاومة": (ولم يخرب بيت تيار الجهاد أحد مثل تيار التكفير، ففكر الجهاد يقوم على أخذ الأمّة إلى الجهاد، وفكر التكفير يقوم على تكفير الأمة، والبصق عليها ورفسها وضربها وإخراجها من الملعب.. فيبقى عشرة، وإذا بقينا عشرة أمام النظام الدولي كله خسرنا، وهذا هو الذي يريده النظام الدولي.

التكفير جاء ليقيم سورًا من الإسمنت المسلح بيننا وبين الأمة، وبدون الأمة ليس هناك جهاد، المجاهد يريد أن يأخذ الأمة ويترفَّق بها إلى الجهاد، التكفيري يريد أن يأخذ الأمة ويكفّرها ويُخرجها من المعركة حتى نبقى عشرين واحدًا فنخسر المعركة.

وكما أدركنا نحن هذا فنريد أن نحول بين تيار التكفير وبين الناس، فكذلك أدركته أجهزة الاستخبارات ودوائر مكافحة الإرهاب فتريد أن تأخذ الشباب إلى التكفير، فهناك تكفير وُلد عفويًا، ونحن الآن أمام تكفير يُصنع حكوميًا، تكفير الجزائر صُنع في بيشاور على يد الاستخبارات السعودية والمصرية.

ولكن هناك بلاد ليس فيها فكر تكفيري وصحوتها لا تقبل التكفير مثل الجزيرة والشام حيث فيها علم وعلماء وصحوة حقيقيّة، فكيف يُصنع التكفير؟ يصنع التكفير كما في مثالنا هذا..

حدثني أحد الإخوة الذين خرجوا من سجن الرويس وتعذَّبوا هناك فقال أن هناك أكثر من عشرة آلاف واحد من الأفغان العرب السعوديّين مرّوا على سجن الرويس في حملة منظَّمة حتى يتعلَّموا الأدب ويرجعوا إلى عقلهم، فاعتُقلوا ومروا على حملات التعذيب.

وكان من جملة حملات التعذيب التي حصلت تعذيب كهربائي وتعذيب في غرف يسمونها "الساندريلا"، يعني نفس الأساليب التي تخرّجوا بها من المعذّبين المصريين والتوانسة والسوريّين، ولكن لفت نظري قضية ملفتة جدًا.

قال كان هناك معذّب اسمه "أبو نايف" من النخاولة وهم شيعة المدينة، والنظام السعودي عادة يأتي بالشيعة حتى يعذّبوا السنة حتى يُجيدوا، ويأتي بالسنة حتى يُعذبوا أهل المنطقة الشرقية حتى يجيدوا لأنّ عندهم دافعًا عقديًا، ويلعب بهذه القضايا.

الشاهد قال لي الأخ بعد أن يقوموا بحملة تعذيب شديدة جدًا يُدخلون كل عشرين حفاة عراة كما ولدتهم أمهاتهم مع بعض، كل واحد لحيته إلى بطنه ويســـتر عورته بيده، فيدخلوهم ويعذبوهم ويقوموا بـــ "حفلة كفر" من سبّ الربّ وسبّ الدين.. حتى قال الأخ: كانت حملات تعذيب الكهرباء أهون علينا من هذا الذي نسمعه..

ثم أمّنني الأخ وقال لي: إذا ذهبت إلى أفغانستان فاذهب للإخوة المجاهدين وأمراؤهم واحكي لهم أنهم كانوا يأتون بالأخ، -وهذه القصص نحن نستحي منها ولكن لابد أن نبلّغها للمسلمين-، فيربطوه ربطة فتنكشف عورته ثم يبدؤون يعبثون بمجسمات من البلاستيك فيها أعضاء ذكريّة وأشياء جنسيّة وكذا ويهدّدوه بهتك عورته..

ثم يُنزلوه بعد أن يُسمعوه كل هذا الكفر يقولون له: لماذا السلاح ولماذا القتال؟ نحن في دولة توحيد، وهذه "هيئة كبار العلماء" والمشـــايخ يقولون أن هذا توحيد وأن الحاكم مسلم..

حتى يقع في روع السامع أن هذا الحاكم ليس مسلمًا، وأن هذا العالم ليس مسلمًا، ثم يخرج ويرى المسلمين في الدشوش والمباريات فيقول: ولا هؤلاء مسلمون، وهكذا يُصنع التكفير..

حتى حدَّثني الرجل أن هذا الجلّاد "أبو نايف" جاء مرة يضـــحك، وهو رجل عمره ستين سنة وكان أعرج ويقول لنا: هذا ولي أمر خادم الحرمين يطبق الشريعة، شو ما عجبتكم الشريعة، إيش المشكلة إذا كان يريد أن يطبق الشريعة "بكذا"، ويذكر فعل النكاح بلغة بذيئة، فتقشعّر جلود الناس بينما هم يضحكون..

فبهذه الطريقة يُلقى في روع الشـــاب أن هذا الجلاد كافر، وأن الحكومة التي عيّنته بهذه الطريقة كافرة، وأنّ هذا العالم الذي تولّاها كافر، ثم إنّ هذه الأمة المعرِضـــة كافرة، فيبدأ يُنشَأ فيهم فكر التكفير.

وزيادةً حتى تتأكّد أن التكفير يُصنع صناعةً كانوا يأتون إليه ويقولون له: حتى يُفرج عنك يجب أن توقّع على الورق أنك تكفّر الحاكم وتكفّر هيئة كبار العلماء وتكفّر المشايخ وتكفّر الشعب السعودي، فإذا وقَّع هذا وسجَّل فيديو ليوضع في الأرشيف ويستخدموه فيما بعد يُفرج عنه..

ولذلك نتذكّر كيف وقف الإخوة الأربعة شـــهداء تفجير الرياض وقالوا: أننا كنا نعتقد كفر الحكومة ونعتقد كفر العلماء..، وطبعًا كفر الحكومة نحن نعتقده صدقًا، ولذلك هم يقولون أننا نكفر العلماء وأبو مصـــعب يكفر العلماء، وهي أصـــلًا إشاعة؛ جزء منها يرددها الجهلة وجزء تصنعه المخابرات، فنحن لا نكفر العلماء.

فتُصنع هذه الشريحة صناعةً، لأنهم رأوا نتيجتها في الجزائر ورأوا كيف أننا خسرنا معركة الجزائر بسبب التكفيريين، فيريدون أن نخسر معارك لم نبدأها أصلًا، ولذلك أقول ليس أخطر على الجهاد من التكفيريّين.)

ثم أذكر كلام الشـيخ عطية الله الليبي -رحمه الله- في مسـألة التكفير فهو من طلبة العلم المبرزين والمقدمين عند الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- وتنظيم القاعدة -حفظها ونصرها الله- حيث قال -رحمه الله- "مجموع الأعمال الكاملة":

(مسألة التكفير هي فرعٌ عن مسألة الإسلام والإيمان؛ إذِ الكفرُ ضدُّ الإيمان، ومن الكفرِ الشركُ بالله وهو ضد التوحيد.

ونحن بحمد الله تعالى على مذهب أهل السنة والجماعة كما ذكرنا في كل الأبواب، ومنها مسألة الإيمان حدّه ومسمّاه ومعرفة ما يناقضه ويضادّه، ومعرفة التوحيد لله رب العالمين في ربوبيته وألوهيته وفي أسمائه وصفاته سبحانه، ومعرفة ما ينقض ذلك ويفسده، ومعرفة ما يدخل به الكافر في الإسلام فيصير مسلمًا، وما يخرج به المسلم من الإسلام فيصير كافرًا مرتدًا والعياذ بالله.

في كل ذلك نحن على مذهبِ علمائنا وأئمتنا من أهل السنة والجماعة.

ومسألة التكفير والكلام فيها يؤخذ من مجموع كلام العلماء في كتب العقائد والإيمان والتوحيد، وكتب الفقه في الأبواب التي يعقدها الفقهاء للردّة -أعاذنا الله وإياكم منها- وأحكامها وأحكام المرتد.. ولهذا ننبّه دائمًا على خطأ من يعتمد في فهم أحكام مسألة التكفير على ما في كتب التوحيد والعقيدة فقط، يشدو منها طرفًا ثم يظل يطلق الأحكامَ بدونِ معرفة بـ "الفقه" وأقوال الفقهاء وطرائقهم وشروحهم.

وفي عصرنا كُتِبت عدة مؤلفات في هذه المسألة وفي بيان نواقض الإسلام القولية والعملية وغيرها، منها الجيّد ومنها دون ذلك، وطالبُ العلم يستفيد منها، ويسترشِدُ العلماءَ الأمناء ويراجعهم في مواطن الإشكال، ويتذكر الفائدة التي مرت عن شيخ الإسلام ابن تيمية في كثرة الكتب، ويكثِرُ من الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به

في افتتاح صلاته من الليل: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيب والشـــهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ، إنك تهدي مَن تشاء إلى صراط مستقيم»، والتوفيق بيد الله وحده.

وأذكر هنا جملا مفيدة في هذه المسألة (مسألة التكفير):

أولا: التكفير هو الحكمُ بكفرِ الشخص.. هذا هو الاستعمالُ الأكثر، وقد يستعمَلُ لتكفير "الفعل" ومعناه حينها الحكمُ بأن الفعل الفلاني من أفعال المكلفين -فعلٌ أو ترْكٌ، أو قول، أو اعتقادٌ ومنه الشـــك- محكومٌ عليه في ديننا وشـــريعتنا بأنه كفرٌ وخروجٌ من دائرة الإسلام، وهو التكفير المطلق في الاصطلاح.

ثانيًا: التكفير ســـواءٌ كان مطلقًا -وهو الحكم بأن الفعل أو الترك، أو القول أو الاعتقاد ومنه الشـــك، كفرٌ-، أو كان معيّنًا -وهو الحكم بأن الشـــخص المعيّن الفلاني قد انطبق عليه الكفرُ فهو كافرٌ خارج من ملة الإســـلام، غيرُ مســـلمٍ- هو حكمٌ شـــرعيّ، ككل الأحكام الشـــرعية؛ لا يجوز القول به إلا ببرهانٍ من الله -عز وجل-، بمعنى أن تدل الشريعة المطهرة عليه دلالة بيّنة.

فما صح الدليل من القرآن والسنة وما في معناهما على أنه كفرٌ فنقول هو كفرٌ.

ونطلِقُ فنقولُ: مَن فعل كذا فهو كافرٌ؛ لبيان الحُكمِ وللتخويف والزجر والردع.

ثم الشـــخص المعيّن، أي فلان بن فلان الذي وقع منه هذا الفعلُ نحكُمُ عليه بأنه كافرٌ إذا توفرت شـــروط التكفير ولم توجدْ موانعُ تمنَع من إيقاع الكفرِ عليه، وهذا هو: تكفيرُ المعيّن.

ثالثًا: إذا عرفنا أنه حكمٌ شرعيّ فسبيلُهُ سبيل سائر الأحكام الشرعية من حيث درجةُ ثبوتِه، فمنه ما هو مســتيقن مقطوعٌ به، مثالُهُ: كون اليهود والنصـــارى كفارًا وكذا الوثنيون عبّاد الأصنام والأوثان كما كان عليه حالُ مشركي العرب الذين بُعث رســـول الله ﷺ فيهم، وكما عليه حالُ عبّاد البقر من الهندوس في الهند حاليًا وكذا عبّاد بوذا "البوذيون"، وأشكالهم من كلّ أصحاب الأديان والمللِ غير ملة الإسلام، ومن لم يدخل في الإســـلام ولا انتســـبَ إليه في وقت من الأوقات، نعوذ بالله من حالهم.

فهؤلاء كفرُهُم -أي كونهم كفارًا- مقطوعٌ به وهو معلوم من الدين بالضـرورة، ويجب على كل مسلم عرفهم أن يعتقد أنهم كفارٌ.

ومنه ما هو ملحقٌ بذلك كالمرتد الذي صرّح وأعلن بالانتقال إلى ملة أخرى غير ملة الإسلام، كمن يتنصّرون والعياذ بالله ويُعلنون كفرهم بدين الإسلام ورفضه والانتقال إلى دين النصارى.

وقريبٌ منه كفرُ مَن اتبع مدّعي نبوّةٍ كأتباع مســـيلمة الكذاب لعنه الله، وأتباع الدجاجلة المتنبّئين الكذابين، ثم قريبٌ منه -وهذا كله في المرتد- من يجاهِر بالكفر

الصريحِ ويسبّ الدين ويستهزئ به بشكلٍ واضح لا لبْسَ فيه، ولا سيما مع التكرر، ومن هؤلاء من يكون كفره أعظم وأوضح من كفر اليهود والنصارى.. وهكذا.

ومنه ما هو دون ذلك؛ حكمٌ اجتهاديّ يحكم به الفقيه المؤهّلُ كالحكم على حاكمٍ بأنه كفرَ لأنه لم يحكم بالشـريعة، فإن ذلك درجاتٌ تتفاوتُ: كمن نبذها رأسًا ولم يحكم بشيء منها، أو من حكم ببعضها دون بعضٍ بحيث يمكن أن يدّعي أو يُدّعى له أن له عذرًا وتأوّلًا فيما لم يحكم به، ومن هو متصوّرٌ فيه شبهةٌ وتأويلٌ، ومَنْ لا، وغير ذلك من الأمثلة وهو كثيرٌ جدًا.

وكمن كفر بفعلٍ مكفّر وقع الخلاف بين العلماء في التكفير به، وترجّح عند البعضِ التكفيرُ به، كلبْس الصليب، وكترك الصلاة تركًا تامًّا بالكلية.. وهكذا.

قال الشيخ محمد أنور كشميري: (مأخذ التكفير أي دليله الذي أخذ منه وبُني عليه قد يكون ظنيًا، ونظيره العمل بالظن في حالة الجهاد إذا تردد في شخص أهو مسلم أم لا، ولا ينبغي أن يظن أن التكفيرَ ونفيه ينبغي أن يدرك قطعًا في كل مقام؛ بل التكفير حكمٌ شـرعي، يرجع إلى إباحة المال وسـفك الدم والحكم بالخلود في النار؛ فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية؛ فتارةً يُدرَكُ بيقينٍ، وتارةً بظنٍّ غالبٍ، وتارةً يُتَرَدَّدُ فيه، ومهما حصـــل ترددٌ فالوقف فيه عن التكفير أولى.) اهـ.، من "إكفار الملحدين في ضروريات الدين"، مستفيدًا من الغزالي في "التفرقة".

<u>**رابعًا**</u>: وكما يقع الاختلافُ من الفقهاء المفتين، ويقعُ الترددُ من الفقيه الواحد في الحكم بأن شـــيئًا من أفعالِ المكلّفين كفرٌ أو لا، كذلك يقع الاختلافُ والترددُ في

إيقاع الكفر على الفاعلِ، أي تكفير المعيّن، بسبب الاختلاف في النظر في الشروط والموانع وتطبيقها.

خامسًا: وبناءً على ما سبق؛ فإنه لا يجوز الإقدامُ على تكفير أحدٍ من أهلِ الإسلام، أي ممن سبق أن حُكِم بإسلامه وثبتَ له عقدُ الإسلام، إلا ببرهانٍ من شريعة الله تعالى، ولأن الحكم بالتكفير حكم شرعيّ تتفاوت درجاتُ وضوحه وثبوته كما أشرنا:

- فإن الواضحَ منه جدًا يعرفُهُ المسلمون أو أكثرُهم ومتوسّطوهم، وربما استوى العالِم والعامّيُّ في معرفته، كبعض الأمثلة المبيّنة أعلاه، وكمن يسبّ الله -عز وجل- وتبارك وتعالى وتقدس، ويسبّ دينه، ويستهزئ به بشكل صريح واضحٍ لا لبسَ فيه، ولا سيما مع التكرر مثلا؛ فإن هذا لا يحتاجُ إلى أن يُفتِي فيه عالِمٌ لأن كل الناسِ علماءُ بأن هذا العمل كفرٌ أكبر مخرجٌ من ملة الإسلام، فمَن رأى من يفعل ذلك ولم يكن مُكرَهًا -كأن يكون طاغيةٌ يُكرِهُهُ على فعل ذلك في سجنٍ ويعذبه مثلا-، ولا كان مجنونًا -فإن المجنون المسلمَ محكومٌ بإسلامه ولا تصحُّ ردّتُهُ- فإنه يحكم بكفره.
- أما غيرُ الواضح جدًا، مما قد يقع الخلاف بين أهل العلم فيه من الأعمال هل هو كفرٌ أو لا، أو يقع الخلافُ والتردد في تكفير فاعِلِهِ بناءً على: هل له عذرٌ أو لا، أي هل توفرت في حقه الشروط وانتفت الموانع للحكم عليه بالكفرِ أو لا.. فهذا يجبُ أن يُترَك للعلماء ولا يتكلم فيه مَن ليس من أهل العلم؛ لأنه مظنة الخطأ، والخطأ في هذا البابِ على وجه الخصوص خطيرٌ

وأمرُه صعبٌ، لما ورد في الشريعة من التحذيرِ من الإقدام على تكفيرِ مسلمٍ بغير حق والمبادرةِ إليه، والوعيد على ذلك، فيخشى المؤمنُ الحريصُ على دينه والنجاة في آخرته أن يكفّر مَن لا يستحق التكفير فيبوء بالوعيد الشديد.!

والله أعلم، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا وإخواننا الهدى والسداد..

وأما الكلام على تركيا وواقعها؛ فيحتاجُ إلى تفصيل، ولا بد من النظر إلى كل مسألة نظرًا خاصًا.

وعلى ضوءِ ما ذكرتُ فيما سبقَ فإن الواجبَ على عمومِ الإخوة أن يسألوا العلماء ولا يتسرّعوا في تكفيرِ الناس، بمجرد ما يقرأون ويفهمون من عبارات المؤلفين في الكتب، فإن هذا من أسباب الغلط الفاحشِ؛ لأن الأخ "العامّيّ" يطبّق ما يفهمُهُ من تلك الكتب، فربما أخطأ في الفهم، وربما أخطأ في التطبيق، وربما أخطأ في كليهما، فيحصل فسادٌ كبير.!

ولذلك نكرر ونوصي بأن تُترك مسائل التكفير للعلماء، وعلى الشباب أن يعلموا أنها -أكثرها- مسائل اجتهادٍ يُحتمل فيها الاختلافُ، فلا يتعصّب أحدٌ لقولٍ ولا لشيخٍ ولا لجماعةٍ، ولا ينصبوا العداء من بعضهم لبعضٍ بسبب الاختلاف في تكفير شخصٍ أو أناسٍ أو طائفة، ممن سبيلُ تكفيرهم الاجتهاد، بل من بانَ له الحق بنفسه وبحثه ونظره من طلبةِ العلم فاطمأن له فليعمل به، ومن لم يتبيّن له فليحتطْ، وليعذر كلُّ أحدٍ مَن خالفه في شيءٍ من ذلك.

هذا هو السبيل الصحيحُ، وإلا فلن يكون هناك صلاحٌ ولا إصلاحٌ وقد يُفسِد الشبابُ وينفِّرون عن الدين ويصدّون عن سبيل الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وأنهم ينصرون دين الله؛ فيكونون معرّضين للوعيد الشديد.. قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النحل: ٩٤]، قال ابن كثير -رحمه الله-: (حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلًا أي خديعة ومكرًا، لئلا تَزل قدم بعد ثبوتها، مَثَلٌ لمن كان على الاستقامة فحاد عنها وزلَّ عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله، لأن الكافرَ إذا رأى أن المؤمنَ قد عاهده ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فانصدَّ بسببه عن الدخول في الإسلام.) اهـ. فإذا كان هذا الصدّ عن سبيل الله وهذا الوعيد الشديدُ عليه يقع بسبب التلاعب بالأيمان واتخاذها للخديعة والمكر، فإن ما يقعُ من التنفيرِ عن دين الله والصدّ عنه بسبب "التلاعب" بأحكام التكفير والتصرف فيها بجهلٍ وغلوّ وتعصّبٍ واستعجالٍ، أكبر من ذلك بكثيرٍ، كما هو معروفٌ، فليحذر الشباب المجاهدون والدعاة إلى الله من ذلك أشدّ الحذر. والله وليّ التوفيق.)

بعد هذا البيان من كلام هؤلاء العظماء في بيان الطريق القويم في التعامل مع مسألة التكفير وأن منهج الحركة الجهادية بصفة عامة وتنظيم القاعدة بصفة خاصة على منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب نذكر بعض النماذج من كلام الإمام المجدد -رحمه الله- التي تدل براءته من الغلو والإرجاء وأنه على مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب فقال -رحمه الله- في "العلم للعمل": (يا إخواني إن من

منهج أهل السنة والجماعة أن الإنسان إذا دخل إلى هذا الدين بيقين فلا يخرج منهُ إلا بيقين؛ فالأصل في المسلمين أنهم مسلمون، فلا يجوز للناس أن يكفرّوهم، بل هذا من منهج الخوارج، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي الحديث الصحيح عن نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»، فإن كانت المقولة في الذي قيل فيه كافر فخلاص هو ذاك كافر، ولكن إن لم يكن كافر رجعت على الذي قال، فهذا تحذير شديد جدًا جدًا جدًا من الخوض في هذه المسألة، وخاصةً في تكفير الأعيان، فاتقوا الله -سبحانه وتعالى-، وإنّما النّصر الذي ننتظره من الله -سبحانه وتعالى- نُقدّم بين يديه -سبحانه وتعالى- الصّبر والتقوى، ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا**﴾.

فإيّاكم ثم إيّاكم؛ فتكفير الناس من الذنوب العظام جدًا، ومن الكبائر الخطيرة جدًا، فاحفظوا ألسنتكم، وفي الحديث الصحيح عن نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا، أن تَعبدوهُ ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفَرّقوا..»، فهذا الرّكن الأول لا يقوم بغير هذه القاعدة، وماذا هي هذه القاعدة؟ قاعدة الجماعة: "أن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا"، يقول شيخ الإسلام: (هذا الحديث في هذه الثلاث شمل أصول الإسلام؛ «أن تعبدوهُ ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تَفرّقوا، وأن تُناصحوا من ولّاه الله أمركم»، فعليكم بالنّصيحة في ما بينكم وما بين أمرائكم.

«ويكره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»، فتركيزٌ شديد بين تلك الثلاث وهذه الثلاث؛ فالثلاث الأول هي أصـــول الإســـلام وعليها يقوم الدين، والثلاث الأُخَر هي من هادمات الدين، فدع عنك قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة الأموال.

فعندما نحن نتكلم، فإن كان المتكلم من أهل العلم ويعرف الضوابط في التكفير فلا بأس يتكلم بذلك ويُبيّن لإخوانه، وأما أن نُهرّب الناس من مســـألة التكفير فيكفر الحكام في اليوم أربعين مرة ولا أحد يستطيع أن يكفرهم هذا أيضًا منهج الطواغيت، ويُشـــيعون ويُضـــخّمون من هذا الأمر بحيث يَكفُرون ولا أحد يُكفّرهم، فمن كفرّهُ الكتاب والسنة نُكفّرهُ، إذا انطبقت عليه هذه الأحكام نكفّره، وأما من كُفَّر بالنص مثل فرعون وأبي جهل فهذا قطعًا لا يؤمن من لم يكفرهم، أما الآخرون فإذا ارتكبوا نواقض الإسلام فالمسألة حساسة ودقيقة، أحيانًا قد يرتكب الإنسانُ فعلاً كفريًا ولا يكفر؛ لجهله أو لبعض إكراه، فهذه مســـائل دقيقة ما يتيسّـــر لعامة الإخوة أن يتعلموها ويتخصّصوا فيها، لكن نحن عادةً نتكلم عن الأمور العامة.

الأنظمة أعدادها محدودة وارتكبت نواقض الإسلام، وقد نُصحوا وبُيّن لهم مِرارًا، وهم يُصرّون على ذلك ويحاربون الله ورسوله، فنقول هذه الأنظمة قد ارتدّت عن دين الله -ســـبحانه وتعالى-، لكن الإخوة يُدخلون فيما هو أكثر من ذلك؛ يقولون فلان يمدحهم وفلان ...، وبعض الناس جُهّال فلا يســـعك بحال أن تُنزل عليهم الحكم، بل أقصى ما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -عليه رحمة الله- عندما كان يكفر بعض أمراء المناطق في عصـره كانوا يحكمون بغير ما أنزل الله، فكان يكفرّهم -رحمه

الله-، وكان بعض الناس ممّن ينتســـب إلى العلم يدافع عن أمرائه فكان يرد عليهم ويقول لهم: إن أقل أحوال هؤلاء -أي الذين يمدحون ويدافعون عن الأمراء الذين يحكمون بغير ما أنزل الله-، إنّ أقل أحوال هؤلاء أنهم فسّـاق، فبين الفسـق والكفر مسافة كبيرة.

فاتّقوا الله وأمسكوا عن هذا الأمر، وأشغلوا أنفسكم بكثرة الذكر والدعاء، واستشعار النعمة وشـكر هذه النعمة، حتى نلقى الله وهو راضٍ عنا، فقبل ما تتكلم فكر أنت ماذا سـوف يترتب على هذا الكلام، فاجتهد في طاعة الله، والجهاد في سـبيل الله، والمســـائل التي ليس لك فيها باع عليك بالتقوى، ومن التقوى أن لا تتجرّأ على الفُتيا. ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

وجاء في "مقابلة مع تيسـير علوني": (تيسـير علوني: طيب شـيخ أسـامة، ما هي إسـتراتيجية تنظيم القاعدة في الدول العربية، الملاحظ أن بعض الدول العربية علقت على ما حصل في نيويورك وواشنطن، علقت تعليقا مؤيدا للاتهامات الأمريكية لكم بالوقوف وراء ما حصل في نيويورك وواشنطن، بعض الدول العربية أشد شططا في تعليقها، مثلا تعليق وزير الداخلية السـعودي الأخير الذي حذر منكم شـخصـيا وحذر من إتباع نهجكم ومن إتباع ما تقولونه، فهل لديكم استراتيجية خاصة بالدول العربية؟ وما هو ردكم على التصريح الأخير لوزير الداخلية السعودي؟

الشـيخ أسـامة بن لادن: أؤكد أننا جزء من هذه الأمة، وأن هدفنا هو نصـرة أمتنا والسعي لرفع الظلم والذل والهوان والخنوع عنها، ورفع الأحكام الوضعية التي فرضتها أمريكا على عملائها في المنطقة، لتُحكم هذه الأمة بكتاب ربها الذي خلقها

سبحانه وتعالى، فاستمعت إلى طرف من كلام وزير الداخلية، و اتهمنا بالاسم بشكل مباشر وقال إن هؤلاء يكفرون المسلمين، معاذ الله، فإننا نعتقد أن المسلمين مسلمون ولا نكفر أحدا إلا إذا ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، إن كان عالما بأن هذا ناقض للإسلام، أو من معلوم من نواقض الدين بالضرورة. لكن نقول عموما، همنا أن تجتمع هذه الأمة على كلمة سواء تحت كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وأن تتحرك هذه الأمة لقيام الخلافة الراشدة مع الأمة الإسلامية عموما التي بشرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أن الخلافة الراشدة ستعود بإذن الله سبحانه وتعالى..

والمطلوب من الأمة أن توحد جهودها في هذه الحملة الصليبية، فهذه أشد وأعنف وأشرس حملة صليبية تقوم على العالم الإسلامي منذ فجر التاريخ العالم الإسلامي، فقد مرت حروب صليبية سابقة ولكن لم يسبق لمثل هذه الحملة مثيل، وقد صرح بوش بلسانه "Crusade" أي الحرب الصليبية، فالغريب أننا نقوّل ما لم نقل، ويصدق بعض الناس، يقال أننا كما ذكر وزير الداخلية، نكفر المسلمين، معاذ الله من ذلك، وبوش عندما يقول، يلتمسون له الأعذار، يقول ما قصدنا حرب صليبية، هو قال أنها حرب صليبية، فصورة العالم اليوم "منقسمة" إلى قسمين، وقد أصاب بوش عندما قال: "إما معنا أو مع الإرهاب"، أي إما مع الصليبية أو مع الإسلام، بوش صورته اليوم، هو في أول الطابور يحمل الصليب الضخم، الكبير ويسير، وأشهد بالله العظيم، أن كل من يسير خلف بوش في خطته هو قد ارتد عن ملة محمد ﷺ، وهذا الحكم هو من أوضح الأحكام في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ،

وقد أفتى كما ذكرت المشـــايخ من قبل، والدليل على ذلك قوله ســـبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين قائلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَـــارَى أَوْلِيَاء بَعْضُـــهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَـإِنَّـهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْـدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

قال أهل العلم: (الذي يتولى الكفار قد كفر)، ومن أعظم معالم الولاية المناصـــرة بالقول وبســـنان وبالبيان، فالذين يســـيرون خلف بوش وفي حملته ضـــد المســـلمين، قد كفروا بالله ورســـوله ســـبحانه وتعالى. ويقول أيضـــا في الآية التي تليها ســـبحانه وتعالى: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دائرة فَعَسَـى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْـبِحُواْ عَلَى مَا أَسَـرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ**﴾، ويقول: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ**﴾.

قال ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره وغيره: (كان كثير من الصحابة لا يعلمون أن رأس النفاق منافق كافر، عبد الله بن أبي بن ســـلول، فلما وقع ما وقع بين المســـلمين واليهود من خلاف، أراد رســـول الله ﷺ أن يعاقب اليهود، تحرك رأس النفاق ووقف مع صف اليهود وحال بين رسولنا عليه الصلاة والسلام وبين اليهود، فهذه الآيات نزلت فيه وفي أمثاله.

فالذين يتولون الذين كفروا، قد كفروا بالله ســـبحانه وتعالى ورســـوله، وتزيد الآية التي تليها تعقيبا على ما فات، لأن هذا الذي تولى الكافرين قد ارتد، فجاءت الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فأقول للمسلمين فليحذروا أشد الحذر من موالاة اليهود والنصارى، ومَن زلت قدمه بكلمة فليتق الله ويجدد أيمانه وليتوب مما فعله.)

وقال -رحمه الله- في "خطوات عملية لتحرير فلسطين": (تنبيه الأمة على أن هناك حرباً لتغيير وإماتة الأسماء والمصطلحات الشرعية، لارتكاب ما حرم الله تعالى، فيجب تفنيد ذلك وإشاعة الأسماء والألفاظ الشرعية، ومن أمثلة ذلك:

انتهاك حرمة الربا فسموه بالفائدة، وأطلقوا على البنوك الربوية البنوك التجارية.

وعندما أرادوا انتهاك حرمة الخمر، أطلقوا عليه المشروبات الروحية وما شابهها من أسماء.

وعندما أرادوا محاربة ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله سموه بالعنف والإرهاب.

ولما أرادوا ارتكاب نواقض الإسلام، وموالاة أعداء الله، أماتوا حد الردة ووصفوا كل من دعا لإقامة هذا الحد بأنه تكفيري.

ويتم الحديث عن تسمية الكافر والمرتد والزنديق والمنافق بلفظ: الآخر، وينفرون عن استخدام المصطلحات الشرعية، وكذا المغالطة بحوار الأديان، وحرية الرأي وحرية التعبير والتعايش السلمي، والدول الصديقة وعقود تقديم التسهيلات لدعم السفن

الحربية الصليبية، في الوقت الذي يقوم به اليهود والنصارى بقتل إخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان ووزيرستان والصومال وكشمير والفلبين والشيشان. فالمغالطة بالأسماء والمصطلحات باب واسع فينبغي تتبعها وكشف حقيقتها وحقيقة ناشريها.)

التحذير من الغلو والبراءة منه

نتبع حديثنا عن رؤية الإمام المجدد أسامة لادن -رحمه الله- في مسألة التكفير الحديث عن تحذيره من الغلو وبراءته ودعوته من الغلو ويحسن هنا بي أن أذكر هذا المقتطف من "لقاء مجلة انبعاث معه في العدد الثاني قال الشيخ آدم يحيى غدن -رحمه الله-": (انبعاث: لقد تحدثنا كثيرا اليوم عن التكفيريين والخوارج وحذرنا منهم ومن انحرافهم. بعض القراء قد يقول نحن معتادون أن تدافع القاعدة عن نفسها وغيرها من المجاهدين ضد الاتهامات والادعاءات بأنهم تكفيريون وخوارج التي غالبا ما تكون موجهة ضدهم، ولكن منذ متى أصبحت القاعدة معنية بمكافحة التكفيريين والخوارج؟!

آدم: في الواقع، كانت القاعدة نشطة جدا طوال تاريخها في مكافحة التكفير وأشكال الانحراف الأخرى التي قد تظهر بين الحين والآخر في صفوف المجاهدين والأمة بصفة عامة. يمكنك أن ترى هذا ينطبق خاصة في إرث الشهيد -كما نحسبه-، الشيخ عطية الله الليبي -رحمه الله-، الذي تكلم وكتب على نطاق واسع حول انحراف الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، التي شهد شخصيا، ورد أيضا مباشرة على بعض الشبهات وأبرز "المفاهيم الخاطئة" للتكفيريين في "جواب سؤال في جهاد الدفع" وهو الكتاب القيم الذي يستحق أن ينشر على نطاق واسع وأن يترجم إلى العديد من اللغات الممكنة، وخصوصا في ضوء الانتشار الأخير والمستمر للأفكار التكفيرية بين غير الناطقين باللغة العربية.

أما بالنسبة لتاريخ القاعدة في مكافحة التكفير، ذكر الشيخ عطية الله في لقائه في ٢٩ يونيو ٢٠٠٥ مع الشيخ رضا أحمد صمدي على شبكة أنا مسلم، قائلا: (ونعم كان للقادة دور إيجابي وفعّال، وللمشايخ وطلبة العلم وعقلاء الناس في مواجهة مجموعات التكفير والهجرة التي كانت تنبت لهم نوابتُ بين الحين والحين، وغيرهم من المبتدعة أيضا. كانت المساعي تشمل الدعوة والتفهيم وممارسة شتى أنواع التوعية لهم والنصح والإرشاد والمجادلة والتقويم، ثم الهجر والعزل والأخذ على أيديهم والتحذير منهم ومحاربة شرهم وضلالهم بنور العلم وبالقوة أيضا، وأنا أعلم من طريق صحيحة أن الإخوة في القاعدة أهدروا دم بعضهم -كان بعض الليبيين ممن انحرف وصاروا تكفيريين خوارج- وطلبوهم، وهذا شيء يعرفه الإخوة الذين عاشوا تلك المرحلة (أي فترة الجهاد الأفغاني ضد الروس والشيوعيين)). اهـ.

هذا سجل حافل في مكافحة هذه الانحرافات وأولئك الذين يناصرونهم استمر خلال الجهاد ضد الأمريكان وعملائهم. وبينما لا أعرف أن أي شخص خلال هذه الفترة كان دمه مستحلا، وأنا أعرف أن المشايخ لدينا مثل الشيخ مصطفى أبو اليزيد والشيخ منصور الشامي والشيخ أبو يحيى الليبي و -بالطبع- الشيخ عطية الله نفسه كانوا سريعي التعامل مع أي مظهر تكفيري أو أفكار في صفوف المجاهدين، مهما كانت صغيرة أو محدودة. وإذا أظهر أي شخص تحت قيادتهم أعراض هذا المرض الخبيث، فإن المشايخ لدينا يحدثونه على الفور ويبينون له أن هذه الأفكار خاطئة وغير مقبولة، وإذا لزم الأمر، فإنهم يسجلونه في دورة للشريعة مصممة

خصـيصـا من أجل تصـحيح المفاهيم الخاطئة عنده. هذا عادة كان يكفي لوأد المشكلة في مهدها.

أما بالنسـبة لأولئك خارج القاعدة، فإن المشـايخ لم يخجلوا من مواجهة الانحراف، ويعملون من أجل الإصـلاح على قدر اسـتطاعتهم. ومن خلال هذه السـياسـات وأخرى مماثلة، كان المشـايخ قادرين على الحد من المشـكلة في المسـتوى الأدنى على مدى العقد ونصف الماضي، على الأقل في هذا المسرح الجهادي.

أما ما يكمن وراء هذا الاهتمام، فالجواب بسـيط: عندما نتحدث عن التكفير، نحن نتحدث عن فكر منحرف يدمر ويهزم الجهاد والمجاهدين من الداخل، ولهذا فإنه ليس شيء لا يؤخذ على محمل الجد أو مسألة يمكن إهمالها.

في الواقع، كما أشـار الشـيخ عطية الله في إجابة على سـؤال عن الجهاد الدفاع، فإن هذا الفكر ضـار جدا على مصـالح الإسـلام والمسـلمين وأعداء الإسـلام يغضـون الطرف عن منتسبيه حتى وهم يستهدفون المسلمين الصادقين والمستقيمين والمجاهدين لحد الإبادة، لأن أعداء الإسـلام يعلمون أن هؤلاء المتطرفين (بعد كل ما يقال ويفعل) هم في المقام الأول خطر على أنفسـهم وإخوانهم المسـلمين، وليس على النظام العالمي والكافر، وأن سـلوكهم مثير للاشمئزاز والتجاوزات تضـفي مصـداقية للدعاية الكاذبة التي تصـف المجاهدين بأنهم إرهابيون ومجرمون و (طبعا) "تكفيريون وخوارج".

ليس ذلك فحسب، وإنما هم نفس أعداء الإسلام مثل أمريكا وأنظمة سوريا والسعودية ومصر وتونس المسؤولة في المقام الأول عن ظهور الانحرافات مثل التي نراها اليوم في سوريا والعراق. وهذا صحيح حتى لو كنا نتجاهل نظرية مقبولة في أن الأنظمة تشجع نشاط وزراعة هذه الانحرافات من أجل استخدامها في مصالحها الخاصة.

انظر للحظة: أليس هؤلاء الطواغيت الشياطين هم الذين يغتالون بطريقة ممنهجة القادة التاريخيين للمجاهدين ويحبسون ويسكتون علماء الجهاد الصادقين والمحترمين، وبالتالي يتركون الكثير من شباب الإسلام المحب للأمة يفتقدون التبيان والتوجيه؟ أليس هؤلاء الطواغيت الشياطين هم الذين قمعوا ويقمعون أهل الإسلام والجهاد لعقود بطريقة وحشية وبلا هوادة في غياب قيادة حكيمة ومستقلة، وعلماء يخشون الله، فإنه ليس من المستغرب أن يكون الرد الطبيعي من الشباب المسلم المتحمس هو عبور الحدود والذهاب إلى التطرف!

وأذكر هذا في مصلحة اللوم حيث إن اللوم هو المطلوب، لا لتبرئة أولئك الذين يذهبون إلى الضلال أو يعفيهم من المسؤولية في أقوالهم وأفعالهم.

أخيرا، أود أن أوضح أن تركيز القاعدة على قضية التكفير والانحراف بشكل عام هو اليوم أكثر وضوحا ومباشر وفي الوجه مباشرة عما كان عليه سابقا، وهذا يعود إلى عاملين: الأول هو حجم المشكلة غير المتوقع وانتشارها اليوم كما أسلفت في وقت سابق عند مقارنة الدولة الإسلامية مع GIA، الأمر الذي يتطلب تدابير عاجلة من كل مسلم لوقف زيادة انتشار المرض، والثاني هو الواقع المؤسف أن الانحراف وقع

هذه المرة في صفوف بالقاعدة وتغذى على دعمها "بالنوايا الحسنة" مع الإخوة في العراق والتي كانت تستخدم من قبل للحصول على شرعيتها الحالية والنفوذ والسلطة. هذا يضع من الواضح عبء المسؤولية على عاتقنا في هذا الوقت الذي لم يكن في حالات سابقة،

ويتطلب منا أيضا أن نفصل بوضوح منهجنا عن منهج المنحرفين، خشية أن يعتقد بالخطأ أنه نفس المنهج.))

وأما عن تحذير الإمام المجدد الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- من الغلاة والغلو إضافة إلى الأمثلة المذكورة في المبحث السابق ما جاء في "مقابلته مع عبد الباري عطوان": (عبد الباري عطوان: أُفيد بأنّك قد تعرضت لمحاولة اغتيال في السودان خلال الهجوم على مسجد في أم درمان عام ١٩٩٣م، ومحاولة أخرى في منزلك في أواخر شعبان ١٩٩٣م.

أسامة بن لادن: تعوّدنا أن نُقابل إخوتنا من المستضيفين عند السّاعة الخامسة من كل مساء، ولحكمة يعلمها الله كنتُ متأخّرًا في ذلك اليوم، وسمعت وابلًا من الرّصاص يُطلق باتّجاه غرفة الضيوف، والتي كانت مفصولة عن البيت، بعض الرصاص أُطلق باتّجاهي أخذت سلاحي وذهبت لأراقب البيت وأتحرّى عن الأمر، وأعطيت ابني الكبير عبد الله السّلاح وطلبت منه أن يأخذ مكانه في البيت.

فكرت أن مجموعة مسلحة قد هاجمتنا وحضّرنا أنفسنا للاشتباك معهم، ولكنّه تبيّن أن الهجوم كان مقصودًا به غرفة الضيوف، والتي اقتحمها ثلاثة شُبّان وأطلقوا النار

على الضـــيوف، حيث أُصـــيب ثلاثة منهم إصـــاباتٍ بالغةٍ، لقد أطلقوا النّار على المكان الذي اعتَدتُ أن أجلس فيه، حيث أُصيب أحد الضيوف في بطنه، والآخر في فخذه، أمّا الثالث فأصيب في ساقه، اشتبك الإخوة معهم وكان هناك قوّات أمن سودانية بالقرب من المنزل، حيث قاموا بالاشتباك مع

المهاجمين وقتلوا اثنين منهم وأُصـــيب الثالث، بينما تعرّض بعض الإخوة لإصـــابات بسيطة.

عبد الباري عطوان: برأيك من يمكن أن يكون وراء هذه المحاولة؟

أسامة بن لادن: نعتقد أن الأنظمة في المنطقة العربية تُمارس الآن سياسة سيّئة لدفع المعتقلين نحو التّطرُّف، وليس الحصـــول على المعلومات منهم عبر التعذيب فقط، ولكن لتصـــنع منهم مجموعة تعتقد بكفر المجتمع بأكمله، وبذلك تُســـتخدم هذه المجموعة بشكلٍ غير مباشرٍ كوسيلةٍ لقتل أي من فئات المجتمع.)

الاستفادة من التاريخ والتجارب السابقة

ومما امتاز به الإمام المجدد أسـامة بن لادن التركيز على الاسـتفادة من دروس وعبر التاريخ والتجارب السابقة في الصراع بين الحق والباطل فإن ما نعيشه اليوم ما هو إلا مرحلة من مراحل هذا الصراع الأزلي فمن استفاد من التجارب السابقة فقد أضاف أعماراً إلى عمره وخبرات إلى خبرته، ويستفيد -بمشيئة الله- تجاوز العثرات والعقبات المشابهة لواقعه يقول الشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله- في بيان هذا الأمر في "دعوة المقاومة": (أعتقد أن جيلا جهاديا يولد اليوم مع وصول حدة الصراع إلى ما وصلت إليه، بعيد أحداث سبتمبر واحتلال العراق ، ووصول الانتفاضة الفلسطينية إلى ذروتها. ووقوفها على مفترق الطريق، بعد أن أعطى أهلنا المؤمنون هناك كل ما في جعبتهم. في حين تقف الأمة من تضـحياتهم موقف المتفرج، بفعل سـكوت علمائها وقمع حكامها لها وشلها عن الحركة.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار التجارب الماضية، منذ انطلاق الجهاد أواسط الستينيات، أي قبل نحو ٤٠ عاما وإلى اليوم، يمكنني أن أقول إن جيلان جهاديان قد مضـيا حتى الآن في هذه الصحوة. حيث سنعرض لتاريخهما بشيء من التفصيل في الفصل السادس إن شاء الله.. جيل المؤسسين والدفعة الأولى، والذي أشعل مشعل الفكر الجهادي وقدم أولى تجاربه مطلع الستينات إلى أواخر السبعينات من القرن المنصرم، حيث لم تأت الثمانيات إلا وقد قضـى معظمهم على هذا الدرب المنير.. ثم الجيل الثاني الذي قام بمتابعة المسـيرة منذ مطلع الثمانينيات، وإلى أواخر القرن العشـرين. حيث انتعش الجهاد في مصر والشام ثم شمال إفريقيا وغيرها.. ثم فتحت بوابة الجهاد

على مصـــراعيها لعشـــاق الفريضـــة الغائبة في أفغانســـتان، حيث تكون على مدى الثمانينيات إلى مطلع التســـعينيات الجيل الجهادي الثاني، وكانت مدرســـة الأفغان العرب تجربة متميزة انطلق الجهاد مع روادها إلى مختلف بقاع العالم الإســـلامي، وساهمت ساحات البوسنة والشيشان، ثم مرحلة أفغانستان الثانية والإمارة الإسلامية بعطاء زاخر شهد أواخره لحاق طلائع الجيل الجهادي الثالث..

ثم جاءت أحداث ســـبتمبر ٢٠٠١م، ودخل الجيل الثاني في أتون المحنة، لينصـــرم القرن العشـــرون، وتفتتح الألفية الثالثة بمذبحة مروعة وأخدود عظيم، التهم معظم كوادره وقياداته وأكثر قواعده، ولم يسلم منهم من القتل أو الأسر إلا النذر اليسير..

وأعتقد جازما، أن على الجيل الثالث أن يهضم خلاصة تجربة جذوره ليطور نظريات عمله ويتابع حمل راية الجهاد في ظروف بالغة الصـــعوبة، ومعركة بالغة الاختلال في موازين القوى..

وقد أحببت في هذا الكتاب -حيث إني من بعض من تبقى من الجيل الثاني- أن أسلم من يسير على خطانا جزءا من الأمانة في هذا الكتاب، وفي ما أعتزم كتابته مما يتلوه من هذه الســـلســـلة. خلاصـــة منهجية فكرية، وحركية تاريخية.. تســـاعد من يســـتعد لحمل الأمانة على متابعة الطريق على بصـــيرة. من دون أن يخســـر دروســـا عظيمة من مســـار مجيد، مخضـــب بدماء عشـــرات آلاف الشـــهداء.. ومعاناة جيل كابد في صراعه مع الطواغيت ومن ورائهم أشد المعاناة في هذا العصر الحديث.

إذ لا بد لجيل الجهاد القادم من معرفة جذوره، وهضم تجارب أسلافه، والسير على أنوار ما قدموا فكرا وتجربة وقدوة، من خلال فهم جذور الصراع التاريخية منذ بدأ..

إن في تاريخ الصحوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة منذ مطلع القرن العشرين وإلى اليوم، وما تزخر به من تجارب رائعة، بصرف النظر عن مصيبها ومخطئها. دروسا عظيمة.. كما أن في تاريخ تجارب التيار الجهادي المعاصر المنطلق منذ مطلع الستينيات في القرن المنصرم وإلى أيامنا هذه، دروسا وعبرا ومنهاجا وفكرا وراية.. ولا بد للجيل الجهادي القادم أن يبنى عليها، لا بد له أولا أن يعرفها تاريخا ومنهجا، وأن يهضمها حتى يكون الجيل الجهادي القادم حلقة طبيعية في هذه السلسلة التي ترسم مسار القافلة المجيدة نحو حلم الإسلام المنشود، في إعادة حكم الله لهذه الأرض، وإقامة خلافته الراشدة على منهاج النبوة إن شاء الله..

وقد حاولت أن أغطي ذلك في بعض فصول هذا الكتاب بإيجاز. كما أن في فهم سياق تاريخ الأمة بعمومها وما حل بها ومسارها العام إجمالا والسياسي خاصة قسط أساسي من المعرفة، لابد لجيل الجهاد القادم والقائمين عليه من معرفة وفهم مجرياته، وهو ما يمكن تسميته بالتاريخ الحديث للعرب والمسلمين خلال القرن الماضي. منذ سقوط الخلافة عام ١٩٢٤.. كما أن قسطا من المعرفة حول تاريخ صراعنا الحالي مع الروم المعاصرين أعدائنا الأزليين، أقصد معرفة خلاصة تاريخ صراعنا مع الروم وحملاتهم التاريخية، وكيفية أداء أجدادنا في ذلك الصراع، وخلاصة دروس الانتصارات والهزائم عبر تلك الملاحم. أمر مهم جدا لتلمس خطى المسار القادم..

إن فهم ذلك وربطه بتاريخ الصراع كله، وبجذور هذا النظام الدولي القائم ونشأته عبر العصور، واستخلاص خلاصة أسس الصراع بين الحق والباطل منذ وجد البشر على هذه البسيطة، يمهد لهضم وفهم مكونات إنشاء نظريات العمل المناسبة للمرحلة الحالية..

وإذا وسع الفرد المجاهد العادي أن يجهل كثيرا من ارتباطات هذه السلسلة من المعارف والدروس والتجارب، فإنه لا يسع النخبة القادمة من قيادات الجهاد وجيله القادم أن تجهل الحكمة والعبرة من هذا السياق كله..)

والمتابع لتراث الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- يجد أنه أولى الجانب التاريخي والتجارب السابقة عناية كبيرة في إدارته للمواجه المعاصرة بين الحق والباطل فقال -رحمه الله- كلاما نفيساً في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (أمَّا الحديث عن كيفية دفعِ هذه القوى المعادية من الخارج، فذلك يستلزم منَّا أن ننظر في الحروب الصليبية السابقة على بلادنا، لنأخذَ منها الدروس والعبر بما يعيننا لصدِّ هذه الهجمة، وأخذ التصور عن أهمِّ أسباب تلك الهجمات، وكيف تمَّ دفعها ومقاومتها.

فأقول: إنَّ احتلال الغرب لبلادنا قديم جديد، والتدافع بيننا وبينهم والمناطحة وكسر القرون قد بدأ منذ قرون، وسيستمر لأنَّ سنة التدافع بين الحقِّ والباطل ماضيةٌ إلى قيام الساعة، وصلاح البلاد والعباد بإقامتها، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾، قال أهل التفسير: (أي لولا مدافعة المؤمنين بالقتال للكافرين لغلب عليها الكافرون ولفسدت الأرض بإفسادهم)، فانتبهوا إلى سُنَّة التدافع هذه، ولا حوار مع المحتلِّين إلا بالسلاح.

وبنظرةٍ لطبيعة الصـــراع بيننا وبين الغرب نجد أنَّهم قد غزوا بلادنا قبل أكثر من ألفين وخمسمائة عام، فلم يكن لهم دينٌ قويم ولا خُلُقٌ سليم، وإنَّما كانت دوافعهم السلب والنهب، فبقي أجدادنا في الشام تحت احتلالهم لأكثر من عشرة قرون، ولم نستطع أن نهزمهم إلا بعد بعثة نبيّنا محمَّد ﷺ والتزامنا بالإســلام حقًّا، الذي أعاد تشــكيل وصـياغة الشـخصـية العربية، فحرَّرها من الجاهلية ونوَّرَ قلبها وعقلها وفجَّرَ طاقاتها، وعند ذلك لم يقف في وجه كتائب الإيمان أحد، لا العرب ولا العجم، وتهاوى أمام صيحات "الله أكبر"؛ الفرس والتتر، والترك والروم والبربر، وكانت ريادة العالم بأيدينا، ننقذهم من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد سبحانه.

ثم لما ضَعُفَ تمسُّكنا بديننا وفسـد حُكَّامنا؛ أصـابنا الوهن، فأعاد الروم علينا الكرة بعد قرونٍ بحروبهم الصليبية المشهورة، إلى أن أخذوا منَّا المسجد الأقصى، ولكن بعد تسعين سنة استعدنا قوتنا بعودتنا لديننا، فاسترجعنا المسجد الأقصى -بفضل الله- على يد قائد حكيم ومنهج قويم، فالقائد: صــــلاح الدين -رحمه الله-، والمنهج: الإســلام، وذروة ســنامه الجهاد في ســبيل الله، وهذا ما يلزمنا اليوم وهو ما يجب أن نسعى إليه.

وكذلك الحال؛ لم يتمَّ تحرير بلاد العالم الإســــلامي في القرن الماضــــي من احتلال الصليبيين العسكري إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله، والذي يستميت الغرب اليوم لتشـويهه، وقتل من يحمل رايته تحت اسـم "مكافحة الإرهاب"، ويناصـرهم في ذلك المنافقون، لأنَّهم يعلمون جميعًا أنَّ الجهاد هو القوَّة الفعَّالة لإحباط جميع مؤامراتهم.

فهذا هو السبيل فاتَّبعوه، لأنَّنا إذا ابتغينا دفعهم بغير الإسلام فسنكون كالذي يدور في حلقة مفرغة، وسيكون حالنا كحال أجدادنا الغساسنة، كان همُّ الواحد من كبرائهم أن يكون ضابطًا للأمن عند الروم، وإن أُطلق عليه لقب "ملك"، ليقوم بحماية مصالحهم، وذلك بقتل إخوانه من عرب الجزيرة وهذا هو حال "الغساسنة الجدد"؛ حُكَّام العرب اليوم.

فيا أهل الإسلام:

إن لم تأخذوهم بجريرتهم في القدس وأرض الرافدين، أخذوكم بخذلانكم وسلبوكم أرض الحرمين، فاليوم بغداد وغدًا الرياض، وهلمَّ جرًا -إلى أن يشاء الله- وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فكيف السبيل لوقف هذا الطوفان الهائل؟

لعلكم تذكرونَ أنَّ الأمَّةَ خلال العقود الماضية قد حاولت محاولاتٍ كثيرة لمقاومةِ التحالف الصهيوني الصليبي لتحرير فلسطين، وركضت لفترات طويلة خلف دياناتٍ بشرية كثيرة في المنطقة، كالقومية والاشتراكية والشيوعية والديموقراطية وغيرها، تحت الجمهوريات والملكيات، فهذه القوى المادية كلها أثبتت أخيرًا -بما لا يدع مجالاً للشك- أنَّها خضعت للتحالف الصليبي الصهيوني بقيادة أمريكا، وقد شبَّ الناس عليها وشابوا وهم يسيرون خلفها، وإذا بهم يرجعون إلى ما قبل نقطة الصفر، فكفى ركضًا خلف السراب، وكفى لعبًا بعقولِ أولي الألباب.

وفي مثل هذه الحالات العصيبة يرى بعض دعاة الإصلاح ضرورة أن تتَّحدَ جميع الطاقات الشعبية والرسمية، وتتَّحد طاقات الحكومات مع أبنائها بجميع شرائحهم وأفرادهم، كلٌّ فيما يُحتاج إليه، لصدِّ هذه الهجمة الصليبية الصهيونية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة هو؛ هل هذه الحكومات في العالم الإسلامي مهيَّأةٌ لأن تقوم بهذا الواجب للدفاع عن الملَّة والأمَّة؟ وأن تتبرَّأَ من ولائها لأمريكا؟

فتعالوا لننظر نظرة موضوعية لتاريخها في قضايا الأمَّة المصيرية، ليتبيَّن لنا ملامح ومعالم سياستها، حتى لا يسير بنا هؤلاء إلى طريق مسدود، ولِأَن يجرِّبوا أمرًا قد جُرِّبَ لعقودٍ طويلة.

أولاً: موقفها من العدوِّ الصليبي في الحرب العالمية الأولى عندما هجم على العالم الإسلامي وأراد إسقاط الدولة العثمانية، فإنَّ هؤلاء الحكام خرجوا على هذه الدولة، وفرَّقوا جماعة المسلمين وساهموا مساهمة فعالةً في القتال ضدَّها، مما أدَّى إلى سقوطها تحت الاحتلال الصليبي، وتقسيمها إلى بضعٍ وخمسين دولة، وكان الدور البارز في تلك الخيانات للملك عبد العزيز آل سعود والشريف حسين وأبنائه.

ثانيًا: قضية فلسطين؛ إنَّ مواقف هؤلاء الحكام في هذه القضية المحورية منذ تسعة عقود هو تعهُّدهم للإنجليز بالسماح لليهود بتكوين دولةٍ لهم على أرض فلسطين، ثم الخذلان لأهل فلسطين، بل والمخادعة لهم مراتٍ عديدة لكي يلقوا السلاح، كان من أبرزها محاولة تمَّت للملك عبد العزيز آل سعود، ثم لما صدر قرار المنظمة الصهيونية، أو ما يُعرف بـ"الأمم المتحدة"، لتقسيم فلسطين ولإقامة دولة يهودية

فيها؛ فلم يحرِّك حكام العرب ساكنًا، بل بقوا أعضاء في هذه المنظمة، وما زالوا إلى اليوم، ولم يفعلوا شيئًا يُذكر للحيلولة دون ذلك إلا بما يندى له الجبين.

فلمَّا قامت دولة اليهود، بعد قرار التقسيم بعام؛ نشبت حرب مصطنعة، ثم ما لبث حكام الدول العربية أن وافقوا على توقيع هدنةٍ مؤقتة استجابةً لأمر أمريكا التي طلبت منهم في العام الذي يليه هدنةً دائمة، وهكذا كادوا يَئِدون فلسطين وأهلها وهم أحياء، ولكنَّ الله سلَّم.

ثم استمرت المؤامرات مرورًا بمؤتمر مدريد وما تبعه، وتواصلَ السعيُ لإجهاض الانتفاضة الأولى، ثم ما جرى في مؤتمر "شرم الشيخ" عام ١٤١٦ للهجرة –الموافق ٩٦ للميلاد– بدعمهم لليهود والنصارى ضدَّ المستضعفين من أهلنا في فلسطين، ثم مبادرة بيروت التي تضمَّنت الاعتراف باليهود، وجزءًا كبيرًا مما احتلُّوه من أرض فلسطين، وأخيرًا مؤامرة "خارطة الطريق".

وخلال هذه المؤامرات ينثرون بعض الأموال على أهل فلسطين من باب ذرِّ الرماد في العيون، وإلا فالتاريخ والواقع يشهد عليهم خلال العقود التسعة الماضية أنَّهم لم يُرجعوا شيئًا من فلسطين.

إلا أنَّ ممَّا يثير الدهشة والذهول ويبعث على الاشمئزاز؛ موقفُ هؤلاء الحكام من أُسَرِ المجاهدين الذين يقومون بالعمليات الاستشهادية، فقد كانوا ينتظرون خيرهم فجاؤوهم بشرِّهِم، فلم يكتفوا بشجبها وإنَّما قاموا بما هو أشدُّ وأنكى، فانظروا إلى حال تلك الأسر، وتأمَّلوا حال كل أختٍ من أخواتنا الأرامل هناك ممن قُتِلَ زوجها

على يد اليهود، وقَدَّمَ ابنها نفســـه رخيصـــةً في ســـبيل الدين والذودِ عن حياض المســـلمين، فجاء جنودُ اليهودِ بعد أن تركهم أصـــحاب العروش والجيوش ليعيثوا في أرض القدس فسادًا ويُهلِكوا الحرث والنسل، فأخرجوها بالقوة من بيتها إلى الطريق، ثم نســـفوه بما فيه ولم يمكِّنوها من أخذ متاعها الزهيد، فســـارت هائمةً في الطرقات على وجهها، والدموع قد أخذت مجراها، وهي تجرُّ صغارها وصغارَ الشهيد –نحسبه والله حسيبه– لا تدري إلى أين تتَّجه، ولا إلى أين تسير من تكاثرِ المصائب عليها، ولكن بفضـــل الله كان بعض أصـــحاب القلوب الرحيمةِ من بلادِ الحرمين وغيرها يرسـلون بعض زكواتهم لهذه الأُسَـر من الأرامل والأيتام، يخفِّفون بها بعض مصـابهم، فـإذا بـذلـك الأمير الفظِّ الغليظ الجوَّاظ المتكبر؛ عبـد الله بن عبـد العزيز يأمر بمنع المحسنين من إرسال أموالهم، حتى تتوقَّف العمليات!

فأيُّ قلبٍ هذا الذي يأمر بهذه الأفعال؟!

أهو قلب بشر؟! أم أنَّه قَدْ قُدَّ من حجر؟!

وأي نذالةٍ هذه؟! وأي خِسَّةٍ هذهِ؟!

أن تَتَبَّعَ دُرَيهماتٍ تصـــلُ إلى الأرملةِ واليتيمِ والمســـكين، وكيف يُرتجى الخير لنا أو الدفاع عن البلاد والعباد من أمثال هؤلاء؛ أصحاب القلوب القاسية.

وبعد هذا كله يزعم المنافقون عباد الدرهم والدينار؛ أنَّ هؤلاء ولاة أمر لنا، وسيقومون بالدفاع عنَّا!

وإن تعجب فعجبٌ قولُ بعض دعاة الإصـــلاح؛ بأنَّ طريق الصـــلاح والدفاع عن البلاد والعباد يمرُّ بأبواب هؤلاء الحُكّام المرتدين!

فأقول لهؤلاء: إن كان لكم عذرٌ في القعود عن الجهاد، فهذا لا يُبيحُ لكم أن تركنوا إلى الذين ظلموا فتحملوا أوزارَكم وأوزارَ من تُضِــلُّون، فاتقوا الله في أنفســكم، واتقوا الله في أمَّتكم، وإنَّ الله تعالى غنيٌّ عن مداهنتكم للطغاةِ من أجلِ دينه، فقد قال ســبحانه: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾، ولأَنْ يَقعُدَ المرءُ في أدنى طريقِ الحقّ خيرٌ له من أن يقفَ في أعلى طريق الباطل.

ثالثًا: إنَّ دول الخليج قد شـــهدت بعجزها -بلســـان الحال والمقال- عن مقاومة القوات العراقية، واســتنجدوا بالصــليبيين -وعلى رأســهم أمريكا- كما هو معلوم، فكيف ستقف هذه الدول أمام أمريكا والقوات العراقية التي تُجَنَّدُ اليوم تحت إمرتها؟!

إنَّ القرار الـذي اتَّخذه "جـابر الصـــباح" ومن معه يوم غزو العراق للكويت، عندما أطلقوا سيقانهم للريح، هو القرار الراجح الذي سيتَّخذه جميع حكام الخليج، ما لم يتمَّ التفاهم بينهم وبين أمريكا على أن يتخلُّوا عن عروشـــهم الحالية، ويُعْطَوا وظائفَ دون ذلك لمخادعة العوام وحمايةِ مصالح أمريكا، وأن يتعهَّدوا بأن لا يسألوا عن النفط ودخله، كحال عملائهم في مجلس الحكم الانتقالي في العراق.

ثم إنَّ ممَّا يؤكد على نفســياتهم الانهزامية ورضـــوخهم للمحتل وكيفية التعامل معه؛ هو استقبالهم لأعضاء ذلك المجلس الانتقالي والتعاون معهم.

وخلاصة القول:

إنَّ هذه الحكومات أيَّدت أمريكا وساندتها في الهجوم على دولة عربية، بينهم وبينها عهودٌ للدفاع المشترك، زادت من توثيقها له قبل الهجوم الأمريكي بأيامٍ معدودة في "جامعة الدول العربية"، ثم نقضتها عن بكرة أبيها، فهذا يُظهِرُ موقفها في القضايا الأساسيةِ للأمَّة.

رابعًا: إنَّ هذه الأنظمة تذبذبت كثيرًا بخصوص اتِّخاذ موقف بشأن استخدام القوة والهجوم على العراق، فمرةً ترفض المشاركة مطلقًا، ومرة أخرى تقيِّدُ ذلك بموافقة "الأمم المتحدة"، ثم تعود لرأيها الأول، وفي الحقيقة أنَّ عدم المشاركة يأتي تمشِّيًا مع الرغبات الداخلية لهذه الدول، إلا أنَّهم أخيرًا استسلموا ورضخوا للضغوط الأمريكية، وفتحوا قواعدهم البرية والجوية والبحرية مساهمةً في الحملة، برغم الآثار الكبيرة والخطيرة التي ستترتب على ذلك، وأهمُّها؛ أنَّ ذلك ارتكابٌ لناقضٍ من نواقض الإسلام، وخيانةٌ عظمى للأمَّة، وما يتبع ذلك من غضبٍ شعبي، وتهيئةِ الأجواءِ للخروج على هذه الأنظمةِ العاجزةِ الخائنةِ المرتدة.

وأهمُّ وأخطرُ من ذلك في نظرهم؛ ألاَّ يُفتح باب إسقاط الأنظمة الدكتاتورية بالقوة المسلحة من الخارج، وخاصةً بعدما رأوا أَسْرَ رفيقِ دربهم السابق في الخيانةِ والعمالةِ لأمريكا، عندما أمرته بإشعال حرب الخليج الأولى ضدَّ إيران لما خرجت عن طاعتها، فأكلت الحربُ الأخضرَ واليابس وأدخلت المنطقة في تيهٍ لم تخرج منه إلى اليوم، وما الحروبُ اللاحقةُ إلا من تداعياتها.

فهم يعلمون أنَّ الدور قادمٌ عليهم، وهم لا يملكون الإرادة لاتخاذ القرار الصـــعب لصــــدِّ العدوان، فضـــلاً عن أن يملكوا القوة المادية لذلك -من وجهة نظرهم- وقد حيلَ بينهم وبين إنشـــاءِ قوةٍ عســـكريةٍ كبيرة لِمَا أُخِذَ عليهم من عهودٍ ومواثيقَ سِرِّيَّةٍ منذُ زمنٍ بعيد.

خامسًا: ومِمَّا يوضِّح موقفهم من قضايا الأمَّة؛ ما قاموا به من مناصرةٍ لأمريكا بفتحِ قواعدهم مساهمةً منهم معها في حملتها الصليبية على أفغانستان، ولا يخفى أنَّ هذه مناصرةٌ ومظاهرةٌ صريحةٌ للكفَّارِ على دولةٍ إسلامية، وذلك كفرٌ أكبرٌ مخرجٌ من الملَّة.

سادسًا: ولعل من المواقف الظاهرة الجليَّة التي تنبئ بموقف حُكَّام الخليج؛ إذا تعرَّضَ أحدهم لضغوطٍ أمريكيةٍ حتى يسلِّم المناطق النفطية لها؛ هو دعمهم الجماعي لما سُمِّيَ بـــ "مبادرة زايد"، حيث طالبوا "صدَّام" بأن يُسَلِّمَ العراقَ وشعبَهُ ونِفْطَهُ على طبقٍ كغنيمةٍ باردة، وأن يتنحَّى عن السلطة ويوفِّروا له لجوءً سياسيًّا بحجة ألا تُسفك الدماء في العراق، وقد أكَّد "سعود الفيصل" على هذا المبدأ مِرارًا وبلا حياء، وظاهر هذا المبدأ -مع ما سبق- يُظهرُ أنَّ حُكَّامَ الخليج إذا تعرَّضوا لضغوطٍ أمريكيةٍ لاحتلال مناطق النفط فسوف يكرِّرون نفس الموقف بما فيهم حاكم الرياض.

سابعًا: ومن أظهر الدلائل التي تنبئ بموقف الحُكَّام تجاه صـــدِّ العدوان؛ موقفُ كبيرهم، عندما أطَّتْ جزيرةُ العرب تحت جنازير الدبابات الأمريكية، وضجَّت بحارها من حاملات الطائرات الصليبية بأحدث العتاد والأسلحة لاحتلال المنطقة، فإذا بكبيرهم الذي علَّمهم الخنوع يخرج على الملأ ليبُثَّ في الأمَّة الاستسلام والمذلَّة والخضوع، ويقول: (إنَّ هذه الحشود ليست للحرب)، يا للعار والشنار!

إذا كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ   وإن كنتَ تدري فالمصيبةُ أعظمُ

وخلاصةُ القول:

إنَّ الحاكم الذي يؤمن ببعض الأفعال التي سبق ذكرها، لا يستطيعُ أن يدافع عن البلاد، فكيف إذا كان يؤمن بها كلِّها ومارسها مراتٍ ومرات؟!

إنَّ الذين يؤمنون بمبدأ مناصرةِ الكافرين على المسلمين، ويُهدرونَ دماءَ إخوانهم وأعراضهم وأموالهم حتى يَسْلَمُوا، مدَّعين أنَّهم يحبُّون إخوانهم ولكنهم مكرهون -ولا يخفى أنَّ هذا الإكراه لا يُعتبر شرعًا- إنَّ هؤلاء مؤهَّلون للسير على نفس المبدأ ضدَّ بعضهم البعض في دول الخليج، بل إنَّ هذا المبدأ قابل للتوسُّع في داخل الدولة الواحدة ذاتها، فمثلا إنَّ حاكم الرياض مؤهَّل بأن يفرِّط بالمنطقة الشرقية والوسطى وغيرها للأمريكيين، والشمالية وجزءً من الغربية لليهود، مقابل أن تسلم له "جيزان" و "صامطة" و "أبو عريش" -مثلاً- ومن قرأ وتدبَّر تاريخ الملوك قديمًا وحديثًا يعلم أنَّهم مؤهَّلون للقيام بأكثر من هذه التنازلات -إلا من رحم الله منهم-.

بل إنَّ الحاكم قد بدأ عمليًّا بالتفريط في أبناء البلاد، بمطاردتهم وسجنهم واتِّهامهم بمذهب الخوارج في تكفير المسلمين زورًا وبهتانًا، والمبالغة في قتلهم -نحسبهم شهداء والله حسيبهم- وكلُّ ذلك كانَ قبلَ "انفجارات الرياض" في ربيعٍ الأول من هذا العام التي يتحجَّج بها النظام، وإنَّما جاءت هذه الحملة في سياق تنفيذ تعليمات أمريكا لعلهم ينالون رضاها، رغم أنَّ النظام هو الذي استفزَّ الشباب بإباحة البلاد للصليبيين، مخالفًا للدين، مستهزئًا بمشاعر المسلمين، متحدِّيًا لرجولة الرجال من

أبناء الحرمين، وبالتالي هو الذي أخلَّ بالأمن على الحقيقة، ولضيق المقام هنا أفردتُ هذه المسألة في رسالةٍ خاصَّة ببلاد الحرمين أرجو أن تصلكم قريبًا بإذن الله.

وإنَّ ممَّا يلخِّص حال الأمَّة وتكالب الأعداء عليها مع عمالة الحُكَّام للكافرين، وخيانتهم للدين، وإظهار بطشهم بالشعوب، وتخاذل الجماعات الإسلامية عن الجهاد؛ هذه الأبيات والتي في معظمها للدكتور يوسف أبو هلالة، يقول:

والأمَّةُ الكبرى غدت ألعوبةً ... يلهو بها القسيسُ والحاخامُ
هي مثلُ قومٍ في الأمور مكانةً ... سيَّانَ إن قعدوا وإن هم قاموا
عظماؤها والحادثاتُ تُبيدها ... فوق العروشِ هياكلٌ وعِظامُ
والقدس؛ ويحَ القدسِ دِيْسَ عفافُها ... والمسلمونَ عَنِ الجهادِ صيامُ
بغدادُ يا دارَ الخلافةِ ويحكِ ... ما بالُ طهركِ دنَّسَته طُغَامُ
ما بالُ من بالأمسِ خانوا دينهم ... عمَّن أغارَ على حِمَاكِ تَعَامُوا
أعلى الشعوبِ قساورٌ صيَّالةٌ ... وعلى اليهودِ أرانبٌ ونَعَامُ
لم يبقَ لي دارٌ أفيءُ لظِلِّها ... وطني استُبيحَ وشَبَّ فيهِ ضِرَامُ
يا أمَّتي؛ أنا طائرٌ قد لاحَ لي ... أَيْكٌ، فهلْ أَشدو ولستُ أُلامُ؟!
أأُعابُ إن صارحتُكم بحقيقةٍ ... هي أنَّ شرَّ عُداتِنا الحُكَّامُ؟!
مِنْ كُلِّ زنديقٍ ويُدْعَى أنَّهُ ... للمسلمينَ خُويدِمٌ وإِمَامُ
يتظاهرونَ بأنَّهم عونٌ لنا ... في حينِ هُمْ دَاءٌ لنا وحِمَامُ
جيشُ النصارى مَدُّهُ اجتاحَ الدُّنا ... أينَ التَّقِيُّ الشهمُ والمقدامُ

وبناءً على ما تقدَّم؛ فقد ظَهَرَ مدى الخطر الحقيقي الذي تتعرَّض له المنطقةُ عمومًا، وجزيرَةُ العربِ خصـــوصًـــا، وأصـــبح واضـــحًا بأنَّ الحُكَّام غير مؤهَّلين لإقامة الدين والدفاع عن المســـــلمين، بل قدَّموا الأدلة على أنَّهم ينفِّذون مخطَّطات أعداء الأمَّة والملَّة، ومؤهَّلون للتفريط بالبلاد والعباد.)

لا سيادة إلا بخروج المحتل وتحكيم الإسلام

وإن من القضـــايا والمعالم الكبرى التي ميزت دعوة الإمام المجدد -رحمه الله- ودعوة إخوانه المجاهدين الربانيين كالطالبان وغيرهم أنهم لا يقبلون ثمرة لجهادهم إلا خروج المحتل ودفع الصائل وتحكيم شريعة الرحمن فأنصاف الحلول والالتقاء مع الجاهلية في منتصف الطريق ليس طريق الأنبياء ومن تبعهم من المصلحين..

وقبل ذكر أقوال الإمام المجدد أســـامة بن لادن الدالة على هذه الركيزة والقضـــية الكبرى اقتبس هذا الكلام النفيس لسيد قطب -قدس الله روحه- في تقرير وتأصيل هذه الركيزة فقال رحمه الله في "في ظلال القرآن": (وبهذه الخاتمة يتم التعقيب على القصة الكبرى للرسالات والدعوات. وقد استغرقت الشطر الأول والأكبر من السورة المســماة باســم إبراهيم أبي الأنبياء، والشــجرة الظليلة الوارفة المثمرة خير الثمرات، والكلمة الطيبة المتجددة في الأجيال المتعاقبة، تحتوي دائماً على الحقيقة الكبرى.. حقيقة الرسالة الواحدة التي لا تتبدل، وحقيقة الدعوة الواحدة التي لا تتغير، وحقيقة التوحيد لله الواحد القهار.

وقفات قصيرة في موقف الجاهلية من دعوة الرسل عبر التاريخ.

والآن نقف وقفات قصيرة أمام الحقائق البارزة التي تعرضها قصة الرسل مع الجاهلية. وهي الحقائق التي أشرنا إليها إشارات سريعة في أثناء استعراض السياق القرآني، ونرى انها تحتاج إلى وقفات أخرى أمامها مستقلة:

إننا نقف من هذه القصـــة على حقيقة أولية بارزة يقصـــها علينا الحكيم الخبير.. إن موكب الإيمان منذ فجر التاريخ الإنسـاني موكب واحد موصـول، يقوده رسـل الله الكرام، داعين بحقيقة واحدة، جاهرين بدعوة واحدة، ســائرين على منهج واحد.. كلهم يدعو إلى ألوهية واحدة، وربوبية واحدة وكلهم لا يدعو مع الله أحداً، ولا يتوكل على أحد غيره، ولا يلجأ إلى ملجأ سواه، ولا يعرف له سنداً إلا إياه.

وأمر الاعتقاد في الله الواحد- إذن- ليس كما يزعم "علماء الدين المقارن" أنه تطور وترقى من التعديد إلى التثنية إلى التوحيد ومن عبادة الطواطم والأرواح والنجوم والكواكب إلى عبادة الله الواحد وأنه تطور وترقى كذلك بتطور وترقي التجربة البشـرية والعلم البشـري، وبتطور وترقي الأنظمة السياسية وانتهائها إلى الأوضـاع الموحدة تحت سلطان واحد ...

إن الاعتقاد في الله الواحد جاءت به الرســالات منذ فجر التاريخ ولم تتغير هذه الحقيقة ولم تتبدل في رســالة واحدة من الرســالات ولا في دين واحد من الأديان السماوية. كما يقص علينا الحكيم الخبير.

ولو قال أولئك "العلماء": إن قابلية البشــرية لعقيدة التوحيد التي جاء بها الرســل كانت تترقى من عهد رســول إلى عهد رســول وإن الوثنيات الجاهلية كانت تتأثر بعقائد التوحيد المتوالية التي كان موكب الرســل الكرام يواجه بها هذه الوثنيات حيناً بعد حين. حتى جاء زمان كانت عقيدة التوحيد أكثر قبولاً لدى جماهير الناس مما كانت، بفعل توالي رســالات التوحيد وبفعل العوامل الأخرى التي يفردونها بالتأثير ... لو قال أولئك "العلماء" قولاً كهذا لساغ.. ولكنهم إنما يتأثرون بمنهج في

البحث يقوم ابتداء على قاعدة من العداء الدفين القديم للكنيسة في أوربا –حتى ولو لم يلحظه العلماء المعاصرون!– ومن الرغبة الخفية –الواعية أو غير الواعية– في تحطيم المنهج الديني في التفكير وإثبات أن الدين لم يكن قط وحياً من عند الله إنما كان اجتهاداً من البشـــر، ينطبق عليه ما ينطبق على تطورهم في التفكير والتجربة والمعرفة العلمية ســواء بســواء.. ومن ذلك العداء القديم ومن هذه الرغبة الخفية ينبثق منهج علم الأديان المقارن ويســـمى مع ذلك "علماً" ينخدع به الكثيرون! وإذا جاز أن يخدع أحد بمثل هذا "العلم" فإنه لا ينبغي لمسلم يؤمن بدينه، ويحترم منهج هذا الدين في تقرير مثل هذه الحقيقة أن يخدع لحظة واحدة وأن يدلي بقول يصـطدم اصـطداماً مباشراً مع مقررات دينه، ومع منهجه الواضح في هذا الشأن الخطير..

هذا الموكب الكريم من الرسـل واجه البشـرية الضـالة –إذن– بدعوة واحدة، وعقيدة واحـدة، وكـذلـك واجهـت الجـاهلية ذلـك الموكـب الكريم، وهـذه الـدعوة الواحـدة بالعقيدة الواحدة، مواجهة واحدة –كما يعرضـها السياق القرآني مغضياً عن الزمان والمكان، مبرزاً للحقيقة الواحدة الموصـــولة من وراء الزمان والمكان– وكما أن دعوة الرســـل لم تتبدل، فكذلك مواجهة الجاهلية لم تتبدل! إنها حقيقة تســـتوقف النظر حقاً!.. إن الجاهلية هي الجاهلية على مدار الزمان.. إن الجاهلية ليسـت فترة تاريخية ولكنها وضع واعتقاد وتصور وتجمع عضوي على أساس هذه المقومات..

والجاهلية تقوم ابتداء على أســاس من دينونة العباد للعباد ومن تأليه غير الله. أو من ربوبية غير الله –وكلاهما سـواء في إنشــاء الجاهلية– فسـواء كان الاعتقاد قائماً على تعدد الآلهة أو كان قائماً على توحيد الإله مع تعدد الأرباب –أي المتســـلطين–

فهو ينشئ الجاهلية بكل خصائصها الثانوية الأخرى! ودعوة الرسل إنما تقوم على توحيد الله وتنحية الأرباب الزائفة، وإخلاص الدين لله -أي إخلاص الدينونة لله وإفراده سبحانه بالربوبية، أي الحاكمية والسلطان- ومن ثم تصطدم اصطداماً مباشراً بالقاعدة التي تقوم عليها الجاهلية وتصبح بذاتها خطراً على وجود الجاهلية. وبخاصة حين تتمثل دعوة الإسلام في تجمع خاص، يأخذ أفراده من التجمع الجاهلي وينفصل بهم عن الجاهلية من ناحية الاعتقاد، ومن ناحية القيادة، ومن ناحية الولاء.. الأمر الذي لا بد منه للدعوة الإسلامية في كل مكان وفي كل زمان..

وعند ما يشعر التجمع الجاهلي -بوصفه كياناً عضوياً واحداً متساندًا- بالخطر الذي يتهدد قاعدة وجوده من الناحية الاعتقادية كما يتهدد وجوده ذاته بتمثل الاعتقاد الإسلامي في تجمع آخر منفصل عنه ومواجه له..

فعندئذ يسفر التجمع الجاهلي عن حقيقة موقفه تجاه دعوة الإسلام! إنها المعركة بين وجودين لا يمكن أن يكون بينهما تعايش أو سلام! المعركة بين تجمعين عضويين كل منهما يقوم على قاعدة مناقضة تماماً للقاعدة التي يقوم عليها التجمع الآخر. فالتجمع الجاهلي يقوم على قاعدة تعدد الآلهة، أو تعدد الأرباب، ومن ثم يدين فيه العباد للعباد. والتجمع الإسلامي يقوم على قاعدة وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية ومن ثم لا يمكن فيه دينونة العباد للعباد..

ولما كان التجمع الإسلامي إنما يأكل في كل يوم من جسم التجمع الجاهلي، في أول الأمر وهو في دور التكوين، ثم بعد ذلك لا بد له من مواجهة التجمع الجاهلي لتسلم القيادة منه، وإخراج الناس كافة من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده..

لما كانت هذه كلها حتميات لا بد منها متى سارت الدعوة الإسلامية في طريقها الصحيح، فإن الجاهلية لا تطيق منذ البدء دعوة الإسلام.. ومن هنا ندرك لماذا كانت مواجهة الجاهلية واحدة لدعوة الرسل الكرام!.. إنها مواجهة الدفاع عن النفس في وجه الاحتياج ومواجهة الدفاع عن الحاكمية المغتصبة وهي من خصائص الألوهية التي يغتصبها في الجاهلية العباد! وإذ كان هذا هو شعور الجاهلية بخطر الدعوة الإسلامية عليها، فقد واجهت هذه الدعوة في معركة حياة أو موت، لا هوادة فيها ولا هدنة ولا تعايش ولا سلام!.. إن الجاهلية لم تخدع نفسها في حقيقة المعركة وكذلك لم يخدع الرسل الكرام -صلوات الله وسلامه عليهم- أنفسهم ولا المؤمنين بهم في حقيقة المعركة..

﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ: لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾..

فهم لا يقبلون من الرسل والذين آمنوا معهم، أن يتميزوا وينفصلوا بعقيدتهم وبقيادتهم وبتجمعهم الخاص.

إنما يطلبون إليهم أن يعودوا في ملتهم، ويندمجوا في تجمعهم، ويذوبوا في هذا التجمع. أو أن يطردوهم بعيداً وينفوهم من أرضهم..

ولم يقبل الرسل الكرام أن يندمجوا في التجمع الجاهلي، ولا أن يذوبوا فيه، ولا أن يفقدوا شخصية تجمعهم الخاص.. هذا التجمع الذي يقوم على قاعدة أخرى غير القاعدة التي يقوم عليها التجمع الجاهلي.. ولم يقولوا -كما يقول ناس ممن لا

يدركون حقيقة الإسلام.. ولا حقيقة التركيب العضوي للمجتمعات-: حسناً! فلنندمج في ملتهم كي نزاول دعوتنا ونخدم عقيدتنا من خلالهم!!!

إن تميز المسلم بعقيدته في المجتمع الجاهلي، لا بد ان يتبعه حتماً تميزه بتجمعه الإسلامي وقيادته وولائه..

وليس في ذلك اختيار.. إنما هي حتمية من حتميات التركيب العضوي للمجتمعات.. هذا التركيب الذي يجعل التجمع الجاهلي حساساً بالنسبة لدعوة الإسلام القائمة على قاعدة عبودية الناس لله وحده وتنحية الأرباب الزائفة عن مراكز القيادة والسلطان. كما يجعل كل عضو مسلم يتميع في المجتمع الجاهلي خادماً للتجمع الجاهلي لا خادماً لإسلامه كما يظن بعض الأغرار! ثم تبقى الحقيقة القدرية التي ينبغي ألا يغفل عنها الدعاة إلى الله في جميع الأحوال. وهي أن تحقيق وعد الله لأوليائه بالنصر والتمكين والفصل بينهم وبين قومهم بالحق، لا يقع ولا يكون، إلا بعد تميز أصحاب الدعوة وتحيزهم وإلا بعد مفاصلتهم لقومهم على الحق الذي معهم.. فذلك الفصل من الله لا يقع وأصحاب الدعوة متميعون في المجتمع الجاهلي، ذائبون في أوضاعه عاملون في تشكيلاته.. وكل فترة تميع على هذا النحو هي فترة تأخير وتأجيل لوعد الله بالنصر والتمكين.. وهي تبعة ضخمة هائلة يجب أن يتدبرها أصحاب الدعوة إلى الله، وهم واعون مقدرون..)

ويقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني -حفظه الله- في تقرير هذه القضية في "مع صبغة الله الصمد": (معركة المسلم الكبرى هي تحت راية الإيمان بالله وتوحيده، وحين تكون كذلك يكون الله تعالى مع المؤمنين في جهادهم، وتخلي المسلمين عن

هذه القضـــية يعني تخليهم عن نصــــرة الله لهم، ورفع تأييده عنهم، وهذا ما يقع فيه المســـلمون اليوم في كثير من معاركهم حين لا يربطون قضـــاياهم مع التوحيد، أو يخجلون عن إظهار تميز حروبهم عن حروب غيرهم تحت ضــغط الجاهلية وقيمها ومفاهيمها، وهذا ما يؤخر النصر ويحجبه.

إن مهمات الجاهلية أن تبلعك وتدخلك في أحشائها حتى وأنت تخاصمها، وبذلك تســـعى أن تربطك بقيم الأرض وتبعدك عن عبوديتك لله وقيم الســـماء والآخرة، فيصــبح حق الله تعالى قضــية خاصــة لا يجوز لأحد أن يمثلها أو يقاتل من أجلها، لأن الجاهلية ومن خلال قيادة الشيطان لها، وهي قيادة حقيقية وليست رمزية تعرف أن هذا مصــدر قوة وعنصــر نصــر في هذا الصــراع، والمتابع لصــراخ الجاهليين اليوم (العلمانيين) يرى أن أشــد ما يقهر قلوبهم ويغيظ نفوســهم هو ادعاء المســلمين في جهادهم أنهم يحاربون باســـم الله، وأنهم جنده، في مقابل أنهم هم أعداء الله وجنود الشـــيطان، وحين يخجل المســـلم من هذا الادعاء ويرضـــخ لقصـــفهم الإعلامي واستهزائهم المتكرر يعني أنه فقد خصوصيته ،مصدر قوته، وبالتالي يصبح واحداً من أعداد كثيرة تتخاصـــم على المنافع والأرض والأموال وأمثالها لا غير، وبهذه الصـــفة تفقد المعركة موجبها الدائم والمتواصـــل، ولا مانع بعد ذلك من الوقوف مع الجاهلية في منتصـــف الطريق لأن الكل يقف على أرضـــية واحدة ويعبر عن قيم واحدة؛ فالجاهلية تعمل على جبهتين اثنتين في معركتها ضـد المسـلمين؛ أولاهما:- أن تفرض قيمها في هذه المعركة، وتجمع كل الطوائف المتخاصـــمة تحت لوائها وقوانينها، وثانيهما:- أن تسـرق الشـعارات والمصـطلحات الإيمانية لتملأها بمسـميات قيمها

الجاهلية، ومن ذلك اسم الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى وأمثالها، وهذه المعركة ليست معركة مصطلح وشعار لكنها معركة قيم ومفاهيم، وتدور حول حقائق دنيوية وأخروية، وإن تحقق للجاهلية مرادها –وقد تحقق على صعد كثيرة وتم الاختراق في أحزاب ومفكرين إسلاميين كثر– فإن القرآن الكريم يصبح مجرد كلمات وأوراق تمزق من أجل اتخاذها لوحات جمالية لا محتوى حقيقي لها، ويتخذها كل الفرقاء شعارات للتداول السلعي المادي القذر في عالم من البيع الحرام والربا والسحت..

يجب على المجاهدين اليوم أن يحاربوا هذه الاختراقات الكافرة في الصف المسلم، لأنها جزء كبير من معركتهم، وهي قضايا إيمانية وقرآنية، فالفصل بين التوحيد والشرك، وبين المسلم والمشرك، وبين الإسلام والكفر، وبين المسلم والكافر هو أول ما دعا إليه رسول الله ﷺ، ولذلك كان مما نقمت قريش على رسول الله ﷺ أنه حكم أن آباءهم كفار وأن مأواهم بعد الموت جهنم، وهذا شديد شاق على النفوس، وفي أيامنا هذه نرى شدته وقسوته على الكافرين أشد من غيره، هذا مع أن أغلبهم لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ومع ذلك هم يأنفون ويغضبون أن يسميهم المسلمون كفاراً وأن جهنم مأواهم ومأوى آبائهم الكفرة، وتصبح هذه القضية أعظم وأشد وأقسى على المسلمين والمجاهدين حين تكون مع بني جلدتهم ويتسمون بالمسلمين وهم مع ذلك يحاربون الإسلام ولا يؤمنون بأحكامه بل ويقاتلون الداعين إليه، ويزيد أوار هذه المعركة حين يحكم على العاملين في نفس قضيتك الإيمانية بالكفر والخلود في النار ولكنهم لا يعملون بها من منطلق التوحيد والإسلام بل من رؤى ومفاهيم جاهلية كثيرة.

يقرر القرآن ركناً للتوحيد ولا يصـــح إلا به وهو أنه لا يكفي أن تعلق إســـلامك والتزامك بقيمه، بل يجب عليك أن تبرأ من الشـــرك وأهله ويحكم عليهم بحكم الإسلام فيهم وتعتقد بمآلاتهم في الآخرة وأنهم أصحاب النار.)

والآن ننتقل لبيان تقرير الإمام المجدد –رحمه الله– لهذه القضـــية الكبرى والمعلم المهم في دعوته وتوجيهاته فقال –رحمه الله– في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (إن ما يسـمى بنقل السـيادة للعراقيين خدعة مكشـوفة لتخدير الشـعب وإجهاض المقاومة المســـلحة، وهي لم تنطل على الصـــادقين والمجاهدين من أبناء العراق، فلا سيادة للعراق ما بقي جندي صليبي على أرضه، ولا سيادة للعراق ما لم يحتكم في جميع شؤونه للإسلام.)

وقال رحمه الله في "رســـالة مفتوحة إلى ابن باز ببطلان فتواه بالصـــلح مع اليهود": (إن العدو اليهودي الحالي ليس إلا عدواً مستقراً في بلاده الأصـلية محارباً من الخارج حتى يجوز معه الصلح، بل هو عدوٌ صائل مُفسدٌ للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: (والعدو الصـائل الذي يفسـد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم.) ا.هـ. [الاختيارات الفقهية صـــ٣٠٩-٣١٠].

إن الواجب الشرعي تجاه فلسطين وإخواننا الفلسطينيين من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، هو الجهاد في سبيل الله وتحريض الأُمَّة عليه حتى تتحرر فلسطين عن أخرها وتعود إلى السيادة الإسلامية.

وفلســــطين في غِنى عن مثل هذه الفتاوى المخذلة عن الجهاد والمخلدة إلى الأرض، هذه الفتاوى التي تقر احتلال العدو لأقدس مقدســـات المســـلمين بعد الحرمين الشـريفين، وتُضـفي الشـرعية عليه، وتدعم بكل قوة مسـاعي العدو لضـرب الجهود الإسـلامية المتلهفة لتحرير فلسـطين عن طريق الجهاد الذي أكد من خلال عمليات أبطال الحجارة وشـباب الجهاد المسـلم في فلسـطين أنه السـبيل الوحيد الناجع في مواجهة العدو والكفيل بتحرير الأرض إن شاء الله.

ونذكركم هنا بفتواكم السابقة في هذا الشأن، لما سئلتم عن السبيل لتحرير فلسطين، فقلتم أنه: (لا يمكن الوصـول إلى حل لتلك القضـية إلا باعتبار القضـية إسـلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهاداً إسـلامياً حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شـــذاذ اليهود إلى بلادهم.) ا.هـ. [مجموعة فتاوى الشـــيخ عبد العزيز بن باز ٢٨١/١].)

وقال -رحمه الله- في "الســـبيل لإحباط المؤامرات": (والمقصـــود والمطلوب شـــرعاً اعتصـــام المســـلمين بحبل الله واجتماعهم تحت أمير واحد لإقامة دين الله ونصـــرته، ومعلوم أن هذا الأمر يجب المســـارعة في إقامته فهو واجب من أعظم الواجبات في دين الله تعالى، قال الله -عز وجل-: ﴿**وَاعْتَصِـــمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾، وما أكثر أسماء الدول المنتســبة إلى الإســلام ولا يخفى على أولي الألباب أنها جميعاً فاقدة لشـروط هي من أهم شـروط قيام الدولة المسـلمة، وأولها أنها لا تقيم شـرع الله ناهيك عن أن معظمها منقوصة السيادة، وجميعها بدون استثناء قد تعاونت بشكل أو بآخر مع أمريكـا في الحرب العـالميـة على الإســـلام وذلـك ناقض من نواقض

الإســـلام، ومع ذلك فكثير من الناس يتعاملون معها على أنها دول إســـلامية ذات سيادة، وتعاملهم هذا لا يصح شرعاً، لما سبق ذكره.)

وقال في "بشريات": (المراد إخراج الكفار من ديار الإسلام وإخراج عملائهم، وعلى أنقاضـهم وأنقاض عملائهم إقامة الحق وإقامة الإســلام وإقامة الدين، فنســلك كل سـبيل شـرعي يؤدي إلى هذه الغاية، فإن وجد سـبيلٌ يؤدي إلى هذه الغاية ليس فيه إراقة لدماء الأبرياء فما يجوز لنا أن نتخذ سبيلاً فيه إراقة دماء الأبرياء، أما إذا تعذر إخراج الكفار وإقامة الحق إلا بقتل الكفار في هذه القاعدة أو في هذا المبنى وقد تترسـوا بالمسـلمين فهذه مسـألة مبسـوطة في كتب الفقه عند أهل العلم بتفصـيل ملخصـــه وما يهمنا في هذا الميدان أنه إذا تعذر دفع الباطل وإقامة الحق؛ دفع هذه القوات الأمريكية التي تترست في هذا الحي وبجوارهم بيت للمسلمين ولو فجرنا هذا المبنى -هم عن عمد يتترسون في وسط المدن- سيموت بعض الناس من هذا البيت وهم مسـلمون هؤلاء يبعثون على نياتهم شـهداء بإذن الله سـبحانه وتعالى ونحن لا شيء علينا، هذه المسألة مكتوبة مضطردة تكلم فيها شيخ الإسلام -رحمه الله- في الفتاوى الكبرى تحدث عن التترس ليس في مجموع الفتاوى ضـــرب مثلاً في التترس، وتحدث ابن القيم -رحمه الله- عنها بتفصـــيلٍ كثير وتحدث عنها أهل العلم في المذاهب الأربعة، فهي ليست مسألة حديثة.

الآن الروس أو الأمريكان هجموا علينا ومســـكوا بعض إخواننا ترسًـــا وأصـــبحوا يهجمون علينا، نريد نضرب يقول لا إذا ضربت سيأتي الضرب في أخينا هذا المسلم والله نهى عن قتل المسلم، العلماء جمعوا بين النصوص وعلموا مقاصدها، فهنا المراد

إقامة الدين فلا حرج لو ذهبت نفس هذا الرجل -وهو على نيته- حتى ندفع أولئك، فإذا كان إيقاف القتال أو إيقاف الضرب سيؤدي إلى اجتثاث أهل الإسلام أو إذهاب بيضتهم فيضرب وإن قتل أولئك فلا حرج بإذن الله سبحانه وتعالى، هذا الجزء الأول من السؤال. الجزء الثاني؟)[٣٤]

---

٣٤ . ومما يستأنس به هنا كلام الإمام المجدد الذي جاء ضمن وثائق أبوت أباد في الرسائل المرسلة إلى الشيخ عطية الله الليبي: (وكما تعلمون إن وجوب الجهاد لا يعني أن نقيمه في كل إقليم بما في ذلك الأقاليم التي لم تتيسر فيها مقومات النجاح؛ فالجهاد وسيلة لإقامة الدين، وقد يسقط للعجز عنه دون أن يسقط الإعداد له، ويكون ذلك إذا غلب عند أهل الخبرة في الجهاد أنه لم تكتمل المقومات التي تتيح إتيانه بالثمرة المرجوة منه.

وبفضل الله الجهاد قائم في عدة جبهات وهي كفيلة -بإذنه سبحانه وتعالى- ثم بثبات المجاهدين فيها بأن تقوم بدور استنزاف رأس الكفر أمريكا إلى أن تهزم -بإذن الله- ومن ثم يتيسر إخراج الأمة مما أصابها من استضعاف وذل وهوان.

وإن اهتمام المجاهدين بشكل عام بمعرفة ما يؤثر في توعية أبناء الأمة ويلقى قبولًا عندهم كفيل -بإذن الله- في استنقاذ الأُمَّة من ظلمات الجهل والتيه.

حيث إن البلاء الواقع على بلاد المسلمين له سببان، الأول وجود هيمنة أمريكية عليها، الثاني وجود حكام قد تخلوا عن الشريعة متماهين مع هذه الهيمنة يحققون مصالحها مقابل تحقيق مصالحهم، والسبيل أمامنا لإقامة الدين ورفع ما وقع بالمسلمين من بلاء هو بإزالة الهيمنة الواقعة على البلاد والعباد والتي تحول دون بقاء أي نظام يحكم فيها بشرع الله، والسبيل لإزالة هذه الهيمنة هو بمواصلة الاستنزاف المباشر للعدو الأمريكي حتى ينكسر ويضعف عن التدخل في شؤون العالم الإسلامي.

وبعد هذه المرحلة تكون مرحلة إسقاط السبب الثاني الحكام المتخلين عن الشريعة، وتليها -بإذن الله- مرحلة إقامة دين الله وتحكيم شرعه.

فينبغي التركيز على الأعمال التي تصب في صميم استنزاف العدو الأمريكي، وأما الأعمال التي لا تصب في استنزاف العدو الأكبر فكثير منها يشتت جهودنا ويستنزف طاقتنا، ولا يخفى تأثير هذا على الحرب العامة الشاملة وتأخيره لتتابع المراحل المؤدية لقيام الخلافة الإسلامية -بإذن الله-.)

من قام بنصف ثورة
فإنما يحفر قبره بيده

إن من المبادئ والقواعد المقررة في عالم الثورات والتغيير قاعدة "من يقوم بنصف ثورة فإنما يحفر قبره بيده".. فالثورات لا بد أن تعمل على الهدم الكلي للنظام القائم وبناء نظام يقوم على مبادئ يؤمن بها أصحاب الثورة..

والأصل في المسلمين أنهم في جهادهم وثوراتهم يسعون لهدم الأنظمة المخالفة للشريعة الإسلامية ويسعون لإقامة وبناء نظام إسلامي وهذا الأمر من الأمور التي ركز عليها الإمام المجدد كثيراً وأصبح صفة ملازمة لدعوته وفي ذلك يقول الدكتور الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- في "أيام مع الإمام": (وأثبتت الأحداث أنّ نظرة الشيخ -رحمه الله- في تحذير الأمة من المستنقع الديموقراطي العلماني كان تحذيرًا في مكانه وفي محله فقد انكشفت الحقائق وسقطت الأقنعة وأظهرت أمريكا أنيابها وكشّر عملائها عن أنيابهم وأظهروا حقيقتهم واكتسحوا هذه الثورات بالدبابات والمجنزرات وقصفوها بالطائرات وقتلوها بالبنادق والمدافع وأكلوا صنم الديموقراطية الذي صنعوه وقدّسوه، وأثبتت الأحداث بصيرة الشيخ وصدق نظرته وأنه كان يدعو إلى أن تكمل هذه الثورات مسيرتها وأنّ هذه الثورات ضاعت في مستنقع الديموقراطية وأنّ كثيرًا من الحركات المنتسبة للإسلام تاهت واختلط عليها الأمر وضاع منها الطريق في وسط هذه الإغراءات والأوهام التي تعلقوا بها.

واليوم نرى أنّ ما يحدث في الشام ومصر وليبيا وتونس كله يسير على مخططٍ أمريكي واحد وإن اختلفت التفاصيل والتوقيتات لكن كله يسعى لأمرٍ واحد استدراج التيار الإسلامي إلى مستنقع الديموقراطية العلمانية الوطنية وهناك تتبدد قوة هذا التيار كما يتبدد النهر الجارف إذا دخل في مستنقعاتٍ وأحراش ثم بعد ذلك إذا لم تفلح هذه الوسيلة يكشف العدو الأمريكي عن وجهه القبيح ويتقدم عملاؤه بالسلاح والقمع والقتل والقهر ليقضوا على أمل الشعوب العربية في أن تحكم بالإسلام وأن تتحرر من الهيمنة الخارجية وأن تتطهر من الفساد الداخلي.

الذي يحدث اليوم يا إخوة في مصر جريمة مكتملة الأركان جريمة اشترك فيها العلمانيون دعاة الليبرالية وحقوق الإنسان والديموقراطية وكل هذا الكلام الفارغ مع العدو الخارجي الأمريكي بواسطة آلة القهر العسكرية التي ربّتها أمريكا ومولتها ومرنتها ودربتها، هذا الثلاثي الخطير وللأسف ينظم إليه حزب الزور السيسي الذي يضفي مسحةً باهتةً كاذبةً من الشرعية على العسكر المتأمركين مع الصليبيين الانفصاليين كل هؤلاء اليوم يا إخوة يقفون في خدمة المشروع العسكري الأمريكي وكل هؤلاء يواجهون ثورات الشعوب العربية من أجل أن تعود إلى إسلامها وأن تتحرر وتحكم نفسها بشريعة الإسلام وأن تتحرر من الهيمنة الخارجية وتتطهر من الفساد الداخلي.)

اعرف الحق تعرف أهله فالحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق (اتباع الحق لا اتباع الرجال)

هنا نتحدث عن معلم وأصل من أصول الاستنباط والاستدلال عند أهل السنة والجماعة ثم نبين تمسك الإمام المجدد أسمة بن لادن –رحمه الله– به والدعوة إليه..

وهذا الأصل والركيزة "اعرف الحق تعرف أهله، إن الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما الرجال يُعرفون بالحق" وبداية ننقل إليكم كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في بيان هذه الركيزة والقاعدة فقال في "جامع المسائل": (وكثير من الناس يزن الأقوال بالرجال، فإذا اعتقد في الرجل أنه معَظَّم قَبِل أقوالَه وإن كانت باطلةً مخالفةً للكتاب والسنة، بل لا يصغي حينئذ إلى مَنْ يردّ ذلك القول بالكتاب والسنة. بل يجعل صاحبه كأنه معصوم. وإذا ما اعتقد في الرجل أنه غير معَظَّم ردَّ أقوالَه وإن كانت حقًّا، فيجعل قائل القول سببًا للقبول والرد من غير وزن بالكتاب والسنة.

وقد قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– للحارث بن حوط لما قال له: (يا عليّ أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل وأنت على حق؟ فقال: لا. يا حارِ إنه ملبوس عليك، اعرف الحق تعرف أهله، إن الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما الرجال يُعرفون بالحق).

وكلّ من اتخذ شـيخًا أو عالمًا متبوعًا في كلّ ما يقوله ويفعله، يوالي على موافقته ويعادي على مخالفته غير رسـول الله ﷺ؛ فهو مبتدع ضـالّ خارج عن الكتاب والسـنة، سـواء كان من أهل العلم والدين كالمشـايخ والعلماء وكان من أهل الحرب والديوان؛ كالملوك والوزراء.

بل الواجب على جميع الأمة طاعة الله ورسـوله، وموالاة المؤمنين على قدر إيمانهم، ومعاداة الكافرين على قدر كفرهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، وقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: ٧١].

وقال النبي ﷺ: «مَثَل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسـد الواحد إذا اشـتكى منه عضـو واحد تداعى له سـائر الجسـد بالحمى والسـهر». وقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا وشبَّك بين أصابعه».

وفي "الصحيح" عنه أنه قال ﷺ: «إنّ الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولَّاه الله أمركم».
﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْـوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْـوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّـتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٧].

قال ابن عباس: تبيضُّ وجوه أهل السنة والجماعة، وتسودُّ وجوه أهل البدعة والفرقة.

وهذا هو الأصـــل الفارق بين أهل الســـنة والجماعة، وبين أهل البدعة والفرقة. فإنّ أهل السـنة والجماعة يجعلون رسـول الله ﷺ هو الإمام المطلق، الذي يتبعونه في كلِّ شيء ويوالون من والاه ويعادون من عاداه. ويجعلون كتاب الله هو الكلام الذي يتبعونه كلَّه ويصـــدِّقون خبره كلَّه، ويطيعون أمره كلّه. ويجعلون خير الهدي والطريق والسنن والمناهج هي سنة رسول الله ﷺ.

وأما أهل البدعة فينصبون لهم إمامًا يتبعونه، أو طريقًا يسلكونه، يوالون عليه ويعادون عليه، وإن كان فيه ما يخالف الســـنة، حتى يوالوا مَن وافقهم مع بُعْدِه عن الســـنة، ويعادون من خالفهم مع قُرْبه من السنة.)

وقال الشـــيخ عبد العزيز الطريفي –حفظه الله– تقرير هذه القاعدة في "اعرف الحق تعرف أهله": (الأمر باتباع الحقائق والمعاني دون الذوات:

والله ســـبحانه وتعالى جعل الحقائق في ذوات المعاني لا في ذوات حامليها، وهذا ينبغي أن يؤخذ بالاعتبار، فالله جل وعلا جعل الحق بالكلمات والألفاظ والمعاني، وما جعل الحق في ذوات حامليها، وإذا فهمنا هذا التأصـيل عرفنا أن الذين يحملون الحق والباطل إنما هم أوعية جعلها الله جل وعلا حملة للحق والباطل، وأما ما يحملونه من معانٍ فهي التي يتميز بها الناس إلى الحق أو إلى الباطل، ولهذا الله جل وعلا جعل إحقاق الحق بالكلمات، وما جعل إحقاق الحق بالذوات، قال تعالى: ﴿**يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**﴾ [الأنفال: ٧]، لا بفلان وفلان، فهذه الكلمات التي أمر الله

جل وعلا بلزومها هي المعاني التي أمر الله سبحانه وتعالى بإنزالها على أنبيائه، وقد أمر الله جل وعلا باتباع البينات وعدم اتباع الأولياء من دونه: ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الأعراف: ٣]، فهؤلاء الأولياء هم الذين يتعصب عندهم الجهلة بالالتفاف حولهم ومحاولة التكاثر، حتى يجعلوا للقول الضعيف قوة وشوكة، فيغتر به الناس لقوتهم وشوكتهم، وكذلك نفوذ رأيهم وامتزاج ذلك بكثير من حضور المادة ومطامع الدنيا، فتنكسر كثير من القلوب عن إدراك ذلك الحق بذاته لهيبة حامله.

... قرب الإنسان وبعده من جهة المعاني والمعلومات.

والإنسان -كما لا يخفى- من جهة إدراكه للمعاني، وكذلك من جهة إدراكه للمعلومات على سبيل العموم، فإنه كلما كان بعيداً عن الحقيقة صغرت لديه، وإذا دنا منها كبرت لديه، إلا شيئاً واحداً، وهذا هو الكذب والخديعة والبهتان، فإنه يكون عظيماً إذا كان بعيداً، فإذا دنا الإنسان منه وجده سراباً، لا شيء، ولهذا ينبغي للإنسان أن يقترب من الأشياء حتى تتميز لديه، وهذا القرب هو القرب من الذوات، وهذه الذوات هي التي عليها مدار الإدراك.

وإذا قلنا: إن الحقائق التي أمر الله جل وعلا باتباعها هي المعاني والكلمات حينئذٍ وجب على الإنسان أن يقرب من المعاني والكلمات لا أن يقرب من الذوات، والله جل وعلا ما جعل الحق والعصمة لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام إلا ليبلغوا الحق للناس فيعتصب الحق مع الذات، وذلك أن كثيراً من الناس ينخدعون بالذوات أكثر من الألفاظ والمعاني، وجعل الله جل وعلا العصمة لأنبيائه من جهة القول

والفعل إكمالاً للحق، ولهذا يضطرب كثير من الناس في اتباع الحق بالتمييز بين الذات والمعنى الذي تحمله.)

بعد هذا التقرير لهذه الركيزة والقاعدة ننتقل لبيان اهتمام الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- بها.. فقد سار الإمام المجدد على نهج أهل السنة والجماعة في الاستنباط والاستدلال واعتمد أصولهم وقواعدهم في ذلك والتي كان منها هذه القاعدة المهمة "اعرف الحق تعرف أهله، إن الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما الرجال يُعرفون بالحق"..

وكانت هذه القاعدة في توجيهاته وكلماته لدعوة الناس إلى اتباع الحق والتمسك به وإن خالفه من خالف من الأسماء والجماعات فقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة": (فيا عباد الله: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واحذروا كل الحذر من المثبِّطين والمرجفين والمعوِّقين، القائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا.

واحذروا الذين يحبُّون قول الحقِّ ولا يستطيعونه، إلا أن يختموه بقول الباطل، كمدح وتزكية الطواغيت، فهؤلاء قد ضلوا ضلالاً مبينًا، ولا تصحُّ الصلاة خلفهم، فليتقوا الله في أنفسهم وأمَّتهم، وليتوبوا عن باطلهم.

واحذروا الذين يريدون قول الباطل فيلبسون الحقَّ بباطلهم، ليمرِّروه على الناس، فتعيّن الجهاد اليوم في فلسطين والعراق، حقّ على أهل القطرين، فإن عجزوا أو قصروا أو تكاسلوا، فعلى من يليهم، وثم وثم، إلى أن تعمَّ الدائرة جميع بلاد المسلمين، حيث إنَّ بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلدة الواحدة.

هـذه هي فتـاوى العلمـاء رحمهم الله، الـذين لم يأخـذوا في اعتبـارهم أهواء الحكـام العملاء في العواصــم المحيطة، كالرياض وعمان وغيرها، وحيث إنَّ العجز واضــح في فلســـطين والعراق، فإنَّ الجهاد متعيّن على من يليهم، كأهل بلاد الحرمين وســـوريا والأردن وتركيا وإيران والكويت، فإن عجز أو قصـر هؤلاء، فعلى من يليهم، فالجهاد في العراق وفلسطين حقٌّ، والتخذيل عنه باطل.

واحذروا الذين يتســـلَّلون لواذًا، الذين يزاحمون الربوبية والنبوة بآرائهم وأهوائهم، ثم يزعمون أنَّ هذه مصـــلحة الدعوة؛ فهذا محال، وفي آرائهم الدمار والبوار، قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

فيا عباد الله؛ إنَّ الطريق واضـح بيّن، فقد تركنا رسـولنا عليه الصـلاة والسـلام على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

واقرؤوا القرآن والسـنة تبصـروا الصـراط المستقيم، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويُردُّ، إلا نبيّنا عليه الصلاة والسلام.

واضــربوا بعرض الحائط آراء وأهواء الرجال، مهما عظموا وعلموا وفقهوا، إذا عارض قولهم قول الله تعالى، أو قول رسـوله عليه الصـلاة والسـلام، حتى وإن كانوا مخلصـين صادقين، فهي زلة منهم لا تهدر مكانتهم وفضلهم، ولكن لا يُتابَعون في زلَّتهم.)

وقال -رحمه الله- في "الســـبيل لإحباط المؤامرات": (فكيف وأنتم ترون أحزاب أو فصائل وهيئات فيها شيوخ كبار تنتمي إلى أمتنا تفتن وتتساقط عند أبواب سلاطين

نجد، من أسباب ذلك تأخر الوحدة ، وقد تكون عند بعض الأمراء شهوة خفية في الحرص على الإمارة هي المانع الحقيقي فلا ينبغي أن نتعصـــب للرجال أو الأحزاب أو الجماعات ولكن نتعصب للحق فمن تمسك به أعناه وإن أمرنا أطعناه ومن حاد عن الجادة قومناه، وأمرناه أن يكون للحق تَبَع فالحق أحق أن يُتبع ومن كان مقتدياً فليقتدي بمن قد مات من القدوات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، واعرف الحق تعرف أهله فالحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق.)

وقال –رحمه الله– في "إلى أهلنا بالعراق": (أنصح نفسي والمسلمين عامة والإخوة في تنظيم القاعدة خاصـــة في كل مكان أن يحذروا من التعصـــب للرجال والجماعات والأبطال، فالحق هو ما قاله الله تعالى وما قاله رسوله ﷺ وكلٌ يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول ﷺ، فأمره على الرأس والعين.

فإياكم ثم إياكم أن يكون حظكم من هذه المسـألة الفهم النظري فقط ثم تخالفوه في واقعكم العملي. فكل من يقول قولا اعرضوا قوله على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فما وافق الحق فخذوه وما عارضـه فاتركوه. وقد قال رسـول الله ﷺ: «من قتل تحت راية عمية ينصـر للعصـبية، ويغضـب للعصـبية فقتلته جاهلية» رواه مسـلم. وقال: «ما بال دعوى الجاهلية! دعوها فإنها منتنة» متفق عليه.

فأخوة الإيمان هي الرابطة بين المســلمين، وليس الانتســاب إلى القبيلة أو الوطن أو التنظيم فمصــلحة الجماعة مقدمة على مصــلحة الفرد، ومصــلحة الدولة المســلمة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة.

فيجب أن تكون هذه المعاني واقعاً عملياً في حياتنا.

وأقول: وحري بعلماء المسلمين، وقادة المجاهدين، وزعماء الجماعات الصادقة، أن يردد كل منهم على إخوانه ما قاله الصديق -رضي الله عنه-: (أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم.)

وقال: (أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإذا أحسنت فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني.)

قال الإمام مالك -رحمه الله-: (لا يكون أحد إمام أبداً إلا على هذا الشرط.)

ونردد هذه الأقوال عليهم لإزالة التضخم الذي نشأ عند بعضهم، وذلك بتعظيم أوامر الجماعة وأوامر قادتها، فيتوهم الواحد منهم أنها بالضرورة لا تكون إلا حقاً. فيتعامل معها في واقعه العملي كأنما هي نصوص معصومة، وإن كان يعتقد نظرياً أن العصمة لرسول الله ﷺ فقط.

فيتعصب لأمر جماعته وقادتها، ولا ينقاد لآية من كتاب الله أو لحديث من سنة رسول الله ﷺ فهذا هو الضلال المبين. قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾. قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة

الرســـول باطناً وظاهراً ﴿أَن تُصِـــيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.)

والأشـــد والأنكى أن تقتحم جماعته وقادتها الموبقات العظام، وتأمره باقتحامها كدخول البرلمانات التشريعية الشركية، وانتخاب أعضائها، فالمنتخِب والمنتَخَبُ قد وقعا في أعمال شركية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

الرجوع عن الخطأ واتباع الحق متى ظهر "الموقف من النظام السعودي أنموذجاً"

ومن معالم وسمات أهل الحق والانصاف التي كانت واضحة وجلية في الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– الاعتراف والإقرار بالخطأ واتباع الحق متى بان وظهر..

وأذكر مثالاً على هذا المعلم قضية تلفت نظر القارئ لتراث الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله–.. وهذه القضية اختلاف موقفه من النظام السعودي في بداية دعوته ثم ما استقر عليه أمره من الحكم بردة هذا النظام المحارب للإسلام وأهله باسم الإسلام.. فقد جاء في البيان الأخير من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح "رسالة إلى الشيخ عبد الرحيم الطحان":

(بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ عبد الرحيم الطحان –حفظه الله–.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فجزاكم الله خيرًا على ما تفّضلتم به من الملاحظات التي طلبنا منكم إبداءها على رسالتنا المعنونة بـ "الإفصاح عن كفر النظام السعودي البواح".

ونحن بعد الاطّلاع على تلك الملاحظات، نودّ اطلاعكم على ما يلي:

أولًا: تم اعتماد ما أشرتم به من عدم مناسبة الاستشهاد بأقوال بعض من لا يزال في صف النظام من أهل العلم، فتقرّر الاستغناء عمّا ورد في تلك الاستشهادات في

هذه الرسـالة، والاكتفاء بالأدّلة والشّـواهد الأخرى، وإنْ كان ذلك لا يقتضي بالضّرورة عدم الاستفادة من فتاوى هؤلاء وأقوالهم في المستقبل ولو من باب الإلزام لهم.

ثانيًا: نزولًا عند رغبتكم في معرفة الأسباب الدّاعية إلى إثارة هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات -مع أن دواعي إثارته كانت قائمة منذ زمن بعيد-، نودّ أن نُطلعكم على ما يلي:

١- لا نختلف معكم فيما تفضّلتم به وذهبتم إليه من أنّ وضع النّظام الحالي كان قائمًا من زمن بعيد، كما بينت ذلك رسائل وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ -رحمه الله- وإن كانت الأمور أصبحت أكثر ظهورًا من ذي قبل.

٢- إلا أن هنالك أسبابًا عدّة وعوامل مختلفة حالت دون إثارة هذا الموضوع على هذا النّحو من قبل.

وأهم هذه الأسباب: عدم اطّلاعنا على حقيقة النّظام من قبل؛ فالنّظام بحكم ما يتظاهر به من إقامة بعض الحدود الشّرعيّة، ورعاية الأماكن المقدّسة، ونشر الدّعوة وتقريب بعض العلماء، ومناصرة بعض القضايا الإسلاميّة، قد نجح إلى حد كبير في مخادعة الأمّة وتضليلها عن حقيقته العلمانيّة.

وزاد من قوّة تلبيسه ذلك على الأمّة نجاحه في استخدام وسائله الإعلاميّة، وهيئات علمائه السلطانيّة، التي لم تألُ جهدًا في سبيل ترسيخ صورة حاكم البلاد في أذهان الأمّة، باعتبارهم أئمة المسلمين وحماة الملّة والدّين.

وفي ظل هذا التّلبيس والتّضـــليل، لم تتح لنا فرصـــة معرفة النّظام على حقيقته، ومن عاش في الجزيرة تحت تأثير هذا الواقع عرف صدق ما نقول.

وبعد إدراكنا لخطورة الموضــوع وأهميّته، بدأنا الاتّصــالات ببعض إخواننا في الدّاخل من العلماء والدعاة وغيرهم، ممن لهم نفس التّوجه والاهتمام؛ لتدارس العمل الواجب المناسب الذي ينبغي القيام به، وقد أخذت تلك الاتّصالات فترة زمنيّة معتبرة.

واهتمامنا بهذا الموضوع منذ عدة سنوات -عشناها خارج البلاد- كان مثار غضب وســـخط النّظام الحاكم، الذي حاول ثنينا عن توجّهنا ذلك بمختلف أســـاليب التّرهيب والتّرغيب.

وما يخطر على أذهان البعض من أنّ ما نقوم به الآن من تعرية شـــرعيّة النّظام، ووقوف في وجهه ما هو إلا ردّة فعل على تصــرّفات النّظام الظّالمة ضــدّنا، هو مجرّد وَهْم ساهم في ترسيخه التّوافق الزّمني -غير المقصــود- بين إعلان النّظام عن بعض تلك التّصرفات، وإعلاننا عن تأسيس "هيئة النصيحة والإصلاح".

والواقع أن تصــــرّفات النّظام تلك هي التي كانت ردّة فعل على تحرّكنا، وإثارتنا لهذا الموضوع في الأوساط العلميّة والدّعويّة وغيرها، وليس العكس.

ومع أنّ هذه المبرّرات هي التي أقنعتنا بالتّأخّر في إعلان هذا الموضــوع، فإنّنا لا نّبرّئ أنفسنا من التّقصير والخطأ، فكل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التّوابون، فنستغفر الله مما علمنا وما لم نعلم.

وفي الختام نسأل الله -جلّ وعلا- أن يوفّقنا وإيّاكم لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عن هيئة النّصيحة والإصلاح.

أخوكم: أسامة بن محمد بن لادن.)

الترف عدو الجهاد

وإن من الأمور التي عُرِفَ واشـــتهر بها الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- مـا ركز عليـه في حيـاتـه وجهـاده أن الترف عـدو للجهـاد.. ونترك الـدكتور أيمن الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- يحدثنا عن هذا الأمر فقد عاصـــر الأمام المجدد وعرف عنه ما لم يعرفه غيره حيث قال -رحمه الله حيا وميتا- في "أيام مع الإمام":

(أيضًـا أود أن أنتقل لناحية أخرى من جوانب شـخصـية الشـيخ -رحمه الله- وهي زهده في العيش وفي الحياة، طبعًا زهد الشـــيخ أســـامة بن لادن شـــيء معروف، النـاس يعرفون أنّ هـذا الثري الغني المليـاردير قـد أنفق كـل مـالـه في ســـبيـل الله، وهذا شيء معروف لكن نحن لمسناه حياةً واقعيةً نعيشها معه.

الشيخ أسامة -رحمه الله- إذا تدخل بيته تعجب، يعني بيت متقشف جدًّا فيه بعض الأسِـرّة الخشـبية وبعض البُسُـط البلاسـتيكية وأثاث ضـعيف جدًّا، وكان الشـيخ إذا دعانا للطعام في بيته يقدم لنا الموجود في البيت: خبز وخضـــار وأرز أو ربما بدون أرز، المتيسر كان يقدمه الشيخ لنا رحمه الله.

وكان حريصًـا -الشـيخ- على أن ينشـأ الإخوة على هذه التربية المتقشـفة الزاهدة المترفعة عن الدنيا حتى أنه لما كنا في قرية العرب -هذه القرية المباركة نســـأل الله سبحانه وتعالى أن يعيدها ويعيد بلاد المسلمين المحتلة محررةً إن شاء الله- كان الشيخ لفترةٍ طويلةٍ جدًّا يحرض الإخوة على أن لا يدخلوا الكهرباء في بيوتهم، طبعًا كانت القرية قســمين: قســم عام في الخارج فيه الشــباب وفيه المضــافات وفيه الإدارات

والمكاتب وهكذا، وقسم داخلي فيه الأسر. القسم العام كانت الكهرباء فيه متوفرة للعمل وللإنتاج وهكذا، أما في القسم الداخلي كان الشيخ يحرض الإخوة على أن لا يدخلوا الكهرباء في بيوتهم وأن يتعودوا على العيش بدون كهرباء وكان يتشدد في هذا، فحتى أنا مرة كنت أباحثه قلت له: لماذا هذا؟ فقال: الترف عدو الجهاد وإذا نشأ الإخوة على التقشف يستطيعوا أن يتحملوا المشاق، فقلت له: وماذا سيحصل الأخ عليه من أسباب الدنيا من الترف، يعني إذا أراد أن يتنعم ممكن يشتري خلاط كهربائي من السوق، قال لي: لا، هذا الترف يدب في النفس شيئًا فشيئًا فإذا أنت تعود نفسك على التقشف والزهد لا يضرك ما يمر بك من أحوال بعد ذلك، فكانت له نظرة تربوية عميقة في هذا.)

وقال الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله- في "في ظلال سورة التوبة": (وفي هذه المناسبة نرجو الله عز وجل أن يحفظ أخانا أبا عبد الله أسامة بن لادن، فهذا الرجل ما تفتحت عيناي على رجل مثله في الأرض أبدا ، يعيش في بيته عيش الفقراء، كنت أنزل في جدة في بيته عندما أذهب للحج أو للعمرة ليس في بيته كرسي ولا طاولة أبدا ، كل بيت، متزوج من أربعة وليس في أي بيت من البيوت كرسي ولا طاولة، أي عامل من الأردن أو مصر بيته أحسن من بيت أسامة، فيه أثاث أو مثله، ومع ذلك في لحظات تطلب منه مليون ريال يكتب لك شيكا بمليون ريال للمجاهدين.

ذهب إلى إحدى أخواته فعرض عليها فتوى ابن تيمية في الجهاد بالمال، فأخرجت شيكا وكتبت ثمانية ملايين ريال، يعني أربعين مليون روبية، جاء الذين يفهمون

ليقنعوها أمجنونة أنت؟! ثمانية ملايين دفعة واحدة، والله من المسلمين، المسلمات يقنعنها، والمسلمون يقنعون زوجها، وما زالوا يفتلون لها بين الحبل والغارب... قالوا لها: أنت تسكنين بشقة في الأجرة، على الأقل مليونا لبناء بيت لك، فاقتنعت بمليون تسترده، جاءت لأسامة قالت له: يا أسامة يا أخي مليونا أبني به بيتا، قال لها: والله ولا ريال، لأنك تعيشين في شقة مستريحة والناس يموتون لا يجدون خيمة، وعندما يجلس معك تظنه خادما من الخدم، مع الأدب والرجولة، والله أنا أمسكه هكذا، وقلت للشيخ سياف اصدر قرارا ممنوع أن يتحرك من هنا، وهو يريد دائما أن يكون في المواجهة، وضغطه ينخفض، وجيبه مليئة بالملح، ويحمل مطرة ماء لا يقدر أن يمشي، يبلع ملحا ويشرب ماء حتى يرفع الضغط، وعندما يدخل بيتي... صدقوا عندما يرن التلفون يذهب هو ويأتي بالتليفون حتى لا أقوم من مكاني، أدب، حياء، رجولة، نرجو الله أن يحفظه إن شاء الله.

والمبادئ تحتاج إلى أناس، أم تريد أن تدخل الجنة بقرش؟ بريال؟ لا تدخل الجنة بريال، تحتاج إلى تضحية.

أول مرة دعاني كنا في رمضان، فذهبت، فجاء عند الأذان بصحن مرقة وفيه بعض العظمات عليها قليل من اللحم وحبتان أو ثلاثة من الكباب...)

تقديم الانفاق على الجهاد
على غيره من الجوانب

ومن الأمور التي بينها لنا الدكتور الظواهري -رحمه الله حيا وميتا- عن منهجية الإمام المجدد في الجهاد أنه يقدم الانفاق على الجهاد على غيره من الأمور فقال في "أيام مع الإمام": (الناس يعرفون أسامة بن لادن السمح المعطاء الكريم، لكن الشيخ كان شحيحًا جدًّا بأموال الجهاد، هذا جانب ربما الناس لا ينتبهون إليه، يعني الشيخ ابتغاء مرضاة الله وابتغاء دعم الجهاد كان شحيحًا جدًّا بأموال الجهاد في سبيل الله.

كان شحيحًا جدًّا في الإنفاق على غير الجهاد في سبيل الله، وأذكر قصة طريفة في هذا الجانب لما كنا في بيشاور وقت الجهاد الأفغاني ضد الروس، جاء أحد الإخوة من إخواننا وأصدقائنا -أحسبهم على خير- وزار بيشاور، وكان هذا الأخ على علاقة بي وبالشيخ أبي عبيدة البنشيري -رحمة الله عليه-..

فهذا الأخ كان من الإخوة المهتمين بالتعليم والتربية وهذه الأمور، وكان عنده مشروع أن يبني مدرسةً على العقيدة السليمة الصافية وعلى المنهج السليم ويكون فيها منهج تعليمي طيب وأن يخرّج من هؤلاء الناس متخرجين يكونوا للجهاد في سبيل الله ولأعمال الخير، وكان مقتنعًا يعني هذه الفكرة كانت استغرقته تمامًا، فجاءني وكلمني وكلم الشيخ أبا عبيدة وقال لا بد أن توصلوني إلى الشيخ أسامة بن لادن حتى يدعمني ويساعدني في هذا المشروع، فأنا قلت له: أنا في الحقيقة ما جربت هذا من

قبل مع الشيخ أسامة بن لادن، ما حصل في يوم إني أخذت إليه رجلاً وقلت له ادفع لهذا أو ادعم هذا فهذا أمرٌ ما اعتدته ليس من عادتي، قال: كيف، وأنتم لا تتخلون عني، وظل يضغط علينا، قال: اتركوني أكلم الشيخ لماذا تمنعوني من أن أكلم الشيخ؟ قلت له: نحن إن شاء الله نرتب لك، فرتبنا له لقاءً مع الشيخ أسامة بن لادن، فهذا الأخ الكريم جلس مع الشيخ أسامة بن لادن وبدأ يشرح له مشروعه وفكرته، والشيخ ما شاء الله يستمع، الشيخ طبعًا معروف بدماثة الأخلاق وحسن الخلق وهو مستمع جيد، يستمع لا يقاطعه، فحتى انتهى الأخ من عرض مشروعه وقال له: أريدك أن تدعمني في هذا المشروع، فالشيخ أسامة -رحمه الله- قال له: لا أدعمك في هذا المشروع (الشيخ ضاحكًا) فالأخ أسقط في يده، قال: كيف لا تدعمني وهذا عمل صالح وهذا عمل لصالح المسلمين ولصالح المجاهدين؟ فالشيخ قال له: يا أخي الجهاد لا بواكي له والناس الآن ينفقون في أنواع الخير وفي نواحي الخيرات والأيتام والمدارس وللطعام، وهذه الأمور كلها بغير الجهاد تضيع، وإذا انتصر الجهاد حُفِظت على الأمة كل هذه المصالح، والناس يخافون من أن ينفقوا في الجهاد في سبيل الله، وينفقون هنا وهناك، وقِلّة من الناس الذين يتجرّؤون وينفقون في سبيل الله، فالجهاد لا بواكي له، فبعد كل هذا أنا آخذ من أموال الجهاد حتى أعطيك! لا أعطيك. فالأخ صُدِم وكانت الفكرة مستولية عليه فظل يجادل الشيخ ويتكلم معه وأن هذا يكون في صالح الجهاد وفي صالح المسلمين وهكذا وهكذا، والشيخ يستمع وعلى رأيه، فأنا خشيت أن يتصور الشيخ أني أنا والشيخ أبو عبيدة على رأي هذا الأخ، قلت أتكلم بإنصاف فقلت له: يا أخي الشيخ على حق

والجهاد في سبيل الله وبمعنى القتال في سبيل الله هو أولى الجوانب أن يُنفق عليه، فإذا استكفى الجهاد فيُصرف على بقية جوانب الخير.)

مفاصلة الجاهلية المعاصرة
والحلول خارج فلك وخطط ورسوم الأعداء

إن البحث عن الحلول والعمل الجاد خارج فلك ومخططات الأعداء والدعوة إلى ذلك من أهم وأشـــهر المعالم التي ميزت جهود الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله-..

وهذا المعلم من أهم أســـباب النجاح الذي أنعم الله به على الإمام المجدد وإخوانه المجاهدين.. فإن العمل ووضـع الحلول ضـمن فلك ورسـوم الأعداء يجعل العاملين هدفاً سـهلاً يسـهل على الأعداء القضـاء عليه أو تحويلهم لجماعات وأدوات طيعة تخدم أهداف ومخططات الأعداء كما هو مقروء في التاريخ ومشاهد في الواقع نسأل الله العافية والسلامة..

وفي تقرير هذا المعنى والحقيقة يقول الشـــيخ أحمد سمير -حفظه الله- في "معركة الأحرار": (إن السلوك لا يوصف بأنه ثوري إلا إذا انبثق من ثلاث قيم رئيسية:

القيمة الأولى: - اســـتهداف التغيير الجذري ولو على الأمد البعيد (أي: تغيير منظومة القيم الحاكمة في البلد أو بعبارة أخرى إســـقاط حقيقي للنظام وليس مجرد تغيير الوجوه في السلطة المتغيرة).

القيمة الثانية: - العمل من خارج المنظومة القائمة (بمعنى آخر: عدم إضـــفاء الشرعية على المنظومة لا قولا ولا فعلا).

القيمة الثالثة: – الجماهيرية أو الرسالية (حمل رسالة واضحة للجماهير) .....

العمل من خارج المنظومة القائمة:

القيمة الثانية للثورة هي العمل من خارج المنظومة، إن العمل من داخل المنظومة يعني القبول بقيمها والالتزام بقواعد لعبتها، فهو فعل من يريد أن يُحسِّن أوضاع العبودية لا من يريد أن يهدمها بالكامل، إن مصلحة تحسين بعض ظروف العبودية لا يوازي أبدا مفسدة الاعتراف بأصل العبودية وإضفاء الشرعية عليها ولو للحظة.

إن عدم الاعتراف بقيم الباطل قولا وعملا هو أحد عناصر المنهج السليم، وسلامة المنهج لا يعدلها شيء من المكاسب المزعومة على الأرض.

وإذا شبهنا النظام بالدوائر المتداخلة، كل دائرة داخلها دائرة أصغر وهكذا فإنه قد ثبت بالعقل والاستقراء والعلم استحالة إسقاط المنظومات أو الدوائر الكبيرة إذا تم الدخول في المنظومات أو الدوائر الأصغر، بل إذا سقطت الدائرة الكبيرة سقطت بعدها كل الدوائر الأصغر، فلا يمكن إسقاط النظام العالمي بالدخول في النظام الداخلي، والنظام الداخلي كذلك لن يسقط بالدخول في مؤسسة من مؤسسات شرعيته كمجلس الشعب، فمن دخل مجلس الشعب صار ملتزما باللوائح الداخلية فيه، هذه اللوائح منبثقة من القانون، والقانون منبثق من الدستور، والدستور والالتزام به هو الدلالة الأولى على الاعتراف ب "شرعية" النظام فكيف لمن هذا حاله أن يدعي أنه يحمل مشروع تحررٍ من الهيمنة الخارجية أو الداخلية حتى؟!

أي اختلال في هتين القيميتين (التغيير الجذري والعمل من خارج المنظومة) ينقل السلوك مهما كان شكله ودرجة سخونته من صفته الثورية إلى صفة "الإصلاحية"، و"الإصلاحية" ليست بالمعنى الدارج، "الإصلاحية" وصف سياسي على تلك التحركات السياسية التي تعمل من داخل المنظومة ولا تصطدم بأصلها وجذورها فهي تسعى سياسيا للترقيع لا للتغيير الجذري.

إن "الإصلاحية" تكون مقبولة إذا كنا نعالج واقعا صحيح الأصل لكن وقع الفساد في بعض فروعه فقط، أما في واقع على النحو الذي شرحناه من البطلان وفساد الأصل ومناقضة الدين والدنيا فلا حَل إلا بمفاصلته ومباينته ثم العمل على تغييره من جذوره.

ويمكن تشبيه الأمر بالثوب السليم، والثوب الشفاف البالي الفاسد الذي لا يستر عورة ولا يغطي جسدا، فالثوب إذا كان سليما في أصله وإنما حدث فيه قطع طارئ في أي جزء من أجزائه فإنه من المقبول أن يتم إصلاح القطع أو ترقيعه، لأنه ثوب في أصله سليم وإنما جاء الفساد عَرَضا على بعض أجزائه دون أن يؤثر على الثوب كله، وأما الثوب البالي الفاسد من الأصل الذي أصبح شفّافا لا يستر عورة ولا يغطي جسدا هل يصلح معه الترقيع؟ وما قيمة الترقيع لبعض أجزائه إذا كان الثوب كله يكشف الجسد ويظهر العورات؟ أليس الأولى من بَذل الوقت والجهد والمال في ترقيع ثوب فاسد بالي هو بذل نفس الوقت والجهد والمال في تغييره كله؟ أليس السلوك الترقيعي مع هذا الثوب البالي فيه إهدار للطاقات وفيه نوع من الإقرار بسلامة الثوب نفسه وكأن المشكلة في الجزء المقطوع فقط؟؟.. ولذلك فإن الأدق

هو أن نستخدم كلمة "المذهب الترقيعي" في مقابلة "المذهب الثوري" بدلا عن كلمة "المذهب الإصـلاحي" لما في كلمة "إصـلاحي" من معاني الإصـلاح والتي قد يُفهم منها المدح، فالمرقّع لواقع فاسـد من أصـله ليس مصـلحا وإنما هو يفسـد أكثر مما يُصـلح فهو يهدر الطاقات ويُضـفي الشـرعية على منظومة باطلة في أصـلها، وهل هناك فساد أكثر من ذلك؟

وبذلك تعرف معنى التغيير الثوري بدقة، وهو بذلك يمكن أن يكون متدرجا ويمكن أن يهدأ أحيانا ويشتعل أحيانا كل هذا لا يتعارض مع الثورية، لكن ما يميز المذهب الثوري هو أنه دائما مفاصل للمنظومة التي يستهدف إسقاطها من جذورها، ويعمل من خارجها غير معترف بشـرعيتها ولا خاضـع لها ولا داخل فيها ولا مختلط بها ولا ملتزم بشـروطها، بينما التحرك "الترقيعي" لا يجد غضـاضـة في الاختلاط بالمنظومة والعمل من داخلها والالتزام بشـروطها ويعتبر ذلك من التدرج، وشـتان بين التدرج الترقيعي والتدرج الثوري!

المذهب الثوري منطلقه هو "منهج واضح وقيم راسخة" وعليه يرسم خطواته الواقعية ولا يوجد لديه أي مسـاحة للتنازل عن القيم والمبادئ، ولا يجعل الواقع الفاسـد يؤثر على مبادئه، بل هو الذي يفرض مبادئه على الواقع، وأما التحرك الترقيعي فمنطلقه "الواقع" وعليه يحدد ما يمكن التمسـك به من القيم داخل هذا الواقع الفاسـد وما يجب التخلي عنه الآن! فالتغيير الثوري عند فساد الواقع تكون غايته سلامة المنهج، والتغيير الترقيعي تكون غايته منهج السلامة!

المذهب الثوري يبادر بالمواجهة ويدفع ثمن هذه المواجهة باختياره، وأما المذهب الترقيعي فإنه يتجنب دفع هذا الثمن، ويهرب من هذه المواجهة ويحاول تجنبها بتصالحه مع أصل الواقع، ليجد نفسه في النهاية يدفع أضعاف أضعاف ما يدفعه الثائر ولا يحقق شيئا مما حققه الثائرون!

وبذلك تعرف أن التغيير الثوري لا يعني الجمود ولا يعني الاستعجال وعدم الحكمة ولا يعني عدم إدراك الواقع والاستغراق في المثاليات كما يحاول أعداؤه تصويره دائما، بل عند فساد الواقع فالمذهب الثوري هو الأكثر حكمة وإدراكا للواقع لكنه لا يعرف الترقيع ولا أنصاف الحلول ولا يعرض مبادئه في سوق التنازلات ولا يخالف القيم التي يؤمن بها، فهو يسعى لكسر قيود العبودية لا أن يتصالح معها مقابل تحسين بعض ظروفها كما يفعل "الترقيعيون"!

ومن أمثلة العمل "الترقيعي" في هذا الواقع ما نراه من سعي البعض إلى الوصول للسلطة المتغيرة تحت مظلة ورعاية الطغاة الفاسدين في السلطة الثابتة، فالمذهب الترقيعي يهرب دائما من مواجهة السلطة الثابتة فيفترض أن الوصول للسلطة المتغيرة هو أسلم وسيلة للتغيير المتدرج الهادئ، وكأن الطغاة في السلطة الثابتة سيسلمون رقابهم طواعية لمن يخلعهم مع الوقت، إن الطغاة لا يرسمون من الطرق إلا ما يوصل إلى ما يريدون، وإذا تركوا لك مقعدا او مقعدين في البرلمان بل ولو تركوا لك البرلمان كله أو لو تركوا لك منصب الرئاسة نفسه فإن ذلك حتما سيصب في خطة يريدونها!)

وفي تقرير هذا الأصـــل العظيم يقول ســـيد قطب –رحمه الله– في "ظلال القرآن": [٣٩٩٢/٦]: (﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾.. أنا هنا وأنتم هناك، ولا معبر ولا جســـر ولا طريق!!! مفاصلة كاملة شاملة، وتميز واضح دقيق..

ولقد كانت هذه المفاصـــلة ضـــرورية لإيضـــاح معالم الاختلاف الجوهري الكامل، الذي يســـتحيل معه اللقاء على شـــيء في منتصـــف الطريق. الاختلاف في جوهر الاعتقاد، وأصل التصور، وحقيقة المنهج، وطبيعة الطريق.

إن التوحيـد منهج، والشـــرك منهج آخر.. ولا يلتقيـان.. التوحيـد منهج يتجـه بالإنســـان– مع الوجود كله– إلى الله وحده لا شـــريك له. ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان، عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحيـاة وعن الوجود. هـذه الجهـة التي يتلقى المؤمن عنهـا هي الله، الله وحـده بلا شـريك. ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأســاس. غير متلبســة بالشـرك في أية صورة من صوره الظاهرة والخفية.. وهي تسير..

وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للداعية. وضرورية للمدعوين..

إن تصــورات الجاهلية تتلبس بتصــورات الإيمان، وبخاصــة في الجماعات التي عرفت العقيدة من قبل ثم انحرفت عنهـا. وهذه الجماعـات هي أعصـــى الجماعات على الإيمان في صــورته المجردة من الغبش والالتواء والانحراف. أعصـى من الجماعات التي لا تعرف العقيدة أصـــلا. ذلك أنها تظن بنفســـها الهدى في الوقت الذي تتعقد انحرافاتها وتتلوى! واختلاط عقائدها وأعمالها وخلط الصالح بالفاسد فيها، قد يغري

الداعية نفســـه بالأمل في اجتذابها إذا أقر الجانب الصـــالح وحاول تعديل الجانب الفاسـد.. وهذا الإغراء في منتهى الخطورة! إن الجاهلية جاهلية، والإسـلام إسـلام. والفارق بينهما بعيد. والسـبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسـلام بجملته. هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه.

وأول خطوة في الطريق هي تميز الداعية وشـعوره بالانعزال التام عن الجاهلية: تصـورا ومنهجا وعملا. الانعزال الذي لا يسـمح بالالتقاء في منتصـف الطريق. والانفصـال الذي يســـتحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية من جاهليتهم بكليتهم إلى الإسلام.

لا ترقيع. ولا أنصـاف حلول. ولا التقاء في منتصـف الطريق.. مهما تزيت الجاهلية بزي الإسلام، أو ادعت هذا العنوان! وتميز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأسـاس. شـعوره بأنه شـيء آخر غير هؤلاء. لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه. لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم. ووظيفته أن يسيرهم في طريقه هو، بلا مـداهنـة ولا نزول عن قليـل من دينـه أو كثير! وإلا فهي البراءة الكـاملـة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح.. ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾..

وما أحوج الداعين إلى الإسـلام اليوم إلى هذه البراءة وهذه المفاصـلة وهذا الحسـم.. ما أحوجهم إلى الشـعور بأنهم ينشـئون الإسـلام من جديد في بيئة جاهلية منحرفة، وفي أناس سبق لهم أن عرفوا العقيدة، ثم طال عليهم الأمد ﴿**فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ**﴾.. وأنه ليس هناك أنصـاف حلول، ولا التقاء في منتصـف الطريق، ولا إصلاح عيوب، ولا ترقيع مناهج.. إنما هي الدعوة إلى الإسلام كالدعوة إليه أول

ما كان، الدعوة بين الجاهلية. والتميز الكامل عن الجاهلية.. ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾.. وهذا هو ديني: التوحيد الخالص الذي يتلقى تصـــوراته وقيمه، وعقيدته وشريعته.. كلها من الله.. دون شريك.. كلها.. في كل نواحي الحياة والسلوك.

وبغير هذه المفاصـــلة. ســـيبقى الغبش وتبقى المداهنة ويبقى اللبس ويبقى الترقيع.. والدعوة إلى الإســلام لا تقوم على هذه الأســس المدخولة الواهنة الضـعيفة. إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح..

وهذا هو طريق الدعوة الأول: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾.)

وهذا الأمر والركيزة مما تنبه إليه الإمام المجدد -رحمه الله- وركز عليه في دعوته وجهاده وكان بفضـــل الله من أهم أســـباب نجاح وانتشـــار ودعوته في حياته وبعد مماته.. فقال -رحمه الله- في "الســبيل لخلاص فلســطين": (فبالتحريض والقتال يُكف بأس الكفار، فما الذي يحول بيننا وبين الجهاد في ســـبيل الله؟ إنه الكمّ الهائل من القيود التي وضــعها ذلك التحالف الصــليبي الصــهيوني على حكام المنطقة، وهم بدورهم بعلمائهم وإعلامهم قيدونا بها.

عباد الله، إن هذا الحصـــار الظالم على غزة، قد نبّه وأكد على أن أبناء الأمةِ وقادتها محاصـــرون من الأعداء، مســـلوبو الإرادة مقيدو الحرية إلا من رحم الله، وقد ظهر عجزها وهوانها على الناس، فكيف يســتطيعُ المحاصــر أن يفكَّ الحصــار عن غيره؟ ففاقد الشيء لا يعطيه.

هذه هي الحقيقة المرّة التي يجب مواجهتها والسعي لإيجاد الحلول الصحيحةِ لها، بعيداً عن الأفكارِ العقيمةِ والآراء السقيمة التي تدور في فلك أعدائنا من حكامِ المنطقة.

أمتي المسلمة، برغم هذا الحصار الشديد عليك إلا أن أمامك فرصة عظيمةً جداً لاستعادة حريتك للخروج من الخضوع والتبعية في هذا التحالف الصليبي الصهيوني، ولكي يتم ذلك فلا بد أن تتحرري من قيود الذل والخنوع التي يكبلنا بها وكلاء هذا التحالف من حكام بلادنا وأعوانهم، ولا سيما من قيود علماء السلاطين، وكذا من قيود قادة الجماعات الإسلامية التي أصبح من منهجها الاعتراف بالحاكم الذي خان الملة والأمة والانخراط في المنظومةِ السياسيةِ للدولة، ولا فرق إن كانت في الحكم أو المعارضة.

أو تلك الجماعات الأخرى التي تضخم عندها الحذر حتى وصل إلى درجة الخوف المقعد عن القيام بالجهاد، هذه العبادة التي ينهى عنها الحاكم، والتي هي ذروة سنام الدين وهي السبيل لكف بأس الكفار ولفك الحصار عن المسلمين.

وبعض هذه الجماعات تسوغ مداهنة الحاكم والقعود عن الجهاد تحت ذريعة مصلحة الدعوة، حتى صار هذا الادعاء صنماً يعبد من دون الله، وتحت غطائه تزاحم أوامرُ قادة الجماعة أوامرَ الله تعالى وأوامرَ رسوله ﷺ وذلك هو الضلال المبين.

أمتي المسلمة، لا بد من التحرر من هذه القيود الباطلة، والاستسلام والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له، وعندئذٍ فقط يتحرر الإنسان، وعندئذٍ يستطيع أن يسعى

في تحرير أمته وفي تحرير فلسطين والأقصى، وسيرى الأبواب مشرعةً إلى طريق الحريةِ والكرامة، إلى ميادينِ الرجال والنزال، ميادين القتل والقتال في سبيل الله كما في أفغانستان ووزيرستان والمغرب الإسلامي والصومال وكشمير والشيشان، وأهمها وأعظمها نكاية في العدو بغداد دار الخلافة وما حولها.

ففي هذه الساحات وتحت ظلال السيوف ينبُت العز، وكل مكانٍ يُنبت العز طيبُ، وفوق ثراها تدق أعناقُ الظالمين وتُشفى صدورُ قومٍ مؤمنين.)

وقال -رحمه الله- في "الذكرى السنوية الثانية لغزوة منهاتن": (هذا الفتى المؤمن وإخوانه صغار السن، والمرء بأصغريه قلبه ولسانه، ولكنهم كبار العقول والهمم، حافظوا على سلامة عقولهم من أن تداس أو يغرر بها بخداع الحكومات العميلة ومؤسساتها، التي تصور المنكر معروفا والمعروف منكرا، والباطل حقا والعدو صديقا، مرات ومرات، لأن هؤلاء الشباب مؤمنون حقا والمؤمن لا يُلدغ من جحرٍ مرتين، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام.

إن هؤلاء الفتية يعلمون أن طريق الهلاك هو تعطيل الشريعة، ولو في بعض أحكامها، ويرفضون المداهنة في ذلك ولو للأمراء أو العلماء، ويعتقدون أن سلامة الشريعة مقدمة على سلامة الرجال مهما عظموا، والناس في دين الله سواسية، ويهتدون بحديث رسول الله ﷺ، حيث قال: «وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

إن هؤلاء الفتية قد فقهوا معنى لا إله إلا الله، وأنها رأس الإســـلام، وأنه يجب أن تكون مهيمنة علينا، حاكمة لنا في جميع شـــؤون حياتنا، ولما كان الأمر خلاف ذلك، بل إن أهواء الحكام وتشـــريعاتهم هي المهيمنة على الناس، وإن سمحوا ببعض الشـعائر للناس، عند ذلك علم هؤلاء الفتية أن الحكام ليســوا على شـيء، بل إنهم مرتدون، وإن صلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون، فرفض هؤلاء الفتية أن يقعدوا مع القاعدين ويعملوا في أمرٍ لا رأس له، وإنما نفروا وسارعوا لنصرة وإقامة كلمة التوحيد؛ لا إله إلا الله وأن محمداً رســـول الله، فجاهدوا الكفار، وكان حالهم كحال معاذ بن الجموح عندما ســأل عبد الرحمن بن عوف -رضـــي الله عنهما- قائلا: (يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبِرتُ أنه يســب رسول الله، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا)، هكذا الصدق، هكذا الإيمان؛ يحرك أصحابه إذا وقر في القلوب.

وإن لكل أمر حقيقة، وحقيقة هذا البطل ســـعيد الغامدي وإخوانه؛ أنهم دلّلوا على صـدق إيمانهم بتقديم أنفســهم ورؤوســهم في ســبيل الله، فوطِئوا موطئاً أغاظ الكفار غيظاً عظيماً، وســـيغيظهم إلى زمن بعيد -بإذن الله-، عندما اتجهوا إلى التطبيق العملي، والحلول الجذرية لنصـرة الدين، ورموا عرض الحائط بالحلول الكفرية الظالمة؛ حلول الأمم المتحدة، والبرلمانات الملحدة، وحلول الحكام الطغاة، الذين جعلوا من أنفسهم آلهة تشرع من دون الله.

كما أنهم لم يلتفتوا إلى الحلول العقيمة؛ حلول المســوّفين القاعدين المخلفين من الأعراب، الذين شغلتهم أموالهم وأهلوهم وخادعتهم أنفسهم بأنهم منشغلون بالإعداد منذ عشرات السنين.)

وقال -رحمه الله- في كلمته الأخيرة في حياته "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المســلمة": (وَفِي هَذَا المقَام أُذَكّرُ الصّــادِقِينَ بِأَنّ تَأسِــيسَ مَجلِسٍ لِتَقدِيمِ الرّأيِ وَالمشُـورَةِ لِلشُّعُوبِ المسلِمَةِ فِي جَمِيعِ المحَاوِرِ المهِمّةِ وَاجِبٌ شَرعِيّ، وَآكَدُ مَا يَكُونُ عَلَى بَعضِ الغيُورِينَ الّذِينَ قَد نَصَحُوا مُبَكرًا بِضَرُورَةِ استِئصَالِ هَذِهِ الأَنظِمَةِ الظَّالِمَة، وَلَهُم ثِقَةٌ وَاسِعَةٌ بَينَ جَمَاهِير المسلِمِينَ، فَعَلَيهِم البدءُ بِهَذَا المشرُوعِ وَالإِعلَانُ عَنهُ سَرِيعًا بَعِيدًا عَن هَيمَنَةِ الحُكّامِ المستَبِدّينَ، وَإِنشَــاءُ غُرفَةِ عَمَلِيّاتٍ مُوَاكِبَةٍ لِلأَحدَاثِ لِلعَمَلِ بِخُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ تَشمَلُ جَمِيعَ حَاجَاتِ الأُمّةِ مَعَ الِاستِفَادَةِ مِن مُقتَرَحَاتِ أُولِي النُّهَى فِي هَذِهِ الأُمَّة، وَالِاســتِعَانَة بِمَرَاكِزِ الأَبحَاثِ المؤَهّلَة، وَأُولِي الأَلبَابِ مِن أَهلِ المعرفَةِ لِإِنقَاذِ الشُّــعُوبِ الّتِي تُكَافِحُ لِإِســقَاطِ طُغَاتِهَا، وَيَتَعَرّضُ أَبنَاؤُهَا لِلقَتلِ، وَتوجِيهِ الشُّعُوبِ الّتِي أَسقَطَت الحَاكِمَ وبَعضَ أَركَانِهِ بِالخُطواتِ المطلُوبَةِ لِحِمَايَةِ الثّورَةِ وَتَحقِيقِ أَهدَافِهَا.

وَكَذَلِكَ التّعَاوُنُ مَعَ الشُّعُوبِ الّتِي لم تَنطَلِق ثَورَاتها بعدُ، لِتَحدِيدِ سَاعَةِ الصِّفرِ وَمَا يَلزَمُ قَبلَهَا، فَالتّأَخُّرُ يُعَرّضُ الفُرصَــة لِلضّــيَاعِ، وَالتَّقَدُّمُ قَبلَ أَوَانِهِ يَزِيدُ مِن عَدَدِ الضّحَايَا، وَأَحسبُ أَنَّ رِيَاحَ التّغيِيرِ سَتَعُمُّ العَالَمَ الإِسلَامِيّ بِأَسرِهِ -بِإِذنِ اللهِ- فَينبَغِي عَلَى الشّــبَابِ أن يُعِدُّوا لِلأَمرِ مَا يَلزَمُ، وَأَن لَا يَقطَعُوا أَمرًا قَبلَ مَشُــورَةِ أَهلِ الخِبرَةِ الصّادِقِينَ المبتَعِدِينَ عَن أَنصَافِ الحُلُولِ وَمُدَاهَنَةِ الظّالِمِين، وَقَد قِيلَ:

أُمّتِي المسلِمَة،

لَقَد شَـــهِدْتِ قَبلَ بِضـــعَةِ عُقُودِ ثَورَاتٍ عَدِيدَة، فَرِحَ النّاسُ بِهَا ثُمّ مَا لَبِثُوا أَن ذَاقُوا وَيلَاتها، فَالسّـــبِيلُ لِحِفظِ الأُمَّةِ وَثَوراتِهَا اليَومَ مِنَ الضّـــلَالِ وَالظُّلمِ هُوَ بِالاِنطِلَاقِ فِي ثَورَةِ الوَعيِ وَتَصحِيح المفَاهِيمِ فِي شَـتّى المجَالَاتِ وَلَا سِيّمَا الأَسَاسِيّةِ، وَأَهمّهَا رُكنُ الإِســـلَامِ الأَوّل، وَمِن خَيرِ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ كِتَابُ: "مَفَاهِيمُ يَنبَغِي أَن تُصَـــحَّح" لِلشَيخِ: "مُحَمّد قُطب".

فَضَعفُ الوَعيِ عِندَ كَثِيرٍ مِن أَبنَاءِ الأُمّةِ النَاتِجُ عَن الثّقَافَةِ الخَاطِئَةِ الّتِي يَبُثّهَا الحُكّامُ مُنذُ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ هُوَ المصِـيبَةُ الكُبرى، وَمَا مَصَـائِبُ الأُمّةِ الأُخرَى إِلّا ثَمَرَةٌ مِن ثَمَرَاتِهَا المرّة، فَثَقَافَةُ الذُّلِّ وَالهَوَانِ وَالخُنُوعِ، وَتَكرِيسِ الطَّاعَةِ المطلَقَةِ لِلحُكّامِ –وَتِلكَ عِبَادَةٌ لَهُم مِن دُونِ الله– وَالتّنَـازُل عَن أَهَمّ الحُقُوقِ الـدِّينِيّـةِ وَالـدّنيَوِيّـةِ لَهُم، وَجَعـلِ القِيَمِ وَالمبَادِئِ وَالأَشـخَاصِ تَدُورُ فِي فَلَكِهِم، فَتُفقِدُ الإِنسَـانَ إِنسَـانِيّته، وَتَجعَلهُ يركضُ وَرَاءَ الحَاكِمِ وَإِرَادَتِه، دُونَ إِدرَاكٍ أَو تَبَصّـر فيُصـبِح إِمّعَة؛ إِن أَحسَـــنَ النّاسُ أَحسَـــن، وَإِن أَسَـاؤُوا أَسَـاء، مِمّا يَجعَلهُ كَسِـلعَةٍ مِن سَـقطِ المتَاعِ، يَفعَلُ بِهَا الحَاكِمُ مَا يَشَـاء، وَهَؤُلاءِ هُم ضَـــحَايَا الظّلمِ وَالاِســـتِبدَادِ فِي بِلَادِنَا، الّذِينَ أَخرَجَهُم الحُكّامُ لِيَهتِفُوا بِاسمِهِم، وَيَقِفُوا فِي خَندَقِهِم، وَقَد سَـعَى الحُكامُ لِيَتَخَلّى النّاسُ عَن أَهَمّ حُقُوقِهِم الّتِي آتَاهُم اللّهُ إِيّاهَا، فَعَطّلُوا عُقُولَ الأُمّةِ، وَهمّشُـــوا دَورَهَا فِي الشّـــؤُونِ العَامّةِ المهِمّةِ عَبرَ تَضَافُرِ جُهُودِ مُؤَسّسَاتِ الدّولَةِ الدّينِيّةِ وَالإِعلاَمِيّةِ لِإِصبَاغِ الشَّرعِيّةِ عَلَيهِم، فَسَحَرُوا أَعيُنَ النَّاسِ وإِرَادَاتِهِم وَعُقُولَهُم، وَرَوّجُوا لِصَنَمِيّةِ الحَاكِمِ، وَأَسّسُوا لَهَا زُورًا وَبُهتَانًا بِاسمِ

الدّين، وَكَذَلِكَ بِاســـمِ الوَطَن، لِيَحتَرِمَهَا النّاسُ وَلِيَغرِسُـــوهَا فِي النّفُوس، لِيُقَدِّســـهَا الكِبَارُ، وَلَم يَســـلَم مِنهَا الصِّـــغَارُ، الّذِينَ هُم أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا، وَقَد وُلِدُوا عَلَى الفِطرَةِ فَاغتَالُوا فِطرَتَهُم بِلَا ضَـــمِيرٍ وَلَا رَحمَة، فَهَرِمَ عَلَى ذَلِكَ الكَبِيرُ، وَشَـــبّ عَلِيهِ الصّـــغِيرُ، فَازدَادَ الطُّغَاةُ طُغيَانًا، وَالمستَضعَفون استِضعَافًا، فَمَاذَا تَنتَظِرُون؟!)

الدعوة إلى دراسة أسباب الفشل وتأخر النصر

إن من عوامل النصر والنجاح للمشاريع والدعوات دراسة أسباب الفشل وتأخر تحقيق الأهداف حتى تعرف مكامن الخلل والزلل فتجتنب وتوضع الحلول والخطوات المناسبة يقول الشيخ أبو مصعب السوري -رحمه الله- في "دعوة المقاومة": (يجب أن يطلع المجاهد العقائدي على تاريخ التجارب الجهادية المعاصرة ولو موجزا، بعد الاطلاع العام على تاريخ الصحوة ومدارسها. فيعرف أسباب نجاح تلك التجارب الجهادية وفشلها، كي يقتنع بأسلوب المقاومة الذي توصلنا إليه. ويكون لدي القدرة على التطوير واختيار الأسلوب الذي يناسب مرحلته. ولكي لا يكرر دروس الفشل وأسباب الفشل. ولكي يعرف أنه سائر على طريق سقط فيه عشرات آلاف الشهداء. وعاني فيه عشرات آلاف الأسرى والمعذبين والمشردين. وليعرف قدر من أوصل إليه الراية. وفكرهم وتراثهم ومناهج عملهم وليسير على بصيرة وخبرة.)

وهذه المسألة قد أشار ونبه إليها الإمام المجدد أسامة بن لادن وبين أهميتها وضرورة الاستفادة منها في طريق التحرير والإصلاح فالسعيد من تعلم واستفاد من الأخطاء فجعلها عاملا من عوامل النجاح والنصر فقال الإمام المجدد -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (ولكي نستدرك ما وقع من إخفاقات حالت دون تحرير فلسطين خلال العقود الماضية، فلا بد على جيل اليوم أن يدرسوا أسباب الفشل ويتدبروها لأخذ العبر، وإني مساهمٌ معكم في ذلك بذكر بعض مواطن الخلل لتلافي الوقوع بها، وابتداءً أقول:

إن الأمة لم تؤتَ يومها من قلة الصـــادقين الراغبين بالتطوع والجهاد لاســـترجاع فلســطين، وإنما أتيت من عدم معرفة ســوادها الأعظم بالوضــع الســياســي الجديد الناشئ بعد غياب الدولة العثمانية.

فمنذ ذلك الحين أصـــبحت الكلمة الأولى في المنطقة للصـــليبيين، الذين نصـــبوا وكلاءهم في بلادنا، وظنت الأمة أن هؤلاء الوكلاء هم ولاة أمرها الشرعيين الحريصين عليها والذين يتقى بهم ويقاتل من ورائهم، فاطمأن الناس وصـــدقوا هؤلاء الحكام بأنهم سـيقومون بواجباتهم ومن أهمها اسـترجاع فلسـطين، فاسـتأمنوهم على القضـية ومن مأمنه يؤتى الحذر.

وهنا أضـرب مثالاً لاختصـار وتوضـيح حال الأمة، فكان حالها كالغنم الشـافية في أرض مسـبعة يسـيء راعيها رعايتها ولكنه يحفظها من الذئاب، فتواطأ عليه أعداؤه وقتلوه واستبدلوه بذئاب من بني جلدتنا ومن أعدائنا فعاثوا في الغنم فساداً ففي كل يومٍ يأمن القطيع أن تتوقف الذئاب عن افتراســه ولكنها لا تســتجيب لذلك، وهل يشك عاقل أن هذا الأمل ليس في محله؟

فهذا حالنا.

كانت الدولة العثمانية على علاتها العظام تحمي الأمة من ذئاب الغرب الصـــليبية، فتواطأت بريطانيا مع زعماء عرب في مقدمتهم الشـريف حسـين وأبناؤه والملك عبد العزيز آل ســـعود؛ تواطؤوا معها على قتال وإســـقاط الدولة العثمانية، وتم ذلك ثم نصبت بريطانيا وكلاء لها ينفذون سياستها ويحفظون مصالحها على حسابنا.

ومن الحماقة أن يظن إنسان أن وكلاء التحالف الصليبي الصهيوني سيتوقفون عن محاربة ديننا وافتراس ثرواتنا، فحالهم كحال الذئاب لا تتوقف عن افتراس الغنم.

ومن رعى غنماً في أرضٍ مسبعةٍ ونامَ عنها تولى رعيها الأسدُ

ولئن كانت الأمة اليوم أتيت من عدم قيامها بما يجب عليها من عمل لمواجهة وكلاء الصليبيين والتخلص من خطرهم؛ فكثير من أبناء الأمة الصادقين لما علموا بتبعية حكام البلاد لأمريكا أبغضوهم ونفروا منهم وانضموا إلى جماعات إسلامية تدعو إلى تحكيم الإسلام وإعادة الخلافة واسترجاع فلسطين.

والحقيقة أن قادة تلك الجماعات وجدوا أن الأمر ثقيل جداً كما لم يمهلهم الحكام في السعي لما أرادوه من خير، فشددوا الضغوط عليهم وخيروهم بين أن يتخلوا عن السبيل الشرعي الذي يمكنهم من إقامة دولة الإسلام وهو الجهاد في سبيل الله أو التعذيب والقتل، فركنوا إلى الخيار الأول وتركوا الجهاد في سبيل الله وسموا قتال المجاهدين للطواغيت عنفاً وذموه والمجاهدين معاً ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وحقيقة فعلهم هذا أنهم أعادوا الذين سعوا للخروج من تبعية الحاكم، أعادوهم إلى دائرة الحاكم وطاعته والاعتراف بشرعيته باسم الإسلام ومصلحة الدعوة زوراً وبهتاناً، لذا فإن كثيراً من أبناء الأمة الصادقين ما زالوا يدورون في الحلقة المفرغة التي بدأت الأمة الدوران فيها منذ تسعين سنة.

أمتي المسلمة، أما آن لكِ أن تخرجي من هذا التيه؟)[35]

وقال –رحمه الله– في "حال الجهاد": (وقد نما الذل فينا علمنا أم لم نعلم، ولا أدل من ذلك أن نرى إخواننا في فلسطين صباح مساء يذلون ويهانون ويعتدى على مسرى رسول الله ﷺ ولا نحرك ساكناً، فما ذلك إلا من ذل الرَّبَى دون أن نشعر به، فالذليل لا يمكن أن يدفع الكفار وقد قيل: لا يدفع الضيم الذليل، فالذليل لا يستطيع أن يرفع الضيم عن ديار المسلمين ولا عن نفسه، وإياكم وأن تذلوا أبناء المسلمين، فوالله كل راع يذل رعيته إذا حمي الوطيس يجدهم أذلاء لا خير فيهم ولا نفع.

فإياك أن تذل، فقد استرعاك الله سبحانه وتعالى على أبنائك وأهلك، فإياك أن تذلهم فإن ذللت أمهم خرج الأولاد ذليلين، وإن ذللتهم هم كانوا أشد ذلاً، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً في الجهاد.

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يبعد عنا هذا الذل الذي أصابنا والطريق إلى ذلك ميسور إن شاء الله.

---

٣٥ . ومما يستأنس به هنا ما جاء في وثائق أبوت أباد في الرسالة المرسلة إلى الشيخ عطية الله الليبي رحمه الله: (فمن الأهمية بمكان أن تكون القيادة في مكان بعيد آمن للتراكم عندها الخبرات على جميع المحاور، أما في حين تتعرض القيادة للقتل فإن ذلك يؤدي لمجيء قيادات صغرى لم تُلِم بجميع الخبرات التي اكتسبتها القيادة السابقة فتتكرر الأخطاء التي كان ينبغي أن القيادة قد ألمت بها واجتنبتها؛ فبقاء قيادات مؤهلة تقاتل الخصوم لفترات طويلة من أكثر ما يضر بهم فالآثار الخطيرة المترتبة على الكيانات تبعًا لفقدان القيادات كبيرة جدًّا وثابتة تاريخيًّا.)

فمن أعظم الأسباب التي أصابتنا أننا نشأنا في جيل، بل نحن أبناء جيل ما عرفوا العزة والإباء الإسلامي، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ونهانا الله سبحانه وتعالى عن أن نهين أو ندعو إلى السلم فقال سبحانه: ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ**﴾.

الآن وبعد أن عرفنا أحد أهم الأسباب الرئيسية التي تمنعنا عن الجهاد رغم أنه يا إخوة والله العظيم الذي لا إله إلا هو أن أمر الجهاد في هذا الزمن ومنذ أن بعث الله رسوله ﷺ وأمره بالجهاد لأنه واضح بين أوضح من الشمس في كبد السماء وقت الظهيرة ولكن كما ذكرت لكم، فلو ذهبتم إلى هذه القارة الهندية لا تستطيع أن تتحدث مع الناس في الجهاد كأنهم لا يعرفونه إلا من رحم الله، وقد شاهدنا في أفغانستان وهم على طول حدود طويلة أكثر من ألف كيلو ما أقل أهل المسلمين من تلك الديار، يأتي من هناك إلى هنا من أجل أن يطوف بالبيت العتيق وهو لا يعلم حديث الرسول ﷺ، وحديث أبي هريرة الصحيح يقول -اسمعوا إلى ما يقوله علماء السلف رضي الله عنهم-: (والله لئن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود.)

وقال -رحمه الله- في "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠هـ": (وهنا يثور تساؤل: إلى متى سيقعد المسلمون عن نصرة الله سبحانه وتعالى، وعن نصرة بيته، وعن تطهير أرض الحرمين من رجس الصليبيين واليهود؟ أما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا**﴾؟ أما قال ﷺ وهو في مرض الموت في الحديث الصحيح الذي يرويه ابن عباس

-رضـــي الله عنهما- في يوم الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس! في يوم الخميس اشتد وجع رسول الله ﷺ ثم بكى حتى بل دمعه الحصباء، وقال عن وصية نبينا عليه الصلاة والسلام فكانت وصيته وهو على فراش الموت: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، فماذا أعددنا من جوابٍ يومَ الحساب، يوم التغابن، يوم القيامة؟ ماذا أعددنا من جواب لله ســـبحانه وتعالى؟ هل كنا مستضعفين؟ الله سبحانه وتعالى مطلعٌ على قلوبنا.

وإن ما وصلت إليه الأمة في هذا الزمان من تيه وضياع، ها قد مرت عشر سنوات منذ دخول الأمريكيين إلى بلاد الحرمين، ومرَّ أكثر من ســـبع عقود منذ ســـقوط مسـرى نبينا عليه الصـلاة والسـلام مع اليهود، إن هذا التيه الذي نعيشـه لا بد أن نبحث في كتاب الله سبحانه وتعالى لنجد السبيل، ولنبحث عن الأسباب والأمراض التي أصـــابتنا حتى خذلنا البيت العتيق، خذلنا هذا البيت العظيم الذي لا يقبل الله سبحانه وتعالى منا الركن الخامس من أركان الإسلام إذا لم نطُف بالبيت العتيق.)

وقال -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وعليه؛ فإنَّ أول خطوة للخروج من هذا التيه هي بالرجوع إلى الله تعالى، نســـتغفره ونتوب إليه من المعاصـــي توبةً نصوحًا، ونهتدي بقرآنه العظيم وسنَّة نبيِّه الكريم عليه الصلاة والسلام.

كما ينبغي علينا أن نبحث عن الأسباب الرئيسـة التي أدَّت إلى انحراف المسـيرة عن الصراط المستقيم من الداخل، وعن القوة الفاعلة في هذا الانحراف، فإنَّنا وبدون عناء ســنجد أنَّ أبرزهم: الأمراء، وعلماء وخطباء الســوء، والراكنون إلى الذين ظلموا من قيادات العمل الإسلامي، وإعلاميو الدولة ومن سار على أثرهم.)

وقال -رحمه الله- في آخر كلمة له "كلمة شـــهيد الإســـلام -كما نحســـبه- لأمّته المســـلمة": (فَضَـعفُ الوَعيِ عِندَ كَثِيرٍ مِن أَبنَاءِ الأُمّةِ النَاتِجُ عَن الثّقَافَةِ الخَاطِئَةِ الّتِي يَبُثّهَا الحُكّامُ مُنذُ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ هُوَ المصِـيبَةُ الكُبرى، وَمَا مَصَـائِبُ الأُمّةِ الأُخرَى إِلّا ثَمَرَةٌ مِن ثَمَرَاتِهَا المرّة، فَثَقَافَةُ الذُّلِّ وَالهَوَانِ وَالخُنُوع، وَتَكرِيسِ الطّاعَةِ المطلَقَةِ لِلحُكّامِ -وَتِلكَ عِبَادَةٌ لَهُم مِن دُونِ الله- وَالتّنَـازُل عَن أَهَمّ الحُقُوقِ الـدِّينِيّةِ وَالـدّنيَوِيّةِ لَهُم، وَجَعلِ القِيَمِ وَالمبَادِئِ وَالأَشخَاصِ تَدُورُ فِي فَلَكِهِم، فَتُفقِدُ الإِنسَانَ إِنسَانِيّته، وَتَجعَلهُ يركضُ وَرَاءَ الحَاكِمِ وَإِرَادَتِه، دُونَ إِدرَاكٍ أَو تبَصّـر فيُصبِـح إِمّعَة؛ إِن أَحسَـنَ النّاسُ أَحسَـن، وَإِن أَسَـاؤُوا أَسَـاء، مِمّا يَجعَلهُ كَسِلعَةٍ مِن سَقطِ المتَاع، يَفعَلُ بِهَا الحَاكِمُ مَا يَشَاء، وَهَؤُلاءِ هُم ضَحَايَا الظّلمِ وَالاِستِبدَادِ فِي بِلَادِنَا، الّذِينَ أَخرَجَهُم الحُكّامُ لِيَهتِفُوا بِاسمِهِم، وَيَقِفُوا فِي خَندَقِهِم، وَقَد سَـعَى الحُكامُ لِيَتَخَلّى النّاسُ عَن أَهَمّ حُقُوقِهم الّتِي آتَاهُم اللهُ إِيّاهَا، فَعَطّلُوا عُقُولَ الأُمّةِ، وَهمّشُـوا دَورَهَا فِي الشّـؤُونِ العَامّةِ المهِمّةِ عَبرَ تَضَافُرِ جُهُودِ مُؤَسّسَاتِ الدّولَةِ الدّينِيّةِ وّالإِعلاَمِيّةِ لِإِصبَاغِ الشَّرعِيّةِ عَلَيهِم، فَسَحَرُوا أَعيُنَ النَّاسِ وإِرَادَاتِهِم وَعُقُولَهُم، وَرَوّجُوا لِصَنَمِيّةِ الحَاكِمِ، وَأَسّسُوا لَهَا زُورًا وَبُهتَانًا بِاسمِ الدّين، وَكَذَلِكَ بِاســمِ الوَطَن، لِيَحتَرِمَهَا النّاسُ وَلِيَغرِسُـوهَا فِي النّفُوس، لِيُقَدّسَـهَا الكِبَارُ، وَلَم يَسـلَم مِنهَا الصِّـغَارُ، الّذِينَ هُم أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا، وَقَد وُلِدُوا عَلَى الفِطرَةِ فَاغتَالُوا فِطرَتَهُم بِلَا ضَـمِيرٍ وَلَا رَحمَة، فَهَرِمَ عَلَى ذَلِكَ الكَبِيرُ، وَشَـبّ عَلِيهِ الصّغِيرُ، فَازدَادَ الطُّغَاةُ طُغيَانًا، وَالمستَضعَفون استِضعَافًا، فَمَاذَا تَنتَظِرُون؟!)

المقارنة التاريخية لبيان سبيل الخلاص

ومن صور الاستفادة من التجارب السابقة عند الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمة الله– عقد المقارنة التاريخية لبيان سبيل الخلاص من حالة الذل والهوان الذي تمر بها الأمة فقال –رحمه الله– في "توجيهات منهجية": (فعند الحديث عن الأحوال التي تمر بها الأمة في هذه الأيام، وما أصابها من احتلال وظلم وعدوان من القوى الإسرائيلية، والقوى الأمريكية، وانحسار ظل الإسلام عن هذه الأرض، ينبغي تلمس هدي محمد ﷺ في إقامة هذا الدين، يوم أن بدأ غريباً في أول الإسلام.

فإن الناظر في ذلك يرى أن الرسول ﷺ حرص منذ البداية عندما صدع بالدعوة أن يعرض دعوته على القبائل. وإذا نظرنا في أهم العناصر التي كان يدعو القبائل إليها نجدها واضحة جداً:

١- أنه كان يدعوهم إلى شهادة التوحيد، إلى شهادة "أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله".

٢- والبند الآخر أنه كان يدعوهم إلى الإيواء والنصرة.

كما ظهر ذلك جلياً في دعوته لبني عامر بن صعصعة، فلما قالوا له: إلى أي شيء تدعو يا أخا العرب ؟!، قال: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تؤوني وتنصروني».

فهنا يظهر لنا معلما واضـــحا، أن هذه الدعوة وهذه الكلمة العظيمة لابد لها من أرض، وهذه الشـجرة الكريمة لابد لها من أرض تنبت فيها، وهي التي تقوم بنصـرتها وإيوائها. فمن هنا استمر عليه الصلاة والسلام يبحث عن هذه الأرض، وأثناء ذلك يقوم بالدعوة في مكة، فمكث ثلاث عشرة سنة.)

وقال رحمه الله في "توجيهات منهجية": (وقد يتعجب الناس؛ هل يعقل أن هذا الشـيخ فلان أو ذلك على جلالة قدره في العلم، ورغم كبر سـنه، هل يعقل أن يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل؟!

أقول؛ إن الإنسان ليس بمعصوم، وإذا نظرنا في تاريخنا وفي تاريخ العالم الإسلامي عبر القرون الماضية فنجد أن هذه الحالات تتكرر.

وسأذكر مثالاً أو مثالين ليعي الناس هذا الأمر:

١) فقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في سـيَره، ذكر سـيرةَ علي بن المديني رحمه الله -انظر إلى مقدمة تلك السيرة- وقال: (علي بن المديني... أمير المؤمنين في الحديث) [سير أعلام النبلاء: ٤١/١١]، وذكره ووصفه ومدحه وذكر أن الناس في علم الحديث عالة عليه، ولكن من باب الإنصــاف مع جلالة قدر علي بن المديني -وإذا ذكر لا يذكر علماؤنا في هذا العلم بجواره- ولكنه مع ذلك زل زلةً شـــديدة عندما تعرض لخدمة الســلطان، وعندما ضــغط عليه أمراء بني العباس وافقهم بضــد ما يعتقد، وفي ضد ما كان يُدَرّس، وافقهم في تلك الفتنة المضلة الفظيعة.

٢) وكذلك شيخ المؤمنين في الحديث يحيى بن معين -رحمه الله- زل نفس الزلة.

وكثير من العلماء في ذلك العصر زلوا هذه الزلة، نتيجة للتهديد بالضرب والسجن، وقد يصل إلى القتل، وما ثبت إلا عدد يسير كما تعلمون كان منهم إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– فينبغي التنبه لذلك، واقرأوا هذه السيرة لتروا ولتعتبروا بحال الناس.

وقد صح عن نبينا ﷺ أنه قال: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان» رواه الإمام أحمد، هذا إذا كان القاضي غضبان فينبغي عليه أن لا يقضي بين اثنين، فكيف إذا كان خائفاً؟ والخوف أشد وقعاً على النفوس من الغضب كما يقول ابن القيم –رحمه الله–: (فمن قصر النهي على الغضب وحده، دون الهم المزعج، والخوف المقلق، والجوع والظمأ الشديد، وشغل القلب المانع من الفهم، فقد قل فقهه وفهمه.) [إعلام الموقعين ج١ ص ٢٠٧-٢٠٨].)

وقال –رحمه الله– في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (أمتي المسلمة، أما آن لكِ أن تخرجي من هذا التيه؟

لقد أثخنتك الجراح وأرهقتك الخطوب وأنتِ تتبعين كل جبار عنيد، أما آن لكِ أن تكفري بطواغيت العرب والعجم من إندونيسيا إلى موريتانيا؟ فإن سبيل العزة والكرامة والسؤدد والسعادة واسترجاع فلسطين واضح بيّن في دين الله تعالى، ولقد التزم ذلك السبيل الزعيم البطل صلاح الدين الأيوبي، وبمقارنة بين بعض الأعمال التي قام بها وبعض الأعمال التي قام بها حكام العرب خلال هذه العقود فيتبين لنا السبيل لاسترجاع فلسطين بإذن الله:

أولاً: فصلاح الدين التزم بتعاليم الإسلام وقرأ قول الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾ فأيقن أن السبيل لكف بأس الكفار هو بالقتال في سبيل الله.

وأما حكام العرب فأعرضوا عن تعاليم الإسلام ونظروا في تعاليم أمريكا فوجدوها تأمر بمحو آيات القتال والجهاد من مناهج التعليم وتأمر بالاستسلام تحت اسم السلام فقرروا بالإجماع أن السلام مع الكيان الصهيوني خيارهم الاستراتيجي، فبئس ما قرروا!

ثانياً: صلاح الدين كان يصاحب العلماء الربانيين يطلب العلم حتى في ميادين الجهاد للعمل به ويساعدهم في تحريض الأمة على الجهاد ضد الصليبيين.

وأما حكام العرب فقد أسروا العلماء بوظائفهم ليسكتوهم، ومن أبى أودعوه السجن، وفتحوا مجال الإعلام لعلماء السوء ليثبطوا فتية الجيل عن جهاد أمريكا وعملائها، وقاموا بالطعن في المجاهدين وشهدوا بالزور أن الحكام العملاء ولاة أمر شرعيون.

ثالثاً: صلاح الدين قاتل الأمراء وأعوانهم الذين قاتلوا جنباً إلى جنب مع الصليبيين ضد المسلمين وإن كانوا يقولون "لا إله إلا الله" لأنه يعلم أن هؤلاء قد نقضوا هذه الكلمة العظيمة بفعلهم هذا. وأما حكام العرب فقد وقفوا تحت راية الصليب

الكبرى بقيادة بوش يقاتلون الإســـلام وأهله تحت مظلة الحرب على الإرهاب كما زعموا وتلك ردة ظاهرة، فإذا قاتلهم المجاهدون قالوا خوارج تكفيريين!

رابعاً: صـــلاح الدين كان يقبل الشـــباب المتطوعين للجهاد ولا يشـــترط موافقة "ريتشـــرد" ملك بريطانيا أو وكيله ليبدأ الجهاد ضـــدهم، بينما المفتي العام وجمع من العلماءِ الرسميين وشـــبه الرسميين في بلاد الحرمين يتقدمهم شـــيخ الصـــحوة ســـابقاً يشترطون لقتال الأمريكيين إذناً من وكيل أمريكا في الرياض وقد قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

وأما في مصر فالمرشد العام يشترط موافقة وكيل بوش هناك لكي يرسل عشرة آلاف مجاهد ليقاتلوا اليهود! فأي استخفاف هذا بعقول الشباب.

وفي لبنان يقول "حسـن نصر الله" أنه لا يريد أموالاً لأن لديه أموالاً طاهرة زكية كما زعم، ولا يحتاج رجالاً لأن عنده من الرجال ما يكفي، ولكن الحقيقة خلاف ذلك فإذا كان صادقاً ولديه ما يكفي فلمَ لمْ يواصل القتال لتحرير فلسطين وتخليص أهلنا من أيدي اليهود، بل على العكس من ذلك فقد رحب بالقوات الصـــليبية لحماية اليهود، فلقد أظهر الحقيقة الأمين الســـابق للحزب صـبحي الطفيلي والذي قال إن (كوفي عنان) جاء إلى لبنان والتقى قادة الحزب لتوفيق الاتفاق بين الحزب والكيان الصـــهيوني، ومن هنا كان رفضـــه لقبول المجاهدين المتطوعين لأن ذلك يتعارض مع الاتفاق المبرم.

وبذا يتضح الفرق بين المنهج الذي اتبعه صلاح الدين الأيوبي بقتال الكفار لكف بأسهم ومنهج أمريكا الذي اتبعه الحكام العرب، ذلك المنهج الآمر بالاستسلام للعدو، كما اتضح منهج العلماء والجماعات والأحزاب الذين يدورون في فلك الحكومات وهذا هو الضلال المبين، فهؤلاء وإن رفع بعضهم شعار "الإسلام هو الحل" فلا تنخدعوا بهم فاعترافهم بالحكام الطواغيت يناقض شعارهم.

فحالهم كما لو أن رجلاً في صدر الإسلام قال إن الإسلام هو الحل وإن أبا جهل وصناديد قريش من ولاة الأمر، وهو ملتزم بما تصدره دار الندوة من قوانين تشريعية وضعية، فهل يشك مسلم عاقل بأن هؤلاء قد ضلوا ضلالاً بعيداً؟!

وإني عندما أصف الجماعات الإسلامية بواقعها الحقيقي فإن ذلك من باب التناصح والنصح للأمة، وحرصاً مني على تحذيرها من انحراف مسارها، فسلامة المنهج مقدمة على سلامة الدول والجماعات والأفراد، وسلامة هؤلاء عندما تتصادم مع سلامة المنهج فهي في الحقيقة سلامة موهومة، فالسلامة كل السلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ.

وإن المداهنة في الباطل فضلاً عن كونها معصية فهي تعين الآخرين على السير في طريق الضلال، ولا توصلهم لنصرة الدين كما يدعون ويتوهمون؛ فنصرة دين الله بما شرع لا بما يحدثه المحدثون في الدين من بدع، فهؤلاء المداهنون لن يحرروا الأقصى ولن يسترجعوا القدس، وإنما سيسترجعها فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى..

فتية عندهم عقيدة الولاء والبراء مقدمة على الملوك والأمراء..

فتية لا يتنظرون الكبار إن قعدوا ولا يستفتون السادة إن فسدوا..

فتية مصدرهم في التلقي ليس قوانين الأمم المتحدة وما يسمى بالشرعية الدولية أو طواغيت الغرب أو الشرق أو علماء وقادة جماعاتٍ يستظلون بظلهم.

وليس مصدرهم في التلقي تحاليل سياسية من إعلام مغرض لا يلتزم بشرع الله، يستهزئ بشعائر الدين تحت اسم الفكاهة، وينشر الزندقة تحت مسمى حرية التعبير، ويسعى لتشويه المجاهدين وتخذيلهم.

وإنما مصدر هؤلاء الفتية في التلقي كتاب الله تعالى وسنة نبينا ﷺ، فإذا ناداهم الشجر أو الحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، انطلقوا كالشهاب يضربون الرقاب، ولئن يخروا من السماء على الأرض أهون عليهم من أن يشترطوا إذناً من طاغوتٍ أو ممن يعترف به لكي يقوموا بتنفيذ أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ.)

وجاء في مقابلته مع قناة "CNN": (الصحفي: سيد بن لادن إذا استولت الحركات الإسلامية على الحكم في المملكة العربية السعودية ماذا سيكون موقفك من الغرب وهل سيكون سعر النفط مرتفعًا؟

أسامة بن لادن: نحن أمة لها تاريخ عريق بفضل الله سبحانه وتعالى. نحن الآن في القرن الخامس عشر لبعثة هذا الدين العظيم وعقيدته الكاملة والشاملة نظمت ووضحت التعامل بين الأفراد بعضهم البعض وواجبات المؤمنين تجاه الله سبحانه

وتعالى والعلاقة بين البلدان الإســـلامية والبلدان الأخرى في زمن الســـلم وفي زمن الحرب.

إذا نظرنا إلى تاريخنا فإننا ســـنجد أنه كانت هناك أنواع عديدة من التعاملات بين الأمة المسـلمة والأمم الأخرى في زمن السـلم وفي زمن الحرب بما في ذلك المعاهدات وأمور متعلقة بالتبادلات التجارية لذلك فإنه ليس أمراً جديداً نتعامل معه لكن -وبفضل الله- موجود سابقًا.

بالنسبة للنفط فإنه سلعة ستخضع لسعر السوق وفقا للعرض والطلب.

أعتقد أن الأســعار الحالية للنفط ليســت واقعية لأن النظام الســعودي يلعب دور العميل للولايات المتحدة والضـــغط المطبق عليه من قبل الولايات المتحدة لزيادة الانتاج ومد السوق بكميات كبيرة سبب انخفاضاً حاداً في أسعار النفط.)

الإكثار من ضرب الأمثال لتقريب الحق

ومن الأساليب الدعوية التي أجاد في استخدمها الإمام المجدد أسامة بن لادن لبيان الحق وتوصيله إلى الجمهور ضرب الأمثلة نثرا وشعرا فمن ذلك قوله في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وبذا يتضح الفرق بين المنهج الذي اتبعه صلاح الدين الأيوبي بقتال الكفار لكف بأسهم ومنهج أمريكا الذي اتبعه الحكام العرب، ذلك المنهج الآمر بالاستسلام للعدو، كما اتضح منهج العلماء والجماعات والأحزاب الذين يدورون في فلك الحكومات وهذا هو الضلال المبين، فهؤلاء وإن رفع بعضهم شعار "الإسلام هو الحل" فلا تنخدعوا بهم فاعترافهم بالحكام الطواغيت يناقض شعارهم.

فحالهم كما لو أن رجلاً في صدر الإسلام قال إن الإسلام هو الحل وإن أبا جهل وصناديد قريش من ولاة الأمر، وهو ملتزم بما تصدره دار الندوة من قوانين تشريعية وضعية، فهل يشك مسلم عاقل بأن هؤلاء قد ضلوا ضلالاً بعيداً؟!)

وقوله في "رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي –رحمه الله–": (هجم العدو على العراق فجعل يعسف بالناس عسفًا وينسف القرى نسفًا، وأزيز الطائرات قد ملأ الآفاق وصمَّ الآذان، وانفجار البارود قد نشر الحتوف وأزكم الأنوف، وكانت الجبال تهتزُّ وتميد من شدَّة القصف فبلغت القلوب الحناجر، ولاذ أولو البأس والنُّهى بأحلاس بيوتهم ولم يحرِّضوا بقول، ولم تحملهم أقدامهم من شدَّة الهول، واشرأبَّ الباطل ونقض المنافقون العهود، ووقفوا في خندق النصارى واليهود، وصار المسلمون كالغنم الشاتية في ليلة مطيرة بأرض مسبعة، وفي ظلِّ تلك

الأجواء الرهيبة الكئيبة التي ترى فيها أشـــباه زعماء ولا زعماء، وأشـــباه علماء ولا علماء، وأشـــباه رجال ولا رجال -إلا من رحم الله-، في تلك الظروف العصـــيبة المزلزِلة ظهر فارس الإسلام أبو مصعب الزرقاوي.

كمثل الليث مفترشًا يديه   جريء الصدر رئبالاً سِبَطْرِ

ظهر ومعه ثلَّة من المؤمنين كانوا سبعة عشر رجلاً وليسوا سبعة عشر جيشًا، فتواثقوا وتعاهدوا وعاهدوا الله تعالى أن ينصروا دينه أو يهلِكوا دونه، رجالٌ والرجال قليل.

والناس ألفٌ منهمُ كواحدٍ   وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عنا

ومن ســـيقاتلون مثلهم في العدد أو مثليهم؟ كلا، أو حتى عشـــرة أمثالهم! كلا، إنَّها أمواجٌ كأمواج البحر من العتاد وجنود الشـــرِّ، ولكن من عَظُم حقُّ الله في قلبه ورُزِق التوحيد تميدُ الجبال الرواســـي ولا يميد، فترجَّل فارســنا حاملاً الراية، وعزم على القتال إلى النهاية فإمَّا يذوق ما ذاق جعفرُ أو يذوق النصر.

فأثبت في مستنقع الموت رجلَه   وقال لها من تحت أخمُصِك الحشر

فخاضـــوا غمار الحرب وبدأوا الضـــرب، وذلك بعدد يســـير من الكلاشـــنات، وعدد يسـير من ألغام الدبابات، وعدد يسـير من مدافع البازوكا، وكان أبو مصـعب قد جاء مع بعض إخوانه في الفترة الماضـية إلى الجهاد ضـدَّ الروس، فسـابق إخوانه حتى سبق المتقدمين ونطق فبزَّ الناطقين، وبمجيئه وإخوانه إلى أرض أفغانستان أخذوا تطعيم معركة ضـــدَّ القوى الكبرى، وزالت من أذهانهم أســـطورة الدول العظمى،

ونقلوا الجرأة الكبيرة المتوثِّبة والمعنويات الهائلة من أفغانستان إلى بغداد، وأشعلوا فتيل الجهاد، وتفجَّرت طاقات الشباب في كل مكان من أعلى الفرات إلى أسفله ولله الحمد والمنَّة.

هذا هو فارسنا الذي نتحدَّث عنه؛ قام بكل ذلك بعد توفيق الله له بإمكانيات ذاتيَّة بسيطة، ولم يكن وراءه حلف دولي ولا تحالف إقليمي ولا تنظيمٌ عالمي، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

نفس عصامٍ سوَّدت عصامًا وعلَّمتهُ الكرَّ والإقدام

نعم هذا هو فارس الإسلام الذي نتحدَّث عنه؛ والذي قام في وجه فرعون العصر، في وجه الإمبريالية الأمريكية بعد أن فشلت المنظَّمات الدولية والتجمُّعات الإقليمية، بعد أن فشل العالم أجمع في إيقاف ذلك العدوان الغاشم الظلوم.

ضَروبٌ لِهَامِ الضاربِ الهامِ في الوغى خفيفٌ إذا ما أثقل الفرسَ اللَّبدُ
بصيرٌ بأخذ الحمدِ من كلِّ موضع ولو خبَّأَتْهُ بين أنيابِها الأُسْدُ)

وقوله في "رسالة إلى الشعب الأمريكي - الحل": (لذا فإنِّي أقول لكم: فكما تحرَّرتم من قبل من عبودية الرهبان والملوك والإقطاع فينبغي عليكم اليوم أن تتحرَّروا من الخدع والقيود والاستنزاف للنظام الرأسمالي، فلو تدبَّرتم فيه جيِّدًا لوجدتم أنَّه في المآل نظام أشدُّ قسوة وشراسة من أنظمتكم في القرون الوسطى، فالنظام الرأسمالي يهدف لجعل العالم كلِّه إقطاعية للشركات الكبرى تحت مسمَّى العولمة لحماية الديمقراطية، وما العراق وأفغانستان ومآسيهما، وما رزوح الكثير منكم تحت الديون الربوية

والضــــرائب الجنونية والرهونات العقارية، وما الاحتباس الحراري وويلاته، وما الفقر المدقع والمرض المفجع في أفريقيا؛ إلا جانب من وجه هذا النظام العالمي الكالح، فالواجب أن تتحرَّروا من ذلك كله، وأن تبحثوا عن منهج بديل قويم ليس لأي شريحة من البشر شأن في وضع تشريعاته لصالحها على حساب الشرائح الأخرى كما هو واقع الحال عندكم، حيث إنَّ التشريعات الوضعية البشرية في جوهرها تخدم مصالح شريحة أصحاب رؤوس الأموال، فتزيد الأغنياء غنًى والفقراء فقرًا.

هذا المنهج المعصــوم من الخطأ هو منهج الله تعالى؛ الذي خلق الســموات والأرض وخلق الخلق وهو اللطيف الخبير، العليم بنفوس عباده وبما يصـــلح لهم من منهج، فأنتم تعتقدون اعتقادًا جازمًا أنَّكم تؤمنون بالله، وممتلئون قناعة بهذه العقيدة إلى درجة أن كتبتم عقيدتكم هذه على دولاركم، والحقيقة أنَّكم واهمون في اعتقادكم هذا، فإنَّ المحقِّق المنصِف يعلم أنَّ مقتضى الإيمان بالله تعالى الاستقامة على منهجه، فيجب أن تكون الطاعة المطلقة لأوامر الله وحده ونواهيه في جميع شـــؤون الحياة، فكيف بكم وقد أشـــركتم في الاعتقاد وفصـــلتم الدولة عن الدين ثم زعمتم أنَّكم مؤمنون، فما فعلتم هو الخسران المبين والشرك المستبين.

وسأضرب مثالاً للشرك، فالمثال يختصر ويوضِّح المقال، فأقول لكم: مَثَل ذلك كمَثَل رجل يملك متجرًا، واســتأجر أجيرًا وقال له: بِعْ وأعطني الثمن، فجعل يبيع ويعطي المال لغير المالك فمن يرضــى منكم بذلك؟ فأنتم تصــدِّقون بأنَّ الله ربُّكم وخالقكم وخالق هذه الأرض وهي ملك له، ثم تعملون في أرضـــه وملكه بغير أمره وطاعته وتُشـرِّعون على خلاف شـرعته ومنهجه، فعملكم هذا هو الشـرك الأكبر، وهو تمرُّد

على طاعة الله يكفر به المؤمن وإن أطاع الله في بعض أوامره الأخرى، وأوامر الله تعالى أنزلها في كتبه المقدسة كالتوراة والإنجيل، وبعث الرسلَ ﷺ مبشِّرين للناس بها، فكل من آمن بها والتزمها فهو مؤمن من أهل الجنة، ثمَّ لما حرَّف العلماء كلام الله تعالى واشتروا به ثمنًا قليلاً -كما فعل الأحبار بالتوراة، والرهبان بالإنجيل- أنزل الله كتابه الخاتم القرآن العظيم، وعصمه من الزيادة والنقصان على أيدي البشر، وفيه منهج متكامل لحياة الناس جميعًا، وإنَّ تمسُّكنا بهذا الكتاب العظيم هو سرُّ قوَّتنا وكسبنا للحرب ضدَّكم رغم قلَّة عددنا وعدتنا، وإن أردتم أن تعرفوا بعض أسباب خسارتكم للحرب علينا فاقرؤوا كتاب "مايكل شوير" عن هذا الأمر، ولا يصدَّنَّكم عن الإسلام سوء أحوال بلاد المسلمين اليوم، فإنَّ حُكَّامنا في جملتهم قد تركوا الإسلام منذ عقود بعيدة، فقد كان أجدادنا قادة الدنيا وروَّادها لقرون مضت كثيرة لما كانوا بالإسلام متمسِّكين..)

فكيف تنتصر أمة قائد جيوشها عدوها؟!!

وقد كان من نفائس النصـــائح وجواهر الحكم وروائع الكلام التي ورثناها عن الإمام المجدد -رحمه الله- قوله: (فكيف تنتصر أمة قائد جيوشـها عدوها؟!!) فهي تصف الداء وتصـــف الدواء وقد شـــرح -رحمه الله عبارته هذه بقوله في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة": (أمتي المســـلمة؛ إن من أعظم مكامن الخلل في الجهود الســـابقة لتحرير فلســـطين هو أن الذين تولوا شـــأنها هم الحكام الذين خانوا أماناتهم، ففي حرب ٤٨ تعجب المســـلمون يومها كيف انهزمنا، وإنما العجب لو انتصـرنا في تلك الحرب! إذ كيف ننتصـر وملوكنا قد أوكلوا شـأن الحرب إلى الحاكم الحقيقي للأردن وقتها الجنرال البريطاني "غلوب باشـــا"، فكيف تنتصـــر أمة قائد جيوشها عدوها؟

وفي ذلك الزمن كان عند كل ملك من ملوكنا باشـا كهذا يقوده، فعلى سـبيل المثال في جزيرة العرب كـان الملك غير المتوج هو الجنرال البريطـاني "فيليـب" وكـان يكفي لمخادعة الأعيان أن يســـميه الحاكم بالحاج عبد الله فيليب. ومن اطلع على طرف من الوثائق البريطانية ذات الصـــلة يعلم مدى الغفلة المســـيطرة على الناس في ذلك الوقت، ومـا زالـت تلك المخادعـات مســـتمرة مع تغير الوجوه والأسمـاء ففي كـل عاصـــمة اليوم بريمر ظاهراً كان أم مســـتتراً، ومعه علاوي ينفذ أوامره. وفي كل دولة سـيسـتاني أو طنطاوي ومعهم كتائب من العلماء الرسميين وغير الرسميين وكتائب من الكتاب والمثقفين والإعلاميين يصبغون الشرعية على وكلاء الصليبيين في بلادنا زوراً وبهتـاناً، فجميع هـذه الفئـات أعـداء لأمتنا يجب الحـذر منهم، فهم معروفون في

معظمهم ومن أهم ما يميزهم أن الحاكم يمكنهم من وسائل الإعلام لمخاطبة الجماهير ومخادعتهم بشكل منتظم، بينما يمنع العلماء الصادقين حتى من خطبة جمعة ولو في قرية نائية.

ومن الخلل في وقتنا الحاضر أننا أمام سبل كثيرة قد رفعت عناوين لتحرير فلسطين، جل هذه السبل في تضييع القضية. فمن أوسع هذه السبل هو ما تقوم به الحكومات اليوم من اجتماعات وزارية وإحالة القضية إلى مجلس الأمن والأمم المتحدة، فهذا طريق للهروب من المسؤولية وتضييع للقضية الفلسطينية.

ومن السبل أيضاً ما يطلبه بعض العلماء والدعاة من الحكام لنصرة فلسطين، وما هو إلا طريق آخر للهروب من المسؤولية كذلك وتضييع لدماء الشهداء والأقصى؛ فكيف نستجدي وكلاء أعدائنا، أما تعب هؤلاء من طول الاستجداء خلال هذه العقود الطويلة؟

المستجيرُ بعمرو عند كربتهِ   كالمستجيرِ من الرمضاءِ بالنارِ

وهناك سبيل آخر وهو ما يطلبه قادة الجماعات الإسلامية من إذن بالجهاد من الحكام لتحرير فلسطين، أو دعوتهم للانسجام مع رغبات الشعب، فهذه طريقة أخرى للهروب من المسؤولية، حاصلها دس للرؤوس في الرمال وتضليل وتدليس لأتباع الجماعات وتضييع للقضية أيضاً.

فينبغي على هؤلاء أن يصارحوا إخوانهم بأن العبء ثقيل وأنهم غير مهيئين للقيام به، فإن الكفر العالمي والمحلي يبطش بكل من يسعى للعمل والصدع بالحق لصالح هذه القضية.

فالواجب هو التحريض على الجهاد المتعين وتكتيب الشباب في كتائب للجهاد في سبيل الله ضد التحالف الصهيوصليبي ووكلائه في المنطقة، وليس تنفيس طاقات الشباب بالنزول إلى الشوارع بالمظاهرات بغير سلاح.

فيجب على هؤلاء القادة أن يفسحوا المجال للطاقات الجريئة المؤهلة من إخوانهم ليقودوا الجماعة في هذه الظروف العصيبة حتى يقوموا بالواجب الشرعي.

من لم يكن منكمُ بالقتل مقتنعاً   يخلي الطريق ولا يغوي من اقتنعا

فمع كثرة السبل المعوجة فهناك سبيل واحد قويم لاسترجاع الأقصى وفلسطين هو الجهاد في سبيل الله كما ذكرنا سابقاً، وقد بين الله تعالى سبيل كف بأس الكفار في القرآن العظيم: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾، فبالتحريض والقتال يكف بأس الكفار.

ثم إني لأقول لأمتي:

إن الاكتفاء بإلقاء المسؤولية على الحكام والعلماء ثم القعود لا يعفيكم من المسؤولية، وإنما هو طريق للهروب أيضاً، فأمر الله واضح في القرآن الكريم بالجهاد في سبيله بالنفس والمال إلى أن تتم الكفاية.

أمتي المسلمة، إنك قادرة على هزيمة الكيان الصهيوني بإمكانياتك الشعبية وطاقاتك الهائلة الكامنة بعيداً عن دعم الحكام، بل رغم وقوف الغالبية العظمى منهم في خندق التحالف الصليبي الصهيوني.)

لا يكن أحدكم إمعة

روى الإمام الترمذي –رحمه الله– بإسناده عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

هذه النصيحة النبوية المباركة مما ينبغي على المسلم الباحث عن الحق والنجاة في الدنيا والآخرة أن يجعلها نصب عينيه بها فيلزم الحق حيث كان ومهما كان ويجتنب الباطل حيث كان ومهما كان ولا يغتر بكثرة أو قوة أهله وبهذا جاءت نصوص الشريعة وأقوال السلف الصالح فإن لزوم هذه النصيحة والتوجيه النبوي من أعظم أسباب الهدى والسداد..

وهذه النصيحة والتوجيه النبوي مما كان يُذَّكر به ويكرره الإمام المجدد بن لادن في توجيهاته وكلماته فإن إغفال بعض المسلمين عن هذه التوجيه النبوي كان سبباً لسلوك سبل أهل الضلال وكان سبباً في ترك النصرة الواجبة للإسلام وأهله نسأل الله العافية وفي ذلك يقول الإمام المجدد –رحمه الله– في "السبيل لإحباط المؤامرات": (فينبغي على كل أخ من الأخوة المجاهدين أن يتدبر ويُعمل عقله ولا يعطله وأن يفرق بين حُسن الظن بالقادة وبين أن يكون كَيِّساً فطناً يزن الأمور والرجال بميزان الإسلام ويترفع عن أن يكون إمَّعَة يتبع القادة على غير بصيرة، فالذين بقوا مع القادة كسياف ورباني في كابل يناصرونهم ضد المسلمين بعد كل الذي حصل هؤلاء

قد ظاهروا الكفار على المســــلمين وذلك ناقضٌ من نواقض الدين وليس بعذر لهم حســـن ظنهم بالقادة فيجب عليهم أن يفتشـــوا قلوبهم ويتبرؤوا من الشـــرك وأهله ويدخلوا في الإسـلام من جديد، فكم من الناس ضـلوا عن سـواء السـبيل لتعصـبهم لقادتهم وكبرائهم بغير هدى وليتدبروا قول الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾.

ومن العِبَر، ألا ينخدع الإخوة بأسماء الأحزاب أو بقادتها، فهذا ســـياف كان أبرز قادة المجاهدين وكان مِلء السـمع والبصـر واسـم حزبه الاتحاد الإسـلامي ثم أعان أمريكا على المسـلمين وذلك كفر بواح، وهذا رباني وحزبه الجمعية الإسـلامية وحاله كذلك، وهذا أحمد شاه مسعود الذي ذهب عند الصليبيين في أوروبا يعرض نفسه على الملأ ليكون أداة لإسقاط إمارة أفغانستان الإسلامية ثم يزعم بعض المضلين أنه شـهيد ، ولئن زلَّ بعض قادة الأفغان فإنه بفضـل الله قد ثبت البعض الآخر فكانوا صادقين مخلصين -نحسبهم والله حسيبهم- منهم الشيخ يونس خالص -عليه رحمة الله- والشيخ جلال الدين حقاني -حفظه الله- وكلاهما قد أفتى بوجوب الجهاد ضد الغزو الأمريكي لأفغانستان وساهما فيه، كما رأت الدنيا بأسرها صدق وثبات الأمير المجاهد الملا محمد عمر في قتال تحالف الكفر العالمي وعدم الرضـــوخ والخضـــوع لهم بتضـييع أمانته وذلك برفضـه التخلي عن الشـريعة أو تسـليم من دخلوا في جواره من العرب المهاجرين لأنهم إخوانه في الدين ولو ذهبت الإمارة وكرسـيها، مواقف عظيمة تنبئ عن رجال عظام -أحسبهم والله حسيبهم ولا أزكي على الله أحداً- ففرق هائل بين موقف الحاكم المســـلم وبين مواقف الحكام المنافقين الذين تعاونوا مع أمريكا في

الحرب العالمية ضد الإسلام ، فالأول ضحَّى بملكه من أجل دينه والآخرون يضحون بدينهم من أجل مُلكهم فالفرق بينهم هو الفرق بين الإيمان والكفر فشتان شتان بين مواقف المؤمنين الرجال وبين مواقف المنافقين أشباه الرجال.)

وقد كانت هذه النصيحة العظيمة من آخر نصائح الإمام المجدد -رحمه الله- فقال في كلمته الأخيرة لأمّته المسلمة: (فَضَعفُ الوَعيِ عِندَ كَثِيرٍ مِن أَبنَاءِ الأُمّةِ النَاتِجُ عَن الثّقَافَةِ الخَاطِئَةِ الّتِي يَبُثّهَا الحُكّامُ مُنذُ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ هُوَ المصِيبَةُ الكُبرى، وَمَا مَصَائِبُ الأُمّةِ الأُخرَى إِلَّا ثَمَرَةٌ مِن ثَمَرَاتِهَا المرّة، فَثَقَافَةُ الذُّلِّ وَالهَوَانِ وَالخُنُوع، وَتَكرِيسِ الطَّاعَةِ المطلَقَةِ لِلحُكّامِ -وَتِلكَ عِبَادَةٌ لَهُم مِن دُونِ الله- وَالتّنَازُل عَن أَهَمِّ الحُقُوقِ الدِّينِيّةِ وَالدّنيَوِيّةِ لَهُم، وَجَعلِ القِيَمِ وَالمبَادِئِ وَالأَشخَاصِ تَدُورُ فِي فَلَكِهِم، فَتُفقِدُ الإِنسَانَ إِنسَانِيّته، وَتَجعَلهُ يركضُ وَرَاءَ الحَاكِمِ وَإِرَادَتِه، دُونَ إِدرَاكٍ أَو تَبَصّر فيُصبِح إِمّعَة؛ إِن أَحسَنَ النّاسُ أَحسَن، وَإِن أَسَاؤُوا أَسَاء، مِمّا يَجعَلهُ كَسِلعَةٍ مِن سَقطِ المتَاعِ، يَفعَلُ بِهَا الحَاكِمُ مَا يَشَاء، وَهَؤُلاءِ هُم ضَحَايَا الظّلمِ وَالاِستِبدَادِ فِي بِلَادِنَا، الّذِينَ أَخرَجَهُم الحُكَّامُ لِيَهتِفُوا بِاسِمهِم، وَيَقِفُوا فِي خَندَقِهِم، وَقَد سَعَى الحُكَامُ لِيَتَخَلّى النَّاسُ عَن أَهَمّ حُقُوقِهم الّتِي آتَاهُم اللهُ إِيّاهَا، فَعَطّلُوا عُقُولَ الأُمّةِ، وَهمَّشُوا دَورَهَا فِي الشّؤُونِ العَامّةِ المهِمّةِ عَبرَ تَضَافُرِ جُهُودِ مُؤَسّسَاتِ الدّولَةِ الدّينِيّةِ وّالإِعلاَمِيّةِ لِإِصبَاغِ الشَّرعِيّةِ عَلَيهِم، فَسَحَرُوا أَعيُنَ النَّاسِ وإِرَادَاتِهم وَعُقُولَهُم، وَرَوّجُوا لِصَنَمِيّةِ الحَاكِمِ، وَأَسّسُوا لَهَا زُورًا وَبُهتَانًا بِاسمِ الدّين، وَكَذَلِكَ بِاسمِ الوَطَن، لِيَحتَرِمَهَا النّاسُ وَلِيَغرِسُوهَا فِي النّفُوس، لِيُقَدّسهَا الكِبَارُ، وَلَم يَسلَم مِنهَا الصّغَارُ، الّذِينَ هُم أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا، وَقَد وُلِدُوا عَلَى الفِطرَةِ فَاغتَالُوا فِطرَتَهُم بِلَا ضَمِيرٍ وَلَا رَحمَة، فَهَرِمَ عَلَى ذَلِكَ

الكَبِيرُ، وَشَبّ عَلِيهِ الصّغِيرُ، فَازدَادَ الطُّغَاةُ طُغيَانًا، وَالمستَضعَفون استِضعَافًا، فَمَاذَا تَنتَظِرُون؟!

فَأَنقِذُوا أَنفُسَكُم وَأَطفَالَكُم فَالفُرصَةُ سَانِحَةٌ، خَاصّة بَعدَ أَن تحَمّل فِتيَانُ الأُمَّةِ عِبءَ الثّورَاتِ وَمصَابَهَا، وَرصَاصَ الطُّغَاةِ وَعَذَابَهَا، فَمَهَّدُوا الطّرِيقَ بِتَضحِيَاتِهِم، وَأَقَامُوا جِسرَ الحُرِيّةِ بِدِمَائِهِم، فِتيَةٌ فِي مُقتَبَلِ العُمرِ، طَلّقُوا دُنيَا الذّلّ وَالقَهرِ، وَخَطَبُوا العِزَّةَ أَو القَبر، فَهل يَعِي الحُكّامُ أَنّ الشَّعبَ قَد خَرَجَ وَلَن يَعُودَ حَتّى يُحَقّقَ الوُعُودَ بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى.)

الغاية نبيلة والسبل لتحقيقها نبيلة

ويظهر لنا من المسائل السابقة أن الأمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- كان لا يتبع إلا الأساليب المشروعة النبيلة لتحقيق أهدافه المشروعة بخلاف من يتبع السبل المنحرفة لتحقيق أهدافه قال الشـــيخ عبد المجيد عبد الماجد -رحمه الله-: (الغاية لا تبرر الوسيلة:

إن الغاية في دين الإسلام لا تبرر الوسيلة فإذا كانت الغاية شريفة فلا بد أن تكون الوســـيلة كذلك، فنحن لا نعبد الله بمعصـــيته فالنبي ﷺ لم يوافق كفار قريش على استلام السلطة عندما عرضوها عليه فقالوا: (وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا)، بالرغم من أن الدعوة كانت في مهدها والضعف هو السمة الأولى لأهلها، فلو كان أحدٌ مكانه ﷺ لقال: "إن هذه فرصة أستولي بها على السلطة" أو "إن هذا طريق سهل لانتصار دعوتي بدلا من الحرب والدماء" كمن اتخذ الديمقراطية سبيلا له أو أنها فرصة للجلوس معهم والتفاوض في هذه المشكلة لإيجاد حلول ترضي الطرفين ... لقد رفض النبي كل هذه الحلول لأسباب كثيرة أهمها:

١. أن هذا الطريق ليس هو الطريق الذي رسمه الله تعالى لقيام هذا الدين ونشر هذه الدعوة.

٢. أن هذا الموقف هو البداية لعلاقات ودية تخلط الصف المؤمن بالصف الكافر (أو ما يسمى بتطبيع العلاقات) لإزالة البغضاء من نفوس المؤمنين تجاه الكفار وتلبيس الحق بالباطل ومحاولة تمييع القضايا لالتقائهم في منتصف الطريق، مما يُحدث

صداما وتناقضا مع أصول ونصوص شرعية منها قوله تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ سورة المجادلة ... وقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ سورة الكافرون ... وقوله تعالى: ﴿**لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ سورة الفتح،.. وكثير من الأدلة التي لا مكان لسردها كلها في هذا المقام.

٣. أن الحق كل لا يتجزأ فلو قبلوه كله فقد فازوا، وإلا فلا بديل سوى الصبر وما كان بعدها من إزالة هذه الفتنة بالطريق الشرعي الذي افترضه الله تعالى على عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ سورة الأنفال.)

وأما عن تأصيل الإمام المجدد -رحمه الله- لهذا الأمر فقد قال في "بشريات": (المراد إخراج الكفار من ديار الإسلام وإخراج عملائهم، وعلى أنقاضهم وأنقاض عملائهم إقامة الحق وإقامة الإسلام وإقامة الدين، فنسلك كل سبيل شرعي يؤدي إلى هذه الغاية، فإن وجد سبيلٌ يؤدي إلى هذه الغاية ليس فيه إراقة لدماء الأبرياء فما يجوز لنا أن نتخذ سبيلاً فيه إراقة دماء الأبرياء، أما إذا تعذر إخراج الكفار وإقامة الحق إلا بقتل الكفار في هذه القاعدة أو في هذا المبنى وقد تترسوا بالمسلمين فهذه مسألة مبسوطة في كتب الفقه عند أهل العلم بتفصيل ملخصه وما يهمنا في هذا الميدان أنه إذا تعذر دفع الباطل وإقامة الحق؛ دفع هذه القوات الأمريكية التي

تترســت في هذا الحي وبجوارهم بيت للمســلمين ولو فجرنا هذا المبنى -هم عن عمد يتترسون في وسط المدن- سيموت بعض الناس من هذا البيت وهم مسلمون هؤلاء يبعثون على نياتهم شهداء بإذن الله سبحانه وتعالى ونحن لا شيء علينا، هذه المسألة مكتوبة مضــطردة تكلم فيها شــيخ الإســلام -رحمه الله- في الفتاوى الكبرى تحدث عن التترس ليس في مجموع الفتاوى ضــرب مثلاً في التترس، وتحدث ابن القيم -رحمه الله- عنها بتفصــيلٍ كثير وتحدث عنها أهل العلم في المذاهب الأربعة، فهي ليســت مسألة حديثة.

الآن الروس أو الأمريكان هجموا علينا ومســـكوا بعض إخواننا ترسًـــا وأصـــبحوا يهجمون علينا، نريد نضرب يقول لا إذا ضربت سيأتي الضرب في أخينا هذا المسلم والله نهى عن قتل المسلم، العلماء جمعوا بين النصوص وعلموا مقاصدها، فهنا المراد إقامة الدين فلا حرج لو ذهبت نفس هذا الرجل -وهو على نيته- حتى ندفع أولئك، فإذا كان إيقاف القتال أو إيقاف الضرب سيؤدي إلى اجتثاث أهل الإسلام أو إذهاب بيضتهم فيضرب وإن قتل أولئك فلا حرج بإذن الله سبحانه وتعالى، هذا الجزء الأول من السؤال. الجزء الثاني؟)

الهجرة إلى الجهاد والإعداد والصدع بالحق

إن الهجرة في سبيل الله طلباً لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله من الأمور المهمات التي غابت في هذا الزمان إلا عند بقية ممن أنعم الله عليه بالهجرة لنصرة المستضعفين والقيام بنصرة الدين..

يقول الشيخ عبد الله العدم -رحمه الله- في "التذاكر الجياد": (والإيمان والهجرة والجهاد أمور متلازمة، لا ينفك أحدهما عن الآخر، بل الهجرة سببٌ موصلٌ للجهاد في سبيل الله، وقد قرنها رب العزة معاً في مواطن كثيرة من كتابه الكريم، ويظهر ذلك جلياً فيما سبق ذكره من آيات.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ولا يتم الجهاد إلا بالهجرة ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان، والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة قال تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**﴾.

واعلم أن الهجرة من أجل الجهاد ماضية إلى يوم القيامة، لا يوقفها عدل عادل ولا جور جائر، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: إن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد.

وعن رجاء بن حيوة عن أبيه عن الرسول الذي سأل النبي ﷺ عن الهجرة فقال: «لا تنقطع ما جوهد العدو».

فالهجرة من أجل الجهاد قائمةٌ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة المسـيح الدجال فقد صـح عنه ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال».)

وقد كانت الهجرة إلى ساحات الإعداد والجهاد من الأولويات التي كان يدعو إليها ويحرض عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن في كلماته ورسائله فقال -رحمه الله- في "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠هـ": (هذا هو السـبيل يا عباد الله: هجرةٌ وجهادٌ، هجرةٌ وجهاد بعد الإيمان، هكذا سَنَّ رسولنا عليه الصلاة والسلام، وما أدراك عن أجر الهجرة والجهاد! وهو حسبنا ونعم الوكيل، فقد صحّ عن نبينا عليه الصلاة والسلام في حديثه لعمرو بن العاص -رضي الله عنه- عندما جاء يريد أن يشترط لنفسه، فقال رسول الله ﷺ: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما قبلها»، فهنيئاً للمهاجرين! مع الهجرة يخرج الإنسان من ذنوبه السابقة، ويفتح صفحة بيضاء نقية يسجل فيها، وما أدراك ما يسجل فيها! فقد صح عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: «قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خيرٌ من قيام ستين سنة» الله أكبر! الله أكبر! كرمٌ عظيم، ساعةٌ في الصف خيرٌ من قيام ستين سنة، والذين يعيشون اليوم ومتوسط أعمار الأمة قريباً من هذه السنين من ستين إلى سبعين، إذا خابوا وخسروا وابتعدوا عن منهج الله اسمعوا إلى حالهم يوم القيامة: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**﴾، ستين سنة يرونها يوم القيامة ساعة، والمجاهد قيام ساعة في الصف خيرٌ من قيام ستين سنة، الله أكبر! لك الحمد يا ربنا على هذا العطاء الجزيل. وقد صح

عنه ﷺ كما في حديث أبي فاطمة الذي جاءَ إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام -رضي الله عنه- يسأل عن عملٍ يقوم به ويستقيم عليه، فقال عليه الصلاة والسلام: «عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها».

إن الذي يريد أن يقاوم الباطل وهو تحت الباطل هذا مخالف لسُنن الله سبحانه وتعالى، إن المهاجر في كل لحظة كل خلية من خلاياه تصيح في أعماق قلبه أنك خرجت لتحرير البيت العتيق، كل لحظة من لحظاته تصيح خلاياه في قلبه وفي أذنيه إياك أن تنسى البيت العتيق، فيبقى مهاجرًا حتى يرفرف علم التوحيد بحق فوق بلاد الحرمين.)

وقال في "توجيهات منهجية": (فالذين يريدون أن يقيموا للإسلام شأناً بدون تضحيات الهجرة، وبدون تضحيات الجهاد في سبيل الله، فهؤلاء لم يفقهوا منهج محمدٍ ﷺ وإن فقهوه ولم يعملوا به واشتغلوا بغيره من الطاعات فهؤلاء يتهربون من تبعات هذه العبادات الثقيلة، فإن الجهاد كُرهٌ كما نص على ذلك الله سبحانه وتعالى في كتابه. فيتضح مما مضى أهمية الجماعة والجهاد.

ونحن في وضع لم يعد لدينا دولة لنهاجر إليها؛ وقد كانت هذه الفرصة متاحة، وكانت فرصة نادرة، فمنذ أن سقطت الخلافة حرص الصليبيون على أن لا يمكن أهل الإسلام الصادقون لإقامة دولة، وقدر الله سبحانه وتعالى أن جاءت الأحداث في أفغانستان وهزم الاتحاد السوفيتي، وتنازل الصليبيون عن ذلك الحرص والاهتمام في ظل خوفهم ورعبهم من الاتحاد السوفيتي، فلم يكن هناك بد من دفع الاتحاد

السوفيتي إلا بكل شيء، ولو كان بالمجاهدين، ولو كان بالأصوليين، ولو كان بشباب الإسلام المجاهد، ففتح ذلك الباب، ومضى بضع عشرة سنة.

ولكن للأسف الشديد لم تنهض الأمة بواجبها المطلوب، وخاصة العلماء والدعاة والخطباء والجماعات الإسلامية، وإنما الذين جاءوا إلى أرض الجهاد لنصرة المجاهدين هم نفر بسيط من عامة الشباب من شباب الأمة، مع ما قدمه بعض التجار بعضاً من أموالهم، ولكن لم تكن كافية لإقامة دولة قوية.

وكانت الفرصة جيدة جداً لإقامة دولة قوية بعيداً عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضعٍ وفي انشراحٍ وتعاون غير عادي، كان الوضع يسمح بقوة أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية، لا باعتبارات قطرية وقومية، فللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين؛ أن اغتنموا هذه الفرصة! ولكن لا حياة لمن تنادي، شُغل الناس وسُحبوا باعتبارات أرضية، وباعتبارات قطرية، وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة ولم يتحرك الناس للاستفادة منها، وأذكر ذلك لأقول إن الأمر ليس سهلاً، الآن أصبحت الظروف أصعب.)

وقال -رحمه الله- في "دعوة إلى الجهاد لوقف العدوان على غزة": (فلا بد من هجرة ولا بد من تحمل تكاليف النصرة وإقامة الدين، فخير البرية ﷺ اضطره المشركون إلى أن يدخل الغار ويترك الأهل والعشيرة والديار ويهاجر من خير البقاع مكة المكرمة.

فالبدار البدار واغتنموا الفرصة الثمينة ولا تضيعوها، ولكم أسوة حسنة في رسول الله ﷺ في دخول الغار، أما يستطيع الواحد منكم أن يختفي في بيت ما في مكان ما، أليست أرض الله واسعة لتقوموا بعبادة الجهاد المالية، قال الله تعالى: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾.)

وقال في "جماعة المسلمين": (فرائض الإسلام كثيرة وشعب الإيمان كثيرة ففي الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وستون وفي رواية بضع وسبعون شعبة أرفعها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان»، فلا يصح بحال عند غياب الشعبة العظمى الأس الأعظم شهادة أن لا إله إلا الله يشتغل الناس بإماطة الأذى عن الطريق.. وبغيرها من الشعب، فهذا تهرب عن الواجب الشرعي الذي أمر الله به، فأول ما ندعو الناس إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا غابت عن الوجود، وحكم الطواغيت القوانين الوضعية الإنكليزية والفرنسية والأمريكية وغيرها من زبالة عقول

البشر، بل الواجب الأعظم كما قال رسولنا عليه الصلاة والسلام لمعاذ حينما أرسله إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، لا يصح البناء إذا لم يكن هناك هذا الركن العظيم، فهنا عليه الصلاة والسلام لما سأله حذيفة قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ -الشعب كثيرة- أمره بشعبة واحدة، أمره بفرض واحد هو فرض الساعة وهو فرض العصر أمره بهذا الفرض لأنه الآكد ولأنه الأهم وعليه يقوم الدين بإذن الله سبحانه وتعالى، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، هذا هو الفرض الغائب المغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف نصل إلى السبيل وكيف نصل إلى نصرة الدين والمسلمون في جماعة غير المسلمين، وإمام المسلمين ممن ارتكبوا نواقض الإسلام في وضح النهار، إمام المسلمين هم الذين يوالون اليهود والنصارى، وهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فكيف نريد النجاة ونحن نتبع هؤلاء الضّلال الذين أضلوا الناس على علم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فكان بعض الناس أسلموا على عهد محمد ﷺ، ورضوا بأنفسهم أن يقعدوا تحت ظلال أبي جهل وتحت ظل كفر قريش، وفي أي مكان؟ في خيرة البقاع، في أحب البقاع إلى الله سبحانه وتعالى؛ في مكة المكرمة حيث الركعة بمائة ألف ركعة، أسلموا في قلوبهم واعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى هو الإله الخالق الرزاق، واعتقدوا أن محمدًا ﷺ هو نبي الله، ولكن ماذا بعد ذلك؟ هل ذهبوا وانضموا إلى الجماعة المسلمة؟ أم شدهم وحل الأرض؟ وبطحاء مكة والأهل والعشيرة، هذا شدهم، فلما كان الغزو بين المسلمين والكفار، خرج هؤلاء مكره أخاك لا بطل، خرجوا تحت ضغط

قريش خرجوا يُكثرون سواد المشركين وفي قلوبهم حب الله وحب رسوله ﷺ، ولكن هذا الحب لم يبلغ إلى الدرجة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، فخرجوا ما يريدون أن يقاتلوا المسلمين ولكن مكره أخاك لا بطل خرجوا فكثروا السواد، فلما كانت المعركة جاءت بعض السهام في نحور هؤلاء فقتلوا تحت ظل راية الشرك.

فندم بعض الصحابة رضي الله عنهم وقالوا قتلنا إخواننا، فأخذوا يستغفرون وما درووا أن الجرم على أولئك الذين جلسوا وقعدوا تحت ظل الشرك، هذه الحادثة يرويها البخاري رحمه الله في صحيحه عن الصحابة الكرام فأنزل الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات قرآناً يتلى إلى يوم القيامة يبين حال القاعدين تحت ظل الشرك، يبين حال المنتظمين في جماعة غير المسلمين قال سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾**، فالدين لا يقبل من المسلم أن يسلم ويبقى تحت ظل الشرك بل يجب عليه الهجرة للنجاة بدينه وليعبد الله سبحانه وتعالى كما أمر، فما خُلقنا حتى نتمسك بأرض آبائنا وأجدادنا وحيث سقط رؤوسنا، وإنما العلة من خلقنا كما قال سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**، فأرض الله واسعة تهاجر وتسيح فيها من أجل لا إله إلا الله ولتكون كلمة الله هي العليا، وبفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن من الله سبحانه وتعالى على إخوانكم بالهجرة وبالجهاد في سبيله، أدركنا عصراً كان قد نما وترعرع الخنوع والجبن والهوان في قلوب الصالحين والطالحين، كانوا يخافون مما يسمى بالاتحاد السوفييتي سابقاً، فخرجنا ونحن في أعماركم أو دون ذلك بقليل في عام

١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩م خرجنا متوكلين على الله ذلك فضل الله سبحانه وتعالى ما خرجنا نحسب كم عدد القوات السوفييتية كانوا في ذلك الوقت قريبا من ثلاثة ملايين هذا عدد القوات بأفضل الأسلحة أنفقت أمريكا وأروبا وحلف الناتو ٤٥٠ مليار دولار فقط للأسلحة والخنادق والعتاد للدفاع عن أنفسهم خوفاً من الاتحاد السوفييتي، فماذا سيصنع فتيان تركوا مدارسهم وجاؤوا ليقاتلوا الاتحاد السوفييتي الذي تخشاه الأرض بأسرها، ولكن هو السمع والطاعة، قالوا سمعنا وأطعنا هذا أمر الله سبحانه وتعالى، أمرنا بالجهاد فخرجنا نقول سمعنا وأطعنا، ومن قعد عن نصرة لا إله إلا الله فاسق بالكتاب والسنة ومن فُسق بالكتاب والسنة والله الذي لا إله إلا هو لا نعدله قال الله سبحانه وتعالى مُخاطباً المؤمنين مُخاطباً الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا**﴾، هذا تهديد ووعيد من الله سبحانه وتعالى، لمن؟ للخيار رضي الله تعالى عنهم وانتبهوا إلى لفظ أحب، فهم يحبون الله عز وجل ويحبون رسوله ﷺ ويحبون الجهاد ولكن بعض هذه الأصناف الثمانية كانت أحب إلى بعضهم منها، فهؤلاء الذين كتب لهم الصحابة بالآية: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ جاؤوا ليخرجوا من مكة فتبعهم أطفالهم وأولادهم وزوجاتهم وآذاهم بعض قريش عندما أرادوا الهجرة فرجع بعضهم ورضوا بالفتنة ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

السمع والطاعة في المعروف

إن السمع والطاعة في المعروف (في غير معصية الله) من الأمور الأساسية لقيام الدولة المسلمة في حال الإمامة العظمى وفي حال العمل الجماعي دون الإمامة العظمى فلا يتصور قيام دولة أو جماعة على غير السمع والطاعة في المعروف.. فهي من الركائز الخمسة التي تضمنها حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم، وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل

خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله». قال النبي ﷺ: «وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن، السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم»، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين، عباد الله» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي شرح هذا الحديث يقول الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في "جماعة المسلمين": (هذا الركن الركين لابد له من قواعد خمس حتى يهيمن كما أمر الله سبحانه وتعالى، ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ فيعقب عليه الصلاة والسلام بعد أن يطلب من الجماعة من القبائل النصرة والإيواء ويقول: «حتى أبلغ رسالة ربي»، فرسالة ربي سبحانه وتعالى لا تبلغ بغير قوة كان يبحث عن القبائل ذات الشوكة والمنعة عليه الصلاة والسلام، فالسبيل لإحقاق الحق هو بالجهاد في سبيل الله والسبيل لإبطال الباطل هو بالجهاد في سبيل الله والسبيل لكف بأس الكفار هو بالجهاد في سبيل الله، والجهاد هو أحد القواعد الخمس التي يقوم عليها ركن الدين العظيم، ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحارث بن الحارث الأشعري -رضي الله عنه- قال: «أوحى الله سبحانه وتعالى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن»، لا أن يتكلم الناس بهن فقط بل يعملوا بهن فذكر له الكلمات

الخمس وهي الأركان الأربعة والركن الخامس ذكر الله سبحانه وتعالى، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن»، هنا الشاهد وهناك تلازم شديد جداً حتمي بين الخمس الأول، بين الأركان وبين هذه الخمس لأن هذه الخمس هي القواعد وهذه الأركان التي ترون لا تقوم على غير قواعد، والبناء لا يقوم على غير أركان ولا على غير قواعد، فالدين لا بد له من هذه الأركان الخمس ولا بد له من هذه القواعد الخمس، ما هذه الخمس التي أمرنا رسول الله ﷺ بها؟ قال: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن -أسمعوا وعوا واحفظوها- الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة والجهاد في سبيل الله،»، فأتباع محمد ﷺ نقول لهم هذا هو السبيل لابد من جماعة مسلمة ولا بد من سمع وطاعة لها ولا بد من هجرة عندما تتعين الهجرة ولا بد من جهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، فكل من يريد أن ينصر هذه الدين مع غياب هذه القواعد، ما فقه الطريق وما فقه منهج محمد ﷺ، وبعد أن أكدنا هذا الأمر، الذي نعتقده اليوم أن الجماعة التي تنصرف إليها النصوص في الكتاب والسنة هي دولة الإسلام في أفغانستان هي دولة الطالبان، فينبغي على المسلم أن يعتقد في قلبه أن أمير المؤمنين هو أميره الشرعي إتباعاً لأمر رسولنا عليه الصلاة والسلام كما جاء في الصحيحين في البخاري ومسلم عليهم رحمة الله في الحديث الذي يرويه حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل

بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». نسأل الله العافية تدبروا في هذا الحديث، فكأنما يصف حال المسلمين اليوم، الأنظمة والحكام بإعلامهم وبأجهزتهم الأمنية وبكثير من مؤسساتهم يدعون إلى أبواب جهنم كم من فئات من المسلمين يُدعون في الليل والنهار على مدار الساعة إلى الفجور وإلى الكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله، نشأت ناشئة في بلاد المسلمين اليوم ما كان يظن أحد أن مثل هذه الناشئة تنشأ، ولكن نتيجة هؤلاء الدعاة إلى أبواب جهنم...

قال: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: صفهم لنا يا رسول الله، قال: «هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ -الأمر هنا للوجوب- رضي الله عن حذيفة إذ بين لنا الطريق واختصر لنا الأمر، وسأل عن هذه المعامع العظام، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟، فرائض الإسلام كثيرة وشعب الإيمان كثيرة ففي الصحيح عن نبينا عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وستون وفي رواية بضع وسبعون شعبة أرفعها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان»، فلا يصح بحال عند غياب الشعبة العظمى الأس الأعظم شهادة أن لا إله إلا الله يشتغل الناس بإماطة الأذى عن الطريق.. وبغيرها من الشعب، فهذا تهرب عن الواجب الشرعي الذي أمر الله به، فأول ما ندعو الناس إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا غابت عن الوجود، وحكم الطواغيت القوانين الوضعية الإنكليزية والفرنسية والأمريكية وغيرها

من زبالة عقول البشر، بل الواجب الأعظم كما قال رسولنا عليه الصلاة والسلام لمعاذ حينما أرسله إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، لا يصح البناء إذا لم يكن هناك هذا الركن العظيم، فهنا عليه الصلاة والسلام لما سأله حذيفة قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ -الشعب كثيرة- أمره بشعبة واحدة، أمره بفرض واحد هو فرض الساعة وهو فرض العصر أمره بهذا الفرض لأنه الآكد ولأنه الأهم وعليه يقوم الدين بإذن الله سبحانه وتعالى، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، هذا هو الفرض الغائب المغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف نصل إلى السبيل وكيف نصل إلى نصرة الدين والمسلمون في جماعة غير المسلمين، وإمام المسلمين ممن ارتكبوا نواقض الإسلام في وضح النهار، إمام المسلمين هم الذين يوالون اليهود والنصارى، وهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فكيف نريد النجاة ونحن نتبع هؤلاء الضّلال الذين أضلوا الناس على علم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.)

ضرورة الأرضية والبيئة المناسبة
والحاضنة المناصرة

في هذا المبحث أبين ما رآه وذهب إليه الإمام المجدد أسامة بن لادن من ضرورة وجود المكان المناسب والبيئة الحاضنة لحركة التغير والإصلاح.. وهذا الذي ذهب إليه هو ما دلت عليه سيرة النبي ﷺ يبين ذلك سيد قطب -رحمه الله- في "في ظلال القرآن" بقوله: (لقد تمت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بعد تمهيد ثابت وإعداد محكم. تمت تحت تأثير ظروف حتمت هذه الهجرة وجعلتها إجراء ضروريا لسير هذه الدعوة في الخط المرسوم الذي قدره الله لها بتدبيره.. كان موقف قريش العنيد من الدعوة في مكة -وبخاصة بعد وفاة خديجة- رضي الله عنها وموت أبي طالب كافل النبي وحاميه.. كان هذا الموقف قد انتهى إلى تجميد الدعوة تقريبا في مكة وما حولها. ومع استمرار دخول أفراد في الإسلام على الرغم من جميع الاضطهادات والتدبيرات فإن الدعوة كانت تعتبر قد تجمدت فعلا في مكة وما حولها، بموقف قريش منها، وتحالفهم على حربها بشتى الوسائل، مما جعل بقية العرب تقف موقف التحرز والانتظار، في ارتقاب نتيجة المعركة بين الرسول وعشيرته الأقربين، وعلى رأسهم أبو لهب وعمرو بن هشام وأبو سفيان بن حرب وغير هم ممن يمتون بصلة القرابة القوية لصاحب الدعوة. وما كان هناك ما يشجع العرب في بيئة قبلية لعلاقات القرابة عندها وزن كبير، على الدخول في عقيدة رجل تقف منه عشيرته هذا الموقف. وبخاصة أن عشيرته هذه هي التي تقوم بسدانة الكعبة، وهي التي تمثل الناحية الدينية في الجزيرة! ومن ثم كان بحث الرسول ﷺ عن قاعدة

أخرى غير مكة، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية، ويتاح لها فيها أن تخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة. حيث تظفر بحرية الدعوة وبحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة.. وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة.

ولقد سبق الاتجاه إلى يثرب، لتكون قاعدة للدعوة الجديدة، عدة اتجاهات.. سبقها الاتجاه إلى الحبشة، حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل. والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية. فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس جاها وقوة ومنعة من المسلمين. غير أن الأمر كان على الضد من هذا، فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا. إنما هاجر رجال ذوو عصبيات، لهم من عصبيتهم -في بيئة قبلية- ما يعصمهم من الأذى، ويحميهم من الفتنة وكان عدد القرشيين يؤلف غالبية المهاجرين، منهم جعفر بن أبي طالب وأبوه وفتيان بني هاشم معه هم الذين كانوا يحمون النبي ﷺ ومنهم الزبير بن العوام، وعبد الرحمن ابن عوف، وأبو سلمة المخزومي، وعثمان بن عفان الأموي.... وغيرهم. وهاجرت نساء كذلك من أشرف بيوتات مكة ما كان الأذى لينالهن أبدا.. وربما كان وراء هذه الهجرة أسباب أخرى كإثارة هزة في أوساط البيوت الكبيرة في قريش وأبناؤها الكرام المكرمون يهاجرون بعقيدتهم، فرارا من الجاهلية، تاركين وراءهم كل وشائج القربى، في بيئة قبلية تهزها هذه الهجرة على هذا النحو هزا عنيفا وبخاصة حين يكون من بين المهاجرين مثل أم حبيبة، بنت أبي سفيان، زعيم الجاهلية، وأكبر المتصدين لحرب العقيدة الجديدة

وصاحبها.. ولكن مثل هذه الأسباب لا ينفي احتمال أن تكون الهجرة إلى الحبشة أحد الاتجاهات المتكررة في البحث عن قاعدة حرة، أو آمنة على الأقل للدعوة الجديدة. وبخاصة حين نضيف إلى هذا الاستنتاج ما ورد عن إسلام نجاشي الحبشة. ذلك الإسلام الذي لم يمنعه من إشهاره نهائيا إلا ثورة البطارقة عليه، كما ورد في روايات صحيحة.

كذلك يبدو اتجاه الرسول ﷺ إلى الطائف محاولة أخرى لإيجاد قاعدة حرة أو آمنة على الأقل للدعوة.. وهي محاولة لم تكلل بالنجاح لأن كبراء ثقيف استقبلوا رسول الله ﷺ أسوأ استقبال، وسلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم يرجمونه بالحجارة، حتى أدموا قدميه الشريفتين، ولم يتركوه حتى آوى إلى حائط (أي حديقة) لعتبة وشيبة ابني ربيعة.. وهناك انطلق لسانه بذلك الدعاء الخالص العميق: «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى عدو ملكته أمري! أم بعيد يتجهمني؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي. ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلّا بك».

بعد ذلك فتح الله على الرسول ﷺ وعلى الدعوة من حيث لا يحتسب، فكانت بيعة العقبة الأولى، ثم بيعة العقبة الثانية. وهما ذواتا صلة قوية بالموضوع الذي نعالجه في مقدمة هذه السورة، وبالملابسات التي وجدت حول الدعوة في المدينة.

وقصة ذلك في اختصار: أن النبي ﷺ التقى قبل الهجرة إلى يثرب بسنتين بجماعة من الخزرج في موسم الحج، حيث كان يعرض نفسه ودعوته على الوافدين للحج ويطلب حاميا يحميه حتى يبلغ دعوة ربه. وكان سكان يثرب من العرب -الأوس والخزرج- يسمعون من اليهود المقيمين معهم، أن هنالك نبيا قد أطل زمانه وكانت يهود تستفتح به على العرب، أي تطلب أن يفتح لهم على يديه، وأن يكون معهم على كل من عداهم. فلما سمع وفد الخزرج دعوة النبي ﷺ قال بعضهم لبعض: تعلمنّ والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه.. وأجابوه لما دعاهم. وقالوا له: إننا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم. فعسى الله أن يجمعهم بك.. ولما عادوا إلى قومهم، وعرضوا الأمر عليهم، ارتاحوا له، ووافقوا عليه.

فلما كان العام التالي وافى الموسم جماعة من الأوس والخزرج، فالتقوا بالنبي ﷺ وبايعوه على الإسلام. وقد أرسل معهم من يعلمهم أمر دينهم.

وفي الموسم التالي وفد عليه جماعة كبيرة من الأوس والخزرج كذلك، فطلبوا أن يبايعوه، وتمت البيعة بحضور العباس عم النبي ﷺ على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم. وتسمى هذه البيعة الثانية بيعة العقبة الكبرى.. ومما وردت به الروايات في هذه البيعة ما قاله محمد بن كعب القرظي:

قال عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه- لرسول الله ﷺ يعني ليلة العقبة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم». قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟

قال: «الجنة». قالوا: ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل! وهكذا أخذوا الأمر بقوة.. ومن ثم فشا الإسلام في المدينة، حتى لم يبق فيها بيت لم يدخله الإسلام.

وأخذ المسلمون في مكة يهاجرون إلى المدينة تباعا، تاركين وراءهم كل شيء، ناجين بعقيدتهم وحدها، حيث لقوا من إخوانهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم، من الإيثار والإخاء ما لم تعرف له الإنسانية نظيرا قط. ثم هاجر رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق. هاجر إلى القاعدة الحرة القوية الآمنة التي بحث عنها من قبل طويلا.. وقامت الدولة الإسلامية في هذه القاعدة منذ اليوم الأول لهجرة الرسول ﷺ.) اهـ.

وقد شَغَل هذا الأمر "ضرورة وجود الأرضية المناسبة والمناصرة" حيزاً كبيرا وأخذ عناية خاصة في جهود الإمام المجدد وتوجيهاته وكلماته وقد فصله بكلام حسن كريم في "محاضرة جماعة المسلمين" فقال -رحمه الله-: (فحديثنا عن فرض الساعة وعن واجب العصر، حديثنا عن إقامة الدين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فالله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ ليدعوا الناس إلى هذه الكلمة العظيمة إلى كلمة التوحيد، إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، هذه الكلمة هي الركن العظيم الركن الأول في هذا الدين، بها بعث محمد ﷺ، وبها بعث جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، هذه الكلمة إذا غابت عن الأرض ساد الكفر والظلام على أرجاء هذه الأرض، بعث محمد ﷺ بهذه الكلمة فكان يقول لأهله وعشيرته ولقريش قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، بهذا الركن مكث دهراً عليه الصلاة والسلام يدعوا قريش إلى هذا الركن، ولكن هذا الركن الركين لا

يقوم بحال إلا على قواعد عظام، الذين يغارون على دين الله ويريدون أن يهيمن الدين على الناس ويحكم في دمائنا وأعراضـــنا وأموالنا وفي جميع مناحي حياتنا، لا سـبيل إلى ذلك إلا بالنهج الذي نهجه محمد ﷺ، فاللطيف الخبير سـبحانه وتعالى الذي خلق الخلق يعلم سـبحانه وتعالى أن هذه النفوس لا تسـتجيب كما أمر إلا بوجود سـلطان وبوجود قوة وشـوكة، فعند ذلك يدخل الناس في دين الله أفواجاً، فرسولنا عليه الصلاة والسلام قبل أن يدعوا الناس إلى باقي الأركان وقبل أن يُكلف عليه الصلاة والسلام بباقي الأركان، بدأ يبحث عن القوة وعن العصبة وعن الشوكة التي تنصر هذه الكلمة، فكان يعرض نفسه الشريفة عليه الصلاة والسلام على قبائل العرب في الحج وفي غيره من مواسم العرب، فيقولون له إلى أي شـيء تدعوا يا أخا قريش؟ فيقول: أدعوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تأووني وتمنعوني وتنصروني مما تنصرون منه أنفسكم وأبناءكم، فهذا الكلام في غاية الأهمية والخطورة، لنعلم كيف السبيل لإحقاق الحق وكيف السبيل لتبليغ دعوة الله سبحانه وتعالى.

هذا الركن الركين لابد له من قواعد خمس حتى يهيمن كما أمر الله سبحانه وتعالى، ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾، فيعقب عليه الصلاة والسلام بعد أن يطلب من الجماعة من القبائل النصرة والإيواء ويقول: «حتى أبلغ رسالة ربي»، فرسالة ربي سبحانه وتعالى لا تبلغ بغير قوة كان يبحث عن القبائل ذات الشوكة والمنعة عليه الصلاة والسلام، فالسبيل لإحقاق الحق هو بالجهاد في سبيل الله والسبيل لإبطال الباطل هو بالجهاد في سبيل الله والسبيل لكف بأس الكفار هو بالجهاد في سبيل الله، والجهاد هو أحد القواعد

الخمس التي يقوم عليها ركن الدين العظيم، ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحارث بن الحارث الأشعري -رضي الله عنه- قال: «أوحى الله سبحانه وتعالى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن»، لا أن يتكلم الناس بهن فقط بل يعملوا بهن فذكر له الكلمات الخمس وهي الأركان الأربعة والركن الخامس ذكر الله سبحانه وتعالى، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن»، هنا الشاهد وهناك تلازم شديد جداً حتمي بين الخمس الأول، بين الأركان وبين هذه الخمس لأن هذه الخمس هي القواعد وهذه الأركان التي ترون لا تقوم على غير قواعد، والبناء لا يقوم على غير أركان ولا على غير قواعد، فالدين لا بد له من هذه الأركان الخمس ولا بد له من هذه القواعد الخمس، ما هذه الخمس التي أمرنا رسول الله ﷺ بها؟ قال: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن -أسمعوا وعوا واحفظوها- الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة والجهاد في سبيل الله،»، فأتباع محمد ﷺ نقول لهم هذا هو السبيل لابد من جماعة مسلمة ولا بد من سمع وطاعة لها ولا بد من هجرة عندما تتعين الهجرة ولا بد من جهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، فكل من يريد أن ينصر هذه الدين مع غياب هذه القواعد، ما فقه الطريق وما فقه منهج محمد ﷺ، وبعد أن أكدنا هذا الأمر، الذي نعتقده اليوم أن الجماعة التي تنصرف إليها النصوص في الكتاب والسنة هي دولة الإسلام في أفغانستان هي دولة الطالبان، فينبغي على المسلم أن يعتقد في قلبه أن أمير المؤمنين هو أميره الشرعي إتباعاً لأمر رسولنا عليه الصلاة والسلام كما جاء في الصحيحين في البخاري ومسلم عليهم رحمة الله في الحديث الذي يرويه حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت

أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شـــر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، نســـأل الله العافية تدبروا في هذا الحديث، فكأنما يصف حال المسلمين اليوم، الأنظمة والحكام بإعلامهم وبأجهزتهم الأمنية وبكثير من مؤسساتهم يدعون إلى أبواب جهنم كم من فئات من المسلمين يُدعون في الليل والنهار على مدار الساعة إلى الفجور وإلى الكفر ولا حول ولا قوة إلا بالله، نشـــأت ناشـــئة في بلاد المســـلمين اليوم ما كان يظن أحد أن مثل هذه الناشئة تنشأ، ولكن نتيجة هؤلاء الدعاة إلى أبواب جهنم ...

قال: فهل بعد ذلك الخير من شـــر؟ قال: «نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».. قلت: صـــفهم لنا يا رســـول الله، قال: «هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألســـنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ -الأمر هنا للوجوب- رضـي الله عن حذيفة إذ بين لنا الطريق واختصـر لنا الأمر، وسـأل عن هذه المعامع العظام، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟، فرائض الإســـلام كثيرة وشـــعب الإيمان كثيرة ففي الصـــحيح عن نبينا عليه الصـــلاة والســـلام: «الإيمان بضـــع وســـتون» وفي رواية: «بضع وسبعون شعبة أرفعها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان»، فلا يصح بحال عند غياب الشـعبة العظمى الأس الأعظم شـهادة أن لا إله إلا الله يشـتغل الناس

بإماطة الأذى عن الطريق.. وبغيرها من الشعب، فهذا تهرب عن الواجب الشرعي الذي أمر الله به، فأول ما ندعو الناس إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا غابت عن الوجود، وحكم الطواغيت القوانين الوضعية الإنكليزية والفرنسية والأمريكية وغيرها من زبالة عقول البشر، بل الواجب الأعظم كما قال رسولنا عليه الصلاة والسلام لمعاذ حينما أرسله إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، لا يصح البناء إذا لم يكن هناك هذا الركن العظيم، فهنا عليه الصلاة والسلام لما سأله حذيفة قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ -الشعب كثيرة- أمره بشعبة واحدة، أمره بفرض واحد هو فرض الساعة وهو فرض العصر أمره بهذا الفرض لأنه الآكد ولأنه الأهم وعليه يقوم الدين بإذن الله سبحانه وتعالى، قال: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، هذا هو الفرض الغائب المغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف نصل إلى السبيل وكيف نصل إلى نصرة الدين والمسلمون في جماعة غير المسلمين، وإمام المسلمين ممن ارتكبوا نواقض الإسلام في وضح النهار، إمام المسلمين هم الذين يوالون اليهود والنصارى، وهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فكيف نريد النجاة ونحن نتبع هؤلاء الضّلال الذين أضلوا الناس على علم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فكان بعض الناس أسلموا على عهد محمد ﷺ، ورضوا بأنفسهم أن يقعدوا تحت ظلال أبي جهل وتحت ظل كفر قريش، وفي أي مكان؟ في خيرة البقاع، في أحب البقاع إلى الله سبحانه وتعالى؛ في مكة المكرمة حيث الركعة بمائة ألف ركعة، أسلموا في قلوبهم واعتقدوا أن الله سبحانه وتعالى هو الإله الخالق الرزاق، واعتقدوا أن محمدًا

ﷺ هو نبي الله، ولكن ماذا بعد ذلك؟ هل ذهبوا وانضموا إلى الجماعة المسلمة؟ أم شدهم وحل الأرض؟ وبطحاء مكة والأهل والعشيرة، هذا شدهم، فلما كان الغزو بين المسلمين والكفار، خرج هؤلاء مكره أخاك لا بطل، خرجوا تحت ضغط قريش خرجوا يُكثرون سواد المشركين وفي قلوبهم حب الله وحب رسوله ﷺ، ولكن هذا الحب لم يبلغ إلى الدرجة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، فخرجوا ما يريدون أن يقاتلوا المسلمين ولكن مكره أخاك لا بطل خرجوا فكثروا السواد، فلما كانت المعركة جاءت بعض السهام في نحور هؤلاء فقتلوا تحت ظل راية الشرك.

فندم بعض الصحابة رضي الله عنهم وقالوا قتلنا إخواننا، فأخذوا يستغفرون وما دروا أن الجرم على أولئك الذين جلسوا وقعدوا تحت ظل الشرك، هذه الحادثة يرويها البخاري رحمه الله في صحيحه عن الصحابة الكرام فأنزل الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات قرآناً يتلى إلى يوم القيامة يبين حال القاعدين تحت ظل الشرك، يبين حال المنتظمين في جماعة غير المسلمين قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾، فالدين لا يقبل من المسلم أن يسلم ويبقى تحت ظل الشرك بل يجب عليه الهجرة للنجاة بدينه وليعبد الله سبحانه وتعالى كما أمر، فما خُلقنا حتى نتمسك بأرض آبائنا وأجدادنا وحيث سقط رؤوسنا، وإنما العلة من خلقنا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، فأرض الله واسعة تهاجر وتسيح فيها من أجل لا إله إلا الله ولتكون كلمة الله هي العليا، وبفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن من الله سبحانه وتعالى على

إخوانكم بالهجرة وبالجهاد في سبيله، أدركنا عصراً كان قد نما وترعرع الخنوع والجبن والهوان في قلوب الصالحين والطالحين، كانوا يخافون مما يسمى بالاتحاد السوفييتي سابقاً، فخرجنا ونحن في أعماركم أو دون ذلك بقليل في عام ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩م خرجنا متوكلين على الله ذلك فضل الله سبحانه وتعالى ما خرجنا نحسب كم عدد القوات السوفييتية كانوا في ذلك الوقت قريبا من ثلاثة ملايين هذا عدد القوات بأفضل الأسلحة أنفقت أمريكا وأروبا وحلف الناتو ٤٥٠ مليار دولار فقط للأسلحة والخنادق والعتاد للدفاع عن أنفسهم خوفاً من الاتحاد السوفييتي، فماذا سيصنع فتيان تركوا مدارسهم وجاؤوا ليقاتلوا الاتحاد السوفييتي الذي تخشاه الأرض بأسرها، ولكن هو السمع والطاعة، قالوا سمعنا وأطعنا هذا أمر الله سبحانه وتعالى، أمرنا بالجهاد فخرجنا نقول سمعنا وأطعنا، ومن قعد عن نصرة لا إله إلا الله فاسق بالكتاب والسنة ومن فُسق بالكتاب والسنة والله الذي لا إله إلا هو لا نعدله قال الله سبحانه وتعالى مُخاطباً المؤمنين مُخاطباً الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا**﴾، هذا تهديد ووعيد من الله سبحانه وتعالى، لمن؟ للخيار رضي الله تعالى عنهم وانتبهوا إلى لفظ أحب، فهم يحبون الله عز وجل ويحبون رسوله ﷺ ويحبون الجهاد ولكن بعض هذه الأصناف الثمانية كانت أحب إلى بعضهم منها، فهؤلاء الذين كتب لهم الصحابة بالآية: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ**﴾، جاؤوا ليخرجوا من مكة فتبعهم أطفالهم وأولادهم وزوجاتهم

وآذاهم بعض قريش عندما أرادوا الهجرة فرجع بعضـــهم ورضـــوا بالفتنة ولا حول ولا قوة إلا بالله....)

ويقول الشـــيخ خبيب الســـوداني -حفظه الله- في "شـــذرات من تاريخ القاعدة":

(جدير بالذكر أن بعض الإخوة كانوا قد اجتمعوا بالشيخ أسامة وانتقدوه على بقائه في الســودان ودعمه لحكومة البشـير بحجة أنهم لا يقيمون الشـريعة وأن هناك الكثير من المظاهر التي تخالف الشريعة ووو..... الخ.

فقال لهم الشيخ أسامة -رحمه الله- جيئوا بخارطة العالم وابحثوا عن بقعة أرض تطبق الإسلام زيادة على ما عليه الحال في السودان واحد بالمئة وأنا أذهب إليها.)

أسامة بن لادن وثورات الشعوب

عنوان هذا المبحث هو مقال للشـــيخ عبد الله خالد العدم –تقبله الله– قال فيه: (منذ أن بزغ فجر التغيير وانتفضت الشعوب العربية على جلاديها من طغاة الحكم الجبري، ووســائل الإعلام وأبواقه المســتأجرة هنا وهناك ما انفكت تحاول جهدها طمس الحقائق وتغيير وجه الحق والإيحاء للعامة من المســلمين أن ما حققته الثورات العربية بســلميتها المزعومة خلال أيام قلائل لم تحققه الحركات الجهادية بعنفها في مسيرة امتدت لأكثر من أربعين عاماً ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الأنفس البريئة!

ونحن لا ننكر أن الذي حققته بعض الشــعوب خلال أســابيع من تغيير شــكلي للسلطة في تونس ومصر –وإن كانت خطوة صحيحة مباركة في التمهيد للقضاء على الحكم الجبري– لم تحققه الحركات الجهادية خلال مسيرتها الطويلة، ولكن المنكر من هذا التضــليل الإعلامي هو إلغاء الدور المحوري والمركزي للحركات الجهادية وشيخها أسامة بن لادن رحمه الله في التأسيس لقيام هذه الثورات المباركة، لقد نسى وتناسى وغفل وتغافل هذا الإعلام بقصد منه عن هذا الدور البيّن لصد عباد الله عن طريق الحق، وتشويه منهج المجاهدين الرباني، والطعن بهذه المسيرة المباركة وصد الناس عن اللحاق بركبها، والإيحاء لعامة الناس أن الطرق الســلمية هي الطرق التي يجب الســير فيها لتحقيق الأهداف والوصــول للغايات، وكأن فرار طاغية تونس وتنحي فرعون مصر جاء بعد أن فُرشت الطرق بالورود والزهور وحَمَل بعضهم شيئاً منها وقدمها على طبق من ذهب لزبانيتهم.!!

ولســـت أدري والله أبلغت الســـذاجة ببعضـــهم هذا الحد ليقولوا الذي يقولون؟! ألم يُقتل المئات ويجرح الآلاف في كلتا الثورتين؟! ألم تحرق جميع مراكز الشـــرطة والمخابرات والأجهزة الأمنية في الدولتين.؟! ألم تشـل حركة الحياة في كلتا الدولتين؟! ألم يحاول الطاغوت وأعوانه كسر إرادة الشعب بكل قوته وجميع حيله، ولكنه فشل وتهاوت عزيمته أمام عزيمة الثوار، ولو لم يكن الجيش في تونس ومصـــر موالياً للغرب النصـراني بحيث يقوم بملء الفراغ عند فرار الرئيس لكان حال تونس ومصـر شـبيهاً بحال جارتهما ليبيا اليوم من قتل وقتال واستعمال سافرٍ للسلاح وانتقال من السلمية المزعومة إلى المواجهات المفتوحة، وتأمل الحال في سوريا تجد ذلك حقاً، ففي سـوريا وليبيا واليمن الطاغوت وأولاده وأقاربه هم السـلطة العسـكرية والسـلطة السـياسـية، وليس في هذه الدول قادة أقوياء ممكّنون موالون تطمئنُّ إليهم أمريكا والغرب ويركنونَ إليهم بحيث يملئون الفراغ في حال تنحي الرئيس هذا مع وجود عوامل أخرى متعددة متعلقة بكل دولةٍ من هذه الدول وإلا لكان الحال أشـبه بقصـتي تونس ومصـر وما رأينا هذا النزيف الهادر من دماء الشـعب الذي سـينتصـر على جلاديه عاجلاً أم آجلاً بعون الله.

إن هذا الهراء الذي تروجه وسائل الإعلام قد ينطلي على الكثير ممن لم يبصر حقيقة المعركة، ولم يدرك بعد طبيعة السنن الكونية، وسنة التدافع بين الحق والباطل، أما من أنار الله بصيرته وأعمل عقله فيدرك هذا الهراء ولا يلتفت إليه.

وعودة لدور الحركات الجهادية وشـيخها أسـامة بن لادن –رحمه الله– في التأسـيس العملي لهذه الثورات.

فمما لا شـــك فيه أن أمة الإســـلام قد تجرعت الذلة والهوان لعقود طويلة خلت، مارس فيها طغاة الحكم الجبري بتأييد غربي نصراني أنواعاً مختلفة من السياسات كان القصد منها تدجين الشعوب المسلمة، وتطويعها للغرب النصراني بحيث لا تفكر إلا بفكره، ولا تنطق إلا بنطقه، ولا تنظر إلا من خلال عينيه، وأصـــاب أمة الإســـلام ومادته الأســـاســـية -العرب- الوهن الذي حذر منه ﷺ هذه الأمة في حديثه: «يُوشِــكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْـعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهَنَ، فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

ولقد كان كما قال ﷺ فقد تداعت الأمم علينا كما تداعت الأكلة إلى قصـــعتها وليس من قلة بل نحن كثير، فما فتئ المسلمون يعدُّون أنفسهم ملياراً ونصف المليار، ولكنه حب الدنيا وكراهية الموت والقتال في سبيل الله.

وفي خضم هذا الضعف الذي أصاب الأمة بزغ فجر الحركات الجهادية، التي لم تأل جهداً في النصح لأمتها، وبيان كفر حكامها، وكشف فسادهم، وتعريتهم وفضحهم على الملأ، ولاقت -ولا تزال تلاقي- في ذات الله ما لاقت، وقدمت في سبيل ذلك الغالي والنفيس، وجادت بأرواحها، وبذلت دماءها، وغُيبت في الســجون لعشــرات السنين تسام سوء العذاب من جلادي طغاة الحكم الجبري، كل ذلك رغبة في إحياء الأمة، وكشـف الغمة، وكسـر صـنم الوهن الذي جثم على صـدور أبناء الأمة عقوداً

طوالاً أقعدها فيها عن الحراك، وحال بينها وبين التضـــحية والفداء حتى غدت نهباً مشاعاً للأمم الكافرة تتناهشها ذئابها ولا بواكي لها.

لقد أدرك أهل الجهاد أهل هداية السُبُل والرشـاد حقيقة الداء الذي أصـاب الأمة، داء الوهن, داء حب الدنيا وكراهية الموت، فخاضـــوا غمار معركة القضـــاء عليه، وانتزاعه من قلوب المســلمين، لأنه الحائل بينهم وبين الوظيفة التي شـــاءها الله لهذه الأمة، واختارها لها من بين الأمم لحمل أعبائها، واســـتطاعوا عبر جهادهم الطويل وغزواتهم البطولية التي توجوها بغزوة واشـــنطن ومانهاتن، وما تبع تلك الغزوة من حروب شـنها العدو الصـليبي على أمة الإسـلام، أن يجيشـوا المسـلمين، ويشـحذوا هممهم، ويكســـروا حاجز الخوف وداء الوهن الذي حال بين الأمة وبين الانتفاض على الذلة والمهانة.

إن تحدي المجاهدين لأعتى قوة غاشمة عرفتها البشــرية الولايات المتحدة الأمريكية –ربِّ جبابرة الحكم الجبري– والتنكيل بها ووقوفها عاجزة لا تلوي على شـــيء قد سـاهم بشـكل أسـاسـي في إعادة الثقة إلى نفوس المسـلمين، وأظهر لهم ضـعف الأنظمة المرتدة الجاثمة على صـــدورهم، وبالتالي كان هذا التحدي خطوة مســاعدة باتجاه القضاء على الوهن داء الأمة الدفين. وكأني بلسان حال الأمة يقول: إذا كان هذا حال آلهتهم فكيف يكون حال عبيدها؟!

وكما كان لتحدي الولايات المتحدة وإعلان الحرب عليها دور في التأســيس لهذه الثورات، فقد كان لدماء المجاهدين وخطابات قادتهم المخضــبة بالدماء دورٌ أكبر في التأسـيس لهذه الثورات وذلك عبر إعادة صـياغة العقل العربي من جديد، وإرسـاء

دعائم فكر آخر متحرر من رواسب الماضي، وزرع لثقافة جديدة لم تكن في جيل آبائهم، ثقافة التضحية بالغالي والنفيس، والجود بالأرواح، وبذل الدماء، وبذلك تهيأت الشعوب تدريجياً للانقلاب على جلاديها، والثورة على زبانيتها، بعد أن نزعت وتغلبت على داء هذه الأمة في هذا العصر ألا وهو داء الوهن الذي أوصلها إلى ما أوصلها من ذلة ومهانة وتسلط لم تشهد له مثيلاً على مرِّ تاريخها.

هذا هو التحدي الذي كان على المجاهدين أن يجتازوه للوصول بالأمة إلى تلك اللحظة التي تنقلب فيها على جلاديها، وبتوفيق من الله وصلوا إلى الهدف الذي أرادوه بعد تضحيات السنين، ودمروا سلطان الوهن حب الدنيا وكراهية الموت الذي حال بين الأمة وبين ما ترجوه من عز وكرامة وتمكين قادم بعون الله.

لقد انتفضت الشعوب ليس على جلاديها فحسب بل على الوهن الذي أوصلها لما وصلت إليه من حال لا تحسد عليه، فكان لزاماً على المجاهدين أن يخوضوا معركة نزعه وينتصروا فيها وقد كان بفضل الله.

وإن هذا النصر الذي تحقق بالقضاء على داء الوهن ليس يعني فقط التخلص من طواغيت الحكم الجبري وحسب بل هو خطوة على طريق الخلافة الراشدة التي بشر بها الحبيب المصطفى ﷺ في أحاديثه، وهي لا شك سوف تتبع نهاية هؤلاء الطواغيت ولو بعد حينٍ

لقد قضى شيخنا أسامة -رحمه الله شهيداً كما نحسبه- بعد أن بلغ رسالته وأدى أمانته ونصح أمته ... قضى وقد قرت عينه بنزع الوهن من صدور الأمة ...

قضى -رحمه الله- وقد نفضت أمته عن كاهليها غبار الذلة والمهانة وأبصرت طريق الحق طريق الخلاص من الظالمين ... قضى -رحمه الله- وأمته على أبواب موعود الله بخلافة راشدة على منهاج النبوة تتبع نهاية الملك الجبري ولا شك، ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريبا..)

وخير ما يشهد لصحة وصدق ما ذكره الشيخ عبد الله العدم -رحمه الله- كلمة الشيخ الإمام المجدد ما بداية ثورات الربيع العربي والتي نصها: (إنّ الحمدَ لِلّه نَحمَدُهُ، ونستَعِينُه، ونستغفِرُهُ، ونعُوذُ باللّه مِن شُرُورِ أنفُسِنَا وَسيّئاتِ أعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لهُ، وَمَن يُضلِل فلَا هَادِي لَه.

وَأَشهَدُ أَن لا إِلَه إِلّا اللهَ وَحدهُ لا شَريكَ لهُ، وَأَشهَدُ أَنّ مُحَمّدًا عبدُهُ وَرسُولُه.
أَمّا بعد:

أُمّتي المسلِمَة، نراقبُ معكِ هذا الحدث التاريخيّ العظيم، ونشاركُكِ الفرحةَ والسرورَ والبهجةَ والحبور، نفرحُ لِفرحكِ وَنترحُ لِتَرَحكِ، فهَنِيئًا لكِ انتصَارَاتُك، ورَحِمَ اللهُ شهداءَكِ، وعَافَى جرحَاكِ، وفرّجَ عن أسرَاكِ.
وَبَعدُ:

هَلّت بِمَجدِ بَنِي الإِسلامِ أَيّـامُ   وَاختَفَى عَن بِلَادِ العُربِ حُكّامُ
طَوت عُروشٌ حَتّى جَاءَنَا خَبَرٌ   فِيـهِ مَخَايِلُ لِلبُشـرَى وَأَعلَامُ

طَالما يَمّمَت الأُمّةُ وجههَا ترقُبُ النّصرَ الذي لاحَت بشَائرُه منَ المشرِق، فإِذَا بشمسِ الثّورَةِ تطلعُ من المغرِب، أضَاءت الثّورةُ مِن تُونُس، فأنِسَت بهَا الأُمّة، وأشرقَت وجُوه

الشّعوبِ، وشَرقَت حناجِرُ الحكّام، وارتَاعَت يهُود لِقُربِ الوعُود، فبِإسقَاطِ الطّاغِيةِ سَقَطَت مَعانِي الذّلَّةِ والخُنوعِ والخَوفِ والإحجَام، ونَهَضَت مَعَانِي الحُرّيّة وَالعِزّةِ والجُرأةِ والإِقدَام، فَهَبّت رِياحُ التّغييرِ رَغبَةً فِي التّحرِير، وكَانَ لتُونُسَ قَصَبُ السَّبقِ، وبسرعَةِ البَرقِ أَخذَ فُرسَانُ الكنَانَةِ قَبَسًا مِن أَحرَارِ تُونُسَ إِلَى ميدَانِ التّحرير، فانطلَقَت ثَورةٌ عظيمةٌ، وَأَيُّ ثَورَة!

ثَورَةٌ مَصِيرِيّةٌ لمِصرَ كلِّها وَللأُمّة بِأسرِها إِن اعتصَمَت بِحَبلِ رَبّها، وَلم تَكُن هذِهِ الثّورَة ثَورَةَ طَعَامٍ وكِسَاء، وإِنّمَا ثَورَةُ عِزٍّ وَإِبَاء، ثَورَةُ بَذلٍ وَعطَاء، أضَاءَت حَواضِرَ النّيلِ وَقُرَاه مِن أَدنَاه إِلَى أَعلَاه، فَتَراءَت لِفتيَانِ الإِسلَامِ أَمجَادُهُم، وَحَنّت نُفُوسُهم لِعَهدِ أَجدَادِهم، فَاقتَبَسُوا مِن مَيدَانِ التّحرِيرِ فِي القَاهِرَةِ شُعَلاً لِيَقهرُوا بِهَا الأَنظِمَةَ الجَائِرَة، وَوَقَفُوا فِي وَجهِ البَاطِلِ وَرَفَعُوا قَبضَاتهم ضِدّه، وَلم يَهَابُوا جُندَه، وَتَعَاهَدُوا فَوثّقُوا المعَاهَدَة، فَالهِمَمُ صَامِدَةٌ، وَالسّواعِدُ مُسَاعِدَةٌ، والثّورَةُ وَاعِدَة.

فإِلَى أُولئِك الثّوارِ الأَحرَارِ فِي جَمِيعِ الأَقطَار:

تَمَسّكُوا بِزِمَامِ المبَادَرَةِ، وَاحذَرُوا المحَاوَرَةَ؛ فَلَا التِقَاءَ فِي مُنتَصَفِ السّبِيلِ بَينَ أَهلِ الحَقّ وَأَهلِ التّضلِيل، حَاشَا، وَكَلّا.

وتَذَكَّرُوا أنّ اللهَ قد مَنّ عَلَيكُم بِأَيّامٍ لهَا مَا بعدَهَا، أَنتُم فُرسَانُها وَقَادَتُها، وَبِأيدِيكُم لِجَامُها وَرِيادَتها، ادّخَرَتكُم الأُمّةُ لِهَذَا الحَدَث الجَلَل، فأَتِمّوا المسِيرَ وَلَا تَهابُوا العَسِيرَ.

بَدَأَ المسَيرُ إِلَى الهَدَف وَالحُرُّ فِي عَزمٍ زَحَفْ
وَالحُرُّ إِن بَدَأَ المسِيرَ فَلَن يَكِلّ وَلَن يَقِفْ

فَلَن يَقِفَ حَتّى تَتَحَقَّقَ الأَهدَافُ المنشُـــودَةُ، وَالآمَالُ المعقُودَةُ -بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى- فَثَورَتُكُم هِيَ قُطبُ الرَّحَى، وَموضِعُ آمَالِ المكلُومِينَ وَالجرحَى، فَقَد فَرّجتُم عَن الأُمّةِ كُرَبًا عَظِيمَةً -فرّج اللهُ كُرَبَكُم- وَتُحَقّقُونَ آمَالاً كَبِيرَةً -حقّقَ اللهُ آمَالَكَم-.

وَقَفَ السّبِيلُ بِكُم كَوقفَةِ طَارِقٍ اليَأسُ خَلفٌ وَالرَّجَاءُ أَمَامُ
وَتُـرَدُّ بِالـدّمِ عِـزّةٌ أُخِـذَت بِـهِ وَيَمُوتُ دُونَ عَرِينِهِ الضّرغَامُ
مَن يَبذِلِ الرُّوحَ الكَـرِيمَ لِـربّـهِ دَفعًا لِبَاطِلِهِم فَكَيفَ يُلَامُ

فَيَا أَبنَاءَ أُمّتِي المسلِمَة:

أَمَامَكُم مُفتَرَقُ طُرُقٍ خَطِير، وَفُرصَـــةٌ تَارِيخِيّةٌ عَظِيمَةٌ نَادِرَةٌ لِلنُهُوضِ بِالأُمّةِ، وَالتّحَرُّر مِنَ العُبُودِيَّةِ لِأَهوَاءِ الحُكّامِ، وَالقَوَانِين الوَضعِيّةِ، وَالهيَمنَةِ الغَربِيّةِ.

فَمِنَ الإِثمِ العَظِيمِ وَالجَهلِ الكَبِيرِ أَن تَضِيعَ هَذِهِ الفُرصَـةُ الّتِي تَنتَظِرُهَا الأُمّةُ مُنذ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ، فَاغتَنِمُوهَا وَحَطّمُوا الأَصنَامَ وَالأَوثَانَ، وَأَقِيمُوا العَدلَ وَالإِيمَان.

وَفِي هَذَا المقَام أُذَكّرُ الصّـادِقِينَ بِأَنّ تَأسِـيسَ مَجلِسٍ لِتَقدِيمِ الرّأيِ وَالمشُـورَةِ لِلشُّـعُوبِ المسـلِمَةِ فِي جَمِيعِ المحَاوِرِ المهِمّةِ وَاجِبٌ شَـرعِيّ، وَآكَدُ مَا يَكُونُ عَلَى بَعضِ الغيُورِينَ الّذِينَ قَد نَصَحُوا مُبَكرًا بِضَرُورَةِ استِئصَالِ هَذِهِ الأَنظِمَةِ الظَّالِمَة، وَلَهُم ثِقَةٌ وَاسِعَةٌ بَينَ جَمَاهِير المسـلِمِينَ، فَعَلَيهِم البدءُ بِهَذَا المشـرُوعِ وَالإِعلَانُ عَنهُ سَـرِيعًا بَعِيدًا عَن هَيمَنَةِ الحُكّامِ المسـتَبِدّينَ، وَإِنشَـاءُ غُرفَةِ عَمَلِيّاتٍ مُوَاكِبَةٍ لِلأَحدَاثِ لِلعَمَلِ بِخُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ تَشـمَلُ جَمِيعَ حَاجَاتِ الأُمّةِ مَعَ الاِسـتِفَادَةِ مِن مُقتَرَحَاتِ أُولِي النُّهَى فِي هَذِهِ الأُمَّة، وَالِاسـتِعَانَة بِمَرَاكِزِ الأَبحَاثِ المؤَهَّلَة، وَأُولِي الأَلبَابِ مِن أَهلِ المعرِفَةِ لِإِنقَاذِ الشُّـعُوبِ

الّتِي تُكَافِحُ لإِسقَاطِ طُغَاتِها، وَيَتَعَرّضُ أَبنَاؤُهَا لِلقَتلِ، وَتوجِيهِ الشُّعُوبِ الّتِي أَسقَطَت الحَاكِمَ وبَعضَ أَركَانِهِ بِالخُطواتِ المطلُوبَةِ لِحِمَايَةِ الثّورَةِ وَتَحقِيقِ أَهدَافِهَا.

وَكَذَلِكَ التّعَاوُنُ مَعَ الشُّعُوبِ الّتِي لم تَنطَلِق ثورَاتها بَعدُ، لِتَحدِيدِ سَاعَةِ الصِّفرِ وَمَا يَلزَمُ قَبلَهَا، فَالتّأَخُّرُ يُعَرِّضُ الفُرصَةَ لِلضّيَاعِ، وَالتَّقَدُّمُ قَبلَ أَوَانِهِ يَزِيدُ مِن عَدَدِ الضّحَايَا، وَأَحسبُ أَنَّ رِيَاحَ التّغييرِ سَتَعُمُّ العَالَمَ الإِسلَامِيّ بِأَسرِهِ –بِإِذنِ اللهِ– فَينبَغِي عَلَى الشّبَابِ أن يُعِدُّوا لِلأَمرِ مَا يَلزَمُ، وَأَن لَا يَقطَعُوا أَمرًا قَبلَ مَشُورَةِ أَهلِ الخِبرَةِ الصّادِقِينَ المبتَعِدِينَ عَن أَنصَافِ الحُلُولِ وَمُدَاهَنَةِ الظّالِمين، وَقَد قِيلَ:

الرَأيُ قَبلَ شَجَاعَةِ الشُجعَانِ   هُوَ أَوّلٌ وَهِيَ المحلُّ الثّانِي

أُمّتِي المسلِمَة؛

لَقَد شَهِدْتِ قَبلَ بِضعَةِ عُقُودِ ثَورَاتٍ عَدِيدَة، فَرِحَ النّاسُ بِهَا ثُمّ مَا لَبِثُوا أَن ذَاقُوا وَيلَاتها، فَالسّبِيلُ لِحِفظِ الأُمّةِ وَثَورَاتِها اليَومَ مِنَ الضّلَالِ وَالظُّلمِ هُوَ بِالاِنطِلَاقِ فِي ثَورَةِ الوَعيِ وَتَصحِيح المفَاهِيمِ فِي شَتّى المجَالَاتِ وَلَا سِيّمَا الأَسَاسِيّةِ، وَأَهَمّهَا رُكنُ الإِسلَامِ الأَوّل، وَمِن خَيرِ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ كِتَابُ: "مَفَاهِيمُ يَنبَغِي أَن تُصَحَّح" لِلشَيخِ: "مُحَمّد قُطب".

فَضَعفُ الوَعيِ عِندَ كَثِيرٍ مِن أَبنَاءِ الأُمّةِ النَاتِجُ عَن الثّقَافَةِ الخَاطِئَةِ الّتِي يَبُثّهَا الحُكّامُ مُنذُ عُقُودٍ بَعِيدَةٍ هُوَ المصِيبَةُ الكُبرى، وَمَا مَصَائِبُ الأُمّةِ الأُخرَى إِلّا ثَمَرَةٌ مِن ثَمَرَاتِهَا المرّة، فَثَقَافَةُ الذُّلّ وَالهَوَانِ وَالخُنُوع، وَتَكرِيسِ الطَّاعَةِ المطلَقَةِ لِلحُكّامِ –وَتِلكَ عِبَادَةٌ لَهُم مِن دُونِ الله– وَالتّنَازُل عَن أَهَمّ الحُقُوقِ الدِّينِيّةِ وَالدّنيَوِيّةِ لَهُم، وَجَعلِ القِيَمِ

وَالمبَادِئِ وَالأَشخَاصِ تَدُورُ فِي فَلَكِهِم، فَتُفقِدُ الإِنسَانَ إِنسَانِيّته، وَتَجعَلهُ يركضُ وَرَاءَ الحَاكِمِ وَإِرَادَتِه، دُونَ إِدرَاكٍ أَو تَبَصّر فيُصبِح إِمّعَة؛ إِن أَحسَنَ النّاسُ أَحسَن، وَإِن أَسَاؤُوا أَسَاء، مِمّا يَجعَلهُ كَسِلعَةٍ مِن سَقطِ المتَاعِ، يَفعَلُ بِهَا الحَاكِمُ مَا يَشَاء، وَهَؤُلاءِ هُم ضَحَايَا الظّلمِ وَالاِستِبدَادِ فِي بِلَادِنَا، الّذِينَ أَخرَجَهُم الحُكّامُ لِيَهتِفُوا بِاسمِهِم، وَيَقِفُوا فِي خَندَقِهِم، وَقَد سَعَى الحُكامُ لِيَتَخَلّى النّاسُ عَن أَهَمّ حُقُوقِهِم الّتِي آتَاهُم اللهُ إِيّاهَا، فَعَطّلُوا عُقُولَ الأُمّةِ، وَهمّشُوا دَورَهَا فِي الشّؤُونِ العَامّةِ المهِمّةِ عَبرَ تَضَافُرِ جُهُودِ مُؤَسّسَاتِ الدّولَةِ الدّينِيّةِ وّالإِعلاَمِيّةِ لِإِصبَاغِ الشَّرعِيّةِ عَلَيهِم، فَسَحَرُوا أَعيُنَ النَّاسِ وإِرَادَاتِهم وَعُقُولَهُم، وَرَوّجُوا لِصَنَمِيّةِ الحَاكِمِ، وَأَسّسُوا لَهَا زُورًا وَبُهتَانًا بِاسمِ الدّين، وَكَذَلِكَ بِاسمِ الوَطَن، لِيَحتَرِمَهَا النّاسُ وَلِيَغرِسُوهَا فِي النّفُوس، لِيُقَدّسَهَا الكِبَارُ، وَلَم يَسلَم مِنهَا الصّغَارُ، الّذِينَ هُم أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا، وَقَد وُلِدُوا عَلَى الفِطرَةِ فَاغتَالُوا فِطرَتَهُم بِلَا ضَمِيرٍ وَلَا رَحمَة، فَهَرِمَ عَلَى ذَلِكَ الكَبِيرُ، وَشَبّ عَلِيهِ الصّغِيرُ، فَازدَادَ الطُّغَاةُ طُغيَانًا، وَالمستَضعَفون استِضعَافًا، فَمَاذَا تَنتَظِرُون؟!

فَأَنقِذُوا أَنفُسَكُم وَأَطفَالَكُم فَالفُرصَةُ سَانِحَةٌ، خَاصّة بَعدَ أَن تحَمّل فِتيَانُ الأُمَّةِ عِبءَ الثّورَاتِ وَمصَابهَا، وَرصَاصَ الطُّغَاةِ وَعَذَابهَا، فَمَهَّدُوا الطّرِيقَ بِتَضحِيَاتِهِم، وَأَقَامُوا جِسرَ الحُرِيّةِ بِدِمَائِهِم، فِتيَةٌ فِي مُقتَبَلِ العُمرِ، طَلّقُوا دُنيَا الذّلّ وَالقَهرِ، وَخَطَبُوا العِزَّةَ أَو القَبر، فَهل يَعِي الحُكّامُ أَنَّ الشَّعبَ قَد خَرَجَ وَلَن يَعُودَ حَتّى يُحَقّقَ الوُعُودَ بِإِذنِ اللهِ تَعَالَى.

وَخِتَامًا؛ إِنَّ الظُّلمَ العَظِيمَ فِي بِلَادِنَا قَد بَلَغَ مَبلَغًا كَبِيرًا، وَتَأَخّرنَا كَثِيرًا فِي إِنكَارِهِ وَتَغيِيرِه، فَمَن بَدَأَ فَليُتِمَّ –نَصَرَهُ اللهُ– وَمَن لمَ يَبدَأ فَلْيُعِدّ لِلأَمرِ عُدَّتَه، وَتَدَبَّرُوا الحَدِيث

الصّـحِيحِ عَن رَسُـولِ اللهِ ﷺ حَيثُ قَالَ: «مَا مِن نبيٍّ بعثهُ اللهُ فِي أمّةٍ قبلِي إلّا كَانَ لَهُ مِن أمّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأصـحَابٌ يأخُذُونَ بِسُـنّتِهِ ويَتَقَيّدُونَ بِأمرِهِ، ثُمَّ إِنّهَا تَخلُفُ من بعدِهِم خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يفعَلُونَ، ويَفعَلُونَ مَا لَا يُؤمَرُونَ، فَمَن جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِلِسَانِه فَهُو مُؤمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبّةُ خَردَلٍ».

وَقَالَ أَيضًا: «سيّدُ الشّهدَاءِ حَمزَةُ بنُ عَبدِ المطّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ».

فَهَنِيئًا لِمَن خَرَجَ بِهَذِهِ النيّةِ العَظِيمَةِ، فَإِن قُتِلَ فَسَيّدُ الشُّهَدَاءِ، وَإِن عَاشَ فَبِعِزٍّ وَإِبَاء، فَانصُرُوا الحَقَّ وَلَا تُبَالُوا.

فَقَولُ الحَقّ لِلطَّاغِي   هُوَ العِزُّ هُوَ البُشرَى
هُوَ الدَّربُ إِلَى الدُّنيَا   هُوَ الدَّربُ إِلَى الأُخرَى
فَإِن شِئتَ فَمُت عَبدًا   وَإِن شِئتَ فَمُت حُرًّا

اللّهُمّ افتَح عَلَى القَائِمينَ بِنُصرَةِ دِينِكَ فَتحًا مُبِينًا، وارزُقهُم صَبرًا وَسَدَادًا وَيَقِينًا.

اللّهُمّ أَبرِم لِهَذِهِ الأُمَّةِ أَمرَ رُشدٍ؛ يُعَزُّ فِيهِ أَهلُ طَاعَتِكَ، وَيُذَلُّ فِيهِ أَهلُ مَعصِيَتِكَ.

وَيُؤمَرُ فِيهِ بِالمعرُوفِ، وَيُنهَى عَنِ المنكَرِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
اللّهُمّ قَوّ ضَعفَنَا، وَاجبُر كَسرَنَا، وَثَبّت أَقدَامَنَا.

اللهُمّ عَلَيكَ بِأَئِمَةِ الظُّلمِ المَحليين وَالدولِيينَ وَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ.

وَآخِرُ دَعوَانَا أَنِ الحَمدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ.)

المفهوم والنظرة الشاملة
للدعوة والجهاد والإصلاح

يتبين لنا من المباحث والعناوين السابقة أن مفهوم الجهاد والصراع بين الحق والباطل عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- مفهوم ونظرة شاملة تشمل كافة جوانب الصراع العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية وغير ذلك.. تبدأ بصراع العقائد والأفكار وصراع الاعتصام بحبل الله وتنطلق منهما إلى مختلف المجالات بما تقضيه المرحلة.. فالصراع بين أهل الحق وأهل الباطل صراع شامل دائم مستمر ما دامت الروح في الجسد..

فالمعركة بين الحق والباطل هي معركة وجود وبقاء ولن يتحقق ذلك إلا لمن أخذ هذا الجهاد من جميع جوانبه مع مراعاة فقه الأولويات والقدرة الاستطاعة والإعداد وفي ذلك يقول الإمام المجدد -رحمه الله- في "رسالة إلى الأمة الإسلامية": (وخلاصة القول:

إنَّ غياب الفهم الشاملِ لدينِ اللهِ كمنهجٍ لجميع شؤون الحياة، بما في ذلك منهج الإسلامِ في محاسبة الحُكَّام، لأنَّه باستقامتهم على المنهج -على دين الله تعالى- تستقيم أمور البلاد والعباد، فغياب هذا الفهم من أكبر مواطن الخلل في حياة الأمَّة اليوم، فيجب أن نَعِي هذه المسألة وعيًا تامًّا ونفقهها ونحن نبدأ مسيرة الإصلاح اليوم لنسير على الصراط المستقيم بإذن الله تعالى، ولا نذهب في التيه لقرنٍ آخر من الزمان، ومن الكتب المفيدة في ذلك والتي شرحت الآية الكريمة السابقة؛ كتابُ

"الإيمان" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وكتابُ "فتح المجيد" للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله تعالى، وكتاب "مفاهيم ينبغي أن تصحح" للشيخ محمد قطب.

وهكذا؛ ظهر أنَّ الحكَّام عاجزين وخائنين، وأنَّهم لم يسيروا على منهج الإسلام القويم، بل ساروا وفق أهوائهم وشهواتهم، وهذا هو سبب الانتكاسات في مسيرة الأمَّة خلال العقود الماضية، وبالتالي يتَّضحُ لنا جليًّا أنَّ الحلَّ يكمنُ في التمسُّكِ بدين الله تعالى الذي أعزَّنا الله به خلال القرون الماضية، وتنصيبِ قيادةٍ قويةٍ أمينة تقيم القرآن فينا وترفعُ رايةَ الجهاد حقًّا.)

وقال -رحمه الله- في كلمته الأخيرة "كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمّته المسلمة": (أُمّتِي المسلِمَة؛ لَقَد شَهِدْتِ قَبلَ بِضعَةِ عُقُودِ ثَورَاتٍ عَدِيدَة، فَرِحَ النّاسُ بِهَا ثُمّ مَا لَبِثُوا أَنّ ذَاقُوا وَيلَاتهَا، فَالسّبِيلُ لِحِفظِ الأُمَّةِ وَثَورَاتِهَا اليَومَ مِنَ الضّلَالِ وَالظُّلمِ هُوَ بِالاِنطِلَاقِ فِي ثَورَةِ الوَعيِ وَتَصحِيح المَفَاهِيمِ فِي شَتّى المجَالَاتِ وَلَا سِيّمَا الأَسَاسِيّةِ، وَأَهَمّهَا رُكنُ الإِسلَامِ الأَوّل، وَمِن خَيرِ مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ كِتَابُ: "مَفَاهِيمُ يَنبَغِي أَن تُصَحَّح" لِلشَيخِ: "مُحَمّد قُطب".)

وفي بيان أهمية هذا الأمر يحسن بنا هنا أن نذكر قول الدكتور أيمن الظواهري في "سلسلة الربيع الإسلامي": (إخواني مجاهدي الإسلام في كل قطر وبلد، ومن كل جماعة وطائفة، إن معركتنا في الشام ومصر بوابتي بيت المقدس عبر التاريخ، معركة واسعة وشاملة؛ فهي معركة بالجهاد المسلح لكف بأس الأنظمة المرتدة،

والحلف الصـــليبي الرافضـــي الذي يدعمها. وهي معركة يجب على الأمة أن تدعمها بالرجال والمال والعتاد والخبرة والدعاء.

وهي معركة بجهاد الدعوة لبيان أن الجهاد المقبول الذي شـرعه الإسـلام هو لإعلاء كلمة الله، لا للتمكين لأنظمة علمانية وطنية، قال الله -ســبحانه وتعالى-: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾. ويقول النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

وهي معركة بالجهاد الســياســي لنقنع الأمة أن ســلوكنا يتفق مع ما ندعو إليه ولا يناقضــه، ولا ينفّر الشـعوب المسـلمة من المجاهدين، فعلينا أن نرتقي بسـلوكنا لنقنع شعوبنا المسلمة بأننا حقًا حريصون على التحاكم للشريعة إذا دعينا إليها، وأننا نفي بعهودنا، وأننا لا نعتدي على حرمات المســلمين، ولا نغلو في التكفير، وأننا أرحم الناس بشـعوبنا، وأننا لا نسـعى للتسـلط على المسـلمين، بل نريد للأمة أن تختار إمامها بالشـورى والرضـى، لنعيد الخلافة على منهاج النبوة، وسـنة الخلفاء الراشـدين المهديين -رضي الله عنهم-.

وهي أيضًـا معركة بالجهاد السياسي لنبيّن لشعوبنا أن هناك من الجماعات المنتسبة للعمل الإسلامي من أمثال الإخوان المسلمين والسـلفيين السيسيين والغنوشيين من قادوها لخســارة الدين والدنيا، وتحالفوا ضـدها مع أعداء الإســلام وأعداء الأمة من العسكر العلمانيين والساسة الفاسدين، وزيّنوا صورتهم الشوهاء، ومنحوهم الحصانة، ومكّنوا المجرمين من أمثال السيسي ومحمد إبراهيم والباجي قائد السبسي من التسلط

على رقاب المسلمين، والتزموا باتفاقات الاستسلام مع إسرائيل، فقد علموا أن ثمن الوصول للسلطة هو القبول بالدساتير العلمانية وقبول الاستسلام لإسرائيل.

ولكي نجنب فلسطين هذه المناهج المنحرفة، فعلى أهل التقوى والجهاد والتوحيد فيها أن يحشدوا أهلنا في فلسطين حول كلمة التوحيد، وأن يدعوهم لئن يكون جهادهم لإعلاء كلمة الله، وينبذوا باعة فلسطين، ويدعوهم للتمسك بحاكمية الشريعة العليا فوق كل قانون ودستور وهوى وأغلبية، ويحرّضوهم على نبذ المناهج الفاسدة التي أدّت لخسارة الدين والدنيا، ومصر وتونس ومن قبلهما الجزائر خير مثال.)

الحفاظ على ثمرات الجهاد

إن الحفاظ على ثمرات ومكاسب الجهاد والحرص على دماء الشهداء وتضحيات أبناء الإسلام في مراحل الصراع من أهم الأعمال والتوجيهات التي حرص عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- عليها في دعوته وكلماته وتوجيهاته فقد جاء في "البلاغ تحاور: قائد المجاهدين العرب أسامة بن لادن": (نريد أن نتصور كيفية الحفاظ على ثمرة الجهاد وسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها الأعداء لمنع إقامة حكم إسلامي في أفغانستان؟

أسامة ابن لادن: الأعداء كثر، وها نحن نرى بوضوح اهتمام أكبر قوى الكفر في العالم وتدخلها بشكل أو بآخر بالقضية الأفغانية، عن طريق الهيئات الطبية والصحفية والمساعدات وعقدها للاجتماعات في بيشاور وفي غيرها من دول الكفر كجنيف وغيرها، فنجد اهتمام الكفار بهذا الحدث شيء عظيم جداً، وأولى الناس بهذا الاهتمام هم المسلمون، وإن كان الذي يشيعه الأعداء بأن الأمريكان هم وراء المسألة هذه، وإذاً فالمسألة خسرانة!!!... إذا هل نترك إخواننا؟ هذا لا يجوز لنا.

وقد اجتمع مجلس قيادة الأركان الباكستاني عند دخول الروس إلى أفغانستان وحللوا الأمر سياسياً كما يحدثني من أثق به وهو أخ عسكري كان يدرس في باكستان وعلم بهذا الاجتماع، يقول اجتمعوا وقالوا: (كم تظنون أن الشعب الأفغاني يمكنه أن يقاوم التدخل الروسي؟) وكانوا قلقين لأن الشيوعية قد التفت عليهم في الهند من شرقهم وشمالهم وتكاد تلتف عليهم من غربهم في أفغانستان، فمنهم من قال: (يمكن

أن يقاوم أسبوعاً)، ومنهم من قال: (أسبوعين)، وأكثرهم تفاؤلاً قال: (ممكن أن يقاوم شهرين)، فبعض الناس يحكم بهذا الحكم الخاطئ ويقول: ما دام الأفغان لا يستطيعون مقاومة الروس فلماذا أذهب أنا لنصرة المجاهدين؟

هذا كلام خاطئ طبعاً وهو من تلبيس الشيطان على الناس، فمن فضل الله استمر الجهاد "٩" سنوات حتى أخرجوا الروس، وهنا تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة، فمنذ أن دخل الروس إلى أفغانستان كان مقرراً خلال فترة وجيزة أن تنتهي المقاومة ويصلوا إلى بحر العرب، وقد قطعْت المسافة بالسيارة في إقليم بلوشستان من "كويتا" إلى "گوادر" التي هي ميناء باكستاني على بحر العرب في بلوشستان، صدِّق يا أخي.. منذ أن خرجْتُ من "كويتا"، ما مررت بقرية ولا مدينة خلال ثلاثة أيام من السير المتواصل إلا والأعلام الحمراء الشيوعية مرتفعة على معظم تلك المناطق وفوق البيوت وعلى مقر المدارس الحكومية تقريباً، والسلطة هناك حزب شيوعي بلوشي وهم يحتفلون في كل سنة بتاريخ "٢٧ ديسمبر" بمناسبة دخول الروس إلى أفغانستان.

وعندما تدخل دواوين "مشايخ" القبائل تجد صور لينين وماركس معلقة في صدور مجالسهم، بل وتعقد الندوات التي يطالبون بها بالاستقلال عن باكستان والدخول تحت حكم أفغانستان وروسيا، فالأمر كان مخططاً له أن يصلوا من موسكو بسيارات الشحن إلى بحر العرب، لأن روسيا دولة ضخمة جداً لكنها لا تملك الموانئ البحرية الكافية وليس لهم ميناء حر إلا ميناءاً واحداً يعمل ما يقارب شهر في السنة وهو الذي في جهة سيبيريا -عندما يذوب الثلج في الصيف- أما الموانئ الأخرى فهي تحت مراقبة الحلف الاطلنطي والقوات الغربية، ولابد من مرور السفن

من مضيق البسفور الذي يبلغ عرضه كيلو ونصف، فإذا حصل قتال بين المعسكرين الشرقي والغربي كما يقولون فهذا المضيق ممكن أن يسد عليهم، ولابد من سماح تركيا لهم بالعبور منه، وخلاصة الأمر أن هدفهم ومخططهم كان الوصول إلى بحر العرب، ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى ثم قيام الجهاد في أفغانستان حال دون وصولهم إلى هدفهم الاستراتيجي، فالأمر خطير جداً على الدول العربية خاصة في منطقة الجزيرة لأن وصول لروس إلى بحر العرب معناه وصولهم إلى مضيق هرمز وسيطرتهم عليه وهم أصلاً يسيطرون على مضيق باب المندب فهم يخططون -ونحن ولا حول ولا قوة إلا بالله- نضع العقبات أمام شباب العالم الإسلامي ولا نعطيهم الفرصة للتشبه بصحابة رسول الله ﷺ، الذين لم يتركوا لأعداء الدين أي سبيل لغزوهم وتدمير قوتهم فأقول بأن القلق على الجهاد الأفغاني يجب أن لا يغيب عن خاطرنا، ولكن ليس هو المطلوب فقط بل يترتب عليه واجب نصرتهم، ولا يستقل المؤمن شيئاً من المعروف ولو كان شق تمرة، فنحن في غفلة عظيمة عن واجبنا.

وأخص أيضاً طلاب العلم والجماعات الإسلامية والعلماء الذين ساهموا بشيء يسير جداً، فمعظم الذين جاؤوا هم شباب على الفطرة من عامة أقطار العالم الإسلامي خرجوا لنصرة دينهم، لم يتأولوا الأمور ويأخذوا بالتحليلات العسكرية والسياسية ويبرروا لأنفسهم القعود، فالواحد منهم في نظرنا لا يعد له أي قائد من قادة الجيوش في الدول.

هذا هو واجبنا نحو إخواننا، فإذا قمنا بواجبنا بالقتال والتحريض عليه فالله سبحانه وتعالى يكف بأس الكفار، أخبر بذلك نبيه ﷺ حيث يقول: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ**

اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾.)

وقال -رحمه الله- في "السبيل لإحباط المؤامرات": (حديثي هذا إليكم عن المؤامرات التي يحيكُها التحالف الصـــهيوني الصـــليبي بقيادة أمريكا بالتعاون مع وكلائها في المنطقة لسـرقة ثمرة الجهاد المبارك في أرض الرافدين، وما الواجب علينا لإفســاد هذه المؤامرات.

لا يخفى عليكم أن أمريكا ما فتئت تسعى بشتى السُّبل العسكرية والسياسية لتثبيت قواتها في العراق، ولما أيقنت بعجزها العســكري زادت من نشــاطها الســياســي والإعلامي لمخادعة المسلمين، وكان من كيدها السعي لإغواء العشائر بشراء ذممهم، لتكوين مجالس الضـرار تحت مسـمى "الصـحوات" كما زعموا، فامتنعت عن ذلك عشــائرُ كثيرةٌ حرة أبية، أبت أن تبيع دينها أو تُدنس شــرفها، أرجو الله أن يثبتهم على الحق ويجعلهم ذُخراً لنصرة الإسلام وأن يبارك لهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وجزاهم الله خيراً.

بينما استجاب بعض ضعاف النفوس، كان منهم الضـال المضـل عبد السـتار أبو ريشـة وبعض ذويه، فهؤلاء خانوا الملة والأمة، وجَرُّوا على أنفسـهم ومن تبعهم الخزي والفضيحة والعار، عار يتبعهم أبد الدهر ما لم يتوبوا.

وإن شَـــرَّ التجَّار همُ الذين يتاجرون بدينهم ودين أتباعهم فيبيعونه بدنيا زائلة، ومع ذلك لم ينعموا فيها، فقد عاجلهم أُسْدُ الإسلام بالقتل جزاءً لهم وردعاً لأمثالهم، ولم يغنِ عنهم بوش وجنوده شيئاً، فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

وإني أنصحُ من ساروا في طريق الغواية أن يغسلوا هذا الكفر والعار بتوبةٍ نصوح، قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في "توجيهات منهجية": (ونحن في وضـــع لم يعد لدينا دولة لنهاجر إليها؛ وقد كانت هذه الفرصة متاحة، وكانت فرصة نادرة، فمنذ أن سقطت الخلافة حرص الصـليبيون على أن لا يُمكّن أهل الإسـلام الصـادقون لإقامة دولة، وقدر الله سبحانه وتعالى أن جاءت الأحداث في أفغانستان وهزم الاتحاد السوفيتي، وتنازل الصـــليبيون عن ذلك الحرص والاهتمام في ظل خوفهم ورعبهم من الاتحاد السـوفيتي، فلم يكن هناك بد من دفع الاتحاد السـوفيتي إلا بكل شـيء، ولو كان بالمجاهدين، ولو كان بالأصـوليين، ولو كان بشـباب الإسـلام المجاهد، ففتح ذلك الباب، ومضى بضع عشرة سنة.

ولكن للأسـف الشـديد لم تنهض الأمة بواجبها المطلوب، وخاصـة العلماء والدعاة والخطباء والجماعات الإسلامية، وإنما الذين جاءوا إلى أرض الجهاد لنصرة المجاهدين هم نفر بسيط من عامة الشباب من شباب الأمة، مع ما قدمه بعض التجار بعضاً من أموالهم، ولكن لم تكن كافية لإقامة دولة قوية.

وكانت الفرصة جيدة جداً لإقامة دولة قوية بعيداً عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضعٍ وفي انشراحٍ وتعاون غير عادي، كان الوضع يسمح بقوة أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية، لا باعتبارات قطرية وقومية، فللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين؛ أن اغتنموا هذه الفرصة! ولكن لا حياة لمن تنادي، شُغل الناس وسُحبوا باعتبارات أرضية، وباعتبارات قطرية، وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة ولم يتحرك الناس للاستفادة منها، وأذكر ذلك لأقول إن الأمر ليس سهلاً، الآن أصبحت الظروف أصعب.

ثم يسر الله سبحانه بين ذلك وهذا أن قامت دولة الطلبة وإقامة طالبان، وهذا الصراع الذي حصل بين الأفغان، ومكثوا ست سنوات تقريباً أو أكثر، وأيضاً بقي الناس أسرى لأهوائهم وأسرى للإعلام العالمي الذي شن حملة لا هوادة فيها ضد الطالبان وشوهوا سمعتهم، والإعلام العالمي قد يلام في تأثيره أو قد يُحمَّل بعض التأثير على العوام، أما من غير المقبول أن يكون الدعاة والذين تصدروا لنصرة الدين أمام الناس من غير المقبول أن يقولوا تأثرنا بالإعلام العالمي، أفغانستان على بعد بضع ساعات من جزيرة العرب مثلاً، أو من أي مكان من أقطار العالم الإسلامي.

فهذا التأخر عن نصـــرة هذه الدولة رغم أن اسمها دولة الطالبان؛ دولة طلبة العلم، هو مؤشـر على وجود خلل غير عادي إما في فقههم أو في صـدقهم -ولا حول ولا قوة إلا بالله- فيما يظهر لنا والله أعلم، فذهبت هذه الدولة وهم لم يحركوا ساكناً.)

وقال في "السبيل لإحباط المؤامرات": (وإن أصـحاب هذا المنهج يبررون تعاونهم مع أعداء الأمة من حكام المنطقة وموكليهم بشـدة الأهوال التي أصـابت أهل الإسـلام على يد جيش الصـدر وكذا فيالق الغدر بقيادة عبد العزيز الحكيم، ومنتسـبي حزب الدعوة داخل حكومة المالكي وخارجها، فأقول إن جرائم هؤلاء قد تجاوزت كل الحدود وما يفعلونه بأهل الإسـلام لا يصـدقه الإنســان ولكنها حقائق على أرض الواقع يذوقها إخواننا هناك في العراق، وهؤلاء القوم لهم أطماع وكذا أهداف في توســيع جرائمهم خارج العراق، ومع هذا كله فإنه بالإمكان إيقاف جرائم هذه المليشـــيات ومدها بإذن الله بالاعتماد على الله تعالى ثم بتوحيد جهود المجاهدين للقتال ضـــد الغزاة وأعوانهم هؤلاء، ودعم عامة المســـلمين للمجاهدين بكل ما يحتاجونه.

وقد حاز الأمير أحمد الخلايلة أبو مصعب الزرقاوي -عليه رحمة الله- وإخوانه قصب الســبق في رفع اللواء لفضـــح هؤلاء المجرمين وقتالهم وإيقاف مدهم، وبدلاً من أن تنصـروهم خذلتموهم وثبطتم المجاهدين عن قتال هؤلاء وقسـمتم القتال إلى قسـمين، فقتال الأمريكان فقط مقاومة شـــريفة، وأما قتال هذه المليشـــيات المرتدة وأعضـــاء الجيش والشرطة وهم أنصار أمريكا وأدواتها لاحتلال العراق وقتل أحراره فهي عندكم مقاومة غير شـــريفة تتبرؤون من أصـــحابها، فهذه تقســـيمات ما أنزل الله بها من

سلطان، وقد كان رسول الله ﷺ يقاتل أبناء عمومته من قريش، فالدين هو الذي يعصم الدم وليس العرق أو الوطن، وقد وافقكم في هذا المنهج المعوج عشراتٌ من أصحابكم من أولياء وعلماء السلطان غير الرسميين في بلاد الحرمين وغيرها، وهذا مما أعطى فرصةً كبيرةً لهذه المليشيات أن تتمادى في إهلاك الحرث والنسل.

ترجو النجاةَ ولم تسلك مسالكها ... إن السفينةَ لا تجري على اليبسِ

ثم إن كان حرصكم على دفع شر هؤلاء هو الذي دفعكم لموالاة الكفار والحكومات المرتدة، أَمَا كان من الواجب عليكم أن تصارحوا إخوانكم الذين قد ائتمنوكم وأطاعوكم لتقيموا دولةً إسلامية، أليس من الواجب أن تبلغوهم أنكم قد عجزتم عن الأمر المتفق عليه، ورضيتم بدولة وحدة وطنية، وحقيقتها دولة وحدة وثنية، الكلمة العليا فيها ليست لله تعالى وإنما للوطن وكاهنه، وإني أدعو من زلت أقدامهم أن يتقوا الله في أنفسهم وفي أمتهم وألا يضيعوا ثمرة هذه الدماء الزكية الطاهرة التي أريقت من أجل قيام الدين والتمكين لدولة المسلمين، وأن يرجعوا إلى الحق فالرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادي في الباطل.

إخواني المجاهدين، فأما الواجب علينا لإفشال هذه المؤامرات الخطيرة التي ترمي إلى إجهاض الجهاد في أرض العراق، والحيلولة دون قيام دولة إسلامية على كامل أرض الرافدين تكون نصرةً وعوناً لأهل الإسلام في كل مكان، وتُفشل مخطط أمريكا في تقسيم العراق وتكون خط الدفاع الأول عن أمتنا.

أقول وأؤكد إن من أعظم الواجبات هو أن تتحد جهود جميع المجاهدين الصـــادقين مع بعضـــهم البعض، لتقف صـــفاً واحداً تقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وتعمل جاهدةً لإفشال جميع مؤامراتهم.)

الابتلاء والتمحيص طريق التمكين
"وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة"

في تقرير هذه المعاني والأصول الدعوية والحركية يقول سيد قطب -رحمه الله- في "في ظلال القرآن": (وتنتهي هذه التوجيهات التي تستهدف إنشاء تصور إيماني كامل ناصع في قلوب الجماعة المسلمة.. تنتهي بالتوجه إلى المؤمنين الذين كانوا يعانون في واقعهم مشقة الاختلاف بينهم وبين أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب، وما كان يجره هذا الخلاف من حروب ومتاعب وويلات.. يتوجه إليهم بأن هذه هي سنة الله القديمة، في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة، وليكونوا لها أهلاً: أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم، لم تزعزعهم شدة، ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفتنة.. استحقوا نصر الله، لأنهم يومئذ أمناء على دين الله، مأمونون على ما ائتمنوا عليه، صالحون لصيانته والذود عنه.

واستحقوا الجنة لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف وتحررت من الذل، وتحررت من الحرص على الحياة أو على الدعة والرخاء. فهي عندئذ أقرب ما تكون إلى عالم الجنة، وارفع ما تكون عن عالم الطين:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾..

هكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولى، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها، وإلى سنته- سبحانه- في تربية عباده المختارين، الذين يكل إليهم رايته، وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته.

وهو خطاب مطرد لكل من يختار لهذا الدور العظيم..

وإنها لتجربة عميقة جليلة مرهوبة.. إن هذا السؤال من الرسول والذين آمنوا معه. من الرسول الموصول بالله، والمؤمنين الذين آمنوا بالله. إن سؤالهم: ﴿**مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**﴾ ليصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة. ولن تكون إلا محنة فوق الوصف، تلقي ظلالها على مثل هاتيك القلوب، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب: ﴿**مَتَى نَصْرُ اللَّهِ**﴾..

وعند ما تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة.. عندئذ تتم كلمة الله، ويجيء النصر من الله: ﴿**أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾..

إنه مدخر لمن يستحقونه. ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية. الذين يثبتون على البأساء والضراء.

الذين يصمدون للزلزلة. الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة. الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله، وعند ما يشاء الله. وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها، فهم يتطلعون فحسب إلى ﴿**نَصْرُ اللَّهِ**﴾، لا إلى أي حل آخر، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله. ولا نصر إلا من عند الله.

بهذا يدخل المؤمنون الجنة، مستحقين لها، جديرين بها، بعد الجهاد والامتحان، والصبر والثبات، والتجرد لله وحده، والشعور به وحده، وإغفال كل ما سواه وكل من سواه.

إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة، ويرفعها على ذواتها، ويطهرها في بوتقة الألم، فيصفو عنصرها ويضيء، ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية، فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها. وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجاً كما وقع، وكما يقع في كل قضية حق، يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم، وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين..

على أنه -حتى إذا لم يقع هذا- يقع ما هو أعظم منه في حقيقته. يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنتها، وأن تنطلق من إسار الحرص على الدعة والراحة، والحرص على الحياة نفسها في النهاية.. وهذا الانطلاق كسب للبشرية كلها، وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء. كسب يرجح جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون، المؤتمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته.

وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف.. وهذا هو الطريق..

هذا هو الطريق كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولى، وللجماعة المسلمة في كل جيل.

هذا هو الطريق: إيمان وجهاد.. ومحنة وابتلاء. وصبر وثبات.. وتوجه إلى الله وحده. ثم يجيء النصر. ثم يجيء النعيم..)

ولقد كانت هذه المعاني من الأصــول الدعوية والتربوية التي اهتم بإحيائها ونشـــرها الإمام المجدد أســـامة بن لادن -رحمه الله- في نفوس الأمة بصـــفة عامة والدعاة والمصلحين والمجاهدين بصفة خاصة أن الابتلاء والتمحيص طريق النصر والتمكين..

قال -رحمه الله- في "بيان رقم (٩) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح: لا تعطوا الدنية في دينكم": (فيا أبناء الجزيرة الأماجد: ها قد احتدم الصـــراع بين الحق والباطل، وسُـنّة الله تعالى لا تَتَخَلَّف، فسـينتصـر الحق ويزهق الباطل لا محالة بإذن الله، وما علينا إلا أن نتدبر سُـــنن الله في التغيير والتمكين، ومن أهم السُـــنن؛ سُـنّة الابتلاء والتمحيص. وهذا الابتلاء الذي ظاهره الشـدّة هو في حقيقته نعمة؛ لأنه يظهر من خلاله الصادق من الكاذب والخبيث من الطيب قال الله -عز وجل- : ﴿**الم * أَحَسِـــبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ فهي إذاً سُـنّة الله التي لا مَحيدَ عنها وقد ابُتلي بها مَن قبلنا وسُئِلَ الإمام الشافعي: (أخيرٌ للمرء أن يَمَكَّن أو يُبتلى؟ قال: لن يَمكَّن حتى يبتلى.) فإن كان الأمر كذلك فلا محيص إذاً عن الصـبر، فالثبات، الثبات، فما النصـر إلا صـبر ساعة، يحل من بعده التمكين بإذن الله، وها هم الكفار يصبرون على باطلهم فما أحوجنا للصبر على الحق الذي به ندين.

إن المعركة القائمة بين النظام العميل من جهة والشــعب والعلماء من جهةٍ أخرى، ليســت خطأ عابراً غير محســوب بل هو جزء من مخطط كبير ينفذه النظام لأسـياده لاسـتئصـال جذور الإسـلام في أعماق هذا الشـعب، فهو لن يسـمح لحامل الحق والهدى أن يزهق باطله ولو كان حامل الحق من كان، فلا تُعطوا الدنية في دينكم لأجل دنيا وعيشٍ رخيص فهي سُــنّة الله في ابتلاء من طلب الجنة فالتزموا بأمر الله، واجهروا بالحق واصدعوا به، وجاهدوا باللسان في بيان بطلان النظام حتى يفهم كل الناس حقيقة منهج دينكم وأنه الحق و أنما من دونه هو الباطل الزاهق.)

وقال -رحمه الله- في "بيان رقم (٦) من بيانات هيئة النصيحة والإصلاح: السعودية تُســفر عن محاربتها للإســلام وعلمائه": (علماءنا الأجلاء ودعاتنا الفضــلاء: إنه لا يخفى على أمثالكم أن ما تتعرضون له من محن وابتلاءات في سبيل نصرة هذا الدين هو طريق الرســل والعلماء والدعاة الصــادقين من قَبلكم، فعليكم بالصــبر والثبات واعلموا أن النصــر مع الصــبر وتذكروا قوله جل وعلا: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في "حي على الجهاد -كلمة إلى أهل باكســتان-": (ثم إن برويز ومعظم حكام المسـلمين قفزوا إلى الحكم واغتصـبوه وحكمونا بغير ما أنزل الله تعالى بقعقعة الســلاح، ولن يرجع الأمر إلى نصــابه بالانتخابات والمظاهرات والصــياح، فاحذروا الانتخابات الشركية والعبث فلن يفل الحديد إلا الحديد.

فبالقتال في سبيل الله وتحريض المؤمنين يُكَفُّ بأس الكفار. قال الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ**

الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ والقتال في سبيل الله عبادة، وهي قائمة على التضحية بالنفوس، فتُسفكُ الدماءُ المسلمةُ وتُراقُ لحفظ الدين الذي لم يصلنا إلا بعد أن كسرت رباعيته ﷺ وشج في رأسه ودُمِيَ وجهه الشريف وأريقت دماء خير الناس كحمزة ومصعب وزيد وجعفر رضي الله عنهم فهذا هو السبيل فاتبعوه.

نسي الناس طريق النصر
حسبوه يأتي في يسر
أو من غير دماء تجري
أين جهاد رسول الله)

وقال -رحمه الله- في "خطبة عيد الفطر لعام ١٤٢٠هـ": (وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- في حديثها عن أول ما بُدِئ الوحي، تذكر قصة رسولنا عليه الصلاة والسلام مع ورقة بن نوفل، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، فلما شرح له رسول الله ﷺ ما يجده من بداية الوحي فقال له: إن هذا الناموس هو الذي نزَّل اللهُ على موسى عليه السلام، ومما قال: يا ليتني أكون فيها جذعًا إذ يُخرِجك قومك، -انتبهوا يا عباد الله-، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ مُخرجيَّ هم؟» قال: نعم، ما جاء رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ولئن يدركني يومك لأنصرك نصرًا مؤزرًا.

كل من جاء بالحق يُعادى، فالذي لا يُعادى ممن ثبت أنهم يوالون الكفارَ ويحكمون بغير شريعة الله، فليعلم أنه ليس على الجادةِ وليس على المنهج، "ما جاء رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي".

هم لا يرضـــون بأهل الحق إلا إذا داهنهم أهلُ الحق ﴿**وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾، تريد أن تأكل وتشـــرب معهم وتقوم ببعض العبادات التي لا تتعارض مع منهجم لا حرج عليك، أما إذا أردت أن يكون الدين كله لله فهذا لا ســـبيل إليه إلا بالهجرة والجهاد كما فعل خير الناس عليه الصلاة والسلام.

فخرج الصـحابة الكرام لما صُـبَّ عليهم البلاءُ صـبًّا، فخرج أبو بكر وهو سـيدٌ من ساداتِ قريشٍ، حتى إذا كان ببعض الطريق بعيدًا عن مكة، وجده ابن الدُّغُنة فقال: (إلى أين يا أبا بكر؟، قـال: خرجـت مهـاجرًا في ســبيـل الله، أخرجني قومي. قال: مِثلُك ما يُخرَج) جاهليّ ولكن كان بقي لديهم قيم وشهامة وأخلاق واعتبارات فاضـلة، (قال: مثلك ما يخرج إنك لتُقري الضـيف وتُكسـب المعدوم وتُعين الناس، ارجع معي في جواري)، فرجع فلما صـدع بالحق من جديد أصـروا عليه وآذوه حتى مَنَّ الله عليه بعد ذلك بالهجرةِ مع خير الناسِ مع محمد ﷺ ﴿**إِلَّا تَنْصُــرُوهُ فَقَدْ نَصَـرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ معَنَا**﴾.

وخرج الصـــحابة إلى الحبشـــةِ ومعهم بنت رســـول الله ﷺ مع زوجها عثمان، بهذه الهجرة انتشــر الدين، وجُهِر بالحق، وصُــدِع بالقول الصــحيح الذي أذلَّ الله سبحانه وتعالى به الباطل.

خرج هذا الموكب المتواضـع إلى الحبشـة، تقول أم عبد الله بنت أبي حتمة رضــي الله عنها –كما أورد ابن هشـــام في ســـيرته رحمه الله– تقول: (إننا لنترحل للهجرة إلى الحبشــة وذهبَ عامرٌ –أي أبو عبد الله– ذهبَ عامرٌ ليأتي ببعض حاجتنا، إذ أقبل

عمر)، وما أدراك ما عمر في الجاهلية فظ غليظ صنديد من صناديدِ قريشٍ صبّ العذاب والأذى على المؤمنين صبًّا، تقول: (إذ أقبل عمر، فقال: إنه للرحيل يا أم عبد الله؟ قالت: نعم والله، آذيتمونا وقهرتمونا)، فلم يحتمل عمر هذا المنظر وهو الفظُّ الغليظ، لم يحتمل أن يرى المستضعفين من الرجال والنساء والولدان يتركون أرضهم التي وُلدوا عليها، ويتركون عشيرتهم، ويتركون آباءهم وأمهاتهم، لم يحتمل هذا وفي داخلهِ صراع بين استكباره عن الحق وإصراره على إيذاء هؤلاء المؤمنين وبين هذا المنظر الذي يقطع القلوب، أين يذهبون؟ يركبون البحر وما لهم من قبل به خبرة؟ أين يذهبون إلى البُعَداء الغرباء؟ لا نسب ولا قرابة ولا أُخوة دين، ولكن تغلَّب عليه جانب الخير في الأخير فقال كلمة رقيقة، قال: (صحبكم الله)، الله أكبر! الله أكبر! قلب عمر الفظ الغليظ يتفطر من مشهد الأطفال! من مشهد هؤلاء الأطفال الصغار! من مشهد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان! تركوا الأوطان، تركوا الأموال، تركوا الأعمام وأخوالًا فرارًا بدينهم، في الله وفي رسوله ﷺ، لم يحتمل عمر هذا المنظر فقال: (صحبكم الله، فلما رجع عامر، قالت: يا عامر، لو رأيت عمر إذ أقبل قبل قليل وقال وقال. قال: هل طمعتِ في إسلامه؟ قالت: نعم. قال: لا يُسلم هذا الذي رأيتِ حتى يُسلم حمارُ الخطاب.)

قلبٌ كان يوصف بقلوب الحمير لبلادته، فتأثر بتلك المشاهد الضعيفة؛ أين يذهبون؟ رضي الله عنهم وأرضاهم، ولكنّ قريش اليوم لم يلن قلبها بعد على ورثة محمد ﷺ، ورثة محمد ﷺ أقسم بالله العظيم أنهم في سجون جزيرة العرب في الحائر وفي غيره والأمريكان يسرحون ويمرحون فوق أرض رسول الله ﷺ، أما في الناس

إيمان؟ أما في الناس غيرة على دين رسـول الله ﷺ؟ اللهم إني أبرأ إليكم مما صنع أبو رغال وإخوانه وأعوانه، وأعتذر إليك من تقصـير المؤمنين القاعدين عن نصـرة بيتك العظيم.

اللهم ردنا إلى ديننا ردًّا جميلًا، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشـــد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، اللهم زين الإيمان في قلوب شباب المسلمين، وكرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، اللهم إنا نعاهدك على أن نواصـل المسـير إعلاءً لكلمة لا إله إلا الله وأن محمدًا رسـول الله حتى يُظهر الله هذا الأمر أو نقتل دونه، فتقبل منا يا ربنا إنك خير مجيب.)

الثبات (لا نقيل ولا نستقيل)

إن الثبات على الحق من أهم معالم مناهج ودعوات المصلحين من السابقين الأولين ومن سار على دربهم من هذه الأمة فقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢-٢٣].

قال سيد قطب –رحمه الله– في "في ظلال القرآن": (ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات.. لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف.

والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى.

فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين. وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها.. كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها.

كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها.. إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرا

مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء، ولا صبروا عليه.. وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها.. وعندئذ يجيء نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجا..

ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى. فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون، والران عن القلوب.

وأهم من هذا كله، أو القاعدة لهذا كله.. الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده. لا يجد سندا إلا سنده. وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات، وتتفتح البصيرة، وينجلي الأفق على مد البصر.. لا شيء إلا الله.. لا قوة إلا قوته.. لا حول إلا حوله.. لا إرادة إلا إرادته.. لا ملجأ إلا إليه.. وعندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح..)

فالدعوات لا تنتصر إلا بأصحاب الثبات والتضحية كما قال الله تعالى في قصة طالوت: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

وقال الدكتور صلاح الخالدي في "وصف الثابتين": (إنه لا يغير "ثوابته" كما يغير ملابسه، ولا يبدلها كما يبدل أزياءه.

إنه لا يعيش "فصاماً " نكداً، بين القناعات النظرية والممارسة العملية.

إنه لا يخضع في هذه الثوابت لضغوط "الواقع"، ولا يتزحزح عنها، أو يتشكك فيها، أو يتخلى عنها، باسم "الواقعية" والكياسة والعقلانية وبعد النظر وسعة الأفق، وعدم التعصب والتشنج، والانفتاح والوسطية، وغير ذلك.

إنه لا تزحزحه شدة الضغوط، ولا كثرة المساومات، ولا ضخامة التحديات، ولا عنف المواجهة، ولا كبر التضحيات، ولا ارتفاع الثمن!

إنه أثبت على "ثوابته" من الجبال الراسخة الثابتة، قد تزول الجبال ولا يزول. يدفع روحه وحياته ثمناً لدينه، ووفاء لثوابته.

إنه ثابت في الميدان، ثابت في المعركة، ثابت في المواجهة، ثابت تحت الراية القرآنية، ثابت في حمل اللواء، ثابت في "خندق" الجهاد، ثابت في "الصف الأول"، ثابت في "الثغرة" المتقدمة من ثغور الإسلام!

إنه ثابت على ثوابته، ثابت في مواقعه، ثابت حتى تخرج روحه، ويلاقي ربه.

وعندها -فقط- يصدق فيه قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٢٣].)

وقد بنى الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- دعوته على الثبات على المبادئ الشـرعية في مواجهة أهل الباطل في هذا الزمان وأعلنها بصـراحة ووضـوح "لا نقيل ولا نسـتقيل" حتى لقي الله على ذلـك -نحسـبه كـذلـك ولا نزكيـه على الله، فقال -رحمه الله- في "رسـالة إلى الأمة الإسـلامية بعد عام؛ الفشـل الأمريكي في أفغانسـتان": (لا نقيل ولا نسـتقيل: لازال المجاهدون بفضـل الله على عهدهم ووعدهم، لا يقيلون ولا يسـتقيلون، على عهدهم مع الله على الجهاد في سـبيله، وعلى وعدهم مع أمتهم ببذل كل غال ونفيس في سبيل تحريرها من كل صور الظلم والقهر، وجميع أشـكال التبعية والاحتلال، ﴿**حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه**﴾.

وكل المحن والابتلاءات التي تعرض لها المجاهدون لم تزدهم بفضـل الله إلا ثباتاً على الطريق، وتصـميماً على الأهداف، وإيماناً بالمنهج، ويقيناً بنصـر الله، ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾.)

وجاء في "بيان هيئة النصـيحة والإصـلاح: لا تعطوا الدنية في دينكم": (فيا أبناء الجزيرة الأماجد: ها قد احتدم الصراع بين الحق والباطل، وسُنّة الله تعالى لا تَتَخَلَّف، فسينتصر الحق ويزهق الباطل لا محالة بإذن الله، وما علينا إلا أن نتدبر سُنن الله في التغيير والتمكين، ومن أهم السُـنن؛ سُـنّة الابتلاء والتمحيص. وهذا الابتلاء الذي ظاهره الشـدّة هو في حقيقته نعمة؛ لأنه يظهر من خلاله الصـادق من الكاذب

والخبيث من الطيب قال الله -عز وجل-: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: ٢-٣]..

فهي إذاً سُنّة الله التي لا مَحيدَ عنها وقد ابُتلي بها مَن قبلنا وسُئِلَ الإمام الشافعي: (أخيرٌ للمرء أن يَمَكَّن أو يُبتلى؟ قال: لن يَمكَّن حتى يبتلى.) فإن كان الأمر كذلك فلا محيص إذاً عن الصبر، فالثبات، الثبات، فما النصر إلا صبر ساعة، يحل من بعده التمكين بإذن الله، وها هم الكفار يصبرون على باطلهم فما أحوجنا للصبر على الحق الذي به ندين.

إن المعركة القائمة بين النظام العميل من جهة والشعب والعلماء من جهةٍ أخرى، ليست خطأ عابراً غير محسوب بل هو جزء من مخطط كبير ينفذه النظام لأسياده لاستئصال جذور الإسلام في أعماق هذا الشعب، فهو لن يسمح لحامل الحق والهدى أن يزهق باطله ولو كان حامل الحق من كان، فلا تُعطوا الدنية في دينكم لأجل دنيا وعيشٍ رخيص فهي سُنّة الله في ابتلاء من طلب الجنة فالتزموا بأمر الله، واجهروا بالحق واصدعوا به، وجاهدوا باللسان في بيان بطلان النظام حتى يفهم كل الناس حقيقة منهج دينكم وأنه الحق و أنما من دونه هو الباطل الزاهق.)

وقال -رحمه الله- في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شهور مِن الضربات المباركة": (أمة من ١٢٠٠ مليون مسلم تنحر من مشرق الأرض إلى مغربها في كل يوم في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي كشمير وفي الفلبين وفي البوسنة والشيشان وفي آسام لا نسمع لهم صوتا، فإذا ما قامت الضحية،

إذا ما قام المظلوم يقدم نفسه من أجل دينه ارتفعت أصوات هؤلاء! ١٢٠٠ مليون مسلم ينحرون لا حس لهم فإذا قام رجل ليذود عن هؤلاء قام هؤلاء يرددون ما يشتهي الطغاة، لا عقل لهم ولا فقه لهم.

وفي حديث الغلام والملك والساحر والراهب دليل واضح على تقديم النفس من أجل لا إله إلا الله، وهنا معنى آخر أن النصر لا يعتبر فقط بالكسب الظاهر الذي غلب على ذهن الناس وإنما النصر هو الثبات على المبادئ.

فأهل الأخدود ذكرهم الله سبحانه وتعالى وخلد ذكرهم في سياق المدح لهم إذ ثبتوا على الإيمان، هُددوا بين الإيمان وبين أن يدخلوا النار، فأبوا أن يكفروا بالله سبحانه وتعالى وأدخلوا النار، وفي نهاية الحديث –حديث الغلام– عندما أمر الملك الظالم أن يقحم هؤلاء في الأخدود، وجاءت تلك الأم المستضعفة تحمل ابنها فلما رأت النار خافت على ابنها وتقاعست فقال لها كما قال عليه الصلاة والسلام، اصبري يا أماه فإنك على الحق.

فهؤلاء لا يقول مسلم بحال من الأحوال ماذا استفادوا؟ ضيعوا أنفسهم، هذا جاهل جهلا مركبا، هؤلاء فازوا برضوان الله سبحانه وتعالى وبجنات الخلد التي وعدهم الله سبحانه وتعالى، فليس النصر هو الكسب المادي فقط، وإنما النصر الثبات على المبادئ.)

وقال –رحمه الله– في "السبيل لإنهاء الحرب": (وختاماً أقول لكم: إن الحرب إما لنا وإما لكم، فإن كانت الأولى فهي حسرتكم وخزيكم أبد الدهر وفي هذا الاتجاه

بفضـــــل الله تجري الريح، وإن كانت الأخرى فأقرؤوا التاريخ فإننا قوم لا ننام على الضـيم، ونطلب الثأر مدى العمر ولن تذهب الأيام والليالي حتى نثأر كيوم الحادي عشر من سبتمبر بإذن الله، و بذا يظل ذهنكم مكدودا، وعيشكم منكودا، ويصير الأمر إلى ما تكرهون، وأما نحن فليس عندنا ما نخسره، والسابح في البحر لا يخشى المطر، فقد احتلتم أرضـنا، واعتديتم على أعراضـنا وكرامتنا، وسـفكتم دماءنا، ونهبتم أموالنا، وهدمتم دورنا وشردتمونا، وعبثتم بأمننا، وسنعاملكم بالمثل.

لقد حاولتم أن تمنعونا الحياة الكريمة ولكن لن تستطيعوا أن تمنعونا من الموت الكريم، فالقعود عن الجهاد المتعين في ديننا إثم مخوف، وخير القتل عندنا ما كان تحت ظلال السيوف، ولا تغرنكم قوتكم وأسلحتكم الحديثة، فهي تكسب بعض المعارك ولكنها تخسر الحرب، والصبر والثبات خير منها، والعبرة بالخواتيم.

ولقد صـبرنا في قتال الاتحاد السـوفياتي بأسـلحة بسـيطة عشـر سـنين، فاسـتنزفنا اقتصادهم وصاروا بفضل الله أثرا بعد عين، ولكم في ذلك عبرة، ولنصبرن في قتالكم بإذن الله حتى يموت الأعجل منا، ولن نفر من الكفاح حتى يفر السلاح.

أقسمت لا أموت إلا حرا ...

وإن وجدت الموت طعما مرا ...

أخاف أن أُذل أو أُغرا ...)

وقال رحمه الله في "النفير": (فحال من يريد أن يتحمل الدين بحق، هو العداء من أهل الباطل، لا التعايش -كما نرى ولا حول ولا قوة إلا بالله- مع أهل الباطل،

وحال من أراد إقامة الدين هو السعي في نصرته بالنفس والنفيس، كما قال ورقة: (إن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.)

وكذلك كان الحال يوم بيعة العقبة؛ فنصرة الدين ليست دروساً تعطى فقط، والدين لا يقوم على فتات أوقاتنا وأموالنا، وإنما سلعة الله غالية، فشتان بين الجلوس وتقديم الدروس وبين تقديم النفوس والرؤوس لنصرة الله، لذا فإن العباس بن عبد المطلب –وقد كان على دين قومه– أراد أن يطمئن على ابن أخيه محمد ﷺ عند الأنصار، فكان مما قاله: (فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة فإنها سترميكم عن قوس واحدة.)

فأقول؛ هذه الصفات كانت مطلوبة لأهل الإيمان لحفظ رسول الله ﷺ، وهي مطلوبة اليوم أيضاً لحفظ دين رسول الله ﷺ.

ثم بعد أن أنهى العباس كلامه، قال البراء بن معرور من الأنصار: (قد سمعنا ما قلت، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله.)

فأقول؛ هكذا الدين، إنما يقوم بالوفاء والصدق وببذل المهج من أجل المنهج، ثم لما قاموا للمبايعة، قال أسعد بن زرارة: (رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله)،

فقـالوا: (يا أســـعد أمِطْ عنـا يـدك، فوالله لا نـذر هـذه البيعـة ولا نســـتقيلها)، هكذا كانت صـــفات الذين يريدون أن يحموا ويقيموا دين الإســـلام -رضـــي الله عنهم-.

وكذلك اليوم يقول المجاهدون للعلماء والدعاة الذين يحبون الحق ولا يداهنون الباطل؛ فأنتم قد رفعتم راية دين الإسـلام، وتعلمون أنه دين رسـول الله حقاً، وإن حملكم له بحق يعني مفـارقـة حكومـات العرب والعجم في الأرض كـافـة وقتـل خيـاركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فحافظوا على الراية وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفســـكم خيفة فذروا راية المدافعة والمقاتلة ولا تحولوا بين شباب الأمة والجهاد في سبيل الله، فهو أعذر لكم عند الله.)

الثبات على المبادئ
هو الفوز الكبير والنصر العظيم

إن الثبات على المبدأ من معاني النصـــر والفتح الرباني التي قد تخفى على كثير من الناس.. وقد سـطر سـيد قطب -رحمه الله- كلاماً نفيسـاً في تقرير هذا المعنى فقال -قدس الله روحه- في قصـــة أصـــحاب الأخدود "في ظلال القرآن": (وتنتهي رواية الحادث في هذه الآيات القصار، التي تملأ القلب بشحنة من الكراهية لبشاعة الفعلة وفاعليها، كما تستجيش فيه التأمل فيما وراء الحادث ووزنه عند الله وما استحقه من نقمته وغضبه. فهو أمر لم ينته بعد عند هذا الحد، ووراءه في حساب الله ما وراءه.

كذلك تنتهي رواية الحادث وقد ملأت القلب بالروعة. روعة الإيمان المسـتعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصـرة على الحياة، والانطلاق المتجرد من أوهاق الجسـم وجاذبية الأرض. فقـد كـان في مكنـة المؤمنين أن ينجوا بحيـاتهم في مقـابـل الهزيمـة لإيمـانهم. ولكن كم كانوا يخسـرون هم أنفسـهم في الدنيا قبل الآخرة؟ وكم كانت البشـرية كلها تخســـر؟ كم كانوا يخســـرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشـــاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يســـيطر الطغاة على الأرواح بعد سـيطرتهم على الأجسـاد! إنه معنى كريم جدا ومعنى كبير جدا هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض. ربحوه وهم يجدون مس النار فتحترق أجسـادهم، وينتصـر هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار؟ وبعد ذلك لهم عند ربهم حســـاب، ولأعدائهم الطاغين حساب.. يعقب به السياق..

﴿إِنَّ الَّـذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنـاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَـذابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـــالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾..

إن الذي حدث في الأرض وفي الحياة الدنيا ليس خاتمة الحادث وليس نهاية المطاف. فالبقية آتية هناك.

والجزاء الذي يضع الأمر في نصابه، ويفصل فيما كان بين المؤمنين والطاغين آت. وهو مقرر مؤكد، وواقع كما يقول عنه الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ﴾.. ومضوا في ضلالتهم سادرين، لم يندموا على ما فعلوا **﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾**..

﴿فَلَهُمْ عَـذابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَـذابُ الْحَرِيقِ﴾.. وينص على **﴿الْحَرِيقِ﴾**.. وهو مفهوم من عذاب جهنم. ولكنه ينطق به وينص عليه ليكون مقابلا للحريق في الأخدود. وبنفس اللفظ الذي يدل على الحدث. ولكن أين حريق من حريق؟ في شـــدته أو في مدته! وحريق الدنيا بنار يوقدها الخلق. وحريق الآخرة بنار يوقدها الخالق! وحريق الدنيا لحظات وتنتهي، وحريق الآخرة آباد لا يعلمها إلا الله! ومع حريق الدنيا رضى الله عن المؤمنين وانتصار لذلك المعنى الإنساني الكريم. ومع حريق الآخرة غضب الله، والارتكاس الهابط الذميم! ويتمثل رضى الله وإنعامه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾**.. وهذه هي النجاة الحقيقية: **﴿ذلِكَ الْفَوْزُ**

الْكَبِيرُ﴾.. والفوز: النجاة والنجاح. والنجاة من عذاب الآخرة فوز. فكيف بالجنات تجري من تحتها الأنهار؟

بهذه الخاتمة يستقر الأمر في نصابه. وهي الخاتمة الحقيقية للموقف. فلم يكن ما وقع منه في الأرض إلا طرفا من أطرافه، لا يتم به تمامه.. وهذه هي الحقيقة التي يهدف إليها هذا التعقيب الأول على الحادث لتستقر في قلوب القلة المؤمنة في مكة، وفي قلوب كل فئة مؤمنة تتعرض للفتنة على مدار القرون.)

وهذا المعنى العظيم من معاني النصر بينه وركز عليه الإمام المجدد -رحمه الله- في كلماته وتوجيهاته فقال -رحمه الله- في "إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة":
(فإلى إخواننا المسلمين في العراق خاصَّة، وإلى الأمَّة الإسلامية عامَّة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحيِّي أهلنا الصابرين في بغداد دار الخلافة وما حولها، وأحيِّي إخواننا المجاهدين المرابطين هناك، في بعقوبة وسامراء والموصل وكركوك وتكريت واللطيفية وأخواتها، وبيجي وبلد وباقي المدن والقرى المجاهدة، وأخصُّ بالتحيَّة الحارَّة، الأحرار في أرض الأنبار، ولا سيَّما أهل الفلوجة، تلك المدينة البطلة الصامدة في وجه الباطل، والتي أبت أن تذلَّ أو تخضع لزعيم الكفر أجمع، وقد أعطته دروسًا في الثبات على المبدأ، وأثبتت له أنَّ قوة الإيمان، أعظم من قذائف المدافع والطيران، كما فضحت خداعه وديمقراطيته، وأظهرت أنَّه كذَّاب سفَّاح، وإلا فما الفرق بين مجزرة الطاغية صدام في حلبجة، وبين مجزرة بوش في الفلوجة؟

فإن يكن صدام قد قتل بضعة آلاف، باسم القومية النتنة، من إخواننا الأكراد هناك -عليهم رحمة الله-، فإنَّ فرعون العصـــر قد قتل في الفلوجة وحدها بضـــعة آلاف كذلك، وجرح وعوَّق أضعاف ذلك، فضـلاً عن تهجير وترويع مئات الألوف، وكل ذلك باسم الصليبية المتصهينة المتعطِّشة للدماء.

فينبغي على المسـلمين أن يعوا حقيقة هذه الحرب جيِّدًا، فلا يمكن تفسـير حصـار ودكِّ مدينة بكاملها، سكانها بمئات الألوف، بحجة أنَّ فيها مئات المقاومين، إلا أنَّها حرب شـــاملة على الإســـلام وأهله، أرجو الله أن يتقبَّل من قُتل من إخواننا في الشهداء، وأن يمنَّ على الجرحى بالشفاء.

ولئن سـاءنا ما أصـاب أهلنا هناك، فقد سـرَّنا ذلك الثبات العظيم، والآثار الكبيرة التي ترتَّبت عليه، حيث انتشـــرت روح الجهاد والفداء، والعزَّة والإباء، في أرجاء العراق،كانتشـار النار في الهشـيم، بل وسـرت تلك الروح الجهادية الأبية، إلى البقية من بلاد المسـلمين، وقد خسـرت ظنون بوش، حين أراد أن يقهر ويُذلَّ هذه المدينة المؤمنة، وأن يطمســـها من الوجود، ويجعلها عبرةً لكل أهل الأرض، ممن يرفضـــون العبودية لأمريكا، ولكن أبى الله لها إلا العزَّة والسـؤدد، فصـمدت رافعة رأسـها رغم أنفه وأهانته، ودخلت التاريخ من أوسـع أبوابه فشـرَّفته، وأصـبحت مثالاً للصـمود والتصدِّي، في وجه الهمجية الأمريكية، وسارت بذلك الركبان.

وإنِّي عاجزٌ عن وصـــف أولئك الرجال بما هم أهل له، ولكن أحاول، فالقليل خير من العدم، فلله درُّ أولئك الأبطال الغرِّ الميامين، الذين نســـجوا على منوال النجوم الزاهرة؛ إخوانهم التسـعة عشـر، في مقارعة فرعون العصـر، ولا أقول أنَّهم رفعوا رأس

الأمَّة الإسلامية فحسب، بل رفعوا رأس البشرية أجمع، في زمن سادت العالم ثقافة العبيد، ثقافة الرضا بالذلِّ والخضوع والهوان والخنوع تحت شعار الحكمة والمصلحة والواقعية، رفعوا رأس البشرية، في زمن يطأطئ فيه رؤساء العالم رؤوسهم أمام الطاغية، عند عتبات البيت الأبيض.

جاء هؤلاء العمالقة الأباة، الشعث الغبر، الأتقياء الأخفياء -أحسبهم والله حسيبهم-، مرتفعين عن بهارج الدنيا وزخارفها، متعلِّقين بموعود الله، كافرين بعبادة البشر للبشر، واتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله عبر ما يُسمَّى بالشرعية الدولية، أو النظام العالمي الجديد، والأنظمة التي تدور في فلكه.

جاءوا لينقضوا حجر الزاوية، في ذلك النظام الظالم، القائم على تطبيق القرارات الظالمة، لمجلس الأمن وقوانين هيئة الأمم على الشعوب المستضعَفة، تلك الهيئة الملحدة، التي تقنِّن العلاقة بين سادة الفيتو وعلى رأسهم أمريكا، وبين عبيد الجمعية العمومية، ثمَّ تتحدَّث كذبًا وزورًا عن العدل والمساواة والحرية.

لقد ثبت هؤلاء الرجال العظام في الفلوجة في وجه الطاغية الذي جاء أشرًا وبطرًا، يستعرض فتك قذائف المدافع، وتدمير قنابل الطيران، على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، ثم يدَّعي حمل راية الحرية والإنسانية.

ثبتوا في وجهه رغم قلَّة العدد، وضعف العُدد، حاسري الرؤوس، عاري الصدور، ولكن في قلوبهم يقين تزول الجبال الرواسي ولا يزول -أحسبهم والله حسيبهم-، هذا اليقين هو الذي تجذَّر في قلوب أجدادنا رضي الله عنهم فأزالوا به حضارة

الصليبيين الفاسدة من بلادنا من قبل وهزموهم بفضل الله، ونحن اليوم متمسِّكون به وسنهزمهم بإيماننا بإذن الله.

ثبتوا ليُثبتوا للعالم أجمع، معنى الإيمان الحق، ومعنى عزَّة وقوَّة المؤمن المتمسِّك بحبل الله المتين، فسطَّروا صفحة عزٍّ جديدة في تاريخ أمَّتنا، بدمائهم وأشلائهم.

فقاتلوا العدا ولم تثنهم الموانع   واقتحموا الردى ولم تضعضعهم المعامع
أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وأنا أحيِّي هؤلاء الرجال العظام الأفذاذ اليوم، في وقت لم يعد الجهاد غريبًا بفضل الله، بل الأمَّة الإسلامية كلُّها تحيِّيهم من المحيط إلى المحيط، حاشا الحكام المرتدين والمنافقين؛ كالكتبة المأجورين، وعلماء السوء الذين ينهون الناس عن قتال الأمريكيين، ويسمُّون كبيرة القعود عن الجهاد مقاومة سلمية، أو الذين يقولون إنَّ قتال الأمريكيين دمار وهلاك، ومحرقة وفتنة، تشابهت قلوبهم مع قلوب أسلافهم، الذين قال الله فيهم: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾.)

وقال -رحمه الله- في "دلالات الأحداث بعد مرور ثلاثة شهور مِن الضربات المباركة": (أمة من ١٢٠٠ مليون مسلم تنحر من مشرق الأرض إلى مغربها في كل يوم في فلسطين وفي العراق وفي الصومال وفي جنوب السودان وفي كشمير وفي الفلبين وفي البوسنة والشيشان وفي آسام لا نسمع لهم صوتا، فإذا ما قامت الضحية، إذا ما قام المظلوم يقدم نفسه من أجل دينه ارتفعت أصوات هؤلاء! ١٢٠٠ مليون

مســـــلم ينحرون لا حس لهم فإذا قام رجل ليذود عن هؤلاء قام هؤلاء يرددون ما يشتهي الطغاة، لا عقل لهم ولا فقه لهم.

وفي حديث الغلام والملك والساحر والراهب دليل واضح على تقديم النفس من أجل لا إله إلا الله، وهنا معنى آخر أن النصر لا يعتبر فقط بالكسب الظاهر الذي غلب على ذهن الناس وإنما النصر هو الثبات على المبادئ.

فأهل الأخدود ذكرهم الله سـبحانه وتعالى وخلد ذكرهم في سـياق المدح لهم إذ ثبتوا على الإيمان، هُددوا بين الإيمان وبين أن يدخلوا النار، فأبوا أن يكفروا بالله سـبحانه وتعالى وأدخلوا النار، وفي نهاية الحديث –حديث الغلام– عندما أمر الملك الظالم أن يقحم هؤلاء في الأخدود، وجاءت تلك الأم المسـتضـعفة تحمل ابنها فلما رأت النار خافت على ابنها وتقاعست فقال لها كما قال عليه الصلاة والسلام، اصبري يا أماه فإنك على الحق.

فهؤلاء لا يقول مسلم بحال من الأحوال ماذا استفادوا؟ ضيعوا أنفسهم، هذا جاهل جهلا مركبا، هؤلاء فازوا برضـوان الله سـبحانه وتعالى وبجنات الخلد التي وعدهم الله سـبحانه وتعالى، فليس النصـر هو الكسـب المادي فقط، وإنما النصـر الثبات على المبادئ.)

الخاتمة.. وملخص الدراسة

نحمد الله في الانتهاء كما حمدناه في الابتداء.. فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أن يسر لي إتمام هذه الرسالة التي اجتهدت فيها أن أظهر بعض المعالم البهية والسمات الطيبة السنية في منهج الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وفاءً له وقياماً ببعض حقوقه على من جاء بعده من المصلحين والمجاهدين فإن له فضلاً ومنةً عليهم كما قال الإمام الجويني في حق الإمام الشافعي -رحمهما الله-: (ما من شافعي إلّا وللشافعي عليه منّة إلّا البيهقي، فإن له على الشافعي منّة لتصانيفه في نصرة مذهبه)..

وكذلك اجتهدت في هذه الدراسة أن أبين أحكام بعض المسائل المهمة التي نحتاجها في خضم هذا الواقع الذي نعيشه اليوم.. وفي حمأة التغيرات والتنازلات وفتن الغلو والإرجاء والتمييع التي نراها ونسمعها بين الساعة والأخرى..

ويمكنني أن ألخص أهمَّ ما توصلتُ إليه من هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- إن الله أكرم عبده الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وجعل له لسان صدق ومحبة عند من جاء بعده، وجعله من أئمة الهدى فأحيا به معالم الجهاد والاستشهاد ومعاني العزة والكريمة ودفع صيال المعتدين والدعوة إلى إقامة الدين وتحكيم شرع رب العالمين..

- إن أول معلم من المعالم البهية والسمات السنية في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- هو: "الاعتصام بالكتاب والسنة" فالمرجعية عنده للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.. فنصرة دين الله عنده تكون بما شرع الله لا بما يحدثه أهل الزيغ والبدع.

- إن من المعالم الجليلة والسمات النبيلة في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وضوح الغاية ونقاء الراية للدعوة والجهاد.. فواجب العصر: دفع صيال المعتدين وإقامة الدين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وإقامة الدولة التي تحكم بالشرع وتبسط العدل.

- إن حاكمية الشريعة في جوانب الحياة كلها ركن ركين وأصل وأصيل وركيزة كبرى لا يقبل المساومة عليها ولا التنازل عن أي جزء منها.. كانت من المعالم الظاهرة والسمات البينة والأصول المتينة الجلية في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-..

- ومن المسائل المهمة التي تتعلق بحاكمية الشرعية التي خصها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- بالبيان التحذير من عبارة: "الشريعة الإسلامية أو الفقه الإسلامي المصدر الرئيس للتشريعات" فهي عبارة مصادمة لحاكمية الشريعة وناقضة لأصل التوحيد عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-.

- ومن المسائل المهمة التي تتعلق بحاكمية الشريعة التي اهتم ببيانها وركز عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- بيان حكم وحقيقة هيئة الأمم المتحدة وكشف دورها الخبيث في محاربة الإسلام.. فهي عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- تندرج تحت مسألة التحاكم إلى الطاغوت الذي أمرنا الشرع أن نكفر به ونجتنبه..

- وكان التصدي والوقوف في وجه المشاريع والدعوات والمناهج المناقضة والمخالفة لحاكمية كالعلمانية والديمقراطية وما ينتج عنها من انتخاب مجالس تشريعية من المعالم والسمات البارزة في دعوة وجهود الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-.

- كما كان وجوب الوقوف والتصدي لمشاريع الضرار والدعوات الجاهلية كالوحدة الوطنية من أهم ركائز ومعالم دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله-.

- الولاء والبراء كان من الأصول العظمى والركائز الكبرى التي بنى عليها الإمام المجدد أسامة بن لادن دعوته وجهاده وأعطاه نصيباً كبيراً في الدعوة والتوجيه.

- وقد جعل الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- مسألة التطبيع (الصلح) مع الكيان الصهيوني خيانة عظمى للمسلمين، وموالاة اليهود -عليهم وعلى من والاهم لعائن الرب المعبود-.. "فهذه المبادرات في لغة الإعلام الفرعوني ما هي إلا مؤامرةٌ وقحة، وخططٌ مفضوحةٌ تعريفها في قاموس السياسة:

"الكراسي مقابل الخيانة"، أما تعريفها في قاموس الشرع فهي: "الرِّدة"؛ حيث المناصرة والمظاهرة للكفار على المسلمين والمعدودة في ديننا من نواقض الإسلام العشرة المخرجة من الملة، والتي لا يَسعُ المسلم -كائنًا من كان ومهما كان حاله وظرفه- إلا أن يتبرَّأ منها ومن فاعلها، حيث أنها من أفعال الطواغيت، ولا يقوم إيمانُ المرء حتى يكفر بالطاغوت؛ ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾."

- وقد كان من المعالم العظيمة في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- التركيز على الجانب الإيماني والصبر والتقوى والجانب الأخلاقي في مسيرة الإصلاح التغيير.

- وقد كان من القضايا الكبرى عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- التركيز على بيان فرضية الجهاد والإعداد اليوم لدفع صيال المعتدين وتحرير بلاد المسلمين وإقامة دين رب العالمين..

- وقد كانت قضية احتلال فلسطين واحتلال بلاد الحرمين ووجوب تحريرهما من القضايا المركزية التي ركّز الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- على أنهما من أهم قضايا الصراع في الزمن المعاصر لأهميتهما وعظيم مكانتها في الإسلام.

- ومن المعالم البارزة والسمات الظاهرة التي أولاها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- أهمية كبيرة قضية التحذير من الركون إلى الأعداء أو مداهنتهم والتحذير من معاونتهم في باطلهم.

- وكذلك رأينا الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- يركز كثيرا على التحذير من مخططات الأعداء الداخلية والخارجية ووجوب الحذر منها والتصدي لها..

- وقد أظهرت هذه الرسالة أن من ركائز دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- مفاصلة الجاهلية المعاصرة، وأنه لا سبيل للالتقاء مع الجاهلية في منتصف الطريق..

- فسبيل التمكين لا يكون إلا بهدم دعوة ودولة الباطل وبناء دعوة ودولة الحق مكانها..

- وذلك لا يكون إلا بالبحث والعمل خارج فلك وسياسات الأعداء.

- ومن القضايا الكبرى والمسائل العظمى التي أظهرت هذه الدراسة اهتمام الإمام المجدد أسامة بن لادن ضرورة قيام الدولة الإسلامية التي تقيم الدين وتحكم بالشرع وتبسط العدل.. والاجتهاد في السبل المشروعة إلى ذلك..

- ومن المعالم الجلية والسمات البهية والركائز العظيمة في دعوة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- الاهتمام بمسائل السياسة الشرعية وفقه

الأولويات والقواعد الفقهية وفقه الواقع في دعوته وجهاده.. وفي ذلك ردٌّ على اتهم الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- بعدم الأخذ بهذه الأصول.

- ومن المعالم الواضحة البينة في دعوة الإمام المجدد أسامة لادن -رحمه الله- الحرص على مفهوم "جهاد الأمة" ومخاطبة شعوب وفئات الأمة للقيام بواجب العصر.

- وأظهرت هذه الدراسة أن المعالم الواضحة والسمات السامية التي سعى إليها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- توحيد الكلمة تحت كلمة التوحيد واتباع السبل المشروعة الموصلة إلى ذلك.

- ومن المعالم السنية والركائز المهمة التي دعا إليها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- أن التقوى والإخوة الإيمانية مقدمة على غيرها من الروابط.. فأخوة الإيمان هي الرابطة بين المسلمين، وليس الانتساب إلى القبيلة أو الوطن أو التنظيم.

- ومن المعالم الراشدة والركائز السنية عند الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.. فمصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد، ومصلحة الدولة المسلمة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة..

- و"ســلامة المنهج مقدمة على ســلامة الدول والجماعات والأفراد، وســلامة هؤلاء عندما تتصــادم مع ســلامة المنهج فهي في الحقيقة ســلامة موهومة، فالســلامة كل الســلامة في اتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ."

- وأظهرت هذه الدراسة أن من المعاني والمفاهيم التي رسخها وبثها الإمام المجدد -رحمه الله- وإخوانه قادة تنظيم القاعدة أنهم يحملون فكرا ودعوة قبل أن يكونوا تنظيما.. فهم أصحاب رسالة ودعوة وراية مستمدة من شريعة الرحمن.

- ومن المعالم الواضحة والقضايا الكبرى التي ركز عليها الأمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- الدعوة إلى الجهاد العالمي ووحدة الساحات..

- وأظهرت الدراسة ما بينه الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- أن ما وقع من توافق في بعض محطات الصــراع بين الحق والباطل مع بعض قوى الباطل إنما هو من باب تقاطع المصالح ضمن ضوابط شرعية فليس هو بالاستعانة المحرمة ولا الإعانة المكفرة.

- وكما كانت قضــية تركيز جهود الجهاد والمقاومة على العدو الأخطر والأعظم محاربة للإسلام المتمثل بفرعون هذا الزمان وهبل هذا العصر أمريكا من أشهر وأبرز القضايا والمسائل التي اهتم بها الإمام المجدد أسامة بن لادن -قدس الله روحه-.

- ومن القضايا الكبرى التي لا يتصدى لها إلا سادة الشهداء وسادة القائمين بالحق.. التي صدع بها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وجعلها محوراً أساسياً في دعوته "بيان حقيقة وحكم حكام بلاد المسلمين وبيان حال وحكم جيوشهم".

- فهم كما يقول الإمام ابن حزم -رحمه الله- في "رسائل ابن حزم": (والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحشرهم معهم آمنين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه.)

- كما بينت الدراسة عن موقف الإمام المجدد من إمارة أفغانستان الإسلامية -حفظها ونصرها الله- وأنها أمارة إسلامية وأنه مبايع لها بيعة عظمى.. وأنه يدعو إلى وجوب نصرتها ومساندتها.

- وبينت الدراسة إحسان الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- استخدام مفاتيح الصراع وإدارة الصراع بين الحق والباطل في هذا الزمان واجتهاده لحشد الأمة لنصرة الحق

- وأظهرت هذه الدراسة جهود الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- في بيان أن ما نعيشه اليوم هو حلقة من سنة الصراع بين الحق والباطل..

فهي حرب صليبية معاصرة.. انقسم الناس فيها إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط كفر..

- وأظهرت الدراسة أن المعالم السنية والركائز المهمة التي دعا إليها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- "إن إرهاب الأعداء فريضة دينية واغتيال رؤوسهم سنة نبوية"..

- وبينت الدراسة سعي الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- لاستخدام كافة السبل المشروعة المتاحة لتحقيق الهدف الأسمى من دعوته وجهاده بعد التوكل على الله إحسان الظن به سبحانه وتعالى.

- وأظهرت الدراسة ما سعى إليه الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- من نقل المعركة والضربات إلى أرض العدو واستهداف مفاصل قوته.. واتباع حرب العصابات وضرب خطوط الإمداد والاجتهاد للحصول على أسلحة الدمار الشامل وابتكار أساليب جديدة لاستنزافه واستهدافه وكفِّ شره وصدِّ عاديته عن المسلمين.

- وبينت الدراسة عناية الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- ببناء القاعدة الصلبة التي لا تذوب في أحماض الجاهلية ولا تنهار تحت الضغوط الدولية.. فهذه المرحلة من الصراع تحتاج إلى قاعدة صلبة تحمل همَّ الأمة وتتولى أمر قيادتها وبنائها ومواجهة التحديات والصعوبات فهي في الأمة بمنزلة القلب للجسد.

- وكشفت الدراسة عن اهتمام الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– بالعلم والعلماء وعن تواصله وتشاوره ورجوعه إلى العلماء الربانيين منهم.

- وكشفت الدراسة عن الجهد العظيم الذي قام به الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– من التحذير من دور علماء السوء في محاربة الإسلام ونصرة الحكام المحاربين للشريعة.

- وبينت الدراسة منهج الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– في مسألة حدود طاعة العلماء وأنها طاعة مقيدة وليست مطلقة.. وذكرت الأمور التي يجب مراعاتها عند التعامل مع أخطاء العلماء.

- وتوصلت هذه الدراسة إلى براءة الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– مما اتهم به من أنه من الخوارج الذين يكفرون المسلمين.. وبراءته كذلك من الإرجاء.. فهو في مسائل الأسماء والأحكام وغيرها من مسائل الاعتقاد على منهج أهل السنة والجماعة.

- وأظهرت هذه الدراسة تأصيل الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– لمسألة الخروج عن الحاكم الكافر والحاكم المرتد.

- وقد كان من المعالم المهمة التي عنيت هذه الدراسة ببيانها في منهج الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– التوجيه إلى حسن التعامل في مسائل الخلاف في هذا الزمان.. فهي من المسائل الشائكة والمهمة وقد خصها الإمام المجدد بمزيد عناية لأهميتها وأثرها في مسيرة الإصلاح.

- ومن معالم وسمات أهل الحق والانصـاف التي كانت واضـحة وجلية في الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- الاعتراف والإقرار بالخطأ واتباع الحق متى بان وظهر..

- واظهرت الدراسـة أن من الصـفحات المشـرقة والمعالم المنيرة في دعوة الإمام المجدد منهجه في التعامل مع أخطاء المجاهدين بالحكمة والرشد..

- وأظهرت الدراسـة أن مما ميز دعوة وتوجيهات الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- مراعاة الخطاب والتوجيهات لمقتضـى الحال والواقع.. فهو يعيش الواقع والحال ويتعامل فيه بما يناسبه (ليس كل ما يعرف يقال في أي حال).

- وأظهرت الدراسـة أن الصـراع بين الحق والباطل في هذا الزمان ليس منحصـراً في الجانب العسكري.. فهو صراع في كافة الجوانب والمجالات ابتداءً بالعقائد والأفكار وانتهاءً بإقامة الدولة وتحكيم الشريعة.

- وأظهرت الدراسـة أن فكرة الإصـلاح والجهاد وإقامة الدين عند الإمام المجدد أسـامة بن لادن -رحمه الله- دعوة ربانية شـاملة "فإن الطريق لإصـلاح الأمَّة وتوحيدها تحت كلمة التوحيد؛ ليس بالمحاضـــرات النظرية وتأليف الكتب فقط، فلا بدَّ من مشـــروع عملي تنخرط فيه الأمَّة كلها كلٌّ بحســـبه، ابتداءً بالدعاء والابتهال إلى الله، وانتهاءً بالقتال في سبيل الله".

- وأظهرت الدراسة جانباً من صفات الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- الكريمة وأخلاقه النبيلة التي أكرمه الله بها والتي من أهمها العزة بدينه والشجاعة والحكمة والوفاء لدينه ولإخوانه والبذل والعطاء والصدق وغير ذلك.

- وبينت هذه الدراسة أن من المعاني التي اجتهد الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- بترسيخها ونشرها أن الثبات على المبدأ من معاني النصر والفتح الرباني التي قد تخفى على كثير من الناس..

- وأظهرت هذه الدراسة أن من المعاني ومن المسائل الكبرى التي اهتم بها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- وإخوانه من قادة الجهاد وجعلوها في سلم أولوياتهم وجوب الانتقام من المستهزئين والسابين لرسولنا الكريم -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-.

- وأظهرت هذه الدراسة أن من المعاني ومن المسائل الكبرى التي اهتم ببيانها الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- أن الابتلاء والتمحيص طريق التمكين "وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة".

- وأظهرت هذه الدراسة أن من المعاني ومن المسائل الكبرى التي اهتم بها الإمام المجدد أسامة بن لادن ضرورة وجود المكان المناسب والبيئة الحاضنة لحركة التغيير والإصلاح.

- وأظهرت الدراسة مناصرة ومناصحة الإمام المجدد أسامة بن لادن -رحمه الله- لثورات الشعوب المسلمة ضد الطغاة.

- واشتملت هذه الدراسة على جملة من النصائح الجليلة والمعاني الكريمة التي قدمها الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله– للمسلمين عامة وللعلماء وطلبة العلم والدعاة والمصلحين والمجاهدين خاصة نذكر بعضها في هذه الخاتمة..

أ. الدعوة إلى التوحيد أولى الأولويات ومركز المركزيات.

ب. تعظيم شأن دماء المسلمين وحرماتهم ووجوب القصاص والثأر لها.. والتحذير من التساهل في مسائل الدماء المعصومة.

ت. أهمية وضرورة التعاون على البر والتقوى.

ث. أهمية وضرورة القيام بواجب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج. أهمية تفعيل شعيرة الشورى والعمل بها.

ح. التحذير من الغلو والإرجاء.

خ. أهمية دراسة أسباب الفشل وتأخر تحقيق الأهداف حتى تعرف مكامن الخلل والزلل فتجتنب وتوضع الحلول والخطوات المناسبة.

د. ضرورة الاستفادة من دروس وعبر التاريخ والتجارب السابقة في الصراع بين الحق والباطل.

ذ. ضـرورة محاربة الذل والهوان وبعث روح العزة في روح الأمة.. فإن الذل والهوان والركون إلى الدنيا من أعظم أسـباب تسـلط الأعداء وتأخر النصر.

ر. وجوب القيام بواجب تحريض المسـلمين للقيام بفريضـة الوقت الجهاد لإعلاء كلمة الله.. فهذا زمان العمل والتضـحية.. والأزمة أزمة القعود عن العمل.

ز. وجوب الدعم المادي للمجاهدين.

س. وجوب العدل والكف عن الظلم والعدوان..

ش. إن السـمع والطاعة في المعروف (في غير معصـية الله) من الأمور الأسـاسـية لقيام الدولة المسـلمة في حال الإمامة العظمى وفي حال العمل الجماعي دون الإمامة العظمى.

ص. أهمية الهجرة في سبيل الله للصدع والقيام بالحق والإعداد والجهاد في سبيل الله.

ض. كما أن الغاية نبيلة فالسبل لتحقيقها نبيلة.

ط. أهمية وضرورة اقتران العلم بالعمل.

ظ. أهمية وضرورة اقتران العلم والتربية بالجهاد.

ع. أهمية وضرورة الالتفاف حول العلماء الربانيين والرجوع إليهم.

غ. التحذير من الخوض في مسائل التكفير بغير حجة ولا برهان.. وضرورة التثبت والرجوع في هذه المسائل إلى أهل العلم.

ف. وجوب التثبت من الأخبار وعدم نشرها قبل التبين والتثبت، وحفظ اللسان من الخوض في أعراض المسلمين والمجاهدين.

ق. أهمية وضرورة تصحيح المفاهيم التي دخلها التحريف والتلبيس.

ك. وجب التفريق بين العثرات والموبقات المهلكات.

ل. تحذيره من اختراق علماء السوء لعمليات وهيئات الإصلاح والجهاد الراشدة.

م. التحذير من دور الناكصين على أعقابهم من القيادات والوجهاء فهم من الأدوات الهدامة التي يستغلها الأعداء لمحاربة وإفشال مشاريع الحركات الجهادية والإصلاحية.

ن. التحذير من الانشغال بالجدال والخصومات التي تهدر وتضيع الطاقات والأوقات الجهود.

هـ. ومن الأمور التي حذر منها الإمام المجدد -رحمه الله- وأثبتت الأحداث والتاريخ صوابها وأنها من مكر الأعداء الذي أمرنا الله بالحذر وأخذ الحيطة منه تلك المبادرات الهدامة التي تلبس عباءة المؤسسات الدينية.

و. ومن النصائح النفيسة التي قدمها الإمام المجدد اعتزال الفتن والاستمرار في الجهاد.

ي. ضرورة التحذير من دور القيادات التاركة للواجبات المتحتمات في هذه الحرب الصهيوصليبية.

أأ. التحذير من الدور الهدام الذي يقوم به الأفراد والجماعات التي رضيت بالقعود عن الجهاد.. فهؤلاء بقعودهم عن الواجب المتعين عليهم يخذلون المسلمين ويلبسون على من يقتدي بهم الحقائق فيصدون الناس عن الجهاد المتعين ونصرة المسلمين وهم يشعرون أولا يشعرون.

بب. التحذير من دور أهل النفاق الذين يخترقون الصفوف ويفسدون الجهاد ويثيرون الفتن بين المجاهدين..

تت. التحذير من الدعم المادي الذي يفسد الجهاد ومشاريع الإصلاح.

ثث. التحذير من الإساءة في استخدام مسألة المصلحة ومصلحة الدعوة.

جج. النصيحة بالعمل مع جماعة راشدة سنية، والتعاون مع الجماعات الأخرى، ولكن أعبد الله ولا تعبد الجماعة..

هذه مجموعة وجملة من أهم المعالم والسـمات والنصـائح والتوجيهات المباركة التي توصلت إليها هذه الدراسة:

"نظرات وتأملات في منهج الإمام المجدد أسامة بن لادن –رحمه الله–"

فما أصـبت فيها الحق فالفضـل لله وحده.. وما أخطأت فيها فمن نفسـي ومن الشيطان، وشرع الله منه براء..

وأسأل الله أن يتقبل مني هذا الجهد والعمل وأن يجعله خالصاً لوجهه وأن يجعله من الآثار الطيبة والصدقات الجارية والسنن الحسنة في الدنيا والآخرة..

وأسأل أن يجمعنا مع الإمام المجدد أسامة بن لادن وإخوانه من الدعاة والمجاهدين في جنة الفردوس مع النبين الصديقين والشهداء والصالحين..

اللهم أحينا لدينك واختم لنا بخير الشهادة في سبيلك..

وتقبل منا إنك أنت السميع العليم.

كتبه:

سامي بن محمود العريدي

شهر ربيع الثاني من عام ١٤٤٧